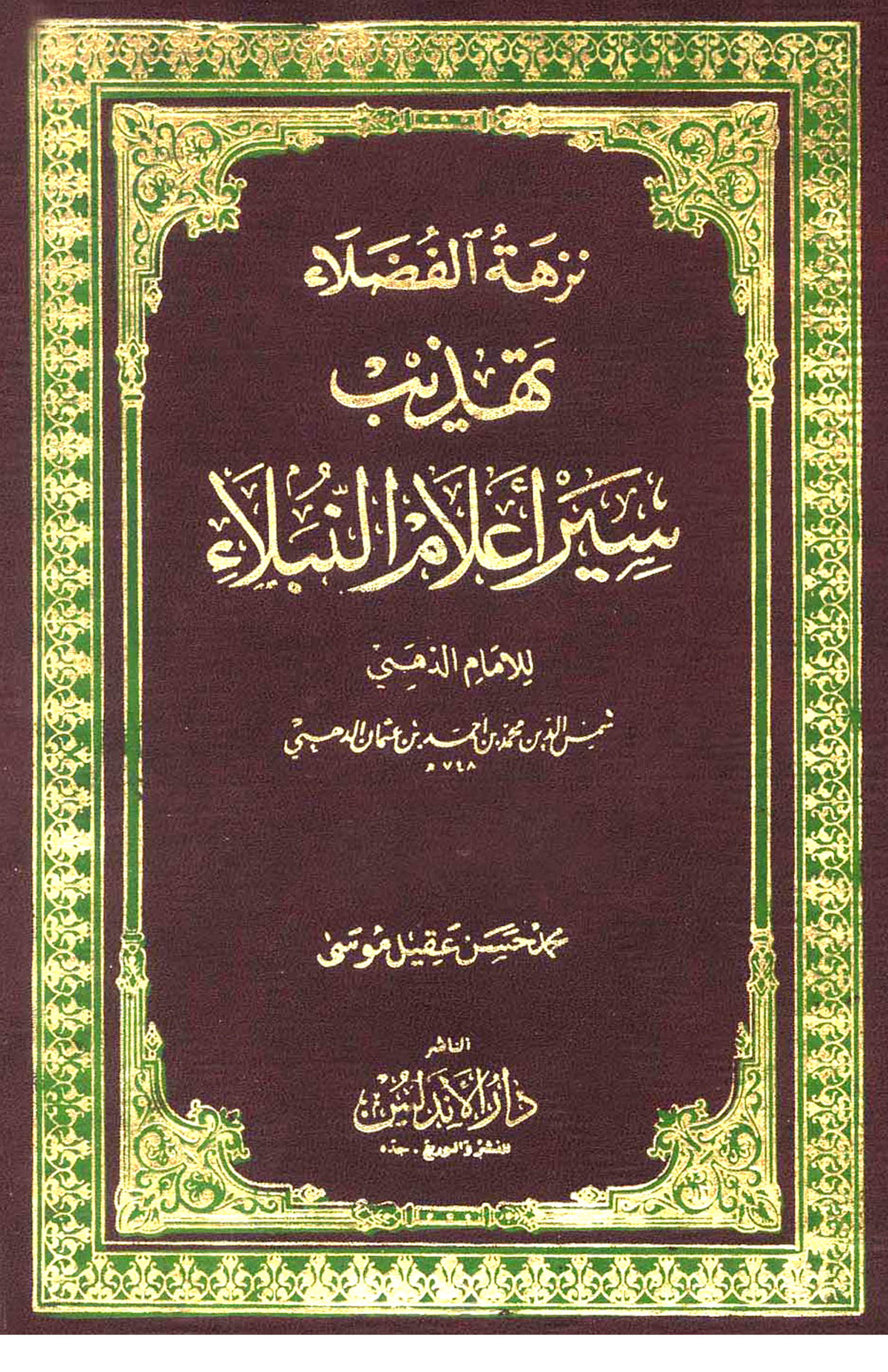


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله موفِّق من شاء إلى ما شاء، هدى عبادَه إلى طريق الرَّشادِ واستعملهم كيف شاء، سبحانه من ربٍّ حكيمٍ عليمٍ قادرٍ على كلّ ما يشاء. الحمد لله الذي جعل في التاريخ عبراً للمعتبرين، وفي أحداثه وقَصَصِه وعظاتِه مناراً للسّالكين، وفي تقلّباته بأهل الدّنيا علَماً على فناء العالَمين؛ ودليلاً على هوان الدّنيا وخسرانِ العاملين إلاّ الصّالحين. وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ الأمين؛ الّذي أرشدنا إلى ما فيه خير الدّنيا والدّين، وعلى أصحابه الأماجد الطّيّبين؛ الّذين غيّروا التاريخَ وأدهشوا المؤرّخين، وعلى أتباعهم الكرام ومن تبعهم إلى يوم الدّين، وبعد: فالتّاريخ علم عظيم نافع، أحداثه تُورِث العِبرة، ومآسيه تُوجِب العَبْرة، فحقٌّ على أهل هذه الصّحوة الإسلاميّة المباركة أن ينتفعوا به ويولوه اهتمامهم، ويستخرجوا منه ما يصحّح حاضرَهم ويقوِّم مسيرتَهم ويصقل آراءَهم.

نبذة عن كتاب «السِّيَر» وسبب اهتمامي به

كتاب «السِّيَر» كتاب حافل، جامع لفنون شتّى وأخبارٍ كثيرة؛ لا تقتصر على عصرٍ دون عصرٍ، ولا مِصرٍ دون مصر، بل تشمل صدرَ الإسلام حتّى نهاية القرنِ السابع تقريباً، وقد أتت هذه الأخبارُ على غالب الأمصار الإسلاميّة.

المؤرّخ يرى فيه بُغيتَه، والنّاظر في أخبار الرجال جرحاً وتعديلاً يجد فيه مطلبَه، والباحث عن همم الرجالِ في الدّعوة والعبادةِ يرى فيه من بلغوا في هذا المضمار ذروته.

فيه أخبارٌ من تاريخنا المشرق وضيئات، وعلامات على الطّريق هاديات، وعِبرٌ كثيرات.

وفيه أخبارٌ عن رجال هذه الأمّة العظام، وشذراتٌ من أحوالهم وعباداتهم يحتاجها من يريد رسمَ صورةٍ يعيش عليها رجالُ الإسلامِ في عصرنا الحاضر

ومستقبلِنا المشرق، إن شاء الله.

وفيه تذكيرٌ بعاقبة من ظلم وبغي وطغىٰ، وبمن ابتدع وفسق وعصىٰ، لعلّ أبناء زمانِنا يحذرون هذا المسلكَ الرّديء. وفيه قصصٌ جميلة ونوادر لطيفة يكون فيها بعضُ العِوَضِ عن غثاء الأسواق، وقذارات الفسّاقِ الّذين شغلوا النّاشئة بالمجلّات والقصصِ الماجنة. وفيه جملةٌ عظيمة من قواعد الدِّين من توحيد وسلوكٍ ومعاملاتٍ تقرّ بها أعينُ المؤمنين، وقد أورد الذّهبيُّ كلَّ هذا في ثنايا أخبارِ المترجَمِ لهم.

وكتاب «السِّيَر» ـ والحال ما و صفتُ ـ كتابٌ ضخم كبير، لا يستطيع جلُّ أبناءِ هذا الزّمانِ قراءتَه واستيعابَ ما فيه من النّفائس، كما أنّ فيه قدراً ضخماً من مادّة الجرحِ والتّعديل، وفيه عدد ضخم من الأحاديث والآثار، ويكاد يحصر مشايخ المترجَمِ له وتلاميذَه، وفيه آلاف التّراجم التي يقتصر نفعها علىٰ فئة من المتخصّصين في العلوم الشّرعيّة، وفي الكتاب أسانيدُ طويلة، وقصص وأخبار بعضها ضعيف أو مكرّر، وغير ذلك من الصّوارف عن هذا الكنز الثّمين والعَقدِ الفّريد، فقمت بتهذيب الكتابِ بعد قراءتِه حتّى يتيسّرَ لكثير من النّاس الوقوف علىٰ ما فيه من الفوائد التي هي مراد المصلحين، ووسيلة المربّين، وأرجو من الله العليّ القدير أن أكونَ قد وفّقت في هذا العمل وسدِّدت.

سبب اختياري هذا الكتاب

قد بيّنت ممّا سبق أسباباً لاختياري هذا السِّفْرَ الماجد، ولكن هناك أسبابٌ أخرى مهمّة، منها:

(١) الإنصاف العظيم الّذي يتمتّع به مؤلِّف الكتاب ـ رحمه الله ـ فهو لا يكتفي بسرد تاريخِ المترجَمِ له دون التّعليقِ ـ غالباً ـ على ما يراه ضروريّاً لإنصافه؛ وذلك نحو الحكم على حكاية ألصقت به وهي غاضّة من شأنه أو ذكر مبرّرٍ لعمل ظنّه النّاسُ سيّئاً وهو يحتمل أوجهاً أخرى، أو نقدٍ لتصرّفاته نقداً شرعيّاً، ثم يحاول أن يخرجَ بحكم عامٍّ على المترجَمِ له مقرونٍ بالإنصاف.

وهذا العملِ ـ أي الإِنصاف في الحكم على الأشخاص ـ يعطي ضوءاً كاشفاً

تستطيع أن تستفيدَ منه الصّحوةُ المباركة، فهي صحوة توشك أن تعطيَ ثمارَها لولا ما يكدّرها من تصرّفات بعضِ ذوي النّظراتِ القاتمةِ الذين يرمون العلماءَ والدّعاةَ بالفسق والابتداع والميلِ عن مذهب السّلف لأيِّ زلّة، لا يعذرون أحداً، ولا يتّقون الله في ظنٍّ مرجوح.

وهناك بعضٌ آخرُ لا يستطيع العيشَ إلاّ بالطّعن على المخالِف، ونسيانِ محاسنِه وكتمانِها، فهؤلاء وأمثالهم تكفّل الإمام الذّهبيُّ بالرّد عليهم ممّا ستجده في ثنايا الكتاب واضحاً ـ إن شاء الله تعالى.

(٢) ثراء المادّةِ النّقديّة في الكتاب؛ فالذّهبيُّ ـ رحمه الله ـ لا يدع أحداثَ التاريخِ تمـرّ دون نقدٍ ـ غالباً ـ لِما يحتاج النّقد والتّبيين فتراه يضعِّف حادثةً منكورة، أو يصحِّح وهماً أو مبالغةً وقع فيها ناقل، أو يبيّن رأيَه في أمر يحتاج إلى فصل وتبيين .. إلخ، وهذه المادّة النّقديةُ تفتقدها كثيرٌ من كتب التأريخِ والتراجم، والنّقد البنّاء يفيد في تصحيح أحداث التاريخ وإيرادِها مورداً سليماً بعيداً عن المبالغة والغلوِّ والضّعف.

(٣) شمـول هذا الكتاب واحتواؤه ما لم يَحْوِه كثيرٌ من أمثاله؛ إذ أنّه يجمع بين التأريخ والتّراجم الموسّعة، فكتاب «البداية والنّهاية» ـ مثلاً ـ نجد فيه أخباراً تاريخيّةً جمّة، ولكنّا لا نجد فيه تراجمَ موسّعةً للعلماء والأخيارِ والأمراءِ والأشقياءِ وغيرِهم، ومثله «كامل» ابن الأثير، و «تاريخ الأمم والملوك» للطّبريّ، وهناك كتب تحوي تراجمَ موسّعةً ـ نوعاً ما ـ ولكنّا لا نجد فيها أخباراً تاريخيّة مسلسلةً على نهج متّسقٍ، وذلك نحو: «حِلْيَةَ الأولياء» و «الطّبقات» لابن سعد، و «وفيات الأعيان» ونحو ذلك من كتب التراجمِ الكثيرة.

وأمّا هذا الكتاب ففيه قدر عظيم من التّراجم الموسّعة مع قدر طيّبٍ من التأريخ المنهجيِّ المتسلسلِ المبثوثِ في ثنايا التّراجم، وخاصة تراجم الخلفاءِ والملوكِ والأمراءِ.

(٤) كتاب «السِّيَر» يستوعب معظمَ من نَبُل في أعين النّاسِ ـ غالبِهم أو بعضِهم وإن كان ساقطاً في الميزان الشّرعيّ ـ فهو لا يختصّ بأهل مذهبٍ فقهيٍّ معيّن، ولا

بالخلفـاء والملوك والأمـراءِ، ولا بالشّعـراء والنحويّين وأهل الأدب، ولا بالأبطال والشجعان وقادة المعارك، ولا بالأطباء والحكماء والفلاسفة، ولا بأهل صنعة أو أهل نِحلة، بل هو يشمل جميع الأصناف المذكورة، ويكاد يستوعب أخبارَ أمصارِ الإسلامِ.

صحيحٌ أنّه قد غلبت تراجمُ المحدّثين على غيرهم، وهذا بسبب اعتناء الذّهبيِّ القويِّ بالحديث فهو الحافظ الماهر فيه، ولكنّ كثيراً من محدّثي القرونِ الأولى الفاضلةِ ومن تلاهم كانوا فقهاءَ ومفسّرين وغزاةً في سبيل الله، وأدباءَ ونحويّين، وغير ذلك ممّا اشتهروا به، رحمهم الله.

«منهج التَّهـذيب»

(١) حذفت عدداً كبيراً جدّاً من التّراجم التي يقتصر نفعها - في نظري - على فئة من المتخصّصين، وما أبقيت - حسب اجتهادي القاصر - إلاّ التّراجمَ التي فيها فائدة لعموم القراء. وقد بلغ عدد تراجم هذا التَّهذيب ثلاث وتسعون وتسعمائة ترجمة من أصل خمسة آلاف وتسعمائة وخمس وعشرين ترجمة.

(٢) حذفت الأخبار المكرّرة واخترت أحسنها - كما أحسب - وحذفت الأخبار التي لا طائل من ذكرها، ويمكن الرّجوع إليها في مظانّها من الأصل.

(٣) حذفت الأحاديثَ التي رواها الذهبيّ من طريق المترجَم له بعلوّ.

(٤) اختـرت من الهوامش التي في الأصل ما يخدم غرض التَّهذيب الذي وضع لتقـريب الكتاب إلى قارئه حتى يستمتعَ به دون صارفٍ يصرفه أو قاطع يقطعه، وتصرّفت فيما أثبتّه تصرّفاً لا يُخِلّ - إن شاء الله - ولم أثبت شيئاً من عندي إلاّ في مواضع معدودة تحتاج البيان.

(٥) وضعت علاماتٍ للضّبط والشكل تكملةً لما وضعه المحقّقون حتى يستطيع القارئُ المعاصر القراءةَ على وجه صحيح.

(٦) حذفت من الأسانيد كلَّ ما يمكن حذفه، وما أبقيت إلّا ما تدعو الحاجةُ إليه.
(٧) لم أذكر تخريج المحققين للأحاديث والآثار والأقوال إلّا لِماما، وعند مواضعَ تدعو الحاجةُ فيها لذكر هذا التخريج، وهذا لسببين:

(١) المحقّقون الكرام توسّعوا في التخريج توسّعاً كبيراً يشكرون عليه، ولكنّ إيرادَه يخالف هدفَ هذا المختصر.

(٢) التخريج لا يهتمّ به كثير من العامّة، ومن يريده يستطيع الرجوع إلى الأصل، فهو متوفّر والحمد لله، ولا يستغني عنه طالب العلم. وقد استعضت عن ذكر التخريجِ بإبقاء الأحاديثِ والآثارِ والأخبارِ الدّاخلةِ في دائرة الاحتجاج، وأخرجت ـ كما أظنّ ـ من هذا التّهذيب الموضوعَ والواهيَ وكلَّ ما لا يحتجّ به، وذلك استناداً لتوهين الذهبيِّ أو المحققين لها، واستثنيت ما يلي:

أ ـ ما تدعو الحاجة إليه لوروده في سياق خبر أو قصة، فأورده وأورد ما قاله الذهبيّ أو المحقّقون فيه.

ب ـ قد أُبقي على ما صدَّره الذّهبيّ بصيغة: قيل، ورُوِيَ وغير ذلك من ألفاظ التّضعيف.

وما سكت عنه الذّهبي والمحققون ولم تظهر صحّته ـ وهو جملة لا بأس بها ـ فإنّي أتخيّر منه وأورده.

(٨) وأمّا الترجمة نفسها فقد اقتصرت فيها على اسم المترجَمِ له واسمِ أبيه وجدّه، وما يفيد في معرفةِ نسبِه وبلدِه وصنعتِه، وأثبت سنتيْ ولادتِه ووفاتِه ـ إن وجدت ـ وحذفت الشهر واليوم. وأبقيت أقوى الأقوالِ في ذلك، وهذا حسَب ترجيحِ المؤلّفِ أو المحقّق أو واضعِ هذا المختصر.
(٩) ذكرت عند كلِّ ترجمةٍ في الهامش مكان وجودها في الأصل؛ جزءاً وصفحةً.
(١٠) وضعت أرقاماً تسلسليّة للتراجم.
(١١) رجعت إلى عدد من المصادر والمراجع التي احتجتها لعمل هذا التّهذيب ـ وهي قليلة نسبيّاً ـ ولم أذكرها.
(١٢) وإتماماً للفائدة فقد قمت بعمل فهرسٍ للأعلام، وآخرَ للفوائد، وفهرس

الفوائد هذا سأشرح كيفيّةَ إيرادِه وطريقةَ استعمالِه آخرَ الكتاب ـ إن شاء الله ـ ويمكن اعتبارُ هذا الفهرسِ زبدةَ هذا التَّهذيب؛ فهو خلاصة ما في الكتاب من الفوائد مرتّبةً بطريقةٍ معيّنة، يستطيع بها مبتغي فائدةٍ ما الوصولَ إليها سريعاً، والحصولَ على حصر لمواضعها من الكتاب.

وبعد، فأرجو من قارىء هذا المختصر والمطّلع عليه أن يتجاوزَ عن تقصيري أو إخلالي بشرطٍ ممّا ذكرت، فهو جهد بشريٌّ عرضة للخلل والنّقص، ومن وجد فيه شيئاً مخِلاّ فلينبهني مشكوراً، جزاه الله خيراً.

محمد حسن عقيل موسى

نبذة عن الإمام محمد بن أحمدَ بنِ عثمانَ الذّهبيّ

قال تلميذه تاج الدّين عبدالوهّاب السبكيّ : - «شيخنا وأستاذنا الإمام الحافظ شمس الدّين أبو عبدالله التركمانيّ الذهبيّ محدّث العصر . بَصَرٌ لا نظير له ، وكنزٌ هو الملجأ إذا نزلت المعضلة . إمام الوجود حفظاً ، وذهب العصر معنى ولفظاً ، وشيخ الجرحِ والتّعديل ، ورجل الرّجال في كل سبيل ، كأنّما جمعت الأمّة في صعيد واحد فنظرها ثمّ أخذ يخبر عنها إخبار من حضرها .

مولده في سنة ثلاث وسبعين وستمائة . . وطلب الحديث وله ثماني عشرة سنة فسمع بدمشق . . وببعلبكَّ . . وبمصرَ . . والإسكندريّة . . وبمكّةَ . . وبحلب . . وبنابلس . . وفي شيوخه كثرة . . وسمع منه الجَمّ الغفير، وما زال يخدم هذا الفنَّ إلى أن رسخت فيه قدمُه . . وأقام بدمشق يرحل إليه من سائر البلاد . . صنّف التّاريخ الكبير . . والتّاريخ الأوسط المسمّى بالعبر وهو حسن جدّاً ، والصّغير المسمّى : دول الإسلام ، وكتاب النّبلاء . . والميزان في الضعفاء وهو من أجلّ الكتب . . ومختصر سنن البيهقي وهو حسن . . وطبقات الحفّاظ ، وطبقات القرّاء . . ومختصرات كثيرة ، وقرأ القرآن بالرّوايات وأقرأه . توفّي سنة ٧٤٨ وكان قد أضرّ قبل وفاته بمدّة يسيرة» . [١]

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ٩/١٠٠-١٢٣.

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

١ - أبو عبيدةَ بنُ الجرّاح (م، ق)[1]

[١]عامرُ بنُ عبدالله بن الجرّاح القرشيُّ الفِهريُّ المكيُّ أحدُ السابقين الأولين ومَن عَزَمَ الصِّدِّيقُ على توليته الخلافة وأشار به يوم السقيفة لكمال أهليّته عند أبي بكر. يجتمع في النسب هو والنبيّ ﷺ في فِهر. شهد له النبي ﷺ بالجنة، وسمَّاه أمينَ الأمة، ومناقبه شهيرة جمَّة.

[٢] روى أحاديث معدودة، وغزا غزوات مشهودة.

[٣]عن يزيد بن رومان قال: انطلق ابنُ مظعون، وعُبيدة بنُ الحارث وعبدُ الرحمن ابنُ عوفٍ، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وأبو عبيدة بنُ الجرّاح حتى أتوا رسول الله ﷺ فعـرَضَ عليهم الإسلام وأنبأهم بشرائعه فأسلموا في ساعة واحدة وذلك قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم.

[٤] وقد شهد أبو عبيدة بدراً فقتل يومئذ أباه، وأبلى يوم أُحُدٍ بلاءً حسناً، ونزع يومئذ الحلقتين اللَّتين دخلتا من المِغْفَر في وَجْنَةِ رسول الله ﷺ من ضربة أصابته فانقلعت ثَنِيَّتاه، فحسُن ثَغرُه بذهابهما حتى قيل: ما رؤي هَتْمٌ أحسنُ من هَتْمِ أبي عُبيدَة[1].

[٥]قال الزُّبيرُ بنُ بكّار: قد انقرض نسلُ أبي عبيدة ووَلَدُ إخوته جميعاً وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة.

---

(١) انظر السير: ١/٥ - ٢٣

(٢) الهتم: كسر الثنايا من أصولها.

قلتُ: إن كان هاجر إليها فإنه لم يُطِل بها اللّبث.

[١]وكان أبو عبيدة معدوداً فيمن جمع القرآن العظيم.

[٢]قال موسى بن عُقْبة في (مغازيه): غزوة عمرو بن العاص هي غزوةُ ذاتِ السلاسل من مشارف الشام فخاف عمرو من جانبه ذلك فاستمد رسول الله ﷺ، فانتدب أبا بكر وعمر في سراة من المهاجرين فأمَّر نبيُّ الله عليهم أبا عبيدة فلما قدموا على عمرو بن العاص قال: أنا أميركم فقال المهاجرون: بل أنتَ أميرُ أصحابك وأميرُنا أبو عبيدة. فقال عمرو: إنما أنتم مَدَدٌ أُمددتُ بكم. فلما رأى ذلك أبو عُبيدَة بنُ الجراح وكان رجلاً حسَنَ الخُلُق، ليِّن الشِّيمَةِ، متّبعاً لأمر رسول الله ﷺ وعهده، فسلَّم الإمارة لعمرو.

[٣]وثبتَ من وجوهٍ عن أنس أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ لكُلِّ أُمَّةٍ أميناً وأَمينُ هذه الأمة أبو عُبيدة بنُ الجرّاح».

[٤]عن عمرو بن العاص قال: قيل يا رسول الله: أيُّ الناسِ أحبُّ إليك؟ قال: عائشةُ. قيل: مِنَ الرِّجال؟ قال أبو بكر، قيل: ثمَّ من؟ قال: ثم أبو عبيدة بنُ الجراح.

[٥]وكان أبو عبيدة موصوفاً بِحُسنِ الخُلُق، وبالحِلم الزائد والتواضع.

[٦]قال عمر لجلسائه: تمنَّوا، فتَمَنَّوا، فقال عمرُ: لكني أتمنّى بيتاً ممتلئاً رجالاً مثلَ أبي عُبَيدَة بن الجرّاح.

[٧]قال: خليفة بنُ خيَّاط: وقد كان أبو بكر وَلّى أبا عبيدة بيت المال.

قلتُ: يعني أموال المسلمين فلم يكن بَعدُ عُمِلَ بيتُ مال، فأول من اتخذه عمر.

[٨]وقال ابن المبارك في (الجهاد) له: عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: بلغ عمرَ أنَّ أبا عبيدة حُصِرَ بالشام ونال منه العدوُّ فكتب إليه عمر: أمّا بعد، فإنه ما نزل بعبد مؤمنٍ شدة، إلا جعل الله بعدَها فرجاً، وإنه لا يَغلبُ عُسرٌ يُسرين

﴿يا أيها الذِين آمنوا اصبرُوا وصَابروا ورَابِطُوا﴾ الآية [آل عمران ٢٠٠].

قال: فكتب إليه أبو عبيدة: أمّا بعد، فإن الله يقول: ﴿أنَّما الحَيَاةُ الدُّنيا لعِبٌ ولَهوٌ﴾ إلى قوله ﴿مَتَاعُ الغُرور﴾ [الحديد ٢٠] قال: فخرج عمرُ بكتابه، فقرأه على المنبر فقال: يا أهلَ المدينة إنما يُعرِّض بكم أبو عبيدة أو بي ارغبوا في الجهاد.

[١]وقال ثابت البُناني: قال أبو عبيدة: يا أيها الناس! إني امرؤ من قريش، وما منكم من أحمر ولا أسودَ يَفضُلني بتقوى، إلا وَدِدْتُ أني في مِسلاخه.

[٢]عن قتادة، قال أبو عبيدة بن الجراح، وَدِدْتُ أني كنت كَبشاً، فيذبحني أهلي، فيأكلون لحمي، ويَحْسون مَرَقي.

[٣]عن طارق، أنّ عمر كتب إلى أبي عبيدة في الطاعون: إنه قد عَرَضت لي حاجة، ولا غنى بي عنك فيها، فعجِّل إليّ، فلمَّا قرأ الكتاب، قال: عرفتُ حاجة أمير المؤمنين إنه يريد أن يستَبقيَ من ليس بباقٍ، فكتبَ: إني قد عرفتُ حاجتك، فحلِّلني مِن عزيمتك، فإني في جندٍ من أجناد المسلمين، لا أرغبُ بنفسي عنهم، فلما قرأ عمر الكتاب، بكى، فقيل له: مات أبو عبيدة؟ قال: لا. وكَأن قد.

قال فتوفي أبو عبيدة، وانكشف الطاعون.

[٤]وقد استعمل النبي ﷺ أبا عُبيدة غير مرة، منها المرة التي جاع فيها عسكره، وكانوا ثلاث مئة، فألقى لهم البحر الحوت الذي يقال له العَنْبَرُ، فقال أبو عبيدة: ميتة، ثم قال: لا، نحن رسل رسول الله، وفي سبيل الله، فكلوا، وذكر الحديث، وهو في «الصحيحين».

[٥]ولما تفرّغ الصدّيق من حرب أهل الردّة، وحرب مُسليمة الكذاب جهّز أمراء الأجناد لفتح الشام. فبعث أبا عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وشُرَحْبيل بن حسنة، فتمت وقعة أجنادين بقرب الرملة، ونصر الله المؤمنين، فجاءت البشرى، والصِّدِّيقُ في مرضِ الموت، ثم كانت وقعة فِحْل، ووقعة مرج الصُفَّر، وكان قد سيّر أبو بكر خالداً لغزو العِراق، ثم بعث إليه ليُنجِدَ مَن بالشام،

فقطع المفاوز على برية السماوة، فأمَّره الصديقُ على الأمراء كلهم، وحاصروا دمشقَ، وتُوفي أبو بكر. فبادر عمرُ بعزل خالد، واستعمل على الكلِّ أبا عبيدة، فجاءه التقليد، فكتمه مدة، وكل هذا من دينه ولينه وحلمه، فكان فتح دمشق على يده، فعند ذلك أظهر التقليد، لِيعقدَ الصُّلح للروم، ففتحوا له باب الجابية صلحاً، وإذا بخالد قد افتتح البلد عَنوَةً من الباب الشرقي، فأمضى لهم أبو عبيدة الصلح.

فعن المغيرة: أنَّ أبا عبيدة صالحهم على أنصافِ كنائسهم ومنازلهم، ثم كان أبو عبيدة رأس الإسلام يومَ وقعةِ اليرموك، التي استأصل الله فيها جيوش الروم، وقُتِلَ منهم خلقٌ عظيم.

[١]تُوفي أبو عبيدة في سنة ثمان عشرة، وله ثمان وخمسون سنة.

٢ ـ طلحة بن عُبيد الله (ع)(١)

[٢] **ابن عثمان القُرشي التَّيمي المكي، أبو محمد.**

أحد العشرة المشهود لهم بالجنة.

قلتُ: كان ممن سبق إلى الإسلام، وأوذي في الله، ثم هاجر، فاتفق أنه غاب عن وقعة بدر في تجارة له بالشام، وتألم لغيبته، فضرب له رسولُ الله ﷺ بسهمه وأجره.

[٣]وفي جامع أبي عيسى بإسناد حسن، أن رسول الله ﷺ قال يوم أُحد: «أوجب طَلحةُ».

[٤]قال ابن أبي خالد عن قيس قال: رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ يوم أحد شلّاء. عن جابر قال: لما كان يوم أحد، وولّى الناسُ، كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثني عشر رجلاً، منهم طلحة، فأدركهم المشركون، فقال النبي ﷺ: من لِلْقَوم؟ قال طَلحةُ: أنا، قال: كما أنت. فقال رجل: أنا. قال: أنت، فقاتل حتى

(١) انظر السير: ١/٢٣ـ ٤٠

قُتل، ثم التفت فإذا المشركون، فقال: مَن لهم؟ قال طلحة: أنا. قال: كما أنت، فقال رجل من الأنصار: أنا، قال: أنتَ. فقاتل حتى قُتل، فلم يزل كذلك حتى بقي مع نبي الله طلحة، فقال: مَن للقوم؟ قال طلحة: أنا، فقاتل طلحة، قِتال الأحد عشر، حتى قُطعت أصابعُه فقال: حَسِّ[1]، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: بسم الله لرفعتك الملائكة، والناس ينظرون» ثم ردّ الله المشركين.

[١]وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسولَ الله ﷺ كان على حراء هو، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير فتحركت الصخرة، فقال رسول الله «اهدأ فما عَليكَ إلاّ نَبيٌّ أو صِدِّيق أو شهيدٌ».

[٢]عن طلحة بن يحيى، حدثتني جدتي سُعدى بنت عوف المرية قالت: دخلتُ على طلحة يوماً وهو خاثر[2]، فقلتُ: مالك؟ لعل رابك من أهلك شيءٌ؟ قال: لا والله، ونِعم حَليلةُ المسلم أنتِ، ولكن مالٌ عندي قد غَمَّني فقلتُ: ما يَغُمُّك؟ عليك بقومك، قال: يا غلام! ادعُ لي قومي، فقسَّمه فيهم، فسألتُ الخازن: كم أعطى؟ قال: أربع مِئة ألف.

[٣]علقمة بن وقّاص الليثي، قال: لما خرج طلحة، والزبيرُ وعائشة للطلب بدم عثمان، عرَّجوا عن منصرفهم بذات عِرْق، فاستصغروا عُروة بن الزبير، وأبا بكر بن عبدالرحمن فردُّوهما، قال: ورأيت طلحة، وأحبُّ المجالس إليه أخلاها، وهو ضارب بلحيته على زَوْره، فقلت: يا أبا محمد! إني أراك وأحبُّ المجالس إليك أخلاها، إن كنت تكره هذا الأمر فدعه، فقال: يا علقمة! لا تلمني، كنا أمسِ يداً واحدة على مَن سوانا، فأصبحنا اليوم جبلين من حديد، يزحف أحدنُا إلى صاحبه، ولكنه كان مني شيءٌ في أمر عثمان، مما لا أرى كفَّارته إلا سَفْكَ دمي، وطَلبَ دَمِهِ.

قلتُ: الذي كان منه في حق عثمان تَمغْفلٌ وتأليبٌ، فَعَلَه باجتهاد، ثم تغيّر عندما شاهد مصرع عثمان، فندم على ترك نُصرته رضي الله عنهما، وكان طلحةُ

---

(١) كلمة تقال عند الألم.
(٢) أي: غير نشيط.

أولَ من بايع عليًّا، أرهقه قَتَلَةُ عثمان، وأحضروه حتى بايع.

[١]عن قيس قال: رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذ بسهم، فوقع في ركبته، فما زال يَنسحُّ حتى مات.

قلت: قاتل طلحة في الوزر بمنزلة قاتلِ عليٍّ.

[٢]عن جابر أنه سمع عمر يقول لطلحة: مالي أراك شَعِثْتَ واغْبَرَرْتَ مُذ تُوفِّي رسولُ الله ﷺ؟ لعله أنَّ ما بك إمارة ابن عمك، يعني أبا بكر، قال: معاذ الله، إني سمعته يقول: «إني لأعلم كلمة لا يقولها رجل يحضرهُ الموت، إلا وجد رُوحه لها رَوحاً حين تخرج من جسده، وكانت له نوراً يوم القيامة». فلم أسأل رسول الله ﷺ عنها، ولم يخبرني بها فذاك الذي دخلني. قال عمر: فأنا أعلمها قال: فلِلَّه الحمد، فما هي؟ قال: الكلمة التي قالها لعمه، قال صدقت[١].

[٣] وكان قتله في سنة ستٍّ وثلاثين وهو ابن ثنتين وستين سنة أو نحوها، وقبره بظاهر البصرة. ولطلحة أولادٌ نجباءُ، أفضلهم محمَّد السَّجَّاد، كان شاباً، خيراً، عابداً، قانتاً لله. وُلد في حياة النبي، ﷺ، قتل يوم الجمل أيضاً، فحزن عليه عليٌّ وقال: صَرَعَهُ بِرُّهُ بأبيهِ.

٣ الزُّبير بن العَوَّام (ع)[٢]

[٤] ابن خُويلد حواريُّ رسول الله، ﷺ، وابن عمته صفية بنت عبدالمطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهلِ الشورى، وأول من سلّ سيفه في سبيل الله، أبو عبدالله رضي الله عنه، أسلم وهو حدث له ست عشرة سنة.

عن موسى بن طلحة قال: كان عليٌّ، والزبيرُ، وطلحةُ، وسعدٌ، عِذار عام واحد، يعني ولدوا في سنة.

---

(١) الكلمة هي: لا إله إلا الله.

(٢) انظر السير: ١/٤١ ـ ٦٧

[١] قال عروةُ: جاء الزبير بسيفه، فقال النبيُّ ﷺ مَالَكَ؟ قال: أُخبرتُ أنَّك أُخِذت، قال: فكنتَ صانعاً ماذا؟ قال: كنتُ أضرِبُ بِهِ مَن أَخَذَكَ. فدَعا لَهُ ولِسَيفِهِ.

[٢] وروى هشام عن أبيه عروة، أن الزبير كان طويلاً تخُطُّ رجلاه الأرض إذا ركب الدابة، أشعرَ، وكانت أُمه صفيّة تضربه ضرباً شديداً وهو يتيم، فقيل لها قتَلْته، أهلكته، قالت:

إنما أضرِبُه لِكَي يَدِبّ ... ويَجُرَّ الجَيشَ ذا الجَلَبْ

قال: وكسر يد غلام ذات يوم، فجيء بالغلام إلى صفية، فقيل لها ذلك، فقالت:

كَيْفَ وَجَدت وَبراً ... أأَقِطَاً[١] أم نَمْراً

أم مُشمَعِلاً[٢] صَقرَا

[٣] وقال هشام بن عروة، عن أبيه، قال: كانت على الزبير يوم بدرٍ عمامةٌ صَفراءُ، فنزل جبريلُ على سيماءِ الزبير.

وفيه يقول عامر بن صالح بن عبدالله بن الزبير:

جَدِّي ابنُ عَمَّةِ أَحمَدٍ وَوَزِيرُه ... عِندَ البَلاءِ وفَارِسُ الشَّقراءِ

وغَداة بدرٍ كَانَ أَوَّلَ فَارسٍ ... شَهدَ الوغى في اللامَةِ الصَّفراءِ

نَزَلَتْ بِسيماهُ المَلائِكُ نُصرَةً ... بالحَوضِ يَوْمَ تَأَلُّبِ الأعداءِ

[٤] وهو ممن هاجر إلى الحبشة ولم يطل الإقامة بها.

[٥] وقال جابر: قال رسول الله ﷺ يوم الخندق: مَن يأتينا بخبرِ بَني قريظة؟ فقال الزبير: أَنا، فذهبَ على فرسٍ، فجاء بخبرهم. ثم قال الثانية، فقال الزبير: أَنا، فذهب، ثم الثالثة، فقال النبي ﷺ «لِكُلِّ نَبيٍّ حَواريٌّ وحَواريَّ الزبير».

---

(١) الأقط: بفتح الهمزة وكسر القاف، وقد تسكن: قال الأزهري: ما يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل.

(٢) المشمعل: السريع، يكون في الناس والإبل.

[١]وعن الثوري قال: هؤلاء الثلاثةُ نجدةُ الصحابة: حمزة، وعليّ، والزبير. عن عروة قال: كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف: إحداهن في عاتقه، إن كنتُ لأُدخلُ أصابعي فيها، ضُرِب ثنتين يوم بدر، وواحدةً يوم اليرموك.

[٢]عن مروان، قال: أصاب عثمان رُعافٌ سنةَ الرُّعاف، حتى تخلّفَ عن الحجّ وأوصى، فدخل عليه رجلٌ من قريش، فقال: استخلف، قال: وقالوه؟ قال: نعم قال: من هو؟ فسكت، قال: ثم دخل عليه رجلٌ آخر، فقال له مثل ذلك، وردّ عليه نحو ذلك. قال: فقال عثمان: قالوا الزبيرُ؟ قالوا نعم. قال: أما والذي نفسي بيده، إن كان لأخيَرَهم ما علمتُ، وأحبَّهُم إلى رسول الله ﷺ.

[٣]عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: انصرف الزبير يوم الجمل عن عليّ، فلقيه ابنه عبدالله، فقال: جُبناً، جُبناً! قال: قد علم الناس أني لست بجبان، ولكن ذكّرني عليٌّ شيئاً سمعته من رسول الله، ﷺ، فحلفت أن لا أقاتله، ثم قال:

تَركُ الأُمُور التي أَخشى عَواقِبَها ... في الله أَحسَنُ في الدُّنيا وفي الدين

وقيل إنه أنشد:

ولقد علمتُ لو أن علمي نافعي ... أنَّ الحياةَ من المماتِ قَريبُ

فلم ينشب أن قتله ابن جُرموز.

عن جون بن قتادة قال: كنت مع الزبير يوم الجمل، وكانوا يُسلِّمون عليه بالإمرة، إلى أن قال: فطعنه ابن جرموز فأثبته، فوقع، ودُفِن بوادي السباع، وجلس عليٌّ، رضي الله عنه، يبكي عليه هو وأصحابه.

عن أبي نَضرة قال: جيء برأس الزُّبير إلى عليّ فقال عليّ: تبوّأ يا أعرابيُّ مقعدك من النار، حدثني رسول الله ﷺ أَنَّ قاتِلَ الزُّبير في النَّار.

[٤]هشام بن عروة، عن أبيه، عن الزبير قال: لقيت يوم بدر عُبيدة بن سعيد بن العاص، وهو مُدجَّجٌ لا يُرى إلا عيناه، وكان يكنى أبا ذاتِ الكَرِش، فحملتُ عليه

بالعَنَـزَةِ، فطعنتـه في عينه، فمات، فأُخبرت أن الزبير قال: لقد وضعت رجلي عليه، ثم تمطيت، فكان الجهدَ أن نزعتُها، يعني الحربة، فلقد انثنى طرفها.

قُتل سنة ستٍّ وثلاثين وله بضع وخمسون سنة.

[١] قال ابن المَديني: سمعتُ سفيان يقول: جاء ابن جُرموز إلى مُصعب بن الزبير يعني لمَّا وَلِيَ إمرة العراق لأخيه الخليفة عبدالله بن الزبير فقال: أَقِدْني بالزبير، فكتب في ذلك يُشاور ابن الزبير، فجاءه الخبر: أَنا أَقتل ابن جرموز بالزُّبَير؟ ولا بِشِسع نعله.

قلتُ: أكـل المُعثَّـر يديه ندمـاً على قتله، واستغفر، لا كقاتل طلحةَ، وقاتل عثمان، وقاتل علي.

٤ ـ عبدالرحمن بن عوف (ع)(١)

[٢] **أحدُ العشرة، وأحد الستَّة أهل الشورى، وأحد السابقين البدريين، القرشيُّ الزهريُّ. وهو أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام.**

وكان اسمه في الجاهلية عبدعمرو، وقيل عبدالكعبة، فسمَّاه النبي ﷺ عبدالرحمن.

[٣]عن ابن عباس قال: جلسنا مع عمر، فقال: هل سمعت عن رسول الله ﷺ شيئاً أَمَر به المرءَ المسلم إذا سها في صلاته، كيف يصنع؟ فقلت: لا والله، أَوَ سمعتَ أَنتَ يا أمير المؤمنين من رسول الله في ذلك شيئاً؟ فقال: لا والله. فبينا نحن في ذلك أَتى عبدالرحمن بنُ عوف فقال: فيمَ أَنتما؟ فقال عمر: سألتُه، فأخبره. فقال له عبدالرحمن: لكني قد سمعتُ رسول الله ﷺ يأمر في ذلك. فقال له عمر: فأنت عندنا عدلٌ فماذا سمعت؟ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول «إذا سها أَحدُكم في صلاته حتى لا يدري أَزادَ أَم نقص، فإن كان شكَّ في الواحدة والثنتين، فليجعلها

(١) انظر السير: ١/٦٨ـ ٩٢

واحدة، وإذا شكَّ في الثنتين أو الثلاث، فليجعلها ثنتين، وإذا شك في الثلاث والأربع، فليجعلها ثلاثاً حتى يكونَ الوهمُ في الزيادة، ثم يسجد سجدتين، وهو جالس، قبل أن يسلِّم، ثم يسلِّم».

[١]فأصحاب رسول الله ﷺ وإن كانوا عدولاً فبعضهم أعدل من بعض وأثبت فهنا عمرُ قنع بخبر عبدالرحمن، وفي قصة الاستئذان يقول: ائت بمن يشهد معك، وعليٌّ بن أبي طالب يقول: كان إذا حدثني رجل عن رسول الله ﷺ، استحلفْتُه، وحدثني أبو بكر، وصدق أبو بكر. فلم يَحْتَجْ عليٌّ أن يستحلف الصديق، والله أعلم.

[٢]قال المدائني: وُلد عبدالرحمن بعد عام الفيل بعشر سنين.

عن ابن اسحاق قال: كان ساقطَ الثنتين، أهتَم، أعسرَ، أعرجَ، كان أُصيبَ يوم أُحد فهُتِمَ، وجُرح عشرين جراحة، بعضها في رجله، فعرِج.

قال عثمان: ما يستطيع أحدٌ أن يعتدَّ على هذا الشيخ فضلاً في الهجرتين جميعاً.

[٣]ومن مناقبه أنَّ النبي ﷺ، شهد له بالجنة، وأنه من أهل بدر، ومن أهل هذه الآية ﴿لقد رَضِيَ اللهُ عنِ المؤمنينَ، إذ يُبايعونَكَ تَحتَ الشَّجرة﴾ [الفتح ١٨] وقد صلَّى رسولُ الله ﷺ وراءه.

[٤]عن عمرو بن وهب الثقفي قال: كنا مع المغيرة بن شعبة، فَسُئلَ: هل أَمَّ النبيَّ ﷺ أحدٌ من هذه الأمة غيرُ أبي بكر؟ فقال: نعم. فذكر أن النبي ﷺ، توضأ، ومَسَحَ على خُفيَّهِ وعمامته، وأنه صلَّى خلفَ عبدالرحمن بن عوف، وأنا معه، رَكعَةً من الصبح، وقضينا الركعة التي سُبقنا.

[٥]عن قتادة: ﴿الذين يَلمِزُون المُطَّوِّعين﴾ [التوبة ٧٩] قال: تصدَّق عبدُ الرحمن بن عوف بشطر ماله أربعة آلاف دينار. فقال أناسٌ من المنافقين: إن عبدالرحمن لعظيم الرياء.

[١]عن شقيق قال: دخل عبدالرحمن على أمِّ سلمة فقال: يا أُمَّ المؤمنين! إنيِّ أخشى أن أكون قد هلكت، إني من أكثر قريش مالاً، بعتُ أرضاً لي بأربعين ألف دينار. قالت: يا بنيَّ! أنفق، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ مِن أصحابي مَن لن يراني بعد أن أفارقه»، فأتيتُ عمرَ فأخبرتُه. فأتاها، فقال: بالله أنا منهم؟ قالت: اللهم لا، ولن أُبرىء أحداً بعدك.

[٢]عن أبي هريرة قال: كان بين خالد وعبدالرحمن بن عوف شيء، فقال رسول الله، ﷺ، «دعوا لي أصحابي أو أصيحابي، فإنَّ أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً لم يُدرك مُدَّ أَحَدهم ولا نَصِيفَه».

[٣]عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «خيارُكُم خيارُكُم لنسائي».

فأوصى لهنَّ عبدُ الرحمن بحديقةٍ، قُوِّمَت بأربعِ مئة ألفٍ.

[٤] ومن أفضل أعمال عبدالرحمن عزلُه نفسه من الأمر وقتَ الشورى، واختيارُهُ للأمة مَن أشار به أهلُ الحلِّ والعقد، فنهض في ذلك أَتمَّ نهوض على جمع الأُمة على عثمان، ولو كان محابياً فيها، لأخذها لنفسه، أو لولاَّها ابنَ عمه وأقربَ الجماعة إليه سعدَ بنَ أبي وَقَّاصٍ.

[٥] إبراهيم بن عبدالرحمن، قال: غُشِي على عبدالرحمن بن عوف في وجعه حتى ظنُّوا أنه قد فاضت نفسه، حتى قاموا من عنده، وجلَّلوه، فأفاق يكبِّر، فكبَّر أهلُ البيت، ثم قال لهم: غُشي عليَّ آنفاً؟ قالوا: نعم قال: صدقتم! انطلق بي في غَشيتي رجلان أجد فيهما شدةً وفظاظة، فقالا: انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين، فانطلقا بي حتى لقيا رجلاً، قال: أين تذهبان بهذا؟ قالا: نحاكمه إلى العزيز الأمين. فقال: ارجعا فإنه من الذين كتب لهم السعادة والمغفرة وهم في بطون أُمهاتهم، وإنه سَيُمَتَّع به بنوه إلى ما شاء الله، فعاش بعد ذلك شهراً.

قال إبراهيم بن سعد: عن أبيه، عن جده، سمع عليًّاً يقول يوم مات عبدالرحمن ابن عوف: اذهب يا ابنَ عوفٍ! فقد أدركتَ صَفوها وسَبقتَ رَنْقَهَا. الرنق: الكدر.

[١] عن أنس قال: رأيتُ عبدالرحمن بن عوف، قُسم لكلِّ امرأة من نسائه بعد موته مئةُ ألف.

[٢] ولما هاجر إلى المدينة فقيراً لا شيء له، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع أَحدِ النُّقباء، فَعَرَضَ عليه أن يُشاطِرَهُ نعمتَه، وأن يطلِّق له أحسنَ زوجتَيه، فقال له: بارك الله لَكَ في أهلك ومالِك، ولكن دُلَّني على السوق. فذهب فباع واشترى، وربح، ثم لم ينشب أن صار معه دراهم، فتزوَّج امرأة على زِنَةِ نواةٍ من ذهب، فقال له النبي ﷺ: «أولِم ولو بشاة» ثم آل أمره في التجارة إلى ما آل.

[٣] وَفاته في سنة اثنتين وثلاثين، ودُفن بالبقيع.

[٤] قال أبو عمر بن عبدالبر: كان مجدوداً في التجارة خلَّف أَلف بعير، وثلاثة آلاف شاة، ومئة فرس. وكان يزرع بالجُرف(١)، على عشرين ناضحاً.

قلتُ: هذا هو الغنيُّ الشاكر، وأويس فقير صابر، وأَبو ذرٍّ وأَبو عبيدة زاهد عفيف.

٥ ـ سعد بن أبي وقَّاص (ع)(٢)

[٥] **واسم أَبي وقَّاص مالك** بن أُهيب.

الأمير أَبـو إسحـاق القُـرشيُّ الـزهـريُّ المكيُّ، أَحد العشرة، وأَحد السابقين الأولين، وأَحد من شهد بدراً والحديبية، وأَحدُ الستة أهل الشورى.

[٦] إبراهيم بن محمد بن سعد، حدثني والدي، عن أبيه قال: مررتُ بعثمان في المسجد، فسلَّمتُ عليه، فملأ عينيه مني ثم لم يرد عليَّ السلام، فأتيتُ عمر، فقلتُ: يا أمير المؤمنين! هل حدث في الإسلام شيء؟ قال: وما ذاك؟ قلت: إني مررتُ بعثمان آنفاً، فسلمتُ فلم يردَّ عليَّ فأرسل عُمر إلى عثمان، فأتاه، فقال: ما

(١) موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام.

(٢) انظر السير: ١/٩٢ـ ١٢٤

يمنعك أن تكون رددت على أخيك السلام؟ قال: ما فعلتُ. قلت: بلى، حتى حلفَ وحلفتُ، ثم إنه ذَكر فقال: بلى، فأستغفرُ الله وأتوبُ إليه، إنك مررتَ بي آنفاً، وأنا أُحدِّثُ نفسي بكلمةٍ سمعتُها من رسول الله ﷺ، لا والله ما ذكرتُها قط إلَّا يَغشى بصري وقلبي غشاوة. فقال سعد: فأنا أُنبِئُكَ بها. إنَّ رسول الله، ﷺ، ذكر لنا أول دعوة، ثم جاءه أعرابيٌّ فشغله، ثم قام رسول الله، فاتَّبعتُه، فلما أشفقتُ أن يسبقني إلى منـزلـه، ضربتُ بقـدمي الأرض، فالتفتَ إليَّ فالتفتُّ، فقـال: أبو إسحاق؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: فَمَهْ؟ قلتُ:لا والله، إلا أنكَ ذكرتَ لنا أول دعـوةٍ ثم جاء هذا الأعـرابي. فقـال: نعم، دعـوةُ ذي النون: ﴿لا إله إلا أنتَ سُبْحَانك إنّي كُنْتُ منَ الظَّالمين﴾ [الأنبياء: ٨٧] فإنها لم يَدْعُ بها مسلمٌ رَبَّه في شيءٍ قطُّ إلَّا استجاب له.

[١]توفي بالعقيق في قصره، على سبعة أميال من المدينة، وحُمِلَ إليها سنة خمسٍ وخمسين.

[٢]عن سعيد بن المسيب، سمعتُ سعـداً يقول: ما أسلم أحدٌ في اليوم الذي أسلمتُ، ولقد مكَثتُ سبعَ ليالٍ وإني لَثُلُثُ الإسلام.

عن قيس قال: قال سعد: ما جَمَعَ رسول الله ﷺ، أبويه لأحدٍ قبلي. ولقد رأيتُه ليقُولُ لي: ياسعـدُ ارمِ فداك أبي وأمي! وإني لأولُ المسلمين رمى المشـركين بسهم. ولقد رأيتني مع رسول الله، ﷺ، سابع سبعة ما لنا طعامٌ إلَّا ورق السَّمُر، حتى إن أُحدنا لَيَضَعُ كما تضع الشاء.

عن عامر بن سعد عن أبيه: أنَّ رسول الله ﷺ، جمع له أبويه. قال: كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين. فقال رسول الله: «ارمِ فداك أبي وأُمي» فنزعتُ بسهم ليس فيه نصل، فأصبتُ جبهته، فوقع وانكشفت عورته، فضحك رسولُ الله، ﷺ، حتى بدَت نَواجِذُه.

[١]عن عائشة قالت: أرِقَ رسولُ الله، ﷺ، ذاتَ ليلة، فقال: ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة. قالت: فسمعنا صوتَ السلاح، فقال رسولُ الله: مَن هذا؟ قال سعد بنُ أبي وقّاص: أنا يا رسول الله جئت أحرسك، فنام رسول الله ﷺ، حتى سمعتُ غطيطه.

[٢]عن عامر بن سعد أنَّ أباه سعداً كان في غَنم له، فجاء ابنه عمر، فلما رآه قال: أعوذ بالله من شرِّ هذا الراكب، فلما انتهى إليه، قال: يا أبة أرَضيتَ أن تكون أعرابياً في غنمك، والناسُ يتنازعون في الملك بالمدينة، فضرب صدر عمر، وقال: اسكت فإنِّي سمعتُ رسول الله، ﷺ، يقول: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الخَفِيَّ».

[٣]عن سعد قال: رأيتُ رجلين عن يمين رسول الله ﷺ ويساره في يوم أحد، عليهما ثيابٌ بيضٌ، يقاتلان عنه كأشد القتال، ما رأيتهما قَبلُ ولا بَعد.

[٤]عن أبي إسحاق قال: أشدُّ الصحابة أربعة: عمر، وعليٌّ، والزبير، وسعد.

[٥]عن أبي عثمان أنَّ سعداً قال: نزلت هذه الآية فيَّ ﴿وإن جَاهَدَاك عَلى أن تُشرِك بي مَا ليس لَكَ بهِ علمٌ فلا تُطعهما﴾ [العنكبوت ٨] قال: كنتُ بَرّاً بأمي، فلما أسلمتُ، قالت: يا سعدُ! ما هذا الدينُ الذي قد أحدثتَ؟ لتَدَعنَّ دِينك هذا، أو لا آكُلُ، ولا أشرَبُ حتى أموتَ، فتُعَيَّر بي، فيقال: يا قاتلَ أمِّه، قلتُ: لا تفعلي يا أمَّه، إني لا أدع ديني هذا لشيء، فمكثت يوماً لا تأكل ولا تشربُ وليلة، وأصبحت وقد جُهِدَت، فلما رأيتُ ذلك، قلتُ: يا أمَّه! تعلمين والله لو كان لكِ مئةُ نَفسٍ، فخرجت نَفساً نفساً، ما تركتُ دِيني. إن شئتِ فكلي أو لا تأكلي. فلمَّا رأت ذلك، أكلت.

[٦]عن جابر قال: كنا مع رسول الله ﷺ، إذ أقبل سعد بن مالك فقال رسول الله: «هذا خالي، فليُرني امرؤ خَالَهُ».

قلتُ: لأن أمَّ النبي ﷺ زُهرِيَّة، وهي آمنة بنتُ وَهب بن عبد مناف، ابنة عم أبي وقاص.

[١] قال سعد: اشتكيت بمكة، فدخل عليَّ رسول الله، ﷺ يعودُني، فمسح وجهي وصدري وبطني، وقال: (اللهم اشفِ سعداً) فما زلتُ يخيَّل إليَّ أني أَجدُ بردَ يده، ﷺ، على كَبدي حتى الساعة.

[٢] عن قيس أخبرني سعدٌ أنَّ رسول الله، ﷺ قال: «اللَّهمَّ استَجِب لِسَعْدٍ إذا دَعاك».

عن جابر بن سمرة قال: شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر، فقالوا: إنه لا يُحسنُ أن يُصلِّي. فقال سعد: أمّا أنا، فإني كنتُ أصلي بهم صلاة رسول الله، صلاتي العَشيِّ لا أَخرمُ منها، أركدُ في الأَوْلَيَيْن وأحذِفُ في الأُخرَيَيْن، فقال عمر: ذاك الظنُّ بك يا أَبا إسحاق. فبعث رجالاً يسألون عنه بالكوفة، فكانوا لا يأتون مسجداً من مساجد الكوفة، إلا قالوا خيراً، حتى أتَوا مسجداً لبني عيسى، فقال رجلٌ يُقال له أبـو سعـدة: أما إذا نشدتمونا بالله، فإنه كان لا يَعدلُ في القضية، ولا يَقسمُ بالسَّوية، ولا يسيرُ بالسَّريَّة، فقال سعد: اللهم إن كان كاذباً، فاعم بصره، وأطل عمره، وعرضه للفتن.

قال عبدالملك: فأنا رأيته بعدُ يتعرَّض للإماء في السِّكك. فإذا سُئل كيف أنت؟ يقول: كبيرٌ مفتون، أصابتني دعوةُ سعد». متفق عليه.

[٣] ومن مناقب سعد أنَّ فتح العراق كان على يدي سعد، وهوَ كان مقدَّم الجيوش يوم وقعة القادسية، ونصر الله دِينه. ونزل سعدٌ بالمدائن، ثم كان أَميرَ الناس يوم جَلُولاء فكان النصرُ على يده، واستأصلَ الله الأكاسرة.

[٤] عن ابن المسيب أنَّ رجلاً كان يقع في عليّ وطلحة والزبير، فجعل سعد ينهاه ويقول: لا تقع في إخواني، فأبى، فقام سعد، وصلَّى ركعتين ودعا، فجاء بُختيّ يشقُّ الناسَ فأخذه بالبلاط، فوضعه بين كِركِرته والبلاط حتى سحقه، فأنا رأيتُ

الناس يتبعون سعداً ويقولون: هنيئاً لك يا أبا اسحاق! استجُيبت دعوتك(١).

قلتُ في هذا كرامة مشتركة بين الداعي والذين نيل منهم.

[١]وفي سنة إحدى وعشرين شكا أهل الكوفة سعداً أميرهم إلى عمر، فعزله.

[٢]عن عمرو بن ميمون، عن عمر أنه لما أُصيب، جعل الأمر شورى في الستة وقال: من استخلفوه فهو الخليفة بعدي، وإن أصابت سعداً، وإلا فليستعن به الخليفةُ بعدي، فإنني لم أنزعه، يعني عن الكوفة، مِن ضعفٍ ولا خيانة.

[٣]عن حسين بن خارجة الأشجعي قال: لما قُتل عثمان، أشكلت عليَّ الفتنة، فقلتُ: اللّهمَّ أرني من الحق أمراً أتمسك به، فرأيتُ في النوم الدنيا والآخرة بينهما حائط، فهبطتُ الحائط، فإذا بنفر، فقالوا: نحن الملائكة، قلتُ: فأين الشهداء؟ قالوا: اصعد الدرجات، فصعدتُ درجة ثم أخرى، فإذا محمد وإبراهيم، صلى الله عليهما، وإذا محمد يقول لإبراهيم: استغفر لأمتي، قال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم اهرقوا دماءهم، وقتلوا إمامهم، ألا فعلوا كما فعل خليلي سعد؟

قال: قلتُ: لقد رأيتُ رؤيا، فأتيت سعداً فقصصتها عليه، فما أكثر فرحاً، وقال: قد خاب من لم يكن إبراهيم عليه السلام خليله، قلتُ: مع أيِّ الطائفتين أنتَ؟ قال: ما أنا مع واحد منهما، قلتُ: فما تأمرني؟ قال: هل لك من غَنَم؟ قلتُ: لا، قال: فاشتر غنماً، فكن فيها حتى تنجلي.

[٤]عن عامر بن سعد، عن أبيه قال: (مرضتُ عام الفتح مرضاً أشفيتُ منه، فأتاني رسولُ الله ﷺ، يعودُني، فقلتُ: يا رسول الله! إنَّ لي مالاً كثيراً، وليس يرثني إلا ابنةٌ، أفأُوصي بمالي كله؟ قال: لا، قلتُ: فالشطر، قال: لا، قلتُ: فالثلث، قال: والثلث كثير، إنك أنْ تَترُكَ ورثتك أغنياءَ خيرٌ من أن تتركهم عالةً يتكففون

---

(١) البُختي: الإبل الخراسانية تنتج من بين عربي ودخيل، والكِركِرة: زور البعير.

النّاسَ، لعلك تؤخَّرُ على جميع أصحابك، وإنك لن تنفق نفقةً تريدُ بها وجهَ الله، إلا أُجرتَ فيها، حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك، قلت: يا رسول الله إني أرهب أن أموت بأرض هاجرتُ منها، قال: لعلك أن تبقى حتى يَنتفعَ بك أقوامٌ ويُضرُّ بك آخرون، اللهم أمضِ لأصحابي هجرتهم، ولا تَرُدَّهُم على أعقابهم، لكن البائسُ سعدُ بن خَولَةَ) يَرثي له أنه مات بمكة.

قلتُ: اعتزل سعدٌ الفتنة، فلا حضر الجملَ ولا صفِّين ولا التحكيم، ولقد كان أهلاً للإمامة، كبير الشأن، رضي الله عنه.

[١] وعن أُم سلمة أنها قالت: لما مات سَعد، وجيء بسريره فأدخل عليها، جعلت تبكي وتقول: بقية أصحاب رسول الله، ﷺ،

[٢] مات سنة ستٍّ وخمسين.

٦ ـ سعيد بن زيد (ع)[1]

[١] **ابن عمرو بن نُفيل القرشي العدويُّ.**

أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن السابقين الأولين البدريين، ومن الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

شهد المشاهد مع رسول الله، ﷺ، وشهد حصار دمشق وفتحها، فولّاه عليها أبو عبيدة بن الجرّاح، فهو أول من عمل نيابة دمشق من هذه الأمة.

[٢] كان والده زيد بن عمرو ممن فرّ إلى الله من عِبادة الأصنام، وساح في أرض الشام يتطلَّب الدين القيِّم، فرأى النصارىٰ واليهود، فكره دينهم، وقال: اللَّهمَّ إني على دين إبراهيم، ولكن لم يظفر بشريعة إبراهيم عليه السلام كما ينبغي، ولا رأى من يوقفه عليها، رأى النبيَّ ﷺ، ولم يعش حتى بُعث.

عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لقد رأيتُ زيدَ بن عمرو بن نفيل قائماً مُسنِداً

(١) انظر السير: ١/ ١٢٤-١٤٣

ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش! والله ما فيكم أحدٌ على دين إبراهيم غيري. وكان يُحيي الموؤودة، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: مَهْ! لا تقتلها. أنا أكفيك مؤنتها، فيأخُذُها، فإذا ترعرعت، قال لأبيها: إن شئتَ، دفعتُها إليك، وإن شئتَ، كفيتك مؤنتها.

[١]عن أسماء أن ورقة كان يقول: اللَّهمَّ إني لو أعلَمُ أحَبَّ الوجوه إليك، عَبَدُتك به، ولكني لا أعلم، ثم يسجد على راحته.

[٣]عن زيد بن حارثة قال: خرجتُ مع رسول الله ﷺ وهو مُردفي إلى نُصُبٌ من الأنصاب، فذبحنا له ـ ضمير له راجع إلى رسول الله ﷺ ـ شاة ووضعناها في التنُّور، حتى إذا نضجت، جعلناها في سُفرتنا، ثم أقبل رسول الله ﷺ يسير، وهو مردفي، في أيام الحر. حتى إذا كنَّا بأعلى الوادي، لقي زيد بن عمرو، فحيَّى أحدهما الآخر، فقال له النبي ﷺ: مالي أرى قومك قد شَنِفُوا لك، أي: أبغضوك؟ قال: أما والله إنَّ ذلك مني لغير نائرة كانت مني إليهم، ولكني أراهم على ضلالة، فخرجتُ أبتغي الدِّين، حتى قدمتُ على أحبار أيلة، فوجدتهم يعبدون الله ويُشركون به، فدُللتُ على شيخ بالجزيرة، فقدمتُ عليه، فأخبرته، فقال: إن كلَّ من رأيتَ في ضلالة، إنك لتسألُ عن دينٍ هو دينُ الله وملائكته، وقد خرج في أرضك نبي، أو هو خارج، ارجع إليه، واتَّبعه، فرجعتُ فلم أحسَّ شيئاً، فأناخ رسول الله ﷺ البعير، ثم قدَّمنا إليه السُّفرة، فقال: ما هذه؟ قلنا: شاة ذبحناها للنصبُ كذا. قال: فقال إني لا آكل مما ذُبح لغير الله، ثم تفرَّقا، ومات زيد قبل المبعث، فقال رسولُ الله ﷺ: «يأتي أُمةً وحده».

رواه إبراهيم الحربي في (الغريب) عن شيخين له، عن أبي أسامة، ثم قال: في ذبحها على النصب وجهان: إما أن زيداً فعله عن غير أمر النبي ﷺ، إلا أنه كان معه، فنسب ذلك إليه لأن زيداً لم يكن معه من العصمة والتوفيق ما أعطاه الله لنبيه، وكيف يجوز ذلك وهو عليه السلام منع زيداً أن يمسَّ صنماً، وما مسَّه هو قبل

نبوَّته، فكيف يرضى أن يذبح للصنم، هذا محال.

الثاني: أن يكون ذبح لله واتفق ذلك عند صنم كانوا يذبحون عنده.

قلتُ: هذا حسن، فإنما الأعمال بالنية أمّا زيد، فأخذ بالظاهر، وكان الباطن لله، وربما سكتَ النبي، ﷺ، عن الإفصاح خوفَ الشرِّ، فإنا مع علمنا بكراهيته للأوثان، نعلم أيضاً أنه ما كان قبل النبوة مجاهراً بذمِّها بين قريش، ولا معلِناً بمقتها قبل المبعث، والظاهر أن زيداً رحمه الله توفي قبل المبعث.

[١] وامرأته هي ابنةُ عمه فاطمة، أخت عمر بن الخطاب. أسلم سعيد قبل دخول النبي، ﷺ دارَ الأرقم.

[٢] وشهد سعيد أحداً والخندق والحديبية، والمشاهد. وقد تقدَّمت عدة أحاديث في أنه من أهل الجنَّة، وأنه من الشهداء.

[٣] هشام بن عروة، عن أبيه أنَّ أروى بنت أويس ادَّعت أنَّ سعيد بن زيد أخذ شيئاً من أرضها، فخاصمته إلى مروان، فقال سعيد: أنا كنت آخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعتُ من رسول الله، ﷺ، سمعته يقول: «مَن أخذ شيئاً من الأرض طُوِّقَه إلى سبع أرضين» قال مروان: لا أسألك بيِّنةً بعد هذا، فقال سعيد: اللهم إن كانت كاذبةً، فأعم بصرها، واقتلها في أرضها، فما ماتت حتى عميت وبينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت.

[٤] قلتُ: لم يكن سعيد متأخراً عن رتبة أهل الشورى في السابقة والجلالة، وإنما تركه عمر، رضي الله عنه، لئلا يبقى له فيه شائبة حظ، لأنه خَتَنُه وابن عمه، ولو ذكره في أهل الشورى لقال الرافضي: حابى ابن عمه. فأخرج منها ولده وعصبته. فكذلك فليكن العمل لله.

[٥] عن عائشة بنت سعد قالت: مات سعيدُ بن زيد بالعقيق، فغسَّله سعد بن أبي وقاص، وكفَّنه، وخرج معه.

[١]توفي سعيد بن زيد سنة إحدى وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين سنة، وقبر بالمدينة.

[٢]فهـذا ما تيسـر من سيرة العشـرة. وهم أفضـل قريش، وأفضـل السـابقين المهـاجرين، وأفضل البدريين، وأفضل أصحاب الشجرة، وسادةُ هذه الأمة في الدُّنيا والآخرة، فأبعد الله الرافضة، ما أغواهم وأشدَّ هواهم، كيف اعترفوا بفضل واحد منهم وبخسوا التسعة حقَّهم، وافتروا عليهم بأنهم كتموا النص في عليٍّ أنه الخليفة. فوالله ما جرى من ذلك شيء، وأنهم زوَّروا الأمر عنه بزعمهم، وخالفوا نبيهم، وبادروا إلى بيعة رجل من بني تميم يتَّجر ويتكسَّب، لا لرغبةٍ في أمواله ولا لرهبة من عشيرته ورجاله، ويحك! أيفعل هذا مَن له مسكة عقل؟ ولو جاز هذا على واحد لما جاز على جماعة، ولو جاز وقوعه من جماعة، لاستحال وقوعه، والحالة هذه، من ألوفٍ من سادة المهاجرين والأنصار، وفرسان الأمة وأبطال الإسلام، لكن لا حيلة في بُرءِ الرفض فإنه داءٌ مزمنٌ، والهدى نور يقذفه الله في قلب من يشاء، فلا قوة إلا بالله.

٧ ـ مصعب بن عمير(١)

[١] **السيد الشهيد السابق البدريُّ القرشيُّ العبدري.**

[٢] قال البراء بن عازب: أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير، فقلنا له: ما فعلَ رسولُ الله ﷺ؟ فقال: هو مكانه وأصحابه على أثري. ثم أتانا بعده عمرو بن أم مكتوم أخو بني فِهر الأعمى.

[٣]عن خبَّاب قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ، ونحن نبتغي وجهَ الله، فوقع أجرُنا على الله، فمِنَّا من مضى لسبيله لم يأكل من أجره شيئاً، منهم: مصعب بن عُمير

(١) انظر السير: ١/ ١٤٥ـ١٤٨

قُتل يوم أُحد ولم يترك إلا نَمِرَة[1]، كنا إذا غطينا رأسَه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسُه، فقال رسولُ الله ﷺ «غطوا رأسه، واجعلوا على رجليه من الإذخر»[2] ومنا مَن أينعت له ثمرته فهو يهدبها [3].

[١] عن سعد بن إبراهيم، سمع أباه يقول: أُتِيَ عبدُ الرحمن بن عوف بطعام، فجعل يبكي، فقال: قُتل حمزة، فلم يوجد ما يُكفن فيه إلا ثوباً واحداً، وقُتل مصعبُ بن عُمير، فلم يوجد ما يُكفَّن فيه إلا ثوباً واحداً، لقد خشيت أن يكون عُجِّلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا، وجعل يبكي.

[٢] وقاتَل مصعبُ بن عُمير دون رسول الله ﷺ حتى قُتِل، قتله ابن قَمِئة الليثي، وهو يظنه رسولَ الله ﷺ. فرجع إلى قريش، فقال: قتلتُ محمداً فلما قُتلَ مصعب، أعطى رسولُ الله ﷺ اللواءَ عليَّ بن أبي طالب، ورجالاً من المسلمين.

٨ ـ عثمان بن مظعون[4]

[٣] **ابن حبيب الجمحي، أبو السائب.**

من سادة المهاجرين، ومن أولياء الله المتقين الذين فازوا بوفاتهم في حياة نبيِّهم فصلَّى عليهم، وكان أبو السائب رضي الله عنه أولَ مَن دُفِنَ بالبقيع.

[٤] قال سعيد بن المسيِّب: سمعتُ سعداً يقول: رَدَّ رسولُ الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا.

[٥] أسلم أبو السائب بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر الهجرتين، وتوفي بعد بدر، وكان عابداً مجتهداً، وكان ممن حرَّم الخمر في الجاهلية.

---

(١) النمرة: بردة من صوف تلبسها الأعراب.

(٢) الإذخر: نبت معروف، طيب الريح يبيض إذا يبس.

(٣) يهدبها: يجتنبها.

(٤) انظر السير: ١/ ١٥٣ـ ١٦٠.

[١] عن أبي بُردة: دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي ﷺ، فرأينها سيئة الهيئة، فقلن لها: مالك؟ فما في قريش أغنى من بعلك! قالت: أما ليله فقائم، وأما نهاره فصائم، فلقيه النبيُّ ﷺ، فقال: «أمالك بي أسوة...» الحديث.

قال: فأتتهنَّ بعد ذلك عَطِرة كأنَّها عروس.

[٢] مات في سنة ثلاث.

[٣] عن عائشة أنَّ رسول الله ﷺ قبَّل عثمان بن مظعون وهو ميت، ودموعه تسيل على خدِّ عثمان بن مظعون.

[٤] عن أم العلاء من المبايعات، فذكرت أنَّ عثمان بن مظعون اشتكى عندهم، فمرَّضناه حتى توفي، فأتى رسول الله ﷺ، فقلتُ: شهادتي عليك أبا السائب. لقد أكرمك الله! فقال رسول الله: وما يدريك؟ قلتُ: لا أدري بأبي أنتَ وأمي يا رسول الله فمن؟ قال: أمَّا هو فقد جاءه اليقين، والله إني لأرجو له الخير، وإني لرسول الله، وما أدري ما يُفعل بي. قالت: فوالله لا أزكي بعده أحداً. قالت: فأحزنني ذلك، فنمت، فرأيت لعثمان عيناً تجري، فأخبرتُ رسول الله، ﷺ، فقال ذاك عمله.

[٥] كان عثمان شديدَ الأدمة، كبير اللحية. رضي الله عنه.

٩ ـ سالم مولى أبي حذيفة(١)

[٦] من السابقين الأولين البدريين المقرَّبين العالمين.

[٧] عن القاسم بن محمد أنَّ سَهلَةَ بنتَ سهيل أَتتْ رسول الله ﷺ وهي امرأةُ أبي حذيفة فقالت: يا رسول الله! إنَّ سالماً معي، وقد أدرك ما يُدرك الرجال، فقال: أرضعيه، فإذا أرضعته فقد حَرُم عليكِ ما يحرم من ذي المحرم. قالت أمُّ سَلمة:

(١) انظر السير: ١/ ١٦٧ـ ١٧٠.

أبى أزواجُ رســول الله ﷺ أن يدخُلَ أحدٌ عليهن بهذا الرضاع، وقُلْنَ: إنما هي رخصةٌ لسالم خاصة.

[١]عن عائشة قالت: استبطأني رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقال: ما حبسك؟ قلتُ: إنَّ في المسجد لأحسنَ مَن سَمِعْتُ صوتاً بالقرآن، فأخذ رداءه، وخرج يسمعه، فإذا هو سالم مولى أبي حُذيفة فقال: «الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك».

[٢]عن ابن عمر أنَّ المهاجرين نزلوا بالعُصبة إلى جنب قباء، فأمَّهم سالمٌ مولى أبي حُذيفة، لأنه كان أكثرهم قرآناً، فيهم عمر، وأبو سلمة بن عبدالأسد.

[٣]وجاء من رواية الواقديِّ أن محمد بن ثابت بن قيس قال: لما انكشف المسلمون يوم اليمامة، قال سالم مولى أبي حذيفة: ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله ﷺ، فحفر لنفسه حفرة، فقام فيها ومعه راية المهاجرين يومئذ، ثم قاتل حتى قتل.

١٠ ـ حمزة بن عبدالمطلب(١)

[٤] **الإمام البطل الضِّرغام أسد الله أبو عُمارة، وأبو يعلى القرشيُّ الهاشميُّ المكيُّ ثم المدنيُّ البدريُّ الشهيد، عم رسول الله ﷺ، وأخوه من الرضاعة.**

[٥]قال ابن إسحاق: لما أسلم حمزة، علمت قريشٌ أنَّ رسول الله ﷺ، قد امتنع، وأنَّ حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه.

[٦] قال أبو إسحاق: عن حارثة بن مُضرِّب، عن عليّ: قال لي رسولُ الله، ﷺ، نادِ حمزة، فقلتُ: من هو صاحب الجمل الأحمر؟ فقال حمزة: هو عتبة بن ربيعة. فبارز يومئذ حمزةُ عُتبةَ فقتله.

[٧]عن ابن عمر قال: سمع رسولُ الله، ﷺ، نساء الأنصار يبكين على هلكاهنَّ فقال: «لكن حمزة لا بَواكيَ له» فجئن، فبكين على حمزة عنده. إلى أن قال: «مُرُوهن لا يَبكِينَ على هالكٍ بعدَ اليوم».

(١) انظر السير: ١/ ١٧١- ١٨٤.

[١]عن جابر مرفوعاً: «سَيدُ الشهداء حمزةُ، ورجُلٌ قام إلى إمامٍ جائرٍ، فأَمَرَهُ ونَهاه فَقَتَله».

[٢]عن جعفر بن عمرو بن أمية الضَّمري قال: خرجتُ وعُبيد الله ابن عديٍّ بن الخيار في زمن معاوية غَازِيَيْن. فمررنا بحمص، وكان وحشيٌ بها، فقال ابنُ عديٍّ: هل لك أن نسأل وحشيا كيف قَتل حمزةَ. فخرجنا نُريده. فسألنا عنه، فقيل لنا: إنكما ستجدانه بفناء داره على طِنفسةٍ له. وهو رجل قد غلب عليه الخمرُ، فإن تجداه صاحياً، تجدا رجلاً عربياً، فأتيناه، فإذا نحن بشيخ كبيرٍ أسودَ مثل البُغاث(١)، على طنفسة له، وهو صاحٍ، فسلَّمنا عليه، فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عديٍّ. فقال: ابنٌ لعدي والله، ابن الخيار أَنت؟ قال: نعم...

فقال: والله ما رأيتُك منذُ ناولتُك أمك السعدية التي أرضعتك بذي طُوى، وهي على بعيرها فلمعت لي قدماك. قلنا: إنا أَتينا لتحدثنا كيف قَتَلْت حمزة، قال سأُحدثكما بما حدَّثتُ به رسولَ الله ﷺ. كنتُ عبدَ جُبير بن مُطْعم. وكان عمه طُعيمة بن عدي قُتِلَ يوم بدر. فقال لي: إن قتلتَ حمزة، فأنت حر، وكنتُ صاحبَ حربة أَرمي قَلَّما أُخطئ بها. فخرجتُ مع الناسِ، فلما التقوا، أَخذتُ حربتي، وخرجتُ أَنظر حمزة، حتى رأيته في عُرض الناس مثلَ الجمل الأورق(٢)، يهدُّ الناس بسيفه هداً ما يُليق(٣) شيئاً فوالله إني لأتهيأ له إذ تقدمني إليه سِباعُ بنُ عبد العُزَّى الخزاعي، فلما رآه حمزة، قال: هلُمّ إليَّ ياابن مُقطِّعة البُظُور(٤) ثم ضربه حمزة، فوالله لكأن ما أَخطأ رأسه، ما رأيتُ شيئاً قطُّ كان أَسرع من سقوط رأسه. فهزَزْتُ حربتي، حتى إذا رضيتُ عنها، دفعتها عليه فوقعت في ثُنَته(٥) حتى خرجت

(١) هو ضرب من الطير إلى السواد، وهو ضعيف الجثة كالرخمة وغيرها مما لا يصيد ولا يصاد.

(٢) الذي لونه بين الغبرة والسوادة وسُمي كذلك لما عليه من الغبار.

(٣) سيف لا يُليق شيئاً، أي: لا يمر بشيء إلا قطعه.

(٤) البظور: جمع بظر: وهي اللحمة التي تقطع من فرج المرأة عند الختان، قال ابن إسحاق: كانت أمه ختانة بمكة تختن النساء، والعرب تطلق هذا اللفظ في معرض الذم. وإلا قالوا: خاتنة.

(٥) الثنة: أسفل البطن إلى العانة.

بينَ رِجليه. فوقع، فذهب لينُوء[1]، فغلب فتركتُه وإياها، حتى إذا مات، قمتُ إليه، فأخذتُ حربتي، ثم رجعتُ إلى العسكر، فقعدتُ فيه، ولم يكن لي حاجةٌ بغيره. فلما افتتح رسولُ الله ﷺ مكة، هربتُ إلى الطائف. فلما خرج وفد الطائف ليُسْلِموا، ضاقت عليَّ الأرضُ بما رحُبت، وقلتُ: ألحق بالشام، أو اليمن، أو بعض البلاد، فوالله إني لفي ذلك من همِّي، إذ قال رجل، والله إن[2] يقتُلُ محمدٌ أحداً دخل في دينه، فخرجتُ حتى قدمتُ المدينة على رسول الله ﷺ. فقال: وحشي؟ قلتُ: نعم. قال: اجلس، فحدثني كيف قتلتَ حمزة. فحدثتُه كما أحدثكما، فقال: «غيِّب عني وجهَك، فلا أُرَيَنَّكَ» فكنت أتنكب[3] رسول الله ﷺ حيث كان، حتى قُبِضَ.

[٣]فلما خرج المسلمون إلى مُسيلِمة! خرجتُ معهم بحربتي التي قتلتُ بها حمزة، فلما التقى الناسُ، نظرتُ إلى مُسيلِمَة وفي يده السيف، فوالله ما أعرفه، وإذا رجل من الأنصار يُريده من ناحية أخرى، فكلانا يتهيأ له، حتى إذا أمكنني، دفعت عليه حربتي فوقعت فيه. وشدّ الأنصاري عليه، فضربَه بالسيف، فربُّك أعلم أيُّنا قتله، فإن أنا قتلتُه، فقد قتلتُ خيرَ الناس بعد رسول الله ﷺ، وقتلتُ شرَّ الناس.

[٤]عن أنس قال: لما كان يومُ أُحُد وقف رسول الله ﷺ على حمزة وقد جُدِع ومُثِّل به، فقال: «لولا أن تَجِدَ صفيةُ في نفسها، لتركتُه حتى يحشرَه الله من بطون السباع والطير». وكُفِّن في نَمِرَةٍ إذا خُمِّر رأسُه، بدت رجلاه، وإذا خُمرت رجلاه بدا رأسه. ولم يُصلِّ على أحدٍ من الشهداء: وقال: «أنا شهيدٌ عليكم» وكان يجمعُ الثلاثة في قبر، والاثنين فيسأل: أيُّهما أكثرُ قرآنا فيقدمه في اللحد، وكفن الرجلين والثلاثة في ثوب.

---

(١) أي: لينهض متثاقلاً.

(٢) «إن» هنا بمعنى «ما» النافية.

(٣) تنكب فلان عنا، أي: مال عنا وتجنبنا.

[١]عن سعد بن أبي وقاص قال: كان حمزة يُقاتل يوم أُحُد بين يَدي رسول الله ﷺ بسيفين ويقول: أنا أسدُ الله.

١١ ـ أبو جَندل(١)

[٢] ابن سُهيل بن عمرو العامريُّ القرشيُّ.

كان من خِيار الصحابة، وقد أسلم وحبسه أبوه وقيَّده، فلما كان يوم صُلح الحديبية، هرب يَحجِلُ في قيوده، وأبوه حاضر بين يدي النبيّ ﷺ، لكتاب الصلح. فقال: هذا أولُ مَن أقاضيك عليه يا محمد. فقال: هبه لي. فأبى. فردَّه وهو يصيحُ ويقول: يا مسلمون! أُرَدُّ إلى الكفر؟ ثم إنه هرب. وله قصّة مشهورة مذكورة في الصحيح، ثم خلص وهاجر، وجاهد، ثم انتقل إلى جهاد الشام، فتوفي شهيداً في طاعون عَمَواس بالأردن سنة ثماني عشرة.

١٢ ـ سُهيل بن عمرو(٢)

[٣] كان خطيبَ قريش، وفصيحَهم، ومن أشرافِهم.

[٤] لما أقبل في شأن الصلح، قال النبيُّ ﷺ، «سَهُلَ أمرُكم».

[٥] تأخر إسلامُه إلى يوم الفتح، ثم حسن إسلامُه. وكان قد أُسِر يوم بدر وتخلَّص. قام بمكة وحضَّ على النفير، وقال: يالَ غالب! أتاركون أنتم محمداً، والصُّباة يأخذون عِيركم؟ مَن أراد مالاً، فهذا مال، ومَن أراد قوّةً، فهذه قوة، وكان سمحاً جواداً مفوَّهاً. وقد قام بمكة خطيباً عند وفاة رسول الله ﷺ، بنحوٍ من خطبة الصديق بالمدينة، فسكنهم وعظَّم الإسلام.

[٦] كان سهيل بعدُ كثيرَ الصلاة والصوم والصدقة، خرج بجماعته إلى الشام

(١) انظر السير: ١/ ١٩٢ـ ١٩٣

(٢) انظر السير: ١/ ١٩٤ـ ١٩٥

مجاهداً، ويُقال: إنه صام وتهجد حتى شَحُبَ لونُه وتغيَّر، وكان كثير البكاء إذا سمع القرآن. وكان أميراً على كُردُوسٍ[1] يوم اليرموك.

استشهد يومَ اليرموك.

١٣ ـ البرَاء بن مالك[2]

[١] **ابن النضر الأنصاريُّ النجاريُّ المدني.**

البطل الكرّار صاحبُ رسول الله ﷺ، وأخو خادم النبي، ﷺ، أنس بن مالك. شهد أحداً وبايع تحت الشجرة.

[٢] قيل: كتب عمر بن الخطاب إلى أُمراء الجيش: لا تستعمِلوا البَراء على جيش، فإنه مهلكة من المهالك يَقدَم بهم.

وبلغنا أن البَراء يوم حرب مسيلِمة الكذاب أمر أصحابه أن يحتمِلُوه على تُرس، على أسِنة رماحِهم، ويُلقوه في الحديقة. فاقتحم إليهم، وشدَّ عليهم، وقاتل حتى افتتح بابَ الحديقة، فجُرِحَ يومئذ بضعة وثمانين جرحًا، ولذلك أقام خالدُ بن الوليد عليه شهراً يُداوي جِراحه.

وقد اشتهر أنَّ البراء قتل في حروبه مئةَ نفسٍ من الشجعان مبارزة.

[٣] عن أنس مرفوعاً قال: «كم مِن ضَعيفٍ مُتضَعِّفٍ ذي طِمرينِ لو أقسم على الله لأبرَّه منهم البراءُ بن مالك».

وإن البـراء لقي المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين، فقالوا له: يا براء! إنَّ رسول الله، ﷺ، قال: إنَّك لو أقسمتَ على الله لأبرَّك، فأقسم على ربِّك. قال: أُقسِمُ عليك يا رب لما منحتنا أكتافَهم.

[٤] عن محمد بن سِيرين، عن أنس أنه دخل على أخيه البراء وهو يتغنَّى فقال:

---

(١) الكردوس: الطائفة العظيمة من الخيل والجيش، والجمع كراديس.

(٢) انظر السير: ١/ ١٩٥ـ ١٩٨.

تتغنَّى؟ قال: أتخشى عليَّ أن أموتَ على فراشي وقد قتلتُ تسعة وتسعين نفساً من المشركين مبارزة، سوى ما شاركتُ فيه المسلمين؟

وفي رواية: يا أخي! تتغنى بالشعر وقد أبدلك الله به القرآن؟.

[١] استشهد يوم فتح تُستَر سنة عشرين.

١٤ ـ أبو سفيانَ بنُ الحارث(١)

[٢] **هو ابنُ عم النبي ﷺ المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي.**

تلقى النبي ﷺ، في الطريق قبل أن يدخل مكة مسلماً، فانزعج النبيُّ ﷺ، وأعرض عنه، لأنه بدت منه أمورٌ في أذية النبي ﷺ، فتذلَّل للنبي ﷺ، حتى رقَّ له. ثم حسن إسلامه، ولزم، هو، والعباسُ رسولَ الله يوم حنين إذ فَرَّ الناسُ، وأخذ بلجام البغلة، وثبت معه.

[٣] وكان أخا النبي ﷺ، من الرضاعة، أرضعتهما حليمة.

[٤] قال أبو إسحاق السَّبيعي: لما احتُضِرَ أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب قال: لا تبكوا عليَّ، فإني لم أتنطَّف(٢) بخطيئة منذ أسلمت.

[٥] وقد انقرض نسل أبي سفيان.

[٦] عن سعيد بن المسيِّب أنَّ أبا سفيان بن الحارث كان يصلِّي في الصيف نصف النهار حتى تُكره الصلاةُ، ثم يصلي من الظهر إلى العصر.

١٥ ـ جعفر بن أبي طالب(٣)

[٧] **السيدُ الشهيدُ، الكبيرُ الشأن، علم المجاهدين، أبو عبدالله ابن عم رسول الله، ﷺ، أخو عليّ بن أبي طالب، وهو أسنُّ من عليّ بعشر سنين.**

---

(١) انظر السير: ١/ ٢٠٢ـ ٢٠٥

(٢) أي لم أتطلخ بها..

(٣) انظر السير: ١/ ٢٠٦ـ ٢١٧

[١] هاجر الهجرتين، وهاجر من الحبشة إلى المدينة، فوافى المسلمين وهم على خيبر إثر أخذها، فأقام بالمدينة أشهراً، ثم أمَّره رسولُ الله، ﷺ، على جيشِ غزوة مؤتة بناحية الكَرَك، فاستشهد. وقد سُرَّ رسولُ الله، ﷺ، كثيراً بقدومه، وحَزِنَ والله لوفاته.

روى شيئاً يسيراً.

[٢]عن ابن مسعـود قال: بعثنا رسولُ الله، ﷺ، إلى النجاشي ثمانين رجلاً: أنا وجعفر، وأبو موسى، وعبدالله بن عُرفُطة، وعثمانُ بن مظعون، وبعثت قريشٌ عمرو ابن العاص، وعُمارة بن الوليد بهديَّة. فقدما على النجاشي، فلما دخلا سجدا له، وابتدراه، فقعد واحدٌ عن يمينه، والآخر عن شماله، فقالا: إنَّ نفرا من قومنا نزلوا بأرضك، فرغبوا عن ملتنا. قال: وأين هُم قالوا: بأرضك.

فأرسل في طلبهم، فقال جعفر: أنا خطيبُكم، فاتّبعوه. فدخل فسلم، فقالوا: ما لك لا تسجُدُ للملك؟ قال: إنا لا نسجُدُ إلا لله. قالوا: ولِم ذاك؟ قال: إن الله أرسل فينا رسولاً، وأمرنا أن لا نسجد إلا لله، وأمرنا بالصلاة والزكاة، فقال عمرو: إنهم يخالفونك في ابن مريم وأمه. قال: ما تقولون في ابن مريم وأمه؟ قال جعفر: نقولُ كما قال الله: روحُ الله، وكلمتُه ألقاها إلى العذراء البَتول التي لم يمسَّها بشر. قال: فرفـع النجـاشي عوداً من الأرض وقـال: ما يا معشر الحبشةِ والقِسّيسين والرهبان! ما تُريدون، ما يسوؤوني هذا! أشهد أنه رسولُ الله، وأنه الذي بشر به عيسى في الإنجيل، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته فأكون أنا الذي أحمل نعليه وأوضِّئه.

وقال: انزلوا حيث شئتم، وأمر بهديّة الآخرَيْن فرُدَّت عليهما.

قال: وتعجل ابنُ مسعود، فشهد بدراً.

[٣]عن خالد بن شُمير قال: قدم علينا عبدالله بن رباح، فاجتمع إليه ناسٌ، فقال: حدثنا أبو قتادة قال: بعث رسول الله ﷺ، جيش الأمراء، وقال: «عليكم زَيدٌ فإن

أُصِيبَ، فَجَعْفَرٌ، فإنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ، فابْنُ رَوَاحَة» فوثب جعفر، وقال: بأبي أنت وأُمِّي ! ما كنت أرهب أن تَستعمل زيداً عليّ. قال امضوا، فإنك لا تدري أيُّ ذلك خير، فانطلق الجيش، فلبثوا ما شاء الله. ثم إن رسولَ الله، ﷺ، صَعِدَ المنبر، وأَمـر أن يُنادى: الصلاة جامعة. قال ﷺ: «ألا أخبركم عَن جيشكم، إنَّهم لَقُوا العدوَّ، فأصيب زيدٌ شهيداً، فاستغفِرُوا له، ثم أَخذ اللواء جعفر، فشدَّ على الناس حتى قُتِلَ، ثم أَخذه ابنُ رواحة، فأثبتَ قدميه حتى أُصيب شهيداً، ثم أَخذ اللواء خالد، ولم يكن مِن الأمراء، هو أَمَّرَ نفسَه، فرفع رسول الله ﷺ، أصبعيه وقال: «اللهم هو سيفٌ من سُيوفِـكَ فانصُـرْهُ» فيومئذ سُمّي سيف الله ـ ثم قال «انفروا فامدُّوا إخوانَكم، ولا يتخلَّفنَّ أُحدٌ»، فنفر الناسُ في حر شديد.

ابن اسحاق: حدثنا يحيى بن عَبَّاد، عن أَبيه قال: حدثني أَبي الذي أَرضعني، وكان من بني مرة (بن عوف) قال: لكأني أَنظر إلى جعفر يومَ مُؤتة حين اقتحم عن فرسٍ له شقراء فعقرَها ثم قاتل، حتى قُتِلَ.

قال ابن اسحاق: وهو أَول من عَقَر في الإِسلام وقال:

ياحَبَّذا الجَنَّةُ واقترابُها طَيِّبـةٌ وبَاردٌ شَرَابُها
والرُّومُ رُومٌ قد دنا عَذابُها عليَّ إن لاقيتُها ضِرابُها

عن ابن عمـر قال: فقـدنـا جعفـراً يوم مؤتةَ، فوجدنا بينَ طعنة ورمية بضعاً وتسعين، وجدنا ذلك فيما أَقبل مِن جسده.

[١] وعن أَسماء قالت: دخل عليَّ رسولُ الله، ﷺ، فدعا بني جعفر، فرأيتُه شمَّهم، وذرفت عيناه، فقلتُ: يا رسول الله! أبلغك عن جعفر شيءٌ؟ قال: «نعم قُتلَ اليومَ» فقمنا نبكي، ورجع، فقال: «اصْنَعُوا لآلِ جَعفرٍ طَعَاماً، فَقَدْ شُغِلُوا عَن أَنفُسِهِم».

وعن عائشة قالت: لماجاءت وفاةُ جعفر، عرفنا في وجه النبي، ﷺ، الحزنَ.

[٢]عن ابن عباس، قال رسولُ الله ﷺ «رأيتُ جعفرَ بن أَبي طالبٍ مَلَكاً في الجنة، مضرَّجةً قوادِمُه بالدِّماء، يَطيرُ في الجنة».

[١]عن محمد بن أُسامة بن زيد، عن أَبيه: سمع النبي، يقول لجعفر: «أَشبَهَ خَلقُكَ خَلقي وأَشبَه خُلُقُكَ خُلقي، فأَنْتَ مِني ومِن شجرتي».

[٢] قال الشعبي: كان ابنُ عمر إذا سلَّم على عبدالله بن جعفر قال: السلام عليك يا ابنَ ذي الجناحين.

[٣]أَسلم جعفر بعد أَحد وثلاثين نفساً.

عن أَبي هريرة قال: «ما احتذى النِّعالَ ولا رَكِب المَطَايا بعدَ رسول الله، ﷺ، أَفضَلُ مِن جعفرِ بن أَبي طالب» يعني في الجود والكرم.

[٤]عن أَبي هريرة قال: كنا نُسمي جعفراً أَبا المساكين. كان يَذهبُ بنا إلى بيته، فإذا لم يجد لنا شيئاً، أَخرج إلينا عُكة أثرُها عسلٌ، فنشقها ونلعَقُها[1].

١٦ زيد بن حارثة[2]

[٥]ابن شراحيل أو شُرحبيل بن كعب بن عبدالعزى بن يزيد بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان.

[٦]الأميرُ الشهيد النبويُّ، المسمى في سورة الأحزاب، أَبو أُسامة الكلبيُّ، ثم المحمديُّ، سيدُ الموالي، وأَسبقُهم إلى الإسلام، وحِبُّ رسول الله، ﷺ، وأَبو حبِّه، وما أَحبَّ ﷺ، إلا طيباً، ولم يُسَمِّ الله تعالى في كتابه صحابياً باسمه إلا زيد ابن حارثة، وعيسى بن مريم الذي يَنزِل حكماً مُقْسِطاً ويلتحقْ بهذه الأمة المرحومة في صلاته وصيامه وحجه ونكاحه وأحكام الدين الحنيف جميعها، فكما أنَّ أبا القاسم سيدُ الأنبياء وأفضلُهم وخاتمهم، فكذلك عيسى بعد نزوله أفضل هذه الأمة مطلقاً، ويكون ختامهم، ولا يجيء بعدَهَ مَن فيه خير، بل تطلعْ الشمس من مغربها ويأذن الله بدنو الساعة.

---

(١) العُكَّة: ظرف السمن.

(٢) انظر السير: ١/ ٢٢٠-٢٣٠.

[١]عن أسلم، عن أبيه قال: ما كُنا ندعو زيدَ بن حارثة إلا زيدَ بن محمد. فنزلت: ﴿ادْعُوهُم لآبَائِهِم هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللهِ﴾ [الأحزاب ٥].

عن أبي عمرو الشيباني قال: أخبرني جبلة بنُ حارثة قال: قدمتُ على رسول الله ﷺ فقلتُ: يا رسولَ الله! ابعث معي أخي زيداً. قال: «هُوَ ذَا فإن انطَلَق، لم أمنَعهُ» فقال زيد: لا والله! لا أختارُ عليك أحداً أبداً. قال: فرأيتُ رأي أخي أفضلَ مِن رأيي.

[٢]ذكره ابن إسحاق وغيرهُ فيمن شهد بدراً.

[٣]عن محمد بن أسامة، عن أبيه قال: قال رسول الله، ﷺ، لزيد بن حارثة «يا زيد! أنتَ مولاي، ومني وإليَّ، وأحبُّ القوم إليَّ».

عن عبدالله بن دينار، سمع ابنَ عمر أنّ رسول الله، ﷺ، أمَّر اسامة على قوم، فطعن الناسُ في إمارته فقال: «إن تطعنوا في إمارته، فقد طَعَنتُم في إمارة أبِيه، وايمُ الله إن كان لخليقاً للإمارةِ، وإن كَان لَمِن أحبِّ النَّاس إليَّ، وإنَّ ابنَه هذا لأحبُّ النَّاسِ إليَّ بَعْدَهُ».

قال: ابن عمر: فرض عمر لأسامة بن زيد أكثر مما فرض لي، فكلَّمته في ذلك، فقال: إنه كان أحبَّ إلى رسول الله منك، وإنَّ أباه كان أحبَّ إلى رسول الله، ﷺ، من أبيك.

[٤] وكانت مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان وهو ابن خمس وخمسين سنة.

[٥]عن ابن بريدة، عن أبيه أن رسول الله، ﷺ، قال «دخلتُ الجنَّة، فاستقبلتني جَاريةٌ شابَّة. فقلتُ: لمن أنتِ؟ قالت: أنا لِزَيد بن حارثة».

١٧ ـ عبدالله بن رَوَاحة(١)

[٦]ابن ثعلبة بن امرئ القيس بن ثعلبة.

---

(١) انظر السير: ١/ ٢٣٠ـ ٢٤٠

[١]الأميرُ السعيد الشهيدُ أبو عمرو الأنصاريّ الخزرجيّ البدريُّ النقيبُ الشاعر.

شهـد بدراً والعقبة. يُكنى أبا محمد، وأبا رَواحة، وليس له عقب. وهو خال النعمان بن بشير. وكان من كُتَّاب الأنصار، وبعثه النبيُّ ﷺ في سرية من ثلاثين راكباً إلى أُسير بن رِزام اليهودي بخيبر فقتله.

[٢] قال قُتيبة: ابن رواحة وأبو الدرداء أخوان لأم.

[٣] قال أبو الدرداء: إنْ كنا لنكونُ مع رسول الله، ﷺ، في السفر في اليوم الحارِّ ما في القوم أحدٌ صائم إلا رسولُ الله ﷺ، وعبدالله بن رواحة.

عن ابن أبي ليلى قال: تزوج رجـلٌ امـرأةَ ابنِ رواحـة، فقال لها: تدرين لم تزوجتُك؟ لِتخبريني عن صنيع عبدالله في بيته. فذكرت له شيئاً لا أحفظه، غير أنَّها قالت: كان إذا أراد أن يخرج من بيته، صلَّى ركعتين، وإذا دخل صلَّى ركعتين. لا يدعُ ذلك أبدا.

[٤]قال ابن سيرين: كَان شعراءُ رسول الله، ﷺ، عبدَالله بن رواحة، وحسان بن ثابت، وكعبَ بن مالك.

[٥]قيل: لمـا جهز النبيُّ ﷺ، إلى مؤتة الأمراءَ الثلاثة، فقال: الأميرُ زيد، فإن أصيب فجعفرٌ، فإن أصيب، فابنُ رواحة، فلما قُتلا، كره ابن رواحة الإقدام فقال:

أقسمتُ يا نَفْسُ لَتَنزلِنَّه ... طائعة أو لا لَتُكْرَهِنَّه
فطالما قد كنتِ مُطمَئِنَّة ... مالي أَراكِ تكرهينَ الجنَّة

عن أنس قال: دخل النبي، ﷺ، مكة في عمرة القضاء، وابن رَواحة بين يديه يقول:

خلُّوا بني الكُفَّار عَن سَبيلِهِ ... اليومَ نَضرِبْكُمْ على تَنزيلِه
ضَرباً يُزيلُ الهَامَ عن مَقِيلِهِ ... ويُذهِلُ الخَليلَ عن خَليلِهِ

فقال عمر: يا ابنَ رواحة! في حرم الله وبين يدي رسول الله تقولُ الشعر؟ فقال النبي ﷺ، «خَلِّ يا عُمَرُ، فهُو أسرعُ فِيهم مِن نَضحِ النَّبلِ».

وفي لفظ «فو الذي نفسي بيَدِهِ، فَكَلاَمُه عَلَيهم أَشدُّ مِن وَقعِ النَّبلِ».

قال الترمذيُّ: وجاء في غير هذا الحديث أنَّ النبيّ، ﷺ، دخل مكة في عمرة القضاء وكعب يقول ذلك.

قال: وهذا أَصحُّ عند بعض أَهل العلم، لأن ابن رواحة قُتِلَ يوم مُؤتَةَ، وإنما كانت عمرة القضاء بعد ذلك.

قلتُ: كلاَّ، بل مؤتة بعدها بستة أَشهر جزماً.

[١]عبدالعزيز ابن أخي الماجِشون: بلغنا أنه كانت لِعبد الله بن رَواحة جارية يستسِرُّها عن أَهله، فبصُرت به امرأَتُه يوماً قد خلا بها، فقالت: لقد اخترتَ أَمتَك على حُرَّتك؟ فجاحَدها ذلك، قالت: فإن كنتَ صادقاً، فاقرأ آيةً مِن القرآن. قال:

شَهِدتُ بأَنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ وأَنَّ النَّارَ مَثوىٰ الكَافِرينا

قالت: فزدني آية، فقال:

وأَنَّ العَرشَ فَوقَ الماءِ طافٍ وفَوقَ العَرشِ رَبُّ العَالَمينا

وتَحْمِلُهُ مَلائِكَةٌ كِرامٌ مَلائكةُ الإِله مُقَرَّبينا

فقالت: آمنتُ بالله، وكذَّبت البصرَ، فأتى رسولَ الله، ﷺ، فحدَّثه، فضحك ولم يغير عليه.

١٨ أَبو دجانة الأنصاري(١)

[٢] سِماك بن خَرَشَة الساعدي، كان يومَ أُحد عليه عِصابة حمراء.

[٣] وقال زيدُ بن أَسلم: دُخل على أَبي دُجانة وهو مريض، وكان وجهه يتهلَّل فقيل له: ما لِوجهك يتهلَّلُ؟ فقال: ما مِن عملٍ شيء أَوثق عندي من اثنتين: كنتُ لا أَتكلَّم فيما لا يعنيني، والأخرى فكان قلبي للمسلمين سليما.

(١) انظر السير: ١/ ٢٤٣-٢٤٦

[١] رمى أَبو دُجانة بنفسه يومَ اليمامة إلى داخل الحديقة، فانكسرت رجلُه، فقاتل وهو مكسورُ الرجل حتى قُتل رضي الله عنه.

[٢] وكان سيفُ أبي دجانة غير ذميم. وذلك أن النبي، ﷺ، عَرَض ذلك السيف حتى قال: مَن يأخذُ هذا السيف بحقه؟ فأحجم الناسُ عنه، فقال أبو دُجانة. وما حقُّه يا رسول الله؟

قال: تُقاتِلُ به في سبيل الله حتى يفتح الله عليك أَو تقتل. فأخذه بذلك الشرط. فلما كان قبل الهزيمة يومَ أحد خرج بسيفه مصلتاً وهو يتبختر، وما عليه إلا قميصٌ وعمامة حمراء وقد عصب بها رأسه، وإنه ليرتجز ويقول:

إني امرؤٌ عاهدني خليلي إذ نحنُ بالسَّفح لدى النخيلِ
أن لا أُقيم الدَّهرَ في الكُبُول أَضرِبُ بِسَيفِ اللهِ والرَّسولِ

١٩ ـ خُبَيب بن عدي(١)

[٣] **ابن عامر الأنصاري الشهيد.**

شهد أُحداً، وكان فيمن بعثه النبي، ﷺ، مع بني لحيان، فلما صاروا بالرَّجيع، غدروا بهم، واستصرخُوا عليهم، وقتلوا فيهم، وأسرُوا خُبيباً، وزيدَ بنَ الدَّثِنة، فباعوهما بمكة، فقتلوهما بمن قتل النبي ﷺ، مِن قومهم، وصلبوهما بالتنعيم.

[٤] عن عاصم بن عُمر قال: لما كان من غدر عَضَل والقَارَة بخُبيب وأَصحابه بالرَّجيع، قدموا به وبزيد بن الدَّثِنة، فأما خُبيب، فابتاعه حُجير بن أَبي إهاب لعُقبة بن الحارث بن عامر، وكان أَخا حُجيرٍ لأمه، ليقتله بأبيه.

فلما خرجوا به ليقتلوه، وقد نصبُوا خشبته ليصلبوه، فانتهى إلى التنعيم، فقال: إن رأيتُم أَن تَدَعوني أَركع ركعتين. فقالوا: دونَك، فصلَّى. ثم قال: والله لولا أَن تظنوا إنما طوَّلتُ جزعاً من القتلِ، لاستكثرتُ من الصلاة، فكان أَولَ من سنَّ

(١) انظر السير: ١/ ٢٤٦ـ ٢٤٩

الصلاةَ عند القتل، ثم رفعوه على خشبتِه، فقال: اللهم أَحصهم عدداً، واقتُلهم بَدَداً، ولا تُغادِرْ منهم أَحداً، اللهم إنا قد بلَّغنا رسالةَ رسولكَ، فبلغه الغداةَ ما أتى إلينا.

قال: وقال معاوية: كنت فيمن حضره، فلقد رأيت أَبا سفيان يلقيني إلى الأرض، فَرَقاً مِن دعوة خُبيب. وكانُوا يقولون: إن الرجل إذا دُعي عليه فاضطجع، زلَّت عنه الدعوة.

[١]عن ماويَّة مولاة حُجير، وكان خُبيب حُبِسَ في بيتها، فكانت تُحدِّث بعد ما أسلمت، قالت: والله إنه لمحبوس إذ اطَّلعتُ من صِير الباب إليه، وفي يده قِطفُ عنب مثلُ رأس الرجل يأكل منه، وما أَعلمُ في الأرض حبة عِنب.

٢٠ ـ مُعاذ بن عمرو بن الجَموح(١)

[٢] **الأنصاريّ، الخزرجيّ، السَّلميّ، المدنيّ، البدريّ، العقبيّ، قاتلُ أَبي جهل. شهد بدراً. وعاش إلى أَواخر خلافة عمر.**

[٣] صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف، عن أبيه، عن جدّه قال: إني لواقفٌ يومَ بدر في الصف فنظرتُ، فإذا أَنا بين غلامين من الأنصار حديثةٌ أَسنانُهما، فتمنيتُ أَن أَكون بين أَضلعَ منهما. فغمزني أَحدُهما، فقال: يا عم! أَتعرفُ أَبا جهل؟ قلتُ: نعم. وما حاجتكُ؟ قال: أُخبرتُ أنه يسبُّ رسولَ الله، ﷺ، والذي نفسي بيده إن رأيتُه لا يُفارِقُ سوادي سَوادَه حتى يموتَ الأعجلُ منا. فتعجبتُ لذلك، فغمزني الآخر، فقال مثلَها، فلم أَنشب أَن نظرتُ إلى أَبي جهل وهو يجولُ في الناس، فقلتُ: أَلا تريان؟ هذا صاحبُكما. قال: فابتدراه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى النبي، فأخبراه. فقال: أَيكما قتله؟ فقال كلٌّ منهما: أنا قتلتُه.

---

(١) انظر السير: ١/ ٢٤٩ـ٢٥٢.

فقال: هل مسحتُما سيفيكُما؟ قالا: لا. فنظر في السَّيفين، فقال: كِلاكما قتله. وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو. والآخر هو مُعاذ بن عَفراء.

وعن معاذ بن عمرو قال: جعلتُ أبا جهل يومَ بدرٍ من شأني. فلما أمكنني، حملتُ عليه، فضربتُه، فقطعت قدمه بنصف ساقه، وضربني ابنُه عِكرمة بنُ أبي جهل على عاتقي، فطرح يدي وبقيت معلقةً بجلدة بجنبي، وأجهضني عنها القتالُ، فقاتلتُ عامةَ يومي وإني لأسحبُها خلفي. فلما آذتني، وضعتُ قدمي عليها ثم تمطأت عليها حتى طرحتها.

هذه والله الشجاعةُ، لا كآخر مِن خَدشٍ بسهم يَنقطِعُ قلبُهُ، وتخورُ قواه.

ثم عاش بعد ذلك إلى زمن عثمان.

٢١ ـ عمرو بن الجموح(١)

[١] ابن زيد الأنصاري السَّلمي الغَنْمي، والد معاذ، ومُعَوَّذ.

[٢]عن عِكرمة قال: قَدِم مُصعب بن عُمير المدينة يُعلِّم الناس. فبعث إليه عمرُو بن الجموح، ما هذا الذي جئتمونا؟ قالوا: إن شئتَ جئناك، فأسمعناك القرآن. قال: نعم. فقرأ صدراً من سورة يوسف. فقال عمرو: إن لنا مؤامرة في قومنا. وكان سيدَ بني سلمة.

فخرجوا، ودخل على مناف فقال: يا مناف! تعلم والله ما يريد القوم غيرك، فهل عنك من نكير؟ قال: فقلده السيف وخرج، فقام أهله فأخذوا السيف، فلما رجع قال: أين السيف يا مناف؟ ويحك! إن العنز لتمنع استها. والله ما أرى في أبي جعار غداً من خير. ثم قال لهم: إني ذاهب إلى مالي فاستوصوا بمناف خيراً. فذهب، فأخذوه فكسروه وربطوه مع كلب ميت وألقوه في بئر، فلما جاء قال: كيف أنتم؟ قالوا: بخير يا سيدنا. طهر الله بيوتنا من الرجس، قال: والله إني أراكم قد

(١) انظر السير: ١/٢٥٢ـ٢٥٥.

أسأتم خلافتي في مناف. قالوا: هو ذاك، انظر إليه في ذلك البئر فأشرف فرآه، فبعث إلى قومه فجاؤوا فقالوا: ألستم على ما أنا عليه؟ قالوا: بلى. أنتَ سيدنا. قال: فأشهدكم أني قد آمنتُ بما أنزل على محمد.

[١] قال: فلما كان يوم أُحد قال رسول الله، ﷺ، «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض أُعدت للمتقين» فقام وهو أعرج فقال: والله لأقحزن(١) عليها في لجنة، فقاتل حتى قُتل.

[٢] عن ابن المنكدر أنّ رسول الله، ﷺ، قال: يا بني سَلَمَة! مَن سيدكم؟ قالوا: الجدُّ بن قيس، وإنا لنبخِّلُه. قال: وأي داء أدوى من البُخل؟ بَل سيدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح».

[٣] قال الواقدي: لم يشهد بدراً. كان أعرج. ولما خرجوا يوم أُحد منعه بنوه وقالوا: عَذَرك الله. فأتى رسولَ الله، ﷺ، يشكوهم. فقال: لا عليكم أن لا تمنعوه، لعلّ الله يرزقه الشهادة.

[٤] عن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي صَعصَعةَ أنه بلغه أن عمرو بن الجَموح، وابن حرام كان السيلُ قد خرَّب قبرَهما، فحفر عنهما ليُغَيَّرا مِن مكانهما، فوُجدا لم يتغيرا، كأنما ماتا بالأمس. وكان أحدُهما قد جُرِحَ، فوضع يده على جرحه، فدفن كذلك. فأُميطت يدُه عن جرحه، ثم أرسلت، فرجعت كما كانت. وكان بين يوم أُحُد ويوم حُفِر عنهما ستٌ وأربعون سنة.

٢٢ ـ العلاء بن الحضرمي (ع)(٢)

[٥] **واسمه العلاءُ بن عبدالله بن عماد.**

كان من حلفاء بني أميَّة، ومن سادة المهاجرين.

---

(١) أي لأثِبَنّ.

(٢) انظر السير: ١/ ٢٦٢-٢٦٦

[١] ولاَّه رسولُ الله، ﷺ، البحرين، ثم وَلِيَهَا لأبي بكر وعمر.

توفي سنة إحدى وعشرين.

[٢] وكان أبو هريرة يقول: رأيتُ من العلاء ثلاثة أَشياء لا أُزال أُحبه أَبداً: قطع البحرَ على فرسه يوم دَارِين(١). وقَدِمَ يُريد البحرين، فدعا الله بالدَّهناء، فنبع لهم ماء فارتَوَوْا. ونسي رجل منهم بعضَ متاعه، فردَّ فلقيه، ولم يجد الماءَ.

ومات ونحن على غير ماء، فأبدى الله لنا سحابة، فمطرنا، فغسلناه، وحفرنا له بسيوفنا، ودفناه، ولم نُلْحِدْ له.

٢٣ ـ سعد بن خيثمة(٢)

[٣] ابن الحارث الأنصاري الأوسي البدريُّ النقيبُ.

انقرض عقبه سنة مئتين.

آخى النبي، ﷺ، بينَه وبينَ أبي سَلمة بن عبدالأسد.

قالوا: وكان أَحدَ النُقباء الاثني عشر.

[٤] ولما ندب النبي ﷺ، المسلمين يومَ بدر، فأسرعوا قال خيثمةُ لابنه سعد: آثرني بالخروج، وأقم مع نسائك، فأبى، وقال: لو كان غير الجنة، آثرتك به، فاقترعا، فخرج سهم سعد، فخرج واستُشْهِد ببدر، واستُشْهِدَ أبوه خيثمة يومَ أُحد.

---

(١) دارين هي فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند، والنسبة إليها داري، وقال ياقوت في «معجم البلدان» وفي كتاب سيف: أن المسلمين اقتحموا إلى دارين البحر مع العلاء بن الحضرمي، فأجازوا ذلك الخليج بإذن الله جميعاً يمشون على مثل رملة ميثاء فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل، وإن ما بين دارين والساحل مسيرة يوم وليلة لسفر البحر في بعض الحالات، فالتقوا وقتلوا، وسبوا فبلغ منهم الفارس ستة آلاف، والراجل ألفين. فقال في ذلك عفيف بن المنذر:

ألم تر أن الله ذَلَّل بَحره   وأنزل بالكُفَّار إحدى الجلائِلِ؟

دعونا الذي شقّ البحار، فجاء بأعجبَ مِن فَلَق البحار الأوائل

(٢) انظر السير: ١/ ٢٦٦.

٢٤ ـ البَراء بن مَعرور[١]

[١] ابن صخر السيد النقيبُ أبو بشر الأنصاريُّ الخزرجيُّ أحدُ النقباء ليلةَ العقبة. وهو ابنُ عمة سعد بن معاذ.

[٢] وكان نقيبَ قومه بني سَلِمة. وكان أولَ من بايع ليلةَ العقبة الأولى، وكان فاضلاً، تقياً، فقيهَ النفس. مات في صفر قبلَ قدوم رسول الله، ﷺ، المدينة بشهر.

[٣] محمد بن إسحاق: حدثني معبد بن كعب، عن أخيه عبدالله، عن أبيه قال: خرجنا من المدينة نريدُ النبي ﷺ، بمكة وخرج معنا حجاج قومنا من أهل الشرك. حتى إذا كنا بذي الحُليفة قال لنا البراء بنُ معرور ـ وكان سيّدَنا وذا سِننا ـ تعلمنَّ والله لقد رأيتُ أن لا أجعل هذه البَنِيَّة[٢] مني بظهر، وأن أصلِّيَ إليها. فقلنا: والله لا نفعل، ما بلَغَنا أن نبينا يصلي إلاَّ إلى الشام، فما كنا لنخالف قبلته. فلقد رأيته إذا حضرت الصلاة يُصلي إلى الكعبة. قال: فعبنا عليه وأبى إلا الإقامة عليه. حتى قدمنا مكة. فقال لي: يا ابن أخي لقد صنعت في سفري شيئاً ماأدري ما هو، فانطلق إلى رسول الله، ﷺ، فلنسأله عما صنعتُ. وكنا لا نعرف رسولَ الله، فخرجنا نسألُ، فلقينا بالأبطحِ رجلاً، فسألناه عنه، فقال: هل تَعرِفانه؟ قُلنا: لا. قال: فهل تعرِفانِ العَباس؟ قلنا: نعم. فكان العباسُ يختِلفُ إلينا بالتجارة، فعرفناه. فقال: هو الرجلُ الجالس معه الآن في المسجد، فأتيناهما فسلمنا وجلسنا، فسألنا العباس: فقال رسول الله ﷺ: من هذان يا عم؟ قال: هذا البراءُ بن معرور سيدُ قومه، وهذا كعبُ بنُ مالك. فقال رسول الله، ﷺ: الشاعر فقال البراء: يا رسولَ الله! والله لقد صنعتُ كذا وكذا، فقال: قد كنت على قبلة لو صبرتَ عليها، فرجعه إلى قبلته. ثم واعدنا رسول الله، ﷺ، ليلةَ العقبة الأوسط.

---

(١) انظر السير: ١/ ٢٦٧- ٢٦٩.

(٢) البنيَّة: وزن فعيلة: الكعبة. سمِّيت بذلك لشرفها، إذ هي أشرف مبنى، وكانت تدعى بَنيَّة إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأنه بناها، وقد كثر قسمهم بربِّ هذه البنيَّة.

وذكر القصة بطولها.

[١] وكان البراءُ ليلةَ العقبة هو أجلّ السبعين، وهو أوَّلُهمُ مبايعةً لرسول الله ﷺ.

٢٥ ـ سعد بن عُبادة(١)

[١] ابن دُلَيم السيدُ الكبيرُ الشريف، أبو قيس الأنصاريُّ الخزرجيُّ الساعديُّ المدني، النقيبُ سيدُ الخزرج.

له أحاديثُ يسيرة، وكان عَقَبياً نقيباً سيداً جواداً.

[٢] ولما قدم النبيُّ ﷺ، المدينةَ كان يبعث إليه كل يومٍ جفنةً من ثريد اللحم أو ثريدٍ بلبن أو غيره، فكانت جفنةُ سعد تدور مع رسول الله، ﷺ، في بيوت أزواجه.

شهد بدراً.

[٣] عن أبي الطُّفيل قال: جاء سعدُ بن عبادة، والمنذِرُ بن عمرو، يمتاران لأهل العَقَبَة وقد خرج القومُ، فَنذِرَ بهما أهلُ مكة. فأُخِذَ سعد، وأُفلِتَ المنذر. قال سعد: فضربوني حتى تركوني كأني نُصُب أحمر ـ يحمرُّ النصب من دم الذبائح عليه ـ قال: فخلا رجل كأنه رحمني فقال: ويحكَ! أمالك بمكة مَن تستجيرُ به؟ قلت: لا، إلا أن العاصَ بن وائل قد كان يَقْدَمُ علينا المدينة فنُكرِمُه. فقال رجل من القوم: ذكر ابن عمي، والله لا يَصِلُ إليه أحد منكم. فكفُّوا عني، وإذا هو عديُّ ابنُ قيس السَّهميّ.

[٤] عن أنس قال: لما بلغ رسولَ الله ﷺ، إقفالُ أبي سفيان قال: أشيروا عليَّ. فقام أبو بكر، فقال: اجلِس. فقام سعد بن عُبادة. فقال: لو أمرتَنا يا رسولَ الله أن نُخِيضَها البحر، لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضربَ أكبادَها إلى بَركِ الغِمادِ لفعلنا(٢).

---

(١) انظر السير: ١/ ٢٧٠- ٢٧٩.

(٢) قوله: «أن نضرب أكبادها» كناية عن ركضها، فإن الفارس إذا أراد ركض مركوبه يحرك رجليه ضارباً بهما على موضع كبد المركوب، وبرك الغِماد: موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل.

[١] عن ابن سيرين: كان سعد بن عُبادة يرجعُ كل ليلة إلى أهله بثمانين من أهل الصُّفَّة يُعشيهم.

[٢] عن ابن سيرين أن سعداً بال قائماً، فمات، فسُمعَ قائِلٌ يقول:

قدقَتَلْنَا سَيِّدَ الخَزْ رجِ سَعْدَ بْنَ عُبادَة
ورَمَيْنَاه بِسَهْمَيـ ـن فلم نُخطِ فُؤادَه

مات سنة أربع عشرة بحَوران.

[٣] كان سعد يكتُب في الجاهلية، ويُحسِنُ العَوم والرمي، وكان من أحسن ذلك، سمي الكامل.

[٤] وكان سعد، وعدة آباء له قبله، يُنادى على أطمهم: من أحبَّ الشحم واللحم، فليأت أُطُم دُلَيم بن حارثة.

٢٦ ـ سعد بن معاذ(١)

[٥] ابن النعمان، السيد الكبيرُ الشهيد، أبو عمر الأنصاريُّ الأوسيُّ الأشهلي، البدريُّ الذي اهتز العرش لموته. ومناقبه مشهورة في الصحاح، وفي السيرة، وغير ذلك.

[٦] عن عبدالحميد بن أبي عيسى بن جبر، عن أبيه أن قريشاً سمعت هاتفاً على أبي قُبيس يقول:

فإن يسلم السَّعدانِ يُصبحْ مُحمَّدُ بمكةَ لا يخشى خِلافَ المُخَالِفِ

فقال أبو سفيان: مَن السَّعدانِ؟ سعدُ بكر، سعدُ تميم؟ فسمعوا في الليل الهاتف يقول:

أيا سعدُ سعد الأوس كُن أنتَ ناصِراً ويا سعدُ سعد الخزرجين الغطارفِ
أجيبا إلى داعي الهُدى وتمنيا على الله في الفردوس مُنيةَ عَارِفِ

(١) انظر السير: ١/ ٢٧٩-٢٩٧

فـإن ثوابَ اللهِ لِلطَّالب الهُدى جنانٌ مِن الفردوس ذاتُ رفارفِ

فقال أبو سفيان: هو والله سعدُ بن معاذ وسعدُ بن عُبادة.

[١]أسلم سعد بن مُعاذ على يد مُصعب بن عُمير. فقال ابن إسحاق: لما أسلم وقف على قومه، فقال: يا بني عبد الأشهل! كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدُنا فضلاً، وأيمننا نقيبةً. قال: فإن كلامَكم عليَّ حرام، رجالكم ونساؤكم، حتى تؤمِنوا بالله ورسوله. قال: فوالله ما بقي في دار بني عبدالأشهل رجل ولا امرأة إلا وأسلموا.

[٢] عن ابن مسعود قال: انطلق سعدُ بنُ معاذ معتمِراً، فنزل على أميةَ بنِ خَلَف وكان أميَّة إذا انطلق إلى الشام يَمرُّ بالمدينة، فينزِلُ عليه، فقال أميّة له: انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس طفتَ. فبينما سعد يطوف إذ أتاه أبو جهل، فقال: من الذي يطوفُ آمناً؟ قال: أنا سعد. فقال: أتطوفُ آمنا وقد آويتُم محمداً وأصحابَه؟ قال نعم. فتلاحيا. فقال أمية: لا ترفع صوتك على أبي الحكم، فإنه سيدُ أهلِ الوادي. فقال سعد: والله لو منعتني، لقطعتُ عليك متجرَك بالشام. قال: فجعل أميَّةُ يقول: لا ترفع صوتَك. فغضب وقال: دعنا منك، فإني سمعتُ محمداً ﷺ يقول: يزعم أنه قاتِلُك. قال إيَّاي؟ قال نعم. قال: والله ما يكذِبُ محمد. فكاد يُحدِثُ، فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمينَ ما قال لي أخي اليثربي؟

زعم أنـه سمـع محمداً يزعمُ أنه قاتلي. قالت: والله ما يكذبُ محمد. فلما خرجوا لبدر قالت امرأته: ما ذكرت ما قال لك أخوك اليثربي؟ فأراد أن لا يخرج. فقال له أبو جهل: إنك مِن أشرافِ أهل الوادي، فسِر معنا يوماً أو يومين. فسار معهم، فقتله الله.

[٣] قال ابنُ شهاب: وشهد بدراً سعدُ بن معاذ. ورُمي يومَ الخندق. فعاش شهراً، ثم انتُقِضَ جرحُه فمات.

[١] عن جابر قال: رُمي سعد يوم الأحزاب، فقطعوا أكحله، فمسه النبيُّ ﷺ بالنار، فانتفخت يدُه، فتركه، فنزفَه الدمُ، فحسمه أخرى، فانتفخت يدُه، فلما رأى ذلك، قال: اللهم لا تخرج نفسي حتى تُقِرَّ عيني من بني قُريظة. فاستمسك عرقه، فما قطرت منه قطرةٌ. حتى نزلوا على حكم سعد. فأرسل إليه رسولُ الله، ﷺ، فحكم أن يُقتل رجالُهم، وتسبى نساؤهم وذراريهم، قال: وكانوا أربع مئة، فلما فُرِغَ مِن قتلهم، انفتق عرقُه.

[٢] عن عائشة قالت: حضر رسولُ الله، ﷺ، وأبو بكر وعمرُ سعد بن معاذ، وهو يموت في القُبة التي ضربها عليه رسولُ الله ﷺ، في المسجد.

قالت: والذي نفس محمد بيده إني لأعرفُ بكاء أبي بكر من بكاء عمر، وإني لفي حُجرتي، فكأنما كما قال الله ﴿رُحماءُ بَيْنَهُم﴾.

[٣] عن محمود بن لبيد قال: لمَّا أُصيب أَكحلُ سعدٍ، فثقل، حوَّلُوه عند امرأة يقال لها رُفيدة تُداوي الجرحى. فكان النبيّ، ﷺ، إذا مر به يقول: كيفَ أَمسيت، وكيفَ أَصبحتَ؟ فيخبره حتى كانت الليلة التى نقله قومه فيها وثقل، احتملوه إلى بني عبدالأشهل إلى منازلهم، وجاء رسول الله ﷺ، فقيل: انطلقوا به. فخرج وخرجنا معه، وأسرع حتى تقطَّعت شسوعُ نعالنا، وسقطت أَرديتُنا، فشكا ذلك إليه أَصحابُه، فقال: «إني أَخاف أَن تسبقنا إليه الملائكةُ فتغسله كما غسلت حنظلة» فانتهى إلى البيت، وهو يُغسل، وأمه تبكيه وتقول:

ويل أُم سعدٍ سعدا حـــزامـةً وجِـــدّا

فقال: «كُلُّ باكيةٍ تكذِبُ إلا أُمَّ سعد». ثم خرج به.

قال: يقول له القوم: ما حملنا يا رسولَ الله ميتاً أَخفَّ منه. قال «ما يمنعُه أَن يخِفَّ وقد هبطَ مِن الملائكة كذا وكذا لم يهبِطوا قَطُّ قبل يومِهم، قد حملوه معكُم».

[١]عن سِماك، سمع عبدالله بن شداد يقول: دخل رسولُ الله، ﷺ، على سعد وهـو يكيد نَفسَـه فقال: «جزاكَ الله خيراً من سَيِّد قومٍ، فقد أنجزتَ ما وعدته. وليُنجزَنَّك الله ما وَعَدَك».

[٢]عن عامر بن سعد، عن أبيه قال: لما حكم سعد في بني قُريظة أن يُقتل مَن جرت عليه المواسي قال رسولُ الله ﷺ: «لَقد حَكم فِيهم بحكم الله الذي حَكم بِهِ مِن فوق سبع سمٰوات».

[٣]عن محمد بن شُرحبيل بن حسنة قال: أخذ إنسان قبضةً من تُراب قبر سعد، فذهب بها، ثم نظر فإذا هي مسك.

[٤]كان سعد بن معاذ رجلاً أبيض، طوالاً، جميلاً، حسن الوجه، أعين، حسن اللحية، فرُمي يومَ الخندق، سنة خمس من الهجرة، فمات من رميته تلك وهو يومئذ ابنُ سبع وثلاثين سنة، فصلَّى عليه رسول الله ﷺ، ودُفِنَ بالبقيع.

[٥]عن عبدالرحمن بن جابر، عن أبيه: لما انتهوا إلى قبر سعد، نزل فيه أربعة: الحارث بنُ أوس، وأُسيد بن الحُضير، وأبو نائلة سِلكان، وسلمة بن سلامة بن وَقش، ورسولُ الله ﷺ، واقف، فلما وُضِعَ في قبره، تغير وجهُ رسول الله ﷺ، وسبح ثلاثاً، فسبَّح المسلمون حتى ارتج البقيعُ، ثم كبر ثلاثاً، وكبر المسلمون، فسئل عن ذلك، فقال: «تَضايقَ على صَاحِبكم القبرُ، وضُمَّ ضمةً لو نجَا منها أَحَدٌ لنجا هُوَ، ثمَّ فرَّجَ الله عنه».

قلتُ: هذه الضمة ليست من عذاب القبر في شيء، بل هو أمر يجده المؤمن كما يجد ألم فقد ولده وحميمه في الدنيا، وكما يجد من ألم مرضه، وألم خروجِ نفسه، وألم سؤاله في قبره وامتحانه، وألم تأثره ببكاء أهله عليه، وألم قيامه من قبره، وألم الموقف وهولِه، وألم الورود على النار، ونحو ذلك. فهذه الأراجيفُ كلُّها قد تنالُ العَبدَ وما هي من عذاب القبر، ولا من عذاب جهنم قطُّ، ولكن العبد التقي يَرفُقُ الله به في بعض ذلك أو كله، ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه. قال الله

تعـالى: ﴿وأَنذِرهُم يَومَ الحَسرَةِ﴾. وقال: ﴿وَأَنذِرْهُم يَومَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى الحَناجِرِ﴾ فنسأل الله تعالى العفوَ واللطف الخفي.

ومع هذه الهزات، فسعدٌ ممن نعلم أنه من أَهل الجنة، وأنه من أرفع الشهداء، رضي الله عنه، كأنك يا هذا تظن أن الفائز لا ينالُه هولٌ في الدارين، ولا روع ولا أَلم، ولا خوف. سَل ربَّك العافية، وأَن يحشُرنا في زمرة سعد.

عن عائشة، عن النبي ﷺ، «لو نَجا أَحَدٌ مِن ضَمَّةِ القبرِ، لنجا منها سَعدٌ».

[١] وقد تواتر قولُ النبي ﷺ، «إنَّ العَرش اهتزَّ لِموتِ سَعدٍ فرحاً بِه». وثبت أَن النبي ﷺ، قال في حُلَّة تعجبوا مِن حسنها: «لَمَنَادِيلُ سَعدِ بنِ مُعَاذ في الجنَّة خَيرٌ مِن هذه».

عن جابر قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ، فقال: من هذا العبدُ الصالحُ الذي مات؟ فُتِحَت له أَبوابُ السماء، وتحرَّك له العرشُ، فخرج رسول الله ﷺ، فإذا سعدٌ. قال: فجلس على قبره. الحديث.

قال قال: رسول الله ﷺ، «هذا العبدُ الصَّالحُ الذي تحرَّك له العرشُ، وفُتِحَتْ أَبوابُ السَّماءِ، وشَهِدَه سبعون أَلفاً من الملائكة لم ينزِلُوا إلى الأرضِ قبلَ ذلك، لقد ضُمَّ ضمَّة ثم أُفرِجَ عنه». يعني سعداً.

[٢]عن عائشـة قالت: ما كان أحـدٌ أَشـدّ فقـداً على المسلمين بعد النبيّ ﷺ، وصاحبيه أو أَحدهما مِن سعد بن معاذ.

٢٧ - زيد بن الخطاب(١)

[٣] ابن نفيل السيدُ الشهيد المجاهدُ التقيُّ، أبو عبدالرحمن القرشيُّ العدويُّ، أَخو أمير المؤمنين عُمرَ. وكان أَسنَّ من عمر. وأَسلم قبله. وكان أَسمرَ طويلاً جداً.

[٤]شهـد بدراً والمشـاهـد. وكـان قد آخى النبيُّ ﷺ، بينه وبين معن بن عدي

(١) انظر السير: ١/ ٢٩٧-٢٩٩.

العجلاني. ولقد قال له عمر يومَ بدر: البس درعي. قال: إني أريد من الشهادة ما تريد. قال: فتركاها جميعاً، وكانت رايةُ المسلمين معه يوم اليمامة، فلم يزل يَقدَمُ بها في نحر العدو، ثم قاتل حتى قُتِلَ، فوقعت الرايةُ، فأخذها سالمٌ مولى أبي حُذيفة. وحزن عليه عُمر، وكان يقول: أسلم قبلي، واستشهد قبلي، وكان يقول: ما هبَّتِ الصَّبا إلاَّ وأنا أجِدُ ريحَ زيد.

استشهد في سنة اثنتي عشرة.

٢٨ ـ ثابت بن قيس(١)

[١] **ابن شمَّاس، خطيبُ الأنصار، كان مِن نجباء أصحاب محمد، ﷺ، ولم يشهد بدراً، شهد أحداً، وبيعَة الرضوان.**

وكان جَهير الصوت، خطيباً، بليغاً.

[٢]عن أنس قال: خطب ثابتُ بنُ قيس مَقدَم رسول الله، ﷺ، المدينة، فقال: نمنعُك مما نمنع مِنهُ أنفسنا وأولادَنا، فما لنا؟ قال: الجنة. قالوا: رَضِينا.

عن إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس أن ثابت بن قيس قال: يا رسول الله! إني أخشى أن أكون قد هلكت، ينهانا الله أن نُحِبَّ أن نُحمدَ بمالا نفعَلُ، وأجدني أحبُّ الحمد. وينهانا الله عن الخُيلاء، وإني امرؤ أحب الجمال، وينهانا الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك، وأنا رجل رفيعُ الصوت، فقال: «ياثابت! أما ترضى أن تعيش حميداً، وتُقتل شهيداً، وتدخل الجنة».

[٣] عن أنس أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة، وقد تحنَّط، ولبس ثوبين أبيضين، فكفن فيهما، وقد انهزم القوم، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، وأعتذر من صنيع هؤلاء، بئس ما عودتم أقرانكم! خلوا بيننا وبينهم ساعة، فَحَمَل، فقاتل حتى قُتل.

---

(١) انظر السير: ١/ ٣٠٨ - ٣١٤

[١] عن أبي هريرة قال: قال النبيُّ ﷺ« نعم الرجلُ ثابت بن قيس بن شمَّاس».

[٢] وعن الزهري: أن وفد تميم قدموا، وافتخر خطيبهم بأمور، فقال النبيُّ ﷺ، لثابت بن قيس: «قم فأجب خطيبهم»، فقام، فحمد الله، وأبلغ، وسُرَّ رسول الله ﷺ، والمسلمون بمقامه.

[٣] وهو الذي أتت زوجته جميلة تشكوه وتقول: يا رسول الله: لا أنا ولا ثابت بن قيس، قال: أتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم، فاختلعت منه.

[٤] فلما استشهد، رآه رجل: فقال: إني لما قُتِلتُ، انتزعَ درعي رجلٌ من المسلمين، وخبأه، فأكبَّ عليه بُرمةً، وجعل عليها رحلاً، فأت الأمير، فأخبره، وإياك أن تقول: هذا حلم، فتضيعه، وإذا أتيت المدينة، فقل لخليفة رسول الله، ﷺ: إن عليَّ من الدين كذا وكذا، وغلامي فلان عتيق، وإياك أن تقول: هذا حلم، فتضيعه، فأتاه، فأخبره الخبر، فنفَّذ وصيته، فلا نعلم أحداً بعد ما مات أُنفذت وصيتُه غير ثابت بن قيس رضي الله عَنه.

٢٩ ـ طُليحة بن خُويلد(١)

[٥] ابن نوفل الأسدي، البطل الكرَّار، صاحبُ رسول الله، ﷺ، ومن يُضرب بشجاعته المثل.

[٦] أسلم سنة تسع، ثم ارتدَّ وظلم نفسه، وتنبأ بنجد، وتمت له حروب مع المسلمين، ثم انهزم، وخُذِل، ولحق بآل جفنة الغسانيين بالشام، ثم ارعوى، وأَسلم، وحسن إسلامه لما توفي الصِّدِّيق، وأَحرم بالحج، فلما رآه عمر قال: يا طُليحة! لا أُحِبك بعد قتلك عُكَّاشةَ بن محصن وثابت بن أقرم، وكانا طليعة لخالد يوم بُزاخة، فقتلهما طليحةُ وأَخوه، ثم شهد القادسية، ونهاوند، وكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص: أن شاور طليحة في أمر الحرب، ولا تُوله شيئاً.

(١) انظر السير: ١/ ٣١٦ـ٣١٧

[١] كان طليحة يُعد بألف فارس لِشجاعته وشدته.

قلت: أبلى يوم نهاوند ثم استشهد، رضي الله عنه، وسامحه.

٣٠ ـ سعد بن الربيع[١]

[٢] **ابن عمرو الأنصاريُّ الخزرجيّ الحارثيّ البدريُّ النقيب الشهيد الذي آخى النبيُّ، ﷺ، بينه وبين عبدالرحمن بن عوف، فعزم على أن يُعطي عبدَ الرحمن شطر ماله، ويطلِّق إحدى زوجتيه، ليتزوج بها، فامتنع عبدُ الرحمن من ذلك، ودعا له. وكان أَحدَ النقباء ليلة العقبة.**

[٣] عن محمد بن عبدالرحمن بن أبي صعصعة، أَنَّ رسول الله ﷺ، قال: «مَن رَجُلٌ ينظرُ لي ما فعلَ سعدُ بن الربيع؟ فقال رجل من الأنصار: أَنا، فخرج يطوف في القتلى، حتى وجد سعداً جريحاً مُثبتاً بآخر رمق.

فقال: يا سعدُ إنَّ رسول الله، ﷺ، أَمرني أَن أَنظرَ في الأحياء أَنت أَم في الأموات؟ قال: فإني في الأموات، فأبلغْ رسول الله، ﷺ، السلام، وقل: إنّ سعداً يقول: جزاك الله عني خيرَ ما جزى نبياً عن أمته، وأَبلغْ قومَكَ مني السلام، وقل لهم: إن سعداً يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيِّكم ومنكم عينٌ تطرِف.

[٤] عن جابر بن عبدالله قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد فقالت: يا رسول الله! هاتان بنتا سعد، قُتل أبوهما معك يوم أُحد، وإنّ عمهما أَخذ مالهما، لم يَدَعْ لهما مالاً، ولا تُنكحان إلا ولهما مال، قال: «يقضي الله في ذلك» فأنزلت آيةُ المواريث، فبعث إلى عمهما فقال: «أعطِ بِنتيْ سعد الثلثين، وأَعطِ أمهما الثمن وما بقي فهو لك».

---

(١) انظر السير: ١/ ٣١٨- ٣٢٠

٣١ ـ معن بن عدي(١)

[١]ابن الجدِّ. كان يكتب العربية قبل الإسلام.

[٢]عن ابن عباس: أن معن بن عدي أحد الرجلين اللذين لقيا أبا بكر وعمر، وهما يُريدان سقيفة بني ساعدة، فقالا لأبي بكر وعمر: لا عليكم أن لا تقربوهم، واقضُوا أمركم.

قال عروة: بَلَغَنا أن الناس بكوا على رسول الله، ﷺ، وقالوا: ليتنا متنا قبله، نخشى أن نفتتن بعده، فقال معن: لكني والله ما أحب أنيِّ مُتُّ قبله حتى أُصَدِّقَه مَيتاً كما صدَّقته حياً.

وكان معن ممن استشهد يوم اليمامة سنة اثنتي عشرة.

٣٢ ـ عبدالله بن عبدالله بن أُبَي(٢)

[٣] ابن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم.

[٤]وسالم هو الذي يقال له الحُبلى لِعِظِم بطنه ـ الأنصاريُّ الخزرجيُّ، المعروف والده بابن سلول المنافق المشهور، وسلول الخزاعية هي والدة أُبيٍّ المذكور. وقد كان عبدالله بن عبدالله من سادة الصحابة وأخيارهم، وكان اسمه الحُباب، وبه كان أبوه يكنى، فغيَّره النبيُّ ﷺ، وسماه عبدالله.

شهد بدراً وما بعدها.

[٥]استشهد عبدالله يوم اليمامة، وقد مات أبوه سنة تسع، فألبسه النبيُّ، ﷺ، قميصه وصلَّى عليه، واستغفر له إكراماً لولده، حتى نزلت ﴿ولا تُصَلِّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾ الآية [التوبة ٨٤].

[٦] وقد كان رئيساً مطاعاً، عزم أهلُ المدينة قبل أن يهاجر النبيُّ ﷺ، على أن يُملِّكوه عليهم، فانحلَّ أمره، ولا حصَّل دنيا ولا آخرة، نسأل الله العافية.

(١) انظر السير: ١/ ٣٢٠ـ ٣٢١

(٢) انظر السير: ١/ ٣٢١ـ ٣٢٣

٣٣ ـ عِكرمة بن أبي جهل (ت)(١)

[١]**عمرو بن هشام: الشريف الرئيس الشهيد، أَبو عثمان القرشيُّ المخزوميُّ المكيُّ.**

[٢]لما قُتل أَبوه، تحولت رئاسة بني مخزوم إلى عكرمة، ثم إنه أَسلم وحسُن إسلامه بالمَرَّة.

[٣]قال ابنُ أَبي مليكة: كان عكرمة إذا اجتهد في اليمين قال: لا والذي نجاني يوم بدر.

[٤] ولما دخل رسول الله، ﷺ، هرب منها عِكرمة وصفوان بن أميَّة بن خلف، فبعث النبيُّ، ﷺ، يُؤمِّنهُما، وصفح عنهما، فأقبلا إليه.

ولم يعقب عِكرمة.

[٥] قال الشافعي: كان محمودَ البلاء في الإِسلام، رضي الله عنه.

نزل عِكـرمة يوم اليرموك، فقاتل قتالاً شديداً، ثم استشهد، فوجدوا به بضعاً وسبعين من طعنة ورمية وضربة.

٣٤ ـ عبدالله بن عمرو بن حَرَام(٢)

[٦] **الأنصاريُّ السلميُّ، أَحد النقباء ليلة العقبة، شهد بدراً واستشهد يوم أُحد.**

[٧]عن جابر: لما قُتل أَبي يوم أُحد، جعلت أَكشفُ عن وجهه، وأَبكي، وجعل أَصحـاب رسول الله، ﷺ، ينهوني وهو لا ينهاني، وجعلت عمتي تبكيه، فقال النبيُّ، ﷺ، «تبكيه أو لاتبكيه مازالت الملائكة تُظلِّله بأجنحتها حتى رفعتموه».

[٨] قال مالك: كفِّن هو وعمرو بن الجموح في كفن واحد.

عن جابـر أن رسـول الله ﷺ، لمـا خرج لدفن شهداء أُحد، قال: «زمِّلوهم بجراحهم، فأنا شهيد عليهم» وكفِّن أَبي في نَمِرة.

(١) انظر السير: ١/ ٣٢٣ـ ٣٢٤

(٢) انظر السير: ١/ ٣٢٤ـ٣٢٨

[١] قال ابن سعد: قالوا: وكان عبدالله أولَ من قُتل يوم أُحد، وكان عمرو بن الجموح طويلاً، فدفنا معاً عند السيل، فحفر السيل عنهما، وعليهما نمرة، وقد أصابَ عبدَ الله جرحٌ في وجهه فيده على جرحه، فأُمطَيتُ يدُه، فانبعث الدم، فُردَّت، فسكن الدم.

[٢] قال جابر: فرأيت أبي في حفرته، كأنه نائم، وما تغير من حاله شيء، وبين ذلك ست وأربعون سنة، فحوِّلا إلى مكان آخر، وأخرجوا رِطاباً يتثنون.

[٣] الشعبيُّ: حدثني جابر، أن أباه توفي، وعليه دين، قال: فأتيت رسول الله، فقلت: إن أبي ترك عليه ديناً، وليس عندنا إلا ما يخرج من نخلة، فانطلق معي لئلا يُفحِشَ عليَّ الغرماءُ، قال: فمشى حول بيدر من بيادر التمر، ودعاه، ثم جلس عليه، فأوفاهم الذي لهم، وبقيَ مثل الذي أعطاهم.

[٤] طلحة بن خِرَاش، سمع جابراً يقول: قال لي رسول الله، ﷺ: «ألا أخبرك أنَّ الله كلَّم أباك كِفاحاً، فقال: يا عبدي! سلني أُعطِك، قال: أسألك أن تردَّني إلى الدنيا، فأُقتل فيك ثانياً، فقال: إنه قد سبق مني أنَّهم إليها لا يُرجعون. قال: ياربِّ! فأبلغ من ورائي، فأنزل الله ﴿ولا تحسبنَّ الذين قُتِلُوا في سبيلِ الله أمواتاً بل أَحيَاءٌ عِند رَبِّهم يُرزقون﴾ [آل عمران ١٦٩].

٣٥ ـ أبو العاص بن الربيع(١)

[٥] **ابن عبدالعزى القرشيُّ العبشميُّ.**

صهر رسول الله، ﷺ، زوج بنته زينب، وهو والد أُمامة التي كان يحملها النبيُّ، ﷺ، في صلاته.

أسلم قبل الحُديبية بخمسة أشهر.

[٦] قال المِسوَر بن مَخرَمة: أثنى النبيُّ، ﷺ، على أبي العاص في مصاهرته خيراً

(١) انظر السير: ١/ ٣٣٠-٣٣٤

وقـال: «حَدَّثني فَصَدَقَني، وَوَعَدَني، فَوَفَى لي»، وكان قد وعد النبيَّ، ﷺ، أن يرجع إلى مكة، بعد وقعة بدر، فيبعث إليه بزينب ابنته، فوفى بوعده، وفارقها مع شدة حبه لها، وكان من تجار قريش وأمنائهم، وما علمت له رواية.

ولما هاجر، ردَّ عليه النبي، ﷺ، زوجته زينب بعد ستة أعوام على النكاح الأول، وقد كانت زوجته لما أسر نوبة بدر، بَعَثَتْ قِلادتها لتَفُكَّهُ بها، فقال النبيُّ ﷺ: «إن رأيتم أن تُطلقوا لهذه أسيرَها» فبادر الصحابة إلى ذلك.

٣٦ ـ عَبَّاد بن بِشر(١)

[١] **ابن وقش الإمام أبو الربيع الأنصاري، الأشهليُّ، أحد البدريين.**

[٢] كان من سادة الأوس، عاش خمساً وأربعين سنة، وهو الذي أضاءت له عصاته ليلة انقلب إلى منزله من عند رسول الله، ﷺ، أسلم على يد مصعب بن عُمير، وكـان أحـد من قتـل كعب بن الأشـرف اليهودي، واستعمله النبي، ﷺ، على صدقات مُزَينة، وبني سليم، وجعله على حرسه في غزوة تبوك، وكان كبير القدر، رضي الله عنه، أبلى يوم اليمامة بلاءً حسناً، وكان أحد الشجعان الموصوفين.

[٣]عن يحيى بن عباد بن عبدالله، عن أبيه، قال: قالت عائشة ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد يعتد عليهم فضلاً، كلهم من بني عبد الأشهل: سعدُ بن معاذ، وعبَّاد بنُ بِشر، وأُسيد بن حُضَير.

[٤]عن عائشة قالت: تهجد رسول الله، ﷺ، في بيتي، فسمع صوت عبَّاد بن بشر، فقال: «يا عائشة! هذا صوت عبَّاد بن بشر» قالت: نعم. قال: «اللهم اغفر له».

[٥] استشهد، رضي الله عنه، يوم اليمامة.

---

(١) انظر السير: ١/ ٣٣٧-٣٤٠

٣٧ ـ أُسَيد بن الحُضير(١)

[١] ابن سِمَاك، الإمام أبو يحيى، الأوسيُّ الأشهلي. أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة، أَسلم قديماً.

وكان أُسيد يُعَدُّ من عقلاء الأشراف وذوي الرأي.

[٢] قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ، «نِعمَ الرجلُ أبو بكر. نِعمَ الرجلُ عمر، نِعمَ الرجلُ أُسيدُ بن حُضَير.».

[٣] عن أُسيد بن حُضير ـ وكان فيه مزاح ـ أنه كان عند النبي ﷺ، فطعنه النبيُّ بعود كان معه، فقال: أَصبرني(٢)، فقال: اصطبر، قال: إن عليك قميصاً وليس عليَّ قميص، قال: فكشف النبيُّ ﷺ قميصه، قال: فجعل يقبل كشحه ويقول: إنما أردت هذا يا رسول الله.

[٤] مات أُسيد سنة عشرين.

٣٨ ـ بلال بن رباح (ع)(٣)

[٥] مولى أبي بكر الصديق. وهو مُؤذِّن رسول الله، ﷺ، من السابقين الأولِّين الذين عُذِّبوا في الله، شهد بدراً، وشهد له النبيِّ، ﷺ، على التعيين بالجنة.

[٦] ومناقبُه جمَّة استوفاها الحافظُ ابن عساكر، وعاش بضعاً وستين سنة. يقال إنه حبشي، وقيل: من مولَّدي الحجاز.

[٧] وفي وفاته أقوال: أحدها بداريًّا في سنة عشرين.

[٨] عن زر، عن عبدالله، أولُ من أَظهر إسلامَه سبعة: رسولُ الله ﷺ، وأَبو بكر، وعمَّار، وأُمُّه سُميَّة، وبلال، وصُهيب، والمقداد، فأَما النبي، ﷺ، وأبو بكر

---

(١) انظر السير: ١/ ٣٤٠ـ ٣٤٣

(٢) أصبرني: أقدني واصطبر: استقد.

(٣) انظر السير: ١/ ٣٤٧ـ ٣٦٠.

فمنعهما الله بقومهما، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، فألبسوهم أدراع الحديد، وصهـروهم في الشمس، فما منهم أحدٌ إلا واتاهم على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانَت عليه نفسُه في الله، وهانَ على قومه، فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول أحدٌ أحد.

[١]عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ، لبلال عند صلاة الصبح: «حدثني بأرجىٰ عملٍ عملتَه في الإسلام، فإني قد سمعت الليلة خشفةَ نعليك بين يديَّ في الجنة» قال: ما عملت عملاً أرجى من أنّي لم أتطهر طهوراً تاماً في ساعة من ليل ولا نهار إلاَّ صلَّيت لربي ما كُتِبَ لي أن أُصلي.

[٢]عن جابر، قال عمر: أبو بكر سيدنا أعتق بلالاً سيدنا.

[٣]عن قيس قال: اشترى أبو بكر بلالاً وهو مدفون في الحجارة بخمس أواق ذهباً، فقالوا: لو أبيتَ إلا أوقيةً لبعناكه، قالَ: لو أبيتُم إلا مئة أوقية لأخذتُه.

[٤]عن سعـد، قال: كنا مع رسول الله، ﷺ، ستة نفر، فقال المشركون: اطرد هؤلاء عنـك فلا يجتـرؤون علينا، وكنت أنا وابن مسعود وبلال ورجل من هذيل وآخران، فأنزل الله ﴿وَلَا تَطْرُدِ الذِين يَدْعُونَ رَبَّهمْ﴾ الآيتين [الأنعام **٥٢، ٥٣**].

[٥] قالت عائشة: لما قدم النبيُّ ﷺ، المدينة، وُعِك أبو بكر وبلال، فكان أبو بكر إذا أخذته الحمَّى يقول:

كُلُّ امريءٍ مُصبَّحُ في أهلِهِ والموتُ أدنى مِن شِراكِ نَعلِهِ

[٦] وكان بلال إذا أقلع عنه يرفع عقيرته ويقول:

أَلَا لَيتَ شِعْري هَل أبيتَنَّ لَيلَةً بوادٍ وَحَولي إذخِر وجليلُ
وهل أرِدَنْ يوماً مياهَ مَجَنةٍ وهل يبدُون لي شامةٌ وطَفيلُ

اللهم العن عُتبة، وشيبَة، وأُميَّة بنَ خلف، كما أخرجونا مِن أرضنا إلى أرض

الوباء(1).

[1] عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ، «اشتاقت الجنة إلى ثلاثة: علي، وعمَّار، وبلال».

[2] عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: قدمنا الشامَ مع عمرَ فأذَّن بلال فذكر الناس النبي ﷺ، فلم أر يوماً أكثر باكياً مِنه.

[3] عن أبي الدَّرداء قال: لما دخل عمرُ الشامَ، سأل بلالٌ أن يُقِرَّه به، ففعل، قال: وأخي أبو رُويحة الذي آخى رسول الله، ﷺ، بيني وبينه، فنزل بداريًا في خولان، فأقبل هو وأخوه إلى قوم مِن خَولان، فقالوا: إنا قد أُتيناكم خاطبين، وقد كنا كافِرَيْن فهدانا الله، ومملوكَين فأعتقنا الله، وفقيرين، فأغنانا الله، فإن تُزوجونا، فالحمد لله، وإن تردُّونا، فلا حولَ ولا قوة إلا بالله. فزوَّجوهما.

[4] عن يحيى بن سعد قال: ذكر عمر فضلَ أبي بكر، فجعل يصِفُ مناقبه، ثم قال: وهذا سيدنا بلال حسنةٌ من حسناته.

[5] قال سعيدُ بن عبدالعزيز: لما احتُضِرَ بلال قال: غداً نلقى الأحِبَّة محمداً وحزِبه، قال: تقولُ امرأتُه: واويلاه! فقال: وافرحاه!

٣٩ - ابن أُم مكتوم (2)

[6] عبدالله بن قيس القرشيُّ العامري، من السابقين المهاجرين.

وكان ضريراً مؤذِّناً لرسول الله، ﷺ، مع بلال، وسعد القرظ، وأَبي محذورة،

---

(1) وتمامه، ثم قال رسول الله، ﷺ: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا، وفي مدنا، وصححها لنا. وانقل حُماها إلى الجُحفة» قالت: وقدمت المدينة وهي أوبأ أرض الله. ووُعك: أصابه الوعك وهو الحمى. ومُصَبَّح: بوزن مُحمد: أي مصاب بالموت صباحاً. شراك نعله: السير الذي يكون في وجه النعل، ويرفع عقيرته: أي يرفع صوته بغناء أو بكاء. ومجنة: موضع على أميال من مكة وكان به سوق، شَامة وطفيل: جبلان بقرب مكة. وقال الخطابي: كنت أحسبهما جبلين حتى ثبت عندي أنهما عينان.

(2) انظر السير: ١/ ٣٦٠-٣٦٥

مؤذِّن مكة. هاجر بعد وقعة بدر بيسير.

[١] وقد كان النبي، ﷺ، يحترمه، ويستخلِفه على المدينة، فيصلي ببقايا الناس.

[٢] عن أبي إسحاق، سمع البراء يقول: أَوَّل من قَدِمَ علينا مُصعب بن عُمير، وابنُ أمِّ مكتوم، فجعلا يُقرئان الناسَ القرآن.

[٣] قال عروة: كان النبيُّ، ﷺ، مع رجالٍ من قريش منهم عُتبَةُ بنُ ربيعة، فجاء ابنُ أُمِّ مكتوم يسأل عن شيءٍ، فأعرضَ عنه، فأنزلت ﴿عَبَسَ وتولَّى أن جَاءَهُ الأعمىَ﴾ [عبس ١].

[٤] عن عبدالله بن مَعقِل، قال: نزل ابنُ أُمِّ مكتوم على يهودية بالمدينة كانت تَرفُقُه، وتؤذيه في النبي، ﷺ، فتناولها فضربَها، فقتلها، فرفع ذلك إلى النبيِّ، ﷺ، فقال هو: أَما والله إن كانت لتَرفُقُني، ولكن آذتني في الله ورسوله. فقال النبيّ، ﷺ، «أبعَدَها الله، قَد أَبْطَلْتُ دَمَهَا».

[٥] عن البراء قال: لما نزلت: ﴿لا يستَوي القَاعِدونَ﴾ دعا النبيُّ ﷺ، زيداً، وأَمره، فجاء بكَتِفٍ وكتبها، فجاء ابنُ أُمِّ مكتوم، فشكا ضرارته، فنزلت ﴿غَيرُ أُولي الضَّرَر﴾ [النساء ٩٥].

[٦] عن ابن أبي ليلى، أَن ابنَ أمِّ مكتوم قال: أي ربيِّ! أنزلْ عذري. فأنزلت ﴿غيرُ أُولي الضَّررِ﴾ فكان بعدُ يغزو ويقولُ: ادفعوا إليَّ اللواءَ فإني أَعمى لا أَستطيع أَن أفِرَّ، وأقيموني بين الصفين.

٤٠ ـ خالد بن الوليد (خ، م، د، س، ق)(١)

[٧] ابن المغيرة.

سيفُ الله تعالى، وفارسُ الإسلام، وليثُ المشاهد، السيدُ الإمام الأميرُ الكبير، قائدُ المجاهدين، أَبو سُليمان القرشيُّ المخزوميُّ المكيُّ، وابنُ أخت أم المؤمنين

(١) انظر السير: ١/ ٣٦٦ـ ٣٨٤.

ميمونةَ بنتِ الحارث.

[١]هاجر مسلماً في صفر سنة ثمان، ثم سار غازياً، فشَهِد غزوة مؤتة، واستُشْهِد أمراءُ رسول الله، ﷺ، الثلاثة: مولاه زيدٌ، وابنُ عمه جعفر ذو الجناحين، وابنُ رواحة، وبقي الجيش بلا أمير، فتأمَّر عليهم في الحال خالدٌ، وأخذ الراية، وحمل على العدو، فكان النصر، وسمّاه النبيُّ ﷺ، سيفَ الله، فقال: «إنَّ خَالِدا سَيفٌ سَلَّه الله عَلى المُشركين». وشهد الفتح وحُنيناً، وتأمَّر في أيام النبيّ ﷺ، واحتبس أدراعَه ولامته في سبيل الله، وحارب أهل الردَّة، ومسيلِمة، وغزا العراق، واستظهر، ثم اخترق البرية السماوية بحيث إنه قطع المفازة من حدِّ العراق إلى أول الشام في خمس ليال في عسكر معه، وشهد حروبَ الشام، ولم يبق في جسده قِيدُ شبر إلا وعليه طابعُ الشهداء.

[٢] ومناقبه غزيرة، أمَّره الصِّدِّيق على سائر أمراء الأجناد، وحاصر دمشق فافتتحها هو، وأبو عبيدة.

[٣]عاش ستين سنة وقتل جماعة من الأبطال، ومات على فراشه، فلا قرَّت أعينُ الجبناء.

[٤]توفي بحمص سنة إحدى وعشرين، ومشهده على باب حمص عليه جلالة.

[٥]عن أبي أمامة بن سهل أن ابن عباس أخبره أن خالدَ بن الوليد الذي كان يقال له سيف الله أخبر أنه دخل على خالته ميمونة مع رسول الله ﷺ، فوجد عندها ضباً محنوذاً قدمت به أختها حُفيدة بن الحارث من نجد، فقدَّمته لِرسول الله ﷺ، فرفع يده، فقال خالد: أحرامٌ هو يا رسول الله؟ قال: «لا ولكِنَّه لم يَكُن بأرض قومي فأَجدُني أعافُه».

فاجترَرْتُه، فأكلتُه ورسول الله، ﷺ، ينظر ولم ينه.

[٦]عن أَبي العالية: أَن خالداً بن الوليد قال يا رسولَ الله إن كائداً من الجن يكيدني قال: «قُلْ: أَعوذ بكلمات الله التامات التي لا يُجاوزهنَّ برٌّ ولا فاجر من شر ما ذرأ

في الأرض، وما يخرج منها، ومن شر ما يعرُج في السماء وما ينزل منها، ومن شرِّ كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن». ففعلتُ فأذهبه الله عني.

[١]عن عمرو بن العاص، قال: ما عدل بي رسولُ الله، ﷺ، وبخالد أحداً في حربه منذ أسلمنا.

[٢] وقال ابن عمر: بعث النبي، ﷺ، خالداً إلى بني جَذيمة، فقتل وأسَر، فرفع النبيّ، ﷺ، يديه وقال: «اللَّهُمَّ إنيِّ أَبرأُ إليكَ مِمَّا صَنَع خَالِدٌ» مرتين.

[٣]عبد الحميد بنُ جعفر، عن أبيه، أَن خالدَ بن الوليد فقد قلنسوةً له يومَ اليرموك، فقال: اطلبُوها، فلم يجدوها، ثم وُجِدت فإذا هي قلنسوة خلقة. فقال خالد: اعتمر رسولُ الله ﷺ، فحلق رأسه، فابتدر الناسُ شعره، فسبقتُهم إلى ناصيته، فجعلتُها في هذه القلنسُوة، فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا رُزقت النصر.

[٤] عن قيس، سمعت خالداً يقول: رأيتُني يومَ مؤتة اندق في يدي تسعةُ أَسياف، فصبرت في يدي صفيحةٌ يمانية.

[٥] ابن عُيينة: عن ابن أبي خالد، مولى لآل خالد بن الوليد، أَن خالداً قال: ما مِن ليلة يُهدى إليَّ فيها عروسٌ أَنا لها مُحِبٌّ أَحبّ إليَّ من ليلة شديدةِ البرد، كثيرةِ الجليد في سريَّةٍ أُصبِّحُ فيها العَدُوَّ».

[٦]قال قيس بن أَبي حازم: سمعتُ خالداً يقول: منعني الجهادُ كثيراً مِن القراءة، ورأيته أُتي بِسُمٍ، فقالُوا: ما هذا؟ قالوا: سُمٌّ، قال: باسم الله. وشربه. قلت: هذه والله الكرامة، وهذه الشجاعةُ.

[٧] قال ابنُ عون: ولِيَ عُمر، فقال: لأنزعنَّ خالداً حتى يعلم أَن الله إنما ينصر دينه، يعني بغير خالد.

[٨] وعن زيد بن أَسلم عن أَبيه: عزل عمر خالداً فلم يُعلمه أَبو عبيدة حتى علم من الغير. فقال: يرحمُك الله! ما دعاك إلى أَن لا تعلِمني؟ قال كرهتُ أَن أُرُوِّعَك.

[٩] وعن أَبي الزِّناد: أَن خالدَ بن الوليد لما احتُضِرَ بكى وقال: لقيتُ كذا وكذا

زحفاً، وما في جسدي شِبر إلا وفيه ضربةٌ بسيف، أو رميةٌ بسهم، وها أنا أموت على فراشي حتفَ أنفي كما يموت العير[1] فلا نامت أعينُ الجبناء.

٤١ ـ أُبيُّ بنُ كعب (ع) [2]

[١] ابن قيس. سيدُ القراء، أبو منذر الأنصاريُّ النجّاريُّ المدنيُّ المقريء البدريُّ ويُكنى أيضاً أبا الطفيل.

[٢] شهد العقبة، وبدراً وجمع القرآن في حياة النبي ﷺ، وعرض على النبيّ، عليه السلام، وحفظ عنه علماً مباركاً، وكان رأساً في العلم والعمل، رضي الله عنه.

[٣] وقال أنس: قال النبيّ ﷺ، لأبيّ بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن» وفي لفظ: «أمرني أن أُقرئك القرآن».

قال: الله سماني لك؟ قال: «نعم» قال: وذُكرت عند رب العالمين؟ قال «نعم» فذرفت عيناه. ولما سأل النبيّ، ﷺ، أُبياً عن أي آية في القرآن أعظم، فقال أُبيٌّ ﴿الله لا إلـه إلا هو الحيُّ القيوم﴾ [البقرة ٢٥٥] ضرب النبي، ﷺ، في صدره وقال: «لِيَهْنِكَ العلم أبا المنذر».

[٤] قال أنس بن مالك: جَمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كُلُّهم من الأنصار: أُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد أحد عمومتي.

عن أنس قال: قال رسول الله، ﷺ، أقرأُ أُمتي أُبيّ.

[٥] عن عبدالله بن الحارث بن نوفل قال: كنتُ واقفاً مع أُبيٍّ بن كعب في ظل أُطُم حَسَّان، والسوقُ سوق الفاكهة اليوم، فقال أبيٌّ: ألا ترى الناس مختلفةً أعناقهم في طلب الدنيا؟ قلتُ: بلى، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ، يقول: «يُوشِكُ أَن يَحْسِرَ الفراتُ عَن جَبَلٍ مِن ذهبٍ، فإذا سَمِعَ بِهِ النَّاسُ، سَارُوا إلَيه، فَيَقُولُ مَن

---

(١) العير: الحمار.

(٢) انظر السير: ١/ ٣٨٩ـ ٤٠٢

عِندَهُ: لئِن تَرَكْنا النَّاسَ يَأْخُذُون مِنه لا يَدَعون مِنه شيئاً، فيُقْتَلُ الناسُ مِن كُلِّ مئة تسعةٌ وتسعون».

[١] عن عاصم عن زِرٍّ قال: أتيتُ المدينة، فأتيتُ أُبيَّاً فقلت: يرحمك الله! اخفِض لي جناحك ـ وكان امرءاً فيه شَراسة ـ فسألتُه عن ليلة القدر، فقال: ليلةُ سَبعٍ وعِشرينَ.

[٢] وأَخرج أبو داود من حديث ابن عمر أن النبيَّ ﷺ، صلَّى صلاة، فلُبِّسَ عليه، فلما انصرف، قال لأُبيٍّ: «أصليتَ معنا؟» قال: نعم قال: «فما منعك»(١).

[٣] عن قيس بن عُبَاد، قال: أتيتُ المدينة للقاء أصحاب محمد ﷺ، ولم يكن فيهم رجل أَلقاه أَحبَّ إليَّ من أُبيٍّ، فأقيمت الصلاة، وخرج فقمتُ في الصف الأول. فجاء رجل فنظر في وجوه القوم، فعرفهم غيري، فنحَّاني، وقام في مقامي. فما عقلت صلاتي. فلما صلَّى، قال: يا بني! لا يسوؤك الله، فإني لم آتِ الذي أتيتُ بجهالة، ولكن رسول الله، ﷺ، قال لنا: «كونُوا في الصَّفِّ الذي يليني» وإني نظرتُ في وجوه القوم، فعرفتُهم غيرَك، وإذا هو أُبيٌّ رضي الله عنه.

[٤] عن الحسن حدثني عُتي بن ضَمرة قال: رأيتُ أهلَ المدينة يموجون في سككِهم. فقلتُ: ما شأن هؤلاء؟ فقال بعضهم: ما أنت من أهل البلد؟ قلتُ: لا. قال: فإنه قد مات اليومَ سيِّدُ المسلمين، أُبيُّ بنُ كعب.

[٥] عن أُبي قال: إنا لنقرؤه في ثمانِ ليالٍ، يعني القرآن.

[٦] قال أُبي بنُ كعب لعمر بن الخطاب: مالك لا تستعملني؟ قال: أكره أن يُدَنَّس دينُك.

[٧] قال معمر: عامةُ علم ابن عباس مِن ثلاثة، عُمر، وعليّ، وأُبيّ.

[٨] قال مسروق: سألت أُبيَّاً عن شيءٍ، فقال: أكان بعدُ؟ قلتُ: لا. قال: فاحمنا

(١) قال الخطابي: أراد: ما منعك أن تفتح علي إذ رأيتني قد لُبِّس علي؟ وفيه دليل على جواز تلقين الإمام.

حتى يكونَ، فإذا كان، اجتهدنا لك رأيَنا.

[١] وكان عمر يُجِلُّ أُبيًّا، ويتأدب معه، ويتحاكم إليه.

[٢] وفاة أُبيٍّ بن كعب في خلافة عمر.

[٣] عن الحسن أن عمر بن الخطاب جمع الناسَ على أُبيٍّ بن كعب في قيام رمضان، فكان يُصلِّي بهم عشرين ركعة.

[٤] وقد كان أُبيٌّ التقط صُرَّةً فيها مئة دينار، فعرَّفها حولاً وتملكها.

٤٢ ـ النُّعمان بن مُقرِّن(١)

ابن عائذ، أبو عمرو المزني الأمير.

أولُ مشاهده الأحزابُ، وشهد بيعةَ الرضوان، ونزل الكوفة، وولي كَسكر لعمر، ثم صرفه، وبعثه على المسلمين يوم وقعة نهاوند، فكان يومئذ أولَ شهيد، وكانت في سنة إحدى وعشرين.

[٥] عن معقل بن يسار: أن عمر شاور الهُرمُزان في أُصبهان، وفارس وأذربيجان فقال: أُصبهان: الرأسُ، وفارس وأذربيجان: الجناحان، فإذا قطعت جناحاً فاء الرأسُ وجناح، وإن قطعت الرأس وقع الجناحانِ، فقال عمر للنعمان بن مُقرِّن: إني مُستعمِلك، فقال: أما جابياً، فلا، وأما غازياً، فنعم، قال: فإنك غاز. فسرحه، وبعث إلى أهل الكوفة ليمدوه وفيهم حُذيفة، والزبير، والمغيرة، والأشعث، وعمرو بن معدي كرب، فذكر الحديث بطوله. وهو في «مستدرك الحاكم». وفيه: فقال: اللهم ارزُقِ النعمانَ الشهادةَ بنصر المسلمين، وافتح عليهم، فأمَّنوا، وهزَّ لواءه ثلاثاً. ثم حمل، فكان أولَ صريع رضي الله عنه. ووقع ذو الحاجبين مِن بغلته الشهباء، فانشقَّ بطنُه، وفتح الله، ثم أتيتُ النعمان وبه

---

(١) انظر السير: ١/ ٤٠٣ـ ٤٠٥

رمق، فأتيتُه بماء، فصببت على وجهه أغسل التراب، فقال: من ذا؟ قلت: معقل قال: ما فعل الناسُ؟ قلتُ: فتح الله. فقال: الحمدُ لله، اكتبوا إلى عمرَ بذلك، وفاضت نفسه رضي الله عنه.(١)

٤٣ - عمَّار بن ياسر (ع)(٢)

[١] ابن عامر بن مالك، وبنو مالك بن أُدَدَ من مَذْحِج.

الإمـامُ الكبيرُ أبـو اليقظان العنسيُّ المكيُّ مولى بني مخزوم، أَحدُ السابقين الأولين، والأعيان البدريين. وأمه: هي سُميَّة مولاة بني مخزوم، من كبار الصحابيات.

[٢] قال ابن سعد: قدم والد عمار ياسرٌ بن عامر وأخواه الحارث ومالك من اليمن إلى مكة يطلبُون أخاً لهم، فرجع أَخواه، وأَقام ياسر وحالف أَبا حُذيفة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، فزوجه أمة له اسمُها سميَّة بنت خُبَّاطٍ فولدت له عمَّاراً، فأعتقه أَبو حذيفة، ثم مات أَبو حذيفة، فلما جاء الله بالإسلام، أَسلم عمَّار وأَبواه وأَخوه عبدالله.

---

(١) أخـرج البخـاري في الجـزية (٣١٥٩) عن جبير بن حيّة، قال: بعث عمر الناس في أفناء الأمصار يقاتلون المشركين فأسلم الهرمزان، فقال: إني مستشيرك في مغازي هذه. قال: نعم. مثلها ومثل من فيها من الناس، من عدو المسلمين، مثـل طائـر له رأس، وله جناحان وله رجلان، فإن كسر أحد الجناحين نهضت الرجلان بجناح والرأس، فإن كسر الجناح الآخر نهضت الرجلان والرأس. وإن شرخ الرأس ذهبت الرجلان والجناحان والرأس. فالرأس كسرى، والجناح قيصر، والجناح الآخر فارس. فمر المسلمين فلينفروا إلى كسرى.

عن جبير بن حية قال: فندبنا عمر، واستعمل علينا النعمان بن مقرن حتى إذا كنا بأرض العدو، وخرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفاً فقام ترجمان فقال: ليكلمني رجل منكم. فقال المغيرة: فسل عمَّا شئت. قال: ما أنتم، قال: «نحن أناس من العرب، كنا في شقاء شديد وبلاء شديد، نمص الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر، ونعبد الشجر والحجر. فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السموات ورب الأرضين - تعالى ذكره وجلت عظمته - إلينا نبياً من أنفسنا، نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسول ربنا صلى الله عليه وسلم أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدوا الجزية. وأخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط، ومن بقي منا ملك رقابكم».

(٢) انظر السير: ١/ ٤٠٦-٤٢٨

[١]عن عبدالله بن سَلِمَة قال: رأيت عماراً يومَ صفين شيخاً آدم، طُوالاً وإن الحربة في يده لترعُد، فقال: والذي نفسي بيده! لقد قاتلتُ بها مع رسول الله، ﷺ، ثلاثَ مرات وهـذه الـرابعة، ولو قاتلونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر، لعرفت أننا على الحق، وأنهم على الباطل.

[٢]عن عثمان قال رسول الله ﷺ، «صبراً آل ياسر، فإن موعِدَكُم الجَنَّة» قيل: لم يسلم أَبوا أحدٍ من السابقين المهاجرين سوى عمَّار وأَبي بكر.

[٣]عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: أَخذ المشركون عماراً، فلم يتركوه حتى نال مِن رسول الله ﷺ، وذكر آلهتهم بخير، فلما أتى النبي ﷺ، قال: ما وراءك؟ قال: شرٌّ يا رسول الله. والله ما تُركتُ حتى نلتُ منك، وذكرتُ آلهتهم بخير، قال: «فكيف تجِدُ قلبك»؟ قال: مطمئنٌّ بالإِيمان. قال: «فإن عادُوا فَعُدْ».

وعن قتادة: ﴿إلَّا مَن أُكْرِهَ﴾ نزلت في عمَّار.

[٤]عن علي قال: استأذن عمَّار على النبيّ ﷺ، فقال: «من هذا»؟ قال: عمَّار، قال «مَرحباً بالطَّيِّب المُطَيَّب».

[٥] عن عمرو بن شُرحبيل قال رسول الله ﷺ، «عمَّار مُلِيء إيماناً إلى مُشَاشِهِ»(١).

عن حذيفة، مرفوعاً: «اقتدوا باللَّذَيْن مِن بَعدي: أَبي بَكر وعُمر، واهتدوا بهَدي عَمَّار، وتَمَسَّكُوا بعَهد ابن أُمِّ عَبدٍ».

[٦]عن خالد بن الوليد قال: كان بيني وبينَ عمار كلام، فأغلظتُ له، فشكاني إلى رسول الله، ﷺ، فقال: «من عَادى عَمَّاراً عَاداهُ الله، ومَن أَبغَض عمَّاراً أبغضَهُ الله» فخرجت، فما شيء أَحبَّ إلي من رضى عمَّار، فلقيته فرضي.

[٧] عن ابن مسعود: سمعت النبيّ، ﷺ، يقول: «ما خُيِّرَ ابنُ سُمَيَّةَ بينَ أَمرينِ إلا اختَار أَيسرَهُما».

---

(١) المشاش: جمع مشاشة وهي رؤوس العظام اللينة.

[١]عن بلال بن يحيى، أَن حذيفة أُتي وهو ثقيل بالموت، فقيل له: قُتلَ عثمان فما تأمُرنا؟ فقال سمعت رسول الله، ﷺ، يقول: «أَبُو اليَقظان عَلى الفِطرة» ثلاث مرات، «لن يَدَعها حتَّى يموت أو يلبسَه الهَرَمُ».

[٢]عن خيثمة بن عبدالرحمن: قلتُ لأبي هريرة: حدثني، فقال: تسألني وفيكم علماءُ أَصحاب محمد، والمجارُ من الشيطان عمارُ بن ياسر؟

[٣]عن أَبي سعيد قال: أَمرنا رسول الله، ﷺ، ببناء المسجد فجعلنا ننقل لبنَة لبنَةً، وعمارٌ ينقل لَبنَتَين لَبِنَتين، فَتَرِبَ رأسُه، فحدثني أَصحابي ولم أَسمعه من رسول الله أنه جعل ينفضُ رأسه ويقول «ويحكَ يابنَ سُميَّة! تَقتُلُكَ الفئَةُ البَاغيةُ».

خالد الحذاء: عن عِكرمة سمع أَبا سعيد بهذا ولفظه: «ويحَ ابن سُميَّة! تقتُله الفِئَة الباغِية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» فجعل يقول: أَعوذ بالله من الفتن.

[٤] قال عبـدالله بن أبي الهذيل: رأيت عماراً اشترى قَتاً(١) بدرهم، وحمله على ظهره وهو أَمير الكوفة.

[٥]عن عبدالله بن زياد، قال عمَّار: إنَّ أُمَّنا، يعني عائشة قد مضت لسبيلها، وإنها لزوجتُه في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلانا بها لِيعلم إياهُ نُطيع أَو إياها.

[٦]عن أَبي الغادية، قال سمعتُ عماراً يقع في عثمان يشتِمه. فتوعدتُه بالقتل، فلما كان يوم صِفين، جعل عمّار يحمِل على الناس، فقيل: هذا عمَّار، فطعنته في ركبته، فوقع فَقَتَلْتُهُ، فقيل: قُتِلَ عمار، وأُخبرَ عمرو بن العاص، فقال: سمعتُ رسول الله، ﷺ، يقول «إنَّ قاتله وسَالِبَه في النَّار».

[٧]عاش عمار ثلاثاً وتسعين سنة.

قُلت: كانت صِفين في صفر وبعض ربيع الأول سنة سبع وثلاثين.

---

(١) القت: الفِصفِصَة، وهي الرطبة من علف الدواب.

عن أَبي إسحاق، عن صلة بن زفر، عن عمَّار أنَّه قال: ثلاثة مَن كُنَّ فيه، فقد استكملَ الإِيمان، أَو قال مِن كمال الإِيمان: الإِنفاقُ من الإِقتار، والإِنصاف من نفسك، وبذلُ السلام للعالم.

٤٤ أخبار النجاشي(١)

[١] واسمه أَصحمة ملك الحبشة. معدود في الصحابة رضي الله عنهم، وكان ممن حَسُنَ إسلامه ولم يهاجر، ولا له رؤية، فهو تابعيّ من وجه، صاحبٌ من وجه، وقد توفي في حياة النبي ﷺ، فصلى عليه بالنَّاس صلاة الغائب، ولم يثبت أنه صلَّى ﷺ على غائب سواه، وسببُ ذلك أنه مات بينَ قوم نصارى، ولم يكن عنده من يُصلي عليه، لأن الصحابة الذين كانوا مهاجرين عنده خرجوا من عنده مهاجرين إلى المدينة عامَ خيبر.

[٢]عن أمِّ سلمة زوج النبيِّ ﷺ، قالت: لما نزلنا أرضَ الحبشة جاورنا بها خيرَ جار النجاشي، أمِنَّا على ديننا، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشاً، ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين، وأن يُهدوا للنجاشي هدايا مما يُستطرف مِن متاع مكة، وكان مِن أعجب ما يأتيه منها إليه الأدم، فجمعوا له أدماً كثيراً، ولم يتركوا من بطارقته بِطريقاً إلا أهدوا إليه هديةً، ثم بعثوا بذلك عبدالله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي، وعمرو بن العاص السهمي، وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بِطريق هديتَه قبل أَن تُكلموا النجاشي فيهم، ثم قَدِّموا له هداياه، ثم سلوه أَن يسلمهم إليكم قبل أن يُكلمهم. قالت: فخرجا، فقدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار عند خير جار. فلم يبق مِن بطارقته بِطريق إلا دفعا إليه هديتَه، وقالا له: إنه قد ضوى(٢) إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقُوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا

---

(١) انظر السير: ١/ ٤٢٨-٤٤٣.

(٢) وقال السهيلي في «الرَوض الأنف»: ضوى إليك فتية: أي أووا إليك ولاذوا بك.

بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم لِيردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يُكلمهم، فإن قومَهم أعلى بهم عيناً[1] وأعلمُ بما عابوا عليهم، فقالُوا لهم: نعم. ثم إنهما قرَّبا هدايا النجاشيِّ، فقبلها منهم، ثم كلَّماه، فقالا له: أيها الملك إنه ضوى إلى بلدك منَّا غِلمان سفهاء، فارقُوا دينَ قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين مبتدَع لا نعرفه نحنُ ولا أنت، وقد بعثَنا إليكَ أشرافُ قومهم مِن آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردَّهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلمُ بما عابوا عليهم فيه، قالت: ولم يكن شيء أبغضَ إلى عبدالله، وعمرو مِن أن يسمع النجاشيُّ كلامَهم. فقالت بطارقته حوله: صدقوا أيها الملك. فأسلمهم إليهما. فغضب النجاشيُّ، ثم قال: لا ها الله إذاً لا أُسلمهم إليهما، ولا أُكاد[2] قوماً جاوروني، ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوَهم فأسألهم. ثم أرسلَ إلى أُصحاب رسول الله فدعاهم، فلما جاءهم رسولُه اجتمعوا، ثم قال بعضُهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أُمرنا به نبيُّنا ﷺ، كائناً في ذلك ما كان. فلما جاؤوه، وقد دعا النجاشي أساقِفتَه، فنشروا مصاحفهم حولَه، سألهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم؟

قالت: وكان الذي يُكلمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيُّها الملك، إنَّا كنَّا قوماً أهلَ جاهلية: نعبدُ الأصنامَ، ونأكُل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطعُ الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويُّ منا الضعيفَ، فكُنَّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منَّا، نعرف نسبَه وصدقه وأمانتَه وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبُدَه، ونخلع ما كنا نعبُد وآباؤنا مِن دونِه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث،

---

(١) قال السهيلي: أي: أبصر بهم، أي: عينهم وإبصارهم فوق عيون غيرهم في أمرهم.

(٢) ولا أُكاد: بضم الهمزة، فعل مبني للمجهول: أي ولا يكيدني أحد قال في اللسان: يقولون ـ إذا حمل أحدهم على ما يكره: لا والله لا كيداً ولا هماً: يُريد: لا أكاد ولا أهم.

وأداءِ الأمانة، وصلة الرحم، وحُسن الجوار، والكفِّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأَكلِ مال اليتيم، وقذفِ المحصنة، وأمرنا أن نعبُد الله لا نُشرِكُ به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ـ قالت: فعدَّد له أمورَ الإسلام ـ فصدَّقناه وآمنا به واتبعناه، فعدا علينا قومنا فعذَّبونا وفتنونا عن ديننا ليردُّونا إلى عبادة الأوثان، وأن نستحِلَّ ما كنَّا نستحلُّ من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبينَ ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على مَن سواك، ورَغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قال: نعم؟ قال: فاقرأه عليَّ، فقرأ عليه صدراً مِن ﴿كَهيعَصَ﴾ فبكى والله النجاشيُّ حتى أخضل لحيتَه، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرُج مِن مشكاة واحدة. انطلقا، فوالله لا أُسلمهم إليكم أبداً ولا أُكاد.

[١] فلما خرجا قال عمرو: والله لأنبئنَّه غداً عيبهم ثم استأصِلُ خضراءَهم، فقال له عبدُ الله بن أبي ربيعة، وكان أتقى الرجلين فينا: لا تفعَل، فإن لهم أرحاماً وإن كانوا قد خالفونا. قال: والله لأخبرنَّه أنهم يزعمون أن عيسى عبدٌ. ثم غدا عليه، فقال: أيها الملكُ! إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، فأرسِلْ إليهم. فسلهم عما يقولون فيه. فأرسل يسألهم.

قالت: ولم ينزِل بنا مثلها، فاجتمع القومُ، ثم قالوا: نقولُ والله فيه ما قال الله تعالى كائناً ماكان. فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى؟ فقال له جعفر: نقولُ فيه الذي جاء به نبينا. هو عبدُالله ورسولُه وروحُه وكلمتُه ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فضرب النجاشي يدَه إلى الأرض، فأخذ عوداً، ثم قال: ما عدا عيسى ما قلت هذا العودَ. فتناخرت بطارقته حوله، فقال: وإن نخرتُم والله، اذهبوا

فأنتم سُيومٌ بأرضي ـ والسُّيوم الآمنون ـ من سبَّكم غُرِّم، ثم من سبَّكم غُرِّم، ما أحب أن لي دَبرى[1] ذهباً وأني آذيتُ رجلاً منكم ـ والدبر بلسانهم الجبل ـ رُدّوا عليهما هداياهما، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردَّ عليَّ مُلكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيَّ، فأطيعهم فيه. فخرجا مقبوحين، مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار. فوالله إنَّا على ذلك، إذ نزل به، يعني من يُنازِعه في ملكه، فوالله ما علِمنا حرباً قطّ كان أشدَّ مِن حربٍ حربناه[2]، تخوفاً أن يظهرَ ذلك على النجاشي، فيأتي رجل لا يعرف مِن حقنا ما كان النجاشيُّ يعرف منه، وسار النجاشيُّ وبينهما عرض النيل، فقال أصحابُ رسول الله ﷺ، من رجل يخرج حتى يحضر وقعةَ القوم ثم يأتينا بالخبر؟ فقال الزبير: أنا، وكان مِن أحدث القوم سناً، فنفخوا له قِربةً، فجعلها في صدره، ثم سبح عليها حتى خرج إلى مكان الملتقى، وحضر، فدعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده، واستوسق[3] له أمرُ الحبشة، فكنَّا عنده في خير منزل حتى قَدِمنا على رسول الله ﷺ، وهو بمكة.

وقولها: حتى قدمنا على رسول الله ﷺ، بمكة عنت نفسها وزوجها.

[أعلىٰ بهم عيناً: أبصر بهم. لاها الله: قسم، وأهل العربية يقولون: لاها الله ذا. والهاء بدل من واو القسم، أي: لا والله لا يكون ذا]

[١] ومن محاسن النجاشي أنَّ أُمَّ حبيبة رَملة بنت أبي سفيان بين حرب الأموية أُم المؤمنين أسلمت مع زوجها عُبيد الله بن جحش الأسدي قديماً، فهاجر بها زوجُها، فانملسَ بها إلى أرض الحبشة، فولدت له حبيبة ربيبةُ النبيِّ ﷺ، ثم إنه أدركه الشقاءُ فأعجبه دينُ النصرانية فتنصَّر، فلم يَنشَب أن مات بالحبشة، فلما

(١) قال ابن الأثير: هو بالقصر، اسم جبل.

(٢) الحرب: الغضب، والنزاع، والخصومة.

(٣) استوسق له أمر الحبشة: أي اجتمعوا على طاعته، فاستقر له الملك فيهم.

وفت العدة، بعث رسول الله ﷺ، يخطُبها، فأجابت، فنهض في ذلك النجاشيُّ، وشهد زواجَها بالنبيِّ ﷺ، وأعطاها الصداقَ عن النبي ﷺ، مِن عنده أربع مئة دينار، فحصل لها شيْ لم يحصُل لغيرها مِن أمهات المؤمنين، ثم جهزها النجاشيُّ (٤).

[١] وأصحمة بالعربي: عطية. ولما توفي، قال النبيُّ ﷺ، للناس: «إن أخاً لكم قد ماتَ بأرضِ الحبشة» فخرج بهم إلى الصَّحراء وصفَّهم صفُوفاً، ثم صلَّى عليه. فنقل بعض العلماء أن ذلك كان في شهر رجب سنة تسع من الهجرة.

٤٥ ـ معاذ بن جَبَل (ع)(١)

ابن عمرو، السيد الإمام أبو عبدالرحمن الأنصاري الخزرجي المدنيّ البدريّ، شهد العقبة شاباً أمرد.

أسلم معاذ وله ثمان عشرة سنة.

[٢] عن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسولُ الله، ﷺ، «خُذُوا القُرآن مِن أَربعةٍ: من ابن مسعود، وأُبيٍّ، ومُعاذ بن جبل، وسالمٍ مولى أبي حُذيفة».

[٣] عن أنس مرفوعاً: «أَرْحَمُ أُمَّتي بأُمَّتي أَبُو بَكر، وأَشدُّها في دين الله عُمَرُ، وأَصدقُها حَياءً عُثمان، وأَعلَمُهُم بالحَلالِ والحَرامِ مُعاذ، وأَفرضُهُم زَيدٌ، ولِكُلِّ أُمّةٍ أَمينٌ وأَمينُ هذه الأُمة أبو عُبيدة».

[٤] عن الحارث بن عمرو الثقفي قال: أخبرنا أَصحابنا، عن معاذ قال: لما بعثني النبيُّ، ﷺ، إلى اليمن، قال لي: كيف تقضي إن عَرَضَ قضاءٌ؟ قال: قلتُ: أَقضي بما في كتاب الله، فإن لم يكن، فبما قضى به رسولُ الله، ﷺ، قال: فإن لم يكن فيما قضى به الرسول؟ قال: أَجتهدُ رأيي ولا آلُو، فضربَ صدري، وقال: الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله، ﷺ، لما يُرضي رسول الله.

(١) انظر السير: ١/ ٤٤٣ـ ٤٦١

[١] عن عاصم بن حُميد السَّكونيِّ أن معاذَ بن جبل لما بعثه النبيُّ، ﷺ، إلى اليمن خرج يُوصيه، ومعاذ راكب، ورسولُ الله ﷺ، يمشي تحت راحلته، فلما فرغ، قال: «يا معاذ! إنَّك عَسى أن لا تَلقَاني بعدَ عامي هذا، ولعلَّك أن تمُرَّ بمسجدي وقبري». فبكى معاذ جَشَعاً(١) لفراق رسول الله، قال: «لا تَبكِ يا مُعاذ، أو إنَّ البُكاء من الشَّيطان».

[٢] عن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه، عن أبي موسى أنَّ النبيَّ، ﷺ، لما بعثه ومعاذاً إلى اليمن، قال لهما: «يَسِّرا ولا تُعَسِّرا وتَطَاوعا ولا تُنَفِّرا»، فقال له أبو موسى: إن لنا بأرضنا شراباً، يُصنعُ من العسل يقال له: البِتْعُ، ومن الشعير يقال له: المِزْرُ، قال: «كلُّ مسكرٍ حرام» فقال لي معاذ: كيف تقرأ القرآن؟ قلت: أقرأه في صلاتي، وعلى راحلتي وقائماً وقاعداً، أتَفوَّقُ تفوُّقاً، يعني شيئاً بعد شيء، قال: فقال معاذ: لكني أنام ثم أقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي، قال: وكأن معاذاً فُضِّل عليه.

[٣] عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ، «نِعْمَ الرَّجُلُ أبو بكر، نِعم الرجلُ عُمَرُ، نعمَ الرَّجُلُ مُعَاذ بنُ جبل».

[٤] عن معاذ قال: لقيني النبيُّ، ﷺ، فقال: «يامعاذ! إني لأحبُّك في الله» قلت: وأنا والله يا رسول الله أُحبُّك في الله. قال: «أفلا أُعلمك كلماتٍ تقولُهنَّ دُبُرَ كلِّ صلاة: ربِّ أعنِّي على ذِكرِكَ وشُكرِكَ وحُسنِ عبادتك».

[٥] وعن محمد بن سهل بن أبي حَثمَة: عن أبيه قال: كان الذين يُفتون على عهد رسول الله، ﷺ، ثلاثة من المهاجرين: عُمَرُ، وعثمانُ وعليّ. وثلاثة من الأنصار: أُبيُّ بن كعب، ومعاذ، وزَيد.

[٦] وروى موسى بن عُلَي بن رباح، عن أبيه، قال: خطبَ عُمرُ الناسَ بالجابية فقال: من أراد الفقه فليأتِ معاذَ بنَ جبل.

---

(١) الجشع: الجزع لفراق الإلف.

[١] وعن نافع قال: كتب عمرُ إلى أبي عبيدة ومعاذٍ: انظروا رجالاً صالحين، فاستعملوهم على القضاء وارزقوهم.

[٢]عن أبي قِلابة وغيره أنَّ فلاناً مرَّ به أصحاب النبيِّ، ﷺ، فقال: أوصُوني، فجعلوا يوصُونه، وكان معاذ بن جبل في آخر القوم، فقال: أوْصني يرحمك الله. قال: قد أوصوك فلم يألوا، وإني سأجمع لك أمرك: اعلم أنه لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك إلى الآخرة أفقر، فابدأ بنصيبك من الآخره، فإنه سيمر بك على نصيبك من الدُّنيا فينتظمه، ثم يزول معك أينما زلت.

[٣] عن معاذ قال: ما بزقت على يميني منذ أسلمت.

[٤] عن سعيد بن المسيِّب قال: قُبِضَ معاذ وهو ابن ثلاث أو أربع وثلاثين سنة. وتوفي سنة ثمان عشرة رضي الله عنه.

٤٦ - عبدالله بن مسعود (ع)(١)

[٥] **الإمامُ الحبرُ، فقيه الأمة، أبو عبدالرحمن الهُذَليُّ، المكيُّ، المهاجريُّ، البدريُّ، حليفُ بني زُهرة.**

كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالِمين، شهد بدراً، وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النَّفل، ومناقبه غزيرة، روى عِلْماً كثيراً.

[٦] وروى الأعمش، عن إبراهيم قال: كان عبدالله لطيفاً، فطناً.

قلتُ: كان معدوداً في أذكياء العُلماء.

[٧] وعن ابن المسيِّب: قال رأيتُ ابنَ مسعود عظيمَ البطن، أحمش الساقين.

[٨]عن نويفع مولى ابن مسعود، قال كان عبدالله من أجود الناس ثوباً أبيضَ، وأطيب الناس ريحاً.

[٩] قال عبدالله: لقد رأيتني سادس ستة وما على ظهر الأرض مسلمٌ غيرُنا.

(١) انظر السير: ١/ ٤٦١-٥٠٠

[١] عن ابن مسعود قال: كنت أرعى غنماً لعُقبة بن أبي مُعيط، فمرَّ بي رسول الله، ﷺ، وأبو بكر، فقال: يا غلام! هل من لبن؟ قلت: نعم، ولكني مؤتمن، قال: فهل من شاة لم ينزُ عليها الفحل؟ فأتيتُه بشاة، فمسح ضِرْعَها، فنزل لبنٌ، فحلب في إناء، فشرب، وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: اقلُصْ، فقلص. زاد أحمد قال: ثم أتيته بعد هذا، ثم اتفقا ـ فقلت: يا رسول الله! عَلِّمني من هذا القول، فمسح رأسي، وقال: يرحمك الله إنك غُلَيِّمٌ معلَّم.

هذا حديث صحيح الإسناد، ورواه أبو عوانة عن عاصم بن بهدلة، وفيه زيادة منها: فلقد أخذتُ من فيه ﷺ، سبعين سورةً ما نازعني فيها بشر.

[٢] يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه قال: أول من جهرَ بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ، عبدُ الله بنُ مسعود.

[٣] عن أنس: أن النبيّ ﷺ، آخى بين الزبير وابن مسعود.

[٤] عن أبي الأحوص سمعتُ أبا مسعود وأبا موسى حين مات عبدُ الله بن مسعود، وأحدهما يقول لصاحبه: أتراه ترك بعده مثله؟

قال: لئن قلت ذاك، لقد كان يُؤْذَن له إذا حُجبنا ويَشهدُ إذا غِبْنا.

[٥] وأخـرج البخـاريُّ والنسائيُّ من حديث أبي موسى قال: قدمتُ أنا وأخي من اليمن، فمكثنا حيناً، وما نحسب ابنَ مسعود وأمَّه إلا من أهل بيت النبيِّ ﷺ، لكثرة دخولهم وخروجهم عليه.

[٦] عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ، «ياعبدالله إذنُك عليَّ أن ترفع الحجاب، وتسمعَ سِوادي حتىٰ أنهاك». عن عبد الله قال: لما نزلت ﴿لَيس عَلى الذِين آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحات جُنَاحٌ﴾. الآية، قال رسول الله، ﷺ، «قيلَ لي: أَنتَ منهم».

[٧] عن أبي وائل قال: كنتُ مع حُذيفة، فجاء ابن مسعود، فقال حذيفة: إن أشبه الناس هدياً ودَلا وقضاء وخطبةً برسول الله، ﷺ، من حين يخرجُ من بيته، إلى أن يرجع، لا أدري ما يصنع في أهله لعَبدُ الله بنُ مسعود، ولقد علم المتهجدون من

أصحاب محمد ﷺ، أنَّ عبدالله من أقربهم عند الله وسيلة يوم القيامة.

[١] عن علقمة قال: كُنَّا عند عبدالله، فجاء خَبَّابُ بنُ الأرتِّ حتى قام علينا، في يده خاتم من ذهب، فقال: أكلُّ هؤلاء يقرؤون كما تقرأ؟ فقال عبدالله: إن شئت أمرتُ بعضهم يقرأ، قال: أجل، فقال: اقرأ يا علقمة! فقال فلان: أتأمُره أن يقرأ وليس بأقرئنا؟ قال عبدالله: إن شئتَ حدثتك بما قال رسول الله ﷺ، في قومه وقومك. قال علقمة: فقرأتُ خمسينَ آية من سورة مريم، فقال عبدُ الله: ما قرأ إلا كما أقرأ. ثم قال عبدالله: أَلَم يَأْنِ لهذا الخاتم أن يُطرح؟ فنزعه، ورمى به، وقال: والله لا تراه عليَّ أبداً.

[٢] عن أبي الأحوص قال: أتيت أبا موسى وعنده عبدالله وأبو مسعود الأنصاري وهم ينظرون إلى مصحف، فتحدثنا ساعة، ثم خرج عبدالله، وذهب، فقال أبو مسعود: والله ما أعلمُ النبيَّ ﷺ، ترك أحداً أعلمَ بكتاب الله من هذا القائم.

[٣] عن مسروق قال عبدالله: والذي لا إله غيره لقد قرأتُ من في رسول الله، ﷺ، بضعاً وسبعين سورة، ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تُبْلغُنيه الإبل لأتيته.

[٤] عن عبدالله أن رسول الله ﷺ، مرَّ بين أبي بكر وعمر، وعبدالله قائم يصلي فافتتح سورة النساء يسجلها(١)، فقال ﷺ، «مَن أحبَّ أن يَقرأ القُرآن غَضًّاً كما أُنزلَ فليقرأ قراءة ابن أمِّ عَبد» فأخذ عبدالله في الدعاء. فجعل رسول الله ﷺ، يقول: «سل تُعط». فكان فيما سأل: اللهم إني أسألكَ إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفدُ، ومرافقة نبيك محمد ﷺ، في أعلى جنان الخُلد، فأتى عُمرُ عبدَالله يبشرُه، فوجد أبا بكر خارجاً قد سبقه، فقال: إنك لسبّاقٌ بالخير.

[٥] عن أم موسى: سمعتُ علياً يقول: أَمَرَ رسولُ الله ﷺ، ابنَ مسعود، فصعد شجرة يأتيه منها بشيْ فنظر أصحابُه إلى ساق عبدالله فضحكوا من حُمُوشَةِ ساقيه،

---

(١) أي يقرؤها قراءةً مفصَّلة.

فقال رسول الله، ﷺ، «ما تضحكون؟ لَرِجلُ عبدِ الله أثقلُ في الميزان يوم القيامة من أُحد».

[١]عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ، «رضيتُ لأمّتي ما رضيَ لها ابنُ أمِّ عبد».

[٢]عن عبدالله قال: قال لي رسول الله ﷺ، «اقرأ عليَّ القرآن. قلتُ: يا رسولَ الله أقرأُ عليكَ وعليكَ أُنزل؟ قال: إني أشتهي أن أسمعَه مِن غيري. فقرأتُ عليه سورة النساء حتى بلغت: ﴿فَكَيفَ إذا جِئنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهيدٍ، وجِئنَا بِكَ عَلى هؤلاءِ شَهِيداً﴾ [النساء ٤١] فغمزني برجله، فإذا عيناهُ تَذْرِفان.

[٣]قال عمرو بن العاص في مرضه، وقد جزع، فقيل له: قد كان رسول الله ﷺ، يُدنيكَ ويستعملك، قال: والله ما أدري ما كان ذاك منه، أَحُبٌّ أو كان يتألفني، ولكن أشهدُ على رجلين أنه مات وهو يحبُّهما: ابن أمِّ عبدٍ، وابن سُميَّة.

[٤]عن علقمة قال: كان عبدالله يشبه النبيَّ، ﷺ، في هديه ودَلِّه وسمته، وكان علقمة يشبّه بعبد الله.

[٥]عن حارثة بن مُضَرِّب قال: كتب عمرُ بن الخطاب إلى أهل الكوفة: إنني قد بعثتُ إليكم عماراً أميراً، وابنَ مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء، من أصحاب محمد، ﷺ، من أهلِ بدر، فاسمعوا لهما واقتدُوا بهما، وقد آثرتُكم بعبدالله على نفسي.

[٦]عن خُمير بن مالك، قال: أُمِرَ بالمصاحف أن تُغَيَّر، فقال ابنُ مسعود: من استطاع منكم أن يغلَّ مصحفه فليغله فإنه من غَلَّ شيئا جاء به يوم القيامة. ثم قال: لقد قرأتُ من فم رسول الله، ﷺ، سبعين سورة أأترِكُ ما أخذتُ من في رسولِ الله، ﷺ، ؟!

قال الزهري: فبلغني أنَّ ذلك كُرِهَ من مقالة ابن مسعود، كرهه رجالٌ من الصحابة.

قلتُ: إنما شقَّ على ابن مسعود، لكون عثمان ما قدَّمه على كتابة المصحف، وقدَّم في ذلك من يصلح أن يكون ولده، وإنما عدل عنه عثمان لغيبته عنه بالكوفة، ولأنَّ زيداً كان يكتب الوحي لرسول الله، ﷺ، فهو إمام في الرسم، وابنُ مسعود فإمام في الأداء، ثم إن زيداً هو الذي ندبه الصِّدِّيق لكتابة المصحف وجمع القرآن، فهلاَّ عتب على أبي بكر؟ وقد ورد أن ابن مسعود رضي وتابع عثمان ولله الحمد. وفي مصحف ابن مسعود أشياءُ أظنُها نُسخت، وأما زيد فكان أحدثَ القومِ بالعرضة الأخيرة التي عَرَضَها النبي، ﷺ، عام توفي، على جبريل.

[١]عن زيد بن وهب قال: لما بعث عثمان إلى ابن مسعود يأمره بالمجيء إلى المدينة، اجتمع إليه الناسُ، فقالوا: أَقم فلا تخرج، ونحن نمنعك أن يصلَ إليك شيءٌ تكرهه. فقال: إنَّ له عليّ طاعة، وإنها ستكون أمور وفتنٌ لا أُحب أن أكَونَ أولَ من فتحها. فردَّ الناس وخرج إليه.

[٢]عن عبدالله قال: كُنَّا إذا تعلمنا من النبي، ﷺ، عشرَ آياتٍ لم نتعلم من العشرِ التي نزلت بعدها حتى نعلمَ ما فيها، يعني من العلم.

[٣]عن أبي البختري قال: سُئِل عليٌّ عن ابن مسعود، فقال: قرأ القرآن، ثم وقف عنده، وكُفي به، وروي نحوه من وجه آخر عن علي، وزاد: وعلم السنة. عن زيد بن وهب قال: إني لجالسٌ مع عمر بن الخطاب، إذ جاء ابنُ مسعود، فكاد الجلوس يُوارونه من قصره، فضحك عمرُ حين رآه، فجعل عمر يكلمه، ويتهللُ وجهه، ويضاحكه، وهو قائم عليه، ثم ولَّى فأتبعه عمرُ بصره حتى توارى، فقال: كُنَيف مُلِيءَ علماً(١).

[٤]عن أبي وائل أن ابن مسعود رأى رجلاً قد أسبل، فقال: ارفع إزارك، فقال: وأنت يا ابن مسعود فارفع إزارك، قال: إنَّ بساقيَّ حُمُوشَةً وأنا أؤمُّ الناس. فبلغ ذلك

(١) كُنَيفٌ: تصغير كنف، وهو الوعاء، وهو تصغير تعظيم.

عمر، فجعل يضرب الرجل، ويقول: أتردُّ على ابن مسعود؟

[١] عن أبي عمرو الشيباني: إنَّ أباموسى استُفْتِيَ في شيءٍ من الفرائض، فغلط، وخالفه ابنُ مسعود، فقال أبو موسى: لا تسألوني عن شيءٍ ما دام هذا الحبرُ بَين أظهركم.

[٢] عن مسروق قال: شاممت أصحاب محمد ﷺ، فوجدتُ علمهم انتهى إلى ستة: عليٍّ، وعُمرَ، وعبدالله، وزيد، وأبي الدرداء، وأُبيّ. ثم شاممتُ الستّة، فوجدت علمهم انتهى إلى عليٍّ وعبدِ الله.

[٣] عن مسروق قال: حدثنا عبدُ الله يوماً فقال: قال رسولُ الله، ﷺ، فرَعُد حتى رعُدت ثيابه، ثم قال نحو ذا أو شبيهاً بذا.

[٤] عن عون بن عبدالله، عن أخيه عُبيد الله قال: كان عبدالله إذا هدأت العيونُ، قام فسمعتُ له دويًّا كدويِّ النحلِ.

[٥] عن القاسم بن عبدالرحمن أنَّ ابن مسعود كان يقول في دعائه: خائف مستجيرٌ، تائبٌ، مستغفرٌ، راغبٌ، راهب.

[٦] قال عبدالله بن مسعود: لو سَخِرتُ مِن كلب، لخشيتُ أن أكون كلباً، وإني لأكره أن أرى الرجل فارغاً ليس في عمل آخرة ولا دنيا.

[٧] عن عبدالله قال: من أراد الآخرة أضرَّ بالدُّنيا، ومن أرد الدنيا، أضرَّ بالآخرة، يا قوم فأَضِرُّوا بالفاني للباقي.

[٨] قلتُ: كان قد قدِمَ على عثمان وشهد في طريقه بالرَّبذَة[١] أبا ذرّ، وصلَّى عليه.

[٩] عن أبي ظَبية قال: مرض عبـدالله، فعـاده عثمان، وقال: ما تشتكي؟ قال: ذُنـوبي، قال: فمـا تشتهي؟ قال: رحمةَ ربي، قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قال: الطبيبُ أمرضني. قال: ألا آمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجةَ لي فيه.

---

(١) الربذة: قرية من قرى المدينة، على ثلاثة أيام، قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز، وبها قبر الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري.

[١] مات ابن مسعود بالمدينة، ودُفِنَ بالبقيع سنة اثنتين وثلاثين.
عاش ثلاثاً وستين سنة.

٤٧ ـ قصة سلمان الفارسي (ع)[١]

[٢] **قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر: هو سلمان ابنُ الإسلام، أبو عبدالله الفارسيّ سابقُ الفرس إلى الإسلام، صحب النبيَّ، ﷺ، وخدمه وحدَّث عنه.**

وكان لبيباً حازماً، من عقلاء الرجال وعُبادهم ونبلائهم.

[٣] عن عُروة بن رُويم، عن القاسم أبي عبدالرحمن حدَّثه قال: زارنا سلمانُ الفارسيُّ فصلَّى الإمامُ الظهر، ثم خرج وخرج الناسُ، يتلقونَه كما يُتلقى الخليفة، فلقيناه وقد صلَّى بأصحابه العصر، وهو يمشي، فوقفنا نُسلم عليه، فلم يبق فينا شريفٌ إلا عرض عليه أن يَنزِلَ به، فقال: جعلتُ على نفسي مَرّتي هذه أن أنزل على بشير بن سعد. فلما قدم، سأل عن أبي الدرداء، فقالوا: هو مرابط، فقال: أين مُرَابَطكم؟ قالوا: بيروت، فتوجه قِبَله، قال: فقال سلمان: يا أهلَ بيروت: ألا أُحدثكم حديثاً يذهب الله به عنكم عرض الرِّباط. سمعتُ رسول الله ﷺ، يقول: «رِبَاطُ يَومٍ وَلَيلَةٍ كَصِيامِ شهرٍ وقِيامِهِ، ومَن مَاتَ مُرَابِطاً أُجِير مِن فِتنَةِ القبرِ، وجَرَى لَهُ صَالِحُ عَمَلِه إلى يَوم القِيامَةِ».

[٤] عن ابن عباس قال: حدثني سلمانُ الفارسيُّ قال: كنتُ رجلاً فارسياً من أهل أصبِهَانَ، مِن أهل قرية منها يقال لها: جيّ، وكان أبي دِهقانَها. وكنت أحبَّ خلق الله إليه، فلم يزل بي حبُّه إياي حتى حبسني في بيته كما تُحبسُ الجارية، فاجتهدت في المجوسية حتى كنتُ قاطِنَ النارِ الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة. وكانت لأبي ضيعةٌ عظيمةٌ، فشُغِلَ في بنيان له يوماً، فقال لي: يا بني إني قد شُغلتُ

(١) انظر السير: ١/ ٥٠٥-٥٥٨.

في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب فاطلعهـا، وأمـرني ببعض ما يُريد. فخرجت، ثم قال: لا تحتبس عليّ، فإنك إن احتبست عليَّ كنت أهمَّ إليّ من ضيعتي، وشَغَلتَني عن كل شيء من أمري. فخرجت أُريد ضيعته، فمررتُ بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتَهم فيها وهُم يُصلون، وكنتُ لا أدري ما أمرُ الناس بحبس أبي إياي في بيته، فلما مررتُ بهم، وسمعتُ أصواتهم، دخلتُ إليهم أنـظر ما يصنعـون، فلمـا رأيتُهم أعجبتني صلواتُهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خيرٌ من الـدين الذي نحن عليه، فوالله ما تركتُهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعةَ أبي ولم آتها، فقلت لهم: أين أصلُ هذا الدين؟ قالوا بالشام.

قال: ثم رجعتُ إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلتُه عن عمله كله، فلما جئتُه قال: أي بُنَي أين كنت؟ ألم أكن عهـدتُ إليك ما عهدت؟ قلتُ: يا أبةِ مررتُ بناسٍ يُصلون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيتُ مِن دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس. قال أي بني ليس في ذلك الدين خير، دينُك ودين آبائك خيرٌ منه. قلت: كلا والله! إنه لخير من ديننا. قال: فخافني، فجعل في رجلي قيداً، ثم حبسني في بيته، قال: وبَعثتُ إلى النصارى فقلت: إذا قَدِمَ عليكم ركب من الشـام تجار مِن النصارى، فأخبروني بهم. فقدم عليهم ركب من الشام. قال: فأخبـروني بهم، فقلت: إذا قضوا حوائجَهم، وأرادوا الرجعة، فأخبروني. قال: ففعلوا. فألقيتُ الحـديد مِن رجلي، ثم خرجتُ معهم حتى قدمتُ الشام. فلما قدمتُها، قلت: مَن أفضلُ أهلِ هذا الدين، قالوا الأسقف في الكنيسة. فجئتُه، فقلت: إني قد رغبتُ في هذا الـدين، وأحببتُ أن أكـون معـك أخـدمـك في كنيستك، وأتعلم منك، وأُصلي معك. قال: فادخل، فدخلتُ معه، فكان رجلَ سوءٍ يأمُرهم بالصدقة ويُرغبهم فيها، فإذا جمعُوا إليه منها شيئاً، اكتنَزَهُ لِنفسه، ولم يُعطه المساكين حتى جمع سبعَ قِلال مِن ذهب ووَرِقٍ، فأبغضته بغضاً شديداً لِما

رأيته يصنع. ثم مات، فاجتمعت إليه النّصارى ليدفنوه، فقلتُ لهم: إن هذا رجل سوء، يأمـركم بالصدقة، ويُرغبكم فيها، فإذا جئتم بها، كنزها لنفسه، ولم يُعط المساكين، وأريتهم موضع كنزه سبع قِلال مملوءة، فلما رأوها قالوا: والله لا ندفِنُه أبداً.

فصلبُوه ثم رموه بالحجارة. ثم جاءوا برجل جعلوه مكانه، فما رأيتُ رجلاً - يعني لا يصلي الخمس - أرى أنه أفضلُ منه، أزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلاً ونهاراً، ما أعلمني أحببتُ شيئاً قطُّ قبله حُبَّه، فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة، فقلت: يا فلان! قد حضرك ما ترى مِن أمر الله، وإني والله ما أحببت شيئاً قط حُبَّك، فماذا تأمرني وإلى مَن توصيني؟

قال لي: يا بني والله ما أعلمه إلا رجلاً بالمَوصِل، فائته، فإنك ستجده على مثل حالي.

فلما مات وغُيِّب، لحقت بالموصل، فأتيتُ صاحبها، فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزهد. فقلت له: إن فلاناً أوصاني إليك أن آتيَك وأكون معك. قال فأقم أيْ بني، فأقمت عنده على مثل أمر صاحبه حتى حضرته الوفاة. فقلت له: إن فلاناً أوصى بي إليك وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من تُوصي بي؟ وما تأمرني به؟ قال: والله ما أعلم، أي بني، إلا رجلاً بنصيبين.

فلما دفنّاه، لحقت بالآخر، فأقمت عنده على مثل حالهم حتى حضره الموتُ، فأوصى بي إلى رجل من أهل عمورية بالروم، فأتيتُه فوجدته مثل حالهم، واكتسبتُ حتى كان لي غنيمة وبُقيرات.

ثم احتضر فكلمته إلى من يوصي بي؟ قال: أي بُنَي! والله ما أعلمُه بقي أحد على مثل ما كُنَّا عليه آمرك أن تأتيه، ولكن قد أظلّك زمان نبي يُبعث من الحرم، مهاجرهُ بين حرَّتين إلى أرض سبخة ذاتِ نخلٍ، وإنَّ فيه علاماتٍ لا تخفى، بينَ كتفيه خاتمُ النبوة، يأكل الهدية ولا يأكلُ الصدقة، فإن استطعت أن تخلُص إلى

تلك البلاد فافعل، فإنه قد أَظَلَّك زمانُه.

فلما وارِيناه، أَقمتُ حتى مرَّ بي رجالٌ من تجار العرب من كلب، فقلتُ لهم: تحملوني إلى أرض العرب، وأُعطيكم غنيمتي وبقراتي هذه؟ قالوا: نعم. فأعطيتُهم إياها وحملوني، حتى إذا جاءوا بي وادي القرى، ظلموني، فباعوني عبداً من رجل يهودي بوادي القرى. فوالله لقد رأيتُ النخل، وطمعتُ أن يكون البلد الذي نَعَت لي صاحبي.

وما حقَّت عندي حتى قَدِمَ رجلٌ من بني قُريظة وادي القرى، فابتاعني مِن صاحبي، فخرج بي حتى قَدِمنا المدينةَ. فوالله ما هو إلا أن رأيتُها، فعرفت نعتها.

فأقمتُ في رقي، وبعث الله نبيه، ﷺ، بمكة لا يذكر لي شيء من أمره مع ما أنا فيه من الرِّق، حتى قَدِمَ رسولُ الله، ﷺ، قُباء، وأنا أعمل لِصاحبي في نخلة له، فوالله إني لفيها إذ جاءه ابنُ عم له، فقال: يا فلان قاتل الله بني قَيلة، والله إنهم الآن لفي قُباء مجتمعون على رجل جاء من مكة يزعمون أنه نبي.

فوالله ما هو إلا أن سمعتُها فأخذتني العُرَواء ـ يقول الرِّعدة ـ حتى ظننتُ لأسقطنَ على صاحبي. ونزلتُ أقول: ما هذا الخبر؟

فرفع مولاي يده فلكمني لكمة شديدة، وقال: مالك ولهذا، أَقْبِلْ على عملك. فقلتُ: لا شيء، إنما سمعتُ خبراً، فأحببتُ أن أعْلَمَه.

فلما أمسيتُ، وكان عندي شيءُ مِن طعام، فحملتُه وذهبت إلى رسول الله ﷺ، وهو بقُباء، فقلت له: بلغني أنك رجل صالح، وأن معك أَصحاباً لك غرباء، وقد كان عندي شيءُ من الصدقة فرأيتُكم أَحقَّ مَن بهذه البلاد، فهاك هذا، فكُلْ منه.

قال: فأمسك، وقال لأصحابه: كُلُوا. فقلت في نفسي: هذه خَلَّةٌ مما وَصَفَ لي صاحبي.

ثم رجعتُ، وتحوَّل رسول الله إلى المدينة، فجمعتُ شيئاً كان عندي ثم جئتُه به فقلتُ: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية. فأكل رسول الله، ﷺ،

وأكل أصحابه، فقلتُ: هذه خَلّتان.

ثم جئتُ رسـول الله ﷺ وهو يتبع جنازة وعليَّ شملتانِ لي وهو في أصحابه، فاستدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف. فلما رآني استدبرتُه عرف أني أتثبت في شيء وصف لي، فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فانكببتُ عليه أُقبله وأبكي.

فقال لي: تحول: فتحولتُ، فقصصت عليه حديثي كما حدثتُك ياابنَ عباس، فأعجب رسولَ اللهِ ﷺ، أن يسمعَ ذلك أصحابُه.

[١] ثم شغل سلمانَ، الرِّقُ حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدرٌ وأُحد. ثم قال رسول الله: كاتِب يا سلمـان. فكـاتبتُ صاحبي على ثلاث مئة نخلة أُحييها له بالفقير وبأربعين أوقية. فقال رسول الله ﷺ، لأصحابه: «أعينوا أخاكم» فأعانوني بالنخل، الرجل بثلاثين ودِيَّة[١]، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، حتى اجتمعت ثلاث مئـة وديَّة. فقال: «اذهب يا سلمان ففقِّر لها، فإذا فرغت فائتني أكون أنا أضعُها بيدي» ففقَّرت لها وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت منها، جئتُه وأخبرته، فخرج معي إليها نقرب له الوديَّ، ويضعه بيده، فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة. فأديت النخل، وبقي عليَّ المال، فأُتي رسول الله ﷺ، بمثل بيضة دجاجة مِن ذهب من بعض المغازي. فقال: «ما فعل الفارسي المكاتَب»؟ فدُعيت له، فقال: «خُذها فأدِّ بها ما عليك» قلتُ: وأين تقع هذه يا رسولَ الله مما عليَّ؟ قال: خذهـا فإن الله سيؤدي بها عنك. فأخذتُها فوزنتُ لهم منها أربعين أوقية، وأوفيتُهم حقهم وعتقت، فشهدتُ مع رسول الله ﷺ، الخندق حراً، ثم لم يفتني معه مشهد.

[٢]عن عائذ بن عمرو أن أبا سفيان مرَّ على سلمان وبلال وصُهيب في نفر فقالوا:

(١) الودية: جمع ودي: صغار الفسيل.

ما أخذت سيوفُ الله من عُنقِ عدو الله مأخذها. فقال أبو بكر: تقولون هذا لشيخ قُريش وسيِّدِها! ثم أتىٰ النبيَّ ﷺ، فأخبره، فقال: «يا أبا بكر! لَعَلَّكَ أغضَبْتَهُم، لَئِن كُنْتَ أغضَبْتَهُم لَقَدْ أغضَبْتَ رَبَّكَ» فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه أغضبتُكم؟ قالوا: لا يا أبا بكر، يغفِرُ الله لك.

[١]عن أبي البختري قال: قيل لعليٍّ: أخبرنا عن أصحاب محمد، ﷺ، قال: عن أيِّهم تسألون؟ قيل: عن عبدالله، قال: عَلِم القرآن والسنة، ثم انتهى وكفى به علماً. قالوا: عمَّار؟ قال: مؤمن نَسِيٌّ فإن ذكَّرته، ذكر. قالوا: أبو ذر؟ قال: وعى علماً عجز عنه. قالوا: أبو موسى؟ قال صُبغ في العلم صبغة، ثم خرج منه. قالوا: حذيفة؟ قال: أعلم أصحاب محمد بالمنافقين. قالوا: سلمان؟ قال: أدركَ العلم الأولَ، والعِلمَ الآخر، بحر لا يُدْرَكُ قعرُهُ، وهو منا أهلَ البيت. قالوا: فأنت يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت إذا سألتُ أُعطيتُ، وإذا سكتُ ابتُدِيتُ.

[٢]عن أبي هريرة أن النبي، ﷺ، تلا هذه الآية: ﴿وإن تتـولـوا يستبـدل قومـاً غيركم﴾. قالوا يا رسول الله! من هؤلاء؟ قال: فضرب على فخذ سلمان الفارسي ثم قال: «هذا وقومه، ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفُرس».

[٣]عن أبي البختري قال: جاء الأشعثُ بن قيس وجريرُ بن عبدالله، فدخلا على سلمان في خصٍّ فسلما وحيَّياه، ثم قالا: أنتَ صاحبُ رسول الله ﷺ، قال: لا أدري. فارتـابـا قال: إنما صاحبُه من دخل معه الجنة. قالا: جئنا مِن عند أبي الدرداء، قال: فأين هديَّته؟ قالا: ما معنا هدية. قال: اتقيا الله، وأدِّيا الأمانةَ، ما أتاني أحَد مِن عنده إلا بهدية، قالا: لا ترفع علينا هذا، إن لنا أموالا فاحتكِم، قال: ما أُريد إلا الهديةَ، قالا: والله ما بعث معنا بشيءٍ إلا أنه قال: إنَّ فيكم رجلاً كان رسول الله ﷺ، إذا خلا به، لم يبغ غيره، فإذا أتيتُماه، فأقرئاه مني السلام. قال: فأيَّ هديةٍ كنتُ أُريدُ منكما غيرَ هذه؟ وأيُّ هديةٍ أفضلُ منها؟

[١] عن طارق بن شهاب عن سلمان قال: إذا كان الليل، كان الناسُ منه على ثلاث منازل: فمنهم مَن له ولا عليه، ومنهم مَن عليه ولا له، ومنهم من لا عليه ولا له! فقلتُ: وكيف ذاك؟ قال: أما مَن له ولا عليه، فرجلٌ اغتنم غفلةَ الناس وظلمةَ الليل، فتوضأ وصلَّى، فذاك له ولا عليه، ورجل اغتنم غفلة الناس، وظلمةَ الليل، فمشى في معاصي الله، فذاك عليه ولا له، ورجل نام حتى أصبح، فذاك لا له ولا عليه.

[٢] قال طارق: فقلت: لأصحبنَّ هذا. فَضُرب على الناس بعثٌ، فخرج فيهم، فصحبته وكنت لا أفضله في عمل، إن أنا عجنت خَبَزَ وإن خبزت طبخ، فنزلنا منزلاً فبِتنا فيه، وكانت لطارق ساعة من الليل يقومها، فكنت أتيقظ لها فأجده نائماً، فأقول: صاحب رسول الله، ﷺ، خيرٌ مني نائم، فأنام ثم أقوم فأجده نائماً فأنام، إلا أنه كان إذا تعارّ من الليل قال وهو مضطجع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير. حتى إذا كان قبيل الصبح قام فتوضأ ثم ركع أربع ركعات. فلما صلَّينا الفجر قُلت: يا أبا عبدالله! كانت لي ساعة من الليل أقومها وكنت أتيقظ لها فأجدك نائماً، قال: يا ابن أخي! فإيشٍ كنت تسمعني أقول؟ فأخبرته، فقال: يا ابن أخي تلك الصلاة، إن الصلواتِ الخمسَ كفارات لما بينهن ما اجتنبت المقتلة، يا ابن أخي عليك بالقصد فإنه أبلغ.

[٣] عن أبي وائل قال: ذهبت أنا وصاحبٌ لي إلى سلمان، فقال: لولا أن رسول الله ﷺ، نهانا عن التكلُّف، لتكلفتُ لكم. فجاءنا بخبز وملح. فقال صاحبي: لو كان في مِلحنا صَعتر. فبعث سلمان بِمِطْهَرَتِه، فرهنها فجاء بصعتر، فلما أكلنا، قال صاحبي: الحمد الله الذي قَنعَنا بما رزقنا، فقال سلمان: لو قنعت لم تكن مِطهرتي مرهونة.

[١]عن أنس قال: دخل سعد وابن مسعود على سلمان عند الموت، فبكى فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: عهد عَهِدَه إلينا رسولُ الله ﷺ، لم نحفظه. قال: «ليكن بلاغُ أَحدكم مِن الدُّنيا كزادِ الراكب». وأَما أَنت يا سعد فاتَّق الله في حكمك إذا حكمت، وفي قسمك إذا قسمت، وعند همك إذا هممت.

قال ثابت: فبلغني أَنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهماً نُفيقة كانت عنده.

[٢]عن سلمان، قال: فترة ما بين عيسى ومحمد ﷺ، ست مئة سنة.

[٣] مات سلمان في خلافة عثمان بالمدائن.

قال العباس بن يزيد البحراني: يقول أهل العلم: عاش سلمان ثلاث مئة وخمسين سنة، فأما مئتان وخمسون، فلا يشكون فيه.

ومجموع أَمره وأَحواله، وغزوه، وهمته، وتصرُّفه، وسفِّه للجريد، وأشياء مما تقدم يُنبىء بأنه ليس بمُعمَّر ولا هَرِم. فقد فارق وطنه وهو حدث، ولعله قدم الحجاز وله أربعون سنة أو أقل، فلم يَنشَب أن سمع بمبعث النبيِّ ﷺ، ثم هاجر، فلعله عاش بضعاً وسبعين سنة. وما أراه بلغ المئة. فمن كان عنده علم، فَليُفِدْنا.

وقد نقل طولَ عمره أَبو الفرج بن الجوزي وغيره. وما علمتُ في ذلك شيئاً يُركنُ إليه.

[٤] عن ثابت البناني قال: لما مرض سلمان، خرج سعد من الكوفة يعوده، فقدم، فوافقه وهو في الموت يبكي، فسلم وجلس، وقال ما يُبكيك يا أَخي؟ ألا تذكر صحبة رسول الله؟ ألا تذكرُ المشاهدَ الصالحة؟

قال: والله ما يُبكيني واحدة من اثنتين: ما أبكي حباً بالدنيا ولا كراهية للقاء الله. قال سعد: فما يُبكيك بعدَ ثمانين؟ قال يبكيني أن خليلي عهد إليَّ عهداً قال: «ليكن بلاغُ أَحدكم مِن الدنيا كزادِ الراكب» وإنا قد خشينا أَنا قد تعدينا.

رواه بعضُهم عن ثابت، فقال: عن أَبي عثمان، وإرساله أشبه قاله أبو حاتم،

وهذا يوضح لك أنه من أبناء الثمانين.

وقـد ذكرت في تاريخي الكبير أنه عاش مئتين وخمسين سنة، وأنا الساعة لا أرتضي ذلك ولا أصححه.

الجزء الثاني



بسم الله الرحمن الرحيم

٤٨ عُبادة بن الصَّامِت (ع)[1]

[١] ابنُ قيس،الإمامُ القدوةُ أبو الوليد الأنصاريُّ ، أحدُ النقباءِ ليلة العقبةِ، ومن أعيان البدريين سكن بيتَ المقدس .

شهد المشاهدَ كُلَّها مع رسول الله ﷺ .

[٢] **عن إسحاقَ بن قَبيصةَ بنِ ذُؤيب عن أبيه ، أن عُبادة أنكر على مُعاويةَ شيئاً ، فقال: لا أُساكِنُك بأرض ، فرحل إلى المدينة ، قال له عمر: ما أقدَمَك؟ فأخبره بفعل معاوية . فقال له: ارحلْ إلى مكانك ، فقبَّح الله أرضاً لست فيها وأمثالُك ، فلا إمرةَ له عليك .**

[٣] عن إسمـاعيل بنِ عُبيد بنِ رِفاعةَ عن أبيه : أن عُبادة بن الصامت مرت عليه قِطارةٌ[2] وهو بالشام ، تحمل الخمر، فقال: ماهذه؟أَزَيْتٌ؟ قيل : لا ، بل ، خمرٌ يُبَاعُ لفلان ، فأخذ شفرةً من السُّوق ، فقام إليها ، فلم يَذَرْ فيها راويةً إلَّا بَقَرَها ـ وأبو هُريرةَ إذ ذاك بالشام ـ فأرسل فلانٌ إلى أبي هريرة ، فقال: ألا تُمسك عنا أخاك عُبادةَ ، أَمَّا بالغَدَوَاتِ ، فيغدو إلى السوق يُفسِد على أهل الذمةِ متاجرهم ، وأمَّا بالعشيِّ ، فَيَقعد في المسجد ليس له عملٌ إلا شتم أعراضنا وعيبنا! .

قال: فأتاه أبو هريرةَ ، فقال: يا عُبادة ، مالك ولمعاويةَ؟ ذَرْهُ وما حُمِّل . فقال: لـم تكن مَعَنَا إذْ بايعْنا على السمع والطاعة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وألَّا يَأخُذَنا في الله لومةُ لائم . فسكت أبو هريرة ، وكتب فلانٌ إلى عثمان : إن عُبَادةَ قد أفسد عليَّ الشام .

---

(١) انظر السير: ٢/٥ـ١١

(٢) القِطارة والقطار، أن تشد الإبل على نسق، واحد خلف واحد.

[١] الوليدُ بن مُسلم ، حدثنا عثمانُ بن أبي العَاتِكَة : أن عُبادة بن الصامت مرَّ بقرية دُمَّر[١] ، فأمر غلامه أن يقطع له سِواكاً من صِفْصَافٍ على نهر بَرَدَى ، فمضى ليفعل . ثم قال له: ارجعْ ، فإنه إن لا يكن بثمن ، فإنه يَيْبَس ، فيعود حطباً بثمن .

[٢] مات بالرَّمْلة سنة أربع وثلاثين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة .

٤٩ عبدالله بن حذافة (س) [٢]

[٣] ابن قيس ، أبو حُذَافَة السَّهميُّ . أحدُ السَّابقين . هاجر إلى الحبشة ، ونفَّذه النبيُّ ﷺ رسولاً إلى كسرى .

[٤] خرج إلى الشام مجاهداً ، فأُسِرَ على قَيْسارية ، وحملوه إلى طاغيتهم ، فراوده عن دِينه ، فلم يُفْتَتَن .

[٥] عن أبي سلمة: أن عبدالله بن حُذَافَة قام يصلي ، فجهر ، فقال النبي ﷺ : «ياابن حُذَافَة ، لا تُسَمِّعْني وسمِّع الله» .

[٦] عن عُمَر بن الحَكَم بن ثَوْبَان ، أن أبا سعيد قال: بعث رسول الله ﷺ سَرِيَّةً ، عليهم عَلْقَمَةُ بن مُجَزِّز ، وأنا فيهم ، فخرجْنا ، حتى إذا كُنَّا ببعض الطريق ، استأذنه طائفةٌ فأذن لهم ، وأمَّر عليهم عبد الله بن حُذَافَة ، وكان من أهل بدر ، وكانت فيه دُعَابةٌ فبينا نحن في الطريق ، فأوقدَ القومُ ناراً يَصْطَلُون بها ، ويصنعونَ عليها صنيعاً لهم ، إذ قال: أليس لي عليكم السمعُ والطاعة؟ قالوا بلى . قال: فإني أعــزم عليكم بحقي وطــاعتي إلا تواثبتُم في هذه النــار ، فقــام ناس ، فتحجزوا[٣] ، حتى إذا ظنَّ أنهم واقعونَ فيها قال: أمسكوا ، إنما كُنْتُ أضحكُ معكم . فلما قدموا على رسول الله ﷺ ، ذكروا له ذلك فقال: (من أَمَرَكُمْ بِمَعْصَيةٍ فلا تُطِيْعُوه) .

---

(١) قرية من غوطة دمشق الغربية تبعد عنها ستة أميال .

(٢) انظر السير: ٢/١١-١٦

(٣) أي شدوا أوساطهم فِعْلَ من يتهيأ .

[١]عن أبي رَافـع ، قال: وجّه عُمرُ جيشا إلى الروم ، فأسروا عبدالله بن حُذَافَة ، فذهبوا به إلى ملكهم ، فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد . فقال: هل لك أن تَتَنَصَّر وأعطيَكَ نصفَ ملكي؟ قال: لو أعطيتني جميع ما تَملكُ ، وجميع ملك العـرب ، ما رجعت عن دين محمـد طرفةَ عينٍ ، قال: إذاً أقتلَك . قال: أنت وذاك . فأمر به فصُلِبَ . وقال للرُّمَاة: ارمُوهُ قريباً من بدَنِهِ ، وهو يَعْرِضُ عليه ، ويأبى ، فأنـزله . ودعا بِقدْر ، فصب فيها ماء حتى احترقت ، ودعا بأسيرَيْن من المسلمين ، فأمر بأحدهما ، فأُلقي فيها ، وهويَعْرِضُ عليه النصرانية ، وهو يأبى . ثم بكى . فقيل للملك : إنَّهُ بكى ، فظنَّ أنَّه قد جزع ، فقال: رُدُّوه . ما أبكاك؟ قال: قلت: هي نفس واحدةٌ تُلقى الساعةَ فَتَذهبُ ، فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفسٌ تُلقى في النار في الله .

فقال له الطاغية: هل لك أن تُقبِّل رأسي وأخلِّي عنك؟

فقال له عبدالله: وعن جميع الأُسارى؟ قال: نعم . فقبَّلَ رأسَه .

وقَدِم بالأُسارى على عُمر ، فأخبرَه خبره . فقال عمر: حقٌّ على كل مسلم أن يقبّل رأسَ ابن حُذَافَةَ ، وأنا أبدأ ، فَقبَّل رأسَه .

ولعلَّ هذا الملك قد أسلم سرًّاً ، ويدل على ذلك مبالغتُه في إكرام ابن حُذَافَة .

وكذا القول في هرقل إذ عَرَضَ على قومه الدخولَ في الدين ، فلما خافَهم قال: إنما كنت أختبرُ شِدَّتكُم في دينكم .

فمن أسلم في باطنه هكذا ، فيرجى له الخلاص من خُلود النَّار ، إذْ قد حصَّل في باطنه إيماناً ما ، وإنما يُخاف أن يكون قد خضَعَ للإسلام وللرسول ، واعتقد أنَّهما حق ، مع كون أنه على دين صحيح ، فتراه يُعَظِّمُ للدينين ، كما قد فعله كثيرٌ من المسلمانية الدواوين ، فهذا لا ينفعُه الإسلامُ حتى يتبرَّأ من الشرك .

مات ابن حُذَافَة في خِلافةِ عثمان رضي الله عنهم .

٥٠ صهيب بن سنان (ع)[1]

[١] أبو يحيى النَّمِريُّ . من النَّمِر بنِ قاسط . ويُعرف بالرُّومي ، لأنه أقام في الروم مدة . وهو من أهل الجزيرة ، سُبي من قرية نِيْنَوىٰ ، من أعمال الموصل ، وقد كان أبوه أو عمُّه ، عاملاً لكسرى . ثم إنه جُلِبَ إلى مكةَ ، فاشتراه عبدُ الله بن جُدْعَان القُرشيُّ التَّيميُّ .

[٢] كان من كبار السابقين البدريين وكان فاضلاً وافر الحرمة ، ولما طُعِن عُمر استنابه على الصلاة بالمسلمين إلى أن يَتَّفِقَ أهلُ الشُّورى على إمام وكان موصوفا بالكرم ، والسماحةِ ، رضي الله عنه .

[٣] وكان ممن اعتزل الفتنة ، وأقبلَ على شأنه . رضي الله عنه .

[٤] وعن الحسن: قال رسول الله ﷺ: «صُهَيْبٌ سَابِقُ الرُّوْمِ» وجاء هذا بإسناد جيد من حديث أبي أمامة وجاء من حديث أنس ، وأم هانئ .

[٥] عن أبي عُثمان: أن صُهَيْباً حين أراد الهجرة ، قال له أهل مكة: أتيتنا صُعْلُوكاً حقيراً فتغيَّر حالُك! قال: أرأيتم إن تركتُ مالي ، أمُخَلُّونَ أنتم سبيلي؟ قالوا: نعم . فخلع لهم مَاله . فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: «رَبِحَ صُهَيْب! رَبِحَ صُهَيْب» .

[٦] عن صُهَيْب ، قال: قدمت على رسول الله ﷺ قُباء ، وقد رَمِدتُ في الطريق وجُعتُ ، وبين يديه رُطَبٌ ، فوقعتُ فيه . فقال عمر: يا رسولَ الله: ألا ترى صُهَيْباً يأكلُ الرطب وهو أرمد؟ فقال النبي ﷺ لي ذلك . قلتُ: إنما آكلُ على شِق عيني الصحيحة . فتبسم .

شهد بدراً

[٧] عن عَائذ بن عمرو أنَّ سلمان ، وصهيباً ، وبلالاً ، كانوا قعوداً ، فمر بهم أبو سفيان ، فقالوا: ما أخذتْ سيوفُ الله من عنق عدو الله مأْخذَها بعد . فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قُرَيش وسيدِها ؟ قال: فأُخبرَ بذلك النبيُّ ﷺ . فقال «يا أبا بكر ، لعلك أغضبتَهم ، لئن كنت أغضبتَهم ، لقد أغضبْتَ ربَّك» . فرجع

---

(١) انظر السير: ٢/١٧-٢٦ .

إليهم ، فقال: أي إخواننا ، لعلكم غضبتُم؟ قالوا: لا يا أبا بكر: يغفرُ الله لك
[١] مات صهيب بالمدينة سنة ثمان وثلاثين عن سبعين سنة .

٥١ أبو طلحة الأنصاري (ع)[(١)]

[٢] صاحبُ رسول الله ﷺ ، ومن بني أخواله ، وأحَدُ أعيان البدريين ، وأحد النُّقباء الاثني عشر ليلةَ العقبة .

واسمه : زَيْدُ بن سَهل بن الأسود .

وكان قد سَرد الصوم بعد النبي ﷺ .

[٣] وهو الذي كان لا يرى بابتلاعِ البَرَدِ للصائم بأسا . ويقول: ليس بطعامٍ ولا شراب[(٢)] .

[٤] وهو الذي قال فيه الرسول ﷺ : «صَوْتُ أبي طَلْحَةَ في الجَيْشِ خَيْرٌ من فِئة» . ومناقبه كثيرة .

[٥] عن ثابت، عن أنس ، قال: خطب أبو طَلْحَة أم سُلَيم؟ فقالت: أما إني فيك لراغبة ، وما مثلُك يُرَد ، ولكنك كافر ، فإن تسلم فذلك مهري ، لا أسألك غيره . فأسلم ، وتزوجها .

قال ثابت: فما سمعنا بمهر كان قط أكرمَ من مهر أم سُلَيم : الإسلام .

[٦] مات ابنُه منها ، وكتمته ، وتصنّعت له حتى أصابها ، ثم أخبرته وقالت. إنَّ الله كان أعارك عاريةً فقبضَها ، فاحتسب ابنك .

[٧] عن أنس قال: لما كان يومُ أحدٍ ، انهزم ناسٌ عن رسول الله ، وأبو طلحة بين يديه ، مُجوِّباً عليه بحَجَفَه ، وكان رامياً شديد النزع ، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة . وكان الرجل يمر معه الجُعبةُ من النَّبل ، فيقول ﷺ «انْثُرْهَا لأبي طَلْحة» . ثم يشرف

---

(١) انظر السير: ٢/ ٢٧-٣٤.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٢٧٩ من طريق عبدالله بن معاذ، حدثنا أبي ، عن شعبة، عن قتادة وحميد، عن انس قال: مطرنا برداً، وأبو طلحة صائم، فجعل يأكل منه، قيل له : أتأكل وأنت صائم! فقال : إنما هذه بركة.

هذا إسناد صحيح ، وهذا اجتهاد من أبي طلحة. والجمهور على خلافه فقد قال البزار عقب إخراجه للحديث برقم (١٠٢٢) لا نعلم هذا الفعل إلا عن أبي طلحة.

إلى القـوم ، فيقول أبو طلحة : يا نبي الله ، بأبي أنت ، لا تُشْرِفْ ، لا يُصِيبُكَ سهم ، نحري دون نحرك .

قال : فلقـد رأيت عائشـة وأم سُلَيم وإنهما لمشمِّرات ، أرى خَدَم سوقهما ، تنقُزان ، القِرَبُ على مُتونهما ، وتُفرغانِها في أفواه القوم ، وتَرجعان ، فمتلآنها . فلقد وقع السيفُ من يد أبي طلحة مرَّتين أو ثلاثاً من النُّعاس(١) .

[١]عن أنس : أن رسول الله ﷺ ، قال يوم حنين : «مَنْ قَتَل قَتِيلاً فَلَه سَلَبُهُ» فقَتَل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً ، وأخذ أسلابَهم .

[٢]قال أنس : كان أبو طلحة أكثرَ أنصاريٍّ بالمدينة مالاً مِنْ نخل ، فقال : يا رسول الله ، إن أحبَّ أموالي إليَّ بَيْرُحَاء ، وإنها صدقةٌ لله ، أرجو بِرَّها وذُخْرها ، فضعْها يا رسول الله حيثُ أراكَ الله ، فقال : «بَخٍ ! ذلكَ مَالٌ رَابحٌ ، وإنِّي أرَىٰ أن تَجْعَلَها في الأَقْرَبين» .

[٣]عن أنس : أنَّ أبا طَلْحة قرأ ﴿انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً﴾ [التوبة ٤١] فقال : استنفرنا الله ، وأمرنا شيوخنا وشبابنا ، جهزوني . فقال بنوه : يرحمُك الله ! إنك قد غزوت على عهد رسول الله ﷺ ، وأبي بكر ، وعمر ، ونحن نغزو عنك الآن . قال : فغزا البحر ، فمات ، فلم يجدوا له جزيرةً يدفِنُونَه فيها ، إلَّا بعد سبعة أيام ، فلم يتغير .

[٤]مات سنة أربع وثلاثين .

[٥]قال لنا الحافظ أبو محمد : حلق النبي ﷺ شِقَّ رأسِه فوزَّعه على الناس ، ثم حلق شِقَّه الآخر ، فأعطاه أبا طلحة .

٥٢ الأشعث بن قيس (ع)(٢)

[٦] ابن مَعْدي كَرِب

(١) الحَجَفَة : التُّرس . ومُجَوِّبا ، أي مترّسا عليه . وخَدَم سوقهما ، هي الخلاخيل ، جمع خَدَمة . تنقُزان : تثبان ، والنقز : الوثب والقفز كناية عن سرعة السير ، وجملة (القرب على متونهما) في موضع نصب على الحال .

(٢) انظر السير : ٢ / ٣٧-٤٣ .

وكان اسم الأشعث: مَعْدي كَرِب . وكان أبداً أشعثَ الرأس ، فغلب عليه .

[١] وأصيبت عينُه يومَ اليرموك . وكان أكبَر أُمراء عليٍّ يوم صِفِّين .

[٢]عن أبي وائـل ، قال لنـا الأشعث: فيَّ نزلت: ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ الله وأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قليلاً﴾ [آل عمران ٧٧] . خاصمتُ رجلاً إلىٰ رسول الله ﷺ . فقال: ألك بيِّنة؟ قلت: لا . قال: فيحلِف؟ قلت: إذاً يحلِفُ . فقال: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمينٍ فَاجِرةَ لِيَقْتَطِعَ بهَا مَالاً ، لَقِيَ الله وهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ» .

[٣] قال ابن الكلبي: وفـد الأشعثُ في سبعين من كِنـدة على النبي ﷺ . وعن إبراهيم النَّخعي ، قال: ارتد الأشعثُ في ناس من كِندة ، فحُوصر ، وأُخِذَ بالأمان فأخَذَ الأمان لسبعين ، ولم يأخذ لنفسه ، فأتى به الصِّدِّيق ، فقال: إنا قاتلوك ، لا أمان لك ، فقال: تَمُنّ عليَّ وأُسلم؟ قال: ففعل . وزوَّجه أخته .

[٤]عن قيس: قال: لما قُدِمَ بالأشعث بن قيس أسيراً علىٰ أبي بكر. اطلق وَثاقه ، وزوَّجه أُختَه ، فاخترط سيفَه ، ودخل سوق الإبل ، فجعل لا يرى ناقةً ولا جملاً إلا عرْقَبهُ . وصاح الناسُ: كفَر الأشعث! ثم طرح سيفه ، وقال والله ما كفرتُ ، ولكن هذا الـرجل زوَّجني أُختَه ، ولو كنا في بلادنا لكانت لنا وليمةٌ غيرُ هذه ، يا أهل المدينة ، انحَروا وكلوا! ويا أهل الإبل ، تعالوا خُذُوا شَرْواها(١) .

[٥] عن حَيان أبي سعيد التيمي ، قال: حذَّر الأشعثُ من الفتن . فقيل له: خرجتَ مع عليٍّ! فقال : ومن لك امامٌ مثلُ عليٍّ .

[٦] توفي سنة أربعين .

[٧] قلت: وكان ابنُهُ محمدُ بن الأشعث بعده من كبار الأُمراء وأشرافهم ، وهو والد الأمير عبـدالـرحمن بن محمـد بنْ الأشعث الذي خرج معه الناس ، وعَمل مع الحجاج تلك الحروبَ المشهورةَ التي لم يُسْمع بمثلها . ثم في الآخِر خُذِل ابن الأشعث وانهزم ، ثم ظفروا به وهَلَكَ .

(١) قوله خذوا شرواها ، أي : مثلها .

٥٣ حاطب بن أبي بلتعة(١)

[١] **من مشاهير المهاجرين ، شهد بدراً والمشاهد .**

وكان رسولَ النبي ﷺ إلى المُقَوْقِس ، صاحب مِصر .

وكان تاجراً في الطعام ، له عبيد ، وكان من الرماة الموصوفين .

[٢] عن جابر ، أن عبداً لحاطب شكا حاطباً فقال: يا نبيَّ الله ليدخُلَنَّ النار! قال: كذبت ، لا يدخُلُها أبداً وقد شهد بدراً والحُديْبية . صحيح .

[٣] عن عبدالرحمن بن حاطب: أن أباه كتب إلىٰ كُفَّار قُريش كتاباً . فدعا رسولُ الله ﷺ عليّاً والزبير ، فقال: «انطلقا حتىٰ تُدْركا امرأةً معها كتابٌ فأتياني به» . فلَقِياها ، وطَلَبا الكتابَ ، وأخبراها أنهما غيرُ منْصرفين حتىٰ ينزعا كلَّ ثوب عليها . قالت: ألستما مسلمَيْن؟ قالا: بلىٰ ، ولكنَّ رسولَ الله حدثنا أنَّ معكِ كتاباً ، فَحلَّته من رأسها . قال: فدعا رسولُ الله ﷺ حاطباً حتى قُرِئ عليه الكتاب ، فاعترف فقال: «ما حَمَلَكَ»؟ قال: كان بمكة قَرابتي وولَدي ، وكنتُ غريباً فيكم معشر قريش . فقال عُمر: ائذنْ لي يا رسولَ الله في قتله . قال: «لا ، إنَّه قَد شَهدَ بَدْراً ، وإنَّك لا تدري ، لعلَّ الله قد اطَّلَعَ علىٰ أهلِ بَدْرٍ فقال: اعمَلُوا ما شِئْتُم ، فإنِّي غَافِرٌ لَكُم» .

إسناده صالح . وأصله في الصحيحين .

[٤] وقد أتىٰ بعضُ مواليه إلى عمرَ بنِ الخطاب يشكون منه من أجل النفقة عليهم ، فلامه في ذلك .

[٥] مات حاطب سنةَ ثلاثين .

٥٤ أبو ذر (ع)(٢)

[٦] **جُنْدُب بن جُنادة الغِفاري .**

قلت: أحدُ السابقين الأولين ، من نُجَباء أصحاب محمد ﷺ .

(١) انظر السير: ٢/٤٣-٤٥ . (٢) انظر السير: ٢/٤٦-٧٨ .

[١] قيل: كان خامسَ خمسة في الإسلام، ثم إنه رُدَّ إلى بلاد قومه، فأقام بها بأمر النبي ﷺ له بذلك، فلما هاجر النبيُّ ﷺ، هاجر إليه أبو ذر رضي الله عنه، ولازمه، وجاهد معه.

[٢] وكان يُفتي في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان.

[٣] وكان رأساً في الزهد، والصدق، والعلِم والعمل، قَوالاً بالحق، لا تأخذُه في الله لومةُ لائم، على حِدَّة فيه.

[٤] وقد شهد فتحَ بيت المقدس مع عُمر.

[٥] عن عبدالله بن الصامت، قال: قال أبو ذر: خرجْنا مع قومنا غِفار، وكانوا يُحلُّون الشهرَ الحرام، فخرجتُ أنا وأخي أُنيْس وأُمُّنا، فنزلنا على خالٍ لنا، فأكرَمنا وأحسن. فحسدَنا قومُه، فقالوا: إنَّك إذا خرجتَ عن أهلك يُخالِفُك إليهم أُنيس، فجاء خالُنا، فذكر لنا ما قيل له: فقلتُ: أمَّا ما مضى من معروفك، فقد كدَّرْتَه، ولا جماع لك فيما بعد. فقدَّمنا صِرمَتَنا[1] فاحتملنا عليها، وجعل خالُنا يبكي، فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكّة، فنافر[2] أُنيس عن صِرمتنا وعن مثلها، فأتيا الكاهن فخيَّر أُنيساً، فأتانا أنيس بصرمتنا ومثلها معها.

قال: وقد صليتُ يا ابن أخي قبل أن أَلقىٰ رسول الله ﷺ بثلاث سنين قلتُ: لمن؟ قال لله. قلت: أين تَوجَّه؟ قال: حيث وجَّهني الله، أُصلي عِشاءً حتى إذا كان من آخر الليل أُلقيت كأني خِفاء[3] حتى تعلوني الشمس.

فقال أُنيْس: إنَّ لي حاجةً بمكة، فاكفني. فانطلق أُنيْس حتى أتى مكة فراث عليَّ[4] ثم جاء. فقلتُ: ما صنعتَ؟ قال: لقيتُ رجلاً بمكة على دينك يزعمُ أنه مُرْسل. قلتُ: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر. قال:

---

(١) في صحيح مسلم، فقربنا صرمتنا، والصرمة: القطعة من الإبل.

(٢) نافر: حاكم: يقال: نافرت الرجل منافرة إذا قاضيته، والمنافرة، المحاكمة تكون في تفضيل أحد الشيئين على الآخر.

(٣) الخِفاء: كساء يطرح على السقاء.

(٤) يقال: راث فلان علينا إذا أبطأ.

وكان أُنيس أحدَ الشُّعراء : فقال: لقد سمعتُ قول الكهنة ، وما هو بقولهم ، ولقد وضعتُ قوله على أقوال الشعراء ، فما يَلتئمُ على لسان أحد أنه شعر ، والله إنه لصادق ، وإنهم لكاذبون! قلتُ: فاكفني حتى أذهبَ فأَنظُر .

فأتيتُ مكة ، فتضعَّفت (١) رجلاً منهم ، فقلتُ: من هذا الذي تدعونه الصابئ؟ فأشـار إليَّ فقال: الصابِئ . قال: فمال عليَّ أهلُ الوادي بكُل مَدَرة ، وعَظْم ، حتى خَررتُ مَغْشياً عليَّ . فارتفعتُ حين ارتفعتُ كأني نُصُبٌ أحمر(٢) ، فأتيتُ زمزم ، فغسلتُ عني الدِّماءَ ، وشربتُ من مائها .

ولقد لبثتُ ـ يا ابن أخي ـ ثلاثين ، بين ليلة ويوم ، مالي طعامٌ إلا ماء زمزم ، فسمنتُ حتى تَكسرتْ عُكَني ، وما وجدتُ على كبدي سَخْفَةَ(٣) جوع .

فبينا أهلُ مكة في ليلة قمراء إضحِيَان (٤) ، جاءت امرأتان تطوفان ، وتدعوان إسافاً ونائلة(٥) ، فأتتا عليَّ في طوافهما . فقلتُ: أنكحا أحدَهما الآخر. فما تناهتا عن قولهما ، فأتتا عليَّ . فقلتُ: هَنٌ(٦) مثلُ الخشبة ، غيرَ أني لا أَكْني . فانطلقتا تُولولان ، تقولان: لو كان ها هنا أحدٌ من أنفارنا! فاستقبلهما رسولُ الله ، وأبو بكر ، وهُما هابطتان ، فقال: ما لكما؟ قالتا: الصابِئ بين الكعبة وأستارها . قال: فما قال لكما؟ قالتا: إنه قال كلمة تملأ الفم .

قال: وجاء رسولُ الله حتى استلم الحَجَر ، ثم طافَ بالبيت ، هو وصاحبُه ، ثم صلَّى . وكنتُ أولَ من حَيَّاه بتحية الاسلام . قال: عليكَ ورحمةُ الله! من أين أنت؟ قلتُ: من غِفار. فأهوىٰ بيده ، ووضع أصابعَه على جبهته .

فقلتُ في نفسي: كره أني انتميتُ إلى غفـار. فذهبتُ آخـذُ بيده: فدفعني

---

(١) أي نظرت إلى أضعفهم.

(٢) النصب: الحجر أو الصنم الـذي كانـوا ينصبونه في الجاهلية ويذبحون عليه، فيحمر من كثرة دم القربان والذبائح، أراد أنهم ضربوه حتى أدموه.

(٣) سخفة الجوع: رقته وهزاله.

(٤) يقال: ليلة إضحيان وإضحيانة أي: مضيئة لا غيم فيها. فقمرها ظاهر يضيئها.

(٥) إساف ونائلة: صنمان تزعم العرب أنهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا.

(٦) عنى به الذكر، وقوله: لا أكني، أراد أنه أفصح باسمه ولم يكْن عنه.

صاحبه ، وكان أعلمَ به مني . قال : ثم رفع رأسَهُ ، فقال : متى كنتَ ها هنا؟ قلتُ : منذ ثلاثين من بين ليلة ويوم . قال : فمن كان يُطعِمُك؟ قلتُ : ما كان لي طعامٌ إلاَّ ماء زمزم فَسَمِنْتُ ، وما أجد على بطني سَخْفَةَ جُوع . قال : «إنَّها مُبارَكَة إنَّها طَعَامُ طُعْم» .

فقال أبو بكر : يا رسول الله ، ائذنْ لي في طعامه الليلة ، فانطلقنا ، ففتح أبو بكر باباً ، فجعل يقبضُ لنا من زبيب الطائف . فكان أولَ طعام أكلتُه بها .

وأتيتُ رسولَ الله ﷺ . فقال : «إنه قد وُجِّهت لي أرضٌ ذاتُ نخل ، لا أُراها إلا يثرب ، فهل أنت مُبَلِّغٌ عني قومَك ، لعلَّ الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم؟ قال : فانطلقتُ ، فلقيتُ أُنيساً ، فقال : ما صنعتَ؟ قلتُ : صنعتُ أنِّي أسلمتُ وصدَّقتُ . قال : ما بي رغبةٌ عن دينك ، فإني قد أسلمتُ وصدَّقتُ . فأسلمتْ أُمُّنا ، فاحتملنا حتى أتينا قومَنا غِفار ، فأسلم نصفُهم ، وكان يؤمُّهم إيماءُ بن رَحَضةَ ، وكان سَيِّدَهم . وقال نصفُهم : إذا قَدم رسول الله المدينة أسلمنا . فقدم رسولُ الله ﷺ المدينة ، فأسلم نصفُهم الباقي .

وجاءَت أَسلم فقالوا : يا رسول الله ، إخواننا ، نُسْلِمُ علىٰ الذي أسلموا عليه فأسلموا فقال رسولُ الله ﷺ : «غِفارُ غَفَرَ الله لها! وَأَسْلَمَ سَالَمَها الله» .

[١] قال الواقدي : كان حاملَ رايةِ غِفار يومَ حُنين أبو ذر .

[٢] وكان يقولُ : أبطأتُ في غزوة تبوك ، من عَجَف[1] بعيري .

[٣] عن أبي سيرين : سألتُ ابنَ أختٍ لأبي ذر : ما تَرك أبو ذر؟ قال : ترك أتانين ، وحماراً ، وأعنزاً ، وركائب .

[٤] عن أبي حرب بن الأسود : سمعتُ عبدالله بن عمرو : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «ما أَقلَّت الغَبراءُ ، ولا أَظلَّت الخَضراءُ مِن رجلٍ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِن أبي ذَرٍ» .

عن أبي اليمان ، وأبي المُثَنَّىٰ ، أن أبا ذر قال : بَايعني رسولُ الله ﷺ خَمساً ، ووَاثقني سبعاً ، وأشهَدَ الله عليَّ سبعاً : ألاَّ أَخافَ في الله لومةَ لائم .

---

(١) العجف : الهزال .

[١]عن أبي ذر قال: أوصـاني خَليلي ﷺ بسبـع « أمرني بحُبِّ المساكين والدُّنوِّ منهم، وأمرني أن أنظرَ إلىٰ مَن هُوَ دوني وأَن لا أسأل أحداً شيئاً، وأَن أَصِلَ الرَّحمَ وإِن أَدبَرتْ، وأن أَقولَ الحقَّ وإن كان مُرّاً، وألاَّ أخافَ في الله لومةَ لائمٍ، وأن أُكثِرَ مِن قولِ: لا حولَ ولا قول إلا بالله، فانهنَّ من كنزٍ تحتَ العرش».

[٢]عن زيد بن خالد الجهني، قال: كنتُ عند عثمان، إذ جاءه أبو ذَر، فلما رآه عثمانُ قال: مرحباً وأهلاً بأخي. فقال أبو ذر: مرحباً وأهلاً بأخي، لقد أغلظتَ علينا في العزيمة، والله لو عزمتَ عليَّ أن أحبوَ لحبوتُ ما استطعتُ. إني خرجتُ مع النبي ﷺ نحو حائط بني فلان، فقال لي: «ويحك بعدي»! فبكيتُ، فقلت: يا رسولَ الله، وإني لباق بعدك؟ قال: «نعم، فإذا رأيتَ البِنَاءَ علىٰ سَلْعٍ، فالحَقْ بالمغرِبِ، أرضِ قُضَاعة».

قال عثمانُ: أحببتُ أن أجعَلَكَ مع أصحابك وخِفْتُ عليك جُهَّال الناس.

[٣]قال المعرُورُ بن سُويد: نزلنا الرَّبَذَة، فإذا برجل عليه بُرْدٌ، وعلى غلامه مثلُه، فقلنا: لو عملتَهما حُلّةً لك، واشتريتَ لغلامك غيرَه! فقال: سأحدثُكم: كان بيني وبين صاحب لي كلام، وكانت أُمُّه أعجمية، فنِلتُ منها، فقال لي رسولُ الله ﷺ «سابَبْتَ فُلاناً»؟ قلت: نعم. قال: «ذكرتَ أُمَّهُ» قلتُ: مَن سابَّ الرجال ذُكر أبوه وأمه. فقال: «إنَّك امروءٌ فيه جاهلية». ـ وذكر الحديث ـ إلى أن قال: «إخوانُكم، جعلهم الله تَحْتَ أيديكُم، فَمَن كان أخوه تحتَ يَدِهِ فَلْيُطعِمْهُ من طَعَامه، وليُلْبِسْه من لِبَاسِه، ولا يُكَلِّفْهُ ما يَغلبُه».

[٤]عن ابن بُريدة، قال: لما قدم أبو موسى لقي أبا ذر، فجعل أبو مُوسى يُكرمُه ـ وكان أبو موسى قصيراً خفيفَ اللحم. وكان أبو ذر رجلاً أسودَ كثَّ الشعر ـ فيقول أبو ذَر: إليكَ عَنِّي! ويقول أبو موسى: مرحباً بأخي! فيقول: لستُ بأخيك! إنما كنتُ أخاكَ قبل أن تَلِي.

مات سنة اثنتين وثلاثين.

[١] وقد قال النبيُّ ﷺ لأبي ذر ـ مع قُوة أبي ذَرٍّ وشجاعته ـ «يا أبا ذَر، إني أَرَاكَ ضَعِيفاً، وإني أُحِبُّ لكَ ما أُحِبُّ لنفسي، لا تَأَمَّرَنَّ على اثنين، ولا تَوَلَّيَنَّ مالَ يَتيم» .

فهذا محمول على ضعف الرأي، فإنه لو وَلي مالَ يتيم، لأنفقه كلَّه في سبيل الخير، ولترك اليتيمَ فقيراً. فقد كان لا يستجيزُ ادِّخارَ النقدين. والذي يتأَمَّرُ على الناس، يُريدُ أن يكون فيه حلمٌ ومُداراةٌ، وأبو ذرٍّ رضي الله عنه كانت فيه حِدَّةٌ ـ كما ذكرناه ـ فنصَحه النبيُّ ﷺ .

[٢] عن أبي عثمان النهديِّ، قال: رأيت أبا ذَرٍّ يَميدُ على راحلته، وهو مُستقبلٌ مَطلع الشمس، فظننتُه نائماً، فدنوتُ وقلت: أنائمٌ أنت يا أبا ذر؟ قال: لا، بل كنتُ أُصلي.

٥٥ العباس (ع)[١]

[٣] عم رسول الله ﷺ .

قيل: إنه أسلم قبل الهجرة، وكتم إسلامه، وخرج مع قومه إلى بَدر، فأُسر يومئذ، فادَّعىٰ أنه مُسلم. فالله أعلم.

وليس هو في عداد الطُّلقاء، فإنه قد قدَم إلى النبيِّ ﷺ قبل الفتح، ألَا تراه أجارَ أبا سفيان بنَ حَرب.

[٤] قدمَ الشام مع عُمر.

وُلد قبل عام الفيل بثلاث سنين.

[٥] **قلت**: كان من أطول الرِّجَال، وأَحسنِهم صورةً، وأبهاهم، وأَجهرِهم صوتاً، مع الحِلم الوافر، والسؤْدد.

[٦] عن أبي رَزِيْن، قال: قيل للعباس: أنت أكبرُ أو النبيُّ ﷺ؟ قال: هو أكبر وأنا وُلدتُ قبله.

---

(١) انظر السير: ٢/ ٧٨ ـ ١٠٣ .

[١] قال الـزبير بنُ بكار: كان للعباس ثوبٌ لعاري بني هاشم، وجَفنةٌ لجائعهم، ومَنظرة(١) لجاهلهم.

وكان يمنع الجار، ويبذُل المال، ويُعطي في النوائب.

ونديمه في الجاهلية هو أبو سُفيان بن حرب.

[٢] عن البراء، أو غيره، قال: جاء رجلٌ من الأنصار بالعباس، قد أَسَره، فقال: ليس هذا أسرني، فقال النبيُّ ﷺ: «لقد آزرَكَ الله بمَلَك كَريم».

[٣] وبنـوه الفضلُ ـ وهو أكبرهم ـ وعبدُالله البحر، وعُبيد الله، وقُثَمُ ـ ولم يُعقِب ـ وعبـدُالرحمن ـ توفي بالشام ولم يُعقِب ـ ومعبد ـ استشهد بافريقية ـ وأم حَبيب.

وأمهم: أمُّ الفضل لُبابة الهلالية، وفيها يقولُ ابن يزيد الهلالي:

مَا وَلَدَتْ نَجيبَةٌ من فَحْل ... بجَبَلٍ نَعْلَمُهُ أو سَهْلِ

كَستَّة مِنْ بَطْنِ أُمِّ الفَضْلِ ... أَكْرِمْ بها من كَهْلَة وكهْلِ

ومن أولاد العباس: كَثير ـ وكان فقيهاً ـ وتَمَّام ـ وكان من أشدِّ قريش ـ وأميمة، وأُمُّهم أُمُّ ولد. والحارثُ بنُ العباس، وأمه حُجيلة بنت جندَب التميمية.

فعدَّتُهم عَشرة.

[٤] عن المطلب بن ربيعة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما بالُ رِجَالٍ يُؤْذُونني في العباس، وإنَّ عَمَّ الرجُل صِنْوُ(٢) أبيه، مَن آذىٰ العبَّاس فَقَد آذاني».

[٥] وثبت أن العباس كان يوم حُنين، وقتَ الهزيمة، آخذاً بلجام بغلة النبي ﷺ، وثبتَ معه حتى نزل النصر.

[٦] عن ابن عباس، أن رجلاً من الأنصار وقع في أبٍ للعباسِ كان في الجاهلية، فلَطَمه العباسُ، فجاء قومُه، فقالوا: والله لنلطِمَنَّه كما لَطمه، فلبسُوا السلاح.

فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فصَعد المنبر، فقال: «أيُّها الناسُ، أَيُّ أهلِ الأرضَ أكرَمُ على الله»؟ قالوا: أنت. قال: «فإنَّ العباسَ منِّي وأَنا مِنْه، لا تَسُبُّوا أمواتَنا فتُؤْذُوا أحياءَنا».

---

(١) المنظرة: المرقبة.

(٢) الصِّنْو: المثل، يقال لكل نخلتين طلعتا في منبت واحد، هما صِنوان.

فجاء القومُ فقالوا: نعوذ بالله من غضبك يا رسول الله.

[١]وثبت من حديث أنس: أنَّ عُمر استسقىٰ فقال: اللهم إنَّا كنَّا إذا قَحَطنا على عهد نبيك تَوسَّلنا به، وإنا نَستسقي إليك بعمِّ نبيك العباس.

وفي ذلك يقول عباسُ بن عُقبةَ بن أبي لهب:

بعمِّي سَقَىٰ الله الحجازَ وأَهْلَه عَشِيَّةَ يَسْتَسقي بِشَيْبَته عُمَرْ

تَوجَّه بالعباس في الجَدْبِ رَاغباً إليهِ فَمَا إنْ رَامَ حتىٰ أتىٰ المَطَرْ

ومِنَّا رسُولُ الله فينا تُراثُه فَهَلْ فَوْقَ هذا لِلمَفاخِرِ مُفْتَخَرْ

[٢] قال الضَّحاك بن عثمان الحِزامي: كان يكونُ للعباس الحاجةُ إلى غِلمانه وهم بالغابة، فيقفُ على سَلْعٍ، وذلك في آخر الليل، فيُناديهم فَيُسمِعُهُم، والغابةُ نحو من تسعة أميال.

[٣] قلت كان تامَّ الشكل، جَهوريَّ الصوت جداً، وهو الذي أمره النبيُّ ﷺ أن يَهتِفَ يوم حُنين: يا أصحابَ الشجرة.

قلت: لم يزل العباسُ مُشفِقاً على النبي ﷺ مُحبَّاً له، صابراً على الأذىٰ، ولما يُسْلِمْ بعد، بحيث أنه ليلةَ العقبة عرف، وقام مع ابن أخيه في الليل، وتوثَّق له من السبعين، ثم خرجَ إلى بدر مع قومه مُكرهاً، فأُسر، فأبدىٰ لهم أنه كان أَسلم ثم رجع إلى مكة. فما أَدري لماذا أقام بها.

ثم لا ذِكْرَ له يومَ أُحد، ولا يومَ الخندق، ولا خَرج مع أبي سفيان، ولا قالت له قريش في ذلك شيئاً، فيما علمت.

ثم جاء إلى النبي ﷺ مُهاجراً قبيل فتح مكة.

[٤] وورد أن عمر عَمَد إلى ميزابٍ للعباس على ممر الناس، فقلعه. فقال له: أشهد أنَّ رسول الله ﷺ هو الذي وَضعه في مكانه. فأقسم عُمرُ: لتصعدَنَّ على ظهري. ولتضعَنَّه موضعه.

وقد عاش ثمانياً وثمانين سنةً. وماتَ سنة اثنتين وثلاثين، فصلىٰ عليه عثمان ودُفن بالبقيع.

[١] وقد اعتنى الحفّاظُ بجمع فضائل العباس رِعايةً للخلفاء.

وقد صار الملكُ في ذُرِّية العباس، واستمرَّ ذلك، وتداوله تسعةٌ وثلاثون خليفة إلى وقتنا هذا، وذلك ستَ مائة عام، أولُهم السَّفاحُ. وخليفةُ زماننا المستكفي له الاسم المنبريُّ، والعقدُ والحل بيد السلطان الملك الناصر، أيّدهما الله.

٥٦ أبو سفيان(١)

[٢] صَخر بن حَرب بن أُمية بن عبد شَمس

رأسُ قُريش وقـائـدُهم يوم أُحد ويوم الخندق. وله هَناتٌ وأمور صَعبة، لكن تداركه الله بالإسلام يوم الفتح فأسلم شبه مُكره خائف. ثم بعد أيام صَلح إسلامُه.

[٣] وكان من دُهاة العرب ومن أهل الرأي والشرف فيهم، فشهد حُنيناً، وأعطاه صهرُهُ رسولُ الله ﷺ من الغنائم مائة من الإبل، وأربعين أوقية من الدَّراهم يَتألَّفُه بذلك. ففرغَ عن عبادة هُبَل ومال إلى الإسلام.

[٤] وشهد قتالَ الطائف، فقُلعت عينه حينئذ، ثم قُلعت الأخرى يوم اليرموك. وكان يومئذ قد حَسنَ إن شاء الله إيمانُه، فإنه كان يومئذ يُحرِّض على الجهاد. وكان تحتَ راية ولده يزيد، فكان يصيحُ: يا نصر الله اقتربْ. وكان يقفُ على الكراديس(٢) يُذكِّرُ، ويقول: الله الله، إنكم أنصارُ الإسلام ودارةُ العرب، وهؤلاء أنصارُ الشِّرك ودارةُ الروم، اللهم هذا يومٌ من أيامك، اللهم أنزلْ نَصرك.

فإن صَحَّ هذا عنه، فإنه يُغبَطُ بذلك، ولا رَيب أنَّ حديثَه عن هرقل وكتاب النبي ﷺ يدُلُّ على إيمانه ولله الحمد.

[٥] وكانَ أسنَّ من رسول الله ﷺ بعشر سنين، وعاش بعده عشرين سنة، وكان عمرُ يحترمه، وذلك لأنه كان كبيرَ بين أمية.

[٦] وكان حَمْوَ النبي ﷺ. وما مات حتى رأى ولديه: يزيد ثم معاوية أميرين على

---

(١) انظر السير: ٢/ ١٠٥ـ١٠٧

(٢) الكراديس: كتائب الخيل، وأحدها: كردوس، يقال: كردس القائد خيله: أي جعلها كتيبة كتيبة.

دمشق. وكان يحب الرِّياسة والذِّكر وكان له سُوْرَةٌ[1] كبيرةٌ في خلافة ابنِ عمِّه عثمان.

توفي بالمدينة سنة احدى وثلاثين. وله نحو التسعين.

٥٧ كســـــرى[2]

[١] آخر الأكاسرة مطلقاً. واسمه: يَزْدَجِرد بن شَهْريار بن بَرْويز المجوسي الفارسي.

انهزم من جيش عُمر فاستولوا على العراق، وانهزم إلى مَرْو وولَّت أيامُه، ثم ثار عليه أمراء دولته وقتلوه سنة ثلاثين. وقيل بل بَيَّته الترك وقتلوا خواصَّه، وهَرب هو واختفى في بيت فغدر به صاحب البيت فقتله، ثم قتلوه به.

٥٨ خديجة أم المؤمنين[3]

[٢] وسيدة نساء العالمين في زمانها.

أمُّ القاسم ابنة خُوَيلد بن أسد القرشية الأَسَدية. أمُّ أولاد رسول الله ﷺ، وأول من آمن به وصدَّقه قبل كل أحد، وثبَّتت جأْشَه، ومَضت به إلى ابن عمها ورقة.

[٣] ومنـاقبهـا جَمَّـة. وهي ممن كَمُل من النساء. كانت عاقلةً جليلة ديّنةً مَصُونةً كريمةً، من أهل الجنة، وكان النبيُّ ﷺ يُثني عليها، ويُفضِّلها على سائر أمهات المؤمنين، ويُبالغ في تعظيمها، بحيث إن عائِشَة كانت تقول: ما غِرتُ من امرأة ما غِرتُ من خَديجة، من كثرةِ ذِكر النبي ﷺ لها.

[٤] ومن كرامتهـا عليه ﷺ أنها لم يتزوج امرأةً قبلها، وجاءه منها عدةُ أولاد، ولم يتزوج عليها قطُّ، ولا تَسرَّىٰ إلىٰ أن قَضت نَحْبها، فَوَجَد لفقدها، فإنها كانت نعم القَرين. وكانت تُنفقُ عليه من مالها، ويتجر هو ﷺ لها.

---

١) السورة: المنزلة.

٢) انظر السير: ٢/١٠٩.

٣) انظر السير: ٢/١٠٩-١١٧.

[١] وقد أمره الله أن يُبشِّرها ببيت في الجنة من قَصَبٍ، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ (١)

[٢] قال الزُّبيرُ بنُ بَكَّار: كانت خديجةُ تُدعى في الجاهلية الطاهرة. وأمها هي فاطمةُ بنتُ زائدة العامرية.

[٣] كانت خديجةُ أولاً تحت أبي هالة بن زُرارة التميمي، ثم خلفَ عليها بعده عَتيقُ بنُ عابد بن عبدالله بن عُمر بن مَخزوم، ثم بعده النبي ﷺ، فبنى بها وله خمس وعشرون سنة. وكانت أسنَّ منه. بخمس عشرة سنةً.

[٤] عن عائشة: أن خديجة تُوفِّيت قبل أن تُفرض الصلاةُ: وقيل: تُوفيت في رمضان، ودُفنت بالحَجُون(٢)، عن خمس وستين سنة.

[٥] عن عبدالله البَهي، قال: قالت عائشةُ: كان رسولُ الله ﷺ إذا ذكر خديجةَ لم يكدْ يسأَمُ من ثناء عليها واستغفار لها، فذكرَها يوماً، فحملتني الغَيرةُ، فقلتُ: لقد عَوَّضَك الله من كبيرة السنِّ! قالت: فرأيتُه غضبَ غضباً أُسْقطْتُ في خَلَدي(٣)، وقلتُ في نفسي: اللهم إنْ أذهبتَ غضب رسولك عني لم أَعُدْ أذكرها بسوء. فلما رأى النبيُّ ﷺ ما لقيتُ، قال: «كيفَ قُلْتِ؟ والله لقد آمَنَتْ بي إذ كَذَّبني الناسُ، وآوتني إذْ رَفَضَني الناسُ، ورُزِقْتُ منها الولد وحرمتموه مني» قالت: فغدا وراح عليَّ بها شهراً.

[٦] قال الواقدي: خرجوا من شعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين، فتُوفي أبو طالب، وقبله خَديجة بشهر وخمسة أيام.

[٧] عن أبي زُرعة، سمع أبا هريرة، يقول: أتىٰ جبريلُ النبيَّ ﷺ فقال: هذه خديجةُ أَتَتْك معها إناءٌ فيه إدامٌ أو طعامٌ أو شرابٌ، فإذا هي أَتَتْكَ فاقرأْ عليها السَّلاَمَ مِن ربِّها ومنِّي وبشِّرها ببيتٍ في الجنة من قَصب، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ.

---

(١) أراد بالبيت: القصر، يقال: هذا بيت فلان، أي قصره، والقصب في هذا الحديث: لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف، وقد جاء تفسيره في «كبير الطبراني» من حديث أبي هريرة ولفظه (بيت من لؤلؤة مجوفة) والصخب: «اختلاط الأصوات» والنصب: التعب.

(٢) الحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها.

(٣) الخلد، البال والقلب والنفس.

[١] عن عبد الله بن جعفر: سمعتُ علياً: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «خَيْرُ نِسَائِها خديجةُ بنتُ خُويلد، وخَيْرُ نِسَائِها مَرْيَمُ بِنْتُ عِمران»(١).

[٢] قال ابنُ إسحاق: تتابعتْ علىٰ رسول الله ﷺ المصائبُ بهلاك أبي طالب وخديجة. وكانت خديجةُ وزيرةَ صِدْق. وهي أَقربُ إلىٰ قُصيٍّ من النبيِّ ﷺ برجل. وكانت مُتَمولةً، فعرضتْ على النبي ﷺ أن يَخرج في مالها إلى الشام، فخرج مع مولاها مَيْسَرة. فلما قدم باعت خديجةُ ما جاء به، فأضعف، فرغبتْ فيه، فَعرضت نفسها عليه، فتزوَّجَها، وأصدقها عشرين بكْرة.

[٣] فأولادُها منه: القاسمُ، والطَّيِّبُ، والطَّاهر، ماتوا رُضَّعاً، ورُقيةُ، وزينبُ، وأُمُّ كُلْثُوم، وفاطمة.

[٤] قالت عائشة: أولُ ما بدئَ به النبي ﷺ من الوحي الرُّؤْيا الصالحة.. إلى أن قالت: فقال: ﴿اقرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَق﴾. قالت: فَرجع بها تَرْجُف بَوادِرُه(٢) حتىٰ دَخل على خديجة، فقال: «زَمِّلُوني».. فزمَّلُوه حتى ذَهب عنه الرَّوع. فقال: «مـالي يا خديجة»؟ وأخبرها الخبر وقال: «قد خشيتُ على نفسي». فقالتْ له: كلا، أبْشِرْ، فوالله لا يُخزيك الله أبداً، إنك لَتَصِل الرحم، وتَصْدُقُ الحديثَ، وتَحمِلُ الكَلَّ، وتُعينُ علىٰ نوائب الحق. وانطلقتْ به إلى ابن عمها ورَقَةَ بن نوفل ابن أسد، وكان امرأً تَنَصَّر في الجاهلية، وكان يكتبُ الخط العربي، وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتُب، وكان شيخاً قد عَمِي. فقالتْ: اسمعْ من ابنِ أخيك ما يقول: فقال: يا ابنَ أخي، ما ترىٰ؟ فأخبره. فقال: هذا النامُوسُ الذى أنزل على موسى الحديث(٣).

[٥] قال الشيخُ عزُّ الدين بن الأثير: خَديجةُ أولُ خَلق الله أسلم، بإجماع

---

(١) قوله (خير نسائها) قال الطبري: الضمير عائد على غير مذكور، لكنه يفسره الحال والمشاهدة يعني به الدنيا. والمعنى: أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها.

(٢) جمع بادرة، وهي لحمة بين المنكب والعنق.

(٣) وتمامه: ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يُخرجك قومُك. قال رسول الله ﷺ «أوَ مُخرجيّ هم ؟» قال ورقة: نعم، لم يأْتِ رجل بما جئت به إلا أوذي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي.

المسلمين.

[١] عن أنس: «خيرُ نساء العالمين مَرْيمُ، وآسِيَةُ، وخَديجَةُ بنتُ خُويلد، وفَاطمة».

عن ابن عباس: قال رسولُ الله ﷺ «سيِّدةُ نساءِ أهلِ الجنَّةِ بعد مَريم فاطمةُ، وخَديجةُ، وامرأةُ فرعون آسِية».

٥٩ فاطمة بنت رسول الله ﷺ (ع)(١)

[٢] **سيدة نساء العالمين في زمانها البَضْعةُ النبوية.**

والجهـةُ المُصـطَفَـويَّة، أُمُّ أبيها(٢)، بنتُ سيد الخلق رسولِ الله ﷺ القرشية الهاشمية، وأُمُّ الحسنين.

مولدُها قبل المبعث بقليل، وتَزَوَّجَها الإمامُ عليُّ بنُ أبي طالب في ذي القعدة، أو قُبيله، من سنة اثنتين بعد وقعة بدر.

[٣]وقد كان النبيُّ ﷺ يُحبها ويُكرمها ويُسرُّ إليها ومَناقبُها غَزيرة، وكانت صابرةً دينة خيرة صينةً قانعةً شاكرةً لله. وقد غَضبَ لها النبي ﷺ لما بلغه أن أبا الحسن هَمَّ بما رآه سائغاً من خُطبة بنت أبي جهل، فقال: «والله لا تَجتَمعُ بِنتُ نبيِّ الله وبنتُ عدوِّ الله، وإنَّما فَاطِمةُ بَضْعةٌ مني، يَريبُني مَا رَابَها، ويُؤذِيني مَا آذاها، فترك عليٌّ الخطبَة رِعايةً لها، فما تزوَّج عليها ولا تَسرَّىٰ، فلما تُوفيت تزوَّج وتسرَّىٰ، رضيَ الله عنهما.

[٤] ولمـا تُوفي رسول الله ﷺ حزنتْ عليه، وبكته، وقالتْ: يا أَبَتَاه! إلى جبريل نَنْعاه: يا أبتاه! أجابَ رباً دعاه! يا أبتاه! جنةُ الفردوس مأواه!

[٥] وقالتْ بعد دفنه: يا أنسُ، كيف طابتْ أنفُسكم أن تحثوا التُّرابَ على رسول الله ﷺ.

[٦] وقد قال لها في مَرضه: إني مَقبوضٌ في مرضي هذا. فبكتْ. وأخبرها أنها أولُ أهله لُحوقاً به، وأنهاسيدةُ نساء هذه الأُمَّة. فضحكت، وكَتَمَتْ ذلك. فلما تُوفي

(١) انظر السير: ٢/١١٨ـ ١٣٤.

(٢) كانت تكنى بأم أبيها.

ﷺ سألتْها عائشةُ. فحدثَتْها بما أسرَّ إليها.

[١] وقالت عائشةُ رضي الله عنها: جاءتْ فاطمةُ تمشي ما تُخطئُ مِشيتُها مِشيَةَ رسول الله ﷺ، فقام إليها وقال «مرحباً بابنتي».

[٢] ولما توفي أبوها تعلقتْ آمالُها بميراثه، وجاءتْ تطلبُ ذلك من أبي بكر الصديق، فحدَّثها أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لانُورثُ، ما تَرَكْنا صَدَقةٌ» فَوَجدتْ عليه، ثم تعلَّلت(١).

[٣] عن الشعبي، قال: لما مَرضتْ فاطمةُ، أتىٰ أبو بكر فاستأذن، فقال عليٌّ: يا فاطمة، هذا أبو بكر يستأذنُ عليك. فقالت: أتُحِبُ أن آذنَ له. قال: نعم.

قلت: عملتْ السنةَ رضي الله عنها، فلم تأذنْ في بيت زوجها إلا بأمره.

قال: فأذنتْ له، فدخَلَ عليها يترضَّاها، وقال: والله ما تركتُ الدارَ والمالَ والأهلَ والعشيرةَ إلا ابتغاء مَرضاة الله ورسوله ومَرضاتِكم أهلَ البيت.

قال: ثم ترضَّاها حتى رَضِيَتْ(٢).

توفيت بعد النبي ﷺ بخمسة أشهر، أو نحوها. وعاشت أربعاً أو خمساً وعشرين سنة.

[٤] وقد انقطع نسب النبي ﷺ إلا من قِبَل فاطمة.

[٥] وصح أنَّ النبيَّ ﷺ جَلَّل فاطمةَ وزوجَها وابنيهما بكساء، وقال «اللَّهُمَّ هؤلاءِ أَهْلُ بَيْتِي، اللهم فَأَذْهِبْ عنهُمُ الرِّجْسَ وطَهِّرْهُم تَطْهيراً».

[٦] عن أبي سعيد: قال رسول الله ﷺ «لا يُبْغِضُنا أهلَ البيتِ أحدٌ، إلا أدخله الله النار».

[٧] عن ثَوبان، قال: دخل رسولُ الله ﷺ على فاطمة وأنا معه، وقد أخذتْ من عُنُقها سلسلةً من ذهب. فقالتْ: هذه أهداها لي أبو حَسن. فقال: «يَا فَاطِمة أيسرُّكِ أنْ يقولَ الناسُ: هذه فاطمةُ بنتُ مُحمد وفي يَدِها سِلْسِلَةٌ من نار»! ثم خرج. فاشترتْ

(١) تعللت: أي تلهت عنه وتشاغلت.

(٢) أخرجه ابن سعد في (الطبقات) ٢٧/٨، وإسناده صحيح، لكنه مرسل، وذكره الحافظ في (الفتح) ١٣٩/٦، ونسبه إلى البيهقي وقال: وهو وإن كان مرسلاً فإسناده إلى الشعبي صحيح.

بالسلسلة غلاماً، فأعتقته، فقال النبي ﷺ: «الحمدُ لله الذي نَجَّىٰ فاطمةَ مَن النار» رواه أبو داود(1).

[1]وكان لها من البنات: أم كلثوم، زوجة عمر بن الخطاب، وزينب زوجة عبدالله بن جعفر بن أبي طالب.

[2]عن أبي البَخْتَري، قال: قال عليٌّ لِأُمِهِ: اكفي فاطمةَ الخدمةَ خارجاً، وتكفيكِ هي العملَ في البيت، والعَجن والخبز والطحن.

[3]عن عائشة أم المؤمنين قالت: ما رأيتُ أحداً كان أشبهَ كلاماً وحديثاً برسول الله ﷺ من فاطمة، وكَانَتْ إذا دَخَلتْ عليه قام إليها، فقبَّلها، ورحَّب بها، وكذلك كانت هي تصنع به.

[4]عن عائشة قالت: عاشت فاطمةُ بعد النبي ﷺ ستَّةَ أشهر، ودُفنتْ ليلاً. قال الواقدي: هذا أثبتُ الأقاويل عندنا. قال: وصَلَّىٰ عليها العباسُ. ونزل في حُفرتها، هو وعليٌّ والفضل.

[5]عن مسروق: حدثتني عائشةُ، قالت: كنا أزواج النبي ﷺ اجتمعنا عنده، لم يُغادر منهن واحدة. فجاءت فاطمةُ تمشي ما تُخطيءُ مِشْيَتُها مِشْيةَ رسولِ الله ﷺ. فلما رآها، رحَّب بها، قال: «مرحباً بابنتي». ثم أقعدها عن يمينه أو عن يساره. ثم سارَّها فبكتْ، ثم سارَّها الثانية، فضحكت، فلما قام، قلتُ لها: خَصَّكِ رسولُ الله

(1) هو الطيالسي صاحب (المسند) وهو فيه ٢/٣٥٤، وكان على المصنف رحمه الله أن يقيده حتى لا يلتبس بأبي داود السجستاني صاحب السنن، فإنه المتبادر عند الإطلاق، وما ذهب إليه الشيخ ناصر الدين الألباني بالاستناد إلى هذا الحديث وغيره مما أورده في (آداب الزفاف) من تحريم تحلي النساء بالذهب المحلق، وإباحة غير المحلق لهن، فقد خالف بذلك إجماع المسلمين سلفاً وخلفاً على إباحة تحلي النساء بالذهب محلقاً وغير محلق كالطوق والخاتم والسوار، والخلخال والقلائد،وقد نقل الإجماع غير واحد من العلماء المحققين كالجصاص الرازي في (أحكام القرآن) ٤/٤٧٧ والقرطبي في تفسيره ١٦/٧١، ٧٢.

والنووي في (المجموع) ٤/٤٤٢ و٦/٤٠، والحافظ ابن حجر في (فتح الباري) ١٠/٣١٧ ـ ولا يتسع هذا التعليق لبيان وهاء رأيه هذا الذي انفرد به والشبهات التي أثارها حول هذه المسألة، ونحيل القارىء الكريم على كتاب «إباحة التحلي بالذهب المحلق للنساء» للشيخ الفاضل إسماعيل بن محمد الأنصاري! فقد تكفل بالرد عليه، وتوهين ما استند إليه من الأحاديث التي يظن أنها تدل على مدعاه، ونقل عن العلماء أن المراد منها ـ على فرض صحتها ـ غير ما ذهب إليه،وأورد نصوصاً من الكتاب والسنة الصحيحة تدل على صحة ما ذهب إليه جماهير السلف والخلف من العلماء، وقد أجاد في كل ذلك وأفاد، فجزاه الله عنا خير الجزاء.

ﷺ بالسِّـر وأنت تبكين، عَزَمتُ عليكِ بمـا لي عليكِ من حق لَمَـا أخبرتني مِمَّ ضحكت؟ ومِمَّ بكيت؟ قالت: ما كنتُ لأُفشي سرَّ رسول الله ﷺ.

فلما تُوفي، قلتُ لها: عزمتُ عليكِ بما لي عليكِ من حقٍّ لَمَا أخبرتني. قالت: أمَّا الآن فنعم، في المرة الأولى حدثني «أنَّ جبريلَ كانَ يُعارضُه بالقرآن كلَّ سَنَة مرةً، وأنَّه عارَضني العامَ في هذه السّنةِ مَرَّتين، وأنِّي لا أحسبُ ذلك إلا عندَ اقترابِ أَجَلي، فاتَّقي الله واصْبِري، فَنِعْمَ السَّلَفُ لكِ أنا». فبكيتُ. فلما رأىٰ جزَعي، قال: «أَمَا تَرْضَيْنَ أنْ تكُوني سَيِّدَة نِسَاءِ العالمين، أو سيدةَ نساءِ هذه الأُمَّة»؟ قالت: فضحكتُ. أخرجه البخاري.

٦٠ عائشة أم المؤمنين (ع)(١)

[١] **بنتُ الإمام الصدِّيق الأكبر، خليفةَ رسول الله ﷺ أبي بكر بن قُحافة.**

هاجر بعائشة أبواها، وتزوَّجَها نبيُّ الله ﷺ قبل مُهاجَرِه بعد وفاة الصدِّيقة خديجةَ بنتِ خُويلد وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهراً، ودَخل بها في شوَّال سنة اثنتين. مُنصرفَه عليه الصلاةُ والسلامُ من غَزوة بدر. وهي ابنةُ تسع.

فروت عنه علماً كثيراً طيباً مُباركاً فيه.

مسند عائشة يبلغ ألفين ومئتين وعشرة أحاديث.

[٢] وعائشة ممن وُلدَ في الإِسلام، وهي أصغرُ من فاطمة بثماني سنين.

وكانت تقول: لم أعقل أبويَّ إلا وهما يَدينان الدِّين.

وذكرت أنها لحقت بمكة سائس الفيل شيخاً أعمىٰ يَستعطي.

[٣] وكانت امرأةً بيضاء جميلةً. وَمِن ثَمَّ يُقال لها: الحُمَيْراء. ولم يتزوج النبي ﷺ بكراً غيرها، ولا أحبَّ امرأةً حُبها، ولا أعلمُ في أمة محمد ﷺ، بل ولا في النساء مطلقـاً، امرأةً أعلم منها. وذهب بعضُ العلماء إلى أنها أفضلُ مِن أبيها. وهذا مردود. وقـد جعـل الله لكـل شيءٍ قدراً، بل نَشهدُ أنها زوجةُ نبينا ﷺ في الدُّنيا

(١) انظر السير ٢/١٣٥-٢٠١.

والآخرة، فهل فوق ذلك مَفْخَر، وإن كان للصديقة خديجة شأوٌ لا يُلحقُ، وأنا واقفٌ في أيِّهما أفضل. نعم جزمتُ بأفضلية خديجةَ عليها لأمور ليس هنا موضِعَها.

[١] عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ «أُريتُكِ في المنام ثَلاثَ ليالٍ، جَاءَ بكِ المَلَكُ في سَرَقة من حَرير، فيقولُ: هذِهِ امرأتُكَ. فأكشفُ عن وَجهكِ فإذا أنتِ فيه، فأقول: إنْ يَكُ هذا من عند الله يُمْضِه.

وكان تزويجه ﷺ بها إثر وفاةِ خديجة، فتزوَّجَ بها وبسودة في وقت واحد، ثم دخل بسودة، فتفرَّد بها ثلاثةَ أعوام حتىٰ بنىٰ بعائشة في شوال بعد وقعة بَدْر، فما تزوَّج بكراً سِواها، وأحبَّها حُباً شديداً كان يتظاهرُ به، بحيثُ إنَّ عمرو بنَ العاص، وهو مِمَنْ أسلم سنة ثمان من الهجرة، سأل النبيَّ ﷺ أيُّ الناس أحبُّ إليك يا رسولَ الله؟ قال: «عائشة» قال: فمن الرجال؟ قال «أبُوها».

وهذا خَبَرٌ ثابتٌ على رغم أُنوف الرَّوافض، وما كان عليه السلام ليُحِبَّ إلَّا طيباً. وقد قال: «لو كنتُ مُتخِذاً خَليلاً من هذه الأُمَّة، لاتَّخذْتُ أبا بكْرٍ خليلاً، ولكنْ أُخُوَّة الإسلامِ أفضَلُ» فأحبَّ أفضلَ رَجُلٍ من أُمته وأفضلَ امرأة من أمته، فمن أبغض حَبيبَيْ رسول الله ﷺ، فهو حريٌّ أن يكون بغيضاً إلى الله ورسوله.

[٢] عن عائشة: أنَّ نساءَ رسول الله ﷺ كُنَّ حِزبين، فحزبٌ منه عائشةُ وحفصةُ وصفيةُ وسَوْدَةُ، والحزب الآخر أُمُّ سلمةَ وسائرُ أزواجه. وكانوا المسلمون قَدْ علموا حُبَّ رسول الله ﷺ عائشة، فإذا كانت عند أحدهم هديةٌ يُريدُ أنْ يُهديَها إلى رسول الله ﷺ أخَّرها، حتى إذا كان في بيت عائشة بعثَ بها إلى رسول الله ﷺ في بيت عائشة. فتكلم حزبُ أُمِّ سلمة فقلن لها: كلِّمي رسول الله يُكَلِّمُ الناسَ، فيقولُ: من أراد أن يُهديَ إلى رسول الله هديةً فليُهْدِ إليه حيثُ كان مِنْ نسائه. فكلَّمَتْه أُمُّ سلمة بما قُلن. فلم يَقُلْ لها شيئاً. فسألنها. فقالتْ: ما قال لي شيئاً. فقلن: كلِّميه. قالت: فَكَلَّمتْهُ حين دار إليها فلم يقل لها شيئاً. فسألنها. فقالتْ: ما قال لي شيئاً. فقلن لها: كلِّميه. فدار إليه فكلَّمَتْه. فقال لها: «لا تُؤذِيني في عائشة. فإنَّ الوَحْيَ لَم يَأتِني وأنا في ثَوْبِ امرأة إلا عائشة». فقالتْ: أتوبُ إلى الله من أذاكَ يا رسول الله.

ثم إنهنَّ دَعَوْنَ فاطمةَ بنتَ رسول الله ﷺ فأرسلت إلى رسول الله ﷺ، تقول: إنَّ نساءك يَنْشُدْنَكَ العدلَ في بنت أبي بكر. فكلمته، فقال: «يا بُنَيَّة، ألا تُحبِّين ما أُحبُّ»؟ قالت: بلى. فرجعتْ إليهن وأخبرتهن فقلن: ارجعي إليه، فأَبَتْ أن تَرجع. فأرسلن زينبَ بنتَ جحش. فأتته فأغلظت، وقالت: إنَّ نساءَكَ يَنْشُدْنَكَ الله العدلَ في ابنة أبي قُحافة. فرفعتْ صوتَها حتى تناولتْ عائشة، وهي قاعدةٌ، فسبتها، حتى إن رسولَ الله ﷺ لينظرُ إلى عائشةَ هل تتكلم. قال: فتكلمتْ عائشة تردُّ على زينب حتى أسكتتها. فنظر النبيُّ ﷺ إلى عائشة، وقال: إنَّها ابنةُ أبي بكر.

عن أبي موسى، عن النبي ﷺ، قال: «كَمُلَ من الرِّجَالِ كَثيرٌ ولم يكمل من النساءِ إلا مَريمُ بنتُ عمران، وآسيةُ امرأةُ فرعون، وفَضْلُ عائشة على النساءِ كَفضْلِ الثَّريد على سَائِر الطعام».

[١]عن عائشة، قالت: قلتُ - يا رسولَ الله، مَنْ مِنْ أزواجك في الجنة؟ قال: «أَمَا إنَّك منهُنَّ» قالت: فخُيِّل إليَّ أن ذاك لأنه لم يتزوَّجْ بِكْراً غيري.

[٢]عن الزُّهري: حدثني أبو سلمة، أن عائشة قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «يا عَائِشُ، هذا جِبْرِيلُ، وهوِ يَقْرأُ عليكِ السلام» قالت: وعليه السلامُ ورحمةُ الله، تَرى مالا نَرى يا رسولَ الله.

[٣]عن عمرو بن العاص: أَنَّ رسول الله ﷺ استعمله على جَيش ذات السلاسل قال: فأتيتُه، فقلت: يا رسولَ الله، أيُّ الناس أَحبُّ إليك؟ قال: «عائشة» قلت: من الرجال؟ قال: «أبوها».

[٤]عن عائشة، قالت: تزوَّجني رسولُ الله ﷺ مُتَوَفَّى خديجة، وأنا ابنةُ ستٍّ، وأُدخلتُ عليه وأنا ابنةُ تسع، جاءني نسوة وأنا ألعبُ على أُرجوحة وأنا مجمَّمة(١)، فهيَّأنني وصنعنني، ثم أتين بي إليه ﷺ.

[٥]عن هشام، عن أبيه، عنها، أنها قالت: كنتُ ألعبُ بالبنات، تعني اللُّعَبَ، فيجيءُ صواحبي فينقَمِعْنَ(٢) من رسول الله ﷺ، فيخرُجُ رسول الله، فيدخُلْنَ علي،

(١) أي: ذات جمة، ويقال للشعر إذا سقط عن المنكبين جمة، وإذا كان إلى شحمة الأذنين وفرة.

(٢) معناه: يتغيبن منه، ويدخلن وراء الستر.

وكان يُسَرِّبُهُنَّ إلي، فيلعَبْنَ معي.

وفي لفظ: فكُن جوار يأتين يلعبن معي بها، فإذا رأين رسول الله تَقَمَّعْنَ فكان يُسَرِّبُهُنَّ إليَّ.

[١] وعن عائشة قالت: دخل عليَّ رسولُ الله وأنا ألعبُ بالبنات. فقال: «ما هذا يا عائشةُ»؟ قلتُ: خَيل سُليمان ولها أجنحة. فضحك.

[٢] عن عائشة، قالت: لقد رأيتُ رسول الله ﷺ يقومُ على باب حُجرتي، والحبشة يَلعبون بالحِراب في المسجد، وإنه ليستُرُني بردائه لكي أَنظُرَ إلى لعبهم، ثم يَقفُ من أجلي حتى أكونَ أنا التي أنصرفُ. فاقدرُوا قَدْرَ الجارية الحديثةِ السن الحريصةِ على اللهو.

[٣] شـأن الإفك:

كان في غزوة المُرَيسيع سنة خمس من الهجرة، وعُمرها رضي الله عنها يومئذ اثنتا عشر سنة.

عن ابن شهاب: أخبرني عروةُ، وابنُ المُسَيَّب، وعلقمةُ بنُ وقَّاص، وعبيدُ الله بن عبدالله، عن حديث عائشة حين قال لها أهلُ الإفكِ ما قالُوا، فَبَرَّأها الله تعالى. وكُلٌّ حدثني بطائفة من حديثها، وبعضُ حديثهم يُصدِّقُ بعضاً، وإن كان بعضهم أوعى له من بعض، قالت: كان رسولُ الله ﷺ إذا أرادَ سَفَراً أقرع بين نِسائه، فأيتُهن خَرَجَ سهمُها خَرجَ بها معه. فأقرعَ بيننا في غَزوة غزاها، فخرجَ سَهمي، فخرجتُ معه بعد ما نَزل الحجابُ، وأنا أُحْمَلُ في هَودج وأُنزَلُ فيه، فسِرْنا، حتى إذا فرغَ رسولُ الله ﷺ من غَزوته تلك، وقَفل ودنونا من المدينة، آذنَ ليلةً بالرَّحيل. فقمتُ حينئذ، فمشيتُ حتى جاوزتُ الجيش. فلما قضيتُ حاجتي، أقبلتُ إلى رَحلي، فإذا عِقدٌ لي من جَزْع ظَفار[١] قد انقطع، فالتمستُه، وحَبسني التماسُه، وأقبل الرهطُ الذين كانوا يرحَلُون بي، فاحتملوا هَودجي، فَرَحَلُوه على بعيري، وهم

(١) الجزع: خرزيماني، وظفار، قرية باليمن.

يحسبون أنّي فيه، وكان النساءُ إذ ذاك خِفافاً لم يُثْقِلْهنَّ اللحم، إنما يأكُلن العُلْقَةَ[1] من الطعام. فلم يَستنكروا خِفَّةَ المَحْمَل حين رَفعوه، وكنتُ جاريةً حديثةَ السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدتُ عِقدي بعد ما استمر الجيش، فجئتُ منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب. فأممتُ منزلي الذي كنتُ فيه، وظننتُ أنهم سيفقدُوني فيرجعون إليَّ. فبينا أنا جالسةٌ غلبتني عيني، فنمتُ. وكان صفوانُ بنُ المُعطَّل السُّلَمي، ثم الذكواني، مِن وراء الجيش، فأدلَج، فأصبحَ عند منزلي، فرأى سوادَ إنسان نائم، فأتاني، فعرفني حني رآني، وكان يراني قَبل الحجاب. فاسترجع، فاستيقظتُ باسترجاعه حين عرفتُ. فَخَمَّرتُ وجهي بجلبابي، والله ما كلَّمني كلمة، ولا سمعتُ منه كلمةً غيرَ استرجاعه، فأناخَ راحلتَه، فوطئ على يديها فركبتُها. فانطلقَ يقودُ بي الراحلة حتى أتينا الجيشَ بعدما نزلوا مُوغِرين[2] في نَحر الظهيرة، فَهلكَ من هَلكَ فيَّ. وكان الذي تولى كِبْرَ هذا الإفك عبدُالله بنُ أُبي بن سَلُول. فقدمنَا المدينة، فاشتكيتُ شهراً، والناسُ يُفيضُون في قول أهلِ الإفك ولا أشعرُ بشئ من ذلك، ويَريبُني في وجعي أَنيَّ لا أعرفُ من رسول الله ﷺ اللُّطفَ الذي كنتُ أرى منه حين أَشْتكِي، إنما يدخُلُ عليَّ، فيُسلِّم، ثم يقولُ: كيفَ تِيكم؟ ثم ينَصرِفُ فذلك الذي يريبني ولا أشعر بالشر، حتى خرجتُ بعد ما نَقَهْتُ.

فخرجتُ مع أم مِسْطَحٍ قِبَل المناصع[3]، وهو مُتبرَّزنا. وكُنَّا لا نَخرجُ إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبلَ أن تُتَّخَذَ الكُنُف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمرُ العرب الأُول من التبرُّز قِبل الغائط، وكنا نتأذَّى بالكُنُف أن نتخذها عند بُيوتنا. فانطلقتُ أنا وأُم مِسطح بنتُ أبي رُهم بن عبد مناف، وأمها ابنةُ صَخر بن عَامر خالةُ أبي بكر الصدِّيق، وابنُها مِسطح بنُ أُثاثة بن المطلب. فأقبلتُ أنا وهي قِبل بيتي، قد فَرغْنا من شأننا، فعثرتْ أمَّ مسطح في مِرطِها، فقالتْ: تَعس مِسطح: فقلتُ لها: بئسَ ما قُلتِ! أَتَسُبِّين

(١) العُلقة بضم العين: كل ما يتبلغ به من العيش، وهي من الطعام اليسير منه.

(٢) أي نازلين في وقت الوغرة: وهي شدة الحر، ونَحر الظهيرة: وقت القائلة.

(٣) المناصع: مواضع خارج المدينة كانوا يتبرزون فيها.

رجـلاً شهـد بدراً؟ قالت: أي هَنْتَاه[1]، أو لم تسمعي ما قال: قلتُ: وما ذاك؟ فأخبرتْني الخبرَ، فازددتُ مرضاً على مرضي.

فلما رجعتُ إلى بيتي، ودخل عليَّ رسولُ الله ﷺ فسلَّم ثم قال: كيفَ تِيكم؟ فقلتُ: أتأذنُ لي أن آتي أبويَّ؟ وأنا حينئذ أُريد أن أَستيقن الخبرَ مِن قِبلهما. فأَذِنَ لي. فجئتُ أبـويَّ، فقلت: يا أُمَّتـاه، ما يتحدَّثُ الناسُ؟ قالت: يا بُنيَّةُ! هوِّني عليك، فوالله لقلَّما كانت امرأةٌ وضيئةٌ عند رجل يُحِبُّها لها ضرائر إلا كثَّرنَ عليها. فقلتُ: سبحان اللهِ! وقد تحدَّث الناسُ بهذا؟ فبكيتُ الليلة حتى لا يرقأ لي دَمع ولا أكتحلُ بنوم. ثم أصبحتُ أبكي.

فدعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بنَ أبي طالب وأسامة بن زيد، حين استلبثَ الوحيُ، يستأمرهما في فِراق أهله. فأما أُسامة، فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يَعلمُ من براءة أهله، وبالذي يَعلم لهم في نَفسه مِن الود، فقال: يا رسول الله أهلُك، ولا نَعلم إلَّا خيراً. وأما عليٌّ فقال: لم يُضيِّق اللهُ عليك، والنساءُ سواها كثير، واسأل الجاريةَ تَصدقْك. فدعا رسولُ الله ﷺ بريرة[2] فقال: أي بريرة، هل رأيتِ من شيءٍ يَريبُك؟ قالت: لا والذي بَعَثَك بالحق، إنْ رأيتُ عليها أمراً أغمِصهُ[3] عليها أكثرَ من أنَّها جاريةٌ حديثةُ السِّنِّ، تَنامُ عن عجين أهلها، فَيأتي الدَّاجنُ، فيأكُلُه.

فقـام رسولُ الله ﷺ، فاستعذرَ من عبدالله بن أُبي بن سلول، فقال وهو على المنبر: «يا معشرَ المسلمين، من يَعذِرنُي[4] من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمتُ على أهلي إلَّا خيراً، ولَقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيراً وما كان يدخـل على أهلي إلا معي». فقام سعدُ بنُ مُعَاذ، فقال: يا رسولَ الله، أنا

---

(١) قال ابن الأثير: أي: ياهذه، وتفتح النون وتسكن، وتضم الهاء الآخرة وتسكن، قال الجوهري: هذه اللفظة تختص بالنداء وقيل: معنى يا هنتاه: أي: يا بلهاء، كأنها نسبت إلى قلة المعرفة بمكايد الناس وشرورهم.

(٢) كون الجارية بريرة هنا، وهم من بعض الرواة نبه عليه ابن القيم، في (زاد المعاد) ٣/٢٦٨ طبع مؤسسة الرسالة، وأخذ عنه الزركشي في (الإجابة) ص ٤٨.

(٣) أي: اعيبه.

(٤) أي: من يقوم بعذري إن جازيته على قبيح فعاله، وسوء ما صدر منه، وقيل: معناه من ينصرني، والعذير: الناصر.

أعذِرُك منه، إن كان من الأوس، ضربْتُ عُنُقَه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتَنا، ففعلنا أمرك.

فقام سعدُ بنُ عُبادة ـ وهو سيِّدُ الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احْتَمَلتهُ[1] الحميةُ، فقال لسعد: كذبتَ لَعمرُ الله! لا تَقْتُلُه، ولا تَقدِرُ على قتله. فقام أُسيدُ بنُ حُضير ـ وهو ابنُ عم سعد بن مُعاذ ـ فقال: كذبتَ! لعمرُ الله لنقتلنه، فإنـك مُنـافِقٌ تُجـادِلُ عن المنافقين. فتثاور[2] الحيَّان: الأوسُ والخزرجُ، حتى همُّوا أن يَقْتَتِلوا، ورسولُ اللهِ ﷺ قائِمٌ على المنبر. فلم يَزل يَخفِضُهم حتى سكتوا وسكَتَ.

قالت: فبكيتُ يومي ذلك وليلتي، لا يَرقأُ لي دمعٌ، حتى ظننتُ أن البكاءَ فالقٌ كبدي. فبينما هما جالسان عندي، وأنا أبكي، استأذنتْ عليَّ امرأةٌ من الأنصار، فأذِنتُ لها، فجلست تبكي معي، فبينما نحنُ على ذلك، دخلَ علينا رسولُ الله ﷺ، فسلَّم ثم جلس، ولم يجلس عندي مُنذ قيل لي ما قيل، ولقد لبثَ شهراً لا يُوحىٰ إليه في شأني شيءٌ. قالت: فَتَشَهَّدَ، ثم قال: «أمَّا بعدُ، يا عائشةُ، فإنَّه قد بَلَغَني عَنْكِ كَذَا وكَذَا، فإنْ كُنْتِ بَريئةً، فسيُبَرِّئُكِ الله، وإنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ، فاستَغْفري الله، وتُوبي إليه، فإنَّ العبدَ إذا اعْتَرفَ بذنبه ثم تابَ، تابَ الله عليه». فلما قَضى مَقَالَته، قَلَص دمعي حتى ما أُحِسُّ منه قطرة، فقلتُ لأبي: أَجِب رسول الله فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقولُ لرسول الله ﷺ. فقلت لأمي: أجيبي رسول الله ﷺ، قالت: ما أدري ما أقولُ لرسول الله ﷺ، فقلتُ وأنا يومئذ حديثةُ السنِّ لا أقرأُ كثيراً من القرآن: إني والله لقد علمتُ، لقد سمعتُم هذا الحديث حتى استقرَّ في أنفسكم، وصدَّقتُم به، فلئن قلتُ لكم: إني بريئة ـ واللهُ يَعلمُ أني بريئة ـ لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلمُ أني بريئة، لَتُصَدِّقُنِّي. والله ما أجدُ لي ولكم مثلاً إلا قول أبي يوسُف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ واللهُ المُسْتَعَانُ عَلى ما

(١) أي: أغضبته.

(٢) أي: تواثبا، وتناهضا للنزاع والعصبية.

تَصِفُـونَ﴾ [يوسف ١٨]. ثم تحولتُ، فاضطجعتُ على فراشي، وأنا أعلمُ أنّي بريئة، وأن اللهَ تعالى يُبرئني ببراءتي، ولكن واللهِ ما ظننتُ أن اللهَ يُنزل في شأني وحياً يُتْلى، ولَشَأني كان في نفسي أحقر من أنْ يَتَكَلَّمَ الله فيَّ بأمر يُتْلى، ولكن كنتُ أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رُؤيا يُبرئني الله بها، قالتْ: فوالله ما قامَ رسولُ الله ﷺ، ولا خرجَ أحدٌ من أهل البيت، حتى نزلَ عليه الوحيُ، فَأَخَذَهُ ما كانَ يَأْخُذُه من البُرَحَاء، حتى إنه ليتحدَّرُ منهُ مثلُ الجُمان من العرق، وهو في يوم شاتٍ، من ثِقَلِ القول الذي يَنْزِلُ عليه. فلما سُرِّيَ عنه وهو يَضحَكُ، كان أول كلمة تكلَم بها: «يا عائشةُ، أَمَا واللهِ، لقد بَرَّأَكِ اللهُ» فقالتْ أُمي: قُومي إليه. فقلتُ: واللهِ لا أقومُ إليه، ولا أحمَدُ إلا اللهَ. وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذين جَآءُو بالإِفْكِ عُصبَةٌ مِنْكُم﴾ [النور ١١] العشر الآيات كلها.

فلمَّـا أنزل اللهُ هذا في براءتي، قال أبو بكر، وكان يُنفِقُ على مِسطح لقرابته وفقره: والله لا أُنفِقُ على مسطح شيئاً أبدا بعد الذي قالَ لعائشة. فأُنزلت ﴿ولاَ يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ مِنْكُم والسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي القُرْبَى والمَسَاكِينَ والمُهَاجِرينَ في سَبيلِ اللهِ ولْيَعْفُوا ولْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لكُم﴾ [النور ٢٢]، قال: بَلى واللهِ، إني لأُحبُّ أن يغفرَ الله لي. فرَجَعَ إلى مسطح النفقةَ التي كان يُنفِقُ عليه، وقال: والله لا أنزعُها منهُ أبداً. قالت: وكان رسولُ الله ﷺ يسألُ زينبَ بنت جَحش عن أمـري. فقـالتْ: أحمي سَمعي وبَصري، ما علمتُ إلا خيراً، وهي التي كانت تُساميني(١) من أزواج النبي ﷺ، فعصمها اللهُ بالوَرَع، وطفقتْ أُختُها حمنةُ تُحارِبُ لها(٢) فهلكتْ فيمَنْ هلَكَ من أصحاب الإفك.

[١] عن عائشة، قالت: قلتُ: يا رسول الله، أرأيتَ لو أنَّك نزلتَ وادياً فيه شجرةٌ قد أُكِلَ منها، ووجدتَ شجرةً لم يُؤكلْ منها، فأيِّهما كنت تُرتع بعيرَكَ؟ قال: «الشَّجَرَةَ التي لم يُؤكلْ مِنها». قالت: فأنا هي. تعني أن رسولَ الله ﷺ لم يتزوَّج بِكراً غيرها.

(١) تساميني، تعاليني، من السمو وهو العلو والارتفاع، أي تطلب من العلو والرفعة والحظوة عند النبي ﷺ ما أطلب.

(٢) أي: تجادل لها وتتعصب، وتحكي ما قال أهل الإفك لتنخفض منزلة عائشة، وتعلو مرتبة أختها زينب.

[١] وقالت عائشة: ما غِرْتُ على امرأة ما غرتُ على خديجةَ من كثرةِ ما كان رسولُ الله ﷺ يذكُرها.

قلتُ: وهذا من أعجب شيء أن تَغار رضي الله عنها من امرأة عَجوزٍ تُوفيتْ قبل تزوُّج النبي ﷺ بعائشة بمُديدة، ثم يحميها اللهُ من الغيرة من عدَّة نسوة يُشارِكنها في النبي ﷺ، فهذا مِن ألطافِ اللهِ بها وبالنبيِّ ﷺ، لئلا يَتكَدَّر عيشُهما. ولعله إنما خَفف أمرَ الغيرة عليها حُبُّ النبي ﷺ لها وميله إليها. فرضيَ اللهُ عنها وأرضاها.

[٢] عن عائشة: دخلت امرأةٌ سوداءُ على النبي ﷺ، فأقبل عليها. قالت: فقلتُ: يا رسولَ الله، أَقبَلْتَ على هذه السوداءِ هذا الإقبال: فقال: «إنها كَانَت تَدخُلُ عَلَى خدِيجَةَ، وإنَّ حُسنَ العهد مِن الإيمان».

[٣] وقد قيل: إنَّ كُلَّ حديثٍ فيه: يا حُميراء، لم يَصح (١).

والحمراءُ، في خطاب أهلِ الحجاز: هي البَيضاءُ بِشُقرة، وهذا نادر فيهم، ومنه في الحديث: «رجل أحمرُ كأنَّه من الموالي» يريد القائل أنه في لون الموالي الذين سُبُوا من نصارى الشام والروم والعجم.

ثم إن العرب إذا قالت: فلانٌ أبيضُ، فإنهم يريدون الحِنطيَّ اللونِ بحلية سوداء، فإن كان في لون أهلِ الهند، قالوا: أسمر وآدم، وإن كان في سواد التكرور، قالوا: أسود، وكذا كل من غلب عليه السواد، قالوا: أسود، أو شديد الأُدْمَة. ومن ذلك قوله ﷺ «بُعثْتُ إلى الأحمرِ والأسود». فمعنى ذلك: أن بني آدم

(١) في هذه الكلية نظر، فقد أخرج النسائي في (عشرة النساء) ورقة ١/٧٥ من حديث يونس بن عبدالأعلى، حدثنا ابن وهب، أخبرني بكر بن مضر، عن ابن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن، عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: دخل الحبشة المسجد يلعبون، قال لي: يا حميراء، أتحبين أن تنظري إليهم؟ فقلت: نعم، فقام بالباب، وجئته، فوضعت ذقني على عاتقه، فأسندت وجهي إلى خده، قالت: ومن قولهم يومئذ: أبا القاسم طيبا، فقال ﷺ: حسبك. قلت: يا رسول الله لا تعجل، فقام لي ثم قال: حسبك فقلت: لا تعجل يا رسول الله، قالت: وما بي حب النظر إليهم، ولكني أحببت أن يبلغ النساء مقامه لي ومكاني منه، قال الحافظ في (الفتح) ٢/٣٥٥: إسناده صحيح، ولم أر في حديث صحيح ذكر الحميراء إلا في هذا، وقال الزركشي في المعتبر ٢/١٩ و ١/٢٠: وذكر لي شيخنا ابن كثير، عن شيخه أبي الحجاج المزي أنه كان يقول: كل حديث فيه ذكر الحميراء باطل لا يصح إلا حديثا في الصوم في سنن النسائي. قلت: وحديث آخر في النسائي.. دخل الحبشة المسجد.. وذكر الحديث السابق.

لا ينفكون عن أحد الأمرين. وكلُّ لونٍ بهذا الاعتبار يَدورُ بين السواد والبياض، الذي هو الحُمرة.

[١]عن عائشة، قالت: خرجْنا مع رسول الله ﷺ في بعضِ أسفاره، حتى إذا كُنَّا بالبَيداءِ أو بذات الجيش، انقطع عقدي، فأقام رسولُ الله ﷺ على التماسه، وأقام الناسُ معه وليسوا على ماء. فأتى الناسُ أبا بكر رضيَ اللهُ عنه. فقالوا: ما تَرى ما صَنَعَتْ عائشةُ، أقَامتْ برسولِ الله وبالناس وليسُوا على ماء وليس معهم ماء!

قالت: فعاتَبَني أبو بكر، فقال ما شاء اللهُ أن يقول، وجعل يَطعنُ بيده في خاصرتي، فلا يمنعُني من التحرُّك إلا مكانُ النبيِّ ﷺ على فخذي. فنام رسولُ الله ﷺ حتى أصبح على غير ماء. فأنزلَ اللهُ آيةَ التيمُّم، فَتَيَمَّمُوا.

فقال أُسيد بن حُضَير ـ وهو أحد النقباء ـ ما هذا بأولِ بركتكم يا آلَ أبي بكر! قالت: فَبَعَثْنَا البعيرَ الذي كُنْتُ عليه، فوجدنا العقدَ تحتَه. متفق عليه.

[٢]عن النُّعمان بن بشير، قال: استأذن أبو بكر على النبي ﷺ، فإذا عائشةُ ترفَعْ صوتَها عليه، فقال: يا بنتَ فُلانة، تَرفَعينَ صوتَكِ على رسولِ الله ﷺ! فحال النبيُّ ﷺ بينه وبينها. ثم خَرجَ أبو بكر، فجعلَ النبيُّ ﷺ يترضَّاها، وقال: «أَلَم تَرَيْني حُلْتُ بين الرَّجُلِ وبيْنَك». ثم استأذَنَ أبو بكر مرةً أخرى، فَسَمِعَ تضاحُكَهما، فقال: أشركاني في سَلمِكُما كما أشركتماني في حَربِكما.

[٣]عن عُروة قال: قالت عائشةُ: ما علمتُ حتى دَخَلَتْ عليَّ زَينبُ بغير إذن وهي غَضبى، ثم قالت لرسول الله ﷺ. أَحْسَبُكَ إذا قَلَبَتْ لك بُنيةُ أبي بكر ذُرَيْعَتَيْها(١) ثم أَقْبَلَتْ عليَّ، فأعرضتُ عنها. فقال النبيُّ ﷺ: «دُوْنَكِ فانْتَصِري» فأقبلتُ عليها حتى رأيت قد يبس ريقُها في فمها، فما تَرُدُّ عليَّ شيئاً. فرأيتُ النبيَّ ﷺ يتهلَّل وجْهُه.

[٤]عن عائشة، قالت: سابقني النبيُّ ﷺ، فسبقتُه ما شاء، حتى إذا رَهِقَني اللحمُ، سابقني، فسبقني. فقال: «يا عائشَةُ هذه بتِلْكَ».

---

(١) قال ابن الأثير: الذريعة تصغير الذراع ولحوق الهاء فيها لكونها مؤنثة، ثم ثنتها مصغرة، وأرادت به ساعديها.

[١] عن عائشـة، قالت: كان رسولُ الله ﷺ يُعطيني العَظْمَ فأتَعَرَّقُهُ، ثم يأخذُه، فيُديرُه حتى يَضع فاه على موضع فمي.

[٢] عن عائشة، أن النبيَّ ﷺ كان إذا خرج، أقرعَ بين نِسائه، فطارت القُرعةُ لعائشةَ وحفصة، وكان إذا كان بالليل، سارَ مع عائشة يتحدَّث. فقالت حفصةُ: ألا تركبينَ الليلةَ بعيري، وأركبُ بعيركِ تَنظُرين وأَنظُر. فقالت: بلى. فركبتُ. فجاء النبيُّ ﷺ إلى جمل عائشة، وعليه حفصةُ، فسلَّم عليها، ثم سار حتى نزلوا، وافتقدته عائشةُ فلما نزلوا، جعلتْ رِجلَيها بين الإذخر وتقول: يا رب، سَلِّطْ عليَّ عقرباً أو حيةً تلدغُني، رَسُولُكَ ولا أستطيعُ أن أقُولَ له شيئاً. أخرجه مسلم.

[٣] عن عاصم بن كُليب، عن أبيه: قال: انتهينا إلى عليٍّ رضي الله عنه، فذكر عائشة، فقال: خليلةُ رسولِ الله ﷺ.

هذا حديث حسن. ومُصعب فصالح لا بأس به. وهذا يقوله أمير المؤمنين في حق عائشةَ مع ما وقع بينهما، فرضيَ اللهُ عنهما. ولا ريبَ أن عائشةَ ندمتْ ندامةً كُلِّيَّةً على مسيرها إلى البصرة وحضورها يومَ الجمل، وما ظَنَّت أنَّ الأمرَ يبلغُ ما بلغ.

[٤] عن إسماعيل: حدثنا قيس، قال: لما أقبلت عائشةُ، فلما بلغتْ مياهَ بني عامر ليلاً نَبَحَت الكلابُ، فقالت: أيُّ ماء هذا؟ قالوا ماءُ الحَوْأَب. قالت: ما أظُنُّني إلا أنني راجعةٌ. قال بعضُ من كان معها: بل تقدَمين فيراكِ المسلمون، فَيُصلحُ اللهُ ذاتَ بينهم. قالت: إنَّ رسولَ الله ﷺ قال ذاتَ يوم: «كَيْفَ بإِحْدَاكُنَّ تَنْبَحُ عليها كِلابُ الحَوْأَبِ». هذا حديث صحيح الإسناد.

عن صالح بن كَيسان وغيره: أن عائشةَ جعلت تقولُ: إنّ عُثمان قُتِلَ مظلوماً، وأنا أدعوكم إلى الطلب بدمه، وإعادةِ الأمر شُورى.

عن ابن عباس، أنه قالَ للزُّبير يومَ الجمل: هذه عائشة تُملِّكُ المُلكَ لقرابتها طلحة، فأنت علامَ تُقاتِلُ قَريبَكَ علياً! فرجع الزُّبيرُ، فلقيه ابنُ جُرْمُوز، فقتله.

قلت: قد سُقتُ وقعةَ الجمل مُلَخَّصة في مَناقب عليٍّ، وإن علياً وقف على خِباء عائشةَ يَلُومُها على مَسيرها. فقالت: يا ابنَ أبي طالب، مَلَكتَ فأَسْجِحْ[١]، فَجَهَّزها

---

(١) أي: قدرت فسهِّل وأحسن العفو، وهو مثل سائر.

إلى المدينة، وأعطاها اثنى عشَرَ ألفاً. فرضيَ الله عنه وعنها.

[١] عن أبي وائل: سمع عماراً يقولُ، حين بعثه عليٌّ إلى الكوفة ليستنفِرَ الناس: إنا لنعلم إنها لزوجةُ النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكنَّ الله ابتلاكُم بها، لتتبعوه، أو إياها.

[٢] عن أبي موسى قال: ما أشكل علينا أصحابَ محمد ﷺ حديثٌ قط، فسألْنا عائشةَ، إلَّا وَجَدنَا عندها منه علماً.

[٣] عن ابن أبي مُلَيكة: أنَّ ذكوان: أبا عمرو: حدثه قال: جاء ابنُ عباس رضي الله عنهما يَستأذنُ على عائشة، وهي في الموت. قال: فجئتُ وعند رأسها عبدُ الله ابنُ أخيها عبدالرحمن، فقلتُ: هذا ابنُ عباسٍ يستأذن. قالت: دَعني مِن ابنِ عبَّاس، لا حاجةَ لي به، ولا بتزكيته. فقال عبدالله: يا أمَّه، إن ابنَ عباس من صالحي بَنيك، يودِّعُك ويسلِّم عليك. قالت: فائذنْ له إن شِئتَ. قال: فجاء ابنُ عباس، فلما قعد، قال: أبشري، فوالله ما بينك وبين أَنْ تُفارقي كل نَصَب، وتَلقي مُحمَّداً ﷺ والأحبة، إلا أن تُفارِق روحُك جسدك.

قالت: إيهاً، يا ابنَ عباس! قال: كُنْتِ أَحبَّ نساءِ رسولِ اللهِ ﷺ - يعني إليه - ولم يكن يُحِبُّ إلا طيِّباً، سقطت قِلادتُك ليلةَ الأبواء، وأصبح رسولُ الله ﷺ ليلتقِطَها، فأصبح الناسُ ليس معهم ماء، فأنزل الله ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيباً﴾ [النساء ٤٢]. فكان ذلك من سببك، وما أنزل اللهُ بهذه الأمة من الرُّخصة، ثم أنزل الله تعالى براءَتك من فوق سَبع سماوات، فأصبح ليس مَسجدٌ من مَساجِدَ يُذكَرُ فيها الله إلا براءَتُك تُتلى في آناءَ الليل والنهار. قالت: دَعني عنكَ يا ابنَ عباس، فوالله لوِددْتُ أني كنتُ نَسياً منسِياً.

[٤] كان مسروق إذا حدَّثَ عن عائشةَ، قال: حدَّثَتْني الصِّدِّيقةُ بنتُ الصِّدِّيق، حبيبةُ حبيب اللهِ، المبرَّأةُ من فوق سَبْعِ سماوات، فلم أكذبها.

[٥] عن أبي الضُحى، عن مسروق، قال: قلنا له: هل كانت عائشة تُحسِنُ الفرائضَ؟ قال: والله، لقد رأيتُ أصحاب محمد ﷺ الأكابرَ يَسألونَها عن الفرائض.

[١] عن هشام، عن أبيه، قال: لقد صَحبتُ عائشَةَ، فما رأيتُ أحداً قطُّ كان أعلَمَ بآية أُنـزلت، ولا بفريضة، ولا بسُنَّة، ولا بِشِعرٍ، ولا أرْوَى له، ولا بيوم من أيامِ العرب، ولا بنسبٍ، ولا بكذا، ولا بكذا، ولا بقضاء، ولا طِبٍّ، منها. فقلتُ لها: يا خالةُ، الطبُّ، من أين عُلِّمْتِهِ؟ فقالت: كنتُ أمرضُ فيُنعَتُ لي الشيءُ، ويَمرضُ المريضُ فيُنعتُ له، وأسمعُ الناسَ يَنعَتُ بعضهُم لبعض، فأحفظه.

[٢] الـزُّهـري ـ من رواية مَعْمَـر والأوزاعي عنه، وهذا لفظ الأوزاعي عنه ـ قال: أخبرني عوفُ بنُ الطُّفيل بن الحارث الأزدي، وهو ابنُ أخي عائشةَ لأمها: أنَّ عائشةَ بلغها أنَّ عبدَ الله بن الزُّبير كان في دار لها باعتها، فتسخَّط عبدُالله بَيعَ تلك الدار، فقال: أما والله لَتنتَهِيَنَّ عائشةُ عن بيع رِباعها، أو لأَحْجُرَنَّ عليها.

قالت عائشةُ: أوَ قالَ ذلك؟ قالوا: قد كانَ ذلك. قالت: للهِ عليَّ ألاَّ أُكلِّمَه، حتى يُفرِّق بيني وبينه الموت.

فطالت هجرتها إياه، فنقصه الله بذلك في أمره كُلِّه، فاستشفع بكل أحد يَرى أنه يَثْقُلُ عليها، فأَبَتْ أن تُكَلِّمَه.

فلمـا طال ذلـك، كَلَّم المِسْوَرَ بن مخرَمة، وعبدَ الرحمن بن الأسود بن عبد يَغوث، أن يَشْمَلاهُ بأرديتِهما ثم يَستأذِنا، فإذا أَذِنَتْ لهما، قالا: كلُّنا؟ حتى يُدْخِلاهُ على عائشة، ففعلا ذلك، فقالت: نعم كلُّكم، فليَدْخُل. ولا تشعرُ. فدخل معهما ابنُ الزُّبير، فكشَفَ الستر، فاعتنقها، وبكى، وبكت عائشةُ بُكاءً كثيراً، وناشَدها ابنُ الـزبير اللهَ والرَّحم ونَشَدَهَا مِسْوَرُ وعبدُ الرحمن بالله والرَّحم، وذكروا لها قولَ رسولِ الله ﷺ «لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أخَاه فَوْقَ ثَلاثٍ». فلما أكثروا عليها، كلَّمته، بعدما خَشِيَ ألاَّ تُكَلِّمه. ثم بَعثت إلى اليمن بمال، فابتيع لها أربعون رَقبة، فأعتقتها.

قال عوف: ثـم سمعتُها بعدُ تذكُرُ نَذرها ذلك، فتبكي حتى تَبُلَّ خِمارها.

[٣] وقال الزُّهريُّ: لو جُمِعَ علمُ عائشة إلى علم جميع النساء، لكان عِلم عائشة أفضل.

[١]عن عطاء: أنَّ معاويةَ بعث إلى عائشة بِقلادة بمئة ألف، فقسمتها بين أُمهات المؤمنين.

[٢] عن عروة، عن عائشةَ، أنها تصدَّقت بسبعين ألفاً، وإنها لترقَعُ جانِبَ درعها، رضي الله عنها.

عن أُم ذَرَّة، قالت: بعث ابنُ الزُّبير إلى عائشة بمال في غِرارتين، يكون مئة ألف، فَدَعَتْ بطبق، فجعلتْ تقسم في النـاس، فلمـا أمسَتْ، قالت: هاتي يا جاريةُ فطُوري. فقالت أُمُّ ذَرَّة: يا أُمَّ المؤمنين، أما استطعتِ أن تشتري لنا لحماً بدرهم؟ قالت: لا تُعنِّفيني، لو أذكرتيني لفعلت.

[٣] عن مصعب بن سعد، قال: فرض عُمر لأُمَّهات المؤمنين عشرةَ آلاف، عشرة آلاف، وزاد عائشةَ ألفين، وقال: إنها حبيبةُ رسولِ الله ﷺ.

[٤] عن شعبة: أخبرنا عبدُ الرحمن بن القاسم، عن أبيه: أن عائشةَ كانت تَصُومُ الدَّهر.

[٥] عن عَمرو بنِ أبي عَمرو: سمع القاسم يقولُ: كانت عائشة تَلبَسُ الأحمرين: الذَّهب والمُعَصْفَر، وهي مُحْرِمَةٌ.

[٦] عن ابنَ أبي مُلَيكة، قال: قالت عائشةُ: تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ في بيتي، وفي يومي وليلتي، وبين سَحري ونَحري(١)ودخلَ عبدُ الرحمن بنُ أبي بكر، ومعه سِواكُ رَطب، فنظرَ إليه، حتى ظننتُ أنه يُريدُه، فأخذتُه، فمضغتُه ونفضتُه وطيَّبتُه، ثم دفعته إليه، فاستنَّ به كأحسن ما رأيتُه مُستنًّا قطُّ، ثم ذهبَ يرفعه إليَّ، فسقَطت يدُهُ، فأخذتُ أدعو له بدُعاء كان يدعو به له جبريل، وكان هو يدعو به إذا مَرض، فلم يَدْعُ به في مَرضِـه ذاك. فرفَـع بصَـرَه إلى السماء، وقال: «الرفيق الأعلى» وفاضَتْ نفسُه. فالحمد لله الذي جَمع بين ريقي وريقه في آخرِ يومٍ من الدُّنيا. هذا حديثٌ صحيح.

تُوفيت سنة سبع وخمسين.

---

(١) السحر: الرئة، والنحر: أعلى الصدر، واستن: استاك.

[١]عن قَيْس، قال: قالت عائشةُ، وكانت تُحدِّثُ نفسَها أن تُدْفَنَ في بيتها، فقالت: إنِّي أحدثتُ بعدَ رسول الله ﷺ حَدَثاً، ادفنوني مع أزواجه. فدُفِنتْ بالبقيع، رضي الله عنها. قلتُ: تعني بالحدث: مَسِيرَها يوم الجمل، فإنها نَدِمت ندامةً كُلِّيَّة، وتابت من ذلك: على أنها ما فعلت ذلك إلا مُتَأَوِّلة قاصدة للخير، كما اجتهد طلحة بن عُبيد الله، والزُّبير بنُ العوام، وجماعةٌ من الكبار، رضي اللهُ عن الجميع.

ومدةُ عمرها: ثلاث وستون سنة وأشهر.

[٢] عن عائشة رضي الله عنها: أنها قَتلت جَانّاً، فأُتيتْ في منامها: والله لقد قَتلت مسلماً.

قالت: لو كان مُسلماً لم يَدخُلْ على أزواجِ النبي ﷺ.

فقيل: أو كان يَدخُلُ عليك إلاّ وعليكِ ثيابُكِ.

فأصبحتْ فزعة، فأمرت باثني عشر ألف درهم، فجعلتها في سبيل الله.

عن عائشةَ بنت طلحة، قالت: كان جانٌّ يطلُع على عائشةَ، فحرَّجَت عليه مَرَّة، بعد مَرَّة، بعد مَرَّة، فأبى إلا أن يظهر، فَعَدَتْ عليه بحديدة، فقتلته. فأُتيتْ في منامها، فقيل لها؛ أقتلتِ فُلاناً، وقد شَهد بدراً، وكان لا يطلُعُ عليك، لا حاسراً ولا متجردة، إلا أنَّه كانَ يَسمَعُ حديث رسول الله ﷺ. فأخذها ما تقدَّم وما تأخر، فذكرتْ ذلك لأبيها فقال: تصَدَّقي باثنى عشر ألفاً دِيَته.

الإسناد الأول أصح. وما أعلمُ أحداً اليوم يقولُ بوجوب دِيَة في مثل هذا.

[٣] عن ابن عباس، قال: قال رسولُ الله ﷺ «أَيَّتُكُنَّ صَاحِبَةُ الجَمَلِ الأَدْبَبِ، يُقْتَلُ حَوْلَها قَتْلَى كَثِيرٌ، وتَنْجُو بَعْدَ ما كادتْ».

قال ابنُ عبد البَرِّ: هذا الحديث من أعلام النبوة.

٦١ أُمُّ سَلَمَة أُمُّ المؤمنين (ع)[١]

[٤]السيدةُ المُحَجَّبَةُ، الطاهرةهندُ بنتُ أبي أُمية المخزوميَّة، بنت عَمِّ خالد بن

(١) انظر السير: ٢/٢٠١ـ ٢١٠.

الوليد، سيفِ الله، وبنت عم أبي جَهل بن هشام.

[١] من المهاجرات الأُول. كانت قبل النبي ﷺ عند أخيه من الرَّضاعة: أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، الرجل الصالح.

دخـل بهـا النبي ﷺ في سنـة أربـعٍ من الهجرة. وكانت من أجْمل النساءِ، وأشرفهنَّ نسباً.

[٢] وكانت آخر من ماتَ من أُمَّهات المؤمنين، عُمِّرتْ حتى بلغها مقتَلُ الحسين، الشهيدِ، فوَجَمَتْ لذلـك، وغُشِيَ عليها، وحَزِنَتْ عليه كثيراً. لم تلبَثْ بعدهُ إلا يَسيراً، وانتقلت إلى الله.

[٣] ولها أولاد صحابيون: عَمر، وسَلَمَةُ، وزَينبُ، ولها جملة أحاديث.

عاشت نحواً من تسعين سنة.

وأبوها: هو زادُ الراكب(١)، أحد الأجواد. قيل: اسمه حُذَيفة.

وقد وهم من سماها: رملة، تلك أم حبيبة.

وكانت تُعَدُّ من فُقهاء الصحابيات.

[٤] عن زياد بنِ أبي مريم، قالت أُمُّ سلمة لأبي سلمة: بلغني أنَّه ليس امرأةٌ يموت زَوْجُها، وهو من أهل الجنة، ثم لم تَزَوَّجْ، إلا جمع اللهُ بينهما في الجنة، فتعال أُعاهدك ألا تزوَّجُ بعدي، ولا أتزوَّج بعدك. قال: أَتُطيعينني؟ قالت: نعم. قال إذا مِتُّ تزوَّجي. اللهم ارزُق أُمَّ سَلَمة بعدي رجلاً خيراً مني، لا يُحزنها، ولا يُؤذيها. فلما ماتَ، قلتْ: مَنْ خَيرٌ مِنْ أبي سلمة؟ فما لبثتُ، وجاء رسولُ الله ﷺ، فقام على الباب فذكر الخِطبةَ إلى ابن أخيها، أو ابنها، فقالتْ أَرُدُّ على رسول الله ﷺ أو أتقدَّم عليه بعيالي. ثم جاء الغد فخطب.

ثابتٌ: حدثني عمر بنُ أبي سَلَمَة عن أبيه: أَنَّ أُمَّ سَلَمَة لما انقضت عِدَّتها، خَطبها أبو بكر، فردَّته، ثم عُمَرُ، فردَّته. فبعث إليها رسولُ الله. فقالت: مرحباً،

---

(١) في (اللسان) وأزواد الراكب من قريش: أبو أمية بن المغيرة، والأسود بن عبدالمطلب بن عبدالعزى، ومسافر بن أبي عمرو بن أمية عم عقبة، كانوا إذا سافروا، فخرج معهم الناس، فلم يتخذوا زاداً معهم ولم يوقدوا، يكفونهم ويغنونهم.

أخْبر رسولَ الله أني غَيرى، وأني مُصبيَة، وليس أحدٌ من أوليائي شاهداً.

فبعث إليها: «أما قولُك: إني مُصبيَةٌ، فإنَّ الله سَيكفِيكِ صِبيانَكِ. وأما قولُك: إني غَيْرَى، فسأدعو الله أنْ يُذْهِبَ غيرتَكِ، وأما الأولياء، فليسَ أحدٌ منهم إلا سيرضى بي». قالت: يا عُمَرُ، قُم فزوِّج رسول الله.

وقال رسولُ الله ﷺ «أما إنيِّ لا أَنْقُصُك مما أَعْطَيْتُ فُلانَةَ...» الحديث[1].

[١] وعن المطلب بن عبدالله بن حنطب، قال: دخلت أيِّمُ العرب على سَيِّد المسلمين أول العشاءِ عَرُوساً، وقامت آخِر الليل تَطحن. يعني: أم سلمة.

[٢] عن أُمِّ سلمة، قالت: لما تُوفي أبو سَلمة، أتيتُ النبي ﷺ، فقلتُ: كيفَ أقولُ؟ قال: «قولي: اللَّهمَّ اغْفِرْ لَنا وَلَهُ، واعْقِبْني مِنه عقبى صالحة» فقلتها، فأعقبني الله محمداً ﷺ.

[٣] عن حذيفة: أنه قال لامرأته: إن سَرَّكِ أن تكوني زَوجتي في الجنة، فلا تَزوَّجي بعدي، فإنَّ المرأة لآخر أزواجِها في الدُّنيا، فلذلك حُرِّم على أزواج النبي ﷺ أن يَنكحنَ بعده، لأنَّهنَّ أزواجه في الجنة.

[٤] وفاتها في سنة إحدى وستين، رضي الله عنها.

وقد تَزَوَّجَها النبي ﷺ حين حلَّت في شوال سنة أربع.

٦٢ زَينَب أُمُّ المؤمنين (ع)[2]

[٥] بنت جحش بن رياب، وابنةَ عمةِ رسولِ الله ﷺ.

من المهاجرات الأُوَل.

---

(١) وتمامه، رحيين وجرتين ووسادة من آدم حشوها ليف. قال: وكان رسول الله ﷺ يأتيها فإذا جاء أخذت زينب فوضعتها في حجرها لترضعها، وكان رسول الله ﷺ حيياً كريماً يستحي فيرجع، فعل ذلك مرارا ففطن عمار بن ياسر لما تصنع، قال: فأقبل ذات يوم وجاء عمار، وكان أخاها لأمها، فدخل عليها، فانتشطها من حجرها وقال: دعي هذه المقبوحة المشقوحة التي آذيت بها رسول الله، فدخل، فجعل يقلب بصره في البيت يقول «أين زناب؟ ما فعلت زناب؟» قالت: جاء عمار، فذهب بها. قال: فبنى رسول الله بأهله، ثم قال: «إن شئت أن أسبع لك سبعت للنساء».

(٢) انظر السير: ٢/٢١١-٢١٨.

كانت عند زيد، مولى النبي ﷺ. وهي التي يقول الله فيها: ﴿وإذْ تَقُولُ لِلَّذي أنعَمَ اللهُ عَلَيهِ وأنْعَمْتَ عَلَيْه أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ واتَّقِ الله. وتُخْفي في نَفْسِكَ ما اللهُ مُبْدِيه وتَخْشَى الناسَ واللهُ أَحَقُّ أنْ تَخْشَاهُ. فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَهَا﴾ [الأحزاب ٣٧].

فزوَّجهـا الله بنبيه بنصٍّ كتـابه، بلا وليٍّ ولا شاهد. فكانت تَفخرُ بذلك على أُمهات المؤمنين، وتقول: زوَّجكُنَّ أهالِيكُن، وزوَّجني اللهُ مِن فوق عرشه.

[١] وكانت مِن سادة النساء، ديناً وورعاً وجوداً ومعروفاً، رضي اللهُ عنها.

توفيت في سنة عشرين، وصلى عليها عُمر.

وهي التي كان النبي ﷺ يقول: «أسرعُكُنَّ لحوقاً بي أطولُكُنَّ يَداً» وإنما عَنَى طولَ يدها بالمعروف.

[٢] ورُوِي عن عائشةَ قالت: كانت زَينبُ بنتُ جحش تُسَاميني في المنزلة عند رسول الله ﷺ، ما رأيتُ امرأةً خيراً في الدِّيْن من زينب، أتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة. رضي الله عنها.

[٣]عن عطاء، سمع عُبَيد بن عُمير يقول: سمعتُ عائشةَ تَزعمُ أنَّ النبيَّ ﷺ كان يمكثُ عند زينبَ بنتِ جَحش، ويشربُ عندها عسلاً. فتواصَيْتُ أنا وحفصةُ أنَّ أيَّتُنا ما دخلَ عليها، فلتقُلْ: إني أَجِدُ منك ريحَ مَغافير[1]! أَكَلْتَ مَغَافيرَ! فدخلَ على إحداهما، فقالت له ذلك. قال: بل شَرِبْتُ عَسَلاً عِنْدَ زينب، ولن أعودَ له. فنزل: ﴿يا أَيُّها النبيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ الله لكَ﴾ [التحريم ١]. . . إلى قوله: ﴿إنْ تَتُوبا﴾ - يعني حفصة وعائشة. ﴿وَإذْ أَسَرَّ النبيُّ﴾ قوله: بل شربتُ عسلاً.

[٤] وقال ابنُ عبد البَرِّ: بناتُ جحش: زينبُ، وحمنةُ، وأُمُّ حبيبة، كن يسْتَحِضْنَ.

[٥] وكانت صَناعَ اليد، فكانت تَدبُغ، وتَخْرُزُ، وتَصدَّقُ.

[٦] وقيل: إن النبي ﷺ تزوَّجَ بزينب في ذي القعدة سنة خمس، وهي يومئذ بنت خمس وعشرين سنة. وكانت صالحةً، صوَّامةً، قوَّامةً، بارَّة، ويقال لها: أم المساكين.

---

(١) المغافير: صمغ شبيه بالناطف ينضحه العرفط، فيوضع في ثوب، ثم ينضح بالماء فيشرب، وله ريح منكرة.

[١] عن أنس: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لِزيد: «اذْكُرْها عَلَيَّ» قال: فانطلقتُ، فقلتُ لها: يا زينبُ، أبشري، فإنَّ رسولَ الله أرسل يذكُرُكِ. قالت: ما أنا بصانعة شيئا حتى أُؤامرَ ربي. فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآنُ، وجاء رسولُ اللهِ ﷺ فدَخَلَ عليها بغير إذْن.

٦٣ زينب أُم المؤمنين(١)

[٢] بنت خُزَيمة بن الحارث بن عبدالله الهِلالية.

فتُدعى أيضاً: أُمَّ المساكين، لكثرة معروفها أيضاً.

[٣] قُتِلَ زوجُها عبدُ الله بنُ جحش يومَ أُحُد، فتزوَّجها رسولُ الله ﷺ، ولكن لم تمكُث عنده إلا شهرين، أو اكثر، وتوفيت رضيَ اللهُ عنها.

[٤] وهي أُخْتُ أُم المؤمنين مَيْمُونة لأُمِّها.

٦٤ أم حبيبة أُمُّ المؤمنين (ع) (٢)

[٥] السيدة المحجَّبَة: رَملةُ بنتُ أبي سُفيان.

وهي من بنات عمِّ الرسولِ ﷺ، ليس في أزواجه مَن هي أقربُ نسباً إليه منها، ولا في نسائِهِ من هي أكثرُ صَدَاقاً منها، ولا مَنْ تزَوَّج بها وهي نائيةُ الدار أبعدُ منها.

عُقِدَ له ﷺ عليها بالحبشة، وأَصدَقَها عنه صاحِبُ الحبشة أربعَ مئة دينار، وجَهَّزها بأشياء.

[٦] وقَدمتْ دمشقَ زائرةً أخاها.

ويقالُ: قبرُها بدمشق. وهذا لا شيْ، بل قبرُها بالمدينة، وإنما التي بمقبرة باب الصغير: أُمُّ سَلَمةَ أسماءُ بنتُ يزيد الأنصارية.

[٧] قال ابنُ سعد: وَلَدَ أبو سفيان: حنظلةَ، المقتولَ يوم بدر، وأُمَّ حَبيبة، توفي عنها زوجُها الذي هاجر بها إلى الحبشة، عُبيد الله بن رياب الأسدي، مرتدّاً متنصِّراً.

---

(١) انظر السير: ٢/٢١٨.

(٢) انظر السير: ٢/٢١٨-٢٢٣.

[١] وقد كان لأم حَبيبة حُرمةٌ وجلالةٌ، ولا سيما في دولة أخيها، ولمكانِه منها، قيل له: خالُ المؤمنين.

ماتت أُم حبيبة سنة أربع وأربعين.

٦٥ أُم أيمن (ق)[١]

[٢] **الحبشية، مولاةُ رسول الله ﷺ، وحاضِنَتُه. ورثها من أبيه، ثم أعتقها عندما تزوَّج بخديجة.**

وكانت من المهاجرات الأُول.

[٣] اسمها: بركة. وقد تزَّوجها عُبيدُ بن الحارث الخَزرجي، فولدت له: أيمن. ولأيمن هجرةٌ وجهادٌ، استُشهد يومَ حُنين. ثم تزوَّجها زيدُ بن حارثة ليالي بُعث النبي ﷺ، فولَدَتْ له أسامة بنَ زيد، حِبَّ رسولِ الله ﷺ.

[٤] عن أنس: أنَّ أُمَّ أيمن بكت حين مات النبي ﷺ. قيل لها: أتَبكِينَ؟ قالت: واللهِ، لقد علمتُ أنه سيموت، ولكِنِّي إنَّما أبكي على الوَحي إذ انقطعَ عَنَّا من السماءِ.

[٥] عن طارق قال: لما قُتل عُمر، بكت أُمُّ أيمن، وقالت: اليومَ وَهَى الإسلامُ. وبكت حين قُبضَ النبيُّ ﷺ.

قال الواقدي: ماتت في خلافة عُثمان.

٦٦ حَفْصَةُ أُمُّ المؤمنين (ع)[٢]

[٦] **السِّترُ الرَّفيعُ، بنتُ أميرِ المؤمنين أبي حَفص عُمر بن الخطاب.**

[٧] تَزوَّجها النبي ﷺ بعد انقضاء عِدَّتها من خُنَيس بن حُذَافة السَّهمي، أحد المهاجرين، في سنة ثلاث من الهجرة.

[٨] ورُوي أنَّ مولدَها كان قبل المبعث بخَمس سنين. فعلى هذا يكونُ دخُولُ النبي

---

(١) انظر السير: ٢/٢٢٣-٢٢٧.

(٢) انظر السير: ٢/٢٢٧- ٢٣١.

ﷺ بها ولها نحو من عشرين سنة.

[١] وكانت لما تأيَّمت، عَرَضَها أبوها على أبي بكر، فلم يُجِبْه بشيء، وعرضها على عثمانَ، فقال: بدا لي ألاَّ أتزوَّج اليوم. فَوَجَد عليهما، وانكسر، وشكا حالَه إلى النبي ﷺ. فقال: «يَتَزَوَّجُ حَفْصَةَ مَنْ هو خَيرٌ مِن عُثمان، ويَتَزَوَّجُ عُثمان مَن هي خَيْرٌ مِن حَفْصَةَ» ثم خَطَبها. فزوَّجه عُمر.

وزَوَّج رسولُ الله عثمانَ بابنته رُقَيَّة بعد وفاة أُختها.

[٢] ولما أن زوَّجها عُمرُ، لَقِيَهُ أبو بكر، فاعتذر، وقال: لا تَجِدْ عَلَيَّ، فإنَّ رسولَ الله ﷺ، كان قد ذكر حَفْصَة، فلم أكن لأُفْشِيَ سرَّه، ولو تَركها، لتزوَّجتها.

[٣] ورُوي أنَّ النبي ﷺ، طَلَّق حفصةَ تَطليقةً، ثم رَاجَعَها بأمر جبريل عليه السلام له بذلك، وقال: «إنَّها صَوَّامةٌ، قوَّامةٌ، وهي زَوْجَتُكَ في الجنَّة». إسناده صالح.

[٤] وحفصة، وعائشة هما اللتانُ تَظَاهَرتا على النبي ﷺ، فأنزل اللهُ فيهما ﴿إنْ تَتُوبَا إلى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلوبُكُما، وإنْ تَظَاهَرا عَلَيهِ فإنَّ اللهَ هُو مَولاهُ وجِبْرِيلُ﴾. الآية [التحريم ٤].

تُوفيت حَفصةُ سنةَ إحدى وأربعين عامَ الجماعة.

٦٧ صَفِيَّة أُمّ المؤمنين (ع)(١)

[٥] بنت حُيَيِّ بنِ أَخْطَب بن سَعية، من سبط اللاوي بن نَبيِّ الله إسرائيلَ بن إسحاق بن إبراهيم، عليهم السلام. ثم من ذرية رسول الله هارون عليه السلام.

[٦] تزَّوجها قبل إسلامِها: سَلامُ بنُ أبي الحُقيق، ثم خَلَف عليها كِنانة بن أبي الحُقَيق، وكانا من شعراء اليهود، فقُتل كِنانة يومَ خَيبر عنها، وسُبيت وصارت في سَهم دِحْيَةَ الكَلْبي، فقيل للنبيِّ ﷺ عنها، وأنها لا ينبغي أن تكونَ إلاَّ لك. فأخذها من دِحية، وعوَّضه عنها سَبْعَة أرؤس.

ثم إنَّ النبيَّ ﷺ لما طَهرت، تزوَّجها، وجعل عتقَها صداقَها.

[٧] وكانت شريفةً عاقلةً، ذاتُ حَسَبٍ وجمالٍ، ودينٍ. رضي الله عنها.

(١) انظر السير: ٢/ ٢٣١-٢٣٨.

[١] قال أبو عُمر بنُ عبد البَرِّ: روينا أنَّ جاريةً لصَفِيَّةَ أتت عُمرَ بنَ الخطاب، فقالت: إنَّ صَفِيَّةَ تُحب السبت، وتَصِلُ اليهود. فبعث عُمر يسألُها. فقالت: أما السبتُ، فلم أُحِبَّه مُنذ أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهودُ، فإنَّ لي فيهم رَحِماً، فأنا أَصِلُها، ثم قالت للجارية: ما حَمَلَكِ على ما صَنَعْتِ؟ قالت: الشيطان قال: فاذهبي، فأنتِ حُرَّة.

توفيت سنة خمسين.

وكانت صفيةُ ذات حِلْمٍ، ووقارٍ.

وقبرها بالبقيع.

٦٨ مَيْمُونَةُ أُمُّ المؤمنين (ع)(١)

[٢] بنتُ الحارث بن حَزْنٍ الهلالية.

زوجُ النبيِّ ﷺ، وأختُ أُمِّ الفضل زوجةِ العباس، وخالةُ خالد بن الوليد، وخالةُ ابنِ عباس.

[٣] تزوَّجها أولاً مسعودُ بنُ عَمرو الثقفي قبيل الإسلام، ففارقها. وتزوَّجها أبو رُهم بنُ عبدالعُزَّى، فمات. فتزوَّج بها النبيُّ ﷺ في وقت فَراغِه من عُمرة القضاء سنة سبع في ذي القعدة. وبنى بها بسَرِف ـ أظنه المكان المعروف بأبي عُروة.

[٤] وكانت من سادات النساء. روت عدةَ أحاديث.

[٥] قال مجاهد: كان اسمُها بَرَّة، فسماها رسولُ الله: مَيمُونة.

[٦] عن يَزيد بن الأصم: أن ميمُونة حَلَقَتْ رأسَها في إحرامِها، فماتت، ورأسها مُحَمَّم(٢).

وقال خليفة: تُوفِّيت سنة إحدى وخمسين. رضي الله عنها.

---

(١) انظر السير: ٢ / ٢٣٨-٢٤٥.

(٢) وقوله: ورأسها محمّم: أي مُسْود بسبب نبات الشعر بعد الحلق، وفي حديث أنس: كان إذا حمم رأسه بمكة خرج واعتمر، أي اسود بعد الحلق بنبات شعره. ولعل ميمونة لم يبلغها رضي الله عنها أن المرأة لا تحلق رأسها في الحج بل تقصر.

٦٩ زينب بنت رسول الله ﷺ(١)

[١] وأكبر أخواتِها من المُهاجرات السِّيِّدات.

تزوَّجها في حياة أمها ابنُ خالتها أبو العاص، فوَلَدَت له: أُمَامَة التي تزوج بها عليُّ بنُ أبي طالب بعد فاطمة، وولدتْ له: عليَّ بنَ أبي العاص، الذي يُقال: إنَّ رسولَ الله ﷺ أردفَه وراءه يوم الفتح، وأُظُنُّه مات صبياً.

[٢] أسلمت زينبُ، وهاجرتْ قبل إسلام زَوجها بستِّ سنين.

[٣] عن أبي هريرة: بعثَ رسولُ الله ﷺ سريَّةً، وكنتُ فيهم، فقال: «إنْ لَقِيتُم هَبَّار بنَ الأسود، ونافعَ بنَ عبدعمرو، فأَحرقوهُما» وكانا نَخَسا بزينب بنت رسول الله حين خرجت، فلم تزل ضَبِنَة(٢) حتى ماتت.

ثم قال: «إنْ لَقيتُموهما، فاقتُلُوهما، فإنه لا ينبغي لأَحدٍ أن يُعَذِّبَ بعذاب الله».

[٤] عن يزيد بن رومان، قال: صلَّى رسولُ الله ﷺ بالناسِ الصُّبح، فلما قام في الصلاة، نادت زينب: إني قد أجرْت أبا العاص بنَ الرَّبيع، فلما سلَّم النبيُّ ﷺ قال: «ما علمتُ بهذا، وإنه يُجيرُ على الناس أدناهم».

[٥] قال الشَّعْبي: أسلمت زينبُ، وهاجرت، ثم أسلم بعد ذلك، وما فرَّق بينهما.

وكذا قال قتادة، وقال: ثم أُنزلت ﴿براءةٌ﴾ بعد، فإذا أَسلمت امرأةٌ قبل زوجِها، فلا سبيلَ له عليها، إلاّ بخِطبة.

تُوفِّيت في أول سنة ثمان.

[٦] عن أُمِّ عطيَّة، قالت: لمَّا ماتت زينبُ بنتُ رسول الله ﷺ، قال: «اغْسِلْنَها وتراً، ثلاثاً، أو خمساً، واجْعَلْنَ في الآخرة كافُوراً أو شيئاً من كافور، فإذا غَسَلْتُنَّها فأعْلِمْنَني» فلما غسلناها، أعطانا حَقْوه، فقال: «أشْعِرْنَها إياه»(٣).

---

(١) انظر السير: ٢/ ٢٤٦-٢٥٠.

(٢) أي: زَمِنَة، من الزمانة وهي المرض الدائم.

(٣) والحقو: الإزار، وجمعها: حِقِيٌّ وأَحْقٍ وأحقاء، والأصل في الحقو: معقد الإزار، وسمي الإزار حقواً، لأنه يُشد على الحقو، وقوله: «أشعرنها إياه» يريد اجعلنه شعاراً لها، وهو الثوب الذي يلي جسدها، فالشعار الثوب الذي يلي الجسد، والدثار فوق الشعار.

٧٠ رُقَيَّةُ بنتُ رسولِ الله(١)

[١] ﷺ وأُمُّها خَديجة.

قال ابنُ سعد: تزوَّجها عُتْبَةُ بن أبي لَهب قبل النبوَّة.

كذا قال، وصوابُه: قبل الهجرة.

فلما أُنزلتْ ﴿تَبَّتْ يَدَا أبي لَهَبٍ وتَبَّ﴾ قال أبوه: رأسي من رأسِك حرامٌ إن لم تُطلِّق بِنْتَه. ففارقها قبل الدُّخول.

[٢] وأسلَمت مع أمها، وأخواتِها، ثم تزَّوجَها عُثمان.

[٣] قال ابن سعد: هاجرت معه إلى الحبشة، الهجرتين معاً.

[٤] ووَلَدَت من عُثمان عبدَاللهِ، وبه كان يُكنى، وبلغ ست سنين، فنقرهُ ديكٌ في وجهه، فطمِرَ(٢) وجهُه، فمات.

[٥] ثم هَاجرتْ إلى المدينة بعد عثمان، ومَرِضَتْ قبيل بدرٍ، فخَلَّفَ النبيُّ ﷺ عليها عُثمانَ، فتُوفيت، والمسلمون ببدر.

٧١ أُمُّ كُلْثُوم بنت رسول الله(٣)

[٦] ﷺ، البَضْعَةُ الرابعةُ النبويةُ.

يقال، تزوَّجَها عُتيبةُ بنُ أَبي لهب، ثم فارقها.

وأَسلمتْ، وهـاجرتْ بعد النبيِّ ﷺ. فلما توفِّيت أُختُها رُقَيَّةُ تزوَّج بها عُثمانُ ـ وهي بكرٌ ـ في ربيع الأول سنة ثلاث، فلم تَلِدْ له.

وتُوُفيتْ في شعبان سنة تسع.

زوجاته ﷺ (٤)

[٧] **قال الزُّهري: تَزوَّج نبيُّ الله ﷺ ثنتي عَشْرَةَ عربيَّة مُحصنات.**

---

(١) انظر السير: ٢/٢٥٠ـ ٢٥٢.

(٢) طمِرَ وجهه: ورم.

(٣) انظر السير: ٢/٢٥٢ـ ٢٥٣.

(٤) انظر السير: ٢/٢٥٣ـ ٢٦١.

وعن قتادة قال: تَزوَّج خَمس عشرةً امرأةً: ستٌّ من قريش، وواحدةٌ من حلفاء قريش، وسبعةٌ من نساء العرب. وواحدة من بني إسرائيل.

فأوّلُهنَّ خدَيجةُ، ثم سَودةُ، ثم عَائِشَةُ، ثم أُمُّ سَلَمة، ثم حفصة، ثم زينب بنت جحش، ثم جُوَيْرِيَّةُ، ثم أُمُّ حَبِيبَةَ، ثم صَفِيَّةُ، ثم مَيْمُونة، ثم فاطمةُ بنت شُرَيح، ثم تزوَّجَ زينبَ بنت خُزَيمة، ثم هند بنت يزيد، ثم أسماء بنت النعمان، ثم قُتَيْلَة أُخت الأشعث، ثم سَنا بنت أسماء السُّلَميَّة.

٧٢ جُوَيْرِية أُمُّ المؤمنين (ع)(١)

[١] **بنت الحارث بن أبي ضِرار المُصطلقية.**

سُبيتْ يومَ غزوة المُرَيْسِيع في السنة الخامسة وكانَ اسمُها: بَرَّة فغُيِّر.

وكانت من أجمل النساء.

وكان أبوها سيداً مطاعاً.

[٢] قال ابنُ سعد وغيره: بنو المُصطَلِق من خُزاعة. وكان زوجُها، قبل أن يُسلم، ابن عمها مسافع بن صَفوان ابن أبي الشُّفَر.

وقد قَدم أبوها الحارث على النبيِّ ﷺ ، فأسلم.

وعن جُوَيْرِيَة، قالت: تزوَّجني رسولُ الله ﷺ، وأنا بنتُ عشرين سنة.

تُوفيت أم المؤمنين جُويرِيَة في سنة خمسين. رضي الله عنها.

[٣] عن جُوَيْرِيَةَ بنتِ الحارث: أنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ عليها يومَ جُمعة، وهي صائمة، فقال لها: «أصمتِ أمس»؟ قالت: لا. قال: «أتُريدينَ أنْ تَصومي غداً»؟ قالت: لا. قال: فَافْطِري.

عن جُوَيْرِية، قالت: أتىَ عليَّ رسولُ الله ﷺ غدوةً وأنا أُسبِّح، ثم انطلقَ لحاجته، ثم رجع قريباً من نصفِ النَّهار، فقال: «أمَا زلْتِ قاعدةً»؟ قلت: نعم. قال: «ألَا أُعلمكِ كلماتٍ لو عُدِلْنَ بهنَّ عَدلَتْهُنَّ، أو وُزِنَّ بهنَّ وَزَنَتْهُنَّ - يعني جميع

(١) انظر السير: ٢/٢٦١-٢٦٥.

ما سبَّحت ـ: سبحان الله عَدَد خلقه، ثلاث مرات، سبحان الله زِنَةَ عرشه، ثلاث مرات، سبحان الله رضا نفسه، ثلاث مرات، سبحان الله مداد كلماته، ثلاث مرات».

[١] عن عائشة، قالت: لما قَسَّمَ رسول الله ﷺ سَبَايَا بني المُصْطَلِق، وقعتْ جُوَيْرية في سهم رجل، فكاتَبَتْه، وكانت حُلوةً مُلَّاحةً، لا يراها أحدٌ إلا أُخذت بنفسه. فأتتْ رسولَ الله ﷺ تَستعينُه، فكرهْتُها ـ يعني لحُسنِها ـ فقالت: يا رسول الله، أنا جُويريةُ بنتُ الحارث، سيدِ قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يَخْفَ عليك، وقد كاتبتُ، فأعِنّي. فقال: «أو خَير من ذلك: «أُؤدي عنك، وأتزوَّجُك»؟ فقالت: نعم. ففعل. فبلغ الناسَ، فقالوا: أصهارُ رسولِ الله! فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المُصْطَلِق. فلقد أُعتقَ بها مئة أهل بيت. فما أعلمُ امرأةً كانت أعظمَ بركةً على قومِها منها.

٧٣ سَوْدَةُ أُمُّ المؤمنين (خ، د، س)(١)

[٢] بنت زَمعةَ بن قَيس القُرَشيَّة العَامريَّة.

وهي أولُ من تزوَّج النبيُّ ﷺ بعد خديجة، وانفردتْ به نحواً من ثلاث سنين أو أكثَر، حتى دَخَلَ بعائشة.

وكانت سيدةً جليلة نبيلة ضخمة. وكانت أولاً عند السَّكران بن عَمرو، أخي سُهيل بن عمرو العامريِّ.

[٣] وهي التي وَهَبت يومَها لعائشةُ، رعاية لقلب رسولِ الله ﷺ، وكانت قد فَرِكَتْ(٢) رضي الله عنها.

[٤] عن عائشة، قالت: ما رأيتُ امرأةً أحبَّ إليَّ أن أكون في مِسْلاخِها مِنْ سَوْدَة.

[٥] عن إبراهيم، قالت سَوْدَةُ: يا رسول الله، صلَّيتُ خلفَك البارحةَ، فركعتَ بي، حتى أمسكتُ بأنفي مخَافَةَ أن يقطُرَ الدَّمُ. فضَحك.

---

(١) انظر السير: ٢/٢٦٥ـ ٢٦٩.

(٢) فركت: أي قلّ ميلها للرجال.

وكانت تُضحِكُه الأحيانَ بالشيْ.

[١] وقالت عائشةُ: استأذنتْ سَوْدَةُ ليلةَ المزدَلِفة، أن تَدفع قبل حَطْمَةِ الناس ـ وكانت امرأة ثَبِطة ـ أي ثقيلة فأذن لها.

٧٤ صَفِيَّة عمةُ رسول الله ﷺ(١)

[٢] **بنت عبد المُطَّلب، الهاشمية. وهي شَقيقةُ حمزةَ وأمُّ حواريِّ النبي ﷺ الزبير** وأمُّها من بني زُهرة.

[٣] تزوَّجها الحارث، أخو أبي سُفيان بن حَرب، فتُوفي عنها.

وتزوجها العوَّامُ. أخو سيدةِ النساء خديجةَ بنتِ خويلد، فوَلَدت له: الزبير، والسائب وعبدالكعبة.

والصحيح: أنه ما أسلم من عمَّات النبيِّ ﷺ سواها.

[٤] ولقد وَجَدَت على مَصرعِ أخيها حمزة، وصبرت، واحتَسَبَت.

وهي من المهاجِرات الأُول.

توفيت صَفِيَّة في سنة عشرين، ودُفنت بالبقيع. ولها بضع وسبعون سنة.

٧٥ أُمُّ كُلْثُوم (خ، م، د، ت، س) (٢)

[٥] **بنت عقبة بن مُعيط.**

من المهاجرات.

[٦] أسلمت بمكة، وبايعت، ولم يتهيأ لها هجرةٌ إلى سنة سبع. وكان خروجُها زمن صُلح الحُديبية، فخرج في إثرها أخوها: الوليدُ وعُمارةُ. فما زالا حتى قَدما المدينةَ، فقالا: يا محمد، فِ لنا بشرطنا. فقالت: أتردُّني يا رسولَ الله إلى الكفار يفتنوني عن ديني ولا صَبْرَ لي، وحالُ النساءِ في الضعف ما قد عَلمتَ؟ فأنزل اللهُ تعالى: ﴿إذَا جَاءَكُمُ المُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ﴾ الآيتين]الممتحنة ١٠، ١١[.

(١) انظر السير: ٢/٢٦٩-٢٧١.

(٢) انظر السير: ٢/٢٧٦-٢٧٧.

فكان يقول: «آللهِ ما أَخرجكُنَّ إلاَّ حُبُّ اللهِ ورسولِه والإسلام! ما خَرجتُنَّ لزوجٍ ولا مال»؟ فإذا قلن ذلك، لم يَرجِعْهُنَّ إلى الكفار.

[١] ولم يكن لأم كلثوم بمكةَ زوجٌ فتزوَّجها زيدُ بنُ حارثة، ثم طلَّقها، فتزوجها عبدُ الرحمن بن عوف، فولدت له: إبراهيم، وحُميداً. فلما تُوفِّي عنها تزوَّجها عَمروُ بنُ العاص، فتُوفِّيَتْ عنده.

تُوفيت في خلافة عليٍّ رضي الله عنه.

٧٦ أمُّ عُمارة (ع)(٢)

[٢] **نَسِيبَةُ بنتُ كعب بن عَمرو.**

الفاضلة المجاهدة الأنصارية الخزرجية النجَّارية المازنية المدنيَّة.

[٣] كان أخوها عبدُ الله بنُ كعب المازنيُّ من البدريين. وكان أخوها عبدُ الرحمن، من البكَّائين.

[٤] شَهِدتْ أمُّ عُمارة ليلة العقبة، وشهدت أُحداً، والحديبية، ويوم حُنين، ويومَ اليمامة. وجاهدت، وفعلت الأفاعيل.

وقُطعت يدُها في الجهاد.

وكان ضَمرةُ بنُ سعيد المازنيُّ يُحدث عن جَدَّتِهِ، وكانت قد شَهدت أُحداً، قالت: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «لَمُقامُ نَسِيْبَةَ بنت كعبٍ اليوم خَيرٌ من مُقام فُلان وفُلان».

وكانت تَراها تُقاتلُ أشدَّ ما يكون القتالِ، وإنَّها لحاجزةٌ ثوبَها على وسطها، حتى جرحت ثلاثةَ عشرَ جُرحاً، و (كانت تقول): إني لأنظُر إلى ابن قمِئة وهو يضَربُها على عاتقها وكان أعظم جراحها، فداوتهُ سنةً. ثم نادى منادي رسولِ الله ﷺ: إلى حَمراء الأسد. فشدَّت عليها ثيابَها، فما استطاعت من نزف الدم. رضي اللهُ عنها ورحمها.

(٢) انظر السير: ٢/٢٧٨-٢٨٢.

عن عُمارة بن غَزيَّة قال: قالت أُمُّ عمارة: رأيتني، وانكشف النَّاسُ عن رسول الله ﷺ، فما بقي إلا نُفَير ما يُتِمُّون عشرة، وأنا وابناي وزوجي بين يديه نَذُبُّ عنه، والناسُ يمرون به مُنْهزمين، ورآني ولا ترس معي، فرأى رجلاً مولياً ومعه تُرس، فقال: ألقِ تُرسكَ إلى مَن يقاتلُ. فألقاه فأخذتُهُ. فجعلت أُتَرِّسُ به عن رسولِ الله. وإنَّما فعل بنا الأَفاعيل أصحابُ الخيل، لو كانوا رجَّالةً مثلَنا أصبناهم، إن شاء الله.

فيُقبلُ رجلٌ على فرسه فيضربُني، وتَرَّستُ له، فلم يصنع شيئاً، فأضربُ عُرقوب فرسه، فوقع على ظهره. فجعل النبيُّ ﷺ يصيح: يا ابن أُمِّ عمارة، أُمَّكَ! أُمَّكَ! قالت: فعاونني عليه، حتى أوردتُه شعوب»(١).

وعن مُحمَّد بن يحيى بن حَبَّان، قال: جُرحت أُمُّ عُمارة بأُحد اثنى عشر جُرحاً، وقُطعتْ يدُها يومَ اليمامة، و جرحت يوم اليمامة سوى يدِها أحدَ عشر جُرحاً. فقدمَتِ المدينَة وبها الجراحة، فلقد رُئي أبو بكر رضيَ الله عنه، وهو خليفة، يأتيها يسألُ عنها.

[١] وابنُها حَبيبُ بن زيد بن عاصم هو الذي قَطَّعُه مُسَيْلَمة.

وابنُها الآخر عبدُ الله بنُ زيد المازني، الذي حكى وضوءَ رسول الله ﷺ. قُتِلَ يومَ الحَرة، وهو الذي قَتل مُسَيْلِمةَ الكذَّاب بسيفه. شَهد أُحداً.

٧٧ أسماءُ بنتُ عُمَيْس (ع)(٢)

[٢] **ابن معبد الخثعمية. أُمُّ عبدالله.**

من المهاجرات الأُول.

[٢] قيل: أسلمت قبل دخولِ رسول الله ﷺ دَار الأرقم، وهاجر بها زوجُها جعفر الطَّيار إلى الحبشة، فَوَلَدتْ له هناك: عبدَالله، ومحمداً، وعوناً.

فلما هاجرت معه إلى المدينةِ سنة سبع، واستُشهد يومَ مُؤتة، تزوَّجَ بها أبو بكر الصديق، فولدت له: مُحمداً، وقتَ الإحرامِ، فحجَّتْ حجَّة الوداع، ثم تُوفِّي

(١) شعوب: من أسماء المنية.

(٢) انظر السير: ٢/٢٨٢-٢٨٧.

الصدِّيق، فغسلَتْه.

وتزوَّج بها عليُّ بنُ أبي طالب.

[١] عن الشعبي، قال: قَدِمت أسماءُ من الحبشة، فقال لها عُمر: يا حَبَشيَّة، سَبقناكم بالهجرة.

فقالت: لَعَمري، لقد صدقْتَ: كُنتم مع رسولِ الله ﷺ يُطعِمُ جائِعكم، ويُعلِّمُ جاهلَكم، وكُنا البُعَدَاءَ الطُّرداءَ. أما والله لأَذكُرنَّ ذلك لرسول الله. فأتته. فقال: «للنَّاسِ هِجرةٌ واحدةٌ، ولكم هِجرتَان».

[٢] قال الشَّعبيُّ: أوَلُ من أَشار بنعشِ المرأةِ ـ يَعني المكبَّة ـ أسماءُ، رأت النَّصارى يَصنعونه بالحبشة.

[٣] زكريا بن أبي زائدة: سمعتُ عامراً يقول: تزوج عليٌّ أسماءَ بنتَ عُميَس، فتفاخر ابناها: محمد بنُ أبي بكر، ومحمدُ بن جعفر، فقال كلٌّ منهما: أنا أكرمُ منك، وأبي خيرٌ من أبيك.

قال: فقال لها عليٌّ: اقضي بينهما. قالت: ما رأيتُ شابّاً من العرب خيراً من جعفر، ولا رأيتُ كهلاً خيراً من أبي بكر.

فقال عليٌّ: ما تركتِ لنا شيئاً، ولو قُلتِ غير الذي قلتِ لمقتُّك.

قالت: إنَّ ثلاثةً أنت أخسُّهم خيار.

[٤] قال علي رضي الله عنه: كذبتم مِن النساء الحارقة(١)، فما ثَبَتَتْ منهن امرأةٌ إلا أسماءُ بنت عُمَيْس.

عاشت بعد عليّ.

---

(١) كذب ها هنا إغراء، أي: عليكم بالحارقة، وهي كلمة نادرة جاءت على غير القياس، والحارقة: المرأة التي تغلبها شهوتها، وقيل: الضيقة الفرج، وقيل: النكاح على الجنب من حارقة الورك: وهي عصبة فيها، والمعنى: عليكم من مباشرة النساء بهذا النوع، انظر (الفائق) و (النهاية) و(اللسان). حرق.

٧٨ أسماء بنتُ أبي بكر (ع)(١)

[١] أُمُّ عبدِ الله القُرشيةُ التَّيمِيَّةُ، المكيةُ، ثم المدنيَّة.

والدةُ الخليفة عبدِالله بن الزبير، وأُختُ أُمِّ المؤمنين عائشة، وآخر المهاجرات وفاةً.

رَوت عدةَ أحاديث. وعُمِّرت دهراً. وتُعرفُ بذات النطاقين.

وكانت أسنَّ من عائشة ببضع عشرة سنة.

هاجرت حاملاً بعبد الله. وقيل: لم يسقُط لها سِنّ.

وشهدت اليرموكَ مع زَوجها الزُّبير.

وهي، وأبوها، وجدُّها، وابنُها ابنُ الزُّبير، أربعتُهم، صحابيون.

قالت أسماءُ بنتُ أبي بكر، قال رسول الله ﷺ: «إنِّي على الحوضِ، أنظُرُ من يَرِدُ عليَّ منكم».

[٢] عن أسماء قالت: صَنعتُ سفرةَ النبيِّ ﷺ في بيت أبي حين أراد أن يُهاجِر، فلم أجد لسفرته ولا لِسقائه ماأربُطُهما، فقلتُ لأبي: ما أَجدُ إلَّا نِطاقي: قال: شُقِّيه باثنين، فاربِطي بهما، قال: فلذلك سُمِّيت: ذات النطاقين.

[٣] عن أسماء، قالت: لما توجه النبيُّ ﷺ من مكة حمل أبو بكر معه جميع ماله ـ خمسة آلاف، أو ستة آلاف ـ فأتاني جدِّي أبو قُحافة وقد عَمي، فقال: إن هذا قد فجعكم بمالِهِ ونفسه. فقلتُ: كلا، قد تركَ لنا خيراً كثيراً.

فعمدتُ إلى أحجارٍ، فجعَلْتُهنَّ في كوَّة البيت، وغطيتُ عليها بثوب، ثم أخذتُ بيده، ووضعتُها على الثوب، فقلتُ: هذا تركه لنا. فقال: أَمَا إذ ترك لكم هذا، فنعم.

[٤] وروى عُروة عنها، قالت: تَزَّوجني الزُّبير، وماله شيء غيرُ فرسه، فكنتُ أسوسُهُ وأعلفه، وأدقُّ لناضِحه النَّوى، وأستقي، وأعجن، وكنتُ أنقل النَّوى من أرض الزُّبير، التي أقطعه رسولُ الله ﷺ، على رأسي ـ وهي على ثلثي فرسخ فجئتُ

(١) انظر السير: ٢/٢٨٧ـ ٢٩٦.

يوماً، والنَّوى على رأسي، فلقِيتُ رسولَ الله ﷺ ومعه نفر، فدعاني، فقال: إخّ، إخّ، ليحملني خَلفه، فاستحييتُ، وذكرتُ الزُّبير، وغَيْرَتَه.

قالت: فمضى.

فلما أتيتُ، أخبرتُ الزُّبير. فقال: والله، لحَمْلُكِ النَّوى كان أشدَّ عليَّ من ركوبك معه! قالت: حتى أرسل إليَّ أبو بكر بعدُ بخادم، فكفتني سياسةَ الفَرَس. فكأنما أعتقني.

[١] وفي (الصحيح): قالت أسماءُ: يا رسولَ الله، إنَّ أُمي قَدِمتْ، وهي راغِبةٌ، أفأَصِلُها؟ قال: «نعم، صِلِي أُمَّك».

[٢] عن هشام بن عُروة: أن الزُّبير طلَّق أسماء، فأخذ عُروة، وهو يومئذ صغير.

[٣] عن القاسم بن محمد: سمعتُ ابنَ الزُّبير يقول: ما رأيتُ امرأةً أجودَ من عائشة وأسماء، وجُودهما مختلف: أمَّا عائشةُ، فكانت تَجمعُ الشيءَ إلى الشيء حتَّى إذا اجتمع عندها وضَعَتْه مواضِعَه، وأما أسماء، فكانت لا تَدَّخِرُ شيئاً لغد.

[٤] عن منصور بن صَفِيَّة، عن أُمِّه، قالت: قيل لابن عمر: إنَّ أسماءَ في ناحية المسجد ـ وذلك حين صُلب ابنُ الزُّبير ـ فمال إليها، فقال: إنّ هذه الجُثَث ليست بشيء، وإنما الأرواحُ عندَ الله، فاتقي الله واصبري.

فقالتْ: وما يمنعُني، وقد أُهديَ رأسُ يحيى بن زكريا إلى بغيٍّ من بغايا بني إسرائيل.

قال ابنُ سعد: ماتَت بعد ابنها بليال. وكان قتلُه لسبع عشرة خلت من جمادى الأُولى سَنة ثلاث وسَبعين.

قلت: كانت خاتمة المهاجرين والمهاجرات.

[٥] عن أبي الصديق الناجي: أن الحجَّاج دخل على أسماء، فقال: إنَّ ابنَك ألحدَ في هذا البيت، وإن الله أذاقهُ من عذابٍ أليم. قالت: كَذَبْتَ! كان بَرّاً بوالدته، صواماً، قواماً، ولكن قد أخبرنا رسولُ الله ﷺ: «أنه سيخرج من ثقيف كذَّابان: الآخر منهما شرٌّ من الأول، وهو مُبير».

٧٩ بَرِيْرَة مولاة أم المؤمنين عائشة (س)[١]

[١]عن عائشة، قالت: قام رسولُ الله ﷺ في شأن بريرة حين أعتقها، واشترط أهلُها الوَلاء، فقال: «ما بالُ أقوامٍ يَشْتَرِطُونَ شُروطاً ليستْ في كتاب الله! مَن اشتَرطَ شرطاً ليس في كتاب الله، فهو بَاطِلٌ، وإن اشترطَ مئة مرَّة، فَشرْطُ الله أحقُّ وأوثق».

عن ابنِ عباس: أن زوج بَريرَةَ كان عبداً أسود، يُسمى: مُغيثاً، فقضى النبيُّ ﷺ فيها أربع قضيات: أن مواليها اشترطوا الوَلاء، فقضى أن الولاء لمن أعتق، وخُيِّرَتْ فاختارتْ نفسَها، فأمر النبيُّ أن تعتدَّ. فكنت أراهُ يتبعها في سكك المدينة، يَعصرُ عينيه عليها.

قال: وتُصُدِّقَ عليها بصدقة، فأهدت منها إلى عائشة، فذكر ذلك للنبيِّ ﷺ، فقال: «هُوَ عليها صَدَقَة ولنا هَدِيَّة».

[٢]عن ابن سيرين: أنَّ رسولَ الله خَيَّر بَريرة. فكلَّمها فيه. فقالت: يا رسول الله، أشيءٌ واجب؟ قال: «لا، إنما أشفعُ له»[٢].

عن عكرمة، قال: ذُكر زوجُ بَريرَة عند ابن عباس، فقال: ذاك مُغِيث، عبدُ بني فلان، قد رأيتُه يبكي خلفَها يتبعها في الطريق.

فأما الجارية التي في حديث الإفك، التي سئلت عما تعلم عن عائشة، فأخرى غير بَريرة.

٨٠ أُم سُلَيم الغُمَيْصَاء (خ، م، د، ت، س)[٣]

[٣]ويقال: الرُّمَيصاء بنت ملحان بن خالد بن زيد الأنصارية الخزرجية.

---

(١) انظر السير: ٢/٢٩٧-٣٠٤.

(٢) ابن سعد ٨/٢٥٩، ورجاله ثقات، لكنه مرسل، وأخرج البخاري في (صحيحه) ٩/٣٥٩ في الطلاق: باب شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة عن طريق محمد بن سلام، عن عبدالوهاب الثقفي، عن خالد الحذاء، عن عكرمة، عن ابن عباس أن زوج بريرة كان عبداً يقال له: مغيث كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي، ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي ﷺ لعباس: «يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثاً، فقال النبي ﷺ«لو راجعته» قالت: يا رسول الله تأمرني؟ قال: «إنما أنا أشفع» قالت: فلا حاجة لي فيه.

(٣) انظر السير: ٢/٣٠٤-٣١١.

أم خادم النبيِّ ﷺ أنس بن مالك.

[١] شهدت حُنَيناً، وأُحداً. من أفاضل النساء.

عن أنس: أن أُمَّ سُلَيم اتخذت خنجراً يوم حنين، فقال أبو طلحة: يا رسول الله هذه أُم سُليم معها خِنجَر! فقالت: يا رسولَ الله، إنْ دنا منِّي مُشركٌ بَقَرْتُ بطنه.

عن إسحاق بن عبدالله، عن جدَّته أُمِّ سُلَيم: أنها آمنت برسول الله ﷺ، قالت: فجاء أبو يونس، وكان غائباً، فقال: أصبَوتِ؟ فقالت: ما صَبوتْ، ولكني آمنتُ! وجعلتْ تُلَقّنُ أنساً: قل: لا إله إلا الله، قل: أشهدُ أن محمداً رسول الله ففعل فيقول لها أبوه: لا تُفسدي عليَّ ابني، فتقولُ: إني لا أُفسده!

فخرج مالك، فلقيه عدوٌّ له، فقتله. فقالت: لا جرمَ، لا أُفطِمُ أنساً حتى يَدَعَ الثَّديَ، ولا أتزوَّجُ حتى يأمرني أنس.

فخطبها أبو طلحة، وهو يومئذ مُشرك، فأبتْ.

[٢] عن أنس، قال: خطب أبـو طلحة أُمَّ سُلَيم، فقالت: إنه لا ينبغي أن أتزوَّج مشركاً! أما تَعلمُ يا أبا طلحة أنَّ آلهتكم يَنْحَتُها عبدُ آل فلان، وأنكم لو أشعلتُم فيها ناراً لاحترقت؟ قال: فانصرف وفي قلبه ذلك، ثم أتاها وقال: الذي عرضتِ عليَّ قد قبِلْتُ. قال: فما كان لها مهرٌ إلا الإسلام.

[٣] الجـارود: حدثنـا أنسُ بنُ مالـك: أن النبيَّ ﷺ كان يزورُ أُمَّ سُلَيم، فتُتْحِفُه بالشيء تصنعُه له، وأَخٌ لي أصغر منِّي يُكنى أبا عُمَير، فزارنا يوماً، فقال: مالي أرى أبا عُمير خاثر النفس؟ قالت: ماتت صَعْوَةٌ[١] له كان يلعب بها. فجعل النبيُّ يمسحُ رأسه، ويقول: «يا أَبا عُمير، ما فَعَلَ النُّغَيرُ».

[٤] عن أنس، قال: لم يكن رسولُ الله ﷺ يدخلُ بيتاً غيرَ بيت أُمِّ سُلَيم. فقيل له. فقال: «إنِّي أرحمُها، قُتِلَ أخوُها معي».

قلت: أخوها، هو حَرام بن مِلحان، الشهيدُ الذي قال يومَ بئر مَعُونة[٢]: فزتُ

(١) الصعوة: طائر أصغر من العصفور، والنغير: تصغير نغر وهو فرخ العصفور.

(٢) بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم، وكان حرام بن ملحان فيمن بعث رسول الله ﷺ مع أبي براء إلى أهل نجد ليدعوهم إلى الإسلام فقتلهم عامر بن الطفيل.

وربِّ الكعبة، لما طُعن مِن ورائه، فَطَلَعَتِ الحربةُ من صدره. رضي الله عنه.

[١] عن أُم سُلَيم، قالت: كان رسول الله ﷺ يَقيلُ في بيتي، وكنت أبسُط لَه نِطْعاً، فيقيلُ عليه، فيَعْرَقُ، فكنتُ آخذ سُكّاً فأعجنهُ بعَرَقِه.

قال ابنُ سيرين: فاستوهبتُ من أم سُلَيم من ذلك السُّكِّ، فوهبتْ لي منه.

قال أيوب: فاستوهبتُ من محمد من ذلك السُّكِّ، فوهب لي منه، فإنَّه عندي الآن.

قال: ولما مات محمدٌ حُنِّطَ بذلك السُّكِّ.

[٢] عن أنس: أن النبيَّ ﷺ دخل على أُم سُلَيم، وقِرْبةٌ مُعَلَّقَةٌ، فشربَ منها قائماً، فقامت إلى فِيِّ السِّقاء، فقطعتْه.

رواه عُبيدُ الله بنُ عمرو، فزاد: وأمسكته عندها[1].

[٣] عن أنس: أن النبيَّ ﷺ لما أرادَ أنْ يَحلِقَ رأسه بمنىً، أخذ أبو طلحة شِقَّ شَعره، فجاء به إلى أُم سُلَيم، فكانتْ تجعلُهُ في سُكِّها.

[٤] قالت: وكانَ يَقيلُ عندي على نِطْعٍ، وكان مِعْراقاً ﷺ، فجعلت أَسْلِتُ العرقَ في قارورة، فاستيقظ، فقال: «ما تجعلين»؟ قلت: أريد أن أَدُوفَ بعرَقك طِيبي[2].

[٥] عن أنس، قال: قال النبيُّ ﷺ: دخلْت الجنَّةَ، فسمعتُ خَشْفَةً بين يديَّ، فإذا أنا بالغُمَيصاء بنتِ مِلحان.

[٦] قال حُميد: قال أنس: ثَقَلَ ابنٌ لأم سُلَيم، فخرَجَ أبو طلحةَ إلى المسجد، فتُوفِّي الغلام. فهيَّأَتْ أُمُّ سُلَيم أمره، وقالت: لا تُخبروه.

فرجع، وقد سَيَّرت له عشاءه، فتعشى، ثم أصابَ من أهله. فلمّا كان آخر الليل، قالت: يا أَبا طلحةَ، ألم ترَ إلى آل أبي فلان استعاروا عارية، فمنَعُوها، وطُلِبتْ منهم، فَشَقَّ عليهم. فقال: ما أنصفوا. قالت: فإن ابنك كان عاريةً من

---

(١) قال النووي في (رياضه): ٣٣٩: وإنما قطعتها لتحفظ موضع فم رسول الله ﷺ وتتبرك به، وتصونه عن الابتذال.

(٢) المعراق: كثير العرق، وأدوف: أخلط.

الله، فَقَبَضَه. فاسترجع، وحمد الله. فلما أصبح غدا إلى رسولِ الله ﷺ، فلما رآه، قال: «بارَكَ الله لَكُما في لَيْلَتِكُما».

فحَملتْ بعبد الله بنِ أبي طلحة، فولدتْ ليلاً، فأرسلتْ به معي، وأخذتُ تمرات عجوة، فانْتَهَيتُ به إلى رسولِ الله ﷺ، وهو يهنأ أباعرَ له، ويَسِمُها. فقلتُ: يا رسول الله، ولدتْ أم سُلَيم الليلة.

فمضغَ بعض التمراتِ بريقه، فأوجره إياه، فَتَلَمَّظ الصبيُّ، فقال: «حِبُّ الأنصار التَّمرُ» فقلت: سَمِّه يا رسول الله. قال: «هو عَبْدُ الله».

عن عَباية بن رِفاعة، قال: كانت أُمُّ أنس تحت أبي طلحة. فذكر نحوه. وفيه: فقال رسولُ الله: «اللهم بَارِك لهما في ليلتهما».

قال عَبايةُ: فلقد رأيتُ لذلك الغلام سبعَ بنين، كلُّهم قد خَتَم القرآن.

٨١ أُمُّ هانىء (ع)(١)

[١] **السيدة الفاضلةُ أم هانئ بنتُ عمِّ النبي ﷺ، أبي طالب، الهاشميةُ المكية، أختُ عليٍّ وجعفر.**

كانت تحت هُبَيرة بن عمرو بن عائذ المخزومي، فهربَ يومَ الفتح إلى نَجران.

أولادها: عمرو بن هُبيرة، وجعدة، وهانئاً ويوسف.

وأسلمت يومَ الفتح.

عاشت أُمُّ هانىء إلى بعد سنة خمسين.

[٢] عن أبي النَّضر مولى عمر بن عُبيد الله: أن أبا مُرَّة مولى أُمِّ هانىء أخبره: أنه سمع أُمَّ هانىء تقول: ذهبتُ إلى رسول الله ﷺ يومَ الفتح، فوجدته يَغْتَسِلُ، وفاطمة تستره بثوب، فسلَّمتُ. فقال: «من هذه»؟ قلتُ: أنا أُمُّ هانىء بنتُ أبي طالب. فقال: «مرحباً بأُمِّ هانىء».

فلما فرغَ من غُسله، قام فصلَّى ثمان ركعات مُلتحفاً في ثوب واحد. فقلتُ: يا

(١) انظر السير: ٢/٣١١-٣١٤.

رسولَ الله، زعم ابنُ أمي ـتعني علياً ـ أنه قاتلٌ رجلًا قد أجرتُه: فلان ابن هُبيرة. فقال: «قد أَجَرْنا مَنْ أَجَرْتِ يا أمَّ هانىء» وذلك ضُحى.

[١]وقيل: إنَّ أُمَّ هانيء لما بانت عن هُبيرةَ بإسلامها، خَطبها رسول الله ﷺ، فقالت: إني امرأةٌ مُصْبِيةٌ(١). فسكتَ عنها.

٨٢ أُمُّ حَرَام (خ، م، د، س، ق)(٢)

[٢]**بنتُ مِلحان بن خالد بن زيد.**

أختُ أم سُلَيم. وخالةُ أنس بن مالك. وزوجة عُبادة بنِ الصامت.

كانت من عِلية النساء.

[٣]عن أنس، قال: دخل علينا رسولُ الله ﷺ، ما هو إلا أنا وأُمي وخالتي أُمُّ حرام فقال: «قُوموا فَلأُصلِّ بكُم» فصلَّى بنا في غير وقت صلاة.

[٤]عن أنس، قال: حدثتني أُمُّ حرام بنتُ ملحان: أَنَّ رسولَ الله ﷺ، قال في بيتها يوماً، فاستيقظ وهو يضحَك. فقلتُ: يا رسول الله. ما أضحككَ؟

قال: «عُرِضَ عَليَّ ناسٌ من أُمتي يَركَبُون ظهرَ هذا البَحْرِ، كالمُلُوكِ على الأَسِرَّة» قلتُ: يا رسولَ الله، ادعُ الله أن يجعلَني منهم. قال: «أنتِ من الأَوَّلين».

فتزوجها عُبادَةُ بنُ الصامت، فغزا بها في البحر، فحملها معه. فلما رجعوا قُرِّبتْ لها بغلةٌ لتركبها فصرعَتْها، فدُقَّتْ عنقها، فماتت رضي الله عنها.

قلت: يقال هذه غزوة قُبْرس(٣) في خلافة عثمان.

وبلغني أنَّ قبرها تزوره الفِرنج.

---

(١) مصبية: ذات صبيان يحتاجون إلى رعاية تأخذ قسماً كبيراً من وقتها، فلا تستطيع الوفاء بحقوق الزوج.

(٢) انظر السير: ٢/٣١٦ـ٣١٧.

(٣) هي الجزيرة المعروفة اليوم باسم قبرص، وكان أمير ذلك الجيش معاوية بن أبي سفيان، ومعه أبو ذر وأبو الدرداء، وغيرهما من الصحابة، وذلك سنة سبع وعشرين.

فصل في بقية كبراء الصحابة

٨٣ سهلُ بنُ حُنَيف (ع)(١)

[١] أبو ثابت، الأنصاريُّ الأوسيُّ العَوفيُّ.

شهد بدراً، والمشاهد.

وكان من أمراء عليٍّ رضي الله عنه.

مات بالكوفة، في سنة ثمان وثلاثين، وصلى عليه عليٌّ.

[٢] عن أبي أمامة بن سهل، قال: رأى عامرُ بنُ ربيعة سهلَ بنَ حُنَيف، فقال: والله ما رأيت كاليوم ولا جِلْدَ مُخَبَّأة! فلُبِطَ بسهل، فأُتِيَ رسولُ الله ﷺ، فقيل: يا رسول الله، هل لك في سهل؟ والله ما يرفعُ رأسه! قال: «هل تَتَّهِمُونَ بهِ أَحَداً»؟ قالوا: نتهمُ عامرَ بنَ ربيعة. فدعاه، فتغيَّظ عليه، وقال: «علامَ يقتلُ أحدُكُم أخاه! ألَّا برَّكتَ! اغتسل له».

فغسل وجهه، ويديه، ومِرفقيه، ورُكبتيه، وأطرافَ رجليه، وداخِلَة إزاره، في قَدح، ثم صُبَّ عليه. فراح سهلٌ مع الناس ما به بأس(٢).

[٣] أبو شُريح: أنه سمع سهلَ بنَ أبي أُمامة بن سهل يحدِّثُ عن أبيه، . عن جده: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا تُشَدِّدوا على أنفسِكُم، فإنما هَلَكَ مَنْ كان قَبلكُم بتشديدهم على أنفسِهم، وسَتجدُونَ بَقَايَاهُم في الصَّوامع والديارات».

آخى النبيُّ ﷺ بين سَهلٍ وعليٍّ.

[٤] أبو جَنَاب: سمعتُ عُمَير بنَ سعيد يقول: صلى عليٌّ على سهل، فكبَّر خمساً. فقالوا: ما هذا؟ فقال: لأهل بدرٍ فَضْلٌ على غيرهم، فأردتُ أن أُعلمكُم فضلَه.

---

(١) انظر السير: ٢/٣٢٥-٣٢٩.

(٢) المخبأة: الجارية التي في خدرها لم تتزوج بعد، لأن صيانتها أبلغ ممن قد تزوجت. ولُبط: صرع، وداخلة الإزار: طرفه الداخل الذي يلي الجسد، ويلي الجانب الأيمن من الرجل إذا ائتزر، لأن المؤتزر إنما يبدأ بجانبه الأيمن، فذلك الطرف يباشر جسده، وهو الذي يغسل، وقيل: هو الورك، وقيل، أراد به مذاكيره، فكني بالداخلة، كما كني عن الفرج بالسراويل.

٨٤ أبو الدَّرْدَاء (ع)[١]

[١]الإمام القدوةُ. قاضي دمشق، وصاحبُ رسول الله ﷺ، أبو الدرداء عُويمِرُ بنُ زيد بن قيس الأنصاريُّ الخزرجيُّ.

حكيم هذه الأمة. وسَيِّدُ القُرَّاءِ بدمشق.

وهو معدودٌ فيمن تلا على النبيِّ ﷺ، ولم يبلُغْنا أبداً أنه قرأ على غيره. وهو معدود فيمن جمع القرآن في حياة الرسول ﷺ.

وتَصَدَّرَ للإقراء بدمشق في خلافة عثمان، وقبل ذلك.

مات قبل عثمان بثلاث سنين.

[٢]عن خَيْثَمة: قال أبو الدرداء: كنتُ تاجراً قبل المبَعث، فلما جاء الإسلامُ، جمعتُ التِّجارةَ والعِبادةَ، فلم يجتمعا، فتركتُ التجارة، ولزمتُ العبادة.

قلت: الأفضل جَمْعُ الأمرين مع الجهاد، وهذا الذي قاله هو طريقُ جماعة من السَّلفِ والصوفية، ولا ريبَ أن أمزجة الناسِ تختلفُ في ذلك، فبعضُهم يَقوى على الجمع، كالصِّدِّيق، وعبدِ الرحمن بن عوف.

وكما كان ابنُ المبارك، وبعضُهم يَعجزُ، ويقتَصِرُ على العبادة، وبعضُهم يقوى في بدايته، ثم يَعجِزُ، وبالعكس، وكلٌّ سائغ. ولكن لابُدَّ من النهضة بحقوق الزَّوجَة والعيال.

[٣]قال أبو الزَّاهِريَّة: كان أبو الدرداء من آخر الأنصار إسلاماً، وكان يعبُد صَنماً، فدخل ابنُ رواحة، ومحمدُ بن مسلمة بيتَه فكسرا صنمه، فرجع فجعل يجمعُ الصنم، ويقولُ: ويحك! هلاَّ امتنعتَ! أَلَا دفعْتَ عن نَفْسِك، فقالت أمُّ الدَّرداء: لو كان ينَفعُ أو يَدْفَعُ عن أحد، دَفَعَ عن نفسه، ونفعها!

فقال أبو الدرداء: اعدِّي لي ماءً في المُغْتَسل. فاغتسلَ، ولَبِسَ حُلَّتَهُ، ثم ذهبَ إلى النبيِّ ﷺ، فنظر إليه ابنُ رواحةَ مُقبلاً، فقال: يا رسول الله، هذا أبو الدرداء، وما أُراه إلا جاءَ في طَلَبِنَا؟ فقال: «إنما جاء لِيُسْلِمَ، إنَّ رَبِّي وَعَدَني بأبي الدَّرْدَاءِ أَنْ يُسْلِمَ».

---

(١) انظر السير: ٢/ ٣٣٥-٣٥٣.

[١]عن مكحول: كانت الصحابةُ يقولون: أرحمُنا بنا أبو بكر، وأنطقُنا بالحقِّ عُمر، وأمينُنا أبو عُبيدة، وأعلُمنا بالحرام والحلال مُعَاذ، وأَقرأُنا أُبِّي، ورجلٌ عنده علمٌ ابنُ مسعود، وتَبعهم عُوَيمر أبو الدَّرداء بالعقل.

وقال ابنُ إسحاق: كان الصحابة يقولون: أتبعُنا للعلم والعمل أبو الدَّرداء.

[٢] وروى عونُ بنُ أبي جُحَيفة، عن أبيه: أنَّ رسول الله ﷺ آخى بين سَلمان وأبي الدَّرداء، فجاءه سلمانُ يزوره، فإذا أُمُّ الدرداء مُتَبَذِّلة، فقال: ما شأنُكِ؟ قالت: إنَّ أخاكَ لا حاجةَ له في الدنيا، يقوم الليلَ، ويصومُ النَّهار.

فجاء أبو الدرداء فرحَّب به، وقرَّبَ إليه طعاماً. فقال له سلمان: كُلْ. قال: إنِّي صائم، قال: أقسمتُ عليك لَتُفْطِرَنَّ. فأكل معه. ثم بات عنده، فلمَّا كان من الليل، أراد أبو الدرداء أن يقوم، فمنعه سلمانُ وقال: إنَّ لجسدك عليك حقاً ولربك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً، صُم وافطر، وصَلِّ، وائتِ أهلك، وأَعْطِ كُلَّ ذي حَقٍّ حَقَّه.

فلما كان وجهُ الصبح، قال: قُم الآن إن شِئْتَ، فقاما، فتوضآ، ثم ركعا، ثمَّ خرجا إلى الصلاة، فدنا أبو الدرداء ليُخْبِرَ رسولَ الله بالذي أمره سَلمان: فقال له: «يَا أَبا الدَّرداء، إنَّ لِجَسَدِكَ عليكَ حقاً، مثل ما قال لكَ سَلْمان».

[٣] وقال خالدُ بنُ مَعْدان: كان ابنُ عمر يقول: حدِّثونا عن العاقِلَيْن. فيقال: مَن العاقلان؟ فيقول: معاذ، وأبو الدرداء.

[٤]عن مُحمد بن كعب، قال: جمعَ القرآن خمسةٌ: معاذٌ، وعُبادةُ بنُ الصامت، وأبو الدَّرداء، وأُبيٌّ وأبو أيوب. فلما كان زمن عُمر، كَتب إليه يزيدُ بنُ أبي سفيان: إنَّ أهل الشام قد كثروا، وملؤوا المدائن، واحتاجُوا إلى من يُعلِّمهم القرآن ويُفقههم. فأعنِّي برجال يُعَلِّمونهم.

فدعا عُمر الخمسةَ، فقال: إنَّ إخوانكم قد استعانوني من يُعلِّمهم القرآن، ويُفَقهُهمُ في الدين، فأعينوني يرحَمكُم الله بثلاثة منكم إن أحببتُم، وإن انتدب ثلاثةٌ منكم فَلْيخرجُوا.

فقالوا: ما كنا لنتساهم، هذا شيخٌ كبير - لأبي أيوب - وأما هذا فسقيم - لأُبيّ فخرج معاذٌ وعُبادةُ، وأبو الدرداء.

فقال عُمر: ابدؤوا بحمص، فإنكم ستجدونَ الناس على وُجوه مختلفة، منهم من يَلْقن، فإذا رأيتم ذلك، فوَجِّهوا إليه طائفة من الناس، فإذا رضيتُم منهم، فليقم بها واحد، وليخرج واحد إلى دمشق، والآخرُ إلى فلسطين. قال: فقَدموا حمص فكانوا بها، حتى إذا رضُوا من الناس، أقام بها عُبادةُ بن الصامت، وخرج أبو الدَّرْداء إلى دمشق، ومُعاذٌ إلى فلسطين، فمات في طاعون عَمَواس. ثم صارَ عبادةُ بعدُ إلى فلسطين وبها مات. ولم يزل أبو الدرداء بدمشق حتى مات.

[١]عن ابن أبي ليلى، قال:كتب أبو الدَّرداء إلى مَسْلَمَةَ بن مُخَلَّد: سلامٌ عليك. أمَّا بعد، فإنَّ العبدَ إذا عملَ بمعصية الله، أبغضه الله، فإذا أبغضه الله، بغَّضه إلى عباده.

[٢]عن أبي الدرداء: إني لآمركم بالأمر وما أفعله، ولكن لعلَّ الله يأْجُرُني فيه.

[٣]عن مسلم بن مِشْكم: قال لي أبو الدرداء: اعدُدْ مَن في مجلسنا. قال: فجاءوا ألفاً وستَّ مئة ونيفاً. فكانوا يقرؤون ويتسابقون عشرة عشرة، فإذا صلَّى الصبحَ، انفتل وقرأ جزءاً، فَيُحدِقُون به يسمعون ألفاظه. وكان ابنُ عامر مقدَّماً فيهم.

وقال هشام بنُ عمَّار: حدَّثنا يزيدُ بنُ أبي مالك، عن أبيه، قال: كان أبو الدرداء يُصلي، ثم يُقرئ ويَقرأ، حتى إذا أراد القيام، قال لأصحابه: هل من وليمة أو عَقيقة نشهدُها؟ فإن قالوا: نعم، وإلا قال: اللهم إني أُشهدُك أني صائم. وهوالذي سنَّ هذه الحِلَق للقراءة.

[٤]وعن يزيد بنِ مُعاوية، قال: إن أبا الدرداء من العُلماء الفقهاء، الذين يَشفُون من الدَّاء. عن سالم بنِ أبي الجَعْد، قال أبو الدرداء: ما لي أرى عُلماءكم يذهبون، وجُهَّالكم لا يتعلمون! تعلَّموا، فإنَّ العالم والمتعلم شريكان في الأجر.

[٥]عن مَيْمُون بن مِهران، قال أبو الدرداء: ويل للذي لا يعلمُ مَرَّةً، وويل للذي يعلمُ ولا يعملُ سبعَ مرات.

[١]عن عون بن عبدالله: قلتُ لأم الدرداءِ: أيُّ عبادة أبي الدرداء كانت أكثر؟ قالت: التفكر والاعتبار.

وعن أبي الدرداء: تفكُّر ساعة خيرٌ من قيام ليلة.

[٢]عن ابن حَلْبَسٍ: قيل لأبي الدرداء ـ وكان لا يفترُ من الذِّكر ـ كم تسبِّح في كل يوم؟ قال: مئة ألف، إلَّا أنْ تخطئ الأصابع.

[٣]عن أبي البختري، قال: بينا أبو الدرداء يُوقدُ تحتَ قِدْرٍ له، إذ سمعتُ في القِدْرِ صوتاً يَنْشُجُ، كهيئة صوت الصبي، ثم انكفأت القدرُ، ثم رجعتْ إلى مكانها، لم يَنصبَّ منها شيء. فجعل أبو الدرداء ينادي: يا سلمانُ، انظر إلى ما لم تنظر إلى مثله أنت ولا أبوك! فقال له سلمان: أمَا أنَّك لو سكتَّ، لسمعتَ من آياتِ ربِّك الكُبرى.

[٤] عن بلال بن سعد، أن أبا الدرداء قال: أعوذ بالله من تفرقة القلب. قيل: وما تفرقة القلب؟ قال: أن يُجعل لي في كل واد مال.

[٥]رُوي عن أبي الدرداء، قال: لولا ثلاثٌ ما أحببتُ البقاء: ساعةُ ظمأ الهواجر، والسجودُ في الليل، ومجالسةُ أقوام ينتقون جَيِّدَ الكلام كما يُنتقى أطايبُ الثمر.

[٦]حريز بن عُثمان: حدَّثنا راشدُ بنُ سعد، قال: جاء رجلٌ إلى أبي الدَّرداء، فقال: أوصني. قال: اذكر الله في السرَّاء يذكُرُك في الضرَّاء، وإذا ذكرتَ الموتى، فاجعلْ نَفَسَك كأحدهم، وإذا أشرفَت نفسُك على شيء من الدنيا، فانظُر إلى ما يصير.

[٧]عن عبدِ الله بن مُرَّة، أنَّ أبا الدرداء قال: اعبد الله كأنك تراه، وعُدَّ نفسك في الموتى، وإياكَ ودعوةَ المظلوم، واعلم أنَّ قليلاً يُغنيك خيرٌ من كثير يُلهيك، وأن البِرَّ لا يَبْلى، وأن الإثمَ لا يُنْسى.

[٨]عن أبي الدرداء: إياكَ ودعواتِ المظلوم، فإنهُنَّ يَصعدْنَ إلى الله كأنهن شرارتٌ من نار.

[٩]وروى لقمانُ بنُ عامر، أن أبا الدرداء قال: أهلُ الأموال يأكلون ونأكل، ويشربُون ونشرب، ويلبَسون ونلبَس، ويركبون ونركب، ولهم فضول أموال ينظرون إليها،

ونَنظر إليها معهم، وحسابُهم عليها ونحنُ منها بُرآء.

[١] عن ابن جُبَير، عن أبيه، قال: لما فُتحتْ قُبرس مُرَّ بالسَّبْي على أبي الدرداء، فبكى، فقلتُ له: تبكي في مثل هذا اليوم الذي أَعزَّ اللهُ فيه الإسلام وأهله؟ قال: يا جُبَير، بينا هذه الأمة قاهرة ظاهرة إذْ عَصَوا الله، فلقُوا ما ترى ما أهونَ العبادَ على الله إذا هم عصوه.

[٢] عن أُمِّ الدرداء، قالت: كان لأبي الدرداء ستون وثلاث مئة خليل في الله. يدعو لهم في الصلاة، فقلتُ له في ذلك، فقال: إنه ليس رجلٌ يدعو لأخيه في الغيب، إلاَّ وَكَّلَ اللهُ به ملكين يقولان: ولك بمثل. أفلا أرغبُ أَنْ تدعُوَ لي الملائكة.

[٣] قالت أُمُّ الدرداء: لما احتُضر أبو الدرداء، جعل يقولُ: مَن يَعملُ لمثل يومي هذا؟ من يعملُ لمثل مضجعي هذا؟

ماتَ أبو الدرداء سنة اثنتين وثلاثين.

[٤] لما جاء نعيُ ـ يعني ابن مسعود ـ إلى أبي الدرداء قال: أما إنه لم يخلفْ بعده مثله.

[٥] وقيل: الذين في حلقة إقراء أبي الدرداء كانوا أزيدَ من ألفِ رجل، ولكُل عشرة منهم ملقِّن وكان أبو الدرداء يطوفُ عليهم قائماً، فإذا أحكمَ الرجلُ منهم، تحول إلى أبي الدرداء ـ يعني يعرض عليه.

[٦] وعن أبي الدرداء، قال: مَن أكثر ذكر الموت قلَّ فرحهُ، وقلّ حسدُه.

٨٥ النُّعمان بن مُقَرِّن(١)

[٧] **أبو حكيم، المزني، الأمير. صاحبُ رسول الله ﷺ.**

كان إليه لواءُ قومه يوم فتح مكة. ثم كان أميرَ الجيش الذين افتتحوا نَهَاوند(٢) فاستشهد يومئذ.

---

(١) انظر السير: ٢/٣٥٦ـ٣٥٨.

(٢) نهاوند: مدينة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام، كان فتحها سنة ٢١ هـ في خلافة عمر. رضي الله عنه.

[١] وكان مُجابَ الدعوة، فنعاه عُمر على المنبر إلى المسلمين، وبكى.

وكان مقتله في سنة إحدى وعشرين، يوم جمعة، رضي الله عنه.

[٢] عاصم بن كُلَيب الجَرمي: حدَّثني أبي: أنه أبطأ على عُمر خبرُ نَهاوند وابن مُقَرِّن، وأنه كان يستنصر، وأنَّ الناسَ كانوا، مما يرون من استنصاره، ليس هَمُّهم إلا نهاوند وابن مُقَرِّن، فجاء إليهم أعرابيٌّ مهاجر، فلما بلغَ البقيع، قال: ما أتاكم عن نهاوند؟ قالوا: وما ذاك؟ قال: لا شيء. فأرسل إليه عُمرُ، فأتاه، فقال: أقبلتُ بأهلي مهاجراً حتى وردنا مكان كذا وكذا، فلما صَدرْنا إذا نحنُ براكب على جمل أحمر، ما رأيتُ مثله، فقلتُ: يا عبدَ الله، من أين أقبلتَ؟ قال من العراق ـ قلتُ: ما خبرُ النَّاس؟ قال اقتتلَ الناسُ بنهاوند، ففتَحها اللهُ، وقُتِلَ ابنُ مُقَرِّن، والله ما أدري أيُّ الناس هو؟ ولا ما نهاوند؟

فقال: أتدري أيَّ يوم ذاك من الجمعة؟ قال: لا. قال عُمر: لكني أدري! عُدَّ منازلك.

قال: نزلنا مكانَ كذا، ثم ارتحلنا، فنزلنا منزلَ كذا، حتى عَدَّ. فقال عُمرُ: ذاك يوم كذا وكذا من الجُمعة، لعلك تكونُ لقيت بريداً من بُرد الجن، فإن لهم بُرداً.

فلبث ما لبث، ثم جاء البشير: بأنهم التقوا ذلك اليوم.

٨٦ حُذَيْفَةُ بنُ اليَمان (ع)[١]

[٣] **من نُجباء أصحابِ محمدٍ ﷺ، وهو صاحِبُ السرِّ**[٢].

واسم اليمان: حِسْل ـ ويقال: حُسَيل ـ ابن جابر العَبسي اليماني، أبو عبدالله. حليف الأنصار، من أعيان المهاجرين.

وكان والده (حِسل) قد أَصابَ دماً في قومه، فهربَ إلى المدينة، وحالف بني عبد الأشهل. فسمَّاه قومه (اليمان) لِحلفه لليمانية، وهم الأنصار.

[٤] شهد هو وابنُه حُذَيفَةُ أُحداً، فاستُشهد يومئذ. قتله بعضُ الصحابة غلطاً، ولم

(١) انظر السير: ٢/٣٦١-٣٦٩.

(٢) أي: صاحب سر النبي ﷺ الذي لا يعلمه أحد غيره، والمراد بالسر: ما أعلمه به النبي ﷺ من أحوال المنافقين.

يعرفه، لأن الجيش يختفُون في لأمة الحرب، ويسترون وجوههم، فإنْ لم يكن لهم علامة بَيِّنة، وإلا ربما قتل الأَخُ أخاه، ولا يشعر.

ولما شَدُّوا على اليمان يومئذ بقي حذَيفةُ يصيح: أبي! أبي! ياقوم! فراح خطأً، فتصدَّقَ حذيفة عليهم بِدِيَته.

[١] عن أبي يحيي، قال: سأل رجلٌ حُذَيفةَ، وأنا عنده، فقال: ما النِّفاق؟ قال أَنْ تتكَلَّم بالإسلام ولا تَعْمَلَ به.

[٢] عن ابن سيرين : أن عُمر كتبَ في عهد حُذَيفة على المدائن: اسمعوا له وأطيعوا ، وأعطوه ما سألكم. فخرج من عند عمر على حمار مُوكَف، تحته زادُه، فلما قدم استقبله الدَّهَاقينُ وبيده رغيفٌ، وعَرْقٌ من لحم(١).

وَلِيَ حُذَيفةُ إمرةَ المدِائن لعُمر ، فبقي عليها إلى بعد مَقتل عثمان، وتُوفي بعد عثمان بأربعين ليلة.

[٣] قال حُذَيفة: ما منعني أن أشهدَ بَدراً إلا أني خرجتُ أنا وأبي، فأخذَنا كُفَّار قُريش، فقالوا: إنكم تُريدون محمداً! فقلنا: ما نريدُ إلا المدينة، فأخذوا العهدَ علينـا: لنصرفَنَّ إلى المدينة ولا نقاتلُ معه. فأخبرنا النبى ﷺ. فقال:«نَفِي بعهدهم ، ونَستَعِينُ الله عَلَيهم ».

[٤] وكان النبيُّ ﷺ قد أَسرَّ إلى حُذَيفةَ أسماء المُنافقين، وضبَطَ عنه الفتنَ الكائنة فى الأُمة.

[٥] وحُذيفة هو الذي نَدبه رسولُ الله ﷺ ليلة الأحزاب ليجُسَّ لَهُ خَبَرَ العدو. وعلى يده فُتحَ الدِّيْنَوَر(٢) عنوة. ومناقبه تطول. رضي الله عنه.

[٦] عن حُذَيفة، قال: أخذ النبيُّ ﷺ بعضلة ساقي فقال: «الائتِزَارِ ها هنا، فإنْ أبيت فأسفل، فإن أبيت، فلا حَقَّ للإزار فيما أسفلَ الكَعبين».

وفي لفظ: «فلا حَقَّ للإزار في الكعبين».

[٧] عن الزُّهري: أخبرني أبو إدريس: حُذيفةَ يقول: والله إني لأَعلَمُ الناس

---

(١) موكف: أي قد وضع عليه الإكاف ، وهو بمنزلة السرج للحصان، والدهاقين: رؤساء القرى، أو التجار.

(٢) دينور: مدينة من أهم مدن الجبال قرب قرميسين، بينها وبين همذان نيف وعشرون فرسخاً.

بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة.

قال حُذَيفة: كان الناسُ يسألونَ رسولَ الله ﷺ عن الخير، وكنتُ أسألُه عن الشر مخافةَ أن يُدرِكني.

[١] عن حُذَيفة، قال: قام فينا رسولُ الله مقاماً، فحدَّثنا بما هو كائنٌ إلى قيام الساعة، فَحَفِظَه من حفظه ونسيه من نسيه.

قلتُ: قد كان النبيُّ ﷺ يُرَتِّلُ كلامه ويُفَسِّرُه، فلعلَّه قال في مجلسه ذلك ما يُكْتَبُ في جُزء، فذَكر أكبر الكوائن، ولو ذَكَرَ ما هو كائن في الوجود، لما تهيَّأَ أَنْ يقولَه في سنة، بل ولا في أعوام، ففكِّر في هذا.

ماتَ حُذَيفة بالمدائن سنة ستٍ وثلاثين، وقد شاخ.

[٢] عن أبي عاصم الغَطَفاني، قال: كان حُذيفةُ لا يزال يُحدِّث الحديث، يستفظعونه. فقيل له: يُوشك أن تحدثنا: أنه يكون فينا مسخ! قال: نعم: ليكونَنَّ فيكم مسخٌ: قردة وخنازير.

[٣] عن بلال بن يحيى، قال: بلغني أن حُذيفة كان يقول: ما أدركَ هذا الأَمْرَ أحدٌ من الصحابة إلاَّ قد اشترى بعض دينه ببعض. قالوا: وأنت؟ قال: وأنا والله، إني لأدخُلُ على أحدهم ـ وليس أَحَدٌ إلا فيه محاسن ومساوئ ـ فأَذكرُ محاسنه، وأُعرِضُ عمّا سوى ذلك، وربما دعاني أحدهم إلى الغداء، فأقول: إني صائم، ولستُ بصائم.

[٤] عن الحسن، قال: لما حضر حُذَيفةَ الموتُ، قال: حبيبٌ جاء على فاقة، لا أفلح منْ نَدِم! أليس بعدي ما أعلم! الحمدُ لله الذي سبق بي الفتنة! قادتها وعلوجها.

[٥] عن النَّزَّالِ بنِ سَبْرة، قال: قلتُ لأبي مَسعود الأنصاري: ماذا قال حُذيفةُ عند موته؟ قال: لما كان عند السحر: قال: أعوذُ بالله من صباح إلى النار، ثلاثاً. ثم قال: اشتروا لي ثوبين أبيضين، فإنهما لن يتركا عليَّ إلا قليلاً حتى أُبدَلَ بهما خيراً منهما، أو أُسلبهما سلباً قبيحاً.

٨٧ حارثةُ بنُ النُّعمان(١)

[١] ابن نَفع الخزرجيُّ النَّجّاري.

شهد بدراً، والمشاهد، ولا نعلمُ له رِوايةً، وكان دَيِّناً، خَيِّراً، برّاً بأُمِّه.

وعنه قال: رأيتُ جبريلَ من الدهرِ مرتين: يوم الصَّورَين(٢) حين خرج رسولُ الله ﷺ إلى بني قُريظة مرَّ بنا في صورة دِحية، فأمَرَنا بلبس السلاح، ويومَ موضعِ الجنائز حين رجعنا من حُنَين، مررتُ وهو يكلِّمُ النبيَّ ﷺ، فلم أُسَلِّم. فقال جبريلُ: منْ هذا يا مُحمَّد؟ قال: حارثةُ بنُ النُّعمان. قال: أَمَا إنه من المئة الصابرة يومَ حُنَينٍ الذين تَكفَّل اللهُ بأرزاقهم في الجنة، ولو سَلَّم لَرَدَدْنا عليه.

وبقي إلى خلافة معاوية.

[٢] وهو ـ أعني حارثة ـ الذي يقولُ فيه رسولُ الله ﷺ: «دَخَلْتُ الجنَّةَ، فَسَمِعْتُ قِراءةً، فقلتُ: مَنْ هذا؟ قيل: حَارِثـة»! فقالَ النبيُّ ﷺ: «كَذَاكُم البِرُّ» وكان بَرّاً بأُمِّه، رضيَ الله عنه.

٨٨ أبو موسى الأشعري (ع)(٣)

عبدالله بنُ قيس بن سُلَيم، الإمامُ الكبير. صاحبُ رسولِ الله ﷺ. أبو موسى الأشعري التميميُّ الفقيهُ المُقرئ.

وهو معدودٌ فيمن قرأ على النبيِّ ﷺ. أقرأ أهلَ البصرة، وفَقَّهَهُم في الدين.

ففي (الصحيحين)، عن أبي بُردَة بن أبي موسى، عن أبيه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «اللهُمَّ اغفِرْ لعبدِ اللهِ بن قَيْسٍ ذَنْبَهُ، وأَدْخِلْهُ يَوْمَ القيامَةِ مُدْخلاً كَريماً».

وقد استعمله النبيُّ ﷺ ومُعاذاً على زَبيد، وعَدَن.

ووليَ إمرة الكوفة لعُمر، وإمرةَ البصرة. وقَدم ليالي فتح خيبر، وغزا، وجاهد مع النبيِّ ﷺ وحَمَلَ عنه عِلماً كثيراً.

[٣] قال سعيدُ بنُ عبـدالعزيز: حدثني أبو يوسف، حاجبُ مُعاوية: أن أبا موسى

---

(١) انظر السير: ٢/٣٧٨ـ ٣٨٠.

(٢) هو موضع بالمدينة بالبقيع.

(٣) انظر السير: ٢/٣٨٠ـ ٤٠٢.

الأشعري قَدِمَ على مُعاوية، فنزلَ في بعض الدور بِدمشق، فخرج مُعاويةُ في الليل ليستَمِعَ قِراءَته.

[١] وقال العجلي: بعثه عُمر أميراً على البصرة، فأقرأهم وفقَّهَهُم، وهو فَتَحَ تُسْتَرَ(١). ولم يكن في الصحابة أحد أحسنَ صوتاً منه.

[٢] قال حسينُ المُعلم: سمعتُ ابن بُريدة يقول: كان الأشعريُّ قصيراً، أَثَطَّ(٢)، خفيف الجسم.

[٣] عن أبي موسى، قال: خرجنا من اليمن في بضع وخمسين من قومي، ونحنُ ثلاثةُ إخوة، أنا وأبو رُهْم، وأبو عامر: فأخرجتنا سفينَتُنا إلى النَّجاشي، وعنده جعفر وأصحابه، فأقبلنا حين افتُتِحت خيبر، فقال رسول الله ﷺ: «لَكُم الهِجْرَةُ مرَّتَيْن، هَاجَرْتُم إلى النَّجاشي، وهَاجرتُم إليَّ».

[٤] عن أنس، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يَقْدمُ عليكم غَداً قومٌ هم أرقُّ قُلُوباً للإسلام منكُم» فقدم الأشعريُّون، فلما دَنوا جعلُوا يرتَجزون.

غداً نَلْقَى الأَحِبَّة ... مُحَمَّدَاً وحِزْبَهْ

فلما أن قَدِموا تصافحوا، فكانوا أَوَّلَ من أحدثَ المصافحة.

[٥] عن عياض الأشعريِّ، قال: لما نزلت ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَه﴾ [المائدة ٥٧]. قال رسول الله ﷺ «هُم قَوْمُكَ يا أبا مُوسى، وأَوْمأً إليه».

[٦] عن أبي موسى قال: لما فرغَ رسولُ الله ﷺ من حُنين، بعثَ أبا عامر الأشعريَّ على جَيشِ أَوطَاس، فلقي دُرَيْدَ بنَ الصِّمَّة، فَقُتِلَ دُرَيدُ، وهزم الله أصحابَه، فرمى رجلٌ أبا عامر في ركبته بسهم، فأثبتَهَ. فقلتُ: يا عم، مَنْ رَمَاكَ؟ فأشار إليه، فقصدتُ له، فلحقتُه، فلما رآني، ولَّى ذاهباً. فجعلت أقول له ألا تستحي؟ ألستَ عربياً؟ ألا تَثْبت؟ قال: فكفَّ، فالتقيْت أنا وهو، فاختلفنا ضربتين، فقتلتُه. ثم رجعتُ إلى أبي عامر، فقلتُ: قد قَتل اللهُ صاحِبَك. قال: فانزعْ هذا السهم. فنزعتُه، فنزا منه الماءُ. فقال: يا ابنَ أخي، انطلق إلى رسولِ الله ﷺ، فأقْرِه مني

(١) تستر: مدينة بخوزستان.

(٢) الأثط: هو القليل شعر اللحية.

السلام، وقل له: يَستغفر لي. واستخلفني أبو عامر على الناس، فمكثَ يسيراً، ثم مات. فلما قدمنا، وأخبرتُ النبيَّ ﷺ، توضأ، ثم رفع يديه، ثم قال: «اللهُمَّ اغفْر لعُبيد أبي عامر»، حتى رأيتُ بياضَ إبطيه. ثم قال: «اللهُمَّ اجعلْهُ يومَ القِيامَةِ فَوْقَ كثير مِن خَلقكَ». فقلت: ولي يا رسول الله؟ فقال: «اللهُم اغفِرْ لِعبد الله بن قَيْس ذَنْبَهُ، وأَدخِلْهُ يَومَ القِيامةِ مُدْخلاً كَريماً»(١).

[١] عن أبي موسى، قال: كنتُ عند رسول ِ الله ﷺ بالجعرانة، فأتى أعرابيٌّ فقال: ألا تُنْجزُ لي ما وعدتَني؟ قال: «أَبشِرْ». قال: قد أكثرتَ من البُشرى. فأَقبلَ رسولُ الله عليَّ وعلى بلال ٍ، فقال: «إنَّ هذا قد رَدَّ البُشرى فاقبلا أنتما»: فقالا: قبلنا يا رسولَ الله. فدعا بقَدَح، فغسل يديه ووجهه فيه، ومَجَّ فيه، ثم قال: «اشرَبَا منه، وأَفْرِغا على رُؤوسِكُما ونُحُورِكما» ففعلا! فنادت أُمُّ سلمة من وراء الستر أن فَضِّلا لأمِّكُما، فأفضلا لها منه.

[٢]عن أبي بُريدة، عن أبيه، قال: خرجتُ ليلةً منَ المسجد، فإذا النبيُّ ﷺ عند باب المسجد قائم، وإذ رجلٌ يصلي، فقال لي: «يا بُرَيدةُ، أتراه يُرائي»؟ قلت: الله ورسـوله أعلم. قال: «بل هو مُؤمِنٌ مُنِيبٌ، لقد أُعطِيَ مِزْماراً من مَزَامِيرِ آل ِ داود». فأتيتُه، فإذا هو أبو موسى، فأخبرتُه.

[٣]عن مالك بن مِغول: حدَّثنا ابنُ بُرَيدة، عن أبيه، قال: جاء رسولُ الله ﷺ إلى المسجـد، وأنـا على باب المسجد، فأخذ بيدي فأدخلني المسجد، فإذا رجلٌ يُصلِّي، يدعو، يقول: اللهم، إني أسألك، بأني أشهدُ أنك الله، لا إله إلا أنت الأحدُ الصمدُ الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

قال: «والـذي نفسي بيده لقـد سَأَلَ اللهَ باسمِـهِ الأعظم، الذي إذا سُئِلَ به أعطى، وإذا دُعِيَ به أَجاب». وإذا رجل يقرأُ، فقال: «لقد أُعطِيَ هذا مِزماراً من مَزَامِير آل ِ داود». قلت يا رسول الله، أخبرُهُ؟ قال: «نعم». فأخبرتُه. فقال لي: لا تزالُ لي صَديقاً. وإذا هو أبو موسى.

(١) أوطاس: واد في ديار هوازن، وهو غير وادي حنين.

[١] عن أنس: أن أبا موسى قرأ ليلةً، فقُمن أزواجُ النبيِّ ﷺ يستمعنَ لقراءته. فلما أصبح، أُخبرَ بذلك. فقال: لو علمتُ، لحبَّرتُ تحبيراً، ولشوَّقْتُ تشويقاً.

[٢] عن أبي البَختَري، قال: أتينا علياً، فسألناه عن أصحابِ محمد ﷺ. قال عن أيِّهم تسألوني؟ قلنا: عن ابن مسعود. قال: عَلِم القرآن والسنة، ثم انتهى، وكفى به علماً. قلنا أبو موسى؟ قال صُبغ في العلم صِبغةً، ثم خرج منه. قلنا: حُذَيفة؟ قال: أعلم أصحابِ محمد بالمنافقين. قالوا: سلمان؟ قال: أدرك العلمَ الأول، والعلم الآخر، بحرٌ لا يُدركُ قعره، وهو مِنَّا أهلَ البيت. قالوا: أبو ذر؟ قال: وعى علماً عجز عنه. فسُئِل عن نفسه. قال: كنتُ إذا سألت أُعطيتُ، وإذا سَكَتُّ ابتُـدِيتُ.

[٣] وقال مسروق: كان القضاء في الصحابة إلى ستة: عمر، وعلي، وابن مسعود، وأُبيٍّ، وزيد، وأبي موسى.

عن صفوان بن سُلَيم، قال: لم يكن يُفتي في المسجد زمن رسول الله ﷺ، غيرُ هؤلاء: عُمر، وعلي، ومعاذ، وأبي موسى.

[٤] أيوب، عن محمد، قال عمر: بالشام أربعون رجلاً، ما منهم رجل كان يلي أمر الأمة إلا أجزأه، فأرسل إليهم. فجاء رهط، فيهم أبو موسى. فقال: إني أرسلك إلى قومٍ عَسْكَـرَ الشيطانُ بين أظهـرهـم. قال: فلا تُرسِلْني قال: إن بهـا جهاداً ورباطاً. فأرسله إلى البصرة.

[٥] عن أنس: بعثني الأشعريُّ إلى عمر، فقال لي: كيف تركتَ الأشعري؟ قلتُ: تركتهُ يُعَلِّم الناسَ القرآن. فقال: أَمَا إنه كَيِّس! ولا تُسمِعْها إياه.

[٦] عن أبي سلمة: كان عمرُ إذا جلس عنده أبو موسى، ربما قال له، ذكِّرنا يا أبا موسى فيقرأ.

[٧] قال أبو عُثمان النَّهدي: ما سمعتُ مِزماراً ولا طُنبوراً ولا صنجاً أحسنَ من صوتِ أبي موسى الأشعري، إن كان ليصلي بنا فنودُّ أنَّه قرأ البقرة، مِن حُسنِ صوته.

[٨] عن مسـروق، قال: خرجنـا مع أبي موسى في غزاة، فَجنَّنا الليلُ في بستان خرب، فقام أبو موسى يصلي، وقرأ قراءةً حسنة، وقال: اللهُـمَّ، أنت المؤمن تُحِبُّ

المؤمن، وأنت المهيمن تُحِبُّ المهيمن، وأنت السلام تُحبُّ السلام.

[١]وروى صالحُ بنُ موسى الطلحي، عن أبيه، قال: اجتهد الأشعريُّ قبل موته اجتهاداً شديداً، فقيل له: لو أمسكت ورفقتَ بنفسك؟ قال: إنَّ الخيل إذا أُرسِلَت فقاربَت رأس مَجراها، أَخْرَجَتْ جميعَ ما عندها، والَّذي بقي من أَجَلي أقلُّ من ذلك.

[٢] عن أنس: أن أبا موسى كان له سراويل يلبسه مخافةَ أن يَتَكَشَّف.

[٣] لا ريب أنَّ غُلاةَ الشيعة يُبغضون أبا موسى رضي الله عنه، لكونه ما قاتل مع عليّ، ثُمَّ لمَّا حكَّمه عليٌّ على نفسه، عَزله، وعزل مُعاويةَ، وأشارَ بابنِ عُمر، فما انتظم من ذلك حال.

[٤]عن أبي موسى: أن مُعاوية كتب إليه: أمَّا بعد: فإنَّ عمرو بَن العاص قد بايعني على ما أُريد، وأُقسم بالله، لئن بايعتني على الذي بايعني، لأَستعملنَّ أَحَد ابنيك على الكوفة، والآخرَ على البصرة، ولا يُغَلقُ دونك باب، ولا تُقضى دونك حاجة. وقد كتبتُ إليك بخطي، فاكتبْ إليَّ بخطِّ يدك.

فكتب إليه: أما بعدُ: فإنك كتبت إليَّ في جسيمِ أمر الأُمة، فماذا أقولُ لربي إذا قَدِمْتُ عليه، ليس لي فيما عرضتَ من حاجة، والسلام عليك.

قال أبو بردة: فلما وليَ معاويةُ أتيتُه، فما أغلق دوني باباً، ولا كانت لي حاجة إلا قُضيت.

[٥] قلت: قد كان أبـو موسى صوامـاً قوامـاً ربَّانياً زاهداً عابداً، ممن جمع العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر، لم تُغَيره الإمارة، ولا اغتر بالدنيا.

توفي سنة اثنتين وأربعين.

[٦]عن أبي نضرة: قال عُمر لأبي موسى: شَوِّقنا إلى ربنا. فقرأ. فقالوا: الصلاة. فقال: أو لسنا في صلاة.

[٧] روى الزُّبير بن الخِرِّيت، عن أبي لَبيد، قال: ما كنا نُشبِّه كلام أبي موسى إلا بالجزار الذي ما يُخطئ المَفْصِل.

[١] عن أبي عَمرو الشيباني، قال: قال أبو موسى: لأن يمتلئ مَنْخري من ريح جيفة أحبُّ إليَّ مِنْ أَنْ يمتلئ من ريح امرأة.

[٢] عن عبد الرحمن ابن مولى أم بُرثن، قال: قدم أبو موسى الأشعري وزياد على عمر رضي الله عنه. فرأى في يد زياد خاتماً من ذهب، فقال: اتخذتُم حِلَق الذهب، فقال أبو موسى، أما أنا فخاتمي من حديد. فقال عُمر: ذاك أنتَنُ، أو أخبث، من كان مُتَختماً فليتَخَتَّم بخاتم من فضة.

[٣] وقال أبو بردة: قال أبي: ائتني بكل شيءٍ كتبته، فمحاه، ثم قال: احفظ كما حفظتُ.

[٤] عن الحسن: قال: كان الحكمان: أبا موسى، وعَمراً، وكان أحدُهما يبتغي الدنيا، والآخر يبتغي الآخرة.

[٥] عن أبي مِجلز: أنَّ أبا موسى قال: إني لأغتسلُ في البيت المظلم، فأحني ظهري حياء من ربي.

٨٩ أبو أيوب الأنصاريُّ (ع)(١)

[٦] **الخزرجيُّ النَّجَّاريُّ البدريُّ. السيد الكبير. الذي خصه النبيُّ ﷺ بالنزول عليه في بني النَّجار إلى أن بُنيت له حجرة أُمِّ المؤمنين سودة، وبنى المسجدَ الشريف.**

اسمه: خالد بنُ زيد بن كليب.

[٧] عن أيُّوب، عن محمد، قال: شهد أبو أيوب بدراً، ثم لم يتخلف عن غزاة إلَّا عاماً، استُعمل على الجيش شابٌّ، فقعد، ثم جعل يتلهَّفُ، ويقولُ: ما عليَّ مَن استُعمل عليَّ. فمرض، وعلى الجيش يزيدُ بنُ معاوية، فأتاه يعودُه، فقال: حاجتك؟ قال: نعم إذا أنا مِتُّ، فاركبْ بي، ثم تبيّغ في أرض العَدو ما وجدتَ مساغاً، فإذا لم تجد مساغاً، فادفني، ثم ارجع(٢).

---

(١) انظر السير: ٢/٤٠٢-٤١٣.

(٢) قوله: (ثم تبيغ) كذا الأصل، وقد أثبت فوق الكلمة (صح) يقال: تبيغ به الدم، أي: تردد فيه الدم، وتبيغ الماء إذا تردد فتحير في مجراه مرة كذا ومرة كذا وفي (الطبقات)، و(النهاية) و(أسد الغابة) و(تهذيب ابن عساكر)، (ثم =

فلما مات، ركبَ به، ثم سار به، ثم دفنه. وكان يقول: قال الله: ﴿انفِروا خِفافاً وثِقالاً﴾ [التوبة ٤١] لا أجدُني إلا خَفيفاً أو ثقيلاً.

قال الواقدي: تُوفي عام غزا يزيدُ في خلافة أبيه القسطنطينية. فلقد بلغني: أن الروم يتعاهدون قبره، ويَرُمُّونَه ويستسقون به، وذكره عروةُ والجماعةُ في البدريين.

وقال ابنُ إسحاق، شهد العقبة الثانية.

وقال الخطيب: شهد حرب الخوارج مع عليّ.

[١]عن أبي رُهم: أنّ أبا أيوب حدثه: أنَّ رسول ﷺ نزل في بيتنا الأسفل وكنتُ في الغرفة، فأهريق ماءٌ في الغرفة، فقمتُ أنا وأُمُّ أيوب بقطيفة لنا نتتبعُ الماءَ ونزلتُ فقلتُ: يا رسولَ الله، لا ينبغي أن نكون فوقك، انتقل إلى الغرفة. فأمر بمتاعه فنُقِلَ ـ ومتاعهُ قليلٌ ـ قلتُ: يا رسولَ الله، كنتَ تُرسلُ بالطعامِ، فأنظرُ، فإذا رأيتُ أثر أصابعك، وضعت فيه يدي.

[٢]عن سالم قال،: أعرستُ، فدعا أبي النَّاسَ، فيهم أبو أيوب، وقد ستروا بيتي بجُنادي[1] أخضر. فجاء أبو أيوب فطأطأ رأسه، فنظر فإذا البيت مُستَّر. فقال، يا عبدالله، تسترون الجُدُر؟ فقال أبي واستحيي: غلَبَنا النساءُ يا أبا أيوب. فقال: مَن خشيتُ أن تغلبه النساء، فلم أخش أن يغلبنَك. لا أدخل لكم بيتاً ولا آكل لكم طعاماً.

[٣]عن حبيب بن أبي ثابت: أَنَّ أبا أيوب قَدِمَ على ابنِ عبَّاس البصرةَ، ففرَّغَ له بيته، وقال: لأصنعنَّ بكَ كما صنعتَ برسول الله ﷺ، كم عليكَ؟ قال: عشرون ألفاً فأعطاه أربعين ألفاً، وعشرين مملوكاً، ومتاعَ البيت.

مات أبو أيوب سنة اثنتين وخمسين.

= سغ)، وفسره ابن الأثير، فقال: أي: ادخل فيها ما وجدت مدخلا، وساغت به الأرض، أي: ساخت، وساغ الشراب في الحلق يسوغ، أي: دخل سهلا.

(١) هو جنس من الثياب يستر بها الجدران.

٩٠ عبدالله بن سلام (ع)[(١)]

[١]**ابن الحارث. الإمام الحبر، المشهود له بالجنة، أبو الحارث الإسرائيلي، حليف الأنصار. من خواصِّ أصحابِ النبي ﷺ.**

وكان فيما بلغنا: ممن شهد فتحَ بيت المقدس.

أسلمَ وقتَ هجرة النبيِّ ﷺ وقدومه.

قال ابنُ سعد: هو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام. وهو حليف القواقلة(٢).

قال: وله إسلامٌ قديم بعد أن قدم النبيُّ ﷺ المدينةَ، وهو من أحبار اليهود.

[٢]عن عبدالله بنِ سلام، قال: لما قدم النبيُّ ﷺ المدينة، انجفل الناسُ عليه، وكنتُ فيمن انجفل، فلما رأيته، عرفتُ أنَّ وجهه ليس بوجه كذَّاب. فكان أول شيْ سمعتُه يقول: «يا أيُّها النَّاسُ، أفشوا السَّلامَ، وأَطْعِمُوا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصَلُّوا باللَّيلِ والناسُ نيام، تدخلوا الجنةَ بسلام».

[٣]عن أنس: أن عبدالله بنَ سَلَام أتى النبيَّ ﷺ مَقْدَمَهُ إلى المدينة، فقال: إني سائلك عن ثلاثٍ لا يعلمُها إلاَّ نبيٌّ. ما أولُ أشراطِ الساعة؟ وما أولُ ما يأكلُ أهلُ الجَنَّة؟ ومن أينَ يشبهُ الولدُ أباه وأُمَّه؟

فقال: «أخبرني بهنَّ جبريلُ آنفاً» قال: ذاك عدوُّ اليهود من الملائكة.

قال: «أمَّا أولُ أشراطِ الساعة فنارٌ تَخْرُجُ من المشرقِ، فتحشرُ الناسَ إلى المغرب، وأمَّا أولُ ما يأكُلُهُ أهل الجنة، فزيادَةُ كَبِدِ حوت، وأما الشَّبه، فإذا سَبَقَ ماءُ الرَّجُلِ، نَزَعَ إليه الولد. وإذا سَبَقَ ماءُ المرأة نَزَع إليها» قال: أشهدُ أنكَ رسولُ الله.

وقال: يا رسولَ الله: إن اليهودَ قومٌ بُهْتٌ، وإنهم إنْ يعلموا بإسلامي بَهتوني، فأَرسِلْ إليهم، فَسَلْهُم عني.

---

(١)انظر السير: ٢/٤١٣-٤٢٦.

(٢) في (القاموس): والقواقِل: اسم أبي بطن من الأنصار، لأنه كان إذا أتاه إنسان يستجير به أو بيثرب، قال له: قوقل في هذا الجبل، وقد أمنت، أي: ارتق، وهم القواقلة.

فأرسلَ إليهم، فقال: «أيُّ رجلٍ ابنُ سَلَام فيكم»؟ قالوا: حَبْرُنا وابن حَبْرنا، وعـالمنا، وابن عالمنا. قال: «أرأيْتُم إنْ أَسْلَم، تُسْلِمُون»؟ قالوا: أعاذه اللهُ من ذلك. قال: فخرجَ عبدُ الله، فقال: أشهدُ أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله. فقالوا: شرُّنا وابن شَرِّنا. وجاهلنا وابنُ جاهِلنا. فقال: يا رسولَ الله، ألم أُخبِرْكَ أنَّهم قَومٌ بُهْتٌ.

[١]عن عامر بن سعد، عن أبيه: قال: ما سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ لأحد: أنَّه من أهلِ الجنة إلا لعبدِ الله بنِ سلام، وفيه نزلت: ﴿وشَهِدَ شاهدٌ من بني إسرائيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ [الأحقاف ١٠].

[٢]وجاء من غير وجه: أنه رأى رؤيا، فقصَّها على النبيِّ ﷺ. فقال له: «تَمُوتُ وأنْتَ مُستَمِسكٌ بالعُروَةِ الوُثقى». إسناده قوي.

[٣]عن يزيد بن عَمِيرَة الزبيدي، قال: لما حضرَ معاذَ بن جبل الموتُ، قيل له: أوصنا يا أبا عبد الرحمن. قال: التمسوا العلم عند أبي الدَّرداء، وسلمانَ، وابن مسعود، وعبدِالله بن سلام الذي أسلم، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ «إنَّه عاشِرُ عَشَرَة في الجنة».

[٤]﴿ومَنْ عنده علمُ الكتاب﴾ قال مجاهد: هو عبدالله بنُ سلام.

توفي سنة ثلاث وأربعين.

[٥]عن عبـدالله بن سلام، قال: قعـدنا نفرٌ من أصحاب رسول الله، فتذاكرنا، فقُلنا: لو نعلمُ أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله، لعملنا. فأنزل الله ﴿سَبَّحَ للهِ ما في السموات وما في الأرضِ وهو العَزيزُ الحكيم. يا أيُّها الذَّين آمنوا لِمَ تَقُولُونَ مَالا تَفْعَلُون﴾ [الصف ١، ٢]. حتى ختمها.

٩١ زيد بن ثابت (ع)[١]

[١] أبو الضحاك، الإمام الكبير، شيخُ المقرئين، والفَرَضِيِّين، مفتي المدينة أبو سعيد، وأبو خارجة. الخزرجيُّ، النَّجَّاريُّ الأنصاريُّ. كاتبُ الوحي، رضي الله عنه.

وكان من حَمَلة الحُجَّة، وكان عمرُ بنُ الخطاب يستخلُفه إذا حَجَّ على المدينة.

وهو الذي تولىَّ قسمةَ الغنائم يومَ اليرموك. وقد قُتِلَ أبوه قبل الهجرة يومَ بُعاث[٣]، فرُبِّي زيدٌ يتيماً. وكان أحدَ الأذكياء. فلما هاجر النبيُّ ﷺ، أسلم زيدٌ. وهو ابنُ إحدى عشرة سنة.

[٢] عن خارجة، عن أبيه، قال: أُتي بي النبيُّ ﷺ مَقدمَهُ المدينة، فقالوا: يا رسولَ الله، هذا غلامٌ من بني النجار، وقد قرأ مما أُنزل عليك سبعَ عشرة سورة. فقرأتُ على رسول الله ﷺ، فأعجَبه ذلك، وقال: «يا زيد، تَعَلَّم لي كتابَ يهود، فإني والله ما آمَنُهم على كتابي».

قال: فتعلمتُه. فما مضى لي نصفُ شهر حتى حَذَقته، وكنتُ أكتُبُ لرسولِ الله ﷺ إذا كَتَب إليهم.

عن ثابت بن عُبيد، قال زيد: قال لي رسولُ الله: «أتُحْسِنُ السُّريانيَّة»؟ قلتُ: لا، قال: «فَتَعَلَّمْها» فتعلَّمتُها في سبعة عَشَر يوماً.

[٣] وقال عُبيد بن السَّبَّاق، حدثني زيد، أن أبا بكر قال له: إنَّك رجلٌ شابٌ عاقلٌ لا نَتَّهِمُك، قد كُنْتَ تكتبُ الوحي لرسولِ الله ﷺ، فتتبَّعِ القُرآن فاجْمَعْه.

فقلت: كيفَ تَفعلونَ شيئاً لم يَفْعلْهُ رسول الله ﷺ.

قال: هو والله خير.

---

(١) انظر السير: ٢/٤٢٦-٤٤١.

(٣) هو موضع على ليلتين من المدينة المنورة، وفيه كانت الوقيعة، واليوم المنسوب إليه بين الأوس والخزرج، وأخرج البخاري ٧/٥٨ في أول مناقب الأنصار، من طريق عبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يوم بعاث يوماً قدمه الله لرسوله ﷺ، فقدم الرسول ﷺ وقد افترق ملؤهم، وقتلت سرواتهم، وجرحوا، فقدمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم للإسلام.

فلم يزل أبو بكر يُراجعني، حتى شرحَ اللهُ صدري للذي شَرح له صدر أبي بكر وعُمر، فكنتُ أتتبَّع القرآن أجمعُهُ من الرِّقاع والأكتاف والعُسُب وصُدور الرجال.

[١]عن أنس، عن النبي ﷺ: «أفرضُ أمتي زيدُ بنُ ثابت».

عن الشعبي، قال: غلب زيدٌ على الثنتين: الفرائضِ والقرآن.

[٢]عن أبي سعيد، قال: لما تُوفي رسولُ الله، قام خُطباءُ الأنصار، فتكلَّموا، وقالوا: رجلٌ منا، ورجلٌ منكم، فقام زيدُ بنُ ثابت، فقال: إنَّ رسول الله كان من المهاجرين ونحنُ أنصاره، وإنَّما يكون الإمامُ من المهاجرين ونحنُ أنصارُه.

فقال أبو بكر: جزاكم اللهُ خيراً يا معشرَ الأنصار، وثبَّتَ قائلكم، ولو قلتُم غيرَ هذا ما صالحنَاكُم.

[٣] قال خارجةُ بنُ زيد: كان عُمر يستخلفُ أبي، فقلَّما رجع إلا أقطعه حديقةً من نخل.

[٤]عن أبي سلمة، أن ابنَ عباس قام إلى زيد بن ثابت، فأخذ له بركابِه، فقال: تَنَحَّ يا ابنَ عمِّ رسول الله ﷺ! فقال هكذا نفعلُ بعلمائنا وكبرائنا.

[٥]عن الزُّهري، بلغنا أن زيدَ بنَ ثابت كان يقولُ إذا سُئل عن الأمر: أكانَ هذا؟ فإن قالوا: نعم حدَّث فيه بالذي يعلمُ. وإن قالوا: لم يكُنْ. قال: فَذَروه حتى يكون.

[٦]عن ثابت بن عبيد، قال: كان زيدُ بن ثابت من أفكه الناس في أهله وأزمتِه(١) عند الق

[٧]عن ابن سيرين، قال: خرج زيدُ بنُ ثابت يُريدُ الجمعة، فاستقبل الناس راجعين، فدخل داراً، فقيل له فقال: إنه من لا يستحيي مِنَ الناس لا يستحيي من الله.

[٨] عن عمار بن أبي عمار، قال: لما مات زيدٌ، جلسنا إلى ابن عباس في ظل، فقال: هكذا ذهابُ العلماء، دُفن اليوم علمٌ كثير.

[٩]عن مكحول: أن عُبادةَ بنَ الصامت دعا نَبطيّاً يُمسِكُ دابته عند بيت المقدس،

---

(١) الزِّميت: الحليم الساكن القليل الكلام.

فأبى، فضربه فشجَّه. فاستعدى عليه عُمرَ. فقال: ما دعاك إلى ما صنعت بهذا؟ قال: أمرتُه، فأبى، وأنا فِيَّ حِدَّةٌ، فضربتُه. فقال: اجلس للقصاص. فقال زيدُ بنُ ثابت: أتُقيد لعبدِك مِن أخيك؟ فَتَرَكَ عُمر القَودَ، وقضى عليه بالدِّيَة.

[١] ومن جلالةِ زيد: أن الصِّدِّيق اعتمد عليه في كتابة القرآن العظيم في صحف، وجمعه من أفواه الرجال، ومن الأكتاف والرِّقاع، واحتفظوا بتلك الصحف مدةً. فكانت عند الصديق، ثم تسلَّمها الفاروقُ، ثم كانت بعدُ عند أُمِّ المؤمنين حَفْصَة، إلى أن نَدَبَ عُثمان زيدَ بنَ ثابت ونفراً من قُريش إلى كتاب هذا المصحف العثماني الذي به الآن في الأرض أزيدُ من ألفي ألف نسخة. ولم يبق بأيدي الأمة قرآنٌ سواه. ولله الحمد.

مات سنة خمس وأربعين، عن ست وخمسين سنة.

٩٢ تَمِيمُ الدَّاريّ (م، ٤)(١)

[٢] **صاحبُ رسول الله ﷺ، أبو رَقيَّة، تميم بن أَوس بن خَارِجة اللخمي، الفلسطيني.**

والدار: بطنٌ من لَخم، ولَخم: فخذ من يعرُب بن قحطان.

وفَدَ تميم الداري سنة تسع، فأسلم، فحدَّث عنه النبيُّ ﷺ على المنبر بقصة الجسَّاسة في أمر الدجَّال (٢).

[٣] ولتميم عدةُ أحاديث. وكان عابداً، تَلَّاءً لكتاب الله.

قال ابنُ سعد: لم يزل بالمدينة حتى تحول بعد قتل عثمان إلى الشام.

[٤] عن أبي المهلب: كان تميمٌ يختمُ القرآنَ في سبع.

[٥] عن مسروق: قال لي رجلٌ من أهل مكة: هذا مَقام أخيك تميم الداري: صلَّى لَيلةً حتى أصبح أو كاد، يقرأُ آية يُرَدِّدُها، ويبكي: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِين اجْتَرَحُوا

(١) انظر السير: ٢/٤٤٢-٤٤٨.

(٢) وهي الدابة التي رآها في جزيرة البحر، وسميت بذلك لأنها تجسّ الأخبار للدجّال والقصة أخرجها مسلم (٢٩٤٢) في الفتن وأشراط الساعة: باب قصة الجساسة، وأحمد ٦/٣٧٣، ٣٧٤، والطبراني.

السَّيِّئات أَنْ نَجْعَلَهُم كالَّذين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات﴾ [الجاثية ٢١].

[١] عن المُنْكَدِر بن محمد، عن أبيه: أن تميماً الدَّاريَّ نام ليلةً لم يقم يتهجَّدُ، فقامَ سَنةَ لم يَنم فيها، عُقوبةً للذي صنع.

[٢] عن أنس: أن تميماً الداريَّ اشترى رداءً بألف درهم، يخرجُ فيه إلى الصلاة.

[٣] عن حُمَيد بن عبدالرحمن: أن تميماً استأذنَ عُمَرَ في القصص سنين، ويأبى عليه، فلما أكثرَ عليه، قال: ما تقولُ؟ قال: أقرأُ عليهم القرآنَ، وآمُرُهم بالخير، وأنهاهُم عن الشر. قال عُمر: ذاك الرِّبحُ، ثم قال: عِظ قبل أن أَخْرُجَ للجُمُعة.

فكان يفعلُ ذلك. فلما كان عثمانُ، استزاده، فزادَهُ يوماً آخر.

يقال: وُجد على بلاطة قبر تميمٍ الداري: ماتَ سنة أربعين.

٩٣ أبو قَتَادة الأنصاري السلمي (ع)[١]

فارسُ رسول الله ﷺ. شهد أُحداً، والحُديبية.

اسمه الحارثُ بنُ رِبعي، على الصحيح.

روى إياسُ بنُ سَلَمة بن الأَكوَع، عن أبيه، عن النبي ﷺ، قال: «خَيْرُ فُرْسَانِنَا أبو قَتَادَةَ، وخَيْرُ رَجَّالتِنَا سَلَمَةُ بنُ الأَكْوَعِ».

[٤] عن أبي قتادة، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حُنين، فلما التقينا، رأيتُ رجلاً قد علا المُسلمين، فاستدرتُ له من ورائه، فضربتُه بالسيف على حبل عاتقه، ضربةً قطعتُ منها الدِّرع، فأقبل عليَّ، وضمَّني ضمةً وجدتُ منها ريحَ الموت، ثم أرسلني، ومات. إلى أن قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «مَن قَتلَ قَتيلاً لَهُ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلَبُه» فقمتُ، فقلتُ: من يشهدُ لي؟ وقصصتُ عليه، فقال رجلٌ: صدَقَ يا رسول الله، وسَلَبُ ذلك القتيل عندي. فَأَرْضِه منه. فقال أبو بكر: لا ها الله، إذاً لا يَعْمِدُ إلى أَسَد من أُسْد الله يُقاتِلُ عن الله ورسوله فيُعطيك سَلَبه! فقال النبيُّ ﷺ «صدق» فأعطانيه، فبعتُ الدِّرعَ، وابتعتُ به مَخْرَفاً في بني سلِمة، فإنه لأول مال تَأَثَّلْتُه في

(١) انظر السير: ٢/٤٤٩-٤٥٦.

الإسلام[1].

[١]عكرمةُ بنُ عمَّار: حدثني عبدالله بنُ عُبَيد بن عُمَير: أن عُمَر بعثَ أبا قتادة، فَقَتَل ملكَ فارس بيده، وعليه مِنطقةٌ قيمَتُها خمسةَ عشر ألفاً، فنفَلها إياه عُمر.

مات سنة أربع وخمسين.

[٢]عن أبي قتـادة، قال: كُنَّـا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، إذ تَأَخَّرَ عن الراحلة، فَدَعَمْتُه بيدي، حتى استيقظ، فقال: «اللهُمَّ احفَظْ أبا قَتَادة كما حَفِظني منذُ الليلة ما أرانا إلا قد شققنا عليك».

٩٤ شدَّاد بن أَوْس (ع)[2]

[٣]ابن ثابت، أبو يعلى، وأبو عبدالرحمن، الأنصاريُّ، النَّجَّاريُّ، الخزرجيُّ.

وشداد، هو ابنُ أخي حسان بن ثابت، شاعر رسولِ الله ﷺ.

من فُضلاء الصحابة، وعُلمائهم، نزلَ بيتَ المقدِس.

[٤] قال سعيدُ بنُ عبدالعزيز: فَضَلَ شدَّادُ بنُ أوس الأنصارَ بخَصلتين: ببيَانٍ إذا نطق، وبِكَظمٍ إذا غضب.

نزلِ فلسطين. وله عقب، مات سنةَ ثمانٍ وخمسين، وهو ابنُ خمسٍ وسبعين سنة. وكانت له عبادةٌ واجتهاد.

[٥] قال المُفضَّـل الغـلابي: زُهَّادُ الأنصار ثلاثةٌ: أبو الدرداء، وعُمَير بن سعد، وشدَّادُ بنُ أوس.

[٦] قال سَلاَّمُ بنُ مِسكين: حدثنـا قتادة: أن شدَّاد بنَ أوس خطب، فقال: أيها الناس، إنَّ الدنيا أجلٌ حاضر، يأكل منها البرُّ والفاجر، وإن الآخرة أجلٌ مستأخر، يحكم فيها ملكٌ قادر، ألا وإنَّ الخير كُلَّه بحذافيره في الجنة، وإن الشرَّ كُلَّه

---

(١) «على حبل عاتقه»: حبل العاتق: عصبه، والعاتق: موضع الرداء من المنكب. المخرف: البستان، سمي بذلك لأنه يخترف منه الثمر: أي: يجتنى. وتأثلته: أي اقتنيته. وقوله «لاها الله» أي: لا والله، فالهاء هنا بمنزلة الواو.

(٢) انظر السير: ٢/ ٤٦٠- ٤٦٧.

بحذافيره في النار.

٩٥ بُرَيدَةُ بنُ الحُصَيب (ع)(١)

[١] ابن عبدالله.

قيل: إنـه أسلم عامَ الهجرة، إذْ مَرَّ به النبيُّ ﷺ مُهاجراً. وشهد غزوةَ خَيبر، والفتح وكان معه اللواء، واستعمله النبيُّ ﷺ على صَدقة قومه.

وكان يحمل لواء الأمير أُسامةَ حين غزا أرضَ البلقاء إثر وفاةِ رسول الله ﷺ.

نزل مرو ونشر العلم بها.

[٢] وسكن البصرةَ مدةً، ثم غزا خراسان زمن عُثمان، فحكى عنه من سمعه يقول وراء نهر جيحون:

لا عيش إلا طراد الخيل بالخيل

[٣] قال عاصم الأحول: قال مُوَرِّق: أوصى بُرَيدةُ أن يُوضع في قبره جريدتان. وكان مات بخراسان، فلم تُوجد إلا في جُوالق حمار.

[٤] عن ابن بُرَيدة، عن أبيه، قال: شهـدتُ خيبـر، وكنتُ فيمن صعـد الثُّلمة، فقاتلتُ حتى رُئي مكاني، وعليَّ ثوبٌ أحمر، فما أعلم أني ركبتُ في الإسلام ذنباً أعظمَ عليَّ منه ـ أي الشهرة.

قلت: بلى، جُهَّال زماننا يعدُّون اليومَ مثلَ هذا الفعل من أعظم الجهاد، وبكلِّ حالٍ فالأعمالُ بالنيّات، ولعل بُريدةَ رضي الله عنه بإزارئه على نفسه، يَصيرُ له عملُه طاعةً وجهاداً! وكذلك يقعُ في العمل الصالح، رُبَّما افتخر به الغِرُّ ونَوَّهَ به، فيتحولُ إلى ديوان الـرياء. قال الله تعالى ﴿وَقَدِمْنَا إلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ [الفرقان ٢٣].

توفي سنة اثنتين وستين.

---

(١) انظر السير: ٢/ ٤٦٩ـ ٤٧١.

٩٦ عبدالرحمن بن أبي بكرٍ الصديق (ع)(١)

[١] **شقيق أمِّ المؤمنين عائشة.**

حضر بدراً مع المشركين، ثم إنه أسلم وهاجر قُبيل الفتح. وأما جدُّه أبو قحافة فتأخرَ إسلامُه إلى يوم الفتح.

وكان هذا أسنَّ أولاد الصديق. وكان من الرماة المذكورين والشجعان، قَتَلَ يوم اليمامة سبعةً من كبارهم.

وهو الذي أمره النبيُّ ﷺ في حجة الوداع أن يُعمرَ أُخته عائشة من التَّنعيم.

توفي في سنة ثلاث وخمسين.

هكذا ورَّخوه. ولا يستقيم، فإن في (صحيح مسلم) أنه دخلَ على عائشةَ يوم موت سعد، فتوضَّأ. فقالت له: أَسبغ الوضوءَ. سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ويلٌ للأعقاب من النار».

[٢] وقد هَوِيَ ابنة الجُوديِّ، وتغزلَّ فيها بقوله:

تَذَكَّرتُ لَيْلى والسَّمَاوَةُ دُونها ... فَمَا لابْنَةِ الجُوديِّ لَيْلَى ومَالِيَا
وأنَّى تُعَاطِي قَلْبَه حَارثِيَّةٌ ... تَدَمَّنُ بُصْرى(٢) أو تَحلُّ الجَوَابيَا
وأنَّى تُلاقِيهَا بَلَى ولَعَلَّهَا ... إنِ النَّاسُ حَجُّوا قَابلاً أن تُوافيَا

فقال عمر لأمير عسكره: إن ظفرتَ بهذه عنوة، فادفعها إلى ابن أبي بكر، فظفر بها، فدفعها إليه. فأعجبَ بها، وآثرها على نسائه، حتى شكونَه إلى عائشة، فقالت له: لقد أفرطتَ. فقال: والله إني لأرشفُ من ثناياها حَبَّ الرُّمَّان. فأصابها وجع فسقطت أسنانُها، فجفاها، حتى شكتْهُ إلى عائشة. فكلّمته. قال: فجهَّزها إلى أهلها. وكانت من بنات الملوك.

---

(١) انظر السير: ٢/ ٤٧١- ٤٧٣.

(٢) قوله: (تَدَمَّن بُصرى) أي: تغشاها وتلزمها.

٩٧ الأرقمُ بن أبي الأرقم(١)

[١] ابن أسد المخزومي.

احبُ النبي ﷺ. من السابقين الأولين: اسم أبيه عبد مناف.

كان الأرقمُ أَحَدَ من شهد بدراً. وقد استخفى النبي ﷺ في داره، وهي عند الصفا.

وكان من عقلاء قريش. عاش إلى دولة معاوية.

[٢] عن الأرقم: أنَّه تجهَّز يُريدُ بيتَ المقدِس، فلما فَرغ من جَهَازه، جاءَ إلى النبيِّ ﷺ يُوَدِّعه فقال: «ما يُخرِجُكَ؟ حاجةٌ أو تِجَارةٌ»؟ قال: لا والله يا نبيَّ الله، ولكنْ أردتُ الصلاةَ في بيت المقدس. فقال النبيُّ ﷺ: «الصلاةُ في مَسْجِدي خَيْرٌ من ألفِ صلاة فيما سواه، إلا المسجدَ الحرام» فجلسَ الأرقم، ولم يَخرجْ.

قيل: الأرقم عاش بضعاً وثمانين سنة.

توفي بالمدينة. وصلَّى عليه سعدُ بنُ أبي وقَّاص بوصيته إليه.

٩٨ خُزَيمة بنُ ثابت (م، ع)(٢)

ابن الفاكِه، الفقيه، أبو عمارة الأنصاريُّ الخَطْميُّ المَدنيُّ، ذو الشهادتين.

قيل: إنه بدريٌّ، والصواب: أنه شهد أُحداً وما بعدها.

وكان من كبار جيش عليٍّ، فاستشهد معه يومَ صِفِّين.

قُتِلَ رضي الله عنه سنة سبع وثلاثين، وكان حاملَ رايةِ بني خَطْمة. وشهد مُؤتة.

[٣] عن عُمارةَ بن خُزَيمة، عن أبيه، قال: حضرتُ مُؤتة، فبارزتُ رجلاً، فأصبتُه، وعليه بيضةٌ فيها ياقوتة، فلم يكن هَمِّي إلا الياقوتة، فأخذتها. فلما انكشفنا، وانهزمنا، رجعتُ بها إلى المدينة، فأتيتُ بها النبيَّ ﷺ، فَنَفلنيها، فبعتُها زمن عمر بمئة دينار.

---

(١) انظر السير: ٢/٤٧٩ـ ٤٨٠.

(٢) انظر السير: ٢/٤٨٥ـ ٤٨٧.

[١] وقال خارجةُ بنُ زيد، عن أبيه، قال: لما كتبنا المصاحف، فقدتُ آية كنتُ سمعتُها من رسول الله ﷺ، فوجدُتها عند خُزيمة بن ثابت: ﴿مِنَ المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ [الأحزاب] وكان خزيمة يُدعى: ذَا الشهادتين، أجازَ رسولُ الله ﷺ شهادَته بشهادةِ رَجُلَين.

[٢] قال قَتَادة، عن أنس، قال: افتخـر الحيَّانِ من الأنصار، فقالت الأوسُ: منا غسيلُ الملائكة: حنظلةُ بنُ الراهب، ومنا من اهتزَّ له العرش: سعدٌ، ومنا من حَمته الدَّبر[1]: عاصم بن أبي الأقلح، ومنا من أُجيزت شهادته بشهادتين: خُزَيمة بنُ ثابت.

٩٩ مُعَيقِيبُ بنُ أبي فاطمة الدَّوسي (ع)[2]

من المهاجرين، ومن حلفاء بني عبد شمس.

وكان أميناً على خاتم النبي ﷺ. وقد استعمله أبو بكر على الفَيءِ، وولي بيتَ المال لعمر.

[٣] وله هجرة إلى الحبشة. وقيل: إنه قدم مع جعفر ليالي خيبر. وكان مبتلىً بالجُذام.

عن محمـود بن لبيد، قال: أمـرَّني يحيى بنُ الحكم على جُرَش، فقدمتُها، فحدَّثوني أن عبدالله بن جعفر حدَّثهم: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لصاحب هذا الوجع ـ الجذام ـ «اتَّقُوه كما يُتَّقى السَّبُعُ، إذا هَبَطَ وادياً فاهبطُوا غيره».

فقدمتُ المدينةَ، فسألتُ عبدَ الله بنَ جعفر. فقال: كذبوا، والله! ما حدَّثتُهم هذا! ولقد رأيتُ عمرَ بنَ الخطاب يُؤتى بالإناء فيه الماءُ فيعطيه مُعَيقيباً ـ وكان رجلاً قد أسرعَ فيه ذاك الداءُ ـ فيشربُ منه، ويُناوِلُه عمر، فيضع فمه موضع فمه، حتى يشربَ منه، فعرفتُ أنه يفعلُه فِراراً من العدوى.

(١) الدبر: النحل والزنابير.

(٢) انظر السير: ٢/٤٩١-٤٩٣.

وكان يطلبُ الطبَّ مِن كلٍّ من سُمع له بِطِب، حتى قدم عليه رجلان من أهل اليمن، فقال: هل عندكما من طبٍّ لهذا الرجل الصالح؛ فقالا: أمَّا شيء يُذهِبُه، فلا نَقدِرُ عليه، ولكنا سنداويه دواء يُوقِفُه، فلا يزيد. فقال عمر: عافيةٌ عظيمة. فقالا: هل تُنبتُ أرضُك الحنظل؟ قال: نعم. قالا: فاجمَعْ لنا منه، فأمر، فجُمع له ملء مِكتَلَيْنِ عظيمين.

فشقَّا كلَّ واحدة نصفين، ثم اضجعا مُعَيقيباً، وأَخَذَ كُلُّ واحد منهما برِجلٍ، ثم جَعلا يدلكان بطون قدميه بالحنظلة، حتى إذا محقت، أخذا أُخرى، حتى إذا رأيا مُعَيقيباً يتنخَّمهُ أخضرَ مرَّاً أرسلاه. ثم قالا لعمر: لا يزيد وجعه بعد هذا أبداً. قال: فوالله ما زال مُعَيقب مُتماسكاً، لا يزيد وجعه حتى مات.

عاش مُعَيقيب إلى خلافة عُثمان.

والفِرارُ من المجذوم، وتركُ مؤاكلته جائز، لكن لِيكُنْ ذلك بحيثُ لا يكادُ يشعرُ المجذوم، فإنَّ ذلك يُحزِنُه. ومن واكله ـ ثقة بالله ـ وتوكلاً عليه ـ فهو مؤمن.

١٠٠ أُسامة بن زيد (ع)(١)

[١] **حِبُّ رسول الله ﷺ، ومولاه، وابنُ مولاه، أبو زيد.**

استعمله النبيُّ ﷺ على جيشٍ لغزو الشام، وفي الجيش عُمَرُ والكبار، فلم يَسِرْ حتى تُوفِّيَ رسولُ الله ﷺ، فبادَرَ الصِّديق ببعثهم، فأغاروا على أُبنى، من ناحية البلقاء.

وقيل: إنه شهد يوم مُؤتة مع والده. وقد سكن المِزةَ مدة، ثم رجع إلى المدينة، فماتَ بها.

[٢] ثبت عن أُسامة قال: كان النبيُّ ﷺ يأخُذُني والحسن، فيقول: «اللهُمَّ، إنِّي أُحِبُّهما، فَأَحِبَّهُما».

قلت: هو كان أكبرَ من الحسن بأزيدَ من عشر سنين.

---

(١) انظر السير: ٢/٤٩٦-٥٠٧.

[١] وكان شديد السواد، خفيفَ الروح، شاطراً، شجاعاً، ربَّاه النبيُّ ﷺ، وأحبه كثيراً.

وهو ابنُ حاضنةِ النبيِّ ﷺ: أم أيمن، وكان أبوه أبيضَ. وقد فَرح له رسولُ الله بقول مُجزِّز المدلجيّ. إنَّ هذه الأقدام بعضُها من بعض(١).

عن الشعبي: أن عائشة قالت: ما ينبغي لأحد أن يُبغض أُسامة، بعدما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «من كان يُحبُّ الله ورسولَه، فليُحِبَّ أُسامة».

[٢] قال زيدُ بنُ أسلم، عن أبيه، قال: فرض عُمر لأُسامةَ ثلاثةَ آلاف وخمس مئة، وفرضَ لابنه عبدِ الله ثلاثةَ آلاف. فقال: لم فَضَّلتَه عليَّ، فوالله ما سَبقني إلى مشهد؟ قال: لأنَّ أَباه كان أَحَبَّ إلى رسول الله من أبيك، وهو أحبُّ إلى رسول الله ﷺ منك، فآثرتُ حُبَّ رسول الله على حُبِّي. حسنه الترمذي.

[٣] قال ابنُ عمر: أَمَّر رسولُ الله ﷺ أُسامة، فطعنُوا في إمارته، فقال: «إنْ يَطعَنُوا في إمارته، فقد طعنوا في إمارَة أبيه، وايمُ الله إنْ كانَ لَخَليقاً للإمارة، وإنْ كان لَمِنْ أَحَبِّ الناسِ إليَّ، وإنَّ ابنَهُ هذا لَمِنْ أَحَبِّ الناس إليَّ بَعدَه».

قلتُ: لما أمَّره النبيُّ ﷺ على ذلك الجيش، كان عُمره ثماني عشرة سنة.

[٤] عن هشام بن عروة، عن أبيه: أن النبيَّ ﷺ أَخَّر الإفاضةَ مِنْ عرفة من أجل أُسامة ينتَظِرُه، فجاء غلامٌ أسودُ أفطسُ. فقال أهلُ اليمن: إنما جلسنا لهذا! فلذلك ارتدُّوا. يعني أيامَ الردَّة.

[٥] قال وكيع: سلم من الفتنة من المعروفين: سعدٌ، وابنُ عمر، وأُسامةُ بن زيد، ومحمدُ بنُ مَسلمة.

قلت: انتفع أُسامةُ من يوم النبيِّ ﷺ، إذْ يقولُ له: «كيفَ(٢) بلا إلـه إلا الله يا

(١) قال أبو داود: نقل أحمد بن صالح عن أهل النسب أنهم كانوا في الجاهلية يقدحون في نسب أسامة، لأنه كان أسود شديد السواد، وكان أبوه زيد أبيض من القطن، فلما قال القائف ما قال مع اختلاف اللون، سرّ النبي ﷺ بذلك لكونه كافاً لهم عن الطعن فيه لاعتقادهم ذلك.

(٢) أخرجه مسلم (٩٧) في الإيمان: باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، وفيه أن اسامة بن زيد قتل رجلاً من المشركين بعد أن قال: لا إله إلا الله، فقال له رسول الله ﷺ: «لم قتلته»: قال يا رسول الله، أوجع في المسلمين، وقتل فلاناً وفلاناً، وسمى له نفراً، وإني حملت عليه، فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله، قال رسول الله ﷺ: «أقتلته»؟ قال: نعم، قال: «فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة»؟ قال: يا رسول الله، استغفر لي.

أسامة» فكفَّ يدَه، ولزم منزله، فأحسن.

[١]عائشة، قالت: أراد النبيُّ ﷺ أنْ يمسحَ مُخَاط أُسامة، فقلتُ: دَعني حتى أكونَ أنا التي أفعلُ، فقال: «يا عائشةُ، أَحِبِّيه، فإِنِّي أُحِبُّه».

قلت: كان سنه في سنها.

[٢] ومن غير وجه، عن عمر: أنه لم يلقَ أُسامة قطُّ إلا قال: السلامُ عليك أيُّها الأمير ورحمةُ الله! توفي رسولُ الله ﷺ وأنت عليَّ أمير.

[٣] عن أبي بكر بن عبدالله بن أبي جهم، قال: دخلتُ على فاطمةَ بنتِ قيس، وقد طلَّقها زوجُها.. الحديث. فلما حَلَّتْ، قال رسولُ الله ﷺ: «هَلْ ذَكَرَكِ أُحَدٌ»؟ قالتْ: نعم، معاوية وأبو الجَهْم. فقال: «أَمَّا أبو الجهم فَشَدِيدُ الخُلق، وأَمَّا مُعاويةُ فَصُعْلُوك، لا مالَ له. ولكن أَنكِحُكِ أُسامة»؟ فقلتُ: أُسامة! تهاوناً بأُسامة ـ ثم قلتُ سمعاً وطاعةً لله ولرسوله.

فزوجنيه، فكرَّمني الله بأبي زيد، وشرَّفني اللهُ، ورفعني به[1].

[٤] عن محمد بن أسامة، عن أبيه، قال: لما ثقل رسولُ الله ﷺ هبطتُ، وهبط الناسُ المدينة، فَدَخلتُ عليه، وقد أُصْمَتَ فلا يتكَلَّم، فجعلَ يضعُ يديه عليَّ، ثم يرفعُهما، فأعرفُ أنه يدعو لي.

[٥]عن الزُّهري، قال: لقي عليٌّ أُسامةَ بنَ زيد، فقال: ما كنا نعدُّك إلا من أنفسنا يا أُسامةُ، فلم لا تدخلُ معنا؟ قال: يا أبا حسن، إنَّكَ والله لو أَخَذْتَ بمشفر الأسد، لأخذتُ بمشفره الآخر معك، حتى نهلكَ جميعاً، أو نحيا جميعاً، فأما هذا الأمر الذي أنتَ فيه، فوالله لا أدخلُ فيه أبداً.

مات أُسامة بالجرف[2].

وعن المَقْبُري، قال: شهدتُ جنازةَ أُسامة، فقال ابنُ عمر: عَجِّلُوا بِحِبِّ رسولِ الله قبل أن تطلع الشَّمس.

مات في آخر خلافة معاوية.

---

(١) أبو زيد: كنية أسامة.

(٢) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام.

١٠١ عِمران بن حُصَين (ع) (١)

[١] ابن عبيد، **القدوةُ الإمامُ، صاحبُ رسول الله ﷺ، أبو نُجيد الخزاعي.**

وولي قضاء البصرة، وكان عمر بَعثه إلى أهل البصرة ليفقههم، فكان الحسنُ يحلف: ما قَدم عليهم البصرةَ خيرٌ لهم من عِمران بن الحُصين.

[٢] وقال مُطَرِّف بنُ عبدالله: قال لي عِمرانُ بنُ حُصَين: أحدِّثُك حديثاً عسى الله أن ينفعك به: إنَّ رسولَ الله ﷺ جمع بين الحج والعمرة، ولم ينه عنه حتى مات، ولم ينزل فيه قرآنٌ يُحَرِّمُه، وأنه كان يُسلِّم عَلَيَّ ــ يعني الملائكة ــ قال: فلما اكتويتُ، أمسكَ ذلك، فلما تركتهُ، عادَ إليَّ.

[٣] وقد غزا عمرانُ مع النبيِّ ﷺ غير مرة. وكان ينزلُ ببلاد قومه، ويتردَّدُ إلى المدينة.

[٤] عن عِمران بن حُصَين، قال: **ما مسستُ ذَكَرِي بيميني منذ بايعتُ رسولَ الله ﷺ.**

[٥] قلت: وكان ممن اعتزل الفتنة، ولم يحارب مع علي.

توفي عِمرانُ سنة اثنتين وخمسين. رضيَ الله عنه.

١٠٢ حسَّان بن ثابت (ع)(٢)

[٦] ابن المنذر. **شاعرُ رسول الله ﷺ وصاحبُه.**

قال ابنُ سعد: عاش ستين سنة في الجاهلية. وستين في الإسلام.

[٧] عن ابن المسيِّب، قال: كان حسان في حلقة فيهم أبو هريرة، فقال: أَنشدُكَ الله يا أبا هريرة، هل سمعتَ رسول الله ﷺ يقول: «**أَجِبْ عني، أَيَّدَكَ الله بروح القُدس**»؟ فقال: اللهُمَّ نعم.

[٨] عن البراء: أن رسول الله قال لحسان «**اهجُهُم وهاجِهِم وجبريلُ معك**».

(١) انظر السير: ٢/٥٠٨-٥١٢.

(٢) انظر السير: ٢/٥١٢-٥٢٣.

[١] وقال سعيدُ بنُ المسيَّب: مرَّ عُمَرُ بحسان، وهو يُنشِدُ الشعرَ في المسجد، **فلحظَهُ. فقال حسانُ: قد كنتُ أُنشِدُ فيه، وفيه خَيْرٌ مِنْك. قال: صَدَقْتَ.**

[٢]عن أبي سلمة، أن حسان قال: والذي بعثكَ بالحقِّ لأفرينَّهم بلساني هذا. ثم أطلع لسانه، كأنه لسانُ حيَّة.

فقال رسول الله ﷺ: إنّ لي فيهم نَسَباً، فائْتِ أبا بكرٍ، فإنَّه أعلمُ قريش بأنسابها، فيخلِّصُ لَكَ نَسَبي»، قال: والذي بعثك بالحقِّ لأَسُلَّنَّكَ منهم ونَسَبَكَ سَلَّ الشعرة من العجين. فهجاهم. فقال له رسولُ الله ﷺ «لقد شَفَيْتَ واشْتَفَيْتَ».

[٣] محمد بن السائب بن بركة، عن أمه. أنها طافت مع عائشة، ومعها نسوةٌ فوقعنَ في حسَّان. فقالت: لا تسبُّوه، قد أصابه ما قاله الله: ﴿أُولئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم﴾ وقد عمي، والله إني لأرجو أن يُدخِلَهُ اللهُ الجنةَ بكلماتٍ قالهنَّ لأبي سُفيان بن الحارث:

هَجَوْتَ مُحَمَّداً فَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِندَ اللهِ فِي ذَاكَ الجَزَاءُ
فإِنَّ أبي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُم وقَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفءٍ ... فَشَرُّكُما لِخَيْرِكُما الفِدَاءُ

توفي حسانُ سنةَ أربعٍ وخمسين.

١٠٣ كعب بن مالك (ع)[١]

[٤] ابن أبي كعب، الأنصاريُّ، الخزرجيُّ، العَقَبيُّ الأُحدي.

شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه، وأحدُ الثلاثة الذين خُلِّفُوا، فتاب الله عليهم.

قال ابنُ أبي حاتم: كان كعبٌ من أهل الصُفَّة. وذهبَ بصرهُ في خلافة معاوية.

[٥] قال عبدُ الرحمن بن كعب، عن أبيه: أنه قال: يا رسولَ الله، قد أنزل الله في الشعراء ما أنزل. قال: «إنَّ المُجاهِدَ، مُجاهدٌ بسيفِهِ ولسانه. والذي نفسي بيده لكأنما ترمُونَهم به نُضح النَّبل».

(١) انظر السير: ٢/٥٢٣ـ ٥٣٠.

[١] قال ابنُ سيرين، أما كعبٌ، فكان يذكر الحربَ، يَقولُ: فَعلْنا ونَفعلُ، ويتهـدَّدُهم. وأما حسانُ، فكان يذكرُ عُيوبهم وأيامهم. وأما ابنُ رواحة، فكان يُعَيِّرهم بالكفر.

[٢]وقد أسلمتْ دَوس فَرَقاً من بيت قاله كعبٌ.

نُخَيِّرُها وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَواطِعُهُن دَوْساً أَوْ ثَقِيفا(١)

مات سنة أربعين.

[٣] عن عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب، عن أبيه: سمعتُ كعباً يقول: لم أتخلَّف عن رسول الله ﷺ في غزوة، حتى كانت تبوك إلا بدراً. وما أُحِبُّ أَنِّي شهدتُها، وفاتتني بيعتي ليلة العقبة(٢)، وقلّما أرادَ رسولُ الله ﷺ غزوة إلا وَرَّى بغيرها. فأرادَ في غزوة تبوك أن يتأهَّبَ الناسُ أُهبةً وكنتُ أيسرَ ما كنتُ، وأنا في ذلك أصغو(٣) إلى الظلال وطَيِّب الثمار، فلم أزل كذلك، حتى خرج. فقلتُ: أنطلقُ غداً، فأشتري جَهَازي، ثم أَلحقُ بهم. فانطلقتُ إلى السوقِ، فعَسُرَ عليَّ، فرجعتُ، فقلتُ: أرجعُ غداً. فلم أزلْ حتى التبسَ بي الذنبُ، وتخلَّيتُ، فجعلتُ أمشي في أسواق المدينة، فيحزنُني أني لا أرى إلا مَغمُوصاً(٤) عليه في النفاق أو ضعيفاً. وكان جميعُ من تخلَّف عن رسول الله بضعةً وثمانين رجلاً.

[٤] ولما بلغ النبيُّ ﷺ تبوكَ، ذكرني، وقال: «ما فعلَ كعبٌ»؟ فقال رجلٌ من قومي: خلَّفه يا نبي الله بُرداه، والنظرُ في عِطفيه، فقال معاذ: بئس ما قلتَ: والله ما نعلم إلَّا خيراً.

---

(١) قوله (نخيرها) الضمير يعود إلى السيوف في البيت الذي قبله وهو:

قضينا من تهامة كُلّ ريبٍ وخيبر ثم أجمعنا السُّيوفا

أي: نعطيها الخيرة، ولو نطقت، لاختارت أن نحارب دوساً أو ثقيفاً. وهما من قصيدة أوردها ابن هشام في (السيرة) ٢/ ٤٧٩، ٤٨٠ قالها كعب حين فرغ النبي ﷺ، وأجمع المسير إلى الطائف.

(٢) في البخاري ومسلم: ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ بيعة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها.

(٣) أصغو: أميل.

(٤) أي مطعوناً عليه في دينه، متهماً بالنفاق. وقيل: معناه: مستحقراً، تقول: غمصت فلاناً: إذا استحقرته.

إلى أن قال: فلما رآني ﷺ، تبسَّم تبسُّم المغضب، وقال: «ألم تكن ابتعت ظهـرك»؟ قلتُ: بلى. قال: «فمـا خلَّفَكَ»؟ قلتُ: والله لو بينَ يدَي أحد غيرك جلستُ، لخرجْتُ من سخطه عليَّ بُعذرٍ،لَقد أُوتيتُ جدلاً، ولكنْ قد علمتُ يا نبيَّ الله أني أُخبرُكَ اليوم بقولٍ تَجِدُ عليَّ فيه، وهو حقّ، فإني أرجو فيه عُقبى الله.

إلى أن قال: والله ما كنتُ قط أيسرَ ولا أخفَّ حاذاً(١) مني حين تخلَّفتُ عنك؟ فقال: «أمَّا هذا فقد صَدَقَكُم، قم حتى يقضيَ الله فيك» فقمتُ.

إلى أن قال: ونهى رسولُ الله ﷺ الناسَ عَن كلامنا أيُّها الثلاثةُ(٢).

فجعلتُ أخرجُ إلى السوق، فلا يُكلِّمني أحد، وتنكر لنا الناسُ، حتى ما هُم بالـذين نعـرفُ، وتنكـرتْ لنا الحيطانُ والأرضُ. وكنتُ أطوف، وآتي المسجدَ، فأدخلُ، وآتي النبيَّ ﷺ فأسلم عليه، فأقول: هل حَرَّكَ شفتيه بالسلام!

[١] واستكان صاحباي(٣)، فجعلا يَبكيان الليلَ والنهارَ لا يُطلعان رؤوسَهما! فبينا أنا أطوفُ في السوق إذا بنصرانيٍّ جاء بطعام، يقولُ: مَنْ يدُلُّ على كعب؟ فدلّوه عليَّ! فأتاني بصحيفة من مَلِكِ غَسَّان. فإذا فيها: أمَّا بعدُ. فإنه بلغني أنَّ صاحبَك قد جفاك وأقصاك. ولستَ بدار مَضيعة ولا هوان، فالحقْ بنا نُواسِك. فسجرتُ لها التَّنُّور، وأحرقتُها.

إلى أن قال: إذ سمعتُ نداءً من ذروة سَلعٍ(٤): أَبْشِـرْ يا كعب بن مالـك. فخررتُ ساجداً، ثم جاء رجلٌ على فرس يُبشرني، فكان الصوتُ أسرعَ من فرسه، فأعطيتُه ثوبيَّ بشارة، ولبستُ غيرهما.

ونزلت توبتُنا على النبيِّ ﷺ ثلث الليل. فقالت أم سلمة: يا نبيَّ الله، ألا نُبَشرُ كعباً؟ قال: «إذا يحطمكم النَّاس، ويمنعونكم النوم» قال فانطلقت إلى النبي ﷺ فإذا هو جالسٌ في المسجد، وحوله المسلمون، وهو يستنير كاستنارة القمر، فقال:

---

(١) الحاذ: الحال.

(٢) أيها الثلاثة: مبني على الضم في محل نصب على الاختصاص، أي: متخصصين بذلك دون بقية الناس.

(٣) وهما مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي.

(٤) سلع: جبل بالمدينة.

أبشر يا كعبُ بخيرِ يومٍ أتى عليك. ثم تلا عليهم: ﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلى النبيِّ﴾ [التوبة ١١٧] الآيات.

وفينا نزلت أيضاً: ﴿اتَّقُوا اللهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة ١١٩].

فقلتُ يا نبيَّ الله، إنَّ من توبتي ألَّا أُحدِّثَ إلّا صدقاً، وأن أنخلع من مالي كله صدقةً. فقال «أَمْسكْ عليك بعضَ مالك. فهو خَيْرٌ لك. .» الحديث.

[١] وفي لفظ: فقام إليَّ طلحة يُهرول، حتى صافحني وهنَّأني. فكان لا ينساها لطلحة.

١٠٤ جرير بن عبدالله (ع)(١)

[٢] **ابن جابر، الأمير النبيل الجميل، أبو عمر، البَجَلي القسري، وقسر: من قحطان.**

من أعيان الصحابة.

وبايع النبي ﷺ على النصح لكل مسلم.

[٣] عن المُغيرة بن شبـل، قال: قال: جرير: لمـا دنـوتُ من المـدينـة، أنختُ راحلتي، وحللتُ عيبتي، ولبستُ حُلَّتي، ثم دخلتُ المسجد، فإذا برسولِ الله ﷺ يخطبُ، فرماني الناسُ بالحدق. فقلتُ لجليسي: يا عبدَ الله، هل ذكرَ رسولُ الله من أمري شيئاً؟ قال: نعم، ذكركَ بأحسنِ الذِّكر، بينما هو يخطبُ إذ عرضَ له في خُطبته، فقال: «إنَّه سيدخُلُ عليكم من هذا الفَجِّ من خير ذي يَمَن، ألَا وإنَّ على وجهه مسحةَ مَلَك». قال: حمدتُ الله.

قلتُ: كان بديعَ الحُسن، كاملَ الجمالَ.

عن عديِّ بنِ حاتم، قال: لما دخل ـ يعني جريراً ـ على النبيِّ ﷺ، ألقىٰ له وسادةً، فجلسَ على الأرض. فقال النبيُّ ﷺ: «أشهد أنك لا تبغي عُلَوّاً في الأرض ولا فساداً» فأسلم ثم قال النبيُّ ﷺ: «إذا أتاكُم كريمُ قومٍ فأكرمُوه».

(١) انظر السير: ٢/ ٥٣٠ـ ٥٣٧.

[١] وروى إبراهيم النَّخعي عن هَمَّام: أنه رأى جريراً بال، ثم توضَّأ، ومَسَحَ على خُفَّيه. فسألتُه. فقال: رأيتُ النبي ﷺ يفعلُه.

ثم قال إبراهيم: فكان يُعْجِبُهم هذا، لأَنَّ جريراً مِنْ آخر مَنْ أسلم.

[٢] عن جرير: أنَّ النبيَّ ﷺ قال له: «أَلَا تُريحُني مِنْ ذي الخَلَصة - بيت خثعم وكان يُسمَّى: الكعبة اليمانية.

[٣] قال: فخرَّبناه، أو حرَّقناه حتى تَركناهُ كالجمل الأجرب. وبعثَ إلى النبي ﷺ يُبَشِّرُه. فَبَرَّكَ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات.

قال: وقلتُ: يارسولَ الله، إني رجلٌ لا أثبتُ على الخيل. فوضعَ يَدَهُ على وجهي - وفي لفظ يحيى القطان: فوضع يده على صدري - وقال: «اللهُمَّ اجعلْهُ هَادِياً مَهْدِيّاً».

وفيه: فانطلقتُ في خمسين ومئة فارس من أَحْمَس.

[٤] عن جرير، قال: رآنيَ عُمرُ بنُ الخطاب مُتجرداً، فناداني، خُذ رداءَك. فأخذتُ ردائي. ثم أقبلتُ إلى القوم، فقلتُ: ماله؟ قالوا: لما رآه مُتَجرِّداً، قال: ما أرى أحداً من الناس صُوِّرَ صورةَ هذا، إلا ما ذُكر من يُوسفَ عليه السلام.

عن عبد الملك بن عُمَير: حدثني إبراهيم بن جَرير: أن عُمر قال: جرير يوسف هذه الأمة.

[٥] عن الشعبي: كان على مَيمنة سعد بن أبي وقاص يوم القادسية جَريرُ بنُ عبدالله.

توفي جرير سنة إحدى وخمسين.

١٠٥ دِحْيَةُ الكَلْبِيّ (د)(١)

[٦] ابن خليفة بن فَروة، الكلبي القضاعي. صاحبُ رسولِ الله ﷺ، ورسوله بكتابه إلى عظيم بُصرى ليوصله إلى هرقل.

(١) انظر السير: ٢/ ٥٥٠-٥٥٦.

[١] قال ابنُ سعد: أسلم دحية قبل بدر ولم يشهدها. وكان يُشبَّه بجبريل. بقي إلى زمن معاوية.

[٢] قال أبو محمد بن قتيبة في حديث ابن عباس: كان دِحيةُ إذا قدم، لم تبق مُعْصِرٌ إلا خرجتْ تنظُر إليه.

المعصر: التي دنا حيضها، كما قيل للغلام: مراهق، أي راهق الاحتلام.

[٣] ولا ريب أن دحية كان أجملَ الصحابة الموجودين بالمدينة، وهو معروف، فلذا كان جبريلُ ربَّما نزلَ في صورته.

فأما جرير، فإنما وَفد إلى المدينة قبل موت النبيِّ ﷺ بقليل.

ومن الموصوفين بالحسن: الفضلُ بنُ عبَّاس، وقدم المدينةَ بعدَ الفتح.

وقد كانَ رسولُ الله ﷺ أحسنَ الناس، وأجمل قريش، وكان ريحانتُه الحسن بن عليٍّ يُشبهه.

[٤] عن منصور الكلبي: أن دحية خرج من المِزَّة إلى قَدْر قرية ـ عقبة من الفسطاط، وذلك ثلاثة أميال في رمضان، ثم أفطر، وأفطر معه أناسٌ، وكَرِهَ الفطرَ آخرون، فلما رجع إلى قريته، قال: والله لقد رأيت اليومَ أمراً ما كنتُ أظُنُّ أني أراه: إنَّ قوماً رَغبوا عن هدى رسول الله ﷺ وأصحابِه ـ يقولُ ذلك للذينَ صَامُوا ـ ثم قالَ عند ذلك: اللهُمَّ اقبضني إليك.

[٥] وصح أن صفيَّة وقعتْ يومَ خيبر في سهم دِحية، فأخذها النبيُّ ﷺ منه، وعوَّضه بسبعة أرؤس.

قال خليفةُ بنُ خياط: في سنة خمس بعث النبيُّ ﷺ دِحيةَ إلى قيصر.

قلت: كذا قال. وإنما كان ذلك بعد الحُديبية في زمن الصلح، كما ذكره أبو سفيان في الحديث المطول الذي في (الصحيح).

١٠٦ صفوان بنُ أُميَّة (م، ٤)[١]

[٦] **ابن خَلف، القرشي الجمحي المكّيّ.**

(١) انظر السير: ٢/٥٦٢ـ٥٦٧.

أسلم بعد الفتح، وروى أحاديث، وحَسُنَ إسلامُه، وشهد اليرموك أميراً على كُردوس.

وكان من كبراء قريش. قُتل أبوه مع أبي جهل.

[١] وخَرّج الترمذيُّ من حديث ابن عُمر، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ يوم أُحد: «اللهُمَّ العنْ أبا سفيان! اللهُمَّ العن الحارثَ بنَ هشام! اللهُمَّ العن صفوانَ بنَ أُمية».

فنزلت: ﴿لِيْسَ لكَ مِن الأَمْر شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيهم﴾ [آل عمران ١٢٨] - فتابَ عليهم، فأسلموا، فَحَسُنَ إسلامهم.

قلت: أحسنهم إسلاماً الحارث.

[٢] وفي «مغازي ابن عقبة»: فرَّ صفوانُ عامداً للبحر، وأقبل عُمَير بنُ وهب بن خلف، إلى رسولِ الله، فسأله أماناً لصفوان، وقال: قد هربَ، وأخشى أن يَهلِكَ، وأنكَ قد أَمَّنتَ الأحمر والأسود. قال: «أَدْرِك ابنَ عَمِّك فَهُو آمن».

[٣] عن صفوان: قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ، فأعطاني، فما زال يُعطيني، حتى إنه لأَحَبُّ الخلق إليَّ.

توفي سنة إحدى وأربعين.

١٠٧ أبو ثعلبة الخُشَني (ع)[١]

[٤] صاحبُ النبيِّ ﷺ.

اختلف في اسمه. ولا يكاد يُعرف إلا بكنيته.

[٥] عن أبي ثعلبة، قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ، فقلتُ: يا رسولَ الله، اكتبُ لي بأرضِ كذا وكذا بالشام - لم يظهر عليها النبيُّ ﷺ حينئذ - فقال: «ألا تسمَعُونَ ما يقولُ هذا»؟ فقال أبو ثعلبة: والذي نفسي بيده، لتظهرَنَّ عليها. فكتبَ له بها.

[٦] عن إسماعيل بن عُبيد الله، قال: بينا أبو ثعلبة الخُشَني، وكعب جالسين، إذ قال أبو ثعلبة: يا أبا إسحاق، ما مِنْ عبد تفرَّغَ لعبادةِ الله إلا كفاه اللهُ مؤونة الدنيا.

قال كعب: فإنَّ في كتاب الله المُنزلِ: مَنْ جعلَ الهُمُوم هَمَّاً واحداً، فجعله في

---

(١) انظر السير: ٢/٥٦٧- ٥٧١.

طاعة الله، كفاه الله ما همَّه، وضمن السماواتِ والأرض، فكان رزقُه على الله وعملُه لنفسه. ومن فَرَّقَ همومه، فجعل في كل واد هَمًّا، لم يُبالِ الله في أيِّها هلك.

قلتُ: مِن التَفَرُّغ للعبادة السعيُ في السببِ، ولا سيما لمن له عِيال، قال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ أَفْضَلَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِ يَمِينِه».

أما من يعجِزُ عن السبب لضعف، أو لِقلةِ حيلة، فقد جعل الله له حظًّا في الزكاة.

[١]خالد بن محمدالكندي ـ وهو والد أحمد بن خالد الوهبي: سمع أبا الزاهرية: سمعتُ أبا ثعلبة يقول: إني لأرجو ألاَّ يخنقني الله كما أراكم تُخنقون.

فبينا هو يُصلِّي في جوف الليل، قُبِضَ، وهو ساجد. فرأتْ بنتُه أَنَّ أباها قد ماتَ، فاستيقظت فَزِعةً، فنادتْ أُمَّها: أين أبي؟ قالت: في مصلاه. فنادتْه، فلم يُجبها، فأنبهتْه، فوجدَتْه ميتاً.

توفي سنة خمس وسبعين.

١٠٨ وائل بن حُجْر بن سعد (م، ٤)(١)

أبو هنيدة الحضرمي، أحد الأشراف. كان سيدَ قومه. **له وفادةٌ وصُحبةٌ ورِواية.**

ونزل العراق. فلما دخل معاويةُ الكوفةَ. أتاه، وبايع.

[٢]عن علقمة بن وائل، عن أبيه: أنه وَفَد على رسولِ الله ﷺ، فأقطعه أرضاً، وأرسل معه مُعاويةَ بنَ أبي سفيان ليعرِّفه بها.

قال: فقال لي معاويةُ: أردفني خلفك. قلتُ: إنك لا تكونُ من أرداف الملوك.

قال: أعطني نعلَكَ. فقلتُ: انتعل ظِلَّ الناقة.

قال: فلما استُخلفَ، أتيتُه، فأقعدني معه على السرير، فذكَّرني الحديث.

فقلتُ في نفسي: ليتني كنتُ حملتُه بين يديَّ.

---

(١) انظر السير: ٢/٥٧٢ـ ٥٧٤.

١٠٩ أبو هُرَيرة (ع)(١)

[١]الإمامُ الفقيهُ المجتهد الحافظ، صاحبُ رسولِ الله ﷺ، أبو هُريرة الدَّوسيُّ اليمانيُّ. سيِّدُ الحُفَّاظ الأثبات.

اختلف في اسمه على أقوال جمّة، أرجحها: عبدالرحمن بن صخر.

والمشهور عنه أنه كُنيٍّ بأولاد هرة بريَّة. قال: وجدتُها، فأخذتُها في كُمِّي، فكُنيتُ بذلك.

[٢]حمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه ـ لم يُلحق في كثرته ـ.

قال البخاريُّ: روى عنه، ثمان مئة أو أكثر.

وقال غيره: كان مَقْدمه وإسلامه في أول سنة سبع، عامَ خيبر.

[٣]عن أبي هريرة: قال لي النبيُّ ﷺ: «مِمَّنْ أَنْتَ»؟ قلتُ: مِنْ دَوْس. قال «ما كنتُ أَرَىٰ أَنَّ في دوس أحداً فيه خَير».

[٤]عن أبي هريرة، قال: خَرجَ النبيُّ ﷺ إلى خيبر، وقدمتُ المدينةَ مهاجراً، فصليتُ الصبح خلف سِبَاع بن عُرْفُطة ـ كان استخلفه ـ فقرأ في السَّجدةِ الأُولى بسورة مريم وفي الآخرة: ﴿ويلٌ للمُطَفِّفين﴾.

فقلتُ: ويل لأبي! قلَّ رجلٌ كان بأرض الأزد، إلا وكان له مكيالان: مكيال لنفسه، وآخر يَبْخَس به الناس.

صحبَ أربعَ سنين.

[٥]عن محمد،قال: كنّاعند أبي هُريرة، فتمخَّط، فمسح بردائه، وقال: الحمدُ لله الذي تمخَّط أبو هريرة في الكتان! لقد رأيتني، وإني لأخِرُّ فيما بين منزل عائشة والمنبر مغشياً عليَّ من الجوع، فيمرُّ الرجلُ، فيجلسُ على صدري، فأرفعُ رأسي فأقول: ليس الذي ترى، إنما هو الجوع.

قلت: كان يظنُّه من يراه مصروعاً، فيجلسُ فوقه ليرقيه، أو نحو ذلك.

[٦]عن أبي هريرة، قال: والله، إنْ كنتُ لأعتمدُ على الأرض من الجوع، وإنْ كنتُ

---

(١) انظر السير: ٢/٥٧٨ـ ٦٣٢.

لأَشُدُّ الحَجَرَ على بَطني من الجوع، ولقد قعدتُ على طريقهم، فَمرَّ بي أبو بكر، فسألتُه عن آية في كتاب الله ـ ما أسأله إلا ليستتبعني ـ فَمَرَّ، ولم يفعل، فمرَّ عُمر، فكذلك، حتى مرَّ بي رسولُ الله ﷺ، فعرف ما في وجهي من الجوع، فقال: «أبو هُريرة»؟ قلتُ: لبيكَ يا رسولَ الله. فدخلتُ معه البيتَ، فوجد لبناً في قَدَح، فقال: «مِنْ أينَ لَكُم هذا»: قيل أرسل به إليك فُلان.

فقال: «يا أبا هُريرة، انطلقْ إلى أهلِ الصُّفَّة[1]، فادُعهم ـ وكان أهلُ الصُّفَّة أضيَافَ الإسلام، لا أهلَ ولا مالَ إذا أَتَتْ رسولَ الله ﷺ صدقةٌ، أرسل بها إليهم، ولم يُصِبْ منهـا شيئاً، وإذا جاءته هديةٌ، أصابَ منها، وأشركهم فيها ـ فساءني إرسالُه إيّاي، فقلتُ: كنتُ أرجو أن أصِيبَ من هذا اللبن شربةً أتقوّى بها، وما هذا اللبنُ في أهل الصفة.

ولم يكن من طاعةِ الله وطاعة رسوله بُدٌّ، فأتيتُهم، فأقبلوا مُجيبين، فلما جلسوا، قال: «خُذْ يا أبا هُريرة، فأَعْطِهم». فجعلتُ أُعطي الرَّجُلَ، فيشربُ حتى يروى، حتي أتيتُ على جميعهم، وناولتُه رسول الله ﷺ، فرفع رأسَه إليَّ مُتَبسِّماً، وقال: «بقيتُ أنا وأنتَ». قلتُ: صدقتَ يا رسول الله. قال: «فاشربْ». فشربتُ. فقال: «اشربْ»، فشربتُ. فما زال يقوله: اشرب، فأشرب، حتى قلت: والذي بَعثك بالحق، ما أَجِدُ له مَساغاً، فأخذ، فَشَرِبَ من الفَضْلَة.

[١] يزيد بن عبدالرحمن،حدثني أبوهريرة، قال: والله، ما خلق الله مؤمناً يسمع بي إلَّا أحبني . قلتُ: وما عِلْمُكَ بذلك؟ قال: إنَّ أُمي كانت مُشركة، وكنتُ أدعوها إلى الإسلام، وكانت تأبى عليَّ، فدعوتُها يوماً، فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكرَهُ. فأتيتُ رسول الله، وأنا أبكي، فأخبرتُه، وسألتُه أن يدعُوَ لها. فقال: «اللهُمَّ اهْدِ أُمَّ أبي هريرة». فخرجتُ أعدو أُبشِّرها، فأتيتُ، فإذا البابُ مُجَافٌ، وسمعتُ خضخضةَ الماء، وسمعتْ حِسِّي، فقالت: أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله.

(١) الصفة: كانت في مسجد النبي ﷺ في المدينة يكون فيها فقراء المهاجرين، ومن لا منزل له منهم، وأهلها منسوبون إليها.

قال: فرجعتُ إلى رسول الله أبكي من الفرح كما بكيتُ من الحزن، فأخبرتُه، وقلت: ادعُ الله أنْ يحبِّبني وأُمي إلى عبادِه المؤمنين. فقال: «اللهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هذا وأُمَّه إلى عبادِك المؤمنين، وحبِّبهم إليهما» اسناده حسن.

وكان حفظُ أبي هريرة الخارق مِن مُعجزات النُّبوة.

[١] عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «ألا تَسْأَلُني مِنْ هذه الغَنائم التي يَسْأَلُني أصحابُك»؟ قلتُ: أسألكَ أنْ تُعَلِّمَني مما عَلَّمَك الله فنزع نَمِرةً كانت على ظهري، فَبَسَطَها بيني وبينه، حتى كأني أنظر إلى النمل يدبُّ عليها، فحدَّثني، حتى إذا استوعبتُ حديثه، قال: «اجمَعْها فصرُّها إليك» فأصبحتُ لا أُسقِطُ حرفاً مما حدَّثني.

عن أبي هريرة، قال: تَزعمون أنّي أُكثِرُ الروايةَ عن رسول الله ﷺ: واللهُ الموعِدُ - إني كنتُ امرأً مسكيناً، أصْحَبُ رسولَ الله ﷺ على ملءِ بطني، وإنَّه حدَّثنا يوماً، وقال: «مَنْ يبسط ثَوْبَه حتى أقْضِيَ مَقَالَتي، ثم قَبَضَه إليه، لم يَنْسَ شيئاً سَمِعَ مني أبداً». ففعلتُ. فوالذي بعثه بالحق، ما نسيتُ شيئاً سمعتُه منه.

[٢] عن أبي هريرة، قال: حفظتُ من رسول الله ﷺ وعائين: فأَمَّا أَحَدُهما، فَبَثثته في الناس، وأما الآخرُ، فلو بَثَثْتُه، لَقُطِعَ هذا البلعوم».

عن مكحُول، قال: كان أبو هريرة يقول: رُبَّ كِيسٍ عند أبي هريرة لم يَفتحه. يعني · من العلم.

قلت: هذا دالٌّ على جواز كتمان بعضِ الأحاديث التي تُحرك فتنةً في الأُصول، أو الفروع، أو المدح والذم.

أما حديثٌ يتعلق بحلٍ أو حرام، فلا يحلُ كتمانهُ بوجه، فإنه من البينات والهدى. وفي (صحيح البخاري): قول الإمام عليٍّ رضي الله عنه: حَدِّثُوا الناسَ بما يَعرفون، ودعوا ما يُنكرون، أتُحِبُّون أن يُكذبَ الله ورسوله! وكذا لو بثَّ أبو هريرة ذلك الوعاء، لأُوذي، بل لقُتِلَ، ولكن العالم قد يُؤديه اجتهادُه إلى أن يَنشُرَ الحديث الفلاني إحياءً للسنة، فله ما نوى وله أجر - وإن غلط - في اجتهاده.

[٣] عَمرو بنُ عبيد الأنصاري: حدثني أبو الزعيزعة - كاتبُ مروان - أنَّ مروانَ أرسلَ

إلى أبي هريرة، فجعل يسألُه، وأجلسني خَلْفَ السرير، وأنا أكتبُ، حتى إذا كان رأسُ الحَول، دعا به، فَأَقْعَدَهُ من وراء الحجاب، فجعل يسألُه عن ذلك الكتاب، فما زادَ ولا نَقَص، ولا قدَّم ولا أَخَّر.

قلت: هكذا فليكن الحفظ.

[١]عن وهب بن مُنَبِّه، عن أخيه هَمَّام: سمعتُ أبا هريرة يقولُ: ما أَحدٌ من أصحابِ رسول الله أكثر حديثاً مني عنه إلَّا ما كانَ من عبدالله بنِ عمرو، فإنَّه كان يكتبُ، ولا أكتب(١).

[٢] عن ابن عَجْلان: أن أبا هريرة كان يقول: إني لأَحَدِّثُ أحاديث، لو تكلمتُ بها في زمن عمر لشجَّ رأسي.

قلتُ: هكذا هو كان عمر رضي الله عنه يقول: أَقِلُّوا الحديثَ عن رسول الله ﷺ. وزجر غيرَ واحد من الصَّحابة عن بثِّ الحديث، وهذا مَذهبٌ لعُمر ولغيره.

فبالله عليك، إذا كان الإكثارُ من الحديث في دَولة عُمر، كانوا يُمنَعُون فيه، مع صدقِهم وعدالتهم وعدَم الأسانيد، بل هو غَضٌّ لم يُشَبْ، فما ظَنُّكَ بالإكثار من رواية الغرائب والمناكير في زماننا مع طُول الأسانيدِ، وكثرة الوَهْمِ والغلط، فبالحريِّ أن نزجرَ القَومَ عنه، فيا ليَتهُم يَقتَصِرُون على رواية الغريبِ والضعيف، بل يروون ـ والله ـ الموضوعات والأباطيلَ، والمُستحيلَ في الأصول والفروع والملاحم والزُّهد، نسألُ الله العافية.

---

(١) هذا الحديث يدل على أن أبا هريرة كان يجزم بأنه ليس في الصحابة أكثر حديثا عن النبي ﷺ منه إلا عبدالله، مع أن الموجود المروي عن عبدالله بن عمرو أقل من الموجود المروي عن أبي هريرة بأضعاف مضاعفة. وقد قال العلماء: أن السبب فيه من جهات أحدها: أن عبدالله كان مشتغلاً بالعبادة أكثر من اشتغاله بالتعليم، فقلَّت الرواية عنه.

ثانيها: أنه كان مقامه بعد فتوح الأمصار بمصر أو الطائف، ولم تكن الرحلة إليهما ممن يطلب العلم كالرحلة إلى المدينة، وكان أبو هريرة متصدياً فيها للفتوى والتحديث إلى أن مات، ويظهر هذا من كثرة من حمل عن أبي هريرة، فقد ذكر البخاري أنه روى عنه ثمان مئة نفس من التابعين. ثالثها: ما اختص به أبو هريرة من دعوة النبي ﷺ له بأن لا ينسى ما يحدثه به.

رابعها: أن عبدالله كان قد ظفر في الشام بحمل جمل من كتب أهل الكتاب، فكان ينظر فيها ويحدث منها، فتجنب الأخذ عنه لذلك كثير من أئمة التابعين.

[١] فمن روى ذلك مع علمه ببطلانه، وغَرَّ المؤمنين، فهذا ظالم لنفسه، جانٍ على السُّنَنَ والآثار، يُستَتَابُ من ذلك، فإنْ أنابَ وأَقْصَر، وإلا فهو فاسق، كفى به إثماً أنْ يُحدِّث بكل ما سمع. وإنْ هو لم يعلم، فليَتَورَّعْ، ولِيَسْتَعِنْ بِمَنْ يَعِينُه على تنقية مروياته. نسأل الله العافية، فلقد عَمَّ البلاء، وشملت الغفلةُ، ودخل الداخلُ على المحدثين الذين يَركن إليهم المسلمون، فلا عتبى على الفقهاءِ وأهل الكلام.

[٢] عن أبي أنس مالك بن أبي عامر، قال: جاء رجلٌ إلى طلحة بن عبيد الله، فقال: يا أبا محمد، أرأيتَ هذا اليماني ـ يعني: أبا هريرة ـ أَهُوَ أعلمُ بحديثِ رسول الله ﷺ منكُم؟ نَسمعُ منه أشياءَ لا نسمَعُها منكم، أَمْ هُوَ يقولُ على رسول الله ما لم يَقُلْ؟ قال: أَمَّا أنْ يكونَ سمع ما لم نسمعْ، فلا أَشُكُّ، سأُحَدِّثك عن ذلك: إنا كنا أهلَ بيوتات وغَنَمٍ وعَمَلٍ، كُنَّا نأتي رسولَ الله ﷺ طرفي النهار، وكان مسكيناً، ضَيْفاً على باب رسول الله، يَدُهُ مَعَ يَدِه، فلا نَشُكُّ أنه سَمِعَ ما لَمْ نَسْمَعْ، ولا تَجدُ أحداً فيه خيرٌ يقول على رسول الله ما لَمْ يَقُلْ.

[٣] عن إبراهيم، قال: ما كانوا يأخذون من حديث أبي هريرة إلا ما كان حديثَ جَنَّة أو نار.

قلت: هذا، لا شيءَ، بل احتجَّ المسلمون قديماً وحديثاً بحديثه، لحفظه وجَلاَلَتِه واتقانه وفقهه، وناهيكَ أن مثلَ ابنِ عباس يتأدَّبُ معه، ويقولُ: أَفْتِ يا أبا هريرة.

وأصحُّ الأحاديث ما جاءَ عن الزُّهري، عن سعيد بن المسيِّب، عن أبي هُريرة.

وما جاء عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة.

وما جاء عن ابن عون، وأيوب، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة.

وأين مثلُ أبي هريرة في حفظه وسعة علمه.

[٤] عن عباس الجُرَيري: سمعتُ أبا عُثمان النَّهدي، قال: تضيفتُ أبا هريرة سبعاً، فكان هو وامرأته وخادمه يَعْتَقِبُون الليلَ أثلاثاً: يُصلِّي هذا، ثم يُوقظ هذا، ويُصلِّي هذا، ثم يُوقظ هذا.

[١]عن عكرمة: أن أبا هريرة كان يُسبِّحُ كلَّ يوم اثنى عشر ألف تسبيحة، يقولُ: أُسَبِّحُ بقدر ديتي. عن حُمَيد بن مالك بن خُثَيم، قال: كُنت جالساً عند أبي هريرةَ في أرضِهِ بالعَقِيق، فأتاه قومٌ، فنزلُوا عنده. قال حُميد: فقالَ: اذهب إلى أُمِّي، فقلْ: إن ابنك يُقرئُكِ السلام، ويقولُ: أطعمينا شيئاً. قال: فوضعَتْ ثلاثةَ أقراصٍ في الصحفة، وشيئاً من زيتٍ وملح ووضعتها على رأسي، فحملتُها إليهم.

فلما وضعتُه بين أيديهم، كبَّر أبو هريرة، قال: الحمدُ للهِ الذي أشبعنا من الخبز، بَعْدَ أَنْ لم يكن طعامُنا إلا الأسودين: التمر والماء.

فلم يُصِبِ القومُ من الطعام شيئا، فلما انصرفوا قال: يا ابنَ اخي، أَحْسِنْ إلى غَنَمك، وامسَحْ عنها الرُّعَام، وأطبْ مُراحَها، وصَلِّ في ناحيتها، فإنَّها من دوابِّ الجنة. والذي نفسي بيده، يُوشِكُ أنْ يأتيَ على الناسِ زمانٌ تكون الثُّلَّة من الغَنَم أحبَّ إلى صاحبها من دار مروان[١].

[٢]عن ميمون بن مَيْسَرة، قال: كانت لأبي هريرة صيحتانِ في كل يوم: أولَ النهار وآخره يقولُ: ذهبَ الليلُ، وجاءَ النهارُ، وعُرِضَ آل فرعونَ على النار. فلا يسمعُه أحدٌ إلا استعاذَ بالله من النار.

[٣]عن أبي هريرة: أنه صلَّى بالناس يوماً، فلما سلَّم، رفع صوته، فقال: الحمدُ لله الذي جَعَل الدينَ قِوَاماً، وجعل أبا هريرة إماماً، بعد أن كان أجيراً لابنة غَزوان على شبع بطنه، وحَمُولة رِجْله.

[٤]عن مُضَارب بن حَزْن، قال: بينا أنا أسيرُ تَحتَ الليل، إذا رجلٌ يُكَبِّر، فألحقه بعيري. فقلتُ: من هذا؟ قال أبو هريرة. قلتُ: وما التكبيرُ؟ قال: شُكْرٌ. قلتُ: على مه؟ قال: كنتُ أجير ا لبسرة بنت غَزوان بعُقْبة رجلي[٢]، وطعام بطني، وكانوا إذا ركبوا، سقتُ بهم، وإذا نزلوا خدمتهم، فَزَوَّجنيها الله! فهي امرأتي.

[٥] عن أيوب، عن محمد: أن عمر استعمل أبا هريرةَ على البحرين، فقدمَ بعشرةِ آلاف. فقال له عُمرُ: استأثرتَ بهذه الأموال يا عدوّ الله، وعدوّ كتابه؟

---

(١) الرُّعام: مخاط رقيق يجري من أنوف الغنم، وأطب مراحها: نظِّفه، والثلَّة: جماعة الغنم، قليلة كانت أو كثيرة، وقيل الثلة: الكثير منها.

(٢) أي: نوبة ركوبه.

فقال أبو هريرة. فقلتُ: لستُ بعدوٍّ الله وعدوٍّ كتابه، ولكني عدوٌّ من عاداهما.
قال: فمن أينَ هي لك؟ قلتُ: خيلٌ نُتِجتْ، وغَلَّةُ رقيقٍ لي، وأُعطِيةٌ تتابعت.
فنظروا، فوجدوا كما قال.

[١]فلما كان بعد ذلك، دعاهُ عُمرُ ليولِّيه، فأبى. فقال: تكرهُ العملَ، وقد طلبَ العَملَ مَن كان خَيراً منك: يوسفُ عليه السلام! فقال: يوسفُ نبي ابنُ نبي ابن نبي وأنا أبو هريرة ابنُ أُمَيمة، وأخشى ثلاثاً واثنتين. قال: فهلا قُلتَ: خمساً؟ قال: أخشى أن أقولَ بغير علم، وأقضي بغير حلم، وأن يضربَ ظهري، وينتزع مالي، ويُشْتَمَ عِرضي.

قلتُ: كان أبو هريرة طيِّب الأخلاق. ربما نابَ في المدينة عن مروان أيضاً.

[٢]عن أبي رافع، قال: كان مروانُ رُبَّما استخلفَ أبا هريرة على المدينة، فيركبُ حماراً ببرذعة، وفي رأسه خُلْبَةٌ مِنْ ليف، فيسير، فيلقى الرجلُ، فيقول: الطريقَ! قد جاءَ الأميرُ.

[٣] وربما أتى الصبيانُ، وهم يلعبون بالليل لعبة الأعراب. فلا يشعُرُون، حتى يُلقي نَفْسَه بينهم، ويَضرِبَ برجليه، فيفزَعُ الصبيانُ، فيفرون. وربما دعاني إلى عشائه، فيقول: دَعِ العُراق للأمير. فأنظر، فإذا هو ثريدةٌ بزَيت(١).

[٤] وقال حزم القُطَعي: سمعتُ الحسن يقولُ: كان أبو هريرة إذا مرَّت به جنازة، قال: اغدوا فإنَّا رائحون، ورُوحوا فإنَّا غادون.

[٥] يوسف بن على الزنجاني الفقيه: سمعتُ الفقيه أبا إسحاق الفيروزابادي: سمعتُ القاضي أبا الطيب يقول: كنا في مجلس في مجلس النظر بجامع المنصور، فجاء شابٌّ خراساني، فسأل عن مسألةِ المُصَرَّاة(٢)، فطالبَ بالدليل،

(١) الخلبة: واحد الخلب: الحبل الرقيق الصلب من الليف والقطن وغيرهما. والعُراق: العظم الذي أخذ عنه معظم اللحم، أو الغِذْرة من اللحم.

(٢) المُصَرَّاة: النّاقة أو البقرة أو الشاة يُصَرَّى اللبن في ضرعها، أي: يجمع ويحبس، ثم تباع، فيظنها المشتري كثيرة اللبن، فيزيد في ثمنها، فإذا حلبها مرتين أو ثلاثاً، وقف على التصرية والغرور. وحديث أبي هريرة الوارد فيها: هو في (الموطأ) ٢/٦٨٣، ٦٨٤ في البيوع: باب ما ينهى عنه من المساومة والمبايعة. أخرجه البخاري ٤/٣٠٩ عن عبدالله بن يوسف، ومسلم (١٥١٥)، (١١) عن يحيى بن يحيى، كلاهما عن مالك، عن أبي الزِّناد عبدالله بن =

حتى استدلَّ بحديث أبي هُريرة الوارد فيها.

فقالَ ـ وكان حنفياً ـ: أبو هُريرة غيرُ مقبول الحديث

فما استَتَمَّ كلامَه، حتى سقط عليه حَيَّةٌ عظيمةٌ من سَقف الجامع، فوثَبَ الناسُ من أجلها، وهربَ الشابُّ منها، وهي تتبعُه.

فقيل له: تُب، تُب. فقال: تُبْتُ. فغابت الحيَّةُ، فلم يُرَ لها أَثَرٌ.

إسنادها أئمة.

[١] وأبـو هريرة إليه المُنتهى في حفظ ما سمعَه من الرسول عليه السلام، وأدائه بحروفه. وقد أدَّى حديث المُصَرَّاة بألفاظه، فوجَب علينا العملُ به، وهو أَصْلٌ برأسه.

وقد وليَ أبو هريرة البحرين لعُمر، وأفتى بها في مسألة المُطلَّقة طَلقةً ثم يتزوَّج بها آخر، ثم بعد الدخول فارقها، فتزوَّجها الأول. هل تبقى عنده على طلقتين ـ كما هو قول عُمر وغيره من الصحابة ومالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه ـ أو تُلغى تلك التطليقةُ. وتكونُ عنده على الثلاث، كما هو قول ابنِ عباس وابنِ عمر وأبي حَنيفة، ورواية عن عُمر، بناءً على أن إصابة الزوج تهدم ما دون الثلاث، كما هَدمتْ إصابتُه لها الثلاث. فالأول مبنيّ على أن إصابةَ الزوج الثاني، إنما هي غايةُ التحريم الثابت بالـطلاق الثـلاث، فهو الذي يرتفع، والمطلقة دون الثلاث لم تحرم، فلا ترفع الإِصابة منها شيئاً. وبهذا أفتى أبو هُريرة. فقال له عُمرُ: لو افتيتَ بغيره، لأوجعتُكَ ضرباً.

وكـذلـك أفتى أبـو هريرة في دقائق المسائل مع مثل ابنِ عباس، وقد عمل الصحابةُ فمن بعدهم بحديث أبي هُريرة في مسائل كثيرة تُخَالِفُ القياس، كما

=ذكوان، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ولا تصرُّوا الإبل والغنم، فمن ابتاعها بعد ذلك، فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها، إن رضيها أمسكها، وإن سخطها ردها وصاعاً من تمر» أي: يردها بعيب التصرية، ويرد معها صاعاً من تمر مكان ما حلب من اللبن، وهو قول مالك والشافعي والليث بن سعد وأحمد وإسحاق وأبي عبيد وأبي ثور.

عملوا كُلُّهم بحديثه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تُنْكَح المرأةُ على عَمَّتها، ولا خَالتها».

وعمل أبو حنيفة والشافعيُّ وغيرُهما بحديثه: «أن مَنْ أَكْلَ نَاسِياً، فَلْيُتِمَّ صومه». مع أن القياسَ عند أبي حنيفة: أنه يُفطِر، فتَرَكَ القياسَ لخبر أبي هريرة.

وهذا مالك عمل بحديث أبي هريرة في غسل الإناء سبعاً من ولوغ الكلب. مع أن القياسَ عنده: أنه لا يُغسل لطهارته عنده.

بل قد ترك أبو حنيفة القياس لما هو دون حديث أبي هُريرة في مسألة القهقهة، لذلك الخبر المُرسل.

[١]وقد كان أبو هريرة وثيق الحفظ، ما علمنا أنه أخطأ في حديث.

[٢]عن سالم: سمع أبا هريرة يقولُ: سألني قوم محرمون عن مُحلِّين أهدَوا لهم صيداً. فأمرتُهم بأكله. ثم لقيتُ عُمَرَ بنَ الخطاب، فأخبرتُه، فقال: لو أفتيتَهم بغير هذا، لأوجعتُك.

[٣]عاصمُ بنُ محمد، عن أبيه: رأيتُ أبا هريرة يخرجُ يوم الجمعة، فيقبضُ على رُمَّانتي المنبر قائماً، ويقولُ: حدثنا أبو القاسم ﷺ الصادقُ المَصدوقُ. فلا يزال يُحدِّثُ حتى يَسمع فتح باب المقصورة لخروج الإمامة، فيجلِسُ.

[٤]عن سَلْم بن بشير أن أبا هريرة بكى في مرضه: فقيل: ما يُبكيكَ؟ قال: ما أبكي على دنياكُم هذه، ولكن على بُعد سفري، وقلَّة زادي، وأني أُمسيتُ في صُعود، ومهبطُه على جنة أو نار، فلا أدري أيُّهُما يؤخذ بي.

عن هشام بن عُروة: أن عائشةَ، وأبا هريرة، مَاتاَ سنة سبع وخمسين، قبل مُعاوية بسنتين.

وذكرتُه في (تذكرة الحفاظ). فهو رأسٌ في القرآن، وفي السُّنَّة، وفي الفقه.

وفي (سنن النسائي): أن أبا هريرة، دعا لنفسه: اللهُمَّ، إني أسألُك علماً لا يُنْسى. فقال النبيُّ ﷺ: «آمين».

مِزْوَدُ أبي هريرة.

[١]عن أبي هُريرة، قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ بتمراتٍ، فقلتُ: ادعُ لي فيهنَّ يا رسولَ الله بالبركة فقبَضَهُنَّ، ثم دعا فيهنَّ بالبركة، ثم قال: «خُذْهُنَّ فاجعلْهُنَّ في مِزْوَد، فإذا أردت أن تَأْخُذَ منهنَّ، فأَدْخِلْ يَدَك، فخُذْ، ولا تَنْثُرْهُنَّ نَثْراً».

فقال: فحملتُ من ذلك التمر كذا وكذا وَسْقاً في سبيل الله، وكنا نأكُلُ ونُطعِم، وكان المِزودُ مُعَلَّقاً بحَقْوي، لا يُفارق حَقْوي، فلما قُتِلَ عُثمان، انقطع[1].

قال الترمذي حَسن غريب.

مسنده: خمسة آلاف وثلاث مئة وأربعة وسبعون حديثاً».

(١) الوسق: مكيلة معلومة عندهم، يقال: هو حمل بعير، وهو ستون صاعاً بصاع النبي ﷺ. والحقو، معقد الإزار.

الجزء الثالث



١١٠- أبوبكْرة الثّقفيُّ الطائفيّ (ع)[١]

[١] مولى النبيِّ صلى الله عليه وسلم. اسمه نُفَيْعُ بنُ الحارث. تدلَّى في حصار الطائف ببَكْرة، وفرَّ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وأسلَمَ على يده، وأعلَمَهُ أنه عبد، فأعتقه.

روى جُمْلَةَ أحاديث.

سكن البصرة، وكان من فقهاء الصحابة. ووفد على معاوية. أمُّه سُمَيَّة، فهو أخو زياد بن أبيه لأُمِّه.

[٢] وقصَّةُ عمر مشهورةٌ في جَلْدِهِ أبا بَكْرة ونافعاً، وشِبل بن مَعْبد لشهادتهم على المغيرة بالزنى، ثم استتابهم، فأبى أبو بكْرةَ أنْ يتوبَ، وتاب الآخران. فكانَ إذا جاءَهُ مَنْ يُشهِدهُ يقول: قد فسَّقُوني.

[٣] قال أبـوكعب صاحبُ الحرير: حدثنا عبدُالعزيز بن أبي بَكْرة أنَّ أباه تزوَّجَ امرأةً، فماتت، فحالَ إخوتُها بينَهُ وبين الصلاةِ عليها فقال: أنا أحقُّ بالصلاةِ عليهـا، قالوا: صدقَ صاحبُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم. ثم إنه دخلَ القبر، فدفَعُوهُ بعنفٍ، فَغُشيَ عليه فحُمِلَ إلى أهله، فَصَرخ عليه عشرون من ابنٍ وبنت، وأنا أصغرُهم فأفاق، فقال: لا تَصْرُخوا فوالله ما مِنْ نفسٍ تخرجُ أحبَّ إليَّ مِنْ نفسي ففزِعَ القومُ، وقالوا: لِمَ يا أبانا؟ قال: إني أخشى أنْ أُدِركَ زماناً لا أستطيعُ أنْ آمُرَ بمعروفٍ ولا أنهىٰ عن منكر، وما خيرٌ يومئذ.

---

(١) انظر السير: ٣/٥ - ١٠

[١]الحَكَم بن الأعرج، قال: جلبَ رجل خشباً، فطلبَهُ زيادٌ، فأبىٰ أن يبيعَهُ، فغصَبهُ إيَّاه، وبنىٰ صُفَّة مسجدِ البصرة، قال: فلم يُصَلِّ أبو بَكْرَةَ فيها حتى قُلِعت.

[٢]عن عُيَيْنَة بنِ عبدالرحمن، عن أبيه قال: لما اشتكىٰ أبو بَكْرة، عرَض عليه بنوه أنْ يأتوُهُ بطبيب، فأبىٰ، فلمَّا نزل به الموتُ، قال: أينَ طبيبُكم؟ لِيردَّها إنْ كانَ صادقاً!

[٣]قال ابنُ سعـد: مات أبـو بَكْرَةَ في خلافةِ معاويةَ بن أبي سفيان بالبصرة، فقيل: مات سنة إحدى وخمسين.

ورويـنـا عن الحسنِ البصري قال: لم ينزلِ البصرةَ أفضلُ من أبي بَكْرةَ، وعِمرانَ بنِ حُصين.

١١١- أبو رِفاعةَ العَـدَوِيّ (م، س)(١)

[١]تميمُ بن أُسيد ـ رضي الله عنه ـ المُضَريّ. عداده فيمن نزل البصرة. عن حُميد بن هلال عن رجـل كأنّه أبو رفاعة ـ قال: كان لي رئِيٌّ(٢) من الجن، فأسلمت ففقدته، فوقفتُ بعرفة فسمعت حسَّهُ، فقال: أشعرتَ أني أسلمت؟ قال: فلما سمع أصواتَ الناس يرفعونها، قال عليك الخُلُقَ الأسَدَّ، فإنَّ الخير ليس بالصوتِ الأشدِّ.

[٢]عن حُميد بنِ هلال قال: كان أبو رِفاعةَ العَدوِيُّ يقول: ما عَزَبَتْ عني سورةُ البقرة منذ علَّمَنيها رسَولُ الله صلى الله عليه وسلم، وأخذتُ معها ما أخذتُ من

---

(١) انظر السير: ٣/١٤ ـ ١٥.

(٢) يقال للتابع من الجن: رئِيّ، سُمِّي به لأنه يتراءى لمتبوعه، أو هو من الرأي، من قولهم: فلان رئِيُّ قومه إذا كان صاحب رأيهم.

القرآن، وما وَجِع ظهري من قيامِ الليلِ قط.

وكان أبو رفاعةَ ذا تعبُّدٍ وتهجُّد.

[١] قال حُمَيْدُ بنُ هلال: خرجَ أبو رِفاعةَ في جيشٍ عليهم عبدُالرحمنِ بنْ سَمُرة، فباتَ تحت حِصْن يُصلِّي ليلَه، ثم توسَّدَ تُرْسَه، فنام، وركبَ أصحابُه وتركوه نائماً، فبَصُر به العدوُّ، فنزلَ ثلاثةُ أعلاجٍ، فذبحوهُ، رضي الله عنه.

[٢] قال حُمَيد: قال صِلَةُ: رأيتُ كأني أرى أبا رِفاعةَ على ناقةٍ سريعة، وأنا على جملٍ قَطُوف،[١] فأنا على أثره، فأوَّلْتُ أني على طريقِهِ وأنا أكُدُّ العملَ بعده كدّاً.

١١٢ ثَوْبانُ النَّبَـويّ (م، ٤) [٢]

[٣] مولى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، سُبِيَ من أرضِ الحجاز فاشتراهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، وأعتقـه، فلزمَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، وصَحِبَـه، وحَفِظَ عنهُ كثيراً من العلم، وطال عُمره واشتهر ذِكْرُه. يُكْنى أبا عبدالله.

قال ابنُ سعد: نزلَ حِمْص وله بها دار، وبها مات سنة أربعٍ وخمسين.

[٤] وقال ابنُ يونس: شهد فتحَ مِصْر، واختطَّ بها.

عاصمُ الأحول: عن أبي العالية، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ تكَفَّلَ لي أنْ لا يَسْألَ أحداً شيئاً وأتكفَّلُ لَهُ بالجَنَّةِ»؟ فقال ثَوْبان: أنا. فكانَ لا يسألُ أحداً شيئاً.

[٥] قال شُرَيحُ بنْ عُبيد: مرضَ ثَوْبانُ بحمص، وعليها عبدُالله بنُ قُرْط فلم يَعُدْهُ، فدخـلَ على ثَوْبـانَ رجـلٌ يعودُه، فقال له ثوبانُ: أتكتبُ؟ قال: نعم. قال:

---

(١) القطوف من الدواب: البطيء.

(٢) انظر السير: ٣/١٥ ـ ١٨.

اكتبْ، فكتَب: للأمير عبدالله بن قُرْط، من ثَوْبانَ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمَّا بعد: فإنه لو كان لموسى وعيسى مولىً بحضرتك لَعُدْتَه. فأُتِيَ بالكتاب، فقرأهُ، وقامَ فَزِعاً، قال الناس: ما شأنُه أَحَضَرَ أمْرٌ؟ فأتاه، فعَادهُ، وجلسَ عنده ساعةً ثم قام، فأخذ ثوبَانُ بردائه، وقال: اجلس حتى أحدِّثَك، سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ مِنْ أُمتِّي سبعونَ ألفاً لا حِسابَ عليهم ولا عَذَاب، مع كُلِّ ألفٍ سبعونَ ألفاً».

١١٣- عبدُالله بنُ عامـر (١)

[١]ابن كُرَيز بن ربيعة، الأميرُ، أبو عبدِالرحمن القرشيّ العَبْشَمِيُّ الذي افتتحَ إقليمَ خُراسان.

رأى النبيَّ صلى الله عليه وسلم، وروى عنه حديثاً.

وهـو ابنُ خالِ عثمان، وأبوه عامر هو ابن عَمَّةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم البيضاء بنتِ عبدِالمطلب.

ولي البصرة لعثمان، ثم وَفَدَ على معاوية، فزوَّجَهُ بابنتِه هند.

[٢]وهو الذي افتتحَ خُراسان، وقُتِل كِسْرىٰ في ولايته، وأحرمَ من نَيْسَابور شكراً لله، وعمِلَ السِّقايات بعرفةَ، وكانَ سخيّاً كريماً.

[٣]قال مصعبُ الزبيريُّ: يقال: إنه كان لا يعالجُ أرضاً إلا ظهرَ له الماء.

[٤]وقال الأصمعيُّ: ارتجَّ عليه يومَ أضحىٰ بالبصرة، فمكثَ ساعةً ثم قال: والله لا أجمعُ عليكم عِيّاً ولُؤْماً، من أخذَ شاةً من السوق فثمَنُها عليّ.

[٥]زياد بن كُسَيْب قال: كنتُ مع أبي بكرة تحتَ منبرِ ابنِ عامرٍ وهو يخطب وعليه ثيابٌ رِقاق، فقال أبوبلال: انظروا إلى أميركم يلبَسُ ثيابَ الفُسَّاق، فقال

(١) انظر السير: ٣/١٨ - ٢١.

أبوبكرة: اسكُتْ، سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ أهانَ سُلْطانَ الله في الأرْضِ أهانَهُ الله».

أبوبلال: هو مرداسُ بن أُديَّةَ منَ الخوارج.

١١٤- المغيـرةُ بنُ شُعْبَـة (ع)(١)

[١]ابن أبي عامر. الأميرُ أبو عيسىٰ.

من كبارِ الصحابةِ أولي الشجاعةِ والمكيدة شهِدَ بيعةَ الرضوان.

[٢]كان رجلًا طوالًا مُهيباً، ذهبتْ عيْنُه يومَ اليرموك، وقيل: يوم القادسية، وكان داهية، يقال له: مغيرةُ الرَّأْي.

عن الزّهريّ قال: كان دهاةُ الناسِ في الفتنةِ خمسة، فمِنْ قريش: عمرو، ومعاويةُ، ومن الأنصار: قَيْسُ بن سعد. ومن ثقيف: المغيرةُ، ومن المهاجرين: عبـدُالله بن بُدَيل بن ورقاء الخُزَاعيّ فكان مع عليٍّ قيسٌ وابنُ بديل، واعتزلَ المغيرةُ بن شعبة.

[٣]عن زيد بن أسلم، أنَّ عُمـر غيَّر كنيةَ المغيرةِ بن شعبة، وكنَّاهُ أبا عبدالله وقال: هل لعيسى من أبٍ.

[٤]قال المغيرةُ بن شعبة: بعثَتْ قريشٌ عامَ الحُدِيْبِيَةِ عروةَ بنَ مسعودٍ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ليكلِّمَه. فأتاه، فكلَّمَهُ، وجعل يَمَسُّ لحيته، وأنا قائمٌ على رأسِ رسـولِ الله صلى الله عليه وسلم مقَنَّعٌ في الحديد، فقال المغيرةُ لعروةَ: كُفَّ يدكَ قبل أن لا تصلَ إليك، فقال: مِن ذا يا محمد؟ ما أفَظَّهُ وأغْلَظَه قال: ابنُ أخيك، فقال: يا غُدَرُ، والله ما غسَلتُ عني سَوْءَتَكَ إلَّا بالأمس.(٢)

(١) انظر السير: ٣/٢١ - ٣٢.

(٢) قال ابن هشام في السيرة: ٢/٣١٣:

[١]عن المغيرة، قال: أنا آخرُ الناسِ عهداً برسولِ الله صلى الله عليه وسلم، لما دُفن خرج عليُّ بن أبي طالب من القبر، فألقيتُ خاتمي، فقلتُ: يا أبا الحسن خاتمي! قال: انزِلْ فخذْهُ، قال: فمسحتُ يدي على الكفن، ثم خرجتُ.

[٢]عن زيد بنِ أسلم، عن أبيه، أنَّ عُمَرَ استعملَ المغيرةَ بنَ شُعْبَة على البحرين، فكرهوه، فعزَلهُ عمر، فخافوا أن يردَّه. فقال دِهْقَانُهم: إنْ فعلتُم ما آمرُكم لم يردَّهُ علينا. قالوا: مُرْنا. قال: تجمعونَ مئةَ ألفٍ حتى أذهبَ بها إلى عُمر، فأقول: إنَّ المغيرةَ اختانَ هذا، فدفعه إليَّ. قال: فجمعوا له مئة ألف، وأتىٰ عُمَر، فقال ذلك. فدعا المغيرةَ، فسأله، قال: كذب أصلحكَ الله، إنما كانت مئتي ألف، قال: فما حملك على هذا؟ قال: العِيالُ والحاجة. فقال عُمر للعِلْج: ما تقولُ؟ قال: لا والله لأصدُقنَّك ما دفع إليَّ قليلاً ولا كثيراً. فقال عمرُ للمغيرة: ما أردْتَ إلى هذا؟ قال: الخبيثُ كذب عليَّ، فأحببت أنْ أخْزيَه.

[٣]عن سماكِ بنِ سَلمة قال: أوّلُ مَنْ سُلِّم عليه بالإمرة المغيرةُ بنُ شعبة.

يعني: قولَ المؤذِّن عند خروجِ الإمام إلى الصلاة: السلامُ عليكَ أيها الأمير ورحمة الله وبركاته.

[٤]عن ابن سيرين، كان الرجل يقولُ للآخر: غضبَ الله عليك كما غضِبَ أمير المؤمنين على المغيرة، عزله عن البصرة، فولّاه الكوفة.

[٥]قال اللَّيْثُ: وقعةُ أذْرَبيجان كانَتْ سنةَ اثنتينِ وعشرين، وأميرُها المغيرةُ بنُ شعبة، وقيل: افتتح المغيرةُ هَمَذانَ عَنْوةً.

[٦] قال اللَّيثُ: كان المغيرةُ قد اعتزلَ فلما صار الأمرُ إلى معاويةَ كاتَبَهُ المغيرة.

= أراد عروة بقوله هذا أن المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك من ثقيف، فتهايج الحيَّان من ثقيف: بنو مالك رهط المقتولين، والأحلاف رهط المغيرة، فودى عروةُ المقتولين ثلاث عشرة دية، وأصلح ذلك الأمر.

[١]عن عبدالملك بن عُمير قال: كتبَ المغيرةُ إلى معاوية، فذكر فَناءَ عُمره، وفَناءَ أهلِ بيته، وجَفْوَةَ قريشٍ له. فوردَ الكتابُ على معاويةَ وزياد عنده، فقال: يا أميرَ المؤمنين، ولِّني إجابَتَه فألقى إليه الكتاب، فكتب: أما ما ذكرتَ من ذهابِ عُمرك، فإنه لم يأكُلْهُ غَيْرُك، وأما فَناءُ أهلِ بيتِك، فلو أنَّ أميَر المؤمنينَ قدَر أن يقِيَ أحَداً لوقىٰ أهلَه، وأمَّا جفوةُ قريش، فأنَّى يكون ذاك وهم أمَّرُوك.

[٢]عن الشعبي: سمعتُ قَبيصةَ بنَ جابرٍ يقول: صحبتُ المغيرةَ بن شُعْبة فلَو أنَّ مدينة لها ثمانيةُ أبواب، لا يُخْرَجُ من بابٍ منها إلا بِمَكْرٍ لخرجَ من أبوابها كُلِّها.

[٣]عن أبي السَّفَر، قيل للمغيرة: إنـك تُحـابي، قال: إن المعرفةَ تنفعُ عند الجمَلِ الصَّؤول،(١) والكلبِ العَقُور،(٢) فكيف بالمسلم.

[٤]عن المغيرةِ بن شُعْبَةَ قال: لقد تزوَّجْتُ سبعين امرأةً أو أكثر.

ابنُ المبارك قال: كان تحتَ المغيرة بنِ شُعْبة أربعُ نسوة. قال: فصفَّهُنَّ بين يديهِ وقـال: أنْتنَّ حَسَناتُ الأخلاق، طويلاتُ الأعناق، ولكنّي رجلُ مِطْلاق، فأنتنَّ الطلاق.

[٥]ابن وهب حدَّثنـا مالك قال: كان المغيرةُ نكَّاحاً للنساء، ويقولُ: صاحبُ الواحدةِ إنْ مرضَتْ مرض، وإن حاضَتْ حاض، وصاحبُ المرأتين بين نارَيْن تُشْعَلان، وكان ينكِحْ أربعاً جميعاً ويطلِّقُهنَّ جميعاً.

[٦]عن زياد بن عِلاقـة، سمعت جريراً يقـولُ حين ماتَ المغيرةُ بن شُعْبـة: أوصيكم بتقوىٰ الله، وأن تسمعوا وتُطيعوا حتى يأتيَكم أمير، استغفروا للمغيرة غفرَ الله له، فإنه كان يُحبُّ العافية.

مات أميرُ الكوفة المغيرة في سنةِ خمسين، وله سبعون سنة.

---

(١) الجمل الصؤول: الذي يأكل راعيَه، ويواثب الناس فيأكلهم.

(٢) الكلب العقور: كل سبُع يجرح ويقتل ويفترس.

١١٥ - عبدُ الله بنُ سعد (١)

[١]ابن أبي سَرْحٍ الأمير، قائدُ الجيوش، أبو يحيى القُرَشيُّ العامري، من عامرِ ابن لؤيِّ بن غالب.

[٢]هو أخو عثمان من الرَّضاعة، له صحبةٌ وروايةُ حديث.

عن ابن عباس قال: كان ابنُ أبي سَرْح يكتبُ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فأزلَّهُ الشيطان، فَلحِق بالكفَّار، فأمرَ به النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن يُقْتَل، فاستجارَ له عثمان.

[٣]عن اللَّيث قال: كان عبدُالله بن سعد والياً لعمرَ على الصَّعيدِ، ثم ولاَّهُ عثمانُ مصرَ كُلَّها، وكان محموداً. غزا افريقيَة فقتل جُرْجِير صاحِبَها، وبلغَ السَّهْمُ للفارس ثلاثةَ آلافِ دينار، وللراجل ألفَ دينار، ثم غزا ذاتَ الصَّواري، فلَقُوا ألف مَرْكَبٍ للروم، فَقُتلتِ الرومُ مقتلةً لم يُقتلوا مثلها قطّ، ثم غزوة الأساود.

[٤] يزيدُ بن أبي حبيب، قال: لما احتُضِرَ ابنُ سَرْح وهو بالرَّمْلة، وكان خرجَ إليها فارّاً من الفتنة فجعلَ يقولُ من الليل: آصبحتم؟ فيقولون: لا. فلما كان عند الصبح، قال: يا هشام! إني لأجِدُ بَرْدَ الصبح فانظر. ثم قال: اللَّهُمَّ اجعلْ خاتمةَ عملي الصبح، فتوضَّأ، ثم صلَّى، فقرأ في الأولى بأُمِّ القرآن والعاديات، وفي الأخرى بأُمِّ القرآن وسورة وسلَّمَ عن يمينه، وذهبَ يسلِّمُ عن يساره فقُبضَ رضي الله عنه.

الأصحُّ وفاته في خِلافةِ عليٍّ رضي الله عنه.

---

(١) انظر السير: ٣/٣٣ - ٣٦.

١١٦- معاويةُ بنُ حُدَيــج (د، س، ق) (١)

[١] الأمير، قائدُ الكتائب، أبونعيم، وأبوعبدالرحمن الكِنْدِيُّ ثم السَّكُونيّ.

له صُحْبةٌ وروايةٌ قليلةٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وولي إمرةَ مصر لمعاوية وغَزْوَ المغرب، وشهِدَ وقعةَ اليرموك.

[٢]عن عبدالرحمن بن شُمَاسَة قال: دخلتُ على عائشةَ، فقالت: ممن أنتَ؟ قلتُ: من أهل مصر. قالت: كيفَ وجَدْتُم ابنَ حُدَيج في غزاتكم هذه؟ قلتُ: خَيْرَ أمير، ما يقفُ لرجل منَّا فرسٌ ولا بعيرٌ إلَّا أبدلَ مكانَه بعيراً، ولا غلامٌ إلَّا أبدلَ مكانَهُ غُلاماً، قالت: إنه لا يمنعني قتلُه أخي أنْ أحدِّثكم ما سمعتُ مِن رسول ِ الله صلى الله عليه وسلم، إني سمعته يقول: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أمْرِ أُمَّتي شيئاً فَرفَقَ بهِم فارفُقْ به، ومَنْ شَقَّ عليهم فَاشْقُقْ عليه».

[٣]عن عليِّ بن أبي طلحـة مولى بني أمية قال: حجَّ معاويةُ ومعه معاويةُ بنُ حُدَيج، وكـان من أسبِّ الناس لعليّ، فمرَّ في المدينة، والحسنُ جالسٌ في جماعةٍ من أصحابِهِ، فأتاه رسولٌ، فقال: أجِبِ الحسن. فأتاهُ فسلَّم عليه، فقال له: أنت معاويةُ بن حُدَيج؟ قال: نعم. قال: فأنت السابُّ عليّاً رضي الله عنه؟ قال: فكأنَّه استحيى. فقال: أما والله لئن وردتَ عليه الحَوْض ـ وما أراك تردُه ـ لتجدنَّه مشمِّرَ الإزار على ساق، يذودُ عنه راياتِ المنافقين ذَوْدَ غريبةِ الإبل، قول الصادق المصدوق «وقَدْ خَابَ مَنِ افترىٰ».

قلتُ: كان هذا عثمانيّاً، وقد كان بين الطائفتين من أهل صِفِّين ما هو أبلغُ من السبِّ، السيفُ، فإنْ صَحَّ شيءٌ، فسبيلُنا الكفُّ والاستغفارُ للصحابة، ولا نُحِبُّ ما شجر بينهم، ونعوذُ بالله منه، ونتولَّى أميرَ المؤمنين عليّاً.

مات بمصر في سنة اثنتين وخمسين.

---

(١) انظر السير: ٣/٣٧ ـ ٤٠.

١١٧- أبو بَرْزَةَ الأسلميّ (ع) (١)

[١] صاحبُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، نَضْلَةُ بنُ عُبَيْد على الأصح.

قال ابنُ سعد: أسلم قديما، وشهد فتحَ مكة.

قلتُ: وشهد خَيْبَر، وكان آدمَ رَبْعَةً، وحضرَ حرب الحَرُوريَّة مع عليّ.

[٢]عن الأزرق بن قيس قال: كُنَّا على شاطىء نهر بالأهواز، فجاء أبوبَرْزَةَ يقودُ فرساً، فدخل في صلاةِ العصر. فقال رجلٌ: انظروا إلى هذا الشيخ، وكان انفلتَ فرسُه، فاتَّبعَها في القبلة حتى أدركها فأخذ بالمِقْوَد، ثم صلَّى. قال: فسمع أبوبَرْزة قولَ الرجل، فجاء فقال: ما عنَّفني أحدٌ منذُ فارقتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم غير هذا، إني شيخٌ كبير، ومنزلي متراخٍ، ولو أقبلتُ على صلاتي، وتركتُ فرسي، ثم ذهبتُ أطلُبها، لم آتِ أهلي إلا في جُنْح الليل، لقد صحِبْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فرأيتُ من يُسْرِه. فأقبلنا نعتذرُ ممَّا قال الرجل.

[٣] عن ثابت البُناني. أن أبا بَرْزَةَ كان يلبَسُ الصوف، فقيل له: إن أخاك عائذ بن عمرو يلبَسُ الخزَّ، قال: ويحك! ومن مثلُ عائذ!؟ فانصرفَ الرجل، فأخبرَ عائذاً، فقال: ومن مثلُ أبي بَرْزة!؟

قلتُ: هكذا كان العلماءُ يُوقِّرون أقرانهم.

[٤]وقيل: كانت لأبي بَرْزَةَ جَفْنَةٌ من ثريد غُدْوةً وجفنة عَشِيَّةً للأراملِ واليتامى والمساكين.

[٥]وكان يقوم إلى صلاةِ الليل، فيتوضأ، ويوقظُ أهله رضي الله عنه وكان يقرأ بالستين إلى المئة.

توفي سنة أربع وستين. قيل: كان أبوبَرْزَةَ وأبوبكرَةَ مُتَواخِيَيْن.

(١) انظر السير: ٣/ ٤٠ - ٤٣.

١١٨- حَكِيمُ بنُ حِـزَام (ع) [١]

[١] ابنِ خُوَيلد القُرشيُّ الأسديّ.

أسلَمَ يوم الفتح وحسُنَ إسلامُه. وغزا حُنَيناً والطائف. وكان من أشرافِ قريش، وعُقلائها، ونُبلائها، وكانت خديجةُ عمَّتَه، وكان الزبيرُ ابنَ عَمِّه.

[٢] قيل: إنه كان إذا اجتهد في يمينه، قال: لا والذي نجَّاني يومَ بدرٍ من القتل.

[٣] وقال أحمدُ بن البَرْقي: كان من المؤلَّفَة، أعطاهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم من غنائمِ حُنين مئةَ بعير، فيما ذكرَ ابنُ إسحاق.

[٤] وقال البخاريُّ في (تاريخه): عاش ستين سنةً في الجاهليَّة وستين في الإسلام.

قلتُ: لم يعشْ في الإسلام إلاّ بضعاً وأربعين سنة.

[٥] قال ابن مَنْدَةَ: وُلد حكيم في جوفِ الكعبة، وعاش مئةً وعشرين سنة. مات سنةَ أربعٍ وخمسين.

عن مصعب بن عُثمان قال: دخلَتْ أُمُّ حكيم في نسوةٍ الكعبةَ، فضرَبها المخَاض، فأُتِيَتْ بِنطعٍ حين أعجلَتْها الولادة فوَلَدَتْ في الكعبة.

[٦] عن عِراك بن مالك أنَّ حكيمَ بنَ حِزام قال: كان محمدٌ صلى الله عليه وسلم أحبَّ الناس إلي في الجاهليَّة، فلما نُبِّىء وهاجر، شهِدَ حكيم المَوْسِمَ كافراً، فوجد حُلَّةً لذي يَزَنٍ تُباع، فاشتراها بخمسينَ ديناراً ليهديَها إلى رسولِ الله، فقدِم بها عليه المدينة، فأراده على قبضِها هديَّةً، فأبىٰ. قال عُبيد الله: حَسِبْتُه قال: «إنَّا لا نقبلُ مِنَ المشركين شيئاً، ولكنْ إنْ شئتَ بالثَّمَن» قال: فأعطيتُه حين أبى عليَّ الهديَّة.

---

(١) انظر السير: ٣/ ٤٤ ـ ٥١.

[١]وفي رواية ابنِ صالح زيادة: فلبسَها، فرأيتُها عليه على المِنْبَر، فلم أرَ شيئاً أحسَنَ منه يومئذٍ فيها، ثم أعطاها أُسامة فرآها حَكيمٌ على أسامةَ، فقال: يا أُسامة! أتلبَسُ حُلَّةَ ذي يَزن؟ قال: نعم والله لأنا خيْر منه، ولأبي خَيْرٌ من أبيه. فانطلقتُ إلى مَكَّةَ فأعْجَبْتُهم بقوله.

[٢] عن الزُّهري، عن سعيد وعُروة، أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أعطىٰ حَكيماً يومَ حُنينٍ فاستقلَّه، فزاده، فقال: يارسولَ الله! أيُّ عَطِيَّتك خَيْرٌ؟ قال: «الأولى». وقال: «يا حَكيم إن هذا المالَ خَضِرَةٌ حُلوةٌ، فمَنْ أخَذَهُ بسخاوةِ نَفْسٍ وحُسْنِ أُكْلَةٍ، بُورِكَ له فيه ومَنْ أخذَهَ باستشراف نَفْسٍ وسوءِ أُكْلَةٍ، لم يُبارك له فيه، وكان كالذي يأكلُ ولا يشبع» قال: ومنكَ يارسولَ الله؟ قال: «ومني» قال: فوالذي بعثَكَ بالحق لا أرْزَأُ أحداً بعدَك شيئاً. قال: فلم يقبَلْ ديواناً ولا عطاءً حتى مات. فكان عُمَرُ يقول: اللّهُمَّ إني أشهِدُكَ على حكيم أني أدعوهُ لحقِّه وهو يأبى. فمات حين مات، وإنه لمن أكثرِ قريشٍ مالاً.

[٣] هشام بن عروة، عن أبيه، عن حكيم: أعتقتُ في الجاهلية أربعينَ مُحَرَّراً، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «أسْلَمْتَ على ما سلَفَ لكَ مِنْ خَيْر».

أبومعاوية، عن هشام بهذا، وفيه: «أسْلَمْتَ على صالحِ ما سَلف لَكَ» فقلت: يارسول الله، لا أدعُ شيئاً صنعتُه في الجاهلية إلَّا صنعتُ لله في الإسلام مِثْلَه، وكانَ أعتق في الجاهليَّة مئةَ رقبة، وأعتق في الإسلام مِثْلها، وساق في الجاهلية مئةَ بَدَنة، وفي الإسلام مِثْلَها.

[٤] الزبير: أخبرنا مصعب بنُ عثمان، سمعتُهم يقولون: لَمْ يدخلْ دارَ النَّدْوَة للرَّأي أحد حتى بلغ أربعينَ سنة، إلَّا حكيمَ بنَ حِزام، فإنه دخلَ للرَّأي وهو ابنُ خَمْسَ عَشْرَة. وهو أحَدُ النَّفرِ الذين دفنوا عثمانَ ليلاً.

[٥] وقيل: إنَّ حكيماً باع دار النَّدْوَةِ من مُعاوية بمئة ألف. فقال له ابنُ الزُّبير: بعْتَ مَكْرُمَةَ قريش، فقال: ذهبت المكارمُ يا ابنَ أخي إلاَّ التقوى، إني اشتريتُ

بها داراً في الجَنَّة، أُشْهِدُكم أني قد جعلتُها لله.

[١] الوليد بن مسلم: حدثنا شُعبة قال: لما تُوفي الزُّبير، لقي حَكيمٌ عبدَالله بن الزُّبير، فقال: كَمْ ترك أخي من الدَّيْن؟ قال: ألفَ ألف، قال: عليَّ خمس مئةِ ألف.

[٢] الأصمعيّ: حدّثنا هشامُ بن سعد صاحب المحامل، عن أبيه قال: قال حَكيمُ بنُ حِزام: ما أصبحتُ وليس ببابي صاحبُ حاجة، إلا علمتُ أنها من المصائبِ التي أسألُ الله الأجْرَ عليها.

[٣] وقيل: إنه دُخِلَ على حَكيمٍ عند الموت وهو يقول: لا إله إلا الله قد كنتُ أخشاك، وأنا اليوم أرْجُوك.

[٤] وكان حكيمٌ علامةً بالنَّسب فقيهَ النَّفْس، كبير الشَّأْن.

١١٩- كَعْبُ بنُ عُجْـــرَة (ع) [١]

[٥] الأنصاريُّ السَّالميُّ المدني، مِنْ أهلِ بيعةِ الرُّضْوان.

مات سنة اثنتين وخمسين.

[٦] قال كعب: كنتُ مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم، بالحُدَيبية ونحنُ مُحرِمُون، وقد صدَّهُ المشركون، فكانت لي وَفْرَةٌ. فجعلَت الهوامُّ تَسَّاقطُ على وجهي، فمر بيَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال: «أتؤذيكَ هوامُّ رأسك»؟ قلت: نعم. فأمر أن يُحلق ونزلت فيَّ آية الفدية.[٢]

[٧] ضِمَام بن إسماعيل: حدثني يزيدُ بنُ أبي حبيب، وموسى بنُ وَرْدان، عن كعب بن عُجْـرة قال: أتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يومـاً، فرأيتُه مُتَغيِّراً،

(١) انظر السير: ٣/ ٥٢ ـ ٥٤.

(٢) وآية الفدية هي: ﴿فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾.

قلتُ: بأبي وأمي، مالي أراك متغيراً؟ قال: «ما دخلَ جَوْفي شيءٌ مُنْذُ ثلاث» فذهبتُ، فإذا يهودي يسقي إبلاً له فسقيتُ له على كُلِّ دلوٍ بتَمْرَة، فجمعتُ تمراً، فأتيتُه به. فقال: «أتُحِبُّني يا كَعْبُ»؟ قلت: بأبي أنت ـ نعم، قال: «إنَّ الفقْرَ أسْرَعُ إلى مَنْ يُحِبُّني مِنَ السَّيْلِ إلى مَعَادِنِه، وإنَّكَ سيصيبُكَ بلاءٌ فأعِدَّ له تِجفافاً» قال: ففقده النبيُّ صلى الله عليه وسلم، فقالوا: مرض، فأتاه، فقال له: «أبْشِرْ يا كعْبُ» فقالت أُمُّه: هنيئاً لك الجنة. فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «من هذه المُتألِّيةُ على الله؟» قال: هي أمي. قال: «ما يُدْرِيكِ يا أمَّ كَعْب، لعلَّ كعباً قال ما لا ينفَعُه، أو منعَ مالا يُغْنيه».

[١]عن ثابت بن عُبيد قال: بعثني أبي إلى كعب بن عُجْرَةَ فإذا هو أقطع، فقلْتُ لأبي: بَعَثْتَني إلى رجل أقطع! قال: إن يده قد دخلت الجنة، وسيتبَعُها إن شاء الله.

١٢٠ـ عَمْرو بنُ العـاص (ع) (١)

[٢]ابن وائل الإمامُ أبو عبدِالله، ويقال: أبومحمد السَّهْمي.
[٣] داهيةُ قريش ورجلُ العالَم، ومَنْ يضْرب به المثلُ في الفِطْنة والدَّهاء والحَزْم.
[٤]هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مُسلِماً في أوائل سنة ثمان، مرافقاً لخالدِ بن الوليد، وحاجبِ الكعبة عثمانَ بنِ طلحة ففرحَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، بقدومهم وإسلامهم، وأمرَّ عَمراً على بعضِ الجيش، وجهَّزه للغزو.

قال البخاريُّ: ولاَّهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم على جيش ذاتِ السَّلاسل نزل المدينةَ ثم سكن مِصْرَ، وبها مات.

---

(١) انظر السير: ٣/٥٤ ـ ٧٧.

[١]عن أبي هُرَيرة قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «ابنا العاصِ مؤمنان، عَمْرُوٌ وهشام».

[٢]الثوري: عن إبراهيم بن مهاجر، عن إبراهيم النَّخَعيِّ قال: عقدَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لواءً لعمـرو عَلَى أبي بكـر وعُمـرَ وسَـرَاةِ أصحابه. قال الثوريّ: أراهُ قال: في غزوة ذاتِ السلاسل.

[٣] قال محمد بن سلام الجُمَحيّ: كان عُمر إذا رأى الرجلَ يتلجلَجُ في كلامه، قال: خالقُ هذا وخالقُ عَمْرِو بنِ العاص واحد.

[٤] روى موسى بن علي، عن أبيه، سمع عَمراً يقول: لا أملُّ ثَوْبي ما وسعني، ولا أمل زوجتي ما أحسنَتْ عِشْرَتى، ولا أملُّ دابَّتي ما حملَتْني، إن الملالَ من سيِّىء الأخلاق.

[٥]عن الشَّعبيِّ قال: دهُاةُ العرب أربعة: معاويةُ وعَمرو، والمغيرةُ، وزيادُ، فأما معاوية فللأناةِ والحِلْم، وأما عمرو فللمُعضلات، والمغيرةُ للمُبادهة، وأما زياد فَلِصَّغير والكبير.

[٦]وقـال أبـو عُمـر بن عبـدالبـرِّ: كان عَمـرو من فرسان قُرَيش وأبطالِهم في الجاهلية، مذكوراً بذلك فيهم، وكان شاعراً حَسَن الشعر، حُفظ عنه منه الكثير في مشاهدَ شتَّى.

وكان من رجال قريش رأياً، ودَهَاءً، وحَزْماً، وكفاءةً، وبَصراً بالحروب، ومن أشرافِ ملوك العرب، ومن أعيان المهاجرين، والله يغفرُ له ويعفو عنه، ولولا حُبُّه للدنيا ودخولُه في أمور، لصَلُح للخلافة، فإن له سابقةً ليسَتْ لمعاوية. وقد تأمر على مثلِ أبي بكرٍ وعُمر، لبصَرِه بالأمور ودهائه.

[٧] عن راشد مولى حبيب، عن حبيب بن أوْس، قال: حدثني عَمرو بن العاص قال: لما انصرَفْنا من الخندق، جمعتُ رجالاً من قريش، فقلت: والله إن أمْرَ

محمدٍ يَعْلُو عُلُوّاً منكَراً، والله ما يقومُ له شيء ، وقد رأيتُ رأياً، قالوا: وما هو؟ قلتُ: أن نَلْحَقَ بالنجاشيّ على حاميتنا، فإنْ ظَفِر قومُنا، فنحنُ مَنْ قد عرفوا، نرجع إليهم، وإن يظهَرْ محمد، فنكونُ تحت يدي النجاشيّ أحبُّ إلينا من أن نكـونَ تحت يدي محمد. قالوا: أصبْتَ. قلت: فابتاعوا له هدايا، وكان من أعجبِ ما يُهدى إليه من أرضنا الأدَمُ، فجمعنا له أدَماً كثيراً، وقدِمْنَا عليه، فوافقنا عنده عَمْرَو بن أميَّة الضَّمْريّ قد بعَثه النبيُّ صلى الله عليه وسلم في أمر جعفر وأصحابه، فلما رأيتُه قلت: لعلِّي أقتُلُه. وأدخلت الهدايا، فقال: مرحباً وأهلاً بصديقي وعجب بالهدية. فقلتُ: أيها الملك! إني رأيتُ رسول محمدٍ عندك وهو رجلٌ قد وتَرَنا، وقتلَ أشرافَنا، فأعطنيهِ أضْربْ عنقه، فغضِبَ وضربَ أنفه ضربةً ظننتُ أنه قد كسره، فلو انشقَّتْ لي الأرضُ دخلت فيها وقلت: لو ظننتُ أنـك تكـرهُ هذا لم أسألْكه . فقـال: سألتني أنْ أُعـطيَكَ رسول رجلٍ يأتيه النامُوسُ[1] الذي كان يأتي موسى الأكبر تقتُله؟! فقلتُ: وإنَّ ذاكَ لكذلك؟ قال: نعم. والله إني لك ناصحٌ فاتَّبِعْهُ، فوالله ليظهرنَّ كما ظهرَ موسى وجنودُه، قلت: أيها الملك، فبايعني أنت له على الإسلام، فقال: نعم. فبسطَ يدَهُ، فبايعتُه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، على الإسلام، وخرجتُ على أصحابي وقد حال رأْيي، فقـالـوا: ما وراءك؟ فقلت: خير، فلمـا أمسيتُ، جلستُ على راحلتي، وانـطلقتُ، وتـركتُهم، فوالله إني لأهـوِي إذْ لقيتُ خالد بن الوليد، فقلت: إلى أينَ يا أبـا سُليمان؟ قال: أذهبُ والله أُسلم، إنه والله قد استقامَ الميسم، إنَّ الـرجـلَ لنَبيٌّ ما أشُـكُّ فيه. فقلت: وأنا والله، فقدِمْنا المدينةَ، فقلتُ: يا رسول الله، أبايعُكَ على أن يُغفَر لي ما تقدَّم من ذنبي، ولمْ أذكر ما تأخَّر فقال لي: «ياعمرو بايعْ فإن الإسلام يجُبُّ ما كان قبْلَهُ». [2]

---

(١) الناموس: جبريل عليه السلام، وكذا يسميه أهل الكتاب، وفي حديث ورقة لخديجة رضي الله عنهما، إن كان ما تقولين حقاً، فإنه ليأتيه الناموس الذي كان يأتي موسى عليه السلام.

(٢) رجاله ثقات خلا راشد مولى حبيب، فلم يوثقه غير ابن حبان وأخرجه من طريق ابن اسحاق بنحوه ابن =

[١] مشرح، سمعتُ عقبة، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أسلم الناسُ وآمن عَمرو بنُ العاص».

[٢] موسى بن علي، عن أبيه، سمع عمراً يقول: بعث إليّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال: «خُذْ عليك ثِيابَكَ وسِلاحَكَ، ثم ائتني» فأتيتُه وهو يتوضأ، فصعَّدَ فيَّ البَصَر، وصوَّبه، فقال: «إني أُريدُ أنْ أبعثَكَ على جيشٍ، فيسلِّمَكَ الله ويُغْنمك، وأرغبُ لك رغبةً صالحةً من المال» قلتُ: يا رسول الله! ما أسلمتُ من أجل المال، ولكني أسلمتُ رغبةً في الإسلام، ولِأنْ أكونَ مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم. قال يا عمرو: «نِعِمَّا بالمالِ الصَّالح للرَّجُلِ الصالح».

[٣] عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص، أن عَمراً كان على سَرِيَّةٍ فأصابهم بردٌ شديد لم يروا مثله، فخرج لصلاة الصبح، فقال: احتلمت البارحة، ولكني والله ما رأيتُ برداً مثل هذا، فغسل مغابِنَه(1) وتوضأ للصلاة، ثم صَلَّى بهم. فلما قدم على رسـول الله صلى الله عليه وسلم، سأل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابَهُ: «كيف وجَدْتُم عَمراً وصحابته»؟ فَأَثْنَوْا عليه خيراً، وقالوا: يا رسولَ الله، صلى بنا وهو جُنُبٌ، فأرسل إلى عمرو، فسأله، فأخبره بذلك وبالذي لقي من البـرد، وقـال: إن الله قال: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إن الله كانَ بِكُمْ رَحِيماً**﴾ [النساء: **٢٩**]. ولو اغتسلتُ مِتُّ. فضحكَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم.

ولما تُوفي النبيُّ صلى الله عليه وسلم كان عمرو على عُمان، فأتاه كتابُ أبي بكر بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[٤] وشهـد عمرو يوم اليرموك، وأبلى يومئذ بلاءً حسناً، وقيل: بعثه أبوعبيدة، فصالح أهلَ حلب وأنطاكية، وافتتح سائر قنسرين عَنْوةً.

= هشام في «السيرة»: ٢٧٦/٢، ٢٧٧، وأحمد في «المسند»: ١٩٨/٤، ١٩٩، وهو في تاريخ ابن عساكر، ومغازي الواقدي.

(١) المغابن: الأرفاغ وهو بواطن الأفخاذ عند الحوالب جمع مغبن من غبن الثوب: إذا ثناه وعطفه.

وقال خليفة: ولَّى عُمر عَمراً فلسطين والأردن، ثم كتب إليه عُمر، فسار إلى مصر، وافتتحها، وبعث عُمرُ الزُّبيرَ مدداً له.

وقال ابنُ لَهيعة: فتح عمرو بن العاص الإسكندريةَ سنة إحدى وعشرين، ثم انتقضوا في سنة خمس وعشرين.

[١] وقال خليفة: افتتح عمرو طرابلس الغرب سنة أربع وعشرين.

قال عمرو بنُ العاص: خرج جيشٌ من المسلمين أنا أميرهم حتى نزلنا الإسكندرية فقال عظيمٌ منهم: أخْرِجوا إليَّ رجلاً أُكلِّمه ويُكلِّمني. فقلت: لا يخرجُ إليه غيري، فخرجتُ معي ترجماني، ومعه ترجمان، حتى وُضِعَ لنا منبران فقال: ما أنتم؟ قلت: نحنُ العرب، ومن أهل الشوك والقرظ، ونحنُ أهل بيتِ الله، كُنَّا أضيقَ الناس أرضاً وشرَّهُ عيشاً، نأكل الميتةَ والدم ويُغير بعضُنا على بعض، كنا بشرِّ عيشٍ عاش به الناسُ، حتى خرج فينا رجلٌ ليس بأعظمِنا يومئذ شرفاً ولا أكثرنا مالاً، قال: أنا رسولُ الله إليكم يأمُرُنا بما لا نعرفُ، وينهانا عما كُنَّا عليه، فَشَنِفْنا له، وكذَّبْناه ورددْنا عليه، حتى خرج إليه قومٌ من غيرنا، فقالوا: نحن نُصدِّقُك ونقاتِلُ من قاتلك، فخرجَ إليهم، وخرجنا إليه، وقاتلناه، فظَهَرَ علينا، وقاتَلَ من يليه من العرب، فظَهَرَ عليهم، فلو تعلم ما ورائي من العرب ما أنتم فيه من العيش لم يبق أحدٌ إلاَّ جاءكم، فضحك، ثم قال: إن رسولكم قد صدق وقد جاءتنا رسلٌ بمثل ذلك، وكنا عليه حتى ظهرت فينا ملوكٌ، فعملوا فينا بأهوائهم، وتركوا أمرَ الأنبياء، فإن أنتم أخذتم بأمر نبيكم، لم يقاتلكم أحد إلا غلبتُمُوه، وإذا فعلتُم مثل الذي فعلنا، فتركتُم أمر نبيكم، لم تكونوا أكثر عدداً منا ولا أشدَّ منا قوَّة.

[٢] قال ابنُ عُيَيْنة: قال عمرو بنُ العاص: ليس العاقلُ مَنْ يعرفُ الخيرَ من الشرِّ، ولكن هو الذي يعرفُ خيرَ الشرَّين.

[١]عن عَوَانـةَ بنِ الحكم، قال: قال عمـرُو بنُ العـاص، عجبـاً لمن نزلَ به الموتُ، وعقلُه معه كيف لا يصفُه؟ فلما نزلَ به الموتُ، ذكَّره ابنُه بقوله، وقال: صِفْهُ. قال: يا بُنيَّ! الموت أجلُّ من أن يُوصف، ولكني سأصفُ لك، أجدني كأن جبـال رضْـوى على عُنُقي، وكأن في جوفي الشوك، وأجدني كأن نفَسِي يخرجُ من إبرة.

[٢]أبـو نوفـل بنُ أبي عقـرب قال: جزَع عمرو بن العاص عند الموت جَزَعاً شديداً، فقال ابنُه عبدالله: ما هذا الجزعُ، وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُدنيكَ ويستعملُك! قال: أيْ بُنَي! قد كان ذلك، وسأخبرك، إي والله ما أدري أحُبّاً كان أم تَألُّفاً، ولكن أشهد على رجلين أنه فارق الدنيا وهو يُحبُّهما ابن سُميَّة، وابن أُمِّ عبد فلما جَدَّ به، وضع يده موضع الأغلال من ذقنه، وقال اللهم أمرتَنا فتركنا، ونهيتَنا فركبنا، ولا يسعُنا إلا مغفرتك، فكانت تلك هجِّيراه حتى مات.

عاش بعد عمر عشرين عاماً. عُمُرُه بضعٌ وثمانون سنة.

[٣]وخلَّف أموالاً كثيرة، وعبيداً، وعقاراً، يقال: خلَّف من الذهب سبعين رقبة جمل مملوءة ذهباً.

١٢١ـ عبدالله بن عمرو بن العاص (ع) (١)

[٤] الإمام الحَبْر العابد، صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنُ صاحبه، أبومحمد.

[٥]وليس أبوه أكبرَ منه إلا بإحدى عشرة سنة أو نحوها.

وقد أسلم قبل أبيه فيما بلغنا، ويقال: كان اسمه العاص فلمَّا أسلم غيَّرهُ

(١) انظر السير: ٣/٧٩ ـ ٩٤.

النبيُّ صلى الله عليه وسلم بعبد الله.

[١] وله مناقب وفضائل ومقام راسخ في العلم والعمل، حملَ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم علماً جمّاً.

[٢] وكتب الكثير بإذن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وترخيصِهِ له في الكتابة بعد كراهيته للصحابة أن يكتبوا عنه سوىٰ القرآن وسوَّغ ذلك صلى الله عليه وسلم. ثم انعقد الإجماعُ بعد اختلاف الصحابة رضي الله عنهم على الجواز والاستحباب لتقييد العلم بالكتابة.

والظاهر أن النهيَ كان أولا لتَتَوفَّرَ هِمَمُهُم على القرآن وحده، ولِيَمْتازَ القرآنُ بالكتابة عما سواه من السُّنن النبوية، فيؤمَنُ اللَّبْسُ، فلما زال المحذورُ واللَّبْسُ، ووضَحَ أنَّ القرآن لا يشتبه بكلام الناس أُذِنَ في كتابة العلم، والله أعلم.

[٣] وقد روى عبدالله عن أهل الكتاب، وأدْمَنَ النظرَ في كتبهم واعتنىٰ بذلك.

عن العُرْبان بنِ الهيثم، قال: وفدتُ مع أبي إلى يزيد، فجاء رجلٌ طُوالٌ، أحمر عظيم البطن، فجلس، فقلتُ: من هذا؟ قيل: عبدُالله بنُ عمرو.

[٤] عن عبدالله بن عمرو، قال: جمعتُ القرآن، فقرأتُه كلَّه في ليلة، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم «اقرأْهُ في شهر». قلتُ: يا رسول الله، دعني أستمتع من قُوَّتي وشبابي، قال: «اقرأه في عشرين» قلتُ: دعني أستمتع، قال: «اقرأه في سبع ليال». قلت: دعني يارسول الله أستمتع. قال: فأبى.

وصحَّ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نازله إلى ثلاثِ ليالٍ، ونهاهُ أن يقرأَهُ في أقلَّ من ثلاثٍ وهذا كان في الذي نَزَلَ من القرآن، ثم بعدَ هذا القول نزل ما بقي من القرآن. فأقلُّ مراتب النهي أن تُكْرَهَ تلاوةُ القرآن كُلِّه في أقلَّ من ثلاث، فما فقه ولا تَدَبَّر من تلىٰ في أقلَّ من ذلك، ولو تَلا ورتَّلَ في أسبوعٍ، ولازم ذلك، لكان عملاً فاضلاً، فالدين يُسْر، فوالله إن ترتيلَ سُبع القرآن في

تهجد قيام الليل مع المحافظة على النوافل الراتبة، والضحى، وتحية المسجد، مع الأذكارِ المأثورة الثابتة والقول عند النوم واليقظة، ودُبُرَ المكتوبة والسحر، مع النَّظَر في العلم النافع والاشتغالِ به مُخلصاً لله، مع الأمر بالمعروف، وإرشادِ الجـاهلِ وتفهيمِه، وزجرِ الفاسق، ونحوِ ذلك، مع أداءِ الفرائض في جماعةٍ بخشوع وطمأنينة وانكسارٍ وإيمان، مع أداء الواجب، واجتنابِ الكبائر، وكثرةِ الـدعـاءِ والاستغفـار، والصدقةِ وصلةِ الرحم والتواضع والإخلاصِ في جميع ذلك، لَشُغْلٌ عظيمٌ جسيم، ولَمَقامُ أصحابِ اليمين وأولياءِ الله المتقين، فإنَّ سائر ذلك مطلوب. فمتىٰ تَشَاغَلَ العابدُ بختمةٍ في كُلِّ يوم، فقد خالف الحنيفيَّة السمحةَ، ولم ينهضْ بأكثر ما ذكرناه ولا تدبَّر ما يتلوه.

هذا السيدُ العابدُ الصاحبُ كان يقول لما شاخَ: ليتني قبلتُ رُخصةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك قال عليه السلام في الصوم، وما زالَ يناقِصُه حتى قال له: «صُمْ يوماً وأفْطِرْ يوماً، صَوْمَ أخي داود عليه السلام».

وكلُّ من لم يَزُمَّ نَفْسَه في تعبُّده وأوراده بالسُّنَّة النبوية، يندمُ ويترَّهبُ ويسوءُ مزاجُهُ، ويفوتُه خيرٌ كثيرٌ من متابعة سُنَّة نبيِّه الرؤوف الرحيم بالمؤمنين، الحريص على نفعهم، وما زال صلى الله عليه وسلم مُعلِّماً للأمة أفضل الأعمال، وآمراً بهجـر التَّبتُّل والرهبانية التى لم يُبْعث بها، فنهى عن سرد الصوم، ونهى عن الوصال، وعن قيام أكثر الليل إلا في العشر الأخير، ونهى عن العُزبة للمستطيع، ونهىٰ عن ترك اللحم إلى غير ذلك من الأوامر والنَّواهي. فالعابدُ بلا معرفةٍ لكثير من ذلك معذور مأجور والعابدُ العالم بالآثار المحمدية، المتجاوز لها مفضولٌ مغرورٌ، وأحبُّ الأعمالِ إلى الله تعالى أدومُها وإن قلَّ. ألهمنا الله وإيّاكُم حُسْنَ المتابعة، وجنَّبنا الهوى والمخالفة.

[١]عن وهب بن مُنَبِّه، عن أخيه همَّام، سمع أبا هريرة يقولُ: لم يكنْ أحد من أصحابِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم أكثَرَ حديثاً مني إلَّا ما كان من عبدِاللهِ

ابنِ عمرو، فإنه كان يكتبُ ولا أكتب.

[١] عن أبي عبدالرحمن الحُبُلي، سمعتُ عبدَالله بن عمرو يقولُ: لأن أكونَ عاشر عشرة مساكين يومَ القيامة، أحبُّ إليَّ من أن أكون عاشرَ عشرةٍ أغنياء، فإنَّ الأكثرين هم الأقلون يومَ القيامة، إلا مَنْ قال هكذا وهكذا، يقول: يتصدَّقُ يميناً وشمالاً.

[٢] عن عبدالله بن عمرو قال: زوَّجني أبي امرأةً من قُريش، فلما دخلتْ عليَّ، جعلتُ لا أنحاشُ لها مما بي من القُوَّة على العبادةِ، فجاء أبي إلى كِنَّته، فقال: كيفَ وجَدْتِ بعلكِ؟ قالت: خير رجلٍ من رجلٍ لم يُفتِّش لها كنفاً، ولم يَقْرَبْ لها فراشاً، قال: فأقبل عَلَيَّ، وعضَّني بلسانه، ثم قال: أنكحتُكَ امرأةً ذاتَ حَسَبٍ، فَعَضَلْتَها وفعلت، ثم انطلقَ، فشكاني إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فطلبني، فأتيتُه، فقال لي: «أتصومُ النَّهارَ وتقومُ الليل»؟ قلت: نعم، قال: «لكني أصُومُ وأُفطِرُ، وأُصَلِّي وأنام، وأمسُّ النِّساء، فمن رَغِبَ عن سُنَّتي فليس منِّي». (١)

[٣] قلت: ورث عبدالله من أبيه قناطيرَ مقنطرةً من الذهب المصري فكان من ملوك الصحابة.

[٤] قال أبوعبيد: كان على ميمنة جيش مُعاوية يوم صِفِّين.

عن حَنْظَلة بن خُوَيلد العنْبَري، قال: بينما أنا عند معاوية إذْ جاءه رجُلان يَختصمان في رأس عمار رضي الله عنه، فقال كلُّ واحد منهما: أنا قتلتُه. فقال عبدُالله بنُ عمرو: لِيطِبْ به أحدُكما نفساً لصاحبه، فإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تقتلُه الفئة الباغية» فقال معاويةُ: يا عمرو! ألا تُغْني عنا مجنونك، فما بالُك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله صلى

(١) الكنة: زوج الولد، وقولها: «لم يفتش لها كنفاً»: الكنف: الجانب أرادت أنه لم يقربها.

الله عليه وسلم فقال: «أطع أباك ما دام حيّاً» فأنا معكم، ولست أقاتِل.

تُوفِّيَ عبدُالله بن عمرو بمصر، ودُفن بداره الصغيرة سنة خمسٍ وستين.

١٢٢- جُبَيْر بن مُطْعِـم (ع)[1]

[١] ابن عدي. شيخُ قريش في زمانه أبومحمد، القرشي النوفلي، ابن عمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[٢] من الطُّلَقَاء الذين حَسُنَ إسلامُهم، وقد قدم المدينة في فداء الأُسارى من قومه. وكان موصوفاً بالحلم، ونُبلِ الرأي كأبيه.

وكان أبوه هو الذي قام في نقض صحيفة القطيعة. وكان يَحنُو على أهل الشِّعب، ويَصِلُهم في السرّ، ولذلك يقولُ النبي صلى الله عليه وسلم يومَ بدر «لو كان المُطْعِمُ بن عديٍّ حياً، وكلَّمني في هؤلاء النَّتْنَى، لتركتُهم له» وهو الذي أجار النبي صلى الله عليه وسلم حين رَجَع من الطائف حتى طاف بعُمْرة.

[٣] ابن إسحاق: حدثنا عبدالله بنُ أبي بكر وغيره، قالوا: أعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المؤلَّفةَ قلوبُهم. فأعطى جُبَير بن مُطْعم مئة من الإبل.

[٤] قال مُصعبُ بنُ عبدالله: كان جُبَير من حُلَماء قريش وسادتهم وكان يُؤخَذُ عنه النسب.

عدّ خليفةُ جُبَيراً في عمال عُمر على الكوفة، وأنه ولاّه قبل المُغيرة بن شعبة.

وكان جُبَير أنسبَ العرب للعرب، وكان يقولُ: إنما أخذتُ النسب من أبي بكر الصديق، وكان أبوبكر أنسبَ العرب.

مات أبوهُ المُطْعِم بمكة قبل بدرٍ، وله نيف وتسعون سنة، فرثاه حسانُ بنُ ثابت فيما قيل: فقال:

---

(١) انظر السير: ٣/٩٥ - ٩٩.

فلو كانَ مَجْـدٌ يُخْلِدُ اليومَ واحـداً من الناس أنجى مجدُه اليوم مُطعِما
أجـرتَ رسـولَ الله منهم فأصبحـوا عبِـيدَكَ ما لبّـى مُلَبٌ وأحْـرَمـا

[١] قال محمد بن عمَرو: عن أبي سلمة: أن جُبير بن مُطْعِم تزوَّجَ امرأةً، فسمّى لها صَدَاقها، ثم طَلَّقها قبل الدخول، فتلا هذه الآية: ﴿**إلَّا أنْ يَعْفُونَ أو يَعْفُوَ الذِّي بيَدِهِ عُقدَةُ النِّكاح**﴾ [البقرة: ٢٣٧]. فقال: أنا أحقُّ بالعفو منها. فسلَّمَ إليها الصَّدَاق كاملاً.

توفي جُبَير بنُ مُطْعِم سنةَ تسعٍ وخمسين.

١٢٣- عَقِيلُ بنُ أبي طالب الهاشمي (س، ق) (١)

[٢] ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبويزيد، وأبوعيسى.

وكان أسنَّ من أخيه عليٍّ بعشرين سنة، ومن أخيه جعفر الطَّيَّار بعشر سنين.

[٣] هاجر في مدة الهدنة، وشهد غزوة مُؤْتة.

[٤] وعُمِّر بعد أخيه الإمام عليّ. ثم وفد على معاوية، وكان بسَّاماً مزَّاحاً، علَّامةً بالنسب وأيام العرب. شهدَ بدراً مع قومه مُكْرَهاً، فأسِرَ يومئذ وكان لا مالَ له، ففداه عمُّه العبَّاس.

[٥] وقد مرض مُدَّةً، فلم نَسمع له بذكر في المغازي بعد مُؤْتة، وأطعمه النبيُّ صلى الله عليه وسلم بخيبر كل عام مئة وأربعين وسقاً.

[٦] قال حُمَيد بنُ هلال: سأل عَقيلٌ عليّاً، وشكى حاجتـه، قال: اصبر حتى يخرج عطائي، فألحّ عليه فقال: انطلق فخذ ما في حوانيت الناس. قال: تريد أن تتخذني سارقاً؟ قال: وأنت تريد أن تتخذني سارقاً وأعطيك أموال الناس؟

---

(١) انظر السير: ٣/٩٩ ـ ١٠٠.

فقال: لآتينّ معاوية. قال: أنت وذاك. فسار إلى معاوية فأعطاه مئة ألف وقال: اصعد المنبر فاذكر ما أولاك عليٌّ وما أوليتك، فصعد وقال: يا أيها الناس! إني أردت عليّاً على دينـه، فاختار دينه عليَّ، وأردت معاوية على دينه، فاختارني على دينه. فقالَ معاويةُ: هذا الذي تزعم قريشٌ أنّه أحمق.

[١] وقيل إن معـاوية قال لهم: هذا عقيل وعمُّـه أبو لهب، فقال: هذا معاويةُ وعمته حمّالةُ الحطب.

١٢٤- قيس بن ســعد (ع) [١]

[٢] ابن عُبَـادة، الأميرُ المجـاهـدُ، أبوعبدالله، سيدُ الخزرج وابنُ سيِّدهم أبي ثابت، الأنصاريُّ الخزرجيّ الساعديُّ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنُ صاحبه.

[٣] وقال عمرو بنُ دينار: كان قيسُ بنُ سعدٍ رجلاً ضخماً، جسيماً صغير الرأس، ليست له لِحْيةٌ، إذا ركبَ حماراً، خَطَّتْ رِجْلاهُ الأرض، فقدم مكةَ، فقال قائل: مَنْ يشتري لحم الجزور، يُعرِّضُ بقيسٍ أنه لا يأكُلُ لحم الجَزُور.

[٤] وقال الواقديُّ: حدّثنا داود بن قيس، ومالك، وطائفة، قالوا: بعثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة في سَريّةٍ فيها المهاجرون والأنصار، وهم ثلاث مئة، إلى ساحل البحر إلى حيٍّ من جُهَينة، فأصابهم جوعٌ شديد. فأمَرَ أبوعبيدة بالزاد، فجُمع، حتى كانوا يَقْتَسمون التمرةَ، فقال قيسُ بنُ سعد: مَنْ يشتري مني تمراً بجزُرٍ، يوفيني الجُزُرَ ها هنا وأوفيه التمر بالمدينة فجعل عمرُ يقول: يا عجباً لهذا الغلام يدينُ في مال غيره، فوجد رجلاً من جُهينة، فَسَاومه، فقال:

(١) انظر السير: ٣/١٠٢ - ١١٢.

ما أعرفَك! قال: أنا قيسُ بنُ سعد بن عُبادة بن دُليم. فقال: ما أعرفني بنسبك أمَا إنَّ بيني وبين سعد خلَّة. سيد أهل يثرب فابتاع منه خمس جزائر، كل جزور بوسق من تمر، وأشهد له نفراً، فقال عمر: لا أشهدُ، هذا يدين ولا مال له، إنما المال لأبيه فقال الجُهنيُّ: والله ما كان سعد ليُخْنِيَ بابنه في شقةٍ من تمر وأرى وجهاً حسناً، فنحرَها لهم في ثلاثة مواطن. فلما كان في اليوم الرابع، نهاه أميره، وقال تريدُ أن تخرب ذِمَّتَك ولا مالَ لك.(١)

قال:(٢) فحدثني محمدُ بنُ يحيى بن سهل، عن أبيه عن رافع بن خدِيج قال: بلغَ سعداً ما أصاب القوم من المجاعة، فقال: إن يكُ قيسٌ كما أعرف، فسوف ينحَرُ للقوم، فلما قدم، قصَّ على أبيه، وكيف منعوهُ آخر شيء من النحر، فكتب له أربع حوائط(٣) أدنى(٤) حائط منها يجدُّ خمسين وسقاً، فقيل: إن النبي صلى الله عليه وسلم لمّا بلغه، قال: «أمَا إنه في بيتِ جُود».

أبو عاصم: حدّثنا جُوَيريه، قال: كان قيسٌ يستدين، ويُطعمُ فقال أبوبكر وعمر: إن تركْنا هذا الفتى، أهلكَ مالَ أبيه، فمشَيَا في الناس، فقام سعد عند النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يَعْذِرُني من ابن أبي قُحافة وابن الخطّاب، يُبِّخلان عليَّ ابني.

[١]وقيل: وقفتْ على قيس عجوزٌ، فقالتْ: أشكو إليك قِلَّة الجرذان فقال: ما أحسنَ هذه الكناية، املؤوا بيتَها خُبزاً ولحماً وسمناً وتمراً.

[٢]وعن هشام بن عُروة، عن أبيه، قال: باع قيسُ بنُ سعد مالاً من معاويةَ بتسعين ألفاً، فأمَر من نادى في المدينة من أراد القرض فليأتِ. فأقرضَ أربعين

---

(١) وقوله: «ليُخْني» أي: يسلمه ويخفز ذمته، من أخنى عليه الدهر وقوله: «في شقة من تمر» أي: قطعة تشق منه.

(٢) أي الواقدي.

(٣) الحوائط: جمع حائط وهو البستان من النخيل إذا كان عليه حائط وهو الجدار.

(٤) ويجد: من الجداد وهو قطع الثمرة والمعنى: أقل بستان منها يعطي من الثمار خمسين وسقا.

ألفـاً، وأجازَ بالباقي، وكتب على مَنْ أقرضه. فمرض مرضاً قل عُوَّادُه، فقال لزوجتـه قُرَيْبَةَ أختِ الصديق: لم قَلَّ عُوَّادي؟ قالت: للدَّين، فأرسل إلى كُلِّ رَجُلٍ بصَكِّهِ، وقال: اللَّهُمَ ارزقني مالاً وفعالاً، فإنه لا تصلحُ الفعَالُ إلا بالمال.

[١]عن أبي صالح، أن سعداً قسم ماله بين ولده، وخرج إلى الشام فمات، وولد له ولد بعد، فجاء أبوبكر وعمر إلى ابنه قيس، فقالا: نرى أن تردَّ على هذا فقال: ما أنا بمغيِّرٍ شيئاً صنعه سعدٌ، ولكن نصيبي له.

[٢]عن مَعْبَـد بن خالد، قال: كان قيسُ بنُ سعد لا يزالُ هكذا رافعاً أُصبُعَه المسبحة، يعني: يدعو.

[٣] وجُود قيس يضربُ به المثل، وكذلك دهاؤه.

عن قيس بن سعد قال: لولا أني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «المَكْرُ والخَدِيعَةُ في النار» لكنتُ من أمكر هذه الأمة.

ابن عُيَيْنة: حدّثني عمرو قال: قال قيسٌ: لولا الإسلامُ، لمكرتُ مكراً لا تُطيقُه العرب.

عوف عن محمد قال: كان محمدُ بنُ أبي بكر، ومحمدُ بنُ أبي حُذَيفة بن عبتة من أشدِّهم على عُثمان، فأمّر عليٌّ قيسَ بنَ سعد على مصر، وكان حازماً فنُبِّئْتُ أنـه كان يقول: لولا أنَّ المكر فجور، لمكرتُ مَكْراً تضطربُ منه أهلُ الشـام بينهم. فكتبَ مُعاويةُ وعمرو إليه يدعوانه إلى مبايعتهما، فكتب إليهما كتاباً فيـه غلظ، فكتبا إليه بكتابٍ فيه عُنْفٌ، فكتب إليهما بكتابٍ فيه لين، فلما قَرآه، علما أنهما لا يدانِ لهما بمكره، فأذاعا بالشام أنه قد تابعنا، فبلغ ذلك عليّاً، فقال له أصحابهُ: أدركْ مصر فإن قيساً قد بايع مُعاوية، فبعثَ محمدَ بنَ أبي بكر، ومحمدَ بن أبي حُذَيفة إلى مصر، وأمَّر ابن أبي بكر. فلما قدما على قيس بنزعه، علم أن عليّاً قد خُدعَ فقال لمحمد: يا ابن أخي احذر، يعني أهل مصر، فإنه سيُسلمونكما، فتُقْتلان، فكان كما قال. تُوفي قيسُ في آخر خلافة معاوية.

١٢٥- فَضَالة بن عُبَيْد (م، ٤) (١)

[١] ابن نافِذ القاضي الفقيه، أبومحمد الأنصاريُّ الأوسيُّ، صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيعة الرضوان.

وَلِيَ الغزوَ لمعاويةَ، ثم وَلِيَ له قضاءَ دمشقَ، وكان ينوب عن معاوية في الإمرة إذا غاب.

[٢] وقال معاويةُ حين هلك فَضالة، وهو يحمل نعشه، لابنه عبدالله بن مُعاوية: تعالَ اعقبني، فإنكَ لن تحملَ مثله أبداً.

[٣] عن ابن جابر، حدثنا القاسمُ أبوعبدالرحمن، قال: غزونا مع فَضَالةَ بن عُبيد، ولم يغز فَضَالةُ في البر غيرها - فبينا نحن نسرع في السير، وهو أميرُ الجيش، وكانت الولاةُ إذ ذاك يسمعونَ ممن استرعاهم الله عليه، فقال قائل: أيُّها الأمير! إن الناس قد تَقَطَّعوا، قِفْ حتى يلحقوا بك. فوقف في مرج عليه قلعة، فإذا نحنُ برجل أحمر ذي شوارب فأتينا به فَضَالة، فقلنا: إنه هَبَط من الحصن بلا عهد، فسأله، فقال: إني البارحةَ أكلتُ الخنزير، وشربتُ الخمر، فأتاني في النوم رجلان، فغسلا بطني وجاءتني امرأتان، فقالتا: أسلم، فأنا مسلم، فما كانت كلمته أسرعَ من أن رُمينا بالزُّبَار(٢) فأصابه، فدَقَّ عُنُقَه، فقال فَضَالة: الله أكبر عَمِلَ قليلاً، وأُجِرَ كثيراً. فصلينا عليه، ثم دَفَنَّاه.

[٤] إبراهيم بن هشام الغساني: حدثني أبي، عن جدِّي، قال: وَقَعَتْ من رجل مئةُ دينار فنادى: مَنْ وجدها، فله عشرون دينارا، فأقبل الذي وجدها. فقال: هذا مالك، فأعطني الذي جَعَلْتَ لي. فقال: كان مالي عشرين ومئة دينار، فاختصما إلى فَضَالة، فقال لصاحِب المال: أليس كان مالك مئةً وعشرين ديناراً

(١) انظر السير: ٣/١١٣ - ١١٧.

(٢) الزبار: كأنها الحجارة من قولهم: زبر الرجل إذا رماه بالحجارة والزبر: الحجارة.

كما تذكُرُ؟ قال: بلى. وقال للآخر: أنت وجدتَ مئة؟ قال: نعم، قال: فاحبسها ولا تعطه، فليس هو بماله حتى يجيء صاحبُه.

[١] وعن فضالة، قال: لأنْ أعْلَم أنَّ الله تقبَّل مني مثقالَ حبَّة، أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها، لأنه تعالى يقول: ﴿إنما يَتَقَبَّلُ اللهُ من المتّقين﴾ [المائدة: ٢٧].

[٢] عن ابنِ مُحَيريز، سمع فضالة بن عُبيد وقلتُ له: أوصني، قال: خِصالٌ ينفعُكَ الله بهنَّ، إن استطعتَ أن تَعْرِف ولا تُعْرَف، فافعل، وان استطعت أن تسمع ولا تَكَلَّم، فافعل، وان استطعت أن تَجْلِسَ ولا يُجْلَسَ إليك، فافعل.

قد عُدَّ فَضَالة في كبار القراء.

[٣] عن فَضَالة بن عُبَيد قال: ثلاثٌ من الفواقر، إمامٌ ان أحسنت، لم يَشْكُر، وان أسأتَ، لم يَغْفِر، وجارٌ ان رأى حسنةً، دَفَنها، وان رأى سيئةً أفشاها، وزوجة ان حضرتَ، آذَتْك، وان غبتَ، خانَتْك في نفسها وفي مالك.

دفن فَضَالةُ بباب الصغير. مات سنة ثلاث وخمسين.

١٢٦- مُعَاوية بن أبي سفيان (ع) [١]

[٤] صخـر بن حرب بن أمية، أميرُ المؤمنين، ملكُ الإسلام، أبوعبدالرحمن، القرشيُّ الأمويُّ المكي.

وأمه هي هِند بنتُ عتبة بن ربيعة.

[٥] قيل: إنه أسلم قبل أبيه وقتَ عُمرة القضاء، وبقي يخافُ من اللحاق بالنبي صلى الله عليه وسلم من أبيه، ولكن ما ظهر إسلامه إلا يومَ الفتح.

[٦] حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم وكتب له مرَّاتٍ يسيرة.

(١) انظر السير: ٣/١١٩ - ١٦٢.

[١] روى سعيدُ بنُ عبدالعزيز: عن أبي عبد رب: رأيت معاويةَ يخضِبُ بالصُّفرة كأنَّ لحيتَه الذَّهب.

قلت: كان لائقاً في ذلك الزمان، واليوم لو فُعل، لاستُهْجِنَ.

[٢] قال أسلم مولى عمر: قدمَ علينا معاويةُ وهو أبَضُّ الناس وأجملُهم.

[٣] عن ابن عباس، قال: كنتُ ألعبُ مع الغلمان، فدعاني النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «ادعُ لي معاوية» وكان يكتب الوحي.

رواه أحمد في مسندهِ وزاد فيه الحاكم: حدّثنا علي بن حمشاد، حدّثنا هشام بن علي، حدّثنا موسى بن اسماعيل، حدّثنا أبو عوَانة قال: فدعوتُه، فقيل: إنه يأكل. فأتيتُ، فقلتُ: يا رسول الله هو يأكل. قال: «اذهب فادعه» فأتيتُه الثانية، فقيل: إنه يأكل فأتيتُ رسول الله فأخبرتُه، فقال لي في الثالثة: «لا أشبع الله بطنَه» قال: فما شَبِع بعدها.

وقد كان معاوية معدوداً من الأَكَلة.

[٤] عن العرباض، سمع النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو يدعو الى السحور في شهر رمضان: هَلُمَّ إلى الغداء المبارك، ثم سمعتُه يقول: «اللهم عَلِّم مُعاويةَ الكتاب، والحساب، وقِهِ العذاب».

وللحديث شاهد قوي.

[٥] ربيعةُ بن يزيد سمعتُ عبدالرحمن بنَ أبي عَميرة، سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول لمعاوية: «اللهم اجعله هَادياً، مهدياً، واهدِ بِهِ».

[٦] عن يونس بن مَيْسرة: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم استأذَنَ أبابكر وعُمر في أمر، فقالا: الله ورسولُهُ أعلم، فقال: «أشيرا عليَّ» ثم قال: «ادعوا معاوية» فقال: «أَحْضِروه أمركم، وأشهدُوه أمركم، فإنه قوي أمين».

[٧] عن جُبَير بن نُفَير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير ومعه جماعةٌ فذكروا الشام، فقال رجلٌ: كيف نستطيعُ الشامَ وفيه الروم؟. قال: ومعاويةُ في

القوم وبيده عصا، فضربَ بها كَتِفَ معاوية، وقال: «يكفيكم الله بهذا».

هذا مرسل قوي.

فهذه أحاديث مقاربة.

[١] وخلف معاويةَ خلقٌ كثير يُحبونه ويتَغالونَ فيه ويُفضِّلونَه، إمَّا قد ملكهم بالكرم والحلم والعطاء، وإما قد وُلدوا في الشام على حُبِّه، وتَرَبَّى أولادهم على ذلك، وفيهم جماعةٌ يسيرةٌ من الصحابة، وعددٌ كثيرٌ من التابعين والفُضَلاء، وحاربوا معه أهلَ العراق، ونشؤوا على النَّصْب، نعوذُ بالله من الهوى. كما قد نشأ جيش عليٍّ رضي الله عنه، ورعيَّته ـ إلا الخوارج منهم ـ على حُبِّه والقيامِ معه، وبُغض من بغى عليه والتبرِّي منهم، وغلا خلق منهم في التشيع. فبالله كيفَ يكونُ حالُ من نشأ في إقليم، لا يكاد يُشاهد فيه إلا غالياً في الحب، مُفرطاً في البغض، ومن أيْنَ يقعُ له الإنصافُ والاعتدال؟ فنحمد الله على العافية الذي أوجدنا في زمانٍ قد انمحص فيه الحقُّ، واتَّضَح من الطرفين، وعرفْنا مآخذَ كل واحدٍ من الطائفتين وتبصرنا، فعذرْنا، واستغفَرْنا، وأحببْنا باقتصاد، وترَّحمْنا على البُغاة بتأويلٍ سائغ في الجملة، أو بخطأٍ إن شاء الله مغفور، وقلنا كما علَّمنا الله ﴿ربَّنا اغفِرْ لَنَا ولإخْوانِنَا الذين سَبقُونا بالإيمان ولا تَجْعَلْ في قُلُوبِنَا غِلاًّ للَّذِينَ آمنوا﴾ [الحشر: ١٠] وترضَّينا أيضا عمن اعتزل الفريقين، كسعد بن أبي وقاص، وابن عُمر، ومحمد بنِ مسلمة، وسعيد بن زيد، وخلق. وتبرأنا من الخوارج المارقين الذين حاربوا عليّاً، وكفَّروا الفريقين، فالخوارج كلابُ النار، قد مَرَقُوا من الدين، ومع هذا فلا نقطع لهم بخلود النار، كما نقطع به لعبدة الأصنام والصلبان.

[٢] أحمد في «المسند»: حدّثنا رَوْح، حدّثنا أبو أمية عمرو بن يحيى بن سعيد، حدّثنا جدِّي: أنَّ معاوية أخذ الإداوة، وتبع بها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه إليه، وقال: «يا معاويةُ، إن وليتَ أمراً، فاتَّق الله واعْدِلْ» فما زلتُ

أظنُّ أني مبتلىً بعملٍ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابتُليت.

[١] قال خليفة: جَمَع عمرُ الشامَ كلَّها لمعاويةَ، وأقرَّه عثمان.

قلت: حسبُك بمن يُؤمِّره عمُرُ، ثم عثمان على إقليم ـ وهو ثغر ـ فيضبطُه، ويقوم به أتمَّ قيام، ويُرضي الناسَ بسخائه وحلمه، وإن كان بعضهم تألَّم مرةً منه وكذلك فليكن الملك، وإن كان غيرُهُ من أصحاب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم خيراً منه بكثير وأفضلَ وأصلَحَ، فهذا الرجلُ ساد، وساسَ العالمَ بكمال عقله، وفرط حلمه، وسَعَةِ نفسه، وقوة دهائه، ورأيه وله هناتٌ وأمور، والله الموعد.

وكان مُحبَّباً إلى رَعيَّته. عمل نيابةَ الشام عشرين سنة، والخلافَةَ عشرين سنة، ولم يَهِجْهُ أحد في دولته، بل دانت له الأمم، وحَكَم على العرب والعجم، وكان ملكُه على الحرمين، ومصر، والشام، والعراق، وخراسان وفارس، والجزيرة، واليمن، والمغرب، وغير ذلك.

[٢] والمحفوظ أن الذي أفرد معاويةَ بالشام عثمانُ.

قال أحمدُ بنُ حنبل: فُتِحت قَيْساريَّةُ سنة تسع عشرة وأميرُها معاوية.

وقال يزيد بن عبَيدة: غزا معاويةُ قبرص سنة خمسٍ وعشرين.

[٣] عن أبي الدرداء. قال: ما رأيتُ أشبهَ صلاةٍ برسول الله صلى الله عليه وسلم من أميركم هذا، يعني معاوية.

[٤] وقال الواقديُّ: لما قُتِلَ عثمانُ، بعثتْ نائلة بنتُ الفَرافِصة امرأتُه إلى معاوية كتاباً بما جرىٰ، وبعثت بقميصه بالدم، فقرأ معاويةُ الكتابَ، وطيفَ بالقميص في أجناد الشام، وحرَّضهم على الطلب بدمه، وأجمع على المسير إلى صِفِّين، وقَصَدَ كلٌّ منهما الآخر، فالتقوا لسبع بقين من المحرم سنة سبع.

وفي أول صفر شبَّت الحرب وقُتِلَ خَلْقٌ، وضجِروا، فَرَفَعَ أهلُ الشام المصاحفَ، وقالوا: ندعوكم إلى كتاب الله والحكم بما فيه، وكان ذلك مكيدةً

من عمرو بن العاص، فاصطلحوا وكتبوا بينهم كتاباً على أن يُوافوا أذْرُح[1] ويُحكِّموا حكمين.

[١] قال: فلم يقع اتفاق، ورجع عليٌ إلى الكوفة بالدَّغل[2] من أصحابه والاختلاف. فخرج منهم الخوارجُ، وأنكروا تحكيمَه، وقالوا: لا حكم إلا لله، ورجع معاويةُ بالألفة والاجتماع، وبايعه أهلُ الشام بالخلافة في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين.

ثم استُشهد عليٌّ في رمضانَ سنة أربعين. وصالَحَ الحسنُ بنُ عليٍّ معاوية، وبايعه، وسُمِّي عامَ الجماعة. وحج بالناس سنة خمسين.

ثم اعتمر سنة ستٍ وخمسين في رجب، وكان بينه وبين الحُسين وابنِ عُمر، وابنِ الزُّبير، وابنِ أبي بكر، كلام في بيعة العهد ليزيد، ثم قال: إني متكلمٌ بكلام، فلا تردُّوا عليَّ أقْتُلْكُم، فخطب، وأظهر أنهم قد بايعوا، وسكتوا ولم ينكروا، ورحل على هذا، وادَّعى زياداً أنه أخوه فولاه الكوفة بعد المُغيرة، فكتب إليه في حُجْرِ بن عدي وأصحابه، وحملهم إليه فقتلهم بمرج عذراء. ثم ضم الكوفة والبصرة إلى زياد، فمات، فولّاهما ابنَه عُبيدَ اللهِ بنَ زياد.

[٢]قال الأوزاعي: سأل رجلٌ الحسنَ البصريَّ عن عليٍّ وعثمانَ، فقال: كانَتْ لهذا سابقة ولهذا سابقة، ولهذا قرابة ولهذا قرابة، وابتُلي هذا، وعُوفي هذا، فسأله عن عليٍّ ومعاوية، فقال: كان لهذا قرابة ولهذا قرابة ولهذا سابقة وليسَ لهذا سابقة، وابتُليا جميعاً.

[٣] قلت: قُتل بين الفريقين نحو من ستين ألفاً. وقيل: سبعون ألفاً وقتل عمارٌ مع عليٍّ، وتبَّين للناس قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم (تقتُلُه الفئة الباغية).

---

(١) أذرح: اسم بلد في أطراف الشام من نواحي البلقاء وعمان مجاورة لأرض الحجاز.

(٢) الدغل: الفساد.

[١]عن أنس قال: تعاهد ثلاثةٌ من أهل العراق على قتل مُعَاويةَ وعمرو بنِ العاص، وحبيب بن مسلمة، وأقبلوا بعد بيعة مُعاوية بالخلافة حتى قدموا إيلياء، فصلَّوْا من السحر في المسجد، فلما خرج معاوية لصلاة الفجر كبَّر، فلما سجد انبطحَ أحدُهم على ظهر الحرسي الساجد بينه وبين معاوية حتى طعن معاوية في مأكمته. فانصرف معاويةُ، وقال: أتمُّوا صلاتكم وأُمسك الرجلُ، فقال الطبيبُ: إن لم يكن الخنجرُ مسموماً، فلا بأس عليك فأعدَّ الطبيب عقاقيره، ثم لحسَ الخِنجرَ، فلم يجده مسموماً، فكبَّر، وكبَّر من عنده، وقيل: ليس بأمير المؤمنين بأس.

قلت: هذه المرة غيرُ المرة التى جُرح فيها وَقْتَما قُتِلَ عليٌّ رضي الله عنه، فإن تلك فلق أَليته وسُقي أدوية خلَّصته من السم، لكن قُطع نسْلُه.

عن يزيد بن الأصم قال: قال عليٌّ: قتلايَ وقتلىٰ مُعاوية في الجنة.

[٢]محمد بن عبيدالله الثقفي، سمع أبا صالح يقولُ: شهدتُ عليّاً وَضَعَ المصحفَ على رأسه، حتى سمعتُ تقعقُعَ الورق فقال: اللهم إني سألتُهم ما فيه، فمنعوني، اللهم إني قد مَلِلْتُهم وملُّوني، وأبغضتُهم وأبغضوني، وحملوني على غير أخلاقي، فأبدلهم بي شرّاً مني، وأبدلني بهم خيراً منهم، ومِثْ(١) قلوبهم مِيثةَ الملح في الماء.

[٣] وقال ابن شَوْذَب: سار الحسنُ يطلب الشام، وأقبل معاويةُ في أهل الشام، فالتقوا، فكَرِه الحسنُ القتال، وبايع مُعَاويةَ على أن جَعَلَ له العهدَ بالخلافة من بعده، فكان أصحابُ الحسن يقولون له: يا عارَ المؤمنين، فيقول: العارُ خير من النار.

قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحسن: «ان ابني هذا سَيِّدٌ وسيُصلحُ الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» ثم إن معاوية أجاب إلى الصلح، وسُرَّ

(١) يقال: مِثْتُ الملح في الماء: إذا أذبتُه.

بذلك ودخل هو والحسن الكوفة راكِبَيْن، وتسلَّم معاويةُ الخلافة في آخر ربيع الآخر وسُمِّي عامَ الجماعة لاجتماعهم على إمام، وهو عام أحد وأربعين.

[١] قال الزُّهري: عمل معاويةُ عامين ما يَخْرِمُ عَمَل عمر ثم إنه بَعُد.

[٢] عن القاسم بن محمد، أن مُعاوية لما قدم المدينة حاجّاً، دخلَ على عائشة، فلم يَشْهَدْ كلامهما إلا ذكوانُ مولاها، فقالتْ له: أَمِنْتَ أنْ أخبأ لك رجلاً يقتلُكُ بأخي محمد. قال: صدقتِ، ثم وعظَتْه، وحضَّته على الاتباع فلما خرج، اتكأ على ذكوان، وقال: والله ما سمعتُ خطيباً - ليس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم - أبلغَ من عائشة.

[٣] عن الشعبي، قال: لما قدم معاويةُ المدينة عامَ الجماعة تلقَّته قريش، فقالوا: الحمدُ لله الذي أعز نصرك وأعلى أمرك، فسكتَ حتى دخل المدينةَ، وعلا المنبر، فحمدَ الله، وقال: أما بعدُ، فإني والله وليتُ أمركم حين وَلِيتُه وأنا أعلمُ أنكم لا تُسرُّون بولايتي ولا تُحبُّونها، وإنى لعالمٌ بما في نفوسكم، ولكن خالستُكم بسيفي هذا مخالسةً، ولقد أردتُ نفسي على عمل أبي بكر وعمر، فلم أجدْها تقومُ بذلك، ووجدتُها عن عمل عمرَ أشدَّ نفوراً، وحاولتُها على مثل سُنَيَّات عثمان، فأبتْ عليَّ، وأين مثلُ هؤلاء، هيهاتَ أن يُدركَ فضلُهم، غير أني سلكتُ طريقاً لي فيه منفعة، ولكم فيه مثل ذلك، ولكلٍّ فيه مواكلة حسنة ومشاربة جميلة ما استقامت السيرة، فإن لم تجدوني خيركم فأنا خيرٌ لكم، والله لا أحملُ السيف على من لا سيفَ معه، ومهما تقدَّم مما قد علمتُموه، فقد جعلتُه دُبُر أذني، وإن لم تجدوني أقومُ بحقكم كله، فارضَوا ببعضه، فإنها ليست بقائبةٍ قُوبُها، وانَّ السَّيْل ان جاء تترى - وإن قلَّ - أغنى، وإياكم والفتنةَ، فلا تهمُّوا بها فإنها تُفسد المعيشة وتُكدِّر النعمة، وتُورث الاستئصال. وأستغفر الله لي ولكم. ثم نزل.

«القائبة»: البيضة، و «القُوب»: الفرخ، يقال: قابت البيضةَ: إذا انفلقت عن الفرخ.

[١] قال سعيدُ بنُ عبدالعزيز: لما قُتِلَ عثمانُ، ووقع الاختلاف، لم يكن للناس غزوٌ حتى اجتمعوا على معاوية، فأعزاهم مرّاتٍ، ثم أغزى ابنه في جماعةٍ من الصحابة براً وبحراً حتى أجاز بهم الخليج، وقاتلوا أهل القسطنطينية على بابها، ثم قفل.

[٢]عن ثابت مولى سفيان، سمعتُ معاوية، وهو يقول: إني لستُ بخيركم، وإن فيكم من هو خير مني: ابن عمر، وعبدالله بن عمرو وغيرهما. ولكني عسيتُ أن أكون أنكاكم في عدوِّكم، وأنعمكم لكم ولايةً وأحسنكم خُلقاً.

[٣]عن الزُّهري، حدّثني عُروةُ أن المِسْوَرَ بن مَخْرَمة أخبره أنه وفَد على معاوية فقضى حاجته، ثم خلا به، فقال: يا مِسْوَر! ما فعل طعنُك على الأئمة؟ قال: دعنا من هذا وأحسِن. قال: لا والله، لتكلمني بذات نفسك بالذي تعيبُ عَلَيّ. قال مِسْوَر: فلم أترك شيئاً أعيبُه عليه إلا بيَّنْتُ له. فقال: لا أبرأ من الذنب، فهل تَعُدُّ لنا يا مِسْوَرُ ما نَلي من الإصلاح في أمر العامَّةِ، فإن الحسنة بعشر أمثالها، أم تَعُدُّ الذنوبَ، وتترك الإحسان؟ قال: ما تذكر إلا الذنوب. قال مُعاويةُ: فإنا نعترف لله بكل ذنبٍ أذنَبْناه، فهل لك يا مسورُ ذنوبٌ في خاصتك تخشى أن تهلكك إن لم تُغفر؟ قال: نعم. قال: فما يجعلك الله برجاء المغفرة أحقَّ مني، فوالله ما ألي من الاصلاح أكثر مما تلي، ولكن والله لا أُخيَّر بين أمرين بين الله وبين غيره، إلاّ اخترتُ الله على ما سواه، واني لعلى دين يُقبل فيه العملُ ويجزى فيه بالحسنات، ويُجزىٰ فيه بالذنوب إلا أنْ يعْفو الله عنها، قال: فخصمني. قال عُروةُ: فلم أسمع المِسْوَر ذكر مُعاويةَ الا صلّى عليه.

[٤] عمرو بن واقد: حدّثنا يونس بن ميسرة: سمعتُ معاوية يقولُ على منبر

دمشق: تصدَّقوا ولا يَقُلْ أحدُكم: إني مُقلٌّ، فإن صدقة المقلِّ أفضلُ من صدقة الغنيِّ.

[١]عتبة بن محمد، أخبرني كُرَيب مولى ابن عباس: أنه رأى معاوية صلَّى العشاء، ثم أوتر بركعة واحدةٍ لم يزد، فأخبر ابنَ عباس، فقال: أصابَ. أي بنيّ! ليس أحد منا أعلمَ من مُعَاوية. هي واحدةٌ أو خمسٌ أو سبع أو أكثر.

[٢]عن هَمَّام بن مُنَبِّه، سمعتُ ابنَ عباسٍ يقول: ما رأيتُ رجُلًا كان أخْلَقَ للمُلْك من معاوية، كان الناسُ يَردون منه على أرجاءِ وادٍ رحب، لم يكن بالضَّيِّقِ الحَصِرِ العُصْعُص[١] المُتَغَضِّبِ، يعني ابنَ الزُّبير.

[٣]عن الشعبي: قال: أغلظَ رجل لمعاوية، فقال: أنهاك عن السلطان، فإن غَضَبَه غضبُ الصبيّ، وأخْذَهُ أَخْذُ الأسد.

[٤]الأصمعي: حدّثنا ابن عون قال: كان الرجلُ يقول لمعاويةَ: والله لتستقيمن بنا يا معاوية، أو لَنُقَوِّمَنّك، فيقول: بماذا؟ فيقولون: بالخُشُب[٢] فيقول: إذاً أستقيم.

[٥]عن ابن عباس، قال: علمتُ بما كان معاويةُ يَغلِبُ الناس، كان إذا طاروا وقع، وإذا وقعوا طار.

[٦]عن سعيد بن عبدالعزيز، قال: قضى معاويةُ عن عائشةَ ثمانية عشر ألف دينار.

وقال عُروةُ: بعثَ معاويةُ مرّةً إلى عائشةَ بمئة ألف، فوالله ما أمْسَت حتى فرَّقَتْها.

وعن ابن بُرَيدة، دخَلَ الحسنُ بنُ عليٍّ على مُعاوية، فقال: لأجزينك بجائزةٍ لم يُجزها أحد كان قبلي، فأعطاه أربع مئة ألف.

---

(١) في «اللسان» فلان ضيق العصعص، أي: نكد قليل الخير.

(٢) الخشُبُ جمع خشيب، وهو السيف الصقيل.

[١] عن قتادة، قال معاوية: واعجباً للحسن! شرب شربةً من عسل بماء رُومة، فقضى نحبه. ثم قال لابنِ عباس: لا يسؤوك الله ولا يُحزِنْك في الحسن. قال: أما ما أبقيْ الله لي أمير المؤمنين فلن يسوءَني الله ولن يُحزنني. قال: فأعطاه ألف ألف من بين عَروض وعين، قال: اقسمه في أهلك.

[٢] وروى العتبيُّ قال: قيلَ لمعـاويةَ: أسرعَ إليك الشَّيبُ، قال كيفَ لا، ولا أعْدَمُ رجلاً من العرب قائماً على رأسي يُلقح لي كلاماً يُلزِمُني جوابه فإن أصبْتُ لم أُحْمَد، وإن أخطأتُ سارت به البُرُد.

[٣] عن الشعبي، قال: أولُ من خطب جالساً معاويةُ حينَ سمن.

[٤] قال الزُّبير بنُ بَكَّار: كان مُعاويةُ أولَ من اتخذ الديوان للختم وأمر بالنيروز والمهرجان، واتخذ المقاصير في الجامع، وأولَ من قتل مسلماً صبراً،(١) وأولَ من قام على رأسه حرسٌ، وأولَ من قُيِّدت بين يديه الجنائب، وأولَ من اتخذ الخُدَّام الخصيان في الإسلام، وأولَ من بلَّغ درجاتِ المنبر خمس عشرة مرقاة، وكان يقولُ: أنا أولُ الملوك.

[٥] قلت: نعم، فقد روى سفينةُ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قال: «الخلافةُ بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً» فانقضت خلافةُ النبوة ثلاثين عاماً. وولي معاويةُ، فبالغ في التجمل والهيئة، وقلَّ أن بلغ سلطانٌ إلى رتبته وليتَهُ لم يعهد بالأمر إلى ابنه يزيد، وترك الأُمَّة من اختياره لهم.

[٦] ومعاويةُ من خيار الملوك الذين غَلب عدلهم على ظلمهم، وما هو ببريءٍ من الهَنات، والله يعفُو عنه.

[٧] عبد الأعلى بن مَيْمَون بن مِهران: عن أبيه، أن مُعاوية أوصى فقال: كنتُ أُوَضِّىء رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فنزع قميصه وكسانيه، فرفعتُه وخبأتُ قُلامة أظفاره، فإذا متُّ فألبسوني القميصَ على جلدي، واجعلوا القُلامة

(١) يريد حجر ابن عدي وأصحابه.

مسحوقة في عيني، فعسى الله أنْ يرحَمَني ببركتها.

[١]قال أبـوعمرو بنُ العلاء: لما احتضر معاوية، قيل له: ألا تُوصي؟ فقال: اللَّهُمَّ أقـلِ العثـرة، واعفُ عن الزلَّة، وتجاوزْ بحلمك عن جَهل منْ لم يرْجُ غيرك، فما وراءك مذهب. وقال:

هُوَ الموتُ لا مَنْجَى مِنَ الموتِ والذي ... نُحاذِرُ بَعْدَ الموتِ أدْهَى وأفْظَعُ

مات مُعاويةُ سنةَ ستين، وعاش سبعاً وسبعين سنة.

١٢٧- عَدِيُّ بن حاتِـم (ع) (١)

[٢] ابن عبدالله، الأميرُ الشريفُ، أبو وهب وأبو طريف الطائي، صاحبُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ولدُ حاتم طـيٍّ الذي يُضرب بجوده المثل.

[٣]وفَدَ عديٌّ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم في وسط سنة سبع، فأكرمه واحترمه.

[٤]وكان أحدَ من قطع بَرِّيَّة السَّماوة مع خالد بن الوليد إلى الشام وقد وجَّهه خالدٌ بالأخماس إلى الصِّدِّيق.

[٥]عن ابن سيرين، عن أبي عُبيدة بن حُذيفـة، قال: كنتُ أسألُ الناس عن حديث عديٍّ بن حاتم وهو إلى جنبي لا آتيه، ثم أتيتُهُ فسألتُه فقال: بُعِثَ النبي صلى الله عليه وسلم فكـرهتُـه، ثم كنتُ بأرض الروم، فقلتُ: لو أتيتُ هذا الرجلَ، فإن كان صادقاً تبعتُه، فلما قدمتُ المدينة، استشرفني الناسُ فقال لي: يا عديُّ! أسلمْ تسلمْ، قلتُ: إنَّ لي ديناً، قال: أنا أعلمُ بدينك منك، ألست ترأسُ قومك؟ قلتُ: بلى. قال ألستَ رَكوسيّاً(٢) تأكلُ المِرْباع؟(٣) قلتُ: بلى.

(١) انظر السير: ٣/١٦٢ - ١٦٥.

(٢) قال في (النهاية): الرَّكوسية: هو دين بين النصارى والصابئين.

(٣) كانوا في الجاهلية إذا غزا بعضهم بعضاً، وغنموا، أخذ الرئيس رُبع الغنيمة خالصاً دون أصحابه، ويُسمَّى ذلك الربع المرباع.

قال: فإن ذلك لا يَحِلُّ لك في دينك، فتَضَعْضَعْتُ لذلك. ثم قال: يا عدي! أسلِمْ تسلمْ. فأظنُّ ممَّا يمنعك أن تُسلمَ خصاصةٌ تراها بمن حولي، وأنك ترى النَّاسَ علينا إلْباً واحداً. هل أتَيتَ الحِيرة؟ قلتُ: لم آتها، وقد علمتُ مكانها. قال: توشـكُ الـظعينـةُ أن ترتحِـلَ من الحِيرة بغير جَوَارٍ حتى تطوفَ بالبيت، ولتُفْتَحنَّ علينـا كنوزُ كسرى. قلتُ: كسرى بن هُرْمُز! قال: كسرى بن هرمز، وليفيضنَّ المالُ حتى يُهِمَّ الرجل من يقبل منه ماله صدقة.

قال عديٌّ: فلقد رأيتُ اثنتين، وأحلفُ بالله لتجيئنَّ الثالثة، يعني: فيض المال.

[١]روى قيس بنُ أبي حازم، أن عديَّ بنَ حاتم جاء إلى عُمـرَ، فقـال: أمـا تعرفُني؟ قال: أعرفُك، أقمتَ[١] إذ كفروا، ووفَّيتَ إذ غدروا، وأقبلتَ إذ أدبروا.

[٢]عن عدي، قال: ما دخل وقتُ صلاةٍ حتى أشتاقَ إليها.

وعنه: ما أُقيمت الصلاةُ منذ أسلمتُ إلا وأنا على وضوء.

[٣]قال أبوعُبيدة: كان عديُّ بن حاتِم على طيء يوم صِفِّين مع عليّ.

قال أبوحاتم السِّجستاني: قالوا: عاش عديُّ بنُ حاتم مئةً وثمانين سنة.

[٤]عن مغيرة قال: خرج عديٌّ، وجـرير البَجَلي وحَنْظَلة الكاتب من الكوفة، فنزلوا قَرْقِيسياء، وقالوا: لا نُقيم ببلدٍ يُشْتَمُ فيه عثمان.

مات عديٌّ سنة سبع وستين.

١٢٨- زيد بن أرقـم (ع) [٢]

[٥]ابن زيد، أبو عمرو، الأنصاريُّ الخزرجيُّ، نزيلُ الكوفة من مشاهير الصحابة.

---

(١) أقمتَ: أي ثبتَّ على الإسلام ولم ترتد، فقد قدم على أبي بكر الصديق في وقت الردة بصدقة قومه.

(٢) انظر السير: ٣/١٦٥ - ١٦٨.

شهد غزوة مُؤْتة وغيرها.

[١]وعن عُرْوَةَ قال: ردَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نفراً يوم أُحد استصغرهم منهم: أسامةُ، وابنُ عمر، والبراء، وزيدُ بنُ أرقم، وزيدُ بن ثابت وجعلهم حرساً للذُّرِّيَّة.

[٢]قال زيدُ بنْ أرقم: رَمِدْتُ، فعادني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أرأيتَ يا زيدُ إنْ كانت عيناك لما بهما، كيف تصنعُ؟» قلتُ: أصبرُ وأَحتَسِبُ، قال: «إن فعلتَ دخلتَ الجنة» وفي لفظ: «إذاً تلقى الله ولا ذَنْبَ لك».

[٣]قال أبو المِنهال: سألتُ البراء عن الصَّرْف، فقال: سَلْ زيدَ بنَ أرقم، فإنه خير مني وأعلم.

[٤]عن زيد بن أرقم: كنتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم في غَزَاة، فسمعتُ عبدَالله بن أُبَيّ بن سلول يقول: لا تُنفقوا على مَنْ عند رسول الله حتى يَنْفضُّوا من عنده ولئن رَجَعْنا إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلّ، فحدَّثتُ به عمّي فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأخبَرهُ، فدعاني رسولُ الله، فأخبرتُه، فبعثَ إلى عبدالله بن أبيّ وأصحابه، فجاؤوا، فحلفوا بالله ما قالوا، فصَدَّقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذَّبني، فدخلني من ذلك همٌّ، وقال لي عمي: ما أردتَ إلى أنْ كذَّبـكَ رسول الله، ومقتك، فأنزل الله ﴿**إذا جاءك المنافقون**﴾. فدعاهم رسولُ الله فقرأها عليهم، ثم قال: «إن الله قد صدَّقك يا زيد».

توفي زيدُ بنُ أرقم سنةَ ستٍّ وستين.

١٢٩ ـ أبو سعيد الخُـدريُّ (ع) (١)

[٥]الإمام المجاهدُ، مفتي المدينة، سعدُ بن مالك بن سنان.

استشهِد أبوه مالك يومَ أحد، وشَهِدَ أبو سعيد الخندقَ، وبيعةَ الرضوان.

---

(١) انظر السير: ٣/١٦٨ ـ ١٧٢.

وحدَّث عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم فأكثر وأطاب، وكان أحدَ الفقهاء المجتهدين.

[١]وعن عبدالرحمن بن أبي سعيد، عن أبيه، قال: عُرِضْتُ يومَ أحد على النبيِّ صلى الله عليه وسلم وأنا ابنُ ثلاثَ عشرةَ، فجعل أبي يأْخُذُ بيدي ويقول: يا رسولَ الله! إنه عَبْلُ العِظام. وجعلَ نبيُّ الله يُصَعِّدُ فيَّ النظرَ، ويُصوِّبه، ثم قال: رُدَّه، فردَّني.

[٢]إسماعيل بن عيَّاش: أنْبأنا عَقِيلُ بن مُدْرِكَ، يرفعه إلى أبي سعيد الخُدري قال. عليك بتقوى الله فإنَّه رأْسُ كل شيء. وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليكَ بذكرِ الله وتلاوةِ القرآن، فإنه روحك في أهل السماء وذكرُك في أهل الأرض، وعليكَ بالصَّمْتِ إلا في حقّ، فإنّك تَغلِبُ الشيطان.(١)

[٣]دخل أبوسعيد يوم الحَرَّة غاراً، فدخلَ عليه فيه رجل، ثم خرج فقال لرجلٍ من أهل الشام: أدلُّكَ على رجل تقتُلُه؟ فلما انتهى الشاميُّ إلى باب الغار، وفي عنق أبي سعيد السيف، قال لأبي سعيد: اخرجْ، قال: لا أخرجُ وإنْ تدخّل أقتُلْكَ، فدخل الشاميُّ عليه، فوضع أبوسعيد السيف، وقال بُؤْ بإثمي وإثمك، وكُنْ من أصحاب النار. قال: أنت أبوسعيد الخُدري؟ قال: نعم. قال: فاستغفر لي، غَفَرَ الله لك.

[٤]عن عثمان بن عُبَيد الله بن أبي رافع، قال: رأيتُ أباسعيد يُحفي شاربه كأخي الحلق.(٢)

مات سنةَ أربع وسبعين.

---

(١) فيه انقطاع بين عقيل بن مدرك وأبي سعيد.

(٢) الإحفاء: المبالغة في القص.

١٣٠- جُنـــدُب (ع)[١]

[١]ابن عبدالله بن سفيان، الإمام أبوعبدالله البَجَلي العَلَقي صاحبُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

نزل الكوفةَ والبصرة.

[٢]عن يونس بن جُبَير، قال: شيعنا جُنْدُباً فقلتُ له: أوصِنا، قال: أُوصيكم بتقوى الله، وأوصيكم بالقرآن، فإنه نورٌ بالليلِ المظلم، وهُدى بالنهار، فاعملوا به على ما كان من جهد وفاقة، فإن عَرَضَ بلاءٌ، فقدِّم مالَكَ دون دينك، فإن تجاوز البلاءُ، فقدِّم مالَكَ ونفسَك دون دينك، فإن المخروبَ من خَرُبَ دينُه، والمسلوبَ من سُلِبَ دينُه، واعلم أنه لا فاقةَ بعد الجنة ولا غنىٰ بعد النار.

[٣]عن جُندب، قال: كنَّا غِلماناً حزاورةً[٢] مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلَّمنا الإيمانَ قبل أن نَتَعلَّمَ القُرآن، ثم تعلَّمْنَا القرآن، فازددْنا به إيماناً.

بقي إلى حدود سنة سبعين.

وهو غير:

١٣١ جُنـــدُب الأزدي (ت) [٣]

[٤] فذاك جنـدب بن عبـدالله، ويقـال: جُنـدُب بن كعب، أبوعبدالله الأزدي صاحبُ النبي صلى الله عليه وسلم.

[٥]قدم دمشق، ويقال له: جُندُب الخير، وهو الذي قَتل المُشَعْوذَ.

عن أبي عُثمان النهدي: أنَّ ساحراً كان يلعبُ عند الوليدِ بنِ عُقْبةَ الأميرِ،

---

(١) انظر السير: ٣/١٧٤ ـ ١٧٥.

(٢) الحزاورة: جمع حزورٍ وحزَوَّر: وهو الغلام إذا قارب البلوغ، والتاء لتأنيث الجمع.

(٣) انظر السير: ٣/١٧٥ ـ ١٧٧.

فكـان يأخُـذُ سيفه، فيذبحُ نفسه ولا يضرُّه، فقام جُندب إلى السيف فأخذه، فضرب عُنُقَه، ثم قرأ: ﴿أفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وأنتم تُبْصِرون﴾. [الأنبياء: ٣].

[١]عن جُندب الخير، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حدُّ الساحر ضربُه بالسيف.

[٢]عن أبي الأسود أن الوليد كان بالعراق، فلعب بين يديه ساحرٌ، فكان يضربُ رأس الـرجـل، ثم يصيحُ به، فيقـوم خارجاً، فيرتدُّ إليه رأسُه، فقال الناسُ: سبحانَ الله سبحانَ الله، ورآه رجل من صالحي المهاجرين، فلما كان من الغد اشتمل على سيفه، فذهبَ ليلعبَ، فاخترط الرجلُ سيفه، فضرب عُنُقَه، وقال: إن كان صادقاً، فليُحي نفسه، فسجَنَه الوليد، فهرَّبه السَّجَّان لصلاحه.

١٣٢ـ سَمُرة بن جُنْـدُب (ع) (١)

[٣]ابن هلال الفَزاري من عُلماء الصحابة، نزلَ البصرةَ.

[٤]مَعْمَر: عن ابن طاووس وغيره، قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم لأبي هُريرة وسَمُرة بن جُنْدُب، وآخر: «آخرُكُم موتاً في النار» فماتَ الرجلُ قبلهما، فكان إذا أراد الرجلُ أن يغيظ أبا هريرة، يقولُ: مات سمرة، فيُغشى عليه ويُصعق. فماتَ قبلَ سَمُرة.

وقَتَلَ سَمُرَةُ بشراً كثيراً.

عامـر بن أبي عامر، قال: كُنَّا في مجلس يُونس بن عُبَيد، فقالُوا: ما في الأرض بقعة نَشِفَتْ من الدم ما نَشِفَتْ هذه يعنون دار الإمارة، قتل بها سبعون ألفاً، فسألتُ يونس، فقال: نَعَمْ مِنْ بين قتيلٍ وقَطيع، قيل: مَنْ فَعَل ذلك؟ قال: زياد، وابنه، وسَمُرة.

(١) انظر السير: ٣/ ١٨٣ ـ ١٨٦.

[١]قال أبوبكر البيهقي: نرجو له بصحبته.

وعن ابن سيرين، قال: كان سَمُرةُ عظيمَ الأمانة، صَدُوقاً.

[٢]عن رجل، أنَّ سَمُرة استجمر، فَغَفِلَ عن نفسه، حتى احترق. فهذا إن صحَّ، فهو مرادُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم يعني نارَ الدنيا.

مات سَمُرةُ سنةَ ثمانٍ وخمسين.

ونقل ابنُ الأثير: أنه سقَطَ في قِدرٍ مملوءة ماءً حاراً، كان يتعالَجُ به من الباردة، فمات فيها.

وكان زيادُ بن أبيه يستخِلفُه على البصرة إذا سارَ إلى الكوفة ويستخِلفُه على الكوفة إذا سار إلى البصرة

[٣]وكان شديداً على الخوارج، قتلَ منهم جماعةً، وكان الحسنُ وابنُ سيرين يُثْنِيان عليه، رضي الله عنه.

١٣٣- جابر بن عبدالله (ع)(١)

[٤]ابن عمرو بنِ حرام، الإمام الكبيرُ المجتهدُ الحافظُ، صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو عبدالله، وأبوعبدالرحمن، الأنصاريُّ الخزرجيُّ السَّلَمِيُّ المدنيُّ الفقيه.

من أهل بيعة الرضوان، وكان آخِرَ من شهد ليلةَ العقبة الثانية موتاً.

روى علماً كثيراً عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

[٥]وكان مفتيَ المدينة في زمانه. عاشَ بعد ابنِ عمر أعواماً وتفرَّد، شهدَ ليلة العقبة مع والده. وكان والده من النُّقَباءِ البدريين، استُشهد يومَ أُحد وأحياه الله

(١) انظر السير: ٣/ ١٨٩ ـ ١٩٤.

تعالى، وكلَّمه كفاحاً،(١) وقد انكشف عنه قبره إذْ أجرى معاويةُ عيناً عند قبور شهداء أحد، فبادرَ جابر إلى أبيه بعد دهر، فوجده طَرِيّاً لم يَبْل. وكان جابر قد أطاع أباه يوم أُحُد وقَعَدَ لأجل إخوته، ثم شهد الخندق وبيعة الشجرة. وشاخَ وذهب بصرُه، وقارب التسعين.

عن جابر، قال: استغفرَ لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ البعير خمساً وعشرين مرة.(٢)

[١] ماتَ جابرُ بنُ عبدالله سنةَ ثمانٍ وسبعين وهو ابنُ أربعٍ وتسعين سنة.

ورُوي عن جابر، قال: كنتُ في جيشِ خالدٍ في حِصَارِ دمشق.

وقال جابرٌ: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الحُدَيْبية: «أنتم اليومَ خيرُ أهلِ الأرض» وكنا ألفاً وأربع مئة.

[٢] وقال جابر: عادني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأنا لا أعقِلُ، فَتَوضَّأَ وصَبَّ عليَّ من وَضُوئه، فَعَقَلْتُ.

[٣] يعلى بن عُبَيد: حدّثنا أبوبكر المدني قال: كان جابرٌ لا يبلغُ إزارُه كعبَه، وعليه عمامةٌ بيضاء، رأيتُه قد أرسلها مِن ورائه.

---

(١) أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول.

(٢) معنى قوله: «ليلة البعير» ما روي عن جابر من غير وجه: أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فباع بعيره من النبي صلى الله عليه وسلم، واشترط ظهره الى المدينة.

ومن بقايا صغار الصحابة

١٣٤ـ عبدالرحمن بن أبزى الخزاعي (ع) (١)

[١]له صحبةٌ ورواية، وفقه، وعلم.

[٢] وهو مولىٰ نافع بن عبدالحارث، كان نافعٌ مولاه استنابه على مكةَ حين تلقى عُمَرَ بنَ الخطاب إلى عُسفان، فقال له: من استخلفتَ على أهل الوادي؟ يعني مكة، قال: ابن أبزىٰ، قال: ومَن ابنُ أبزى؟ قال: إنه عالم بالفرائض. قارىءٌ لكتاب الله. قال أما إنَّ نبيكم صلى الله عليه وسلم قال «إن هذا القرآن يرفعُ الله به أقواماً، ويَضَعُ به آخرين».

ويُروى عن عمر بن الخطاب أنه قال: ابنُ أبزىٰ ممن رَفَعَه الله بالقرآن.

قلتُ: عاش إلى سنة نيف وسبعين فيما يظهر لي.

١٣٥ـ عبدُ الله بن عُمــر (ع) (٢)

[٣]ابن الخطاب، الإمام القدوةُ شيخ الإسلام أبوعبدالرحمن القرشيُّ العدويُّ المكي، ثم المدني.

أسلم وهو صغير، ثم هاجر مع أبيه لم يحتلم، واستُصْغِرَ يوم أُحُد فأول غَزَواته الخندق، وهو ممن بايع تَحْتَ الشَّجرة، وأُمُّه وأُمُّ أُمِّ المؤمنين حفصةَ، زينبُ بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون الجمحي.

(١) انظر السير: ٣/ ٢٠١ ـ ٢٠٢.

(٢) انظر السير: ٣/ ٢٠٣ ـ ٢٣٩.

[١]روى علماً كثيراً نافعاً عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

قدم الشام والعراق والبصرة وفارس غازياً.

[٢]عن نافع: أنَّ ابنَ عُمر كان يُصفرٌ لحيته.

عن زيد بن أسلم: انَّ ابن عُمر كان يُصفِّر حتى يملأ ثيابه منها، فقيل له: تصبغُ بالصفرة؟ فقالَ. إني رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يَصْبغُ بها.

شريك: عن محمد بن زيد، رأى ابنَ عُمر يُصفِّر لحيته بالخلُوق والزَّعفران.

[٣]عن نافع: كان ابنُ عمر يُعفي لحيته إلا في حجٍّ أو عمرة.

[٤] وقال ابنُ يُونُس: شهد ابنُ عمر فَتْحَ مصر، واختطَّ بها، وروى عنه أكثرُ من أربعين نفساً من أهلها.

[٥] قال أبـو إسحاق السبيعي: رأيتُ ابنَ عمر آدم، جسيماً، إزاره إلى نصف الساقين، يطوفُ.

[٦] وروى سالم، عن أبيه، قال: كانَ الرجلُ في حياةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى رؤيا، قصّها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنتُ غلاماً عَزَبَاً شابّاً فكنتُ أنام في المسجد، فرأيتُ كأن ملكين أتياني، فَذَهَبَا بي إلى النار. فإذا هي مَطْوِيَّةٌ كطيِّ البئر، ولها قُرُون كقرون البئر، فرأيتُ فيها ناساً قد عرفتُهم، فجعلتُ أقـول: أعـوذُ بالله من النـار، فلقيَنا ملَك فقال: لن تُراع. فذكرتُها لحفصة، فقصَّتْها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ الله لَوْ كان يُصَلِّي مِنَ اللَّيلِ». قال: فكان لا ينام من الليل إلا القليل.

[٧]قال ابنُ مسعود: إنَّ من أملك شبابِ قريش لنفسه عن الدنيا عبدَالله بنَ عُمر.

[٨]وعن عائشة: ما رأيتُ أحداً ألزمَ للأمر الأول من ابنِ عُمر.

[٩]وقال أبوإسحاق السَّبيعي: كنا نأتي ابنَ أبي ليلىٰ، وكانوا يجتمعون إليه فجاءه

أبو سلمةَ بنُ عبدالرحمن، فقال: أعُمرُ كان أفضلَ عندكم أم ابنُه؟ قالوا: بل عُمر، فقال: إنَّ عُمرَ كان في زمانٍ له فيه نُظَراء، وإنَّ ابنَ عُمر بقي في زمانٍ ليس له فيه نظير.

[١]وقال ابـنُ المسيِّب: لو شهدتُ لأحدٍ أنَّه من أهلِ الجنة لشَهِدتُ لابنِ عُمر.

وقال قتادةُ: سمعت ابن المسيِّب يقولُ: كان ابنُ عُمرَ يوم ماتَ خيرَ من بقي.

وبإسنادٍ وسط، عن ابنِ الحَنَفيّة: كان ابنُ عمر خيرَ هذه الأمة.

وقال ابنُ سيرين: كان نقشُ خاتم ابنِ عُمر (عبدالله بن عمر).

[٢]عن نافع، قال: لو نظرتَ إلى ابنِ عُمر إذا اتَّبَعَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لقُلتَ: هذا مجنون.

[٣]عن نافع: أنَّ ابنَ عُمرَ كان يتَّبع آثارَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كلَّ مكانٍ صلَّى فيه، حتى إن النبيَّ صلى الله عليه وسلم نزَلَ تحتَ شجرة، فكان ابنُ عُمر يتعاهدُ تلك الشجرةَ، فيصبُّ في أصلها الماءَ لكيلا تَيْبَس.

[٤]عن ابن عُمر، قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «لو تركْنا هذا البابَ للنساء» قال نافع: فلم يَدخُلْ منه ابنُ عمر حتى مات.

قال الشعبيُّ: جالستُ ابن عُمر سنةً، فما سمعتُه يُحدِّثُ عن النبيِّ صلّى الله عليه وسلم إلا حديثاً واحداً.

[٥]عن عبدالله بن عُبَيد بن عُمَير، عن أبيه: أنه تلا: **﴿فَكَيْفَ إذا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيد﴾** [النساء: ٤١] فجعلَ ابنُ عُمر يبكي حتى لِثقَت لحيتُه وجيبُه من دموعه، فأرادَ رجلٌ أن يقول لأبي: أقْصِرْ، فقد آذيتَ الشيخ.[١]

[٦]عن نافع: كان ابنُ عمر إذا قرأ **﴿أَلَمْ يَأْنِ للذين آمَنُوا أنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهم لذكر**

---

(١) أخرجه ابن سعد ١٦٢/٤ من طريق موسى بن مسعود بهذا الإسناد، وموسى بن مسعود ـ وهو أبوحذيفة النهدي ـ سيىء الحفظ، وباقي السند رجاله ثقات وقوله: (حتى لثقت لحيته) أي: ابتلّت، يقال: لثق الطائر: إذا ابتل ريشُه.

الله﴾ [الحديد: ١٦] بكى حتى يغلبَه البُكاءُ.

[١]قيل لنافع: ما كان يصنعُ ابنُ عُمر في منزله؟ قال: لا تطيقونَه: الوضوءُ لكلِّ صلاة، والمصحف فيما بينهما.

[٢]عن نافع: أن ابن عُمر كان إذا فاتته العشاءُ في جماعة، أحيى بقيَّةَ ليلتِه.

[٣]عمر بن محمد بن زيد، أخبرنا أبي: أنَّ ابنَ عُمر كان له مهراسٌ فيه ماءٌ، فيصلي فيه ما قُدِّر له، ثم يصيرُ إلى الفراش، فيُغفي إغفاءةَ الطائر، ثم يقومُ، فيتوضَّأ ويصلي، يفعلُ ذلك في الليل أربعَ مرات أو خمسة.(١)

[٤]وقال ابنُ شهاب، عن سالم: ما لعنَ ابن عمر خادماً له إلَّا مرة فأعتقه.

[٥]عن عبدالله بن دينار، قال: خرجتُ مع ابنِ عُمر إلى مكَّةَ فعرَّسنا، فانحدرَ علينا راعٍ من جبل، فقال له ابنُ عمر: أراعٍ؟ قال: نعم، قال: بعني شاةً من الغنم. قال: إني مملوكٌ، قال: قُلْ لسيِّدك: أَكَلَهَا الذئبُ. قال: فأينَ الله عز وجل؟ قال ابنُ عُمر: فأين الله!! ثم بكىٰ، ثم اشتراهُ بعد، فأعتقه.

وفي رواية ابن أبي روّاد، عن نافع، فأعتقه، واشترى له الغَنَم.

[٦]عمر بن محمد بن زيد، عن أبيه: أن ابنَ عُمر كاتب غُلاماً له بأربعين ألفاً، فخرج إلى الكوفة، فكان يعمل على حُمُرٍ لهُ، حتى أدَّى خمسةَ عشر ألفاً، فجاءه إنسان، فقال: أمجنون أنت؟ أنت ها هنا تُعذِّب نَفْسَك وابنُ عُمر يشتري الرقيقَ يميناً وشمالاً، ثم يُعتقهم، ارجعْ إليه، فقل: عَجزتُ. فجاءَ إليه بصحيفةٍ، فقال: يا أباعبدالرحمن! قد عجزتُ وهذه صحيفتي، فامحُها. فقال: لا، ولكن امحُها أنت إنْ شِئْتَ. فمحاها، ففاضت عينا عبدالله، وقال: اذهبْ فأنتَ حُرٌّ. قال: أصلحك الله، أحْسِنْ إلى ابنيَّ. قال: هما حُرَّان. قال: أصلحك الله، أحسن إلى أُمَّيْ وَلَدَيَّ. قال: هما حُرَّتان.

---

(١) المهراس: صخرة منقورة تسع كثيراً من الماء، وقد يعمل منها حياض للماء.

[١] عاصم بن محمد العمري: عن أبيه، قال: أعطى عبدُالله بنُ جعفر ابنَ عُمر بنافعٍ عشرة آلاف فدخل على صَفِيَّةَ امرأتِه، فحدَّثها، قالت فما تنتظرُ؟ قال: فهلاَّ ما هو خير من ذلك، هو حرٌّ لوجه الله، فكان يُخيَّلُ إليَّ أنه كان ينوي قول الله ﴿لَنْ تَنالُوا البِرَّ حتى تُنْفِقُوا مما تُحِبُّون﴾ [آل عمران: ٩٢].

[٢] عن نافع قال: إنْ كانَ ابنُ عُمر ليُفَرِّقُ في المجلس ثلاثين ألفاً، ثم يأتي عليه شهر ما يأكل مُزعة لحم.[١]

[٣] عن نافعٍ قال: ما ماتَ ابنُ عُمر حتى أعتقَ ألف إنسان، أو زاد.

[٤] عن نافعٍ، قال: بعثَ معاويةُ إلى ابنِ عُمر بمئة ألف، فما حال عليه الحولُ وعنده منها شيء.

[٥] عن حمزةَ بنِ عبدالله قال: لو أنَّ طعاماً كثيراً كان عندَ أبي ما شَبعَ منه بعد أن يجدَ له آكلاً، فعاده ابنُ مطيع، فرآه قد نَحَلَ جسمُه فكلَّمه، فقال: إنه ليأتي عليَّ ثمانُ سنين، ما أشبعُ فيها شبعةً واحدةً أو قال: إلَّا شبعة، فالآن تُريد أن أشبعَ حين لم يبقَ من عُمُري إلا ظِمءُ حمار.[٢]

[٦] عن نافع، قال: مرض ابنُ عمرُ، فاشتهى عِنَباً أولَ ما جاء، فأرسلت امرأتُه بدرهم، فاشترتْ به عنقوداً، فاتَّبع الرسولَ سائلٌ، فلما دخل، قال: السَّائل السَّائل، فقال ابنُ عمر: أعطوهُ إياه فأعطوه ثم بعثت بدرهم آخر قال: فاتبعه السائل. فلما دخل، قال: السّائل السّائل. فقال ابنُ عمر أعطُوه إياه، فأعطَوه، وأرسلت صِفَيَّةُ إلى السَّائل تقولُ: والله لئن عُدْتَ لا تُصيبُ مني خيراً، ثم أَرْسَلَتْ بدرهمٍ آخر، فاشترتْ به.

[٧] عن حُصين، قال ابنُ عُمر: إني لأَخْرُجُ ومالي حاجةٌ إلاّ أنْ أُسلِّم على الناس، ويُسلِّمون عليَّ.

---

(١) المزعة، بضم الميم: القطعة اليسيرة من اللحم.

(٢) أي: شيء يسير، وخص الحمار بذلك، لأنه أقل الدواب صبرا عن الماء.

[١] عن نافع، أن ابنَ عُمر كان يقبِضُ على لحيته، ويأخُذُ ما جاوز القبضة.(١)

[٢] عن نافع: كان ابنُ عُمر وابنُ عبَّاس يجلسان للناس عند مقدم الحاج فكُنْتُ أجلِسُ إلى هذا يوماً، وإلى هذا يوماً، فكان ابنُ عباس يُجيب ويُفتي في كل ما سُئِلَ عنه، وكان ابنُ عُمر يَرُدُّ أكثرَ مما يُفتي.

[٣] قال اللَّيْثُ بنُ سعد وغيرُه: كتبَ رجل إلى ابنِ عُمر أن اكتُبْ إليَّ بالعلم كله. فكتب إليه: إنَّ العلم كثير، ولكن ان استطعتَ أن تَلْقى الله خفيفَ الظهرِ من دماءِ الناسِ، خَمِيصَ البطنِ من أموالهم، كافَّ اللسان عن أعراضهم، لازماً لأمْرِ جَمَاعتهم، فافعل.

[٤] عن ابنِ سيرين، أن رجلاً قال لابن عُمر: أعملُ لك جوارش؟ قال: وما هو؟ قال: شيءٌ إذا كظَّك الطعامُ، فأصبتَ منه، سهَّل. فقال: ما شبعتُ منذُ أربعة أشهر، وما ذاك أنْ لا أكون له واجداً، ولكني عهدتُ قوماً يشبعون مرةً، ويجوعون مرةً.(٢)

[٥] عن مجاهدٍ، قال: قال ابنُ عُمر: لقد أُعطيتُ من الجماع شيئاً ما أعْلَمُ أحداً أُعطِيَهُ إلا أن يكونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[٦] عن ابن عمر، قال: إني لاظنُّ قُسِمَ لي منه ما لم يُقْسم لأحدٍ إلَّا للنبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: كان ابنُ عُمر يُفْطِرُ أوَّلَ شيء على الوَطْء.

[٧] عن ابن عُمر، قال: دخلتُ على حفصةَ ونَوْساتُها تَنْطُفُ فقلتُ: قد كانَ من الناس ما تَرَين، ولم يُجعل لي من الأمر شيءٌ، قالت: فالحق بهم فإنهم ينتظرونك، وإني أخشى أن يكون في احتباسك عنهم فُرقةٌ. فلم يَرعه حتى ذهب. قال: فلما تفرَّق الحكمان، خطب معاويةُ، فقال: من كان يُريد أن

---

(١) أخرجه ابن سعد: ١٧٨/٤ وأخرجه البخاري ٢٩٥/١٠، ٢٩٦ من طريق محمد بن منهال، عن يزيد بن زريع عن نافع بلفظ «وكان ابن عمر إذا حج أو اعتمر، قبض على لحيته فما فضل أخذه».

(٢) قوله: «إذا كظَّك الطعام» أي: إذا امتلأت منه وأثقلك.

يتكلَّم في هذا الأمر، فليُطلعْ إليَّ قرنه، فنحنُ أحقُّ بذلك منه ومن أبيه، يُعرِّضُ بابنِ عُمر.

[١٦] قال حبيبُ بنُ مسلمة: فهلَّا أجبتَه فِداكَ أبي وأمي؟ فقال ابنُ عُمر: حلَلْتُ حبْوتي، فهممتُ أن أقول: أحقُّ بذلك منك من قاتَلكَ وأباكَ على الإسلام فخشيتُ أن أقولَ كلمة تُفرِّق الجمع، ويُسْفَكُ فيها الدَّمُ، فذكرتُ ما أعدَّ الله في الجنان.(١)

عن مَيْمُونَ بنِ مِهران، قال: دَسَّ معاوية عَمْراً وهو يُريد أن يعلم ما في نفس ابنِ عُمر، فقال: يا أبا عبدالرحمن! ما يمنعُكَ أن تخْرجَ تُبايعك الناسُ، أنتَ صاحبُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وابنُ أميرِ المؤمنين وأنتَ أحقُّ الناس بهذا الأمر. فقال: قد اجتمعَ الناسُ كلهم على ما تقول؟ قال: نعم، إلا نفر يسير. قال: لو لم يبقَ إلا ثلاثةُ أعلاجٍ بهَجَر لم يكن لي فيها حاجةٌ. قال: فعلم أنه لا يريدُ القتال. فقال: هل لك أن تُبايعَ من كاد الناسُ أن يجتمعوا عليه ويكتب لك من الأرضين والأموال؟ فقال: أُفٍّ لك! اخرجْ من عندي، إن ديني ليس بديناركم، ولا درهمكم.

[٢] عن ابن عُمر، أنه قام إلى الحجَّاج، وهو يخطُبُ، فقال: يا عدو الله! استُحِلَّ حَرَمُ الله، وخُرِّب بيتُ الله. فقال: يا شيخاً قد خَرِف. فلما صدر الناسُ، أمر الحجَّاجُ بعض مُسوِّدته، فأخذ حربة مسمومةً، وضرب بها رجلَ ابن عُمر، فمرض، وماتَ منها. ودخل عليه الحجَّاج عائداً: فسلم فلم يردَّ عليه وكلَّمه، فلم يُجبه.

---

(١) أخرجه البخاري ٣٠٩/٧، ٣١١ في المغازي: باب غزوة الخندق، وعبدالرزاق في (المصنف) ٤٦٥/٥ وقوله: «ونوساتها تنطف»، أي: ذوائبها تقطر كأنها قد اغتسلت فسمّى الذوائب نوسات لأنها تتحرك كثيراً. وقوله: (فلما تفرق الحكمان) هي رواية عبدالرزاق، وفي البخاري (فلما تفرق الناس)، قال الحافظ: أي بعد أن اختلف الحكمان، وهما أبوموسى الأشعري وكان من قبل علي، وعمرو بن العاص، وكان من قبل معاوية، وجملة (يُعرض بابن عمر) هي في «المصنف»، ولم ترد عند البخاري.

[١]خالد بن سُمَيْر قال: خطب الحجّاج، فقال: إن ابنَ الزُّبير حرَّفَ كتابَ الله. فقال ابنُ عمر: كذبتَ كذبتَ، ما يستطيعُ ذلك ولا أنت معه قال: اسكتْ، فقد خرفتَ، وذهبَ عقلُك، يُوشك شيخٌ أن يُضرب عنقه، فَيخِرَّ قدِ انتفختْ خصيتاه ويطوفُ به صبيان البقيع.

ولابن عمر أقوال وفتاوى يطول الكتابُ بإيرادها.

وقال أبونعيم: ماتَ سنة ثلاثٍ وسبعين، توفي في آخر سنة ثلاث.

هو القائلُ: كنتُ يوم أُحُدٍ ابن أربع عشرة سنة، فعلىٰ هذا يكونُ عمرُه خمساً وثمانين سنة. رضي الله عنه وأرضاه.

[٢]عن قَزَعَة، قال: رأيتُ على ابن عمر ثياباً خَشنةً أو جَشبةً فقلتُ له: إني قد أتيتُكَ بثوب ليِّنٍ مما يُصنع بخراسان، وتقرّ عيناي أنْ أراه عليكَ قال: أرِنيه، فَلَمَسَه، وقال: أحرير هذا؟ قلت: لا، إنه من قُطْن. قال: إني أخاف أن ألبَسَه، أخافُ أكون مُختالاً فخوراً، والله لا يُحِبُ كُلَّ مُختالٍ فخور.(١)

قلتُ: كلُّ لباسٍ أوجد في المرء خُيَلاء وفخراً فتركه مُتَعيِّن ولو كان من غير ذهبٍ ولا حرير. فإنا نرى الشابَّ يلبَسُ الفَرَجية(٢) الصوف بفَرْوٍ من أثمان أربع مئة درهم ونحوها، والكِبْرُ والخُيَلاءُ على مشيته ظاهر، فإنْ نَصَحْتَه ولُمتَه برفقٍ كابَرَ، وقال: ما فيَّ خُيَلاء ولا فخرٌ. وهذا السيد ابنُ عمر يخافُ ذلك على نفسه. وكذلك ترى الفقيهَ المترف إذا لِيمَ في تفصيلِ فَرَجية تحت كعبيه، وقيل له: قد قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار»، يقول: إنما قال هذا فيمن جَرَّ إزاره خُيَلاء، وأنا لا أفعلُ خُيَلاء. فتراه يُكابرُ، ويُبَرِّىءُ نفسَه الحمقاء، ويعمَدُ إلى نصٍّ مُستَقِلٍّ عام فيخصُّهُ بحديث آخر مُستَقِلٍّ بمعنى الخُيلاء، ويَترخصُ بقول الصِّدِّيق: إنه يا رسولَ الله يسترخي

(١) الجشب من الثياب: الخشن الغليظ.

(٢) الفرجية: ثوب واسع طويل الأكمام، يتخذ من قطن أو حرير أو صوف.

إزاري، فقال: «لستَ يا أبابكر ممن يفعله خُيَلاء» فقلنا: أبوبكر رضي الله عنه لم يكن يُشدُّ إزاره مَسْدُولاً على كعبيه أولاً، بل كانَ يَشُدُّهُ فوق الكعب، ثم فيما بعد يسترخي. وقد قال عليه السلام: «إزْرَةُ المؤمن إلى أنصافِ ساقيه، لا جُناح عليه فيما بين ذلك وبين الكعبين» ومثلُ هذا في النهي لمن فَصَّلَ سراويل مُغَطِّياً لِكعابه. ومنه طولُ الأكمام زائداً، وتطويل العَذَبةِ. وكل هذا من خُيلاء كامنٍ في النفوسِ. وقد يُعذَرُ الواحدُ منهم بالجهل، والعالمُ لا عذر له في تركِهِ الإنكارَ على الجَهَلَة فإن خُلعَ على رئيس خلعةُ سِيَراء[1] من ذهبٍ وحريرٍ، وقُنْدُس، يُحرِّمُه ما ورد في النَّهي عن جلود السباع، ولبسها الشخص يسحبها ويختالُ فيها، ويخَطُرُ بيده ويغضبُ ممن لا يُهنِّيه بهذه المُحرَّمات، ولاسيما إن كانت خِلعةَ وزارةٍ وظلمٍ ونظر مَكس،[2] أو ولاية شرطة. فليتهيَّأْ للمقتِ وللعزلِ والإهانةِ والضربِ، وفي الآخرة أشد عذاباً وتنكيلاً. فرضيَ الله عن ابن عُمر وأبيه. وأين مثلُ ابن عُمر في دينه، وورعه وعلمه، وتألُّهِهِ وخوفه، من رجلٍ تُعْرَضُ عليه الخلافة، فيأباها، والقضاءُ من مثل عثمان، فيردُّه، ونيابةُ الشام لعليٍّ فيهربُ منه. فالله يَجتبي إليه من يشاء، ويهدي إليه من ينيب.

[١]عن نافعٍ أو غيره، أن رجلاً قال لابن عُمر: يا خيرَ الناسِ و ابنَ خيرِ الناسِ. فقال: ما أنا بِخيرِ الناس، ولا ابن خيرِ الناس، ولكني عبد من عبادِ الله، أرجو الله، وأخافُه، والله لن تزالوا بالرجل حتى تُهلِكُوه.

[٢]عن نافع، كان ابنُ عُمر يُزاحِمُ على الرُّكْنِ حتى يَرْعُفَ.

[٣]أبو الأسود، سمع عُروةَ يقول: خطبتُ إلى ابنِ عُمرَ ابنَتَه، ونحن في الطواف، فسكتَ ولم يُجبني بكلمةٍ، فقلت: لو رضي، لأجابني، والله لا أراجعه بكلمة. فقُدِّر له أنه صَدَر إلى المدينة قبلي، ثم قدمتُ فدخلتُ مسجد

---

(١) السيراء: نوع من البرود تتخذ من الحرير.

(٢) المكس: الضريبة التي يأخذها الماكس وهو العشّار.

الرسول صلى الله عليه وسلم فسلّمت عليه، وأديتُ إليه حقّه، فرحّبَ بي، وقال: متى قدمت؟ قلت: الآن، فقال: كنتَ ذكرتَ لي سَوْدَةَ ونحنُ في الطواف، نتخايلُ الله بين أعيُننا، وكنت قادراً أن تلقاني في غير ذلك الموطن. فقلتُ: كان أمراً قُدِّر. قال: فما رأيك اليوم؟ قلت: أحْرَصُ ما كنتُ عليه قطُّ. فدعا ابنيه سالماً وعبدالله، وزوَّجني.

[١]قال ابنُ حزم في كتاب (الإحكام) في الباب الثامن والعشرين: المكثرون من الفتيا من الصحابة، عُمر وابنُه عبدالله، عليّ، عائشةُ، ابنُ مسعود، ابنُ عباس، زيدُ بنُ ثابت، فهم سبعة فقط يُمكن أن يُجمعَ من فتيا كل واحد منهم سِفْرٌ ضخم. وقد جَمَعَ أبوبكر محمدُ بنُ موسى بن يعقوب بن أمير المؤمنين المأمون فُتيا ابنِ عباس في عشرين كتاباً. وأبوبكرٍ هذا أحدُ أئمة الإسلام.

[٢]عن أبي جعفر القارىء: خرجتُ مع ابنِ عُمر من مكة، وكان له جفنةٌ من ثريد يَجْتَمِعُ عليها بنوه، وأصحابُه، وكلُّ من جاء حتى يأكُلَ بعضُهم قائماً، ومعه بعير له، عليه مزادتان، فيهما نبيذ وماء، فكان لكلِّ رجل قدح من سويق بذلك النبيذ.(١)

(١) النبيذ: ما يعمل من الأشربة من التمر والزبيب.

ومن صغار الصحابة

١٣٦- الضَّحَّاكُ بنُ قيس (س)[١]

[١] ابن خالد، الأمير أبو أُمية، الفهري القرشي.

[٢] قال الزُّبيرُ بنُ بَكَّار: كان الضَّحَّاك بنُ قيس مع مُعاوية، فولاَّهُ الكوفَةَ، وهو الذي صلَّى على مُعاوية، وقام بخلافته حتى قَدِمَ يزيدُ، ثم بعده دعا إلى ابنِ الزُّبير، وبايعَ له، ثم دعا إلى نفسه.

[٣] وكان جواداً لبس برداً تساوي ثلاثة مئة دينار، فساومه رجل به فوهبه له، وقال: شُحٌّ بالمرء أنْ يبيع عطافه.

[٤] عن خالد بن يزيد، عن أبيه، وعن مَسْلَمَة بن مُحارب، عن حرب بن خالد وغيره، أنَّ معـاوية بن يزيد لما مات، دعا النُّعمانُ بنُ بشير بحمص إلى ابنِ الزبير، ودعا إليه بدمشق الضَّحَّاكُ سراً لمكان بني أُميَّة وبني كلب. ودعا زُفر بنُ الحارث أمير قنَّسرين إلى ابنِ الزُّبير، وبلغ حسانَ بن بحدل وهو بفلسطين وكان هواه في يد خالد بن يزيد. فكتب إلى الضَّحَّاك يُعظم حقَّ بني أمية، ويَذُمُّ ابنَ الزُّبير، وقال للرسول: إنْ قرأ الكتاب، وإلا فاقرأْه على الناس، وكتب إلى بني أمية. فلم يقـرأ الضَّحَّـاك كتابه، فكان في ذلك اختلاف، فسكَّتهم خالدُ بنُ يزيد، ودخل الضَّحَّاك داره أياماً، ثم صلَّى بالناس، وذكر يزيدَ فشتمه، فقام رجل من كلب فضربه بعصا فاقتتل الناس بالسيوف، ودخل الضَّحَّاك دار الإمارة فلم يخرج وتفرَّق النَّاسُ فَفِرْقَةٌ زبيريَّةٌ وأخرى بحدليَّةٌ، وفرقة لا يُبالون. ثم أرادوا أن يُبـايعـوا الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان، فأبى، ثم تُوفِّي. وطلب الضَّحَّاك مروان، فأتاه هو وعمه والأشدق، وخالد بن يزيد، وأخوه، فاعتذر إليهم، وقال:

---

(١) انظر السير: ٣/ ٢٤١ ـ ٢٤٥.

اكتبوا إلى ابن بحدل حتى ينزلَ الجابية، ونسير إليه، ويستخلف أحدكم، فقدم ابنُ بحـدل، وسار الضَّحَّاك وبنو أمية يريدون الجابية. فلما استقلت الرايات موجهة، قال معنُ بن ثور والقيسِيَّةُ للضَّحَّاك: دعوتَ إلى بيعة رجلٍ أحزم الناس رأياً وفضلاً وبأساً، فلما أجبناكَ. سرتَ إلى هذا الأعرابي تُبايع لابن أُخته! قال: فما العمل؟ قالوا: تصرفُ الراياتِ، وتنزلُ فتُظهِر البيعة لابن الزُّبير، ففعل، و تبعه الناس. فكتب ابنُ الزُّبير إليه بإمرة الشام، وطرد الأمويَّة من الحجاز.

وخافَ مروان، فسار إلى ابن الزُّبير ليبايع، فلقيه بأذرعات عبيدُ الله بنُ زياد مُقبلاً من العراق، فقال: أنتَ شيخُ بني عبد مناف، سبحان الله، أرضيتَ أن تُبايع أبا خُبيب ولأنت أولىٰ. قال: فما ترىٰ؟ قال: ادعُ إلى نفسك، وأنا أكفيك قُريشاً ومواليها. فرجع، ونزلَ بباب الفراديس[1] وبقي يركب إلى الضحاك كل يوم، فيُسلم عليه، ويرجع إلى منزله فطعنه رجلٌ بحربة في ظهره، وعليه درع، فأثبت الحربة، فردَّ إلى منزله، وعاده الضَّحَّاك، وأتاه بالرجل، فعفا عنه. ثم قال للضَّحَّاك: يا أبا أُنَيس! العجبُ لك وأنت شيخُ قريش، تدعو لابن الزُّبير، وأنت أرضىٰ منه! لأنك لم تزل متمسكاً بالطاعة، وهو ففارق الجماعة. فأصغىٰ إليه، ودعا إلى نفسه ثلاثة أيام، فقالوا: أخذتَ عهودَنا وبيعَتنا لرجل، ثم تدعو إلى خلعه من غير حدث! وأبَوْا فعاود الدعاءَ لابن الزُّبير، فأفسده ذلك عند الناس فقال له ابنُ زياد: من أراد ما تُريدُ لم ينزل المدائن والحصون، بل يبرزُ ويجمعُ إليه الخيل، فاخرج، وضُمَّ الأجناد، ففعل، ونزل المرج فانضم إلى مروان وابنِ زياد جمع.

وانضم إليهم عباد بنُ زياد في مواليه، وانضم إلى الضَّحَّاك زفر بنُ الحارث الكلابي أمير قِنَّسْرين، وشرحبيل بن ذي الكلاع، فصار في ثلاثين ألفاً، ومروان

(١) باب الفراديس: من أبواب دمشق القديمة، ويقال له اليوم: باب العمارة. ويقع في شمال الجامع الأموي.

في ثلاثة عشر ألفاً أكثرُهم رجَّالة، وقيل: لم يكن مع مروان سوى ثمانين فرساً، فالتقـوا بالمرج أياماً، فقال ابنُ زياد: لا تنال من هذا إلا بمكيدة، فادعُ إلى الموادعة، فإذا أمن، فكُرَّ عليهم.

فراسله فأمسكـوا عن الحرب. ثم شدَّ مروان بجمعه على الضَّحَّاك ونادى الناسُ: يا أبا أُنَيْس! أعجزاً بعد كيس؟ فقال الضَّحَّاك: نعم لعمري، والتحم الحربُ، وقُتل الضَّحَّاك، وصبرت قيس، ثم انهزموا، فنادىٰ منادي مروان: لا تَتْبَعوا مولِّياً.

قال الـواقدي: قُتلت قيسٌ بمرج راهط مَقْتَلةً لم تقتلها قط في نصف ذي الحِجة سنة أربع وستين.

وقيل: إن مروان لما أُتي برأس الضَّحَّاك، كره قَتْلَه، وقال: الآن حين كبِرتْ سني، واقتربَ أجلي، أقبلتُ بالكتائب أضربُ بعضها ببعض.

١٣٧- الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) (١)

[١] الإمام السيدُ، ريحانةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبطه، وسيدُ شبابِ أهل الجنة، أبو محمد القرشيُّ الهاشميُّ المدنيُّ الشهيد.

مولده في شعبان سنةَ ثلاثٍ من الهجرة.

[٢]عن أبي الحـوراء، قلتُ للحسن: ما تذكـرُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أذكرُ أني أخذتُ تمرةً من تمر الصدقة، فجعلتُها في فيَّ، فنزعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلعابها، فجعلها في التمر. فقيل: يا رسول الله! ومـا كان عليكَ من هذه التمرة لهذا الصبي؟ قال: «إنا آلَ محمد لا تحلُّ لنا الصـدقـة». قال: وكـان يقـول: «دَعْ ما يَريبُـك إلى مالا يَريبُك فإنَّ الصِّدقَ

(١) انظر السيرة: ٣/٢٤٥ ـ ٢٧٩.

طُمأنينة، والكذِبَ ريبة» وكان يُعلمنا هذا الدعاء «اللهم اهدني فيمن هديت... الحديث».

[١] عن عليٍّ، قال: لما ولد الحسنُ، جاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أروني ابني، ما سمَّيتُموه»؟ قلتُ: حرب. قال: «بل هو حسن.. وذكر الحديث».

[٢] عن عُبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه: أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم أذَّن في أُذُن الحسن بالصلاة حين ولد.

[٣] عن علي بن الحسين، عن أبي رافع، قال: لما ولدت فاطمةُ حسناً قالت: يارسول الله! ألا أعقُّ عن ابني بدمٍ؟ قال: «لا، ولكن احلقي رأسه، وتصدَّقي بوزن شعره فِضةً على المساكين» ففعلت.

[٤] عن عُقبة بن الحارث، قال: صلَّى بنا أبوبكر العصر، ثم قام وعليٌّ يمشيان، فرأى الحسنَ يلعبُ مع الغلمان، فأخذه أبوبكر، فحمله على عنقه، وقال:

بأبي شبيه النبي ليس شبيهٌ بعليّ

وعلي يتبسّم.

عن عليّ، قال: الحسنُ أشبهُ الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الصدر إلى الرأس، والحسينُ أشبه به ما كان أسفلَ من ذلك.

[٥] قال أُسامة: كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يأخذني والحسنَ ويقولُ: «اللهم إني أُحِبُّهما فَأحِبَّهما».

[٦] عن عديٍّ بن ثابت، عن البراء، قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم للحسن: «اللهم إني أُحِبُّه فأَحِبَّه وأحِبَّ مَنْ يُحبُّه».

وفي ذلك عدة أحاديث، فهو متواتر.

[٧] قال أبوبكرة: رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن إلى

جنبه وهو يقول: «إن ابني هذا سيِّدٌ. ولعلَّ الله أن يُصلِحَ به بين فئتين من المسلمين».

[١]عن حذيفةَ سمع النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم يقولُ: «هذا مَلَكٌ لم ينزلْ قبلَ هذه الليلةَ استأذنَ ربه أن يُسَلِّم عليَّ، ويُبَشرني بأنَّ فاطمة سيدةُ نساءِ أهل الجنة، وأنَّ الحسنَ والحسينَ سيِّدا شبابِ أهل الجنة».

قال قابوسُ بن أبي ظبيان: عن أبيه، عن ابن عباس، أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم فرَّجَ بين فخذي الحسن، وقبَّلَ زُبيبه.(١)

[٢] وقد كان هذا الإمام سيداً وسيماً جميلاً، عاقلاً، رزيناً، جواداً ممدحاً، خيِّراً، ديِّناً، ورعاً، محتشماً، كبير الشأن. وكان منكاحاً مِطلاقاً، تزوج نحواً من سبعين امرأة، وقلما كان يُفارقه أربع ضرائر.

[٣]عن جعفر الصادق، أن علياً قال: يا أهل الكوفة لا تُزوِّجوا الحسن، فإنه مِطلاق، فقال رجل: والله لنُزَوِّجنَّه، فما رَضِي أمسك، وما كَرِه طلَّق.

[٤] قال ابنُ سيرين: تزوجَ الحسنُ امرأةً، فأرسل إليها مئة جارية، مع كل جارية ألف درهم.

[٥]وكان يعطي الرجل الواحد مئة ألف.

[٦]عن أُم سلمة: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم جَلَّلَ حسناً وحُسيناً وفاطمةَ بكساء ثم قال: «اللهُمَّ هؤلاء أهْلُ بيتي وخاصَّتي، اللهم أذْهب عنهم الرِّجْسَ وطهِّرهُم تَطْهِيراً».

[٧]عن يَعلى بن مُرَّة، قال: جاء الحسنُ والحسينُ يسعيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أحدُهما قبل الآخر، فجعلَ يده في رقبته، ثم ضَمَّه إلى إبطه، ثم قَبَّل هذا، ثم قبَّل هذا، وقال: «إني أُحبُّهما فَأَحِبَّهما»، ثم قال: «أيُّها

---

(١) أخرجه الطبراني برقم (٢٦٥٨) وقابوس بن أبي ظبيان لينه الحافظ في «التقريب» ومع ذلك فقد قال المؤلف في «تاريخه» ٢/٢١٧: قابوس حسن الحديث.

الناس، إنَّ الولدَ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ مَجْهَلَةٌ».

[١] عن حُسين بن واقد: حدثني عبدُالله بن بُرَيدة، عن أبيه قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يخطب، فأقبل الحسنُ والحسينُ، عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان، فنزل فأخذهما، فوضَعَهما بين يديه ثم قال: «صدق الله ﴿**إنَّما أمْوَالُكُم وأوْلادُكُم فِتْنَة**﴾ [التغابن: ١٥] رأيت هذين، فلم أصبر» ثم أخذ في خطبته.

[٢]عن عبدالله بن شدَّاد، عن أبيه، قال: خرج علينا رسولُ الله وهو حاملٌ حسناً أو حسيناً، فتقدَّم، فوضَعَه، ثم كبَّر في الصلاة، فسجد سجدةً أطالها، فرفعتُ رأسي، فإذا بالصبيِّ على ظهره، فرجعتُ في سجودي. فلما قضى صلاتَهُ، قالوا: يا رسول الله: إنكَ أطَلْتَ! قال: «إن ابني ارتحلني، فكرهتُ أن أُعْجِلَهُ حتى يَقضيَ حاجَتَه».

قلت: أين الفقيه المُتَنَطِّع عن هذا الفعل؟.

[٣]عن عُمير بن إسحاق، قال: كنتُ مع الحسن، فلقِيَنا أبوهريرة، فقال: أرني أقبِّل منك حيث رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم يُقَبِّل، فقال بقميصه فقبَّل سُرَّته.

[٤]عن معاوية، قال: رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يمصُّ لسانَه أو شفته يعني الحسن، وإنه لن يُعذَّب لسانٌ أو شفتان مصَّهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم.

[٥] عن الحرمازي: خطب الحسنُ بنُ علي بالكوفة، فقالَ: إن الحِلمَ زينة، والوقارَ مروءة، والعجلةَ سَفَه، والسفه ضعف، ومجالسة أهل الدناءة شَين، ومخالطة الفُسَّاق ريبة.

[٦]قال جريرُ بنُ حازم، قُتل علي، فبايع أهلُ الكوفة الحسنَ، وأحبوه أشدَّ من حُبِّ أبيه.

[١] وقال الكلبي : بُويع الحسن، فولِيَها سبعةَ أشهر وأحد عشر يوماً ثم سلَّم الأمر إلى مُعاوية.

[٢] وعن محمد بن إبراهيم التيمي : أن عُمر ألْحق الحسن والحسين بفريضة أبيهما مع أهل بدرٍ لقرابتهما برسول الله صلى الله عليه وسلم.

[٣]عن الشعبي، أن الحسنَ خطَب، فقال: أن أكيس الكَيْس التُّقى وإن أحمق الحمق الفجور. ألا وإنَّ هذه الأمور التي اختلفتُ فيها أنا ومعاوية، تركتُ لمعاوية إرادة إصلاح المسلمين وحقن دمائهم.

قال جعفرُ الصادق: عاش الحسنُ سبعاً وأربعين سنة.

[٤] ونقل ابنُ عبد البر: أنهم لما التمسوا من عائشةَ أن يُدفَنَ الحسنُ في الحُجْرة، قالت: نعم وكرامة، فردَّهم مروانُ، ولبسوا السلاح، فدفن عند أُمِّه بالبقيع إلى جانبها.

أعاذنا الله من الفتن، ورضي عن جميع الصحابة، فترضَّ عنهم يا شيعيُّ تُفْلِحْ، ولا تدخُلْ بينَهم، فالله حَكَمٌ عَدْل، يفعلُ فيهم سابق علمِه، ورحمتُه وسعتْ كلَّ شيء، وهو القائلُ: (إنَّ رحمتي سَبَقَتْ غضبي) و ﴿**لا يُسْألُ عمَّا يَفْعَل وهمُ يُسْألون**﴾ [الأنبياء: ٢٣] فنسألُ الله أن يعفوَ عنَّا وأن يُثبِّتَنا بالقول الثابت آمين.

١٣٨- الحُسَين الشهيد (ع) (١)

[٥] الإمامُ الشريفُ الكامل، سِبطُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورَيحانَتُه من الدنيا، ومحبوبُه، أبو عبدالله الحسينُ ابن أمير المؤمنين أبي الحسن عليِّ بنِ أبي طالب، القرشيُّ الهاشميُّ، حدَّث عن جدِّه.

(١) انظر السير: ٣/ ٢٨٠ - ٣٢١.

قال الزُّبير: مولدُه في سنة أربع من الهجرة.

قال جعفرُ الصادق: بين الحسن والحسين في الحمل طُهر واحد.

[١]عن أنس، قال: شهدتُ ابنَ زياد حيثُ أتي برأس الحسين، فجعلَ ينكُتُ بقضيبٍ معه، فقلتُ: أمَا إِنَّه كان أشبَهَهُما بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم.

[٢]عن ابن أبي نُعم، قال: كنتُ عند ابن عُمر، فسأله رجلٌ عن دمِ البعوض، فقال: مِمَّنَ أنت؟ فقال: مِنْ أهلِ العراق، قال: انظُرْ إلى هذا يسألُني عن دم البعوض، وقد قَتَلُوا ابنَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم. وقد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: «هما رَيْحَانَتَايَ من الدُّنْيا».

[٣]عن جابر، أنه قال ـ وقد دخلَ الحسين المسجدَ ـ: «مَنْ أحبَّ أن ينظُرَ إلى سيِّدِ شبابِ أهل الجنة، فلينظُرْ إلى هذا» سمعتُه من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[٤]عن الحسين، قال: صعدتُ المنبرَ إلى عمر، فقلتُ: انزِلْ عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك. فقال: إن أبي لم يكن له منبر! فأقعدني معه، فلما نزل، قال: أيْ بُني! مَنْ عَلَّمَكَ هذا؟ قلتُ: ما عَلَّمنيه أحد. قال: أيْ بنيَّ! وهل أنبتَ على رؤوسنا الشعر إلا اللهُ ثم أنتم، ووضعَ يده على رأسه، وقال: أيْ بنيّ! لو جعلتَ تأتينا وتغشانا.

[٥]عن أبي أُمامة، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لنسائه: «لا تُبَكُّوا هذا» يعني ـ حُسَيناً: فكان يوم أم سلمة، فنزلَ جبريلُ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأم سلمة: لا تَدَعي أحداً يدخُل. فجاء حسينٌ، فبكى، فخلَّتْهُ يدخُل، فدخلَ حتى جلس في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل: إنَّ أُمَّتَك ستقتُله. قال: يقتلونه وهم مؤمنون؟ قال: نعم، وأراه تُربَتَه.

[٦] بلغنا أنَّ الحسين لم يُعجِبْهُ ما عمل أخوه الحسنُ من تسليم الخلافة إلى معاوية، بل كان رأيُهُ القتالَ، ولكنه كظم، وأطاع أخاه، وبايع وكان يَقْبَلُ جوائز

مُعاوية، ومُعاويةُ يرى له، ويحترمُه، ويُجِلُّه، فلمَّا أنْ فعل معاوية ما فعلَ بعد وفاة السيِّدِ الحسنِ من العهد بالخلافة إلى ولده يزيد تألَّم الحسينُ، وحُقَّ له، وامتنع هو وابنُ أبي بكر وابنُ الزُّبير من المبايعة، حتى قهرهم معاويةُ، وأخذ بيعتهم مكرَهين، وغُلِبوا، وعَجَزوا عن سُلطان الوقت. فلما ماتَ معاويةُ، تَسَلَّم الخلافَة يزيدُ وبايعه أكثرُ الناس، ولم يُبايع له ابنُ الزُّبير ولا الحُسين، وأنِفُوا من ذلك. ورامَ كلٌّ واحد منهما الأمرَ لنفسه، وسارا في الليل من المدينة إلى مكة، ونزل الحسينُ بمكةَ دارَ العباس، ولزم عبدُالله الحِجر، وجعل يُحرض على بني أُمية، وكان يغدو ويروح إلى الحسين، ويُشير عليه أن يقدَم العراق ويقول: هم شيعتُكم. وكان ابنُ عباس ينهاه. وقال له أبوسعيد: اتق الله والزم بيتك. وكلَّمه جابر، وأبو واقد اللَّيثي.

وأبى الحسينُ على كل من أشار عليه إلا المسير إلى العراق.

وروى ابنُ سعد بأسانيده: قالوا: وأخذ الحسينُ طريق العُذَيب[1] حتى نزل قصر أبي مقاتل،[2] فخفق خفقةً، ثم استرجع، وقال: رأيتُ كأن فارساً يسايرنا، ويقول: القوم يسيرون، والمنايا تسري إليهم، ثم نزل كربلاء، فسار إليه عُمرُ بن سعد كالمُكره. إلى أن قال: وقُتِلَ أصحابُه حوله، وكانوا خمسين، وتحوَّلَ إليه من أولئك عشرون، وبقي عامَّة نهاره لا يقْدَمُ عليه أحد، وأحاطتْ به الرَّجَّالة، وكان يَشُدُّ عليهم، فيهزِمُهم وهم يكرهون الإقدام عليه، فصرخَ بهم شِمْر! ثكلتكم أمهاتُكم، ماذا تنتظرون به؟ وطعنه سنانُ بنُ أنسٍ النخعي في ترقوته، ثم طعنه في صدره فخرَّ واحتزَّ رأسَه خولي الأصبحي لا رضي الله عنهما.

(١) قال ياقوت: العذيب: ماء بين القادسية والمغيثة.

(٢) في «الطبري» ٥/٤٠٧، وابن الأثير ٤/٥٠: قصر بني مقاتل، قال ياقوت في (معجم البلدان) ٤/٣٦٤: وقصر مقاتل: كان بين عين التمر والشام، وقال السكوني: هو قرب القطقطانة وسلام ثم القُريَّات: منسوب إلى مقاتل بن حسان بن ثعلبة بن أوس.

قال: ووجُدِ بالحسين ثلاثُ وثلاثون جراحة.

ولم يُفلت من أهـل بيت الحسين سوى ولدِه عليٍّ الأصغر، فالحُسينيَّةُ مِن ذُرِّيته، كان مريضاً، وحسنِ بن حسن بن عليّ وله ذُرِّية، وأخوه عمرو، ولا عقب له، والقاسم بن عبدالله بن جعفر، ومحمد بن عَقيل، فقدم بهم وبزينب وفاطمة بنتي علي، وفاطمة وسكينة بنتي الحسين، وزوجته الرَّبَاب الكلبية والدة سكينة، وأم محمد بنت الحسن بن عليّ، وعبيد وإماء لهم.

وورد البشيرُ على يزيد، فلما أخبره، دمعت عيناه، وقال: كنتُ أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين. وقالت سُكينةُ: يا يزيد، أبناتُ رسول الله سبايا؟ قال: يا بنتَ أخي هو والله عليَّ أشدُّ منه عليك، أقسمت ولو أن بينَ ابن زياد وبين حُسين قرابة ما أقدم عليه، ولكن فرَّقتْ بينه وبينه سُميَّة، فرحم الله حُسيناً، عجَّل عليه ابنُ زياد، أما والله لو كنتُ صاحبه ثم لم أقَدر على دفع القتل عنه إلا بنقص بعض عمري، لأحببتُ أن أدفعَه عنه ولودِدتُ أن أُتيتُ به سلماً.

ثم أقبل على عليِّ بن الحُسين، فقال: أبوك قطع رحمي، ونازعني سلطاني. فقام رجلٌ، فقال: إنَّ سباءَهم لنا حلال. قال عليٌّ: كذبتَ إلا أن تخرُج من ملَّتنا. فأطرق يزيدُ، وأمر بالنساء، فأُدخلن على نسائه وأمر نساء آلِ أبي سفيان، فأقمن المأتم على الحسين ثلاثةَ أيام، إلى أن قال: وبكت أُمُّ كلثوم بنتُ عبدالله بن عامر، فقال يزيد وهو زوجُها: حقَّ لها أن تُعْوِلَ على كبير قريش وسيدها. فجهزهم وحملهم إلى المدينة.

عن ابنِ عباس: رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في النوم نصفَ النهار، أشعثَ أغبر، وبيده قارورة فيها دم. قلتُ: يارسول الله، ما هذا؟ قال: هذا دمُ الحسين وأصحابِه، لم أزل منذُ اليوم ألتقطُه. فأُحصي ذلك اليوم فوجدوه قُتِلَ يومئذ.

[١]عن عَمَّار بن أبي عمار، سمعتُ أُمَّ سلمة تقولُ: سمعتُ الجِنَّ يبكينَ على حُسين، وتنوحُ عليه.

[٢]عن الأعمش، قال: تغوَّط رجلٌ من بني أسد على قبر الحُسين، فأصابَ أهلَ ذلك البيت خَبَلٌ، وجُنون، وبرص، وفقر، وجذام.

[٣]وممن قُتل مع الحسين إخوته الأربعة، جعفرٌ، وعَتيقٌ، ومحمدٌ والعبَّاسُ الأكبر، وابنُه الكبير عليٌّ، وابنُه عبدُالله، وكان ابنُه عليٌّ زينُ العابدين مريضاً، فَسلِمَ، وكان يزيد يُكرمه ويرعاه.

وقُتِل مع الحُسين، ابنُ أخيه القاسم بنُ الحسن، وعبدُالله وعبدالرحمن ابنا مُسلم بن عَقِيل بن أبي طالب، ومحمدٌ وعونٌ ابنا عبدِالله بنِ جعفر بن أبي طالب.

فأولاد الحُسين هم: عليٌّ الأكبر الذي قُتِلَ مع أبيه، وعليٌّ زينُ العابدين، وذُرِّيَّتُه عدد كثير، وجعفر، وعبدُالله ولم يُعقبا.

فوُلد لزين العابدين الحسنُ والحسينُ ماتا صغيرين، ومحمدُ الباقر وعبدُالله، وزيدٌ وعُمر، وعليٌّ، ومحمدُ الأوسط ولم يُعقب، وعبدُالرحمن وحُسينٌ الصغير، والقاسمُ ولم يُعقِبْ.

١٣٩- عبدُالله بنُ حَنْظَلَة (د) (١)

[٤]الغَسيل بن أبي عامر الراهبِ أبو عبدالرحمن الأنصاريُّ الأوسيُّ المدنيُّ، من صِغار الصحابة.

[٥]استشهد أبوه يومَ أُحُد، فغسَّلته الملائكةُ لكونه جُنُباً، فلو غُسِّل الشهيدُ الذي يكون جُنُباً استدلالاً بهذا، لكان حَسناً.

---

(١) انظر السير: ٣/٣٢١ ـ ٣٢٥.

[١] وكان رأسَ الثائرين على يزيدَ نَوْبَةَ الحَرَّة.

وفدَ في بَنِيهِ الثمانية على يزيد، فأعطاهم مئتي ألف وخِلَعَاً فلما رجع، قال له كُبَراءُ المدينة: ما وراءَكَ؟ قال: جئتُ من عندِ رجُلٍ لو لم أجِدْ إلا بنيَّ، لجاهدتُه بهم. قالوا: إنَّه أكرمك وأعطاك. قال: وما قبلتُ إلا لأتقوَّى به عليه، وحَضَّ الناسَ، فبايعوه، وأُمِّر على الأنصار وأُمِّرَ على قريش عبدُالله بنُ مطيع العدوي، وعلى باقي المهاجرين مَعْقِلُ بنُ سِنان الأشجعي، ونفَوا بني أُميَّة.

فجهَّز يزيدُ لهم جيشاً، عليهم مُسْلِمُ بنُ عُقْبة ـ ويُدعى مُسْرِفاً ـ المرِّي في اثني عشـر ألفاً، فكلمه عبدُالله بن جعفر في أهل المدينة، فقال: دعني أشتفي، لكني آمُرُ مُسلِم بن عُقْبة أنْ يَتَّخذ المدينةَ طريقه إلى مكةَ فإن هم لم يحاربوه، وتركوه، فيمضي لحرب ابن الزُّبير، وإنْ حاربوه قاتلهم، فإنْ نُصِرَ، قتَلَ، وأنهبَ المدينَة ثلاثاً، ثم يَمضي إلى ابنِ الزُّبير.

وكتبَ عبدُالله بن جعفر إليهم ليكُفُّوا، فقدم مُسلم، فحاربوه ونالُوا من يزيد فأوقع بهم، وأنَهبهَا ثلاثاً، وسار، فماتَ بالشَّلل، وعهد إلى حُصَين بن نُمَيْر في أول سنةِ أربعٍ وستين، وذمَّهم ابنُ عمر على شَقِّ العصا.

قال زيدُ بنُ أسلم: دخل ابنُ مُطيع على ابنِ عُمر ليالي الحَرَّة فقال ابنُ عمر: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ نَزَعَ يداً مِنْ طاعَةٍ لم يَكُنْ له حُجَّةٌ يومَ القِيَامة».

قال المدائني: توجه إليهم مُسْلِمُ بن عُقْبة في اثني عشر ألفاً وأنفق فيهم يزيدُ في الرجل أربعين ديناراً. فقال له النعمان بنُ بَشير: وجِّهْني أَكْفِك. قال: لا، ليس لهم إلا هذا الغُشَمة، والله لا أُقيلهم بعد إحساني إليهم وعفوي عنهم مرةً بعد مرة، فقال: أنشُدُكَ الله يا أمير المؤمنين في عشيرتك، وأنصارِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلَّمـه عبـدُالله بنُ جعفر، فقال: إن رَجَعُوا، فلا سبيل عليهم، فادعُهم يا مسلم ثلاثاً، وامضِ إلى الملحدِ ابنِ الزُّبير، قال: واستَوْص

بعليِّ بن الحسينِ خيراً.

عن الحسن، قال: والله ما كادَ ينجو منهم أحدٌ، لقد قُتِل ولدا زينب بنتِ أم سَلَمَة.

قال مُغيرةُ بن مِقْسَم: أنهبَ مُسرِفُ بنُ عُقْبة المدينةَ ثلاثاً، وافتُضَّ بها ألفُ عذراء.

قال السائِب بن خَلَّاد: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: «مَنْ أخافَ أهلَ المدينة، أخافَه الله، وعليه لعنةُ الله». [1]

قال خليفة: أُصيب مِن قُريش والأنصار يومئذ ثلاثُ مئة وستةُ رجال ثم سمَّاهم.

وعن أبي جعفـر الباقر، قال: ما خرجَ فيها أحدٌ من بني عبدالمطلب لزمُوا بيوتَهم، وسأل مُسرفٌ عن أبي، فجاءَه ومعه ابنا محمد بن الحنفية فرحَّبَ بأبي، وأوسع له، وقال: إنَّ أميرَ المؤمنين أوصاني بك.

كانت الـوقعةُ لثلاثٍ بقين من ذي الحِجة سنةَ ثلاث وستين وأُصيب يومئذ عبدُالله بن زيد بن عاصم حاكي وضوء النبي صلى الله عليه وسلم ومَعْقِلُ بنُ سِنان ومحمدُ بنُ أُبَيِّ بنِ كعب، وعِدةٌ من أولاد كُبراء الصحابة، وقُتِلَ جماعةٌ صبراً.

وعن مالك بن أنس، قال: قُتِلَ يومَ الحَرَّة مِن حَمَلَة القرآن سبعُ مئة.

قلتُ: فلما جرتْ هذه الكائنة، اشتدَّ بغضُ الناس ليزيد مع فعله بالحسين وآله، ومع قِلَّةِ دينه، فخرج عليه أبوبلال مرداس بن أُديّةَ الحنظلي وخرج نافعُ بنُ الأزرق، وخرج طواف السدوسي، فما أمهله الله، وهلكَ بعد نيِّفٍ وسبعين يوماً.

---

(١) وتمامه «والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً».

١٤٠ - سَلَمَة بن الأَكْوَع (ع)[١]

[١]هو سَلَمَة بن عمرو بن الأكوع، واسم الأكوع: سِنانُ بنُ عبدالله أبوعامر وأبومسلم.

قيل: شهد مؤتة، وهو من أهل بيعة الرضوان.

[٢] قال مولاهُ يزيد: رأيتُ سَلَمَة يصُفِّرُ لحيتَه، وسمعتُه يقول: بايعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على الموت، وغزوتُ معه سبع غزوات.

[٣] عن إياس بن سَلَمَة، عن أبيه، قال بيَّتنا هَوَازنَ مع أبي بكر الصديق فقتلتُ بيدي لَيْلَتَئذٍ سبعةَ أهل أبيات.

[٤] عن عبدالرحمن بن رَزِين، قال: أتينا سَلَمَة بنَ الأكْوع بالرَّبَذَة، فأَخْرَج إلينا يداً ضخمةً كأنها خُفُّ البعير، فقال: بايعتُ بيدي هذه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم. وقال: فأخَذْنا يده، فقَبَّلْناها.

[٥] إياس بن سَلَمَة عن أبيه قال: أردَفني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مِراراً ومسحَ على وجهي مِراراً، واستغفر لي مراراً عددَ ما في يديَّ من الأصابع.

[٦]عن سَلَمة: أنه استأذن النبيَّ صلى الله عليه وسلم في البدو فأذِنَ له.

[٧]عن يزيدَ بن أبي عُبَيد، قال: لما قُتل عثمان، خرج سَلَمَةُ إلى الرَّبَذة، وتزوجَ هناك امرأةً، فولدت له أولاداً، وقبل أنْ يموت بليالٍ نزلَ إلى المدينة.

تُوفِّي سنة أربع وسبعين.

قلتُ: كان من أبناء التسعين.

---

(١) انظر السير: ٣/٣٢٦ - ٣٣١.

١٤١ - عبدالله بن عبَّاس البحر (ع) [1]

[١] حبْرُ الأمة، وفقيهُ العصر، وإمام التفسير، أبو العبَّاس عبدُالله، ابنُ عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. القرشيُّ الهاشميُّ المكيّ الأمير رضي الله عنه.

مولده بشِعب بني هاشم قبل عام الهجرة بثلاثِ سنين.

صحبَ النبي صلى الله عليه وسلم نحواً من ثلاثين شهراً، وحدَّث عنه بجُملةٍ صالحة.

وكان وسيماً، جميلاً، مديد القامة، مَهيباً، كاملَ العقل، ذكيَّ النفس، من رجالِ الكمال.

[٢] انتقل ابنُ عباس مع أبويه إلى دار الهِجرة سنةَ الفتح، وقد أسلم قبل ذلك، فإنه صح عنه أنه قال: كنتُ أنا وأُميِّ مِن المُستضعَفين، أنا من الولْدان، وأُميِّ من النساء.

[٣] عن ابنِ عباس، قال: مسحَ النبي صلى الله عليه وسلم رأسي، ودعا لي بالحكمة.

[٤] قال الزُّبيرُ بنُ بَكَّار: توفي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولابن عبَّاس ثلاثَ عَشْرَة سنة.

قال أبوسعيد بنُ يونُس: غزا ابنُ عبَّاسٍ إفريقية مع ابنِ أبي سرح.

قال أبوعبدالله بنُ مندة: أُمُّه هي أُمُّ الفضل أُختُ أم المؤمنين مَيْمُونة.

قلتُ: وهو ابنُ خالةِ خالد بنِ الوليد المخزومي.

[٥] عن سَعيد بن جُبَير، عن عبدالله، قال: بتُّ في بيتِ خالتي مَيْمُونة فوضعتُ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم غسلاً، فقال: «مَنْ وَضَعَ هذا»؟ قالوا: عبدُالله فقال: « اللهُمَّ علِّمه التأويلَ وفَقِّهْهُ في الدِّين » .

---

(١) انظر السير: ٣/٣٣١ - ٣٥٩.

[١]عن ابنِ عبَّاس، قال: كنتُ مع أبي عند النبيِّ صلى الله عليه وسلم وكان كالمُعرِض عن أبي، فخرجْنا من عنده، فقال: ألم تَرَ ابن عمك كالمُعرض عني؟ فقلتُ: إنه كانَ عنده رجلٌ يناجيه. قال: أو كان عنده أحَدٌ؟ قلتُ: نعم فرجَعَ إليه، فقال: يا رسولَ الله، هل كان عندَك أحدٌ؟ فقال لي: «هل رأيتَه يا عبدالله»؟ قال: نعم. قال: «ذاكَ جبريلُ فهو الذي شَغَلني عنك».

[٢] عن ابن عبَّاس، قال: لما تُوفي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، قلتُ لرجلٍ من الأنصار: هلُمَّ نسألْ أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجباً لك يا ابنَ عباس! أترى الناسَ يحتاجون إليك، وفي الناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مَنْ تَرى؟ فترك ذلك. وأقبلتُ على المسألة، فإنْ كان ليَبلُغني الحديثُ عن الرجل، فآتيه وهو قائل، فأتوسَّد ردائي على بابه فتَسفي الريحُ عليَّ الترابَ، فيخرجُ، فيراني، فيقولُ: يا ابنَ عم رسول الله ألا أرسلتَ إلي فآتيك؟ فأقول: أنا أحقُّ أن آتيَك، فأسألك. قال: فبقيَ الرجلُ حتى رآني وقد اجتمع الناسُ عليَّ، فقال: هذا الفتى أعقلُ مني.

[٣] عن سَعيد بن جُبيرٍ، قال: كان ناس من المهاجرين قد وَجدُوا على عمرَ في إدنائِهِ ابنَ عباس دونَهم. قال: وكان يسألُه. فقال عُمر: أما سأُريكم اليوم منه ما تَعرفُون فضلَه، فسألهم عن هذه السورة: ﴿**إذا جَاء نَصْرُ الله**﴾ [النصر: ١]. فقال بعضُهم: أمر الله نبيَّه إذا رأى الناسَ يدخُلون في دين الله أفواجاً أن يحمدَه ويَستغفره. فقال عُمر: يا ابنَ عبَّاس تكلَّم. فقال: أعلَمهُ متى يموتُ، أي: فهي آيتُك من الموت، فسبِّح بحمد ربِّك واستغفره.

[٤]عن ابن عبَّاس، قال إنْ كنتُ لأسألُ عن الأمرِ الواحد ثلاثينَ من أصحاب النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

[٥] الأعمش، حدّثونا أن عبدالله قال: ولنعم ترجمانُ القرآن ابنُ عباس.

[١]عن ابنِ عباس، قال: قَدِمَ على عمرَ رجلٌ، فجعلَ عُمَرُ يسألُهُ عن الناس، فقال: يا أميرَ المُؤمنين. قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا. فقلتُ: والله ما أُحِبُّ أن يُسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المُسارعة، قال: فزبرني عمرُ، ثم قال: مه. فانطلقتُ إلى منزلي مُكتئباً حزيناً، فقلتُ: قد كنتُ نزلتُ من هذا بمنزلة، ولا أُراني إلا قد سقطتُ من نفسه، فاضطجعتُ على فراشي حتَّى عادني نسوةُ أهلي ومـا بي وجـع، فبينـا أنـا على ذلـك، قيل لي: أجِبْ أميرَ المؤمنين، فخرجتُ، فإذا هو قائم على الباب ينتظرني، فأخذ بيدي ثم خَلا بي، فقال: ما الذي كرهتَ مما قال الرجلُ آنفاً؟ قلتُ: يا أميرَ المؤمنين، إنْ كنتُ أسأتُ، فإني أستغفرُ الله وأتوبُ إليه، وأنزلُ حيثُ أحببْتَ، قال: لتُخْبِرَنِّي. قلتُ: متى ما يُسـارعـوا هذه المسارعة ، يَحْتَقُّوا(١) ومتى ما يَحْتَقُّوا، يَخْتصموا، ومتى ما اختصموا، يختلفوا، ومتى ما يَختلفوا يَقْتتلوا. قال: لله أبوك. لقد كنتُ أكتُمها الناسَ حتى جئْتَ بها.

[٢]عن طاووس قال: ما رأيتُ أورعَ من ابنِ عُمر، ولا أعلمَ من ابنِ عبَّاس.

وقال مُجاهد: ما رأيتُ أحداً قطُّ مثلَ ابنِ عبَّاس، لقد ماتَ يومَ مات وإنه لحَبْرُ هذه الأُمَّة.

عن مجاهد، قال: كان ابنُ عباس يُسمَّى البَحْرَ لكثرة علمه.

وعن طاووس، قال: أدركتُ نحواً من خمس مئةٍ من الصحابة إذا ذاكروا ابنَ عبَّاس، فخالفوه، فلم يَزل يُقَرِّرُهم حتى يَنتهوا إلى قوله.

قال سُفيانُ بنُ عُيَيْنة: لم يُدرَكْ مثلُ ابنِ عباس في زمانه، ولا مِثلُ الشعبيِّ في زمانه، ولا مثلُ الثوريّ في زمانه.

[٣]عن ابن أبي مُلَيْكَة: صحبتُ ابنَ عبَّاسٍ من مكةَ إلى المدينة، فكان يُصلي ركعتين، فإذا نزل، قامَ شطر الليل، ويُرتِّلُ القرآنَ حرفاً حرفاً ويُكثِرُ في ذلك من

(١) أي: يختصموا، ويقول كل واحد منهم: الحق في يدي.

النَّشيج والنَّحيب.

وعن الشَّعْبيِّ وغيره: أنَّ عليّاً رضي الله عنه أقام بعد وقعة الجمل بالبصرةِ خمسين ليلةً، ثم سار إلى الكوفة، واستخلفَ ابنَ عبَّاس على البصرة.

[١] قلتُ: وقد كان عليٌّ لما بُويع، قال لابنِ عباس: اذهبْ على إمْرة الشام، فقال: كلا، أقلُّ ما يصَنعُ بي معاوية إنْ لم يقتلني الحبسُ، ولكن استعْملْهُ، وبين يديك عزلُه بعدُ، فلم يقبلْ منه، وكذلك أشار على عليٍّ أن لا يُولِّي أبا موسى يومَ الحكمين وقال: ولِّني، أو فولِّ الأحنفَ، فأراد عليٌّ ذلك، فغلبُوه على رأيه.

[٢] قال ابنُ عبد البَرِّ في ترجمة ابن عباس: هو القائل ما رُوي عنه من وجوه:

إنْ يأْخُـذِ الله مِنْ عَينـيَّ نُورَهـمـا ففـي لسـانـي وقَـلبـي مِنْـهُـمـا نُوْرُ
قَلبـي ذكيٌّ وعَقْلي غيرُ ذي دَخَـلٍ وفـي فمـي صارِمٌ كالسَّـيفِ مأْثُـورُ

[٣] أبوالزبير قال: لما ماتَ ابنُ عبَّاس جاء طائرٌ أبيضُ، فدخَلَ في أكفانه.

رواها الأجلحُ، عن أبي الزُّبير، فزاد: فكانوا يُرَوْنَ أنه عِلْمُه.

عن سعيد، قال: مات ابن عباس بالطائف، فجاء طائرٌ لم يُرَ على خِلْقَتِه، فدخلَ نعشه، ثُم لم يُرَ خارجاً منه، فلمَّا دُفِنَ، تُليتُ هذه الآية على شَفيرِ القَبرِ لا يُدرَى من تلاها ﴿يا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ، ارجعي إلى رَبِّك رَاضِيةً مَرْضِيْة﴾ [الفجر: ٢٧ و٢٨]

تُوفِّي ابنُ عباس سنةَ ثمانٍ أو سبعٍ وستين وقيل: عاشَ إحدى وسبعين سنة.

١٤٢ - أبو أُمَامَةَ البَاهليُّ (ع) (١)

[٤] صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزيلُ حمص، صُدَيُّ بن عَجْلان ابنُ وَهْب.

---

(١) انظر السير: ٣/٣٥٩ - ٣٦٣.

رُوِيَ أنَّه بايع تحتَ الشجرة.

[١] عن أبي أمـامة، قلت: يا رسولَ الله ادعُ الله لي بالشهادة، فقال: «اللهم سَلِّمْهُم وغنِّمْهُم» فغـزَونا، فَسلِمْنا وغَنِمْنَا، وقلتُ: يا رسولَ الله مُرْني بعمل. قال: «عَلَيْكَ بالصَّوْمِ فإنَّه لا مِثْلَ له» فكان أبو أُمامة وامرأتُه، وخادمُه لا يُلْفَوْنَ إلَّا صياماً.

[٢]عن أبي أُمامةَ: أرسلني النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى بَاهِلَة، فأتيتُهم فرحَّبُوا بي، فقلتُ: جئتُ لأنهاكُم عن هذا الطعام، وأنا رسولُ رسولِ الله لتُؤمِنوا به، فكذَّبوني، وردُّوني، فانطلقتُ وأنا جائع ظَمْآنُ. فنمتُ فأُتيتُ في منامي بشربةٍ من لبن، فشربْتُ، فشبِعْتُ، فعَظُم بطني، فقال القوم أتاكم رجلٌ من أشرافكم وخياركم، فرددتُموه؟ قال: فأتوني بطعام وشراب. فقلتُ: لا حاجة لي فيه. إنَّ الله قد أطعمني، وسقاني، فنظرُوا إلى حالي، فآمنوا.

[٣]محمدُ بنُ زياد: رأيتُ أبا أمامة أتى على رجلٍ في المسجدِ، وهو ساجدٌ يبكي، ويدعو، فقال: أنتَ أنت! لو كان هذا في بيتك.

[٤] سُلَيْمُ بنُ عامر قال: كنا نَجلس إلى أبي أُمامةَ فيُحدِّثنا حديثاً كثيراً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول: اعقِلُوا وبلِّغُوا عنَّا ما تسمعون.

تُوفي أبو أُمامة سنةَ ستٍّ وثمانين.

١٤٣ - عبدُالله بنُ الزُّبَير (ع) [١]

[٥]ابن العوَّام، أميرُ المؤمنين، أبوبكر، وأبو خُبَيْب القُرشي الأسَديُّ المكيُّ، ثم المدنيُّ، أحدُ الأعلام، ولد الحواري الإمام أبي عبدالله، ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريِّه.

وكان عبدُالله أول مولودٍ للمهاجرين بالمدينة، ولد سنةَ اثنتين.

(١) انظر السير: ٣/٣٦٣ - ٣٨٠.

[١]وله صحبة، ورواية أحاديث، عِداده في صغارِ الصحابة، وإنّ كان كبيراً في العلم والشرفِ والجهادِ، والعبادة.

[٢]وكان فارسَ قريشٍ في زمانه، وله مواقفُ مشهودة، قيل: إنه شهدَ اليرموكَ وهو مُراهِق، وفَتْحَ المغربِ، وغَزْوَ القُسطنطينية، ويومَ الجَمَلِ مع خالته.

[٣]وبُويع بالخلافة عند موت يزيدَ سنة أربعٍ وستين، وحكم على الحجازِ واليمنِ، ومصر، والعراقِ، وخراسان، وبعضِ الشام، ولم يَستوسق له الأمرُ ومِنْ ثَمَّ لمن يَعُدَّه بعضُ العلماء في أمراء المؤمنين، وعَدَّ دولتَه زمن فُرقة فإن مروانَ غلب على الشام ثم مصر، وقام عند مصرعه ابنُه عبدُالملك بنُ مروان، وحارب ابنَ الزُّبير، وقُتلَ ابنُ الزبير رحمه الله فاستقلَّ بالخلافة عبدُالملك وآلُه، واستوسقَ لهم الأمر إلى أن قهرهم بنو العباس بعد مُلكِ ستين عاماً.

[٤]عن هشام بن عروة، عن أبيه وزوجته فاطمةَ قالا: خرجتْ أسماءُ حين هاجرتْ حُبْلى، فَنُفِسَت بعبدالله بقُباء، قالت أسماءُ: فجاء عبدُالله بعد سبع سنين لِيُبايع النبي صلى الله عليه وسلم أمَرهُ بذلك أبوه الزُّبيرُ، فتبسم النبيُّ صلى الله عليه وسلم حين رآه مُقْبلاً، ثم بايعه.

[٥]وقال مُصعب بن عبدالله، عن أبيه، قال: كان عارِضا ابن الزبير خفيفين، فما اتصلت لحيتُه حتى بلغ الستين.

وفي البخاري عن عُروة، أنَّ الزُّبير أركب ولدَه عبدالله يومَ اليَرموك فرساً وهو ابن عشر سنين، ووكَّلَ به رجلاً.

[٦]التبوذكي، حدثنا هنيدُ بن القاسم: سمعتُ عامرَ بنَ عبدالله بن الزُّبير: سمعتُ أبي يقولُ: إنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يَحتَجِمُ، فلما فرغَ، قال «يا عبدَالله! اذهبْ بهذا الدم فأهرقه حيثُ لا يراك أحد» فلما برزَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عمَد إلى الدم فشربَه، فلما رجع، قال: «ما صنعت بالدَّم»؟ قال: عمدتُ إلى أخفى موضع علمتُ، فجعلتُه فيه، قال:

«لعلَّك شربتَه»؟ قال: نعم قال: «ولِمَ شربْتَ الدم؟ ويل للناسِ منك، وويل لك من الناس».

قال موسى التَّبُوذكي: فحدَّثْتُ به أبا عاصم فقال: كانوا يَرونَ أنَّ القوة التي به من ذلك الدم.(١)

[١]عن ابن أبي مُلَيْكـة، قال: ذُكر ابنُ الزبير عند ابن عبَّاس، فقال: قارىءٌ لكتاب الله، عفيف في الإسلام، أبوه الزُّبير، وأُمُّه أسماء، وجدُّه أبوبكر، وعمَّتُه خديجة، وخالتُه عائشة، وجدَّتُه صَفِيَّة، والله إني لأحاسبُ له نفسي محاسبةً لم أحاسب بها لأبي بكر وعمر.

[٢] قال مُجاهد: كان ابنُ الزُّبير إذا قام إلى الصلاة كأنَّه عُود، وحدَّث أنَّ أبابكر رضي الله عنه كان كذلك.

[٣]عن عمرو بن دينار، قال: كان ابنُ الزُّبير يُصلي في الحِجْرِ والمِنْجنِيق يَصُبُّ تُوْبَهُ(٢)، فما يلتفت، يعني: لما حاصروه.

[٤]عن عُثمان بن طلحة، قال: كان ابنُ الزُّبير لا يُنَازَعُ في ثلاثة: شجاعةٍ، ولا عِبادةٍ، ولا بلاغة.

[٥]عن أنس أنَّ عُثمان أَمَرَ زيداً، وابنَ الزُّبير، وسعيدَ بن العاص وعبدَالرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوا المصاحف، قال: إذا اختلفتُم أنتم وزيد في شيء، فاكتُبوه بلسان قُريش، فإنَّما نزلَ بلسانهم.

[٦]قال ابنُ الزُّبير: هجم علينا جُرجير في عشرين ومئة ألف، فأحاطوا بنا ونحن في عشرين ألفاً ـ يعني: نوبة إفريقية.

قال: واختلفَ الناسُ على ابن أبي سَرحٍ ، فدخل فُسْطاطه، فرأيتُ غِرَّةً من جرجير، بَصرُتُ به خَلْفَ عساكرِه على بِرْذَوْنٍ أشْهَبَ، معه جاريَتان تُظَلِّلاَنِ عليه

---

(١) هنيد بن القاسم لم يوثق ولم يجرح.

(٢) التوب: حجر المنجنيق.

بريش الطَواويس، بيَنهَ وبينَ جيشه أرض بيضاءُ، فأتيتُ أميرُنا ابنَ أبي سرحٍ، فندَبَ لي الناسَ، فاخترتُ ثلاثين فارساً، وقلتُ لسائرهم: البثوا على مَصَافِّكم، وحملتُ: وقلتُ لهم: احمُوا ظهري، فخرقتُ الصف إلى جرجير وخرجت صامداً، وما يحسِبُ هو ولا أصحابُه إلا أني رسولٌ إليه، حتى دنَوتُ منه فعرفَ الشرَّ فثابرَ برذَونُه مُولِّياً، فأدركتُه، فطعنتُه، فسقط، ثم احتززتُ رأسَه فنصبتُه على رمحي، وكبَّرتُ، وحمل المسلمونَ، فارفضَّ العدوُّ ومنح الله أكتافَهم.

[١] قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا عبدالله بن جعفر، عن عمته أمِّ بكر، وقال وحدثني شرحبيل بن أبي عون، عن أبيه وحدثنا ابن أبي الزِّناد وغيرهم، قالوا: خرَجَ ابنُ الزُّبير إلى مكةَ، ولزِمَ الحِجْرَ، ولبس المَعَافِريَّ، وجعلَ يُحرِّضُ على بني أمية، ومشى إلى يحيى بن حكيم الجُمَحي والي مكةَ فبايَعه ليزيد، فلم يرض يزيدُ حتى يؤتى به في جامعةٍ ووثاق.

وامتنعَ ابنُ الزُّبير أن يُذِلَّ نفسه، وقال: اللهم إني عائذ بيتك، فقيل له: عائذُ البيت، وبقي لا يعرِض له أحد.

ثم دعا الى نفسه وبايعوه، فولَّى على المدينة أخاه مُصعباً وعلى البصرةِ الحارثَ بنَ عبدِالله بن أبي ربيعة، وعلى الكُوفةِ عبدالله بنَ مُطيع، وعلى مصر عبدَالرحمن بن جَحْدَم الفِهْري، وعلى اليمن، وعلى خراسان، وأمَّر على الشام الضحاكَ بنَ قيس، فبايع له عامَّةُ أهلِ الشام وأبَتْ طائفة، والتفَّتْ على مروان بنِ الحكم، وجرت أمور طويلة، وحروب مُزعجة، وجرت وقعةُ مرج راهط وقُتِلَ ألوف من العرب، وقُتِلَ الضحاكُ، واستفحل أمرُ مروان إلى أن غَلَبَ على الشام، وسار في جيشٍ عرمرمٍ، فأخذَ مصرَ واستعمل عليها ولدَه عبدَالعزيز، ثم دهمه الموتُ، فقَام بعده ولدُه الخليفةُ عبدُالملك، فلم يَزل يُحاربُ ابن الزُّبير حتى ظَفِرَ به بعد أن سار إلى العراق وقَتل مُصعبَ بن الزُّبير.

قُلت: ثم جهز يزيد جيشاً ستة آلاف، إذْ بلغه أنَّ أهلَ المدينة خَلَعُوه، فجرتْ الحَرَّة، وقُتِلَ نحو ألفٍ من أهل المدينة، ثم سار الجيشُ عليهم حُصَينُ بنُ نُمَير، فحاصروا الكعبةَ، وبها ابنُ الزبير، وجرت أمور عظيمة فقلعَ الله يزيدَ، وبايع حُصَين وعسكره ابنَ الزُّبير بالخلافة، ورجعوا إلى الشام.

قلت: عِيب ابنُ الزبير رضيَ الله عنه بشُحٍّ.

وعن المُنذر بن جهم قال: رأيتُ ابنَ الزُّبير يوم قُتِلَ وقد خَذَله مَنْ كان مَعَه خِذلاناً شديداً، وجعلُوا يَتَسَلَّلونَ إلى الحَجَّاج، وجعل الحجَّاجُ يَصيحُ: أيُّها الناس! عَلامَ تقتُلُون أنفسَكم؟ مَنْ خَرَجَ إلينا، فهو آمن، لكم عهدُ الله وميثاقه وربِّ هذه البَنِيَّة لا أغْدِرُ بكم، ولا لنا حاجة في دمائكم.

قال: فتسلَّلَ إليه نحو من عشرةِ آلاف، فلقد رأيتُ ابنَ الزُّبير وما معَه أحد.

وعن إسحاق بن أبي إسحاق قال: حضرتُ قَتْلَ ابن الزُّبير، جعلَتِ الجيوشُ تدخُلُ عليه من أبواب المسجد، فكلما دخَلَ قوم من بابٍ، حملَ عليهم وحدَه، حتى يُخْرِجَهم، فبينا هو على تلك الحال، إذْ وقعت شُرْفة من شُرُفات المسجد على رأسه، فصرعَتْه وهو يَتَمثَّلُ:

أسماءُ يا أسماءُ لا تَبْكي　　　لَمْ يَبْقَ إلا حَسَبي وديني

وصَارِمٌ لانَتْ بِهِ يَميني

قلتُ: ما إخالُ أولئك العسكرَ إلا لو شَاؤوا، لأتلفُوه بسهامهم ولكن حَرَصُوا على أن يُمسِكُوه عَنْوةً، فما تهيَّأ لهم، فليتَه كَفَّ عن القتال لما رأى الغَلَبة، بل ليتَه لا التجأ إلى البيت، ولا أحوَجَ أولئك الظلمةَ والحَجَّاجَ لا باركَ الله فيه إلى انتهاك حُرمةِ بيتِ الله وأمنِهِ، فنعوذُ بالله من الفِتنة الصَّمَّاء.

قُتِلَ في جُمادى الآخرة سنةَ ثلاثٍ وسبعين.

عاش نيفاً وسبعين سنة رضي الله عنه.

[١]وماتت أُمُّه بعده بشهرين أو نحو ذلك، ولها قريب من مئة عام.

هي آخر من ماتت من المُهاجرات الأول رضي الله عنها، ويقالُ لها: ذاتُ النطاقين. كانت أسنَّ من عائشةَ بسنوات.

وهي وابنُها عبدُالله، وأبوها أبوبكر، وجدُّها أبو قحافة صحابيون. أضرَّت بأَخَرة.

وأما هشامُ بنُ عُروة، فقال: عاشت مئة سنة، ولم يَسقُطْ لها سِنٌّ، وقد طلقها الزُّبيرُ قبل موته زَمنَ عُثمان.

وقال القاسِمُ بن محمد: كانت أسماءُ لا تَدَّخِرُ شيئاً لغدٍ.

١٤٤- عبدُالله بن الزُّبير بن عبدالمُطَّلب (١)

[١]الهاشمي، ابنُ عمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأُمه عاتِكةُ بنتُ أبي وهب المخزوميَّة من مُسْلِمَة الفَتْح.

[٢]لا نعلمُ له روايةً. كان موصُوفاً بالشجاعة والفروسية.

ولما تُوفِّي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كان لهذا نحو من ثلاثين سنة.

عن أبي الحُوَيرِث، قال: أولُ من قُتِلَ يومَ أَجْنادِين بطريق، برزَ يدعُو إلى البراز، فبرز إليه عبدالله بنُ الزبير بن عبدالمطلب، فاختلفا ضَرَباتٍ، ثم قتله عبدُالله، ثم برز آخر، فضرَبَه عبدالله على عاتِقِه وقال: خُذْها وأنا ابنُ عبدالمطلب، فأثْبَتَه، وقطعَ سيفُهُ الدِّرْعَ، وأشرعَ في مَنْكِبه، ثم ولَّى الروميُّ مُنهزِماً.

وعزم عليه عَمرو بنُ العاص أن لا يُبارِز، فقال: لا أصبِرُ، فلما اختلَطَت السيوفُ، وُجِدَ في رِبْضَةٍ من الرُّومِ عشرةٍ مقتولا، وهم حَوْلَه، وقائِمُ السيفِ في يده قد غَرِيَ،(٢) وإن في وجهه لثلاثين ضربة.

(١) انظر السير: ٣/٣٨١ - ٣٨٣.

(٢) غري: لزق.

وأجنادين كانت سنةَ ثلاثَ عشرة.

وإنما ضممتُ هذا البطل إلى البطلِ الذي قبله لاشتراكهما في الاسم والشجاعة.

١٤٥ ـ سُلَيمان بن صُرَد (ع)[١]

[١]الأمير أبو مُطَرِّف الخُزَاعيُّ الكوفيُّ الصحابيُّ.

[٢]قال ابنُ عبدالبر: كان ممن كاتَب الحسين لِيُبايعَه، فلما عجز عن نصره ندم، وحارب.

قلت: كان ديِّناً عابداً، خرج في جيش تابوا إلى الله من خِذلانهم الحُسين الشهيد، وساروا للطلب بدمه، وسُمُّوا جيشَ التوابين.

وكان هو الذي بارز يوم صفِّين حَوشباً ذا ظُلَيْم، فقتله.

حضَّ سُلَيْمانُ على الجهاد، وسار في ألوفٍ لحرب عُبَيد الله بن زياد وقال: إنْ قُتلِتُ فأميرُكم المُسَيَّبُ بنُ نَجَبَة، والتقىٰ الجمعان، وكان عُبيدُ الله في جيشٍ عظيم، فالتحم القتال ثلاثةَ أيام، وقُتِلَ خلق من الفريقين واستَحَرَّ القتلُ بالتوابين شيعةِ الحسين، وقُتِل أمراؤهم الأربعة، سليمانُ والمُسَيَّب، وعبدُالله بن سعد، وعبدُالله بن والي سنة خمس وستين، وتحيَّز بمن بقي منهم رِفاعةُ بنُ شدَّاد إلى الكوفة.

١٤٦ـ أنس بن مـــالك (ع) [٢]

[٣]ابن النَّضْر، الإمامُ المُفتي، المُقرِىءُ، المحدِّث، راويةُ الإسلام، أبو حمزةَ الأنصاريُّ الخزرجيُّ النجَّاريُّ المدنيُّ، خادمُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم

(١) انظر السير: ٣/٣٩٤ ـ ٣٩٥.

(٢) انظر السير: ٣/٣٩٥ ـ ٤٠٦.

وقرابته من النساء، وتلميذه، وتبعُه، وآخر أصحابه موتاً.

[١]وبقي أصحابُه الثقات إلى بعد الخمسين ومئة، وبقي ضعفاءُ أصحابه إلى بعد التسعين ومئة، وبقي بعدهم ناس لا يوثق بهم، بل اطُّرِحَ حديثُهم جُمْلَةً، كإبراهيم بن هُدْبَـة، ودينار أبومكيس، وخِراشُ بن عبدالله، وموسى الطويل، عاشوا مُديدة بعد المئتين، فلا اعتبار بهم.

وإنما كان بعد المئتين بقايا من سمع من ثقات أصحابه كيزيد بن هارون.

[٢]وكان أنس يقول: قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ وأنا ابنُ عشر وماتَ وأنا ابنُ عشرين. وكُنَّ أُمَّهاتي يَحْثُثْنَنِي على خدمةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فصحب أنس نبيه صلى الله عليه وسلم أتم الصحبة، ولازمه أكملَ المُلازمة منذ هاجر، وإلى أن مات، وغزا معه غيره مرة، وبايع تحتَ الشَّجَرة.

قلت: لم يَعُدَّهأصحابه المغازي في البدريين لكونه حضرها صبياً ما قاتل، بل بقي في رحالِ الجيش.

[٣] إسحاقُ بن عبدالله بن أبي طلحة، حدثنا أنس قال: جاءتْ بي أُمُّ سُلَيم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أزَّرَتْني بنصف خِمارها، وردتني ببعضه فقالتْ: يا رسولَ الله! هذا أُنيس ابنيَ أتيتكُ به يخدُمك، فادْع الله له فقال: «اللهُمَّ أكْثِرْ مَالَه وَوَلَدَه» فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولدَ ولدي يتعادُّون على نحو من مئة اليوم.

[٤]عن أنس، قال: دَعَا لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال: «اللهُم أكْثِرْ مَالَه ووَلَدَهُ، وأطِلْ حَيَاتَه». فالله أكثَرَ مالي حتى إن كَرْماً لي لَتحْمِلُ في السنة مرتين، وَوُلِد لصلبي مئة وستَّة.

[٥] قال أبوهريرة: ما رأيتُ أحداً أشْبَه بصلاةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابنِ أُم سُلَيم ـ يعني أنساً.

[١]ثابتُ البُنَاني قال: جاء قَيِّمُ أرضِ أنس، فقال: عطِشَتْ أرَضُوك، فتردَّى أنس، ثم خرج إلى البـرِّيَّة، ثم صلّى، ودعا، فثارتْ سحابة، وغشيت أرضَه ومَطَرَتْ، حتى ملأتْ صهريجَه وذلك في الصَّيْف، فأرسلَ بعض أهله، فقال: انْظرْ أين بلغت؟ فإذا هي لم تَعْدُ أرضه إلَّا يسيراً.

[٢]وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخُصُّه ببعض العلم، فنقل أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه طافَ على تسع نسوةٍ في ضَحْوةٍ بغُسْلٍ واحد.

[٣]قال خليفةُ بن خياط: كتب ابنُ الزبير بعد موت يزيدَ إلى أنسِ بنِ مالك، فصلى بالناس بالبصرةِ أربعينَ يوماً. وقد شهد أنس فتحَ تُسْتَر فقدم على عمر بصاحبها الهُرْمُزَان فأسلم، وحَسُنَ إسلامه رحمه الله.

[٤]وقال ابنُ سيرين: كان نقش خاتم أنسٍ، أسد رابض.

[٥]قال سُليمانُ التَّيميُّ: سمعتُ أنساً يقولُ: ما بقي أحد صَلَّى القِبلتين غيري.

[٦]قال المُثنى بنُ سعيد: سمعتُ أنساً يقولُ: ما من ليلةٍ إلا وأنا أرى فيها حبيبي. ثم يبكي.

[٧]عن أنس ـ وقيل له: ألا تحدثنا؟ ـ قال: يا بني إنه من يكثر يَهْجُرْ.(١)

قال أبواليَقْظَان: ماتَ لأنسٍ في طاعون الجارف ثمانون ابناً.

عن أيوب، قال: ضعفَ أنس عن الصوم، فصنعَ جَفْنَةً من ثريد، ودعا ثلاثينَ مسكيناً، فأطعمهم.

مات سنةَ ثلاثٍ وتسعين. عمره مئة وثلاث سنين.

---

(١) قوله: «يَهْجُرُ» من هجر في كلامه: إذا خلط فيه وإذا هذى.

١٤٧- بُسْرُ بنُ أرْطَـاة (د، ت، س)(١)

[١]الأمير أبوعبدالرحمن القُرشيُّ العامريُّ الصحابيُّ نزيلُ دمشق.

له عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث: «لا تُقْـطَعُ الأيدي في الغـزو» وحديث: «اللهُمَّ أحْسِنْ عاقبتنا».

[٢]قال ابنُ يونس: صحابيٌّ شهد فتح مصر، وله بها دار وحَمَّام، وَلِيَ الحجازَ واليمن، لِمُعاوية، ففعلَ قبائح. ووُسْوِسَ في آخر عُمره.

قلتُ: كان فارساً شجاعاً، فاتكاً مِن أفراد الأبطال، وفي صُحبته تَردُّد.

قال أحمدُ وابنُ مَعِين: لم يَسمعْ من النبيُّ صلى الله عليه وسلم. وقد سبى مسلماتٍ باليمن، فأُقِمْنَ للبيع.

وقال ابنُ إسحاق: قَتَلَ قُثَمَ وعبدَالرحمن ابني عُبيدالله بن العباس صغيرين باليمن، فَتولَّهتْ أُمُّهُما عليهما. وقيل: قَتَلَ جماعةً من أصحاب عليٍّ، وهدم بيوتهم بالمدينة. وخطبَ، فصاح: يا دينار! يا رزيق! شيخٌ سمحٌ عهدتُه ها هنا بالأمس ما فعل؟ يعني عثمان ـ لولا عهدُ مُعاويةَ ما تركتُ بها مُحتلماً إلَّا قتلتُه.

ولكن كان له نِكَـاية في الـروم، دخلَ وحده إلى كنيستهم، فقتلَ جماعةً، وجُرِح جراحات، ثم تلاحقَ أجنادُه، فأدركوه وهو يَذُبُّ عن نفسه بسيفه فقَتَلُوا من بقي، واحتملوه. وفي الآخِرِ جُعِلَ له في القراب سيفٌ من خشبٍ لئلَّا يبطِشَ بأحد، وبقي إلى حدود سنة سبعين رحمه الله.

---

(١) انظر السير: ٣/٤٠٩ ـ ٤١١.

١٤٨- الوليدُ بنُ عُقْبة(١)

[١]ابن أبي مُعَيْط، الأمير، أبو وهب الأموي، له صحبة قليلة ورواية يسيرة.

وهو أخو أمير المؤمنين عُثمان لأُمِّه، من مُسْلِمة الفتح بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المُصْطَلق(٢)، وأمَرَ بذبح والده صَبْراً يومَ بدر.

وَوَلِيَ الكـوفَـةَ لعثمـانَ، وجاهدَ بالشام، ثم اعتزلَ بالجزيرة بعد قتل أخيه عُثمان، ولم يُحارب مع أحدٍ من الفريقين. وكان سخيَّاً، مُمَدَّحاً شاعراً وكان يشربُ الخمر، وقد بعثه عُمرُ على صدقات بني تَغْلب. وقبرُهُ بقُرب الرَّقَّة.

[٢]قال علقمةُ: كنَّا بالروم وعلينا الوليدُ، فشرب، فأردنا أن نَحُدَّه فقال حُذيفةُ بن اليَمَان: أتَحُدُّون أميرَكم، وقد دنوتُم من عدوِّكُم، فيطمعُون فيكم.

---

(١) انظر السير: ٣/٤١٢ - ٤١٦.

(٢) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة إلى الحارث، ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق، فرق فرجع، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله إن الحارث منعني الزكاة، وأراد قتلي، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم البعث إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه، إذ استقبل البعث وفصل من المدينة، لقيهم الحارث فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم، قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعته الزكاة، وأردت قتله قال: لا، والذي بعث محمداً بالحق، ما رأيته بتة، ولا أتاني. فلما دخل الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «منعت الزكاة، وأردت قتل رسولي؟» قال: لا، والذي بعثك بالحق، ما رأيته ولا أتاني، وما أقبلت إلا حين احتبس عليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خشيت أن تكون كانت سخطة من الله عز وجل ورسوله، قال: فنزلت الحجرات: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ إلى هذا المكان ﴿فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم﴾ وذكـره الهيثمي في «المجمـع» ٧/١٠٨، ١٠٩. وقـال: رواه أحمـد والطبراني ورجال أحمد ثقات، كذا قال: مع أن ديناراً والد عيسى لم يوثقه غير أن حبان على عادته في توثيق المجاهيل، ولم يرو عنه غير ابنه عيسى. وقال ابن عبد البر في «الاستيعاب» ٣/٦٣٢: ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أن قوله عز وجل ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ﴾ نزلت في الوليد بن عقبة.

[١]وقـال حُصيَن بن المُنذر: صلَّى الوليدُ بالناس الفجر أربعاً وهو سكران ثم التفتَ، وقال: أزيدُكم؟ فبلغ عثمان، فطلبه، وحَدَّه.

[٢]وهذا مما نقموا على عثمان أن عزلَ سعدَ بن أبي وقَّاص عن الكوفة وولَّى هذا.

[٢]وكان مع فسقه ـ والله يُسامحه ـ شُجاعاً قائماً بأمر الجهاد.

وله أخبار طويلة في (تاريخ دمشق)، ولم يَذكُر وفاته.

١٤٩ ـ العِرْباضُ بن سارِيَة السُّلَمي (٤) [(١)]

[٣]من أعيان أهل الصُّفة، سكن حمص، وروى أحاديث.

خالدُ بن مَعْدان، حدثني عبدُالرحمن بنُ عمرو السُّلَمي، وحُجْرُ بنُ حُجْر، قالا: أتينا العِرْبَاضَ بن سارِيةَ. وهو ممن نزل فيه: **﴿ولا عَلى الذينَ إذَا ما أتَوك لتَحمِلَهم قُلْتَ لا أجد ما أحملُكم عليه﴾** [التوبة: ٩٢]. فسلَّمْنا وقُلنا: أتيناكَ زائرين وعائدين ومقتَبِسين. فقال: صلَّى بنا الرسولُ صلى الله عليه وسلم الصبحَ ذاتَ يوم، ثم أقبل علينا، فوعَظَنَا موعظَةً بليغةً ذَرَفَت منها العُيون، ووَجِلتْ منها القلوبُ، فقيل: يارسول الله، كأن هذه موعظةُ مُودِّع، فماذا تعهدُ إلينا؟ قال: «أُوصيكم بتَقْوى الله والسَّمْع والطاعة، وإن عَبْداً حَبَشِياً. فإنَّه من يَعِشْ منكم بعدي، فسيرى اختِلافاً كثيراً. فعليكُم بسنتي وسُنَّة الخُلفاء الراشدين المَهدِيِّين، تمسكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنَّواجذ. وإياكم ومُحدَثَات الأُمور، فإن كُلَّ مُحْدثَةٍ بدعة وكُلَّ بِدعة ضَلاَلَة».

[٤]قال عُتبةُ بن عَبْدَ: أتينا النبيَّ صلى الله عليه وسلم سبعةَ من بني سُلَيم أكبرُنا العِرباض بن سارية، فبايعناه.

(١) انظر السير: ٣/٤١٩ ـ ٤٢٢.

[١]عن عُروة بنِ رويم، عن العِرباض بن سارية، وكان يحب أن يُقْبَضْ، فكان يدعو: اللهم كَبِرتْ سِنِّي، ووَهن عظمي، فاقبضني إليك. قال: فبينا أنا يوماً في مسجد دمشق أصلِّي وأدعو أن أُقْبضَ، إذا أنا بفتىً من أجمل الرِّجال، وعليه دُوَّاج أخضر،(١) فقال: ما هذا الذي تدعو به؟ قلت: كيف أدعو يا ابن أخي؟ قال: قل: اللهم حسِّن العمل، وبلِّغ الأجل. فقلت:ومن أنت يرحمُك الله؟ قال: أنا رُتْبابيل الذي يَسُلُّ الحزنَ من صدور المؤمنين، ثم التفتُّ فلم أر أحداً.

[٢]عن العِرباض، قال: لولا أنْ يُقالَ: فعل أبو نَجيح، لألحقتُ مالي سُبْلةً، ثم لحقتُ وادياً من أودية لبنان عبدتُ الله حتى أموت.

[٣]عن أبي الفيض، سمع أبا حفصٍ الحمصيَّ يقول: أَعَطى مُعاويةُ المقدادَ حماراً من المَغنم، فقال له العِرباضُ بنُ سارية: ما كان لك أن تأخُذَه، ولا له أن يُعطيَك، كأنِّي بك في النار تحمِله فردَّه.

تُوفِّي العِرباضُ سنةَ خمسٍ وسبعين.

١٥٠ ـ سَعيدُ بن العاص (م، س) (٢)

[٤]ابن أبي أُحَيْحَةَ، القُرشيُّ الأُمويُّ، المدنيُّ الأمير. قُتل أبوه يومَ بدرٍ مُشركاً، وخلَّف سعيداً طفلاً.

قلت: لم يَروِ عن النبيِ صلى الله عليه وسلم.

وكان أميراً، شريفاً، جواداً، مُمدَّحاً، حليماً، وقوراً، ذا حزمٍ وعقل، يَصلحُ للخلافة.

[٥]ولِيَ إمرة المدينة غيرَ مرّة لمُعاوية. وقد ولي إمرة الكوفة لعُثمانَ بن عفان،

(١) الدُوَّاج: ضرب من الثياب.

(٢) انظر السير: ٣/٤٤٤ ـ ٤٤٩.

وقد اعتزلَ الفتنة، فأحسنَ، ولم يقاتلْ مع مُعاوية. ولما صفا الأمرُ لمُعاويةَ، وفدَ سعيد إليه، فاحترمه، وأجازه بمالٍ جزيل.

ولما كان على الكوفة، غزا طبرستان، فافتتحها.

[١] قال ابنُ سعد: تُوفِّي النبيُّ صلى الله عليه وسلم ولسعيد تسع سنين أو نحوها ولم يزل في صحابةِ عُثمانَ لقرابته منه، فولاّه الكوفةَ لمَّا عزل عنها الوليدَ بنَ عُقْبة، فقَدِمَها وهو شابٌّ مُترف، فأضرَّ بأهلها، فوليها خمسَ سنين إلا أشهراً ثم قامَ عليه أهلُهـا، وطـردوه، وأمَّـروا عليهم أبا موسى، فأبى، وجدَّد البيعةَ في أعناقهم لعثمان، فولّاه عثمانُ عليهم.

[٢] وكان سعيدُ بنُ العاص يومَ الدار مع المُقاتلة عن عثمان.

[٣] عن عبدالله بن أبي بكر بن حزم، قال: خطب سعيدُ بنُ العاص أُمَّ كُلثوم بنتَ عليٍّ بعد عُمر، وبعث إليها بمئة ألف، فدخل عليها أخوها الحُسينُ، وقال: لا تَزَوَّجيه. فقال الحسنُ: أنا أُزوِّجه. واتَّعدُوا لذلك فحضَروا، فقال سعيد: وأين أبـوعبـدالله؟ فقال الحسنُ: سأكفيك. قال: فلعلّ أبا عبدالله كَرِهَ هذا، قال: نعم. قال: لا أدخُلُ في شيء يَكرهُه، ورجع، ولم يأخُذْ من المال شيئاً.

[٤] قال ابن عيينة: كان سعيدُ بنُ العاص إذا قصدهُ سائل وليس عِنَدهُ شيء، قال: اكتب عليَّ سجلاً بمسألتك إلى المَيْسَرة.

[٥] وذكر عبدُالأعلى بن حمَّاد: أن سعيدَ بنَ العاص استسقى من بيت، فسقَوه، واتفق أن صاحبَ المنزل أراد بيعه لِدين عليه، فأدّى عنه أربعة آلاف دينار.

[٦] وعن سعيدٍ قال: القلوبُ تتغير، فلا ينبغي للمرءِ أن يكون مادحاً اليوم ذَامّاً غداً.

قال الزُّبير بن بكار: تُوفِّي سعيدُ بنُ العاص بقصره بالعرصة على ثلاثة أميالٍ من المدينة، وحُمِلَ إلى البقيع في سنة تسعٍ وخمسين.

[١]وقد كان سعيدُ بنُ العاص أحدَ من نَدَبَه عُثمان لِكتابة المصحف لفصاحته، وشبه لَهجتِهِ بلَهجة الرسول صلى الله عليه وسلم.

١٥١- عبدُالله بن جَعْفَر (ع) (١)

[٢]ابن أبي طالب، القرشيُّ، الهاشميُّ، الحبشيُّ المولد، المدنيُّ الدار، الجواد بن الجواد ذي الجَنَاحين.

له صحبة ورواية، عِدادُه في صغار الصحابة.

استُشْهِد أبوه يومَ مُؤْتَةَ فكفله النبيُّ صلى الله عليه وسلم ونشأ في حجْرِه.

وهو آخر من رأى النبي صلى الله عليه وسلم وصَحِبه من بني هاشم.

ولـه وِفادة على معاوية وعلى عبدالملك. وكان كبيرَ الشأن كريماً، جواداً، يَصلُحُ للإمامة.

[٣]عن عبدالله بن جعفر، قال: أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه، فأسرَّ إليَّ حديثا لا أحدث به أحداً. فدخل حائطا، فإذا جمل فلمَّا رأى النبيّ صلّى الله عليه وسلم حَنَّ وذرفت عيناه. (٢)

عن علي بن أبي حملة، قال: وفد عبدالله بن جعفر على يزيد فأمر له بألفي ألف.

قلتُ: ما ذاك بكثير، جائزَة ملك الدنيا لمن هو أوْلىٰ بالخلافة منه.

[٤]عن عبدِالله بن جعفر: أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم أتاهم بعدما أخبرهم بقَتْلِ جعفر بعد ثالثة، فقال: «لا تَبكُوا أخي بعدَ اليوم» ثم قال: «ائتوني ببني

---

(١) انظر السير: ٣/٤٥٦ ـ ٤٦٢.

(٢) وتمامه: فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه فسكت، فقال: «من رب هذا الجمل؟» فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يارسول الله. فقال: «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكا إليَّ أنك تجيعه وتدئبه»

أخي»، فجيءَ بنا كأننا أفرخ، فقال: «ادعو لي الحلاق» فأمره فحَلَقَ رؤوسنا، ثم قال: «أمَّا مُحمدٌ، فشبْهُ عمِّنا أبي طالب. وأما عبدالله فشبْهُ خَلْقِي وخُلُقي» ثم أخذ بيدي، فأشالها. ثم قال: «اللهم اخلُفْ جعفراً في أهله، وبارِكْ لعبدِالله في صفقته» قال: فجاءتْ أُمُّنا، فذكرتْ يُتمنا. فقال: «العَيْلَةَ تخافينَ عليهم وأنا وَلِيُّهُم في الدُّنيا والآخرةِ».

[١]عن عبدِالله بن جَعْفَر، قال: كانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا قَدِمَ من سفر، تُلقِّي بالصبيان مِن أهل بيته، وإنه قدم مرةً من سفر، فسُبِقَ بي إليه فحملني بين يديه، ثم جيءَ بأحَدِ ابني فاطمة، فأردفَه خلفه، فدخلنا المدينةَ ثلاثةً على دابة.

[٢]عن عَمرو بن حُرَيث، قال: مرَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بعبدِالله بنِ جعفر وهو يلعبُ بالتُّراب، فقال: «اللهُمَّ بارِكْ له في تِجَارته».

[٣]قال الشعبيُّ: كان ابنُ عُمر إذا سلَّم على عبدِالله بن جعفر قال: السلامُ عليكَ يا ابنَ ذي الجناحين.

[٤]قيل: إنَّ أعرابياً قصدَ مروان، فقال: ما عندنا شَيْءٌ، فعليكَ بعبدِالله ابن جعفر، فأتى الأعرابيُّ عبدالله، فأنشأ يقول:

أبو جَعْفَرٍ مِنْ أهلِ بَيْتِ نُبوَّةٍ ... صلاتُهم للمُسلِمين طُهورُ
أبَا جَعْفَرٍ ضَنَّ الأميرُ بمالِه ... وأنتَ على ما في يَدَيْكَ أميرُ
أبَا جَعْفَرٍ يا ابنَ الشَّهيدِ الذَّي لَهُ ... جَنَاحَانِ في أعْلى الجِنَانِ يَطيرُ
أبَا جَعْفَرٍ مَا مِثْلُك اليَوْمَ أرْتَجي ... فَلاَ تَتْرُكَنِّي بالفَلاَةِ أدُورُ

فقال: يا أعرابيُّ سار الثَّقَلُ، فعليكَ بالراحلةِ بما عليها وإيّاكَ أن تُخدَعَ عن السيف، فإني أخذتُه بألفِ دينار.

[٥]ويُروى أن شاعراً جاء إلى عبدالله بن جعفر، فأنشده:

رأيتُ أبا جَعْفَرٍ في المَنَام كَسَاني مِنَ الخَزِّ دُرَّاعةْ
شَكَوْتُ إلى صاحبي أمْرَهَا فقال ستُوتى بها السَّاعةْ
سَيَكْسُوكَها الماجِدُ الجعفريُّ ومَنْ كَفُّهُ الدَّهرَ نَفَّاعةْ
ومَنْ قالَ للجُودِ لا تَعْدُني فقالَ لَهُ السمعُ والطاعةْ

فقال عبدُالله لغلامه: أعطِه جُبَّتي الخزِّ. ثم قال له: ويحكَ كيف لم ترَ جُبَّتي الوشيَ؟ اشتريْتُها بثلاث مئة دينار، منسوجةً بالذهب. فقال: أنامُ، فلعلي أراها، فضحك عبدُالله، وقال: ادفعوها إليه.

[١] قال أبوعبيدة: كان على قُريش وأسد وكِنانة يوم صفِّين عبدُالله بنُ جعفر.

[٢] عن الأصمعي، أنَّ امرأةً أتت بدجاجةٍ مسموطة، فقالت لابن جعفر: بأبي أنت! هذه الدجاجة كانتْ مثل بنتي، فآليتُ أن لا أدفنَها إلا في أكرم موضع أَقدِرُ عليه، ولا والله ما في الأرض أكرمُ من بطنِك. قال: خذُها منها واحمِلُوا إليها، فذكر أنواعاً من العطاء، حتى قالت: بأبي أنت! إنَّ الله لا يُحِبُّ المُسرِفين.

[٣] ذكر الزُّبير بن بُكَّار، أن عُبيدالله بن أبي مُلَيْكَة، عن أبيه عن جده، قال: دخل ابنُ أبي عمار وهو يومئذ فقيهُ أهل الحجاز على نخَّاس فعرضَ عليه جاريةً، فعلِقَ بها، وأخذه أمر عظيم، ولم يكن معه مقدارُ ثمنها، فمشى إليه عطاء، وطاووس، ومُجاهد، يعذُلونه، وبلغ خبرُه عبدَالله، فاشتراها بأربعين ألفاً، وزيَّنها، وحلَّاها، ثم طلب ابن أبي عمار، فقال: ما فعل حبُّك فلانة؟ قال: هي التي هام قلبي بذكرها والنفسُ مشغولة بها، فقال: يا جاريةُ، أخرجيها، فأخرجَتْها تَرفُل في الحُليِّ والحُلَلِ، فقال: شأنُك بها، باركَ الله لك فيها. فقال: لقد تفضَّلتَ بشيء ما يَتَفَضَّلُ به إلا الله، فلمَّا ولَّى بها، قال: يا غلام! احمل معه مئةَ ألف درهم. فقال: لئن والله وُعِدْنا نعيمَ الآخِرَة، فقد عَجَّلْتَ نعيمَ الدنيا.

[١] ولعبدِالله بن جعفر أخبارٌ في الجُود والبذل.

وكان وافرَ الحِشمة، كثيرَ التَّنعُّم، وممن يستمعُ الغِناء.

مات في سنة ثمانين.

١٥٢- أبو الطفيـل (ع) (١)

[٢]خاتم من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدُّنيا، واستمرَّ الحالُ على ذلك في عصر التابعين وتابعيهم وهلمَّ جرا، لا يقول آدمي: إنني رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حتى نَبَغَ بالهند بَعْدَ خمس مئة عام بابا رَتَن، فادَّعى الصُّحبـةَ وآذى نفسـه، وكَذَّبه العلماء. فمن صدَّقه في دعواه، فبارك الله في عقله، ونحنُ نحمد الله عاى العافية.

واسم أبي الـطُّفَيل، عامـرُ بن وَاثِلَةَ بنِ عبـدالله بن عمـرو اللَّيثيُّ الكِنانيُّ الحجازيُّ الشيعيُّ.

كان من شِيعة الإمام عليّ. مولده بعد الهجرة.

رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهـو في حجـة الوداع وهو يَستلمُ الركنَ بمِحْجَنِهِ ثم يُقَبِّلُ المِحْجَن.

[٣]عن عبـدالرحمن الهَمْداني، قال: دخلَ أبو الطُّفَيل على مُعاويةَ فقال: ما أبقى لك الـدهـرُ من ثُكلِكَ عَلِيّاً؟ قال: ثُكـل العَجُـوز المِقْـلات(٢) والشيخ الرَّقُوب. قال: فكيف حبُّك له؟ قال: حبُّ أمِّ موسى لموسى، وإلى الله أشكو التقصير.

وكان أبوالطُّفيل ثِقَةً فيما ينقُله، صادقاً، عالماً، شاعراً، فارساً، عُمِّر دهراً طويلاً وشهد مع عليٍّ حُرُوبَه.

---

(١) انظر السير: ٣/٤٦٧ - ٤٧٠

(٢) المِقلات: هي التي لم يبق لها ولد، وكذلك الشيخ الرقوب.

وقال وهبُ بنُ جرير: سمعتُ أبي يقول: كنتُ بمكة سنة عشرٍ ومئة فرأيتُ جِنازةً فسألتُ عنها. فقالوا: هذا أبوالطُّفَيل.

قلت: هذا هو الصحيحُ من وفاته، ولو عُمِّر أحد بعده كما عُمِّر هو بعد النبيِّ صلى الله عليه وسلم لعاشَ إلى سنة بضع ومئتين.

كبار التابعين

١٥٣- مَرْوان بنُ الحَكَم (خ)(١)

[١] ابن أبي العاص، الملكُ أبو عبدِالملك القرشيُّ الأمويّ.

مولده بمكة، وهو أصغرُ من ابنِ الزُّبير بأربعةِ أشهر. وقيل: له رؤية، وذلك مُحتمل.

وكان كاتِبَ ابنِ عمه عُثمانَ، وإليه الخاتم، فخانَه، وأجْلَبوا بسببه على عُثمان، ثم نجا هو، وسار مع طلحة والزُّبير للطلبِ بدمِ عُثمان فقَتل طلحةَ يوم الجمل، ونجا - لا نُجِّيَ - ثم ولي المدينةَ غيرَ مَرَّةٍ لمُعاوية.

وكان أبوه قد طرده النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، ثم أقدمه عُثمانُ إلى المدينة لأنه عمه. ولما هلك ولدُ يزيد، أقبل مروان، وانضم إليه بنو أمية وغيرهم، وحاربَ الضَّحَّاك الفِهريَّ، فقتله، وأخذ دمشقَ، ثُمَّ مصرَ ودَعَىٰ بالخِلافة.

وكان ذا شَهامةٍ، وشجاعةٍ، ومكرٍ، ودهاءٍ، أحمرَ الوجهِ.

[٢] قال الشافعيُّ: لما انهزمُوا يومَ الجمل، سأل علي عن مروان وقال: يَعطِفُني عليه رَحِمٌ ماسَّة، وهُو مع ذلك سيدٌ من شباب قُريش.

وقال قَبيصَةُ بنُ جابر: قلتُ لمعاويةَ: مَنْ ترى للأمرِ بعدك؟ فسمَّى رجالاً، ثم قال: وأمَّا القارىءُ الفقيهُ الشديدُ في حدود الله، مروانُ.

قال أحمد: كان مروانُ يتتبَّعُ قضاءَ عُمر.

جعفر بن محمد: عن أبيه، كان الحسنُ والحُسينُ يُصلِّيان خَلْفَ مروانَ ولا يُعيدان.

(١) انظر السير: ٣/٤٧٦ - ٤٧٩.

[١] قلت: استولى مروانُ على الشام ومصر تسعةَ أشهر، ومات خَنْقاً من أول رمضان سنة خمسٍ وستين.

[٢] قال ابنُ سعد: كان يومَ الحرّة مع مُسرف بنِ عُقْبة يُحرِّضُه على قتال أهلِ المدينة.

[٣] قال: وعقَدَ لولديه عبدِالملك وعبدالعزيز بعدَهُ، وزَهَّد الناسَ في خالِد بن يزيد بن مُعاوية، ووضَع منه، وسبَّه يوماً، وكان متزوجاً بأُمِّه، فأضمرتْ له الشَّرَّ، فنام، فوثبتْ في جواريها، وغمَّته بوسادةٍ قعدن على جوانبها، فَتَلِفَ، وصرخْنَ، وظُنَّ أنه مات فُجاءةً.

وقيل: ماتَ بالطاعون.

١٥٤ـ كَعْب الأحْبَار (د، ت، س) (١)

[٤] هو كعْبُ بن ماتع الحِمْيري اليماني العلاّمةُ الحبْرُ، الذي كان يهودياً فأسَلمَ بعد وفاة النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وقدِمَ المدينةَ من اليمن في أيام عُمر رضي الله عنه، فجالسَ أصحابَ مُحمد صلى الله عليه وسلم، فكان يُحدِّثُهم عن الكتب الإسرائيلية ويحفظُ عجائب، (٢) ويأخذُ السننَ عن الصحابة. وكان حسنَ الإسلام متينَ الديانةِ من نُبلاء العلماء.

---

(١) انظر السير: ٣/٤٨٩ ـ ٤٩٤.

(٢) قال الحافظ بن كثير في تفسير سورة النمل بعدما أورد طائفة من الأخبار في قصة ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام: والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد في صحفهم، كروايات كعب ووهب سامحهما الله تعالى فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب، مما كان ومما لم يكن، ومما حُرِّف وبدِّل ونُسخ، وقد أغنانا الله بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ، ولله الحمد والمنة. وأخرج البخاري في «صحيحه» ١٣/:٢٨١، ٢٨٢ في الاعتصام باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء» من طريق حميد بن عبدالرحمن، أنه سمع معاوية يحدث رهطاً من قريش =

[١]وكان خبيراً بكُتُب اليهود، له ذَوْق في معرفة صحيحها من باطلها في الجُملة.

سكنَ بالشام بأَخَرة، وكان يغزو مع الصحابة.

[٢]روى خَالد بن مَعْدَان: عن كعب الأحبار، قال: لأن أبكِيَ من خَشيةٍ أحبُّ إلي من أنْ أتصدَّقَ بوزني ذَهباً.

تُوفي كعب بحمص ذاهباً للغزو في أواخرِ خلافةِ عُثمان رضي الله عنه فلقد كانَ من أوعية العلم.

١٥٥ ـ زياد بن أبيه (١)

[٣]وهو زياد بن عُبيد الثقفي، وهو زياد بن سُمَيَّة، وهي أُمُّه، وهو زياد بن أبي سفيان الذي استلحقه معاويةُ بأنه أخوه.

يُكنى أبا المُغيرة.

له إدراك، وُلد عامَ الهجرة، وأسلمَ زَمن الصديق، وهو مُراهِق وهو أخو أبي بَكْرَةَ الثقفيِّ الصحابيِّ لأُمِّه. ثم كان كاتباً لأبي موسى الأشعريِّ زمنَ إمرتهِ على البصرة.

وكان من نُبلاء الرجال، رأياً، وعقلاً، وحزماً، ودَهاءً، وفطنةً كان يُضربُ به المثلُ في النبل والسُّؤْدُدِ.

[٤]يُقال: إن أبا سُفيان أتى الطائفَ، فَسكِرَ، فطلب بَغِيًّا، فواقع سُمية، وكانت

= بالمدينة لما حج في خلافته وذكر كعب الأحبار، فقال: إنْ كان مِنْ أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا لنبْلو مع ذلك عليه الكذب. وما يحكيه كعب عن الكتب القديمة فليس بحجةٍ عند أحد من أهل العلم، وهذا عمر رضي الله عنه يقول له فيما أخرجه أبوزرعة الدمشقي في (تاريخه) ١/٥٤٤: لتتركن الأحاديث، أو لألحقنَّك بأرض القِردة. وليس كل ما نُسب إليه في الكتب بثابتٍ عنه، فإن الكذَّابين من بعده قد نسبوا إليه أشياء كثيرة لم يقلها.

(١) انظر السير: ٣/٤٩٤ ـ ٤٩٧.

مزوَّجـةً بعُبَيد، فولـدت من جِمَـاعِـه زياداً، فلما رآه مُعاويةُ من أفراد الدهر، استعطفَه، وادَّعاه، وقال: نَزَلَ من ظَهرِ أبي.

[١] قال الشَّعبيُّ: ما رأيتُ أحدا أخطبَ من زياد.

وقال قبيصة بنُ جَابِر: ما رأيتُ أحداً أخصبَ نادياً، ولا أكرمَ جَليساً ولا أشْبَه سريرةً بعلانيةٍ من زِياد.

وقال أبوإسحاق السَّبِيعي: ما رأيتُ أحداً قطُّ خيراً من زياد.

قال أبو الشَّعْثَاء: كان زيادُ أفتكَ من الحَجَّاج لمن يُخالِف هواه.

[٢] وقال ابنُ شَوْذَب: بلغَ ابنَ عُمر أن زياداً كتبَ إلى مُعاوية: إني قد ضبطتُ العراقَ بيمين، وشمالي فارغة، وسأله أن يُوليه الحجازَ. فقال ابنُ عمر: اللهم إنـك إنْ تجعلْ في القتلِ كفارةً، فموتاً لابن سُمَيَّةَ لا قتلاً فخرج في أصبعه طاعون، فمات.

قال الحسنُ البصـري: بلغَ الحسنَ بنَ علي أن زياداً يَتَتَبَّـعُ شيعـةَ عليٍّ بالبصرة، فيقتُلُهُم، فدعا عليه.

[٣] عن الشَّعبي: أُتي زياد في ميِّتٍ تركَ عَمَّةً وخالةً، فقال: قضى فيها عُمر أنْ جعلَ الخالةَ بمنزلة الأُخت، والعمةَ بمنزلةِ الأخ، فأعطاهُما المال.

١٥٦- صِلَةُ بنُ أشْيَـم (١)

[٤] الزاهدُ، العابدُ، القدوةُ، أبوالصهباء، العدويُّ البصريُّ زوج العالمة مُعاذة العدوية.

ما علمتُه روى سوى حديثٍ واحدٍ عن ابنِ عبَّاس.

[٥] وقالت مُعاذةُ: كانَ أصحابُه ـ تعني: صلة ـ إذا التَقَوْا عانقَ بعضُهم بعضاً.

(١) انظر السير: ٣/٤٩٧ ـ ٥٠٠.

[١]وقال ثابت: جاء رجل إلى صِلَةَ بنعي أخيه، فقال له: ادنُ فكُل فقد نُعي إليَّ أخي مُنذ حين، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وإنَّهُم مَيِّتُون﴾ [الزمر: ٣٠].

[٢]وقال حمَّاد بن سَلَمة: أخبرنا ثابت: أنَّ صِلَةَ كانَ في الغِزو، ومعه ابنُه، فقال: أيْ بُنَي! تقدم، فقاتِلْ حتى أحْتَسِبَك، فحمل، فقَاتل حتى قُتِلَ، ثم تقدم صِلَةُ، فقُتِل، فاجتمع النساءُ عند امرأتِه معاذةَ، فقالت: مرحَباً إن كُنْتُنَّ جِئْتُنَّ لِتُهَنِّئْنَنِي، وإن كُنتن جِئتُنَّ لغيرِ ذلك، فارجِعْنَ.

[٣]جرير بن حازم، عن حُميد بن هلال، عن صِلَة، قال: خرجْنا في قريةٍ وأنا على دابتي في زمانِ فُيُوضِ الماء، فأنا أسيرُ على مُسَنَّاة،(١) فسرتُ يوماً لا أجدُ ما آكـلُ، فلقيني عِلْج يحمِلُ على عاتقه شيئاً، فقلت: ضعه، فإذا هو خبز. قلت: أطعمني. فقال: إن شئت ولكن فيه شحمُ خِنزير، فتركتُه. ثم لقيتُ آخر، فقلتُ: أطعمني. قال: هو زادي لأيام. فإن نقصتَه، أجعتَني. فتركتُه. فوالله إني لأسيرُ، إذ سمعتُ خلفي وَجْبَةً كَوَجْبَةِ الطير، فالتفتُّ، فإذا هو شيء ملفُوف في سِبٍّ أبيض، فنزلتُ إليه، فإذا دَوخَلَةٌ مِن رُطَبٍ في زمانٍ ليس في الأرض رُطبة، فأكلتُ منه، ثم لففْتُ ما بقي، وركبتُ الفرس، وحملتُ معي نواهُنَّ.

قال جريرُ بنُ حازم: فحدثني أوفى بنُ دِلْهَم قال: رأيتُ ذلك السِّبَّ مع امرأتِه فيه مصحف، ثم فُقِد بعْدُ.(٢)

فهذه كرامةٌ ثابتة.

قُتِلَ سنة اثنتين وستين.

---

(١) المسنَّاة: السَدُّ.

(٢) السب: الخمار، الدوخلة: زبيل من خوص يجعل فيه التمر.

١٥٧ - أم كُلْثوم (١)

[١] بنت عليّ بن أبي طالب، الهاشِمية شَقيقة الحسنِ والحُسَين وُلدت في حدود سَنة ستٍّ من الهِجرة، ورأت النبيَّ صلى الله عليه وسلم ولَم تَروِ عنه شيئاً.

[٢] خَطبها عُمر بن الخطاب وهي صَغيرة، فقيلَ له: ما تُريدُ إلَيها؟ قال: إني سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كُلُّ سَببٍ ونَسَبٍ مُنقطع يومَ القيامَةِ إلَّا سَببي ونَسَبي».

وروى عبدالله بن زَيد بن أسلم، عن أبيه، عن جدِّه أنَّ عمر تَزوجها فأصْدَقها أربعينَ ألفاً.

قال أبو عُمر بن عبدالبر: قال عُمرُ لِعليّ: زَوِّجنِيها أبا حَسن فإني أرصُدُ من كَرامَتِها مالا يَرْصُد أحد، قال: فأنا أبعثُها إليك، فإن رَضيتَها، فقد زَوَّجْتُكَهَا - يَعْتَلُّ بِصِغَرِها - قال: فَبَعَثها إليه ببردٍ وقال لها: قولي له: هذا البُردُ الذي قلتُ لَكَ، فقالتْ له ذلك. فقال: قولي لَه: قد رضيتُ رَضِيَ الله عنك، ووَضَع يده على ساقِها، فَكَشَفها فقالت: أتَفْعَلُ هذا؟ لَولا أنك أميرُ المؤمنينَ، لَكَسرتُ أنفك، ثمَّ مَضَتْ إلى أبيها، فأخْبرَتْهُ وقالت: بَعَثْتَني إلى شَيخ ِ سوءٍ! قال: يا بُنيَّةُ إنه زوجُكِ.

ونَقل الزُّهريُّ وغيره: أنَّها وَلَدت لِعمرَ زَيداً، وقيلَ: وَلَدَتْ رُقَيَّة.

قال ابن إسحاق: تُوفي عَنها عُمر، فَتزوَّجَها عونُ بنُ جَعفَر بن أبي طالِب. ثمَّ ماتَ عنها.

قال ابن إسحاق: فزوَّجها أبوها بمحمَّدِ بن جعفر فمات، ثُمَّ زَوَّجَها أبوها بعبدِ الله بنِ جعفرَ فماتَتْ عِندَه.

---

(١) انظر السير: ٣/ ٥٠٠ ـ ٥٠٢

قلتُ: فلم يُولِدْها أحَد من الإخوةِ الثَّلاثَة.

يقال: وَقَعتْ هَوسةٌ بالليلِ، فَرِكبَ زيد فيها، فأصابَه حجر فَماتَ مِنهُ، وذَلك في أوائِلِ دَولَةِ مُعاوية، رَحمهُ الله.

وممن أدرك زمان النبوَّة

١٥٨ - زيد بن صُوحان (١)

[١] ابن حُجر العبديُّ الكوفي، أخو صعصعة بنُ صُوحان، كنية زيد: أبو سليمان.

كان مِن العُلماء العباد، ذكروه في كتب معرفة الصحابة، ولا صحبة له. لكنه أسلم في حياة النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

[٢] قال الأعمش، عن إبراهيم، قال: كان زيدُ بن صُوحان يُحدِّثُ، فقال أعرابي: إنَّ حديثَك يُعجبني، وإن يدَك لتُريبني. قال: أو ما تراها الشمال؟ قال: والله ما أدري اليمينَ يقطعون أم الشمال؟ فقال زيد: صدق الله ﴿**الأعْرابُ أشَدُّ كُفْراً وَنِفاقاً وأجْدَرُ أن لا يعْلَمُوا حُدُودَ ما أنْزَلَ اللهُ**﴾ [التوبة: **٩٧**] فذكر الأعمشُ أن يده قُطِعَت يوم نهاوند.

[٣] عن ابن أبي الهُذيل: قال: دعا عمر زيدَ بن صُوحان: فَضفَّنَهُ على الرَّحْل كما تُضَفِّنُون أمراءَكم، ثم التفت إلى الناسِ، فقال: اصنعوا هذا بزيدٍ وأصحابِ زيد. (٢)

[٤] حُميد بن هِلال، قال: قام زيد بن صُوحان إلى عُثمان، فقال: يا أميرَ المؤمنين! مِلتَ فمالت أمتُك، اعتدِلْ يعتدِلُوا. قال: أسامع مطيع أنتَ؟ قال: نعم. قال: الحقْ بالشام. فطلَّق امرأتَه، ثم لحق بحيث أمره.

[٥] عن غيلان بن جرير قال: ارْتُثَ(٣) زيدُ بن صُوحان يومَ الجمل، فدخلوا عليه، فقالوا: أبشِر بالجنة. قال: تقولون قادرِين، أو النار فلا تدرون، إنا غزونا

---

(١) انظر السِّير: ٣/ ٥٢٥-٥٢٨

(٢) «فضفنه على الرحل» أي: حمله عليه.

(٣) الارتثاث: أن يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف أثخنه جراحه، فهو مرتث ورثيث.

القومَ في بلادهم، وقتلنا أميرَهم، فليتَنا إذْ ظُلِمنا، صبرنا.

[١]عن زيد بن صُوحان قال: لا تغسِلوا عني دماً ولا تَنزِعوا عني ثوباً إلا الخُفَّين، وأَرمِسُوني في الأرض رمساً، فإني مُخاصِمٌ أُحاجُّ يومَ القيامة.

١٥٩- عقبة بن نافع القرشي (١)

[٢]الفِهريُّ الأميرُ نائبُ إفريقية لمعاوية، وليزيد، وهو الذى أنشأ القَيْروان، وأسْكنَها الناسَ.

وكان ذا شجاعةٍ، وحزمٍ، وديانةٍ، لم يَصِحَّ له صحبة، شهد فَتْحَ مِصر، واختطَّ بها.

[٣]قال الواقدي: جهَّزَه مُعاويةُ على عشرة آلاف، فافتتح إفريقية واختطَّ قَيروانها. وكان الموضعُ غيضةً لا يُرامُ مِن السِّباع والأفاعي فدعا عليها، فلم يبقَ فيها شيء، وهربوا حتى إن الوحوشَ لتَحْمِلُ أولادَها.

فحدثني موسى بن عُلَي عن أبيه، قال: نادى: إنَّا نازلون فاظعَنُوا، فخرجْنَ من جِحَرَتِهنَّ هوارب.

وروى نحوَه محمدُ بنُ عمرو، عن يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب قال: لما افتتح عُقبةُ إفريقية، قال: يا أهلَ الوادي! إنا حالُّون إن شاء الله، فاظعَنُوا، ثلاثَ مراتٍ، فما رأينا حَجَراً ولا شجراً إلا يخرجُ من تَحته دابَّة حتى هبطن بطَن الوادي. ثم قال للناس: انزلوا بسم الله.

وعن مُفضَّل بن فَضَالة، قال: كان عُقْبَةُ بن نافع مُجَابَ الدعوة.

[٤]وعن عُلَيِّ بنِ رَبَاح، قال: قَدِمَ عُقبةُ على يزيد، فردَّه والياً على المغرب سنة اثنتين وستين، فغزا السوسَ الأدنى، ثم رجع، وقد سبقه جُل الجيش، فخرج

(١) انظر السير: ٥٣٢/٣ - ٥٣٤.

عليه جمع من العدو، فقُتِلَ عُقبة وأصحابُه.

قُتِلَ سنة ثلاث وستين رحمه الله تعالى.

١٦٠ ـ المختار بن أبي عبيد الثقفي (١)

[١] الكذَّاب، كان والدُه الأمير أبو عُبيد بن مسعود قد أسلم في حياة النبيِّ صلى الله عليه وسلم ولم نعلم له صُحبةً.

استعمله عمرُ بن الخطاب على جيشٍ، فغزا العراق، وإليه تُنسبُ وقعة جِسر أبي عُبَيد.

[٢] ونشأ المختار، فكان مِن كُبراء ثَقيف، وذوي الرأي، والفصاحة والشجاعة، والـدَّهاء، وقِلَّةِ الدين، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «يَكُونُ في ثَقِيف كَذَّاب ومُبير» فكان الكَذّابُ هذا، ادَّعى أنَّ الوحي يأتيه، وأنه يعلَمُ الغيبَ، وكان المُبيرُ الحجَّاجَ، قبَّحهما الله.

[٣] عن رِفاعة الفتياني قال: دخلتُ على المختار، فألقى لي وسادةً وقال: لولا أنَّ جبريلَ قام عن هذه، لألقيتُها لك، فأردت أن أضربَ عنقه فذكرتُ حديثاً حدثنيهِ عمرو بن الحمق، قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم «أيُّما مُؤْمِنٍ أمَّنَ مُؤْمِناً عَلَى دَمِهِ فَقَتَله، فأنَا مِنَ القَاتِلِ بَريء».

[٤] وروى مُجاهد، عن الشَّعبيِّ قال: أقرأني الأحنفُ كتاب المختار إليه يزعم أنه نبي، وكان المختارُ قد سار من الطائف بعد مصرع الحُسين إلى مكة فأتى ابنَ الزُّبير، وكان قد طرد لِشرِّه إلى الطائف، فأظهر المُناصحة وتردَّد إلى ابن الحَنَفِيَّة، فكـانوا يسمعون منه ما يُنْكَرُ. فلما مات يزيدُ استأذن ابنَ الزُّبير في الرواح إلى العراق، فركَنَ إليه، وأذِنَ له، وكتب إلى نائبه بالعراق عبدالله بن

(١) انظر السير: ٣/٥٣٨ ـ ٥٤٤.

مُطيع يُوصيه به، فكـان يختلِفُ إلى ابن مطيع ثم أخذ يعيبُ في الباطن ابنَ الزُّبير، ويُثني على ابن الحنفية، ويدعو إليه وأخذ يَشْغَبُ على ابن مُطيع، ويَمْكُرُ ويكذِبُ، فاستغوى جماعةً، والتفَّتْ عليه الشيعةُ، فخافَه ابنُ مطيع، وفرَّ من الكـوفـة، وتمكَّن هو، ودعا ابنَ الزُّبير إلى مبايعة محمدِ ابن الحنفية، فأبىٰ، فحصَره، وضيق عليه وتوعَّده فتألَّمت الشيعةُ له، وردَّ المختار إلى مكة، ثم بعث معه ابنُ الزُّبير إبراهيمَ بنَ محمد بن طلحة على خراج الكوفة، فقدم المختارُ وقـد هاجت الشيعـةُ للطلب بالثـأر، وعليهم سليمان بن صُرَد، فأخذ المختارُ يُفسِدُهم ويقول: إني جئتُ من قبل المَهديِّ ابن الوَصيِّ، يريدُ ابنَ الحنفيَّة، فتبِعَه خلق، وقال: إن سليمان لا يصنعُ شيئاً، إنما يُلقي بالناس إلى التَّهْلُكة ولا خِبرةَ له بالحرب.

وخاف عُمرُ بن سعد بن أبي وقاص، فذهب عبدُالله بن يزيد الخَطْمي نائبُ ابنِ الـزُّبير وإبراهيمُ بنُ محمد إلى ابنِ صُرَد، فقالا: إنكم أحبُّ أهلِ بلدنا إلينا، فلا تفجعونا بأنفسكم، ولا تَنْقُصُوا عددَنا بخروجكم قِفُوا حتى نتهيَّأ. قال ابنُ صُرَد: قد خرجنا لأمرٍ ولا نُرانا إلَّا شاخِصين فسار، ومعه كل مستميتٍ، ومروا بقبر الحُسين، فبَكوا، وأقاموا يوماً عنده وقالوا: يا رب قد خذلناه، فاغفِرْ لنا، وتُبْ علينا، ثم نزلوا قَرْقِيسيا، فتم المصافُّ بِعين الوردة، وقُتِلَ ابن صُرَد وعامَّةُ التَّوابين ومَرِضَ عُبَيد الله بالجزيرة، فاشتغل بذلك وبقتالِ أهلها عن العراق سنةً وحاصر المَوْصِلَ.

وأما المختار، فسُجِنَ مُدَّةً، ثم خرج، فحاربه أهلُ الكوفة، فقَتل رِفاعةَ بن شداد، وعبـدَالله بن سعـد، وعدة. وغلبَ على الكوفة، وهربَ منه نائب ابنِ الزبير، فقتل جماعةً ممن قاتل الحُسين، وقَتَلَ الشِّمْرَ بنَ ذي الجوشن، وعُمَرَ ابن سعد، وقال: إن جبريلَ ينزِلُ عليَّ بالوحي، واختلق كتاباً عن ابن الحنفية إليه يأمـره بنصـر الشيعـة، وثارَ إبراهيم بن الأشتر في عشيرته، فقتل صاحب

الشـرطـة، وسُرَّ به المختارُ، وقوي، وعسكروا بدير هند، فحاربهم نائبُ ابن الزُّبير، ثم ضَعُفَ واختفى، وأخذ المختارُ في العدلِ وحُسنِ السيرة.

وبعث إلى النائب بمالٍ، وقال: اهرُبْ، ووجد المختارُ في بيت المال سبعةَ آلاف ألف درهم، فأنفقَ في جيشه، وكتبَ إلى ابنِ الزُّبير: إني رأيتُ عاملَك مُداهِناً لبني أمية، فلم يسعْني أن أُقِرَّه، فانخدع له ابنُ الزُّبير وكتب إليه بولاية الكوفة، فجهَّزَ ابنَ الأشتر لحرب عُبيدالله بن زياد في آخر سنة ستٍّ وستين، ومعه كرسيٌّ على بغلٍ أشهب.

وقال المختار: هذا فيه سِرٌّ، وهو آية لكم، كما كان التابوتُ لبني إسرائيل. فحَفُّوا به يدعون، فتألَّم ابنُ الأشتر، وقال: اللهُمَّ لا تُؤاخِذنا بما فعل السفهاءُ منا، سُنَّةَ بني إسرائيل إذ عكفُوا على العِجل.

وكان المختار يربِطُهم بالمُحال والكذب، ويتألَّفُهم بقتلِ النواصب.

ووقع المصافُّ، فَقُتِلَ ابنُ زياد، قدَّهُ ابنُ الأشتر نصفين. وكان بطلَ النَّخَع، وفارسَ اليمانية فدخل المَوْصِلَ، واستولى على الجزيرة. ثم وجه المختارُ أربعة آلاف فارس في نصرِ محمـد بن الحنفية، فكلمـوا ابنَ الزبير، وأخرجوه من الشِّعب، وأقاموا في خدمته أشهراً، حتى بلغهم قتلُ المختار، فإن ابنَ الزُّبير عَلِمَ مَكْرَهُ، فندب لحربه أخاه مُصعباً، فقدم محمدُ بنُ الأشعث، وشَبَثُ بنُ ربعي إلى البصـرة يستصـرخان الناسَ على الكذَّاب ثم التقى مُصعب وجيشُ الـمُختـار، فقُتـل ابنُ الأشعث، وعُبيدالله بنُ علي بن أبي طالب، وانفـلَّ الكـوفيون، فحصرهم مُصعب في دار الإمارة، فكان المُختار يبرُز في فرسانه ويُقاتلُ حتى قتله طريف الحنفي وأخوه طَرَّافُ في رمضان سنة سبع وستين، وأتيا برأسه مصعباً، فوهبهما ثلاثين ألفاً، وقتل من الفريقين سبع مئة.

ثم إن مُصعباً أساء، فأمَّنَ بقصر الإمارة خَلْقاً، ثم قتلهم غدراً وذُبِحَتْ عمرةُ بنتُ النعمان بن بشير صبراً، لأنها شهدتْ أن زوجها المختار عبدٌ صالح.

وقد كان المختار معظماً لابن عمر ينفذ إليه بالأموالِ، وكان ابنُ عمر تحته صفيةُ أخت المختار.

ونشأ المختار بالمدينة يُعرف بالميل إلى بني هاشم، ثم سار إلى البصرة يظهر بها ذكر الحسين في أيام معاوية، فأخْبر به عُبيدالله بن زياد فأمسك، وضربه مئة ودرَّعه عباءة، ونَفاه إلى الطائف. فلما عاذ ابن الزبير بالبيت، خرج إليه.

١٦١ - عُبيدالله بن زياد بن أبيه(١)

[١] أميرُ العـراق أبو حفص ولي البصرة سنة خمس وخمسين وله ثنتان وعشرون سنة، وولي خُراسان فكان أوَّلَ عربي قطع جَيْحُون، وافتتح بِيكَنْد(٢) وغيرَها.

وكان جميلَ الصورة، قبيح السريرة.

وقيل: كانت أُمه مرجانة مِن بناتِ ملوك الفرس.

قال أبو وائل: دخلتُ عليه بالبصرةِ وبينَ يديه ثلاثةُ آلاف ألف درهم جاءته من خَرَاجِ أصبهان وهي كالتل.

[٢]عن الحسن قال: قَدِمَ علينـا عُبيدالله، وأمرَّه معاوية، غلاماً سفيهاً، سفك الدماءَ سفكاً شديداً، فدخل عليه عبدُالله بنُ مغفل فقال: انتهِ عما أراكَ تصنعُ فإن شَرَّ الرِّعاءِ الحُطَمَةُ. قال: ما أنت وذاك؟ إنما أنت مِن حُثالةِ أصحابِ محمد صلى الله عليه وسلم. قال: وهل كان فيهم حُثالةٌ لا أمَّ لك.

قال: فمرض ابن مغفَّل، فجاءه الأميرُ عُبيدالله عائداً فقال: أتعهَدُ إلينا شيئاً؟ قال: لا تُصل عليَّ، ولا تقم على قبري.

وقيل: الذي خاطبه هو عائذُ بن عمرو المُزني كما في «صحيح مسلم» فلعلها واقعتان.

---

(١) انظر السير: ٣/٥٤٥ - ٥٤٩.

(٢) قال ياقوت: بلدة بين بخارى وجيحون على مرحلة من بخارى.

[١] وقد جرت لعُبيدالله خُطوب، وأبغضه المسلمون لِما فعل بالحسين رضي الله عنه، فلما جاء نَعْيُ يزيدَ، هَرَبَ بعد أن كاد يُؤسر، واخترق البريَّة إلى الشام وانضم إلى مروان.

توثَّب المختارُ الكذّابُ بالكوفة، وجهز إبراهيمَ بن الأشتر لحرب عُبيدالله في ثمانية آلاف، فالتَقَوْا في أول سنة سبع وستين بالخازِر، كبسهم ابنُ الأشتر سَحَراً، والتحم الحرب، وقُتِلَ خلق، فانهزم الشاميون، وقُتِلَ عُبيدالله وحُصين بن نُمير، وشُرحبيل بن ذي الكَلاع وبعث برؤوسهم إلى مكة.

وقد كانت مرجانة تقول لابنها عُبيدالله: قتلتَ ابنَ بنتِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لا ترى الجنةَ. أو نحو هذا.

قال أبو اليقظان: قُتِلَ عُبيدُالله بن زياد يومَ عاشوراء سنة سبعٍ وستين.

[٢] وصحَّ من حديث عُمارة بن عُمَيْر، قال: جيء برأس عُبيدالله بن زياد وأصحابه، فأتيناهم وهم يقولون: قد جاءت قد جاءت، فإذا حية تخلل الرؤوسَ حتى دخلت في مَنْخِر عُبيدِالله، فمكثت هُنيَّة، ثم خرجت وغابت ثم قالُوا: قد جاءت، قد جاءت، ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً.

قلت: الشيعي لا يطيبُ عيشه حتى يلعنَ هذا ودونه، ونحن نُبغِضُهم في الله، ونبرأ منهم ولا نلعنُهم، وأمرُهم إلى الله.



الجزء الرابع



١٦٢ المجنون(١)

[١]قيس بن المُلَوِّح، من بني عامر بن صَعصعة، الذي قتله الحبُّ في ليلى بنت مهدي العامِريَّة.

[٢]وقد أنكر بعضهُم ليلى والمجنونَ، وهذا دَفعٌ بالصَّدر، فَما من لَم يعلم حُجَّة على مَن عنده عِلم، ولا المثبتُ كالنَّافي، لكن إذا كان المثبتُ لِشيءٍ شِبه خُرافة، والنَّافي ليس غَرضُه دفع الحقِّ، فهنا النَّافي مقدَّمٌ، وهنا تقعُ المكابرةُ وتُسكبُ العبرة، فقيل: إنَّ المجنون عَلِقَ ليلى عَلاقة الصِّبا وكانا يَرعيان البَهْمَ(٢).

[٣]ألا تسمع قوله وما أفحلَ شعرَه:

تَعَلَّقتُ ليلى وهيَ ذاتُ ذُؤابةٍ ... ولم يَبدُ للأتراب مِن ثديها حَجمُ

صَغيرَينِ نرعىَ البَهْمَ يا لَيتَ أنَّنا ... إلى اليومِ لم نَكبَرْ ولم تَكبَر البهمُ

فاشتد شغفه بها حتى وُسْوسِ وتخبَّل في عقله.

[٤] قال أبو عبيدة: تزايد به الأمرُ حتى فقدَ عقله، فكان لا يُؤويه رَحْلٌ ولا يعلوهُ ثوبٌ إلَّا مزقه، ويقال: إن قومَ ليلى شَكَوا المجنونَ إلى السلطان، فأهدر دَمَه، وترحل قومُها بها.

فجاءَ وبقيَ يتمرغُ في المَحَلَّةِ، ويقول:

أيا حَرَجَاتِ الحيّ حَيثُ تَحمَّلُوا ... بذي سَلَم لَا جَادَكُنَّ رَبيعُ

وخَيماتُكِ اللاتي بمنعرَج اللِّوىٰ ... بَلِينَ بلىً لم تَبلَهُنَّ رُبُوعُ

---

(١) انظر السير: ٤/ ٥-٧

(٢) البهم: جمع بهمة، وهو الصغير من الضأن، الذكر والأنثى في ذلك سواء.

(٣) حرجات: جمع حَرَجة، وهي الغيضة الملتفة الشجر، أو الشجرة بين الأشجار لا تصل إليها الأيدي. وذو سلم: موضع بالحجاز.

[١]وقيل: إنَّ قومه حَجُّوا به ليزورَ النبيَّ ﷺ، ويدعو حتى إذا كان بمنى سمعَ نداءً: يا ليلى، فغُشيَ عليه. وجَـزِعت هي لفراقه وضَنِيتْ، وشعرهُ كثير من أرقِّ شيءٍ وأعذبِه، وكان في دولة يزيدَ وابنِ الزبير.

١٦٣ أبو مسلم الخَولاني (م، ٤)(١)

الداراني، سيِّدُ التابعين وزاهدُ العصر.

اسمه على الأصح، عبدالله بن ثُوَب.

قدم من اليَمن، وقد أسلَمَ في أيَّام النبيِّ ﷺ، فدخل المدينة في خلافةِ الصِّدِّيق.

[٢] قال إسماعيل بن عَيَّاش: حدثنا شُرحبيل: إن الأسود(٢) تنبَّأ باليمن، فبعثَ إلى أبي مسلم فأتاه بنارٍ عظيمة ثم إنَّه ألقى أبا مسلم فيها فلم تَضُرَّه، فقيل للأسود، إن لم تنفِ هذا عنـك أفسَدَ عليك مَن اتَّبعَكَ. فأمره بالرَّحيل فقدِمَ المدينة، فأناخَ راحلته، ودخل المسجد يُصلِّي، فبصُر به عُمر رضي الله عنه، فقام إليه، فقال: مِمَّن الرجل؟

قال: من اليَمن. قال: ما فعل الذي حَرقَه الكذابُ بالنار؟ قال: ذاك عبدالله بن ثُوَب. قال: نَشَدتُك بالله أنتَ هو؟ قال: اللَّهـمَّ نعم. فاعتنقَهُ عمر وبكى، ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين الصِّدِّيق. فقال: الحمدُ لله الذي لَم يُمِتْنِي حتى أراني في أُمةِ مُحمد من صُنِعَ به كما صُنِع بإبراهيمَ الخليل. رواه عبدُ الوهاب بن نَجدة، وهو ثقة، عن إسماعيل لكن شُرحبيل أرسل الحكاية.

[٣] قال عثمان بن أبي العاتكة: علَّق أبو مسلم سَوطاً في المسجد، فكان يقولُ: أنا

---

(١) انظر السير: ٤/٧-١٤.

(٢) هو الأسود العنسي، واسمه: عيهلة.

أولى بالسَّوط من البهائم، فإذا فَتر مَشقَ[1] ساقيه سَوطاً أو سوطين، قال: وكان يقول: لو رأيتُ الجَنَّة عيَاناً أو النَّار عياناً ما كان عندي مُستزادٌ.

[١] عن شُرحبيل، أنَّ رجلين أتيَا أبا مسلم، فلم يجداه في مَنزله، فأتيا المسجدَ، فوجداه يركع فانتظراه فأحصى أحَدُهما أنه ركع ثلاث مئة رَكعة.

[٢] عن عطيَّة بنِ قيس، قال دخلَ ناسٌ من أهل دمشقَ على أبي مسلم وهو غاز في أرض الرُّوم، وقد احتفَر جُورةً في فُسطَاطِه[2]، وجعل فيها نِطْعاً وأفرغ فيه الماء وهو يتصلَّق فيه[3]، فقالوا: ما حمَلَك على الصِّيام وأنت مسافر؟ قال: لو حضر قتالٌ لأفـطرتُ، ولتهيَّأتُ له وتقوَّيت، إنَّ الخَيل لا تجري الغايات[4] وهُنَّ بُدَّن، إنَّما تجري وهُنَّ ضُمَّر، ألا وإنَّ أيَّامنا باقيةٌ جائيةٌ لها نعمل.

[٣] وقيل: كان يرفعُ صوتَه بالتكبير حتى مع الصِّبيان ويقول: اذكر الله حتى يرى الجاهلُ أنَّك مجنون.

[٤] وروى محمد بن زياد الألهانيّ، عن أبي مسلم الخَولاني، أنَّه كان إذا غزا أرض الروم، فَمَرُّوا بنهرٍ فقال: أجيزُوا بسم الله، ويَمُرُّ بينَ أيديهم، فيمرُّون بالنهر الغمر، فربَّما لم يبلغ من الدَّوابِّ إلَّا الرُّكَب فإذا جازوا قال: هَل ذهب لكم شيء؟ فمن ذهب له شيء فأنا ضامِن له فألقى بعضهم مِخلاته عمداً.

فلما جازوا قال الرجل: مِخلاتي وقعت، قال اتبعني فاتَّبعه، فإذا بها معلَّقة بعودٍ في النهَّر، قال: خُذها.

[٥] عن محمـد بن زياد: عن أبي مسلم، أن امـرأة خَبَّبت عليه[5] امرأته، فدعا عليها، فعميت، فأتته فاعترفت وتابت فال: اللَّهمَّ إن كانت صادقة، فاردُد بَصرَها فأبصرتْ.

(١) مشقه: ضربه بسرعة.

(٢) البيت من الشعر.

(٣) تصلق: تقلب وتلوى على جنبيه.

(٤) الغايات: النهايات.

(٥) يقال: خبب فلان صديقه إذا أفسده عليه.

[١] عن بِلال بن كعب، أن الصِّبيان قالوا لأبي مسلم الخَولاني: ادع الله أن يَحبِسَ علينا هذا الظَّبيَ فنأخذَهُ، فدعا الله، فحبسه فأخذوه.

[٢] وعن عطاء الخراسانيّ، أنَّ امرأةَ أبي مسلم قالت ليس لنا دقيق، فقال: هل عندك شيءٌ؟ قالت درهمٌ بِعنا به غَزلاً. قال: ابغينيه وهاتي الجِراب، فدخل السُّوقَ، فأتاه سائلٌ، وألحَّ، فأعطاه الدِّرهم، وملأ الجِرابَ نُشَارةً مع تُراب، وأتى وقَلْبُه مرعوبٌ منها، وذهب، ففَتَحَتْهُ، فإذا به دقيق حُوَّارى(١).

فعَجَنت وخَبَزت، فلما جاءَ ليلاً، وضعته، فقال: مِن أينَ هذا؟ قالت: مِنَ الدَّقيق، فأكل وبكى.

[٣] عن سعيد بن عبدالعزيز، أنَّ أبا مسلم استبطأ خَبَر جيشٍ كانَ بأرضِ الرُّوم، فدخل طائر فوقع، فقال: أنا رتبابيل مُسلي الحُزنَ مِن صدور المؤمنين، فأخبره خبرَ الجيش فقال: ما جئتَ حتى استبطأتُك؟

[٤] عن عطية بن قيس، قال: دخل أبو مسلم على معاوية، فقام بين السِّماطين فقال: السلامُ عليك أيُّها الأجيرُ فقالوا: مَه قال: دَعُوه، فهو أعرفُ بما يقول، وعليك السلامُ يا أبا مسلم. ثم وَعَظَهُ، وحَضَّهُ على العدل.

قال المُفضل بن غَسَّان الغَلابي: إن علقمة وأبا مسلم ماتا في سنة اثنين وستِّين. فالله أعلم

وبداريًّا قبر يزار، يقال: إنه قبر أبي مسلم الخولاني، وذلك محتمل.

١٦٤ عامرُ بن عبدِ قيس(٢)

[٥] **القُدوة الوليُّ الزَّاهدُ أبو عبدالله التميميّ، العنبري، البصريّ.**

قال العِجلي: كان ثقةً مِن عُبَّاد التابعين، رآه كعبُ الأحبار فقال: هذا راهبُ هذه الأمة.

(١) أي: أبيض.

(٢) انظر السير: ٤/١٥ـ ١٩.

[١] عن الحسن، أنَّ عامراً كان يقول: مَن أُقرئُ؟ فيأتيه ناسٌ، فُيقرئُهم القرآن، ثمَّ يقوم فيصلِّي إلى الظُّهر، ثم يُصلِّي العصر، ثم يُقرئُ النَّاس إلى المَغرب، ثم يُصلِّي ما بين العشاءين ثم ينصرفُ إلى منزله، فيأكل رغيفاً، وينامُ نومةً خفيفة، ثمَّ يقومُ لصلاته ثم يتسحَّر رغيفاً ويخرج.

[٢] قال بلال بن سعد: وُشِيَ بعامر بن عبد قيس إلى زياد، فقالوا: ها هنا رجلٌ قيل له: ما إبراهيمُ عليه السلام خيراً منك فسكت، وقد ترك النساء.

فكتب فيه إلى عثمـان، فكتب إليه: انفـه إلى الشام على قَتَبٍ[١] فلما جاءَه الكتابُ، أرسل إلى عامر، فقال: أنت قيل لك: ما إبراهيم خيراً منك فسكت؟ قال: أمَا والله ما سكوتي إلا تعجُّبُ، ولَوِددتُ أنِّي غبارُ قدميه. قال: وتركتَ النِّساء؟ قال: ... ما تَركْتُهُنَّ إلاَّ أنِّي قد علمتُ أنه يجيءُ الولد وتشَعَّبُ فيَّ الدُّنيا، فأحببت التَّخا...ي.

ف...لاه على قَتَبٍ إلى الشـام، فأنزله معاويَة معه في الخضراء[٢] وبعث إليه بجارية، وأمرها أن تُعْلِمهُ ما حالُه. فكان يخرج مِن السحر، فلا تراه إلاّ بعد العَتَمَةِ فيبعث معاوية إليه بطعام، فلا يَعرِض له، ويجيئ بكِسَر، فيبلُّها ويأكل، ثمَّ يقوم إلى أن يسمعَ النِّداء فيخرج، فكتب معاويةُ إلى عثمان يذكُرُ حالهُ، فكتب: اجعله أَوَّل داخل وآخِرَ خارج، ومُر له بعشرة من الرَّقيق، وعشرةٍ من الظَّهر، فأحضرهُ وأخبرهُ. قال: إنَّ عليَّ شيطاناً قد غلبني، فكيف أجمع عليَّ عشرة. وكانت له بغلة.

[٣] عن قتادة، قال: كان عامر بن عبد قيس يسأَلُ ربَّه أن ينزِعَ شهوة النِّساء مِن قلبه، فكان لا يُبالي أذَكَراً لقي أمْ أُنثى وسأل ربَّه أن يمنع قلبه منَ الشيطان وهو في الصلاة فلم يقدِر عليه.

[٤] وعن أبي الحسين المجاشعي، قال لعامر بن عبد قيس: أتحدِّث نفسك في

(١) القتب: الرحل الصغير على قدر سنام البعير.

(٢) الخضراء: هي دار الإمارة بدمشق، بناها معاوية.

الصلاة؟ قال: أحدِّثُها بالوقوف بين يدي الله، ومنصرفي.

[١]قال أبو عمران الجَوْني: قيل لعامر بن عبد قيس: إنَّك تبيتُ خارجاً، أما تخافُ الأسد؟ قال: إنِّي لأستحيي من ربِّي أن أخافَ شيئاً دونه. وهبط وادياً به عابدٌ حبشيّ، فانفرد يُصلي في ناحية، والحبشيُّ في ناحية أربعين يوماً لا يجتمعان إلَّا في فريضة.

[٢] جعفر بن بُرقَان: حدَّثنا مَيمون بن مِهران، أنَّ عامر بن عبد قيس، بعث إليه أمير البصرة: مالك لا تأكلُ الجُبن؟ قال: إنَّا بأرضٍ فيها مجوس، فما شهد مُسلمان أنْ ليس فيه مَيتةٌ أكلتُه. قال؟ وما يَمنعُكَ أن تأتي الأُمراء؟ قال: إنَّ لدى أبوابكم طُلَّابَ الحاجات، فادعوهم واقضوا حاجاتهم، ودَعُوا مَن لا حاجة له إليكم.

[٣]قال مالك بن دينار: حدَّثني فلان، أنَّ عامراً مرَّ في الرَّحْبة وإذا رجل يُظلَمُ، فألقى رِدَاءه وقال: لا أرى ذِمَّة الله تُخفَرُ وأنا حي، فاستنقذه، ويُروى أنَّ سبب إبعاده إلى الشام، كونُه أنكر وخَلَّص هذا الذمِّيَّ.

[٤]

قال جعفر بن سُليمان: حدَّثنا الجُريريُّ قال: لمَّا سُيِّر عامر بن عبدالله الذي يُقال له: ابن عبد قيس، شيَّعهُ إخوانه، وكان بظَهر المِربَد فقال: إني داعٍ فأمِّنوا: اللهم من وشي بي، وكذب عليَّ، وأخرجني من مِصري، وفَرق بيني وبين إخواني، فأكثِر ماله، وأَصِحَّ جِسمَه، وأطِل عُمُرَهُ.

[٥] قال قتادة: لمَّا احتُضِر عامرٌ بكى، فقيل: ما يُبكيك؟ قال: ما أبكي جَزعاً من المَوت، ولا حِرصاً على الدُّنيا، ولكن أبكي على ظمأ الهواجِر، وقيام اللَّيل.

وقيل: تُوفي في زمن معاوية.

١٦٥ أُوَيْسُ القَرَنيّ(١)

[١]هو القدوة الزاهد، سيدُ التابعين في زَمانه، أبو عَمرو، أُويَسُ بن عامر بن جَزْء القَرَنيُّ المُراديُّ اليماني.

وقَرَنٌ بَطنٌ من مُراد، وفد على عُمر وروى قليلاً عنه، وعن عليّ.

[٢]وقد كان من أولياء الله المُتَّقين، ومن عِباده المُخلصين.

عن أُسير بن جابر، قال: لما أقبل أهل اليمن، جعل عُمر رضي الله عنه يستقرئُ الرِّفاق فيقول: هل فيكم أحدٌ من قَرَن، فوقع زِمامُ عُمر أو زمام أُوَيْس فناوَلَه ـ أو ناول أحدُهما الآخر فعرفه، فقال عمر: ما اسمك؟ قال: أنا أُويس. قال: هل لك والدة؟ قال: نَعَم. قال: فهل كان بك من البياض شيءٌ؟ قال: نعم فدعوتُ الله فأذهبَهُ عنِّي إلَّا موضعَ الدِّرهم من سُرَّتي لأَذكُرَ به ربِّي. قال له عمر: استغفر لي. قال: أنت أحقُّ أن تَستَغفِرَ لي، أنت صاحبُ رسول اللهﷺ، فقال: عمر: إني سمعتُ رسول الله ﷺ، يقول: «إن خَيرَ التَّابعين رجُلٌ يقالُ له أُويس، ولَه والدةٌ وكانَ به بياضٌ فدعا الله، فأذهبه عنه إلَّا موضع الدِّرهم في سُرَّته» فاستغفرَ لهُ، ثم دَخَلَ في غِمارِ الناس فلم نَدر أين وَقَع.قال: فقَدِم الكوفة.

[٣]قال: فكُنَّا نجتمع في حَلقة، فنذكُرَ الله، فيجلس معنا. فكان إذا ذَكر هو، وقَعَ في قلوبنا، لا يقُع حديثُ غيرُه.

[٤]عن علقمة بن مرثد، قال: انتهى الزُّهد إلى ثمانية: عامر بن عبدالله بن عبد قيس، وأويس القَرَني، وهرِم بن حيَّان، والرَّبيع بن خُثَيْم، ومَسْروق بن الأجْدَع، والأسود بن يزيد، وأبي مسلم الخَوْلاني، والحَسن بن أبي الحَسن.

[٥]عن أصبغ بن زَيد، قال: كان أُويس إذا أمسى يقول: هذه ليلة الركوع، فيركع حتى يُصبحَ، وكان إذا أمسى يقول هذه ليلة السُّجود، فيسجدُ حتى يُصبح، وكان إذا أمسى تصدَّق بما في بيته من الفضل من الطعام والشراب ثم قال: اللَّهمَّ مَن

(١) انظر السير: ٤/١٩-٣٣.

مات جوعاً فلا تُؤاخذني به، ومن مات عُرياً فلا تؤاخذني به.

[١] عن الشعبي: قال: مَرَّ رجل من مراد على أُويس القَرني فقال: **كيف أصبحت؟** قال: أصبحتُ أحمدُ الله عزَّ وجلَّ. قال: **كيف الزَّمان عليك؟** قال: كيف الزمانُ على رجلٍ إن أصبح ظنَّ أنَّه لا يُمسي، وإن أمسى ظنَّ أنَّه لا يُصبح، فمبشَّرٌ بالجنة أو مبشَّـرٌ بالنار، يا أخا مُراد، إنَّ الموتَ وذِكرَه لَم يترك لمؤمنٍ فَرَحاً، وإنّ عِلمه بحقوق الله لم يَترُك له في ماله فِضَّة ولا ذَهَباً، وإنَّ قيامَه لله بالحق لم يترُك له صديقاً.

[٢] عن ابن أبي الجَـدْعاء، سمع رسول الله ﷺ، يقول: «**يدخل الجنة بِشَفاعةِ** رَجلٍ من أُمَّتي أكثَر من بني تَميم».

قال أبو أحمد بن عديٍّ في (الكامل): أُويس ثقة صدوق، ومالكٌ يُنكِر أُويساً، ثم قال: ولا يجوزُ أن يُشَكَّ فيه.

١٦٦ الأشتر(١)

[٣] **ملكُ العرب، مالك بن الحارث النَّخَعِيُّ، أَحَدُ الأشراف والأبطال المذكورين.**

وفُقِئَت عَينُه يومَ اليرمُوك. وكان شَهماً مُطاعاً زَعِراً(٢) أَلّب على عثمان وقاتله، وكان ذا فصاحة وبلاغة. شهد صفِّين مع عليّ وتميَّز يومئذ، وكاد أن يَهزِمَ معاوية، فحملَ عليه أصحابُ عليٍّ لما رأوا مصاحف جندَ الشَّام على الأسنَّة يدعونَ إلى كتاب الله. وما أمكنه مخالفة عليٍّ، فَكَفَّ.

[٤] قال عبدالله بن سلمة المُرَاديّ: نظر عُمرُ إلى الأشتر، فصعَّد فيه النظر وصوَّبه ثم قال: إنَّ للمسلمين مِن هذا يوماً عصيباً.

[٥] ولما رجع عليٌّ من موقعة صفِّين، جهَّز الأشتر والياً على مصر، فمات في الطريق مسموماً.

(١) انظر السير: ٤/٣٤-٣٥.

(٢) زعر فلان: ساء خلقه. والزعارة: الشراسة وسوء الخلق.

[١]وقد كان عليٌّ يتبرمُ به لأنه صعب المِراس، فلما بلَغَه نَعيُه قال: إنا لله مالِك ومَا مَالكٌ، وهَل موجودٌ مثلُ ذلك؟ لو كان حديداً، لكان قَيداً، ولو كان حَجراً، لكان صَلْداً، على مثله فَلتَبكِ البواكي.

١٦٧ يزيد بن معاوية(١)

[٢]ابن **أبي سفيان بن حَرب بن أُميَّة، الخليفة، أبو خالد، القُرشيّ، الأُموي الدمشقي**.

[٣]له على هَنَاتِه حَسَنة، وهي غَزوُ القُسطنطينيَّة، وكان أميرَ ذلك الجيش، وفيهم مثلُ أبي أيُّوبَ الأنصاري.

عقدَ له أبوه بولايَة العهد من بعده، فتسلَّم المُلكَ عند موت أبيه في رجب سنة ستين، وله ثلاثٌ وثلاثون سنة.

[٤]فكانت دولته أقل مِن أربع سنين، ولم يُمهلْهُ الله على فعله بأهل المدينة(٢) لما خلعوه، فقام بعده ولده نحواً من أربعين يوماً، ومات. وهو أبو ليلى معاوية. عاش عشرين سنة، وكان خَيراً من أبيه، وبُويع ابنُ الزُّبيرِ بالحجاز والعراق والمَشرق.

[٥]ويزيد ممَّن لا نسبُّهُ ولا نُحبُّه، وله نُظراء من خلفاء الدَّولتين، وكذلك في ملوك النَّواحي، بل فيهم من هو شرٌّ منه وإنَّما عظُم الخَطب لكونِهِ وُلِّيَ بعد وفاة النبي ﷺ، بتسعٍ وأربعين سنة، والعهدُ قريب والصحابةُ موجودون، كابن عُمَر الذي كان أولَى بالأمر منه ومن أبيه وجدِّه.

[٦]وعن عمرو بن قيس، سمع يزيد يقول على المنبر: إنَّ الله لا يؤاخِذ عامّةً بخاصةٍ إلاّ أن يظهر منكرٌ فلا يُغيِّر فيؤاخِذ الكُلَّ.

[٧]وعن زياد الحارثيِّ قال: سقاني يزيد شراباً ما ذقتُ مثله، فقلت: يا أمير

(١) انظر السير: ٤/٣٥ـ ٤٠

(٢) في وقعة الحرة المشهورة.

المؤمنين لم أُسَلْسِلْ مثلَ هذا. قال: هذا رُمَّانُ حُلوان ، بِعَسَل أَصْبَهان، بِسُكَّر الأهواز، بِزبيب الطائف، بماء بَرَدى.

[١]قلت : كان قوياً شجاعاً، ذا رأيٍ وحَزم، وفطنة، وفصاحة، وله شِعر جَيِّدٌ، وكان ناصِبيّاً، فظّاً، غليظاً، جِلفاً، يتناول المُسكِرَ، ويفعل المُنكَر، افتتح دولته بمقتل الشهيد الحُسين، واختتمها بواقعةِ الحَرَّة. فمقته الناسُ. ولم يُبارَك في عُمُره. وخرج عليه غيرُ واحد بعد الحُسين كأهل المدينة قاموا لله، وكمرداس بن أُدَيَّة الحنظلي البصري، ونافع بن الأزرق وطوَّاف بن مُعَلَّىٰ السدوسي، وابن الزُّبير بمكة.

[٢]وعن الحسن، أن المغيرة بن شُعبة، أشار على معاوية ببيعة ابنه ففعل. فقيل: له ما وراءَك؟ قال: وضعتُ رِجل معاوية في غرز غيٍّ لا يزالُ فيه إلى يوم القيامة، قال الحسن: فمن أجل ذلك بايع هؤلاء أولادَهم، ولولا ذلك لكانت شورى.

[٣]عن نافع: مشى عبدُ الله بنُ مطيع وأصحابُه إلى ابن الحنفيَّة، فأرادوه على خلع يزيد فأبى، فقال ابن مطيع: إنَّه يشرب الخمر، ويتركُ الصلاةَ ويتعدى حكمَ الكتاب، قال: ما رأيتُ منه ما تذكر وقد أقمتُ عنده، فرأيته مواظباً للصلاة، مُتحرِّياً للخَير يسأل عن الفقه. قال: ذاك تصنُّعٌ ورياء.

تُوفي يزيد في سنة أربع وستين.

١٦٨ عَبِيدَةُ بنُ عَمرو(١)

[٤] **السَّلماني، الفقيه، المُراديّ، الكوفي، أحدُ الأعلام.**

أسلم عَبيدة في عام فتح مكة بأرض اليمن، ولا صُحبَة له، وأخذ عن عليٍّ وابن مسعود، وغَيرهما، وبرع في الفقه وكان ثَبْتاً في الحديث. قال الشَّعبيّ. كان عَبيدةُ يوازي شُريحاً في القضاء.

(١) انظر السير: ٤/٤٠-٤٤.

[١] وقال ابن سيرين: ما رأيتُ رجلاً كان أشدَّ توقّياً من عَبيدة. وكان محمدُ بنِ سرين مكثراً عنه.

قال أحمدُ العِجلي: كان عبيدة أحد أصحاب عبدالله بن مسعود الذين يُقرِئون ويُفتُون. وكان أعورَ.

[٢] قال أبو عمرو بن الصلاح: رُوِّينا عن عمرو بن عليٍّ الفلاس، أنَّه قال: أصحُّ الأسانيد ابن سيرين عن عَبيدة، عن علي.

قلتُ: لا تفوُّق لهذا الإسناد مع قُوَّته على إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله، ولا على الزُّهري، عن سالم، عن أبيه، ثم إنَّ هذين الإسنادين رُوي بهما أحاديثُ جمَّة في الصِّحاح وليس كذلك الأوَّل، فما في (الصحيحين) لِعبيدةَ عن عليٍّ سوى حديثٍ واحد.

[٣] عن عَبيدة، قال: اختلف الناسُ في الأشربة فمالي شراب منذ ثلاثين سنة إلاَّ العَسَل واللَّبن والماء.

[٤] قال محمد: وقلت لِعبيدة: إنَّ عندنا من شعر رسول الله ﷺ شيئاً من قِبَل أنسِ بن مالك. فقال: لأن يكونَ عندي منه شعرةٌ أحبُّ إليَّ من كلِّ صفراء وبيضاء على ظهر الأرض.

قلتُ: هذا القولُ من عَبِيدة هو مِعيارُ كمال الحبّ، وهو أن يُؤْثِرَ شعرةً نَبويَّةً على كُلِّ ذهب وفِضَّة بأيدي الناس.

ومثل هذا يقولُه هذا الإمامُ بَعدَ النبيّ ﷺ، بخمسين سنة، فما الذي نقولُه نحنُ في وقتنا لو وَجدنا بعضَ شعره بإسناد ثابت، أو شِسعَ نَعلٍ كان له، أو قُلامَةَ ظُفر، أو شَقَفةً من إناء شَرِبَ فيه. فلو بذَل الغنيُّ مُعظمَ أمواله في تحصيل شيءٍ من ذلك عنده. أكنت تعدُّه مُبذِّراً أو سفيهاً؟ كلاَّ. فابذُل مالَكَ في زَوْرَةِ مسجِده الذي بنى فيه بيدِهِ والسَّلامِ عليه عند حُجرَته في بَلَدِه، والتذَّ بالنَّظر إلى أُحُدِه وأحِبَّه، فقد كان نبيُّك ﷺ، يحبُّه وتملأ بالحُلُولِ في رَوضته ومقعَدِه، فلن تكون مؤمناً حتى

يكونَ هذا السيِّدُ أحبَّ إليكَ من نفسِك وولدِك وأموالِك والناسِ كُلِّهم. وقبِّل حجراً مكرَّماً نَزَل من الجنَّة، وضَع فَمَه لاثِماً مكاناً قَبَّله سيِّدُ البَشَر بيَقين، فهنَّأك الله بما أعطاك، فما فوق ذلك مَفخَر. ولو ظَفِرنا بالمِحجَن الذي أشار بِه الرسولُ ﷺ إلى الحَجَر ثم قَبَّل محجنَه، لحُقَّ لنا أن نزدحم على ذلك المِحجَن بالتقبيل والتبجيل، ونحنُ ندري بالضرورة أنَّ تقبيل الحَجَر أرفعُ وأفضلُ من تقبيل مِحجنِه ونَعلِه.

وقد كان ثابتُ البُنَاني إذا رأى أنس بن مالك أخذ يَدَه فَقَبَّلها. ويقول: يدٌ مسّت يد رسـول الله ﷺ، فنقول نحن إذ فاتنا ذلك: حَجَرٌ معظَّمٌ بمنزِلة يمينِ الله في الأرض مسَّته شفَتا نبيِّنا ﷺ لاثماً له فإذا فاتك الحجُّ وتلقَّيتَ الوفد فالتزمِ الحاجَّ وقبِّل فمَه وقل: فمٌ مسَّ بالتقبيلِ حَجراً قبَّله خليلي ﷺ.

وفاة عَبيدة في سنة اثنتين وسبعين.

١٦٩ هَرِمُ بنُ حَيَّان(١)

[١]**العبدي، البصريُّ، أحدُ العابدين.**

وليَ بعضَ الحروب في أيام عُمرَ وعثمان ببلاد فارس.

[٢]المُعلّى بن زياد، قال: كان هرِمٌ يخرجُ في بعض اللَّيل ويُنادي بأعلى صوته: عجبتُ من الجَنَّة كيف نامَ طالبُها؟ وعجبتُ من النار كيف نام هارِبُها؟ ثم يقول: ﴿أَفَأَمِنَ أَهلُ القُرى أن يأتيَهُم بأسُنَا بَيَاتا﴾ [الأعراف ٩٧].

[٣] قيل لهرم بن حيَّان العبديّ: أوصِ، قال: قد صدقتني نفسي، ومالي ما أوصي به، ولكن أوصيكم بخواتيم سورة النحل.

[٤] عن الحسن، عن هرم، أنَّه قيل له: أوصِنَا فقال: أوصيكم بخواتيم سورة البقرة.

[٥]عن هرم بن حيان، قال: إيَّاكم والعالِمَ الفاسق فبلغ عُمر، فكتب إليه وأشفق

(١) انظر السير: ٤/٤٨-٥٠.

منها: ما العالمُ الفاسق؟ فكتب إليه: ما أردتُ إلَّا الخير، يكون إمامٌ يتكلَّم بالعِلم، ويعمل بالفسق، ويُشبِّه على الناس، فيَضِلُّوا.

[١] قال قتادة: كان هَرِمُ بن حيَّان يقول: ما أقبلَ عبدٌ بقلبه إلى الله، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه، حتَّى يرزُقَهُ وُدَّهم.

[٢]عن الحسن، قال: مات هَرِمُ بنُ حيَّان في يوم حارّ، فلمَّا نفضوا أيديَهُم عن قبره، جاءت سحابةٌ حتى قامت على القبر. فلم تكُن أطولَ منه، ولا أقصرَ منه، ورشَّتهُ حتى روَّته، ثم انصرفت.

[٣]عن قتادة، قال: أُمطِر قبرُ هرمٍ من يومه، وأنبتَ العشبُ.

١٧٠ الأسودُ بنُ يزيد (ع)[١]

[٤]ابن قيس، الإمامُ، القدوةُ، أبو عمرو النخعيُّ الكوفيّ.

وهو أخو عبدالرحمن بن يزيد، ووالدُ عبدالرحمن بن الأسود، وابنُ أخي علقمةَ بن قيس، وخالُ إبراهيم النَخَعي.

فهؤلاء أهلُ بيتٍ من رُؤوس العِلم والعَمل.

وكان الأسود مُخضرماً، أدرك الجاهليَّة والإسلام، وهو نظيرُ مسروق في الجلالة والعلم والثقة والسِّن يُضرب بعبادتهما المثل.

[٥]عن أبي إسحاق، قال: حجَّ الأسودُ ثمانين، من بين حَجَّةٍ وعُمرة.

[٦]عن إبراهيم، قال: كان الأسود يَختِم القرآن في رمضان في كُلِّ ليلتين، وكان ينامُ بين المغرب والعشاء، وكان يختِم القرآن في غير رمضان في كُلِّ ستِّ ليالٍ.

[٧]عن علقمة بن مَرثد قال: كان الأسودُ يجتهد في العبادة، ويصومُ حتى يخضَرَّ ويصفرَّ، فلما احتُضِر بكى، فقيل له: ما هذا الجَزَعُ؟ فقال: مالي لا أجزعُ، والله لو أُتِيتُ بالمغفرةِ من الله لأهمَّني الحياءُ منه ممَّا قد صنعْتُ، إن الرجل ليكون بينَهُ

(١) انظر السير: ٤/٥٠-٥٣.

وبين آخرَ الذَّنبُ الصغير فيعفو عنه، فلا يزال مستحياً منه.

[١]عن الحكم، أنَّ الأسود كان يصوم الدَّهر - هذا صحيح عنه - وكأنَّه لم يَبْلُغْهُ النَّهْيُ عن ذلك، أو تأوَّل.

وفاة الأسود سنة خمسٍ وسبعين، والله يرحمه.

١٧١ علقمة (ع)[1]

[٢] **فقيه الكوفة وعالمها ومُقرئُها، الإمامُ الحافظُ، المجوِّد، المجتهدُ، الكبير، أبو شِبلٍ عَلقمةُ بنُ قيس بن عبدالله.**

النَّخَعِيُّ، الكوفيُّ، الفقيه، عمُّ الأسود بن يزيد وأخيه عبدالرحمن وخالُ فقيه العراق إبراهيم النَّخَعِيّ.

وُلـد في أيام الرسالة المحمديَّة، وعِداده في المُخضرمين، وهاجر في طلب العلم والجِهاد، ونزل الكوفة ولازم ابنَ مسعود حتى رأَس في العِلْم والعمل، وتفقَّه به العلماء، وبعُد صيتُه.

وجوَّد القرآن على ابنِ مسعود.

وتفقَّـه به أئمـة: كإبراهيم، والشَّعبيّ. وتصدَّى للإمامة والفُتيا بَعد عليٍّ وابن مسعود. وكان يُشبَّهُ بابنِ مسعود في هديه ودَلِّه وسَمْتِه. وكان طلبتُه يسألونه ويتفقَّهون به والصحابة متوافرون.

عن إبراهيم، قال: كنَّى عبدُ الله بن مسعود علقمة أبا شِبل وكان علقمةُ عقيماً لا يُولَد له.

عن إبراهيم، قال علقمة: ما حفظتُ وأنا شابٌّ، فكأنِّي أنظر إليه في قِرطاس أو رُقعة.

قال ابنُ المدَيني: لم يكن أحد من الصحابة له أصحاب حَفظُوا عنه، وقاموا

---

(١) انظر السير: ٤/٥٣ـ ٦١.

بقوله في الفقه إلاَّ ثلاثة: زَيد بن ثابت، وابن مسعود، وابن عباس، وأعلم الناس بابن مسعود: علقمةُ، والأسود، وعَبِيدة، والحارث.

عن عُمَارة بن عُمير قال: قال لنا أبو معمر: قوموا بنا إلى أشبه الناس بعبد الله هَدياً ودَلًّا وسَمْتاً، فقمنا معه حتى جلسنا إلى علقمة.

[١]روى إبراهيم، عن علقمة، أنَّه قدِمَ الشام، فدخل مسجدَ دمشق، فقال: اللهمَّ ارزُقني جليساً صالحاً، فجاء فجلس إلى أبي الدَّرداء، فقال له: مِمَّن أنتَ؟ قال: مِن أهل الكوفة، قال: كيف سمعتَ ابنَ أُمِّ عبدٍ يقرأ ﴿واللَّيلِ إذا يَغْشَىٰ﴾ الحديث.

[٢]عن ابن سيرين، قال: أدركت القوم وهم يقدِّمون خَمسة: مَن بدأ بالحارث الأعور ثنَّى بِعَبِيدةَ، ومَن بدأ بعبيدة ثنَّى بالحارث ثم علقمة الثالث، لا شكَّ فيه، ثم مسروق، ثم شريح، وإنَّ قوماً أخسُّهم شُريح لقوم لهم شأن.

عن محمد قال: كان أصحابُ عبدِ الله خمسةً كُلُّهم فيه عَيبٌ: عَبيدة أعور، ومسروق أحدب، وعلقمة أعرج، وشُريح كَوسَج(١) والحارث أعور.

[٣]عن علقمة، قال: أُتِي عبدُ الله بشراب، فقال: أعطِ علقمة، أعط مسروقاً، فكلُّهم قال: إني صائم، فقال: ﴿يَخَافُونَ يوماً تَتَقلَّبُ فِيه القُلُوبُ والأبصَارُ﴾ [النور ٣٧]، وقال إبراهيم: كان علقمة يقرأ القرآن في خمسٍ. وقال علقمة: أطِيلُوا كرَّ الحديث لا يدرس.

[٤]عن شقيق قال: كان ابنُ زياد يراني مع مسروق فقال: إذا قدمت فالقني، فأتيت علقمة فقال: إنَّك لم تُصِبْ من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دِينِك ما هو أفضلُ منه، ما أُحِبُّ أنَّ لي مع ألفيَّ ألفَيْنِ وإنِّي أكرمُ الجُندِ عليه.

[٥]عن عبدالرحمن بن يزيد، قُلنا لعلقمة: لو صلَّيت في المسجد وجلسنا معك فتُسأل، قال: أكره أن يُقال: هذا علقمة.

---

(١) الكوسج: الذي لا شعر على عارضيه: ويقال: النقي الخدين من الشعر.

[١]عن علقمة، قال: كنتُ رجلاً قد أعطاني الله حُسْنَ الصوتِ بالقرآن، وكان ابنُ مسعود يُرسِل إليَّ، فأقرأ عليه، فإذا فرغتُ من قِراءتي قال: زِدنا فِداك أبي وأُميِّ.

[٢]عن عبدالرحمن بن يزيد، قال عبدالله: ما أقرأُ شيئاً ولا أعلمه إلَّا علقمةُ يقرؤه أو يعلمه.

[٣]عن قابوس بن أبي ظبيان، قال: قلتُ لأبي: لأي شيءٍ كنت تأتي علقمة وتدعُ أصحاب النبي ﷺ؟ قال: أدركتُ ناساً من أصحاب النبي ﷺ يسألون علقمة ويستفتونه.

[٤]عن عبدالرحمن بن يزيد قال: قيل لابن مسعود: ما علقمةُ بأقرئنا، قال: بلى والله إنَّه لأقرؤكُم.

[٥]عن الشَّعبي: إن كان أهـل بيتٍ خُلِقوا للجَنّة، فهم أهلُ هذا البيت، علقمة والأسود. وقال أبو قيس الأَوْديّ: رأيت إبراهيم آخذاً بالرِّكاب لعلقمة.

[٦]عن علقمة أنَّه أوصى، قال: إذا أنا حُضِرتُ فأجلِسوا عنديَ مَن يلقِّنُني: لا إله إلا الله، وأسرعوا بي إلى حُفرتي، ولا تَنْعَوْني إلى الناس، فإنِّي أخاف أن يكون ذلك نعياً كنعي الجاهليَّة(١)، مات سنة اثنتين وستين.

١٧٢ مسروق (ع)(٢)

[٧]ابن الأجْدَع، الإمام القدوة العَلَم، أبو عائشة الوادِعيُّ، الهمْدانيُّ، الكوفيّ. قال أبو بكر الخطيب: يقالُ إنَّه سُرِق وهو صغير ثم وجُدِ فسمِّي مسروقاً. وأسلم أبوه الأجدع.

---

(١) وأخرج أحمد ٥/٤٠٦، والترمذي (٩٨٦) وابن ماجه (١٤٧٦) والبيهقي ٧٤٨٤ من حديث حذيفة بن اليمان أنه كان إذا مات له ميت قال: لا تؤذنوا به أحداً، إني أخاف أن يكون نعياً، إني سمعت رسول الله ﷺ، ينهى عن النعي. لكن هذا النهي قيده العلماء بما إذا كان يشبه النعي الذي كان عليه أهل الجاهلية من الصياح على أبواب الدور والأسواق، أمّا إذا لم يقترن بشيء من ذلك وشبهه فلا خطر فيه، فقد أخرج الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، خرج إلى المصلّى، فصف بهم وكبر أربعاً.

(٢) انظر السير: ٤/٦٣- ٦٩.

وعداده في كبار التابعين وفي المُخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ.

قال أبو داود: كان أبو الأجدع أفرسَ فارسٍ باليمن. قال أبو داود أيضاً: ومسروق هو ابنُ أختِ عمرو بن معد يكرب.

عن مُرَّة قال: ما وَلَدَت هَمْدانيَّة مِثلَ مسروق. وقال أيُّوب الطائيّ، عن الشَّعْبيّ، قال: ما علمتُ أنَّ أحداً كان أطلب للعلم في أُفُقٍ من الآفاق مِن مسروق.

[١]وروى شعبة عن أبي إسحاق، حجَّ مسروقٌ فلم ينم إلَّا ساجداً على وجهه حتَّى رجع.

[٢]وروى أنس بن سِيرين، عن امرأةِ مسروق قالت: كان مسروق يُصلِّي حتى تَورَّم قدماه، فرُبَّما جلستُ أبكي مِمَّا أراهُ يصنعُ بنفسه.

[٣]عن الشَّعبي، قال مسروق: لأن أُفتي يوماً بِعَدلٍ وحقٍّ، أحبُّ إليَّ مِن أن أغزُوَ سنة.

[٤]قال إبراهيم بن محمد بن المنتشِر: أهدى خالد بن عبدالله بن أُسَيْد عامِلُ البصرة إلى عمِّي مسروق ثلاثين ألفاً وهو يومئذٍ محتاجٌ فلم يقبلها.

[٥]وقال أبو إسحاق السَّبيعي: زوَّج مسروق بنته بالسَّائب بن الأقرع على عشرة آلاف لنفسه يجعلُها في المجاهدين والمساكين.

[٦]عن أبي الضُّحى قال: غابَ مسروق عاملاً على السّلسلة سنتين، ثم قدم، فنظر أهله في خُرجه فأصابُوا فأساً، فقالوا: غِبتَ ثم جئتنا بفأس بلا عُود، قال: إنَّا لله، استعرناها، نَسينا نردُّها.

[٧]قال سعيد بن جُبَيْر، قال لي مسروق: ما بقي شيءٌ يُرغَبُ فيه إلا أن نُعفِّر وُجوهَنا في التراب، وما آسى على شيء إلَّا السجود لله تعالى.

مات سنة اثنتين وستين.

[٨]عن إبراهيم بن محمد بن المنتِشر، عن أبيه، أنَّ مسروقاً كان لا يأخذ على القضاء أجراً، ويتَأوّلُ هذه الآية ﴿إنَّ الله اشتَرىٰ مِنَ المؤْمنينَ أَنفُسَهُم وأَموالَهُم﴾

الآية [التوبة ١١١].

[١]عن مسروق: قال: كفَى بالمرء عِلماً أن يخشى الله تعالى، وكفى بالمرء جهلاً أن يُعجَب بعمله.

[٢]قال مسروق: مَن سَرَّه أن يعلم عِلمَ الأولين والآخرين، وعِلمَ الدُّنيا والآخرة، فليقرأ سورة الواقعة.

[٣]قلتُ: هذا قاله مسروق على المبالغة، لِعِظَمِ ما في السُّورة مِن جُمَلِ أمُورِ الـدَّارين. ومعنى قولـه: فليقرأ الواقعة أي بِتدبُّر وتفكُّر وحضور. ولا يَكُنْ كمَثَل الحمار يحملُ أسفاراً.

عن الشعبي، قال: كان مسروق إذا قيل له: أبطأت عن عليٍّ وعن مَشاهِدِه، فيقول: أرأيتُم لَو أنَّه حين صُفَّ بعضُكم لبعض فنزل بينكم ملَك فقال: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُم إنَّ الله كَانَ بكُم رحيماً﴾ [انساء **٢٩**] أكان ذلك حاجزاً لكم؟

قالوا: نَعَم. قال: فوالله لقد نزل بها ملَكٌ كريم على لِسان نَبيِّكم، وإنَّها لمُحكَمَةٌ ما نَسَخها شيء.

١٧٣ سُويدُ بنُ غفَلة (ع)[١]

[٤]**ابن عوسجَةَ بن عامر الإمامُ، القدوة، أبو أُميَّة الجُعفِيّ الكُوفيّ.**

قيل: له صحبة، ولم يصحَّ، بل أسلم في حياة النبيِّ ﷺ، وسمَع كِتابَهُ إليهم، وشهِد اليَرموك.

[٥]وقال عاصم بن كُليب: تزوّج سُويد بن غَفَلة بكراً وهو ابن مئةٍ وست عشرة سنة.

[٦]عن عمران بن مسلم، قال: كان سُويد بن غَفَلة إذا قيل له: أُعطِي فلان ووُلِّيَ فلان قال: حسبي كِسرتي ومِلحي.

عن عليَّ بن المـدَيني قال: دخلتُ منزل أحمد بن حنبل، فما شَبَّهته إلاَّ بما

(١) انظر السير: ٤/٦٩-٧٣.

وُصِف من بيت سُويد بن غَفلة، من زُهدِه وتواضُعه، رحمه الله.

[١]وروى الوليد بن عليٍّ عن أبيه، قال: كان سُويدُ بن غَفَلة يؤمُّنا في شهر رمضان في القيام، وقد أتى عليه عشرون ومئة سنة. مات سنة اثنتين وثمانين.

١٧٤ مُرَّة الطَّيِّب (ع)[1]

[٢]**ويقال** له أيضاً: مُرَّة الخير لعبادته وخيره وعِلمه، وهو مُرَّة بن شَراحيل الهَمْدانيُّ الكوفيّ، مُخضرمٌ كبيرُ الشأن.

[٣]**وبلغنا** عنه أنَّه سجد لله حتَّى أكلَ الترابُ جبهتهُ.

[٤]**سفيان** بن عُيَيْنَة: سمعت عطاء بن السائب يقول: رأيت مُصلَّى مُرَّة الهمدانيّ مثل مَبركِ البعير. ونقل عطاء أو غيره أنَّ مُرَّة كان يُصلِّي في اليوم والليلة ستَّ مئة.

قلتُ: ما كان هذا الوليُّ يكاد يتفرغ لنشر العِلم، ولهذا لم تكثر روايتُه، وهل يُراد من العلم إلا ثَمرَتُه.

مات سنة نَيِّفٍ وثمانين ـ رحمه الله ـ بالكوفة.

١٧٥ عمرو بن الأسود (خ، م)[2]

[٥] العَنْسيّ، ويقال له: عُمَير بن الأسود، أبو عِياض، نزيلُ داريًا، أدرك الجاهليَّة والإسلام وكان من سادة التَّابعين ديناً وورعاً.

[٦] عن عبدالرحمن بن جُبير، قال: حجَّ عمرو بن الأسود، فلمَّا انتهى إلى المدينة، نظر إليه ابن عُمرَ وهو يُصلي فسأل عنه فقيل: شاميٌّ يُقال له: عمرو بن الأسود، فقال: ما رأيتُ أحداً أشبه صلاةً ولا هدياً ولا خشوعاً ولا لبسةً برسول الله ﷺ، مِن هذا الرجلِ.

---

(١) انظر السير: ٤/ ٧٤- ٧٥.

(٢) انظر السير: ٤/ ٧٩- ٨١.

[١] **شُرحبيل بن مسلم، عن عمرو بن الأسود العنسيّ، أنّه كان يدعُ كثيراً مِن الشِبَعِ مخافةَ الأشَرِ.**

[٢]**عن خالد بن معدان، عن عمرو بن الأسود العَنْسيّ، أنَّه كان إذا خرج من المسجد قبض بيمينه على شماله، فسُئِلَ عن ذلك، فقال: مخافةَ أن تُنافِقَ يديّ.**

قلتُ: يُمسكُها خوفاً من أن يخطُرَ بيده في مشيته، فإنَّ ذلك من الخُيَلاء.

توفي في خلافة عبدالملك بن مروان.

١٧٦ أبو الأسود (ع) (١)

[٣] **الدُّؤَلي، ويقال: الدِّيلي، العلاَّمةُ الفاضل، قاضي البَصرةِ. واسمُه ظالم بن عمرو على الأشهر، وُلد في أيَّام النُّبُوَّة.**

[٤] قال أحمد العِجليّ: ثقة، كان أوَّلَ من تكلَّم في النَّحو.

[٥] وقال الواقديّ: أسلمَ في حياة النبيِّ ﷺ، وقال غيرُهُ: قاتل أبو الأسود يومَ الجَمَل مع عليّ بن أبي طالب، وكان من وجوه الشيعة. ومِن أكملهم عقلاً ورأياً. وقد أمَرَه عليٌّ رضي الله عنه بوضع شيءٍ في النحو لمّا سمع اللَّحن. قال: فأراه أبو الأسود ما وضع، فقال عليٌّ: ما أحسن هذا النَّحْوَ الذي نحوت، فمِن ثَمَّ سُمِّيَ النَّحوُ نَحواً.

[٦] قال محمد بن سلاَّم الجُمَحي: أبو الأسود هو أوَّلُ مَن وضع بابَ الفاعلِ والمفعول والمُضاف، وحرف الرفع والنَّصب والجرِّ والجَزم، فأخَذَ ذلك عنه يحيى ابن يَعْمَر.

[٧] وقال المبَرِّد: حدَّثنا المازنيُّ قال: السببُ الذي وُضعت له أبواب النَّحو أنَّ بنت أبي الأسود قالت له: ما أَشدُّ الحرِّ. فقال: الحَصباءُ بالرَّمضاء، قالت: إنَّما تعجبتُ من شِدَّته. فقال: أَو قَدْ لحن الناسُ؟ فأخبر بذلك عليًّا رضي الله عنه فأعطاهُ أصولاً

---

(١) انظر السير: ٤/ ٨١-٨٦.

بنى منها، وعَملَ بعده عليها. وهو أول من نَقَط المصاحف.

[١] قال الجاحظ: أبـو الأسود مقدَّمٌ في طبقات النَّاس، كان معدوداً في الفقهاء والشعراء والمحدِّثين، والأشراف والفرسان والأمراء، والدُّهاة، والنُّحاة، والحاضري الجواب والشِّيعة، والبُخلاء، والصُّلعِ الأشراف.

مات أبو الأسود في طاعون الجارف سنة تسع وستين، وعاش خمساً وثمانين سنة.

١٧٧ الأحنَفُ بنُ قَيسٍ (ع)(١)

[٢]**ابن معاوية، الأمير الكبير، العالم النَّبيل، أبو بحر التَّميمي، أحدُ مَن يُضربُ بحلمِهِ وسُؤْدُدِهِ المَثَلُ.**

اسمـه ضحَّاك. وشُهر بالأحنف لِحَنَفِ رجليه، وهو العَوَجُ والمَيْل. كان سيِّد تميم. أسلم في حياة النبيِّ ﷺ، ووفد على عُمرَ.

قال ابن سعد: كان ثقةً مأموناً، قليلَ الحديث وكان صديقاً لمصعب بن الزُّبير، فوفد عليه إلى الكوفة، فمات عنده بالكوفة.

قال أبو أحمد الحاكم: هو افتتح مَرو الرُّوذ(٢).

[٣]عن عُروة، حدثني الأحنف، أنَّه قدِم على عُمرَ بفتح تُسْتَر فقال: قد فتح الله عليكم تُسْتَر، وهي من أرض البصرة، فقال رجلٌ من المُهاجرين: يا أمير المؤمنين، إنَّ هذا ـ يعني الأحنف ـ الـذي كفَّ عنَّـا بني مُرَّة حين بَعثنـا رسولُ الله ﷺ في صدقاتهم، وقد كانوا هَمُّوا بنا. قال الأحنف: فحبسني عُمرُ عنده سنةً يأتيني في كُلِّ يوم وليلة، فلا يأتيه عنِّي إلاَّ ما يُحِبّ، ثُمَّ دعاني، فقال: يا أحنف هل تدري لِمَ حبستُك عندي؟ قلتُ: لا. يا أمير المؤمنين. قال: إنَّ رسول الله ﷺ، حذَّرنا

(١) انظر السير: ٤/٨٦ـ ٩٧.

(٢) مرو الروذ: مدينة تقع في الجانب الشرقي لنهر مورغاب، وهي تبعد نحواً من مئة وستين ميلاً فوق مدينة مرو الكبرى في خراسان.

كلَّ مُنَافِقٍ عَلِيمٍ فخَشيتُ أن تكونَ منهم، فاحمَدِ الله يا أحنف.

قال العجلي: الأحنف بصريّ ثقة، كان سيِّدَ قومِهِ، وكان أعوَرَ أحنفَ، دميما قصيراً كوسجاً[1]. له بيضة واحدة، حَبسهُ عُمَرُ سنةً يَختبرهُ فقال: هذا والله السَّيِّد.

[١]وعن الأحنف قال: كذبتُ مرَّةً واحـدة، سألني عُمَرُ عن ثوبٍ، بكم أخذتَه، فأسقطتُ ثُلُثَي الثَّمن.

[٢]عن الشَّعبيِّ قال: وَفَّد أبو موسى وفداً من البصرة إلى عُمرَ، منهم الأحنف بنُ قيس، فتكلَّم كلُّ رجلٍ في خاصَّة نفسه وكان الأحنف في آخر القَوم، فحمِدَ الله، وأثنى عليه، ثم قال: أمَّا بعدُ يا أميرَ المؤمنين، فإنَّ أهلَ مِصرَ نَزلوا منازِلَ فِرعَونَ وأصحابِه، وإنَّ أهلَ الشام نزلوا منازِلَ قيصرَ وأصحابه، وإنَّ أهلَ الكوفة نزلوا منازل كِسرى ومصانِعَهُ في الأنهار والجنان، تأتيهم ثِمارُهم قبل أن تبلُغَ، وإنّ أهل البصرة نزلوا في أرضٍ سَبِخَة لا يجِفُّ تُرابها، ولا يَنبُتُ مَرعاها، طَرفُها في بَحرٍ أُجاج، وطَرفٌ في فلاة، لا يأتينا شيءٌ إلَّا في مِثل مريء[2] النَّعامة، فارفع خسيستَنا وانعشْ وكيستَنا وزِد في عيالنا عيالاً، وفي رجالنا رجالاً، وصغِّر دِرهَمناوكبِّر قفيزنا، ومُر لنا بنهر نستعذِبُ منه فقال عُمرُ: عَجَزتُم أن تكونوا مثلَ هذا، هذا واللهِ السيِّد. قال فما زلتُ أسمعُها بعد.

[٣] عن أيوب، عن محمد قال: نُبِّئتُ أنَّ عُمر ذكر بني تميم فذمَّهم، فقام الأحنف فقـال: يا أمير المؤمنين ائـذن لي، قال: تَكلَّم. قال: إنـك ذكـرت بني تميم، فعممتَهم بالذَّم، وإنما هُم مِنَ الناس، فيهم الصَّالح والطالح. فقال: صدقت. فقام الحُتاتوكان يَناوِئهُ، فقال: يا أميرَ المؤمنين ائذن لي فلأتكلم، قال: اجلِس، فقد كفاكم سيِّدُكم الأحنف.

عن الحَسن قال: ما رأيتُ شريفَ قومٍ كان أفضلَ من الأحنف.

---

(١) يعني لا شعر على عارضيه أو نقيّ الخدين من الشعر.

(٢) المريء: مجرى الطعام، وإنما خص النعام لدقة عنقه.

[١]قال ابن المبارك: قيل للأحنف: بِمَ سَوَّدُوك؟ قال: لَو عابَ النَّاسُ الماء لَم أشرَبْهُ.

[٢]وقيل: عاشت بنو تميم بِحِلم الأحنف أربعين سنة. وقيل للأحنف: إنَّك كبير والصَّوم يُضعِفُك. قال: إني أُعِدُّه لسفرٍ طويل. وقيل: كانت عامَّةُ صلاة الأحنف باللَّيل، وكان يضعُ إصبَعهُ على المصباح، ثم يقول: حَسِّ[1] ويقول: ما حَمَلَك يا أحنفُ على أن صنعت كذا يومَ كذا.

[٣]أبو كعبٍ صاحب الحرير، حدَّثنا أبو الأصفر، أنَّ الأحنف، استُعمِل على خُراسان، فأجنب في ليلة باردة، فلم يُوقظ غلمانه وكسرَ ثَلجاً واغتسل.

[٤]عن مروان الأصفر، سمع الأحنف يقول: اللَّهُمَّ إن تَغفِرْ لي، فأنتَ أهلُ ذاكَ، وإن تُعذِّبني، فأنا أهلُ ذَاك.

[٥]قال مغيرة: ذهبت عينُ الأحنف فقال: ذهبت من أربعين سنة ما شَكوتُها إلى أحد.

[٦]عن الحسن قال: ذكروا عند معاوية شيئاً، فتكلَّموا والأحنفُ ساكت، فقال: يا أبا بحر، مالك لا تتكلَّم؟ قال: أخشى الله إن كذبتُ، وأخشاكم إن صدقتُ.

[٧]وعن الأحنف: عجبتُ لمن يجري في مَجرى البَول مرَّتين كيف يتكبَّر!

[٨]قال الأحنف: ثلاثٌ فيَّ ما أَذكُرُهُنَّ إلَّا لِمُعتبر، ما أتيتُ بابَ السلطان إلَّا أن اُدعىٰ، ولا دخلتُ بين اثنين حتى يُدخلاني بينهما، وما أذكر أحداً بعدَ أن يقومَ مِن عندي إلا بخَير.

[٩]وعنه: ما نازَعَني أحدٌ إلَّا أخذتُ أمري بأمور، إن كان فوقي، عرفتُ له، وإن كان دوني رفعتُ قدري عنه، وإن كان مثلي تفضَّلتُ عليه.

[١٠]وعنه، قال: لستُ بحليم ولكنِّي أتحالم.

---

(١) كلمة تقال عند الألم.

[١]وقيل: إنَّ رجلاً خاصم الأحنف، قال: لِئن قلتَ واحدة، لتسمعَنَّ عشراً. فقال: لكنَّك إن قلت عشراً لم تسمَع واحدة.

[٢]وقيل: إن رجلاً قال للأحنف: بمَ سُدْتَ؟ وأراد أن يَعيبهُ: قال الأحنف: بتركي مِن مالا يَعنيني، كما عناكَ مِن أمري مالا يعنيك.

[٣]عن هشام بن عُقبة أخي ذي الرُّمَّة، قال: شهدتُ الأحنف بن قيس وقد جاء إلى قوم في دمٍ، فتكلَّم فيه، وقال: احتكِموا. قالوا: نحتكِمُ دِيَتَين قال: ذاك لكم. فلمَّا سكتوا قال: أنا أعطيكم ما سألتُم، فاسمعوا: إنَّ الله قضى بِدية واحدةٍ، وإنَّ النَّبيَّ ﷺ قضى بديةٍ واحدة، وإنَّ العرب تعاطى بينها دِيةً واحدة، وأنتُم اليومَ تُطالِبُون، وأخشى أن تكونُوا غدا مطلوبين، فلا ترضى الناسُ منكم إلَّا بمثل ما سننتُم، قالُوا: رُدَّها إلى دِية.

[٥]عن الأحنف: ثلاثـة لا ينتِصفُون من ثلاثة: شريفٌ من دنيٌ، وبَرٌّ من فاجر، وحَليمٌ من أحمق.

[٦]وقال: مَن أسرع إلى الناس بما يكرهون، قالُوا فيه مالا يعلمون، وعنه سُئل: ما المروءة؟ قال: كِتمانُ السِّرِّ والبُعد مِنَ الشرّ، وعنه: الكامِلُ من عُدَّت سقطاتُه.

[٧]وعنه قال: رأسُ الأدب آلةُ المَنطِقِ، لا خَيرَ في قَولٍ بلا فعل، ولا في منظر بلا مَخْبَر، ولا في مالٍ بلا جُود، ولا في صديق بلا وفاء، ولا في فِقهٍ بلا وَرَع، ولا في صدَقةٍ إلا بنيّة، ولا في حياة إلا بِصِحَّةٍ وأمن.

[٨]وعنه: العِتابُ مفتاحُ الثُّقالىٰ، والعتابُ خيرٌ من الحِقد.

[٩]عن الحَسن، قال: رأى الأحنف في يد رجلٍ درهماً،فقال: لمن هذا؟ قال: لي. قال: ليس هو لك حتَّى تُخرجه في أجرٍ أو اكتسابِ شُكر وتمثل:

أنت للمالِ إذا أمْسَكْتَهُ ... وإذا أنفقتَهُ فالمالُ لك

[١٠]وقيل: كان الأحنف إذا أتاه رجلٌ وسَّع له، فإن لم يكُن له سعة، أراه كأنَّه يُوسِعُ له.

[١]وعنه قال: جنِّبوا مجالسَنا ذِكرَ النِّساء والطعام، إني أُبغِضُ الرجلَ يكونُ وصَّافاً لِفَرجه وبطنه.
[٢]وقيل: إنَّه كلَّم مُصعباً في محبوسين وقال: أصلح اللهُ الأمير، إن كانوا حُبِسوا في باطل، فالعَدلُ يسعُهم، وإن كانوا حُبِسوا في حق، فالعَفو يسعُهم.
[٣]وعنه قال: لا ينبغي للأمير الغَضب، لأنَّ الغَضبَ في القُدرة لقاح السَّيفِ والندامة.
[٤]عبد الملك بن عُمير، قال: قدِمَ علينا الأحنفُ الكوفة مع مُصعب، فما رأيتُ صفةً تُذمُّ إلَّا رأيتُها فيه كان ضئيلاً، صَعْلَ الرأس، متراكِبَ الأسنان، مائِلَ الذَّقنِ، ناتيءَ الوَجنة، باخِق العين، خفيف العارضين، أحنفَ الرِّجلين فكان إذا تكلم جلا عن نفسه.
[٥]الصَعَل: صِغَر الرأس، والبخَقُ: إنخسافُ العين، والحَنفُ: أن تُفتل كُلُّ رِجلٍ على صاحبتها.
[٦]عن الأحنف قال: سمعتُ خُطبة أبي بكر وعمر والخلفاء، فما سمعتُ الكلام من مخلوق أفخمَ ولا أحسنَ مِن أمِّ المؤمنين عائشة.

وعنه: لا يتِمُّ السُّلطان إلا بالوزراءِ والأعوان، ولا يَنفعُ الوزراءُ والأعوانُ إلَّا بالمودةُ والنصيحةُ، ولا تنفع المودَّةُ والنصيحةُ إلَّا بالرأي والعِفَّة.
[٧]قيل: كان زياد مُعظِّماً للأحنف فلما وُلِّي بعده ابنُه عُبيد الله تغيَّر أمر الأحنف، وقدم عليه من هُو دُونَه، ثم وفَد على معاوية في الأشراف فقال لعُبيد الله: أَدخِلهم عليَّ على قدر مراتبهم. فأخَّر الأحنف، فلمَّا رآه معاوية أكرمَهُ لمكان سيادته. وقال: إليَّ يا أبا بحْر، وأجلَسهُ معه وأعرض عنهم، فأخذوا في شُكر عُبيد الله بن زياد، وسكت الأحنف. فقال له: لِمَ لا تتكلَّم؟ قال: إن تكلَّمتُ خالفتُهم. قال: اشهدوا أنِّي قد عزلتُ عُبيد الله. فلمَّا خرجوا كان فيهم من يرومُ الإمارة. ثُمَّ أتَوا معاوية بعد ثلاث، وذكرَ كُلُّ واحد شخصاً، وتنازعوا، فقال معاوية: ما تقول يا أبا

بحر؟ قال: إن ولَّيت أحداً مِن أهل بيتك لَم تجد مثل عُبيد الله. فقال: قد أعدته. قال: فخلا معاوية بعُبيد الله وقال: كيف ضيَّعتَ مِثل هذا الرجل الذي عزلَك وأعادك وهو ساكت!؟ فلمَّا رجع عُبيد الله جعلَ الأحنفَ صاحبَ سرِّه.

[١]عن عبدالرحمن بن عمارة بن عقبة، قال: حضرت جِنازةَ الأحنفِ بالكوفة، فكنتُ فيمن نزل قبره، فلما سوَّيته، رأيتُه قد فُسِحَ له مدَّ بصري، فأخبرت بذلك أصحابي، فلم يَرَوا ما رأيتُ.

[٢]قال أبو عمرو بن العَلاء: تُوفِّي الأحنفُ في دار عُبيد الله بن أبي غَضَنْفَر، فلمَّا دُلِّيَ في حُفرته، أقبلت بنتٌ لأوسٍ السَّعدي وهي على راحلتها عجوز، فوقفت عليه، وقالت: مَنِ المُوافى به حفرتَه لوقت حِمامِه؟ قيل لها: الأحنفُ بن قيس. قالت: واللهِ لئن كنتم سبقتمونا إلى الاستمتاع به في حياته لا تسبقونا إلى الثَّناء عليه بعد وفاته. ثم قالت: للهِ دَرُّك من مجَنٍّ في جَنن، ومُدرجٍ في كَفَن، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. نسألُ مَن ابتلانا بموتك، وفجعَنا بِفَقدك أن يُوسِعَ لك في قبرك، وأن يغفرَ لك يومَ حَشرِك. أيُّها الناس، إنَّ أولياءَ اللهِ في بلادِه هُم شهودُه على عِبادِه، وإنَّا لقائلون حقاً، ومُثنون صِدقاً، وهو أهلٌ لِحُسنِ الثناء، أما والَّذي كنت من أجله في عِدَّة، ومن الحياة في مُدَّة، ومن المضمار إلى غاية، ومن الآثار إلى نهاية، الذي رفع عملك عند انقضاءِ أجلك، لقد عِشت مودوداً حميداً، ومُتَّ سعيداً فقيداً، ولقد كنت عظيمَ الحِلْم، فاضِل السِّلم، رفيعَ العِماد، واريَ الزِّناد منيع الحريم، سليمَ الأديم، عظيمَ الرَّماد، قريبَ البيتِ منَ النَّاد(١).

مات الأحنفُ سنةَ سبعٍ وستين.

---

(١) الخبر في تاريخ ابن عساكر ٨/١٢٢٥، وزاد فيه (ولقد كنت في المحافل شريفاً وعلى الأرامل عطوفاً ومن الناس قريباً وفيهم غريباً، وإن كنت فيهم مسوداً وإلى الخلفاء لموفداً، وإن كانوا لقولك لمستمعين، ولرأيك لمتبعين، رحمنا الله وإياك).

١٧٨ أسلم (ع)[١]

[١]الفقيه، الإمام أبو زيد، القرشي، العُمري، العَدويّ، مولى عُمرَ بن الخطَّاب.

قيل: هو من سبي عَين التمر[٢]، وقيل: هو يَمَانيّ، وقيل، حَبَشيٌّ اشتراه عُمر بمكة إذ حجّ بالنَاس في العام الذي يلي حجَّة الوداع، زمَنَ الصِّدِّيق.

[٢]وعن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال ابنُ عُمر: يا أبا خالد، إنِّي أرى أميرَ المؤمنين يلزَمُك لُزوماً لا يَلْزَمه أحداً من أصحابك، لا يخرُجُ سَفراً إلاَّ وأنت معه، فاخبِرني عنه. قال: لم يكن أولى القوم بالظلّ، وكان يُرحِّلُ رواحلنا، ويرحِّل رَحلَهُ وحده، ولقد فرغنا ذاتَ ليلة وقد رَّحل رحالنا، وهو يرحِّل رحله ويرتجز:

لَا يأْخُذِ اللَّيلُ عَليك بِالهَمْ ... والبَسَنْ لَهُ القَميصَ واعتَمْ
وكُن شَرِيك نافَعٍ وأَسْلَمْ ... واخدُم الأقوامَ حتَّى تُخدمْ

[٣]زيدبن أسلم، عن أبيه، كان عُمَر إذا بعثني إلى بعض ولده قال: لا تُعْلِمْهُ لِمَا أبعثُ إليه مخافة أن يُلَقِّنَه الشَّيطانُ كَذْبة. فجاءتِ امرأةٌ لعُبيد الله بن عُمر ذاتَ يوم، فقالت: إنَّ أبا عيسى لا يُنفِقُ عليَّ ولا يكسوني. فقال: وَيحَكِ ومَن أبو عيسى؟ قالت: ابنك. قال: وهل لعيسى مِن أب؟ فبعثني إليه وقال: لا تُخبرْهُ، فأتيتُهُ وعنده ديكٌ ودجاجة هنديَّان، قلتُ: أجِب أباك.

قال: وما يُريد؟ قلت: نهاني أن أُخبِرَكَ. قال: فإنِّي أُعطيك الدِّيك والدَّجاجة. قال: فاشترطتُ عليه أن لا يُخبِر عُمر وأخبرتُه فأعطانيهما. فلمَّا جئتُ إلى عُمر، قال: أخبرتَه؟ فوالله ما استطعت أن أقول لا. فقلتُ: نعم فقال: أرَشاكَ؟ قلتُ: نعم، وأخبرتُه فقبض على يدي بيساره، وجعل يمصَعُني بالدِّرَّةِ وأنا أنزو. فقال: إنَّك لجليد، ثم قال: أتكتني بأبي عيسى، وهل لعيسى من أب.

توفي أسلم سنةَ ثمانين.

---

(١) انظر السير: ٤/٩٨ـ ١٠٠.

(٢) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة، افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد سنة ١٢هـ.

١٧٩ شُريح القاضي (س)(١)

[١]**هو الفقيه أبو أُميَّة، شريحُ بن الحارث بن قيس الكِندي، قاضي الكوفة يقال: له صُحبة، ولم يَصِحَّ، بل هو مِمَّن أسلم في حياة النبيِّ ﷺ وانتقل من اليمن زمنَ الصِّدِّيق، وهو نَزْرُ الحديث.**

[٢]عن الشَّعبيّ قال: كتب عُمرُ إلى شُرَيح: إذا أتاك أمرٌ في كتاب الله، فاقض بهِ، فإن لم يكُن في كتـاب الله وكان في سُنَّة رسول الله ﷺ فاقض به، فإن لم يكن فيهمـا، فاقضِ بما قضى بهِ أئِمَّةُ الهُدى، فإن لم يكن فأنتَ بالخيار، إن شئتَ تجتهد رأيك، وإن شئتَ تُؤامِرني، ولا أرى مؤامرتك إيَّاي إلَّا أسلمَ لك.

[٣]عن محمـد، قلت لشُريح: مِمَّن أنت؟ قال: مِمَّن أنعم الله عليه بالإسلام، وعِدادي في كِندة.

[٤]عن هبيرة بن يَريم، أن عليّاً جمـع الناس في الرَّحْبة، وقال: إني مفارقكم، فاجتمعوا في الرَّحبة، فجعلوا يسألونه حتى نَفِد ما عندهم ولم يبق إلا شُريح، فجثا على ركبتيه، وجعل يسألُه. فقال له عليّ: اذهَب فأنتَ أقضى العَرب.

[٥]عن عامـر، قال: جاءت امرأةٌ إلى عليٍّ رضي الله عنه تُخاصِم زوجَها طلَّقها فقالَت: قد حِضتُ في شهرَين ثلاثَ حِيَض. فقال عليٌّ لشُرَيح: اقض بينهما. قال: يا أميرَ المؤمنين، وأنتَ ها هنا؟ قال: اقض بينهما. قال: إن جاءت مِن بطانة أهلها مَن يُرضى دينُه وأمانتُه يزعُمُ أنَّها حاضت ثلاثَ حِيَضٍ تَطهُرُ عند كلِّ قُرْءٍ، وتُصلِّي، جاز لها، وإلَّا فلا. قال عليٌّ: قالُون. وقالون بِلسان الرُّوم: أحسنتَ.

[٦]وقال ابنُ سيرين: كان شُريح يقول للشاهدين: إنَّما يقضي على هذا الرجل أنتما، وإني لمتَّقٍ بكما فاتَّقِيا.

[٧] عن شُريح قال: زعموا، كُنيةُ الكَذِب.

[٨]وقال منصور: كان شُريح إذا أحرمَ كأنَّه حيَّةٌ صمَّاء.

(١) انظر السير: ٤/١٠٠ـ١٠١.

[١]عن إبراهيم، قال: أقرَّ رجل عند شريح، ثم ذهب يُنكر، فقال: قد شهد عليك ابنُ اخت خالتك.

[٢]قال أبو إسحاق السَّبيعي: خرجت قرحةٌ بإبهام شُريح، فقيل: ألا أريتَها طبيباً؟ قال: هو الذي أخرجها.

[٣]قال شُرَيح: إنّي لأصاب المُصيبة، فأحمَدُ الله عليها أربعَ مرَّات، أحمدُ إذ لَم يكُن أعظم منها، وأحمَدُ إذ رزقَني الصَّبرَ عليها، وأحمَدُ إذ وفَّقني للاسترجاع لِمَا أرجو مِن الثواب، وأحمَدُ إذ لم يجعلْها في ديني.

[٤]قالمغيرة: كان لِشُريح بيتٌ يخلو فيه يومَ الجمعة، لا يدري الناسُ ما يصنعُ فيه.

وقيل: كان شُرَيحٌ قائفاً عائفاً، أي: يزجر الطَّير، ويُصيب الحدْس.

وروي لشريحٍ:

[٥]رأيتُ رجالاً يَضربُون نِساءهُم فشَلَّت يميني حين أضْرِبُ زَيْنبا

وزَينَبُ شَمسٌ والنِّساءُ كواكِبُ إذا طَلعت لم تُبقِ مِنهنَّ كوكباً

عاش مئةً وثمانِي سنين، تُوفِّيَ سنة ثمانٍ وسبعين.

بقية الطبقة الأولى من كُبراء التابعين

١٨٠ ابنُ الحنفِيَّة (ع)[1]

[١]**السيدُ الإمام أبو القاسم وأبو عبدالله، محمد بن الإمام عليٍّ بن أبي طالب.**

القُرشيّ الهاشميّ، المدنيّ، أخو الحَسن والحُسين، وأُمُّه من سَبي اليَمامة زمَن أبي بكر الصِّدِّيق، وهي خَولَةُ بنت جعفر الحنفية.

[٢]وكانت الشِّيعُة في زمانه تتغالىٰ فيه، وتدَّعي إمامَته، ولقَّبوه بالمَهدي، ويزعمون أنَّه لم يَمُت.

[٣]قال أبو عاصم النَّبيل: صرَع محمدُ بن عليّ مروانَ يومَ الجمل، وجلسَ على صدره. قال فلمَّا وفد على عبدالملك قال له: أتذكُرُ يومَ جلستَ على صدر مروان؟ قال: عفواً يا أميرَ المؤمنين. قال: أَمْ[2] والله ما ذكرتُه لك وأنا أريد أن أُكافئَك، لكن أردتُ أن تعلمَ أني قد علمت.

عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: رأيتُ أُمَّ محمد بن الحنفيَّة سِنديَّةً سوداء.

الربيع بن منذر، حدَّثنا أبي، سمعت ابن الحنفيَّة يقول: دخل عُمرُ وأنا عند أختي أُمِّ كلثوم، فضمَّني وقال: ألْطفيه بالحَلْواء.

[٤]قال رجلٌ لابن الحنفيَّة: ما بالُ أبيك كان يرمي بِكَ في مَرامٍ لا يرمي فيها الحَسن والحُسين؟ قال: لأنَّهما كانا خدَّيه وكنتُ يدَه، فكان يتوقَّى بيديه عن خدَّيه.

[٥]عن ابن الحنفيَّة قال: لَيس بحكيم مَن لم يُعاشِر بمعروف مَن لا يَجدُ مِن معاشرتِه بُدّاً حتَّى يجعلَ الله مِن أمره فرجاً، أو قال: مخرجاً.

[٦]وعن ابن الحنفيَّة قال: مَن كرُمَت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قدْر.

[٧]وعنه: أنَّ الله جعل الجنَّة ثمناً لأنفسِكُم فلا تبيعوها بغيرها.

---

(١) انظر السير: ٤/١١٠-١٢٩.

(٢) أم: للتقبيح.

[١]وروى الواقديُّ بإسناده قال: لمَّا جاء نَعيُ معاويةَ إلى المدينة كان بها الحُسينُ، وابنُ الحنفيَّة، وابنُ الزُّبير، وكان ابنُ عباس بمكة، فخرج الحُسين وابنُ الزُّبير إلى مكَّة، وأقامَ ابنُ الحنفيَّة، فلمَّا سمع بِدُنوِّ جيش مُسرِف زمنَ الحَرّة رحلَ إلى مكَّة، وأقام مع ابن عباس، فلمَّا مات يزيد بويع ابنُ الزبير، فدعاهما إلى بيعته فقالا: لا، حتّى تجتمعَ لك البلادُ. فكان مَرَّةً يُكاشِرُهُما، ومَرَّةً يلينُ لهما، ثم غلظ عليهما، ووقعَ بينهم حتى خافاه، ومعهما النِّساءُ والذُرِّيَّة، فأساء جوارهم وحصرهم، وقصد محمداً، فأظهر شتمه وعيبه، وأمَرَهم وبني هاشم أن يلزموا شِعبهم، وجعل عليهم الرُّقباء، وقال فيما يقول: والله لتبايعُنَّ أو لأُحرِّقنّكُم. فخافوا.

قال سُليم أبو عامر: فرأيتُ ابنَ الحنفيَّة محبوساً في زمزم، والناسُ يُمنعَون من الدُّخول عليه، فقلت: والله لأدخلن عليه، فقلت: ما بالك وهذا الرجل؟ قال: دعاني إلى البيعة فقلتُ: إنما أنا من المسلمين، فإذا اجتمعُوا عليك فأنا كأحدِهم، فلم يرض بهذا مني، فاذهب إلى ابن عباس فسلِّم عليه، وقُل: ما ترى؟. قال: فدخلتُ على ابن عباس وهو ذاهبُ البصر فقال: من أنت؟ قلتُ: أنصاريّ. قال: رُبَّ أنصاريٍّ هو أشدُّ علينا من عَدُوِّنا. قلتُ: لا تخَف أنا مِمَّن لك كُلّه، قال: هاتِ، فأخبرتُه، فقال: قل له: لا تُطعْه ولا نُعمةَ عين إلا ماقلتَ، ولا تزِد عليه. فأبلغته. فهَمَّ ابنُ الحنفيَّة أن يسيرَ إلى الكوفة. وبلغ ذلك المختار، فثقل عليه قدومُه فقال: إنَّ في المهديِّ علامةً يقدم بلدَكم هذا، فيضربُه رجلٌ في السوق بالسيف لا يُضرُّهُ ولا يَحِيك(١) فيه.

فبلغ ذلك ابنَ الحنفيَّة فأقام. فقيل له: لو بعثتَ إلى شيعتك بالكوفة فأعلِمْهم ما أنت فيه. فبعث أبا الطفيل إلى شيعتهم، فقال لهم: إنَّا لا نأمنُ ابنَ الزبير على هؤلاء، وأخبرهم بما هم فيه من الخَوف، فقطع المختارُ بعثاً إلى مكة، فانتدب معه

(١) أي لا يعمل فيه.

أربعة آلاف، فعقد لأبي عبدالله الجَدَليّ عليهم، وقدم الجَدَليّ في الجيش، فقلنا لابن عباس وابن الحنفيَّة: ذَرُونا نُرِح الناسَ من ابن الزبير، فقالا: هذا بلد حرَّمه الله ما أحلَّه لأحدٍ إلَّا لنبيِّه ساعةً، فامنعونا وأجيرونا، فخرجوا بهم، فأنزلوهم مِنَى، فأقاموا مُدَّةً، ثم خرجوا إلى الطائف، وبها تُوفِّي ابنُ عباس، وصلَّى عليه محمد، فبقينا معه.

[١]كانوا يقولون لابن الحنفيَّة: سلامٌ عليكَ يا مَهديُّ، فقال: أجل أنا مهديٌّ، أهدي إلى الرشد والخير، اسمي محمد، فقولوا: سلام عليك يا محمد أو يا أبا القاسم.

عن أبي جَمرة، قال: سِرنا مع ابن الحنفيَّة من الطائف إلى أيلة[١] بعد موتِ ابن عباس، وكان عبدُ الملك قد كتب له على أن يدخل في أرضه هو وأصحابه، حتى يَتَّفِقَ النّاسُ على رجل واحد، فلما قدِم محمد الشام، كتب إليه عبدُ الملك: إما أن تبايعني وإما أن تخرج من أرضي ـ ونحن يومئذٍ سبعة آلاف ـ فبعث إليه: على أن تؤمِّن أصحابي، ففعل، فقام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: الله وليُّ الأمور كلها وحاكمها، ما شاء الله كانَ وما لم يشأ لم يكن، والذي نفس محمد بيده ليعودنَّ فيهم الأمر كما بدأ، الحمد لله الذي حقن دماءكم، وأحرز دينكم. من أحب منكم أن يأتي مأمنَه إلى بلده آمناً محفوظاً فَليفعل. كلُّ ما هو آت قريب، عجلتم بالأمر قبل نزوله، والذي نفسي بيده إن في أصلابكم لمن يُقاتل مع آلِ محمد، أمرُ آل محمد مُستأخر. قال: فبقي في تسع مئة، فأحرم بعمرة وقلَّد هدياً. فلما أردنا أن ندخل الحرم، تلقتنا خيلُ ابن الزبير، فمنعتنا أن ندخل، فأرسل إليه محمد: لقد خرجتُ وما أريد قتالاً، ورجعت كذلك، دَعنا ندخل، فلنقض نُسُكَنا ثم لنخرج عنك، فأبى، قال: ومعنا البُدن مقلَّدة فرجعنا إلى المدينة، فكُنا بها حتى قدِمَ

(١) أيلة: مدينة على ساحل البحر الأحمر مما يلي الشام، وتسمى اليوم العقبة.

الحجاج، وقَتَلَ ابن الزبير، ثم سار إلى العراق، فلما سار مضينا فقضينا نُسكنا، وقد رأيتُ القَمْلَ يتناثر من ابن الحنفيَّة، قال: ثم رجعنا إلى المدينة فمكث ثلاثة أشهر ثم تُوفِّي.

[١]عن مغيرة، عن أبيه أنَّ الحجاج أراد أن يضع رجله على المقام، فزجره ابنُ الحنفيَّةِ ونهاه.

[٢]ربيع بن منذر، عن أبيه قال: كُنَّا مع ابن الحنفيَّة، فأراد أن يتوضأ، فنزع خُفَّيه، ومسح على قدميه.

[٣]قُلتُ: هذا قد يتعلق به الإماميَّة وبظاهر الآية، لكن غسل الرجلين شرعٌ لازم بَيَّنَهُ لنا الرسول ﷺ، وقال: «ويلٌ للأعقاب مِنَ النَّار» وعليه عَملُ الأمَّة ولا اعتبار بمن شذَّ، قال رافضيٌّ: فأنتم تَرون مسحَ موضع ثلاثِ شعراتٍ بل شعرة من الرأس يُجزيء، والنص فلا يحتمل هذا، ولا يُسمَّى من اقتصر عليه ماسحاً لرأسه عُرفاً، ولا رأينا النبيَّ ﷺ، ولا أحداً من أصحابه اجتزأ بذلك ولا جوَّزه. فالجواب: أنَّ الباء للتبعيض في قوله ﴿برؤوسكم﴾ وليس هذا الموضع يحتمل تقرير هذه المسألة.

عن الحسن بن محمد بن الحنفيَّة قال: لم يبايع أبي الحجاج، لمَّا قُتِل ابن الزبير بعث الحجاج إليه أن قد قُتِل عدوُّ الله، فقال: إذا بايع الناسُ بايعتُ. قال: والله لأقتلنَّك. قال: إنّ لله في كل يوم ثلاث مئة وستين نظرة[١]، في كل لحظة ثلاث مئة وستون قضيَّة، فلعلّه أن يكفيناك في قضيَّةٍ من قضاياه، وكتب الحجاج فيه إلى عبدالملك بذلك، فأعجب عبدَالملك قولُه، وكتب بمثلها إلى طاغية الروم وذلك أن صاحب الروم كتب إلى عبدالملك يتهدده بأنه قد جمع له جموعاً كثيرة. وكتب إلى الحجاج: قد عرفنا أن محمداً ليس عنده خلاف، فارفق به فسيبايعك. فلما اجتمع الناسُ على عبدالملك، وبايع له ابنُ عمر قال ابن عمر لمحمد: ما

(١) عند ابن سعد: لحظة.

بقي شيء فبايع فكتب بالبيعة إلى عبدالملك وهي : «أما بعد، فإني لما رأيت الأمة قد اختلفت، اعتزلتُهم. فلما أفضى الأمرُ إليك وبايعك الناسُ، كنت كرجلٍ منهم، فقد بايعتك وبايعتُ الحجاجَ لك، ونحن نحبُّ أن تؤمِّننا، وتُعطِينَا ميثاقاً على الوفاء فإن الغدر لا خير فيه».

فكتب إليه عبدالملك: إنك عندنا محمود، أنت أحبُّ إلينا وأقربُ بنا رحِماً من ابن الزبير، فلك ذِمَّة الله ورسوله أن لا تُهاج ولا أحد من أصحابك بشيء.

مات ابن الحنفيَّة سنة ثمانين.

١٨١ الجُرَشي[1]

[١]**يزيد بن الأسود الجُرشي من سادة التابعين بالشام، يسكُن بالغُوطة.**

أسلمَ في حياة النبي ﷺ.

قال يونس بن مَيسرة، قلت له: يا أبا الأسود كم أتى عليك؟ أدركت العُزَّى تُعبد في قرية قومي.

[٢]قيل إنه قال: قلت لقومي: اكتبوني في الغزو. قالوا: قد كبرت. قال: سبحان الله اكتبوني فأين سوادي في المسلمين؟ قالوا: أما إذ فعلت، فأفطر وتَقَوَّ على العدو، قال: ما كنتُ أراني أبقى حتى أعاتبَ في نفسي. والله لا أشبعها من الطعام ولا أوطئها من منام حتى تلحق بالله.

[٣]عن سُليم بن عامر قال: خرج معاويةُ يستسقي، فلما قَعَدَ على المنبر، قال: أين يزيدُ بن الأسود؟ فناداه الناس، فأقبل يتخطَّاهم فأمرَهُ معاوية، فَصَعِدَ المنبر، فقال معاوية: اللَّهمَّ إنَّا نستشفعُ إليكَ بخيرِنا وأفضلِنا يزيدَ بنِ الأسود، يا يزيد ارفع يديك إلى الله. فرفع يديه ورفعَ الناس فما كان بأوشكَ مِن أن ثارت سحابةٌ كالتُّرس، وهبَّت ريح فسُقينا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلَهم.

---

(١) انظر السير: ٤/١٣٦ـ١٣٧.

[١]قال سعيد بن عبدالعزيز: إن عبدَ الملك لما سار إلى مُصعب رحل معه يزيد بن الأسود، فلما التقوا قال: اللَّهمَّ احجز بين هذين الجبلين، ووَلِّ أحبَّهما إليك، فظفر عبدالملك.

١٨٢ معاوية بن يزيد(١)

[٢]ابن معاوية بن أبي سفيان، أبو ليلى الخليفة، بويع بعهد من أبيه، وكان شاباً ديِّناً، خيراً من أبيه، وأُمُّه هي بنتُ أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة، فوُلِّي أربعين يوماً، ومات وله ثلاث وعشرون سنة.

وصلَّى عليه مروان ودُفِنَ إلى جنب قبر أبيه ولم يُعقِب. وامتنع أن يَعهد بالخلافة إلى أحد. رحمه الله.

١٨٣ حَسّان بن النُّعمان(٢)

[٣]ابن المنذر الغُسَّاني، من ملوك العرب، وُلِّي المغرب فهذَّبهُ وعَمَرهُ، وكان بطلاً شجاعاً، مجاهداً لبيباً، ميمونَ النقيبة، كبير القدر، وجَّهه معاويةُ في سنةِ سبعٍ وخمسين فصالح البربر، ورتَّب عليهم الخراج، وانعمرت البلاد.

[٤]وله غزواتٌ مشهودة بعد قتل الكاهنة(٣). فلما استُخلِف الوليد عزله، وبعث نُوَّاباً عِوَضَه وحرَّضهم على الغزو.

فقـدِمَ حسانُ على الوليد بأموالٍ عظيمة وتُحَف، وقال: يا أمير المؤمنين إنما ذهبتُ مجاهداً، وما مِثْلي مَن يخون.

---

(١) انظر السير: ٤/١٣٩.

(٢) انظر السير: ٤/١٤٠.

(٣)هي امرأة ملك البربر، تعرف بالكاهنة، كانت تخبرهم بأشياء من الغيب، ولها سلطان قوي في نفوسهم، هزمت حسان بن النعمان فعزه عبدالملك بالجيوش والأموال حتى استطاع القضاء عليها سنة ٧٤هـ.

قال: إني رادُّك إلى عملك. فحلف إنَّهُ لا يلي شيئاً أبداً. وكان يُدعى الشيخ الأمين.

وقال أبو سعيد بن يونس: توفيِّ سنة ثمانين، فلعلَّ الذي عزله عبدُ الملك.

١٨٤ شَبيبُ بنُ يزيد(١)

[١]**ابن أبي نُعيم الشَّيباني، رأسُ الخوارج بالجزيرة، وفارسُ زمانه، بعثَ لحربه الحجاجُ خمسة قوَّاد فقتلهم واحداً بعد واحد، ثم سار إلى الكوفة، وحاصر الحجاج، وكانت زوجتُه غزالةُ عديمةَ النظير في الشجاعة، فعَيَّر الحجاجَ شاعرٌ فقال(٢)**:

أَسَدٌ عليَّ وفي الحُرُوبِ نَعَامةٌ ... فَتَخاءُ تَنفِرُ مِن صَفِير الصَّافِرِ
هلاَّ بَرزتَ إلى غَزَالةَ في الوَغَىٰ ... بَلْ كانَ قلبُكَ في جَنَاحَيْ طَائِرِ

وكانت أُمُّ شبيب جهيزة تشهد الحروب.

غِرقَ شبيب في القتال بدُجيل(٣)، سنةَ سبع وسبعين وله إحدى وخمسون سنة.

[٢]قيل: حضر عِتبان الحَروريُّ عند عبدالملك بن مروان فقال: أنت القائل:

فَإن يَكُ مِنكُم كَانَ مَروانُ وابنُهُ ... وعَمرو ومِنكُم هَاشِمٌ وحَبيبُ
فمِنَّا حُصَينٌ والبَطِينُ وقَعنَبٌ ... ومِنَّا أميرُ المؤمنينَ شَبيبُ

فقال: إنما قلتُ: ومِنَّا أمِيرَ المؤمِنينَ شَبيبُ «على النِّداء» فأعجبه وأطلقه.

[٣]ولما غرق، قيل لأمِه فقالت: لما ولدتُه رأيتُ كأنه خرج مني شهابُ نارٍ، فعلمتُ أنه لا يُطفِئُهُ إلاَّ الماء.

[٤]وكان قد خرج صالحُ بن مُسرِّح العابد التميمي بدارا(٤)، وله أصحاب يُفقِّههم

(١) انظر السير: ٤/١٤٦- ١٤٩

(٢) هو عمران بن حطان.

(٣) هو نهر بالأهواز، حفره أردشير بابك أحد ملوك الفرس .

(٤) دارا: بلدةٌ بين نصيبين وماردين، وهي من بلاد الجزيرة.

ويقصُّ عليهم، ويذمُّ عثمانَ وعليّاً كدأبِ الخوارج، ويقول: تأهَّبوا لجهاد الظَّلَمة، ولا تجزعوا من القتل في الله، فالقَتْلُ أسهلُ من الموت، والموتُ لابُدَّ منه. فأتاه كِتـابُ شبيب يقول: إنك شيخُ المسلمين، ولن نعدِلَ بك أحداً، وقد استجبتُ لك، والآجال غاديةٌ ورائحة، ولا آمنُ أن تخترمَني المَنِيَّةُ ولم أُجاهِد الظالمين، فياله غبناً، ويالَهُ فضلاً متروكاً، جعلنا الله ممن يُريد اللهَ بعمله، ثم أقبل هو وأخوه مُصاد، والمحلل بن وائل، وإبراهيم بن حَجَر، والفضل بن عامر الذُّهليُّ، إلى صالح، فصاروا مئة وعشرة أنفس، ثم شدُّوا على خَيل لمحمد بن مروان، فأخذوها وقويَت شوكتهم، فسار لحربهم عديُّ بن عديٍّ بن عميرة الكندي، فالتقوا فانهزم عديٌّ، وبعد مُديدة تُوفي صالحٌ من جراحات، سنة ستٍ وسبعين. وعُهِد إلى شبيب فهـزمَ العساكر، وعَظُم الخَطب، وهجم على الكوفة وقتل جماعة أعيان. فندبَ الحجاجُ لحربه زائدة بن قُدامة الثقفي فالتقوا فَقُتِلَ زائدة، ودخلَت غزالةُ جامع الكوفة، وصلَّت وِردها وصَعِدت المِنبر، ووفَت نَذرَها، وهزم شبيب جيوش الحجاج مرَّات، وقتل عدَّةً من الأشراف، وتزلزل له عبدُ الملك، وتحيَّر الحجاجُ في أمره، وقال: أعياني هذا وجمع له جيشاً كثيفاً نحو خمسين ألفاً.

وعرضَ شبيبٌ جُندَهُ فكانوا ألفاً، وقال: ياقوم، إن الله نصَركُم وأنتم مئة، فأنتم اليوم مِئُون. ثم ثبتَ معهُ ستُّ مئة، فحمل في مئتين على المَيسَرة هزمها، ثم قَتَل مقـدَّم العساكر عتابَ بن ورقاء التميمي، فلما رآه شبيبٌ صريعاً توجَّع له، فقال خارجيٌّ له: يا أميرَ المؤمنين تتوجَّع لِكافر؟ ثم نادى شبيب برفع السيف، ودعا إلى طاعته، فبايعوه ثم هربوا في الليل.

ثم جاء المدد من الشام، فالتقاه الحجاج بنفسه، فجرى مَصافٌّ لم يُعهد مِثلُه، وثبتَ الفريقان، وقُتِلَ مصادٌ أخو شبيب وزوجتُه غزالة، ودخل اللّيل وتقهقر شبيب وهو يخفقُ رأسُه، والطلب في أثره، ثم فتر الطلب عنهم، وساروا إلى الأهواز فبرز متوليها محمد بن موسى بن طلحة، فبارز شبيباً فقَتَلَهُ شبيب، ومضى إلى كَرمان

فأقـام شهرين ورجع، فالتقاه سفيانُ بن أبرد الكلبي وحبيب الحكميّ على جسر دُجيل، فاقتتلوا حتى دخل الليل، فعبر شبيبٌ على الجسر فَقُطِع به، فغرق وقيل: بل نفر به فرسُه، فألقاه في الماء سنة سبع وسبعين وعليه الحديد فقال: ﴿ذلِكَ تَقْدِيرُ العَزيز العَلِيم﴾ [يس ٣٨].

١٨٥ قَطريُّ بنُ الفُجَاءَة[1]

[١]**الأمير أبو نَعامة التيمي المازنيُّ، البطلُ المشهور، رأسُ الخوارج. خرج زَمَنَ ابنِ الزبير، وهزم الجيوش، واستفحل بلاؤه.**

جهـز إليه الحجاج جيشاً بعد جيش فيكسرهم، وغلَب على بلاد فارس، وله وقائعُ مشهودة، وشجاعةٌ لم يُسمع بمثلها وشعِرٌ فصيح سائر. فله:

أقولُ لَها وقد طارَت شَعاعاً ... مِن الأبطالِ وَيحْكِ لن تُراعي
فإنَّك لَوْ سألْتِ بقاءَ يومٍ ... عَلى الأجلِ الذي لكِ لُم تُطَاعي
فصبراً في مَجالِ الموتِ صبراً ... فَمَا نَيلُ الخُلودِ بِمُستَطَاعِ
ولا ثَوبُ الحَياةِ بثَوبِ عِزٍّ ... فَيُطوىٰ عن أخِي الخَنَعِ اليراعِ
سَبيلُ المَوتِ غايةُ كُلِّ حيٍّ ... وداعِيهِ لأهلِ الأرضِ داعي
ومَن لم يُعتَبَطْ يهرَمْ ويَسأَم ... وتُسلِمهُ المَنُونُ إلى انقِطاعِ
وما للمَرءِ خيرٌ في حَيَاةٍ ... إذا مَا عُدَّ مِن سَقَطِ المَتَاعِ

واسم الفجاءة جَعونة بنُ مازن.

بقي قَطَرِيٌّ يحارب نيِّف عشرة سنة، ويُسلَّم عليه بالخلافة، استوفى المبرِّد في «كامله» أخباره إلى أن سار لحربه سفيان بن الأبرد الكلبي، فانتصر عليه وقتله. وقيل: عثر به الفرسُ فانكسرت فخذه بِطَبَرستان، فظفروا به، وحُمِلَ رأسه سنة تسع وسبعين إلى الحجأاج. وكان خطيباً بليغاً، كبير المحلِّ من أفراد زمانه.

---

(١) انظر السير: ٤/١٥١-١٥٢.

١٨٦ عُبيد بن عُمير (ع)[(١)]

[١] **ابن قتادة الليثي الجُنْدَعِيّ المكّيّ، الواعظُ المُفسِّر، وُلد في حياة رسول الله ﷺ.**

وكان من ثقاتِ التابعين وأئِمَّتهم بمكَّة. وكان يذكِّر الناس، فيحضر ابنُ عمر رضي الله عنهما مَجلِسه.

[٢]عن ثابت قال: أول من قصَّ عُبيد بن عُمير على عهد عمر بن الخطاب.

[٣]عن عطاء قال: دخلتُ أنا وعُبيد بن عُمير على عائشة فقالت له: خفِّفْ فإنَّ الذِّكر ثقيل، تعني إذا وعَظتَ.

تُوفِّي قبل ابنِ عمرَ بأيامٍ يسيرة.

١٨٧ عمرو بن مَيمون (ع)[(٢)]

[٤]**الأودي المَذحِجيُّ الكوفيُّ، الإمامُ الحُجَّة، أبو عبدالله. أدركَ الجاهليَّة، وأسلم في الأيَّام النبويَّة وقدِمَ الشام مع مُعاذِ بن جبل، ثم سكَن الكوفة.**

[٥]عن عمرو بن ميمون الأوْدي قال: قدم علينا مُعاذٌ اليمن، رسولُ رسولِ الله ﷺ، من الشِّحر، رافعاً صوتَه بالتكبير، أجشَّ الصوت، فأُلقِيَت محبَّتي عليه، فما فارقته حتى حثوتُ عليه من التراب. ثم نظرت في أفقه الناس بعده، فأتيتُ ابن مسعود.

رواه أبو خيثمة، عن الوليد بن مسلم. وقال: فأُلقِيتُ عليَّ محبته.

[٦]عن عمرو بن ميمون، قال: رأيتُ في الجاهلية قِرْدةً اجتمع عليها قِرَدةٌ فرجموها، فرجمتُها معهم.

[٧]قال أبو إسحاق: حجَّ عَمرو بنُ ميمون ستين مرة مِن بين حِجَّة وعُمرة.

[٨]عن إبراهيم، قال: لما كَبِر عمرو بنُ ميمون، أوتـد له في الحائط، فكان إذا

(١) انظر السير: ٤/١٥٦-١٥٧.

(٢) انظر السير: ٤/١٥٨-١٦١.

سئِم من القيام، أمسك به، أو يتعلّق بحبل.

[١]يونس بن أبي إسحاق: عن أبيه، كان عمرو بن ميمون إذا رُئي، ذُكر الله.

عن عمرو بن ميمون، قال: شهدتُ عمر غداةَ طُعن فكنتُ في الصف الثاني.

[٢]عن عمرو بن ميمون، أنَّه كان لا يتمنَّى المَوت، ويقول: إني أُصلِّي في اليوم كذا، وكذا، حتى أرسل إليه يزيدُ بن أبي مسلم فتعنَّته، ولقي مِنهُ شِدَّةً، فكان يقول: اللَّهمَّ ألحِقني بالأخيار، ولا تُخلِّفني مع الأشرار، واسقني من عَذبِ الأنهار.

مات سنة خمس وسبعين.

١٨٨ شقيق بن سَلَمة (ع)[١]

[٣]الإمامُ الكبير شيخُ الكوفة، أبو وائل الأسديُّ أسد خُزيمة، الكوفيُّ، مخضرم أدرك النبي ﷺ، وما رآه.

[٤]عن أبي وائل قال: أدركت سبع سنين من سنيِّ الجاهليَّة.

عن أبي وائل، قال: أتانا مصدِّق النبي ﷺ، فأتيتُه بكبشٍ فقلت: خذ صدقة هذا، قال: ليس في هذا صدقة.

وقال الأعمش: قال لي شقيق بن سلَمة: يا سُليمان، لو رأيتَنا ونحن هُرَّابٌ من خالد بن الوليد يوم بُزاخَة[٢]، فوقعتُ عن البعير، فكادت تندقُّ عُنُقي. فَلو مُتُّ يومئذٍ كانت النار. قال: وكنت يومئذٍ ابنَ إحدى عشرة سنة، وفي نسخة ابن احدى وعشرين سنة وهو أشبه.

قلتُ: كونُه جاء بالكبش ثم هرب من خالد، يُؤذِنُ بارتداده، ثم منَّ الله عليه بالإسلام، ألا تراه يقول: لو مُتُّ يومئذٍ كانت النار، فكانت لله به عناية.

---

(١) انظر السير: ٤/١٦١-١٦٦.

(٢) بزاخة: ماء لطيء بأرض نجد، وقال أبو عمرو الشيباني: ماء لبني أسد كانت فيه وقعة عظيمة في أيام أبي بكر الصديق مع طليحة بن خوليد الأسدي، وكان قد تنبأ بعد النبي ﷺ، واجتمع إليه أسد وغطفان، فقوي أمره، فبعث إليه أبو بكر خالد بن الوليد.

[١] محمد بن فضيل: عن أبيه، عن أبي وائل، أنه تعلَّم القرآن في شهرين.

[٢] قال عاصم بن أبي النَّجود: ما سمعتُ أبا وائل سبَّ انساناً قطُّ، ولا بهيمة.

[٣] قال الثوري: عن أبيه، سمع أبا وائل سُئل: أنت أكبرُ أو الربيع بن خُثيم؟ قال: أنا أكبر منه سناً، وهو أكبرُ مني عقلاً.

[٤]عن الأعمش، قال أبو وائل: يا سليمان ما في أمرائنا هؤلاء واحدة من اثنتين: ما فيهم تقوى أهل الإسلام ولا عقول أهل الجاهلية.

[٥]عن الأعمش، قال لي شقيق: نعم الربُّ ربُّنا، لو أطعناهُ ما عصانا.

[٦]عن الزِّبرقان، قال: كنتُ عند أبي وائل، فجعلتُ أسُبُّ الحجاج وأذكُر مساوءه فقال: لا تسبَّه، وما يُدريك لعله قال: اللَّهم اغفر لي فغفر له.

[٧]أبو بكر بن عيَّاش، عن عاصم قال: كان أبو وائل إذا صلَّى في بيته ينشِجُ نشيجاً، ولو جُعلِتَ له الدُّنيا على أن يفعلَهُ واحدٌ يراه، ما فعله.

[٨]قال مغيرة: كان ابراهيم التيميُّ يذكِّرُ في منزل أبي وائل، وكان أبو وائل ينتفضُ انتفاضَ الطير.

[٩]قال عاصم بن بَهدلة: كان أبو وائل يقولُ لجاريته، إذا جاءَ يحيى - يعني ابنه - بشيءٍ فلا تقبليه، وإذا جاء أصحابي بشيْ، فخُذيه، وكان ابنُه قاضياً على الكُناسة(١)، قال: وكان لأبي وائل رحمه الله خُصٌّ من قصب، يكون فيه هو وفرسه، فإذا غزا، نقضَهُ وتصدَّق به، فإذا رجَعَ، أنشأ بناءه.

قلتُ: قد كان هذا السَّيِّدُ رأساً في العلم والعمل.

مات سنة اثنتين وثمانين.

[١٠]عن أبي وائل: استعملني ابنُ زياد على بيتِ المال، فأتاني رجلٌ بِصَكٍّ أن أعطِ صاحبَ المطبخ ثمانَ مئة دِرهم. فأتيتُ ابنَ زياد، فكلَّمتُه في الإسراف فقال: ضع المفاتيحَ واذهب.

---

(١) الكُناسة: محلة بالكوفة.

١٨٩ زِرُّ بن حُبيش (ع)[1]

[١]ابن حُباشَة، الإمامُ القُدوة مُقرئ الكوفةِ معَ السُّلميّ، أبو مريم الأسديُّ الكوفيُّ، ويُكنَى أيضاً أبا مُطرِّف. أدرك أيامَ الجاهليَّة.

تصدَّر للإقراء.

[٢]قال عاصم: كان زِرٌّ من أعرب الناس، كان ابنُ مسعود يسأله عن العربيّة.

[٣]عن زرٍّ، قال: خرجتُ في وفدٍ من أهل الكوفة، وايم الله، إن حرَّضني على الوفادة إلا لُقيُّ أصحابِ رسول الله ﷺ، فلما قدِمْتُ المدينة، أتيتُ أُبيَّ بنَ كعب، وعبدَالرحمن بن عوف، فكانا جليسيَّ وصاحبيَّ، فقال أُبيٌّ: يا زِرّ، ما تريد أن تدع من القرآن آيةً إلا سألتني عنها.

[٤]عن زرٍّ، قال: كنتُ بالمدينة في يوم عيدٍ، فإذا عُمرُ رضي الله عنه ضخمٌ أصلَعُ، كأنَّه على دابَّةٍ مَشْرف.

[٥]قال أبو بكر بن عياش عن عاصم: كان أبو وائل عثمانياً وكان زِرُّ بن حُبيش علويّاً، وما رأيتُ واحداً منهما قطُّ تكلم في صاحبه حتى ماتا. وكان زِرٌّ أكبرَ من أبي وائل، فكانا إذا جلسا جميعاً، لم يُحدِّث أبو وائل مع زِرّ ـ يعني يتأدبُ معه لسِنِّه.

[٦]عن الأعمش قال: أدركتُ أشياخَنا زِرّاً وأبا وائل، فمنهم مَن عثمانُ أحبُّ إليه من عليّ، ومنهم مَن عليٌّ أحبُّ إليه من عثمان. وكانوا أشدَّ شيءٍ تحابّاً وتوادّاً.

عن عاصم قال: مرَّ رجلٌ على زِرٍّ وهو يؤذِّن، فقال: يا أبا مريم قد كنتُ أُكرمُك عن ذا: قال: إذاً لا أُكلِّمُكَ كلمةً حتى تلحَقَ بالله.

عن إسماعيل، قلت لِزرٍّ: كم أتى عليك؟ قال: أنا ابن مئة وعشرين سنة.

عن الشّعبي: أن زرّاً كتب إلى عبدالملك بن مروان كتاباً يعظه.

---

(١) انظر السير: ٤/١٦٦ـ ١٧٠.

١٩٠ أبو عثمانَ النَّهديّ (ع)(١)

[١] **الإمام الحُجَّة، شيخُ الوَقت، عبدُ الرحمن بن مُلّ بن عمرو البصري، مُخضرمٌ، مُعمَّر، أدرك الجاهليَّة والإسلام، وغزا في خلافة عُمرَ وبعدها غَزَوات.**

وكانَت هجرتُه من أَرض قَومِهِ وقتَ استخلاف عُمرَ. وكان من سادةِ العلماء العاملين.

قلتُ: فعلى هذا هو أكبر من أنس بن مالك ومِن سَهل بن سعد الساعدي، ومن ابنِ عباس، وعائشة.

أسلم أبو عثمان على عهد النبيِّ ﷺ، ولم يَرهُ، لكنه أدَّى إلى عُمَّاله الزكاة.

[٢]حجاج بن أبي زينب، سمعت أبا عثمان يقول: كنا في الجاهليَّة نعبُد حجراً، فسمعنا منادياً ينادي: يا أَهلَ الرِّحال، إن رَّبكم قَد هَلَكَ، فالتمسوا رَبّاً، فخرجنا على كُلِّ صعبٍ وذَلُول، فبينا نحنُ كذلك إذ سمعنا منادياً ينادي: إنا قد وجدنا ربَّكم أو شبهه، فجئنا فإذا حَجَرٌ فنحرنا عليه الجُزُر.

[٣]عن أبي عثمان قال: رأيتُ يغُوثَ صنماً من رصاص يُحمل على جمل أجرد، فإذا بلَغ وادياً، بَرَكَ فيه، وقالوا: قد رضِي لكم ربُّكم هذا الوادي.

أبو حبيب المَرْوَزيّ: سمعتُ أبا عثمان النَّهدي يقول: حَجَجتُ في الجاهليَّة حِجَّتين.

[٤]كان أبو عُثمان من قُضاعة، وسكن الكوفة، فلما قُتِل الحسين، تحوَّل إلى البصرة وقال: لا أسكن بلداً قُتل فيه ابن بنت رسول الله ﷺ، قال: وحجَّ ستين مَّرةً ما بين حِجَّةٍ وعُمرة وقال: أتَت عليَّ ثلاثون ومئة سنة وما شيءٌ إلَّا وقد أنكرتهُ، خلا أملي فإنَّه كما هو.

[٥]عن أبي عثمان، قال: صحبتُ سلمان الفارسيَّ ثنتي عشرة سنة.

[٦]عن أبي عثمان النَّهدي، قال: أتيتُ عمر رضي الله عنه بالبشارة يوم نَهَاوَنْدْ.

---

(١) انظر السير: ٤/١٧٥ـ١٧٨.

[١]معتمر: عن أبيه: قال: كان أبو عثمان النَّهدي يُصلِّي حتى يُغشى عليه، مات سنة مئة.

١٩١ جميل بن عبدالله(١)

[٢] **ابن معمر أبوعَمرو العُذْريُّ الشاعر البليغ ،صاحبُ بثينة، وما أحلى استهلالَه حيثُ يقول:**

ألا أيُّها النُّوَّام وَيحَكُمُ هُبُّوا   أُسَائِلُكُم: هَل يَقتُلُ الرَّجُلَ الحُبُّ

ويُحكى عنه تصوُّنٌ ودينٌ وعِفَّةٌ.

يقال: مات سنة اثنتين وثمانين. وقيل: بل عاش حتى وَفَد على عُمر بنِ عبدالعزيز وَنظمُه في الذُّروة.

يُذكر مع كُثَيِّر عزَّة والفرزدق.

١٩٢ ابن الأشعث(٢)

[٣] **الأمير متولي سِجِستان، عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث الكنديّ.**

بعثه الحجاج على سِجستان، فثار هناك، وأقبلَ في جمع كبير، وقامَ معه علماءُ وصُلحاءُ لله تعالى لِما انتهَك الحجَّاج مِن إماتةِ وقتِ الصلاة، ولجوْرِهِ وجَبرَوُته. فقاتَلَهُ الحجَّاج، وجرى بينهما عِدَّة مصافَّات. وينتصر ابن الأشعث ودامت الحربُ أشهراً، وقُتل خلقٌ من الفريقين، وفي آخرِ الأمرِ انهزم جمْع ابنِ الأشعث وفرَّ هو إلى الملك رُتبيل ملتجئاً إليه، فقال له علقمَةُ بن عمرو: أخافُ عليك، وكأني بكتابِ الحجَّاج قد جاء إلى رُتبيل يُرْغِبُهُ ويُرْهِبُه، فإذا هو قد بعثَ بك أو قَتَلك. ولكن ها هنا خمس مئةِ مقاتل قد تبايعنا على أن ندخل مدينةً نتحصَّنُ بها ونُقاتِلُ

---

(١) انظر السير: ٤/ ١٨١

(٢) انظر السير: ٤/١٨٣- ١٨٤.

حتى نُعطَى أماناً أو نموتَ كراماً. فأبى عليه وأقام الخمس مئة حتَّى قَدِمَ عُمارةُ بنُ تميم فقاتلوه حتى أمَّنهم ووفى لهم، ثم تتابعت كُتب الحجَّاج إلى رُتبيل بطلب ابن الأشعث، فبعث به إليه على أن ترك له الحمل[1] سبعة أعوام.

وأرسل إلى ابن الأشعث وإلى ثلاثين من أهل بيته وقد هيأ لهم القُيود والأغلال فقيَّدهم وبعث بهم، فلما قَرُب ابنُ الأشعث من العراق ألقى نفسَه من قصر خرابٍ أنزلوه فدقِه فهلك. وذلك في سنةِ أربع وثمانين.

١٩٣ مَعبد بنُ عبدالله (ق)[2]

[١]**ابن عُويَمر الجُهَنيُّ، نزيلُ البصرة، وأولُ مَن تكلَّم بالقَدَر في زمنِ الصحابة وكان من علماء الوقت على بِدعته.**

وقد وثَّقه يحيى بن مَعِين.

[٢]وعن عبدالملك بن عُمير أن القُرَّاء اجتمعوا على مَعبد الجُهَنيّ، وكان أحدَ مَن شَهد الحَكَمين، وقالوا له: قد طال أمرُ هذين عليٍّ ومعاوية، فلو كلمتهما، قال: لاتُعـرِّضُـوني لأمر أنا له كاره، والله ما رأيتُ كقريش، كأنَّ قلوبَهم أُقفلت بأقفال الحديد، وأنا صائرٌ إلى ما سألتُم. قال مَعبد: فلقيت أبا موسى: فقلت: انظر ما أنت صانع. قال: يا مَعبد غداً ندعو الناس إلى رجُل لا يَختلفُ فيه اثنان. فقلتُ لنفسي: أما هذا، فقد عزل صاحبه. ثم لقيت عَمْراً وقلتُ: قد وليتَ أمرَ الأُمَّة، فانظر ما أنت صانع. فنزع عِنانَهُ مِن يدي ثم قال: إيهاً تَيسَ جُهَينةَ، ما أنت وهذا؟! لَستَ من أهل السِرّ ولا العلانية، والله ما ينفعُك الحقُّ ولا يضرك الباطل[3].

(١) كذا الأصل ـ وهو محتمل ـ ولعلها (الصلح) فقد جاءت عبارة الطبري ٦/ ٣٩٠ هكذا: (وترك له الصلح الذي كان يأخذه منه سبع سنين).

(٢) انظر السير: ٤/ ١٨٥ـ ١٨٧.

(٣) الخبر في «ابن عساكر» ١٦/ ٤٠٠آ،ب مطول، وزاد في نهاية الخبر: «. . . ثم مضى وتركني فأنشأ معبد:

إني لقيت أبا موسى فأخبرني بما أردت وعمرو ضن بالخبر
شتان بين أبي موسى وصاحبه عمرو لعمرك عند الفضل والخطر
هذا له غفلة أبدت سريرته وذاك ذو حذر كالحيَّة الذكر

[١]قال الجُوزْجانيُّ : كان قوم يتكلّمون في القدر، احتمل الناسُ حديثَهُم لِما عرفوا من اجتهادهم في الدِّين والصدق والأمانة، ولم يُتوهَّم عليهم الكذب، وإن بُلوا بسُوء رأيهم، منهم مَعبد الجُهنيُّ، وقتادة ومعبدُ رأسُهم.

[٢]قال محمد بن شُعيب: سمعتُ الأوزاعيَّ يقول: أوَّلُ من نَطَق في القَدر سوسن بالعراق، كان نصرانياً فأسلم ثم تنصَّر، فأخذَ عنهُ مَعبَدُ. وأخذ غَيلانُ القَدَريُّ عن مَعْبد.

[٣]قال مرحوم العطار: حدّثنا أبي وعمي، سمِعا الحسن يقول: إيَّاكم ومعَبَد الجُهَنيّ فإنه ضالٌ مُضلٌّ.

[٤]قال يُونس: أدركتُ الحسن يعيبُ قولَ معبدٍ، ثم تلطَّف له معبدُ فألقى في نفسهِ ما ألقى. قال طاووس: احذروا قولَ معبدَ، فإنَّه كان قَدَرياً.

[٥]وقال مالك بن دينار: لقيتُ مَعبد بمكة بعد فتنةِ ابن الأشعث وهو جريح، قد قاتل الحجاج في المواطن كُلِّها.

[٦]عن صدقة بن يزيد، قال: كان الحجاجُ يعذب معبداً الجُهني بأصناف العذاب ولا يجزع، ثم قتله.

قال خليفة: مات قبل التسعين. وقال سعيد بن عُفير: في سنة ثمانين صلب عبد الملك معبداً الجُهني بدمشق.

قلتُ: يكون صَلَبه ثم أطلقه.

١٩٤ مُطرِّفُ بن عبدالله (ع)(١)

[٧] ابن الشِّخِّير، الإمامُ، القدوة، الحُجَّة، أبو عبدالله الحَرشيّ العامريّ البصريّ.

وكان ثقة له فضل وورع وعقل وأدب.

وقال العِجلي: كان ثقةَ لم ينجُ بالبِصرة مِن فتنة ابن الأشعث إلاّ هو وابن

(١) انظر السير: ٤/١٨٧-١٩٥.

سيرين، ولم يَنجُ منها بالكوفة إلا خَيْثَمَةُ بنُ عبدالرحمن، وابراهيم النَّخَعيّ.

[١]قال مهدي بن ميمون: حدَّثنا غيلان بن جرير، أنَّه كان بَينه وبين رجلٍ كلام، فكذب عليه فقال: اللَّهمَّ إن كان كاذباً فأمِتهُ. فخرَّ ميتاً مكانه. قال: فرُفع ذلك إلى زياد فقال: قتلت الرجل. قال: لا، ولكنَّها دَعوةٌ وافقت أجَلاً.

[٢]وعن غيلان أن مُطرِّفاً كان يَلبسُ المطارفَ والبرانسَ، ويركبُ الخَيل، ويغشى السُّلطان، ولكنَّه إذا أفضيتَ إليه، أفضيتَ إلى قُرَّة عين.

[٣]عن مطرف بن عبدالله، قال: فضلُ العلم أحبُّ إليَّ من فضل العبادة، وخَيرُ دينكم الوَرع.

مولد مطرف كان عام (بدر) أو عام (أُحد) وموته كان في سنة خمس وتسعين.

[٤]وعن ثابت البُناني، عن مطرِّف قال: لأن يسألني الله تعالى يوم القيامة، فيقول: يا مطرِّف ألا فعلتَ. أحبُّ إليَّ من أن يقول: لِمَ فعلت؟

[٥]قال مُطرِّف بن عبدالله: إنما وجدتُ العبدَ مُلقى بين ربِّه وبين الشيطان، فإن اسْتَشْلاهُ ربُّه واستنقذَه نجا، وإن تركه والشيطانَ، ذهبَ به.

[٦]قال مُطرِّف: لو أُخرجَ قلبي. فَجُعِلَ في يساري وجيء بالخَيْر، فَجُعل في يميني ما استطعت أن أُولجَ قلبي مِنه شيئاً حتى يكون الله يَضعُه.

[٧]عن مطرِّف قال: إنَّ هذا المـوتَ قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم، فاطلبوا نعيماً لا موتَ فيه.

[٨]عن مُطرِّف بن عبـدالله قال: ليس لأحـدٍ أن يصعـد فيُلقي نَفسَهُ من شاهقٍ، ويقول: قَدَّر لي ربِّي. ولكن يحذَرُ ويجتهد ويَتَّقي، فإن أصابه شيءٌ، عَلِمَ أنَّه لن يُصيبَهُ إلَّا ما كتبَ الله له.

[٩]أبو عقيل بشير بن عُقبة قال: قلت ليزيد بن الشِّخِّير: ما كان مُطرِّفُ يصنَعُ إذا هاجَ الناس؟ قال: يلزمُ قَعْرَ بيته، ولا يقربُ لهم جُمُعةً ولا جماعةً حتى تنجلِي.

[١٠]قال مطرِّف: لأن آخُذ بالثِّقة في القعود أحبُّ إليَّ مِن أن ألتمِس فَضل الجهاد بالتغرير.

[١]قلت: كان مُطرِّفُ له مالٌ وثروة وبِزَّة جميلة ووقع في النفوس.

[٢]وعن قتادة قال: كان مطرِّفُ بن عبدالله وصاحبٌ له سريا في ليلة مُظلمة فإذا طرف سَوطِ أحدِهما عنده ضَوء، فقال: أما إنَّه لو حدَّثْنا النَّاسَ بهذا، كذَّبونا. فقال مُطرِّفُ، المكذِّب أكذبُ.

[٣]عن غيلان بن جرير قال: أقبل مُطرِّف معَ ابنِ أخٍ له من البادية ـ وكان يبدُو ـ فبينا هو يسير سمعَ في طَرف سَوطه كالتسبيح فقال له ابنُ أخيه: لو حدَّثْنا الناسَ بهذا، كذبونا. فقال: المكذِّبُ أكذبُ الناس.

[٤]أبو التيَّاح قال: كان مُطرِّفُ بن عبدالله يبدو، فإذا كان ليلةَ الجُمعة، أدلَج على فرسه، فربَّما نوَّر له سَوطُه، فأدلج ليلةً حتى إذا كان عند القبور، هَوَّم[1] على فرسه، قال: فرأيتُ أهلَ القبور، صاحبَ كُلِّ قبرٍ جالساً على قبره، فَلمّا رأوني، قالوا: هذا مُطرِّف يأتي الجُمعة: قُلت: أتعلمون عندكم يوم الجُمعة؟ قالوا: نعم، نعلمُ ما تقولُ الطَّيرُ فيه.

قُلت: وما تقول الطير؟ قالوا تقول: سلام سلام من يوم صالح.

[٥]كان مُطرِّف يقول: اللَّهمَّ ارضَ عنَّا، فإن لم تَرض عنَّا فاعفُ عنَّا فإنَّ المَولى قد يعفو عن عبدِه وهو عنه غيرُ راضٍ.

[٦] وعن مُطرِّف أنَّه قال لِبعض إخوانه: يا أبا فلان إذا كَانت لك حاجةٌ فلا تُكلِّمْني واكتبها في رُقْعة فإني أكرهُ أن أرى في وجهك ذلَّ السؤال.

[٧] وقال ابنُ عُيينة: قال مُطرف بن عبدالله: ما يُسرُّني أني كذبتُ كذبةً وأنَّ لي الدنيا وما فيها.

[٨]قال مُطرِّف: لأنْ أُعافى فأشكُر أحبُّ إليَّ من أن أُبتلى فأصبر.

[٩]قال سليمان بن المغيرة: كان مُطرِّفُ إذا دخل بيته، سبَّحَت مَعهُ آنيةُ بيته.

[١٠]عن غيلان بن جرير قال: حَبَسَ السلطانُ ابنَ أخي مُطرِّف فلبس مُطرِّفُ خُلْقان ثيابه، وأخذ عُكَّازاً وقال: أستكين لربِّي لعلّه أن يُشفِّعني في ابن أخي.

---

(١) هوم: هز رأسه من النعاس أو نام نوماً خفيفاً.

١٩٥ أيوب القِرِّيَّة[١]

[١]**هو أيُّوب بن يزيد بن قيس بن زُرارة النَّمَريّ الهلاليّ الأعرابيّ.**

صَحِب الحجَّاج وَوَفد على الخليفة عبدالملك وكان رأساً في البلاغة والبيان واللُّغة. ثم إنه خَرَجَ على الحجَّاج مع ابن الأشعث، لأن الحجَّاج نَفَّذَهُ إلى ابن الأشعث إلى سِجِسْتان رسولاً، فأمرَهُ ابنُ الأشعث أن يقومَ ويسُبَّ الحجَّاج ويخلعه أو لَيقتُلنَّه ففعل مُكرهاً. ثُمَّ أسِر أيوُّب ولما ضرب الحجَّاج عُنُقَه ندِم وذلك في سنة أربع وثمانين وله كلام بليغ متداول[٢].

١٩٦ العلاءُ بن زياد (ق)[٣]

[٢]**ابن مَطَر القدوةُ العابد، أبو نصْر العدويُّ البصريُّ.**

[٣]وكان ربَّانياً تقياً قانتاً لله، بكَّاءً من خَشية الله.

[٤]قال قتادة: كان العلاءُ بن زياد قد بكى حتى غُشيَ بَصَرُه، وكان إذا أراد أن يقرأ أو يتكلّم، جَهَشَهُ البكاء، وكان أبوه قد بكى حتى عَمِي.

[٥]وقال هشام بن حسَّان: كان قوت العلاء بن زياد رغيفاً كل يوم.

[٦]وقال أوفى بن دلْهم: كان للعلاء بن زياد مالٌ ورقيق، فأعتقَ بعضَهم وباع بعضهم، وتعبَّد وبالغ، فكُلِّم في ذلك فقال: إنما أتذلَّلُ لله لعلَّه يَرحَمُني.

[٧]أتي رجلٌ العلاءَ بن زياد، فقال: أتاني آتٍ في منامي فقال: ائتِ العلاءَ بن زياد، فقل له: لِمَ تبكي، قد غُفِر لك.

قال: فبكى، وقال: الآن حِينَ لا أهدأ.

---

(١) انظر السير: ٤/١٩٧-١٩٨.

(٢) ومن كلامه ما جاء في «عيون الأخبار» ٣/٦٩ أن الحجَّاج قال لأيوب: اخطب على هند بنت أسماء ولا تزد على ثلاث كلمات، فأتاهم فقال: أتيتُكم من عند من تعلمون، والأمير يعطيكم ما تسألون أفتنكحون أم تردون؟ قالوا بل أنكحنا وأنعمنا، ولما أراد الحجَّاج أن يطلقها أمر ابن القِرِّيَّة أن يأتيَها فيطلقها بكلمتين ويمتِّعها بعشرة آلاف درهم، فأتاها فقال لها: إن الحجَّاج يقول لك، كنتِ فبنتِ، وهذه عشرة آلاف متعة لك. **فقالت:** قل له: كنّا فما حمدنا، وبنَّا فما ندمنا، وهذه العشرة آلاف لك ببشارتك إياي بطلاقي. «عيون الأخبار ٢/٢٠٩.

(٣) انظر السير: ٤/٢٠٢-٢٠٦

[١]رُؤى العـلاء بن زياد أنَّه مِن أهل الجنَّة، فمكث ثلاثاً لا ترقء له دَمْعَةٌ، ولا يَكتَحِـل بنوم، ولا يذوقُ طعاماً. فأتاه الحَسن فقال: أي أخي، أتقتُلُ نفسَكَ أن بُشِّرتَ بالجنَّة! فازداد بكاءً، فلم يفارقه حتى أمسى وكانَ صائماً، فَطعِمَ شيئا.

[٢]عن العلاء بن زياد، قال: ما يضرُّك شهدتَ على مسلم بكفر أو قتلتَه.

[٣]عن العلاء بن زياد قال: رأيتُ الناسَ في النَّوم، يتبعون شيئاً فتبعتُه، فإذا عجوزٌ كبيرةٌ هتماء عوراء، عليها من كُلِّ حِلية وزينة، فقلتُ: ما أنتِ؟ قالت: أنا الدنيا. قلتُ: أسأل الله أن يُبغِّضَك إليَّ، قالت: نَعم، إن أبغضت الدراهم.

[٤]جعفر بن سليمان الضُّبعِي: حدثنا هشام بن زياد أخو العلاء، أن العلاء كان يُحيي ليلة الجُمعة، فنام ليلة جُمُعةٍ، فأتاه من أخذ بناصيته، فقال: قم يا ابن زياد، فاذكُر الله يذكُرْك. فقام، فما زالت تلك الشعرات التي أخذها منه قائمة حتَّى مات.

توفي في أخَرَةِ ولاية الحجاج سنة أربع وتسعين.

١٩٧ أبو العالية (ع)[١]

[٥]**رُفيع بن مِهران، الإمامُ المقرئ الحافظُ المفسِّر، أبو العالية الرِّياحيُّ البصريّ، أحد الأعلام، كان مَولى لامرأةٍ من بني رياح بن يَربُوع، ثم مِن بني تميم.**

أدرك زمانَ النبيِّ ﷺ، وهو شابّ، وأسلم في خلافة أبي بكر الصِّدِّيق، ودخل عليه.

[٦]وحفظ القرآن وقرأ على أُبيِّ بن كعب، وتصدَّر لإفادة العِلم، وبعُد صيتُه. قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء فيما قيل، وما ذاك ببعيد فإنه تميمي، وكان معه ببلَدِه، وأدرك من حياة أبي العالية نيّفاً وعشرين سنة.

[٧]عن حفصة بنت سيرين، قالت: قال لي أبو العالية: قرأتُ القرآن على عمر رضي الله عنه ثلاث مِرَار.

[٨]عن أبي العالية، قال: كان ابن عباس يرفعُني على السرير وقريش أسفل مِن

(١) انظر السير: ٤/٢٠٧-٢١٣.

السرير، فتغامزَت بي قُريش، فقال ابن عباس: هكذا العِلمُ يزيدُ الشريفَ شرفاً، ويُجلِسُ المَمْلوكَ على الأسرَّة.

قلتُ: هذا كان سريرَ دار الإمرة لمّا كان ابنُ عباس متولِّيها لعليٍّ رضي الله عنهما.

قال أبو بكر بن أبي داود: وليس أحدٌ بعدَ الصحابة أعلمَ بالقرآن من أبي العالية. وبَعدهُ سعيد بن جبير.

[١]وقال أبو خَلدة خالدُ بن دينار: سمعتُ أبا العالية يقول: كُنَّا عبيداً مَملوكين، مِنَّا من يؤدِّي الضرائب، ومِنَّا من يخدُم أهله، فكُنَّا نختِم كلَّ ليلة، فشقَّ علينا حتى شكا بعضُنا إلى بعض. فلقينا أصحابَ رسول الله ﷺ فعلَّمونا أن نختِم كُلَّ جُمُعَة، فصلَّينا ونمنا ولم يشُقَّ علينا.

[٢]عن أبي العالية، قال: كنتُ أرحَلُ إلى الرجل مسيرَة أيامٍ لأسمَع منهُ، فأتفقَّد صَلاتَه، فإن وجَدتُه يُحْسِنها، أقمتُ عليه، وإنْ أجِدْهُ يُضيِّعُها، رحلت ولم أسمع منه، وقلتُ: هو لِما سواها أضْيَع.

[٣]قال أبو العالية: لمَّا كان زمان عليّ ومعاوية، وإني لشابّ القتالُ أحبُّ إليَّ من الطعام الطيِّب، فتجهَّزت بجهاز حسن حتى أتيتُهم، فإذا صفَّان ما يُرى طرفاهما، إذا كبَّر هؤلاء، كبَّر هؤلاء، وإذا هلَّل هؤلاء، هلَّل هؤلاء.

فراجعتُ نفسي، فقلت: أيُّ الفريقين أنزِّله كافراً؟ ومن أكرهني على هذا؟ قال: فما أمسيتُ حتى رجعت وتركتهم.

[٤]قال عاصم الأحول: كان أبو العالية إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام فتركهم.

[٥]عن عاصم: عن أبي العالية، قال: أنتم أكثرُ صلاةً وصياماً ممن كان قبلكم، ولكنَّ الكذِبَ قد جرى على ألسنتكم.

[٦]عن أبي العالية، قال: ما مسستُ ذَكري بيميني منذ ستين أو سبعين سنة.

[٧]عن ثابت، أن أبا العالية قال: إني لأرجو أن لا يهلك عبدٌ بين نِعمتين: نعمة يحمَدُ الله عليها وذنب يستغفرُ الله منه.

[١]أبو خلدة، قال: كان أبو العالية إذا دخل عليه أصحابُهُ يُرحِّب بهم ويقرأ ﴿وإذا جَاءَكَ الذين يُؤْمِنُونَ بآياتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ الآية [الأنعام ٥٤].
[٢]عن أبي العالية، قال: إن الله قضَى على نفسه أنَّ من آمَنَ به هداه، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿وَمَنْ يُؤمِنْ بالله يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن ١١]، ومن توكل عليه كفاه، وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿وَمَنْ يَتَوكَّل عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق ٣] ومن أقرضَهُ جازاه، وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿مَن ذَا الذي يُقرضُ الله قَرضاً حَسناً فَيُضاعفَهُ له أضعافاً كثيرةً﴾ [البقرة ٢٤٥] ومن استجار مِن عذابه أجاره وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿واعتصمُوا بِحَبلِ الله جميعاً﴾ [آل عمران ١٠٣] والاعتصام الثقة بالله. ومن دَعاه أجابهُ، وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿وإذا سأَلَكَ عِبادي عنّي فإنِّي قَرِيبٌ أُجيبُ دَعوةَ الداعِ إذا دَعانِ﴾ [البقرة ١٨٦].
[٣]عن شُعيب بن الحبحاب، قال: قال أبو العالية: اشترتني امرأةٌ فأرادت أن تعتقني، فقال بنو عمها: تعتقينَهُ فيذهب إلى الكوفة فينقطع. فأتَتْ لي مكاناً في المسجد فقالت: أنت سائبة ـ تريدُ لا ولاء لأحدٍ عليك. قال: فأوصى أبو العالية بمالِه كُلِّه.
[٤]قال أبو خَلْدة: سمعت أبا العالية يقول: زارني عبدالكريم أبو أميَّة وعليه ثياب صوف، فقلتُ له: هذا زيُّ الرهبان، إنّ المسلمين إذا تزاوروا تجمَّلوا.
[٥]عن عاصم الأحول، أن أبا العالية أوصى مُورِّقاً العِجلي أن يجعَلَ في قبره جريدتين.
[٦]وقال مورق: وأوصى بُرَيدَةُ الأسلمي رضي الله عنه أن يُوضع في قبره جريدتان.
مات أبو العالية في سنة تسعين.

١٩٨ عِمْرانُ بن حِطَّان (خ، د، ت)[١]

[٧]**ابن ظَبْيان، السَّدوسيُّ البصريّ، من أعيان العُلماء، لكنَّه مِن رؤوس الخوارج.**

(١) انظر السير: ٤/ ٢١٤ـ ٢١٦.

[١]قال أبو داود: ليس في أهل الأهواء أصحُّ حديثاً من الخوارج. ثم ذكر عِمْران بن حِطَّان، وأبا حسَّان الأعرج.

[٢]قال الفـرزدق: عِمران بن حِطَّان من أشعر الناس، لأنه لو أراد أن يقول مثلنا لقال، ولسنا نقدِرُ أن نقول مِثلَ قَوله.

[٣]عن ابن سيرين، قال: تزوج عمران خارجيَّة وقال: سأردُّها، قال فصرفته إلى مذهبها.

[٤]فذكر المدائني أنها كانت ذاتَ جمال، وكان دميماً فأعجبتهُ يوماً فقالت: أنا وأنت في الجنَّة، لأنك أُعطِيتَ فشكرْتَ، وابتُلِيتُ فصبرْتُ.

[٥]ومن شعره في مصرع عليٍّ رضي الله عنه.

يا ضربةً من تقيٍّ ما أراد بها   إلا لِيَبْلُغَ من ذِي العَرشِ رِضوانا
إنِّي لأذكُرُهُ حيناً فأحسبُهُ   أوفى البريَّة عِندَ الله ميزانا
أكرِمْ بقومٍ بُطُون الطيرِ قبرهمُ   لم يخلِطُوا دِينهم بَغْياً وعُدْوانا

فبلغ شِعْره عبدَ الملك بن مروان، فأدركَتهُ حميَّةٌ لقرابته من عليٍّ رضي الله عنه فَنَذَر دَمَهُ ووضعَ عليه العُيون. فلم تحْمِلْهُ أرض، فاستجار برَوح بن زِنباع، فأقام في ضيافته، فقال: ممن أنتَ؟ قال: من الأزد. فبقي عندَهُ سنةً فأعجبَه إعجاباً شديداً، فسَمَر روح ليلةً عند أمير المؤمنين، فتذاكرا شِعر عمران هذا. فلما انصرف رَوح، تحدَّث مع عمران بما جرى، فأنشده بقيَّة القصيد، فلمَّا عاد إلى عبدالملك قال: إن في ضيافتي رجلاً ما سمعتُ مِنهُ حديثاً قطُّ إلا وحدَّثني به وبأحسن مِنهُ، ولقد أنشدني تلك القصيدة كلَّها. قال: صِفهُ لي، فوصفَهُ له. قال: إنَّك لتصِف عِمرانَ بن حِطَّان اعْرِض عليه أن يلقاني. قال: فهرب إلى الجزيرة، ثم لحق بعُمان فأكرمُوه.

[٦]وبلغنا أن الثوريَّ كان كثيراً ما يتمثل بأبيات عمران هذه:

أرىٰ أشقياءَ النَّاس لا يسأمُونَها عَلى   أنَّهم فيها عُراةٌ وجُوَّعُ
أرَاها وإن كانت تُحَبُّ فإنَّها   سحابةُ صيفٍ عن قليل تقشَّعُ

كَرَكْبٍ قَضوا حاجاتِهِم وترَحَّلُوا طريقُهُمُ بادِي العَلَامةِ مَهْيَعُ

توفي عِمران بن حِطَّان سنة أربع وثمانين.

١٩٩ سعيد بن المُسيِّب (ع)(١)

[١]**ابن حَزْن، الإمامُ العَلَم، أبو محمد القرشيّ المخزوميّ، عالمُ أهلِ المدينة، وسيِّدُ التابعين في زمانه. وُلِدَ لسنَتينِ مضَتَا مِن خلافةِ عُمرَ رضي الله عنه، وكان مِمَّن برَّز في العلم والعمل.**

[٢]عن عليٍّ بن زَيد، حدَّثني سعيدُ بنُ المسيِّب بن حَزْن أنَّ جدّه حَزْناً أتى النبيَّ ﷺ، فقال: ما اسمُك؟ قال: حَزن، قال: بَل أنتَ سهل. قال: يا رسول الله، اسمٌ سمَّاني به أبواي وعُرفتُ به في النَّاس، فَسَكَتَ عَنهُ النبيُّ ﷺ، قال سعيد: فما زِلنا تُعرَفُ الحُزونةُ فينا أهلَ البيت.

[٣]هذا حديث مرسل، ومراسيل سعيد محتجٌّ بها. لكن عليَّ بن زَيد ليس بالحجة وأما الحديث فمرويٌّ بإسناد صحيح، متصل، ولفظه: أن النبي ﷺ، قال له: ما اسمُكَ؟ قال: حَزن. قال: أنتَ سَهل فقال لا أُغيِّرُ اسماً سمَّانيه أبي. قال سعيد: فما زالت تِلكَ الحُزُونَةُ فينا بَعدُ(٢).

[٤]عن ابن المُسيِّب قال: ما فاتَتْني الصلاةُ في جماعة منذ أربعين سنة.

[٥]عن عثمان بن حَكيم، سمعت سعيد بن المسيِّب يقول: ما أذَّن المؤذِّن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد.

عن نافع، أنَّ ابن عُمرَذكر سعيد بن المسيِّب فقال: هو واللهِ أحدُ المفتين.

[٦]عبد الرحمن بن حَرمَلَة: سمعتُ ابن المسيِّب يقول: حَجَجْتُ أربعين حِجَّة.

[٧]كان سعيدٌ يُكثِرُ أن يقولَ في مَجلسِه: اللَّهمَّ سلِّم سلِّم.

[٨]قال ابنُ المسيِّب: إن كُنتُ لأسيرُ الأيام والليالي في طَلَبِ الحديث الواحد.

---

(١) انظر السير: ٤/٢١٧-٢٤٦.

(٢) والحزن: ما غلظ من الأرض وهو ضد السهل، واستعمل في الخلق، يقال: فلان حزون، أي في خلقه غلظة وقساوة.

[١]وعن قدامة بن موسى، قال: كان ابن المسيِّب يُفتي والصحابة أحياء.

عن مكحول، قال: سعيدُ بن المسيِّب عالِمُ العلماء.

ميمـون بن مِهران، قال: أتيتُ المدينةَ فسألت عن أفقه أهلها، فدُفِعتُ إلى سعيد بن المسيِّب. قلتُ: هذا يقولُه مَيمُون مع لُقيِّه لأبي هريرة وابنِ عباس.

[٢]عن مالـك، قال: كان عُمـرُ بن عبدالعزيز لا يقضي بقضيَّة ـ يعني وهو أميرُ المدينة ـ حتى يسألَ سعيد بن المسيِّب، فأرسل إليه إنساناً يسأله، فدعاه، فجاء فقال عُمرُ له: أخطأ الرسول، إنما أرسلناه يسألك في مَجلِسِك. وكان عُمَرُ يقول: ما كانَ بالمدينة عالمٌ إلَّا يأتيني بعلمِه، وكُنتُ أُوتَى بما عند سعيد بن المسيِّب.

فصل في عزة نفسه وصدعه بالحق

[٣]عن عمران بنِ عبدالله بن طلحة الخزاعيّ، قال: حجَّ عبدُ الملك بن مروان، فلما قدِمَ المدينة، ووقف على باب المسجد أرسلَ إلى سعيد بن المسيِّب رجلاً يدعوه ولا يُحرِّكُهُ، فأتاه الرسول وقال: أجِب أميرَ المؤمنين، واقفٌ بالباب يريد أن يُكلِّمَك. فقال: ما لأمير المؤمنين إليَّ حاجة، وما لي إليه حاجة، وإنَّ حاجته لي لغَيْرُ مقضيَّة، فرجعَ الرسول، فأخبره فقال: ارجع فُقل له: إنَّما أُريد أن أُكلِّمَك، ولا تحرِّكْه. فرجع إليه، فقال له: أجِب أمير المؤمنين. فرَّد عليه مِثلَ ما قالَ أولاً. فقال: لولا أنَّه تقدَّم إليَّ فيك ما ذهبتُ إليه إلَّا برأسِك، يرسِلُ إليك أميرُ المؤمنين يُكلِّمُك تقول مِثلَ هذا! فقال: إن كان يريد أن يصنَع بي خَيراً، فهو لك، وإن كان يُريدُ غَيرَ ذلك فلا أحُلُّ حَبوتي حتى يقضي ما هو قاض، فأتاه فأخبره، فقال: رحِم اللهُ أبا محمَّد أبى إلا صلابةً.

قلت: كان عند سعيد بن المسيِّب أمرٌ عظيم من بني أُميَّة وسوءِ سيرتهم. وكان لا يقبل عطاءهم.

[٤]عن ابن شهاب، قلت لسعيد بن المسيِّب: لو تبدَّيتَ، وذكرتُ له البادية وعيشها والغنم، فقال: كيف بشهود العَتَمَةِ.

[١]الواقدي: حدثنا طلحة بن محمد بن سعيد بن المسيِّب، عن أبيه، قال: كان سعيدٌ أيام الحرَّة في المسجد لم يخرج، وكان يُصلي معهم الجمعة ويخرج في الليل، قال: فكنتُ إذا حانت الصلاة أسمع أذاناً يخرج من قِبَل القبر حتى أمِنَ الناس.

ذكر محنته

[٢]الواقدي: حدثنا عبدالله بن جعفر، وغيره من أصحابنا قالوا: استعملَ ابن الزُّبير جابرَ بنَ الأسود بن عوف الزُّهريّ على المدينة، فدعا النَّاس إلى البيعة لابن الزُّبير فقال سعيد بن المسيِّب: لا، حتى يجتمع الناس. فضربه ستين سَوطاً. فبلغ ذلك ابن الزبير، فكتب إلى جابر يلومُه ويقول: ما لنا ولسعيد، دَعهُ.

وعن عبدالواحد بن أبي عَون، قال: كان جابرُ بن الأسود عاملُ ابن الزبير على المدينة قد تزوَّج الخامِسةَ قبل انقضاء عِدَّة الرابعة، فلمَّا ضَرَبَ سعيدَ بن المسيِّب صاح به سعيدٌ والسياطُ تأخُذُهُ، والله ما ربَّعتَ على كتاب الله، وإنَّك تزوجتَ الخامسة قبل انقضاء عِدة الرابعة، وما هي إلا ليالٍ فاصنَعْ ما بدا لك، فسوف يأتيك ما تَكرَه. فما مَكَث إلا يسيراً حتى قُتِل ابن الزبير.

[٣]الواقدي: حدّثنا عبدالله بن جعفر وغيرُه أنَّ عبدالعزيز بن مروان تُوفِّي بمِصر سنةَ أربع وثمانين، فعقد عبدُ الملك لابنيه: الوليدِ وسُليمانَ بالعهد، وكتبَ بالبَيعة لهما إلى البُلدان، وعامِلُه يومئذٍ على المدينة هشامُ بنُ إسماعيل المخزومي، فدعا الناسَ إلى البيعة، فبايعوا، وأبى سعيدُ بن المسيِّب أن يُبايعَ لهما وقال: حتى أنظر، فضَرَبَهُ هشامٌ ستين سوطاً، وطاف به في تُبَّان من شعر، حتى بلغ به رأسَ الثنية، فلما كرُّوا به قال: أين تَكرُّون بي؟ قالوا: إلى السِّجن. فقال: والله لولا أنِّي ظَنَنتُه الصَّلب، ما لبستُ هذا التُّبَّان أبداً. فرَدُّوهُ إلى السجن، فحبسه وكتب إلى عبد الملك يُخبرهُ بخِلافِه. فكتب إليه عبدُ الملك يلومُه فيما صَنَع به ويقول: سعيد، كان والله أحوجَ إلى أن تصِل رحِمَهُ من أن تضربَه، وإنَّا لنعلمُ ما عنده خلاف.

[١]عن قتادة، قال: أتيت سعيد بن المسيِّب وقد أُلبس تُبَّانَ شَعر وأقيم في الشمس، فقلت لقائدي: أدنِني منه فأدناني فجعلت أسأله خوفاً من أن يفوتني، وهو يجيبني حِسْبةً والناس يتعجَّبُون.

[٢]عن ابن المسيِّب قال: لا تملؤوا أعينَكم من أعوان الظَّلمة إلا بإنكار من قلوبكم، لكَيلا تحبَطَ أعمالُكم.

تزويجه ابنته

[٣] وقال أبو بكر بن أبي داود: كانَت بنت سعيدٍ قد خَطَبها عبدُ الملك لابنه الوليد، فأبى عليه، فلَم يَزلْ يحتالُ عبدُ الملك عليه حتى ضَرَبهُ مئة سوطٍ في يوم بارد، وصبَّ عليه جرَّةَ ماءٍ، وألبسه جُبَّة صوف.

عن ابن أبي ودَاعة ـ يعني كثيراً ـ قال: كُنت أجالس سعيدَ بن المسيِّب، ففقدني أيّاما، فلما جئتُه قال: أين كنتَ؟ قلت؟ تُوُفيّت أهلي فاشتغلتُ بها، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها، ثم قال: هل استحدثت امرأةً؟ فقلت: يرحمك الله، ومَن يُزوِّجني وما أملِكُ إلا دِرهمين أو ثلاثة؟ قال: أنا. فقلت: وتَفعل؟ قال: نَعَمْ، ثم تحمَّد، وصلَّى على النبي ﷺ، وزوَّجني على درهمين ـ أو قال: ثلاثة ـ فقمتُ وما أدري ما أصنَعُ من الفَرح فصرتُ إلى مَنزلي وجعلتُ أتفكَّر فيمن أستدين.

فصلَّيت المغربَ، ورجعتُ إلى منزلي، وكنتُ وحدي صائماً، فقَدَّمتُ عشائي أُفطِر، وكان خُبزاً وزَيتاً، فإذا بابي يُقرع، فقلتُ: مَن هذا؟ فقال: سعيد، فأَفْكَرْتُ في كلِّ من اسمُه سعيد إلاَّ ابن المسيِّب، فإنَّه لم يُرَ أربعين سنة إلا بين بَيتِه والمسجد، فخرجتُ، فإذا سعيد، فظننت أنَّه قَد بدا له، فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلتَ إليَّ فآتيك؟ قال: لا، أنتَ أحقُّ أن تُؤتى، إنَّك كُنتَ رجُلاً عَزَباً فتزوَّجتَ، فكرهتُ أن تبيتَ الليلةَ وحدَك، وهذه امرأتُك، فإذا هي قائمةٌ مِن خلفِه في طُوله، ثم أخَذَ بيدِها فدفعها في الباب، وردَّ الباب، فسقطت المرأةُ مِنَ الحياء، فاستوثقتُ

مِنَ الباب ثم وضعتُ القَصعة في ظِلِّ السراج لكي لا تراه، ثم صَعِدتُ إلى السطح فرمَيْتُ الجيران، فجاؤوني فقالوا: ما شأنك؟ فأخبرتُهم. ونزلُوا إليها، وبلَغَ أُمِّي، فجـاءت وقالت: وجهي مِن وجهكَ حرامٌ إن مَسِسْتَها قَبْلَ أن أُصلِحَها إلى ثلاثة أيام، فأقمتُ ثلاثـاً ثم دخلتُ بهـا، فإذا هي من أجمل الناس، وأحفظ الناس لكتابِ الله، وأعلمِهم بسنَّةِ رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحقِّ زوج. فمكثتُ شهراً لا آتي سعيدَ بن المسيِّب. ثم أتيتُه وهو في حَلقَتِه، فسلمْتُ، فردَّ عليَّ السلام ولم يُكلِّمْني حتَّى تقوَّض المجلس، فلما لم يبْقَ غيري. قال: ما حالُ الإنسان؟ قلتُ: خيرٌ يا أبـا محمد، على ما يُحِبُّ الصديق، ويكرَهُ العدوُّ. قال: إن رابَكَ شيءٌ فالعَصَا. فانصرفتُ إلى منزلي، فوجَّه إليَّ بعشرين ألف درهم.

قال أبو بكر بن أبي داود: ابن أبي وداعة هو كثير بن المطلب بن أبي وداعة.

قلتُ: هو سهمي مكي، روى عن أبيه المطلب أحد مسلمة الفتح.

ومن معرفته بالتعبير

قال الواقدي: كان سعيد بن المسيِّب من أعبر الناس للرؤيا، أخذ ذلك عن أسمـاء بنت أبي بكر الصِّديق، وأخذته أسماء عن أبيها، ثم ساق الواقدي عِدَّة منامات ومنها:

حدَّثنا موسى بنُ يعقوب، عن الوليد بن عمرو بن مُسافع، عن عُمر بن حبيب بن قُليع قال: كنتُ جالساً عند سعيد بن المسيِّب يوماً، وقد ضاقَت بي الأشياء، ورهِقَني دَيْن، فجـاءهُ رجل، فقال: رأيتُ كأنِّي أخذتُ عبدَ الملك بن مروان، فأضجعتُه إلى الأرض، وبطحتُه فأوتدتُ في ظهره أربعةَ أوتاد. قال: ما أنت رأيتَها. قال: بلى. قال: لا أُخبِرُكَ أو تُخبِرَني قال: ابنُ الزبير رآها، وهو بعثَني إليك. قال: لئن صدَقَت رؤياه قتلهُ عبدُ الملك، وخرج من صُلبِ عبدالملك أربعةٌ كلُّهم يكونُ خليفة. قال: فَرَحلتُ إلى عبدالملك بالشام فأخبرتُه، فسُرَّ، وسألني عن سعيد وعن حاله فأخبرتُه. وأمرَ بقضاءِ دَيني وأصبت منه خيراً.

وحدَّثنا ابن أبي ذِئب، عن مسلم الحنَّاط، قال رجل لابن المسيِّب: رأيتُ أني أبول في يدي، فقال: اتق الله، فإن تحتك ذات محرم، فنظر، فإذا امرأة بينهما رضاع.

وقال له رجل: إني رأيتُ كأنَّ حمامةً وقعَتْ على المنارة، فقال: يتزوّج الحجَّاج ابنةَ عبدالله بن جعفر.

وبه عن ابن المسيِّب قال: الكَبْل في النَّوم ثباتٌ في الدِّين.

وقيل له: يا أبا محمد، رأيتُ كأنِّي في الظِّل، فقمتُ إلى الشمس. فقال: إن صدقت رؤياك، لتَخرُجنَّ من الإسلام. قال: يا أبا محمد، إنِّي أَراني أُخْرِجتُ حتى أُدخِلْتُ في الشمس، فجلست. قال: تُكرَهُ على الكفر. قال: فأُسِر وأُكرِه على الكفر، ثم رجع، فكان يُخبر بهذا بالمدينة.

وحدَّثنا عبدالله بن جعفر عن عُبيد الله بن عبدالرحمن بن السائب، قال رجل لابن المسيِّب: إنه رأى كأنَّه يَخُوضُ النَّار. قال: لا تموتُ حتى تركبَ البحر، وتموتَ قتيلاً. فركِبَ البحر، وأشفى على الهَلَكة، وقُتِل يوم قُدَيد(1).

روى هذا الفصل ابنُ سعد في (الطبقات) عن الواقدي.

عن عِمران بن عبدالله، قال: رأى الحسن بن عليٍّ كأن بين عينيه مكتوب: ﴿قُلْ هُو الله أَحدٌ﴾ فاستبشر به، وأهلُ بَيتِه، فقصوها على سعيد بن المُسيِّب، فقال: إن صدقَت رؤياهُ فقَلَّما بقي مِن أجَله، فمات بعد أيَّام.

ومن كلامه

[1] عن سعيد بن المسيِّب، قال: ما أيِسَ الشيطان مِن شيءٍ إلا أتاه مِن قِبَل النِّساء.

[2] وقال: ما أصلِّي صلاةً إلا دعوتُ الله على بني مروان.

[3] قال: لا تقولوا مُصَيحف، ولا مُسيجِد، ما كان لله فَهُو عظيمٌ حَسَنٌ جميل.

(1) قديد: موضع بين مكة والمدينة، فيه كانت الوقعة سنة ١٣٠هـ بين أهل المدينة وبين أبي حمزة الخارجي فقتل منهم مقتلة عظيمة.

[١]لا خَير فيمَن لا يُريد جمعَ المال من حِلِّه، يعطي منه حقَّه، ويكُفُّ به وجهَه عن النَّاس.

[٢]عن ابن حرملة، عن سعيد بن المسيِّب أنَّه اشتكى عينه فقالوا: لو خرجتَ إلى العقيق فنظرتَ إلى الخُضرة، لوجدت لذلك خِفَّةً، قال: فكيف أصنعُ بشهود العتمة والصبح.

[٣]عن ابن حرملة، قلتُ لبرد مولى ابن المسيِّب: ما صلاةُ ابن المسيِّب في بيته؟ قال: ما أدري، إنَّه ليصلِّي صلاةً كثيرة إلَّا أنه يقرأ بـ ﴿صَ والقرآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾.

[٤]عاصمُ بن العباس الأسدي، قال: كان سعيد بن المسيِّب يُذكِّر ويُخوِّف. وسمعتُه يقرأ في الليل على راحلته فيُكثِر، وسمعتُه يجهَرُ ببسم الله الرحمن الرحيم، وكان يُحِبُّ أن يسمعَ الشِّعر، وكان لا يُنشِدُه، ورأيته يمشي حافياً وعليه بتّ(١) ورأيتُه يُحفي شاربَه شبيها بالحَلق، ورأيتُه يصافح كُلَّ من لقيه، وكان يَكرهُ كثرةَ الضَّحِك.

[٥]قال بُرْدُ مَولى ابنِ المسيِّب لسعيد بن المسيِّب، ما رأيتُ أحسنَ ما يصنعُ هؤلاء قال سعيد: وما يصنعون؟ قال: يُصلِّي أحدُهم الظهر، ثم لا يزالُ صافّاً رجليه حتى يُصَلِّي العصر. فقال: ويحك يا بُرد أمَا والله مَا هِي بالعبادة، إنَّما العبادة التفكُّر في أمر الله، والكفُّ عن محارم الله.

[٦]قال سعيد بن المسيِّب: قلةُ العِيالِ أحد اليُسرين.

[٧]عليٌّ بن زيد، قال: قال لي سعيد بن المسيِّب: قُل لقائدك يقومُ فينظر إلى وجه هذا الرجل وإلى جَسده فقام، وجاء قال: رأيتُ وَجه زنجيٍّ وجسَده أبيض، فقال سعيد: إنَّ هذا سبَّ هؤلاء: طلحة والزبير وعليّاً رضي الله عنهم، فنهيتُه فأبى فدعوتُ الله عليك، قلتُ: إن كنتَ كاذباً فسوَّد الله وجهَك، فخرجت بوجهِهِ قَرْحة، فاسودَّ وجهُه.

[٨]عن يحيى بن سعيد، قال: سُئل سعيد بنُ المسيِّب عن آية، فقال سعيد: لا أقولُ في القرآن شيئاً. قلتُ: ولهذا قلَّ ما نُقِل عنه في التفسير.

(١) البت: الطيلسان من خز ونحوه.

ذكر مرضه ووفاته

[١]عبد الرحمن بن حَرمَلَة، قال: دخلتُ على سعيد بن المسيِّب وهو شديدٌ المرض، وهو يُصلِّي الظُّهر، وهو مستلقٍ يومئُ إيماءً، فسمعتُه يقرأ بالشمس وضحاها.

[٢]عن ابن حَرمَلَة، قال: كنتُ مع ابن المسيِّب في جنازة، فقال رجل: استغفروا لها. فقال: ما يقول راجزهم فقد حرَّجتُ على أهلي أن يرجُزَ معي راجز، وأن يقولوا: مات سعيد بن المسيِّب، حَسبي مَن يَقلِبُني إلى ربي، وأن يمشوا معي بمجْمَر، فإن أكن طيِّباً، فما عند الله أطيبُ من طيبهم.

[٣]محمد بن عُمر، حدثني عبدالحكيم بن عبدالله بن أبي فَروة، شهدتُ سعيد بن المسيِّب يوم مات سنة أربعٍ وتسعين، فرأيتُ قبرَهُ قد رُشَّ عليه الماء، وكان يُقال لهذه السَّنة سنة الفقهاء لكثرةِ من ماتَ منهم فيها.

٢٠٠ عبدالملك بن مروان(١)

[٤]**ابن الحكم بن أبي العاص بن أميَّة، الخليفةُ الفقيه، أبو الوليد الأُموي.**

وُلد سنة ستٍ وعشرين.

[٥] تملَّك بعد أبيه الشام ومِصر، ثم حارب ابنَ الزُّبير الخليفة، وقتل أخاه مُصعباً، واستولى على العراق وجهَّز الحجَّاج لحرب ابن الزُّبير، فقتل ابن الزبير سنة اثنتين وسبعين، واستوسقتِ الممالك لعبد الملك.

قال ابن سَعد: كان قبل الخلافة عابداً ناسكاً بالمدينة. شهد مقتل عثمان وهو ابنُ عشر، واستعمله معاوية على المدينة،كذا قال، وإنما استعمل أباه.

قال ابن عُمر: إن لمروان ابناً فقيهاً فسلوه.

[٦]وقيل: إن أبا هُريرة نظر إلى عبدالملك وهو غلام فقال: هذا يملك العرب.

[٧]عن نافع، قال: لقد رأيتُ المدينة وما بها شابٌّ أشدُّ تشميراً ولا أفقهُ ولا أنسكُ

---

(١) انظر السير: ٤/٢٤٦ـ ٢٤٩.

ولا أقرأ لكتابِ الله مِن عبدالملك.

[١]وقال أبو الزناد: فقهاءُ المدينة: سعيدُ بن المسيِّب، وعبدالملك، وعُروة، وقبيصةُ بن ذؤيب.

[٢] قال الأصمعي: قيل لعبدالملك: عَجِل بك الشيبُ. قال: وكيف لا وأنا أعرِض عقلي على الناس في كل جُمعة.

[٣]قال مالك: أوَّل مَن ضرب الدنانير عبدُ الملك، وكتب عليها بالقرآن.

[٤]وقال يوسف بن الماجِشون: كان عبدُ الملك إذا جلس للحُكم قِيمَ على رأسه بالسُّيوف.

[٥]قال الشعبي: خطب عبدالملك، فقال: اللهمَّ إن ذنوبي عِظام، وهي صغار في جنب عفوك يا كريم، فاغفرها لي.

قلت: كان من رجال الدَّهر ودُهاةِ الرجال، وكان الحجَّاجُ من ذنوبه.

توفي سنة ستٍّ وثمانين عن نيِّف وستين سنة.

٢٠١ عبدالعزيز بن مروان[١]

[٦] **ابنِ الحكم، أمير مصر، أبو الأصبَغ المدني، وليَ العهد بعد عبدالملك، عقد له بذلك أبوه واستقلَّ بمُلك مِصر عشرين سنة وزيادة.**

[٧] قال ابن أبي مُلَيكة: شهدتُ عبدالعزيز عند الموت يقول: يا ليتني لم أكن شيئاً، ياليتني كهذا الماء الجاري.

[٨] وقيل: قال: هاتوا كَفني، أُفٍّ لكِ ما أقصَرَ طويلَكِ وأقلَّ كثيرَك.

[٩]وعن حماد بن موسى. قال: لما احتُضِر عبدُالعزيز، أتاه البشير يُبشِّرُهُ بماله الواصل في العام، فقال: مالك؟ قال: هذه ثلاثة مئة مُدْيٍ من ذهَب. قال: مالي وله، لَوَدِدتُ أنَّه كان بَعراً حائلاً بنَجد.

قلتُ: هذا قولُ كلِّ ملكٍ كثيرِ الأموال، فهلاَّ يُبادر ببذله.

---

(١) انظر السير: ٤/٢٤٩-٢٥١.

مات سنة خمس وثمانين.

وقد كان ماتَ قبلهُ ابنُه أصبَغ بستَّةَ عشرَ يوماً فحزِنَ عليه ومَرِض وماتَ بحُلوان، مدينة صغيرة أنشأها على بريد فوقَ مِصر. وعاش أخوه عبدُ الملك بعده، فلمَّا جاءه نَعيُه عقد بولاية العهد لابنيه: الوليد ثم سُليمان.

٢٠٢ أبو رجاء العُطَاردي (ع)(١)

[١]**الإمامُ الكبير، شيخُ الإسلام، عِمران بن مِلْحَان التميميّ البصريّ، من أكابر المُخضرمين، أدركَ الجاهلية، وأسلمَ بعد فتح مَكَّة، ولم يَر النبي ﷺ.**

وكان خَيِّراً تلّاءٍ لكتاب الله.

[٢]أبو الحارث الكرماني، وكان ثقة، قال: سمعتُ أبا رجاء يقول: أدركتُ النبي ﷺ، وأنا شابٌّ أمرَد، ولَم أر ناساً كانوا أضلَّ من العرب، كانوا يجيئون بالشاة البيضاء فيعبدونها، فيختلسُها الذئبُ، فيأخذون أخرى مكانها يعبدونها، وإذا رأوْا صخرةً حسنةً، جاؤوا بها، وصلُّوا إليها، فإذا رأوْا أحسنَ منها رَمَوْها، فبُعث رسولُ الله ﷺ، وأنا أرعى الإبل على أهلي، فلما سمعنا بخروجه لَحِقْنَا بمُسيلمة.

[٣]قال ابن الأعرابي: كان أبو رجاء عابداً، كثير الصلاة وتلاوةِ القرآن كان يقول: ما آسى على شيءٍ مِن الدُّنيا إلَّا أن أُعفِّر في التراب وجهي كُلَّ يومٍ خمس مرَّات.

[٤]وهبُ بن جرير، عن أبيه، سمعتُ أبا رجاء يقول: بلغَنا أمرُ النبي ﷺ ونَحن على ماءٍ لنا يُقال له سنَد فانطلقنا نحو الشجرة هاربين بعيالنا، فبينا أنا أسوقُ القوم، إذ وجدت كُراع ظبي، فأخذتهُ فأتيتُ المرأة فقلت: هل عِندكِ شعير؟ فقالت: قَد كانَ في وعاءٍ لنا عامَ أوَّل شيءٌ من شعير، فما أدري بقيَ مِنهُ شيء أم لا. فأخذتهُ فنفضْتُه فاستخرجتُ منه ملء كفٍّ مِن شعير، ورضختُه بين حَجرين، وألقيتُه والكُراع في بُرمةٍ لنا، ثم قمتُ إلى بعير، ففصدتُه إناءً مِن دم، وأوقدتُ تحتَهُ، ثُمَّ أخذت عُوداً فلبكْتُهُ به لَبْكاً شديداً حتى أنضجته، ثُمَّ أكلنا.

---

(١) انظر السير: ٤/٢٥٣-٢٥٧.

فقال له رجل: وكيف طعم الدّم؟ قال: حُلوٌ.

[١]يوسف بن عَطِيَّة، عن أبيه: دخلتُ على أبي رجاء فقال: بُعث النبيُّ ﷺ وكان لنا صنَمٌ مدَوَّر، فحملناهُ على قَتَب، وتحوَّلنا ففقدنا الحجر انسلَّ فوقعَ في رمل، فرجعنا في طلبه فإذا هو في رملٍ قد غابَ فيه، فاستخرجتُه فكَانَ ذلك أوَّل إسلامي، فقلتُ: إنَّ إلهاً لم يَمتنع مِن تُراب يغيبُ فيه لإلهُ سوء وإنَّ العنز لتمنعُ حَيَاها بذَنَبِها.

فكان أول إسلامي، فرجعتُ إلى المدينة وقد تُوفِّي النبي ﷺ.

[٢]قال أبو الأشهب: كان أبو رجاء العطاري يختمُ بنا في قيام لِكل عشرة أيام.

مات أبو رجاء سنةَ خمسٍ ومئة، وله أزيد من مئة وعشرين سنة.

٢٠٣ الربيع بن خُثَيم (خ، م)[١]

[٣]**ابن عائذ، الإمامُ القدوةُ العابد، أبو يزيد الثَّوري الكوفيُّ، أحدُ الأعلام، أدرك زمانَ النبي ﷺ، وأرسلَ عنه. وكان يُعدُّ من عُقلاء الرجال.**

[٤]رُويَ عن أبي عُبيدة بن عبدالله بن مسعود، قال: كانَ الربيع بنُ خُثيم إذا دخَل على ابن مسعود لم يكُن له إذنٌ لأحد حتى يفرغَ كلُّ واحد مِن صاحبه. فقال له ابن مسعود: يا أبا يزيد، لو رآك رسولُ الله ﷺ لأحبَّك، وما رأيتُك إلا ذكرت المُخْبتين[٢]

[٥] عن منذر الثوري، قال: كانَ الربيع إذا أتاه الرَّجل يسأله قال: اتَّق الله فيما علمت، وما استُؤثر به عليك، فكِلْهُ إلى عالِمه، لأنا عليكُم في العَمْد أخوفُ مِني عليكم في الخَطأ، وما خيْرُكُم اليوم بخَيِّر، ولكنَّه خيرٌ من آخرَ شرٌّ منه، وما تتَّبعون الخَير حقَّ اتِّباعه، وما تفرُّون من الشرِّ حَقَّ فِراره، ولا كلَّ ما أنزل الله على محمد ﷺ أدركتُم ولا كلَّ ما تقرؤون تدرونَ ما هو، ثم يقول: السرائرَ السرائرَ اللاتي يَخْفَيْنَ مِن الناس وهنّ لله بَوادٍ، التمسوا دواءَهُنَّ وما دواؤهنَّ إلا أن يتوبَ ثُمَّ لا يعود.

(١)انظر السير: ٤/٢٥٨-٢٦٢.

(٢) المخبتون: هم المطمئنون وقيل: هم المتواضعون الخاشعون لربهم.

[١] عن إبراهيم، قال: قال فلان: ما أرى الربيعَ بن خُثيم تكلّم بكلامٍ مُنذُ عشرين سنة إلَّا بكلمة تصعَدُ. وعن بعضهم، قال: صحبتُ الربيع عشرين عاماً ما سمعتُ منه كلمةً تُعاب.

[٢]وروى الثوريّ، عن أبيه قال: كان الربيع بن خُثيم إذا قيل له: كيف أصبحتم؟ قال: ضعفاء مُذنبين، نأكلُ أرزاقنا، وننتظِرُ آجالنا.

[٣]وعنه قال: كلُ ما لا يُراد بِهِ وجهُ الله يضمحلُّ.

[٤] عن مُنذر الثوري، أن الربيعَ أخذ يُطعمُ مُصاباً خبيصاً، فقيل له: ما يُدريه ما أكل، قال: لكنَّ الله يدري.

[٥]وعن ابنةٍ للربيع، قالت: كنتُ أقول: يا أبتاه، ألا تنام؟ فيقول: كيفَ ينامُ مَن يخاف البَيات.

[٦] عن أبي حيَّان، عن أبيه، قال: كان الربيع بن خثيم يُقاد إلى الصلاة وبه الفالج، فقيل له: قد رُخِّص لك. قال: إني أسمَعُ (حيَّ على الصلاة) فإن استطعتُم أن تأتُوها ولو حبواً.

[٨]قال سفيان الثوري: وقيل له: لو تداويت، قال: ذكرتُ عاداً وثموداً وأصحاب الرسّ، وقروناً بين ذلك كثيراً، كانت فيهم أوجاع، وكانت لهم أطبَّاء، فما بَقِيَ المداوي ولا المداوىٰ إلاّ وقد فَنِيَ.

[٨]قال الشَّعبي: ما جلسَ ربيع في مجلس منذُ اتَّزَرَ بإزار، يقول: أخافُ أن أرى أمراً، أخاف أن لا أردَّ السلام، أخافُ أن لا أُغْمِضَ بَصَري.

[٩] وعن منذر، أنَّ الربيع كان إذا أخذ عطاءه فرَّقه وتركَ قدر ما يكفيه.

[١٠]وعن ياسين الزيَّات قال: جاء ابن الكوّاء إلى الربيع بن خُثيم، فقال: دُلَّني على مَن هو خيرٌ مِنك، قال: نَعَم، مَن كان مَنطِقُه ذِكرا، وصمتُه تفكُّراً، ومسيرُه تدبُّراً فهو خيرٌ مني.

وعن الشَّعْبِيِّ، قال: كان الربيعُ أورَعَ أصحابِ عبدالله.

عن أبي يَعلى الثوريّ، قال: كان في بني ثور ثلاثون رجلًا، ما منهم رجُلٌ دونَ

الربيع بن خُثَيْم.

[١]قال ابن عيينة: سمعتُ مالكاً يقول: قال الشَّعبيّ: ما رأيتُ قوماً قطُّ أكثَرَ عِلماً، ولا أعـظَمَ حِلمـاً، ولا أكفَّ عن الدنيا من أصحابِ عبدالله. ولولا ما سبقهم بهِ الصحابة، ما قدَّمنا عليهم أحداً.

قيل: توفي الربيع بن خُثيم قبل سنة خمس وستين.

٢٠٤ عبدالرحمن بن أبي ليلى (ع)[١]

[٢]**الإمامُ العـلامةُ الحافظ، أبو عيسى الأنصاري الكوفي، الفقيه، ويقال: أبو محمد، من أبناء الأنصار، وُلِدَ في خِلافة الصِّديق أو قبل ذلك.**

[٣]قال محمـد بن سيرين: جلستُ إلى عبـدالـرحمن بن أبي ليلى، وأصحـابُه يُعظَمونه كأنه أمير.

[٤]عن ابن أبي ليلى قال: أدركت عشرين ومئة من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار، إذا سُئِلَ أحدُهم عن شيءٍ، ودَّ أن أخاه كفاه.

[٥]وعن عبدالله بن الحارث، أنه اجتمع بابن أبي ليلى فقال: ما شعرت أن النساء ولدن مثل هذا.

قلتُ: ثُمَّ كان عبدُ الرحمن مِن كبارِ مَن خرج مع عبدالرحمن بن الأشعث من العلماء والصلحاء. وكان له وفادةٌ على معاوية.

[٦] عن الأعمش، قال: كان عبدالرحمن بن أبي ليلى يصلي، فإذا دخل الداخل، نام على فراشه.

قال ثابت: كان ابن أبي ليلى إذا صلَّى الصبح نشَرَ المُصحف، وقرأ حتى تطلع الشمس.

قُتل بوقعة الجماجم سنة اثنتين وثمانين.

---

(١) انظر السير: ٤/٢٦٢ـ٢٦٧.

٢٠٥ أبو عبدالرحمن السلمي (ع)[١]

[١]**مقرئُ الكوفة، الإمامُ العَلَمُ، عبدُ الله بن حبيب بن رُبيِّعة الكوفي، مِن أولاد الصحـابة، مولدُه في حياة النبي ﷺ، قرأ القرآن، وجوَّده ومَهَر فيه وعَرض على عثمان فيما بلغَنا، وعلى عليّ، وابن مسعود.**

[٢]قال أبو إسحاق: كان أبو عبدالرحمن السُّلمي يُقرئ الناس في المسجد الأعظم أربعين سنة.

[٣]عن عطاء بن السائب، أن أبا عبدِ الرحمن قال: أخذنا القرآن عن قومٍ أخبرونا أنَّهم كانـوا إذا تعلَّموا عَشرَ آياتٍ لم يجاوزوهُنَّ إلى العَشر الأُخَرِ حتى يعلمُوا ما فيهنّ، فكُنَّا نتعلّم القرآنَ والعَملَ به، وسيرِثُ القرآنَ بعدنا قوم يشربونَهُ شرب الماء لا يجاوزُ تراقِيَهُم.

[٤]عن أبي عبد الرحمن السُّلمي أنَّه جاء وفي الدار جِلال وجُزُر، فقالوا: بعث بها عمرو بن حُرَيث لأنَّك علَّمتَ ابنهَ القرآنَ.

فقال: رُدَّ، إنا لا نأخُذُ على كتاب الله أجراً.

[٥]عن أبي عبدالرحمن، عن عثمان بن عفان، أن النبي ﷺ قال: «خَيرُكُمْ من تَعَلَّم القُرآنَ وعَلَّمه».

قال أبو عبدالرحمن: فذلك الذي أقعدني هذا المقعد.

٢٠٦ أبو إدريس الخَولاني (ع)[٢]

[٦]**عائذُ الله بنُ عبدِ الله بن إدريس قاضي دمشق وعالِمُها وواعِظُها، وُلِدَ عام الفتح.**

وعن سعيد بن عبدالعزيز، أنه قال: كان أبو إدريس عالمَ الشام بعد أبي الدرداء.

سعيد بن عبدالعزيز، سمعتُ مكحولاً يقول: كانت حَلْقةٌ من أصحاب النبي ﷺ

(١) انظر السير: ٤/ ٢٦٧ـ ٢٧٢.

(٢) انظر السير: ٤/ ٢٧٢ـ ٢٧٧.

يدرسُون جميعاً، فإذا بلغوا سجدةً بعثوا إلى أبي إدريس الخَولاني، فيقرؤها، ثم يسجد، فيسجدُ أهلُ المدارس.

[١]محمد بن شُعيب بن شابور: أخبرني يزيد بن عَبيدة، أنّه رأى أبا إدريس في زَمَن عَبدِ الملك بن مروان، وأنَّ حِلق المسجد بدمشق يقرؤون القرآن، يدرسون جميعاً، وأبو إدريس جالس إلى بعض العُمُد، فكلما مرَّت حَلْقةٌ بآية سجدة بعثوا إليه يقرأ بها، وأنصتُوا له وسجد بهم جميعاً، وربّما سجد بهم ثنتي عَشرة سجدةً حتى إذا فرغوا من قراءتهم قام أبو إدريس يَقُصُّ. ثم قال يزيد بن عَبِيدة: ثم إنّه قدَّم القَصَص بعد ذلك.

[٢]خالدُ بن يزيد بن أبي مالك، عن أبيه، قال: كُنَّا نجلِسُ إلى أبي إدريس الخَولاني فيحدِّثُنا، فحدَّث يوماً عن بعضِ مغازي رسول الله ﷺ، حتى استوعَب الغزاة، فقال له رجل من ناحية المجلس: أحَضَرْتَ هذه الغزوة؟ فقال: لا، فقال الرجل: قد حَضرتُها مع رسول الله ﷺ، وأنت أحفظُ لها مني.

[٣]وروى الوليد بن مسلم، عن ابن جابر، أن عبدالملك عزل أبا إدريس عن القصَص، وأقرَّه على القضاء، فقال أبو إدريس عزلتموني عن رَغْبتي، وتركتموني في رَهْبتي.

قلتُ: قد كان القاصُّ في الزَّمنِ الأوَّل يكون له صورةٌ عظيمة في العِلمِ والعَمَل.

مات أبو إدريس الخَولاني سنةَ ثمانين.

٢٠٧ أمُّ الدَّرْداء (ع)[١]

[٤]**السيدة العالمة الفقيهة، هُجيمة، وقيل: جُهَيمة الأوصابيَّة الحِميرية الدِّمشقية، وهي أمُّ الدرداء الصُّغرى.**

عرضَتِ القرآنَ وهي صغيرةٌ على أبي الدرداء. وطال عمرها، واشتهرت بالعِلم

(١) انظر السير: ٤/٢٧٧- ٢٧٩.

والعَمَل والزُّهد.

قال أبو مُسهر الغَساني: أمُّ الدرداء الكبرى هي خَيرةُ بنتُ أبي حَدْرد، لها صحبة.

[١]وقال ابن جابر وعثمان بن أبي العاتكة: كانت أمُّ الدرداء يتيمةً في حِجر أبي الدَّرداء، تختلف معه في بُرنُس، تصلّي في صفوف الرجال، وتجلس في حِلَقِ القرّاء تعلَّم القرآن، حتى قال لها أبو الدرداء يوماً: الحقي بصفوف النساء.

[٢]عن جُبير بن نُفير، عن أمِّ الدرداء، أنها قالت لأبي الدرداء عند الموت: إنَّك خَطبتني إلى أبويَّ في الدنيا فأنكحوك، وأنا أخطُبُك إلى نفسِكَ في الآخرة، قال: فلا تنكحين بعدي. فخطبها معاوية فأخبرته بالذي كان فقال: عليك بالصيام.

[٣]عن عون بن عبدالله، قال: كُنَّا نأتي أمَّ الدرداء فنذكر الله عندها.

[٤]وقال يونس بن مَيسرة: كُن النساءُ يتعبَّدن مع أمِّ الدرداء، فإذا ضعُفنَ عن القيام، تعلَّقنَ بالحِبال.

[٥]وقال عثمان بن حيَّان: سمعتُ أُمَّ الدَّرداء تقول: إنَّ أحدهم يقول: اللهمَّ ارزُقني، وقد عَلِمَ أنَّ الله لا يمطر عليه ذهباً ولا دراهم، وإنما يرزقُ بعضهم مِن بعض، فمن أُعطيَ شيئاً، فليَقبل، فإن كان غنياً، فليضعهُ في ذي الحاجة وإن كان فقيراً، فليستعِن به.

[٦]قال إسماعيل بن عُبيد الله: كان عبدالملك بن مروان جالساً في صخرة بيت المقدس، وأمُّ الدرداء معه جالسة، حتى إذا نُودي للمغرب قام وقامَت تتوكأ على عبدالملك حتى يدخُلَ بها المسجد، فتجلِسُ مع النساء، ويمضي عبدالملك إلى المقام يصلِّي بالناس.

وعن يحيى بن يحيى الغسَّاني، قال: كان عبدالملك بنُ مَروان كثيراً ما يجلس إلى أُمِّ الدرداء، في مُؤخَّر المسجد بدمشق.

٢٠٨ زاذان (م، ٤)[١]

[١]**أبو عُمر الكِنديّ، مولاهم، الكوفيّ البزَّاز الضرير، أحَدُ العلماء الكبار، وُلِدَ في حياة النبي ﷺ وشهد خُطبةَ عُمر بالجابية.**

[٢]وقال ابن عديٍّ: تاب على يد ابن مسعود. وعن أبي هاشم الرُّمَّاني قال: قال زاذان: كنتُ غلاماً حسنَ الصوت جيِّد الضرب بالطُّنبور، فكنتُ معَ صاحبٍ لي وعندنا نبيذ وأنا أُغنِّيهم، فمرَّ ابنُ مسعود فدخل فضرَب الباطِية[٢]، بدَّدها وكسر الطُّنبور، ثم قال: لو كان ما يُسمَعُ مِن حُسن صوتِكَ يا غلامُ بالقرآن كُنت أنتَ، ثم مضى. فقلتُ لأصحابي: من هذا؟ قالوا: هذا ابن مسعود، فألقى في نفسي التَّوبة، فسعيتُ أبكي، وأخذت بثوبه، فأقبل عليَّ فاعتنَقَني وبَكَى وقال: مَرحباً بمن أحبَّه الله، اجلس، ثم دخل وأخرج لي تمراً.

[٣]قال زبيد: رأيت زاذان يصلِّي كأنَّه جِذْع.

مات سنة اثنتين وثمانين.

(١) انظر السير: ٤/ ٢٨٠- ٢٨١.

(٢) الباطية: هو كل إناء يجعل فيه الخمر.

٢٠٩ أبو سَلمةَ بنُ عبدِالرحمن (ع)[١]

[١]ابن عوف القُرشيّ الزُّهري، الحافظ، أحدُ الأعلام بالمدينة.

وُلِدَ سنة بضعٍ وعشرين.

كان طلَّابة للعِلم، فقيهاً، مجتهداً كبيرَ القدر، حُجَّة.

وقال مالك: كان عندنا من رجال أهل العِلم، اسمُ أحدهم كنيتُه، منهم: أبو سلمة.

وقال محمد بن عبدالله بن أبي يعقوب الضَّبِّي: قدِمَ علينا البصرة أبو سَلمة في إمارة بِشر بن مروان، وكان رجلًا صبيحاً، كأنَّ وَجهَهُ دينارٌ هِرقلي.

[٢]قال الزُّهري: أربعة مِن قريش وجدتُهم بحوراً، عُروة، وابنُ المسيِّب، وأبو سَلمة، وعبيد الله بن عبدالله، قال: وكان أبو سَلمة كثيراً ما يخالف ابن عباس، فحُرِم لذلك منه عِلماً كثيراً. قاله الزُّهري.

[٣]عن ابن شهاب: قدمتُ مِصر على عبدالعزيز - يعني متولِّياً - وأنا أُحدِّثُ عن سعيد بن المسيِّب، فقال لي إبراهيم بن قارِظ: ما أسمَعكُ تُحَدِّث إلَّا عن سعيد. فقلتُ: أجَل. فقال: لقد تركتَ رجلين من قومك لا أعلمُ أكثر حديثاً منهما، عُروة وأبو سَلمة. قال: فلما رجعتُ إلى المدينة وجدتُ عُروة بحراً لاتُكدِّرهُ الدِّلاء.

قلتُ: لم يَكثِر عن أبي سَلمة وهو من عشيرته، ربما كان بينهما شيء، وإلَّا فما أبو سَلمة بدون عُروة في سعَة العِلم.

تُوفي أبو سَلمة بالمدينة سنَة أربعٍ وتسعين في خلافة الوليد وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.

[٤]وقال عمرو بن دينار، قال أبو سلمة: أنا أفقه من بالَ، فقال ابن عباسٍ: في المبَارك.

---

(١) انظر السير: ٤/٢٨٧-٢٩٢.

[١]عن أبي الأسود، قال: كان أبو سَلمة مع قوم، فرأوا قطيعاً من غَنم، فقال أبو سلمة: اللهمَّ إن كانَ في سابقِ عِلمكِ أن أكونَ خليفةً فاسقِنا من لَبَنها، فانتهى إليها فإذا هي تُيُوسٌ كُلُّها.

[٢]قال عمرو بن دينار، عن عائشة أنَّها قالت لأبي سَلمة وهو حَدَث: إنَّما مَثَلُكَ مَثَلُ الفَرُّوج يَسمعَ الدِّيَكَةَ تصيح فيصَيح.

[٣]ورُوي عن الشَّعْبي قال: قدِمَ أبو سَلمة الكوفة، فكان يمشي بيني وبين رجل، فسُئل عن أعلم من بقِي، فتمنَّع سَاعة ثُمَّ قال: رَجُلٌ بينكُمَا.

[٤]ابن اسحاق، قال: رأيتُ أبا سَلمة يأتي المَكتب، فينطلِق بالغُلام إلى بَيتِهِ، فيُملي عليه الحديث.

٢١٠ الشَّعبي (ع)(١)

[٥]عامِر بن شَراحيل بن عبد، الإمام، علاَّمة العصر، أبو عمرو الهَمْداني ثم الشّعبي.

وقال محمد بن سعد: هو من حِمْير، وعدادُه في همدان.

[٦]وكان الشعبيُّ تَوأماً ضئيلاً فكان يقول: إني زُوحِمتُ في الرَّحِم. قال: وأقام بالمـدينة ثمانيةَ أشهر هارباً من المختار فسمع من ابنِ عُمر وتعلَّم الحساب من الحارث الأعور، وكان حافظاً وما كتب شيئاً قطُّ.

[٧]قال ابن سعـد: أنبأنا عبدالله بن مُحمد بن مُرَّة الشَّعباني، حدَّثني أشياخٌ من شَعْبان، منهم محمد بن أبي أميَّة وكان عالماً، أن مطراً أصاب اليمن، فجَحفَ السيلُ موضعاً فأبدى عن أزَجٍ (٢) عليه بابٌ مِن حجارة، فكُسِرَ الغَلَقُ ودُخِل فإذا بَهوٌ عظيم فيه سريرٌ مِن ذَهب، فإذا عليه رجل شَبَرناهُ فإذا طولُه اثنا عشَر شِبراً، وإذا عليه جِبابٌ من وَشي منسوجَةٌ بالذَّهب، وإلى جَنبه مِحجنٌ مِن ذَهَب على رأسه ياقوتةٌ

(١) انظر السير: ٤/٢٩٤- ٣١٩.

(٢) الأزج: بناء مستطيل مقوس السقف.

حَمراء، وإذا رجلٌ أبيضُ الرأس واللحية، له ضفران وإلى جَنبه لوحٌ مكتوبٌ فيه بالحِميرية: باسمِكَ اللهمَّ ربَّ حِمير أنا حسَّان بن عمرو القيْل[1] إذ لا قَيْل إلا الله، عشتُ بأمَل ومُتُّ بأجَل، أيامَ وخزهَيد[2]، وما وخزُهَيد؟ هلك فيه اثنا عشر ألف قَيْل، فكنتُ آخرَهم قَيْلاً، فأتيتُ جبل ذي شعبيَن ليُجيرني من المَوت فأخفرني.
وإلى جَنبهِ سيفٌ مكتوبٌ فيه: أنا قيلٌ بي يُدرك الثَّأر.

عن الشعبي، قال: أدركتُ خمسَ مئةٍ من أصحاب النبي ﷺ.

عن مكحول، قال: ما أريتُ أحداً أعلم من الشعبي.

عن أبي مِجلَز، قال: ما رأيت أحداً أفقه من الشَّعبي، لا سعيد بن المسيِّب، ولا طاووس، ولا عطاء، ولا الحسن، ولا ابن سيرين، فقد رأيتُ كلهم.

[١]قيل للشعبي: من أين لك كل هذا العلم؟ قال: بنفي الاغتمام، والسير في البلاد،وصبر كصبر الحمام، وبكور كبكور الغُراب.

[٢]قال ابن عُيينة، علماءُ الناسِ ثلاثة، ابنُ عباس في زمانه، والشعبيُّ في زمانه، والثوريُّ في زمانه.

[٣]عن ابن شبرُمة: سمعتُ الشعبيَّ يقول: ما كتبتُ سوداءَ في بيضاء إلى يومي هذا، ولا حدثني رجل بحديث قط إلا حفظته، ولا أحببتُ أن يُعيده عليَّ.

وهذا يدل على أنه أُمّيٌّ لا كتب ولا قرأ.

[٤]ابن شُبرُمة، سمعتُ الشعبيَّ يقول: ما سمعتُ منذ عشرين سنة رجلاً يُحدِّث بحديث إلا أنا أعلم به منه، ولقد نسيتُ من العلم ما لَو حَفِظَهُ رجل، لكانَ بهِ عالماً.

[٥]عن الشعبي قال: ما أروي شيئاً أقلَّ من الشِّعر، ولو شئتُ، لأنشدتُكُم شَهراً لا أُعيد.

---

(١) القيل: الملك من ملوك حمير يتقيّل من قبله من ملوكهم (يشبهه).

(٢) والـ «وخز»: الطعن النافذ، أو هو الطاعون، و «هيد» قال ياقوت في معجم البلدان: وأيام هيد أيام موتان كانت في الجاهلية في الدهر الأول، قيل مات فيها اثنا عشر ألفاً. هكذا ذكره العمراني في أسماء الأماكن ولا أدري ما معناه. اهـ.

[١] عن عبدالملك بن عُمَير، قال: مرَّ ابن عُمرَ بالشعبي وهو يقرأ المغازي، فقال: كأنَّ هذا كان شاهداً معنا، ولهو أحفظُ لها منِّي وأعلم.

عن ابن سيرين، قال: قدمتُ الكوفة وللشعبيِّ حلقة عظيمة، والصحابة يومئذ كثير.

قال الشَّعبيّ: ألا تعجبون مِن هذا الأعور؟ يأتيني بالليل فيسألُني ويُفتي بالنهار - يعني إبراهيم.

[٢] قال الشعبي: إنا لَسنا بالفقهاء، ولكنَّا سمِعنا الحديث فرَويناه، ولكن الفقهاء مَن إذا علِمَ عَمِل.

[٣] مالك بن مِغول: سمعتُ الشعبيَّ يقول: لَيتني لم أكن علِمتُ من ذا العلم شيئاً.

قلتُ: لأنَّه حجة على العالم، فينبغي أن يعملَ به، وينبِّه الجاهلَ، فيأمرُه وينهاه، ولأنَّه مَظِنَّةُ أن لا يُخلِصَ فيه. وأن يَفتَخِرَ به ويُماريَ به، لينالَ رئاسةً ودُنيا فانيَةً.

[٤] عن ابن شُبرُمة، سُئل الشَّعْبيُّ عن شيءٍ فلم يُجِب فيه، فقال رجل عنده: أبو عمرو يقول فيه كذا وكذا، فقال الشعبيُّ: هذا في المحيا، فأنت في الممات عليَّ أكذب.

[٥] قال ابن عائشة: وجَّه عبدالملك بنُ مروان الشعبيَّ إلى ملك الروم - يعني رسولاً - فلمّا انصرفَ مِن عنده قال: يا شعبيّ، أتدري ما كتبَ به إليَّ ملكُ الروم؟ قال: وما كتب به يا أمير المؤمنين؟ قال: كنتُ أتعجَّبُ لأهلِ ديانتِكَ، كيف لم يَستخلفُوا عليهم رسولَك. قلتُ: يا أمير المؤمنين لأنه رآني ولم يَرَك. أوردها الأصمعي، وفيها قال: يا شعبيُّ، إنما أراد أن يُغريَني بقتلك. فبلغ ذلك ملكَ الروم فقال: لله أبوه، والله ما أردتُ إلاّ ذاك.

[٦] عن الشعبي، قال: لمَّا قدِمَ الحجَّاج سألني عن أشياء من العلم فوجدَني بها

عارفاً، فجعلني عريفاً على قومي الشَّعبيِّين ومَنكِباً[1] على جميع همْدان وفرضَ لي، فلَم أزلَ عنده بأحَسنِ منزلة، حتى كانَ شأنُ عبدِ الرحمن بنِ الأشعث فأتاني قُرَّاء أهلِ الكوفة، فقالوا: يا أباعمرو، إنَّك زعيمُ القرَّاء، فلم يزالوا حتى خرجتُ معهم، فقمتُ بين الصفَّين أذكـر الحجَّـاج وأعيبُـه بأشياء، فبلغني أنَّه قال: ألا تعجبون من هذا الخبيث أما لئِن أمكَنني الله منه، لأجعلَنَّ الدنيا عليه أضيقَ من مَسكِ جمل[2]. قال: فما لبثنا أن هُزمنا.

وقال الأصمعيُّ: لما أُدخِلَ الشعبيُّ على الحجَّاج قال: هِيهِ يا شعبيّ. فقال: أحزنَ بنا المنزِل، واستَحْلَسْنا الخوفَ، فلم نكن فيما فعلنا برَرةً أتقياء، ولا فَجَرةً أقوياء. فقال: لله درُّك.

[١] قلتُ: خرج القـرَّاء، وهم أهلُ القرآن والصلاح بالعراق على الحجَّاج لِظُلمه وتـأخيره الصلاةَ والجمع في الحَضر، وكان ذلك مذهباً واهياً لبني أُميَّة كما أخبر النبيُّ ﷺ: «يكونُ علَيكُمْ أُمراءُ يُميتونَ الصَّلاة» فخرج على الحجَّاج عبدُ الرحمن بن الأشعث بن قيس الكندي، وكان شريفاً مطاعاً، وجَدَّته أختُ الصِّديق، فالتفَّ على مائـة ألفٍ أو يزيدون، وضاقت على الحجَّاج الدُّنيا، وكاد أن يزولَ ملكُه، وهـزمـوه مرَّات، وعاين التَّلف وهو ثابتٌ مِقدام، إلى أن انتصر وتمزَّق جمعُ ابن الأشعث، وقُتل خَلقٌ كثير من الفريقين. فكانَ مَن ظَفرَ به الحجَّاج منهم قتله إلَّا من باءَ منهم بالكُفر على نَفسِه فيدَعُه.

[٢] عن عيسى الحنَّاط قال: قال الشعبي: إنما كانَ يطلبُ هذا العِلمَ مَن اجتمعت فيه خصلتان: العقلُ والنُّسك، فإن كان عاقلاً ولم يكن ناسكاً قال: هذا أمرٌ لا ينالُه إلا النُّسَّاك فلن أطلبه، وإن كان ناسكاً ولـم يكن عاقلاً قال: هذا أمرٌ لا ينالُه إلَّا العُقلاء، فلن أطلبه. يقول الشعبيّ: فلقد رَهِبْتُ أن يكونَ يطلبُه اليومَ مَن ليس فيه

(١) قال الليث: منكب القوم رأس العرفاء.

(٢) المسك: الجلد.

(٣) أحزن بنا المنزل: صار ذا حزونة (خشونة) كأن المنزل أركبهم الحزونة حيث نزلوا فيه واستحلس فلان الخوف: إذا لم يفارقه الخوف ولم يأمن.

واحدةٌ منهما لا عَقلَ ولا نُسك.

قلتُ: أظُنُّه أراد بالعقل الفهم والذكاء.

[١]داود بن يزيد، سمعت الشعبيَّ يقول:والله لو أصبتُ تسعاً وتسعين مرّةً، وأخطأتُ مرَّة لأعدُّوا عليَّ تلك الواحدة.

[٢]عن عامر، عن علقمة، قال: أفرطَ ناسٌ في حُبِّ عليٍّ كما أفرطتِ النصارىٰ في حُبِّ المسيح.

[٣] روى مجالد وغيره، أن رجلاً مغفلاً لقي الشعبيّ ومعه امرأةٌ تمشي، فقال: أيُّكما الشعبيُّ؟ قال: هذه.

[٤]وعن عامر بن يَساف، قال: لي الشَّعبيُّ: امضِ بنا نفرٌ من أصحاب الحديث، فخرجنا، قال: فمرَّ بنا شيخ، فقال له الشَّعبيّ: ما صنعتُك؟ قال: رفَّاء، قال: عندنا دنٌّ مكسور ترفُوهُ لنا؟ قال: إن هيَّأتَ لي سُلوكاً مِن رَمل، رفوتُه. فضحِكَ الشعبيُّ حتَّى استلقى.

[٥]قال أبو بكر الهُذلي، قال الشعبيُّ: أرأيتُم لو قُتِلَ الأحنف، وقُتلَ مَعَه صغير، أكانت دِيَتُهما سواءً، أم يُفضَّل الأحنفُ لِعَقلِهِ وحِلمِهِ؟ قلتُ: بل سواءٌ. قال: فليس القياسُ بشيء.

[٦]عن الشعبي: نعم الشيءُ الغَوغاء، يسدُّون السَّيل ويُطفئون الحريق، ويشغبون على ولاة السَّوْء.

[٧]عن الأعمش: قال: أتى رجلٌ الشعبيَّ، فقال: ما اسمُ امرأةِ ابليس؟ فقال: ذلك عُرسٌ ما شَهِدتُه.

مات الشعبيُّ سنة أربعٍ ومئة، وقد بلغ ثنتين وثمانين سنة.

[٨]عن الشعبيّ، قال: إنما سُمي هَوىً لأنه يهوي بأصحابه.

[٩]عن الشعبيّ، قال: لا أدري: نِصفُ العلم.

٢١١ سعيد بن جُبَير (ع)[1]

[١]ابن هشام، الإمامُ الحافظ المقرىءُ المفسِّر الشهيد، أبو محمد الأسديُّ الوالبيُّ، مولاهم الكوفيُّ، أحدُ الأعلام.

قرأ القرآن على ابنِ عباس. قرأ عليه أبو عمرو بنُ العلاء وطائفة.

[٢]عن أصبغ بن زَيد، قال: كان لسعيد بن جُبير ديك، كان يقوم من الليل بصياحِه، فَلَم يَصِحْ ليلة من الليالي حتى أصبحَ، فلم يُصَلِّ سعيدٌ تلك الليلة، فشقَّ عليه، فقال: ماله قطَع الله صَوتَه؟ فما سُمِع له صوتٌ بعد. فقالت له أُمُّه: يا بُنَيَّ، لا تدْعُ على شيء بعدها.

[٣]وعن عمر بن حبيب قال: كان سعيد بن جبير بأصبهان لا يحدث، ثم رجع إلى الكوفة فجعل يحدث، فقلنا له في ذلك فقال: انشُر بَزَّكَ حيث تُعرف.

[٤]قال القاسم بن أبي أيُّوب: سمعتُ سعيداً يردِّد هذه الآية في الصلاة بضعاً وعشرين مرَّة ﴿واتَّقوا يوماً تُرْجَعُونَ فيه إلى الله﴾ [البقرة ٢٨١].

[٥] عن هلال بن يِساف، قال: دخل سعيد بن جُبير الكعبةَ فقرأ القرآن في ركعة.

عن عمرو بن مَيمون، عن أبيه، قال: لقد مات سعيد بن جُبير وما على ظهر الأرض أحدٌ إلا وهو محتاجٌ إلى عِلمِه.

[٦]عن سعيد بن جُبير، قال: التوكُّل على الله جِماعُ الإيمان. وكان يدعو: اللَّهمَّ إني أسألك صدِقَ التوكُّل عليك، وحُسنَ الظنِّ بِك.

[٧] عن هِلال بن خبَّاب، قال: خرجتُ مع سعيد بن جُبَير في رَجَب، فأحرم من الكوفة بِعُمرة، ثُم رجَعَ من عُمرته، ثم أحرم بالحجِّ في النصف من ذي القعدة، وكان يُحرِمُ في كُلِّ سنة مرَّتين، مَرَّة للحَجّ، ومرَّة للعُمرَة.

[٨]عن سعيد بن جُبير، قال: إنَّ الخشية أن تخشى الله حتى تَحولَ خشيتُك بينكَ وبينَ معصيتِكَ، فتلك الخشية، والذِّكر طاعة الله، فمن أطاع الله، فقد ذكره، ومن لم يُطعه فليس بذاكر وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن.

---

(١) انظر السير: ٤/٣٢١-٣٤٣.

[١] ورُوي عن حبيب بن أبي ثابت: قال لي سعيد بن جُبير: لأن أنْشرَ علمي أحبُّ إليَّ من أن أذهب به إلى قبري.

[٢]قال هلال بن خباب: قُلت لسعيد بن جبير ما علامةُ هلاك الناس؟ قال: إذا ذهب علماؤهم.

[٣] وقال عمر بن ذر: كتب سعيد بن جبير إلى أبي كتاباً أوصاه بتقوى الله وقال: إن بقَاء المسلم كُلَّ يوم غنيمة، فذكر الفرائض والصلواتِ وما يرزُقه الله من ذكره.

[٤]عن أبي حَرِيز، أن سعيد بن جُبير قال: لا تُطفئوا سُرجَكُم ليالي العَشر، تُعجبه العبادة ويقول: أيقظوا خَدَمَكم يتسحَّرون لصوم يوم عرفة.

[٥] وعن عتبة مولى الحجَّاج، قال: حضرتُ سعيداً حين أتى به الحجَّاج بواسط، فجعـل الحجَّاجُ يقول: ألم أفعل بك؟ ألم أفعل بك؟ فيقول: بلى. قال: فما حَمَلَك على ما صنعتَ مِن خروجـك علينا؟ قال: بَيعةٌ كانت عليَّ - يعني لابن الأشعث - فغَضبَ الحجَّاج وصفَّق بيديه، وقال: فبيعةُ أميرِ المؤمنين كانَت أسبقَ وأولى. وأمر به، فضُربَتْ عُنقُه. وقيل: لو لم يواجهه سعيد بن جُبير بهذا، لاستحياه كما عفا عن الشعبيِّ لمَّا لاطفه في الاعتذار.

عن عُمر بن سعيد بن أبي حسين، قال: دعا سعيد بن جُبير حين دُعِيَ للقتل، فجعل ابنهُ يبكي، فقال: ما يُبكيك؟ ما بقاءُ أبيك بَعدَ سبعٍ وخمسين سنة.

[٦]عن يعلى بن حكيم، قال: قال سعيد بن جُبير: ما رأيتُ أرعى لحُـرمـة هذا البيت، ولا أحرصَ عليه، من أهل البصرة، لقد رأيتُ جاريةً ذات ليلة تعلَّقت بأستار الكعبة تدعو وتضرَّع وتبكي حتى ماتَت.

[٧]وروى عن سعيد بن جبير، قال: لو فارقَ ذِكر الموتِ قلبي، لخشِيتُ أن يفسد عليَّ قلبي.

[٨]وعنه، قال: إنَّما الدنيا جمع من جُمع الآخرة.

[٩]عن مجاهد قال: قال ابنُ عباس لسعيد بن جُبَير: حَدِّث. قال: أُحَدِّث وأنت ها هنا؟ قال: أو لَيس من نعمةِ الله عليكَ أن تُحدِّث وأنا شاهد، فإن أصبتَ فذاك،

وإن أخطأت، علَّمتُك.

[١] عن سعيد بن جُبير، قال: ربما أتيتُ ابنَ عباس، فكتبتُ في صحيفتي حتى أملأها، وكتبتُ في نعلي حتى أملأها، وكتبتُ في كفّي.

[٢] عن مسلم البَطين، عن سعيد بن جُبير، أنَّه كان لا يدعُ أحداً يغتاب عنده.

[٣] الـربيع بن أبي صالـح، قال: دخلتُ على سعيد بن جُبير حين جيَّ به إلى الحجَّاج، فبكى رجل، فقال سعيد: ما يبكيك؟ قال: لِمَا أصابك، قال: فلا تَبكِ، كان في عِلم الله أن يكون هذا، ثم تلا: ﴿ما أَصابَ مِن مُصيبةٍ في الأرض ولا في أنفسِكُم إلَّا في كتابٍ من قبل أن نبرأَها﴾ [الحديد ٢٢].

[٤] عن أيوب: سُئل سعيد بن جُبير عن الخِضاب بالوسِمَة[١] فكرِهه، وقال: يكسو الله العبدَ النُّور في وجهه، ثُمَّ يطفئهُ بالسواد.

[٥] عن أبي حَصين، قال: رأيتُ سعيداً بمكة فقلتُ: إن هذا قادم ـ يعني خالد بن عبدالله ـ ولستُ آمنه عليك، قال: واللهِ لقد فررتُ حتى استحييتُ من الله.

قلتُ: طال اختفاؤه، فإنَّ قيام القُرَّاء على الحجَّاج كان في سنة اثنتين وثمانين، وما ظفروا بسعيد إلى سنة خمس وتسعين، السنة التي قلع الله فيها الحجاج.

[٦] عن داود بن أبي هند، قال: لما أخذ الحجَّاجُ سعيدَ بن جُبير قال: ما أُراني إلا مقتولاً وسأخبركم: إني كنتُ أنا وصاحبان لي دعَونا حين وَجَدنا حلاوةَ الدُّعاء، ثم سألنا الله الشهادة، فكِلا صاحبيَّ رُزِقَها، وأنا أنتظِرُها، قال فكأنَّه رأى أن الإِجابة عند حلاوة الدُّعاء.

قُلت: ولمّا علم مِن فضل الشهادة ثَبَت للقَتل ولم يَكترِثْ، ولا عامل عدوَّه بالتقيَّة المباحة له، رحمه الله تعالى.

[٧] عيسى بن يونس، سمعتُ الأعمش يقول: لمّا جيَّ بسعيد بن جُبَير وطَلق بن حبيب وأصحابِهما دخلتُ عليهم السجن فقلت: جاء بكم شرطي أو جُلَيويز من مكَّةَ إلى القتل أفلا كتفتمُوه وألقيتُمُوه في البريَّة؟ فقال سعيد: فمن كان يسقيه الماء

(١) الوسمة: شجر له ورق يختضب به.

إذا عَطِشَ؟

[١]عن خُصيفٍ، قال: كان أعلمهم بالقرآن مجاهد، وأعلمهُم بالحجِّ عطاء، وأعلمُهُم بالحلال والحرام طاووس، وأعلمُهُم بالطلاق سعيد بن المسيِّب، وأجمعهم لهذه العلوم سعيدُ بن جُبير.

٢١٢ الحجَّاج[١]

[٢]أهلكه الله في رمضان سنةَ خمسٍ وتسعين كَهلاً، وكان ظَلُوماً، جبَّاراً، ناصبيّاً، خبيثاً، سفَّاكاً للدماء، وكان ذا شجاعة وإقدام ومكرٍ ودهاء، وفصاحةٍ وبلاغة، وتعظيمٍ للقرآن. قد سُقْتُ من سُوءِ سيرته في تاريخي الكبير، وحصارِه لابن الزُّبيرِ بالكعبة، ورميِه إيَّاها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحَرمين، ثم ولَايته على العراق والمشرق كُلِّه عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن أستأصلهُ الله، فنَسبُّه ولا نُحِبُّه، بل نُبغِضُه في الله، فإنَّ ذلك من أوثق عُرى الإيمان.

وله حسناتٌ مغمورةٌ في بحر ذنوبه، وأمرهُ إلى الله. وله توحيدٌ في الجُملة، ونُظراءُ مِن ظَلَمةِ الجبابرة والأُمراء.

٢١٣ الوليد[٢]

[٣] **الخليفةُ، أبو العبَّاس الوليد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم الأُمويُّ الدمشقيُّ الذي أنشأ جامعَ بني أُميَّة.**

بُويع بعهدٍ من أبيه، وكان مترفاً، دميماً، سائل الأنف، طويلاً أسمر، بوجههِ أثرُ جُدريّ. يتبختر في مشيه، وكان قليلَ العِلم، نَهمتُه في البناء. أنشأ أيضاً مسجدَ رسولِ الله ﷺ، وزخرفه. ورُزقِ في دولته سعادة، ففتح بوَّابة الأندلس، وبلادَ

(١) انظر السير: ٤/٣٤٣.

(٢) انظر السير: ٤/٣٤٧ـ٣٤٨.

الترك. وكان لُحَنَةً وحَرَص على النَّحو أشهراً، فما نَفَع. وغزا الروم مَّرات في دولة أبيه، وحجّ وقيل: كان يختِمُ في كُلِّ ثلاث، وختم في رمضان سبعَ عشرةَ ختمة. وكان يقول: لولا أنَّ الله ذكر قوم لوطٍ ما شعرتُ أنَّ أحداً يفعلُ ذلك.

قال ابن أبي عَبلة: رحِم الله الوليد، وأين مِثلُ الوليد افتتح الهِند والأندلس، وكان يُعطيني قِصاعَ الفِضَّة أقسِمُها على القُرَّاء.

وقيل: إنه قرأ على المِنبر ﴿ياليتُها﴾ بالضم[1] وكان فيه عَسْفٌ وجَبرُوت، وقيام بأمر الخلافة. وقد فرضَ للفقهاء والأيتام والزَّمنَى والضعفاء، وضبط الأمور، فالله يُسامحه.

مات في سنة ستٍّ وتسعين، وله إحدى وخمسون سنة. وكان في الخلافة عشر سنين سوى أربعة أشهر، وقَبره بباب الصغير. وقام بعده أخوه سُلَيمان بعهد له من أبيهما عبد الملك.

وقد كان عزمَ على خلعِ سليمان من ولايةِ العهد لولَدِه عبدِ العزيز، فامتنع عليه عُمَربن عبدالعزيز قال: لسليمانَ بيعةٌ في أعناقنا. فأخذه الوليد وطيَّن عليه، ثم فتح عليه بعد ثلاث وقد مالت عنقه، وقيل: خنقه بمنديل حتى صاحَت أُختُه أُمُّ البنين. فشكر سليمان لِعُمرَ ذلك، وعَهِدَ إليه بالخلافة.

٢١٤ مُوَرِّق (ع) [2]

[١]**العِجلي، الإمام، أبو المعُتمر البصريُّ.**

كان ثقةً، عابداً، توفيَّ في ولاية عُمر بن هُبيرة على العراق.

[٢]**وقال:** تعلَّمت الصمت في عشر سنين، وما قلتُ شيئاً قطُّ إذا غضبتُ، أندمُ عليه إذا زال غَضبي.

---

(١) الخبر في ابن عساكر ٤٢٤/١٧آ، وتمامه: قرأ: ﴿ليتها كانت القاضية﴾ وضمَّ التاء، فقال عمر بن عبدالعزيز: ياليتها كانت عليك وأراحتنا منك.

(٢)انظر السير: ٣٥٣/٤ـ ٣٥٥.

[١]عن جميل بن مُرَّة، قال: كان مُوَرِّق رحمه الله يجيئُنا فيقول: أمسِكُوا لنا هذه الصُرَّة، فإن احتجتم فأنفقوها. فيكون آخِرَ عَهدِه بها.
[٢] عن مورِّق قال: ما امتلأتُ غضباً قطُّ، ولقد سألتُ الله حاجةً منذ عشرين سنة، فما شفَّعني فيها، وما سئمتُ من الدُّعاء.

٢١٥ ربعيُّ بن حِراش (ع) [١]

[٣] **ابن جَحش، الإمامُ القدوة الوالِبيُّ الحافظ الحُجَّة، أبو مريم الغَطَفاني ثم العَبسيّ الكوفيّ المُعمَّر، أخو العبدِ الصالح مسعود، الذي تكلَّم بعد الموت.**
[٤]قال الأصمعي: أتى رجلُ الحجَّاج فقال: إنَّ ربعيَّ بن حِراش زعموا لا يكذب، وقد قدَمَ ولداه عاصِيين. قال: فبعثَ إليه الحجَّاج فقال: ما فعلَ ابناك؟ قال: هما في البيت والله المستعان. فقال له الحجَّاج بن يوسف: هما لك. وأعجَبَهُ صِدقُه.
[٥]عن الحارث الغنوي، قال: آلىٰ ربعيُّ بن حِراش أن لا تفتَرَّ أسنانُهُ ضاحكاً حتى يعلمَ أينَ مَصيرُه. قال الحارث: فأخبر الذي غسَّله أنه لم يَزل مُتَبسِّماً على سريره ونحن نغسله، حتى فرغنا منه، رحمة الله عليه.
[٦]عن عبدالملك بن عُمير عن ربعيّ، قال: كُنَّا أربعة إخوة، فكان الربيعُ أكثرنا صلاةً وصياماً في الهواجر، وإنَّه تُوفِّي، فبينا نحن حَولَهُ قد بعثنا من يبتاع له كَفناً، إذ كَشَفَ الثوبَ عن وجهه، فقال: السلام عليكم، فقال القوم: عليكم السلام يا أخا عيسى، أبعدَ الموت؟ قال: نَعم، إنِّي لقيتُ ربِّي بعدكم فلقيتُ ربّاً غَير غَضبان، واستقبلني بِرَوْحٍ وريحان وإستبرق، ألا وإنَّ أباالقاسم ينتظُر الصلاة عليَّ فعجِّلوني. ثم كان بمنزلة حصاةٍ رُميَ بها في طَست. فنُمي الحديثُ إلى عائشة رضي الله عنها فقالت: أما أني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يتكلَّم رجلٌ مِن أُمتَّى بَعد الموت»[٢].

---

(١) انظر السير: ٤/٣٥٩-٣٦٢.

(٢) الخبر في الحلية: ٤/٣٦٧، ٣٦٨، وذكره ابن عبدالبر في الاستيعاب في ترجمة زيد بن خارجة ورجال إسناده ثقات لكن ليس فيه المرفوع، وهو الأصح فقد رواه عن عبدالملك غير واحد فما رفعه.

قال أبـو نعيم: ورواه عن عبدالملك زيدُ بن أبي أُنيسة، وإسماعيلُ ابن أبي خالد، والثوريّ، وابن عيينة، وما رفعه سوى عَبيدة.

وبه قال أبو نعيم: حدَّثنا أبو عليّ محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا عاصم بن عليّ، حدثنا المسعودي، عن عبدالملك بن عُمير، عن ربعيّ، قال: مات أخٌ لنـا، فسجَّينـاه، فذهبت في التماسِ كَفنِه، فرجعت وقد كَشَف الثَّوب وهو يقول: فذكر نحوه، وفيه: وَعدتُ رسولَ الله ﷺ أن لا يذهب حتى أُدرِكه. قال: فما شبَّهت خروج نفسِه إلا كحصاة أُلقيت في ماءٍ فرسبَتْ. فذُكِرَ ذلك لعائشة، فقالت: قد كُنَّا نتحدَّث أن رجلاً من هذه الأُمَّة يتكلَّم بَعدَ الموت. تُوفي سنة إحدى وثمانين.

٢١٦ طُوَيس(١)

[١]المـدنيّ، أحـدُ من يُضرَبُ بِهِ المَثَلُ في صناعة الغِناء. اسمه أبو عبدالمنعم عيسى بن عبدالله وكان أحولَ طُوالاً.

[٢]وكان يُقال: أشأم من طويس، قيل: لأنَّه وُلِدَ يومَ وفاةِ النبيِّ ﷺ، وفُطِمَ يوم مَوتِ أبي بكر، وبلغ يوم مقتل عُمر، وتزوَّج يومَ مقتل عُثمان، ووُلِدَ له يوم مقتلِ عليّ رضي الله عنهم.

مات سنة اثنتين وتسعين.

٢١٧ عائشة بنت طلحة (ع)(٢)

ابن عبيد الله التيميَّة، بنتُ أختِ أُمِّ المؤمنين عائشة. تزوَّجها ابنُ خالها عبدُ الله ابن عبـدالرحمن بن أبي بكر الصديق، ثم بعده أمير العراق مُصعب، فأصدقها مصعبٌ مئة ألفِ دينـار. قيـل: وكانت أجملَ نساءِ زمانها وأرأسهنَّ. ولما قُتل

(١) انظر السير: ٤/ ٣٦٤.

(٢) انظر السير: ٤/ ٣٦٩- ٣٧٠.

مصعبُ بن الزبير تزوَّجها عمر بن عبيد الله التَّيميّ، فأصدقها ألفَ ألفِ درهم، وفي ذلك يقول الشاعر:

بُضعُ الفَتَاةِ بألفِ ألفٍ كاملٍ   وتَبِيتُ سَادَاتُ الجُيوشِ جياعا

وفدَت على هشام بن عبدالملك، فاحترمها، ووصلها بجملة كبيرة.

[١]عن إبراهيم أن عائشة بنت طلحة قالت: إن تزوجَت مصعباً، فهو عليها كظهر أمِّها، فتزوجتُه، فسألت عن ذلك، فأمِرَتْ أن تُكفِّر، فأعتقت غلاماً لها ثمنَ ألفين.

بقيت إلى قريبٍ مِن سنة عَشرٍ ومئة بالمدينة.

٢١٨ أبو الجَوزاء (ع)(١)

[٢]**أوسُ بن عبدالله الرّبعيُّ البصريُّ، مِن كبار العلماء.**

وكان أحدَ العُبَّاد الذين قاموا على الحجَّاج. فقيل: إنه قُتل يومَ الجماجم.

[٣]عن عمرو بن مالك، سمع أبا الجَوزاء يقول: ما لعنتُ شيئاً قطُّ، ولا أكلتُ شيئاً ملعوناً قطُّ، ولا آذَيتُ أحداً قطُّ.

قلت: انظُر إلى هذا السيد، واقتدِ به.

[٤]وعنه أنه قال: ما ماريتُ أحداً قطُّ.

[٥]وروى عنه عمرو بن مالك، قال: لأن أجالِسَ الخنازير أحبُّ إليَّ من أن أجالسَ أحداً من أهل الأهواء.

[٦]وكان أبو الجوزاء قويّاً بالمرَّة. عن سليمان الرَّبعيّ، قال: كان أبو الجوزاء يُواصل أسبوعاً، ويقبِضُ على ذراع الشاب فيكادُ يَحْطِمُها.

٢١٩ شَهْرُ بنُ حَوشَب (٤، م مقروناً)(٢)

[٧]**أبو سعيد الأشعريُّ الشاميُّ، مولى الصحابيَّة أسماء بنتِ يزيد الأنصارية. كان مِن كبار عُلماء التابعين.**

(١) انظر السير: ٤/ ٣٧١-٣٧٢.

(٢) انظر السير: ٤/ ٣٧٢-٣٧٨.

[١]عن شهرٍ، قال: عَرضتُ القرآن على ابنِ عبَّاس سبع مرَّات.

[٢]عثمان بن نويرة، قال: دُعِي شَهرُ بنُ حوشب إلى وليمةٍ وأنا معه، فدخلنا فأصبنا مِن طعامهم فلمَّا سَمِعَ شَهر المزمارَ، وضع أصبعيه في أُذنَيهِ، وخرج.

[٣]روى يحيى بن أبي بُكير الكِرماني، عن أبيه، قال: كان شَهر بن حَوْشَب على بيت المال، فأخذ خريطة فيها دراهم فقيل فيه:

لقد بَاعَ شَهرٌ دِينَه بخَريطةٍ فَمَن يَأْمَنُ القُرَّاء بَعدَكَ يا شَهرُ

أخذتَ بها شيئاً طفيفاً وبعَتهُ مِن ابن جَريرٍ إنَّ هذا هُو الغَدرُ

قلتُ: إسنادها منقطع، ولعلَّها وقعت، وتاب منها، أو أخذها مُتأوِّلا أنَّ لهُ في بيتِ مالِ المسلمين حقاً، نسأل الله الصَّفح.

[٤]ومن مليحِ قَولِ شَهر: من ركبَ مشَهوراً من الدوابِّ، ولبِسَ مشهوراً من الثياب، أعرض الله عنه، وإن كان كريماً.

قلتُ: مَن فعلَهُ لِيُعزَّ الدِّين، ويُرغِمَ المنافقين، ويتواضعَ مع ذلك للمؤمنين، ويَحمدَ ربَّ العالمين، فحسنٌ.

ومن فعلهُ بَذْخاً وتيهاً وفخراً أذلَّه الله وأعرض عنه، فإن عُوتب ووُعِظ فكابر وادَّعى أنَّه ليس بمُختالٍ ولا تيَّاه فأعرض عنه فإنه أحمق، مغرور بنفسه.

[٥]يعقوب بن شيبة: شَهر ثقة، طعن فيه بعضهم.

قلتُ: الرجلُ غَير مدفوعٍ عن صِدق وعِلم، والاحتجاج به مُترجِّح.

تُوفِّي سنة مئة.

٢٢٠ يحيى بنُ وَثَّاب (م، ٤)[1]

[٦]**الإمامُ القدوة المُقرئ، الفقيه، شيخُ القُرَّاءِ الأسديّ الكاهليّ، مولاهم، الكوفيّ، أحد الأئمة الأعلام.**

قال أبو نُعيم الحافظ: اسم أبيه وثَّاب بزدَويه بن ماهويه، سباه مجاشع بن مسعود

(١) انظر السير: ٤/ ٣٧٩ـ ٣٨٢.

السُّلمي من قاشان، إذ افتتحها وكان وثَّاب من أبناء أشرافها ثم وقع في سهم ابن عباس. فسمَّاه وثاباً. وتزوَّج فولد له يحيى، ثم استأذن ابن عباس في الرجوع إلى قاشان، فأذِن له، فدخل هو وابنُه يحيى الكوفة، فقال يحيى: يا أبتِ إني آثرتُ العلم على المال، فأذِنَ له في المُقام. فأقبل على القرآن، وتلا على أصحابِ عليٍّ وابن مسعود، حتى صار أقرأ أهلِ زمانه فأورَث وثابٌ عِقبه، فحَازُوا رئاسة الدارين، لأن يحيى فاق نُظراءه في القرآن والآثار، وفاقَ خالدُ بن وثاب وولداه أزهر ومخلد، في رئاسة الدنيا والولايات، واتصلت رئاسة عَقِبه إلى أيامنا بأَصبهان، ولهم الصِّيت والذِّكر في الثروة والتناية[1] والحظّ الجسيم من الجلالة والنباهة.

[١]قلتُ: قرأ القرآن كُلَّه على عُبيد بن نُضَيلة صاحب علقمة **فتحفَّظ** عليه كُلَّ يوم آية.

[٢]كان الأعمشُ يقول: حدَّثني يحيى بن وثَّاب وكُنتُ إذا رأيته قد جثا، قلتُ: هذا وُقفَ للحساب فيقول: أي ربِّ، أذنبتُ كذا، فعفوتَ عني، فلا أعود، وأذنبتُ كذا، فعفوتَ عني، فلا أعود.

[٣]وعن الأعمش، قال: كان يحيى بن وثَّاب مِن أحسن الناس قراءةً، رُبَّما اشتهيتُ أن أُقبِّل رأسَهُ من حُسنِ قراءته، وكان إذا قرأ لا تُسمع في المسجد حركة، كأن ليس في المسجدِ أحَد.

[٤]عن الأعمش، كان يحيى إذا قضى صلاته مَكَثَ مَلِيَّاً تُعرف فيه كآبةُ الصّلاة.

[٥]قال أحمد العِجلي: هو تابعيٌّ ثقة، مُقرئٌ يؤمُّ قومَه. وقد أمر الحجَّاجُ أن لا يؤمَّ بالكوفة إلّا عربيٌّ، واستثنى يحيى بن وَثَّاب، فصلَّى بهم يوماً، ثم ترك.

كان الأعمش يقول: يحيى بنُ وثَّاب أقرأ مَن بال على تُراب.

مات يحيى بن وثَّاب سنة ثلاث ومئة.

---

(١)التنايه: الفلاحة والزراعة.

٢١١ خالد ابن الخليفة يزيد (د)[١]

[١]**ابن معاوية بن أبي سفيان، الإمامُ البارع، أبو هاشم القُرَشيُّ، الأمويُّ الدمشقيُّ، أخو الخليفة معاوية، والفقيه عبدالرحمن.**

قال الزُّبير بن بكار: كان موصوفاً بالعلم، وقول الشعر

[٢]قال أبو زُرعة الدِّمشقي: هو وأخواه من صالحي القوم.

قلتُ: أجاز شاعراً بمئة ألف لقوله فيه:

سَأَلْتُ النَّدىٰ والجُودَ حُرَّانِ أنتُما فَقَالا جَميعاً، إنَّنا لَعبيدُ

فَقُلْتُ: فَمَنْ مولاكما؟ فَتَطاولا عَليَّ وقالا: خالدُ بنُ يزيدِ

[٣]وقد ذُكر خالدٌ للخلافة عند موت أخيه مُعاوية، فَلَم يَتمَّ ذلك، وغلب على الأمر مروان بشرط أنَّ خالداً وليُّ عهده.

[٤]قيل: تهدَّد عبدُ الملك بن مروان خالداً وسطا عليه، فقال: أتهدِّدني ويَدُ الله فوقك مانعة، وعطاؤه دونَك مَبذُول.

[٥]قال الأصمعيُّ: قيل لخالد بن يزيد: ما أقربُ شيءٍ؟ قال: الأجَلُ، قيل: فما أبعَدُ شيءٍ؟ قال: الأملُ قيل: فما أرجىٰ شيءٍ؟ قال: العمل.

[٦]وعنه، قال: إذا كان الرجل لجوجاً، ممارياً، مُعجباً برأيه، فقد تَمَّت خسارته.

قيل: تُوفِّي سنة أربعٍ أو خمسٍ وثمانين.

٢٢٢ المُهلَّب (د، ت، س)[٢]

[٧]**الأميرُ البطل، قائدُ الكتائب، أبو سعيد، المُهَلَّبُ بنُ أبي صُفرة ظالم بن سرَّاق الأزديُّ العَتَكيُّ البصريُّ.**

[٨]قال ابن سَعد: ارتدَّ قومُ المُهلَّب، فقاتلهم عِكرمة بن أبي جهل وظَفر بهم، فبعث بذراريهم إلى الصِّدِّيق، فيهم أبو صُفرة مُراهقًا، ثم نزل البصرة.

---

(١)انظر السير: ٤/٣٨٢-٣٨٣.

(٢)انظر السير: ٤/٣٨٣-٣٨٥.

[١] وقال خليفة: سنةَ أربعٍ وأربعين غزا المهلَّب الهند، وَوَلِيَ الجزيرة لابن الزُّبير، وحارب الخوارج، ثم وَلِيَ خُراسان.

[٢] وقال غَيرُ واحد: إن الحجَّاج بالغ في احترامِ المُهلَّب، لمّا دوَّخ الأزارقة، ولقد قتل منهم في ملحمة أربعة آلاف وثمان مئة.

[٣] عن أبي إسحاق، قال: ما رأيتُ أميراً قطُّ أفضلَ ولا أسخى ولا أشجع من المهلَّب، ولا أبعدَ مما يكره، ولا أقربَ مما يحب.

[٤] قال محمد بن سلاَّم الجُمحي: كان بالبصرة أربعةٌ ليس مِثلَهم: الأحنفُ في حلمِه وعفافه ومنزلِته مِن عليٍّ، والحسنُ في زُهده وفصاحته وسخائِه ومحلِّه من القلوب، والمُهلَّب بن أبي صُفرة، فذكر أمرهَ، وسوَّار القاضي في عفافه وتحريِّه للحق.

[٥] وعن المهلَّب قال: يُعجبني في الرجل، أن أرى عقله زائداً على لسانه.

[٦] وروى رَوْحُ بن قبيصة، عن أبيه، قال المهلَّب: ما شيءٌ أبقى للمُلك من العفو، خير مناقب المَلِكِ العَفو.

قلتُ: ينبغي أن يكون العَفوُ من الملِكِ عن القتل، إلاَّ في الحدود، وأن لا يعفوا عن والٍ ظالم، ولا عن قاضٍ مرتشٍ بل يعجِّل بالعَزل، ويعاقِبُ المتَّهم بالسِّجن، فحِلمُ الملوك محمودٌ إذا ما اتَّقوا الله، وعَملِوا بطاعته.

قيل: تُوفِّي المُهلَّب غازياً بمرو الرُّوذ في سنة اثنتين وثمانين.

ووِليَ خُرَاسان بعدُه ابنه يزيد بن المُهَلَّب.

٢٢٣ عليُّ بن الحُسَينَ (ع)[١]

[٧] ابن الإمام عليِّ بنِ أبي طالب، السيِّدُ الإمام، زَينُ العابدين، الهاشميُّ العَلَويّ، المَدَنيّ، يُكنى أبا الحسين.

وأُمُّه أُمُّ ولد، اسمُها سَلاَّمة سُلافُة بنت ملك الفرس يَزدجرد.

---

(١) انظر السير: ٤/٣٨٦-٤٠١.

وُلِدَ في سنة ثمانٍ وثلاثين ظناً.

[١] وحدَّث عن أبيه الحُسَين الشهيد، وكان معه يوم كائنة كَربَلاء وله ثلاثٌ وعشرون سنة، وكان يومئذٍ موعوكاً فلَم يقُاتل ولا تَعَرَّضوا له، بل أحضروه مع آله إلى دمشق، فأكرَمَه يزيد، وردَّه مع آلِه إلى المدينة.

[٢] عن الزُّهريّ، قال: ما رأيتُ قرشيّاً أفضل من عليٍّ بن الحسين.

[٣] عن مالـك، قال: كان عُبيد الله بن عبـدالله من العلماء، وكان إذا دخلَ في صَلاته، فقعد إليه إنسان، لم يُقبِل عليه حتى يفرغَ، وإنَّ عليَّ بنَ الحُسين كان مِن أهلِ الفَضل، وكان يأتيه فيجلسُ إليه، فيطول عُبيد الله في صَلاته ولا يلتفت إليه، فقيل له: عليٌّ وهو مِمَّن هو منه فقال: لابُدَّ لمن طلب هذا الأمر أن يُعنَّى به.

[٤] وقال: قال نافع بن جُبير لعليِّ بن الحسين: إنَّك تُجالس أقواماً دوناً قال: آتي مَن انتفُع بمجالستِه في دِيني.

قال: وكان نافعٌ يجد في نفسه، وكان عليُّ بن الحُسين رجلاً له فَضلٌ في الدِّين.

[٥] عن هشام بن عُروة، قال: كان عليُّ بن الحُسين يخرجُ على راحلته إلى مكَّة ويرجع لا يقرعُها، وكان يُجالس أسلمَ مولىٰ عُمر، فقيل له: تدَعُ قريشاً، وتجالسُ عَبد بني عدِيّ. فقال: إنما يَجلِسُ الرجلُ حيث ينتفع.

[٦] وعن عبدالرحمن بن أردَك يقال هو أخو عليٍّ بن الحسين لأُمِّه قال: كان عليُّ ابن الحسين يدخلُ المسجد فيشُقُّ الناسَ حتَّى يجلسَ في حَلقة زيد بنِ أسلم، فقال له نافعُ بن جُبير: غفر الله لك، أنت سَيِّدُ النَّاس، وتأتي تتخطَّى حتى تجلس مع هذا العبد، فقال عليُّ بن الحسين: العلم يُبتغىٰ ويُؤتىٰ ويُطلَبُ من حيثُ كان.

[٧] عن يحيى بن سعيد، عن عليّ: يا أهـلَ العراق، أحِبُّونا حُبَّ الإسلام، ولا تُحبُّونا حُبَّ الأصنام، فما زالَ بنا حُبُّكم حتَّى صار علينا شَيْناً.

[٨] قال أبـو بكر بن البَرْقي: نَسلُ الحُسين كلُّه من قِبلَ ابنِه عليّ الأصغر، وكانَ أفضلَ أهلِ زمانه، ويقال: إنَّ قريشاً رغِبتَ في أُمَّهات الأولاد بعد الزُّهد فيهنّ حين

نشأ عليُّ بن الحسين، والقاسمُ بن محمد، وسالم بن عبدالله.

[١]عن الزُّهري، قال: حدَّثتُ عليَّ بن الحُسين بحديث، فلمَّا فَرَغتُ قال: أحسنتَ هكذا حُدِّثناه، قلتُ: ما أُراني إلّا حدثتُك بحديثٍ أنتَ أعلَمُ بهِ منِّي، قال: لا تَقُلْ ذاك، فليسَ ما لا يُعرفُ من العِلم، إنَّما العِلم ما عُرِف، وتواطأت عليه الألسُن.

[٢]عن أبي نُوح الأنصاريّ، قال: وقعَ حريقٌ في بيتٍ فيه عليُّ بن الحُسين وهو ساجد، فجعلوا يقولون: يا ابنَ رسول الله النّار. فما رفعَ رأسَهُ حتى طُفئت. فقيل له في ذلك فقالَ: ألهَتني عنها النّار الأخرى.

[٣]عن عبدالله بن أبي سُليمان، قال: كان عليُّ بن الحُسين إذا مشى لا تجاوز يدُه فخِذَيْه ولا يَخطِرُ بها، وإذا قام إلى الصلاة، أخذته رِعدة، فقيل له، فقال: تدرون بين يدي مَن أقوم ومَن أناجي.

وعنه، أنَّه كانَ إذا توضَّأ اصفرَّ.

[٤]عن مالك: أحرم عليُّ بن الحُسين، فلمّا أراد أن يُلبِّي، قالها، فأغميَ عليه، وسقَط مِن ناقته فهُشم، ولقد بلغني أنَّه كان يُصلِّي في كُلِّ يومٍ وليلة ألفَ ركعة إلى أن مات. وكان يُسمَّىَ زَين العابدين لِعبادته.

[٥]عن طاووس: سمعتُ عليَّ بن الحُسين وهو ساجد في الحِجر يقول: عُبيدُكَ بِفنَائك، مِسكينُك بفنائِك، سائِلُكَ بِفِنائك، فقيرُكَ بِفِنائك. قال: فوالله ما دَعوتُ بها في كَرب قطُّ إلَّا كُشِفَ عنِّي.

[٦]عن أبي حمزة الثُماليّ، أن عليَّ بن الحُسين كان يَحمِلُ الخُبز باللَّيل على ظهره يَتَّبع به المساكين في الظُّلمَةِ، ويقول: إنَّ الصدقة في سوادِ اللَّيل تُطفىءُ غضبَ الربّ.

[٧]عن محمد بن إسحاق: كان ناسٌ من أهل المدينة يعيشون، لا يدرونَ من أين كان معاشهم، فلمَّا مات عليُّ بن الحسين، فقدوا ذلك الذي كانُوا يُؤْتَوْن بالليل.

[٨]عن عمرو بن ثابت: لمَّا مات عليُّ بن الحُسين وجدوا بِظَهره أثراً ممَّا كان ينقُل

الجُرْبَ باللَّيل إلى منازل الأرامِل.

[١]وقال شَيبةُ بن نعامة: لمَّا ماتَ عليٌّ وجدُوه يَعولُ مئة أهلِ بَيت. قلتُ: لهذا كان يُبَخَّل، فإنَّه يُنفِقُ سِرّاً ويَظُنُّ أهلُه أنَّه يَجمَعُ الدراهم.

[٢]عن سعيد بن مرجانة، أنَّه لمَّا حدَّث عليُّ بن الحُسين بحديث أبي هريرة: «مَن أعتَقَ نَسَمَةً مؤمِنةً أعتَقَ الله كُلَّ عُضوٍ منهُ بعُضوٍ مِنهُ مِن النَّار، حتَّى فَرجُهُ بِفَرجِهِ» فأعتق عليٌّ غلاماً له، أعطاه فيه عبدُ الله بن جعفر عشرة آلاف درهم.

[٣]عن عَمرو بن دينار، قال: دخل عليُّ بن الحُسين على محمد بن أُسامة بن زَيد في مَرَضه فجعل محمدٌ يبكي، فقال: ما شأنُك؟ قال: عليَّ دَين، قال: وكَمْ هو؟ قال: بِضعة عشر ألفَ دينار، قال: فهي عَليّ.

[٤]قال عليُّ بن الحُسين: إنِّي لأستَحي من الله أن أرىٰ الأخ من إخواني، فأسألَ الله لَهُ الجَنّة وأبخَلَ عليه بالدُّنيا، فإذا كان غداً قيل لي: لَو كانتِ الجَنَّة بيدِك لَكُنتَ بها أبخل وأبخل.

[٥]قال أبو حازِم المَدَني: ما رأيتُ هاشمياً أفقه من علي بن الحُسين، سمعتُه وقد سُئل: كيف كانت منزلةُ أبي بكر وعُمرَ عند رسول الله ﷺ؟ فأشار بيده إلى القَبر، ثُمَّ قال: بمنزِلتهما مِنهُ السَّاعة.

[٦]وعن عليِّ بن الحُسين، قال: فَقد الأحبَّةِ غُربة. وكان يقول: اللَّهمَّ إني أعوذ بك أن تُحسِّنَ في لوائح[١]العيون عَلانيتي، وتُقبح في خفيَّات العيون سريرتي اللَّهمَّ كما أسأتُ وأحسنتَ إليَّ، فإذا عُدت، فَعُدْ عَلَيَّ.

[٧]قال زيد بن أسلم، كان من دُعاء عليِّ بن الحُسين: اللَّهمَّ لا تكِلني إلى نفسي، فأعجزَ عنها، ولا تكلني إلى المخلوقين فَيُضيِّعوني.

[٨]أبو يعقوب المَدنّي، قال: كان بَين حَسن بن حسن وبَينَ ابن عَمِّه عليِّ بن الحُسين شيءٌ، فما تَرك حسنٌ شيئاً إلا قاله، وعليٌّ ساكت، فذهب حسنٌ، فلما

(١) لوائح الشيء: ما يبدو منه وتظهر علامته عليه.

كان في اللَّيل، أتاهُ عليٌّ، فخرج، فقال عليٌّ: يا ابن عمِّي إن كُنتَ صادقاً فغفر الله لي. وإن كُنتَ كاذباً، فغفر الله لك، السلام عليك. قال: فالتزمه حسن، وبكى حتى رثىٰ له.

[١]قال أبو نُعيم: حدثنا عيسى بن دينار ـ ثقة ـ قال: سألت أبا جعفر عن المختار، فقال: قام أبي علىٰ باب الكعبة، فلعَنَ المختار، فقيل له: تَلعَنُه وإنَّما ذُبِح فيكم؟ قال: إنَّه كان يكذِبُ علىٰ الله وعلى رسوله.

[٢]عن أبي جعفر، قال: كنا لنُصلِّي خلفهُم ـ يعني الأمويَّة ـ مِن غير تقيَّة، وأشهدُ على أبي أنَّه كان يُصلِّي خلفهم مِن غير تقيَّة.

[٣]وقيل: كان عليُّ بن الحُسين إذا سار في المدينة على بَغلته، لم يقُل لأحدٍ: الطريق.. ويقول: هو مُشتَركٌ ليس لي أنا أُنحِّيَ عنه أحداً.

وكان له جلالةٌ عجيبة، وحُقَّ له والله ذلك، فقد كان أهلاً للإمامة العُظمى لشرفِه وسُؤْددِهِ وعلمِهِ وتألُّهِهِ وكمالِ عقله.

[٤]قد اشتهرت قصيدةُ الفرزدق ـ وهي سماعُنا ـ أن هشامَ بن عبدالملك حَجَّ قُبَيْلَ ولايته الخلافة، فكان إذا أراد استلام الحَجر زُوحِم عليه، وإذا دنا عليُّ بن الحُسَين من الحَجر تفرَّقوا عنه إجلالاً له، فوجَمَ لها هشام وقال: مَن هذا؟ فما أعرفُه، فأنشأ الفرزدق يقول:

هذا الذي تَعرفُ البطحاءُ وَطأتَهُ ... والبيتُ يَعرفُه والحلُّ والحَرَمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كُلِّهم ... هذا التَّقيُّ النَّقيُّ الطَّاهِرُ العَلَمُ
إذا رَأتْه قُريشٌ قالَ قائلُها ... إلى مكارِمِ هذا ينتهي الكَرَمُ
يكَادُ يُمسِكُهُ عِرفانُ راحتِهِ ... رُكْنَ الحَطِيم إذا ما جاء يَستَلِمُ
يُغضي حياءً ويُغضى من مَهابته ... فما يُكلَّمُ إلاَّ حين يَبْتَسِمُ
هذا ابن فاطمةٍ إنْ كُنتَ جاهِلَهُ ... بِجَدِّه أنبياءُ اللهِ قَد خُتِمُوا

وهي قصيدة طويلة. قال: فأَمَرَ هشامٌ بحَبسِ الفرزدق، فحُبِسَ بعُسفَان، وبعث إليه عليُّ بن الحُسين باثني عَشَر ألفَ درهم وقال: أعِذرْ أبا فراس. فردَّها وقال:

ما قلتُ إلا غضباً للهِ ولرسولِه، فردَّها إليه وقال: بِحقِّي عليك لما قَبِلْتها، فقد علم الله نِيَّتَكَ ورأى مكانَك. فقبِلَها.

مات سنةَ أربعٍ وتسعين.

قلتُ: قَبرُه بالبقيع، ولا بقيَّة للحُسَين إلَّا مِن قِبَلِ ابنه زين العابدين.

٢٢٤ ابنه أبو جعفر الباقر (ع)(١)

[١]**هو السيِّدُ الإمامُ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحُسين، العلويُّ الفاطميُّ، المدنيُّ، ولَدُ زَينِ العابدين.**

وُلِدَ سنة ستٍ وخمسين في حياةِ عائشةَ وأبي هريرة.

[٢]كان أحدَ مَن جَمع بين العِلم والعمل والسؤدد، والشرف، والثِّقة، والرَّزانة، وكان أهلاً للخِلافة. وهو أحدُ الأئمة الاثنى عشر الذين تُبجِّلهم الشيعةُ الإماميَّة وتقولُ بعصمتِهم وبمعرفتِهم بجميع الدِّين. فلا عصمة إلَّا للملائكة والنبيِّين، وكُلُّ أحدٍ يُصيبُ ويُخطئ، ويُؤخذ من قوله ويُترك سوى النبي ﷺ، فإنه معصوم، مؤيدٌ بالوَحي.

[٣]وشُهِّر أبو جعفر بالباقِر، مِن: بَقر العلمَ، أي شَقَّه فَعرفَ أصلَهُ وخفيَّه. ولقد كان أبو جعفر إماماً، مجتهداً تالياً لكتابِ الله، كبيرَ الشَّأنِ ولكن لا يبلُغ في القرآن درجةَ ابن كثير ونحوه، ولا في الفِقه درجةَ أبي الزناد، وربيعة، ولا في الحِفظ ومعرفةِ السُّنَن درجة قتادَة وابنِ شِهاب، فلا نُحابيه، ولا نَحيفُ عليه. ونحبُّه في الله لما تجمَّع فيهِ من صفات الكمَال.

[٤]قال ابن فضيل: عن سالم بن أبي حفصة: سألت أبا جعفر وابنَه جعفراً عن أبي بكرٍ وعُمرَ، فقالا لي: يا سالمُ، تولَّهُما وابرأ من عدوِّهما، فإنَّهما كانا إمامَيْ هدىً.

[٥]كان سالمٌ فيه تَشَيُّعٌ ظاهر، ومع هذا فيبُثُّ هذا القولَ الحقَّ وإنما يَعرفُ الفضلَ لأهل الفضلِ ذو الفَضل، وكذلك ناقِلُها ابنُ فضيل، شيعي ثقة. فعثَّر الله شيعة

(١) انظر السير: ٤/٤٠١ـ ٤٠٩.

زمانِنا ما أغرقهُم في الجَهل والكذب، فينالون من الشَّيخين وزيري المصطفى ﷺ، ويحملون هذا القول مِن الباقر والصادق على التقيَّة.

[١]وعن عبدالله بن محمد بن عقِيل، قال: كنتُ أنا وأبو جعفر نختلفُ إلى جابر نكتبُ عنه في ألواح، وبلغَنا أن أبا جعفر كان يُصلي في اليوم والليلة مئة وخمسين ركعة.

وقد عدَّهُ النَّسائي وغيرُه في فقهاء التابعين بالمدينة.

[٢]عبد الرحمن بن عبدالله الزُّهريُّ، قال: حَجّ الخليفة هشام، فدخل الحَرَمَ مُتَّكئاً على يَدِ سالمٍ مولاه، ومحمد بن علي بن الحُسين جالس، فقال: يا أمير المؤمنين، هذا محمد بن عليّ. فقال: المَفتُونُ به أهلُ العراق؟ قال: نعم. قال: اذهب إليه فقُل له: يقول لك أميرُ المؤمنين: ما الذي يأكلُ النَّاسُ ويشربون إلى أن يُفصَل بينهم يوم القيامة؟ فقال له محمد: يُحشَرُ الناسُ على مثل قُرصةِ النَّقيِّ[1]، فيها الأنهار مفجَّرة فرأى هشامٌ أنه قد ظَفِر فقال: الله أكبر، اذهب إليه، فقُل له: ما أشغَلَهُمْ عن الأكل والشرب يومئذ، ففعل. فقال قل له: هم في النَّار أشغل، ولَم يُشغَلوا أن قالوا: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ المَاءِ أَو مِمَّا رَزَقَكُمُ الله﴾]الأعراف ٤٩[.

[٣]وعن أبي جعفر، قال: من دخلَ قلبُهُ ما في خالصِ دين الله، شَغله عَمَّا سِواه، ما الدُّنيا، وما عَسى أن تكون،هل هو إلاَّ مركبٌ ركبتَهُ أو ثَوبٌ لِبستَه، أو امرأةٌ أصبتها.

[٤]عن محمد بن عليّ، قال: اذكروا من عَظمة الله ما شئتم، ولا تذكرون مِنهُ شيئاً إلا وهي أعظمُ منه، واذكروا من النَّار ما شئتم، ولا تذكرونَ منها شيئاً إلاَّ وهي أشدُّ منه، واذكروا من الجنة ما شئتم، ولا تذكرون منها شيئاً إلاّ وهي أفضل.

[٥]عن سالم بن أبي حفصة وكان يترفَّض، قال: دخلتُ على أبي جعفر وهو مريض فقال: وأظنُّ قال ذلك من أجلي: اللَّهُمَّ إني أتولَّى وأُحِبُّ أبا بكر وعُمر، اللَّهُمَّ إن كان في نفسي غَيرُ هذا، فلا نالَتني شَفاعةُ محمدٍ - يومَ القيامة ﷺ.

(١) النقي: يعني الخبز الحواري.

[١]عن عبدالملك بن أبي سُليمان: قلتُ لمحمد بن عليّ: ﴿إنَّما وَلِيُّكُم الله وَرَسُولُهُ والّذين آمنُوا﴾ [المائدة ٥٥] قال: هم أصحاب النبيِّ ﷺ. قلتُ: إنَّهم يقولون: هو عليٌّ. قال: عليٌّ منهم.

[٢]شبابَة: أنبأنا بَسَّام: سمعتُ أبا جعفرٍ يقول: كان الحسن والحُسَين يُصلِّيان خلفَ مروان يتبادرانِ الصفَّ، وكان الحُسَينُ يَسُبُّ مروان وهو على المِنبر حتى ينزل. أفتقيَّةٌ هذه؟

[٣]قال سُفيان الثوريّ: اشتكى بعضُ أولادِ محمد بن عليّ، فجزعَ عليه، ثم أُخبِر بمَوته، فسُرِّيَ عنه. فقيل له في ذلك. فقال: ندعو الله فيما نُحِبُّ، فإذا وَقَع ما نكرهُ، لَمَ نُخَالِفِ الله فيما أحبَّ.

[٤]عن عُروة بن عبدالله، قال: سألتُ أبا جعفرٍ محمدَ بنَ عليٍّ عن حلية السيوف، فقال: لا بأسَ به، قد حلَّى أبو بكر الصِّدِّيق سيفه. قلتُ: وتقولُ الصِّدِّيق؟ فَوَثَبَ وَثبةً واستقبلَ القِبلة ثم قال: نَعَم الصِّدِّيق، نَعَم الصِّدِّيق، فمن لم يقُل الصِّدِّيق، فلا صَدَّق الله لَه قَولاً في الدنيا والآخرة.

[٥]عن محمد بن عليّ، قال: ما دَخل قلبَ امرئٍ من الكِبر شَيءٌ إلاّ نقَصَ من عَقلِهِ مقدارُ ذلك.

[٦]وعن أبي جعفر، قال: الصواعِقُ تصيبُ المؤمن وغَير المؤمن، ولا تصيبُ الذاكر.

[٧]وعنه قال: سلاح اللئام قُبح الكلام.

مات أبو جعفر سنة أربع عشرة ومئة بالمدينة.

٢٢٥ قُتيبةُ بنُ مُسلم(١)

[٨]ابن عَمرو الباهلي الأمير أبو حفص، أحدُ الأبطال والشجعان، ومن ذوي الحَزم والدَّهاءِ والرَّأي والغناء، وهو الذي فتح خوارزم وبُخارى وسمرقند، وكانوا قد

(١) انظر السير: ٤/ ٤١٠-٤١١.

نقضُوا وارتدُّوا. ثم إنَّه افتتح فرغانة، وبلاد الترك في سنة خمس وتسعين.

وَلِيَ خراسان عَشر سنين.

[١]ولما بلغهُ موتُ الوليد، نزع الطاعة، فاختلف عليه جيشُه، وقام عليه رئيسُ تميم وكيعُ بنُ حسَّان، وألَّب عليه، ثم شدَّ عليه في عشرةٍ من فرسانِ تميم فقتلوه في ذي الحجة سنة ستٍّ وتسعين، وعاش ثمانياً وأربعين سنة.

[٢]وباهلة قبيلةٌ منحطةٌ بين العرب، قال الشاعر:

ولو قيل للكلب يا باهليّ عوى الكَلبُ مِن لُؤم هذا النَّسب

وقال آخر:

وما ينفعُ الأصلُ مِن هاشمٍ إذا كانتِ النَّفسُ من باهله

[٣]قيل: إن قُتيبة قال لهُبيرة: أيُّ رجل أنتَ لولا أن أخوالَك من سَلُول، فلو بادلتَ بهم، قال: أيُّها الأمير، بادِل بهم من شئت، وجَنبني باهِلةَ. وقيل لأعرابي: أيسرُّك أنك باهليٌّ وتدخلُ الجنة؟ قال:إي والله، بشرط أن لا يَعلَمَ أهلُ الجنةَّ أنِّي باهليٌّ.

[٤]ولقى أعرابي آخرَ فقال: مِمَّن أنت؟ قال: من باهلة، فرثَى له. فقال: أزيدك: إني لست من أنفسهم، بل من مواليهم، فأخذ الأعرابيُّ يقبِّل يديه ويقول: ما ابتلاك الله بهذه الرزيَّة إلاَّ وأنت من أهل الجنة.

[٥]قلتُ: لم ينَل قُتيبةُ أعلى الرُّتب بالنَّسب، بل بكمال الحزم والعزم والإقدام، والسعد وكثرة الفتوحات، ووفُور الهَيبة، ومِن أحفاده الأمير سعيد بن مُسلِم بن قُتيبة الذي ولِيَ أرمينِيَة، والموصل، والسِند، وسِجستان، وكان فارساً جواداً، له أخبارٌ ومناقب، مات زمن المأمون سنة سبع عشرة ومئتين.

٢٢٦ تُبَيْعُ بن عامر (س)[١]

[٦] **الحِمْيريّ، الحَبر، ابن امرأة كعبِ الأحبار، قرأ الكتب، وأسلم في أيام أبي بكرٍ أو عُمرَ.**

(١) انظر السير: ٤/٤١٣-٤١٤.

[١]وعن حُسين بن شُفَي، قال: كنّا عند عبدالله بن عمرو فأقبل تُبيع فقال: أتاكم أعرَفُ مَن عليها. ثم قال له: يا تُبيع أخبِرنا عن الخيرات الثلاث؟ قال: اللسانُ الصدوق، وقلبٌ تقيّ، وامرأة صالحة.

[٢]عَن رشيد بن كَيْسان، قال: كنا برودِس[1] وأميرنا جُنادة بن أبي أميَّة، فكتب إلينا معاوية: إنّه الشتاء فتأهَّبوا، فقال تُبيع ابن امرأة كعب: تقفُلُون إلى كذا وكذا، فأنكروا، حتى قال له صاحِبهُ: ما يسمُّونَكَ إلاَّ الكذَّاب. قال: فإنَّه يأتيهم الإذنُ يومَ كذا، ويأتي ريحُ يومئـذٍ تقلَع هذه البنيَّة. فانتشـر قولُه، وأصبحوا ينتظرون ذلك فأقبلت ريحُ أحاطت بالبنيَّة فقلعتها وتصايح الناس، فإذا قاربٌ في البحر فيه الخَبرُ بموت معاوية وبَيعة يزيد. وأذِنَ لهم في القفول، فأثنوا على تُبَيْع.

تُوفي تُبيع عن عُمرٍ طويل، سنة إحدى ومئة بالاسكندرية.

٢٢٧ الحارث بن هشام (ق)[2]

[٣]أخو أبي جَهل. أسلَمَ يومَ الفتح، وحَسُنَ إسلامُه، وكانَ خَيِّراً، شريفاً، كبير القدر، وهوالذي أجارتهُ أُمُّ هاني. فقال لها النبيُّ ﷺ، «قد أجَرنا مَن أجرَتِ».

أعطاه النبي ﷺ، من غنائم حُنين مئةً من الإبل. استشهد بالشام، وتزوَّج عُمرُ بعدَهُ بامرأته فاطمة.

مات في طاعون عَمَواس سنة ثماني عشرة.

[٤]عن أبي نَوفل بن أبي عَقرب، قال: خرج الحارث بن هشام فجزِع أهلُ مكَّة وخرجوا يُشيِّعونه، فوقف ووقفوا حَوله يبكون، فقال: والله ما خرجتُ رغبةً بنفسي عنكم، ولا اختيارَ بَلدٍ على بلدكم، ولكن هذا الأمر كان، فخرجَت فيهِ رجالٌ من قريش ما كانوا من ذوي أسنانها، ولا في بيوتها وأصبحنا ـ والله ـ لو أنَّ جبال مكة ذهبـاً فأنفقناها في سبيل الله، ما أدركنا يوماً من أيامهم فنلتمسُ أن نُشاركَهم في

(١) رودس: جزيرة مقابل الاسكندرية على ليلة منها في البحر وهي أول بلاد افرنجة.

(٢)انظر السير: ٤/٤١٩-٤٢١.

الآخرة، فاتَّقى الله امرؤٌ. فتوجه غازياً إلى الشام، واتَّبعه ثَقَلُه، فأصيب شهيداً، رضي الله عنه.

٢٢٨ عُروة (ع)(١)

[١]ابن حَواريِّ رسولِ الله ﷺ وابن عَمَّته صفيَّة، **الزُّبير بن العوَّام الإمام، عالمُ المدينة، أبو عبدالله القرشيُّ الأسديُّ، المدنيُّ، الفقيه، أحدُ الفقهاء السبعة.**

وُلِدَ عُروة سنةَ ثلاثٍ وعشرين.

عن قبيصة بن ذُؤيب، قال: كُنَّا في خلافة معاوية وإلى آخرها نجتمع في حلقةٍ بالمسجد، بالليل، أنا ومصُعب وعُروة ابنا الزُّبير، وأبو بكر بن عبدالرحمن وعبدُ الملك بن مروان، وعبدُ الرحمن المِسْوَر، وإبراهيم بن عبدالرحمن بن عَوف، وعُبيد الله بن عبدالله بن عُتبة، وكُنَّا نتفرَّق بالنهار، فكنت أنا أجالسُ زَيد بن ثابت وهو مُتَرَئِّسٌ بالمدينة في القضاء، والفتوى، والقراءة، والفرائض، في عهد عمر، وعثمان، وعليّ. ثم كنتُ أنا وأبو بكر بن عبدالرحمن نجالسُ أبا هريرة، وكان عروةُ يغلِبنا بدُخوله على عائشة.

[٢]عن هشام، عن أبيه، أنه كان يقول لنا ونحن شباب: ما لكم لاتعلَّمون، إن تكونوا صغارَ قوم يُوشِكُ أن تكونوا كبارَ قوم، وما خيرُ الشيخ أن يكون شيخاً وهو جاهل. لقد رأيتُني قبل موت عائشةَ بأربع حِجج وأنا أقول لو ماتت اليوم ما ندمت على حديثٍ عندها إلا وقد وَعيتُه، ولقد كان يبلغني عن الصحابيِّ الحديثُ فآتيه فأجده قد قال، فأجلس على بابه، ثم أسألُه عنه.

[٣]عن هشام، عن أبيه قال: كان يُقال: أزهدُ الناس في عالمٍ أهلُه.

[٤]عن ابن شَوذب، قال: كان عروةُ يقرأ ربع القرآن كُلَّ يوم في المصحف نظراً، ويقوم به الليل، فما تركه إلا ليلةَ قُطعت رجله، وكان وَقَع فيها الآكِلَةُ فنُشِرَت، وكان إذا كان أيَّام الرُّطَب يَثلِمُ حائطَهُ، ثم يأذنُ للناس فيه فيدخلون يأكلون ويحمِلُون.

---

(١) انظر السير: ٤/٤٢١-٤٣٧.

[١] عن هشـام بن عُروة، قال: لـمَّـا اتخذ عُروة قصرَه بالعقِيق[1] قال له الناس: جفَـوتَ مسجـدَ رسـول الله. قال: رأيتُ مسـاجـدهـم لاهيةً، وأسواقَهم لاغِية، والفاحشةَ في فِجاجِهم عاليةً، فكان فيما هنالك ـ عمَّا هم فيه ـ عافية.

وقيل: لمَّا فرغ من بنائه وبئاره[2]، دَعا جماعةً، فطَعِم النَّاس، وجعلوا يُبرِّكون وينصرِفون.

وبئر عروة مشهور بالعقيق، طيِّبُ الماء.

[٢] عن هشام بن عُروةَ، أنَّ أباه خرج إلى الوليد بن عبدالملك، حتى إذا كان بوادي القُرى، وجد في رِجله شيئاً فظهرت به قرْحة، ثم ترقَّى به الوجع. وقدِم على الوليد وهو في مَحمِل، فقال: يا أبا عبدالله اقطعها، قال: دونَك. فدَعا له الطبيب، وقال: اشرب المُرقِد. فلم يفعل، فقطعها من نصف الساق، فما زاد أن يقول: حسِّ، حَسِّ، فقال الوليد: ما رأيت شيخاً قطُّ أصبرَ من هذا. وأصيبَ عُروةُ بابنِه محمد في ذلك السَّفر، ركضتهُ بغلةٌ في إصطبل. لم يُسمَع منه في ذلك كلمة. فلمَّا كان بوادي القُرى قال: ﴿لَقَد لقينا مِن سَفَرنا هذا نَصَباً﴾ [الكهف ٦٢] اللهُمَّ كان لي بنـون سبعـة، فأخذتَ واحداً وأبقيت لي ستَّةً، وكان لي أطرافٌ أربعة، فأخذت طرفاً، وأبقيتَ ثلاثة، ولئِن ابْتَلَيْتَ، لقد عافَيت، ولئِن أخذتَ لقد أبقَيت.

[٣] وعن عبدالله بن عُروة، قال: نظرَ أبي إلى رجلِه في الطَّست، فقال: إنَّ الله يعلم أنِّي ما مَشيتُ بكِ إلى معصية قطُّ وأنا أعلم.

قال الزهريُّ: كان عُروةُ يتألَّف الناس على حديثه.

[٤] عن هشام، أنَّ أباه مات وهو صائم، وجعلوا يقولون له: أفطِر، فلم يُفطِر.

[٥] عن عروة، قال: خطبتُ إلى ابن عُمـرَ بنتـه سَودة، ونحن في الطواف، فلم يجبني بشيء، فلما دخلتُ المدينة بعده، مَضيتُ إليه. فقال: أكنتَ ذكرتَ سَودة؟ قلت: نعَم. قال: إنَك ذكرتها ونحن في الطَّواف يتخايَلُ الله بين أعيننا، أفلكَ فيها

---

(١) العقيق: موضع بناحية المدينة.

(٢) أي حفر اباره.

حاجة؟ قلتُ: أحرص ما كنت، قال: يا غلام، ادعُ عبدالله بن عبدالله، ونافعاً مولى عبدالله، قال: قلتُ له: وبعض آل الزُّبير؟ قال: لا. قلتُ: فمولى خُبَيب؟ قال: ذاك أبعد ثُمَّ قال لهما: هذا عُروة بن أبي عبدالله، وقد علمتما حاله، وقد خطب إليَّ سَودة، وقد زوجتُه إياها، بما جعل الله للمُسلِمَات على المسلمين من إمساك بمعرَوفٍ أو تسريح بإحسان، وعلى أن يستحِلَّها بما يستحلُّ به مِثلها، أقبلتَ يا عُروة؟ قلتُ: نعم. قال: بارك الله لك.

[١]قال أحمد بن عبدالله العِجلي: عُروة بن الزُّبير تابعيٌّ، ثقة، رجل صالح، لم يدخل في شيءٍ من الفتن.

[٢]عن عُروة قال: ما بَرَّ والِدَهُ من شَدَّ الطرف إليه.

[٣]قال ابن خلِّكان: كان أحسَنَ مَن عزَّاه إبراهيمُ بن محمد بن طلحة، فقال: والله ما بك حاجةٌ إلى المَشي ولا أرَبٌ في السَّعي، وقد تقدَّمكَ عُضوٌ من أعضاءك، وابنٌ من أبنائك إلى الجنَّة، والكُلُّ تَبعٌ للبعض إن شاء الله. وقد أبقى الله لنا منك ما كُنا إليه فقراء، مِن عِلمِكَ ورأيِكَ، والله وليُّ ثوابِك والضمينُ بحسابك.

[٤]تُوفي عُروة وهو ابن سبع وستين سنة.

عن هشام بن عُروة، أنَّ أباه كان يصوم الدهر إلا يوم الفطر ويوم النحر، ومات وهو صائم.

[٥]وقال هشام: قال أبي: رُبَّ كلمةِ ذُلٍّ احتملتُها أورثتني عِزّاً طويلاً.

[٦]وقال: ما حدَّثتُ أحداً بشيءٍ من العِلم قطُّ لا يبلغه عقله إلَّا كان ضلالةً عليه.

٢٢٩ خارجةُ بن زَيد (ع)[١]

[٧]ابن ثابت، الفقيه، الإمام ابن الإمام، أحدُ الفقهاءِ السبعة الأعلام، أبو زيد الأنصاري، النَّجَّارِيُّ، المدنيُّ، وجدُّه لأُمِه هو سَعد بن الربيع الأنصاري، أحد النُّقباء السادة.

---

(١) انظر السير: ٤/٤٣٧- ٤٤١.

[١]وروى الواقديّ عن عبدالرحمن بن أبي الزِّناد، عن أبيه، قال: كان الفُقهاء السبعة الذَّين يُسألون بالمدينة ويُنتهى إلى قولهم: سعيد بن المسيِّب، وأبو بكر بن عبدالرحمن، وعُروة، والقاسم، وعُبيد الله بن عبدالله، وخارجة بن زَيد، وسُليمان بن يسار.

[٢]وقال مُصعب بن الزبير: كان خارجةُ بن زَيد، وطلحةُ بن عبدالله بن عَوف في زمانهما يُستفتيان، وينتهي الناسُ إلى قولهما ويقسمِان المواريث بين أهلها من الدُّور والنَّخيل، والأموال، ويكتبان الوثائق للناس.

[٣]الواقدي: حدَّثنا موسى بن نَجِيح عن إبراهيم بن يحيى ـ هو ابن زَيد بن ثابت ـ أنَّ عُمر بن عبدالعزيز كتب أن يُعطىٰ خارجةُ بن زَيد ما قُطع عنه من الديوان، فمشى خارجة إلى أبي بكر بن حَزم، فقال: إني أكره أن يلزَمَ أمير المؤمنين من هذا مقالةٌ، ولي نظراء، فإن عمَّهم أمير المؤمنين بهذا، فعلت، وإن هو خصَّني به، فإنِّي أكره ذلك له. فكتب عُمر: لا يَسعُ المال لذلك، ولو وسعَهُ لفعلتُ.

[٤]ابن إسحاق: حدّثني يحيى بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي عَمرةَ الأنصاريّ، سمعتُ خارجة بن زَيد يقول: رأيتُني ونحن غلمان شباب، زَمَن عثمان، وإنَّ أشدَّنا وثبةً الذي يثِبُ قبر عثمان بنِ مظعون حتى يُجاوزَهُ.

[٥]عن خارجة بن زَيد بن ثابت، قال: رأيتُ في المنام كأنِّي بنيتُ سبعينَ درجةً، فلمَّا فرغتُ منها، تهوَّرت: هذه السنة لي سبعون سنة قد أكملتها. فمات عنها.

[٦]الواقدي: حدّثنا محمد بن بِشر بن حُمَيد، عن أبيه، قال: قال رجاء بن حَيوة: يا أمير المؤمنين، قدِمَ قادمٌ الساعة فأخبرنا أنَّ خارجة بن زَيد مات، فاسترجع عُمرُ وصفَّق بإحدى يديه على الأخرى وقال: ثُلمةٌ واللهِ في الإسلام.

[٧]خارجة بن زَيد، قال: قَتَلَ رجلٌ من الأنصار وهو سكران أنصاريّاً في عهد معاوية، ولَم يكن على ذلك شهادة إلاَّ لطخٌ وشُبهَة، فاجتمع رأيُ الناس على أن يحِلفَ ولاةُ المقتول، ثم يُسلم إليهم فيقتلُوه، فركبنا إلى معاوية، فقَصَصنا عليه القصَّة، فكتب إلى سعيد بن العاص: إن كان ما ذكرنا له حقاً أن يُحلفنا على

القاتل، ثم يُسلمه إلينا، فجئنا بكتِاب معاوية إلى سعيد، فقال: أنا منفذٌ كتابَ أمير المؤمنين فاغدُوا على بَركَةِ الله، فغدونا عليه، فأسلمه إلينا بعد أن حلَفنا خمسين يميناً.

۲۳۰ مجاهد بن جبر (ع)[1]

[١]**الإمام، شيخ القرَّاء والمفسرين، أبو الحجَّاج المَكيّ، الأسود، مَولى السائب بن أبي السائب المَخزومي.**

[٢]رَوى عن ابن عباس، فأكثر وأطاب، وعنه أخذَ القرآن، والتفسير، والفقه.

عن مجاهد، قال: عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، أقِفُه عند كُلِّ آية، أسأله فيمَ نزَلت، وكيف كانَت.

[٣]قال ابن جُريج: لأن أكونَ سمعتُ من مجاهد، فأقول: سمعتُ مجاهداً أحبُّ إليَّ من أهلي ومالي. قلتُ: مع أنه قَلَّما سمع من مجاهد حرفين.

ويقال: سكنَ الكوفة بأخَرَة، وكان كثير الأسفار والتنقُّل.

[٤]عن مجاهد، قال: رُبَّما أخذَ ابنُ عُمر لي بالرِّكاب.

[٥]عن مجاهد، قال: طلبنا هذا العلمَ وما لنا فيه نِيَّةٌ، ثم رزق الله النِّيَّة بعدُ.

[٦]عن مجاهد: بينا أنا أُصلي إذ قام مثلُ الغلام ذاتَ ليلة، فشددتُ عليه لآخذه، فوثب فوقع خلف الحائط حتَّى سمعتُ وجبَته، ثم قال: إنهم يهابُونكم كما تهابونهم من أجل مُلكِ سليمان.

وقال حميد الأعرج: كان مجاهد رحمه الله يُكبِّر من سورة ﴿والضحى﴾[2].

[٧]عن مجاهد: قال: كنتُ في جنازةِ رجل، فسمعتُ رجلاً يقول لامرأةِ الميت: لا تسبقيني بنفسك. قالت: قد سُبِقتَ.

قلتُ: ولمجاهد أقوال وغرائب في العلم والتفسير تُستنكر.

مات مجاهد وهو ساجد سنة ثنتين ومئة.

---

(١) انظر السير: ٤/٤٤٩-٤٥٧.

(٢) اي عند ختم القران.

٢٣١ سَالم بُن عبدِ الله (ع)[1]

[١] ابن أميرِ المؤمنين **عُمرَ** بن الخطَّاب، **الإمامُ الزاهد، الحافظ، مفتي المدينة، أبو عُمرَ، وأبو عبدالله، القرشيّ، العدويّ، المدنيّ، وأمُّه أُمُّ ولد. مولدُه في خلافةِ عثمان.**

[٢] عن ابن المُسيِّب، قال: قال لي ابن عُمر: أتدري لِمَ سميتُ ابني سالماً؟ قلت: لا قال: باسْم سالم مَولى أبي حُذيفة ـ يعني أحدَ السابقين.

[٣] قال يحيى بن بُكير: قِدم جماعةً مِن المِصريين المدينة، فأتوا بابَ سالم بن عبدالله، فسمعوا رغاء بعير فبَينا هم كذلك خرجَ عليهم رجلٌ شديدُ الأدمة، مُتَّزرٌ بكساءِ صوف إلى ثنـدُوتِه، فقالوا له: مولاك داخل؟ قال: من تُريدون؟ قالوا: سالم. قال: فلمّا كلَّمهم، جاء شيءٌ غَيَّر المنظر، قال: من أردتُم؟ قالوا: سالم. قال: ها أنا ذا فما جاء بكم؟

قالوا: أردنا أن نُسائلك قال: سَلُوا عما شئتم. وجلس ويده ملطَّخةٌ بالدَّم والقَيح الذي أصابه من البعير، فسألوه.

[٤] عن مالك، قال: لم يكن أحدٌ في زمان سالم أشبهَ بمن مضَىٰ من الصالحين، في الزهد والفضل والعَيش منه، كان يلبَسُ الثوب بدرهمين.

[٥] قال: فقال سُليمان بن عبدالملك لِسالم ورآه حَسَن السحنة: أيُّ شيء تأكل؟ قال الخُبز والزَّيت، وإذا وجدت اللَّحم، أكلته. فقال لهُ عُمر[2] أو تشتهيه؟ قال: إذا لم أشتهِه تركتُه حتَّى أشتهيَه.

[٦] عن ميمون بن مِهران قال: دخلتُ على ابن عُمر، فقوَّمتُ كُلَّ شيء في بيته، فما وجدتُه يَسوى مئة درهم، ثم دخلتُ مرَّة أخرى، فما وجدتُ ما يَسوى ثمن طَيلسان، ودخلتُ على سالم من بعده، فوجدته على مثل حالِ أبيه.

---

(١) انظر السير: ٤/٤٥٧ـ ٤٦٧.

(٢) كذا الأصل وتاريخ ابن عساكر، ويحتمل أن يكون القائل له هو عمر بن عبدالعزيز، لأنه كان يجلس في مجلس سليمان، وإلا فيكون سقط من الأصل: «يا أبا» فإنها كنية المترجم.

[١]عن العُتبيّ، عن أبيه، قال: دخل سالم على سُليمان بن عبدالملك، وعلى سالم ثيابٌ غليظة رثّة فلم يزل سليمان يُرحِّب به، ويرفعُه حتى أقعده معه على سريره، وعمر بن عبدالعزيز في المجلس، فقال له رجل من أُخريات الناس: ما استطاع خالُكَ أن يلبَسَ ثياباً فاخرةً أحسنَ مِن هذه، يدخل فيها على أمير المؤمنين؟ قال: وعلى المتكلم ثياب سريَّة، لها قيمة، فقال له عُمر: ما رأيتُ هذه الثيابَ التي على خالي وضَعَتهُ في مكانك، ولا رأيتُ ثيابَك هذه رفعتك إلى مكان خالي ذاك.

[٢] عن أشعب، قال: دخلتُ على سالم بن عبدالله فقال: حُمِلَ إلينا هريسةٌ وأنا صائم، فاقعُد كُلْ، قال: فأمْعَنْتُ، فقال: ارفُق فما بقي يُحمَل معك، قال: فرجعت، فقالتِ المرأة: يا مشؤوم بعثَ عبدالله بن عَمرو بن عثمان يطلبُك، وقُلتُ: إنَّك مريض. قال: أحسنتِ، فدخل حمَّاماً وتمرَّج بدُهن وصُفرة، قال: وعصبتُ رأسي، وأخذتُ قصبةً أتوكَّأُ عليها وأتيتهُ، فقال: أشعبُ؟ قلت: نعم، جُعلتُ فداك ما قمت منذ شهرين، قال: وعنده سالم ولم أشعر، فقال: ويحك يا أشعب، وغضب وخرج فقال: عبدالله: ما غضب خالي سالم إلاَّ مِن شيء فاعترفتُ له، فضحك هو وجلساؤه، ووهب لي، فخرجتُ فإذا أشعبُ قد لقي سالماً فقال: ويحَك، ألَم تأكُل عندي الهريسة؟ قلتُ: بلى، فقال: واللهِ لقد شكَّكتني.

[٣] وحكى الأصمعيُّ، أن أشعب مرَّ في طريق، فعبث به الصبيانُ فقال: وَيحَكم، سالمٌ يقسم جوزاً أو تمراً، فَمَرُّوا يعدون فعدا أشعبُ معهم، وقال: ما يُدريني لعله حق.

[٤]عن عطاء بن السائب: دفع الحجَّاج رجُلاً إلى سالم بن عبدالله لِيَقْتُلَهُ، فقال للرجل: أمسلمٌ أنت؟ قال: نَعم. قال: فصلَّيتَ اليوم الصُّبحَ؟ قال: نَعم. فرُدَّ إلى الحجَّاج، فَرمَىٰ بالسيف، وقال: ذكَر أنَّه مُسلم، وأنَّه صلَّى الصُّبح، وإنّ رسول الله ﷺ قال: «مَن صَلَّى الصُّبحَ فَهوَ في ذمَّة الله» فقال: لسنا نقتُلُهُ على صلاة ولكنَّه ممن أعان على قتلِ عثمان، فقال: ها هنا مَن هو أولى بعثمان مني، فبلغ ذلك ابنَ عُمر فقال: مِكيسٌ مكيس.

[١] قال ابن عُيينـة: دخل هشامُ الكعبة فإذا هو بسالم بن عبدالله، فقال: سلني حاجةً، قال: إنِّي استحيي من الله أن أسألَ في بيته غَيره، فلمَّا خرجا قال: الآن فسلني حاجةً. فقال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: من حوائج الدنيا. قال: واللهِ ما سألتُ الدُّنيا من يَملِكُها، فكيف أسألُها مَن لا يملِكُها.

[٢] وكان سالم حسَنَ الخُلق، فرُويَ عن إبراهيم بن عُقبة، قال: كان سالمُ إذا خَلَا، حدَّثنا حديث الفِتيان.

[٣] وعن أبي سَعد قال: كان سالمُ غليظاً كأنَّه حمَّال، وقيل: كان على سَمتِ أبيه في عدم الرفاهية.

٢٣٢ أبو قِلابَة (ع)(١)

[٤] **عبدالله بن زَيد بن عَمرو الإمام، شيخُ الإسلام، أبو قِلابَةَ الجَرْمي البصريّ، وجَرْم بطنٌ من الحافِ بنِ قُضاعة، قدم الشام وانقطع بداريًا.**

[٥] وقـال عليّ بن أبيَ حَمَلَة: قدِمَ علينا مسلمُ بن يسار دمشق، فقلنا له: يا أبا عبدالله، لو علِمَ الله أنَّ بالعراق من هو أفضلُ منك، لجاءنا به، فقال: كيف لو رأيتم عبدالله بنَ زَيد أبا قِلابة الجَرْمي. قال: فما ذهبتِ الأيَّام والليالي حتى قِدم علينا أبو قِلابة.

[٦] عن مسلم بن يسار، قال: لو كان أبو قِلابة من العجم لكان مُوبَذ مُوبَذان ـ يعني قاضي القضاة.

[٧] قال حمَّـاد: سمعتُ أيُّوب ذكـر أبـا قِلابة، فقال: كان واللهِ من الفقهاء ذوي الألباب. إني وجدتُ أعلمَ الناس بالقضاء أشدَّهم منه فِراراً، وأشدَّهم منه فرقاً، وما أدركت بهذا المِصر أعلم بالقضاء من أبي قِلابة.

[٨] عن أيُّوب، قال: لما مات عبدالرحمن بن أذيْنة ـ يعني قاضي البصرة ـ زمن شريح ذُكِرَ أبو قِلابة للقضاء، فهرب حتى أتىٰ اليمامة، قال: فلقِيتُهُ بعد ذلك فقلتُ

---

(١) انظر السير: ٤/٤٦٨ـ٤٧٥. باب

له في ذلك، فقال: ما وجدت مَثل القاضي العالم إلاَّ مَثل رجل وقع في بَحر، فما عسى أن يسبح حتى يغرَقَ.

[١] قال أيُّوب السختياني: رآني أبو قِلابة وقد اشتريتُ تمراً رديئاً، فقال: أما علمتَ أن الله قد نزع من كُلِّ رديءٍ بركتَه.

[٢]وقال أبو قِلابة: ليس شيءٌ أطيبَ من الرُّوح، ما انتُزع من شيء إلا أنتَن.

عن أيُّوب، قال: قال أبو قِلابة: لا تُجالسوا أهلَ الأهواء ولا تُحادثوهم، فإنِّي لا آمَنُ أن يغمروكم في ضلالتهم، أو يُلبِسوا عليكم ما كنتم تَعرفون.

[٣] عن أبي قِلابة، قال: إذا حدَّثتَ الرجل بالسُّنَّة، فقال: دَعنا من هذا، وهاتِ كتابَ الله، فاعلم أنَّه ضالٌّ.

[٤] قلتُ أنا: وإذا رأيتَ المتكلِّم المبتدع يقول: دعنا من الكتاب والأحاديث الآحاد. وهاتِ العَقل فاعلم أنه أبوجَهل، وإذا رأيتَ السَّالك التوحيدي يقول: دَعنا من النَّقل ومن العَقل، وهاتِ الذَّوق والوَجْد، فاعلم أنَّه إبليس قد ظهر بصورة بشر، أو قد حَلَّ فيه، فإن جَبُنت مِنهُ، فاهرُب، وإلاَّ فاصرعهُ وابرُك على صدره واقرأ عليه آية الكُرسي واخنقه.

[٥] عن أيُّوب، قال: دخل عُمر بن عبدالعزيز على أبي قِلابة يعودُه فقال له: يا أبا قِلابة، تشدَّد لا يشمت بنا المنافقون.

[٦] ويُروى أنَّ أبا قِلابة عطِشَ وهو صائم فأكرمَهُ الله لمَّا دعا، بأن أظلَّتْهُ سحابةٌ وأمطرت على جسده، فذهبَ عَطَشه.

[٧]قال سلمة بن واصل: مات أبو قِلابة رحمه الله بالشام، فأوصى بكتبهِ لأيُّوب السِّختيانيّ، فحُملت إليه.

[٨]وقد أخبرني عبدالمؤمن ـ شيخُنا ـ أن أبا قِلابة ممَّن ابتُلي في بَدَنه ودِينِه، أُريدَ على القضاء فهرب إلى الشام فمات بعريض مِصر سنةَ أربع، وقد ذهبت يداهُ ورجلاه وبصَرُه، وهو مع ذلك حامدٌ شاكر.

٢٣٣ عُبيد الله بنُ عبدِ الله بن عُتبة (ع)[1]

[١] **الإمامُ، الفقيه، مُفتي المدينة وعالِمُها، وأحدُ الفقهاء السبعة، أبو عبدالله الهُذلي، المَدنيُّ، الأعمى، وهو أخو المحدِّث عَون. وجَدُّهما عُتبة هو أخو عبدالله بن مَسعود رضي الله عنهما. ولِدَ في خلافة عُمر أو بُعيدها.**

وقال أحمد بن عبدالله العِجلي: كان أعمش، وكان أحدَ فقهاء المدينة ثقة، رجلًا صالحاً، جامعاً للعلم، وهو معلِّم عُمَرَ بن عبدِالعزيز.

[٢] عن الزُّهري، قال: ما جالستُ أحداً من العلماء إلا وأرى أنِّي قد أتيتُ على ما عنده، وقد كنتُ اختلف إلى عُروةَ بن الزُّبير حتى ما كنتُ أسمع منه إلا مُعاداً ما خلا عُبيد الله، فإنّه لم آتِه إلا وجدُت عنده علما طريفاً.

[٣] ورَوى يعقوب بن عبدالرحمن القاريّ، عن أبيه، قال: كُنتُ أسمع عُبيدَ الله بنَ عبدِ الله يقول: ما سمعتُ حديثاً قطُّ فأشاءُ أن أعيَهُ إلا وعَيتُه.

[٤] كتب عُبَيدُ الله بن عبدالله بن عُتبة إلى عُمر بن عبدالعزيز:

بِسم الذَّي أُنزلَت مِن عِندِه السُّوَرُ	والحمدُ لله أمّا بَعدُ يا عُمر
إن كُنتَ تعلَمُ مَا تَأتي وَما تَذَرُ	فَكُنْ علىٰ حَذَرٍ قد يَنفَعُ الحَذرُ
واصبِر على القَدَرِ المَحتُومِ وارضَ بهِ	وإن أتاكَ بما لا تَشتهي القَدَرُ
فما صَفا لامرىءٍ عَيشٌ يُسرُّ بِهِ	إلّا سيَتبَعُ يَوما صَفوَهُ كَدَرُ

[٥] قال مالك: كان ابنُ شهاب يأتي عُبيد الله بنَ عبدالله، وكان مِن العلماء، فكان يُحدِّثه ويستقي هو له الماءَ من البِئر.

[٦] وكان عُبيد الله يُطوِّل الصلاة، ولا يَعْجَلُ عنها لأحد.

مات عبيد الله سنة ثمان وتسعين.

---

(١) انظر السير: ٤/٤٧٥- ٤٧٩.

٢٣٤ الحسن (س)(١)

[١]ابن سبطِ رسـول الله ﷺ، الا يد أبي محمد الحَسن ابن أمير المؤمنين عليّ الهاشميّ، العلويّ، المدنيّ، الإمامُ، أبو محمد.

[٢]عن سُهيل وسعيد مولى المهري، عن حسن بن حسن بن علي أنه رأى رجلاً وقف على البيت الذي فيه قبر النبيِّ ﷺ يدعو له ويُصلِّي عليه، فقال للرجل: لا تفعل فإن رسولَ الله ﷺ قال: «لا تَتَّخذُوا بيتي عِيداً، ولا تَجعَلُوا بُيُوتَكُم قُبوراً، وصَلُّوا عَليَّ حَيثُ كنتم، فإن صَلاَتَكُم تَبلُغني».

هذا مرسـل، ومـا استدَل حسنٌ في فتواه بطائلٍ من الدِّلالة، فمَن وقف عند الحُجْرة المقدسة ذليلاً مُسَلِّماً مصلِّياً على نبيِّه، فيا طُوبى له، فقد أحسَنَ الزِّيارة، وأجمل في التذلُّل والحُبِّ وقد أتىٰ بعبادةٍ زائدة على من صلى عليه في أرضهِ أو في صلاته، إذ الزائرُ له أجرُ الزيارة وأجرُ الصلاة عليه، والمصلِّي عليه في سائر البلاد له أجرُ الصلاة فقط.

فمَن صلَّى عليه واحدةً صلَّى الله عليه عَشراً، ولكنَّ من زارَهُ ـ صلوات الله عليه وأساء أدبَ الزِّيارة أو سجدَ للقبر أو فعل مالا يُشرع، فهذا فعلَ حَسناً وسَيِّئاً فيُعَلَّم برِفقٍ، والله غفــورٌ رحيم، فوالله ما يحصــلُ الانـزعـاج لمسلم، والصِّياح وتقبيلُ الجدران، وكثرةُ البكاء، إلاَّ وهو مُحِبٌّ لله ولرسوله، فحُبُّه المِعيارُ والفارق بين أهلِ الجنَّـة وأهلِ النَّار، فزيارةُ قبرِه من أفضل القُرب، وشدُّ الرِّحال إلى قبور الأنبياء والأولياء، لئن سلَّمنـا أنَّـه غير مأذونٍ فيه لعموم قوله صلوات الله عليه «لا تَشُدُّوا الرِّحال إلَّا إلىٰ ثَلاَثةِ مَساجدَ» فَشدُّ الرحال إلى نَبِيِّنا ﷺ مستلزمٌ لشدِّ الرَّحل إلى مسجده، وذلك مشروعٌ بلا نزاع، إذ لا وصولَ إلى حُجرتِهِ إلَّا بعد الدُّخول إلى مسجده، فليَبدأ بتحيَّة المسجد ثم بتحيَّة صاحب المسجد، رزقنا الله وإياكم ذلك آمين.

[٣]قال الـزُّبير بن بكَّـار: وكـان الحسنُ وليَّ صَدقة عليٍّ رضي الله عنه، قال له

---

(١) انظر السير: ٤/٤٨٣ـ٤٨٧.

الحجَّاج يوماً وهو يسايره في موكبه بالمدينة: أدخِل عمَّك عُمرَ بن عليٍّ معكَ في صَدقة عليّ فإنَّه عَمُّك وبقيَّةُ أهلك، فقال: لا أغيِّرُ شَرط عليّ، قال: إذاً أُدخِلْهُ مَعَك، قال: فسار الحسن إلى عبدالملك بنِ مروان، فرحَّب به ووصله وكتب له كتاباً إلى الحجّاج لا يُجاوِزه.

[١] عن عبدالملك بن عُمير، قال: حدَّثني أبو مصعب أنَّ عبدالملك بنَ مروان كتب إلى هشام بن إسماعيل متولِّي المدينة: بلغني أنَّ الحسن بن الحَسن يكاتب أهل العـراق فاستحضِرهُ. قال: فجيء به فقال له عليُّ بن الحُسين: يا ابن عمّ، قل كلِمات الفَرج: «لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العليُّ العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السمٰوات السَّبعِ، وربُّ الأرضِ ربُّ العَرشِ الكريم» قال: فَخُلّيَ عنه(١).

[٢] فُضيل بن مرزوق: سمعتُ الحسنَ بنَ الحسنِ يقولُ لرجلٍ من الرافضة: إنَّ قتلكَ قُربَةٌ إلى الله، فقال: إنَّك تمزحُ، فقال: والله ما هو منِّي بمُزاح.

[٣] قال مُصعب الزُّبيري: كان فُضيل بن مرزوق يقول: سمعتُ الحسن بن الحسن يقولُ لرجلٍ من الرافضة: أحبُّونا فإن عَصينا الله فأبغضُونا، فلو كان الله نافعاً أحداً بقرابتِهِ من رسول الله ﷺ بغير طاعةٍ لنفعَ أباه وأُمَّه.

[٤] وروىٰ فُضيل بن مرزوق، قال: سمعتُ الحسنَ يقول: دخل عليَّ المغيرةُ بن سعيد ـ يعني الـذي أُحرِق في الزَّندقة فذكر من قرابتي وشَبهي برسول الله ﷺ ـ وكنتُ أُشبَّه وأنا شابٌّ برسول الله ﷺ، ثم لعن أبا بكرٍ وعُمرَ فقلت: يا عدُوّ الله، أعنِدي ثم خنقتُه ـ والله ـ حتى دلعَ لسانُه.

تُوفي الحسن بن الحسن سنة تسع وتسعين.

وقيل: كانت شيعةُ العراق يُمنُّون الحَسن الإمارة مع أنَّه كان يبغضُهم ديانةً.

وكان يصلح للخلافة.

(١) وأخرجه البخاري ١١/١٢٣ في الدعوات باب الدعاء عند الكرب، ومسلم (٢٧٣٠) في الذكر والدعاء باب دعاء الكرب من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم».

٢٣٥ عبدالرحمن بن عائذ (٤)[١]

[١]**الأزدي الثُّمالي، الحمصيّ، من كبارِ علماء التابعين، وبعضهم يظنُّ أنَّ له صُحبة ولا يصحُّ ذلك. وكان ثقةً، طلَّابة للعلم.**

[٢]قيل: إن ابنَ عائذ كان فيمن خرج مع القرَّاء على الحجَّاج يوم الجماجم، فعفا عنه الحجَّاج لجلالته.

[٣]قال بقيَّة: حدثني ثَوْر، قال: أهلُ حِمصَ يأخذون كُتُبَ ابن عائذ، فما وجدوا فيها من الأحكام عمدوا بها على باب المسجد، قناعةً بها ورضىً بحديثه.

[٤]قال بقيَّة: وحدثني أرطاة بن المنذر، قال: اقتسم رجالٌ من الجند كُتُبَ ابن عائذٍ بينهم بالميزان لقناعته فيهم.

[٥]قيل: إن الحجَّاج لما أُتيَ بعبدالرحمن بن عائد قال له الحجّاج: كيف أصبحت؟ قال: لا كما يُريد الله، ولا كما يريد الشيطان، ولا كما أريد، قال: ويحك، ما تقول؟ قال: نعم، يُريدُ الله أن أكونَ عابداً زاهداً وما أنا كذلك، ويريدُ الشيطان أن أكونَ فاسقاً مارقاً وما أنا بذاك، وأُريد أن أكون مُخَلّى في بيتي، آمناً في أهلي وما أنا بذاك، فقال الحجَّاج: أدبٌ عراقيٌّ، ومولدٌ شاميٌّ، وجيرانُنا إذ كُنَّا بالطائف، خَلُّوا عنه.

٢٣٦ عبدالله بن مُحَيْريز (ع)[٢]

[٦]**ابن جُنادة، الإِمامُ، الفقيه، القُدوة الرَّبَّاني، أبو مُحيريز القُرشيّ، الجُمَحيّ، المكّيّ.**

وكان من العلماء العاملين ومن سادة التابعين.

[٧]قال الأوزاعي: كان ابنُ أبي زكريّا يقدم فِلسطين، فيلقى ابنَ محيريز، فتتقاصرُ إليه نفسُه لِمَا يَرى من فضل ابنِ مُحيريز.

---

(١) انظر السير: ٤/٤٨٧-٤٨٩.

(٢) انظر السير: ٤/٤٩٤-٤٩٦

[١]قال عَمرو بن عبدالرحمن بن مُحيريز: كان جدِّي يخَتِمُ في كُلِّ جُمعة، وربَّما فَرَشنا له فلم يَنم عليه.

[٢]وقال رجاء بنُ حَيْوة: إن يَفخَرْ علينا أهلُ المدينة بعابدِهم ابنِ عُمَر، فإنَّا نفخرُ عليهم بعابِدنا ابنِ مُحيريز.

[٣]قال: وكان ابنُ مُحيريز صموتاً، معتزلاً في بيته.

[٤]وقيل: كان ابنُ مُحيريز من أحرص شيءٍ أن يكتُم من نفسه أحسنَ ما عنده.

[٥]وقيل: إنَّه رأىٰ على خالد بن يزيد بن معاوية جُبَّة خزٍّ، فقال: أتلبسُ الخزّ؟ قال: إنَّما ألبَسُ لهؤلاء وأشار إلى الخليفة، فغضب، وقال: ما ينبغي أن يعدلَ خوفك من الله بأحَدٍ من خَلقه.

[٦]وعن الأوزاعي، قال: من كان مقتدياً، فليقتدِ بمثلِ ابنِ مُحيريز، إنَّ الله لم يكن ليُضِلَّ أُمَّةً فيها ابنُ مُحيريز.

[٧]قال يحيى السَّيباني: قال لنا ابن مُحيريز: إنِّي أحدثكم، فلا تقولوا: حدَّثنا ابنُ مُحيريز، إني أخشى أن يَصرعَني ذلك القَول مصرعاً يسوءُني.

[٨]وقال عبدالواحد بن موسى: سمعتُ ابن مُحَيَريز يقول: اللهُمَّ إني أسألُك ذِكراً خاملاً.

[٩]وعن رجاء بن حَيوةَ، قال: بقاءُ ابنِ مُحيريز، أمان للنَّاس. مات في دَولة الوليد.

٢٣٧ موسى بن نصير(١)

[١٠]**الأميرُ الكبير، أبو عبدالرحمن اللَّخمي، متولِّي إقليم المغرب، وفاتحُ الأندلس.**

قيل: كان مولى امرأةٍ من لخم، وقيل: ولاؤه لبني أُميَّة. وكان أعرجَ مهيباً، ذا رَأي وحزم.

[١١]وَلِيَ غَزو البَحر لمعاوية، فغزا قُبرسَ، وبنى هناك حصوناً، وقد استعَمل على

(١) انظر السير: ٤/٤٩٦- ٥٠٠.

أقصى المغرب مَولاه طارقاً، فبادر وافتتح الأندلس، ولحِقَهُ موسى فتمَّم فتحها، وجرت له عجائبُ هائلة، وعَمل مع الرُّوم مَصَافّاً مشهوداً.

[١] ولما همَّ المسلمون بالهزيمة كَشف موسى سُرادقه عن بناته وحُرَمِه، وبرزَ ورفع يديه بالدُّعاء والتضرُّع والبُكاء، فكُسرَت بين يديه جفون السُّيوف وصدقوا اللقاء، ونزل النَّصر، وغنِموا ما لا يُعبَّر عنه، مِن ذلك مائدة سليمان عليه السلام مِن ذهب وجواهر، وقيل: ظفر بستَّةَ عشَر قمقماً عليها خَتم سُليمان ففتح أربعة ونقب منها واحداً فإذا شيطانٌ يقول: يا نَبيَّ الله لا أعودُ أُفسِدُ الأرض. ثم نظر فقال: والله ما أرى سُليمان ولا مُلكه، وذهب، فطُمِرتِ البواقي.

[٢]وقال اللَّيث: بعث موسى ابنه مروان على الجيش، فأصاب من السَّبي مئة ألف، وبعث ابنَ أخيه فسبىٰ أيضاً مئة ألف من البربر، ودلَّه رجل على كنزٍ بالأندلس، فنزعوا بابَهُ فسالَ عليهم من الياقوت والزَّبرجَد ما بَهرَهم. قال اللَّيث: إن كانت الطِّنفسة لتوجدُ منسوجةُ بالذَّهب واللؤلؤ والياقوت لا يستطيع اثنانِ حَملها فيقسمانها بالفأس.

[٣]وقيل: لمَّا دخل موسى افريقيةَ وجد غالب مدائنها خاليةً لاختلافِ أيدي البَربَر، وكان القحط، فأمر النَّاس بالصَّلاة والصَّوم والصَّلاح، وبرزَ بهم إلى الصحراء ومعه سائر الحيوانات ففرَّق بينها وبينَ أولادِها، فوقع البكاء والضجيج، وبقيَ إلى الظُّهر، ثُمَّ صلَّى وخطب، فما ذكر الوليد، فقيل له: ألا تدعُو لأمير المؤمنين؟ قال: هذا مقامٌ لا يُدعىٰ فيه إلَّا لله، فَسُقُوا وأُغيثوا.

[٤]ولمَّا تمادى في سَيره في الأندلس، أتى أرضاً تميدُ بأهلها، فقال عَسكَرُه: إلى أينَ تُريد أن تذهبَ بنا؟ حَسبُنا ما بأيدينا، فقال: لو أطعتموني لوصلتُ إلى القسطنطينية، ثم رجع إلى المغرب وهو راكب على بغلة وهو يجرُّ الدُّنيا بين يديه، أمَرَ بالعَجَلِ تجرُّ أوقار الذهب والحرير، واستخلفَ ابنه بإفريقية، وأخذ معه مئة من كُبراء البَربَر، ومئة وعشرين من الملوك وأولادِهم، فقدم مصر في هيئة ما سُمع بمثلها، فوصل العلماء والأشراف، وسار إلى الشام، فبلغَهُ مرضُ الوليد، وكتب إليه

سُليمان يأمُرُه بالتوقُّف، فما سَمِعَ منه، فآلى سُليمانُ إن ظَفرَ به ليصلبَنَّه. وقدِم قبل موت الوليد، فأخذ مالا يُحدُّ من النَّفائس، ووضع باقِيه في بيت المال، وقُوِّمت المائدة بمئة ألفِ دينار.

ووَلِيَ سليمان فأهانه، ووُقِّف في الحَرّ ـ وكان سمينا ـ حتى غُشِيَ عليه. وبقي عُمرُ بن عبدالعزيز يتألَّم له، فقال سُليمان: يا أبا حفص ما أظنُّ إلَّا أنّني خَرجتُ مِن يميني.

وضَمّه يزيد بن المهلَّب إليه، ثم فَدى نفسه ببذل ألفِ ألفِ دينار، وقيل له: أنت في خَلقٍ من مواليد وجُندك، أفلاَ أقمتَ في مَقَرِّ عِزكَ، وبعثت بالتقادُم، قال: لو أردتُ، لصار، ولكن آثرت الله ولَم أر الخروج، فقال له يزيد: وكلُّنا ذاك الرجُل ـ أراد بهذا قُدومَه على الحجَّاج.

[١]وقال له سليمان يوماً ما كنتَ تفزَعُ إليه عند الحرب؟ قال الدُّعاءُ والصَّبر، قال: فأي الخَيل رأيتَ أصبر؟ قال: الشُقرُ قال: فأيُّ الأُمَم أشدُّ قتالاً؟ قال: هم أكثرُ من أن أصف، قال: فأخبرني عن الرُّوم، قال: أُسْدٌ في حصونهم عِقبانٌ على خُيولهم، نساءٌ في مراكبهم، إن رأَوا فُرصةً انتهزوها، وإن رأَوا غَلبةً، فأَوعالٌ تذهبُ في الجبال، لا يرونَ الهزيمة عاراً. قال: فالبربَر؟ قال: هم أشبه العُجم بالعُرب لقاءً ونجدةً وصبراً وفُروسيَّةً، غير أنَّهم أغدرُ الناس. قال: فأهلُ الأندلس؟ قال: ملوكٌ مُترفون، وفُرسانٌ لا يجبنُون، قال: فالفِرنْجُ؟ قال: هناك العدد والجَلد والشِّدَّة والبأس، قال: فكيف كانت الحرب بينك وبينهم؟ قال: أمَّا هذا فوالله ما هُزِمت لي رايةٌقطُّ، ولا بُدِّد لي جَمعٌ، ولا نُكِبَ المسلمون معي منذ اقتحمتُ الأربعين إلى أن بلغت الثمانين، ولقد بعثتُ إلى الوليد بتَور زَبَرجَد كان يُجعل فيه اللَّبنُ حتَّى تُرىٰ فيه الشَّعرةُ البيضاء. ثمَّ أخذ يُعدِّد ما أصابَ من الجَوهَر والزَّبرجَد حتَّى تحَيَّر سُليمان.

[٢]قيل: إنه قال مرَّة: والله لو انقاد الناسُ لي، لقُدتهم حتَّى أُوقفهم على رُومِية، ثم ليفتَحنَّها الله على يدي.

وقد حجَّ موسى مع سليمان فمات بالمدينة.

[١] وقال مرَّة: يا أمير المؤمنين، لقد كانت الألفُ شاة تُباع بمئة درهم، وتُباع الناقة بعشـرة دراهم، وتَمُرُّ الناسُ بالبقر، فلا يلتفتون إليها، ولقد رأيتُ العِلج الشاطِر وزوجته وأولادَه يُباعون بخمسين درهما.

وكان فتحُ إقليم الأندلس في رَمضان سنة اثنتين وتسعين على يده.

٢٣٨ طارق(١)

[٢] مولى موسى بن نُصير، وكان أميراً على طَنجة بأقصى المَغرب، فبلغه اختلافُ الفرنج واقتتالُهم، وكَاتَبَهُ صاحبُ الجزيرة الخَضراء ليَمُدَّه على عدوه، فبادر طارقٌ وعدَّى في جُندِه، وهزم الفِرَنْجَ، وافتتح قُرطبة وقتلَ صاحبها لُذريق، وكتب بالنَّصر إلى مولاه، فحسدَهُ على الانفراد بهذا الفتحِ العظيم، وتوعَّده، وأمَرَهُ أن لا يتجاوزَ مكانَه، وأسرعَ موسى بجيوشه، فتلقَّاه طارق وقال: إنما أنا مَولاك، وهذا الفتحُ لك، فأقام موسى بنُ نُصَير بالأندلس سنتين يغزو ويَغنم وقبضَ على طارق، وأساء إليه، ثمَّ استخلفَ على الأنـدلس ولـدَه عبدالعزيز بن موسى، وكان جندُه عامَّتهم من البَربَر، فيهم شجاعةٌ مُفرطةٌ وإقدام.

[٣] وله فتوحاتٌ عظيمةٌ جِدّاً بالمغرب، كما كان لقُتيبة بن مسلم بالمشرق ـ في هذا الوقت ـ فتوحاتٌ لم يُسمع بمثلها.

[٤] وفي هذه المُدَّة وبعدها كانَت غزوة القُسطنطينيَّة في البرِّ والبحر، ودام الحِصار نَحـوا من سنـة، وكـان عَلمُ الجهادِ في أطرافِ البلاد منشوراً، والدِّينُ منصوراً، والدولة عظيمة، والكلمةُ واحدة.

قال سعيد بن عبدالعزيز: أخبرني رجل أنَّ سليمان همَّ بالإقامة ببيت المقدس، وقدِمَ عليه موسى بن نُصير وأخوه مَسلَمة، فجاءَه الخبر أنَّ الرُّوم طَلعُوا مِن ساحل حمص، وسَبوا جماعة فيهم امرأةٌ لها ذِكر، فغضب سُليمان وقال: ما هو إلَّا هذا،

---

(١) انظر السير: ٤/ ٥٠٠ـ ٥٠٢.

نغزوهم ويغزونا، والله لأغْزُونَّهم غَزوةً أفتحُ فيها القُسطنطينيَّة أوِ أموت. ثم التفتَ إلى مَسلمــة وإلى موسى بن نُصير، فقــال: أشيرا عليَّ، فقــال موسى: يا أميرَ المؤمنين، إن أردت ذلك، فسِرْ سيرة الصحابة فيما فتحوه كُلَّما فتحوا مدينة اتخذوها داراً، وحازوها للإسلام، فابدأ بالدُّروب وافتَح حُصونها حتَّى تبلغ القُسطنطينية، فإنَّهم سيعطون بأيديهم، فقال لمَسلَمة: ما تقول أنت؟ قال: هذا الرأيُ إن طال عُمرٌ إليه، أو كان الذي يأتي على رأيك ويريد ذلك، خمس عشرة سنة، ولكني أرى أن تُغزيَ المسلمين برّاً وبحراً القُسطنطينية، فيحاصرونها، فإنَّهم ما دامَ عليهم البلاءُ أعطوا الجِزية، أو أُخِذت عنوةً، فمتى وقع ذلك، كان ما دونها من الحصون بيدك، قال: هذا الرَّأي.

فأغزى أهلَ الشام، والجزيرة في البرّ في نحوٍ من عشرين ومئةألف، وأغزى أهل مِصرَ والمغربِ في البَحر في ألف مركب عليهم عُمر بن هُبيرة، وعلى الكُلِّ مَسلمة ابن عبدالملك.

قال الوليدُ بن مُسلم: فأخبرني غيرُ واحدٍ أن سُليمان أخرج لهم العطاء، وبيَّن لهم غَزوتَهمُ وطُولَها، ثم قدِم دِمشقَ وصلَّى الجُمعة، ثم عاد إلى المِنبر، وأخبرهم بيمينـه مِن حصاره القُسطنطينيَّة، فانفِروا على بركة الله، وعليكم بتقوى الله، ثم الصَّبـرَ الصَّبـرَ. وسار حتى نزل بدابِق(1)، وسار مَسلَمةُ وأخذ معه أليون الرُّوميُّ المرعشيُّ ليَدُلَّهُ على الطريق والعُوار، وأخذ ميثاقه على المناصحة إلى أن عَبروا الخليج، وحاصروا قُسطنطينيَّة إلى أن برَّح بهم الحِصار، وعرض أهلُها الفدية، فأبى مَسلمةُ إلَّا أن يفتحها عَنوةً، قالوا: فابعث إلينا ألْيُون، فإنَّه منَّا ويفهمُ كلامنا فبعثـه، فغدر وقال: إن ملَّكتُموني أمِنتمُ، فَمَلَّكوه، فخرج وقال: قد أجابوني أن يفتحوها، لكن لا يفتحونها حتى تتنحَّى عنهم، قال: أخشى غدرَك، فحلف له أن يدفع إليه كُلَّ ما فيها من سَبيٍ ومالٍ. فانتقل مَسلَمةُ ودخل ألْيُون لعنه الله فلَبس

(1) دابق: قرية قرب حلب.

التَّاج، وأمر بنقل العُلوفات من خارج فملأوا الأهراء[1]، وجاء الصَّريخ إلى مَسلمة، فكبَّر بالجيش فأدرك شيئاً من العُلُوفات، فغلَّقوا الأبواب دونه، فبعث إلى أليون: يُناشده عَهدَه، فأرسل إليه أليون يقول: مُلك الرُّوم لا يُباع بالوفاء. ونزل مَسلَمة بفنائها ثلاثين شهراً حتَّى أكل الناسُ في المعسكر المَيْتة والعَذِرة من الجُوع، هذا وفي وَسط المعسكر عُرمةُ حنطةٍ مثل الجبل يغبطون بها الرُّوم.

قال محمد بن زياد الألهاني: غَزونا القُسطنطينيَّة، فجُعنا حتى هَلَكَ ناسٌ كثير، فإن كان الرجل يخرجُ إلى قضاء الحاجة والآخر ينظر إليه، فإذا قام، أقبل ذاك على رجيعِه فأكَلَه، وإن كان الرجلُ لِيَذهبُ إلى الحاجة، فيؤخَذُ ويُذبح ويُؤكل، وإنَّ الأهراء من الطعام كالتلال لا نصِلُ إليها نكايدُ بها أهلَ القُسطنطينيَّة.

فلما استُخلف عُمر بن عبدالعزيز، أذنَ لهم في الترحُّل عنها.

٢٣٩ يزيد بن المُهلَّب[2]

[١] **ابن أبي صُفرة، الأمير، أبو خالد الأزديُّ. وَلِيَ المَشرق بعد أبيه، ثم وَلِيَ البصرة لِسُليمانَ بنِ عبدِالملك، ثم عزله عُمرُ بن عبدالعزيز بِعديٍّ بن أرطاة وطلبه عُمرُ وسجنه.**

[٢] مَولدُه زمن معاوية سنة ثلاث وخمسين، وكان الحجَّاج قد عزله وعذَّبه، فسأله أن يخفِّف عنه الضَرب على أن يُعطيَهُ كُلَّ يومٍ مئة ألفِ درهم. فقصده الأخطل ومدَحَهُ فأعطاه مئة ألف، فعجِب الحجَّاج مِن جوده في تلك الحال وعفا عنه. واعتقله، ثم هرب من حَبسه.

[٣] وله أخبار في السَّخاء والشَّجاعة، وكان الحجَّاج مُزَوَّجاً بأُخته، وكان يدعو: اللَّهمَّ إن كان آل المُهلبِ بُرآء، فلا تسلِّطني عليهم، ونَجِّهم.

[٤] وحكى المدائني أن يزيد بن المُهلب كان يَصِلُ نديماً له كُلَّ يومٍ بمئة دينار،

---

(١) مفردها هُرْي: وهو بيت ضخم يجمع فيه طعام السلطان.

(٢) انظر السير: ٤/٥٠٣-٥٠٦.

فلما عزَم على السَّفر، أعطاه ثلاثة آلاف دينار.

قلتُ: ملوكُ دَهرِنا أكرم فأولئك كانوا للفاضِل والشاعر وهؤلاء يعطون من لا يفهم شيئاً ولا فيه نجدة، أكثرَ من عطاء المتقدمين.

[١] وعنه، قال: مَن عُرِفَ بالصِّدق، جاز كذبهُ، ومن عُرِف بالكَذِب لم يجُز صدقه.

[٢] وقيل: إنَّه حَجَّ، فلما حلق رأسَهُ الحلاق، أعطاه ألف درهم، فدُهِشَ بها، وقال: أمضي أُبَشِّرُ أُمِّي، قال: أعطوه ألفاً أخرى، فقال: امرأتي طالق إن حلقتُ لأحد بعدك، قال: اعطُوه ألفين آخرين.

[٣] غزا يزيد طَبَرَسْتان، وهزم الإصبَهبذَ[1] ثم صالحهم على سبع مئة ألف وعلى أربع مئة حِمل زَعفران. ثم نكث أهل جُرجان فحاصرهم مُدَّة، وافتتحها عَنوةً، فصلب منهم مسافة فرسخَين، وأسرَ اثني عشر ألفاً، ثم ضرب أعناقهم على نَهر جُرجان حتَّى دارت الطَّاحون بدمائهم.

[٤] وكان ذا تيهٍ وكِبر، رآه مُطَرِّف بن الشِّخِّير يَسحَب حُلَّته، فقال له: إنَّ هذه مِشيةٌ يبُغِضها الله، قال: أوَمَا تعرفُني؟ قال: بَلىٰ، أَوَّلُكَ نُطفة مَذِرة، وآخِرُكَ جيفةٌ قذِرة، وأنت بين ذلك تحمل العَذِرة.

[٥] وعنه، قال: الحياةُ أحبُّ إليَّ من المَوت، وحُسن الثناءِ أحبُّ إليَّ من الحياة.

[٦] وقيل له: ألا تُنشِيءُ لك داراً؟ قال: لا إن كنتُ مُتَولِّياً فدارُ الإمارة، وإن كنتُ معزولاً فالسجن.

[٧] قلتُ: هكذا هو، وإن كان غازياً فالسَّرجُ، وإن كان حاجّاً فالكُور[2]، وإن كان ميتاً فالقبر، فهَل مِن عامرٍ لدار مَقرِّه. ثم إنَّ يزيد بن المُهلَّب، لما استُخلِفَ يزيد بن عبدالملك غلب على البصرة، وتسمَّى بالقحطاني، فسار لحربِه مَسلَمةُ بن عبدالملك، فالتقوا، فقتل يزيد في سنة اثنتين ومئة.

[٨] قال شعبة بن الحجَّاج: سمعتُ الحسنَ البصريّ يقول في فتنةِ يزيد بن المُهلَّب: هذا عدوُّ الله يزيد بن المهلب، كُلَّما نَعَق بهم ناعقٌ اتَّبعوه.

---

(١) الإصبهذ: الأمير، وهو منقول عن الفارسية: (اسبه) جيش، و (بذ) رئيس.

(٢) الكور: الرَّحْل.

[١]قلتُ: قُتِلَ عن تسع وأربعين سنة، ولقد قاتل قتالاً عظيماً، وتفلّلت جُموعه، فما زال يحمِلُ بنفسه في الألوف، لا لِجهاد بَل شجاعةً وحَميَّةً، حتَّى ذاق حِمامَهُ. نعوذُ بالله من هذه القِتلة الجاهلية.

٢٤٠ حفصة بنت سيرين(١)

[٢]**أُمُّ الهذيل، الفقيهةُ، الأنصاريَّة.**

رُوِيَ عن إياس بنِ معاوية، قال: ما أدركتُ أحداً أُفضِّله عليها. وقال: قَرَأَتِ القرآن وهي بنت ثِنتي عَشرة سنة، وعاشَت سبعين سنة، فذكروا له الحَسن وابنَ سيرين فقال: أمَّا أنا فما أُفضِّلُ عليها أحداً.

[٣]وقال مهديُّ بن مَيمُون: مكثَت حفصةُ بن سيرين ثلاثين سنةً لاتخرجُ من مُصَلَّاها إلَّا لقائلةٍ أو قضاء حاجة.

قلتُ: تُوفِّيت بعد المئة.

٢٤١ مُعـاذة (ع)(٢)

[٤] **بنتُ عبدالله، السيِّدةُ العالمة، أُمُّ الصَّهباءِ العدويَّة البصريَّة العابدة، زوجةُ السيِّد القدوة صِلَةِ بنِ أشيمَ.**

[٥] بلغنا أنَّها كانَت تُحيي اللَّيل عبادةً، وتقول: عَجِبتُ لِعَينٍ تنام، وقد علمت طول الرُّقاد في ظُلَم القبور.

[٦] ولما استُشهد زوجها صِلَة وابنها في بعض الحروب، اجتمع النساءُ عندها، فقالت: مرحباً بكُنّ إن كُنتُنَّ جئتُنَّ للهَناء، وإن كنتُنَّ جئتُنَّ لغير ذلك فارجعنَ.

[٧] وكانت تقول: والله ما أُحِبُّ البقاء إلَّا لأتقربَّ إلى رَبِّي بالوسائل، لعلَّه يُجمعُ بيني وبين أبي الشَّعثاء وابنه في الجنة. وفاتها في سنة ثلاثٍ وثمانين.

---

(١) انظر السير: ٤/٥٠٧.

(٢) انظر السير: ٤/٥٠٨-٥٠٩.

٢٤٢ مسلم بن يَسار (د، س، ق)[1]

[١] القدوة، الفقيه، الزاهدُ، أبو عبدالله البصري مولى بني أُميَّة.

عن العلاء بن زياد أنَّه كان يقول: لو كنتُ متمنياً، لَتَمَّنيتُ فقهَ الحَسن، وورعَ ابن سيرين، وصوابَ مُطرِّف، وصلاةَ مسلمِ بنِ يَسار.

[٢] عن عبد الله بن مُسلم بن يَسار: إنَّ أباه كانَ إذا صلَّى كأنَّه وَدٌّ[2] لا يميلُ لا هكذا ولا هكذا.

[٣] وقال غَيلان بن جرير: كان مسلم بن يَسار إذا صلَّى كأنَّه ثوبٌ مُلَقىٰ. وقال ابن شَوذب: كان مسلم بن يَسار يقولُ لأهلِه إذا دخل في الصلاة: تحدَّثوا فلستُ أسمعُ حديثكم.

[٤] ورُوي أنَّه وقع حريق في دارِه وأُطفىء، فلمَّا ذُكِر ذلك لهُ قال: ما شعرتُ.

[٥] عن معاوية بن قُرّة، قال: كان مُسلم بنُ يَسار يَحُجُّ كُلَّ سنةٍ ويُحَجِّج معه رجالاً من إخوانه، تعوَّدوا ذلك، فأبطأ عاماً حتَّى فاتت أيامُ الحجِّ، فقال لأصحابه: اخرجوا، فقالوا: كيف؟ قال: لابُدّ أن تخرجوا، ففعلوا استحياءً منه فأصابهم حينَ جَنَّ عليهم اللَّيل إعصارٌ شديد حتَّى كاد لا يرىٰ بعضهُم بعضاً، فأصبحوا وهُم ينظرون إلى جبال تِهامة، فحمدوا الله، فقال: ما تعجبُون من هذا في قدرة الله تعالى.

[٦] قال قتادة: قال مسلم بن يَسار في الكلام في القَدر: هما واديان عميقان، يسلكُ فيهما النَّاس، لَن يُدركَ غورهما فاعمل عملَ رجلٍ تعلمُ أنَّه لن يُنجيَك إلا عملُك، وتوكل توكُّل رجلٍ تعلم أنَّه لا يصيبُك إلاّ ما كتب الله لك.

[٧] قال ابن عون: لمَّا وقعت الفِتنةُ زمنَ ابنِ الأشعث، خفَّ مسلم فيها، وأبطأ الحسن، فارتفع الحَسن، واتَّضع مسلم.

قلتُ: إنَّما يُعتبر ذلك في الآخرة، فقد يرتفعانِ معاً.

(١) انظر السير: ٤/ ٥١٠ـ ٥١٤.

(٢) والود: الوتد.

[١] قال أيُّوب السِّختياني: قيل لابن الأشعث: إن أردت أن يُقتلُوا حَولك كما قُتِلوا يومَ الجمل حولَ جَمَلِ عائشة فأخرج معك مُسلم بن يسَار، فأخرَجه مكرَهاً.

[٢] عن أبي قِلابة: قال لي مسلم بن يَسار: إني أحمدُ الله إليك، أنِّي لم أرمِ بسهم ولم أضرب فيها بسيف، قلتُ له: فكيف بمن رآك بين الصَّفَّين فقال: هذا مسلم ابن يَسار لن يقاتل إلاَّ على حق، فقاتلَ حتى قُتل؟ فبكى واللهِ حتى وددتُ أن الأرض انشقَّت فدخلتُ فيها.

[٣] قال أيُّوب السِّختياني: وفي القُرَّاء الذين خرجوا مع ابن الأشعث، لا أعلم أحداً منهم قُتِل، إلا رُغب له عن مَصرعه أو نجا إلا نَدِم على ما كان مِنه.

[٤] قال سفيان بن عُيينـة: إنَّ الحَسن البَصـري لمـا مات مُسلم بن يَسـار قال: وامُعَلِّماه. مات سنة مئة.

٢٤٣ إبراهيم النَّخَعي (ع)(١)

[٥] **الإمامُ الحافظُ، فقيه العراق، أبو عِمران، إبراهيم بن يزيد بن قيس ابن الأسود النَّخعي، اليَمانيّ ثم الكوفي، أحدُ الأعلام.**

وكان بصيراً بعلم ابن مسعود، واسِعَ الرِّواية، فقيهَ النَّفس، كبير الشأن، كثيرَ المَحَاسن، رحمه الله تعالى.

قال أحمد بن عبدالله العِجلي: لم يحدِّث عن أحدٍ من أصحاب النبي ﷺ، وقد أدرك منهم جماعةً ورأى عائشة.

وكان مفتي أهل الكوفة هو والشَّعبي في زمانهما، وكان رجلاً صالحاً، فقيهاً، متوقياً، قليلَ التَّكلُّف.

عن الأعمش، قال: كان إبراهيم صَيرفيَّ الحديث.

[٦] شُعَيب بن الحَبحَاب، حدَّثتني هُنَيدة امرأة إبراهيم، أنَّ إبراهيم كانَ يصوم يوماً ويُفطِر يوماً.

---

(١) انظر السير: ٤/ ٥٢٠- ٥٢٩.

[١] عن حمَّاد، قال: بَشَّرتُ إبراهيم بِموت الحجَّاج، فسجد، ورأيته يبكي من الفرح.

[٢] عن أبي مَعشَر، عن النَّخَعي، أنَّه كان يدخلُ على عائشة فيرى عليها ثياباً حِبَراً، فقال أيُّوب: وكيف كان يدخل عليها. قال: كان يخرجُ معَ عمِّه وخاله حاجّاً وهو غلام قبل أن يحتلِمَ، وكان بينهم ودٌّ وإخاء، وكان بينهما وبين عائشة ودٌّ وإخاء.

[٣] قيل لإبـراهيم: قتل الحجَّاج سعيد بن جُبير، قال: يرحمه الله، ما تُرِك بعَدهُ خَلَفٌ، قال: فسمع بذلك الشعبيُّ فقال: هو بالأمس يعيُبه بخروجه على الحجَّاج، ويقولُ اليومَ هذا؟ فلما مات إبراهيم، قال الشَّعبي: ما تُرِكَ بَعدَهُ خَلَفٌ.

[٤] قال إبراهيم: تكلمتُ، ولو وجَدتُ بُدّاً، لم أتكلَّم، وإنَّ زماناً أكونُ فيه فقيهاً لزمانُ سُوء.

مات سنة ستٍّ وتسعين.

[٥] وقيل: إنَّ إبراهيم لما احتُضِر، جَزَع جَزعاً شديداً، فقيل له في ذلك، فقال: وأيُّ خَطَرٍ أعظمُ ممَّا أنا فيه، أتوقَّع رسولاً يردُ عليَّ مِن رَبي إمَّا بالجنَّة وإمَّا بالنَّار، والله لوددتُ أنَّها تَلَجْلَجُ في حَلقي إلى يوم القيامة.

[٦] قال مُغيرة: كان إبراهيم إذا طلبه إنسانٌ لا يُحبُّ لقاءه خرجت الجاريةُ، فقالت: اطلُبُوه في المسجد.

[٧] عن إبراهيم، قال: أتىَ رجلٌ، فقال: إني ذكرتُ رجلاً بشيءٍ فبلغه عني، فكيف أعتذرُ إليه؟ قال: تقول: واللهِ إنَّ الله ليعلمُ ما قلتُ من ذلك من شيء.

٢٤٤ بكر بن عبدالله (ع)(١)

[٨] **ابن عمرو، الإمام، القدوة، الواعظ، الحُجَّة، أبو عبدالله المُزَنيُّ، البصريُّ، أحَدُ الأعلام، يُذكر مع الحسن وابن سيرين.**

[٩] وقال عبدالله بن بكر: أخبرتَني أُختي قالت: كان أبوكَ قد جعل على نفسه أن لا

(١) انظر السير: ٤/٥٣٢ـ٥٣٦.

يسمع رجُلين يتنازعان في القدر إلَّا قام فصلَّى ركعتين. قلتُ: هذا يَدَلُّ على أنَّ البَصرة كانَت تغلي في ذلك الوقت بالقَدَر، وإلَّا فلو جعل الفقيهُ اليومَ على نفسه ذلك لأوشَكَ أن يبقى السَّنة والسَّنتين لا يسمعُ متنازعَيْن في القدر ولله الحمد، ولا يتظاهر أحدٌ بالشّام ومِصر بإنكار القدر.

[١] عن بكر المُزَنيّ، وهو في «الزهد» لأحمد ـ قال: كان الرجل في بني إسرائيل إذا بلغ المبلغ، فمشى في الناس تُظِلُّه غمامة.

قلتُ: شاهِـدُه أنَّ الله قال: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الغَمَامَ﴾ [البقرة ٥٧]

ففعل بهم تعالى ذلك عاماً وكان فيهم الطائع والعاصي. فنبيُّنا صلواتُ الله عليه أكرمُ الخلق على ربِّه وما كانت له غمامةٌ تُظِلُّه ولا صحَّ ذلك بل ثَبَتَ أنَّه لمَّا رمَىٰ الجَمـرة كان بلالٌ يُظِلُّه بثوبه من حرِّ الشمس. ولكن كان في بني إسرائيل الأعاجيبُ والآيات، ولمَّا كانت هذه الأُمَّةُ خَيرَ الأمم، وإيمانُهم أثبتَ، لَم يحتاجُوا إلى بُرهان، ولا إلى خوارق، فافهم هذا، وكُلَّما ازداد المؤمُن عِلماً ويقيناً، لم يحتج إلى الخوارق، وإنَّما الخوارقُ للضعفاء، ويكثُر ذلك في اقتراب السَّاعة.

[٢] عبدالله بن بكر: سمعتُ إنساناً يُحَدِّث عن أبي أنَّه كان واقفاً بعَرَفة، فرقَّ فقال: لولا أنِّي فيهم لقلتُ: قد غُفِر لهم.

قُلت: كذلك ينبغي للعبد أن يُزريَ على نفسِه ويَهضِمَها.

[٣] عن غالب القطَّان، عن بكر أنَّه لما ذُهِبَ به للقضاء قال: إني سأُخبرُكَ عنِّي: إنِّي لا عِلمَ لي والله بالقضاء، فإن كنتُ صادقاً، فما ينبغي لك أن تستعملَني، وإن كنتُ كاذباً فلا تُوَلِّ كاذباً.

[٤] عن بكر قال: إني لأرجو أن أعيشَ عَيشَ الأغنياء وأموتَ مَوْتَ الفقراء. فكان رحِمهُ الله كذلك، يَلبَسُ كِسوتَه، ثم يجيءُ إلى المساكين، فيجلسُ معهم يُحَدِّثهم ويقول: لعلَّهم يفرحون بذلك.

[٥] عُتبـة بنُ عبدالله العَنبريُّ: سمعتُ بكراً المُزَنيَّ يقولُ في دُعائه: أصبحتُ لا أملكُ ما أرجو، ولا أدفعُ عن نفسي ما أكره أمري بيدِ غيري، ولا فقير أفقرُ مني.

[١] قال أبـو الأشهب: سمعتُ بكـراً يقول: اللهُمَّ ارزقنا رزقاً يزيدُنا لك شكراً، وإليكَ فاقةً وفقراً، وبكَ عَمَّن سواك غنىً.

قال حُميد الطويل: كان بكر بن عبدالله مُجابَ الدعوة.

مات سنة ثمان ومئة.

[٢] معاوية بن عبدالكريم الثقفي، سمعت بكر بن عبدالله يقول يوم الجمعة: لو قيل لي: خُذ بيدِ خَيرِ أهلِ المسجد، لقلتُ: دُلُّوني على أنصَحِهم لعامَّتهم، فإذا قيل: هذا، أخـذتُ بيده، ولـو قيل لي: خُذ بيد شرِّهم، لقلتُ: دُلُّوني على أغشِّهم لعامَّتِهم، ولو أنَّ منادياً نادىٰ من السماء: إنَّه لا يدخلُ الجنَّةَ منكم إلا رجلٌ واحد، لكان ينبغي لكلِّ إنسان أن يلتمسَ أن يكون هو، ولو أن منادياً نادىٰ: إنَّه لا يدخلُ النَّار منكم إلَّا رجلٌ واحد لكان ينبغي لِكُلِّ إنسان أن يفرَقَ أن يكون ذلك الواحد.

٢٤٥ خالد بن مَعْدان (ع)[١]

[٣] ابن أبي كَرِب، الإمام، شيخُ أهل الشام، أبو عبدالله الكَلاعيّ، الحمصيّ وهو معدودٌ في أئمة الفقه.

عن بَحِير بن سعد، قال: كتب الوليد إلى خالد بن معدان في مسألة، فأجابه فيها خالد، فحَمَلَ القضاةَ على قوله.

[٤] عن عُمرَ بن جُعْثُم، قال: كان خالد بن معدان إذا قعد لم يقدر أحدٌ منهم يذكر الدنيا عندهُ هيبةً له.

[٥] وقال صفوان بن عمرو: كان خالد بن مَعدان إذا أُمِرَ الناس بالغَزو كان فُسطاطُهُ أوَّل فُسـطاطٍ بدابِق[٢].

[٦] عن عبدة بنتِ خالد، قالت: قلَّما كان خالدُ يأوي إلى فراشه إلا وهو يذكر شوقه إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار، ثم يُسمِّيهم ويقول: هم

---

(١) انظر السير: ٤/٥٣٦ـ ٥٤١.

(٢) دابق: بكسر الباء، وقد روى بفتحها، قرية قرب حلب.

أصلي وفصلي، وإليهم يحِنُّ قلبي طال شوقي إليهم فعجِّل ربِّ قبضي إليك، حتى يغلبَهُ النَّوم وهو في بعض ذلك.

[١] عن خالد بن مَعدان، قال: لا يفقَهُ الرجلُ كُلَّ الفقهِ حتى يرى الناسَ في جَنب الله أمثالَ الأباعر، ثُمَّ يرجع إلى نفسه فيكون لها أحقَرَ حاقر.

[٢] عن خالد بن مَعدان، قال: ما مِن آدميٍّ إلَّا ولَهُ أربعُ أعين: عينان في رأسه يُبصِرُ بهما أمرَ الدنيا، وعينان في قلبه يُبصِرُ بهما أمرَ الآخرة، فإذا أراد الله بعبدٍ خيراً، فتح عينيهِ اللَّتينِ في قلبه، فأبصَرَ بهما ما وُعِد بالغيب، فأمِنَ الغيبَ بالغَيب.

[٣] عن خالد بن مَعدان، قال: إذا فتح أحدُكم باب خيرٍ فليُسرع إليه، فإنه لا يدري متى يُغلقُ عنه.

[٤] عن بَحِير بن سعد، سمعتُ خالد بن مَعدان يقول: من التمسَ المَحامد في مخالفةِ الحقّ، ردَّ الله تلك المَحامد عليه ذمّا، ومن اجترأ على المَلاوِم في مُوافقة الحق، رد الله تلك المَلَاوم عليه حَمداً.

قال يزيد بن هارون: مات خالد بن مَعدان وهو صائم.

مات سنة ثلاث ومئة.

٢٤٦ وَهبُ بن مُنبِّه (ع)[١]

[٥] ابن كامـل، الإمـام، العـلَّامـة، الأخبـاريُّ القصصيّ، أبو عبدالله الأبْنَاويّ، اليَمانيّ، الذِّماريُّ، الصَّنعانيّ، أخو هَمَّام بن منبِّه، ومعقِل بن مُنبِّه وغيلان بن منبِّه.

مَولده في زَمَن عثمان سنة أربع وثلاثين، ورحل وحجَّ.

وروايته للمُسنَد قليلة، وإنَّما غزارةُ علِمه في الإسرائيليات، ومن صحائف أهل الكتاب.

قال أحمد: كان من أبناء فارس، له شرف.

---

(١) انظر السير: ٤/٥٤٤ـ٥٥٧

[١]المثنَّى بن الصبَّـاح، قال: لبثَ وهب بن منبِّه أربعين سنة لم يَسُبَّ شيئاً فيه الرُّوح، ولبث عشرين سنة لم يجعل بين العِشاء والصبح وضُوءاً. قال: وقال وَهب: لقد قرأتُ ثلاثين كتاباً نزلت على ثلاثين نبيّاً.

[٢]ورَوى عبدالرزاق بن همَّام، عن أبيه، قال: رأيتُ وهَباً إذا قام في الوتر قال: لَكَ الحَمـدُ السَّـرمَدُ، حَمداً لا يُحصِيهِ العدد، ولا يقطعُه الأبدُ، كما ينبغي لك أن تُحمَد، وكما أنتَ له أهلٌ، وكما هو لك علينا حقٌ.

[٣]قال الجَعد بن دِرهم: ما كلَّمتُ عالماً قطُّ إلاّ غضِبَ، وحلَّ حَبوتَه غيرَ وهَب.

[٤]عن سِماك بن الفَضل، قال: كُنَّا عند عُروةَ بن محمدٍ الأمير، وإلى جنبهِ وهب، فجاء قومٌ فشَكَوا عامِلَهم وذكروا منه شيئاً قبيحاً، فتناول وهبٌ عصاً كانت في يد عُروة فضرب بها رأس العامل حتَّى سال الدَّم، فضحك عروة واستلقىٰ وقال: يَعيبُ علينـا وهبٌ الغَضبَ وهو يَغضب قال: ومالي لا أغضبُ وقد غضِب الذي خلقَ الأحلام، يقول تعالى ﴿فلمَّا آسفُونَا انتَقَمنا مِنهُمْ﴾ [الزخرف ٥٥].

[٥]عن عبـدالصمـد بن مَعقل، قيل لوهب: إنّك يا أبا عبدالله كنت ترى الرُّؤيا فتحدِّثُنا بها فتكونُ حقّاً قال: هيهات ذهبَ ذلك عَنِّي منذُ وَلِيتُ القضاء.

[٦]وعن وَهب: الدَّراهم خواتيمُ الله في الأرض، فمَن ذَهَب بخاتِم الله قُضِيَت حاجتُه.

[٧]عن عبدالرّزاق: سمعتُ أبي يقول: حَجَّ عامَّةُ الفقهاء سنة مِئة، فحجَّ وهب، فلمَّا صَلَّوُا العِشاء، أتاه نفرٌ فيهم عطاء والحَسن، وهم يريدون أن يذاكروهُ القدر قال: فافتنَّ في باب من الحمد، فما زال فيه حتَّى طلعَ الفجر، فافترقوا ولم يسألوهُ عن شيء.

[٨]قال أحمد: اتُّهِمَ بشيءٍ منه ورَجَع. عن أبي سِنان: سمعتُ وهباً يقول لعطاء الخُرسانيّ، كان العلماءُ قبلَنا قدِ استَغنَوا بِعلمِهِم عن دُنيا غيرهم، فكانوا لا يلتفتون إليها وكان أهلُ الدُّنيا يبذُلون دُنياهم في علمهم، فأصبح أهلُ العِلم يبذُلون لأهل الدُّنيا عِلمَهُم رغبة في دُنياهم واصبح أهلُ الدُّنيا قد زهدوا في عِلمهم لِمَا رأوا من

سُوء موضعه عندهم.

[١] وعنه، قال: احفظُوا عنِّي ثلاثاً: إيَّاكم وهوىً مُتَّبعاً، وقرينَ سَوْء، وإعجابَ المرء بنفسه.

[٢] وعنه: دع المِراء والجَدلَ، فإنَّه لن يعجز أحدُ رجُلين: رجلٌ هو أعلم منك، فكيف تعـادي وتُجادل مَن هو أعلمُ منك؟ ورجلٌ أنت أعلمُ منه، فكيف تعادي وتُجادِل من أنت أعلمُ منه ولا يُطيعُك؟

[٣] عن وهب بن منبِّه، قال: العِلمُ خليل المؤمن، والحِلمُ وزيره، والعقلُ دليلُه، والعَملُ قيِّمه، والصَّبر أميرُ جنودِه، والرِّفق أبوه، واللِّينُ أخوه.

[٤] وعن وهَب: المؤمن ينظرُ ليعلَم، ويتكلَّم ليفهمَ ويسكتُ ليسلمَ، ويخلوا ليغنم.

[٥] الإيمان عُريان، ولباسُه التقوى، وزينتُه الحياء، ومالُه الفقه.

[٦] ثلاثٌ من كُنَّ فيه أصابَ البِرّ: السَّخاءُ والصَّبرُ على الأذى، وطيب الكلام.

[٧] عن عبَّاس بن يزيد قال: قال وهبُ بن مُنبِّه: استكثر من الإخوان ما استطعت، فإن استغنيت عنهم لم يضُرُّوك، وإن احتجت إليهم نفعوك.

[٨] وعن وهب: إذا سمعت من يمدحُك بما ليس فيك، فلا تأمنه أن يَذُمَّك بما ليس فيك.

[٩] عن وُهَيب بن الوَرد، قال: جاء رجلٌ إلى وهب بن مُنبِّه فقال: قد حَدَّثت نفسي أن لا أخالطَ النَّاس، قال: لا تفعل إنَّه لابُدَّ لك من النَّاس، ولا بُدَّ لهم منك، ولهم إليك حوائج ولك نحوها، ولكن كُن فيهم أصمَّ سميعاً، أعمى بصيراً، سَكُوتاً نطوقاً.

[١٠] وعن وهب، أنَّ عيسى عليه السـلام قال للحـواريِّين: أشـدُّكم جزعـاً على المصيبة، أشدُّكم حُبَّاً للدُّنيا.

[١١] وعن وهب: قرأتُ في بعض الكتب: ابنَ آدم، لا خير لك في أن تعلَمَ ما لم تعلَم ولم تعمـلْ بمـا علِمت، فإن مثَلَ ذلك كرجلٍ احتطب حَطباً فحزَم حُزمةً، فذهب يحمِلُها فعجز عنها، فضمَّ إليها أخرى.

[١] وَهب: طوبى لمن شغله عيبُه عن عَيب أخيه، طوبى لمن تواضع لله مِن غير مَسكنة، طوبى لمن تصدَّق من مالٍ جمعَهُ من غير معصية، طوبى لأهل الضُّر وأهل المسكنة، طوبى لمن جالسَ أهلَ العِلمِ والحِلم، طوبى لِمن اقتدى بأهل العلم والحِلم والخشية، طوبى لمن وسِعتْهُ السُّنَّة فلم يعْدُها.

[٢] عن وهب: الأحمقُ إذا تكلَّم فضحهُ حمقُه، وإذا سكت فضحَهُ عِيُّه، وإذا عَمِل أفسد، وإذا ترك أضاع، لا عِلمهُ يُعينُه، ولا عِلمُ غيره ينفعُه، تَوَدُّ أُمُّه أنَّها ثكِلَتْهُ، وامرأته لو عَدِمتهُ، ويتمنَّى جارُه منه الوحدة، ويجد جليسه منه الوَحشة.

[٣] داود بن قيس، قال: كان لي صديقٌ يقال له أبو شَمِر ذو خَوْلان، فخرجت مِن صنعـاء أريد قريتـه، فلما دنَوتُ منها وجدتُ كتاباً مختوماً إلى أبي شَمِر، فجئتَهُ فوجـدتُه مهموماً حزيناً، فسألته عن ذلك فقال: قدِمَ رسولٌ من صنعاء، فذكر أنَّ أصدقاء لي كتبوا لي كتاباً فضيَّعه الرسول، قلتُ: فهذا الكتاب، فقال: الحمد لله، ففضَّه فقرأه، فقلت: أقرئنيهِ فقال: إني لأستحدثُ سِنَّك، قلتُ: فما فيه؟ قال: ضَرب الرقاب. قلتُ: لعلَّه كتَبهُ إليك ناسٌ حَرُوريَّةٌ في زكاة مالك، قال: من أين تعرفهم؟ قلتُ: إني وأصحاباً لي نجالُس وَهْبَ بن منبِّه، فيقول لنا: احذروا أيُّها الأحداث الأغمار هؤلاء الحروراء لا يُدخلونكم في رأيهم المخالف، فإنهم عُرَّةٌ[١] لهذه الأمة، فدفع إليَّ الكتاب فقرأتُه فإذا فيه: سلامٌ عليك، فإنَّا نحمد إليك الله، ونوصيك بتقواه، فإنَّ دين الله رُشدٌ وهُدىً، وإنَّ دين الله طاعة الله ومخالفةُ مَن خالف سُنَّةَ نَبيِّه فإذا جاءك كتابُنا، فانظر أن تؤديَ ـ إن شاء الله ـ ما افترض الله عليك من حقِّه تستحقُّ بذلك ولاية الله، وولاية أوليائه والسلام.

قلتُ له: فإنِّي أنهـاك عنهم، قال: فكيف أتبعُ قولَك واتركُ قولَ مَن هو أقدمُ منك؟ قلتُ: فتحبُّ أن أُدخِلَكَ على وَهب حتى تسمع قوله؟ قال: نعم. فنزلنا إلى صنعاء، فأدخلتُه على وهب ـ ومسعود بن عوف والٍ على اليَمَن من قِبل عُروةَ بن محمد، فوجدْنا عند وهب نفراً، فقال لي بعضُ النَّفر: مَن هذا الشيخ؟ قلتُ: له

(١) فلان عُرَّةُ أهله: أي شرُّهم.

حاجة، فقام القوم فقال وهْب: ما حاجتُكَ يا ذا خولان؟ فهرَج[1] وجَبُن، فقال لي وَهب: عبِّر عنه، قلتُ: إنَّه من أهل القرآن والصلاح والله أعلم بسريرته، فأخبرني أنَّه عرض له نَفرٌ من أهل حَرُوراء فقالوا له: زكاتُك التي تؤديها إلى الأمراء لا تجزئ عنك، لأنهم لا يضعونها في مواضعها فأدِّها إلينا، ورأيتُ يا أبا عبدالله أنَّ كلامَك أشفى له من كلامي، فقال: يا ذا خَوْلان، أتُريد أن تكون بعد الكِبَر حَرُورياً تشهد على من هو خيرٌ منـك بالضلالة؟ فماذا أنتَ قائل لله غداً حين يقفُك الله ومَن شهـدت عليه؟ فالله يشهـد له بالإيمان، وأنت تشهد عليه بالكفر، والله يشهد له بالهُدى وأنت تشهد عليه بالضلالة، فأين تقع إذا خالفَ رأيُك أمرَ الله، وشهادتُك شهادَةَ الله؟ أخبرني ياذا خَوْلان، ماذا يقولون لك؟ فتكلم عند ذلك وقال لوهْب: إنَّهم يأمـرونني أن لا أتصـدَّق إلاَّ على مَن يَرى رأيَهم ولا أستغفـر إلاَّ له. فقال: صدقْتَ، هذه محنتهم الكاذبة، فأمَّا قولهم في الصدقة، فإنَّه قد بلغني أن رسول الله ﷺ، ذكر أنَّ امرأةً من أهل اليمن دخلتِ النَّار في هرَّة ربطتها، أفإنسان مِمَّن يعبدُ الله يُوَحِّدهُ ولا يشركُ به أحبُّ إلى الله أن يطعمه مِن جوع، أو هِرَّة؟ والله يقول: ﴿وَيُطعِمُونَ الطَّعامَ عَلىٰ حُبِّه مِسكيناً ويَتيماً وأَسِيرا﴾ [الإنسان ٨] الآيات.

وأما قولُهم لا يُستغفرُ إلاّ لمن يَرَى رأيَهم، أهم خَيرٌ أم الملائكة، والله يقول ﴿وَيَستغفرُونَ لِمَن في الأرض﴾ [الشورى ٥] فوالله ما فعلت الملائكة ذلك حتَّى أُمـرُوا به ﴿لا يَسبِقُـونَـهُ بالقَولِ وهُم بِأَمرهِ يَعملُونَ﴾ [الأنبياء ٢٧] وجاء ميسَّراً: ﴿وَيَستَغفِرونَ لِلَّذين آمنوا﴾ [غافر ٧].

ياذا خَوْلان إنِّي قد أدركتُ صدر الإسلام، فوالله ما كانتِ الخوارجُ جماعةً قطُّ إلاَّ فرَّقها الله على شرِّ حالاتهم، وما أظهرَ أحدٌ منهم قَولَهُ إلاَّ ضربَ الله عنقه، ولو مكَّن الله لهم مِن رأيهم لفسدت الأرض، وقُطِعتِ السُّبلُ والحَجّ، ولعاد أمرُ الإسلام جاهليَّةً، وإذاً لقام جماعةٌ، كلٌّ منهم يدعو إلى نفسه الخلافة، مع كُلِّ واحد منهم أكثر من عشرة آلاف يقاتل بعضُهم بعضاً ويشهد بعضُهم على بعض بالكُفر، حتى

(١) هرج في الحديث: خلط فيه.

يصبحَ المؤمنُ خائفاً على نفسِه ودينِه ودمِه ومالِه لا يدري مع من يكون، قال تعالى ﴿ولَولا دَفعُ الله النَّاس بَعْضَهم ببعضٍ لَفسدَتِ الأرضُ﴾ [البقرة ٢٥١] وقال: ﴿إنَّا لَننصُر رُسلَنَا والذين آمنُوا﴾ [غافر ٥١] فلو كانوا مؤمنين لنُصِروا، وقال: ﴿وإنَّ جُندَنا لهُمُ الغالِبُونَ﴾ [الصافات ١٧٣] ألا يسعُك ياذا خَوْلان من أهل القبلة ما وسِعَ نُوحاً مِن عبدة الأصنام، إذ قال له قومه ﴿أنؤمِنُ لَكَ واتَّبعَكَ الأرْذَلُونَ﴾ [الشعراء ١١١] إلى أن قال: فقال ذو خولان: فما تأمرني؟ قال: انظُر زكاتَكَ فأدِّها إلى مَن ولاَّه الله أمرَ هذه الأُمة وجمَعَهُم عليه، فإنَّ المُلكَ من الله وحدَه وبيده، يؤتيه من يشاء، فإذا أدَّيْتَها إلى والي الأمر برِئتَ منها، وإن كان فَضلٌ فَصِلْ به أرحامَكَ ومواليَكَ وجيرانَك والضَيفَ، فقال: اشْهَدْ أنِّي نَزلْتُ عن رأي الحروريَّة.

[١]وعن وهبٍ قال: احتمالُ الذُّلِّ خيرٌ من انتصارٍ يزيدُ صاحبه قَمْأةً.

[٢]وقد امتُحِن وهبٌ حُبس وضُرِب، فروى حِبَّان بن زُهير العَدَوِيّ، قال: حدَّثني أبو الصَّيداء صالح بن طريف، قال: لما قدِم يوسفُ بن عُمر العراق بكيتُ وقلتُ: هذا الذي ضرب وهب بن مُنبِّه حتَّى قتله.

يعني لما وَلِيَ إمرةَ اليمن، ثم نقله الخليفة هشام إلى إمرة العراق، وكان جبَّاراً عنيداً مهيباً، كان سِمَاطُه بالعراق فيما حكى المدائني كل يوم خميس مئة مائدة، أبعدُ الموائد وأقربها سواءٌ في الجودة.

ثم إنَّه عُزِل عن العراق عند مقتل الوليد الفاسق، ثم ضُربت عنقه ولله الحمد في سنة سبعٍ وعشرين ومئة.

مات سنة أربع عشرة ومئة.

٢٤٧ رَجاء بن حَيْوَة (م، ٤، خت)(١)

[٣]ابن جَرْول، الإمام، القدوة الوزير العادل، أبو نصرٍ الكنديُّ الأزديّ، ويقال: الفِلسْطينيّ، الفقيه، من جِلَّةِ التابعين.

---

(١) انظر السير: ٤/٥٥٧-٥٦١.

قال ابن سعد: كان ثقة، عالماً، فاضلاً، كثير العلم.

[١]قال مكحول: ما زلتُ مضطلعاً على مَن ناوأني حتى عاونهُم عليَّ رجاء بن حَيوة،. وذلك أنَّه كان سيِّد أهل الشام في أنفسهم.

قلتُ: كان ما بينهما فاسداً، وما زال الأقرانُ ينالُ بعضهم من بعض، ومكحول ورجاء إمامان، فلا يُلتَفَتُ إلى قولِ أحدٍ منهما في الآخر.

[٢]ويُروى عن رجاء بن حَيوة، قال: مَن لَم يُؤاخ إلَّا من لا عيب فيه قلَّ صديقُه، ومَن لم يرَضَ مِن صديقه إلَّا بالإخلاص له دام سُخْطُهُ، ومن عاتب إخوانه على كُلِّ ذنب كَثُرَ عدوُّه.

[٣]عن ابن عَون، قال: كان إبراهيم والشعبيُّ والحَسن، يأتون بالحديث على المعاني، وكان القاسم وابنُ سيرين ورجاء يُعيدون الحديث على حروفه.

[٤]عن رجاء بنِ أبي سَلمة: قال: كان يزيدُ بن عبدالملك يُجري على رجاء بنِ حَيْوَةَ ثلاثين ديناراً في كُلِّ شهر، فلما وَلِيَ هشامُ الخلافة قال: ما هذا برأي فقطعها، فرأى هشامٌ أباهُ في النَّوم، فعاتبه في ذلك، فأجراها.

قلتُ: كان في نفس هشام منه شيء لكونه عَمِلَ على تأخيره وقتَ وفاةِ أخيهِ سُليمان، وعقد الخلافة لابن عمِّه عُمرَ بن عبدالعزيز.

[٥]قال رجاء بن أبي سلمة، نظر رجاءُ بن حَيوة إلى رجُلٍ ينعُسُ بعد الصُّبح فقال: انتبه لا يظنُّون أنَّ ذا عن سَهر.

[٦]عن رجاء بن حَيوة، قال: كُنتُ واقفاً على باب سُليمان إذ أتاني آتٍ لَم أرهُ قبلُ ولا بعدُ، فقال: يا رجاء، إنَّك قد ابتُليتَ بهذا وابتُليَ بك، وفي قُربه الوَتَغُ[١]، فعليك بالمعروف وعونِ الضعيف، يا رجاء، مَن كانت له منزلةٌ مِن سلطان، فرفع حاجة ضعيفٍ لا يستطيعُ رفعَها، لقيَ الله وقد شدَّ قدميه للحسابِ بين يدَيه.

قلتُ: كان رجاء كبيرَ المنزلةِ عند سُليمان بن عبدالملك، وعند عُمرَ بن عبدالعزيز، وأجرى الله على يديه الخيرات ثم إنَّه بعد ذلك أُخِّر، فأقبل على شأنه.

---

(١) الوتغ: الهلاك

[١] حدَّثنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، قال: كُنَّا مع رجاء بن حَيوة فتذاكرنا شُكر النِّعم فقال: ما أحَدٌ يقوم بشُكر نِعمة، وخَلفنا رجلٌ على رأسِه كساء، فقال: ولا أمير المؤمنين؟ فقلنا: وما ذِكرُ أمير المؤمنين هنا وإنما هو رجلٌ من الناس. قال فغفلنا عنه، فالتفت رجاء فلم يَرَهُ فقال: أُتيتُم من صاحب الكِساء فإن دُعِيتُم فاستُحلِفتم فاحلِفوا، قال: فما علمنا إلاّ بحَرَسيٍّ قد أقبل عليه، قال: هيهِ يا رجاء، يُذكرُ أمير المؤمنين، فلا تحتَجُّ له؟ قال: فقلتُ: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: ذكرتم شُكرَ النِّعم، فقلتم: ما أحَد يقومُ بشُكرِ نِعمة، قيل لكم: ولا أمير المؤمنين، فقلتَ: أمير المؤمنين رجلٌ من النَّاس. فقلتُ: لم يَكن ذلك، قال: آلله؟ قلتُ آلله. قال: فأمر بذلك الرجل السَّاعي، فضُربَ سبعين سَوطاً. فخرجت وهو مُتَلَوِّثٌ بدَمِه فقال: هذا وأنت رجاءُ بن حَيْوةَ قلت: سبعين سَوطاً في ظهرك خَير من دَم مؤمن. قال ابن جابر: فكان رجاءُ بن حَيْوة بعد ذلك إذا جلس في مجلس يقولُ ويتلفَّت: احذروا صاحبَ الكِساء.

[٢] قال مَسلَمةُ بنُ عبدالملك أمير السرايا: برجاء بن حَيوة وبأمثاله نُنصر.

مات سنة اثنتي عشرة ومئة.

٢٤٨ الحَسن البَصريّ (٤)(١)

[٣] **هو الحَسن بن أبي الحَسن يسار، أبو سعيد، مولىَ زَيد بن ثابت الأنصاريَ.**

ويسار أبوه مِن سَبي مَيْسان(٢) سكنَ المدينة، وأُعْتِق، وتزوَّج بها في خلافة عُمرَ فوُلِدَ له بها الحسن رحمة الله عليه لسنتين بقيتا من خلافة عمر واسم أُمه خيرة، ثم نشأ الحسن بوادي القُرى، وحضر الجُمعة مع عثمان، وسمعه يخطب وشهد يوم الدار وله يومئذٍ أربع عشرة سنة.

وكـان سيِّد أهلِ زمانه عِلماً وعَمَلاً. قال معمرُ بن سُليمان: كان أبي يقول:

(١) انظر السير: ٤/٥٦٣- ٥٨٨.

(٢) ميسان: كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط.

الحسنُ شيخُ أهل البصرة.

عن الحَسن: شهدتُ عثمانَ جُمَعاً تِباعاً يأمُر بذبح الحَمام وقتل الكلاب.

[١] عن الحسن قال: رأيتُ عُثمان نائماً في المسجد، حتى جاءه المؤذن فقام، فرأيت أثرَ الحصىٰ على جنبه.

[٢] مراسيله ليسَت بذاك، ولم يَطْلُبِ الحديث في صِباه، وكان كثير الجهاد، وصار كاتبا لأمير خُراسان الربيع بن زياد.

وقال سليمان التيميُّ: كان الحَسنُ يغزو، وكان مُفتي البصرة جابرُ بن زيد أبو الشعثاء، ثم جاء الحَسن فكان يفتي.

قلتُ: كان رجلاً تامَّ الشَّكل، مليحَ الصورة، بَهيّاً، وكان من الشُّجعان الموصوفين.

وعن أبي بُردة، قال: ما رأيتُ أحداً أشبه بأصحاب محمد ﷺ منه.

[٣] وقال مطر الورَّاق: لما ظهر الحسن جاء كأنَّما كان في الآخرة، فهو يُخبِر عمَّا عايَن.

[٤] قال أيُّوب السِّخْتِيَانيّ: كان الرجل يجلسُ إلى الحَسن ثلاث حِجَج ما يسألُه عن المسألة هيبةً له.

[٥] عن الربيع بن أَنس، قال: اختلفتُ إلى الحسن عشرَ سنين أو ما شاء الله، فليس مِن يومٍ إلاَّ أسمعُ منه مالم أسمع قبل ذلك.

وقال عوف: ما رأيت رجلاً أعلمَ بطريق الجنَّة من الحَسن.

[٦] عن الحَسن، قال: يا ابن آدم، والله إن قرأت القرآن ثم آمنتَ به ليطولنَّ في الدُّنيا حُزنُك، وليشتدَّنَّ في الدُّنيا خوفُك، وليكثُرَنَّ في الدُّنيا بكاؤك.

[٧] وقال إبراهيم بن عيسى اليَشكُريُّ: ما رأيتُ أحداً أطولَ حُزناً من الحَسن، ما رأيُته إلا حَسِبْتُهُ حديث عَهدٍ بمصيبة.

[٨] عن عِمران القصير، قال: سألتُ الحسن عن شَيء فقلتُ: إنَّ الفقهاء يقولون كذا وكذا، فقال: وهل رأيت فقيهاً بعينك إنَّما الفقيهُ: الزاهدُ في الدُّنيا، البَصيرُ

بدينه، المداوم على عبادة ربِّه.

[١] هشام بن حسَّان: سمعتُ الحَسن يحلِفُ بالله، ما أعزَّ أحدٌ الدِّرهم إلاّ أذلَّهُ الله.

[٢] وقال حَزْم بن أبي حَزْم: سمعتُ الحَسن يقول: بئس الرفيقان، الدِّينارُ والدِّرهم، لا ينفعانِكَ حتَّى يُفارقاك.

[٣] رَوح بن عبادة: حدَّثنا حجَّاج الأسود، قال: تمَّنى رجلٌ فقال: ليتني بزُهد الحسن، وورعِ ابن سيرين، وعبادةِ عامر بن عبد قيس، وفقهِ سعيدِ بن المسيِّب، وذكر مُطرِّف بن الشِّخِّير بشيء، قال: فنظروا في ذلك فوجدوه كُلَّه كاملاً في الحَسن.

[٤] عن قتادة، قال: دخلنا على الحسن وهو نائم، وعند رأسِه سَلَّة، فجذبناها فإذا خُبزٌ وفاكهة، فجعلنا نأكُل، فانتبَه فرآنا، فسَرَّه، فتبسَّم وهو يقرأ ﴿أو صَدِيقكم﴾ لا جُناحَ عليكم[١].

[٥] حمَّاد بن زيد: سمعتُ أيُّوب يقول: كان الحَسن يتكلَّم بكلامٍ كأنَّه الدُّر، فتكلَّم قومٌ من بعده بكلامٍ يخرجُ من أفواههم كأنَّه القَيْء.

وقال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيتُ أفصحَ من الحَسن والحجَّاج.

[٦] عن الحسن، قال: ابنَ آدم، تَركُ الخطيئةِ أهونُ عليك من مُعالجةِ التَّوبة، ما يؤمِنُك أن تكون أصبت كبيرةً أُغلق دونها بابُ التوبة فأنت في غير مَعْمَل.

[٧] وقال جعفر بن سُليمان: كان الحَسنُ مِن أشدِّ النَّاس، وكان المُهلَّب إذا قاتل المشركين يُقَدِّمه.

[٨] وقال أبو سعيد بن الأعرابيّ في «طبقات النُّساك»: كان عامَّةُ مَن ذكرنا من النُّساك يأتون الحَسنَ ويسمعون كلامه ويُذعِنون له بالفِقه، في هذه المعاني خاصَّةً، وكان عَمرو بن عُبيد، وعبدالواحد بن زَيد مِن المُلازمين له، وكان له مجلسٌ خاصٌّ في منزله، لا يكاد يتكلَّم فيه إلاّ في معاني الزُّهد والنُّسك وعلوم الباطن، فإن سأله إنسانٌ غيرها، تبرَّم بِه، وقال: إنما خَلَونا مع إخواننا نتذاكر، فأمَّا حَلَقَتُه في المسجد

---

(١) الآية: ﴿أو صديقِكم ليس عليكم جناحٌ أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً﴾ [النور ٦١].

فكان يَمُرُّ فيها الحديثُ، والفقهُ، وعلمُ القرآن، واللغة، وسائر العلوم، وكان رُبَّما يُسأل عن التصوف فيجيب، وكان منهم مَن يصحبه للحديث، ومنهم من يصحبُه للقرآن والبيان، ومنهم من يصحبُه للبلاغة، ومنهم من يصحبهُ للإخلاص، وعلم الخصوص، كعمرو بن عُبيد، وأبي جَهير، وعبدالواحد بن زَيد، وصالح المُرِّيِّ، وشُمَيط، وأبي عُبيدة النَّاجي، وكلُّ واحدٍ من هؤلاء اشتهَر بحال - يعني في العبادة.

عن إبراهيم، أنَّ الحَسَن تكلَّم في القدر.

وقال سُليمان التَّيمي، رجع الحَسنُ عن قوله في القدر.

[١] عن خالد الحذَّاء، قال: سأل الرجل الحَسن فقال: ﴿ولا يزالُون مُختَلِفين * إلاَّ مَن رَحِمَ رَبُّك﴾ [هود ١١٨، ١١٩]؟ قال: أهلُ رحمتِه لا يختلفون، ولذلك خَلَقهم، خلقَ هؤلاء لِجَنَّتـه، وخلقَ هؤلاء لِنـاره، فقلتُ يا أبـا سعيد آدَمُ خُلِقَ للسماء أم للأرض؟ قال: للأرض خُلِق، قلتُ: أرأيتَ لو اعتصم فلم يأكلْ من الشجرة؟ قال: لم يكن بُدٌّ من أن يأكل منها إنَّه خُلِقَ للأرض، فقلت: ﴿ما أنتُم عَلَيه بفاتِنين * إلاَّ مَن هُو صَالِ الجحيم﴾ [الصافات ١٦٢، ١٦٣]؟ قال: نعم، الشياطين لايضلون إلا من أحب الله له أن يصلى الجحيم.

[٢] حُميد الطويل: كان الحَسنُ يقول: اصحب النَّاس بما شئتَ أن تصحبَهم، فإنهم سيصحبونك بمثله.

[٣] مسلم بن إبراهيم: حدَّثنا إياسُ بن أبي تميمة: شهدتُ الحَسن في جنازة أبي رجـاء على بغلة، والفرزدق إلى جَنبه على بعير، فقال له الفرزدق: قد استشرفَنا النَّاس، يقولون: خيرُ الناس وشرُّ الناس، قال: يا أبا فِراس، كم مِن أشعثَ أغبرَ، ذي طِمرَين، خيرٌ مِنِّي، وكَم من شيخ مُشركٍ أنتَ خَيرٌ منه، ما أعددتَ للموت؟ قال: شهادة أن لا إله إلاَّ الله. قال: إنَّ معها شروطاً، فإيَّاك وقذْفَ المُحصنة، قال: هَل مِن تَوبة: قال: نعم.

[٤] وعن علقمة بن مَرثد في ذِكر الثمانية من التابعين، قال: وأمَّا الحَسنُ فما رأينا أحداً أطولَ حُزناً منه، ما كُنَّا نراه إلاَّ حديثَ عَهدٍ بمصيبة، ثم قال: نضحكُ ولا

ندري لعلَّ الله قدِ اطَّلع على بعض أعمالنا. وقال: لا أقبلُ منكم شيئاً، ويحكَ يا ابنَ آدم، هل بمحاربة الله ـ يعني قوةً ـ واللهِ لقد رأيتُ أقواماً كانتِ الدُّنيا أهونَ على أحدهم من التُّراب تحت قَدميه، ولقد رأيتُ أقواماً يُمسي أحدهم ولا يجدُ عنده إلَّا قوتاً فيقول: لا أجعلُ هذا كُلَّهُ في بَطني فيتصَّدق ببعضِهِ ولعلَّه أجوعُ إليه مِمَّن يتصدَّق به عليه.

[١]وعن الأعمش، قال: ما زال الحَسنُ يعِي الحِكمة حتى نَطَق بها، وكان إذا ذُكر الحَسنُ عند أبي جعفر الباقِر قال: ذاكَ الذي يُشْبِه كلامُه كلامَ الأنبياء.

[٢]عن الحَسن قال: ابنَ آدم، إنَّما أنت أيَّامٌ كلَّما ذهب يومٌ، ذهبَ بعضُك.

[٣]مبارك بن فَضالة: سمعتُ الحسن يقول: فضح الموتُ الدُّنيا، فلم يَترك فيها لِذي لُبٍّ فرحاً.

ورَوى ثابتٌ عنه، قال: ضَحِكُ المؤمن غَفلةٌ من قلبه.

[٤]فُضَيل بن جعفر، قال: خرج الحَسن من عند ابن هُبيرة فإذا هو بالقُرَّاء على الباب فقال: ما يُجلِسكُم ها هنا؟ تريدون الدُّخول على هؤلاء الخُبثاء، أما والله ما مجالستُهم مجالسةَ الأبرار، تفرَّقوا فرَّق الله بين أرواحكم وأجسادكم، فقد فرطَحْتُم[١] نعالكم، وشمَّرتُم ثيابكم، وجَززتُم شُعوركم، ففضحتُمُ القُرَّاءَ فضحكم الله، واللهِ لو زَهِدتُم فيما عندهم، لَرَغِبوا فيماعندكم، ولكنَّكم رغبتُم فيما عندهم، فزهِدُوا فيكم، أبعد الله من أبعدَ

[٥]عن الحَسن، قال: المؤمنُ مَن عَلِمَ أنَّ ما قال الله كما قال، والمؤمنُ أحسنُ النَّاس عَملاً، وأشدُّ الناس وجَلاً، فلو أنفقَ جبلاً من مالٍ ما أمِن دون أن يُعاينَ، لا يزداد صلاحاً، وبرّاً إلَّا ازداد فَرَقاً، والمنافق يقول: سوادُ النَّاس كثير وسيُغفرُ لي ولا بأسَ عليَّ فيسيءُ العَملَ ويَتَمنَّى على الله.

[٦]قال هشام بن حسَّان: كُنَّا عند محمد عشيَّةَ يوم الخميس، فدخل عليه رجل بعد العصر فقال: مات الحَسَن، فترحَّم عليه محمد وتغيَّر لونُه وأمسك عن الكلام،

(١) كل شيء عرّضته فقد فرطحته.

فما تكلَّم حتى غَربتِ الشمس، وأمسك القوم عنه ممَّا رأوا مِن وَجْدِه عليه.

قلتُ: وما عاش محمد بن سيرين بعد الحَسَن إلاَّ مئة يوم.

مات الحَسَن في سنة عشرٍ ومئة.

عاش نحواً من ثمان وثمانين سنة.

قلتُ: مات في أوَّل رجب، وكانت جِنازته مشهودة، صلَّوا عليه عقِيب الجُمعة بالبصرة، فشَيَّعهُ الخَلق، وازدحموا عليه، حتَّى إنَّ صلاةَ العصر لَم تُقم في الجامع.

[١]ويُروى أنَّه أُغمِيَ عليه ثمَّ أفاق إفاقةً فقال: لقد نَبَّهتموني مِن جنَّاتٍ وعُيون، ومقامٍ كريم.

٢٤٩ الأخطل(١)

[٢]شاعر زمانه، واسمُه غياث بن غَوث التغلبيّ النصرانيّ.

[٣] قيل للفرزدق: من أشعر النَّاس؟ قال: كفاك بي إذا افتخرْتُ، وبجرير إذا هجا، وبابن النَّصرانيَّة إذا امتدح.

وكان عبدالملك بن مروان يجزل عطاء الأخطل، ويُفضِّله في الشعر على غيره.

وللأخطل:

والنَّاسُ هَمُّهُمُ الحَياةُ ولا أرى ... طُولَ الحَياةِ يزيدُ غيرَ خَبَالِ

وإذا افتَقَرتَ إلى الذَّخائِرِ لَم تَجِدْ ... ذُخراً يَكُونُ كصالح الأعمالِ

[٤]وقيل: إنَّ الأخطل قيَّده الأُسقُف وأهانه، فلِيم في صَبره له، فقال: إنَّه الدِّين، إنَّه الدِّين.

وقد حصَّل أمولاً جَزِيلةً مَن بني أُميَّة، ومات قبل الفرزدق بسنوات.

---

(١) انظر السير: ٤/ ٥٨٩.

٢٥٠ جريـر[1]

[١] **شَاعر زمانِه، أبو حزْرَةَ، جرير بن عطيَّة بن الخَطَفى التميميُّ البصريُّ، مدح يزيد بن معاوية، وخلفاءِ بني أُميَّة، وشعرهُ مُدَّون.**

[٢] عن عثمان التَّيمي، قال: رأيتُ جريراً وما تُضَمُّ شفتاه من ٱلتسبيح، قلت: هذا حالُك وتقذِفُ المحصنات فقال: ﴿إنَّ الحَسَناتِ يُذهِبْنَ السَّيِّئات﴾ [هود ١١٤] وعدٌ مِن الله حقّ.

[٣] وعن بشَّار الأعمى، قال: أهلُ الشام أجمعوا على جرير، والفرزدق، والأخطل النَّصرانيّ.

قُلت: فضَّل جريراً على الفرزدق جماعةٌ.

[٤] وروى يونُسُ بن حبيب، أنَّ الفرزدق قال لامرأته نَوار: أنا أشعَرُ أم ابنُ المراغة؟ قالت: غلَبَك على حُلوه، وشَرِكَكَ في مُرِّه.

وقال مروان بن أبي حَفصة:

ذهبَ الفَرَزدَقُ بالفخارِ وإنَّما حُلوُ القَريضِ ومُرُّهُ لجريرِ

وقيل: كان جريرٌ عفيفاً منيباً، تُوفيِّ سنة عشرٍ بعد الفرزدق بشهر.

٢٥١ يزيدُ بنُ أبي مسلم[2]

[٥] **أميـر المغـرب، أبـو العلاء بن دينار الثّقفيّ، مولى الحجَّاج وكاتبه ومشيرُه، استخلَفَهُ الحجَّاج عند موته على أموال الخراج، فضبط ذلك، وأقرَّه الوليد، حتى لقد قال: مَثلي ومَثَلُ الحجَّاج وأبي العلاء، كمَن ضَاعَ منه درهَمٌ فوجَدَ ديناراً.**

[٦] ثم وُلِّيَ الخلافةَ سُليمانُ، فطُلِبَ أبو العلاء في غُلٍّ، وكان قصيراً دميماً، كبيرَ البطن، مشوَّهاً، فنظر إليه سُليمان: فقال: لعن الله مَن ولاَّك، قال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، فإنَّك رأيتَني والأمورُ مدبرة عنِّي، فلو رأيتني في الإقبال لاستعظمتَ ما استحقرت. قال: قاتله الله ما أسدَّ عَقْلَهُ. ثم قال: أترى الحجَّاج يهوي بعدُ في

(١) انظر السير: ٤/٥٩٠-٥٩١.

(٢) انظر السير: ٤/٥٩٣-٥٩٤.



جَهَنَّم أو بلغ قَعْرَها؟ قال: لا تقل ذاك، فإنه يُحشَرُ مع من ولّاه. فقال: مِثلُ هذا فَلْيُصطَنَعْ. ثم إنَّه كشف عليه فلم يجِدْهُ خانَ في درهم، وهمَّ باستكتابه. ثم أمَّرهُ على افريقية يزيدُ بنُ عبدالملك، فثارت عليه الخوارج ففتكوا به لِظُلمِهِ، سنة اثنتين ومئة.

٢٥٢ الضَّحَّاك بن مُزاحِم (٤)[1]

[١]**الهلالي، أبو محمد، صاحبُ التفسير. كان من أوعيةِ العِلم، وليس بالمجوَّد لحديثه، وهو صدوق في نفسه.**

[٢] قال سُفيان الثَّوريّ: كان الضحَّاك يُعَلِّم ولا يأخذ أجراً.

[٣] عن قيس بن مسلم، قال: كان الضحَّاك إذا أمسىٰ بكىٰ فيقال له، فيقول: لا أدري ما صَعد اليوم من عَمَلي.

[٤]عن الضحَّاك، قال: أدركتُهم وما يَتَعلَّمون إلَّا الوَرَع.

[٥]قال قُرة: كان هِجِّيرى[2] الضحاك إذا سكت: لا حَول ولا قُوة إلَّا بالله.

[٦]عن الضحَّاك، قال: حقٌّ على كُلِّ من تعلَّم القرآن أن يكون فقيهاً. وتلا قول الله ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ﴾ [آل عمران ٧٩].

عن الضحَّاك، قال: كنتُ ابنَ ثمانين سنة جَلْداً غَزَّاءً.

وفاة الضحَّاك في سنة اثنتين ومئة.

٢٥٣ طَلْق بنُ حَبيب العَنزيّ (م، ٤)[3]

[٨]**بصريٌّ زاهدٌ، كبير، من العلماء العاملين.**

وكان طَيِّبَ الصَّوتِ بالقرآن، بَرّاً بوالديه.

[٩]عن بكر المزني، قال: لمَّا كانَت فِتنَةُ ابن الأشعث قال طلق بن حبيب: اتَّقُوها

---

(١) انظر السير: ٤/٥٩٨ـ ٦٠٠.

(٢) الهجير والهجيرى: الدأب والعادة والديدن.

(٣) انظر السير: ٤/٦٠١ـ ٦٠٣.

بالتقوى. فقيل له: صف لنا التقوىٰ. فقال: العَمَلُ بطاعة الله، على نور من الله، رجاءَ ثوابِ الله، وتركُ معاصي الله على نور من الله، مخافةَ عذابِ الله.

قلتُ: أبدعَ وأوجزَ، فلا تقوىٰ إلَّا بعَمَل، ولا عَمَلَ إلَّا بتروٍّ من العِلم والاتّباع، ولا ينفعُ ذلك إلَّا بالإخلاص لله. لا ليقال فلان تارك للمعاصي بنور الفقه، إذ المعاصي يفتقر اجتنابُها إلى معرفتها، ويكونُ التَّركُ خَوفاً من الله، لا لِيُمدَحَ بتركها، فمَن داوم على هذه الوصيَّة فقد فاز.

[١]عن طَلق بن حبيب، قال: إنَّ حقوق الله أعظمُ مِن أن يقومَ بها العباد، وإنَّ نعم الله أكثر من أن تُحصىٰ، ولكن أصْبحوا تائبين، وأمْسُوا تائبين.

قال أبو حاتم: طَلق صدوق، يرى الإرجاء.

[٢]قال ابن عُيينة: سمعتُ عبدالكريم يقول: كان طَلقٌ لا يركعُ إذا افتتح سورة (البقرة) حتى يبلُغَ (العَنكَبُوت) وكان يقول: أشتهي أن أقومَ حتَّى يشتكي صُلبي.

[٣]عن طَلق بن حبيب، أنَّه كان يقول في دُعائه: اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ عِلْمَ الخائفين منك، وخَوفَ العالمين بك، ويقينَ المتوكِّلين عليك، وتوكُّلَ الموقنين بك، وإنابةَ المُخبتين إليك، وإخباتَ المنيبين إليك، وشُكر الصابرين لك، وصَبرَ الشاكرين لك، ولَحَاقاً بالأحياء المَرزُوقين عِندَك.

وعن كُلثوم بن جَبر، قال: كان المُتَمنِّي بالبصرة يقول: عِبادةُ طَلقِ بن حبيب، وحِلمُ مسلم بنِ يسار.

مات طَلقٌ قَبلَ المئة.

٢٥٤ محمد بن سِيرين(١)

[٤]**الإمامُ، شيخُ الإسلام، أبو بكر الأنصاريّ، الأنَسِيّ البصريّ، مولىٰ أنس بن مالك، خادم رسول الله ﷺ، وكان أبوه من سَبي جَرجَرايا(٢)، تَمَلَّكَهُ أنس، ثم كاتَبَهُ**

(١) انظر السير: ٤/٦٠٦-٦٢٢.

(٢) جرجرايا: بلد بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي.

على أُلوفٍ من المال، فوفاه، وعجَّل له مالَ الكتابة قَبل حلوله، فتمنَّع أنَسُ مِن أخذِهِ لمَّا رأىٰ سيرين قد كَثُرَ مالُه من التجارة، وأملَ أن يَرِثَهُ، فحاكمه إلى عُمرَ رضي الله عنه، فألزمه تعجيل المؤجَّل.

وُلد لسنتين بقيتا من خلافة عُمَر.

[١] عن ابن سيرين، قال: حجَّ بنا الوليد فمرّ بنا على المدينة، فأدخَلَنا على زَيد بن ثابت، ونحن سبعةٌ ولَدُ سيرين، فقال له: هؤلاء بنو سيرين، فقال زيد: هذان لأُمٍّ، وهذان لأُمٍّ، وهذان لأُمٍّ، وهذا مِن أُمٍّ. قال: فما أخطأ.

عُمر بن شبَّةَ: حدَّثنا يوسف بن عطيَّة: رأيت ابن سيرين قصيراً عظيمَ البطن، له وفرة، يفرق شعره، كثير المُزاحِ والضَّحكِ يخضب بالحِنَّاء.

عن ابن عَون قال: ثلاثة لَم تَرَ عيناي مثلَهم: ابن سيرين بالعراق، والقاسم بن محمد بالحجاز، ورجاء بن حَيوةَ بالشام كأنَّهم التَقَوْا فتواصَوْا.

[٢] وقد وقف على ابن سيرين دَين كثير من أجل زيت كثير أراقه، لكونه وجد في بعض الظروف فأرة.

[٣] عن ثابت، قال لي محمد: يا أبا محمد، لم يكن يمنُعني من مجالستِكُم إلَّا مخافةُ الشهرة، فلم يزل بي البلاء حتى قمتُ على المصطبة، فقيل: هذا ابنُ سيرين، أكل أموال النَّاس، وكان عليه دَينٌ كثير.

[٤] وعن زهير الأقطع: كان محمد بن سيرين، إذا ذكر الموت، مات كُلُّ عضو منه على حِدة.

قال محمد بن جرير الطبريُّ: كان ابن سيرين فقيهاً، عالماً، ورِعَاً أديباً، كثير الحديث، صدوقاً، شهد له أهل العلم والفضل بذلك، وهو حُجَّة.

[٥] عن أيُّوبَ، قال محمد: إنَّ هذا العلم دِينٌ فانظروا عمَّن تأخذون دينَكم.

[٦] عن ابن سيرين، قال: لقد أتىٰ على الناس زمانٌ وما يُسأَل عن إسناد الحديث، فلمَّا وقعَتِ الفِتنة سُئِل عن إسناد الحديث، فينُظَرُ مَن كان من أهل البِدع، تُرِكَ حديثُهُ.

[١] قال أشعَث: كان ابن سيرين إذا سُئِل عن الحَلالَ والحَرام، تغيَّر لَونُه حتى تقول: كأنَّه ليس بالذي كان.

[٢] عن منصور: كان محمد يضحكُ حتَّى تدمَعَ عيناه، وكان الحَسَنُ يحدِّثنا ويبكي.

[٣] وقال غالب القطَّان: خذوا بحِلم ابن سيرين، ولا تأخذوا بغَضَبِ الحَسنِ.

[٤] عن أيُّوبَ، قال: كان محمد يصوم يوماً ويُفطِرُ يوماً.

[٥] وقال ابن عَون: كان محمد يصومُ عاشوراء يومين ثم يُفطِرُ بعد ذلك يومين.

[٦] قال جرير بن حازم: كنتُ عند محمد، فذكر رجلاً، فقال: ذاك الأسود، ثم قال: إنَّا لله، إنِّي اغتبتُه.

[٧] وعنه، قال: قلتُ مرَّةً لِرجلٍ: يا مُفْلِس، فعوقبت.

قال أبو سليمان الدَّاراني وبلغه هذا فقال: قَلَّت ذنوبُ القَوم فعرفوا من أين أُتُوا، وكَثُرَتْ ذنوبُنا فلم ندْرِ من أين نُؤتى.

[٨] قُريشُ بنُ أنس: حدَّثنا عبدالحميد بن عبدالله بن مسلم بن يسار، أنَّ السجَّان قال لابن سيرين: إذا كان اللَّيل فاذهب إلى أهلك، فإذا أصبحت فتعالَ. قال: لا واللهِ، لا أكونُ لَكَ عَوناً على خيانةِ السُّلطان.

[٩] قال معمر: جاء رجل إلى ابن سيرين فقال: رأيتُ كأنَّ حمامةً التقمتْ لؤلؤةً، فخرجت منها أعظمَ ما كانت، ورأيتُ حَمامةً أخرىٰ التقَمَتْ لؤلؤةً فخرجت أصغر ممَّا دخلت، ورأيتُ أخرىٰ التقمتْ لؤلؤة فخرجت كما دخلَت. فقال ابن سيرين: أمَّا الأُولى فذاك الحَسنُ، يسمعُ الحديث فيجوِّدُه بمنطقه ويصلُ فيه من مواعِظِه. وأمَّا التي صغُرت فأنا، أسمعُ الحديث فأُسقِطُ منه، وأمَّا التي خرجَت كما دخلَت فقتادة، فهو أحفظُ الناس.

[١٠] عن عبدالله بن مسلم المروزيّ، قال: كنتُ أجالسُ ابنَ سيرين، فتركتُه وجالستُ الإباضيَّة، فرأيتُ كأنِّي معَ قومٍ يحمِلُون جنازةَ النبي ﷺ، فأتيتُ ابنَ

سيرين فذكرتُ له، فقال: مالكَ جالستَ أقواماً يُريدون أن يدفِنُوا ما جاءَ به النبيُّ ﷺ.

[١] وعن هشام بن حسَّان، قال: قصَّ رجل على ابن سرين فقال: رأيتُ كأنَّ بيدي قدَحاً من زُجاج فيه ماء، فانكسر وبقيَ الماء. فقال له: اتَّقِ الله فإنَّك لم تَرَ شيئاً، فقال: سُبحان الله. قال ابنُ سيرين: فمَن كذَبَ فَمَا عليَّ، ستَلِدُ امرأتُك وتموت، ويبقىٰ ولَدُها. فلمَّا خرج الرجل قال: واللهِ ما رأيتُ شيئاً. فما لَبِثَ أن وُلِدَ لَهُ وماتَتِ امرأتُه.

[٢] قال: ودخل آخر فقال: رأيتُ كأنِّي وجاريةً سوداء نأْكلُ في قصعةٍ سمَكةً، قال: أتهَيِّىءُ لي طعاماً وتدعوني؟ قال: نعم، ففعَل، فلما وُضعِتَ المائدة، إذا جارية سوداء فقال له ابنُ سيرين: هل أصبت هذه؟ قال: لا، قال: فادخل بها المخدَع، فدخَل، وصاحَ: يا أبا بكر، رجل والله، فقال: هذا الذي شاركك في أهلك.

[٣] عن مغيرةَ بن حَفص، قال: سُئِلَ ابن سيرين، فقال: رأيتُ كأنَّ الجوزاء تقدَّمت الثُّريَّا قال: هذا الحَسَنُ يموتُ قبلي ثُمَّ أتْبَعُهُ، وهو أرفَعُ منِّي.

[٤] قد جاء عن ابن سيرين في التعبير عجائب يطولُ الكتابُ بذكرها، وكان له في ذلك تأييدٌ إلهيٌّ.

[٥] أنَسُ بنُ سيرين، قال: كان لمحمد سبعةُ أوراد، فإذا فاته شيء من اللَّيل قرأه بالنهار.

[٦] عن ابن عَون، أنَّ محمداً كان يغتسل كُلَّ يوم.

قُلتُ: كان مشهوراً بالوسواس. قال مَهدي بن مَيمون: رأيتُه إذا توَّضأ فَغَسَل رجليه بلغَ عَضَلة ساقَيه.

وقال سُليمان بن المغيرة: رأيتُ ابن سيرين يَلْبَسُ الثياب الثمينة والطيالس والعمائم.

[٧] وقال هشام بن حسَّان: حدَّثتني حفصة بنت سرين قالت: كانت والدةُ محمد حجـازيَّةً، وكان يُعجبها الصِّبْغُ، وكان محمدٌ إذا اشترى لها ثوباً اشترى ألينَ ما

يجد، فإذا كان عيدٌ، صَبَغ لها ثياباً، وما رأيته رافعاً صَوتَه عليها، كان إذا كلَّمها كالمصغي إليها.

[١] عن ابن عَون، أنَّ محمداً كان إذا كان عند أُمِّه لَو رآه رجلٌ لا يعرفُه، ظَنَّ أنَّ به مَرَضاً مِن خَفض كلامِه عندها.

[٢]عن ابن عَون، قال: كانوا إذا ذكروا عند محمد رجلاً بسيِّئةٍ ذَكرهُ هو بأحسن ما يَعلَم. وجاءَهُ ناسٌ فقالوا: إنَّا نِلنا منك فاجعلنا في حلّ، قال: لا أُحِلُّ لكم شيئاً حرَّمه الله.

مات محمدُ بَعدَ الحَسَن البصريّ بمئةِ يوم، سنة عشرٍ ومئة.

[٣]أبو صالح كاتب اللَّيث: حدَّثني يحيى بن أيُّوب أنَّ رَجُلَين تآخياً فتعاهدا: إن ماتَ أحدُهما قبل الآخر أن يُخبرَهُ بما وجَد، فمات أحدهما، فرآه الآخرُ في النَّوم، فسأله عن الحسن البصري؟ قال: ذاك ملك في الجنَّة لا يُعْصى، قال: فابن سيرين؟ قال: ذاك فيما شاء واشتهىٰ، شتّان ما بينهما، قال: فبأيّ شيء أدرك الحسن؟ قال:بشدَّة الخَوف والحُزن.

[٤]كان الحكم ابنُ جَحْل، صديقاً لابنِ سيرين، فحَزِنَ على ابن سيرين حتى كانَ يُعاد، ثم قال: رأيتُه في المنام في حالِ كذا وكذا، فسألتُه لمَّا سرَّني: ما فعل الحسَن؟ قال: رُفِعَ فَوقي سبعين دَرَجةً، قلتُ: بِمَ؟ فقد كُنَّا نرىٰ أنَّك فَوقه قال: بطولِ الحُزنِ.

وقد كان الأوزاعيّ أشار عليه يحيى بن أبي كثير، أن يرتحلَ إلى البَصرة لِلُقيِّ محمد بن سيرين، فأتى فوجدَهُ في مَرضِ المَوت، فعادَهُ ولم يسمَع منه، رحمهُ الله تعالى، وبلغني أنَّ اسمَ أمِّهِ صفيَّة، مولاةٌ لأبي بكر الصِّدِّيق.

الجزء الخامس



٢٥٥ عبدالرحمن (٤)[١]

[١] ابنُ أبانَ بنِ عثمانَ بن عفَّانَ القرشيُّ الأمويُّ، **أحدُ من يَصلُح للخلافة**.

[٢] قال موسى التيمي: ما رأيتُ أحداً أجمعَ للدين والمملكة والشرفِ منه. وقيل: كان يشتري أهل البيت فيكسوهم ويُعتقهم ويقول: أستعينُ بهم على غمراتِ الموت فمات وهو نائم في مسجده. وقيل: كان كثيرَ العبادة والتألُّه. رآه علي بن عبدالله بن عباس فأعجبه نُسُكُه وهديُه، فاقتدى به في الخير.

٢٥٦ عبدالرحمن بن الأسود (ع)[٢]

[٣] ابن يزيد بن قيس، **أبو حفص النَّخَعِيُّ الكوفي، الفقيه، الإمام ابن الإمام**.

[٤] وروى مالك بن مِغْوَل عن رجل أنه عدَّ على ابن الأسود يوم جمعة قبل الصلاة ستاً وخمسين ركعة.

[٥] وروى حفص بن غياث، عن ابن إسحاق، قال: قدم علينا عبدالرحمن بن الأسود حاجاً، فاعتلَّت رجلُه، فصلى على قدم حتى أصبح.

[٦] وقال هلال بن خبَّاب: كان عبدالرحمن بن الأسود، وعقبة مولى أديم، وسعد أبو هشام يُحرمون من الكوفة، ويصومون يوماً، ويُفطرون يوما حتى يَرْجِعُوا.

[٧] وعن الحكم أن عبدالرحمن بن الأسود لما احتُضِرَ، بكى، فقيل له؟ فقال: أسفاً على الصَّلاةِ والصوم، ولم يزل يتلو حتى مات.

[٨] قال الشَّعْبِيُّ: أهلُ بيت خُلِقوا للجنة علقمةُ والأسودُ وعبدُ الرحمن.

مات سنة ثمانٍ أو تسع وتسعين.

---

(١) انظر السير: ٥/١٠-١١.

(٢) انظر السير: ٥/١١-١٢.

٢٥٧ عكرمة (خ، ٤، م مقرونا)(١)

[١] العلاَّمة، الحافظ، المفسِّر، أبو عبدالله القُرشي، مولاهم، المدني، البربري الأصل.

[٢] عن عبدالرحمن بن حسَّان: سمعتُ عِكرمة يقول: طلبتُ العِلمَ أربعينَ سنةً، وكنت أُفتي بالبابِ، وابنُ عباس في الدار.

[٣]قال عبد الحميد بن بَهْرَام: رأيتُ عِكرمة أبيضَ اللحية عليه عِمَامة بيضاءُ، طرفُها بين كتفيه، قد أدارها تحت لحيته، وقميصُه إلى الكعبين، وكان رداؤه أبيضَ.

[٤] قال يحيى بن معين: مات ابنُ عباس، وعكرمة عبد لم يُعتق، فباعه علي بن عبدالله فقيل:تبيع عِلمَ أبيك؟ فاستردَّه.

[٥]وروى سعيد عن قتادة قال: كان أعلمَ التابعين أربعةٌ، كان عطاءُ أعلمَهم بالمناسك، وكان سعيدُ بن جبير أعلمَهم بالتفسير، وكان عِكرمة أعلمَهم بسيرة النبيِّ ﷺ، وكان الحسنُ أعلمَهم بالحلال والحرام.

[٦]وقال سليمان الأحول لقيتُ عكرمةَ ومعه ابنُ له، قلت: أيحفظ هذا مِن حديثك شيئاً؟ قال:إنَّه يُقال: أزهدُ الناس في عالمٍ أهلُه.

[٧] قال حمَّاد، عن أيوب: سمعتُ رجلاً قال لعكرمة: فلان قذفني في النَّوم، قال: اضرِبْ ظِلَّه ثمانين.

[٨] قال علي بن المديني: كان عكرمة يرى رأي نجدَة الحروريِّ.

قال ابن عُليَّة: ذكر أيوبُ عكرمةَ فقال: كانَ قليلَ العقل، أتينا، يوماً فقال: واللهِ لأُحدِّثنَّكم، فمكث، فجعل يُحدثنا، ثم قال: أَيُحسنُ حَسَنُكم مِثل هذا؟ وبينا أنا عنده إذ رأى أعرابياً فقال: هَاه(٢)، ألم أرك بأرضِ الجزيرةِ أو غيرها، فأقبل عليه وتركنا.

[٩] قال عبدالعزيز بن أبي رَوَّاد: قلتُ لعكرمة: تركتَ الحرمينِ، وجئت إلى خراسانَ؟!

---

(١) انظر السير: ٥/١٢-٣٦.

(٢) كلمة تقال للتذكر، وتقال أيضاً عند التوجع والتلهف.

قال: أسعى على بناتي.

[١] عن يحيى بن معين قال: إذا رأيتَ إنساناً يقع في عكرمة، وفي حمَّاد بن سلمة، فاتَّهِمْهُ على الإسلام.

قلتُ: هذا محمولٌ على الوقوع فيهما بهوىً وحَيْف في وزنهما، أمَّا مَنْ نقل ما قيل في جرحِهما وتعديلهما على الإنصاف، فقد أصاب.

[٢] خالد بن خِدَاش قال: شهدت حمَّاد بن زيد في آخر يوم مات فيه، فقال: أُحَدِّثكم بحديث لم أُحَدِّث به قط، إني أكره أن ألقى الله ولم أُحَدِّثْ به، سمعتُ أيوب يُحدِّث عن عكرمة قال: إنما أنزلَ اللهُ متشابهَ القرآن ليُضلَّ به.

قلت: هذه عبارة رديئة، بل إنَما أنزله الله تعالى ليهدي به المؤمنين، وما يضل به إلا الفاسقين، كما أخبرنا عزّ وجلّ في سورة البقرة.

مات عكرمة بالمدينة سنة خمس ومئة.

خرَّج له مسلم مقرناً بطاووس في الحجِّ، فالذين أهدروه كِبَار، والذين احتَجوا به كِبَار والله أعلم بالصواب.

٢٥٨ طاووس (ع)[١]

[٣] ابن كَيْسانَ، الفقيه القدوة عالم اليمن، أبو عبدالرحمن الفارسي، ثم اليمني الجَندي[١] الحافظ.

[٤] فروى عطاءُ بن أبي رباح عن ابن عباس قال: إني لأظن طاووسا من أهل الجنة.

[٥] عن ابن أبي نَجِيح قال: قال مجاهدٌ لطاووس: رأيتُك يا أبا عبدالرحمن تُصلي في الكعبة، والنبي ﷺ على بابها يقول لك: اكْشِف قِنَاعَكَ، وبَيِّنْ قِراءَتَكَ. قال طاووس: اسكت لا يسمعْ هذا منك أحد، قال: ثمّ خُيِّل إليَّ أنه انبسط في الكلام، يعني فرحاً بالمنام.

---

(١) انظر السير: ٥/٣٨- ٤٩.

(٢) نسبة إلى مدينة كبيرة باليمن كثيرة الخيرات، بها قوم من خولان، وبها مسجد جامع بناه معاذ بن جبل رضي الله عنه حين نزلها، نزل بها طاووس، فنسب إليها.

[١] عن داود بن إبراهيم أن الأسد حَبَسَ لَيْلَةً الناسَ في طريق الحجِّ، فدقَّ الناسُ بعضُهم بعضاً، فلما كان السَّحَرُ، ذهب عنهم، فنزلوا وناموا، وقام طاووس يُصلي، فقال له رجلٌ: ألا تنامُ، فقال: وهل ينامُ احد السَّحرَ.

[٢] وعن الحُرِّ بن أبي الحُصَين العنبري قال: مرَّ طاووس بروَّاس قد أخرج رأساً فغُشِيَ عليه.

[٣] وروى عبدالله بن بشر الرَّقِّي قال: كان طاووس إذا رأى تلك الرؤوسَ المشويَّة، لم يتعشَّ تلك الليلة.

[٤] مُطَهَّر بن الهيثم الطائي، عن أبيه، قال: حج سليمانُ بن عبدالملك، فخرج حاجبُه فقال: إن أميرَ المؤمنين: قال: ابغُوا لي فقيهاً أسألهُ عن بعض المناسك، قال: فمرَّ طاووس، فقالوا: هذا طاووس اليماني، فأخذه الحاجبُ، فقال: أجِب أميرَ المؤمنين، قال: أعفني، فأبى، ثم أدخله عليه، قال طاووس: فلمَّا وقفتُ بين يديه قلت: إن هذا لمجلسٌ يسألني الله عنه، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين! إن صخرةً كانت على شفير جُبٍّ في جهنم، هوت فيها سبعين خريفاً، حتى استقرّت قرارَها، أتدري لمن أعدها الله؟ قال: لا، ويلكَ لِمن أعدَّها؟ قال: لمن أشركه الله في حُكمه فجار، قال: فكبا لها.

[٥] ويُروى أن طاووساً جاء في السَّحَر يطلبُ رجلاً، فقالوا: هو نائم، قال: ما كنت أرى أن أحداً ينام في السَّحَر.

عن طاووس قال: أدركتُ خمسين من أصحاب رسول الله ﷺ.

[٦] عن حَنظلة بن أبي سفيان قال: ما رأيتُ عالماً قطُّ يقول: لا أدري أكثرَ مِن طاووس.

[٧] وبلغنا أن ابنَ عباس كان يُجلُّ طاووسا، ويأذن له مع الخواص، ولما قَدِمَ عكرمةُ اليمن، أنزله طاووس عنده، وأعطاه نجيباً(١).

توفي طاووس بمكة أيامَ الموسم، سنة ست ومائة.

[٨] قال ابن حبان: كان مِن عُبَّاد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، مستجابَ

---

(١) النجيب من الإبل: القوي منها، الخفيف السريع.

الدعوة، حجَّ أربعين حجَّة.

[١] عن طاووس قال: لا يتِمُّ نُسكُ الشَّابِّ حتى يتزوج.

[٢] إبراهيم بن مَيسَرة قال: قال لي طاووس: تزَّوجْ أو لأقولَنَّ لك ما قال عمر بن الخطاب لأبي الزَّوائد: ما يمنعك من النِّكاح إلَّا عجزٌ أو فجورٌ.

[٣]عن ابن أبي روَّاد، قال: رأيتُ طاووساً وأصحابه إذا صلَّوا العصر، استقبلوا القبلةَ، ولم يُكلِّموا أحداً، وابتهلُوا بالدُّعاء.

٢٥٩ القاسم بن محمد (ع)[١]

[٤]**ابن خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق عبدالله بن أبي قُحافة، الإمام القُدوة الحافظ الحُجَّة، عالم وقته بالمدينة مع سالم وعكرمة.**

وروى عبدالرحمن بن أبي الزِّناد، عن أبيه قال: ما رأيتُ أحداً أعلمَ بالسنة من القاسم بن محمد، وما كان الرجل يُعَدُّ رجلاً حتى يعْرفَ السُّنة، وما رأيت أحدَّ ذِهناً من القاسم إن كان ليضحك من أصحاب الشُّبَه كما يضحكُ الفتى.

[٥]عن ابن اسحاق قال: رأيتُ القاسم بن محمد يُصلي، فجاء أعرابيٌّ فقال: أيُّما أعلمُ أنت أمْ سَالِمٌ؟ فقال: سُبْحَانَ الله، كلٌّ سيخبرك بما عَلِمَ، فقال: أيُّكما أعلم؟ قال: سبحانَ الله، فأعاد، فقال: ذاك سالم، انطلق، فَسَلْهُ، فقام عنه، قال ابن إسحاق: كَرِهَ أن يقول: أنا أعلم، فيكون تزكية، وكرِه أن يقول: سالم أعلمُ مني فيكذب. وكان القَاسم أعلمهما.

[٦] وعن أبي الزِّناد قال: ما كان القاسمُ يجُيب إلَّا في الشئ الظاهر.

[٧] قال القاسم بن محمد: قد جعل الله في الصَّديق البارِّ المُقْبِل عِوَضاً من ذي الرحم العاقِّ المُدْبِر.

عن عبدالله بن عمر العُمري قال: مات القاسمُ وسالم أحدهما سنة خمس ومئة، والآخر سنة ستٍّ.

[٨] قال يحيى القطَّان: فقهاء المدينة عشرةٌ، ذكر منهم القاسم. روى أفْلَح بن حُميد، عن القاسم قال: اختلاف الصحابة رحمة.

(١) انظر السير: ٥/٥٣ـ ٦٠.

٢٦٠ إبراهيم بن يزيد (ع)(١)

[١] **التيمي: الإمام القدوة الفقيه عابد الكوفة أبو أسماء.**

وكان شاباً صالحاً قانتاً لله عالماً فقيهاً كبيرَ القدر واعظاً.

[٢] وقال الأعمش: كان إبراهيمُ التيمي إذا سجد كأنه جِذْمُ حائطٍ ينزل على ظهره العصافير.

[٣] روى الثوري: قال إبراهيم التيمي: كم بيَنكم وبينَ القوم! أَقْبَلَتْ عليهم الدنيا فهربوا، وأدبرت عنكم، فاتبعتُموها.

[٤] روى أبو حيَّان عن إبراهيم قال: ما عرضتُ قولي على عملي إلاَّ خِفْتُ أن أكونَ مُكذِّباً.

[٥] وعن إبراهيم قال: إن الرجل ليظلمني فأَرحمه.

[٦] وروى عنه منصور قال: إذا رأيتَ الرجل يتهاونُ في التكبيرة الأُولى فاغسل يدك منه.

[٧] قال ابن سعد: أخبرنا علي بن محمد قال: طلب الحجاجُ إبراهيم النَّخَعي، فجاء الرسولُ فقال: أريدُ إبراهيم، فقال إبراهيم التيمي: أنا إبراهيم، ولم يستحِلَّ أن يدلَّه على النَّخَعيِّ، فأمر بحبسه في الديماس، ولم يكن لهم ظِل من الشمس، ولا كِن من البرد، و كان كل اثنين في سلسلة، فتغيّر إبراهيم، فعادته أمُّه، فلم تعرفه، حتى كلَّمها، فمات، فرأى الحجاجُ في نومه قائلا يقول: مات في البلد الليلة رجلٌ من أهل الجنة، فسأل، فقالُوا: مات في السجن إبراهيم التَّيمي، فقال: حُلْمٌ نزغة من نزغات الشيطان، وأمر به فأُلقي على الكُنَاسة.

٢٦١ القُرَظي (ع)(٢)

[٨] **محمد بن كعب بن سُليم، الإمام العلاَّمة الصادق أبو حمزة، القرظي المدني، من حُلفاء الأوس، وكان أبوه كعبُ من سبي بني قُريظة، سكن الكوفة، ثم المدينة.**

---

(١) انظر السير: ٥/٦٠-٦٢.

(٢) انظر السير: ٥/٦٥-٦٨.

[١] عن أبي كبير البصري، قالت أم محمد بن كعب القُرَظي له: يا بُنيَّ! لولا أني أعرفُك طيِّباً صغيراً وكبيراً لَقُلتُ: إنك أذنبتَ ذنباً موبقاً لِمَا أراك تصنع بنفسك، قال: يا أُمَّاه! وما يُؤمنني أن يكونَ الله قد اطَّلع علي، وأنا في بعض ذنوبي فمقتني، وقال: اذهب لا أغفرُ لك، مع أن عجائبَ القرآن تردُ بي على أمور حتى أنَّه لينقضي الليلُ ولم أفْرُغْ من حاجَتي.

[٢] عن محمد بن فُضَيل البزاز قال: كان لمحمد بن كعب جُلَساء من أعظم الناس بالتفسير، وكانُوا مجتمعين في مسجد الرَّبَذَةَ فأصابتهم زلزلة، فسقط عليهم المسجدُ، فماتُوا جميعاً تحتَه.

تُوفي سنة ثمان ومئة.

قلت: كان من أئمة التفسير، وقال البخاري: كان أبوه ممن لم يُنْبِتْ يومَ قُريظة، فَتُرك.

[٣] يعقوب بنُ عبدالرحمن القارِّي، عن أبيه: سمعتُ عون بن عبدالله يقولُ: ما رأيتُ أحداً أعلمَ بتأويل القرآن من القُرَظي، وقيل: كان له أملاك بالمدينة، وحصَّل مالاً مرَّة، فقيل له: ادَّخِرْ لِوَلدكَ، قال: لا، ولكنَ أدَّخِرُه لنفسي عند ربي، وأدَّخِرُ ربي لولدي، وقيل: إنه كان مُجَابَ الدعوة، كبير القدر.

٢٦٢ مَيْمُونُ بنُ مِهْران (م، ٤)(١)

[٤] الإمام الحُجَّة، عالِمُ الجزيرة ومفتيها، أعتقته امرأةٌ من بني نَصْر بن معاوية بالكوفة، فنشأ بها، ثم سكن الرَّقَّة.

[٥] عن ميمون بن مهران قال: لا يكونُ الرجلُ تقياً حتَّى يكونَ لِنفسه أشدَّ محاسبةً مِن الشريكِ لشريكِه، وحتَّى يعلَمَ من أين مَلْبَسُهُ وَمَطْعَمُهُ ومَشْرَبُهُ.

[٦] وقال جامع بن أبي راشد: سمعتُ ميمونَ بن مِهْران يقول: ثلاثة تُؤدّى إلى البَرِّ والفاجِر: الأمانَةُ، والعَهْدُ، وَصِلَةُ الرَّحِم.

(١) انظر السير: ٥/ ٧١ـ ٧٨.

[١] قال أبو المليح : جاء رجل إلى ميمونَ بن مِهْران يخطب بنتَه ، فقال : لا أرضاها لك ، قال ولِمَ؟ قال : لأنها تُحبُّ الحُليَّ والحُلَل ، قال : فعندي من هذا ما تُريد ، قال : الآن لا أرضاكَ لها .

[٢] قال أبو المليح : قال رجل لميمون : يا أبا أيوب! ما يزالُ النَّاسُ بخير ما أبقاك الله لهم ، قال : أقْبِلْ على شأنِك ، ما يزال الناسُ بخيرٍ ما اتَّقَوْا رَبَّهُم .

[٣] روى أبو المليح : عن ميمون : مَنْ أساء سِرّاً فليتُبْ سِرّاً ، ومَنْ أساء علانية ، فليتُب علانية ، فإن الناس يُعيِّرون ولا يغفِرون ، والله يغفرُ ولا يعيِّر .

[٤] عن جعفر بن بُرْقَان : قال لي ميمون بن مهران : يا جعفرُ قُلْ لي في وجهي ما أكرَهُ ، فإن الرجل لا ينصحُ أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره .

[٥] قال فرات : سمعتُ ميموناً يقول : لو نُشِرَ فيكم رجلٌ من السَّلف ما عَرَفَ إلا قِبْلتكم .

[٦] عن ميمون بن مهران قال : ثلاث لا تَبْلُوَنَّ نفسك بهنَّ : لا تدخُلْ على السلطان ، وإن قلت : آمُرُه بطاعةِ الله ، ولا تُصْغِيَنَّ بِسَمْعِكَ إلى هوى ، فإنك لا تدري ما يعلَقُ بقلبك منه ، ولا تَدْخُلْ على امرأة ولو قلتَ : أُعلِّمُها كتابَ الله .

تُوفِّي سنة سبع عشرة ومئة .

٢٦٣ عَطَاءُ بنُ أبي رَبَاح (ع)(١)

[٧] **أسلَمَ ، الإمامُ شيخُ الإسلام ، مفتي الحرم ، أبو محمد القرشي مولاهم المكي .**

عن عطاء قال : أدركتُ مئتين من أصحاب رسول الله ﷺ .

[٨] عن عثمان بن عطاء قال : كان عطاء أسودَ شديد السواد ، ليس في رأسه شعر إلا شعرات ، فصيح إذا تكلَّم ، فما قال بالحجاز قُبِلَ منه .

[٩] عن إسماعيل بن أُميَّة قال : كان عطاء يُطيل الصمتَ ، فإذا تكلَّم يُخيَّل لَنا أنَّه يُؤيَّدُ .

(١) انظر السير : ٥/٧٨ـ٨٨ .

[١] قال الأصمعي: دخل عطاءُ بن أبي رباح على عبد الملك، وهو جالس على السرير، وحولَه الأشرافُ، وذلك بمكة في وقت حجِّه في خلافته، فلمَّا بَصُر به عبدُ الملك، قام إليه فسلَّم عليه، وأجلسه معه على السرير، وقعَدَ بين يديه، وقال: يا أبا محمد: حاجَتَك؟ قال: يا أميرَ المؤمنين! اتَّقِ اللهَ في حَرَمِ الله، وحَرَمِ رسوله، فتعاهَدْه بالعمارة، واتَّقِ الله في أولادِ المهاجرين والأنصارَ، فإنك بهم جلستَ هذا المجلس، واتَّق الله في أهل الثغور، فإنهم حِصنُ المسلمين، وتفقد أمورَ المسلمين، فإنَّك وحدك المسؤولُ عنهم، واتَّقِ الله فيمن على بابك، فلا تَغْفُل عنهم، ولا تُغْلِقْ دونهم بابَك، فقال له: أفعل، ثم نهض وقام، فقبضَ عليه عبدُ الملك وقال: يا أبا محمد! إنما سألتنا حوائجَ غيرك، وقد قضيناها، فما حاجَتُك؟ قال: مالي إلى مخلوق حاجة، ثم خرج، فقال عبدالملك: هذا وأبيك الشرفُ، هذا وأبيك السُّؤدُدُ.

[٢] يعلى بن عُبيد قال: دخلنا على ابن سُوقَه، فقال: يا ابن أخي! أُحدِّثكم بحديثٍ لعلَّه ينفعُكُم، فقد نفعني. قال لنا عطاء بن أبي رباح: إن مَنْ قَبلَكم كانوا يَعُدُّون فضولَ الكلام ما عدا كتاب الله، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو أن تنطِق في معيشتك التي لابُدَّ لك منها، أتنكرون أن عليكم حافظين كِرَاماً كاتبين، عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلَّا لديه رقيب عتيد، أما يستحي أحدُكم لو نُشِرت صحيفتُه التي أَملى صدرَ نهاره، وليس فيها شيْ مِن أمر آخرته.

[٣] قال ابن جُريج عن عطاء: إن الرجل ليحدثني بالحديث، فأُنْصِتُ له كأني لم أسمعه، وقد سمعتُه قبل أن يُولَد.

[٤] وعن ابن جُريج قال: لزمتُ عطاء ثماني عشرة سنة، وكان بعدما كبر وضعف يقومُ إلى الصلاة، فيقرأ مئتي آية من البقرة وهو قائم لا يزول منه شيءٌ ولا يتحرك.

[٥] وعن عطاء قال: لو ائتمنت على بيت مال لكنتُ أميناً، ولا آمن نفسي على أمة شوهاء.

قلت: صدق رحمه الله. ففي الحديث: «ألاَ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بامْرأةٍ، فإنَّ ثالِثَهُما الشَّيطانُ»

٢٦٤ بِلَالُ بنُ سَعْد (ت)(١)

[١] ابن تميم السَّكوني الإمام الرَّبَّاني الواعظ أبو عمرَ الدمشقيّ شيخُ أهلِ دمشقَ، كان لأبيه سعد صُحبة.

وكان بليغَ الموعظةِ، حسنَ القصص، نفَّاعاً للعامة.

[٢] قال الأوزاعي: كان مِن العبادة على شيءٍ لم نسمَعْ أحداً قَوِيَ عليه، كان لَهُ كُلَّ يومٍ وليلةٍ ألفُ ركعة.

[٣] وقال عبدالرحمن بن يزيد بن تميم: سمعتُهُ يقول: يا أهلَ التُّقى! إنَّكم لَمْ تُخلقوا للفناء، وإنما تُنقلُونَ مِن دارٍ إلى دار، كما نُقِلتُم من الأصلاب إلى الأرحام، ومن الأرحام إلى الدنيا، ومِن الدنيا إلى القبور، ومِن القبور إلى الموقف، ومن الموقف إلى الخُلُود في جنة أو نار.

[٤] بلالُ بن سعد يقول: لا تَنْظُرْ إلى صِغَرِ الخَطِيئةِ، ولكن انْظُرْ مَنْ عَصَيْتَ.

[٥] وقال الأوزاعيُّ: خرجوا يستسقُون بدمشق، وفيهم بلالُ بنُ سعد، فقام فقال: يا معشرَ مَنْ حضر! ألستُم مُقرِّين بالإساءةِ؟ قُلنا: نعم، قال: اللهُمَّ إنَّك قلت: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [التوبة ٩١] وقد أقررنا بالإساءةِ، فاعفُ عنا واسقنا، قال: فَسُقِينا يومئذ.

توفي بلال سنة نَيِّف وعشرة ومئة.

٢٦٥ نَافِـع (ع)(٢)

[٦] الإمام المفتي الثَّبْتُ، عالم المدينة، أبو عبدالله القُرشي، ثم العَدَوي العُمري، مولى ابن عمر وراويته.

[٧] قال البخاري: أصحُّ الأسانيدِ: مالك، عن نافع، عن ابن عمر.

[٨] عن نافع قال: دخلتُ مع مولاي على عبدالله بن جعفر، فأعطاه فيَّ اثني عشر ألفاً، فأبى وأعتقني، أعتقه الله.

---

(١) انظر السير: ٥/٩٠-٩٢.

(٢) انظر السير: ٥/٩٥-١٠١.

[١] قال مالك: كُنت آتي نافعاً، وأنا حَدَث السِّنّ، ومعي غلامٌ لي فيقعدُ ويحدثني، وكان صَغِيرَ النفس، وكان في حياةِ سالم لا يُفتي شيئاً.

[٢] عن مالكٍ قال: كان في نافع حِدَّةٌ، ثم حكى مالك أنه كان يُلاطِفُه ويُداريه.

[٣] إسماعيل بن أبي أويس، عن أبيه: كُنَّا نختلفُ إلى نافع، وكان سَّيءَ الخُلقُ، فقلتُ: ما أصنعُ بهذا العبد! فتركته ولزمه غيري فانتفعَ به.

[٤] عن عبدالمجيد بن عبدالعزيز بن أبي روَّاد، عن أبيه، عن نافع، أنه لمَّا احتُضِر بكى، فقيل: ما يبكِيك؟ قال: ذكرتُ سعْداً وضغطة القبر.

٢٦٦ سُليمانُ بنُ عَبْدِ المَلِك(١)

[٥] ابن مروان الخليفة أبو أيوب القرشي الأُموي.

وكـان دِيِّنـاً فصيحاً مُفوَّهاً عادلاً مُحِبًّاً للغزو، يقال: نشأ بالبادية: مات بذات الجَنْب، ونقشُ خاتمه: أُومِنُ بالله مُخْلصاً.

[٦] وقيل: رأى بالمـوسم الخلق، فقال لعمر بن عبدالعزيز: أما ترى هذا الخلقَ الذين لا يُحصيهم إلَّا الله، ولا يَسعُ رِزقهم غيره! قال: يا أميرَ المؤمنين! هؤلاء اليومَ رعيتُك، وهم غداً خُصماؤك، فبكى وقال: بالله أستعين.

وعن ابن سيرين قال: يرحمُ اللهُ سليمانَ افتتح خلافته بإحياء الصلاة، واختتمها باستخلافه عُمر.

[٧] وكان من الأَكَلَة، حتى قيل: إنه أكل مَرَّة أربعين دجاجة، وقيل: أكل مرَّة خروفاً وستَّ دجاجات وسبعين رُمَّانة، ثم أُتي بمكوك(٢) زبيب طائفي فأكله.

٢٦٧ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزيز (ع)(٣)

ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، الإمامُ الحافظ العلَّامة المجتهدُ

---

(١) انظر السير: ٥/ ١١١-١١٣.

(٢) المكوك: مكيال يختلف مقداره باختلاف اصطلاح الناس عليه في البلاد، يقال إنه يسع صاعا ونصفا.

(٣) انظر السير: ٥/ ١١٤-١٤٨.

الـزاهدُ العابدُ السيِّد أميرُ المؤمنين حقاً أبو حفص، القرشي الأموي المدني ثم المصري، الخليفةُ الزاهد الراشِد أَشَجُّ بني أميَّة.

[١] وكان من أئمة الاجتهاد، ومن الخُلفاء، الراشدينَ رحمة الله عليه.

قال ابن سعد في الطبقة الثالثة من تابعي أهل المدينة فقال: أُمُّه هي أُمُّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، قالوا: وُلِدَ سنة ثلاث وستين، قال: وكان ثقة مأموناً. له فقه وعلم وورع، وروى حديثاً كثيراً، وكان إمام عدل رحمه الله ورضي عنه.

[٢] وروى ضِمَامُ بن إسماعيل عن أبي قَبيل: أن عمر بن عبدالعزيز بكى وهو غلام صغير فأرسلت إليه أُمُّه، وقالت: ما يُبكيك؟ قال: ذكرتُ الموت.

قال: وكان يومئذٍ قد جمع القرآن، فبكت أُمُّه حين بلغها ذلك.

[٣] سعيد بن عفير: حدّثنا يعقوب، عن أبيه أن عبدَ العزيز بن مروان بعث ابنَه عمر إلى المدينة يتأَدَّبُ بها، وكتب إلى صالح بن كَيْسان يتعاهده، وكان يُلزمُه الصلواتِ، فأبطأ يوماً عن الصلاة، فقال: ما حَبَسَكَ؟ قال: كانت مُرَجِّلتَي تُسَكِّن شعري، فقال: بلغ مِن تسكين شعرك أن تُؤثِرَه على الصلاة، وكتب بذلك إلى والده، فبعث عبدُ العزيز رسولاً إليه فما كلَّمه حتى حلق شعره.

وقال أبو مُسْهِرٍ: وَلِيَ عمرُ المدينة في إمرَة الوليد مِن سنَةَ ستٍّ وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين.

[٤] ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا ابنُ أبي الزِّناد، عن أبيه، قال: لما قدمَ عمرُ بن عبدالعزيز المدينة والياً، فصلَّى الظهر دعا بعشرة: عروة، وعُبيد الله، وسليمان بن يسار، والقاسِم، وسالماً، وخارجة، وأبا بكر بن عبدالرحمن، وأبا بكر بن سليمان بن أبي حَثْمة، وعبدالله بن عامَر بن ربيعة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إني دعُوتكم لأمر تؤجرون فيه، ونكونُ فيه أعواناً على الحق، ما أُريدُ أن أقطع أمراً إلَّا برأيكم، أو برأي مَنْ حضر منكم، فإن رأيتمُ أحداً يتعدَّى، أو بلغكم عن عامِلٍ ظُلامة، فأُحَرِّجُ بالله على مَنْ بلغه ذلك إلَّا أبلغني. فجَزَوْهُ خيراً، وافترقوا.

[١] وعن أبي جعفر الباقر قال: لِكُلِّ قَوْمٍ نجيبةٌ، وإن نجيبة بني أمية عمرُ بن عبدالعزيز، إنَّه يُبعث أُمَّةً وَحْدَهُ.

[٢] قلتُ قد كان هذا الرجل حَسنَ الخَلْقِ والخُلُقِ كامِلَ العَقْلِ، حَسَنَ السَّمْتِ، جَيِّدَ السِّياسة، حريصاً على العدل بكُلِّ ممكن، وافِرَ العلم، فقيه النفس، ظاهرَ الذَّكاء والفهم، أَوَّاهاً مُنيباً، قانتاً لله، حنيفاً زاهداً مع الخلافة، ناطقاً بالحق مع قِلَّة المُعين، وكثرةِ الأُمراءِ الظَّلَمة الذين مَلُّوهُ وكرهُوا مَحاققتَه لهم، ونَقْصَه أُعْطِياتِهم، وأخذَه كثيراً ممّا في أيديهم ممّا أخذوه بغير حقٍّ، فما زالوا به حتى سقوه السُّمَّ، فحصلت له الشهادة والسعادة، وعُدَّ عِندَ أهل العلم مِن الخلفاء الراشدين، والعلماء العاملين.

[٣] عن عبدالعزيز بن يزيد الأيلي قال: حجَّ سليمان، ومعه عمرُ بنُ عبدالعزيز، فأصابهم برقٌ ورَعْدٌ حتى كَادَتْ تَنْخلعُ قلوبُهُم، فقال سليمان: يا أبا حفص! هل رأيتَ مثلَ هذه الليلة قطُّ، أو سمعتَ بها؟ قال: يا أميرَ المؤمنين! هذا صوتُ رحمةِ الله، فكيف لو سمعتَ صوتَ عذابِ الله!

[٤] عن نافع قال: كان ابن عمر يقول: ليتَ شعري! مَنْ هذا الذي مِن ولد عمر، في وجهه علامة، يملأُ الأرض عدلاً.

[٥] عن عبدالرحمن بن حسَّان الكِناني قال: لمَّا مَرِضَ سليمانُ بدابق قال: يا رجاءُ! أستخلفُ ابني؟ قال: ابنُك غائب، قال: فالآخر؟ قال: هو صغير، قال: فمن ترى؟ قال: عمر بن عبدالعزيز، قال: أتخوَّف بني عبدِالملك أن لا يَرضُوا، قال: فَوَلِّه، ومِنْ بعده يزيد بن عبدالملك، وتكتُب كتاباً وتختمه، وتدعوهم إلى بيعةٍ مختومٍ عليها، قال: فكتب العهدَ وختمه، فخرج رجاء وقال: إنَّ أميرَ المؤمنين يأمُركم أن تُبايعوا لِمن في هذا الكتاب، قالوا: ومَنْ فيه؟ قال: مختومٌ، ولا تُخْبرونَ بمَنْ فيه حتى يموتَ، فامتنعوا، فقال سليمانُ: انطلق إلى أصحاب الشُّرَط، ونادِ الصلاة جامعة، ومُرهم بالبيعة، فمَنْ أبى، فاضرِبْ عُنقه، ففعل فبايعوا، قال رجاء: فلمَّا خرجُوا، أتاني هشام في موكِبه، فقال: قد علمتُ موقِفَك منّا، وأنا أتخوَّفُ أن يكونَ أميرُ المؤمنين أزالها عني، فأعلمني ما دام في الأمر نَفَسٌ، قلتُ: سبحانَ الله!

يستكتِمُني أميرُ المؤمنين وأُطلِعُك، لا يكونُ ذاك أبداً، فأدارني وألاصَني[1]، فأبيتُ عليه، فانصرفَ، فبينا أنا أسيرُ إذ سمعتُ جَلَبةً خلفي، فإذا عمر بن عبدالعزيز، فقال: يا رجاء! قد وقع في نفسي أمرٌ كبير من هذا الرجل، أتخوَّف أن يكون جعلها إليَّ ولستُ أقوم بهذا الشأن، فأعلمني ما دامَ في الأمر نَفَسٌ لعلِّي أتخلَّص، قلت سبحان الله! يستكتِمنُي أمراً أُطلِعُكَ عليه!

[١] وقد كان سليمان بن عبدالملك من أمثلِ الخلفاء، نشر عَلَمَ الجهاد، وجهَّز مئة ألف برّاً وبحراً، فنازلوا القُسْطَنْطِينيَّة، واشتد القتالُ والحِصارُ عليها أكثرَ من سنة.

[٢] قال سعيد بن عبدالعزيز: وَلِيَ سليمانُ، فقال لعمر بن عبدالعزيز: يا أبا حفص! إنَّا وَلِينا ما قد ترى، ولم يكن لنا بتدبيره عِلْمٌ، فما رأيتَ مِن مصلحة العامة، فمُرْ به، فكان من ذلك عزلُ عُمَّالِ الحجَّاج، وأُقيمتِ الصلواتُ في أوقاتها بعدما كانت أُميتت عن وقتها، مع أمورٍ جليلة كان يَسْمَعُ مِن عمر فيها، فقيل: إنَّ سليمان حجَّ، فرأى الخلائق بالموقف، فقال لِعمر: أما ترى هذا الخلقَ الذي لا يُحصي عددهم إلَّا الله؟ قال: هؤلاء اليومَ رعيَّتُك، وهم غداً خُصماؤك، فبكى بُكاءً شديداً.

قلتُ: كان عمرُ له وزيرَ صِدْق، ومَرِض بدابق أسبوعاً، وتوفي، وكان ابنُه داود غائباً في غزو القُسْطنطينية.

[٣] قال عُبَيْدُ الله بن عمر: خطبهم عُمرُ، فقال: لستُ بخيرِ أحدٍ منكم، ولكني أثْقَلُكُمْ حِمْلاً.

[٤] قال ميمون بن مِهْران: إنَّ الله كان يتعاهَد النَّاسَ بنبيٍّ بعد نبيٍّ، وإنَّ الله تعاهَدَ النَّاسَ بعمر بن عبدالعزيز.

[٥] قال الليث: بدأ عُمرُ بن عبد العزيز بأهلِ بيته، فأخذ ما بأيديهم، وسمَّى أموالهم مظالِمَ، ففزعَتْ بنو أُميَّة إلى عمَّته فاطمة بنتِ مروان. فأرسلت إليه: إني قد عناني أمْر، فأتته ليلاً، فأنزلها عن دابتها، فلمَّا أخذت مجلِسهَا قال يا عمَّه! أنت

(١) يقال: ألاصه على كذا: إذا أداره على الشئ الذي يريده، وقال عمر لعثمان في معنى كلمة الإخلاص: هي الكلمة التي ألاص عليها النبي ﷺ عمه ـ يعني أبا طالب ـ عند الموت: شهادة أن لا إله إلا الله، أي: أداره عليها وراوده فيها.

أولى بالكلام، قالت: تكلَّم يا أميرَ المؤمنين، قال: إنَّ الله بعث محمداً ﷺ رحمةً، ولم يبعثه عذاباً، واختار له ما عنده، فَترك لهم نهراً، شُرْبُهُمْ سواءٌ، ثم قام أبو بكر فترك النهرَ على حاله، ثم عمر، فعمِلَ عَمَلَ صاحبه، ثم لم يزل النهرُ يشتقُّ منه يزيدُ ومروانُ وعبدُ الملك، والوليدُ، وسليمان حتى أفضى الأمر إليَّ، وقد يبسَ النهر الأعظم، ولن يرويَ أهلَه حتى يعودَ إلى ما كان عليه، فقالت: حسبُك، فلستُ بذاكرةٍ لكَ شيئاً، ورجعت فأبلغتهم كلامه.

[١]عن عمر بن أسيد، قال: والله، ما مات عُمَرُ بنُ عبدالعزيز حتى جعل الرجلُ يأتينا بالمالِ العظيم، فيقولُ: اجعلوا هذا حيثُ ترون، فما يبرحُ حتى يَرْجِعَ بمالهِ كُلِّه، قد أغنى عُمَرُ الناس.

[٢]وعن ضَمْرةَ، قال: كتب عُمَرُ بنُ عبدالعزيز إلى بعض عماله: أمَّا بعدُ، فإذا دَعَتْكَ قُدْرَتُكَ على النَّاس إلى ظُلمِهِمْ، فَاذْكُرْ قدرةَ الله تَعالى عَلَيْكَ، ونَفَادَ ما تَأْتِي إليهم، وبَقَاء مَا يأْتُونَ إليْك.

[٣]عطاء بن أبي رباح، قال: حدثتني فاطمة امرأة عمر بن عبدالعزيز أنها دخلت عليه، فإذا هو في مُصَلَّاه يدُهُ على خدِّه، سائلة دموعه، فقلتُ: يا أمير المؤمنين! ألشيءٍ حدث؟ قال: يا فاطمةُ! إني تقلَّدت أمرَ أمَّة محمد ﷺ، فتفكرَّتُ في الفقير الجائع، والمريض الضائعِ، والعاري المجهود، والمظلومِ المقهُور، والغريب المأسور، والكبير، وذي العيال في أقطار الأرض، فعلمتُ أنَ ربِّي سيسألني عنهم، وأن خَصْمَهُمْ دونهم محمَّدٌ ﷺ فخشيتُ ألا تثبتَ لي حُجَّة عند خصومته، فَرحِمْتُ نفسي فَبَكيْتُ.

[٤]قال الفِرْيابي: حدّثنا الأوزاعي أن عَمَرَ بنَ عبدالعزيز جلس في بيته، وعنده أشرافُ بني أُمَيَّة، فقال: أتُحبُّون أن أُوَلِّيَ كُلَّ رجلٍ منكم جُنْداً من هذه الأجناد، فقال له رجل منهم: لِمَ تعْرِضُ علينا مالا تفعلُه؟ قال: ترون بساطي هذا؟ إني لأعلمُ أنه يصير إلى بلى، وإني أكره أن تُدنِّسوه عليَّ بأرجلِكُم، فكيف أُوَلِّيكم دِيني؟ وأُولِّيكم أعراضَ المسلمين وأبشارهم تحكمونَ فيهم؟ هيهاتَ هيهاتَ، قالوا: لِمَ، أمَا لنا قَرابة؟ أما لنا حقٌّ؟ قال: ما أَنْتُمْ وأقصى رجلٍ من المسلمين

عندي في هذا الأمر إلاّ سواء، إلاّ رجل حبسه عني طُولُ شُقَّة(١).

[١] عن حفص بن عُمَرَ بنِ أبي الزُّبير، قال: كتب عُمَرَ بنُ عبدِ العزيز إلى أبي بكر بن حزم: أن أدِقَّ قَلَمكَ، وقارِبْ بَيْنَ أسْطُرِكَ، فإنِّي أكْرَهُ أنْ أُخْرِجَ مِنْ أمْوالِ المُسلِمين مالا ينتفِعُونَ بِهِ.

[٢] قال ميمون بن مِهْران: أقمتُ عند عُمَرَ بن عبدالعزيز ستَة أشهر، ما رأيته غيَّر رداءه، كان يغسِلُ مِن الجمعة إلى الجمعة، ويبين بشيْ من زعفرانَ.

[٣] وقال الأوزاعي: كان عُمَرُ بنُ عبدالعزيز إذا أَراد أن يُعاقِبَ رجُلًا حبسه ثلاثاً، ثم عاقبه كراهية أن يعجلَ في أوَّل غضبه.

[٤] وعن مَسْلَمةَ بن عبدالملك قال: دخلتُ على عمَر وقميصُه وسِخٌ، فقلتُ لامرأته، وهي أخت مَسْلمة: اغسِلَوه قالت: نفعلُ، ثم عُدتُ فإذا القميصُ على حاله، فقلتُ لها، فقالت: واللهِ ما له قميصٌ غيره.

[٥] عن عَوْن بن المُعْتَمِر أن عمر بن عبدالعزيز قال لامرأته: عندكِ درهمٌ أشتري به عِنباً؟ قالت: لا، قال: فَعِندكِ فلوس؟ قالت: لا، أنت أميرُ المؤمنين ولا تقدِرُ على درهم، قال: هذا أهونُ مِن معالجة الأغلال في جهنم.

[٦] قال يحيى بن حمزة: حدّثنا عمرو بن مهاجر أنَّ عُمَرَ بن عبدالعزيز كان تُسْرَجُ عليه الشمعةُ ما كان في حوائج المسلمين، فإذا فرغ، أطفأها وأسرج سِرَاجه.

[٧] وقال مالك: أُتِيَ عمرُ بنُ عبدالعزيز بعنبرة، فأمسك على أنفه مخافة أن يجِدَ ريحها، وعنه: أنه سدَّ أنفه، وقد أُحضر مِسْكٌ من الخزائن.

[٨] وعن عبدالعزيز بن عمر: قال لي رجاء بن حَيْوَة: ما أكملَ مروءةَ أبيك! سَمَرْت عنده، فَعَشِيَ السِّراجُ، وإلى جانبه وصِيفٌ نامَ، قلت: ألا أُنبِّهُهُ؟ قال: لا، دَعْهُ، قلتُ: أنا أقومُ، قال: لا ليس مِن مروءة الرجل استخدامُه ضَيفَه، فقام إلى بَطَّةِ(٢) الزيت وأصلحَ السِّراجَ، ثم رجع، وقال: قُمتُ وأنا عمر بن عبدالعزيز، ورجعتُ وأنا عُمر بنُ عبدالعزيز.

---

(١) الشقة: السفر الطويل البعيد، وفي حديث وفد عبد قيس: إنا نأتيك من شقة بعيدة، أي مسافة بعيدة.

(٢) البطة: الدبة بلغة أهل مكة، لأنها تُعمل على شكل البطة من الحيوان، وهي إناء كالقارورة.

[١]عن مُغيرة بن حكيم: قالت فاطمة امرأةُ عمر بن عبدالعزيز: حدّثنا مُغيرة أنه يكون في الناس مَنْ هو أكثرُ صلاةً وصياماً من عمر بن عبدالعزيز، وما رأيتُ أحداً أشدَّ فَرَقاً من ربِّه منه، كان إذا صلَّى العشاء، قعد في مسجده، ثم يرفعُ يديه، فلم يزل يبكي حتى تغلِبَه عينُه، ثم ينتبهُ، فلا يزالُ يدعو رافعاً يديه يبكي حتى تغلِبَه عينُه، يفعل ذلك ليلَهُ أجمَع.

[٢]ومن شعره:

مَنْ كَانَ حِينَ تُصيبُ الشَّمسُ جَبْهَتَهُ ... أو الغُبَارُ يَخَافُ الشَّينَ والشَّعثا
وَيأْلَفُ الظِلَّ كي تَبْقَى بَشَاشَتُهُ ... فَسوفَ يَسْكُنُ يَوْماً راغِماً جَدَثا
في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ غَبْراء مُوحِشَةٍ ... يُطِيلُ في قَعْرِهَا تَحْتَ الثَّرى اللَّبَثَا
تَجَهَّزِي بِجهازٍ تَبْلُغِينَ بِهِ ... يا نَفْسُ قَبْلَ الرَّدَى لَمْ تُخْلَقي عَبَثَا

[٣] وممَّا رُوي له:

أَيَقْظَانُ أَنْتَ اليَوْمَ؟ أَمْ أَنْتَ نائِمُ؟ ... وَكَيْفَ يُطِيقُ النَّومَ حَيْرانُ هائِمُ
فَلو كُنْتَ يَقْظَانَ الغَداةَ لَخَرَّقَتْ ... مَدَامعَ عيْنيكَ الدُّمُوعُ السَّواجِمُ
تُسَرُّ بما يَبْلى وتفْرَحُ بالمُنَى ... كَمَا اغْتَرَّ باللَّذاتِ في اليَوم حَالِمُ
نَهارُكَ يا مَغْرُورُ سَهْوٌ وَغَفْلَةٌ ... وَلَيْلُكَ نَوْمٌ والرَّدَى لكَ لازِمُ
وسَعْيُكَ فِيما سَوْفَ تَكْرَهُ غِبَّهُ ... كَذَلِكَ في الدُّنيا تَعِيشُ البَهائِمُ

[٤]عن مجاهد: قال لي عمر بن عبدالعزيز: ما يقول فِيَّ الناسُ؟ قلت: يقولون مسحور، قال: ما أنا بمسحور، ثم دعا غُلاماً له فقال: ويحَك! ما حملك على أن سقيتني السُّمَّ؟ قال ألفُ دينار أُعطيتُها، وعلى أن أُعْتَقَ، قال هاتِها، فجاء بها، فألقاها في بيت المال، وقال: اذهب حيث لا يراك أحد.

[٥]عن عمرو بن مهاجر قال: اشتهى عُمَرُ بنُ عبدالعزيز تُفاحاً، فأهدى له رجلٌ من أهل بيته تفاحاً، فقال: ما أطيبَ ريحَه وأحسَنَه! وقال: ارفَعْه يا غلام للذي أتى به، وأَقْرِ مولاكَ السلامَ، وقل له: إنَّ هديتَك وقعت عندنا بحيث تُحبُّ، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين! ابنُ عمك، ورجلٌ مَن أهل بيتك، وقد بلغك أنَّ رسول الله ﷺ كان يأكُلُ الهَديَّة، قال: ويْحَكَ! إنَّ الهديَّة كانَتْ لَهُ هَدِيَّة، وهي اليومَ لنا رشْوَةٌ.

[١] عن أيوبَ قال: قِيل لِعمرَ بن عبدِالعزيز: يا أميرَ المؤمنين! لو أتيتَ المدينةَ، فإن قضى اللهُ موتاً في موضع القبر الرابع مع رسول الله ﷺ، قال:واللهِ لأنْ يُعذِّبَني الله بغير النَّارِ أحبُّ إليَّ من أن يعلم مِنْ قلبي أني أراني لذلك أهلا.

[٢] وقال المغيرة بن حكيم: قلتُ لِفاطمة بنتِ عبدالملك: كنتُ أسمع عمر بنَ عبدالعزيز في مرضه يقول: اللَّهُمَّ أخْفِ عليهم أمري ولو ساعةً، قالت: قلت له: ألا أخرجُ عنك، فإنك لم تنم، فخرجتُ، فجعلت أسمعُه يقولُ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرةُ نَجْعَلُهَا للَّذينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوَّاً في الأرضِ وَلاَ فَسَاداً والعاقِبةُ للمُتَّقين﴾ [القصص ٨٣] مراراً ثم أطرق فلبثتُ طويلاً لا يُسمع له حِسٌّ، فقلت لوَصِيف: ويحك انظر، فلمَّا دخل، صاحَ، فدخلتُ فوجدته ميتاً، وقد أقبل بوجهه على القبلة، ووضع إحدى يديه على فيه، والأخرى على عينيه.

[٣] ولكُثيِّر عزَّة يرثيه:

عَمَّتْ صَنَائِعُهُ فَعَمَّ هَلاَكُهُ ... فالنَّاسُ فيه كُلُّهُم مَأْجُورُ
والنَّاسُ مَأْتَمُهُم عَلَيْهِ وَاحِدٌ ... في كُلِّ دارٍ رنَّةٌ وَزَفِيرُ
يُثْني عَلَيْكَ لِسَانُ مَنْ لَمْ تُولِهِ ... خَيْراً لأنَّك بالثَّنَاءِ جَديرُ
رَدَّتْ صَنَائِعُهُ عَلَيْهِ حَيَاتَهُ ... فَكَأَنَّهُ مِنْ نشْرِهَا مَنْشُورُ

وكان أسمرَ دقيقَ الوجه، حسنَه، نحيفَ الجسمْ، حَسَنَ اللِّحيةِ، بجبهته شجَّة.

وكانت خلافته سنتين وخمسةَ أشهر وأياماً.

[٤] قال ابن عُيينة: قال رجل لِعُمَر بن عبدالعزيز: جزاكَ الله عن الإسلام خيراً، قال بل جزى اللهُ الإسلام عني خيراً.

مات سنة إحدى ومئة.

٢٦٨ يزيدُ بنُ عَبْدِ المَلِك(١)

[٥] الخليفة أبو خالد القرشي الأموي الدمشقي، استُخْلِف بعهدٍ عقده له أخوه سليمانُ بعدَ عمرَ بن عبدِالعزيز.

(١) انظر السير: ٥/١٥٠-١٥٢.

[١] قال ابن جابر: أقبل يزيد بن عبدالملك إلى مجلس مكحول، فَهَمَمْنَا أن نُوسِّع له، فقال: دعوه يتعلَّم التواضُعَ.

[٢] وقال ابن الماجِشُون وآخر: إن يزيدَ قال واللهِ ما عمر بنُ عبدالعزيز بأحوجَ إلى الله منِّي، فأقام أربعين يوماً يسيرُ بسيرته، فتلطفت حَبَابَة وغنَّته أبياتاً، فقال للخادم: ويحكَ! قُلْ لِصاحِب الشُّرَط يُصلِّي بالناس.

[٣] وهي التي أحبَّ يوماً الخلوةَ معها، فحذفها بعِنَبة، وهي تضحك، فوقعت في فيها فشرقَتْ، فماتت، وبقيت عنده حتى أروحت واغتمَّ لها، ثم زار قبرها وقال:

فَإِنْ تَسْلُ عَنْكِ النَّفْسُ أو تَدَعِ الصِّبى ... فباليأسِ تَسْلُو عَنْكِ لا بالتَّجلُّدِ

وكُلُّ خَليلٍ زَارَني فَهوَ قائِلٌ ... مِنَ اجْلِكِ هذا هامَةُ اليَوْمِ أوغَدِ

ثم رجع، فما خرج إلَّا على النعش، وقيل: عاش بعدها خمسة عشر يوماً.

وكـانت بديعة الحُسْنِ مُجيدة للغناء، لامه أخوه مَسْلمةُ مِن شَغَفِهِ بها، وتركه مصالحَ المسلمين، فما أفاد.

وكان لا يصلحُ للإمامة، مصروفَ الهِـمَّة إلى اللهو والغواني.

مات لِخمس بقين من شعبان سنة خمس ومئة، فكانت دولتُه أربعة أعوام وشهراً، وعَهِدَ بالخلافة إلى أخيه هشام، ثم مِن بعده لولده الوليد بن يزيد ذاك الفُوَيسِق، وخلَّف أحد عشر ابناً.

٢٦٩ كُثَيِّرُ عَزَّة [(١)]

[٤] من فحول الشعراء، وهو أبو صخر كُثَيِّر بن عبدالرحمن بن الأسود الخُزاعي المدني.

امتـدح عبـدَ الملك والكِبار. وقال الزُّبير بن بكَّار: كان شيعياً، يقول بتناسخ الأرواح، وكان خشبياً[(٢)]، يُؤْمِنُ بالرجعة، وكان قد تَتيَّم بِعَزَّة، وشبَّب بها وبعضُهم يُقدِّمه على الفرزدق والكبار، ومات هو وعِكرمة في يومٍ سنة سبع ومئة.

(١) انظر السير: ٥/١٥٢.

(٢) انظر في تعريف الخشبية (شرح القاموس ١/٢٣٤) وقوله يؤمن بالرجعة، أي رجعة علي رضي الله عنه إلى الدنيا.

٢٧٠ مُعَاوِيةُ بنُ قُرَّة (ع)[١]

[١] ابن إياس، **الإمامُ العالمُ الثبت أبو إياس المُزَني البصري والدُ القاضي إياس.**

عن معاوية: أدركتُ ثلاثين من الصحابة، ليس فيهم إلَّا من طَعَنَ أو طُعِنَ، أو ضَرَبَ أو ضُرِبَ مع رسولِ الله ﷺ.

[٢] عن معاوية بن قُرَّة قال: أدركتُ سبعين من الصحابة، لو خرجوا فيكم اليوم، ما عرفوا شيئاً ممَّا أنتُم فيه إلَّا الأذان.

[٣] حمَّاد بن سلمة: حدّثنا حجَّاجُ الأسود أنَّ معاوية بن قُرَّة قال: مَنْ يدُلُّني على رجلٍ بكّاءٍ بالليل، بسَّام بالنهار.

[٤] عن معاوية بن قُرَّة قال: بُكاءُ العمل أحبُّ إليَّ مِن بكاء العين.

[٥] عن معاوية بن قُرَّة قال: لا تُجَالِسْ بعلِمكَ السُّفهاءَ، ولا تُجالِسُ بِسَفَهِكَ العُلمَاء.

مات سنة ثلاث عشرة ومئة وهو ابنُ ست وسبعين سنة.

٢٧١ الجرَّاح[٢]

[٦] **مُقدَّمُ الجيوش، فارسُ الكتائب، أبو عقبة الجراح بنُ عبدالله الحَكَمِيُّ.**

ولي البصـرةَ من جهـة الحجـاج، ثم وَلِيَ خُراسـان، وسِجستـان لِعمـر بن عبدالعزيز، وكان بطلاً شجاعاً مهيباً طُوَالاً، عابداً قارئاً، كبير القدر.

[٧] قال الجراحُ الحكمي: تركتُ الذنوبَ حياءً أربعين سنة، ثم أدركني الورعُ.

قال الوليد بن مُسلم: كان إذا مرَّ في جامع دمشق يُميل رأسَه عن القناديل مِن طُوله.

---

(١) انظر السير: ٥/١٥٣ـ١٥٥.

(٢) انظر السير: ٥/١٨٩ـ١٩٠.

[١] قال ابنُ جابر: وفي سنة اثنتي عشرة ومئة غزا الجراحُ بلاد الترك ورجع، فأدركته الترك، فقُتل هو أصحابُه.

[٢] قال سُليم بنُ عامر: دخلتُ على الجراح، فرفع يديه، فرفع الأمراءُ أيديَهم، فمكث طويلاً، ثم قال لي: يا أبا يحيى، هل تدري ما كنا فيه؟ قلت: لا، وجدتُكم في رغبة، فرفعتُ يدي معكم، قال: سألنا الله الشهادة، فوالله ما بَقِي منهم أحد في تلك الغزاة حتى استُشْهِدَ.

[٣] قال الواقدي: كان البلاءُ بمقتل الجرَّاح على المسلمين عظيماً، بَكَوْا عليه في كل جند.

٢٧٢ القاسمُ بن مُخَيمِرَة (خت، م، ٤)(١)

[٤] **الإمام القدوةُ الحافظ أبو عروة الهَمداني الكوفي، نزيل دمشق.**

[٥] عن الأوزاعي، قال: القاسم بن مُخَيمِرة يَقْدَمُ علينا ها هنا متطوِّعاً، فإذا أراد أن يرجِعَ، استأذنَ الوالي، فقيل له: أرأيتَ إن لم يأذن لك، قال: إذاً أُقيم، ثم قرأ ﴿وَإِذا كانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جامعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [النور ٦٢].

[٦] عن القاسم بن مخيمِرَة، قال: لَم يجتمعْ على مائدتي لونَانِ مِن طعام قطُّ، وما أغلقتُ بابي قطُّ ولي خلفه همٌّ.

[٧] عن القاسم بن مخيمِرة، قال: من أصاب مالاً من مَأثم، فوصل به، أو تصدَّق به، أو أنفقه في سبيل الله جمع ذلك كله في نارِ جهنم.

مات القاسمُ بنُ مخيمِرَة في خلافة عمر بن عبدالعزيز بدمشق.

٢٧٣ عامر (ع)(٢)

[٨] **ابن عبدالله بن الزبير بن العوام، الإمام الرَّباني أبو الحارث الأسدي المدني أحد العُبَّاد.**

(١) انظر السير: ٥/٢٠١ـ ٢٠٤.

(٢) انظر السير: ٥/٢١٩ـ ٢٢٠.

[١] حدّثنا سفيانُ أن عامر بن عبدالله اشترى نفسه من الله ست مرات، يعني يتصدَّق كل مرة بديتهِ.

[٢] قال الزبير بن بكَّار: كان أبوه لما يرى منه يقولُ: قد رأيتُ أبا بكر وعمر لم يكونا هكذا.

[٣] قال مُصْعَبُ: سمع عامِرٌ المؤذِنَ وهو يجودُ بنفسه، فقال: خذوا بيدي فقيل: إنك عليل، قال: أسمع داعِيَ الله، فلا أُجيبه، فأخذوا بيده، فدخل مع الإمام في المغرب فركع ركعة، ثم مات.

[٤] القَعْنَبِيّ: سمعتُ مالكاً يقول: كان عامر بن عبدالله يقف عند موضعِ الجنائز يدعو وعليه قَطيفة، فتسقُط وما يشعر.

[٥] عن مالك قال: رُبما انصرف عامر من العَتَمَة، فيعرض له الدعاء، فلا يزالُ يدعو إلى الفجر.

قلت: مجمع على ثقته.

توفي سنة نيِّفٍ وعشرين ومئة.

٢٧٤ ثابت بن أسلم (ع)[1]

[٦] الإمامُ القدوة شيخُ الإسلام أبو محمد البُناني، مولاهم البصري.

وكان من أئمة العلم والعمل، رحمة الله عليه.

[٧] عن حمَّاد بن سَلمة، قال: كان ثابتٌ يقول: اللَّهُمَّ إن كنتَ أعطيتَ أحداً الصلاة في قبره فأعطني الصلاة في قبري، فيُقال: إن هذه الدعوة استجيبت له، وإنه رُئِيَ بعدَ موته يُصلي في قبره فيما قيلَ.

مات ثابت سنة سبعٍ وعشرين ومائة وهو ابن ستٍّ وثمانين سنة.

[٨] قال أنس بن مالك يوماً: إن للخير مفاتيح، وإن ثابتاً من مفاتيح الخير.

[٩] وعن ابن أبي رزين، أن ثابتاً قال: كابدتُ الصلاة عشرين سنة، وتنعمتُ بها عشرين سنة.

---

(١) انظر السير: ٥/٢٢٠ـ ٢٢٥.

[١] وقال حمادُ بن سَلمة: قرأ ثابت ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ [الكهف ٣٧] وهو يصلي صلاة الليل ينتحِبُ ويُرَدِّدها.

[٢] وقال سُليمان بن المغيرة: رأيتُ ثابتاً يلبس الثياب الثمينة والطيالس والعمائم.

[٣] وقال مبارك بن فَضالة: دخلت على ثابت فقال: يا أخوتاه، لم أقْدِرْ أن أُصلِّي البارحة كما كنت أصلي، ولم أقْدِر أن أصُوم، ولا أنزل إلى أصحابي فأذكرَ معهم، اللهم إذ حبستني عن ذلك فلا تدعني في الدنيا ساعة.

٢٧٥ عَبْدَةُ بنُ أبي لُبابة (خ، م، ت، س، ق)[١]

[٤] **أبو القاسم الأسَدي ثم الغاضري، مولاهم الكوفي التاجر، أحدُ الأئمة، نزل دمشق.**

[٥] وكان شريكاً للحسن بن الحُرّ، فقدمَا مكة بتجارة، فتصدَّقا برأس المال أربعين ألفاً.

[٦] وروى الأوزاعي عن عبدة قال: إذا رأيتَ الرجل لجُوجاً مُمارياً مُعْجباً برأيه، فقد تمَّت خسارتُه.

[٧] يُروى عن عبدَة قال: ذقْت ماء البحر ليلة سبعة وعشرين فوجدته عذباً.

[٨] وروى الأوزاعي: عنه قال: أقربُ الناس إلى الرياء آمنُهم منه. وقال رجاء بن أبي سلمة: سمعتُ عبدة يقولُ: لوددتُ أن حظِّي من أهل الزمان أنهم لا يسألوني عن شيءٍ، ولا أسألُهم، إنهم يتكاثرُون بالمسائل كما يتكاثر أهل الدراهم بالدراهم.

مات في حدود سنة سبع وعشرين ومئة.

٢٧٦ حمَّادُ بن أبي سليمان (٤ ، قرنه م)[٢]

العلاَّمة الإمام فقيهُ العراق، أبو إسماعيلَ بنُ مسلم الكوفي مولى الأشعريين، أصله من أصبهان.

---

(١) انظر السير: ٥/٢٢٩- ٢٣٠.

(٢) انظر السير: ٥/٢٣١- ٢٣٩.

[١] وكانَ أحدَ العلماء الأذكياء، والكرام الأسخياء، له ثروة وحِشمة وتَجَمُّل.

[٢] قال معمر: قلت لحماد: كنت رأسا، وكنت إماماً في أصحابك، فخالفتهم فصرت تابعاً، قال إني أن أكون تابعاً في الحق خيرٌ من أن أكون رأساً في الباطل.

قلت: يشير معمر إلى أنه تحول مرجئا إرجاء الفقهاء، وهو أنهم لا يعدون الصلاة والزكاة من الإيمان، ويقولون: الإيمان إقرار باللسان، ويقين في القلب، والنزاع على هذا لفظي إن شاء الله، وإنما غُلُوُّ الإرجاء من قال: لا يضر مع التوحيد تركُ الفرائض، نسأل الله العافية.

وقال أبو حاتم الرازي: هو مستقيمٌ في الفقه، فإذا جاء الأثر شَوَّش.

[٣] وبلغنا أن حماداً كان ذا دنيا متَّسِعة وأنه كان يُفطِّر في رمضان خمس مئة إنسان، وأنه كان يُعطيهم بعدَ العيد لكل واحد مئة درهم.

[٤] عن مغيرة قال: حجَّ حماد بنُ أبي سُليمان، فلما قدم أتيناه نُسلِّم عليه فقال: أبشروا يا أهل الكوفة، فإني قدمت على أهل الحجاز، فرأيتُ عطاءً وطاووساً ومجاهداً، فصبيانُكم بل صبيانُ صبيانِكم أفقهُ منهم.

قال مغيرة: فرأينا أن ذاك بغي منه.

مات سنة عشرين ومئة.

[٥] روى عثمان بن زفرٍ التيمي: سمعت محمد بن صبيح يقول: لما قدم أبو الزِّنادِ الكوفة على الصدقات، كلَّم رجل حمادَ بن أبي سليمان فيمن يُكلم أبا الزِّناد يستعين به في بعض أعماله، فقال حماد: كم يؤمِّلُ صاحبك من أبي الزِّناد أن يصيب معه؟ قال: ألف درهم. قال: قد أمرت له بخمسة آلاف درهم ولا يبذل وجهي إليه، قال: جزاك الله خيراً.

٢٧٧ عاصم بن أبي النَّجود (٤، خ، م مقرونا)(١)

[٦] الإمامُ الكبير مقرئُ العصر، أبو بكر الأسَدي مَولاهم الكوفي واسم أبيه بَهْدلة.

(١) انظر السير: ٥/٢٥٦-٢٦١.

[١] وانتهيت إليه رئاسة الإقراء بعد أبي عبدالرحمن السُّلمي شيخه، قال أبو بكر بن عيَّاش: لما هلك أبو عبدالرحمن، جلس عاصمٌ يُقرئ الناس. وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن حتى كأن في حنجرته جَلاَجل.

[٢] حدثنا الحسن بن صالح، قال: ما رأيتُ أحداً قط أفصح من عاصم بن أبي النجود، إذا تكلم كاد يدخله خيلاء.

[٣] عاصم بن أبي النجود، قال: ما قدمت على أبي وائل من سفر إلا قبَّل كفِّي.

قال عبدالله بن أحمد بن حنْبل: سألتُ أبي عن عاصم بن بهدلة، فقال: رجل صالح خيِّرٌ ثقة، قلت: أيُّ القرءاتِ أحبُّ إليك؟ قال: قراءة أهل المدينة، فإن لم يكن، فقراءة عاصم.

[٤] أبو كريب: حدثنا أبو بكر، قال لي عاصم: مرضت سنتين، فلما قمتُ قرأت القرآن فما أخطأتُ حرفاً.

[٥] قال أبو بكر بن عياش: كان عاصم نحويّاً فصيحاً إذا تكلم، مشهور الكلام، وكان هو والأعمش وأبو حُصين والأسدي لا يُبْصِرون. جاء رجل يوماً يقود عاصماً فوقع وقعةً شديدة فما نهره، ولا قال له شيئاً.

[٦] زياد بن أيوب: حدثنا أبو بكر، قال: كان عاصمٌ إذا صلَّى ينتصِبُ كأنه عود، وكان يكونُ يومَ الجمعة في المسجد إلى العصرِ، وكان عابداً خيِّراً يُصلي أبداً، ربما أتى حاجةً، فإذا رأى مسجداً، قال: مِلَ بنا، فإن حاجتنا لاتفوتُ، ثم يدخل فيُصلي.

[٧] قال أبو بكر بن عياش: دخلتُ على عاصم، وهو في الموت فقرأ: ﴿ثُمَّ رِدُّوا إلى اللهِ مَوْلاَهُمُ الحقِّ﴾ بكسر الراء وهي لغة لهذيل.

[٨] قلتُ: كان عاصم ثبتاً في القراءة صدوقاً في الحديث، وقد وثقه أبو زرعة وجماعة، وقال أبو حاتم: محلُّه الصدق، وقال الدارقطني: في حفظه شيء يعني: للحديث لا للحروف، وما زال في كُلِّ وقت يكون العالم إماماً في فنّ مقصِّراً في فنون. وكذلك كان صاحبُه حفص بن سليمان ثبتاً في القراءة واهياً في الحديث، وكان الأعمش بخلافه كان ثبتاً في الحديث ليّناً في الحروف، فإن للأعمش قراءة

منقولة في كتاب «المنهج» وغيره لا ترتقي إلى رتبة القراءات السَّبع، ولا إلى قراءة يعقوب وأبي جعفر. والله أعلم.

توفي عاصم في آخر سنة سبع وعشرين ومئة.

٢٧٨ هارون بن رِئاب (م، د، س)(١)

[١] **الإمامُ الربانيُّ العابدُ أبو بكر التميمي الأُسَيِّدي البصري.**

وكان النورُ على وجهه.

[٢] وقال ابن شوذب: كنتُ إذا رأيت هارون بن رئاب كأنما أقلع عن البكاء.

[٣] هارون بن رئاب، قال: حملة العرش ثمانية، يتجاوبون بصوتٍ رخيم حسن، يقول أربعةٌ: سبحانَك وبحمدك على حلمك بعد علمك، ويقول الآخرون: سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك.

[٤] قال أبو محمد بن حزم الفقيه: يمان، وهارون، وعلي بنو رئاب، فهارون من أئمة السنة، ويمان من أئمة الخوارج، وعلي من أئمة الروافض، وكانوا متعادِين.

[٥] قال جعفر بن سليمان: عُدْتُ هارون بن رئاب، وهو يجود بنفسه، فما فقدتُ وجهَ رجلٍ فاضل إلا رأيته عنده. فقال محمد بن واسع: كيف تجدك؟ فقال: هوذا أخوكم، يُذهب به إلى النار، أو يعفو الله. قيل: عاش ثلاثاً وثمانين سنة.

٢٧٩ البطّال(٢)

[٦] **رأسُ الشجعان والأبطال أبو محمد عبدالله البطال، وقيل: أبو يحيى من أعيان أمراء الشاميين.**

[٧] وكان شاليش الأمير مَسْلمة بن عبدالملك، وكان مقرُّه بأنطاكية، أوطأ الروم خوفاً وذُلّاً. ولكن كُذِبَ عليه أشياء مستحيلة في سيرته الموضوعة.

[٨] وعن عبدالملك بن مروان أنه أوصى مَسْلمة أن صيِّر على طلائعك البطال ومُره

(١) انظر السير: ٥/٢٦٣- ٢٦٤.

(٢) انظر السير: ٥/٢٦٨- ٢٦٩.

فليَعُسَّ بالليل، فإنه أميرٌ شجاع مِقدام.

وقال رجل: عقد مَسْلمة للبطال على عشرة آلاف، وجعلهم يَزكاً[1]

[١] عن البطال، قال: اتفق لي أنا أتينا قرية لنُغير، فإذا بيت فيه سراج وصغير يبكي، فقالت أُمُّه: اسكت، أو لأدفعنَّك إلى البطال فبكى فأخذته مِن سريره، وقالت: خذه يا بطال فقلتُ: هاتِه.

[٢] وجرت له أعاجيبُ وفي الآخر أصبح في معركة مثخوناً وبه رمق فجاء الملك ليون، فقال أبا يحيى: كيف رأيت؟ قال: وما رأيتُ؟ كذلك الأبطال تقتلُ وتُقتل، فقال: عليَّ بالأطباء، فأتوا فوجدوه قد أنفذت مقاتله، فقال: هل لك حاجة؟ قال: تأمر من يثبتُ معي بولايتي وكفني والصلاة عليَّ ثم تُطلقهم، ففعل.

قُتل سنة اثنتي عشرة، وقيل سنة ثلاث عشرة ومئة.

٢٨٠ قتادة (ع) [2]

[٣] ابن دِعامة بن قتادة، حافظُ العصر، قُدوةُ المفسِّرينَ والمحدثين أبو الخطاب السّدوسي البصري الضرير الأكمه.

وكان من أوعية العلم، وممن يُضرب به المثل في قوة الحفظ.

[٤] وهـو حجَّة بالإجماع إذا بيَّن السماع، فإنه مُدلِّس معروف بذلك، وكان يرى القدر، نسأل الله العفوَ. ومع هذا فما توقف أحد في صدقه، وعدالته، وحفظهِ، ولعـلَّ الله يعْـذُرُ أمثالَه ممن تلبس ببدعة يُريد بها تعظيمَ الباري وتنزيهه، وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده، ولا يُسأل عما يفعل. ثم إنَّ الكبير من أئمة العلم إذا كَثُـرَ صوابُـهُ، وعُلِمَ تحـرِّيه للحق، واتسع علمُه، وظهر ذكاؤه، وعُرف صلاحه وورعه واتباعه، يُغفر له زلله، ولا نضلله ونطرحه، وننسى محاسنه. نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه ونرجو له التوبة من ذلك.

[٥] قال معمـر: أقـام قتادة عند سعيد بن المسيَّب ثمانية أيام، فقال له في اليوم

(١) اليزك: طلائع الجيش، والكلمة فارسيَّة.

(٢) انظر السير: ٥/ ٢٦٩-٢٨٣.

الثالث: ارتحل يا أعمى فقد أنزفتني[1].

[١] قال معمر: وسمعتُ قتادة يقول: ما في القرآن آية إلا وقد سمعتُ فيها شيئاً، وعنه قال: ما سمعتُ شيئاً إلا وحفظته، وقال عبدالرزّاق: قتادة من بكر بن وائل.

[٢] قال قتادة لِسعيد بن المسيِّب: يا أبا النضر: خذ المصحفَ، قال: فأعرض عليه سورة البقرة فلم يُخْطِ فيها حرفاً قال: فقال: يا أبا النضر أَحكمتُ؟ قال: نعم، قال: لأنا لصحيفة جابر بن عبدالله أحفظ مني لسورة البقرة، قال: وكانت قرئت عليه الصحيفة التي يرويها سليمان اليشكري عن جابر.

[٣] عن قتادة، قال: لقد كان يُستحب أن لا تُقرأ الأحاديث التي عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة.

[٤] أبو هلال: سمعت قتادة يقول: إن الرجل ليشبع من الكلام كما يشبعُ مِن الطعام.

[٥] عن مطر الوراق، قال: ما زال قتادة متعلماً حتى مات.

قال أبو هلال: قالوا لِقتادة: نكتب ما نسمع منك؟ قال: وما يمنعُك أن تكتب، وقد أخبرك اللطيفُ الخبير أنه يكتب، فقال: ﴿عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾ [طه٥٢]

[٦] وسمعته يقول: الحفظ في الصِّغر كالنقش في الحجر.

[٧] عن قتادة ﴿إِنَّما يَخْشى اللهَ مِنْ عِبَاده العُلَماءُ﴾ قال كفى بالرَّهبة علماً، اجتنبوا نقض الميثاق، فإن اللهَ قدّم فيه وأوعد، وذكره في آي من القرآن تقدمة ونصيحة وحجَّة، إيَّاكُمْ والتكلفَ والتنطعَ والغُلوَّ والإعجابَ بالأنفس. تواضعوا لله، لعلَّ الله يرفعكم.

[٨] قال سلام بن أبي مطيع: كان قتادة يختِمُ القرآن في سبع، وإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث، فإذا جاء العشر ختم كُلَّ ليلة.

[٩] عن عمرَ بن عبدالله، قال سعيد بن المسيب لقتادة: ما كنت أظن أن الله خلق مثلك.

---

(١) أي: أخذت مني علمي كله ولم يبق منه شيء، يقال: نزفت ماء البئر نزفاً: إذا نزحته كله.

[١] قال أحمد بن حنبل: كان قتادة عالماً بالتفسير، وباختلاف العلماء، ثم وصفه بالفقه والحفظ وأطنب في ذكره. وقال: قلما تجد من يتقدَّمه.
[٢] وعن سفيان الثوري، قال: وهل كان في الدنيا مثلُ قتادة.
[٣] وقال الإمام أحمد: كان قتادة أحفظَ أهل البصرة لا يسمع شيئاً إلا حفظه، قُرِيءَ عليه صحيفةُ جابر مرةً واحدة فحفظِها.
[٤] وقد كان قتادة أيضاً رأساً في العربية والغريب وأيام العرب، وأنسابِها حتى قال فيه أبو عمرو بن العلاء: كان قتادة من أنسب النَّاس، ونقل القِفطي في (تاريخه) أن الرجلين من بني أمية كانا يختِلفان في البيت من الشعر، فيُبردان بريداً إلى العراق يسألان قتادة عنه.
تُوفي قتادة سنة ثماني عشرة ومئة.

٢٨١ عليُّ بن عبدالله (م، ٤)(١)

[٥] ابن عباس بن عبد المطلب الإمامُ القانت أبو محمد الهاشميُّ المدنيُّ السَّجاد.
وُلِدَ عام قتل الإمامُ عليّ، فسمي باسمه.
قال له عبدُ الملك بن مروان: لا أحتمِلُ لكَ الاسم والكُنية فغيِّره. وكناه أبا محمد.
[٦] قال عكرمة: قال لي ابنُ عباس ولابنه علي: انطلقا إلى أبي سعيد الخُدري، فاسمعا مِن حديثه، فأتيناه في حائط له.
[٧] وقال ابن المبارك: كان له خمسمئة شجرة يُصلي عند كُلِّ شجرة ركعتين، وذلك كُلَّ يوم.
[٨] وعن أبي المغيرة كنا نطلُب له النعل فما نجده حتى يستعملَه لكبر رجله.
قلتُ: لقب بالسَّجاد لكثرة صلاته.
[٩] قال المبرِّد: ضربه الوليد مرتين إحداهما في تزوجه لُبابةَ بنتِ عبدِاللهِ بنِ جعفر،

(١) انظر السير: ٥/ ٢٨٤ـ ٢٨٥.

وكـانت عنـد عبد الملك، فعضَّ تفاحة وناولها، وكان أبْخَر، فقشطتها بسكين، وقالت: أُميط عنها الأذى، فطلقها، فتزوجها عليٌّ.

ورؤي مضروباً وهو على جمل مقلوباً يُنادى عليه: هذا عليٌّ الكذاب، لأنهم بلغهم عنه أنه يقول: إن هذا الأمر يصيرُ في ولدي، وحلف ليكونَنَّ فيهم.

توفي سنة ثماني عشرة ومئة عن ثمان وسبعين سنة، وهو جد الخلفاء.

٢٨٢ أبو جعفر القارئ(١)

[١] أحدُ الأئمة العشرة في حروف القراءات، واسمُه يزيدُ بن القعقاع المدني.

[٢] وقال نافع القارئ: كان أبو جعفر، يقومُ الليل، فإذا أقرأ يَنْعُسُ، فيقول لهم: ضعوا الحصى بين أصابعي وضمُّوها، فكانوا يفعلون ذلك، والنوم يغلِبُه.

وكان يُصلي خلف القراء في رمضان، يلقنهم، يُؤمر بذلك.

[٣] وقيل: كان يتصدَّق حتى بإزاره، وكان من العباد.

[٤] عن سليمان بن مسلم، قال: رأيتُ أبا جعفر القارئ على الكعبة، فقال: أقرئ إخواني السلام وخبِّرهم أنَّ الله جعلني من الشهداءِ الأحياءِ المرزوقين.

[٥] عن نافـع، قال: لمـا غُسِّـلَ أبـو جعفر، نظروا ما بين نحره إلى فؤاده كورقة المصحف، فما شكَّ من حضره أنه نور القرآن.

مات سنة سبع وعشرين ومئة، وعاش نيفاً وتسعين سنة رحمه الله.

٢٨٣ زُبَيْدُ بن الحارث (ع)(٢)

[٦] اليامي الكوفي الحافظ أحدُ الأعلام.

وعِداده في صغار التابعين.

[٧] وقال ابن شُبْرُمَةَ: كان زُبيدٌ يُجزئ الليل ثلاثةَ أجزاء: جزءاً عليه، وجزءاً على ابنه، وجزءاً على ابنه الآخر عبدالرحمن. فكان هو يُصلي، ثم يقول لأحدهما: قم

---

(١) انظر السير: ٥/٢٨٧-٢٨٨.

(٢) انظر السير: ٥/٢٩٦-٢٩٨.

فإن تكاسل، صلَّى جزءه، ثم يقول للآخر: قم فإن تكاسل أيضاً صلَّى جزءه، فيصلي اللَّيْلَ كُلَّه.

[١]عن عمران بن عَمرو، قال: كان عمي زبيد حاجاً، فاحتاج إلى الوضوء، فقام فتنحى ثم قضى حاجتَه، ثم أقبل، فإذا هو بماء في موضع لم يكن معهم ماء، فتوضأ، ثم جاءهم لِيُعلِمَهم، فأتوا، فلم يجدوا شيئاً.

[٢] قال يونس بن محمد المؤدب: أخبرني زياد، قال: كان زبيد مؤذن مسجده، فكان يقول للصبيان: تعالوا فَصَلُّوا، أَهَبْ لكم جوزاً، فكانوا يُصلون ثم يُحيطون به، فقلتُ له في ذلك، فقال: وما علي أن أشتري لهم جوزاً بخمسةِ دارهم، ويتعوَّدون على الصلاة.

[٣] وبلغنا عن زُبيد أنه كان إذا كانت ليلة مطيرة طاف على عجائز الحيِّ، ويقول: ألكم في السوق حاجة؟

[٤]قال زبيد: سمعت كلمة فنفعني الله بها ثلاثين سنة. قيل: مات سنة اثنتين وعشرين ومئة.

٢٨٤ زيد بن أسلم (ع)(١)

[٥] الإمام الحُجَّة القدوة أبو عبدالله العَدَوِيّ العُمَريّ المدني الفقيه.

[٦]وكان له حلقة للعلم في مسجد رسول الله ﷺ، قال أبو الأعرج: لقد رأيتُنا في مجلس زيد بن أسلم أربعينَ فقيهاً أدنى خصلةٍ فينا التواسي بما في أيدينا، وما رأيتُ في مجلسه، مُمَارِيينْ ولا متنازعَينْ في حديث لا ينفعُنا.

[٧] وكان أبو حازم، يقول: لا أراني اللهُ يومَ زيد بن أسلم، إنه لم يبق أحد أرضى لديني ونفسي منه. قال: فأتاه نعي زيد بن أسلم، فعُقِرَ فما شهده.

وقال البخاري: كان علي بن الحسين يجلس إلى زيد بن أسلم فكُلِّم في ذلك، فقال: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعُهُ في دينه.

---

(١) انظر السير: ٥/٣١٦-٣١٧.

قلت: لزيد تفسير رواه عنه ابنُه عبدالرحمن، وكان من العلماء العاملين.

وفاته سنة ستٍ وثلاثين ومئة.

[١] قال مالك: استُعملَ زيدُ بن أسلم على مَعدن بني سُليم، وكان معذراً لا يزال يُصابُ فيه الناس مِن قبل الجنِّ. فلما وَلِيَهم شكوا ذلك إليه، فأمرهم بالأذان أن يؤذنوا ويرفعوا أصواتهم، ففعلوا، فارتفع عنهم ذلك حتى اليوم.

قال مالك: أعجبني ذلك من مشورة زيد بن أسلم.

٢٨٥ أخبار الزهري (ع)[١]

[٢] **محمد بن مسلم بن عُبيد الله، الإمامُ العلم، حافظ زمانه أبو بكر القرشي الزهري المدني نزيل الشام.**

[٣] عن الزهري، قال: مست ركبتي ركبة سعيد بن المسيِّب ثماني سنين.

[٤] عن الزهري: ما قلتُ لأحدٍ قطُّ: أعِدْ عليَّ.

[٥] عن الزهري، قال: كنا نكره الكتاب، حتى أكرهنا عليه الأمراء، فرأيتُ أن لا أمنعه مسلماً.

[٦] عن الليث: كان ابنُ شهاب، يختِمُ حديثه بدعاء جَامع، يقول: اللهُّم أسألُك من كل خير أحاط به علمُك في الدنيا والآخرة، وأعوذُ بك من كل شر أحاط به علمُك في الدنيا والآخرة. وكان مِن أسخى من رأيتُ، كان يُعطي، فإذا فرغ ما معه يستلفُ من عبيده، يقول: يا فلان أسلفني كما تعرف، وأُضعِفُ لك كما تعلم، وكان يُطعِمُ الناس الثريد، ويسقيهم العسل، وكان يَسْمُرُ على العسل كما يسُمُرُ أهلُ الشراب على شرابهم، ويقول: اسقونا وحدِّثونا. وكان يكثر شرب العسل، وسمعته يبكي على العلم بلسانه، ويقول: يذهب العلم، وكثير ممن كان يعمل به. فقلتُ له: لو وضعت من علمك عند من ترجو أن يكون لك خلفاً. قال: والله ما نشر أحدٌ العلم نشري، ولا صبر عليه صبري، ولقد كنا نجلِسُ إلى ابن المسيِّب، فما يستطيع أحد منا أن يسأله عن شيءٍ إلا أن يبتدئ الحديثَ، أو يأتي رجل يسأله

(١) انظر السير: ٥/٣٢٦ـ ٣٥٠.

عن شئ قد نزل به.

[١] عن الزهري، قال: إنما يُذهب العلمَ النسيانُ، وتركُ المذاكرة.

عن عقيل، قال:رأيتُ على خاتم ابن شهاب: محمد يسأل الله العافية.

[٢] عن الزهري، قال: إذا طال المجلس، كان للشيطان فيه نصيب.

[٣] عن معاويةَ بن صالح، أن أبا جبلة حدثه قال: كنت مع ابن شهاب في سفر، فصام يومَ عاشوراء، فقيل له: لم تصوم وأنت تفطر في رمضان في السفر؟ قال: إن رمضانَ له عِدة من أيام أُخر، وإن عاشوراء يفوتُ.

[٤] عن ابن شهاب قال: العمائمُ تيجانُ العرب، والحَبْوَةُ حِيطان العرب، والاضطجاع في المسجد رباط المؤمنين.

توفي الزهري سنةَ أربع أو ثلاث وعشرين ومئه

٢٨٦ محمد بن المُنْكَدِر (ع)(١)

[٥] الإمام الحافظ القدوة، شيخ الإسلام أبو عبدالله القرشي التيمي المدني

وُلِدَ سنة بضعٍ وثلاثين.

[٦] وقال أبو حاتم البُستي: كان من سادات القراء، لا يتمالكُ البكاء إذا قرأ حديثَ رسول الله ﷺ.

[٧] وقال أحمد بن إبراهيم الدورقي: حدثنا يحيى بن الفضل الأنيسي، سمعت بعض من يذكر عن محمد بن المنكدر، أنه بينا هو ذاتَ ليلة قائم يُصلي إذ استبكى، فكثر بكاؤه حتى فَزِعَ له أهله، وسألوه، فاستعجم عليهم، وتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازم فجاء إليه، فقال: ما الذي أبكاك؟ قال: مَرَّتْ بي آية، قال: ما هي؟ قال: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ فبكى أبو حازم معه، فاشتد بُكاؤُهما.

[٨] وعن ابن المنكدر قال: كابدتُ نفسي أربعين سنةً حتى استقامت.

[٩] عن ابن المنكدر قال: إنَّ الله يحفظُ العبدَ المؤمن في ولده وولد ولده، ويحفظُه

---

(١) انظر السير: ٥/٣٥٣ـ ٣٦١.

في دُوَيْرَتهِ ودُويراتٍ حولَه، فما يزالون في حفظ أو في عافية ما كان بين ظهرانيهم.

[١] ابن المنكدر يقول: نِعم العونُ على تقوى الله الغنى.

[٢] قيل لابن المنكدر:أيُّ الدنيا أحبُّ إليك؟ قال: الإفضال على الإخوان.

[٣] عن محمد بن المنكدر، أنه كان يضع خدَّه على الأرض، ثم يقول لأمه: قومي ضعي قدمك على خدِّي.

[٤] قال ابن المنكدر: إني لَلَيْلةٌ مواجهٌ هذا المنبر في جوف الليل أدعو، إذا إنسانٌ عند أُسطوانة مُقنِّعٌ رأسه، فأسمعهُ يقول: أي ربِّ إن القحطَ قد اشتدَّ على عبادك، وإني مُقْسِمٌ عليك يا ربِّ إلا سقيتَهم، قال: فما كان إلا ساعة إذا سحابة قد أقبلت، ثم أرسلها الله، وكان عزيزاً على ابن المنكدر أن يخفى عليه أحد من أهل الخير، فقال: هذا بالمدينة ولا أعرفه!! فلما سلم الإمام، تَقَنَّع وانصرف، وأتبعُه، ولم يجلس للقاص حتى أتى دار أنس، فدخل موضعاً، ففتح ودخل. قال: ورجعتُ، فلما سبَّحتُ أتيته فقلتُ: أَدخل؟ قال: ادخُلْ فإذا هو يُنَجِّرُ أقداحاً، فقلتُ: كيف أصبحتَ؟ أصلحكَ الله، قال: فاستشهرها وأعظمها مني، فلما رأيتُ ذلك، قلت: إني سمعتُ إقسامك البارحة على الله، يا أخي هَلْ لك في نفقة تُغنيك عن هذا، وتُفَرِّغُك لما تريد من الآخرة، قال: لا. ولكن غيرُ ذلك، لا تذكرني لأحد، ولا تذكر هذا لأحد حتى أموتَ، ولا تأتني يا ابن المنكدر، فإنَّك إن تأتني شهرتني للناس، فقلتُ: إني أُحبُّ أن ألقاك، قال: القني في المسجد، قال: وكان فارسياً، فما ذكر ذلك ابن المنكدر لأحد حتى مات الرجل. قال ابن وهب: بلغني أنه انتقل من تلك الدار، فلم يُرَ، ولم يُدْرَ أين ذهب. فقال أهلُ تلك الدار: الله بيننا وبينَ ابنِ المنكدر، أخرج عنا الرجل الصالح.

[٥] كان ابنُ المنكدِر يقول: كم مِن عين ساهرةٍ في رزقي في ظُلماتِ البر والبحر.

[٦] وكان إذا بكى، مسح وجهه ولحيته مِن دموعه، ويقول: بلغني أن النار لا تأكُلُ موضعاً مسته الدموع.

[٧] قال المنكدِرُ بن محمد: كان أبي يحج بولده، فقيل له: لم تحج بهؤلاء؟ قال: أعرضهم لله.

[١] قال سعيد بن عامر: قال ابنُ المنكدر: بات أخي عمر يُصلي، وبتُّ أغْمِز قدم أمي، وما أُحِبُّ أن ليلتي بليلته.

[٢] وقال ابنُ عُيينة: تَبِعَ ابنُ المنكدر جنازةَ سفيهٍ، فعُوتِب، فقال: واللهِ إني لأستحي من الله أن أرى رَحمته عجزت عن أحد.

[٣] وقال ابن الماجشون: إن رؤيةَ محمدِ بنِ المنكدر لَتنفعني في ديني.

مات ابنُ المنكدر سنة ثلاثين ومئة.

٢٨٧ مالك بن دينار (٤)[١]

[٤] علمُ العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف، كان من ذلك بُلغته.

[٥] وقال: مذ عرفتُ الناس لم أفرح بمدحهم، ولم أكره ذمَّهم لأن حامِدَهم مُفرِطٌ، وذامهم مُفْرِطٌ. إذا تعلَّم العالِمُ العلمَ للعمل كسره، وإذا تعلمه لغير العمل، زاده فخراً.

[٦] الأصمعي عن أبيه، قال: مرَّ المهلب على مالك بن دينار متبختراً، فقال: أما علمتَ أنها مِشية يكرهُها الله إلا بينَ الصَّفين؟ فقال المهلَّبُ: أما تعرفني؟ قال: بلى، أوَّلُك نُطفة مَذِرَة، وآخِرُك جيفةٌ قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمِل العَذِرَة. فانكسر، وقال: الآن عرفتني حقَّ المعرفة.

[٧] قال حزم القطعِيُّ: دخلنا على مالك وهو يَكيدُ بنفسه، فرفع طرفه ثم قال: اللَّهُمَّ إنَّك تعلم أنِّي لم أكن أُحِبُّ البقاء لبطن ولا فرج.

[٨] وقيل: دخل عليه لصٌّ، فما وجد ما يأخذه، فناداه مالك: لم تجد شيئاً من الدنيا، فترغبُ في شيءٍ من الآخرة؟ قال نعم. قال: توضأ، وصلِّ ركعتين، ففعل ثم جلس وخرج إلى المسجد. فسئل من ذا؟ قال: جاء لِيسرقَ فسرقناه.

[٩] وقال جعفر بن سليمان، حدثنا مالك بن دينار قال: أتينا أنساً أنا وثابت ويزيد

---

(١) انظر السير: ٥/٣٦٢-٣٦٤.

الرقاشي، فنظر إلينا، فقال: ما أشبهكم بأصحاب محمد ﷺ لأنتمُ أحبُّ إليَّ من عدة ولدي إلا أن يكونوا في الفضل مثلكم، إني لأدعو لكم في الأسحار.

[١] قال مالك بن دينار: إنه لتأتي عليَّ السَّنة لا آكل فيها لحماً إلا من أضحيتي يومَ الأضحى.

توفي مالك بن دينار سنة سبع وعشرين ومئة.

٢٨٨ صفوان بن سُليم (ع)[١]

[٢] **الإمام الثقةُ الحافظ الفقيه، أبو عبدالله، الزهري المدني مولى حُميد بن عبدالرحمن بن عوف.**

[٣] وعن أحمد بن حنبل قال: من الثقات، يُستشفى بحديثه، وينزلُ القطر من السماء بذكره.

[٤] عن مالك بن أنس قال: كان صفوانُ بن سُليم يُصلي في الشتاء في السطح، وفي الصيف في بطن البيت، يَتَيَقَّظُ بالحرِّ والبرد، حتى يُصبح، ثم يقول: هذا الجهد من صفوان وأنت أعلمُ، وإنه لَترمُ رجلاه، حتى يعود كالسِّقْطِ من قيام الليل، ويظهر فيه عروقٌ خضر.

[٥] عن أنس بن عياض قال: رأيتُ صفوانَ بن سليم ولو قيل له: غداً القيامة، ما كان عنده مزيدٌ على ما هو عليه من العبادة.

[٦] عن محمد بن صالح التمار قال: كان صفوانُ بن سليم يأتي البقيعَ فِي الأيام فيمرُّ بي، فاتبعتُه ذاتَ يوم، وقلتُ: لأنظرن ما يصنع، فقنع رأسه، وجلس إلى قبر منها، فلم يزل يبكي حتى رحمتُه، وظننتُ أنه قبرُ بعض أهله، ومرَّ بي مرةً أخرى، فاتبعته، فقعد إلى جنب قبر غيره، ففعل مثلَ ذلك.

فذكرتُ ذلك لمحمد بن المنكدر، وقلتُ: إنما ظننتُ أنه قبر بعض أهله، فقال محمد: كُلُّهم أهلُه وإخوته، إنما هو رجل يُحرِّكُ قلبه بذكر الأموات كلما عرضت له قسوة.

---

(١) انظر السير: ٥/٣٦٤-٣٦٩.

مات صفوان سنة اثنتين وثلاثين ومئة.

عاش اثنتين وسبعين سنة.

٢٨٩ الوليد بن يزيد[١]

[١] ابن عبدالملك بن مروان بن الحكم الخليفةُ أبو العباس الدمشقي الأموي.

ولـد سنـة تسعين، ووقت موت أبيه كان للوليد نيف عشرة سنة، فعقد له أبوه بالعهد من بعد هشام بن عبدالملك، فلما مات هشام، سُلِّمت إليه الخلافة.

عن عُمـر قال: وُلـد لأخي أمِّ سلمـة ولـد، فسمَّـوه الوليد، فقال النبيُّ ﷺ: «سَمَّيْتُمُوه بأَسْمَاءِ فَرَاعِنَتِكُم، لَيَكُونَنَّ فِي هذه الأُمَّةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الوليدُ، لَهُوَ أَشَدُّ لِهـذِه الأُمَّةِ مِنْ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ»[٢]. رواه الوليد، والهقل وجماعة، عن الأوزاعي، فأرسلوه ومـا ذكـروا عُمـرَ، وفي لفظ «لهـو أضَرُّ عَلى أمتي» وجاء بإسناد ضعيف «سيكون في الأمة فرعون، يقال له: الوليد».

[٢] قال حماد الراوية: كنت عند الوليد بن يزيد، فقال منجمان له: نظرنا فوجدناك تملِكُ سبـع سنين، فقلتُ: كذبـا، نحن أعلمُ بالآثار، بل تملكُ أربعين سنة، فأطرق ثم قال: لا ما قالا يَكْسِرُني، ولا ما قلتَ يغرني، والله لأَجْبِيَنَّ المال من حلِّه جبايةَ من يعيش الأبدَ، ولأصرِفَنَّه في حقه صرفَ من يموت الغد.

[٣] وعن العتبي: أن الوليد رأى نصرانيةً اسمها سَفرى، فجَنَّ بها، وراسلها فأبت.

[٤] صالح بن سليمان، قال: أراد الوليد بن يزيد الحج، وقال: أشربُ فوق الكعبة، فهمَّ قوم بقتله، فحذره خالد القَسْري، فقال: مِمَّن؟ فامتنع أن يُعرِّفَه، قال: لأبعثن بك إلى يوسفَ بن عمر قال: وإن، فبعث به إليه فعذبه، وأهلكه.

مصعب الزبيري، عن أبيه، قال: كنت عند المهدي، فذكر الوليد بن يزيد، فقال رجل: كان زنديقاً، قال: مَهْ، خِلافةُ الله أجلُّ من أن يجعلها في زنديق.

---

(١) انظر السير: ٥/ ٣٧٠ـ ٣٧٣.

(٢) هو في المسنـد ١/ ١٨، وإسناده ضعيف لانقطاعه وسوء حفظ أبي بكر بن عياش، وقد حكم عليه الحافظ العراقي بالوضع، وأطال الحافظ ابن حجر في الرد عليه لإثبات أن له أصلاً في «القول المسدد» (ص ٥، ٦، ١١، ١٦) فراجعه.

[١] وقال عبدالله بن واقد الجرْمي: لما اجتمعوا على قتل الوليد، قلَّدوا أمرهم يزيد بن الوليد، فشاور أخاه العباس، فنهاه، فخرج يزيد في أربعين نفساً ليلاً، فكسروا باب المقصورة، وربطوا واليها، وحمل يزيد الأموال على عجل، وعقد راية لابن عمِّـه عبدالعزيز، وأنفق الأموالَ في ألفي رجل، فتحارب هم وأعوان الوليد، ثم انحـاز أعوانُ الوليد إلى يزيد، ثم نزل يزيد حصن البخراء، فقصده عبدالعزيز، ونهب أثقاله، فانكسر أولاً عبدالعزيز، ثم ظهر ونادى مناد: اقتُلوا عدو الله قِتلة قوم لوط، ارموه بالحجارة، فدخل القصر، فأحاطوا به، وتدلَّوا إليه فقتلوه، وقالوا: إنما نَنقِمُ عليك انتهاكَ ما حرم الله، وشرب الخمر، ونكاح أمهات أولاد أبيك. ونُفِّذ إلى يزيد بالرأس وكان قد جعل لمن أتاه به مئة ألف.

[٢] وقيل: سبقت كَفُّه رأسه بليلة، فنصب رأسه على رمح بعد الجمعة، فنظر إليه أخوه سُليمان، فقال: بُعداً له. كان شروباً للخمر ماجناً، لقد راودني على نفسي(١).

قيل: عاش ستاً وثلاثين سنة، وكان مصرعه في جُمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومئة.

فتملك سنة وثلاثة أشهر، وأمه هي بنت محمد بن يوسف الثقفي أمير اليمن أخي الحجاج ونقل عنه المسعودي مصائب، فالله أعلم.

٢٩٠ الفأفاء (م، ٤)(٢)

[٣] الإمام الفقيه أبو سلمة خالد بن سلمةَ بن العاصِ بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي الكوفي الفأفاء.

هرب إلى واسط من بني العباس، فقتل بها مع الأمير ابن هُبيرة.

وكان مرجئاً ينال من علي رضي الله عنه.

(١) قال المؤلف رحمه الله في تاريخه ٥/١٧٦، ١٧٩: قلت: مقت الناس الوليد لفسقه، وتأثموا من السكوت عنه وخرجوا عليه، ولم يصح عنه كفر ولا زندقة، نعم اشتهر بالخمر والتلوط.

(٢) انظر السير: ٥/٣٧٣-٣٧٤.

[١] قُتِلَ في أواخر سنة اثنتين وثلاثين ومئة، وهو من عجائب الزمان كوفي ناصبي، ويَنْدُرُ أن تجد كوفياً إلا وهو يتشيع.

[٢] وكان الناس في الصدر الأول بعد وقعة صفين على أقسام: أهل سُنة، وهم أولو العلم، وهم مُحبُّون للصحابة كافُّون عن الخوض فيما شجر بينهم، كسعد وابنِ عمرو محمد بن مسلمة وأمم، ثم شِيعة يتوالون وينالون ممن حاربوا عليًّا ويقولون: إنهم مسلمون بغاة ظلمة، ثم نواصب وهم الذين حاربوا علياً يوم صِفين، ويقرون بإسلام عليٍّ وسابقيه، ويقولون: خذل الخليفةَ عثمان.

فما علمت في ذلك الزمان شيعيّاً كفَّر معاويةَ وحزبَه، ولا ناصبياً كفَّر علياً وحزبه، بل دخلوا في سبٍّ وبغض، ثم صار اليوم شيعة زماننا يكفرون الصحابة، ويبرؤون منهم جهلاً وعدواناً، ويتعدون إلى الصِّديق، قاتلهم الله، وأما نواصبُ وقتنا فقليل، وما علمتُ فيهم من يكفِّر عليّاً ولا صحابيّاً.

٢٩١ يزيد بن الوليد(١)

[٣] ابن عَبْد الملك بن مروان الخليفة أبو خالد القرشي الأموي الدمشقي الملقب بالنَّاقِص، لكونه نَقَص عطاءَ الأجناد.

توثَّب على ابن عمه الوليد بن يزيد، وتم له الأمر كما مرَّ، واستولى على دار الخلافة في سنة ست وعشرين، ولكنه ما مُتِّع ولا بلع رِيقه.

[٤] قال خليفة بن خياط: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أبيه أن يزيد بن الوليد، خطب عند قتل الوليد، فقال: إني والله ما خرجت أشراً ولا بطراً، ولا حِرصاً على الدنيا، ولا رغبةً في الملك، وإني لظلومٌ لنفسي إن لم يرحمني ربي، ولكن خرجتُ غضباً لله ولدينه، وداعياً إلى كتاب الله وسنة نبيه، حين دُرِسَت معالمُ الهُدى، وطُفِئَ نورُ أهل التقوى، وظهر الجبارُ المستحل للحرمة، والراكب البدعة، فأشفقتُ إذ غَشِيَكم ظُلمُه أن لا يُقلع عنكم من ذنوبكم، وأشفقت أن يدعوا أناساً إلى ما هو عليه، فاستخرتُ الله، ودعوتُ من أجابني، فأراح الله منه البلاد والعباد.

---

(١) انظر السير: ٥/ ٣٧٤ـ ٣٧٦.

أيُّها الناس إن لكم عندي إن وليتُ أن لا أضعَ لبنةً على لبنة، ولا أنقلَ مالاً مِن بلد إلى بلد حتى أَسُدَّ الثغور، فإن فضل شيءُ رددتُه إلى البلد الذي يليه، حتى تستقيمَ المعيشةُ وتكون فيه سواء، فإن أردتُم بيعتي على الذي بذلتُ لكم، فأنا لكُم، وإن ملتُ، فلا بيعة لي عليكم، وإن رأيتم أقوى مني عليها، فأردتُم بيعته، فأنا أول من يُبايع، ويدخل في طاعته، واستغفر الله لي ولكم.

[١] وعن أبي عثمان الليثي، أن يزيدَ الناقص، قال: يا بني أمية إياكُم والغِنَاء فإنه ينقُص الحياء، ويزيدُ في الشهوة، ويهدِمُ المروءة، وينوبُ عن الخمر، فإن كنتم لابدَّ فاعلين، فجنبوه النساء فإن الغناء داعية الزنى.

[٢] محمد بن عبدالله بن عبدالحكم: سمعت الشافعيَّ يقول: لما ولي يزيد بن الوليد، دعا الناسَ إلى القَدَرِ، وحملَهم عليه، وقرب غيلانَ القدري أو قال: أصحابَ غيلان.

قلت: كان غيلان قد صلبه هشام قبل هذا الوقت بمدة.

مات يزيد الناقص سنة ست وعشرين ومئة، فكانت دولتُه ستةَ أشهر. وكان شاباً أسمر نحيفاً، حسن الوجه، وقيل مات بالطاعون، وبويع مِن بعده أخوه إبراهيم بن الوليد، ودُفن بباب الصغير، سامحه الله.

٢٩٢ زيد بن علي (د، ت، ق)(١)

[٣] ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين الهاشمي العَلوي المدني أخو أبي جعفر الباقر.

[٤] وكان ذا علم وجلالة وصلاح، هفا، وخرج فَاستُشْهِدَ.

وَفَدَ على متولِّي العراق يوسفَ بن عُمر، فأحسنَ جائزَته، ثم رُدَّ، فأتاه قوم من الكوفة، فقالُوا: ارجع نبايْعك، فما يوسف بشيئ فأصغى إليهم وعسكر، فبرز لحربه عسكرَ يوسف، فقُتِلَ في المعركة، ثم صُلِبَ أربع سنين.

(١) انظر السير: ٥/٣٨٩- ٣٩١.

وقال الفسوي: كلم هشاماً في دَيْن، فأبى عليه، وأغلظ له.

[١] قال عيسى بن يونس: جاءت الرافضةُ زيداً، فقالوا: تبرأ مِن أبي بكر وعمر حتّى ننصُرَك، قال بل أتولاهما. قالوا: إذاً نرفُضُك، فمِن ثَمَّ قيل لهم: الرافضة. وأما الزيديةُ، فقالُوا بقوله، وحاربُوا معه.

عاش نيفاً وأربعين سنة، وقُتل سنة اثنيتن وعشرين ومئة رحمه الله.

[٢] عن جرير بن حازم قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ، كأنَّه متسانِدٌ إلى خشبة زيد بن علي، وهو يقول: هكذا تفعلون بولدي؟!

[٣] عن زيد بن علي، قال: كان أبو بكر رضي الله عنه إمامَ الشاكِرينَ، ثم تلا: ﴿وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ ثُمَّ قال: البراءةُ من أبي بكر هي البراءةُ من عليٍّ.

[٤] قلتُ: خرج متأوِّلاً، وقُتل شهيداً، وليتَه لم يخرج.

٢٩٣ أبو إسحاق السَّبيعي (ع)(١)

[٥] عَمرو بن عبدالله بن ذي يُحمِدَ، الهَمْدَانيّ الكوفي الحافظ شيخُ الكوفة وعالِمُها ومُحدِّثُها.

وكان رحمه الله من العلماء العاملين، ومن جلة التابعين.

قال: وُلِدْتُ لسنتين بقيتا من خلافة عثمان، ورأيتُ علي بن أبي طالب يخطب.

[٦] قرأ عليه القرآن عرضاً حمزة بن حبيب، فهو أكبر شيخ له في كتاب الله تعالى، وغزا الروم في دولة معاوية.

[٧] ابن فُضيل، عن أبيه قال: كان أبو إسحاق يقرأ القرآن في كل ثلاث.

[٨] ابن فضيل، حدثني أبي قال: أتيت أبا إسحاق بعدما كف بصره، قال: قلت: تعرفني؟ قال: فضيل؟ قلت: نعم. قال: إني واللهِ أُحِبُّكَ، ولولا الحياءُ منك لقبلتُك، فضمني إلى صدره، ثم قال: حدثني أبو الأحوص عن عبدالله ﴿لَوْ أَنْفَقتَ ما فِي الأرضِ جَميعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْن قُلُوبِهِمْ وَلكنَّ الله أَلَّف بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال ٦٣] نزلت في المتحابين.

(١) انظر السير: ٥/٣٩٢-٤٠١

[١] وقال أبو الأحوص: قال لنا أبو إسحاق: يا معشر الشباب اغتنِمُوا يعني: قوتكم وشبابكم، قلَّما مرَّت بي ليلة إلا وأنا أقرأ فيها ألف آية، وإني لأقرأُ البقرة في ركعة، وإني لأصوم الأشهر الحرم، وثلاثةَ أيام من كل شهر والاثنين والخميس.

[٢] قال أبو إسحاق: ذهبت الصلاةُ مني وضَعُفتُ، وإني لأصلي فما أقرأ وأنا قائم إلا البقـرة وآل عمـران، ثم قال الأخنسي: حدثنا العلاء بن سالم العبدي قال: ضعف أبو إسحاق قبل موته بسنتين، فما كان يقْدِرُ أن يقوم حتى يُقام، فإذا استتم قائماً قرأ وهو قائم ألفَ آية.

[٣] قال أبو بكر بن عياش: ما سمعتُ أبا إسحاق يعيبُ أحداً قط، وإذا ذكر رجلاً من الصحابة، فكأنه أفضلُهم عنده.

توفي أبو إسحاق في سنة سبع وعشرين ومئة يوم دخولَ الضحاك بن قيس غالباً على الكوفة.

عاش ثلاثاً وتسعين سنة.

الطبقة الرابعة من التابعين

٢٩٤ منصور بن المعتمِر (ع)[1]

[١] **الحافظُ الثبت القدوةُ، أبو عتاب السُّلمي الكوفي أحدُ الأعلام.**

[٢] عن زائدة قال: قلتُ لمنصور بن المعتمِر: اليوم الذي أصوم أقع في الأمراء؟ قال: لا. قلت: فأقع في من يتناول أبا بكر وعُمر؟ قال: نعم.

[٣] قالت بنت لجار منصور بن المعتمر: يا أبة أين الخشبة التي كانت في سطح منصور قائمة؟ قال يا بنية ذاك منصورٌ، كان يقوم الليل.

[٤] قال البغوي: حدثنا الأخنسي، سمعت أبا بكر يقولُ: لو رأيتَ منصور بنَ المعتمر، وربيعَ بن أبي راشد، وعاصَم بن أبي النَّجود في الصلاة، قد وضعوا لِحاهم على صُدورهم، عرفت أنهم من أبزارِ الصلاة.

[٥] حدثنا الأخنسي، سمعتُ أبا بكر يقول: كنتُ مع منصور جالساً في منزله، فَتصِيحُ به أُمُّه، وكانت فظَّةً عليه، فتقول: يامنصورُ يُريدك ابنُ هُبيرة على القضاء فتأبى، وهو واضع لحيته على صدره، ما يرفع طرْفَه إليها.

[٦] وعن مفضَّل قال: حبس ابن هُبيرة منصوراً شهراً على القضاء يريده عليه، فأبى، وقيل: إنه أحضر قيداً ليقيده به، ثم خلاه.

[٧] قال أحمد بن عبدالله العِجلي: كان منصور أثبتَ أهلِ الكوفة، لا يختلف فيه أحدٌ صالحٌ متعَبِّدٌ، أُكْرِه على القضاءِ فقضى شهرين، قال:وفيه تشيع قليل وكان قد عمِش من البكاء.

قلت: تشيعه حُبٌّ وولاء فقط.

[٨] قال سفيان بن عُيينة: كان منصور في الديوان، فكان إذا دارت نوبتُه لبس ثيابه وذهب فحرس. يعني في الرباط.

---

(١) انظر السير: ٥/٤٠٢-٤١٢.

[١] وحكاية أبي بكر الباغندي الحافظ مشهورة، سمعناها في معجم الغساني، أنه كان ينتخب على شيخ، فكان يقول له: كم تُضجرني؟ أنت أكثر حديثاً مني وأحفظ، فقال: إني قد جئت إلى الحديث، بحسبك أني رأيتُ النبي ﷺ في النوم، فلم أسأله الدعاء، وإنما قلت: يا رسول الله أيما أثبتُ في الحديث منصورٌ أو الأعمش فقال: منصور منصور.

[٢] سفيان بن عيينة، قال: رأيتُ منصور بن المعتمر، فقلتُ: ما فعل الله بك؟ قال: كدت أن ألقى الله تعالى بعمل نبي.

[٣] ثم قال سفيان: صام منصور ستين سنة، يقوم ليلها ويصوم نهارها رحمه الله.

٢٩٥ القَسري (د) (١)

[٤] **الأمير الكبير أبو الهيثم خالد بن عبدالله بن يزيد الدمشقي أميرُ العراقين لهشام، ووَلِيَ قبل ذلك مكة للوليد بن عبدالملك، ثم لسليمان.**

وكان جواداً ممدَّحاً معظَّماً عالي الرتبة من نبلاء الرجال، لكنه فيه نُصب معروف.

[٥] روى العتبي عن رجل، قال: خطب خالد بن عبدالله بواسط، فقال: إن أكرمَ الناس من أعطى من لا يرجوه، وأعظم الناس عفواً من عفا عن قدرة، وأوصل الناس من وصل عن قطيعة.

[٦] محمد بن يزيد الرفاعي، سمعتُ أبا بكر بن عياش يقول: رأيت خالداً القسري حين أتى بالمغيرة بن سعيد وأصحابه، وكان يريهم أنه يحيي الموتى، فقتل خالد واحداً منهم، ثم قال للمغيرة: أحيه فقال: والله ما أحي الموتى، قال: لتحيينه أو لأضربن عنقك، ثم أمر بطَنٍّ من قصب فأضرموه، وقال: اعتنقه، فأبى، فعدا رجل من أتباعه فاعتنقه، قال أبو بكر: فرأيتُ النار تأكله وهو يشير بالسبابة، فقال خالد: هذا والله أحق بالرئاسة منك، ثم قتله وقتل أصحابه.

---

(١) انظر السير: ٥/٤٢٥- ٤٣٢.

[١] قلت: كان رافضياً خبيثاً كذاباً ساحراً، ادّعى النبوة، وفضّلّ عليّا على الأنبياء، وكان مجسماً، سقت أخباره في (ميزان الاعتدال).

وكان خالد على هِنَاته يرجع إلى إسلام.

[٢] وقال القاضي ابن خلّكان: كان يتهم في دينه، بني لأمه كنيسة، تتعبد فيها وفيه يقول الفرزدق:

أَلَا قَبَّحَ الرحمنُ ظَهْرَ مَطِيَّةٍ أتتنا تَهادى من دمشق بِخالدِ
وكيف يؤم الناسَ مَنْ كان أُمُّه تدين بأنّ الله ليس بواحدِ
بَنى بِيعةً فيها الصَّلِيبُ لأُمِّهِ وَيَهْدِمُ مِن بُغْضٍ مَنَارَ المساجدِ

[٣]عن ابن نوح: سمعت خالداً يقول على المنبر: إني لأُطْعِمُ كلَّ يوم ستة وثلاثين ألفاً من الأعرابِ تمراً وسَويقاً.

[٤] وقيل أنشده أعرابي:

أَخالدُ بَيْنَ الحمدِ والأجر حاجتي فَأَيُّهَما يأتي فأنت عِمَادُ
أَخالدُ إني لم أَزُرْكَ لحاجةٍ سوى أنني عافٍ وأنت جَوَادُ

فقال: سل، قال: مئة ألف، قال: أسرفت يا أعرابي، قال: فأحط للأمير؟ قال: نعم.

قال: قد حططتك تسعين ألفاً، فتعجب منه، فقال: سألتُك على قدرك، وحططتُك على قدري، وما أستأهله في نفسي، قال: لا والله لا تغلبنُي، يا غلام أعطِه مئة ألف.

عن أبي سفيان الحميري، قال: أراد الوليدُ بن يزيد الحجّ، فاتَّعد فتية أن يفتكوا به في طريقه، وسألوا خالداً القسري الدخول معهم فأبى، ثم أتى خالد فقال: يا أمير المؤمنين: دع الحج. قال: ومن تخاف سمهم، قال: قد نصحتُك ولن أُسمِّيَهم قال: إذاً أبعثُ بك إلى عدوك يوسف بن عمر، قال: وإنْ، فبعث به إليه، فعذبه.

قدم الشام سنة اثنتين وعشرين، وبقي بها حتى قتله الوليد الفاسق.

[١] عن عبدالرحمن بن محمد بن حبيب، عن أبيه، عن جده، قال شهدتُ خالداً القَسري في يوم أضحى، يقول: ضحُّوا تقبل الله مِنكم فإني مُضَحٍّ بالجعد بن درهم، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يُكلِّم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً، ثم نزل فذبحه. قلت: هذه مِن حسناته، هي وقتله مغيرة الكذاب.

٢٩٦ أبو الزِّناد (ع)[1]

[٢] عبدالله بن ذَكوان الإمامُ الفقيه الحافظ المفتي، أبو عبدالرحمن القُرشي المدني، ويُقلب بأبي الزِّناد.

قلت: مولده في نحو سنة خمس وستين في حياة ابن عباس.

وكان من علماء الإسلام، ومن أئمة الاجتهاد.

[٣] عن الليث بن سعد قال: رأيتُ أبا الزناد وخلفه ثلاث مئة تابع من طالب فقه وشعر وصنوف، ثم لم يلبث أن بقي وحده، وأقبلوا على ربيعة، وكان ربيعة يقول: شِبر من حُظوةٍ خيرٌ من باع من علم.

[٤] عن أبي حنيفة قال: قدمتُ المدينة، فأتيتُ أبا الزناد، ورأيتُ ربيعة فإذا الناسُ على ربيعة، وأبو الزناد أفقهُ الرجلين، فقلتُ له: أنتَ أفقهُ أهل بلدك والعمل على ربيعة؟ فقال: ويحك كفٌّ مِن حظ خير من جِراب من علم.

[٥] قيل لأبي الزناد: لِمَ تُحبُّ الدراهم وهي تُدنيك من الدنيا؟ فقال: إنها وإن أدنتني منها، فقد صانتني عنها.

[٦] قال إبراهيم بن المنذر الحِزامي: هو كان سبَبَ جلدِ ربيعة الرأى، ثم ولي بعد ذلك المدينة فلان التيمي، فأرسل إلى أبي الزناد، فطيَّن عليهِ بيتاً، فشفع فيه ربيعة.

قلت: تؤول الشَّحناءُ بينَ القُرناء إلى أعظمَ من هذا.

---

(١) انظر السير: ٥/٤٤٥- ٤٥١.

[١] ولما رأى ربيعةُ أن أبا الزناد يهلِكُ بسببه ما وسعه السكوت، فأخرجوا أبا الزناد، وقد عاين الموتَ وذبُلَ، ومالت عنقه. نسأل الله السلامة.

[٢] وروى الليثُ بن سَعد، عن ربيعة بن أبي عبدالرحمن قال: أما أبو الزناد، فليس بثقة ولا رضي.

قلتُ: انعقد الاجماع على أن أبا الزِّناد ثقة رضي.

[٣] ابن القاسم قال: سألت مالكاً عمن يحدِّث بالحديث الذي قالوا: «إنَّ الله خَلَقَ آدَمَ على صُورته» فأنكر ذلك إنكاراً شديداً، ونهى أن يتحدَّث به أحد، فقيل: إن ناساً من أهل العلم يتحدثون به قال: من هم؟ قيل: ابنُ عجلان، عن أبي الزناد، فقال: لم يكن يعرف ابنُ عجلان هذه الأشياءَ، ولم يكن عالماً ولم يزل أبو الزناد عاملاً لهؤلاء حتى مات، وكان صاحبَ عُمَّال يتبعُهم.

قلت: الخبرُ لم ينفرد به ابن عجلان، بل ولا أبو الزناد، فقد رواه شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد، ورواه قتادة، عن أبي أيوب المراغي، عن أبي هريرة، ورواه ابنُ لَهيعة، عن الأعرج وأبي يونس، عن أبي هريرة، ورواه معمر، عن همَّام، عن أبي هريرة، وصحَّ أيضاً من حديث ابن عمر.

وقد قال إسحاق بن راهويه عالمُ خراسان: صحَّ هذا عن رسول الله ﷺ. فهذا الصحيح مخرج في كتابي البخاري ومسلم. فنؤمن به ونُفوِّضُ ونُسَلِّمُ ولا نخوضُ فيما لا يعنينا مع علمنا بأن الله ليس كمثله شيءٌ وهو السميعُ البصير.

مات أبو الزناد فجأةً في مغتسله، وهو ابنُ ست وستين سنة في سنة ثلاثين ومئة.



الجزء السادس



٢٩٧ عُبيد الله بن أبي جعفر (ع)[١]

[١] الإمـام الحافظ، فقيه مصر، أبو بكر المصري، الكِناني، مولاهم، اللَّيثي، واسم أبيه يسار.

[٢]عن عُبيد الله بن أبي جعفر قال: كان يُقال: ما استعان عبد على دينه، بمثل الخشيةِ من الله.

[٣]عن عُبيد الله بن أبي جعفرَ قال: غزونا القُسْطَنْطِينِيَّة فَكُسِر بنا مركبُنا، فألقانا الموجُ على خشبةٍ في البحر، وكنا خمسةً أو سِتة فأنبت الله لنا بعَدَدِنا، ورقة لِكل رجل منا، فكنا نمصُّها فتُشبُعنا وتَروينا، فإذا أمسينا، أنبت الله لَنَا مكانها.

[٤]عبيد الله بن أبي جعفـر، قال: إذا كان المـرءُ يحـدث في مجلس فأعجبـه الحديث، فليمسك. وإذا كان ساكتاً، فأعجبه السكوتُ فليتحدَّث.

قال ابن لهيعة: ولد ابن أبي جعفر سنة ستينِ، وهو من سَبْي طرابلس المغرب.

وقال غيره: توفي مَدْخَلَ المسوّدَة يعني، بنى العباس في سنة اثنتين وثلاثين ومئة.

٢٩٨ أيوب السَّخْتِياني (ع)[٢]

[٥]الإمـام الحافظ سيد العلماء، أبو بكر بن أبي تميمة كَيْسان العَنَزِيّ، مولاهم البصري، عِداده في صغار التابعين.

مولده عامَ توفي ابن عباس، سنة ثمان وستين. لقي ابنُ عُيَيْنَة ستة وثمانين من التابعين، وكان يقول: ما رأيتُ مثلَ أيوب.

---

(١) انظر السير: ٦/٨ـ ١٠

(٢) انظر السير: ٦/١٥ـ ٢٦

[١] اسحاق بن محمد، سمعت مالكاً يقول: كنا ندخلُ على أيُّوب السَّخْتِيَاني، فإذا ذكرنا له حديثَ رسول الله ﷺ بكى حتى نَرْحَمه.

[٢] عن سلام، قال: كان أيوب السَّختِيَاني يقوم الليل كُلَّهُ فيُخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح، رفعَ صوتَهُ، كأنه قام تلك الساعة.

[٣] عارم، حدثنا حماد قال: ما رأيت رجلاً قطُّ، أشدَّ تَبَسُّماً في وجوه الرجال من أيوب.

[٤] سَلام بن مِسكين، سمعت أيوب يقول: لا خبيثَ أخبثُ من قارئٍ فاجر.

[٥] عن أيوب قال: أدركت الناس ها هنا وكلامهم: إن قضى وإن قُدِّر.

[٦] وكان يقول: ليتَّق اللهَ رجلٌ. فإن زهد، فلا يَجْعَلَنَّ زُهدَه عذاباً على الناسِ، فلأن يُخْفيَ الرجلُ زهدَهُ خيرٌ من أنْ يُعلِنه.

[٧] وكان أيوب ممن يُخفي زهده، دخلنا عليه، فإذا هو على فراش مُخَمَّسٍ أحمر، فرفعتُه، أو رفعه بعض أصحابنا، فإذا خَصَفَةٌ محشوةٌ بليف.

[٨] قال أيوب: ما صدق عَبدٌ قطُّ، فأحب الشهرة.

[٩] عن حمّـاد بن زيد، قال: كان أيوب في مجلس فجاءته عَبْرةٌ فجعل يَمْتَخِط ويقول: ما أشدَّ الزُّكام.

وقال أبو حاتم وسئل عن أيوب فقال: ثقة، لا يُسأل عن مثله.

[١٠] عن ابن شَوْذَب، قال: كان أيوب يؤم أهل مسجده في شهر رمضان، ويصلي بهم في الركعة قدر ثلاثين آية، ويصلي لنفسه فيما بين الترويحتين بقدر ثلاثين آية. وكان يقول هو بنفسه للناس: الصلاة، ويوتر بهم، ويدعو بدعاءِ القرآن، ويؤمن من خلفه وآخر ذلك يُصلي على النبي ﷺ، ويقول: اللهم استعمِلْنا بسنَّته، وأوزعنا بهديه، واجعلنا للمتقِين إماماً، ثم يسجد. وإذا فرغ من الصلاة دعا بدعوات.

[١١] وعن هشام بن حسان: أن أيوب السختياني حج أربعين حجة.

[١٢] قال مَعْمر: كان في قميص أيوب بعضُ التذييل. فقيل له، فقال: الشهرةُ اليوم في التَّشمير.

[١٣] كان أيوب في طريق مكـة، فأصاب الناس عطشٌ حتى خافوا. فقال أيوب:

أتكتمونَ عليَّ؟ قالوا: نعم. فدوَّر رداءَه ودعا، فنبع الماءُ، وسقوا الجِمَالَ، ورووا، ثم أمرَّ يده على الموضع فصار كما كان.

قلت: اتفقوا على أنه توفي سنة احدى وثلاثين ومئة بالبصرة زمن الطاعون وله ثلاث وستون سنة.

٢٩٩ يحيى بن أبي كثير (ع)(١)

[١] الإمام الحافظ، أحدُ الأعلام، أبو نصر الطائي، مولاهم اليمامي واسم أبيه صالح.

وكان طَلَّابةً للعلم، حُجَّة.

[٢] وقال أبو حاتم الرازي: هو إمام لا يروى إلا عن ثقة، وقد نَالَتْهُ مِحنة وضُرِبَ لكلامه في وُلاةِ الجَور.

[٣] وقال ابنُ حبان: كان من العُبَّاد، إذا حضر جنازة، لم يتعشَّ تلك الليلة، ولا يُكلمه أحد.

وقال أبو حاتم: قد رأى أنساً يُصلي في الحرم.

[٤] عن يحيى بن أبي كثير قال: قال سليمان عليه السلام: يا بُنيَّ إياك والمراء، فإنه ليس فيه مَنْفَعةٌ، وهو يُورث العداوة بين الإخوان.

[٥] عبدالله بن يحيى بن أبي كثير: سمعتُ أبي يقول: لا يُستطاع العِلْمُ براحة الجسد.

ويُروى أن يحيى بن أبي كثير، أقام بالمدينة عشر سنين في طلب العلم.

مات سنة تسع وعشرين ومئة.

٣٠٠ أبو مسلم الخراساني(٢)

[٦] اسمه عبدالرحمن بن مسلم الخراساني، الأمير، صاحب الدعوة، وهازم جيوش الدولة الأموية، والقائم بإنشاء الدولة العباسية.

---

(١) انظر السير: ٦/٢٧- ٣١ (٢) انظر السير: ٦/٤٨- ٧٣

[١] كان من أكبر الملوك في الإسلام، وكان ذا شأن ونبأ غريب مِنْ رجل يذهب على حمار بإكافٍ من الشام حتى يدخل خراسان، ثم يملِكُ خراسان بعد تسعة أعوام، ويعود بكتائب أمثالِ الجبال، ويقلِبُ دولة، ويُقيم دولة أخرى!

تأتيه الفتوحاتُ العظام، فلا يظهر عليه أثرُ السرور، وتنزل به الفادحة الشديدة، فلا يُرى مكتئباً. وكان إذا غضب لم يستفزه الغضب.

قيل: مولده في سنة مئة، وأول ظهوره كان بمرو في شهر رمضان يوم الجمعة من سنة تسع وعشرين ومئة، ومتولي خراسان إذ ذاك الأمير نصر بن سيار الليثي، نائب مروان بن محمد، الحمار، خاتمة خلفاء بني مروان، فكان ظهوره يومئذ في خمسين رجلاً، وآل أمره إلى أن هرب منه نصر بن سيار قاصداً العراق فنزل به الموتُ بناحية ساوة، وصفا إقليمُ خراسان لأبي مسلم، صاحب الدعوة، في ثمانية وعشرين شهراً.

[٢] مُصعب بن بشر، سمعت أبي يقول: قام رجل إلى أبي مُسلم وهو يخطب، فقال: ما هذا السواد عليك؟ فقال: حدثني أبو الزبير عن جابر بن عبدالله، «أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتحِ، وعليه عِمَامة سَوْداء». وهذه ثياب الهيبة، وثياب الدولة يا غلام اضرب عنقه!

قلت: كان أبو مسلم سفاكاً للدماء، يزيد على الحجاج في ذلك. وهو أوَّل من سن للدولة لباس السواد، وكان بلاءً عظيماً على عرب خراسان، فإنه أبادهم بحدِّ السيف.

[٣] وفي سنة اثنتين وثلاثين في ثالث يومٍ من ربيع الأول، بُويع السفاحُ بالخلافة بالكوفة في دار مولاه الوليد بن سعد. وسار الخليفةُ مروان في مئة ألف فارس حتى نزل الزابين(١) دون الموصل، يقصِدُ العراق. فجهز السَّفَّاح له عمَّه عبدالله بن علي، فكانت الوقعة على كُشاف، في جُمادى الآخرة فانكسر مروانُ وتقهقر، وعدّى الفرات، وقطع وراءه الجسر وقصد الشام ليتقوَّى، ويلتقي ثانياً.

(١) الزابان: الزاب الأعلى، والزاب الأسفل، وهما نهران بين بغداد والموصل، ونزول مروان بن محمد كان على الزاب الصغير.

فجدَّ في طلبه عبد الله بن علي حتى طرده عن دمشق، ونازلها وأخذها بعد أيام، وبذل السيف، وقتل بها في ثلاث ساعات نحواً من خمسين ألفاً، غالبُهم من جند بني أمية.

وانقضت أيامُهم، وهرب مروانُ إلى مصر في عسكر قليل، فجدُّوا في طلبه. إلى أن بيَّتوه بقرية بُوصير، فقاتل حتى قُتِلَ، وطِيف برأسه في البلدان، وهرب ابناه إلى بلاد النُّوبة.

[١] قال محمد بن جرير في «تاريخه» كان بُدوُّ أمرِ بني العبّاسِ أن رسول الله ﷺ فيما قيل، أعلم العباسَ أن الخلافة تؤولُ إلى ولده، فلم يزل ولده يتوقعون ذلك.

قلت: لم يصحَّ هذا الخبرُ، ولكن آل العباس، كان الناس يُحبونهم، ويُحبون آل علي، ويودُّون أن الأمر يؤول إليهم، حباً لآل رسول الله ﷺ، وبغضاً في آل مروان بن الحكم فبقُوا يعملون على ذلك زماناً حتى تهيأت لهم الأسبابُ، وأقبلت دولتُهم وظهرت من خراسان.

[٢] قلت: فرحنا بمصير الأمر إليهم. لكن والله ساءنا ما جرى من سيول الدماء، والسبي، والنهب، فإنا لله، وإنا إليه راجعون، فالدولة الظالمة مع الأمن وحقن الدماء، ولا دولة عادلة تُنتهكُ دونها المحارمُ، وأنى لها العدل؟ بل أتت دولة أعجمية، خراسانية، جبارة، ما أشبَه الليلة بالبارحة.

[٣] وفي سنة ثلاث وثلاثين ومئة سار أبو جعفر المنصور إلى خراسان إلى أبي مسلم، ليأخذ رأيه في قتل أبي سلمة، حفص بن سليمان الخلال وزيرهم. وذلك أنه لما نزل به السفاح وأقاربُه، حدثته نفسُه بأن يُبايعَ علوياً، ويدعَ هؤلاء وشرع يُعمِّي أمرهم، على قواد شيعتهم، فبادر كبارُهم، وبايعوا السفاحَ وأخرجوه، فخطب الناس فما وسعه ـ أعني أبا سلمة ـ إلا المبايعة، فاتهموه.

فعن أبي جعفر قال: انتدبني أخي السفاح للذهاب إلى أبي مسلم، فسرت على وَجَلٍ، فقدمت الري ثم شرفت عنها فرسخين، فلما صار بيني وبين مرو فرسخين، تلقاني أبو مسلم في الجنود، فلما دنا مني ترجل ماشياً، فقبل يدي، ثم نزلت، فمكثت ثلاثة أيام لا يسألني عن شيء. ثم سألني فأخبرتُه، فقال: فعلها أبو سلمة؟

أنا أكفيكموه. فدعا مرّار بن أنس الضّبيّ، فقال: انطلق إلى الكوفة، فاقتل أبا سلمة حيث لقيته، قال: فقتله بعد العشاء، وكان يقال له: وزير آل محمد.

ولما رأى أبو جعفر عظمة أبي مسلم، وسفكه للدماء، رجع من عنده وقال للسفاح: لستَ بخليفة إن أبقيتَ أبا مسلم. قال: وكيف قال: ما يصنعُ إلا ما يُريد. قال: فاسكت واكتُمها.

وكان أبو جعفر يقول للسفاح: يا أميرَ المؤمنين، أطعني واقتُلْ أبا مسلم فوالله إن في رأسه لغَدْرة، فقال: يا أخي قد عرفت بلاءَه، وما كان منه، وأبو جعفر يُراجعه.

ثم حج أبو جعفر وأبو مسلم، فلما قفلا تلقاهما موتُ السفاح بالجُدري، فولي الخلافة أبو جعفر.

وخرج عليه عمُّه عبدالله بن علي بالشام، ودعا إلى نفسه وأقام شهوداً بأنه وليُّ عهد السفاح، وأنه على ذلك سار لحرب مروان وهزمه، واستأصله.

فخلا المنصور بأبي مسلم وقال: إنما هو أنا وأنت، فَسِرْ إلى عبدالله عمي، فسار بجيوشه من الأنبار، وسار لحربه عبدالله فانهزموا وتركوا الذخائر والخزائن، والمعسكر، فاحتوى أبو مسلم على الكل وكتب بالنصر إلى المنصور.

واختفى عبدالله، وأرسل المنصور مولاه ليحصي ما حواه أبو مسلم، فغضب من ذلك أبو مسلم، وهمَّ بقتل ذلك المولى. وقال: إنما للخليفة من هذا الخُمس.

ولما علم المنصور أن أبا مسلم قد تغيَّر كتب إليه يُلاطفه: وأني قد وليتك مصر والشام، فانزل بالشام واستنب عنك بمصر، فلما جاءه الكتاب، أظهر الغضب وقال: يُوليني هذا وخراسان كلها لي؟! وشرع في المضي إلى خراسان.

فأمر المنصور من حضره من بني هاشم يكتبُون إلى أبي مسلم يُعظمون شأنه، وأن يتِمَّ على الطاعة، ويُحسِّنون له القدوم على المنصور.

ثم إنَّ المنصور سيَّر أمراء لِتلقي أبي مسلم، ولا يُظهرون أنه بعثهم لِيطمئنه، ويذكرون حسن نية المنصور له، فلما سَمعَ ذلك، انخدع المغرورُ وفرح، فلمّا دخل عليه، سلم عليه قائماً، فقال: انصرف يا أبا مسلم فاسترح، وادخل الحمام ثم اغدُ. فانصرف، وكان من نية المنصور أن يقتله تلك الليلة، فمنعه وزيره أبو

أيوب المورِيَاني.

قال أبـو أيوب: فقـال لي المنصور: دخل عليَّ أبو مسلم فعاتبتُه ثم شتمته، وضربه عثمان بن نَهيك فلم يصنع شيئاً، وخرج شبيب بن واج، فضربوه، فسقط، فقـال وهم يضـربـونه: العفو، قلت: يا ابن اللخناء، العفو؟ والسيوف تعتورِك؟ وقلت: اذبحوه. فذبحوه.

ثم همَّ المنصور بقتل الأمير أبي إسحاق صاحب حرس أبي مسلم وبقتل نصر بن مالك الخزاعي، فكلمه فيهما أبو الجهم، وقال: يا أميرَ المؤمنين إنما جُندُه جندك، أمرتهم بطاعته فأطاعوه.

ثم إنه أعطاهما مالاً جزيلاً، وفرق عساكر أبي مسلم. وكتب بعهد للأمير أبي داود خالد بن إبراهيم على خراسان، ثم بعث إلى عيسى بن موسى ولي العهد، فأعلمه، وأعطاه الرأس والمال فخرج به، فألقاه إليهم ونثر الذهب، فتشاغلوا بأخذه.

قُتل في سنة سبع وثلاثين ومئة.

قلت: وعمره سبعة وثلاثون عاماً.

ولما قُتل، خرج بخراسان سُنباذ للطلب بثأر أبي مسلم، وكان سُنباذ مجوسياً، فغلب على نيسـابـور والـري، وظفـر بخـزائن أبي مسلم واستفحل أمرُه، فجهز المنصور لحربه جمهور بن مَرَّار العجلي في عشرة آلاف فارس، وكان المصاف بين الري وهمذان، فانهزم سُنباذ وقُتل من عسكره نحوٌ من ستين ألفاً، وعامتهم كانوا من أهل الجبال فسُبيت ذراريهم، ثم قُتل سُنباذ بأرض طَبَرِستان.

٣٠١ مروان بن محمد(١)

[١] أبو عبدالملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، بن أمية أبو عبدالملك، الخليفة الأموي، يُعرف بمروان الحمار، وبمروان الجعدي نسبة إلى مؤدبه جعد ابن درهم.

(١) انظر السير: ٦/ ٧٤-٧٧

ويقال: أصبرَ في الحرب من حمار.

وكان مروان بطلاً شجاعاً داهية، رزيناً، جباراً، يصل السَّير بالسُّرى، ولا يَجِفُّ له لبِدٌ، دوَّخ الخوارج بالجزيرة.

مولد مروان بالجزيرة في سنة اثنتين وسبعين، إذ أبوه متوليها وأمه أم ولد.

وعاش اثنتين وستين سنة، قَتل في ذي الحجة سنة اثنتين وانتهت خلافة بني أمية، وبويع السفاح قبل مقتل مروان الحمار بتسعة أشهر.

[١] ومن جبروت مروان أن يزيد بن خالد بن عبدالله القسري الأمير كان قد قاتله، ثم ظَفِرَ به، فأُدخل عليه يوماً، فاستدناه، ولفَّ على إصبعه منديلاً، ورضَّ عينه حتى سالت، ثم فعل كذلك بعينه الأخرى وما نطق يزيد، بل صبر، نسأل الله العافية.

٣٠٢ السَّفَّاح(١)

[٢] **الخليفة أبو العباس عبدالله بن محمد بن علي بن حبر الأمة عبدالله بن عباس، ابن عبدالمطلب، بن هاشم بن عبدمناف، القرشي، الهاشمي، العباسي، أول الخلفاء من بني العباس.**

هرب السفاح وأهله من جيش مروان الحمار، وأتوا الكوفة لما استفحل لهم الأمر بخراسان، ثم بويع في ثالث ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومئة.

ولكن لم تَطُلْ أيامُ السفاح. ومات في ذي الحجة سنة ستٍّ وثلاثين ومئة، وعاش ثمانياً وعشرين سنة في قول.

[٣] وكان إذا علم بين اثنين تعادياً لم يقبل شهادة ذا على ذا، ويقول: العداوةُ تُزِيل العدالة.

[٤] وعن السفاح قال: إذا عظمت القُدْرَةُ، قلَّتِ الشهوة. قَلَّ تبرُّعٌ إلا ومعه حقٌّ مُضاع، الصبرُ حسن إلا على ما أوتَغَ (٢) الدين وأوهنَ السُّلطانَ.

(١) انظر السير: ٦/٧٧ـ ٨٠.

(٢) أوتغ: أفسد واهلك.

[١]وكان يحضر الغناء من وراء سِتارة، كما كان يفعل أَرْدَشِير، ويجزل العطاء.

ولما جيْ برأس مروان الحمار، سجد لله وقال: أخذنا بثأر الحسين وآله، وقتلنا مئتين من بني أمية بهم.

٣٠٣ كُرْز[1]

[٢]**الزاهد القُدوة، أبو عبدالله، كُرْزُ بنُ وَبَرَةَ الحارثي، الكوفي نزيل جرجان وكبيرها، فإنه دخلها غازياً في سنة ثمان وتسعين مع يزيد بن المهلب، فاتخذ كرز بها مسجداً بقُرب قبره.**

[٣]عن شُجاع بن صَبيح مولى كرز بن وَبَرة، قال: أخبرني أبو سليمان المُكتِب. قال: صحبتُ كُرزاً إلى مكة، فاحتبس يوماً وقت الرحيل، فانبثوا في طلبه، فأصبته في وَهدة يُصلي في ساعة حارَّة، وإذا سحابة تُظِلُّه، قال لي: اكتمُ هذا واستحلَفني.

[٤]عن النضر بن عبدالله، حدثتني روضة مولاةُ كُرز: قلت: من أين يُنفق كُرز؟ قالت: كان يقول لي: يا روضة إذا أردت شيئاً، فخذي من هذه الكُوة. فكنتُ آخذ كلما أردت.

[٥] عن أبي بشر قال: كان كُرزُ بن وَبَرَةَ من أعبد الناس، وكان قد امتنع من الطعام، حتى لم يُوجد عليه من اللحم، إلا بقدر ما يوجد على العصفور، وكان يطوي أياماً كثيرة، وكان إذا دخل في الصلاة لا يرفع طرفه يميناً، ولا شمالاً. وكان من المحبين المخبتين لله، قد وَلِهَ من ذلك، فربما كُلِّم فيجيب بعد مدة من شدة تعلق قلبه بالله، واشتياقه إليه.

[٦]عن كَرزٍ قال: لا يكون العبد قارئاً حتى يزهدَ في الدرهم.

[٧]قلت: هكذا كان زُهَّاد السلف وعُبَّادُهم، أصحاب خوف وخشوع وتعبد وقُنوع، ولا يدخلون في الدنيا وشهواتِها، ولا في عبارات أحدثها المتأخرون من الفناء،

---

(١) انظر السير: ٦/٨٤ـ ٨٦

والمحو، والاصطِلام، والاتحاد، وأشباه ذلك، مما لا يُسوّغُه كبارُ العلماء، فنسأل الله التوفيق والإخلاص، ولزوم الاتباع.

٣٠٤ عطاء السَّلِيمي[١]

[١] **البصري العابد، من صغار التابعين، أدرك أنسَ بن مالك، وسمع من الحسن البصري.**

واشتغل بنفسه عن الراوية.

وكان قد أرعبه فرطُ الخوف من الله.

[٢] قال نُعيم بن موزِّع: أتينا عطاء السَّلِيمي فجعل يقول: ليت عطاءً لم تلِدْه أُمُّه، وكرر ذلك حتى اصفرَّت الشمس.

[٣] وكان يقول في دعائه، اللهم ارحم غُربتي في الدنيا، وارحم مصرَعي عند الموت، وارحم قيامي بينَ يديك.

[٤] قال صالح المُري: قلت له: يا شيخ قد خدعك إبليس، فلو شربتَ ما تقوى به على صلاتك ووضوئك؟ فأعطاني ثلاثة دراهم، وقال: تعاهدني كل يوم بشربة سَويق. فشرب يومين وترك، وقال: يا صالح إذا ذكرت جهنم، ما يسعني طعام ولا شراب.

[٥] وعن خُليد بن دَعلج قال: كنا عند عطاء السَّلِيمي، فقيل له: إن ابن علي قتل أربع مئة من أهل دمشق على دم واحد، فقال متنفساً: هاه، ثم خر ميتاً.

[٦] وقيل: كان إذا جاء برق وريح، قال: هذا من أجلي يصيبكم لو مت استراح الناس، ولعطاء حكايات في الخوف وإزرائه على نفسه.

وقيل إنه مات بعد الأربعين ومئة. رحمة الله عليه.

(١) انظر السير: ٦/٨٦ـ ٨٨

٣٠٥ ربيعة (ع)[1]

[١] ابن أبي عبدالرحمن فَرُّوخ، الإمام، مفتي المدينة، وعالم الوقت، أبو عثمان. من موالي آل المُنكدر.

وكان من أئمة الاجتهاد.

[٢]عن ابن عُيَيْنة قال: بكى ربيعةُ يوماً، فقيل: ما يُبْكيك؟ قال: رياء حاضر، وشهوة خفية، والناس عند علمائهم كصبيان في حُجور أمهاتهم، إن أمروهم ائتمروا، وإن نهوهم، انتهوا؟!

[٣] قال ربيعة: وسُئل كيف استوى؟ فقال: الكيفُ غيرُ معقول، وعلى الرسول البلاغُ، وعلينا التصديقُ.

[٤]وصحَّ عن ربيعة، قال: العلم وسيلة إلى كُلِّ فضيلة.

وقال مصعب الزبيري: كان يُقال له: ربيعة الرأي، وكانَ صاحبَ الفتوى بالمدينة، وكان يجلس إليه وجوه الناس، وكان يُحصى في مجلسه أربعون معتمّاً.

وعنه أخذ مالك بن أنس.

[٥]وروى الليث عن عُبيد الله بن عمر: قال: هو صاحب مُعضلاتِنا، وعالمُنا وأفضلُنا.

[٦]عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، قال: مكث ربيعةُ دهراً طويلاً عابداً، يُصلي الليل والنهار، صاحب عبادة، ثم نزع ذلك إلى أن جالس القوم، قال: فجالس القاسم، فنطق بِلُبٍّ وعقل. قال: وكان القاسم إذا سُئل عن شيء قال: سلوا هذا لربيعة، فإن كان في كتاب الله، أخبرهم به القاسم، أو في سنة رسول الله ﷺ، وإلا قال: سلوا ربيعة أو سالماً.

[٧] عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، قال: كان يحيى بن سعيد يُجالس ربيعة، فإذا غاب ربيعةُ، حدثهم يحيى أحسن الحديث، وكان كثير الحديث، فإذا حضر ربيعة كف يحيى إجلالاً لربيعة، وليس ربيعة أسَنَّ منه، وهو فيما هو فيه، وكان كل واحد منهما مُبجِّلاً لصاحبه.

---

(١) انظر السير: ٦/ ٨٩-٩٦

[١] عن عبدالعزيز بن أبي سلمة، قال: لما جئت العراق جاءني أهل العراق، فقالوا: حدثنا عن ربيعة الرأي، فقلت: يا أهل العراق: تقولون ربيعة الرأي، والله ما رأيتُ أحداً أحفَظَ لسُنَّةٍ منه.

توفي سنة ستٍّ وثلاثين ومائة، بالمدينة.

قال مُطَرِّف بن عبدالله: سمعت مالكاً يقول: ذهبت حلاوةُ الفقه، منذ مات ربيعة بن أبي عبدالرحمن.

٣٠٦ أبو حازم (ع)[١]

[٢] **سلمة بن دينار، الإمامُ القُدوة، الواعظ، شيخ المدينة النبوية، أبو حازم المديني، المخزومي، مولاهم الأعرج، الأفزر**[٢] **التَّمَّار** القاص، **الزاهد**.

ولد في أيام ابن الزبير وابن عمر، وروى عن سهل بن سعد

[٣] وروى ابن عُيينة عنه قال: اشتدت مُؤنةُ الدين والدنيا، قيل: وكيف؟ قال: أما الدين، فلا تجد عليه أعواناً، وأما الدنيا فلا تمد يدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجراً قد سبقك إليه.

[٤] وقال عنه أيضاً: ليس للملوك صديق، ولا للحسود راحة، والنظر في العواقب تلقيح العقول.

[٥] عن أبي حازم قال: لا تكون عالماً حتى يكون فيك ثلاث خصال لا تبغ على من فوقك، ولا تحقر من دونك، ولا تأخذ على علمك دنيا.

[٦] عن أبي حازم قال: ما أحببتَ أن يكونَ معك في الآخرة، فاتركه اليوم. وقال:انظر كل عمل كرهتَ الموت من أجله، فاتركه ثم لا يضرُّك متى مت.

[٧] وقال: يسير الدنيا يشغلُ عن كثير الآخرة. وقال: انظر الذي يُصلِحُك فاعمل به، وإن كان فساداً للناس، وانظر الذي يُفسدك فدعه وإن كان صلاحاً للناس.

[٨] وعنه قال: شيئان إذا عملت بهما أصبتَ خير الدنيا والآخرة لا أطوِّل عليك، قيل:

---

(١) انظر السير: ٦/٩٦-١٠٣

(٢) الأفزر: هو الأحدب الذي في ظهره عُجرة عظيمة.

ما هما؟ قال: تحملُ ما تكره إذا أحبَّه الله، وتترك ما تحبُّ إذا كرهه الله.

[١] وعنه: نعمةُ الله فيما زوى عني من الدنيا، أعظم من نعمته فيما أعطاني منها، لأني رأيتُه أعطاها قوماً فهلكوا.

[٢] عن ثوابة بن رافع، قال: قال أبو حازم: وما إبليس؟ لقد عُصِيَ فما ضرَّ، ولقد أطيع فما نفع.

[٣] وعنه: ما الدنيا؟ ما مضى منها، فحلم، وما بقي منها فأماني.

[٤] عن أبي حازم قال: السيّءُ الخُلُق أشقى الناس به نفسُهُ التي بين جنبيه، هي منه في بلاء، ثم زوجته، ثم ولده، حتى إنه ليدخُلُ بيته، وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته فينفرون عنه، فرقاً منه، وحتى إن دابته تحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه لَيَراه فينزو على الجدار، حتى إن قِطَّه ليفرّ منه.

[٥] عن محمد بن مطرف، قال: دخلنا على أبي حازم الأعرج، لما حضره الموت، فقلنا: كيف تجدك؟ قال: أجدني بخير، راجياً لله حسن الظن به، إنه والله ما يستوى من غدا أو راح يَعْمر عقد الآخرة لنفسه فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت حتى يقدَم عليها، فيقوم لها وتقوم له، ومن غدا أو راح في عقد الدنيا يَعْمرها لغيره، ويرجع إلى الآخرة لا حظّ له فيها ولا نصيب.

[٦] عن أبي حازم قال: وجدت الدنيا شيئين: فشيئاً هو لي وشيئاً لغيري. فأما ما كان لغيري، فلو طلبته بحيلة السماوات والأرض لم أصل إليه. فيُمنع رزق غيري مني، كما يمنع رزقي من غيري.

[٧] مُحمد بن مطرف، حدّثنا أبو حازم قال: لا يُحسن عبد فيما بينه وبين الله، إلا أحسن ما بينه وبين العباد. ولا يُعوِّر ما بينه وبين الله إلا عوَّر فيما بينه وبين العباد.

[٨] لَمُصانعةُ وجه واحد أيسَرُ من مُصانعة الوجوه كلها. إنك إذا صانعته مالت الوجوه كلها إليك، وإذا استفسدت ما بينه، شَنِئَتْك الوجوه كلها.

[٩] وعن أبي حازم قال: اكتُم حسناتِك، كما تكتم سيئاتِك.

وقال ابنُ سعد: كان يقُصُّ بعد الفجر وبعد العصر في مسجد المدينة، ومات في خلافة أبي جعفر، بعد سنة أربعين ومئة، قال: وكان ثقةً كثير الحديث.

٣٠٧ محمد بن واسع (م، د، ت، س)(١)

[١] **ابن جابر الإمام الرباني، القدوة، أبو بكر، الأزدي، البصري، أحد الأعلام.**

حدَّث عن أنس بن مالك.

[٢] قال سليمان التيمي: ما أحدٌ أُحِبُّ أن ألقى الله بمثلِ صحيفته مثلَ محمد بن واسع.

[٣] وروى مُعْتَمِر عن أبيه: ما رأيتُ أحداً قطُّ أخشعَ مِن محمد بن واسع وقال جعفرُ بن سليمان: كنت إذا وجدت من قلبي قسوةً، غدوتُ فنظرتُ إلى وجه محمد بن واسع. كان كأنه ثَكلى. قال حماد بن زيد: قال رجل لمحمد بن واسع: أوصني. قال: أُوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة. قال كيف؟ قال: ازهد في الدنيا.

[٤] وعنه قال: طوبى لمن وجدَ عشاء، ولم يجد غَداءً، ووجدَ غَداء ولم يجد عَشاء، والله عنه راضٍ.

[٥] قال ابن واسع: لو كان للذنوب ريحٌ ما جلس إليَّ أحد.

[٦] قال الأصمعي: لما صافَّ قتيبةُ بنُ مسلم للترك، وهاله أمرُهم سأل عن محمد ابن واسع. فقيل: هو ذاك في الميمنة جامح على قوسه يُبصبصُ بأصبعه نحوَ السماء. قال: تلك الأصبعُ أحبُّ إلي من مئة ألف سيف شهيرٍ وشاب طرير.

[٧] قال حزم القُطَعيُّ: قال ابن واسع وهو في الموت: يا إخوتاه، تدرون أين يُذهب بي؟ والله إلى النار، أو يعفو اللهُ عني.

[٨] وقيل له: كيف أصبحت؟ قال:قريباً أجلي، بعيداً أملي، سيئاً عملي.

[٩] وقيل: إن حوشباً قال لمالك بن دينار: رأيتُ، كأن منادياً يُنادي الرحيل، الرحيل، فما ارتحل إلا محمد بن واسع. فبكى مالك، وخرَّ مغشياً عليه.

[١٠] وعن ابن واسع: إن الرجل ليبكي عشرين سنةً، وامرأته معه لا تعلم.

[١١] وقيل: كان **محمد** بن واسع يسرُد الصوم، ويخفيه. قال سعيد بن عامر: دخل محمد بن واسع على الأمير بلال بن أبي بُردة، فدعاه إلى طعامه فاعتلَّ عليه،

---

(١) انظر السير: ٦/١١٩-١٢٣

فغضب، وقال: إني أراك تكره طعامنا. قال: لا تقل ذاك أيُّها الأمير، فوالله لخيارُكم أحبُّ إلينا من أبنائنا.

توفي محمد بن واسع سنة ثلاث وعشرين ومئة.

٣٠٨ عبدالله بن علي[١]

[١] ابن الحبر عبدالله بن عباس، عمّ السفاح المنصور، من رجال العالم ودهاة قريش.

[٢] كان بطلاً شجاعاً مهيباً، جباراً، عسوفاً، سفاكاً للدماء. به قامت الدولة العباسية. سار في أربعين ألفاً أو أكثر فالتقى الخليفة مروان بقرب الموصل فهزمه. ومزّق جيوشه، ولَجَّ في طلبه، وطوى البلاد حتى نازل دار الملك دمشق، فحاصرها أياماً، وأخذها بالسيف.

[٣] وقتل بها إلى الظهر نحواً من خمسين ألف مسلم من الجند وغيرهم ولم يرقب فيهم إلاًّ ولا ذمة، ولا رعى رحماً، ولا نسباً. ثم جهز في الحال أخاه داود بن علي في طلب مروان، إلى أن أدركه بقرية بوصير من بلاد مصر، فبيَّته، فقاتل المسكين حتى قُتل. وهرب ابناه إلى بلاد النوبة، وانتهت الدولة الأموية.

[٤] ولما مات السفاح، زعم عبدالله أنه ولي عهده، وبايعه أمراء الشام، وبويع المنصور بالعراق، وندب لحرب عمه صاحب الدعوة أبا مسلم الخراساني، فالتقى الجمعان بنصيبين، فاشتد القتال وقُتلت الأبطال، وعظم الخطبُ، ثم انهزم عبدالله في خواصه، وقصد البصرة فأخفاه أخوه سليمان مدة، ثم ما زال المنصور يُلح حتى أسلمه، فسجنه سنوات، فيقال: حَفَرَ أساسَ الحبس وأرسل عليه الماء فوقع على عبدالله في سنة سبع وأربعين ومئة. فالأمر لله.

---

(١) انظر السير: ٦/١٦١-١٦٢

٣٠٩ خالد بنُ مِهْران (ع)(١)

[١] **الإمامُ الحافظ الثقة، أبو المُنازل البصري المشهور بالحذَّاء، أحد الأعلام. رأى أنس بن مالك.**

[٢] وثَّقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وجماعة. وحديثه في الصحاح.

وقال عباد بن عباد: أراد شعبة أن يضع مِن خالد الحذاء. فأتيتُه أنا وحماد بن زيد، فقلت له: مالك: أجُننت؟ أنت أعلم! قال: وتهددناه فأمسك.

[٣] عبدالله بن نافع القرشي أبو شهاب قال: قالَ لي شعبة: عليك بحجاج بن أرطاة، ومحمد بن إسحاق فإنهما حافظان، واكتُم عليَّ عند البصريين في خالد الحذاء، وهشام يعني ابن حسان.

[٤] قلت: هذا الاجتهاد من شعبة مردود، لا يلتفت إليه. بل خالد وهشام محتج بهما في «الصحيحين» هما أوثق بكثير من حجاج وابن إسحاق، بل ضعف هذين ظاهر ولم يُتركا.

[٥] وقال خالد الطحان، سمعت خالداً الحذاء يقول: ما حذوتُ نعلاً ولا بعتُها، ولكن تزوجت امرأة من بني مجاشع، فنزلت عليها في الحذائين هناك، فنسبت إليهم.

مات سنة إحدى وأربعين ومائة.

٣١٠ سُليمان بن طَرْخان (ع) (٢)

[٦] **الإمام شيخ الإسلام، أبو المُعتَمِر التيمي البصري. نزل في بني تَيْمٍ فقيل التَّيْمِي. روى عن أنس بن مالك.**

[٧] عن شُعبة قال: ما رأيت أحداً أصدق من سُليمان التيمي، رحمه الله، كان إذا حدَّث عن النبي ﷺ تغيَّر لونه.

[٨] وقال ابنُ سَعْد: من العُبَّاد المجتهدين، كثير الحديث، ثقة يُصلي الليل كُلَّه

(١) انظر السير: ٦/١٩٠-١٩٣

(٢) انظر السير: ٦/١٩٥-٢٠٢

بوضوء عشاء الآخرة، وكان هو ابنُه يدوران بالليل في المساجد فيُصليان في هذا المسجد مرة وفي هذا المسجد مرة حتى يُصبحا، وكان سليمان مائلاً إلى علي رضي الله عنه.

[١] محمد بن عبدالأعلى، قال لي مُعتمِرُ بن سُليمان: لولا أنك من أهلي ما حدثتُك بذا عن أبي. مكث أبي أربعين سنة يصومُ يوماً ويفطر يوماً، ويصلي صلاة الفجر بوضوء عشاء الآخرة.

[٢] عن رقبة بن مَصْقَلة قال: رأيتُ ربَّ العزة في المنام فقال: لأكرمنَّ مثوى سليمان التيمي. صلى لي الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة.

[٣] وروى مثنى بن معاذ عن أبيه قال: ما كنتُ أُشبِّه عبادة سُليمان التيمي إلا بعبادة الشاب أول ما يدخل في تلك الشدة والحِدة.

[٤] عن حماد بن سَلمة قال: ما أتينا سليمان التيمي في ساعة يُطاعُ الله فيها إلا وجدناه مطيعاً، وكنا نرى أنه لا يُحسن يعصي الله.

[٥] قال سليمان التيمي: لو أخَذتَ برُخْصَةِ كل عالم اجتمع فيك الشرُّ كلُّهُ.

[٦] عن إبراهيم بن إسماعيل قال: استعار سُليمان التيمي من رجل فروة، فلبسها ثم ردها قال الرجل: فما زلتُ أجد فيها ريح المسك.

[٧] وكان بينه وبين رجل تنازع، فتناول الرجلُ سليمان، فغمز بطنه، فجَفَّتْ(١) يدُ الرجل.

[٨] قال معتمر بن سليمان: قال لي أبي عند موته: يا مُعتمر حدثني بالرخص لعلي ألقى الله تعالى وأنا حسن الظن به.

[٩] وعن سليمان التيمي أنه ربما أحدث الوضوء في الليل من غير نوم. وذكر جرير بن عبدالحميد أن سُليمان التيمي، لم تمرَّ ساعة قط عليه إلا تصدق بشيْ فإن لم يكن شيءٌ، صلَّى ركعتين.

[١٠] عن فُضيل بن عياض قال: قيل لسُليمان التيمي: أنت أنت ومن مثلُك؟! قال: لا تقولوا هكذا. لا أدري ما يبدو لي من ربي عز وجل. سمعتُ الله يقول: ﴿وَبَدَا

(١) جفت يد الرجل: يبست، والمضارع يجف بكسر الجيم.

لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر ٤٧].

[١] ورُوي عن سُليمان التيمي قال: إن الرَّجلَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فيُصبحُ وعليْهِ مَذلَّته.

توفي سُليمان التيمي بالبصرة في سنة ثلاث وأربعين ومائة، ابن سبع وتسعين سنة.

٣١١ عبدالله بن المقَفَّع(١)

[٢] **أحد البُلغاء والفُصحاء، ورأس الكتاب، وأولي الإنشاء من نظراء عبدالحميد الكاتب. وكانَ من مجوس فارس فأسلم على يد الأمير عيسى عم السفَّاح وكتب له واختص به. قال الهيثم بن عدي: قال له: أريد أن أسلم على يدك بمحضر الأعيان. ثم قعد يأكل ويُزمزم بالمجوسية فقال: ما هذا؟ قال: أكره أن أبيت على غير دين. وكان ابنُ المقفع يُتهم بالزندقة. وهو الذي عرَّب كليلة ودمنة.**

[٣] ورُوي عن المهدي قال: **ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع.**

وغضِب المنصور منه، لأنه كتب في تَوَثُّق عبدالله بن علي من المنصور يقول: ومتى غدر بعمه، فنساؤه طوالِق، وعبيده أحرار، ودوابه حبس، والناس في حل من بيعته. فكتب إلى عامله سفيان المهلبي يأمره بقتل ابن المقفع.

[٤] وكان ابن المقفع مع سعة فضله، وفرط ذكائه فيه طيش. فكان يقول عن سفيان المهلبي: ابن المغتلمة فأمر له بتنور فسُجِّر ثم قطع أربعته ورماها في التنور وهو ينظر. وعاش ستاً وثلاثين سنة وأهلك في سنة خمس وأربعين ومائة. وقيل بعد الأربعين. واسم أبيه ذادوَيْه، قد ولي خراج فارس للحجاج، فخان، فعذبه الحجاج: فَتَقَفَّعَتْ يده. وقيل: بل كان يعمل يِفَاعَ الخوص وهي كالقفة.

[٥] قيل لابن المقفع: من أدبك؟ قال: نفسي. إذا رأيت من أحدٍ حسناً أتيتُه، وإن رأيتُ قبيحاً أبَيْتُه.

[٦] وقيل: اجتمع بالخليل، فلما تفرقا قيل للخليل: كيف رأيتَه قال: علمه أكثر من عقله. وسئل هو: كيف رأيت الخليل؟ قال: عقله أكثر من علمه.

(١) انظر السير: ٦/٢٠٨ـ ٢٠٩

[١] وقيل: إنَّ والي البصرة سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب قال يوماً: ما ندمت على سكوت قط. فقال ابن المُقَفّعِ: فالخرس زين لك. وقال له مرة: ما تقولُ في رجل مات عن زوج وزوجته؟ فأحنقه.

قال الأصمعي: صنف ابن المقفع «الدرة اليتيمة» التي ما صُنِّف مثلُها.

٣١٢ خالد بن صفوان(١)

[٢]ابن الأهتم، العلامة، البليغ فصيح زمانه، أبو صفوان المِنْقَريّ الأهتمي، البصري. وقد وفد على عمر بن عبدالعزيز. ولم أظفر له بوفاة. إلاَّ أنه كان في أيام التابعين.

[٣]وهو القائل: ثلاثة يُعرفُونَ عند ثلاثةٍ: الحَلِيمُ عند الغَضَب، والشُّجَاعُ عِندَ اللِّقاء، والصديق عند النَّائبة.

[٤]وقال: أحسنُ الكَلام مَالَمْ يَكُنْ بالبدوي المُغْرب. ولا بالقروي المخدَّج، ولكن ما شَرُفَتْ مَنَابتهُ، وطرُفت معانيه، وَلذَّ على الأَفواه وحَسُنَ في الأسماع، وازدَاد حُسناً على مَمَر السنِين، تُحنحنْهُ الدَّواه وتَقتَنِيه السَّرَاةُ(٢) قلت: وكان مشهوراً بالبخل، رحمه الله.

٣١٣ الأعمش (ع)(٣)

[٥]سُليمان بن مِهْران، الإمام شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدِّثين أبو محمد الأسَدي، الكاهلي، مولاهم الكوفي الحافظ.

[٦] قد رأى أنس بن مالك وحكى عنه، وروى عنه، وعن عبدالله بن أبي أوفى على معنى التدليس، فإن الرجل مع إمامته كان مدلساً.

---

(١) انظر السير: ٦/٢٢٦

(٢) ومن كلامه، وقد سئل: أي اخوانك أحب إليك؟ قال: الذي يغفر زللي ويقبل عللي، ويسد خللي، قال المؤلف معلقا على ذلك: إنما ذاك هو الله تعالى، أجود الأجودين.

(٣) انظر السير: ٦/٢٢٦-٢٤٨

[١] وقال يحيى القطان: هو علاَّمة الإسلام، قال وكيع بن الجراح، كان الأعمش، قريباً من سبعين سنة، لم تفته التكبيرةُ الأُولى.

[٢] ابن عيينة قال: لو رأيت الأعمش وعليه فرو غليظ وخُفّان أظنه قال: غليظان، كأنه انسان سائل. فقال يوماً: لولا القرآن وهذا العلمُ عندي، لكنت من بقالي الكوفة.

[٣] ابنُ ادريس، قال لي الأعمش: أما تعجبُ مِن عبدالملك بن أَبْجَر قال: جاءني رجل فقال: إني لم أمرض وأنا أشتهي أن أمرض، قال: فقلت: احْمَدِ الله على العافِية، قال: أنا أشتهي أن أمرض. قال: كل سمكاً مالحاً، واشرب نبيذاً مَريساً، واقعد في الشمس، واستمرض الله. فجعل الأعمش يضحك ويقول: كأنما قال له: واستشفِ الله عز وجل.

[٤] أبو عوَانة، قال: جاء رَقَبَةُ إلى الأعمش، فسأله عن شئ فَكَلَحَ في وجهه، فقال رَقَبَة: أما والله ما علمتك لدائمُ القطوب، سريعُ الملال، مستخفٌّ بحق الزُوَّار، لكأنما تُسعط الخردل إذا سُئلت الحكمة.

[٥] قال وكيع: جاؤوا إلى الأعمش يوماً، فخرج، وقال لولا أنَّ في منزلي من هو أبغضُ إليَّ منكم ما خرجت إليكم. قيل: إن أبا داود الحائك سأل الأعمش: ما تقول يا أبا محمد في الصلاة خلف الحائك؟ فقال: لا بأس بها على غير وضوء. قال: وما تقول في شهادته؟ قال: يُقبل مع عدلين.

[٦] وقال أحمد بن عبدالله العجلي: الأعمش ثقة ثبت، كان محدثَ الكوفة في زمانه، يُقال: إنه ظهر له أربعة آلاف حديث، ولم يكن له كتاب. قال: وكان يقرئُ القرآن وهو رأس فيه. وكان فصيحاً. وكان أبوه من سبي الديلم، وكان عَسِراً سَيِّءَ الخُلق وكان لا يَلْحَنُ حرفاً، وكان عالماً بالفرائض. وكان فيه تشيع ولم يَخْتِم عليه سوى ثلاثة: طلحة بن مُصَرِّف وكان أسنَّ منه وأفضل، وأبان بن تَغْلب، وأبو عبيدة بن مَعْن.

قلت: مراد العِجلي أنهم ختموا عليه تلقيناً، وإلا فقد ختم عليه حمزة وغيره عرضاً.

[١] قال عيسى بن يونس: لم نر نحن مثلَ الأعمش، وما رأيتُ الأغنياء عند أحد أحقر منهم عنده مع فقره وحاجته.

قلت: كان عزيز النفس، قنوعاً، وله رزق على بيت المال، في الشهر خمسة دنانير قررت له في أواخر عمره.

وله قراءة شاذة ليس طريقها بالمشهور.

[٢] قال عيسى بن يونس: أتى الأعمشَ أضيافٌ، فأخرج إليهم رغيفين فأكلوهما. فدخل فأخرج لهم نصف حبل قتّ، فوضعه على الخِوَانِ، وقال: أكلتم قوت عيالي فهذا قوت شاتي فكلوه.

[٣] وخرجنا في جنازة، ورجل يقوده، فلما رجعنا عدل به، فلما أصحر، قال: أتدري أين أنت؟ أنت في جبانة كذا. ولا أردك حتى تملأ ألواحي حديثاً. قال: اكتب. فلما ملأ الألواح رده فلما دخل الكوفة دفع ألواحه لإنسان، فلما أن انتهى الأعمش إلى بابه، تعلق به وقال: خذوا الألواح من الفاسق. فقال: يا أبا محمد قد فات. فلما أيس منه، قال: كلُّ ما حدثتك به كذبٌ. قال: أنت أعلم بالله من أن تكذب.

[٤] قال عبدالله بن ادريس، قلتُ للأعمش: يا أبا محمد، ما يمنعُك من أخذ شعرك؟ قال: كثرة فضول الحجامين. قلت: فأنا أجيئك بحجامٍ لا يُكلمك حتى تفرغ. فأتيتُ جُنيداً الحجام، وكان محدثاً، فأوصيتُه فقال: نعم. فلما أخذ نصف شعره قال: يا أبا محمد، كيف حديث حبيب بن أبي ثابت في المستحَاضة؟ فصاح صيحة، وقام يعدو. وبقي نصف شعره بعد شهر غير مجزوز.

[٥] وقال عيسى بن يونس: خرج الأعمش فإذا بجندي، فسخره ليخوض به نهراً. فلما ركب الأعمش قال: ﴿سُبْحَان الذي سَخَّر لَنَا هَذا﴾ فلما توسط به الأعمش قال: ﴿وقُل رَبِّ أنْزِلْني مُنْزَلاً مُباركاً وأنْتَ خَيْرُ المُنْزِلينَ﴾ [المؤمنون ٢٩]. ثم رمى به.

[٦] عن حسين بن واقد قال: قرأت على الأعمش، فقلت له: كيف رأيت قراءتي؟ قال: ما قرأ عليَّ علجٌ أقرأ منك.

[١] جاء رجل نبيل كبير اللحية إلى الأعْمش، فسأله عن مسألة خفيفة في الصلاة فالتفت إلينا الأعمش فقال: انظروا إليه! لحيتُه تحتمل حفظَ أربعة آلاف حديث، ومسألتُه مسألة صبيان الكُتاب.

[٢] عن الأعمش قال: آيةُ التَّقَبُّل الوسوسة، لأن أهل الكتابين لا يدرون ما الوسوسة، وذلك لأن أعمالهم لا تصعد إلى السماء.

[٣] عن أبي بكر بن عياش قال: رأيتُ الأعمش يلبس قميصاً مقلوباً ويقول: الناسُ مجانين يجعلون الخشن مقابل جلودهم.

[٤] وقيل: إن الأعمش كان له ولد مغفل فقال له: اذهب فاشتر لنا حبلاً للغسيل. فقال: يا أبَةِ طول كَمْ؟ قال: عشرة أذرع. قال: في عرض كَمْ؟ قال: في عرض مُصيبتي فيك.

[٥] ويقال: إنه لبس مرة فرواً مقلوباً، فقال له قائل: يا أبا محمد لو لبستَها وصوفها إلى داخل كان أدفأ لك. قال: كنت أشرت على الكبش بهذه المشورة.

مات الأعمش في سنة ثمان وأربعين ومئة بالكوفة.

[٦] قال أبو خالد الاحمر: سُئل الأعمشُ عن حديث، فقال لابن المختار: ترى أحداً من أصحاب الحديث؟ فغمض عينيه وقال: لا أرى أحداً يا أبا محمد، فحدَّث به.

الطبقة الخامسة من التابعين

٣١٤ جعفر بن محمد (ع)[1]

[١] ابن علي بن الشهيد أبي عبدالله، ريحانة النبي ﷺ وسبطه ومحبوبه الحسين بن أمير المؤمنين أبي الحسين علي بن أبي طالب بن عبدمناف بن شيبة وهو عبد المطلب ابن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف بن قُصي، الإمام الصادق، شيخ بني هاشم أبو عبدالله القرشي، الهاشمي، العلوي، النبوي، المدني، أحد الأعلام.

وأمُّه هي أُمُّ فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر التَّيميِّ وأمها هي أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر ولهذا كان يقول: ولدني أبو بكر الصديق مرتين.

[٢] وكان يغضب من الرافضة، ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبي بكر ظاهراً وباطناً. هذا لا ريب فيه، ولكن الرافضة قوم جهلة. قد هوى بهم الهوى في الهاوية فبعداً لهم.

وُلد سنة ثمانين ورأى بعض الصحابة. أحسبه رأى أنس بن مالك وسَهْل بن سعد.

[٣] عن سالم بن أبي حفصة قال: سألت أبا جعفر وابنه جعفراً عن أبي بكر وعمر، فقال: يا سالم تَولَّهما، وابرأ من عدوهما فإنهما كانا إمَامَيْ هدىً. ثم قال جعفر: يا سالم، أيسُبُّ الرجل جدَّه؟ أبو بكر جدِّي، لا نالتني شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ مِن عدوهما.

[٤] عن هيّاج بن بسطام قال: كان جعفر بن محمد يُطعم حتى لا يَبْقى لعياله شيْ.

[٥] وعن هشام بن عباد، سمعت جعفر بن محمد يقول: الفقهاءُ أمناء الرسل، فإذا رأيتُم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين، فاتهموهم.

---

(١) انظر السير: ٦/٢٥٥ـ ٢٧٠

[١] قال جعفر بن محمد: الصلاةَ قُربانَ كلِّ تقيّ، والحجَّ جهادُ كل ضعيفٍ، وزكاة البدنِ الصيامُ، والداعي بلا عمل كالرامي بلا وَتَرٍ. واستنزلُوا الرزقَ بالصدقة، وحصِّنوا أموالَكم بالزكاة. وما عَالَ من اقتصد، والتقديرُ نصفُ العيشِ، وقلّةُ العيالِ أحدُ اليسارَيْن، ومن أحْزَن والدَيه، فقد عقَّهما، ومن ضرب بيده على فخذه عند مُصيبةٍ فقد حَبِطَ أجرُهُ، والصَّنيعةُ لا تكون صنيعةً إلا عند ذي حسبٍ أو دين والله ينزل الصبرَ على قدر المصيبةِ وينزل الرزقَ على قدر المؤنة ومن قدَّر معيشته، رزقه الله، ومن بذر معيشته، حرمه الله.

[٢] قال جعفر بن محمد: لا زادَ أفضلُ مِن التقوى ولاشيءَ أحسنُ من الصمت، ولا عدوًّا أضرُّ من الجهل، ولا داءَ أدوأُ من الكذب.

[٣] وعن يحيى بن الفرات. أن جعفر الصادق قال: لا يَتِمُّ المعروفُ إلا بثلاثة: بتعجيله، وتَصغِيره، وسَتْرِهِ.

[٤] منصور ابن أبي مُزاحِم، حدثنا عَنْبسةُ الخثعمي، وكان من الأخيار سمعت جعفر بن محمد يقول: إياكم والخصومة في الدين، فإنها تشغل القلب، وتُورِثُ النِّفاق.

[٥] وعن جعفر بن محمد: إذا بلغك عن أخيك ما يسوؤك، فلا تَغْتَمّ فإنه إن كان كما يقول كانت عقوبة عُجِّلَتْ، وإن كانَ على غير ما يقول كانت حسنةً لم تعملها.

[٦] قال الخليل بن أحمد: سمعتُ سفيان الثوري يقول: قدمتُ مكة فإذا أنا بأبي عبدالله جعفر بن محمد قد أناخ بالأبطح، فقلتُ: يا ابنَ رسول الله، لم جُعِل الموقف من وراءِ الحرم؟ ولم يُصيَّر في المشعر الحرام؟ فقال: الكعبةُ بيتُ الله، والحرمُ حِجابه، والموقفُ بابه. فلما قصده الوافدون، أوقفهم بالباب يتضرعون، فلما أذن لهم في الدخول، أدناهم من الباب الثاني وهو المزدلفة. فلما نظر إلى كثرة تضرعهم وطول اجتهادهم رحمهم، فلما رحمهم أمرهم بتقريب قربانهم، فلما قربوا قربانهم، وقضوا تفثهم وتَطَهَّرُوا من الذنوب التي كانت حجاباً بينه وبينهم

أمرهم بزيارة بيته على طهارة. قال: فلم كُرِهَ[1] الصوم أيام التشريق؟ قال: لأنهم في ضيافة الله. ولا يجب على الضيف أن يصومَ عند من أضافه. قلت: جعلت فداك فما بالُ الناس يتعلقون بأستار الكعبة وهي خرق لا تنفع شيئاً؟ قال: ذاك مثل رجل بينه وبين رجل جرم، فهو يتعلق به، ويطوف حوله رجاء أن يهب له ذلك، ذاك الجرم.

[١]ومن بليغ قول جعفر، وذكر له بُخْل المنصور فقال: الحمد لله الذي حرمه من دنياه ما بذل لأجله دينَه.

[٢]عن الفَضل بن الربيع، عن أبيه، قال: دعاني المنصور فقال: إن جعفَر بن محمد يُلحِدُ في سلطاني قتلني الله إن لم أقتله. فأتيته فقلت: أجب أمير المؤمنين. فتطهر ولبس ثياباً، أحسبه قال جُدُداً فأقبلت به فاستأذنت له، فقال: أدخله، قتلني الله إن لم أقتله، فلما نظر إليه مقبلاً قام من مجلسه فتلقاه وقال: مرحباً بالنقي الساحة، البريْ من الدَّغَلِ والخيانة، أخي وابن عمي، فأقعده معه على سريره وأقبل عليه بوجهه وسأله عن حاله، ثم قال: سلني عن حاجتك فقال: أهل مكة والمدينة قد تأخر عطاؤهم فتأمر لهم به. قال: أفعل ثم قال: يا جارية ائتني بالتُّحْفَةِ. فأتته بمُدْهُنِ زجاج فيه غالية فغلفه بيده وانصرف. فاتبعته. فقلت: ياابن رسول الله، أتيت بك ولا أشك أنه قاتلُك، فكان منه ما رأيت. وقد رأيتُك تحرك شفتيك بشيْ عند الدخول فما هو؟ قال: قلت: اللَّهُمَّ احرُسْني بعينِك التي لا تَنَامُ واكنُفني برُكْنِك الذي لا يُرام واحفظني بقُدْرَتِك عليَّ ولا تهلِكْني وأنت رجائي. ربِّ كم مِن نعمةٍ أنعمتَ بها عليَّ قَلَّ لك عندها شُكْري. وكم من بَلِيَّةٍ ابتليتني بها قل

(١) أي: حرم، لما ثبت عنه ﷺ، من النهي عن صوم أيام التشريق والسلف كانوا يستعملون الكراهة في معناها الذي استعملت به في كلام الله ورسوله. قال تعالى: ﴿كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها﴾ [الإسراء ٣٨] وفي الحديث الصحيح «إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال».

وقال ابن وهب: سمعت مالكاً يقول: لم يكن من أمر الناس ولا مَنْ مضى مِنْ سلفنا، ولا أدركت أحداً أقتدي به يقول في شيء: هذا حلال وهذا حرام وما كانوا يجترئون على ذلك، وإنما كانوا يقولون: نكره كذا، ونرى هذا حسناً، فينبغي هذا، ولا نرى هذا وزاد عتيق بن يعقوب ـ على هذا ـ «ولا يقولون: حلال ولا حرام. أما سمعت قول الله تعالى: ﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل آلله أذن لكم، أم على الله تفترون﴾. الحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرّمه الله ورسوله.

لَها عندَكَ صَبْري؟ فيَا مَن قلَّ عِند نِعمَتِه شكري فَلَم يحرمني، ويَا منْ قلَّ عِنْدَ بَليَّتِه صَبْري فلَمْ يَخذُلني ويَامَن رآني عَلَى المعاصِي فلم يَفْضَحْني وياذا النعم التي لا تُحصى أبداً، وياذا المعروف الذي لا ينقطِعُ أبداً، أعني على دِيني بدنيا، وعلى آخرتي بتقوى، واحفظني فيما غِبت عنه ولا تَكلني إلى نَفسي فيما خطرت. يا من لا تَضُرُّه الذُّنوبُ، ولا تنقصُه المغفرة اغفر لي مالا يضرُّكَ، وأعْطِني مالا يَنْقُصُكَ، يا وَهَّابُ أسألُك فرجاً قريباً وصبراً جميلاً، والعافية من جميع البلايا وشكر العافية.

مات جعفر الصادق في سنة ثمان وأربعين ومئة، وعمره ثمانٍ وستين سنة رحمه الله.

تتمة آل جعفر الصادق، فأجلهم وأشرفهم ابنه:

٣١٥ موسى الكاظم (ت، ق)(١)

[١]الإمام، القُدوة، السيد أبو الحسن العلوي، والد الإمام علي بن موسى الرضي مدني نزل بغداد.

ذكره أبو حاتم فقال. ثقة صدوق، إمام من أئمة المسلمين.

قال الخطيب: أقدمه المهدي بغداد، ورده، ثم قدمها، وأقام ببغداد في أيام الرشيد، قدم في صحبة الرشيد سنة تسع وسبعين ومئة، وحبسه بها إلى أن توفي في محبسه.

[٢] دخل مسجد رسول الله ﷺ فسجد سجدة في أول الليل فسمع وهو يقول في سجوده: عَظمُ الذنبُ عندي فَلْيحسُنِ العفوُ مِن عندك يا أهلَ التقوىٰ، ويا أهل المغفرة. فجعل يُردِّدها حتى أصبح.

[٣] أحمد بن وهب، أخبرني عبدالرحمن بن صالح الأزدي قال: حج الرشيد فأتى قبر النبي ﷺ ومعه موسى بن جعفر فقال: السلام عليك يا رسول الله، يا ابن عم، افتخاراً على من حوله فدنا موسى وقال: السلام عليك يا أبة. فتغير وجه هارون وقال: هذا الفخر يا أبا الحسن حقاً.

(١) انظر السير: ٦/٢٧٠-٢٧٤.

[١]قال يحيى بن الحسن العلوي، حدثني عمار بن أبان قال: حبس موسى بن جعفر عند السندي بن شاهك، فسألته أخته أن تولَّى حبسَهُ وكانت تَدَيَّنُ ففعل. فكانت على خدمته، فحكي لنا أنها قالت كان إذا صلى العَتَمَة، حمد الله ومجدَّه ودعاه، فلم يزل كذلك حتى يزولَ الليل. فإذا زال الليل، قام يُصلي حتى يُصلي الصُبح.

ثم يذكر حتى تطلع الشمس، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحىٰ، ثم يتهيأ ويستاك ويأكل. ثم يرقد إلى قبل الزوال، ثم يتوضأ ويصلي العصر ثم يذكر في القبلة حتى يُصلي المغرب، ثم يصلي ما بين المغرب إلى العَتَمة.

فكانت تقول: خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل. وكان عبداً صالحاً.

[٢]وقيل: بعث موسى الكاظم إلى الرشيد برسالة من الحبس يقول: إنه لن ينقضيَ عنّي يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء حتى نُفضيَ جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون.

وعن عبدالسلام بن السندي قال: كان موسى عندنا محبوساً، فلما مات بعثنا إلى جماعة من العدول، من الكرخ، فأدخلناهم عليه، فأشهدناهم على موته، ودفن في مقابر الشوينزيَّة.

قلت: له مشهد عظيم مشهور ببغداد. دفن معه فيه حفيده الجواد ولولده علي ابن موسى مشهد عظيم بِطُوس. وكانت وفاة موسى الكاظم في سنة ثلاث وثمانين ومئة، عاش خمساً وخمسين سنة وخلف عدة أولاد الجميع من إماء.

٣١٦ يونس بن عبيد (ع)(١)

[٣] ابن دينار الإمام القدوة، الحجة، أبو عبدالله العبدي، مولاهم البصري. من صغار التابعين وفضلائهم.

وقال أحمد وابن معين والناس: ثقة.

[٤]عن جعفر بن بُرقان قال: بلغني عن يونس فضل وصلاح، فأحببتُ أن أكتب إليه

(١) انظر السير: ٦/٢٨٨-٢٩٦

أسأله. فكتب إليه: أتاني كتابك تسألني أن أكتب إليك بما أنا عليه. فأخبرك أني عرضت على نفسي أن تحب للناس ما تحب لها وتكره لهم ما تكره لها فإذا هي من ذاك بعيدة. ثم عرضت عليها مرة أخرى ترك ذكرهم إلا من خير، فوجدت الصومَ في اليوم الحار أيسر عليها من ذلك. هذا أمري يا أخي والسلام.

[١] قال سعيد بن عامر، عن سلام بن أبي مطيع أو غيره قال: ما كان يونس بأكثرهم صلاةً ولا صوماً، ولكن لا والله ما حضر حق لله إلا وهو متهيِّءٌ له.

[٢] وقيل: إن يونس نظر إلى قدميه عند الموت وبكى. فقيل ما يبكيك أبا عبدالله؟ قال: قدماي لم تغبَّر في سبيل الله.

[٣] وعن يونس قال: يُرجىٰ للرَّهِق بالبر الجنة، ويُخاف على المتأله بالعقوق النار.

[٤] قال النضر بن شميل: غلا الخز في موضع كان إذا غلا هناك غلا بالبصرة، وكان يونس بن عُبيد خزازاً فعلم بذلك فاشترى من رجل متاعاً بثلاثين ألفاً. فلما كان بعد ذلك قال لصاحبه: هل كنت علمت أن المتاع غلا بأرض كذا وكذا؟ قال: لا. ولو علمتُ لم أبع. قال: هَلُمَّ إليَّ مالي، وخذ مالك. فرد عليه الثلاثين الألف.

[٥] قال يونس بن عُبيد: ثلاثة احفظوهن عني: لا يدخل أحدكم على سلطان يقرأ عليه القرآن، ولا يخلُونَّ أحدُكم مع امرأة يقرأ عليها القرآن، ولا يُمكِّن أحدكُم سمعَه من أصحاب الأهواء.

[٦] وقال بن شَوذَب: سمعت يُونُسَ يقول: خصلتانِ إذا صلحتا من العبد صَلُح ما سواهما: صلاتُه ولسانُه.

مات يونس سنة أربعين ومائة.

[٧] قال محمد بن عبدالله الأنصاري: رأيتُ سُليمان وعبدالله ابني علي بن عبدالله بن عباس، وابني سُليمان يحملون سرير يونس بن عُبيد على أعناقهم. فقال عبدالله ابن علي: هذا والله الشرفُ!

٣١٧ كَهْمَس (ع)[(١)]

[١] **ابن الحسن التميمي، الحنفي، البصري، العابد، أبو الحسن من كبار الثقات.**

ذكره أحمد بن حنبل فقال: ثقة وزيادة.

[٢] أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقيّ: حدثنا الهيثم بن معاوية عمَّن حدثه قال: كان كَهْمَس يُصلِّي في اليوم والليلة ألفَ ركعة. فإذا ملَّ، قال: قومي يا مأوىٰ كُلِّ سوء، فوالله ما رضيتُك لله ساعة.

[٣] وقيل: إن كهمساً سقط منه دينار ففتش، فلقيه، فلم يأخذه، وقال: لعله غيرُه.

[٤] وكان رحمه الله براً بأمه، فلما ماتت، حجَّ وأقام بمكة حتى مات. وكان يعمل الجص، وكان يؤذن، قال يحيى بن كثير البصري: اشترىٰ كَهْمَسٌ دقيقاً بدرهم فأكل منه، فلما طال عليه، كالَهُ، فإذا هُو كما وضعه.

[٥] توفي كهمس في سنة تسع وأربعين ومئة. وكان من حملة الحجة. قال أبو عطاء الرملي: كان كهمس يقول في الليل: أَتُراك مُعذِّبي وأنت قُرَّةُ عيني، يا حبيبَ قلباه!

[٦] وقيل: إنه أراد قتل عقرب، فدخلت في جحر فأدخل أصابعه خلفها فضربته. فقيل له: قال: خِفت أن تخرج، فتجئ إلى أُمي تلدغُها.

٣١٨ محمد بن عجلان (خت، م، ٤)[(٢)]

[٧] **الإمام القدوة، الصادق، بقية الأعلام أبو عبدالله القرشي، المدني، وكان عجلان مولى لفاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة. ولد في خلافة عبدالملك بن مروان.**

كان فقيهاً مفتياً، عابداً، كبيرَ الشأن. له حلقة كبيرة في مسجد رسول الله ﷺ.

[٨] وقد خرج على المنصور مع ابن حسن، فلمّا قتل ابن حسن، همَّ والي المدينة جعفر بن سُليمان أن يجلِده. فقالوا له: أصلحك الله: لو رأيت الحسن البصري

---

(١) انظر السير: ٦/٣١٦-٣١٧

(٢) انظر السير: ٦/٣١٧- ٣٢٢، وروى له مسلم مقروناً بغيره.

فعل مثلَ هذا أكنتَ تضربُه؟ قال: لا. قيل: فابنُ عجلان في أهل المدينة كالحسن في أهل البصرة.

[١] قال مصعب الزبيري: كان لابن عجلان قدرٌ وفضلٌ بالمدينة وكان ممن خرج مع محمد بن عبدالله، فأراد جعفر بن سليمان قطع يده، فسمع ضجة، وكان عنده الأكابر. فقال: ما هذا؟ قالوا: هذه ضجة أهل المدينة يدعون لابن عجلان فلو عفوت عنه؟ وإنما غُرَّ، وأخطأ في الرواية ظن أنه المَهديُّ، فأطلقه وعفا عنه.

مات ابن عجلان سنة ثمان وأربعين ومائة.

٣١٩ ابْنُ جُرَيج (ع)[١]

[٢] **عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج، الإمام، العلاَّمة، الحافظ، شيخ الحرم، أبو خالد، وأبو الوليد القرشي، الأموي، المكي، صاحبُ التصانيف، وأوَّل من دوَّن العلم بمكة. مولى أمية بن خالد.**

[٣] قال عبدالله بن أحمد: قلتُ لأبي: من أوَّل من صنَّف الكتبَ؟ قال: ابن جُريج، وابن أبي عَروبة.

[٤] عن ابنِ جريج قال: أتيتُ عطاء وأنا أريدُ هذا الشأن، وعنده عبدالله بن عُبيد بن عُمير، فقال لي ابن عُمير: قرأتَ القرآن؟ قلت: لا. قال: فاذهب فاقرأه ثم اطلب العلم. فذهبت، فغبرت زماناً حتى قرأت القرآن، ثم جئت عطاء، وعنده عبدالله. فقال: قرأت الفريضة؟ قلت: لا. قال: فتعلم الفريضة، ثم اطلب العلم. قال: فطلبت الفريضة، ثم جئت فقال: الآن فاطلب العلم، فلزمت عطاء سبع عشرة سنة.

[٥] قال الوليد بن مسلم: سألتُ الأوزاعيَّ، وسعيدَ بن عبدالعزيز وابن جريج: لم طلبتم العلم؟ كلهم يقول: لنفسي: غير أن ابن جريج فانه قال: طلبتُه للناس.

قلت: ما أحسنَ الصدق! واليوم تسأل الفقيه الغبي: لم طلبت العلم؟ فيبادر

(١) انظر السير: ٦/٣٢٥-٣٣٦

ويقول: طلبته لله، ويكذب إنما طلبه للدنيا، ويا قِلَّةَ ما عرف منه.

عن عبد الرزاق قال: ما رأيتُ أحداً أحسنَ صلاة من ابن جُريج.

قلت: قد كان صاحب تعبُّدٍ وتهجُّد وما زال يطلب العلم حتى كَبِرَ وشاخ وقد أخطأ من زعم أنه جاوز المئة، بل ما جاوز الثمانين، وقد كان شاباً في أيام ملازمته لعطاء.

[١] قال عبد الرازق: كنت إذا رأيت ابن جُريج، علمت أنه يخشى الله.

[٢] قال أبو عاصم النبيل: كان ابن جُريج من العباد. كان يصوم الدهر سوى ثلاثة أيام من الشهر.

[٣] وقال محمد بن عبدالله بن الحكم، سمعت الشافعي يقول: استمتع ابن جُريج بتسعين امرأة، حتى إنه كان يحتقن في الليل بأوقية شيرج طلباً للجماع.

مات سنة خمسين ومائة.

قلت: عاش سبعين سنة. فسنه وسن أبي حنيفة واحد، ومولدهما وموتهما واحد.

[٤] عن ابن جريج قال: أقمتُ على عطاء إحدىٰ وعشرين حجة، يخرج أبواي إلى الطائف وأقيم أنا تَخَوُّفاً أن يفجعَني عطاء بنفسه. قال بعضُ الحفاظ: لابن جُريج نحوٌ من ألف حديث يعني المرفوع ـ وأما الآثارُ والمقاطيعُ والتفسير، فشئ كثير.

٣٢٠ عبدالله بن شُبْرُمَة (م، د، س، ق)(١)

[٥] **الإمام العلامة، فقيه العراق، أبو شُبْرُمَة. قاضي الكوفة.**

حدَّث عن أنس بن مالك.

قال أحمد بن عبدالله العجلي: كان ابن شُبْرُمة عفيفاً، صارماً عاقلاً، خيراً، يُشبه النُساك. وكان شاعراً كريماً، جواداً، له نحو من خمسين حديثاً.

[٦] وقال فُضيل بن غزوان: كنا نجلسُ أنا وابن شبرمة، والحارث بن يزيد العكلي، والمغيرة، والقعقاع بن يزيد بالليل نتذاكر الفقه، فربما لم نقم حتى نسمعَ النداء

---

(١) انظر السير: ٦/٣٤٧ـ ٣٤٩

[١] عن ابن شبرمة قال: مَنْ بالغ في الخُصومة أثم ومن قصر فيها خصم. ولا يطيق الحق من بالى على من دار الأمر. وروى ابن المبارك عن ابن شُبْرُمة قال: عجبتُ للناس يحتمون من الطعام مخافة الداء ولا يحتمونَ من الذنوب مخافة النار.

توفي سنة أربع وأربعين ومئة.

٣٢١ عبدالله بن عون (ع)[١]

[٢] **ابن أرْطَبان، الإمام القُدوة، عالم البصرة، أبو عون المُزَني مولاهم البصري الحافظ.**

وُلد سنة ستٍ وستين.

بكَّار بن محمد، سمعت ابن عون يقول: رأيتُ أنس بن مالك تُقادُ به دابتُهُ.

[٣]عن خارجة بن مصعب قال:

صحبتُ ابنَ عون أربعاً وعشرين سنة، فما أعلمُ أن الملائكة كتبت عليه خطيئةً.

وعن سلام بن أبي مطيع قال: كان ابن عون أملكَهُمْ للسانه.

[٤]معاذ بن معاذ، حدثني غَيرُ واحد من أصحاب يونس بن عبيد أنه قال: إنّي لأعرف رجلاً منذ عشرين سنة يتمنى أن يَسْلَم له يوم من أيام ابن عون، فما يقدر عليه. قال ابن المبارك: ما رأيتُ مصلياً مثلَ ابنِ عون.

[٥]وروي عن القَعْنَبي قال: كان ابنُ عون لا يغضب. فإذا أغضبه رجل قال: باركَ الله فيك.

[٦]وعن ابن عون: أن أمه نادته فأجابها، فعلا صوتُه صوتَها فأعتق رقبتين.

قال قرة بن خالد: كنا نعجب من ورع محمد بن سيرين فأنساناه ابنُ عون.

[٧]قال بكَّار بن محمد: كان ابنُ عون يصوم يوماً ويُفطر يوماً.

قال عبدالرحمن بن مهدي: ما كان بالعراق أعلمُ بالسُّنة من ابن عون.

(١) انظر السير: ٦/٣٦٤-٣٧٥

[١] عن أبي إسحاق الفزاري: سمعت الأوزاعي يقول: إذا مات ابن عون والثوري استوى الناس.

[٢] قال عثمان بن سعيد: سألتُ ابن معين عن ابن عون فقال: هو في كل شئ ثقة.

[٣] مفضل بن لاحق. قال: كنا بأرض الروم، فخرج رومي يدعو إلى المبارزة، فخرج إليه رجل فقتله، ثم دخل في الناس، فجعلتُ ألوذ به لأعرفه، وعليه المِغْفَرُ. قال: فوضع المغفر يمسح وجهه فإذا ابنُ عون!

[٤] بكّار بن محمد قال: كان ابنُ عون قد أوصى إلى أبي وصحبته دهراً، فما سمعتُه حالفاً على يمين برة ولا فاجرة، كان طيب الريح، لينَ الكسوة، وكان يتمنَّى أن يرى النبي ﷺ في النوم. فلم يره إلا قبل موته بيسير، فَسُرَّ بذلك سروراً شديداً قال: فنزل من درجته إلى المسجد فسقط فأصيبت رجلُه، فلم يزل يُعالجها حتى مات رحمه الله.

[٥] روى مِسْعَر عن ابن عون قال: ذِكْرُ الناسِ داءٌ، وذِكْرُ الله دواءٌ.

قلت: إي والله، فالعجبُ منا ومن جهلنا كيف ندعُ الدواء ونقتحمُ الداء؟! قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة ١٥٢] وقال: ﴿وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت ٤٥] وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ الله ألا بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُ القُلُوب﴾ [الرعد ٢٨] ولكن لا يتهيأ ذلك إلا بتوفيق الله. ومَنَ أدمن الدعاء ولازَمَ قَرْع البابِ فُتح له.

وقد كان ابنُ عون قد أوتي حلماً وعلماً ونفسه زكية تُعين على التقوى فطوبى له.

[٦] قال بكّار بن محمد السيريني: كان ابنُ عون إذا حدَّث بالحديث يخشعُ عنده، حتى نرحمه مخافة أن يزيد أو ينقص.

ولقد كان ابن عون بخير، موسعاً عليه في الرزق. قال معاذ بن معاذ: رأيت عَلَيْهِ بُرْنساً من صوف. رقيقاً حسناً. فقيل له: ما هذا البُرنس يا أبا عون؟ قال: هذا كان لابن عمر، كساه لأنس بن سيرين، فاشتريته من تركته.

[٧] قال بكّار بن محمد السِّيريني: وكان له سُبْعٌ يقرؤه كل ليلة فإذا لم يقرأه أتمَّه بالنهار. وكان يغزو على ناقته إلى الشام فإذا صار إلى الشام ركب الخيل. وقد بارز

رومياً فقتل الرومي.

[١] وكان إذا جاءه إخوانه كأن على رؤوسهم الطير. لهم خشوع وخضوع. وما رأيته مازح أحداً، ولا يُنشد شعراً. كان مشغولاً بنفسه وما سمعته ذاكراً بلال بن أبي بردة بشيءٍ قط. ولقد بلغني أن قوماً قالوا له: يا ابن عون: بلال فعل كذا. فقال: إن الرجل يكون مظلوماً، فلا يزال يقول حتى يكونَ ظالماً. ما أظن أحداً منكم أشدَّ على بلال مني، قال: وكان بلال ضربه بالسياط، لكونه تزوج امرأة عربية.

[٢] وكان ـ فيما حدثني بعض أصحابنا ـ لابن عون ناقة يغزو عليها ويحج وكان بها معجباً. قال: فأمر غلاماً له يستقي عليها، فجاء بها وقد ضربها على وجهها، فسالت عَيْنُها على خدِّها، فقلنا: إن كان من ابن عون شيءٌ فاليوم! قال: فلم يلبَث أن نزل، فلما نظر إلى الناقة قال: سبحانَ الله، أفلا غيرَ الوجه، بارك الله فيك اخرج عني، اشهدوا أنه حُرٌّ.

[٣]عن محمد بن فضاء، قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقال: زوروا ابنَ عون فإنه يُحبُّ الله ورسوله. أو أن الله يُحبه ورسوله.

[٤]قال بكَّار بن محمد: سقط ابن عون وأصيبت رِجله فتعلَّل ومات فحضرت وفاته، فكان حين قُبض موجّهاً يذكر الله تعالى حتى غرغر. فقالت عمتِّي: اقرأ عنده سورة ﴿يس﴾ فقرأتها. ومات في السَّحر وما قدرنا أن نُصلِّيَ عليه حتى وضعناه في محراب المصلى. غلبَنا الناسُ عليه.

مات في سنة إحدى وخمسين ومئة.

قلت: عاش خمساً وثمانين سنة.

٣٢٢ داوُدُ بنُ أبي هِند (خت، م، ٤)(١)

[٥]واسم أبي هند: دينار بن عُذافر، الإمام الحافظ الثقة أبو محمد الخراساني ثم البصري من موالي بني قُشير فيما قيل.

رأى أنس بن مالك.

(١) انظر السير: ٦/٣٧٦ـ ٣٧٩

قال ابن جُريج: ما رأيتُ مثلَ داودَ بنِ أبي هند. إن كان ليقرع العلم قرعاً.

قال عبدالله بن أحمد: سألت أبي عن داود بن أبي هند. فقال: مثل داود يُسأل عنه؟ داود ثقة ثقة. وقال العجلي: كان صالحاً، ثقة، خياطاً. قال يزيد بن زُرَيع: كان داود مُفتي أهل البصرة.

[١] قال محمد بن أبي عدي: أقبل علينا داود، فقال: يا فتيان أخبركم لعل بعضَكم أن ينتفعَ به. كنت وأنا غلام أختلف إلى السوق فإذا انقلبت إلى البيت، جعلت على نفسي أن أذكر الله إلى مكان كذا وكذا، فإذا بلغت إلى ذلك المكان، جعلت على نفسي أن أذكر الله كذا وكذا حتى آتيَ المنزل.

[٢] قال الفلاس: سمعت ابن أبي عدي يقول: صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله. كان خزازاً يحمل معه غداءه فيتصدق به في الطريق.

[٣] ابن عيينة، سمعت داود بن أبي هند يقول: أصابني الطاعون فأغمي عليَّ، فكأن آتيين أتياني فغمز أحدهما علوة لساني، وغمز الآخر أخمص قدمي، فقال: أي شيئ تجد؟ قال: أجد تسبيحاً وتكبيراً وشيئاً من خطو إلى المسجد وشيئاً من قراءة القرآن. قال: ولم أكن أخذت القرآن حينئذ. قال: فكنت أذهب في الحاجة فأقول: لو ذكرت الله حتى آتي حاجتي، قال: فعوفيت، فأقبلت على القرآن فتعلمته.

مات داود بن أبي هند سنة تسع وثلاثين ومائة.

٣٢٣ عُمَرُ بنُ ذَر (خ، د، ت، س)[١]

[٤] **ابن عبدالله، الإمام الزاهد العابد، أبو ذَرٍّ الهَمْدَاني ثم المُرهِبيّ الكوفي.**

قال أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد: قال جدي: هو ثقة ليس ينبغي أن يُترك حديثه لرأي أخطأ فيه. وقال يحيى بن معين: ثقة. وكذا وثقه النسائي، والدارقطني.

وقال أبو داود: كان رأساً في الإرجاء. ذهب بصرُه. وقال العجلي: عمر بن ذر

(١) انظر السير: ٦/٣٨٥-٣٩٠

القاص كان ثقة بليغاً، يرىٰ الإرجاء، وكان لَيِّنَ القول فيه.

[١] علي بن المديني قال: قلت ليحيى القطان: إن عبدالرحمن قال: أنا أترك من أهل الحديث كلَّ رأسٍ في بدعة، فضحك يحيى وقال: كيف تصنع بقتادة؟ كيف تصنع بعمرَ بنِ ذَرٍّ؟ كيف تصنع بابن أبي رَوَّاد؟! وعدَّ يحيى قوماً أمسكت عن ذكرهم. ثم قال يحيى: إن ترَكَ هذا الضربَ ترَكَ حديثاً كثيراً.

[٢] قال ربعي بن إبراهيم: حدثني جار لنا يُقال له عمر: إن بعض الخلفاء سأل عمر ابن ذَرّ عن القدر. فقال: ها هنا ما يشغل عن القدر قال: ما هو؟ قال: ليلةٌ صبيحتُها يوم القيامة. فبكى وبكى معه.

[٣] عن محمد بن يزيد الرفاعي، سمعت عمِّي يقول: خرجت مع عمرَ بنِ ذَرٍّ إلى مكة. فكان إذا لَبَّى لم يُلَبِّ أحد من حسن صوته. فلما أتى الحرم قال: ما زلنا نهبط حفرةً، ونصَعدُ أكَمَةً، ونعلو شَرفاً ويبدو لنا علم حتى أتيناكَ بها. نَقِبَةً أخفافُها، دَبِرَةً ظهورُها ذَبِلَةً أسنامُها. فليس أعظَمَ المؤنة علينا إتعابُ أبداننا ولا إنفاقُ أموالنا، ولكن أعظم المؤنة أن نرجِعَ بالخُسران! يا خير من نزل النازلون بفنائه.

[٤] فحدثني عمي كثير بن محمد قال:

سمعت عمرَ بنَ ذَرّ يقول: اللَّهُمَّ إنَّا قد أطعناك في أحبِّ الأشياء إليك أن تُطاع فيه: الإيمان بك والإقرار بك، ولم نعصك في أبغض الأشياء أن تُعصى فيه: الكفر والجَحْدُ بك، اللَّهُمَّ فاغفر لنا بينهما، وأنت قلت: ﴿وأقْسَمُوا بالله جَهْدَ أيمانِهْم لَا يَبْعَثُ الله مَنْ يموتُ﴾[النحل ٣٨] ونحن نقسم بالله جهد أيماننا لتَبْعَثَنَّ من يموت. أفتراك تجمع بين أهل القَسمَين في دارٍ واحدة؟

[٥] قال شعيب بن حرب، قال عمر بن ذر: يا أهلَ معاصي الله، لا تغترُّوا بطول حلم الله عنكم، واحذروا أسفه، فإنه قال: ﴿فَلَمَا آسَفُونَا انْتَقَمْنا مِنْهُم﴾ [الزخرف ٥٥].

[٦] وعن عمر بن ذَر قال: كُلُّ حزن يبلى إلا حزن التائب عن ذنوبه.

[٧] إبراهيم بن بشار، حدثنا ابن عيينة قال: كان عمر بن ذر إذا قرأ: ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: يا لكَ من يوم ما ملأ ذكرَك لقلوب الصادقين.

[١] عن ابن عُيينة قال: لما مات ذر بن عمر قعد عمر على شفير قبره، وهو يقول: يا بني، شغلني الحزنُ لك، عن الحزنُ عليك، فليت شعري، ما قُلتَ، وما قيل لك؟ اللهم إنك أمرته بطاعتك وبِبرِّي. فقد وهبتُ له ما قصر فيه مِن حقّي، فهب له ما قصَّر فيه من حقك. وقيل: إنه قال: انطلقنا وتركناك، ولو أقمنا ما نفعناك، فنستودِعُك أرحمَ الراحمين.

توفي عمر بن ذر في سنة ثلاث وخمسين ومئة، وكان ثقةً، إن شاء الله، كثيرَ الحديث.

[٢] علي بن المديني، سمعت سفيان يقول: كان ابن عياش المَنْتُوف يقع في عمرَ بنِ ذَرّ ويشتمه، فلقيه عمر، فقال: يا هذا لا تفْرطْ في شتمنا، وأبْقِ للصلح موضعاً، فإنا لا نُكافئ من عصى الله فينا بأكثرَ من أن نطيع الله فيه.

٣٢٤ أبو حَنيفَة (ت، س)(١)

[٣] **الإمـام، فقيـه الملة، عالم العـراق، أبـو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي، الكوفي، مولى بني تيم الله بن ثعلبة يُقال: إنه من أبناء الفرس.**

وُلد سنة ثمانين في حياة صغار الصحابة، ورأى أنس بن مالك لما قدم عليهم بالكوفة. ولم يثبت له حرف عن أحد منهم.

وعُني بطلب الآثار، وارتحل في ذلك وأمّا الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه، فإليه المنتهى والناس عليه عيال في ذلك.

حدَّث عنه خلقٌ كثير.

[٤] مكرم بن أحمد القاضي: حدثنا أحمد بن عبدالله بن شاذان المروزي، عن أبيه، عن جده، سمعت إسماعيل يقول: أنبأنا إسماعيل بن حمَّاد بن أبي حنيفة: النعمان بن ثابت بن المرزبان من أبناء فارس الأحرار، والله ما وقع علينا رقٌّ قط. ولد جدي في سنة ثمانين وذهب ثابت إلى علي وهو صغير فدعا له بالبركة فيه، وفي ذريته، ونحن نرجو من الله أن يكونَ استجاب ذلك لعلي رضي الله عنه فينا.

(١) انظر السير: ٦/٣٩٠-٤٠٤

[١]قال: والنعمان بن المرزبان والد ثابت هو الذي أهدى لعلي الفالوذج في يوم النيروز فقال علي: نورِزونا كُلَّ يوم، وقيل كان ذلك في المهرجان، فقال: مَهرِجونا كُلَّ يوم.

[٢] قال محمد بن سعد العَوفي: سمعت يحيى بنَ معين يقول: كان أبو حنيفة ثقةً لا يحدث بالحديث إلا بما يحفظُه، ولا يُحدِّث بما لا يحفظ. ولقد ضربه ابن هُبيرة على القضاء، فأبى أن يكون قاضياً.

[٣] قال أحمد بن عبدالله العجلي، حدثني أبي قال: قال أبو حنيفة قدمت البصرةُ فظننتُ أني لا أسأل عن شيءٍ إلا أجبتُ فيه، فسألوني عن أشياء لم يكن عندي فيها جواب، فجعلت على نفسي ألَّا أفارِق حماداً حتى يموت، فصحبته ثماني عشرة سنة.

أبـو وهب محمـد بن مزاحم، سمعتُ عبدالله بن المبارك يقول: لولا أن الله أعانني بأبي حنيفة وسفيان، كنت كسائر الناس.

[٤] قيل للقاسم بن مَعْن: ترضى أن تكون من غلمان أبي حنيفة؟ قال: ما جلس الناسُ إلى أحد أنفع من مجالسة أبي حنيفة. وقال له القاسم: تعال معي إليه، فلما جاء إليه لزمه وقال: ما رأيتُ مثل هذا.

[٥] قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم. رأيتُ رجلاً لو كلَّمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته.

[٦] وعن أسد بن عمرو، أن أبا حنيفة، رحمه الله، صلَّى العشاء والصبح بوضوءٍ أربعين سنة.

[٧]عن القاضي أبي يوسف قال: بينما أنا أمشي مع أبي حنيفة، إذ سمعتُ رجلاً يقول لآخر: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل. فقال أبو حنيفة: والله لا يُتَحدثُ عني بما لم أفعل. فكان يحيى الليل صلاة وتضرعاً ودعاء.

[٨] وقد روي من وجهين: أن أبا حنيفة قرأ القرآن كله في ركعة.

وعن أبي يوسف قال: كان أبو حنيفة رَبْعَة، مِن أحسن الناس صورةً، وأبلغِهم نطقاً، وأعذبهم نغمة، وأبينِهم عما في نفسه.

[١]وعن ابن المبارك قال: ما رأيتُ رجلاً أوقرَ في مجلسه، ولا أحسنَ سمتاً وحلماً من أبي حنيفة.

[٢]عن المثنى بن رجاء قال: جعل أبو حنيفة على نفسه، إن حلف بالله صادقاً، أن يتصدَّق بدينار، وكان إذا أنفق على عياله نفقة تصدق بمثلها.

عن قيس بن الربيع قال: كان أبو حنيفة ورعاً تقياً، مُفْضِلاً على إخوانه.

[٣]وعن شريك قال: كان أبو حنيفة طويلَ الصمت، كثير العقل.

وقال أبو عاصم النبيل: كان أبو حنيفة يسمى الوَتِد لِكثرة صلاته.

[٤]عن القاسم بن معن، أن أبا حنيفة قام ليلة يردد قوله تعالى: ﴿بل السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القمر ٤٦] ويبكي ويتضرع إلى الفجر.

[٥]وقد رُوى من غير وجه أن الإمام أبا حنيفة ضرب غير مرة، على أن يلي القضاء فلم يجب.

قال يزيد بن هارون: ما رأيتُ أحداً أحلم من أبي حنيفة.

[٦]وعن الحسن بن زياد اللؤلؤي قال: قال أبو حنيفة: إذا ارتشى القاضي، فهو معزول وإن لم يُعزل.

قال وكيع: سمعت أبا حنيفة يقول: البول في المسجد أحسنُ مِن بعض القياس.

وعن أبي معاويةَ الضرير قال: حُبُّ أبي حنيفة من السُّنة.

[٧]وعن مُغيث بن بديل قال: دعا المنصور أبا حنيفة إلى القضاء فامتنع، فقال: أترغب عما نحن فيه؟ فقال: لا أصلح. قال: كذبتَ قال: فقد حَكَمَ أميرُ المؤمنين علي أني لا أصلح، فإن كنتُ كاذباً، فلا أصلح وإن كنت صادقاً فقد أخبرتكم أني لا أصلح، فحبسه.

[٨] وروى حيان بن موسى المروزي، قال: سئل ابنُ المبارك: مالك أفقه، أو أبو حنيفة؟ قال: أبو حنيفة. وقال الخُرَيْبيّ: ما يقع في أبي حنيفة إلا حاسد أو جاهل.

وقال يحيى بن سعيد القطان: لا نكذب الله، ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة، وقد أخذنا بأكثر أقواله.

وقال الشافعي: الناسُ في الفقه عيال على أبي حنيفة. قلت: الإمامة في الفقه ودقائقه مسلَّمة إلى هذا الإمام وهذا أمر لا شك فيه.

وليْسَ يَصِحُّ في الأذهان شَيْء   إذا احْتاجَ النَّهارُ إلى دَلِيلِ

وسيرته تحتمل أن تُفرد في مجلدين، رضي الله عنه ورحمه.

[١]توفي شهيداً مسقياً في سنة خمسين ومئة. وله سبعون سنة، وعليه قُبة عظيمة ومشهد فاخر ببغداد، والله أعلم.

[٢] وابنه الفقيه حمَّاد بن أبي حنيفة كان ذا علم ودين وصلاح وورع تام، لما توفي والده، كان عنده ودائع كثيرة، وأهلُها غائبون فنقلها حمَّاد إلى الحاكم ليتسلمها، فقال: بل دعها عندك، فإنك أهل فقال: زنها واقبضها حتى تبرأ منها ذمة الوالد، ثم افعل ما ترى. ففعل القاضي ذلك. وبقي في وزنها وحسابها أياماً واستتر حمَّاد فما ظهر حتى أودعها القاضي عند أمين.

توفي حمَّاد سنة ست وسبعين ومئة كهلاً.

٣٢٥ حَيْوَةُ بنُ شُرَيْح (ع)(١)

ابن صفوان الإمام الرباني، الفقيه، شيخ الديار المصرية، أبو زُرعة التُّجيبي المصري.

[٣] قال ابن وهب: **ما رأيتُ** أحداً أشدَّ استخفاءً بعمله من حيوة، وكان يُعرف بالإجابة، يعني في الدعاء.

[٤] قال ابن وهب: كان حيوة يأخذ عطاءه في السنة ستينَ ديناراً فلم يطلع إلى منزله حتى يتصدّقَ بها، ثم يجيء إلى منزله، فيجدها تحت فراشه، وبلغ ذلك ابن عمٍّ له، فأخذ عطاءَه، فتصدق به كُله وجاء إلى تحت فراشه فلم يجد شيئا، فشكا إلى حيوة فقال: أنا أعطيت ربي بيقين، وأنت أعطيته تَجربةً. وكنا نجلس إلى حيوةَ في الفقه فيقول: أبدلني الله بكم عموداً أقوم وراءه أصلي ثم فعل ذلك.

---

(١) انظر السير: ٦/٤٠٤-٤٠٦

[١]عن خالد الفرر، قال: كان حيوة بن شُريح من البكائين وكان ضَيِّقَ الحالِ جداً يعني فقيراً مسكيناً. فجلست وهو مُتَخلٍ يدعو. فقلت: لو دعوت الله أو يُوسع عليك؟! فالتفت يميناً وشمالاً فلم ير أحداً فأخذ حصاة. فرمى بها إلى فإذا هي تبرة في كفي، والله ما رأيتُ أحسنَ منها، وقال: ما خيرٌ في الدنيا إلا للآخرة. ثم قال: هو أعلم بما يُصلح عباده. فقلت: ما أصنعُ بهذه؟ قال: استنفِقها فهبتُهُ والله أن أردها.

[٢]وقال حيوة مرة لبعض نواب مصر: يا هذا لا تُخلينَّ بلادنا من السلاح، فنحن بين قبط لا ندري متى ينقض، وبين حبشي لا ندري متى يغشانا، وبين رومي لا ندري متى يَحُل بساحتنا، وبربري لا ندري متى يثور.

تُوفي هذا السيد في سنة ثمان وخمسين ومئة

وسائر المصريين الصُلحاء لم يوردهم صاحب «الحلية» ولا عَرَفهم.

٣٢٦ أبو عمرو بن العلاء[١]

[٣]ابن عمار، التميمي، ثم المازني البصري، شيخ القراء والعربية، وأمه من بني حنيفة.

مولده في نحو سنة سبعين.

[٤]قال أبو عبيدة: كان أعلمَ الناس بالقراءات والعربية، والشعر، وأيامِ العرب، وكانت دفاتره ملءَ بيت إلى السقف، ثم تنسَّك فأحرقها.

وكان من أشراف العرب، مدحه الفرزدق وغيره.

قال يحيى بن معين: ثقة.

[٥]عن الأصمعي: قال لي أبو عمرو بن العلاء: لو تهيأ أن أُفْرِغَ ما في صدري من العلم في صدرك لفعلتُ، ولقد حفِظْتُ في علم القرآن أشياء لو كتبت ما قدر الأعمش على حملها، ولولا أن ليس لي أن أقرأ إلا بما قُرئ لقرأت حرف كذا، وذكر حروفاً.

---

(١) انظر السير: ٦/٤٠٧- ٤١٠

قال إبراهيم وغيره: كان أبو عمرو من أهل السُّنة.

[١] قال اليزيدي وآخر: تكلَّم عمرو بن عبيد في الوعيد سنة، فقال أبو عمرو: إنك لألكنُ الفهم، إذ صَيَّرت الوعيد الذي في أعظم شيئ مثلَهُ في أصغر شيئ. فاعلم أن النهي عن الصغير والكبير ليسا سواء. وإنما نهى الله عنهما لتتم حجته على خلقه، ولئلا يعدل عن أمره. ووراء وعيده عَفْوُه وكرمه ثم أنشد:

ولا يَرْهَبُ ابنُ العَمِّ ما عِشْتُ صَوْلَتِي وَلَا أخْتتي[١] مِنْ صَوْلَةِ المُتَهَدِّدِ
وَإنِّي وَإنْ أوْعَدْتُهُ وَوَعَدْتُهُ لَمخْلِفُ إيعَادِي وَمُنْجِزُ مَوْعِدي

فقال عمرو بن عبيد: صدقت. إن العرب تتمدح بالوفاء بالوعد والوعيد، وقد يمتدح بهما المرء، تسمع إلى قولهم؟!

لا يُخلِفُ الوَعْدَ والوَعِيدَ وَلاَ يَبِيتُ من ثَأْرِهِ عَلَى فَوْتِ

فقد وافق هذا قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدنا ما وَعَدَنا رَبُّنَا حَقاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حقاً قالُوا نَعَم﴾.

قال أبو عمرو: قد وافق الأولُ أخبارَ رسول الله ﷺ والحديث يفسر القرآن.

[٢] قال الأصمعي: قال لي أبو عمرو: كن على حذرٍ من الكريم إذا أهنتَه، ومن اللئيم إذا أكرمتَه، ومن العاقل إذا أحرجته، ومن الأحمق إذا مازحته، ومن الفاجر إذا عاشرته. وليس من الأدب أن تُجيب من لا يسأَلُك، أو تسأل من لا يُجيبك. أو تُحدِّث من لاينصت لك.

قال أبو عبيد: حدثني عدة: أن أبا عمرو قرأ على مجاهد وزاد بعضهم: وعلي سعيد بن جبير، وروينا أن أبا عمرو وأباه هربا من الحجاج ومن عسفه. وحديثه قليل.

ذكر غير واحد أن وفاته كانت في سنة أربع وخمسين ومئة.

قال الأصمعي: عاش أبو عمرو ستاً وثمانين سنة.

---

(١) ولا أختتي: أي لا أستتر خوفاً.

٣٢٧ الإفريقي (د، ت، ق)[1]

[١]عبدالرحمن بن زياد بن أنْعُم، الإمام، القُدوة، شيخ الإسلام، أبو أيوب الشعباني الإفريقي. قاضي افريقية وعالمها، ومحدثها على سوء حفظه.

قال إسماعيل بن عياش: وَلِيَ السفاحُ فظهر جور بإفريقية، فوفد ابن أَنْعُم على أبي جعفر مشتكياً. ثم قال: جئت لأُعلِمَكَ بالجور ببلدنا فإذا هو يخرج من دارك! فغضب وهمَّ به وقيل: قال له: كيف لي بأعوان؟ قال: أفليس عمر بن عبدالعزيز كان يقول: الوالي بمنزلة السوقُ يُجلب إليه ما يَنْفُق فيه؟ فأطرقَ طويلاً، فأومأ إلى الربيع الحاجب بالخروج.

قلت: تُوفي سنة ستٍّ وخمسين ومئة. وكان الثوري يعظمه جداً.

---

(١) انظر السير: ٦/٤١١-٤١٢



الجزء السابع



٣٢٨ مَعْمَر بن راشد (ع)[1]

[١]**الإمام الحافظ شيخُ الإسلام أبو عُروة بنُ أبي عَمرو الأزْدي مولاهم البصري نزيل اليمن.**

مولُده سنة خمسٍ أو ست وتسعين وشهد جِنازة الحسنِ البصري، وطلب العلم وهو حَدَث.

وكان من أوعية العلم مع الصِّدق والتَّحري والورع والجَلالة وحسن التَّصنيف.

[٢] عن معمر قال: سمعت من قتادة وأنا ابنُ أربع عشرة سنة فما شيءٌ سمعتُ في تلك السنين إلا وكأنَّه مكتوب في صدري.

قال عبدالرزاق: قيل للثوري: ما منعك من الزُّهري؟ قال: قِلَّةُ الدراهم وقد كفانا مَعْمر.

[٣] قال هشام بن يوسف: أقام معمر عندنا عشرين سنة ما رأينا له كتاباً: يعني كان يحدِّثُهم من حفظه.

[٤] عبد الرزاق: أنبأنا معمر قال: حدثت يحيى بن أبي كثير بأحاديث فقال: اكتب حديث كذا وكذا. فقلتُ: أما تكره أن تكتب العلم يا أبا نَصْر؟ فقال: اكتبه لي فإن لم تكن كتبت فقد ضيَّعتَ أو قال: عَجَزْت.

[٥] قال أحمد العِجلي: لمَّا دخل معمر صنعاء كرِهوا أن يخرج من بين أظهرهم فقال لهم رجل: قَيِّدوه. قال: فزوَّجوه.

[٦] أحمد بن شَبَّويه: حدَّثنا عبد الرزاق قال: أكل معمر من عند أهله فاكهة ثم سأل فقيل: هديَّة من فلانة النَّوَّاحة. فقام فتقيَّأ. وبعث إليه مَعْن والي اليمن بذهب فردَّه وقال لأهله: إن عَلِم بهذا غيرنا لم يجتمع رأسي ورأسُك أبداً.

مات سنة أربع وخمسين.

---

(١) انظر السير: ٧/٥-١٨.

عاش ثمانياً وخمسين سنة.

[١] قال مَعمر: لقد طلبنا هذا الشأن وما لنا فيه نيَّة ثم رَزَقَنا الله النيَّة من بعدُ.

وقال عبدالرزاق: أنبأنا مَعْمَر قال: كان يُقال: إن الرَّجل يطلبُ العلمَ لغير الله فيأبى عليه العِلمُ حتى يكون لله.

قلتُ: نعم يطلبه أولاً والحاملُ له حبُّ العلم، وحبُّ إزالة الجهل عنه، وحب الوظائف، ونحوُ ذلك. ولم يكن عَلِمَ وجوب الإخلاص فيه ولا صِدْقَ النية فإذا عَلِمَ حاسبَ نفسَه وخاف من وَبَالِ قصدِه فتجيئُه النِّية الصَّالحة كلُّها أو بعضها وقد يتوبُ من نيته الفاسدة ويندمُ. وعلامة ذلك أنه يُقْصِر من الدعاوى وحبِّ المناظرة ومِن قَصْد التَّكثُّر بعلمه ويُزري على نفسه فإن تكثَّر بعلمه أو قال: أنا أعلمُ مِن فلان فبعداً له.

٣٢٩ عبدُ الحميد بنُ جعفر (م، ٤)(١)

[٢] **ابن عبدالله الأنصاري المَدِيني الإمام المحدِّث الثِّقة أبو سعد.**

قال: أحمد بن حنبل: ليس به بأس. وكذا قال النَّسائي.

[٣] وكان سفيان الثوري يَنْقِمُ عليه خروجه مع محمد بن عبدالله بن حسن(٢) وكان من فقهاء المدينة.

[٤] قال ابن معين: كان عبدالحميد ثِقةً يُرْمى بالقَدَرِ.

قلت: قد لُطِخَ بالقَـدَر جماعةٌ وحديثُهم في (الصحيحين) أو أحدهما لأنهم موصوفون بالصِّدق والاتقان.

مات عبدالحميد في سنة ثلاث وخمسين ومئة.

---

(١) انظر السير: ٧/ ٢٠- ٢٢.

(٢) هو محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، وكان خروجه على المنصور مع أخيه إبراهيم، ذلك أنهما تخلفا عن الحضور عند المنصور عندما حج في ذلك العام فطلبهما وبالغ في ذلك، وقبض على أبيهما مع عدد من أهل البيت، وسجنهم وماتوا في سجنه، فثار محمد هذا في المدينة، وسجن متوليها، وصار له شأن، وعمال في المدن إلى أن أرسل إليه المنصور جيشاً بقيادة ابن عمه عيسى بن موسى فقضى عليه سنة (١٤٥هـ).

٣٣٠ ابنُ إسحاق (٤)(١)

[١] محمدُ بنُ إسحاق بن يسار العلامةُ الحافظُ الأخباري أبو بكر وقيل: أبو عبدالله القرشي المُطَّلِبي مولاهم المدني صاحبُ السِّيرة النبوية وكان جدُّه يسار من سبي عين التَّمْر(٢) في دولة خليفة رسول الله ﷺ.

ولد ابن إسحاق سنة ثمانين ورأى أنس بن مالك بالمدينة وسعيدَ بن المُسَيِّب.

[٢] قال علي بن المديني: مدارُ حديث رسول الله ﷺ على ستة فذكرهم ثم قال: فصار عِلمُ الستةِ عند اثني عشر أحدهم محمدُ بن إسحاق.

[٣] عن سفيان قال: رأيتُ الزُّهري أتاهُ محمد بن إسحاق فاستبْطَأه فقال له: أين كنت؟ قال: وهل يصل إليك أحد مع حاجبك قال: فدعا حاجبه فقال له: لا تحجُبْه إذا جاء.

[٤] هارون بن معروف سمعتُ أبا معاوية يقول: كان ابن إسحاق من أحفظ الناس. فكان إذا كان عند الرجل خمسةُ أحاديث أو أكثر فاستَوْدَعَها عند ابن إسحاق قال: احفظها عليَّ فإن نسيتها كنت قد حفظتها عَليَّ.

قلتُ: قد كان في المغازي علامةً.

ابن المَديني: سمعتُ سفيان وسُئِل عن ابن إسحاق: لِمَ لَمْ يرو أهلُ المدينة عنه؟ فقال: جالستُ ابن إسحاق منذ بضع وسبعين سنة وما يتَّهمه أحدٌ من أهل المدينة ولا يقول فيه شيئاً. فقلت له: كان ابن إسحاق يجالس فاطمة بنت المنذر؟ فقال: أخبرَني أنها حدثته وأنه دخل عليها.

قال محمد بن الذهبي: هو صادق في ذلك بلا ريب(٣).

يحيى بن سعيد يقول: سمعت هشام بن عروة يقول: تحدَّث ابن إسحاق عن

---

(١) انظر السير: ٧/٣٣-٥٥.

(٢) عين التمر: بلدة قريبة من الأنبار، غربي الكوفة، بقربها موضع يقال له: شفاثا منهما يجلب القسب والتمر إلى سائر البلاد، وهي على طرف البرية، وهي قديمة افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد في سنة (١٢) للهجرة وكان فتحها عنوة، فسبى نساءها، وقتل رجالها.

(٣) هو المؤلف نفسه، فإن أباه كان يلقب بالذهبي لأنه كان بارعاً في صنعة الذهب المدقوق.

امرأتي فاطمة بنت المنذر والله إنْ رآها قطُّ.

قلت: هشام صادق في يمينه فما رآها ولا زعم الرجل أنه رآها بل ذكر أنها حدثته، وقد سمعنا من عدة نسوة وما رأيتهن، وكذلك روى عدة من التابعين عن عائشة وما رأوا لها صورةً أبداً.

[١]وقال مالك، وذكره فقال: دجال من الدجاجلة.

[٢]قال الخطيب: ذكر بعضُهم: أن مالكاً عابه جماعة من أهل العلم في زمانه بإطلاق لسانه في قوم معروفين بالصَّلاح والدِّيانة والثِّقة والأمانةِ.

قلت: كَلَّا ما عابَهم إلا وهم عنده بخلاف ذلك وهو مثابٌ على ذلك وإنْ أخطأ اجتهاده، رحمة الله عليه.

[٣]عبدالله بن نافع قال: كان ابن أبي ذئب وابن الماجِشُون وابن حازم وابن إسحاق يتكلمون في مالك.

وكان أشدهم فيه كلاماً محمد بن إسحاق كان يقول: ائتوني ببعض كتبه حتى أُبيِّن عيوبه، أنا بَيْطَارُ كُتُبه.

[٤]وقد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غير واحدٍ من العلماء لأشياء منها: تشيُّعه، ونُسِبَ إلى القدَر، ويُدلِّس في حديثه فأما الصِّدق فليس بمدفوع عنه.

[٥]وذكر البخاري هنا فصلاً حسناً عن رجاله، وإبراهيم بن سعد، وصالح بن كيسان فقد أكثرا عن ابن إسحاق. قال البخاري: ولو صَحَّ عن مالك تناوُلُهُ من ابن إسحاقِ فَلَرُبَّما تَكَلَّمَ الإنسانُ فَيَرْمي صاحبَه بشيءٍ واحد ولا يتَّهِمُه في الأمور كلِّها. قال: وقال إبراهيم بن المُنذر عن محمد بن فُلَيْح: نَهاني مالك عن شَيْخَين من قريشٍ وقد أكثر عنهما في (الموطأ) وهما ممَّن يُحْتَجُّ بهما، ولم ينجُ كثير من الناس من كلام بعضِ النَّاس فيهم نحو ما يُذكَر عن إبراهيم من كلامه في الشَّعبي وكلام الشَّعبي في عِكرمة وفيمن كان قبلهم. وتناول بعضهم في العِرضِ والنَّفس ولم يلتفت أهلُ العلم في هذا النَّحو إلا بِبَيانٍ وحُجَّةٍ ولم تسقط عدالتُهم إلا بِبُرهان ثابتٍ وحُجَّةٍ، والكلامُ في هذا كثير.

[١]قُلت: لسنا ندعي في أئمة الجرحِ والتعديل العصمةَ من الغَلطِ النَّادر، ولا من الكلام بنَفسٍ حادٍّ فيمن بينهم وبينَه شَحْناء وإحنة[1] وقد علم أنَّ كثيراً من كلام الأقران بعضهم في بعض مُهْدَرٌ لا عِبْرة به، ولا سيما إذا وثَّق الرَّجلَ جماعةٌ يلوحُ على قولهم الإنصافُ، وهذان الرجلان كلٌّ منهما قد نال: من صاحبه لكن أثَّر كلامُ مالكٍ في محمد بَعْض اللين، ولم يؤثِّرْ كلامُ محمدٍ فيه ولا ذَرَّة، وارتفع مالك، وصار كالنَّجم، والآخرُ فله ارتفاع بحسبه، ولا سيما في السِّيَر، وأما في أحاديث الأحكام فَيَنْحَطُّ حديثُه فيها عن رُتبة الصِّحةِ إلى رُتبة الحسن إلا فيما شذَّ فيه فإنه يُعدُّ مُنكراً. هذا الذي عندي في حاله والله أعلم.

[٢]قال أبو زُرْعَةَ الدِّمشقي: ابن إسحاق رجل قد اجتمع الكُبَراءُ من أهل العلم على الأخـذ عنـه، منهم سفيان، وشُعبـة، وابن عُيَيْنـة، والحمـادان، وابنُ المبارك، وإبـراهيم بن سعـد، وروى عنه من القدماء يزيدُ بن أبي حبيب وقد اختبرهُ أهل الحديث فرأوا صِدقاً وخَيراً مع مدح ابن شهاب له وقد ذاكرتُ دحَيماً قول مالك فرأى أن ذلك ليس للحديث إنما هو لأنه اتُّهم بالقَدَر.

[٣]وقال ابن عدي: ولو لم يكن لابن اسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتبٍ لا يحصُلُ منها شيٌ إلى الاشتغال بمغازي رسول الله ﷺ ومبعثِه ومبتدأ الخلق، لكانت هذه فضيلةً سَبق بها، ثم من بعده صنَّفَها قوم آخرون فلم يبلغوا مبلغ ابن إسحاق منها، وقد فتَّشتُ أحاديثهُ كثيراً فلم أجد من أحاديثه ما يتهيأ أن يُقطع عليه بالضَّعف وربما أخطأ، أو يَهِم في الشيء بعد الشيء كما يُخطيء غيرهُ ولم يتخلَّف في الرِّواية عنه الثقاتُ والأئمة وهو لا بأس به.

مات ابن إسحاق سنة خمسين ومئة.

---

(١) الإحنة: الحقد في الصدر.

٣٣١ عُتبةُ الغُلام(١)

[١]الزاهدُ الخاشعُ الخائفُ عتبة بن أبان البصري. كان يُشبَّه في حُزنِه بالحسن البصري.

[٢]قال رِيَاح القَيْسي: باتَ عندي فسمعته يقول في سجودِه: اللهُّم احشر عُتبة من حواصِل الطير وبطون السِّباع.

[٣]وقال مَخْلَدُ بن الحُسَين: جاءنا عُتْبةُ الغلام غازياً وقال: رأيتُ أني آتي المَصِّيصة(٢) في النوم وأغزو فأُسْتَشهد. قال: فأعطاه رجل فرسَه وسلاحَه وقال: إني عَليلٌ فاغزُ عني فلقوا الرومَ فكان أول من استُشهد.

[٤] قال سلمة الفرَّاء: كان عُتبة الغلام من نُسَّاكِ أهل البصرة يصوم الدهر ويأوي السواحل والجَبَّانة.

[٥]قال أبو عُمرَ البصري: كان رأسُ مال عُتبة فلْساً يشتري به خُوصاً يعمله ويبيعه بثلاثة فلوس فيتصدق بفلس ويتعشى بفلس وفلس رأس ماله.

[٦]وقيل: نازعته نفسُه لحماً فماطلها سبع سنين.

[٧]وعنه قال: لا يُعجبني رجلٌ ألّا يحترف.

[٨]وذَكَرَ مَخْلَدُ بن الحُسين عُتبة الغلام وصاحبه يحيى الواسطي فقال: كأنما ربَّتْهُم الأنبياء.

[٩] وعن عُتبة قال: من عَرَف الله أحبَّه، ومن أحبَّه أطاعه.

[١٠]وعنه قال: إنما أبكي على تقصيري.

٣٣٢ أشعب الطَّمَع (٣)

[١١]ابن جُبير المدني يُعرف بابن أم حميدة ومَن يُضرب بطمعه المثلُ.

---

(١) انظر السير: ٧/٦٢ـ ٦٣.

(٢) المصيصة: بفتح الميم، وكسر الصاد الثقيلة، بعدها ياء ساكنة ثم صاد مفتوحة مدينة على شاطئ، جيحان، من ثغور الشام، بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرطوس.

(٣) انظر السير: ٧/٦٦ـ ٦٨.

روى قليلاً وكان صاحب مُزَاحٍ وتَطفيلٍ ومع ذلك كُذِب عليه.

[١]قال الأصمعي: عَبَثَ به صبيانٌ فقال: ويْحَكُم، اذهبوا، سالم يُفرِّق تمراً، فَعَدوا فَعَدا معهم وقال: لعلَّه حق.

[٢]قال الزبير: قيل لأشعب: نُزوِّجُك؟ قال: ابغوني امرأةً أَتَجَشَّىٰ في وَجْهِها تشبع، وتأكلُ فخذ جَرادة تنتخم.

[٣]ويقال: دعاه رجل فقال: أنا خَبير بكثرة جُموعك قال: لا أدعو أحداً، فجاء، إذ طلعَ صبي، فقال أشعب: أين الشَّرط؟ قال: يا أبا العلاء! هو ابني وفيه عشرُ خِصال: أحدها: أنه لم يأكل مع ضيفٍ، قال: كفى، التِّسعُ لك أدخله.

[٤]قال أبو عاصم: أوقفني ابن جُريج على أشعب فقال: ما بلغ من طمعك؟ قال: مازُفَّتِ امرأة إلا كنست بيتي رجاءَ أن تُهْدَىٰ إليَّ.

[٥]وعن أبي عاصم أن أشعب مَرَّ بمن يعمل طَبَقاً فقال: وَسِّعه لعلهم يُهدون لنا فيه. ومررت يوماً فإذا هو ورائي، قلت: ما بك؟ قال: رأيت قَلَنْسُوتَك مائلةً فقلتُ: لعلها تقعُ فآخذها. قال: فأعطيتُه إياها.

[٦] قال أبو عبدالرحمن المُقرئ: قال أشعب: ما خرجتُ في جنازة، فرأيت اثنين يتسارَّان، إلا ظننتُ أن الميت أوصى لي بشيءٍ.

مات سنة أربع وخمسين ومئة.

٣٣٣ المنصُورُ(١)

[٧]الخليفة أبو جعفر عبدُ الله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي المنصور وأُمُّه سلَّامة البَرْبَريَّة.

وُلد في سنة خمس وتسعين أو نحوها. ضَرَب في الآفاق ورأى البلاد، وطلب العلمَ.

وكان فحلَ بني العبَّاس هيبةً وشجاعةً، ورأياً وحزماً، ودهاءً وجبروتاً، وكان جمَّاعاً للمال، حريصاً، تاركاً للَّهو واللعِب، كامل العقل بعيد الغَور، حَسن

(١) انظر السير: ٧/٨٣- ٨٩.

المشَاركة في الفقه والأدب والعلم.

[١]أباد جماعةً كباراً حتى توطَّد له الملك، ودانت له الأُمم على ظُلم فيه وقوة نفس، ولكنَّه يرجع إلى صِحَّةِ إسلام وتديُّن في الجُملة، وتَصَوُّنٍ وصلاة وخير، مع فصَاحة وبلاغةٍ وجلالة. وقد وَلي بُليدةً من فارس لعاملها سُليمان بـن حَبيب بن المهَلَّب بن أبي صُفرة، ثم عَزلَه وضَرَبَه وصادره، فلما استُخلف قَتَلَهُ. وكان يُلَّقب: أبا الدَّوانيق لتدنيقه ومحاسبته الصُّناعَ لما أنشأ بغداد.

[٢]قال مبارك الطَّبري: حدثنا أبو عُبيد الله الوزير، سمع المنصور يقول: الخليفة لا يُصلِحُه إلا التَّقوى، والسُلطان لا يُصلحه إلا الطَّاعة، والرعيَّة لا يُصلحها إلا العدل، وأولى الناسِ بالعفو أقدرُهم على العقوبة وأنقصُ الناس عقلاً من ظَلَمَ مَن هُو دُونه.

[٣]وقيل إن عبـد الصَّمد عمه قال: يا أمير المؤمنين! لقد هَجَمْتَ بالعقوبة حتى كأنـك لم تسمعْ بالعفوِ. قال: لأن بني أميَّة لم تَبْلَ رِمَمُهم، وآل علي لم تُغمَدْ سيوفهم، ونحن بينَ قوم قد رأونا أمس سُوقة ولا تتمهدُ هيبتُنا في صدورهم إلا بنسيان العفو.

حج المنصور مرات منها في خلافته مرتين، وفي الثالثة مات ببئر ميمون، قبل أن يدخل مكة.

[٤]وعن المدائني: أن المنصور لما احتُضر قال: اللهم إني قد ارتكبتُ عظائم جُرأةً مني عليكَ، وقد أطعتُك في أحب الأشياءِ إليك، شهادةِ أن لا إله إلا الله، مَنّاً منك لا مَنّاً عَلَيكَ، ثم مات.

وعاش أربعاً وستين سنة.

قال الصُّولي: دُفن بين الحُجون وبئر ميمون في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومئة.

[٥]وقد كان المنصورُ يصْغي إلى أقوالِ المنجِمينَ وينفُقُون عليه وهذا من هَنَاته مع فَضِيلَته.

[٦]خرج عليه ابنا عبدِ الله بن حسن، وكاد أن تزولَ دولتهُ، واستَعَدَّ للهَرَب ثم قُتِلا

في أربعينَ يوماً، وألقى عَصاه، واستَقَرَّ.

[١] وكان حاكِماً على ممالِك الإِسلام بأسرها سوى جَزيرةِ الأندلس.

[٢] وكان ينظرُ في حقير المال ويُثَمِّره، ويجتهدُ بحيث إنه خَلَّفَ في بيوت الأموالِ من النقدين أربعةَ عشَر ألف ألفِ دينار، فيما قيلَ، وستمئة ألف ألف درهم، وكان كثيراً ما يتَشَبهُ بالثلاثةِ في سياسَتِه وحَزمِه وهم: مُعاوية، وعبدُ الملك، وهِشَام.

٣٣٤ حَمزةُ بن حَبيب (م، ٤)(١)

[٣]ابن عُمارة، الإِمام القُدوة شيخُ القراءة أبو عُمارة التَّيمي، مولاهم الكوفي الزَّيَّات.

[٤] وكان يجلبُ الزَّيت من الكوفة إلى حُلوان، ثم يجلِبُ منها الجُبْنَ والجَوْز، وكان إمـامـاً قيِّمـاً لكتـاب الله، قانتا لله، ثَخِين الورع، رفيع الذِّكر، عالماً بالحديث والفرائض. أصله فارسي.

[٥]قال الثوري: ما قرأ حَمْزة حرفاً إلا بأَثَر.

[٦]قال أَسْود بنُ سالم: سألت الكِسائي عن الهمز والإِدغام، ألَكُم فيه إمام؟ قال: نعم حَمزة كان يهمِزُ ويكسِر، وهو إمامٌ، لو رأيته لقرَّت عينك من نُسكه.

[٧] قال حسين الجُعْفي: ربَّما عِطش حمزة فلا يَسْتَسقي كراهية أن يُصادِفَ من قَرأ عليه.

[٨]قُلت: كره طائفة من العلماء قراءةَ حَمزةَ لما فيها من السَّكت، وفرط المدِّ واتباع الرسم والإِضْجاع(٢)، وأشياء، ثم استقر اليوم الاتفاقُ على قَبولها وبَعضٌ كان حمزة لا يراه.

[٩]بلَغنا أنَّ رجُلاً قال له: يا أبا عُمارة! رأيتُ رجلاً من أصحَابِكَ، همز حتى انقطع زِرُّه. فقال: لم آمُرْهُمْ بهذا كُلِّه.

[١٠]وعنه قال: إن لهذا التَّحقيقِ حدّاً ينْتَهي إليه ثم يكونُ قبيحاً.

---

(١) انظر السير: ٧/ ٩٠-٩٢.

(٢) الاضجاع: الإمالة.

[١]وعنه: إنَّما الهمزةُ رياضةٌ فإذا حَسَّنها سلَّها.

وفاته في سنة ست وخمسين ومئة. رحمه الله ظَهَر له نحو من ثمانين حديثاً وكان من الأئمة العاملين.

٣٣٥ مَعنُ بن زائدة (١)

[٢] **أميرُ العرب، أبو الوليد الشَّيباني، أحدُ أبطالِ الإسلام، وعَيْن الأجْواد.**

[٣]كان من أُمراء مُتَولي العراقَيْن(٢) يزيد بن عُمر بن هُبيرة، فلما تملَّك آل العباس اختفى مَعن مدَّة، والطلبُ عليه حثيث، فلما كانَ يومُ خروج الريوَندِية (٣) والخُراسَانية على المنصور، وحَميَ القتال، وحار المنصور في أمرِه، ظهرَ معن، وقاتل الرِّيوَنديَّة، فكان النَّصرُ على يَدِه، وهو مُقنَّع في الحديد، فقال المنصورُ: ويحَك من تكونُ؟ فكشف لثامه وقال: أنا طَلْبَتُك معْنٌ فسُرَّ به، وقدَّمه وعظَّمه، ثم ولاَّه اليمنَ وغيرها.

[٤]قال بعضهم: دخل مَعن على المنصور فقال: كبرت سِنُّك يا مَعْنُ. قال: في طاعتك. قال: إنك لَتَتَجَلَّدُ. قال: لأعدائِك. قال: وإن فيكَ لبقيَّةً. قال: هيَ لَكَ يا أميرَ المؤمنين.

ولمعن أخبارٌ في السخاء، وفي البأس والشجاعة، وله نظم جيد.

ثم وَلي سِجِسْتان، فَوَثَبَتْ عليه خوارجُ وهو يحتجمُ، فقَتَلوه، فقتلهُم ابنُ أخيه يزيد بن مَزْيَد الأمير في سنة اثنتين وخمسين ومئة.

---

(١) انظر السير: ٧/٩٧-٩٨.

(٢) العراقان: الكوفة والبصرة.

(٣) في الطبري: ٧/٥٠٥ الراوندية، وهم قوم من أهل خراسان، كانوا على رأي أبي مسلم صاحب دعوة بني هاشم، يقولون بتناسخ الأرواح، ويزعمون أن روح آدم في عثمان بن نهيك، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور، وأن الهيثم بن معاوية جبريل. وكان خروجهم سنة ١٤١هـ.

٣٣٦ الأوزاعيُّ (ع)[1]

[١] عبدُ الرحمنُ بنُ عَمرو بن يُحْمَد، شيخُ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عَمرو الأوزاعي. كان يسكن بمحلة الأوزاع، وهي العُقَيْبَة الصغيرة ظاهرَ باب الفَراديس بدمشق ثم تحول إلى بيروت مرابطاً بها إلى أن مات.

وكان مولده في حياة الصحابة، سنة ثمان وثمانين.

ضَمْرَة: سمعت الأوزاعي يقول: كنت مُحتلِماً أو شبيهاً بالمحتلم في خلافة عُمر بن عبدالعزيز.

[٢] قال العباسُ بن الوليد: فما رأيتُ أبي يتعجبُ من شيءٍ في الدُّنيا تعجُّبَه من الأوزاعي. فكان يقول: سُبحانك تفعلُ ما تَشَاءُ! كان الأوزاعي يتيماً فقيراً في حَجر أمه، تنقُلُه من بلدٍ إلى بلد، وقد جرى حُكمُك فيه أن بلَّغته حيثُ رأيته، يا بُني! عَجزتَ الملوك أن تُؤَدِّب أنفُسَها وأولادَها أدبَ الأوزاعي في نفسه، ما سمعت منه كلمة قَطُّ فاضلةً إلا احتاج مستمِعُها إلى إثباتِها عنه، ولا رأيتُه ضاحكاً قطُّ حتى يُقَهقِه، ولقد كان إذا أخذ في ذِكر المَعَاد أقولُ في نفسي: أتُرى في المجلس قلبٌ لم يبك؟

[٣] الشَّاذَكُوني: سمعت ابن عُيينة يقول: كان الأوزاعيُّ والثوريُّ بمِنى، فقال الأوزاعي للثَّوري: لِمَ لا ترفعُ يديكَ في خفض الركوع ورفعه؟ فقال: حدثنا يزيد بن أبي زياد[2] فقال الأوزاعي: روى لك الزُّهريُّ، عن سالم، عن أبيه عن النبي ﷺ وتعارضني بيَزيد رجل ضَعيف الحديث، وحديثُه مخالفٌ للسُّنَّة، فاحمَّر وجهُ سُفيان. فقال الأوزاعي: كأنَّك كرهتَ ما قلتُ؟ قال: نعم. فقال: قُمْ بنا إلى المَقام نَلتَعِنُ أيُّنا على الحق. قال: فتبسَّم سفيان لما رآه قد احتَدَّ.

[٤] قال الوليد بن مسلم: رأيتُ الأوزاعيَّ يَثبُت في مصلاَّه يذكر الله حتى تَطلُعَ الشمس ويُخبرنا عن السلف: أن ذلك كان هديَهم فإذا طَلَعت الشمس قام بعضُهم

---

(١) انظر السير: ٧/١٠٧-١٣٤.

(٢) تمامه: عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن البراء، أن رسول الله ﷺ «كان إذا افتتح الصلاة رفع يديه إلى قريب من أذنيه ثم لا يعود».

إلى بعضٍ فأفاضوا في ذِكر الله، والتفقهِ في دينه.

[١]الوليد بن مَزْيَد: سُئِل الأوزاعي عن الخُشوع في الصَّلاة قال: غَضُّ البصر، وخفضُ الجَناح، ولينُ القلب، وهو الحزن، الخوف.

[٢]قال: وسُئل الأوزاعي عن إمام تركَ سجدةً ساهياً حتى قامَ وتفرقَ الناسُ قال: يَسجُد كلُّ إنسانٍ منهم سجدةً وهم متفرقون.

[٣]وله مسائلُ كثيرةٌ حسنة ينفردُ بها، وهي موجودة في الكتب الكبارِ، وكان لهُ مذهب مُستقلٌ مَشهورٌ، عمل بهِ فقهاء الشَّام مُدةً، وفقهاءُ الأندلسِ ثُمَّ فَني.

[٤]وقال الأوزاعي: من أكثر ذكر الموتِ، كفاهُ اليَسيرُ، ومن عَرَف أنَّ منطقه من عمله، قلَّ كلامه.

[٥]عن الهِقل بن زياد عن الأوزاعي: أنه وعظ فقال في موعظته: أيُّها الناس! تَقَوَّوْا بهذه النعم التي أصبحتُم فيها على الهرب من نارِ الله الموقَدَة، التي تطَّلعُ على الأفئِـدة، فإنكُم في دارٍ الثَّواءُ فيها قليل، وأنتم مُرتَحِلون وخَلائف بعدَ القرون، الذين استقالوا من الدُّنيا زهرتَها، كانوا أطولَ منكم أعماراً، وأجدَّ أجساماً، وأعظمَ آثاراً، فَجَدَّدُوا الجبال وجابوا[١]الصخور، ونقَّبوا في البلاد مُؤَيَّدين ببطش شديد، وأجسام كالعِماد، فما لبثَتِ الأيامُ والليالي أن طَوَت مُدَّتَهم، وعَفَّتْ آثارَهم، وأخوت مَنَازلهم، وأنستْ ذِكرَهُم، فما تُحِسُ منهم من أحدٍ ولا تسمعُ لهم رِكزاً[٢].

كانوا بلَهْو الأملِ آمنين، ولميقات يومٍ غافلين، ولصباحِ قومٍ نادمين، ثم إنكم قد عَلمتم ما نزَل بساحتِهم بياتاً مِن عقوبة الله، فأصبح كثيرٌ منهم في ديارِهم جاثمين، وأصبح الباقون ينظرون في آثار نِقمِه وزوال نِعمِه، ومَسَاكن خاويَة، فيها آية للذين يخافونَ العذابَ الأليمَ، وعبرةٌ لمن يخشى، وأَصبحتُم في أجلٍ منقوص، ودُنيا مَقْبوضَة، في زمان قد وَلَّى عفوه، وذهب رخاؤهُ، فلم يبق منه إلا حُمَةُ شرٍ، وصُبَابَةُ كَدَرٍ، وأهاويلُ غِيَر، وأرسالُ فِتَن، ورُذالة خَلف.

(١) جابوا الصخور، نقبوها. قال الله تعالى: ﴿وثمود الذين جابوا الصخر بالواد﴾ [الفجر ٩].

(٢) الرِّكز: الصوت الخفي. قال الله تعالى: ﴿هل تُحِسُّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً﴾ [مريم ٩٨].

[١]الحكم بن موسى: حدثنا الوليد بن مسلم قال: ما كنتُ أحرِصُ على السماع من الأوزاعي حتى رأيتُ رسول الله ﷺ في المنام والأوزاعي إلى جَنْبه فقلت: يا رسول الله! عمَّن أحمِلُ العلمَ؟ قال: عن هذا. وأشار إلى الأوزاعي.

قلت: كان الأوزاعي كبير الشَّأن.

[٢]قال عَمرو بن أبي سَلَمة التِّنِّيسي: حدثنا الأوزاعي قال: رأيتُ كأنَّ مَلَكَيْن عَرَجاً بِي، وأوقفاني بين يدي ربِّ العِزَّة، فقال لي: أنت عبدي عبدالرَّحمن الذي تأمرُ بالمعروف؟ فقلت: بِعِزتك أنت أعلم. قال: فَهَبَطا بي حتى ردَّاني إلى مكاني.

[٣]قال الوليد بن مَزْيد: كان الأوزاعي من العبادة على شئ ما سمعنا بأحدٍ قوي عليه، ما أتى عليه زوالٌ قَطُّ إلا وهو قائم يُصلِّي.

[٤]قال مروان الطَّاطَرِي: قال الأوزاعي: من أطال قيام الليل، هوَّن الله عليه وقوفَ يوم القيامَة.

[٥]محمد بن سَمَاعَة الرَّملي: سمعت ضَمْرَة بن رَبيعة يقول: حَجَجْنا مع الأوزاعي سنة خمسين ومئة، فما رأيته مضطجعاً في المَحْمِل(١) في ليل ولا نهار قَطُّ، كان يصلي، فإذا غلبه النَّوم، استند إلى القَتْب.

[٦]العباس بن الوليد: حدثنا أبي: سمعت الأوزاعي يقولُ: عليك بآثار مَنْ سَلف، وإن رَفَضَك النَّاس، وإياكَ وآراء الرِّجال، وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنتَ على طريقٍ مستقيم.

[٧] قال الأوزاعي: لا يجتمعُ حبُّ عليٍّ وعثمانَ ـ رضي الله عنهما إلا في قلب مؤمن.

[٨]قال الوليد بن مَزْيَد: سمعت الأوزاعيَّ يقول: إذا أراد الله بقوم شرّاً فتح عليهم الجَدَلَ ومنعهم العَمَلَ.

[٩] أبو خُلَيْد عُتْبَة بن حمَّاد القارئ، حدثنا الأوزاعي قال: بعث عبدالله بن علي إليَّ فاشْتَدَّ ذلك علَيَّ وقدمتُ، فدخلت، والناس سِماطان(٢) فقال: ما تقولُ في مَخرِجنا

---

(١) المحمل: شقان على البعير فيهما العديلان.

(٢) سماطان: صفان.

وما نحنُ فيه؟ قلت: أصلح الله الأمير! قد كان بيني وبين داود بن عليٍّ مودَّة. قال: لَتُخْبِـرَنّي. فتفكرتُ ثم قلتُ: لأَصْدقَنَّه، واستَبسلتُ[1] للموت ثم رويْتُ لهُ عن يحيى بن سعيد حديث (الأعمـال)[2] وبيده قضيب ينكُتُ به، ثم قال: يا عبدالرحمن: ما تقول في قتل أهل هذا البيت؟ قلت: حدثني محمد بن مروان، عن مَطَرِّف بن الشِّخير، عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «لا يَحِلُّ قَتْلُ المُسلِمِ إلا في ثَلَاثٍ. . .» وساقَ الحديثَ.

فقال: أخبرني عن الخلافةِ، وصيَّةٌ لنا من رسول الله ﷺ؟ فقلتُ: لو كانت وصيَّةً من رسول الله ﷺ ما ترك عليٌّ رضي الله عنه ـ أحداً يتقدَّمُه. قال: فما تقولُ في أموالِ بني أميَّة؟ قلتُ: إن كانت لهم حلالاً فهي عليك حرام، وإن كانت عليهم حراماً، فهي عليك أَحْرَمُ. فَأَمَرني، فأخرجتُ.

[١]قلت: قد كان عبدُ الله بن عليٍّ ملكاً جبَّاراً، سفَّاكاً للدماء، صعبَ المراسِ، ومع هذا فالإمامُ الأوزاعي يَصْدَعهُ بمُرِّ الحق كما ترى، لا كخَلْقٍ من عُلماء السُّوء، الذين يُحَسِّنُونَ للأُمراء ما يقتحمونَ به من الظُّلم والعَسْف، ويقلِبُون لهم الباطل حقاً ـ قاتلهم الله ـ أو يسكتون مع القُدْرةِ على بيان الحقِّ.

[٢]الوليد بن مَزْيَد: سمعتُ الأوزاعي يقول: إنَّ المؤمن يقولُ قليلاً، ويعملُ كثيراً، وإنَّ المنافقَ يتكلَّمُ كثيراً، ويعملُ قليلاً.

[٣]العبَّاس بن الوليد بن مزيد: سمعتُ عُقبَة بن عَلقَمة قال: سببُ موت الأوزاعي أَنَّه اخْتَضَب، ودخلَ الحمام الذي في منزِله، وأدخلت معه امرأتُه كانوناً فيه فحْمٌ لئلا يُصيبَه البردُ، وأغلقت عليه من برًّا، فلما هاج الفحمُ، ضَعُفَت نفسه وعالج البابَ ليفتَحه، فامتنع عليه، فألقى نفسه، فوجدناه موسِّداً ذِراعه إلى القبلة.

[٤]قال العبَّاس بن الوليد: وحدثني سالم بن المنذر قال: لما سمعتُ الضَّجَّة بوفاة الأوزاعي خرجت، فأول من رأيت نصرانياً، قد ذرَّ على رأسه الرَّماد فلم يزل المسلمون من أهل بيروت يعرفُون له ذلك، وخرجنا في جِنازته أربعة أمم: فحملَه

---

(١) يقال: أبسل نفسه للموت، واستبسل: إذا وطَّن نفسه عليه واستيقنه.

(٢) إنَّما الأعمال بالنيَّات.

المسلمون، وخرجت اليهودُ في ناحِية، والنصارى في ناحية، والقبطُ في ناحية.

مات سنة سبع وخمسين ومئَة.

[١] الوليد بن مسلم: سمعتُ صَدَقة بن عبدالله يقول: ما رأيتُ أحداً أحلمَ ولا أكملَ ولا أحْمَلَ فيما حمل مِن الأوزاعي.

[٢] موسى بن أعين: قال الأوزاعي: كنا نضْحك ونمزَح، فلما صِرنا يُقتدى بنا خشيتُ أن لا يسعنا التَّبَسُّم.

[٣] ذكر بعض الحفاظ أن حديث الأوزاعي نحوُ من الألف ـ يعني المسند ـ أما المُرسَل والموقوف، فألوف. وهو في الشاميين نظير مَعْمَر لليمانيين، ونظير الثَّوريِّ للكوفيين، ونظير مالك للمدنيين، ونظير الليث للمصريين، ونظير حمَّاد بن سلَمة للبصريين.

٣٣٧ ابن أبي ذِئْب (ع)(١)

[٤] محمد بن عبدالرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب واسم أبي ذئب: هشام بن شُعبة ـ الإمامُ شيخُ الإسلام أبو الحارث القُرشَي العامري المَدَنِي الفقيه.

[٥] قال أحمد بن حنبل: كان يُشبَّه بسعيد بن المُسيِّب، فقيل لأحمد خَلَّف مثله؟ قال: لا. ثم قال: كان أفضلَ من مالك، إلا أن مالكاً رحمه الله ـ أشدُّ تنقية للرجال منه.

قلت: وهو أقدمُ لُقيا للكبار مِن مالك، ولكن مالكاً أوسعُ دائرة في العلم، والفُتْيا، والحديث، والإتقان منه بكثير.

[٦] قال الواقدي تلميذُه: وكان يُصلي الليل أجمع ويجتهد في العبادة، ولو قيل له: إن القيامة تقوم غداً ما كان فيه مَزِيْدٌ من الاجتهاد.

[٧] أخبرني أخوه قال: كان أخي يصوم يوماً ويُفطِرُ يوماً، ثم سرد الصَّوم، وكان شديد الحال، يتعشَّى الخبز والزَّيت، وله قميص وطَيْلَسان، يشتو فيه ويصيف. قال:

(١) انظر السير: ٧/١٣٩ـ ١٤٩.

وكان من رجال النَّاس صرامةً وقولاً بالحق، وكان يحفظ حديثَه، لم يكن له كتاب، وكان يروح إلى الجمعة باكراً، فيُصلي إلى أن يخرج الإمامُ. ورأيتُه يأتي دار أجداده عند الصَّفا فيأخذ كِراءَها، وكان لايُغيِّر شيبَه.

[١]وفي (مسند) الشافعي سماعَنا أخبرني أبو حنيفة بن سِماك، حدثني ابن أبي ذئب عن المَقْبري عن أبي شُريح أن رسول الله ﷺ قال: مَن قُتِل لهُ قَتِيل فهو بخير النَّظَرَيْن: إن أَحَب أَخَذ العَقلَ وإن أحب فلهُ القَوَدُ.

[٢]قُلت لابن أبي ذئب: أتأخذ بهذا؟ فضربَ صدري، وصاح كثيراً، ونال مني، وقال: أُحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول: تأخذ به، نعم آخذُ به، وذلك الفرض عليَّ، وعلَى كل من سمعه. إن الله اختار محمداً ﷺ من الناس فهدَاهم به، وعلى يديه، فعلى الخلق أن يتَّبعوه طائعين أو داخِرين، لا مخرج لمسلم من ذلك.

[٣]قال أحمد بن حنبل: بلغ ابن أبي ذئب أن مالكاً لم يأخذ بحديث (البَيِّعَان بالخِيَارِ) فقال: يُستتابُ، فإن تابَ، وإلا ضُربت عنقُه. ثم قال أحمد: هو أورعُ وأقْولُ بالحق من مالك.

[٤]قلت: لو كان وَرِعاً كما ينبغي، لما قال هذا الكلامَ القبيحَ في حقّ إمام عظيم. فمالك إنما لم يعمل بظاهر الحديث، لأنه رآه منسوخاً.

[٥]وقيل: عمل به وحَمَل قوله: «حَتَّى يَتَفَرَّقا» على التلفظ بالإيجاب والقَبول، فمالكٌ في هذا الحديث، وفي كلِّ حديث له أجرٌ ولابدَّ، فإنْ أصاب، ازداد أجراً آخر، وإنَّما يرى السَّيف على من أخطأ في اجتهاده الحروريَّةُ(١). وبكل حال فكلامُ الأقران بعضُهم في بعض لا يُعَوَّل على كثير منه، فلا نَقَصَت جلالةُ مالك بقولِ ابن أبي ذئب فيه، ولا ضَعَّف العلماءُ ابن أبي ذئب بمقالته هذه، بل هما عالماً المدينة في زمانهما ـ رضي الله عنهما ـ ولم يسندها الإمام أحمد فلعلها لم تصح.

[٦]قال أحمد بن حنبل: ابن أبي ذئب ثقة. قد دخل على أبي جعفر المنصور فلم

(١) الحرورِيةُ: هم الخوارج، ونسبتهم هذه إلى: حروراء، وهو موضع بظاهر الكوفة وبه كان أول اجتماعهم وتحكيمهم حين خالفوا علياً ـ رضي الله عنه ـ وخرجوا عليه.

يَهُلْهُ أن قال له الحق. وقال: الظُّلم ببابك فاشٍ، وأبو جعفر أبو جعفر.

قدِم ابن أبي ذئب بغداد، فحملوا عنه العلم، وأجازه المهدي بذهب جيِّد، ثم رُدَّ إلى بلاده، فأدركه الأجَل بالكوفة، غريباً، وذاك في سنة تسع وخمسين ومئة.

٣٣٨ هِشَام الدَّسْتُوائي (ع)[١]

[١] **هو الحافظ الحجة الإمام الصَّادق أبو بكر هشام بن أبي عبدالله سَنْبَر البصري الرَّبَعي، مولاهم. صاحب الثياب الدَّسْتُوائية.**

[٢] كان يتجر في القماش الذي يجلب من دَسْتُوا ولذا قيل له: صاحب الدَّسْتُوَائي. ودستوا بُليدة من أعمال الأهواز.

[٣] قال العجلي: هشام بصري ثقة، ثبت في الحديث، كان أروى النَّاس عن ثلاثة: قتادة وحمَّاد بن أبي سُليم، ويحيى بن أبي كثير، وكان يقول بالقدَر ولم يكن يدعو إليه.

[٤] عن عُبيد الله العَيْشي قال: كان هشام الدَّسْتُوائي إذا فقد السِّراج من بيته، يتململُ على فراشه، فكانت امرأته تأتيه بالسِّراج. فقالت له في ذلك، فقال: إني إذا فقدتْ السِّراج، ذكرتُ ظُلمة القبر.

[٥] قال عون بن عُمارة: سمعت هشاماً الدَّستُوائي يقول: والله ما أستطيع أن أقول: إني ذهبتُ يوماً قطُّ أطلبُ الحديث أُريدُ به وجهَ الله عز وجل.

[٦] قلت: والله ولا أنا. فقد كان السَّلَفُ يطلبون العلم لله فَنَبلوا، وصاروا أئمةً يُقتدى بهم، وطلبه قومٌ منهم أولاً لا لله، وحصَّلوه، ثم استفاقوا، وحاسبوا أنفسهم، فجرَّهم العلم إلى الإخلاص في أثناء الطَّريق، كما قال مُجاهد وغيره: طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبيرُ نيَّة، ثم رزق الله النيةَ بعدُ، وبعضهم يقولُ: طلبنا هذا العلم لغير الله فأبى أن يكونَ إلا لله. فهذا أيضاً حسن. ثم نشروه بِنيَّةٍ صالحة.

[٧] وقومٌ طلبوه بِنيَّة فاسدة لأجل الدُّنيا وليُثْنَى عليهم فلهم ما نووا: قال: عليه

---

(١) انظر السير: ٧/١٤٩-١٥٦.

السلام: «من غَزا ينوي عِقالاً فلهُ ما نَوَى»(1). وترى هذا الضرب لم يستضيؤوا بنورِ العلم ولا لهم وقعٌ في النُّفوس، ولا لِعلمهم كبيرُ نتيجة من العمل، وإنما العالِمُ من يخشى الله تعالى.

[1] وقومٌ نالوا العلم ووَلُوا به المناصِبَ، فظلموا، وتركوا التَّقيُّد بالعلم، وركبوا الكبائر والفواحش، فتباً لهم، فما هؤلاء بعلماء.

[2] وبعضهم لم يتَّق الله في علمه، بل ركب الحيل، وأفتى بالرُّخص وروى الشَّاذَّ من الأخبار، وبعضهم اجترأ على الله، ووضع الأحاديث، فَهَتَكَه اللهُ، وذهب علمه، وصار زاده إلى النار. وهؤلاء الأقسام كلهم رَوَوا من العلم شيئاً كبيراً وتضلَّعوا منه في الجملة. فخَلَف من بعدهم خَلْفٌ بَانَ نقصُهم في العلم والعمل، وتلاهم قومٌ انتموا إلى العلم في الظاهر، ولم يُتقِنوا منه سوى نزْرٍ يسيرٍ، أوْهموا به أنهم علماء فضلاء ولم يَدُر في أذهانهم قطُّ أنهم يتقرَّبون به إلى الله، لأنهم ما رأوا شيخاً يُقتدى به في العلم، فصاروا همجاً رَعاعاً، غاية المدرِّس منهم أن يحصل كتباً مُثمَّنَة يخزُنها وينظرُ فيها يوماً ما، فيصحِّف ما يُورده ولا يُقَرِّره، فنسأل الله النَّجاة والعفو، كما قال بعضهم: ما أنا عالمٌ ولا رأيت عالماً.

قال معاذ بن هشام: مَكثَ أبي ـ يعني عاش ـ ثمانياً وسبعين سنة.

قُلت: فهذا يدل على أنه أسنُّ من أبي حنيفة وشُعبة، وأنه وُلد في حياة جابر بن عبدالله وطائفة من الصحابة.

قُلت: حديثه في الدواوين كلِّها إلا (الموطَّأ).

٣٣٩ مِسْعَر (ع) (2)

[3] مِسْعَرُ بنُ كِدَام بن ظُهَيْر الإمام الثبْت شيخ العراق أبو سَلَمة الهلاليُّ الكوفيُّ

---

(1) أخرجه أحمد: ٥/٣١٥، والدارمي: ٢/٢٠٨، والنسائي: ٦/٢٤، من حديث عبادة بن الصامت، مرفوعاً، بلفظ: «من غزا في سبيل الله، ولم ينوِ إلَّا عقالاً، فله ما نوى»، وفي سنده يحيى بن الوليد بن عبادة بن الصامت، لم يوثقه غير ابن حبان، وباقي رجاله ثقات.

(2) انظر السير: ٧/١٦٣-١٧٣.

الأحول الحافظ من أسنان شُعْبة.

[١] وقال أحمد بن حنبل: الثِّقة كشُعبة ومِسْعَر.

[٢] وقال وكيع: شَكُّ مسعر كيَقين غيره.

وروى عن الحسن بن عُمارة قال: إن لم يدخل الجَنَّة إلا مثلُ مسعر، إن أهلَ الجنة لقليل.

[٣] عن خالد بن عَمرو قال: رأيتُ مسعراً كأن جبهتَه رُكبةُ عَنْز من السُّجود، وكان إذا نَظر إليك حسبت أنه ينظر إلى الحائط من شدة حؤولته.

[٤] وقال مسعر: من صَبَرَ على الخلِّ والبقْل، لم يُسْتَعْبَدْ.

[٥] قال سُفيان بن عُيينة: قال معن: ما رأيتُ مِسعراً في يوم إلا وهو أفضل من اليوم الذي كان بالأمس. وقال محمد بن سعد: كان لمِسعر أُمٌّ عابدَةٌ، فكان يخدُمُها. وكان مرجئاً(١)، فمات فلم يشهده سُفيان الثَّوريُّ والحسنُ ابن صالح.

قال شُعبة بن الحجاج: كُنا نسمِي مِسعراً: المُصْحَف ـ يعني من إتقانه.

ورُوي عن عبدالله بن داود الخُرَيبي قال: ما من أحد إلا وقد أُخِذَ عليه إلا مِسعر.

[٦] ومما كان مِسعر يُنشده له أو لغيره:

نَهارُكَ يا مَغْرُورُ سَهْوٌ وغَفْلَةٌ ... وَلَيْلُكَ نومٌ، والرَّدَى لك لازِمُ

وتتعب فيما سوف تَكرَهُ غِبَّهُ ... كَذَلِكَ في الدُّنيا تعيشُ البَهَائِمُ

[٧] قال أبو أُسامة: سمعتُ مسعراً يقولُ: إن هذا الحديثَ يصُدُّكم عن ذكر الله وعن الصَّلاة، فهل أنتم مُنْتَهون؟

---

(١) قد يطلق الإرجاء على أهل السنة والجماعة من مخالفيهم المعتزلة الذين يزعمون تخليد صاحب الكبيرة في النار، لأنهم لايقطعون بعقاب الفسّاق الذين يرتكبون الكبائر، ويفوضون أمرهم إلى الله: إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم، ويطلق على من يقول بعدم دخول الأعمال في الإيمان، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ـ وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه ـ من جانب المحدثين القائلين بدخول الأعمال في مسمى الإيمان، وأنه يزيد وينقص. ويطلق على من يقول الإيمان هو معرفة الله، ويجعل ما سوى الإيمان من الطاعات، وما سوى الكفر من المعاصي غير مضرة ولا نافعة. وهذا القسم الأخير من الإرجاء هو المذموم صاحبه، المتهم في دينه.

وقد قال المؤلف في ميزانه ٤/٩٩ «مسعر بن كدام حجة إمام، ولا عبرة بقول السليماني: كان من المرجئة، مسعر، حماد بن أبي سليمان، والنعمان، وعمرو بن مرة، وعبدالعزيز بن أبي رواد، وأبي معاوية، وعمرو بن ذر. . .، وسرد جماعة. قلت: الإرجاء مذهب لعدة من جلة العلماء لا ينبغي التحامل على قائله».

[١] قُلت: هذه مسـألـةٌ مُختلف فيهـا: هل طَلَبُ العلم أفضلُ، أو صلاةُ النَّافلة والتـلاوة والـذِّكر؟ فأما من كان مخلصاً لله في طلب العلم، وذهنُه جيد، فالعلم أولى، ولكن مع حَظٍّ من صلاة وتَعَبُّدٍ، فإن رأيته مُجِدّاً في طلب العلم لاحظَّ له في القُربات، فهذا كسلان مَهين، وليس هو بصادق في حسن نيته، وأما من كان طلبُه الحـديث والفقه غِيَّةً ومحبَّةً نفسانية فالعبادة في حقه أفضل، بل ما بينهما أَفْعلُ تفضيلٍ، وهذا تقسيمٌ في الجملة، فقلَّ ـ والله ـ من رأيتُه مخلصاً في طلب العلم، دعنا مِن هذا كُلِّه. فليس طلبُ الحديث اليوم على الوضع المتعارف من حيِّز طلب العلم، بل اصطلاحٌ وطلبُ أسانيد عالية. وأخذ عن شيخ لا يعي، وتسميع لطفل يلعب ولا يفهم، أو لرضيع يبكي. أو لفقيه يتحدَّث مع حَدَثٍ، أو لآخر ينسخ. وفـاضلُهم مشغـول عن الحديث بكتابة الأسماء أو بالنُّعاس، والقارئ إن كانَ لهُ مشاركة فليس عنده من الفضيلة أكثرُ من قراءة مافي الجزء، سواء تصحَّف عليه الاسمُ، أو اختبط المتن، أو كان من الموضوعات. فالعلم عن هؤلاء بمعْزِلٍ، والعمل لا أكادُ أراه. بل أرى أموراً سيِّئة، نسأل الله العفو.

[٢] قال ابن السماك: رأيتُ مسعراً في النَّوم، فقلت: أي العمل وجدتَ أنفع؟ قال: ذِكر الله. توفي سنة خمس وخمسين ومئة.

[٣] قال جعفر بن عون: سمعت مسعراً ينشد:

ومُشَيِّدٍ داراً لِيَسْكُنَ دارهُ ... سكن القُبُورَ ودَارُهُ لم تُسكَنِ

[٤] قال جعفر بن عَون: سمعت مسعراً يُوصي ولدَه كِداماً:

إني منحتُكَ يا كِدَامُ نَصِيحَتي ... فاسمَعْ مَقَالَ أبٍ عَلَيكَ شَفِيْقِ
أَمَّا المُزَاحةُ والمِراءُ فَدَعْهُما ... خُلُقَان لا أَرْضَاهُما لِصديقِ
إني بلوتُهُما فلم أَحْمَدهُما ... لمجاورٍ جاراً ولا لِرَفيقِ
والجَهْل يُزري بالفَتَى في قَوْمِهِ ... وعُرُوقُه في النَّـاسِ أيُّ عُرُوقِ

وهذان البيـتان أظُنُّهما لابن المبارك:

من كان ملتمِساً جَلِيْساً صالحاً ... فَلْيَأْتِ حَلْقَةَ مِسْعَر بن كِدامِ
فيها السكينَةُ والوقار، وأَهْلُها ... أهلُ العفافِ وعِليةُ الأقوامِ

٣٤٠ عَبْد الواحد بنُ زيد(١)

[١] **الزَّاهد، القُدوة، شيخ العُبَّاد، أبو عُبَيْدة البصري.**

وقال ابن حِبَّان: كان ممن غلب عليه العِبادة، حتى غفل عن الإتقان، فكثرت المناكير في حديثه.

[٢] قال ابن أبي الحواري: قال لي أبو سليمان: أصاب عبدَ الواحد الفالجُ، فسألَ الله أن يُطْلِقَه في وقت الوضوء، فكان إذا أراد الوضوءَ انطلق، وإذا رجع إلى سريره فلَج.

[٣] وعن رجل قال: وَعَظَ عبدُ الواحد، فنادى رجل: كُفَّ، فقد كشفت قِناع قلبي. فما الْتفَتَ، ومرَّ في الموعظة، فَحَشْرَجَ(٢) الرَّجُل، ومات فشهِدْتُ جِنازته.

[٤] وقال مِسْمَع بن عاصم: شهدت عبدالواحد يعظُ، فمات في المجلس أربعة.

[٥] وعن حُصيْن الوزَّان قال: لو قُسم بثُّ(٣) عبدالواحد على أهل البصرة لوسعهم. وكان يقوم إلى مِحرابه كأنه رجل مخاطب.

[٦] وعن محمد بن عبدالله الخُزاعي قال: صلَّى عبدُ الواحد بن زيد الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة.

مات بعد الخمسين ومئة.

٣٤١ عبدُ الرحمن بن شُرَيْح (ع)(٤)

[٧] **الإمام القُدوة، الربَّاني، أبو شُرَيح المعافري الإسكندراني، العابد وكان متألِّهاً، زاهداً، مقبلاً على شأنه.**

[٨] محمد بن عُبادة المعافري، قال: كُنَّا عند أبي شُرَيْح ـ رحمه الله ـ فكثرت المسائل، فقال: قد دَرِنَتْ قُلُوبُكم، فقوموا إلى خالد بن حُمَيد المهري استَقِلُّوا

(١) انظر السير: ٧/١٧٨ـ ١٨٠.

(٢) الحشرجة: الغرغرة عند الموت، وتردد النفس.

(٣) البث: الحزن والغم الذي تفضي به إلى صاحبك، قال ابن الأثير: البث في الأصل: شدة الحزن، والمرض الشديد، كأنه من شدته يبثه صاحبه.

(٤) انظر السير: ٧/١٨٢ـ ١٨٤.

قلوبكم، وتعلَّموا هذه الرغائبَ والرقائق فإنها تُجدِّد العِبادة، وتُورث الزهادة، وتجر الصَّداقة، وأقِلُّوا المسائل، فإنها في غير ما نزل تُقسِّي القلب، وتُورِث العداوة.

[١] قلت: صدق والله، فما الظنُّ إذا كانت مسائل الأصول، ولوازم الكلام في معارضة النَّص، فكيف إذا كانت مِن تشكيكات المنطق، وقواعد الحكمة، ودين الأوائل؟! فكيفَ إذا كانت من حقائق «الاتحادِيَّة»(١) وزندقة «السبعينية»(٢) ومرق «الباطنية»(٣)؟! فواغُربتاه ويافِلَّة ناصراه، آمنتُ بالله، ولا قُوة إلا بالله.

مات أبو شُرَيْح سنة سبع وستين ومئة، وكان من أبناء السَّبعين، ومن العلماء العاملين.

٣٤٢ شُعْبَة (ع)(٤)

[٢] ابن الحجَّاج بن الوَرد، الإمامُ الحافظ، أمير المؤمنين في الحديث أبو بِسطام الأزدي العَتَكي، مولاهم الواسطي، عالم أهل البصرة وشيخُها.

وكان من أوعية العلم، لا يتقدَّمه أحد في الحديث في زمانه، وهو من نظراء

---

(١) وهم الذين يقولون بوحدة الوجود وهو مذهب باطل، يُعري القائل به من الإسلام، لأنه يعدالله والوجود شيئاً واحداً وأن الله موجود في كل موجود وأن ما نحسه ونشهده هو الله في صورة العالم كما قال:

نحن المظاهر والمعبود ظاهرنا ومظهر الكون عين الكون فاعتبروا
ولست أعبده إلا بصورته فهو الإله الذي في طيه البشر

راجع: «موقف العلم والعالم» لمصطفى صبري، الجزء الثالث منه، فإنه قد توسع في بيان هذا المذهب والقائلين به، ونقده.

(٢) السبعينية: فرقة نسبت إلى رئيسها: عبدالحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الإشبيلي المرسي، المتوفى سنة (٦٦٩هـ) وهو من القائلين بوحدة الوجود. قال ابن دقيق العيد: جلست مع ابن سبعين من ضحوة إلى قريب الظهر، وهو يسرد كلاماً تعقل مفرداته ولا تعقل مركباته، واشتُهر عنه أنه قال: لقد تحجر ابن آمنة واسعاً بقوله: «لا نبي بعدي» وكان يقول في الله عز وجل: إنه حقيقة الموجودات. وقد فصد بمكة فترك الدم يجري حتى مات نزفاً. انظر ترجمته: «عِبر الذهبي» ٥/٢٩١، «لسان الميزان» ٣/٣٩٢، «النجوم الزاهرة»: ٢/١٩٦-٢٠٥.

(٣) الباطنية: دعوة ظهرت أولا في زمان المأمون، وانتشرت في زمان المعتصم، وذكر أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم ولم يجسُروا على إظهاره خوفاً من سيوف المسلمين، ومنهم: ميمون بن ديصان المعروف بالقداح، ومحمد بن الحسين الملقب بدندان، ثم حمدان قرمط وأبو سعيد الجنابي. انظر «الفَرق بين الفرق»: ٢٨٢.

(٤) انظر السير: ٧/٢٠٢-٢٢٨.

الأوزاعي ومعمر والثوري في الكثرة. قال علي بن المَدِيني: له نحو من ألفي حديث.

قلت: ما أظنُّه إلا يروي أكثر من ذلك بكثير.

قيل: وُلد سنة ثمانين في دولة عبدالملك بن مروان. روى عنه عالَم عظيم، وانتشر حديثه في الآفاق.

[١]وكان أبو بِسْطام إماماً ثبتاً حجة، ناقداً، جِهْبِذاً، صالحاً، زاهداً قانعاً بالقوت، رأساً في العلم والعمل، منقطعَ القرين، وهو أول من جَرَّح وعدَّل، أخذ عنه هذا الشأن يحيى بن سعيد القطان، وابن مهدي وطائفة، وكان سفيان الثوري يخضع له ويجلُّه، ويقول: شُعبةُ أمير المؤمنين في الحديث.

وقال الشافعي: لولا شُعبة لما عُرف الحديث بالعراق.

[٢]قال البغوي: حدَّثني جَدِّي أحمد بن مَنِيع: سمعت أبا قطن يقول: ما رأيت شُعبة ركع قطُّ إلا ظننت أنه نَسِي، ولا قعد بين السَّجدتين إلا ظننت أنه نَسِي.

[٣]قال أبو بَحر البكراوي: ما رأيت أحداً أعبدَ لله من شُعبة، لقد عَبَدَ الله حتى جفَّ جلدُه على عظمه واسودَّ.

[٤]قال يحيى القطان: كان شُعبة من أرقِّ النَّاس، يعطي السَّائل ما أمكنه.

[٥]قال النضر بن شُمَيْل: ما رأيتُ أرحمَ بمسكين من شُعبة.

[٦]وقال يحيى بن مَعين: شعبة إمام المتَّقين، وقال أبو زيد الأنصاري: هل العلماء إلا شعبةٌ من شُعبة.

[٧]ابن مهدي: سمعت شُعبة يقولُ؛ إنَّ هذا الحديث يَصُدُّكم عن ذكر الله وعن الصلاة، وعن صِلَةِ الرَّحم، فهل أنتم منتهون.

[٨]قال الشافعي: كان شُعبة يجيئ إلى الرَّجل (يعني الذي ليس أهلا للحديث) فيقول: لا تحدِّث، وإلا استعديتُ عليك السلطان.

[٩]قال مُسلم بن إبراهيم: كان شُعبةُ إذا قام سائل في مجلسه لايُحدث حتى يُعْطَى أو يُضْمن له.

[١] قال أبو زُرعة: سمعتُ مقاتلاً ـ هو ابن محمد ـ يقولُ: سمعتُ وَكيعاً يقول: إني لأرجو أن يرفع الله لشُعبةَ درجات في الجَنَّة بذَبِّه عن رسول الله ﷺ.

[٢] وروي عن عبدالقدُّوس بن محمد الحبحابي: سمعتُ أبي يقول: لما مات شُعبةُ أُريتُه بعد سبعة أيام، وهو آخذ بيد مِسعر، وعليهما قميصا نور، فقلت: يا أبا بِسْطَام! ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قلت: بماذا؟ قال: بصدقي في رواية الحديث، ونشري له، وأدائي الأمانةَ فيه، ثم أنشأ يقول:

حَبَاني إلهي في الجِنَان بقُبَّةٍ ... لها ألفُ باب من لُجَيْن وجَوْهَرُ
شَرَابي رَحِيقٌ في الجِنَانِ وحِلْيَتي ... من الذهب الإبريز والتَّاج أزهرُ
ونَقْلِي[١] لِثَامُ الحورِ والله خَصَّني ... بقَصْرِ عَقِيقٍ، تُرْبَةُ القصرِ عَنْبَرُ
وقال لِيَ الرَّحمـٰنُ يا شُعبة الذَّي ... تَبَحَّرَ في جمع العلوم فأكثر
تَنَعَّمْ بقربي إنَّني عَنك رَاضِي ... وعَن عبدِيَ القَوَّام بالليل مِسْعَرُ
كفى مِسْعَراً عِزاً بأن سَيَزورُني ... فأكِشفُ حُجْبي ثم أُدنيه ينظُرُ[٢]

[٣] قال سلم بن قُتَيْبَة: ربُما سمعتُ شُعبة يقول لأصحاب الحديث: يا قوم! إنكم كلما تقدَّمتم في الحديث تأخرتُم في القرآن.

[٤] عن النضر بن شُمَيْل: سمعتُ شعبة يقولُ: تعالوا نغتابَ في الله. يريد الكلام في الشُّيوخ.

[٥] روي عن شعبة، قال: سميت ابني سعداً، فما سَعِدَ ولا أَفْلح.

وفاة شُعبة سنة ستين ومئة بالبصرة.

٣٤٣ سُفيـان (ع)[٣]

[٦] ابن سعيد بن مَسْروق، شيخ الإسلام، إمام الحُفَّاظ، سيِّدُ العلماء العاملين في زمانه، أبو عبدالله الثوري الكوفيُّ المجتهد، مصنف كتاب «الجامع».

(١) النقل: ما يتنقل به مثل الفستق والبزر وما إليهما على الشراب.

(٢) في القصيدة إقواء ظاهر، وضرورة في قوله: «راضي».

(٣) انظر السير: ٧/٢٢٩ـ ٢٧٩.

[١]وُلد سنة سبع وتسعين اتِّفاقاً، وطلب العلمَ وهو حَدَث باعتناء والده المحدِّث الصَّادق: سعيد بن مَسْروق الثوري.
[٢]قال يحيى بن أيُّوب العابد: حدَّثنا أبو المثنَّى قال: سمعتُهم بمَرْو يقولون: قد جاء الثوريُّ، فخرجتُ أنظر إليه، فإذا هو غلام قد بَقَلَ وجهُه (١).
[٣]عن سُفيان، قال: ما استودعتُ قلبي شيئاً قطُّ فخانني.
[٤]وقال البراء بن رتيم: سمعتُ يونُس بن عُبَيْد يقول: ما رأيتُ أفضلَ من سُفيان. فقيل له: فقد رأيتَ سعيد بن جُبَيْر، وإبراهيم وعطاء، ومجاهداً، وتقول هذا؟! قال: هو ما أقول، ما رأيتُ أفضلَ مِن سُفيان.

وقال عبَّاس الدُّوري: رأيتُ يحيى بن معين، لا يُقدِّم على سفيان أحداً في زمانه، في الفقه والحديث والزُّهد وكلِّ شيءٍ.
[٥]وقال ابن مَهدي: رأى أبو إسحاق السَّبيعي سُفيان الثَّوري مُقْبلاً: فقال: ﴿وآتيناهُ الحُكْمَ صَبِيّاً﴾ [مريم ١٢].

وعن ابن عُيينة قال: ما رأيتُ رجلاً أعلم بالحلال والحرام مِن سفيان الثوري.
[٦] وعن ابن المبارك قال: ما نُعِتَ لي أحد، فرأيتُه إلا وجدتُه دون نعته، إلا سفيان الثَّوري.

وقال ابن عرعرة: سمعت يحيى بن سعيد يقول: سُفيانُ أثبتُ من شعبة، وأعلم بالرِّجال.

[٧]وقال بشر الحافي: كان الثَّوري عندنا إمام النَّاس. وعنه قال: سفيان في زمانه كأبي بكر وعمرَ في زمانهما.
[٨] وعن شُعيب بن حرب قال: إني لأحسب أنه يجاء غداً بسفيان حجةً من الله على خلقه يقول لهم: لم تُدركوا نبيكم، قد رأيتُم سفيان.

قال شعبة: إن سفيان ساد الناس بالورع والعلم.
[٩]وقال قبِيصة: ما جلست مع سفيان مجلساً إلا ذكرتُ الموت، ما رأيت أحداً كان

(١) بقل وجهه، وأبقل: خرج شعره.

أكثر ذكراً للموت منه.

[١]عن يُوسف بن أسباط: قال لي سُفيان بعد العشاء: ناولني المِطْهَرَة[1] أتوضأ فناولته فأخذها بيمينه ووضع يسارَه على خَدِّه فبقي مفكراً، ونمتُ، ثم قمتُ وقت الفجر، فإذا المِطهرة في يده كما هي فقلت: هذا الفجر قد طلع فقال: لم أزل منذ ناولتني المِطهرة أتفكر في الآخرة حَتى السَّاعة.

[٢]وقال روَّاد بن الجرَّاح: سمعت الثَّوري يقولُ: كان المالُ فيما مضى يُكره، فأما اليوم، فهو تُرْس المؤمِن.

[٣]ونظر إليه رجل وفي يَدِه دنانير، فقال: يا أبا عبدالله! تُمسِكُ هذه الدنانير!؟ قال: اسكُتْ، فلولاها لتمندَلَ بنا الملوكُ.

قلت: قد كان سُفيان رأساً في الزُّهد، والتألُّه، والخوف، رأساً في الحفظ، رأساً في معرفة الآثار، رأساً في الفقه، لا يخافُ في الله لومة لائم، من أئمة الدين واغتُفِر له غير مسألة اجتهَد فيها، وفيه تَشَيُّع يسير، كان يُثَلِّث بعلي[2] وهو على مذهب بلده أيضاً في النَّبيذ، ويقال: رجع عن كل ذلك، وكان ينكر على الملوك، ولا يرى الخروجَ أصلاً، وكان يُدلِّس في روايته، وربما دلَّس عن الضُّعفاء، وكان سُفيان بن عُيينة مدَلِّساً، لكن ما عُرف له تدليس عن ضعيف.

[٤]عن عبدالله بن خُبَيق، قال يُوسُف بن أسباط: كان سُفيان إذا أخذ في ذكر الآخرة يبولُ الدَّمَ.

[٥]عبـد الرَّحمن بن مَهدي: سمعت سُفيان يقول: ما بلغني عن رسول الله ﷺ حديثٌ قَطُّ إلا عملتُ به ولو مَرَّة.

[٦]عن سُفيان، قال: إني لأرى الشئَ علَيَّ أن أتكلَّم فيه، فلا أفعل، فأبول دما.

[٧]أبو هِشام: حدَّثنا وَكِيع: سمعتُ سفيان يقول: ليس الزُّهد بأكل الغَليظ، ولبس الخشن، ولكنه قِصَرُ الأمل، وارتقابُ الموت.

---

(١) المطهرة: الإناء الذي يُتوضأ به، ويتطهر به.

(٢) أي: كان يقدم علياً على عثمان ـ رضي الله عنهما ـ في التفضيل.

[١]عن سفيان، قال: احذر سَخَط الله في ثلاث: احذر أن تُقصِّر فيما أمرك، واحذر أن يراك وأنت لا ترضى بما قَسَم لك، وأن تطلب شيئاً من الدُّنيا فلا تجده، أن تسخطَ على ربِّكَ.

[٢] وعن ابن شهاب الحَنَّاط قال: بعثَتْ أختُ سفيان بجِراب معي إلى سفيان، وهو بمكة، فيه كعك وخشكنان(١)، فقدمتُ، فسألت عنه، فقيل لي: ربما قعد عند الكعبة مما يلي الحنَّاطين، فأتيته، فوجدته مستلقياً فسلمت عليه، فلم يُسائلني تلك المساءلة، ولم يُسلم عليَّ كما كنت أعرفُه فقلت: إن أختكَ بعثت معي بجراب، فاستوى جالساً، وقال: عَجِّل بها. فكلَّمتُه في ذلك. قال: يا أبا شهاب! لا تلُمْني، فلي ثلاثةُ أيام لم أذُقْ فيها ذواقاً، فعذرته.

[٣]محمد بن يوسُف الفريابي، حدَّثنا أبي: سمعت سُفيان يقول: إن قوماً يقولون: لا نقول لأبي بكر وعُمر إلا خيراً، ولكن عَلِيٌّ أولى بالخلافة منهما. فمن قال ذلك، فقد خطَّأ أبا بكر وعُمر وعلياً والمهاجرين والأنصار، ولا أدري ترتفعُ مع هذا أعمالهم إلى السَّماء؟

[٤]وقال حفص بن غياث: قلت لسُفيان: يا أبا عبدالله! إنَّ النَّاس قد أكثروا في المهدي، فما تقولُ فيه؟ قال: إنْ مرَّ على بابك، فلا تكن فيه في شئ حتى يَجْتَمِعَ النَّاس عليه.

[٥]عن سُفيان: ﴿سَنستَدْرِجُهُم﴾ [الأعراف ١٨٢] و[القلم ٤٤] قال: نُسبغ عليهم النِّعم ونمنعهم الشُّكر.

[٦]قال خلف بن تميم: سمعت سُفيان يقول: من أحبَّ أفخاذ النساء لم يُفْلِحْ.

[٧]قال شجاع بن الوليد: كنت أحجُّ مع سُفيان، فما يكادُ لسانهُ يفترُ من الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، ذاهباً وراجعاً.

المُحاربي: سمعت الثَّوري يقول للغلام إذا رآه في الصَّف الأول: احتلمتَ؟

---

(١) دقيق القمح إذا عجن بشيرِج، وبُسط ومُليء بالسكر واللوز والفستق وماء الورد، وجمع وخبز.

فإنْ قال: لا. قال: تأخر.

قال عطاء بن مُسْلم: قال لي الثَّوري: إذا كنت بالشَّام، فاذكر مناقب علي، وإذا كنت بالكوفة، فاذكر مناقب أبي بكر وعمر.

[١] وعنه: من سمع ببدعة فلا يحكها لجلسائه، لا يُلقها في قلوبهم.

[٢] قُلت: أكثر أئمة السلف على هذا التحذير، يرون أن القلوب ضعيفة والشُّبَه خَطَّافة.

[٣] يُوسف بن أسباط: سمعت سُفيان يقول: ما رأيتُ الزُّهدَ في شيءٍ أقلَّ منه في الرِّئاسة، ترى الرجل يزهدُ في المطعم والمشرب والمالِ والثياب، فإن نوزع الرئاسة، حامى عليها، وعادى.

[٤] عن سفيان قال: أدخلت على المهدي بمِنى، فسلَّمْت عليه بالإمرة، فقال: أيُّها الرجل! طلبناك، فأعجزْتَنا، فالحمدُ لله الذي جاء بك، فارفع إلينا حاجتَك. فقلت: قد ملأتَ الأرض ظُلماً وجوراً، فاتّقِ الله، وليكن منك في ذلك عِبرة. فطأطأ رأسه. ثم قال: أرأيتَ إن لم أستطع دفعَه؟ قال: تُخلِّيه وغيرك. فطأطأ رأسه، ثم قال: ارفع إلينا حاجتَك. قلت: أبناءُ المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان بالبَاب، فاتق الله، وأوصِل إليهم حقوقهم. فطأطأ رأسه، فقال أبو عُبَيْد الله: أيُّها الرَّجل! ارفع إلينا حاجتَك. قلت: وما أرفع: حدثني إسماعيل بن أبي خالد، قال: حج عُمر، فقال لخازنه: كم أنفقت؟ قال: بضعةَ عشرَ درهماً. وإني أرى ها هنا أموراً لا تُطيقها الجِبَال.

[٥] قال عطاء الخفاف: ما لقيتُ سُفيان إلا باكياً، فقلت ما شأنُك؟ قال: أتخوَّف أن أكون في أمِّ الكتاب شقياً.

[٦] قال ابن وهب: رأيتُ الثوري في الحَرَم بعدالمغرب، صلَّى، ثمَّ سَجَدَ سجْدة، فلم يرفع حتى نودي بالعشاء.

[٧] علي بن عبدالعزيز، حدثنا عارم، قال: أتيتُ أبا منصور أعوده، فقال لي: بات سُفيان في هذا البيت، وكان هنا بلبل لابني، فقال: ما بالُ هذا محبوساً؟ لو خُلي عنه. قلت: هو لابني، وهو يَهَبُه لك. قال: لا، ولكن أعطيه ديناراً. قال: فأخذه،

فخلّى عنه، فكان يذهب ويرعى، فيجئ بالعشي، فيكون في ناحية البيت، فلما مات سُفيان، تبع جنازته، فكان يضطرب على قبره، ثم اختلف بعد ذلك ليالي إلى قبره، فكان ربما بات عليه، وربما رجع إلى البيت، ثم وجدوه ميتاً عند قبره، فدفن عنده.

[١] وعن سفيان: مَنْ سُرَّ بالدُّنيا، نُزِع خوفُ الآخرة من قلبه.

[٢] وعنه ﴿وَمُلْكاً كَبِيراً﴾ [الإنسان ٢٠] قال: استئذان الملائكةِ عليهم.

[٣] الفريابي: سمعتُ الأوزاعي وسُفيان يقولان: لما أُلقي دانيال في الجبِّ مع السِّباع، قال: إلهي! بالعار والخزي الذي أصبْنا سلَّطتَ علينا من لا يعرفك.

[٤] قال ضمرة: سمعت مالكاً يقول: إنما كانت العراق تَجيش علينا بالدراهم والثِّياب، ثم صارت تجِيْش علينا بسفيان الثَّوري، وكان سُفيان يقول: مالِكٌ ليس له حفظ.

[٥] قلت: هذا يقوله سفيان لقوة حافظته بكثرة حديثه ورحلته إلى الآفاق، وأما مالك، فله إتقان وفقْه، لا يُدرك شأوه فيه، وله حفظ تام، فرضي الله عنهما.

[٦] عن سُفيان قال: إني لأمر بالحائك، فأسد أذني مخافةَ أن أحفظَ ما يقول. قال القطان وعبدالرحمن: ما رأينا أحفظ من سُفيان.

[٧] وعنه: ينبغي للرجل أن يُكرِهَ وَلَدَهُ على العلم، فإنه مسؤول عنه.

[٨] عبدالصمد بن حسان: سمعتُ سفيان يقول: الإسناد سلاحُ المؤمن فمن لم يكن له سلاح، فبأي شيءٍ يُقاتِل؟

[٩] وقال معدان الذي يقول فيه ابن المبارك: هو من الأَبدال[١] سألت الثوري عن قوله ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [الحديد ٤] قال: علمه.

[١٠] وسئل سُفيان عن أحاديث الصِّفات، فقال: أَمِرُّوها كما جاءت.

[١١] وقال قَبِيْصة: كان سُفيان مَزَّاحاً، كنت أتأخر خلفه، مخافةَ أن يحيِّرني بمُزاحه.

---

(١) هم قوم من عباد الله الصالحين، يهتدون بكتاب الله وسنة رسوله الصحيحة، ويتصفون بحسن الخلق، وصدق الورع، وحسن النية، وسلامة الصدر، يستجيب الله دعاءهم، ولا يخيب رجاءهم، ورد في حقهم أحاديث عن النبي ﷺ أوردها السخاوي في «المقاصد الحسنة» ص ٨، ١٠ وتكلّم عليها، فراجعه.

[١] عن عيسى بن محمد: أن سُفيان كان يضحك حتى يستلقي ويمد رجليه.
[٢] وقال ابن مهدي: كنت أرمقُ سفيان في الليلة بعد الليلة، ينهض مَرْعوباً ينادي: النار، النار، شغلني ذكرُ النَّارِ عن النَّوم والشَّهوات.

[٣] وقال أبو نُعَيم: كان سُفيان إذا ذكر الموت لم يُنتفع به أياماً.
[٤] وعن يحيى بن المتوكل: قال سُفيان: إذا أثنى على الرجل جيرانه أجمعون، فهو رجل سوء، لأنه ربما رآهم يعصون، فلا ينكر، ويلقاهم ببشر.

[٥] وعن سُفيان، قال: إن هؤلاء الملوك قد تركوا لكم الآخرة، فاتركوا لهم الدُّنيا.
[٦] وعن ابن مَهدي، قال: مرض سُفيان بالبَطَن، فتوضأ تلك الليلة ستين مرة، حتى إذا عاين الأمر، نزل عن فراشه، فوضع خدَّه بالأرض، وقال: يا عبدالرَّحمن! ما أشد الموتَ، ولما مات غمضتُه، وجاء النَّاس في جوف الليل، وعلموا.
[٧] وقال عبدالرَّحمن: كان سُفيان يتمنَّى الموت لِيسلم من هؤلاء، فلما مرض كرهه، وقال لي: أقرأ عليَّ ﴿يس﴾ فإنه يقال: يخفَّف عن المريض فقرأتُ، فما فرغت حتى طُفئ.

وقيل: أخرج بجنازته على أهل البصرة بغتة. فشهده الخلق، وصلَّى عليه عبدالرحمن بن عبدالملك بن أبجر الكوفي، بوصيَّةٍ من سُفيان لصلاحه.
مات سنة إحدى وستين ومئة.
[٨] وقال سُعير بن الخِمس: رأيتُ سُفيان في المنام يطير من نخلة إلى نخلة وهو يقرأ ﴿الحمدُ لله الذي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ [الزمر ٧٤].
[٩] إبراهيم بن أعين، قال: رأيتُ سُفيان بن سعيد، فقلتُ: ما صنعتَ؟ قال: أنا مع السَّفَرَةِ الكرام البَرَرَة.

الطبقة السابعة

٣٤٤ نافع[1]

[١] **ابن أبي نُعيم، الإمام، حَبْر القرآن، أبو رُوَيْم، مولى جَعْونَةَ بن شَعوب الليثيّ، حليف حمزة عمِّ رسول الله ﷺ أصله أصبهاني.**

وُلد في خلافة عبدالملك بن مروان سنةَ بضع وسبعين، وجوَّد كتاب الله على عدة من التَّابعين.

قُلت: قد اشتُهِرَت تلاوته على خمسة: عبدالرحمن بن هُرمُز الأعرج، صاحب أبي هُرَيرة، وأبي جعفر يزيد بن القعقاع، أحد العَشَرة[٢]، وشَيْبة بن نِصَاح، ومُسلم ابن جُندب الهُذلي، ويزيد بن رُومان، وحمل هؤلاء عن أصحاب أُبَي بن كعب، وزيد بن ثابت، كما أوضحناه في «طبقات القُرَّاء» وصح أن الخمسة تَلَوا على مقرئ المدينة عبدالله بن عَيَّاش بن أبي ربيعة المخزوميّ صاحب أُبَي، وقيل: إنهم قرؤوا على أبي هُريرة أيضاً وعلى ابن عباس، وفيه احتمال، وقيل: إن مسلم بن جُندب قرأ على حَكيم بن حِزَام وابن عُمر.

[٢] قال مالك ـ رحمه الله ـ نافع إمام النَّاس في القراءة.

وقال سعيد بن منصور: سمعتُ مالكاً يقول: قراءة نافع سُنَّة.

[٣] عن نافع قال: أدركتُ عدَّة من التَّابعين، فنظرتُ إلى ما اجتمع عليه اثنانِ منهم، فأخذته، وما شَذَّ فيه واحد تركتُه، حتى أَلَّفتُ هذه القراءة.

[٤] ورُوي أن نافعاً كان إذا تكلَّم توجد من فيه ريح مسك، فسُئل عنه قال: رأيت النبي ﷺ في النَّوم تَفَلَ في فِيَّ.

وثَّقه ابن مَعِين، وقال أبو حاتم: صدوق.

[٥] ولَيَّنه أحمد بن حنبل ـ أعني في الحديث ـ أما في الحروف، فحجة بالاتِّفاق.

---

(١) انظر السير: ٧/٣٣٦ـ٣٣٨.

(٢) أي: أحد القراء العشرة.

وقيل: كان أسودَ اللون، وكان طيبَ الخُلُق، يُباسط أصحابه.

قُلت: ينبغي أن يُعدَّ حديثهُ حسناً، وباقي أخباره في «طبقات القُرَّاء»، وممن قرأ على هذا الإمام: مالكُ الإمام.

توفي سنة تسع وستين ومئة، قبل مالك بعشر سنين.

٣٤٥ فَتْحُ المَوصِلِي[١]

[١] **زاهدُ زمانه، فتح بن محمد بن وِشاح الأزدي الموصِلي، أحدُ الأولياء.**

وله أحوال ومقامات وقدم راسخ في التقوى.

عن المعافى، قال: لم أر أعقل منه. قيل: كان يوقِدُ في أُتُّون بعد ما كان يصيد السَّمك، فشغلته سمكةُ عن الجماعة، فتركه. وقد بعث إليه المعافى بألفٍ، فردها، وأخذ منها درهماً واحداً مع فقر أهله. وقيل: كان لا ينام إلا قاعداً. وكان بكَّاءً، خوَّافاً متهجداً. قيل: أتاه متولي المَوصل، فخرج ابنه وقال: هو نائم، فصاح: ما أنا نائماً، مالي ولك؟ قال: هذه عشرةُ آلاف خذها فأبى.

توفي سنة سبعين ومئة. وهذا هو فتح الموصلي الكبير.

أما الصغير(*)

فمن أقران بشر الحافي.

٣٤٦ الحسن بن صالح (م، ٤)[٢]

[٢] **ابن صالح بن حي، واسم حي: حَيَّان، الإمامُ الكبير أحدُ الأعلام أبو عبدالله الهمْداني الثَّوري الكوفي، الفقيه العابد، أخو الإمام علي بن صالح.**

قلتُ: هو من أئمة الإسلام، لولا تلبُّسه ببدعة.

وُلد سنة مئة.

---

(١) انظر السير: ٧/٣٤٩.

(٢) انظر السير: ٧/٣٦١-٣٧١.

[١]عن زافر بن سُليمان: أردت الحج، فقال لي الحسن بن صالح: إن لقيتَ أبا عبدالله سفيانَ الثوريَّ بمكةَ، فأقرِهِ مني السَّلام، وقل: أنا على الأمر الأول. فلقيت سُفيان في الطَّواف، فقلتُ: إن أخاك الحَسَنَ بنَ صالحٍ يقرأ عليك السَّلام، ويقول: أنا على الأمر الأول. قال: فما بالُ الجمعة؟

قلت: كان يترك الجمعة، ولا يراها خلف أئمةِ الجَوْر، بزعمه.

عن أحمد بن حنبل، قال: الحسن بن صالح صحيح الرواية، يتفقَّه، صائن لنفسه في الحديث والورع.

عن أحمد بن حنبل: قال وَكِيع: حدثنا الحسن، قيل: من الحسن؟ قال: الحسن بن صالح الذي لو رأيتَه ذكرتَ سعيد بن جُبَيْر، أو شبَّهْتَه بسعيد بن جُبير.

قُلت: بينهما قدر مشترك، وهو العلم والعبادة والخروج على الظَّلَمَة تديناً.

[٢]وقال يحيى بن أبي بكَير: قلت للحسن بن صالح: صف لنا غَسل الميت. فما قدر عليه مِن البكاء.

[٣] وكان من أئمة الاجتهاد، وقد قال وَكِيع: كان الحسن بن صالح وأخوه وأمهما قد جَزَّؤوا الليل ثلاثة أجزاء، فَكُلُّ واحدٍ يقوم ثلثاً، فماتت أُمُّهما، فاقتسما الليل، ثم ماتَ عليٌّ، فقام الحسنُ الليلَ كله.

[٤] وعن أبي سليمان الدراني قال: ما رأيتُ أحداً الخوفُ أظهر على وجهه والخشوع من الحسن بن صالح، قام ليلة: بـ ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ فغشي عليه، فلم يختمها إلى الفجر.

[٥] وقال الحسن بن صالح: ربما أصبحتُ وما معي درهم، وكأن الدُّنيا قد حِيزت لي.

[٦] وعن الحسن بن صالح، قال: إن الشَّيطانَ ليفتح للعبد تسعةً وتسعين باباً من الخير، يريد بها باباً من الشَّر.

[٧] قال وَكِيع: حسن بن صالح عندي إمام. فقيل له: إنه لا يترحَّم على عثمان. فقال: أفتترحَّم أنت على الحجَّاج؟

[١] قلتُ: لا بارك الله في هذا المثال. ومراده: أن ترك التَّرحُّم سكوت، والسَّاكت لا يُنسب إليه قول، ولكن مَن سكت عن ترحُّم مثل الشهيد أمير المؤمنين عثمان، فإن فيه شيئاً من تَشَيُّع، فمن نطق فيه بِغَضٍّ وتَنَقُّصٍ فهو شِيعي جَلْد يُؤدَّب، وإن تَرَقَّى إلى الشَّيخين بذم، فهو رافضي خبيث، وكذا من تعرض للإمام علي بذم، فهو ناصبي يُعَزَّر، فإن كفَّره فهو خارجي مارق، بل سبيلُنا أن نستغفر للكل ونحبَّهم، ونكفَّ عما شجر بينهم.

[٢] قال الحسن بن صالح: قال لي أخي ـ وكنت أصلي ـ يا أخي اسقني. قال: فلما قضيت صلاتي، أتيتُه بماء، فقال: قد شربت السَّاعة، قلت: من سقاك وليس في الغرفة غيري وغيرك؟ قال: أتاني السَّاعة جِبريل بماء، فسقاني وقال: أنت وأخوك وأمك مع الذين أنعم الله عليهم، وخرجتْ نَفْسُه.

[٣] قلتُ: كان يرى الحسن الخروجَ على أمراء زمانه لظلمهم وجَورهم، ولكن ما قاتل أبداً، وكان لا يرى الجمعةَ خلفَ الفاسِق.

[٤] قال عبدالله بن داود الخُرَيبي: ترك الحسن بن صالح الجمعةَ، فجاءَ فلان، فجعل يُناظره ليلةً إلى الصَّباح، فذهب الحسن إلى ترك الجمعة معهم، وإلى الخروج عليهم، وهذا مشهور عن الحسن بن صالح ودفع الله عنه أن يُؤخذ، فيقتل بدينه وعبادته.

مات الحسن بن صالح سنة تسع وستين ومئة.

قلتُ: عاش تسعاً وستين سنة، وكان هو وأخوه عَلِي توأماً.

٣٤٧ علي بن صالح بن حي (م، ٤)(١)

[٥] **الإمام القُدوة الكبير، أبو الحسن.**

وكان طلبه للعلم هو وأخوه معاً، ومات كهلاً قبل أخيه بمدة.

[٦] قال عبدالله بن موسى: سمعتُ الحسنَ بن صالح يقول: لما احتُضر أخي، رفع بصره، ثم قال: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم من النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداءِ

(١) انظر السير: ٧/ ٣٧١ـ ٣٧٢.

والصالِحينَ وحَسُنَ أولِئك رفيقاً﴾ [النساء ٦٩] ثم خرجت نفسُه، فنظرنا، فإذا ثقْبٌ في جنْبه قد وصل إلى جوفه، وما علم به أحد.

قلتُ: وكانا مُقرِئَيْن مُجوِّدَيْن للأداء. تلا عليٌّ على عاصم، ثم على حمزة، وتَصَدَّر للإقراء.

ولِعَلي حديث واحد في «صحيح» مسلم في حسن الخُلُق.

مات سنة أربع وخمسين ومئة.

ولم يدخل هذا في رأي أخيه من تَرْك جمعة ولا غيره.

٣٤٨ ابْرَاهِيْمُ بنُ طَهْمَان (ع)[١]

[١]**ابن شُعبة الإمام، عالم خُراسان، أبو سعيد الهَرَوي، نزيلُ نَيْسابور، ثم حرم الله تعالى.**

وُلد في آخر زمن الصَّحابة الصِّغار، وارتحل في طلب العلم.

[٢]وقال أبو داود: ثقة من أهل سَرْخَس، خرج يريدُ الحج، فقدم نَيْسابور، فوجدهم على قول جَهْم، فقال: الإقامةُ على هؤلاء أفضلُ من الحج فأقام• فنقلهم من قول جهم إلى الإرجاء.

[٣] وقال صالح بن محمد جَزَرَة: ثقة، حسن الحديث، يميل شيئاً إلى الإرجاء في الإيمان، حَبَّبَ الله حديثَهُ إلى النَّاس، جيِّد الرِّواية.

وقال أبو الصَّلت عبدالسلام بن صالح الهَرَوي: سمعتُ سُفيان بن عُيينة يقول: ما قدِم علينا خُراساني أفضلُ من أبي رجاء عبدالله بن واقد.

[٤]قُلت له: فإبراهيم بن طَهمان؟ قال: كان ذاك مُرجئاً. ثم قال أبو الصَّلت: لم يكن ارجاؤهم هذا المذهب الخبيث: أن الإيمان قول بلا عمل، وأن ترك العمل لا يضر بالإيمان، بل كان إرجاؤهم أنهم يرجون لأهل الكبائر الغفران، رداً على الخوارج وغيرهم، الذين يكفِّرون النَّاس بالذُّنوب. وسمعتُ وكِيعاً يقول: سمعتُ

(١) انظر السير: ٧/٣٧٨-٣٨٥.

الثوري يقول في آخر أمره: نحن نرجو لجميع أهل الكبائر الذين يدينون ديننا، ويُصلون صلاتنا، وإن عملوا أي عمل. قال: وكان شديداً على الجَهمية.

[١]وقال أبو زُرعة: كنتُ عند أحمدَ بنِ حنبل، فذكر إبراهيم بن طهمان، وكان متكئاً من علةٍ، فجلس، وقال: لاينبغي أن يذكر الصَّالحون فيُتَّكأ. وقال أحمد: كان مرجئاً شديداً على الجَهمية.

[٢]قال مالك بن سُليمان: كان لإبراهيم بن طَهمان جِراية من بيت المال فاخرة، يأخذ في كل وقت، وكان يسخو به، فَسُئل مرةً في مجلس الخليفة، فقال: لا أدري قالوا له: تأخذ كل شهر كذا وكذا،ولا تحسن مسألة؟

فقال: إنما آخذ على ما أحسن، ولو أخذتُ على مالا أحسن، لفني بيتُ المال عليَّ، ولا يفني مالا أُحْسِن. فأَعجَبَ أميرَ المؤمنين جوابُه، وأمر له بجائزة فاخرة، وزاد في جِرايته.

مات سنة ثلاث وستين ومئة.

٣٤٩ أبو حَمزَة السُّكَّري (ع)(١)

[٣] **الحافظ الإمام الحُجة، محمد بن مَيمون، المرْوَزي، عالم مَرو.**

[٤] وقال عباس الدُّوري: كان أبو حَمزة من الثقات، وكان إذا مرض عنده من قد رَحل إليه، ينظر إلى ما يحتاج إليه من الكفاية فيأمر بالقيام به، ولم يكن يبيع السُّكَّر، وإنما سُمِّي السُّكَّريَّ لحلاوة كلامه.

[٥] عن يحيى بن معين، قال: روى أبو حَمزة، عن إبراهيم الصَّائغ وذكره بصلاح: كان إذا مرض الرَّجلُ من جيرانه، تصدَّق بمثل نفقة المريض، لما صُرِفَ عنه من العلة.

[٦]وقال إبراهيم بن رُسْتم: قال أبو حَمزة: اختلفْتُ إلى ابراهيم الصَّائغ نيفاً وعشرين سنة، ما علم أحدٌ من أهل بيتي أين ذهبتُ، ولا من أين جئت.

قلت: لأن إبراهيمَ الصائغَ كان في السِّجن، سجن المُسَوِّدة(٢) ولا يذهب أحد

---

(١) انظر السير: ٧/٣٨٥-٣٨٧. (٢) وهم العباسيون. سموا بذلك لأن شعارهم لبس السواد.

إليه إلا متخفياً.

قال العبَّاس بن مصعب المَرْوَزِيُّ: كان أبو حمزة مُستجابَ الدَّعوة.

[١]عن معاذ بن خالد: سمعتُ أبا حمزة السُّكري يقول: ما شبعتُ منذ ثلاثين سنة، إلا أن يكونَ لي ضَيْف.

[٢]عن محمد بن علي بن الحسن بن شَقيق قال: أراد جار لأبي حمزةَ السُّكريِّ أن يبيع دارَه، فقيل له: بكم؟ قال: بألفين ثمن الدَّار وبألفين جوار أبي حمزة، فبلغ ذلك أبا حمزة، فوَجَّه إليه بأربعة آلاف، وقال: لا تبع دارك.

مات أبو حمزة سنة سبع وستين ومئة.

٣٥٠ إبراهيم بن أَدْهَم(١)

[٣]ابن منصور، القدوة الإمام العارف، سيد الزُّهَّاد، أبو إسحاق العِجلي، وقيل: التَّميمي، الخُراساني البَلْخي، نزيل الشَّام.

مولده في حدود المئة.

[٤]وعن يونُس البلخي قال: كان إبراهيمُ بنُ أدهم من الأشراف، وكان أبوه كثيرَ المال والخدم، والمراكب والجنائب والبُزاة(٢)، فبينا إبراهيم في الصَّيد على فرسه يُركضه، إذا هو بصوت من فوقه: يا إبراهيم ما هذا العبث؟ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً﴾ [المؤمنون ١١٥] اتق الله، عليك بالزَّاد ليوم الفاقة، فنزل عن دابته، ورفض الدُّنيا.

قال خَلف بن تميم: سمعتُ إبراهيم يقول: رآني ابن عَجلان، فاستقبل القبلة ساجداً، وقال سجدتُ لله شكراً حين رأيتُك.

[٥]قال عبدالرحمن بن مهدي: قلت لابن المبارك: إبراهيم بن أدهم ممن سمع؟ قال: قد سمع من النَّاس، وله فضل في نفسه، صاحب سرائر وما رأيتُه يظهر تسبيحاً، ولا شيئاً من الخير، ولا أكل مع قوم قَطُّ، إلا كان آخر من يرفع يده.

---

(١) انظر السير: ٧/٣٨٧-٣٩٦.

(٢) البزاة: ج، البازي، وهو ضرب من الصقور.

[١] أبو نُعَيم: سمعتُ سُفيان يقول: كان ابراهيم بن أدهم يشْبه إبراهيم الخليل ولو كان في الصحابة، لكان رجلاً فاضلاً.

[٢] وعن إبراهيم، قال: الزُّهد فرض، وهو الزهد في الحرام. وزهد سلامة، وهو الزُّهد في الشُّبهات. وزهد فضل، وهو: الزُّهد في الحلال.

[٣] وبـالإسناد عن بقية، قال: كُنَّا مع إبراهيم في البحر فهاجت ريح واضطربت السَّفينة، وبكَوا، فقُلنا: يا أبا إسحاق! ما ترى؟ فقال: يا حيُّ حين لاحيَّ، ويا حيُّ قبل كل حي، ويا حيُّ بعدَ كل حي، ويا حيُّ، يا قَيُّومُ يا محسُن، يا مُجْمِلُ! قد أريتنا قدرتك، فأرنا عفوَك. فهدأتِ السَّفينة من ساعته.

[٤] يَحيى بن يَمَان، قال: كان سُفيان إذا قعد مع إبراهيم بن أدهم، تحرَّز من الكلام.

[٥] عن طالوت: سمعتُ إبراهيم بن أدهم يقول: ما صدق الله عبدٌ أحبَّ الشُّهرة.

قلت: علامةُ المخلص الذي قد يحبُّ شهرةً، ولا يشعُرُ بها، أنه إذا عُوتبَ في ذلـك، لا يحـرَدُ ولا يُبـرِّئ نفسه. بل يعترفُ، ويقول: رَحِمَ اللهُ مَنْ أهدى إليَّ عيوبي، ولا يكن معجباً بنفسه، لا يشعرُ بعيوبها، بل لا يشعر أنه لا يشعر، فإن هذا داءٌ مُزمِن.

[٦] عصام بن رَوَّاد: سمعتُ عيسى بن حازم النَّيسابوري يقول: كُنا بمكة مع إبراهيم ابن أدهم، فنظر إلى أبي قُبَيْس، فقال: لو أن مؤمناً مستكمِلَ الإيمان، يهز الجبلَ لتحرك، فَتَحرَّكَ أبو قبيس، فقال: اسكن ليس إياكَ أردت.

[٧] الحارث بن النُّعمان، قال: كان إبراهيمُ بن أدهم يجتبي الرُّطب من شجر البلُّوط.

[٨] وعن إبراهيم بن أدهم، قال: كل ملك لا يكون عادلاً، فهو واللصُّ سواء، وكل عالم لا يكون تقياً، فهو والذِّئب سواء، وكل من ذلَّ لغير الله، فهو والكلبُ سواء.

[٩] إبراهيم بن بشَّار: سمعتُ إبراهيم بن أدهم يقول: وأيُّ دينٍ لو كان له رجال!

[١٠] من طلب العلم لله، كان الخمـولُ أحبَّ إليه من التَّطاول، والله ما الحياةُ بثقة، فيُرجى نومهـا، ولا المنية بعذر، فيؤمن عُذرها، ففيم التَّفريطُ والتَّقصيرُ والاتكالُ

والإبطاءُ؟ قد رضينا مِنْ أعمالنا بالمعاني، ومِنْ طلب التَّوبة بالتَّواني، ومن العيش الباقي بالعيش الفاني.

[١] قال ابنُ بَشَّار: أمسينا مع إبراهيم ليلةً، ليس لنا ما نُفطر عليه، فقال: يا ابن بشار! ماذا أنعم اللهُ على الفقراء والمساكين من النَّعيم والراحة لا يسألُهم يومَ القيامة عن زكاة، ولا حجٍّ، ولا صَدَقةٍ ولا صلةِ رحم! لا تغتم فرزقُ الله سيأتيك، نحن ـ والله ـ الملوكُ الأغنياء تعجَّلْنا الرَّاحة، لا نُبالي على أي حال كنا إذا أطعنا الله. ثم قام إلى صلاته. وقمت إلى صلاتي فإذا برجل قد جاء بثمانية أرغفة، وتمرٍ كثير فوضعه، فقال: كُلْ يا مغموم. فدخل سائل، فأعطاه ثلاثة أرغفة مع تمر وأعطاني ثلاثة، وأكل رغيفَيْن.

[٢] السَّرَّاج: سمعت إبراهيم بن بشَّار يقول: قُلت لإبراهيم بن أدهم: كيف كان بدءُ أمرك؟ قال: غيرُ ذا أولى بك. قال: قلتُ: أخبرني لعلَّ الله أن ينفعنا به يوماً. قال: كان أبي من الملوك المياسير، وحُبِّبَ إلينا الصَّيد فركبتُ، فثار أرنب أو ثعلب فحركت فرسي، فسمعتُ نداءً من ورائي: ليس لذا خُلِقْتَ، لا بذا أُمِرْتَ فوقفتُ أنظر يمنة ويسرة، فلم أر أحداً، فقلت: لعن اللهُ إبليس، ثم حرَّكت فرسي، فأسمع نداء أجهر من ذلك: يا إبراهيمُ! ليس لذا خُلقت ولا بذا أُمرت، فوقفت أنظرُ فلا أرى أحداً فقلت: لعن الله إبليس. فأسمع نداء من قَرَبُوس[1] سِرجي بذاك، فقلت: أُنْبِهْتُ، أُنْبِهْتُ، جاءني نذيرٌ، والله لا عصيتُ الله بعدَ يومي ما عصمني الله، فرجَعتُ إلى أهلي، فخليت فرسي، ثم جئت إلى رعاة لأبي، فأخذت جُبَّةً وكساءً، وألقيت ثيابي إليه ثم أقبلت إلىٰ العراق، فعملتُ بها أياماً، فلم يصفُ لي منها الحلالُ فقيل لي: عليك بالشام فذكر حكاية نِظارته الرُّمَّان، وقال الخادم له: أنت تأكل فاكهتنا، ولا تعرف الحلو من الحامض؟ قلتُ: والله ما ذقتها فقال: أتراك لو أنك إبراهيم بن أدهم، فانصرف، فلما كان من الغدذكر صفتي في المسجد،

---

(١) القربوس: هو حِنْو السرج، قال الأزهري: وللسرج قربوسان: فأما القربوس المقدم، ففيه العضدان، وهما رجلا السرج، ويقال لهما حنواه. والقربوس الآخر فيه رجلا المؤخرة، وهما حنواه.

فعرفني بعضُ الناس، فجاء الخادم ومعه عُنُقٌ[1] من الناس فاختفيتُ خلف الشَّجر والناسُ داخلون، فاختلطت معهم وأنا هارب.

توفي سنة اثنتين وستين ومئة وقبره يُزار.

٣٥١ أبو عُبيد الله الوَزير[2]

[١] معاوية بن عُبَيد الله بن يَسار الأشعري، مولاهم الطَّبَراني الشامي الكاتب، أحد رجال المال حزماً ورأياً، وعبادة وخيراً.

[٢] وكان المهدي يُبالغ في إجلاله واحترامه، ويعتمدُ على رأيه وتدبيره وحُسن سياسته. قال حفيدُه عُبَيْد الله بن سُليمان: أبلى جدُّنا سَجَّادتين، وشرع في ثالثة موضع ركبتيه ووجهه ويديه، من كثرة صلاته ـ رحمه الله ـ وكان له كل يوم كُرٌّ دقيق يتصدَّق به، فلما وقع الغلاء تصدَّق بكُرَّيْن.

قُلت: الكُرُّ يشبع خمسة آلاف إنسان، وكان من ملوك العدل.

[٣] ويقال: سمع من الزُّهري، وعاصم بن رجاء بن حَيوة، وكان مع دينه فيه تِيْه وتعزز. حجَّ الرَّبيع الحاجب، فجاء إليه مُسَلِّماً، فما قام له ولا وفاه حقه، فعمل عليه عند المهدي، ورمى ابنه بالتَّعرض لحُرَم الهادي، فقتل المهديُّ ابنَه، وقبض عليه، فسجنه، فما زال في السِّجن حتى توفي سنة سبعين ومئة.

٣٥٢ المهـدي[3]

[٤] الخليفة، أبو عبدالله محمد بن المنصور أبي جعفر عبدالله بن محمد بن علي، الهاشمي العباسي.

[٥] كان جواداً ممداحاً معطاءً، محبَّباً إلى الرعية قَصَّاباً في الزَّنادقة، باحثاً عنهم.

[٦] وقيل: إنه أُثني عليه بالشَّجاعة، فقال: لـمَ لا أكون شجاعاً؟ وما خفت أحداً إلا

(١) العنق: الجماعة من الناس والرؤساء.

(٢) انظر السير: ٧/٣٩٨.

(٣) انظر السير: ٧/٤٠٠-٤٠٣.

الله تعالى

[١]وذكر ابن أبي الدنيا أن المهدي كتب إلى الأمصار يزجُرُ أن يتكلَّم أحد من أهل الأهواء في شيء منها.

[٢] وعن يوسف الصائغ قال: رفعَ أهلُ البِدَع رؤوسهم، وأخذوا في الجَدَلِ، فأمر بمنع الناس من الكلام، وأن لا يُخَاضَ فيه.

[٣] قال بن رشيد: هاجَت ريحٌ سوداء، فسمعت سَلَماً الحاجب يقول: فُجِعْنا أن تكون القيامة، فطلبتُ المهديّ في الإيوان، فلم أجده فإذا هو في بيت ساجد على التُّراب يقول: اللهم: لا تشمِّت بنا أعداءنا من الأمم، ولا تفجع بنا نبينا، اللهم إن كنتَ أخذتَ العامَّة بذنبي، فهذه ناصيتي بيدك. فما أتم كلامَه حتى انجلت .

وقيل: كان كثير التَّولية والعزل بغير كبير سبب، ويُباشر الأمور بنفسه، وأطلق خلقاً من السُّجون، وزاد في المسجد الحرام وزخرفه.

[٤]وكان مُسْتَهتراً[١] بمولاته الخَيْزُران، وكان غارقاً كنحوه من الملوك في بحر اللذَّات، واللهو والصيَّد، ولكنه خائف من الله، معاد لأُولي الضَّلالة، حَنِق عليهم.

تملك عشر سنين وشهراً ونصفاً، وعاش ثلاثاً وأربعين سنة ومات بماسَبَذان سنة تسع وستين ومئة، وبويع ابنه الهادي.

٣٥٣ دَاود الطَّائي (س)[٢]

[٥]الإمامُ الفقيه: القدوة الزَّاهد، أبو سُليمان، داود بن نُصَير الطَّائي، الكوفي، أحد الأولياء، وُلد بعد المئة بسنوات.

وكان من كبار أئمة الفقه والرأي، برع في العلم بأبي حنيفة، ثم أقبل على شأنه، ولزم الصمت، وآثر الخمولَ، وفرَّ بدينه.

قال ابنُ المبارك: هل الأمرُ إلا ما كان عليه داود.

(١) مستهتراً بمولاته: مولعاً بها، لايبالي بما قيل فيه. يقال أُهْتِرَ بفلانة، واستُهتِر بها. أي فتن بها، وليس كما يظنها بعضهم بمعنى الاستخفاف والهزء. (٢) انظر السير: ٧/٤٢٢-٤٢٥.

[١]قال له رجل: أوصِني. قال: اتق الله، وبرَّ والديك، وَيْحَك! صُم الدُّنيا، واجعل فطرك الموتَ، واجتنب النَّاس غيرَ تاركٍ لجماعتهم.

[٢] وعنه قال: كفى باليقين زهداً، وكفى بالعلم عبادة، وكفى بالعبادة شغلاً.

[٣] قال عطاء بن مسلم: عاش داود عشرين سنة بثلاث مئة درهم.

[٤] وقال إسحاق السَلولي: حدثتني أم سعيد، قالت: كان بيننا وبين داود الطائي جدار قصير، فكنتُ أسمع حنينَه عامة الليل، لا يهدأ، وربما ترنَّم في السحر بالقرآن، فأرى أن جميع النَّعيم قد جمع في ترنمه، وكان لا يسرج عليه.

[٥] قال أبو داود الطَّيالِسي: حضرتُ داود، فما رأيتُ أشدَ نَزعاً منه.

[٦] وقال حسن بن بشر حضرت جِنازة داود الطَّائي فحُمل على سريرين أو ثلاثة، تَكَسَّرُ من الزِّحام.

[٧] ومناقب داود كثيرة، كان رأساً في العلم والعمل، ولم يسمع بمثل جنازته، حتى قيل: بات النَّاسُ ثلاث ليال مخافة أن يفوتهم شهوده.

مات سنة اثنتين وستين ومئة ولم يُخلِّف بالكوفة أحداً مثله.

٣٥٤ الخَلِيل(١)

[٨] **الإمامُ، صاحب العربية، ومنشئ علم العروض، أبو عبدالرَّحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، البصري، أحد الأعلام.**

أخذ عنه سِيْبَوَيْهِ النَّحو، والنَّضر بن شُميل، والأصمعي، وآخرون.

[٩] وكان رأساً في لسان العرب، دِيِّناً، وَرعاً، قانعاً، متواضعاً، كبيرَ الشأن، يقال: إنه دعا الله أن يرزقه علماً لا يُسبق إليه، فَفُتح له بالعَروض، وله كتاب: «العَيْن» في اللغة.

[١٠]وثقه ابن حبان. وقيل: كان متقشفاً متعبداً. قال النضر: أقام الخليلُ في خُصٍّ(٢) له بالبصرة، لا يقدر على فَلْسين، وتلامذته يكسِبون بعلمه الأموال، وكان

(١) انظر السير: ٧/٤٢٩-٤٣١.

(٢) الخص: بيت من شجر أو قصب.

كثيرا ما ينشد:

إذا افْتَقَرْتَ إلى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ... ذُخْراً يَكُونُ كصالح الأَعمالِ

وكان رحمه الله ـ مفرطَ الذَّكاء، وُلد سنة مئة، ومات سنة بضع وستين ومئة.

وكان هو ويونس إمامَيْ أهلِ البصرةِ في العربية، ومات ولم يتم كتاب «العين» ولا هَذَّبهُ، ولكنَّ العلماء يَغرفُون من بحره.

قيل: كان يعرف علم الإيقاع والنَّغم، ففَتح له ذلك علم العروض وقيل: مر بالصَّفَّارين(1) فأخذه من وقع مِطرقةٍ على طَسْت.

[1] وهو معدود في الزُّهاد، كان يقول: إني لأُغلق عليَّ بابي فما يُجاوزه هَمي.

[2] وقال: أكمل ما يكون الإنسان عقلاً وذهناً عند الأربعين.

[3] وعنه قال: لا يعرفُ الرَّجلُ خطأ معلِّمه، حتى يُجَالِسَ غيره.

[4] قال أيوب بن المتوكل: كان الخليل إذا أفاد إنساناً شيئاً، لم يُرِهِ بأنه أفاده، وإن استفاد من أحد شيئاً، أراه بأنه استفاد منه.

قُلت: صار طوائفُ في زماننا بالعكس.

٣٥٥ الهادِي(2)

[5] **الخليفةُ، أبو محمد موسى بن المهدي، محمد بن المنصور عبدالله الهاشمي العباسي، وَلي عهد أبيه، فلما مات أبوه. تسلَّم الخلافة وكان بجُرجان. فأخذ له البيعة أخوه الرَّشيد.**

وكان يشرب المسكر، وفيه ظلم وشهامة ولعب، وربما ركب حِماراً فارهاً، وكان شجاعاً، فصيحاً، لَسِناً، أديباً، مهيباً، عظيم السَّطوة.

[6] قال ابن حَزْم: كان سبب موته أنه دفع نديماً له من جُرْف، على أصول قصب قد قطع، فتعلق به النَّديم، فوقع معه، فدخلت قصبة في دُبُره فكان ذلك سببَ موته، فهلكا جميعاً.

(1) الصفارون: ج، صفار: وهو صانع الصُّفر، والصفر، النحاس الجيد أو ضرب منه.

(2) انظر السير: ٧/٤٤١-٤٤٤.

قُلت: مات سنة سبعين ومئة، وعمره ثلاث وعشرون سنة، وكانت خلافته سنة وشهراً، وقام بعده الرَّشيد.

وكان كوالده في استئصال الزنادقة وتتبعهم، فقتل عِدة، منهم: يعقوب بن الفضل بن عبدالرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم، وظهرت بنته حبلى منه، أكرهها.

[١]ويقال: سمته أُمُّه الخيزُران، لما أجمع على قتل أخيه الرَّشيد، وكانت متصرفةً في الأمور إلى الغاية، وكانت من مولَّدات المدينة، فقال لها: لئن وقف ببابك أميرٌ، لأقتلنَّك، أما لك مغزل يشغلُك، أو مصحف يذكرك، أو سُبحة، فقامت لا تعقل غضباً.

٣٥٦ حمَّاد بن سَلَمة (خ، م، ٤)[1]

[٢]**ابن دينار، الإمام القدوة، شيخُ الإسلام، أبوسلمةَ البصريُّ النَّحْوي، البزَّاز، الخِرَقي، البطائني، مولى آل ربيعة بن مالك، وابن أخت حُمَيْدٍ الطَّويل.**

وقد روى الحروف عن عاصم، وابن كثير.

قال علي بن المَديني: كان عند يحيى بن ضُرَيس الرَّازي، عن حماد بن سلمة، عشرة آلاف حديث.

قُلت: يعني بالمقاطيع والآثار.

[٣]وقال علي بن المَديني: هو عندي حجة في رجال، ومن تكلَّم في حمَّاد فاتهموه في الدين.

قال شهاب بن مُعمَّر البلخي: كان حمَّاد بن سَلمة يُعد من الأبدال.

قُلت: وكان مع إمامته في الحديث إماماً كبيراً في العربية، فقيهاً فصيحاً، رأساً في السُّنَّة، صاحبَ تصانيف.

قال عبدالرَّحمن بن مَهدي: لو قيل لحمَّاد بن سلمة: إنك تموت غداً، ما قَدَرَ

(١) انظر السير: ٧/٤٤٤ـ ٤٥٦.

أن يزيد في العمل شيئاً.

قلت: كانت أوقاتُه معمورةً بالتَّعُبُّدِ والأوراد.

[١] وقال عفَّان: قد رأيتُ من هو أعبد من حمَّاد بن سَلمة، لكن ما رأيتُ أشدَّ مواظبة على الخير، وقراءة القرآن، والعمل لله تعالى منه.

وقال عباس عن ابن مَعِين: حديثه في أول أمره وآخره واحد.

[٢] وروى أحمد بن زهير، عن يحيى، قال: إذا رأيتَ إنساناً يقع في عكرمة وحمَّاد ابن سلمة، فاتِّهِمه على الإسلام.

[٣] قال موسى بن إسماعيل التَّبُوذكي: لو قلت لكم: إني ما رأيت حمَّاد بن سلمة ضاحكاً لصدقت، كان مشغولاً، إما أن يُحدِّث، أو يقرأ أو يسبِّح، أو يُصلي، قد قسَّم النَّهار على ذلك.

قال أحمد بن عبدالله العِجلي: حدثني أبي قال: كان حمَّاد بن سَلمة لا يحدِّث، حتى يقرأ مئة آية، نظراً في المصحف.

[٤] قال يُونس بن محمد المؤدِّب: مات حمَّاد بن سَلمة في الصَّلاة في المسجد.

[٥] قال سَوَّار بن عبدالله: حدَّثنا أبي: قال: كنتُ آتي حمَّاد بن سَلمة في سُوقه، فإذا رَبِحَ في ثوب حبةً أو حبتين، شَدَّ جَوْنَتَه[1] ولم يبع شيئاً، فكنت أظنّ ذلك يقوته.

[٦] قال التَّبُوذكي: سمعت حمَّاد بن سلمة يقول: إنْ دعاك الأمير لتقرأ عليه ﴿قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص ١] فلا تأته.

[٧] قال إسحاق بن الطباع: سمعتُ حَمَّاد بن سَلمة يقول: من طلب الحديث لغير الله تعالى: مُكِر بَه.

[٨] وقال حمَّاد: ما كان من نيتي أن أحدِّث، حتى قال لي أيوب السَّخْتِياني في النَّوم: حَدِّثْ.

[٩] محمد بن إسماعيل البخاري، قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: عادَ حمَّادُ

(١) الجونة: سُلَيلة مستديرة مغشَّاة بالجلد، يحفظ العطار فيها الطيب.

ابن سَلمة سُفيانَ الثَّوري، فقال سُفيان: يا أبا سَلمة! أتُرى الله يغفر لمثلي؟ فقال حماد: والله لو خُيرت بين محاسبة الله إياي، وبينَ محاسبة أبويَّ، لاخترتُ محاسبة الله، وذلك لأن الله أَرْحَمُ بي من أبويَّ.

[١] محمد بن الحجاج، قال: كان رجل يسمع معنا عند حمَّاد بن سلمة فركب إلى الصِّين، فلما رجَع، أهدى إلى حمَّاد هدية، فقال له حمَّاد إن قبلتُها، لم أحدثك بحديث، وإن لم أقبلها، حدَّثْتُك. قال: لا تقبلها وحدِّثني.

[٢] وقال عفَّان بن مسلم: حدَّثنا حمَّاد بن سَلمة قال: قدمِتُ مكة وعطاء ابن أبي رباح حيٌّ - في شهر رمضان، فقلتُ: إذا أفطرتُ دخلتُ عَليه، فمات في رمضان.

مات حمَّاد بن سلمة سنة سبع وستين ومئة.

٣٥٧ حَمَّاد بنُ زَيْد (ع)[١]

[٣] **ابن دِرهم، العلامة، الحافظ الثَّبتُ، محدِّث الوقت، أبو إسماعيل الأزدي، الأزرق الضَّرير، أحد الأعلام أصله من سِجستَان، سُبي جده درهم منها.**

قال عبدالرحمن بن مَهدي: أئمة النَّاس في زمانهم أربعة: سُفيان الثَّوري بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوزاعي بالشَّام، وحمَّاد بن زَيد بالبصرة،

[٤] وقال أحمد بن عبدالله العِجلي: حمَّاد بن زَيد ثقة، وحديثه أربعة آلاف حديث، كان يحفظها، ولم يكن له كتاب.

وقال أحمد بن سعيد الدَّارمي: سمعت أبا عاصم النَّبيل يقول: مات حمَّاد بن زيد يوم مات، ولا أعلم له في الإسلام نظيراً في هيئته ودَلِّه أظنه قال: وسمْتِه.

قلتُ: تأخَّر موته عن مالك قليلاً، ولذلك قال أبو عاصم ذلك، ولما سمع يزيد ابن زُرَيع بموت حمَّاد بن زيد، قال: مات اليوم سَيِّدُ المسلمين.

قال أبو حاتم بن حبَّان: كان ضريراً يحفظ حديثه كله.

قُلت: إنما أضر بأخَرَة.

قال محمد بن وزير الواسطي: سمعتُ يزيد بن هارون يقول: قلت: لحمَّاد بن

(١) انظر السير: ٧/٤٥٦-٤٦٦.

زيد: هل ذكـر الله أصحاب الحديث في القرآن؟ قال: بلى: الله تعالى يقول: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرقةٍ مِنهُم طَائِفة . .﴾ الآية(1).

[1]أيُوب العطَّار: سمعت بشر بن الحارث ـ رحمه الله ـ يقول حدَّثنا حمَّاد بن زيد، ثم قال: أستغفر الله، إن لذكر الإسناد في القلب خُيلاء.

قلتُ: لا أعلمُ بين العلماء نزاعاً، في أَن حمَّاد بن زَيد من أئمة السَّلَف، ومن أتقن الحفاظ وأعدَلِهم، وأعدمِهم غلطاً، على سعة ما روى ـ رحمه الله ـ.

قال إبراهيم بن سعيد الجوهري: سمعتُ أبا أُسامة يقول: كنت إذا رأيتُ حمَّاد بن زيد، قلت: أدَّبه كِسْرى، وفَقَّهه عُمرُ ـ رضي الله عنه.

قلتُ: مات في سنة تسع وسبعين ومئة، وفاقاً.

وقال أبو داود: مات قبله مالك بشهرين وأيام.

قلتُ: هذا وهم، بل مات قبله بستة أشهر، فرحمهما الله فلقد كانا رُكَني الدِّين، ما خلفَهُما مِثلُهما.

(1) ١٢٢، التوبة، وتتمتها ﴿ليتفقهوا في الدين وليتذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾.

انتهى الجزء الأول
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

• • •

ويليه الجزء الثاني وأوله :
عبدالله بن لَهِيعةَ (د ، ت ، ق)

نزهة الفضلاء

تهذيب

سير أعلام النبلاء

للإمام الذهبي

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

٧٤٨ هـ

الجزء الثاني

محمد حسن عقيل موسى

الناشر

دار الأندلس

للنشر والتوزيع - جدة

الجزء الثامن

٣٥٨ ـ عبدُ الله بن لَهيعةَ (د، ت، ق)[1]

[١] ابن عُقْبة القاضي، الإمامُ، العلاَّمة، محدِّثُ ديار مصرَ مع الليث، أبو عبدالرحمن الحَضْرميُّ.

وُلِدَ سنة خمس أو ست وتسعين.

وكان من بحور العلم على لِين في حديثه.

قال رَوْح بنُ صلاح: لِقيَ ابنُ لهيعة اثنين وسبعين تابعيًّا.

ولما مات ابن لهيعة قال الليث: ما خَلَّف مثلَه.

[٢] لا ريب أن ابن لَهيعة كان عالِمَ الديار المصرية، هو والليث معاً، كما كان الإمام مالكٌ في ذلك العصر عالمَ المدينة، والأوزاعيُّ عالمُ الشَّام، ومَعْمَرٌ عالمُ اليمن، وشعبةُ والثَّوري عالما العراق، وإبراهيم بن طَهْمَان عالمُ خراسان، ولكنَّ ابن لهيعةَ تهاون بالإتقان، وروى مناكيرَ، فانحطَّ عن رتُبة الاحتجاج به عندهم.

[٣] وبعض الحفَّاظ يروي حديثَه، ويذكُره في الشَّواهد، والاعتبارات، والزُهد والملاحم[2]، لافي الأصول[3].

[٤] وبعضهم يُبالغُ في وهَنه، ولا ينبغي إهدارُه، وتُتجنَّب تلك المناكير، فإنه عَدلٌ في نفسه.

---

(١) انظر السير: ٨/١١ـ ٣١

(٢) الشواهد: أحاديث رويت بمعناها من طريق آخر عن صحابي آخر، يقال: روى الحديث الفلاني، وله شاهد من رواية فلان. والاعتبارات: أن يعمد الباحث إلى حديث، فيعنى به، ويبحث عن طرقه، فينظر: هل رواه راوٍ آخر بلفظه أو معناه، والملاحم: الأحاديث التي رويت في المغازي.

(٣) قال الحافظ ابن كثير في «الباعث الحثيث» ٦٣، ٦٤: ويغتفر في باب «الشواهد والمتابعات من الرواية عن الضعيف القريب الضعف مالا يغتفر في الأصول كما يقع في «الصحيحين» وغيرهما مثل ذلك. ولهذا يقول الدارقطني في بعض الضعفاء: يصلح للاعتبار، أو لا يصلح أن يعتبر به.

أعرضَ أصحابُ الصِّحاح عن رواياته، وأخرج له أبو داود، والترمذيُّ، والقزوينيُّ وما رواه عنه ابنُ وهْب والمقرئ، والقدماءُ، فهو أجود(1).

قال أبو داود عن أحمد: ما كان محدِّثَ مصرَ إلا ابنُ لهيعة.

البخاريُّ عن يحيى بن بُكَير: احترق منزلُ ابن لهيعة وكتُبه في سَنَةٍ سبعين.

قلتُ: الظاهرُ أنه لم يحترقْ إلا بعضُ أُصولِه.

[١]قال قُتيبة، حدثنا ابن لَهيعة، عن أبي الأسود: عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «اجْعَلوا مِنْ صَلاتِكم في بُيوتِكم، ولا تَجْعَلُوهـا عَليكم قُبُوراً، كما اتَّخَذَتِ اليهودُ والنَّصارَى في بُيُوتهم قُبوراً، وإنَّ البيتَ لَيُتْلى فيه القُرآنُ فَيَتراءى لأَهْلِ السَّماءِ كما تتراءى النُّجومُ لأهلِ الأَرْضِ».

هذا حديث نظيفُ الإسناد، حَسنُ المتن، فيه النهي عن الدَّفن في البيوت، وله شاهد من طريق آخر، وقد نَهى عليه السلام أن يُبنى على القبور، ولو اندفَن الناسُ في بيوتهم، لصارت المقبرةُ والبيوتُ شيئاً واحداً، والصلاةُ في المقبرة، فمنهيٌّ عنها نَهْيَ كراهية، أو نَهي تَحريم، وقد قال عليه السلامُ «أفضَلُ صَلاَةِ الرَّجُلِ في بَيْتِه إلا المكتُوبة» . فَناسَب ذلك ألّا تُتَّخذَ المساكنُ قبوراً.

وأما دفنهُ في بيت عائشة صلوات الله عليه وسلامه فمختصٌّ به، كما خُصَّ ببسطِ قطيفة تحتَه في لَحْده، وكما خُصَّ بأن صَلَّوْا عليه فُرادى بلا إمام، فكان هو إمامَهم حياً وميتاً في الدنيا والآخرة، وكما خُصَّ بتأخير دَفْنه يومين، ويكره تأخيرُ أمَّته، لأنه هو أُمِنَ عليه التَّغيُّر بخلافنا، ثم إنهمْ أخَّرُوه حتى صلُّوا كلُّهم عليه داخلَ بيته، فطال لذلك الأمرُ، ولأنهمْ تردَّدوا شطرَ اليوم الأولِ في موته حتى قدمَ أبو بكر الصدِّيق من السُّنحِ فهذا كان سبب التأخير.

[٢] عن يحيى بن مَعين قال: يُكتَبُ عن ابن لَهيعة ما كان قبلَ احتراق كتُبه.

---

(١) وقال عبد الغني بن سعيد الأزدي: إذا روى العبادلة عن ابن لهيعة، فهو صحيح: عبدالله بن المبارك، وعبدالله بن وهب، وعبدالله بن يزيد المقرئ.

قلتُ: عاش ثمانياً وسبعين سنة.

تُوفي سنة أَربع وسبعين ومئة.

وكان مِن أوعيةِ العلم، ومِن رؤساء أهلِ مصرَ، ومحُتَشميهم، أطلق المنصورُ ابنُ عمار الواعظُ أراضيَ له.

٣٥٩ ـ سعيد بن عبدالعزيز (م، ٤)(١)

[١] **ابن أبي يحيى الإمامُ القدوة، مفُتي دِمشق، أبو محمد التنوخيُّ الدمشقيّ، وُلِدَ سنة تسعين، في حياة سَهْلِ بنِ سَعْد، وأَنسِ بنِ مالك، رضي الله عنهما، وقرأ القرآن على ابن عامر.**

[٢] وقال عبد الله بن زيد: كنا نجلس إلى مكحول ومعنا سَعيد بنُ عبدالعزيز، فكان يَسقي الماء في مَجلس مكحول.

[٣] وقال أبو مُسْهر: حدثني سعيدٌ، قال: كنت أجلس بالغَدَوات إلى ابن أبي مالك، وأُجالس بعد الظهر إسماعيلَ بنَ عبيدِ الله وبعد العَصر مكحولاً.

قال أبو حاتم الرازي: كان أبو مُسهر يقدِّم سعيداً على الأوزاعيِّ.

وقال أبو عبدالله الحاكم: سَعيد بن عبدالعزيز لأهل الشَّام، كمالِك، لأهل المدينة في التقدم والفقه والأمانة.

[٤] وقال أبو زُرْعة: حَدثني أبو النَّضْر إسحاق بن إبراهيم، قال: كنتُ أسمع وَقْعَ دموعِ سَعيدِ بن عبدالعزيز على الحصير في الصَّلاة.

[٥] أبو عبدالرحمن الأسَدِي، قال: قلت لسعيد بن عبدالعزيز: ما هذا البكاءُ الذي يَعرِضُ لَك في الصلاة؟ فقال: يا ابن أخي، وما سُؤالك عن ذلك؟ قلت: لَعلَّ الله أن ينفعني به، فقال: ما قمتُ إلى صلاة إلا مُثِّلَتْ لي جهنمُ.

[٦] قال محمد بن المبارك الصوري: كان سَعيدٌ إذا فاتَتْه صلاةُ الجماعة بكى.

[٧] عن الوليد بن مسلم قال: كان سعيد بن عبدالعزيز يُحيي الليلَ، فإذا طلع

(١) انظر السير: ٨/٣٢ـ٣٨.

الفجرُ، جدَّد وضوءَه وخرج إلى المسجد.

وقال يحيى الوُحَاظي: سألتُ سعيد بن عبدالعزيز عن حديث فامتنع علي، وكان عَسِراً، وكذا قال أبو مُسْهِرٍ عنه.

قلت: شاخَ وضاقَ خلقُه، واشتغل بالله عن الرواية.

[١] قال أبو مُسْهِر: سمعتُه يقول: «لاأدري» لما لا أدري نصفُ العلم. وسمعتُه يقول: ما كنت قَدَرياً قط وسمعت رجلاً يقول لِسعيد: أطالَ الله بقاءَك، فقال: بل عجَّل الله بي إلى رَحمته.

[٢] يزيدُ بن عَبد الصمد، سمعتُ أبا مُسْهِر، سمعت سعيدَ بنَ عبدالِعزيزِ يقول: لا خيرَ في الحياة إلا لأحد رجلين: صموتٍ واعٍ، وناطقٍ عارف.

[٣] وقال عُقبةُ بن علقمة البيروتيُّ: حدثني سَعيدُ بن عبدالعزيز قال: من أحسنَ فَلْيَرْجُ الثوابَ، ومن أساءَ فلا يستنكِر الجزاءَ، ومن أخذ عِزاً بغير حق أورثَهُ الله ذُلًّا بحقٍّ، ومن جَمع مالاً بظلمٍ أورثهُ الله فقراً بغير ظلم.

[٤] سُئِل سَعيد بن عبدالعزيز عن الكفاف من الرِّزق ما هو؟ قال: شِبعُ يومٍ وجوعُ يومٍ.

ماتَ سنةَ سبع وستين ومئة.

٣٦٠ - زُفَرُ بنُ الهُذَيل(١)

[٥] العنبريُّ، الفقيهُ المجتهد الربَّانيّ، العلاّمةُ أبو الهُذَيل.

قلتُ: وُلد سنة عشرٍ ومئة.

قال أبو نُعيم المُلائي: كان ثقةً مأموناً، وقع إلى البصرة في ميراثٍ له من أخته، فتشبَّثَ به أهلُ البصرة، فلم يتركوه يخرج من عندهم.

[٦] قال زُفر: من قَعَدَ قبلَ وقتِه، ذَلَّ.

---

(١) انظر السير: ٨/٣٨-٤١.

[١] قال عبدالرحمن بن مَهْدي : حدثنا عبدالواحد بن زياد، قال: لقيتُ زفر رحمه الله، فقلتُ له: صِرْتُمْ حديثاً في الناس وضُحْكة. قال: وما ذاك؟ قلت: تقولون: «ادْرؤُوا الحُدُودَ بالشُّبهات»، ثم جئتُم إلى أعظم الحدود، فقلتم: تُقام بالشبهات. قال: وما هو؟ قُلتُ: قال رسولُ الله ﷺ «لا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ» فقلتم: يُقتَل به ـ يعني بالذِّمِّي ـ قال: فإني أُشْهِدُكَ الساعةَ أني قد رجعتُ عنه.

قلتُ: هكذا يكون العالِمُ وقَّافاً مع النص.

[٢] قال ابن سعد: مات زفر سنة ثمان وخمسين ومئة، ولم يكن في الحديث بشيء.

قلتُ: قد حكمَ له إمامُ الصنعة(١) بأنه ثقة مأمون.

٣٦١ صالح المُرِّي(٢)

[٣] الزاهد الخاشع، واعظ أهل البصرة، أبو بِشْر بنُ بشير القاصّ.

[٤] وقال عفَّان: كان شديد الخوف من الله، كأنه ثكلى إذا قَصَّ.

وقال ابن عدي: قاصٌّ، حسنُ الصوت، عامةُ أحاديثِه منكرة، أُتِي من قلة معرفته بالأسانيد، وعندي أنه لايَتَعمَّد.

وقيل: لما سمعه سفيانُ الثوري قال: ما هذا قاصّ، هذا نذير.

[٥] قال ابن الأعرابي: كان الغالب على صالح كثرةُ الذكر، والقراءة بالتحزين، ويقال: هو أول من قرأ بالبصرة بالتحزين.

[٦] ويقال: مات جماعة سمعوا قراءته.

توفي سنة اثنتين وسبعين ومئة.

[٧] قال الأصمعي: شهدت صالحاً المُرِّيَّ، عَزَّى رجلاً، فقال: لئن كانت مصيبتُك بابنك لم تُحدِثْ لك موعظةً في نفسك، فهي هيِّنة في جنب مصيبتك بنفسك فإيَّاها فَابْكِ.

---

(١) هو الإمام يحيى بن معين.

(٢) انظر السير: ٨/٤٦ـ ٤٨.

٣٦٢ - مالك الإمام (ع)(١)

[١] هو شيخُ الإسلام، حجَّةُ الأمة، إمامُ دار الهجرة، أبو عبدالله مالكُ بنُ أنس بنِ مالك بنِ أبي عامر الحِميريّ ثم الأصبحيُّ المَدَنيُّ.

مولد مالك على الأصح في سنة ثلاث وتسعين عامَ موتِ أنس خادمِ رسول الله ﷺ، ونشأ في صَوْنٍ ورفاهية وتجمّل.

وآخر أصحابه موتاً راوي «الموطأ» أبو حُذَافَة أحمدُ بنُ إسماعيلَ السَّهميُّ، عاش بعد مالك ثمانين عاماً.

[٢] وطلب مالكُ العلمَ، وهو ابن بضع عشرَةَ سنةً، وتأهَّل للفُتيا، وجلس للإفادة، وله إحدى وعشرون سنة، وحدَّث عنه جماعةٌ وهو حيٌّ شابٌّ طريٌّ، وقصدَه طَلَبَةُ العلم من الآفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور وما بعد ذلك، وازدحموا عليه في خلافة الرشيد، وإلى أن مات.

[٣] عن أبي هريرة، يبلغ به النبي ﷺ قال: «لَيَضربَنَّ الناسُ أكباد الإبلِ في طَلَبِ العِلْمِ، فَلاَ يَجِدُونَ عَالِماً أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ المَدِينَةِ».

وذكر أبو المغيرة المخزوميُّ أنَّ معناه: ما دام المسلمون يطلبُون العلم لا يجدون أعلمَ من عالم بالمدينة. فيكون على هذا: سعيد بن المسيِّب، ثم بعده من هو مَنْ شيوخ مالك، ثم مالك، ثم مَن قام بعده بعلمه، وكان أعلمَ أصحابه.

قلتُ: كان عالمَ المدينة في زمانه بَعد رسول الله ﷺ، وصاحبيه، زيدُ بن ثابت، وعائشة، ثم ابنُ عمر، ثم سعيد بنُ المسيِّب، ثم الزُّهريُّ، ثم عبيدُ الله بن عمر، ثم مالك.

وعن ابن عُيينة قال: مالكُ عالم أهلِ الحجاز، وهو حُجَّةُ زمانِه.

وقال الشافعي - وصَدَق وبَرَّ - إذا ذُكر العلماء فمالكُ النجم.

ولم يكن بالمدينة عالمٌ من بعد التابعين يُشْبِهُ مالكاً في العلم، والفقه، والجَلالة

(١) انظر السير: ٨/٤٨ - ١٣٥.

والحفظ، فقد كان بها بعدَ الصحابة مثلُ سعيد بنِ المسيِّب، والفقهاءِ السبعة(1)، والقاسم، وسالم، وعكرمة، ونافعٍ، وطبقتهم، ثم زيد بن أسلم، وابن شهاب، وأبي الزِّناد، ويحيى بنِ سعيد، وصفوانَ بنِ سُليم، وربيعةَ بنِ أبي عبدالرحمن، وطبقتِهم، فلمـا تَفـانَـوا، اشتهر ذكرُ مالك بها، وابنِ أبي ذِئب، وعبدالعزيز بنِ الماجِشون، وسُليمانَ بنِ بلال، وفُلَيْح بنِ سُليمان، والدَّراوردِيِّ، وأقرانِهم، فكان مالكٌ هو المقدَّم فيهم على الإطلاق، والذي تُضرَبُ إليه آباطُ الإبل من الآفاق رحمه الله تعالى.

[1]أبو مُصعَب: سمعتُ مالكاً يقول: دخلتُ على أبي جعفر أميرِ المؤمنين، وقد نَزَلَ على مثال له ـ يعني فرشه ـ وإذا على بساطه دابتان ما تَروثانِ ولا تَبولانِ، وجاء صبيٌّ يخرج ثم يرجعُ، فقال لي: أتدري من هذا؟ قلتُ: لا. قال: هذا ابني، وإنما يَفْزعُ من هيبتك، ثم ساءلني عن أشياءَ منها حلالٌ ومنها حرامٌ، ثم قال لي: أنت ـ والله ـ أعقلُ الناسِ، وأعلمُ الناس. قلت: لا والله يا أميرَ المؤمنين. قال: بلى ولكنك تكتُمُ. ثم قال: والله لئن بقيتُ لأكتبنَّ قولَك كما تُكْتَبُ المصاحفُ، ولأبعثنَّ به إلى الآفاق، فلأحملنَّهم عليه.

[2]قال خَلَف: ودخلت عليه، فقال: ما ترى(2)؟ فإذا رؤيا بَعَثَها بعضُ إخوانه، يقول: رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام، في مسجد قد اجتمع الناسُ عليه، فقال لهم: إني قد خبـأتُ تحت منبـري طيباً أو علماً، وأمرتُ مالكاً أن يُفَرِّقه على الناس، فانصرف الناس وهم يقولون: إذاً ينفِّذُ مالكٌ ما أَمَره به رسول الله ﷺ، ثم بكى، فقمتُ عنه.

[3]عمر بن المحبِّر الرُّعَيني، قال: قدم المهديّ المدينة، فبعث إلى مالك، فأتاهُ، فقـال لهارونَ وموسى: اسمعا منه، فبعث إليه، فلم يُجِبْهما، فأعلما المهديَّ،

(1) الفقهاء السبعة نظم أسماءهم بعضهم بهذين البيتين:

إذا قيل مـن فـي الفقه سبعة أبحر ... روايتهم ليست عن العلم خارجة

فقل هم عبيد الله عروة قاسم ... سعيد أبو بكر سليمان خارجة

(2) نص الحلية: فقال لي: انظر ما ترى تحت مصلاي أو حصيري، فنظرت، فإذا أنا بكتاب، فقال: أقرأه...

فكلمه، فقال: يا أمير المؤمنين، العلمُ يؤتى أهلُه، فقال: صدق مالك، صيرا إليه، فلمَّا صارا إليه، قال له مؤدبهما: اقرأ علينا. فقال: إنَّ أهل المدينة يقرؤون على العالم، كما يقرأُ الصبيانُ على المعلِّم، فإذا أخطؤوا، أفتاهم. فرجَعوا إلى المهديِّ، فبعثَ إلى مالك، فكلمه، فقال: سمعتُ ابن شهاب يقول: جمعنا هذا العلم في الروضة من رجال، وهم يا أمير المؤمنين: سعيد بن المسيِّب، وأبو سَلَمَة، وعروة، والقاسم، وسالم، وخارجة بنُ زيد، وسليمانُ بنُ يَسار، ونافع، وعبدالرحمن بنُ هُرْمز، ومِن بعدهم: أبو الزِّناد، وربيعةُ، ويحيى بنُ سعيد، وابنُ شهاب، كلُّ هؤلاء يُقرأ عليهم ولا يقرؤون، فقال: في هؤلاء قدوةٌ، صيروا إليه، فاقرؤوا عليه، ففعلوا.

[١]السَّرَّاجُ: حدثنا قتيبة: كنا إذا دخلنا على مالك، خرج إلينا مُزَيّناً مكحلاً مطيباً. قد لبس من أحسنِ ثيابه، وتصدَّر الحلقة، ودعا بالمَراوح، فأعطى لكلٍّ منا مروحة.

[٢]ابن وهب: سمعتُ مالكاً يقول: اعلم أنه فساد عظيم أن يتكلم الإنسان بكل ما يسمع.

[٣] إسماعيل بن أبي أُويس، قال: سألتُ خالي مالكاً عن مسألة، فقال لي: قِرَّ ثم توضأ، ثم جلس على السرير ـ ثم قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. وكان لا يُفتي حتى يقولَها.

[٤]عن مالك، قال: دخلت على المنصور، وكان يدخل عليه الهاشميُّون، فيُقبلون يَدَه ورجلَه ـ عصمني الله من ذلك ـ.

[٥] عن مالك، قال: لا يؤخَذُ العلمُ عن أربعة: سَفيه يعلن السَّفَه، وإن كان أروى النَّاس، وصَاحِب بدعة يدعُو إلى هواهُ، ومن يكذبُ في حديث النَّاس، وإن كنتُ لا أتّهمه في الحديث، وصالحٍ عابد فاضلٍ إذا كان لا يحفظُ ما يُحدِّث به.

صفة الإمام مالك

[١] عن عيسى بن عُمرَ قال: ما رأيتُ قطُّ بياضاً ولا حُمرةً أحسنَ من وجهِ مالك، ولا أشدَّ بياضِ ثَوْبٍ من مالك.

ونقـل غيرُ واحد أنه كان طُوالاً، جسيماً، عظيمَ الهامة، أشقر، أبيض الرأس واللحية، عظيمَ اللحية، أصْلَع، وكان لا يُحفي شاربَه(١)، ويراه مُثْلَةً.

كان يوفِّر سَبَلته(٢)، ويحتجُّ بفتل عمرَ شاربَه.

وقال ابن وهب: رأيتُ مالكاً خَضَب بِحِنَّاء مرة.

وقد كان مالكٌ إماماً في نقد الرجال، حافظاً، مجوّداً، مُتْقِناً.

[٢] عن مالِك، قال: قَدِم علينا الزهريُّ، فأتيناه ومعنا رَبيعة، فحدثنا بنّيف وأربعين حديثاً، ثم أتيناه مِن الغد، فقال: انظروا كتاباً حتى أُحدثكم منه، أرأيتُم ما حدثتكم به أمس، أيش في أيديكم منه؟ فقال ربيعةُ: ها هنا من يردُّ عليكَ ما حدثتَ به أمس. قال: ومَنْ هو؟ قال: ابنُ أبي عامر. قال: هـاتِ، فَسَردَ له أربعين حديثاً منها، فقال الزهريُّ: ما كنت أرى أنه بقي من يحفظُ هذا غيري.

[٣] وعن مالك قال: جُنَّة العالم: «لا أدري» فإذا أغفلها أُصيبَتْ مقاتلُه.

[٤] عن مالك، سَمِعَ عبدَاللهِ بنَ يزيد بنِ هُرْمُز يقول: ينبغي للعالم أن يُورِّث جُلَساءه قول: «لا أدري»، حتى يكونَ ذلك أصلاً يَفْزَعُونَ إليه.

[٥] قال ابنُ عبدالبرِّ: صح عن أبي الدرداء أنَّ: «لا أدري»، نِصفُ العلم.

[٦] قال محمد بنُ رُمْح: رأيتُ النبي ﷺ، فقلتُ: يا رسولَ الله، إن مالكاً والليث يختلفانِ، فبأيِّهما آخذ؟ قال: مالكٌ، مالكٌ.

[٧] محمدُ بن عمر، سمعت مالكاً يقول: لما حجَّ المنصورُ، دعاني فدخلتُ عليه، فحادثته، وسألني فأجبتُه، فقال: عزمتُ أن آمر بكتبك هذه ـ يعني الموطأ ـ فتنسخ نُسَخاً، ثم أبعثَ إلى كُلِّ مصرٍ من أمصار المسلمين بنسخة، وآمُرَهُم أن يعملوا بما

---

(١) أي لا يبالغ في قصه.

(٢) السبلة: ما على الشفة العليا من الشعر، يجمع الشاربين وما بينهما.

فيها، ويَدَعوا ما سوى ذلك من العلم المُحدَث، فإني رأيتُ أصلَ العلم رواية أهلِ المدينةِ وعلمَهم. قلتُ: يا أميرَ المؤمنين، لا تفعلْ، فإن النَّاس قد سِيقتْ إليهم أقاويلُ وسمعوا أحاديثَ، ورَوَوْا رواياتٍ، وأخذ كلُّ قوم بما سِيق إليهم، وعمِلوا به، ودانوا به، من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم، وإنّ ردَّهم عما اعتقدوه شديدٌ، فدع الناسَ وما هُم عليه، وما اختار أهلُ كل بلد لأنفسهم. فقال: لعمري، لو طاوعتني لأمرتُ بذلك.

[١] المحنــة

ابنُ سَعد: حدثنا الواقديُّ قال: لما دُعيَ مالكٌ، وشُووِرَ، وسُمِعَ منه، وقُبل قولُه، حُسد، وبَغَوه بكل شئ، فلما وَلِي جعفُر بن سليمان المدينة، سَعَوا به إليه، وكثّروا عليه عِنده، وقالُوا: لا يَرى أَيْمانَ بيعتِكم هذه بشئ، وهو يأخذ بحديثٍ رواه عن ثابت بن الأحنف في طلاق المُكرَه: أنه لا يجوز عنده، قال: فَغَضب جعفرُ، فدعا بمالك، فاحتجَّ عليه بما رُفِعَ إليه عنه، فأمر بتجريده، وضَرْبه بالسّياط، وجُبِذَتْ يَدُه حتى انخلعتْ مِن كتفه، وارتُكِبَ منه أمرٌ عظيم، فوالله ما زال مالك بعدُ في رِفعة وعُلوّ.

[٢] قُلت: هذا ثمرةُ المِحنة المحمودَة، أنها ترفعُ العبدَ عند المؤمنين، وبكل حال فهي بما كسبت أيدينا، ويعفو الله عن كثير: «وَمَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ»، وقال النبي ﷺ: «كـل قضاء المؤمن خيرٌ له» وقال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ المُجاهِدِينَ مِنكُم والصَّابِرِينَ﴾ [محمد ٣١]، وأنزل تعالى في وقعة أُحد قوله: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبةٌ قَدْ أَصَبْتمُ مِثْلَيْها قُلْتُمْ أَنَّى هذا، قُل هُو مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُم﴾ [آل عمران ١٦٥]. وقـال: ﴿وَما أَصَابَكُمْ مِن مُصيبةٍ فبما كَسَبَتْ أَيْديكُم وَيَعْفُواْعَن كَثير﴾ [الشورى ٣٠]. فالمؤمن إذا امْتُحِنَ صَبَر واتَّعظَ، واستغفر ولم يتشاغل بذمٍّ من انتقم منه، فالله حكَمٌ مُقسِطٌ، ثم يَحمَدُ اللهَ على سلامةِ دينه، ويعلم أن عقوبة الدنيا أهونُ وخيرٌ له.

ولمالك رحمه الله رسالةٌ في القَدر، كتبها إلى ابنِ وهب وإسنادها صحيح.

وله مؤلَّف: في النجومِ ومنازِل القَمر، ورسالة في الأقضية، ورسالةٌ إلى الليث في اجماع أهل المدينة، معروفة.

فأما ما نقلَ عنه كبار أصحابه من المسائل، والفتاوى، والفوائد، فشيءٌ كثير، ومن كنوز ذلك: «المدَوَّنة»، و«الواضحة»، وأشياء.

[١] قال مالكي: قد ندر الاجتهادُ اليومَ، وتعذَّر، فمالك أفضلُ من يُقَلَّد، فرجح تقليده.

[٢] وقال شيخ: إن الإمام لمن التزم بتقليده، كالنبي مع أُمته، لا تَحِلُّ مخالفتُه.

[٣] قلتُ: قولُه لا تَحِلُّ مخالفته: مجردُ دعوى، واجتهاد بلا معرفة، بل له مخالفةُ إمامِه إلى إمام آخر، حُجَّتُه في تلك المسألة أقوى، لا بل عليه اتباعُ الدليل فيما تَبـرهنَ له، لا كمن تَمذهب لإمام، فإذا لَاح له ما يُوافِقُ هواه، عَمِلَ به من أيِّ مذهب كان، ومن تَتَبَّع رُخَصَ المذاهب، وزلاتِ المجتهدين، فقد رقّ دينُه، كما قال الأوزاعي أو غيرهُ: مَنْ أخذ بقول المكيين في المُتعة، والكوفيين في النَّبيذ، والمدنيين في الغناء، والشاميِّين في عصمة الخلفاء، فقد جمع الشرَّ. وكذا من أخذ في البيوعِ الربوية بمن يتحيَّلُ عليها، وفي الطَّلاق ونكاح التَّحليل بمن توسَّعَ فيه، وشِبْهِ ذلك، فقد تعرَّض للانحلال، فنسأل الله العافيةَ والتوفيق.

[٤] ولكنْ: شأن الطالب أن يَدْرُسَ أولاً مُصنفاً في الفقه، فإذا حفظه، بحثَه، وطَالع الشروح، فإن كان ذكياً، فقيه النفس، ورأى حُجَجَ الأئمة، فليُرَاقِب الله، وليَحتَطْ لدينـه، فإن خيرَ الـدينِ الـوَرَعُ، ومن تَرَكَ الشُّبهاتِ، فقد استبرأ لدينِه وعرضِه، والمعصومُ من عصمهُ الله.

[٥] فالمقلَّدون صحابةُ رسول الله ﷺ، بشرط ثبوتِ الإسناد إليهم، ثم أئمةُ التابعين كعَلْقمة، ومَسْروق، وعَبِيدة السَّلماني، وسعيد بنِ المُسيِّب، وأبي الشعثاء، وسعيد بنِ جُبير، وعُبيدِ الله بنِ عبـد الله، وعُروة، والقاسم، والشَّعبي، والحسنِ، وابنِ سيرين، وإبراهيم النَّخعي.

ثم كالزهريِّ، وأبي الزِّناد، وأيّوبَ السّختياني، وربيعة، وطبقتهم.

ثم كأبي حنيفة، ومالك، والأوزاعيّ، وابن جُريج، ومَعمر، وابن أبي عَروبة، وسُفيان الثَّوري، والحمّادَين، وشُعبة، والليث، وابن الماجِشُون، وابن أبي ذِئْب.

ثم كابنِ المبـارك، ومُسلم الزَّنجي، والقاضي أبي يوسف، والهِقل بن زِياد، ووكيع، والوليد بن مُسلم، وطبقتهم.

ثم كالشافعي، وأبي عُبيد، وأحمد، وإسحاق، وأبي ثَور، والبُويطي، وأبي بكر ابن أبي شيبة.

ثم كالمـزني، وأبي بكر الأثرم، والبخاري، وداود بن عليّ، ومحمد بن نَصر المَرْوَزي، وإبراهيم الحَربي، وإسماعيل القاضي.

ثم كمحمد بن جرير الطبري، وأبي بكر بن خُزيمة، وأبي عباس بن سُريج، وأبي بكر بن المُنذر، وأبي جَفر الطَّحاوي، وأبي بكر الخَلاّل.

[١] ثم من بعد هذا النمط تناقَصَ الاجتهاد، ووُضِعَتِ المختصراتُ، وأخلد الفقهاءُ إلى التقليد، من غير نظرٍ في الأعلم، بل بحسَبِ الاتفاق، والتَّشهي، والتعظيم، والعادة، والبلد. فلو أراد الطالبُ اليوم أنْ يتَمَذْهَبَ في المغرب لأبي حنيفة، لعَسُر عليه، كما لو أرادَ أن يتمذهب لابن حنبل بِبُخَارى، وسَمَرْقَند، لصعُب عليه، فلا يجيئ منه حنبليٌّ، ولا من المغربيّ حنفيّ، ولا من الهنديّ مالكيّ، وبكل حال: فإلى فقهِ مالك المنتهى. فعامَّةُ آرائه مسدَّدة، ولو لم يكن له إلا حسمُ مادة الحِيَل، ومـراعاة المقاصد، لكفاه. ومذهبُه قد ملأ المغربَ، والأندلس، وكثيراً من بلاد مصـر، وبعض الشام، واليمن، والسودان، وبالبصرة، وببغداد والكوفة، وبعض خراسان، وكذلك اشتهر مذهبُ الأوزاعي مدة، وتلاشى أصحابُه، وتفانوا. وكذلك مذهب سُفيان وغيره مِمّن سمينا، ولم يبق اليوم إلا هذه المذاهُب الأربعةُ. وقلَّ من ينهض بمعرفتها كما ينبغي، فضلاً عن أن يكون مجتهداً.

[٢]وانقطع أتْباعُ أبي ثور بعد الثلاثِ مئة، وأصحابُ داود إلا القليل، وبقي مذهبُ ابن جرير إلى ما بعد الأربع مئة.

[١] وللزيدية مذهبٌ في الفروع بالحجاز وباليمن، لكنه معدودٌ في أقوال أهل البدع، كالإماميَّة، ولا بأسَ بمذهب داود، وفيه أقوالٌ حسنة، ومتابعةٌ للنُّصوص، مع أن جماعةً من العلماء لا يعتدُّون بخلافه، وله شذوذٌ في مسائلَ شانت مذهبَه.

ولكن هذا الإمامَ الذي هو النجمُ الهادي قد أنصف، وقال قولاً فَصْلاً، حيث يقول: كل أحد يؤخذُ من قوله، ويُترك، إلا صاحب هذا القبر ﷺ.

[٢] ولا ريبَ أن كلَّ مَن أنِسَ من نفسه فقهاً، وسَعَة علمٍ، وحُسنَ قصدٍ فلا يسعه الالتزام بمذهبٍ واحد في كل أقواله، لأنه قد تبرهن له مذهبُ الغيرِ في مسائل، ولاح له الدليل، وقامت عليه الحجةُ، فلا يُقلِّد فيها إمامَه، بل يَعْمَلُ بما تَبرهَنَ، ويقلِّد الإمام الآخر بالبرهان، لا بالتّشهِّي والغرض، لكنه لا يُفتي العامَّة إلا بمذهب إمامه، أو ليصمتْ فيما خفيَ عليه دليلُه.

وذكر أحمد بنُ حنبل مالكاً، فقدَّمه على الأوزاعيِّ، والثَّوريِّ، والليث، وحمَّاد والحكَم، في العلم. وقال: هو إمامٌ في الحديث، وفي الفقه.

وقال أسدُ بن الفِرات: إذا أردتَ الله والدارَ الآخرة فعليك بمالك.

وقد ذَكره أبو عَمرو الداني في «طبقات القرَّاء». وأنه تلا على نافع ابن أبي نُعيم.

[٣] المُفضَّل الجَنَدِي، سَمعتُ أبا مُصعب، سمعتُ مالكاً، يقول: ما أفتيتُ حتى شَهِدَ لي سَبعون أنِّي أهلٌ لذلك.

[٤] ثم قال أبو مُصْعب: كان مالك لا يُحدِّث إلا وهو على طَهارة إجلالاً للحديث.

[٥] قيلَ لمالك: ما تقولُ في طلب العلم؟ قال: حسنٌ جميل، لكن انظُرِ الذي يَلْزَمُك من حين تُصبحُ إلى أن تُمْسِيَ، فالزمه.

[٦] عن ابن وهب: سئل مالك عن الدَّاعي يقول: يا سيدي. فقال: يُعجبني دعاءُ الانبياء: ربنا، ربنا.

[٧] نُعيمُ بن حَمَّاد، سمعت ابن المبارَك يقول: ما رأيتُ أحداً ارتفعَ مثل مالك، ليس لَه كثيرُ صلاة ولا صِيام، إلا أن تكونَ له سريرةٌ.

[١] قلت: ما كان عَليه من العلم ونَشْرِه أفضلُ مِن نوافل الصوم والصلاة لمن أراد به الله.

[٢] عبدالله بن عَبد الحكَم، سَمعتُ مالكاً يقول: شاوَرني هارونُ الرشيد في ثلاثة: في أن يُعلِّقَ الموطَّأَ في الكعبة، ويحمِلَ الناسَ على ما فيه، وفي أن ينقُضَ منبَر رسول الله ﷺ ويجعله من ذهب وفضة وجَوهر، وفي أن يُقدِّم نافعاً إماماً في مسجد النبي ﷺ. فقلت: أما تعليقُ «الموطأ» فإن الصَّحابة اختلفوا في الفروع، وتفرَّقوا، وكلٌّ عند نفسه مصيبٌ. وأما نقضُ المنبر، فلا أرى أن يُحرَمَ الناسُ أثَر رسول الله ﷺ. وأما تقدمتُك نافعاً فإنه إمامٌ في القراءة، لا يُؤمَنُ أن تَبدُر منه بادرةٌ في المحراب، فُتحفَظ عليه. فقال: وفَّقكَ اللهُ يا أبا عبدالله.

هذا إسناد حسنٌ، لكن لعلَّ الراوي وهِمَ في قوله: هارون، لأن نافعاً قبل خلافة هارون مات.

من قول مالك في السُّنَّة

[٣] مُطرِّف بن عبدالله، سمعتُ مالكاً يقول: سَنَّ رسولُ الله ﷺ، ووُلاةُ الأمرِ بَعده سُنناً، الأخذُ بها اتِّباعٌ لكتاب الله، واستكمالٌ بطاعَةِ الله، وقوةٌ على دين الله، لَيس لأحد تغييرُهَا، ولا تبديلُها، ولا النَّظرُ في شيءٍ خالفها، من اهتدى بها، فهو مُهتد، ومن استنصر بها، فهو منصور، ومن تركها، اتَّبع غير سبيل المؤمنين، وولَّاه الله ما تولَّى، وأصلاهُ جهنَّمَ وساءت مصيرا.

[٤] قال مالك: أكُلَّما جاءنا رجلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ تركنا ما نزلَ به جبريلُ على محمد ﷺ لِجدَلِه؟!.

[٥] أبو ثور: سمعت الشافعيَّ يقول: كان مالك إذا جاءه بعض أهلِ الأهواء قال: إني علىٰ بَيِّنة من ديني، وأمَّا أنت، فشاكٌّ، اذهب إلىٰ شاكٍّ مثلك فخاصِمْه.

[٦] جَعفر بن عبدالله قال: كُنا عند مالك، فجاءه رجلٌ، فقال: يا أبا عبدالله ﴿الرَّحمنُ على العَرشِ استَوى﴾ [طه ٥]. كيف استوى؟ فما وَجَدَ مالكٌ من شيءٍ

ما وَجَدَ من مسألتِه، فنظر إلى الأرض، وجعل ينكُتُ بعود في يده، حتى علاه الرحضاء[1]، ثم رفع رأسه، ورَمى بالعود، وقال: الكيفُ منه غَيرُ معقول، والاستواء منه غيرُ مجهول، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤال عنه بِدعةٌ، وأظنكَ صاحِبَ بدعةٍ، وأَمَرَ به فأُخْرِجَ.

[١] قال مالك: لا يُستَتَاب من سَبَّ النبي ﷺ، من الكُفار والمسلمين.

[٢] قال ابنُ القاسِم: سألتُ مالكاً عمَّن حدَّث بالحديث: الذين قالوا: «إنَّ الله خلقَ آدَمَ على صُورَتِهِ». والحديث الذي جاء: «إن الله يكْشفُ عَن سَاقِهِ»«وأنَّه يُدْخِلُ يَده في جَهَنَّم حَتَّى يُخْرِجَ مَن أَرادَ». فأنكر مالكٌ ذلك إنكاراً شديداً، ونهى أن يُحدِّث بها أحد، فقيل له: إن ناساً من أهل العلم يتحدَّثون به، فقال: مَنْ هو؟ قيل: ابن عَجلان عن أبي الزِّناد، قال: لم يكن ابنُ عجلان يَعرفُ هذه الأشياءَ، ولم يكن عالماً.

[٣] قلتُ: أنكَر الإمامُ ذلك، لأنَّه لم يَثبتْ عنده، ولا اتَّصل به، فهو مَعْذور، كما أن صاحِبي «الصَّحيحَين» مَعْذوران في إخراج ذلك ـ أعني الحديث الأول والثاني ـ لثبوت سندهما، وأما الحديثُ الثالث، فلا أعرفه بهذا اللفظ، فقولُنا في ذلك وبابِه: الإقرار، والإمرار، وتفويض معناه إلى قائِله الصادق المَعصوم.

[٤] قال ابنُ القاسم: سألتُ مالكاً عن علي وعثمان. فقال: ما أَدركتُ أحداً ممن اقتدي به إلا وهو يرى الكفَّ عنهما، قال ابن القاسم: يُريدُ التفضيل بينهما فقلتُ: فأبو بكر وعمر؟ فقال: ليس فيهما إشكالٌ، إنهما أفضلُ من غيرهما.

[٥] وعن مالك قال: الجِدال في الدِّين يُنشئ المِراءَ، ويذهبُ بنورِ العلم مِن القلب ويقسِّي، ويُورث الضِّغن.

[٦] ابن وهب: سمعتُ مالكاً يقول حَقٌّ على من طلب العلم أن يكون له وَقَارٌ وسكينةٌ وخشية، والعلم حَسَنٌ لمن رُزق خَيره، وهو قَسْمٌ مِن الله تعالى، فلا تمكن

---

(١) الرحضاء: العرق إثر الحمى، أو عرق يغسل الجلد كثرة.

الناسَ مِن نفسك، فإن من سعادة المرء أن يُوفَّقَ للخير، وإن من شِقوة المرء أن لا يزال يُخطئ، وذلٌّ وإهانةٌ للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيعه.

[١] القعنبيُّ: سمعت مالكاً يقول: كان الرجل يختلف إلى الرجل ثلاثين سنة يتعلم منه.

[٢] قال مَخلد بنُ خِداش: سألتُ مالكاً عن الشِّطرنج. فقال: أحقٌّ هو؟ فقلتُ: لا. قال: ﴿فَمَاذا بَعدَ الحَقِّ إلاّ الضَّلال﴾ [يونس ٣٢].

[٣] عن مالك قال: إنَّ الرجلَ إذا ذهب يمدحُ نفسه، ذهب بهاؤهُ.

[٤] قال ابن وهب: قيل لأخت مالك: ما كان شغل مالك في بيته؟ قالت: المصحف، التلاوة.

[٥] قال أبو مصعب: كانوا يَزدَحِمون على باب مالك حتى يقتتلوا من الزِّحام. وكنَّا إذا كنَّا عنده لا يلتفِتُ ذا إلى ذا، قائلون برؤسهم هكذا. وكانت السلاطينُ تهابهُ، وكان يقول: لا، ونعم. ولا يُقال له: من أين قلت ذا؟

[٦] قيل لمالك: إنك تدخلُ على السلطان، وهم يَظلمون، ويجورون، فقال: يرحمك الله، فأين المكلِّم بالحق.

[٧] ابن عبدالحكم: سمعتُ الشافعيَّ يقول: قال لي محمد: أيهما أعلمُ صاحبُنا أم صاحبكُم؟ يعني أبا حنيفة ومالكاً: قلتُ: على الإنصاف؟ قال: نعم. قلت: أنشدُكَ الله، من أعلمُ بالقرآن؟ قال: صاحبكم. قلتُ: من أعلمُ بالسنة؟ قال: صاحبكُم. قلتُ: فمن أعلم بأقاويل الصَّحابةِ والمتقدمين؟ قال: صاحبكُم. قلتُ: فلم يبق إلا القياس، والقياسُ لا يكون إلا على هذه الأشياء، فمن لم يَعرف الأصولَ، على أي شيءٍ يَقيس؟

[٨] قلتُ: وعلى الإنصاف، لو قال قائلٌ: بل هما سواءٌ في علم الكتاب، والأول، أعلم بالقياس، والثاني: أعلمُ بالسنة، وعنده علم جَمٌّ من أقوال كثير من الصحابة، كما أن الأول أعلمُ بأقاويل عليٍّ، وابنِ مسعود وطائفة ممن كان بالكوفة من أصحاب رسول الله ﷺ. فرضي الله عن الإمامين، فقد صِرنَا في وقتٍ لا يَقدِرُ الشخصُ على

النطق بالإنصاف، نسأل الله السلامة.

كان خاتِمُ مالك، الذي مات وهو في يده، فَصُّهُ أسودُ حجريّ، ونَقشُهُ: حسبي الله ونِعم الوكيل. وكان يَلبسَهُ في يساره، وربما لبسه في يمينه.

[١] وقال ابن وَهب: ما نقلنا من أدب مالك أكثرُ مما تعلمنا من علمه.

[٢] وعن مالك قال: ما جالستُ سفيهاً قطُّ.

قال أبو العباس السَّراج: سمعتُ البخاريَّ يقول: أصحُ الأسانيد: مالكُ، عن نافع، عن ابن عمر.

قال الحافظ ابنُ عبدِ البَرِّ في «التمهيد» هذا كتبتُه مِن حفظي، وغاب عني أصلي: إن عبدالله العُمري العابد كتب إلى مالك يحضُّه على الانفراد والعمل. فكتب إليه مالك: إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فَرُبَّ رجلٍ فُتحَ له في الصلاة، ولم يُفتح له في الصَّوم، وآخر فُتحَ له في الصَّدقة ولم يُفتح له في الصَّوم، وآخر فُتحَ له في الجِهاد، فنَشرُ العلم مِن أفضل أعمال البر، وقد رضيتُ بما فُتحَ لي فيه، وما أَظنُ ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبِرٍّ.

وفاةُ مالك

قال القعنبي: سمعتهم يقولون: عُمُر مالك تسعٌ وثمانون سنة، ماتَ سنةَ تسعٍ وسبعين ومئة.

[٤] قال إسماعيل بن أبي أُويس: مَرِض مالكُ، فسألتُ بعض أهلنا عما قال عند الموت، قالوا: تَشهَّد، ثم قال: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم ٤] وتُوفي.

[٥] ونقل القاضي عياض أن أسَدَ بنَ موسى قال: رأيتُ مالكاً بعد موته، وعليه طويلة، وثيابُ خضر وهو على ناقة، يطيرُ بين السماء والأرض. فقلتُ: يا أبا عبدالله، أليس قد مُتَّ؟ قال: بلى. فقلت: فالإم صِرتَ؟ فقال: قَدِمتُ على ربي وكلمني كِفاحاً(١) وقال: سلني أعطِك، وتمنَّ علي أُرْضِك.

(١) أي: مواجهة وبدون واسطة.

قُلت: ودُفِنَ بالبقيع اتفاقاً، وقبرُه مشهورٌ يُزار، رحمه الله.

[١]ويقال: إنه في الليلة التي ماتَ فيها، رأى رجلٌ من الأنصار قائلاً يُنْشِدُ:

لَقد أصبَحَ الإسلام زُعْزِع رُكْنُهُ غداةَ ثَوى الهَادِي لَدَى مَلحدِ القَبرِ
إمام الهُدى مَا زَال لِلعلم صَائناً عليه سَلامُ الله في آخِرِ الدَّهرِ

قال: فانتبهتُ، فإذا الصارخةُ على مالك.

[٢]وقال ابنُ أبي أُويس: بيعَ ما في منزل خالي مالك من بُسُط، ومِنصَّاتٍ، ومخادّ، وغير ذلك، بما يُنيف على خمس مئة دينار.

[٣]وقال محمد بنُ عيسى بن خَلَف: خلَّف مالك خمس مئة زوج من النِّعال، ولقد اشتهى يوماً كِساء قوصيًّاً، فما مات إلا وعنده منها سبعة، بُعثت إليه.

[٤]قال أبو عمرو: تركَ من الناضِّ(١) ألفي دينار وستَّ مئة دينار، وسبعةً وعشرين ديناراً، ومن الدراهم ألفَ درهم.

[٥]قلتُ: قد كان هذا الإمـام من الكبراء السُّعداء، والسادة العلماء، ذا حِشمة وتَجمُّلٍ، وعَبيد، ودارٍ فاخرة، ونعمة ظاهرة، ورِفعة في الدنيا والآخرة. كان يقبل الهديةَ، ويأكلُ طيباً ويعملُ صالحاً.

٣٦٣ ـ اللَّيث بن سعد (ع)(٢)

[٦]**ابن عبدالرحمن، الإمام الحافُظ شيخُ الإسلام، وعالِمُ الديار المصرية، أبو الحارث الفَهمي مولى خالد بنِ ثابت بنِ ظاعن.**

مولده: بقَرْقَشَندة ـ قرية من أسفل أعمال مصر ـ في سنة أربع وتسعين.

[٧]كان الليثُ رحمه الله فقيهَ مصر، ومحدِّثَها، ومُحْتشِمَهَا، ورئيسَها، ومن يَفتخِرُ بوجـودِهِ الإقليم، بحيث إن متـولي مصـر وقـاضيهـا وناظرها، من تحتِ أوامره، ويَرجِعون إلى رأيه، ومشورته، ولقد أراده المنصور على أن ينوب له على الإقليم، فاستعفى من ذلك.

(١) الناض: النقد من الدنانير والدراهم. (٢) انظر السير: ٨/١٣٦-١٦٣.

[١] قال الحسن بنُ يوسف بنِ مُلَيح: سمعتُ أبا الحسن الخادم، قال: كنتُ غلاماً لزبيدة، وأُتي بالليث بن سعد تستفتيه فكنتُ واقفاً على رأس ستِّي زُبيدة، خَلْفَ السِّتارة، فسأله الرشيدُ، فقال له: حَلَفْتُ إن لي جنَّتين، فاستحلَفه الليثُ ثلاثاً: إنَّـك تخـافُ الله؟ فحلفَ له، فقال: قال الله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن ٤٦]. قال: فأقطعهُ قطائع كثيرة بمصر.

قلت: إن صح هذا، فهذا كان قبل خِلافة هارون.

وقال ابنُ بُكير: كان الليثُ فقيهَ البدن، عربيَّ اللسان، يُحْسِنُ القرآن والنحوَ، ويحفظُ الحـديثَ، حسنَ المذاكرة، فما زال يذكر خِصالاً جميلة، ويَعْقِدُ بيده، حتى عقد عشرة: لم أرَ مثلَه.

هارون بن سعيد: سمعت ابن وهب يقولُ: كُلُّ ما كانَ في كتب مالك: وأخبرني من أرضى مِن أهل العلم، فهو الليث بنُ سعد.

[٢] عثمانُ بنُ صالح، قال: كان أهلُ مِصر ينتقِصُون عُثمانَ، حتى نشأ فيهم الليثُ فحـدَّثَهم بفضـائله، فكفُّـوا. وكان أهلُ حـمـص ينتقصون علياً حتى نشأ فيهم إسماعيلُ بنُ عيَّاش، فحدَّثهم بفضائل عليّ، فكفُّوا عن ذلك.

[٣] قال قتيبة: كان الليثُ يَسْتَغِلُّ عشرين ألفَ دينارٍ في كل سنة، وقال: ما وجبتْ عليَّ زكاة قطُّ. وأعطىٰ الليثُ ابنَ لهيعة ألف دينار، وأعطىٰ مالكاً ألف دينار وأعطىٰ منصورَ بن عمار الواعظَ ألف دينار وجاريةً تَسْوى ثلاثة مئة دينار.

[٤] وجاءت امرأةٌ إلى الليث، فقالت: يا أبا الحارث، إن ابناً لي عليلٌ، واشتهى عسلاً، فقال: ياغلامُ، اعطها مِرطاً من عسل، والمِرط: عشرون ومئة رطل.

[٥] عبدالله بنُ صالح، قال: صحبتُ الليثَ عشرين سنةً، لا يتغدَّىٰ ولا يتعشَّىٰ إلا مَع الناس. وكان لا يأكُلُ إلا بلحم إلا أن يَمْرَضَ.

[٦] كان الليثُ له كلَّ يوم أربعـةُ مجـالس يجلسُ فيها: أما أوَّلها، فيجلس لنائبة السلطان في نوائبه وحَوائجه، وكان الليثُ يغشاه السلطان، فإذا أنكر مِن القاضي

أمراً، أو مِن السلطان، كتب إلى أمير المؤمنين، فيأتيه العزلُ، ويجلسُ لأصحاب الحديث، وكان يقولُ: نَجِّحوا أصحابَ الحوانيت، فإن قلوبَهم معلَّقةٌ بأسواقهم، ويجلس للمسائل، يغشاه الناسُ، فيسألونه، ويجلسُ لحوائج الناس، لا يسأله أحدٌ فيرده، كبُـرَتْ حاجتـه أو صَغُرت. وكان يُطعمُ الناسَ في الشتاء الهرائسَ بِعَسَل النَّحل وسمنِ البقر، وفي الصيف سَويقَ اللَّوز في السكر.

[١] قيل لِلَّيث: أمتعَ اللهُ بك، إنَّا نسمع منك الحديثَ ليسَ في كُتُبِكَ، فقال: أوَ كُلُّ ما في صدري في كتبي؟ لو كتبتُ ما في صدري، ما وسعه هذا المركبُ.

أحمد بنُ عبد الرحمن بنِ وَهب: سمعتُ الشافعي يقول: الليثُ أفقهُ مِن مالكٍ إلا أن أصحابَه لم يقوموا به.

مات الليثُ سنة خمس وسبعين ومئة.

[٢] قال خالد بنُ عبدالسلام الصَّرفي: شهدتُ جنازَةَ الليث بنِ سعد مع والدي، فما رأيتُ جنازةً قطُّ أعظَمَ منها، رأيتُ الناسَ كُلَّهم عليهم الحزن، وهم يُعزي بعضهُم بعضاً، ويبكون، فقلتُ: يا أبتِ، كأن كلَّ واحد من الناس صاحبُ هذه الجنازة، فقال: يا بنيَّ، لا ترى مثله أبداً.

٣٦٤ - مَيْسَرَةُ التَرَّاس(١)

[٣]قيل: هو مَيسرة بنُ عَبْدِ ربِّه الفارسيُّ، ثم البصريُّ، الأكولُ.

ضعَّفوه وقد اتُّهِم(٢).

[٤]قال الأصمعي: قال لي الـرشيد: كم أكثـر ما أكل مَيسرة؟ قلت: مئة رغيف ونصف مكُّوك مِلح، فأمر الرشيدُ فَطُرِحَ للفيل مئةُ رغيف، ففضَّل منها رغيفاً.

---

(١) انظر السير: ٨/١٦٤-١٦٥.

(٢) في «الميزان» قال ابن حبان: كان ممن يروي الموضوعات عن الإثبات، ويضع الحديث، وهو صاحب حديث فضائل القرآن الطويل. وقال أبو داود: أقر بوضع الحديث، وقال الدارقطني: متروك، وقال أبو حاتم: كان يفتعل الحديث، روى في فضل قزوين والثغور، وقال أبو زرعة: وضع في فضل قزوين أربعين حديثاً، وكان يقول: إني أحتسب في ذلك، وقال البخاري: ميسرة بن عبد ربه يرمى بالكذب.

[١]وقيل: إن بعض المُجّان قالوا له: هل لك في كبش مَشْويٍ؟ قال: ما أكره ذلك، ونزل عن حماره فأخذوا الحمارَ، وأتَوه ـ وقد جاع ـ بالشِّواءِ، فأقبل يأكُل، ويقول: أهذا لحم فيل؟! بل لحم شَيْطان، حتى فرغه، ثم طلب حماره، فتضاحكوا، وقالوا: هو والله في جوفك. وجمعوا له ثمنَه.

[٢]وقيل: نذرت امرأةٌ أن تُشبعه، فرفق بها، وأكل ما يكفي سبعين رجلاً.

٣٦٥ رِياح(١)

[٣] ابنُ عمرو القَيسي العابدُ، أبو المهاصر، بصريٌّ زاهد، متألِّه، كبيرُ القدر.

[٤] قال أبو بكر بنُ أبي الدُّنيا: حدثنا عليّ بن أبي مريم قال: قال رِياح القيسي: لي نَيِّفٌ وأربعون ذنباً، قد استغفرتُ لكل ذنب مئة ألف مرة.

[٥]قال أبو مَعمر المُقعَد: نظرت رابعةُ إلى رياح يضمُّ صبياً من أهله ويُقَبِّلُه. فقالت: أتُحبُّه؟ قال: نعم. قالت: ما كنتُ أحسِبُ أن في قلبك موضِعاً فارغاً لمحبة غيره، تبارك اسمهُ. فغُشي عليه، ثم أفَاقَ، وقال: رحمةٌ منه تعالى ألقاها في قلوب العباد للأطفال.

٣٦٦ ـ محمد بن النَّضر(٢)

[٦] أبو عبدالرحمن، الحارثيُّ، الكوفيُّ، عابدُ أهل زمانه بالكوفة.

[٧] وقال عبدُ الله بنُ محمد الكرماني: دخلتُ على محمد بن النَّضر، فقلت: كأنك تكرهُ مجالسةَ الناس. قال: أجل! كيف أستوحشُ، وهو يقول: أَنَا جَليسُ مَن ذَكَرَني.

[٨]عن محمد بن النَّضر قال: أوَّلُ العِلم الاستماعُ، والإنصاتُ، ثم حِفظُه، ثم العملُ به، ثَم بَثُّه.

---

(١) انظر السير: ٨/١٧٤ـ ١٧٥.

(٢) انظر السير: ٨/١٧٥ـ ١٧٦.

[١]قال ابن المبارك: كان محمد بنُ النضر إذا ذكر الموتَ، اضطربت مفاصله.

[٢]وعن أبي الأحْوص، قال: آلى محمد بنُ النضر على نفسه أن لا ينامَ إلا ما غلبتهُ عينُه.

٣٦٧ ـ سُليمان الخوَّاص(١)

[٣] من العابدين الكبار بالشَّام.

[٤] قال محمــد بنُ يوسف الفِريابي: كنتُ في مجلس فيه الأوزاعيُّ وسعيدُ بنُ عبدالعزيز، وسليمانُ الخوَّاص، فذكر الأوزاعي الزُّهاد، فقال: ما نزيد أن نريد مثل هؤلاء، فقـال سعيد: ما رأيتُ أزهـدَ من سليمـان الخـوَّاص، ومـا شعـر أنه في المجلس، فقنَّع سليمانُ رأسَه، وقامَ، فأقبل الأوزاعيُّ على سعيد، وقال: ويحك لا تعقِلُ ما يخرج من رأسك! تؤذي جليسَنا تزكِّيه في وجهه.

[٥]ويقـال: إن سعيدَ بنَ عبـدِالعزيزِ زار الخوَّاص ليلةً في بيته ببيروتَ، فرآه في الظلمة، فقال: ظلمةُ القبر أشدُّ، فأعطاه دراهم، فردَّها، وقال: أكرهُ أن أعوِّد نفسي مثلَ دراهِمك، فمن لي بمثلها إذا احتجتُ، فبلغ ذلك الأوزاعي فقال: دعوه فلو كان في السلف لكان علاّمة.

٣٦٨ـ سَلْم بن مَيمون(٢)

[٦]**الخوَّاص، هو أصغرُ من سُليمان الخوَّاص.**

[٧]قال إسمـاعيل بنُ مسلَمـة القعنبي: رأيتُ كأنَّ القيامةَ قد قامت، وكأن منادياً يُنادي: ألا لِيَقُم السَّابقون. فقام سفيانُ الثوريُّ، ثم نادى: ألا لِيَقُم السابقون. فقامَ سَلْمٌ الخوَّاص، ثم قام إبراهيم بنُ أدهم.

[٨]وقـال أحمد بنُ ثَعلبة: سمعتُ سلماً الخوَّاص قال: قُلت لنفسي: يا نفسُ، اقرئي القرآن كأنك سمعتيه مِن الله حين تكلَّم به، فجاءت الحلاوةُ.

بقي سلم إلى ما بعد سنة ثلاث عشرة ومئتين.

---

(١) انظر السير: ٨/١٧٨ـ ١٧٩. (٢) انظر السير: ٨/١٧٩ـ ١٨٠.

٣٦٩ - شَريك (٤)[1]

[١] ابنُ عبدالله، العلّامة الحافظ، القاضي، أبو عبدالله النَّخَعِيُّ، أحدُ الأعلام على لِين ما في حديثه. توقَّف بعضُ الأئمة عن الاحتجاج بمفاريده. وقال النَّسائي: ليس به بأس.

وقال الجُوزجاني: سيِّءُ الحفظ مضطرب الحديث مائِلٌ.

قلتُ: فيه تشيعٌ خفيف على قاعدة أهل بلده.

وكان من كبار الفقهاء، وبينه وبين الإمام أبي حنيفة وقائع.

[٢] قال أبو نُعيم: سمعتُ شريكاً يقول: قُدِّم عثمانُ يوم قُدِّم، وهو أفضلُ القوم.

[٣] قال ابن عُيينة: قيل لشريك: ما تقول فيمن يُفضِّل علياً على أبي بكر؟ قال: إذاً يفتضِحُ يقول أخطأ المسلمون.

[٤] منصور بنُ أبي مُزاحم: سمعتُ شريكاً يقول: تركُ الجواب في موضعه إذابةُ القلب.

[٥] سليمان بنُ أبي شيخ: قال شريك لبعض إخوانه: أُكرِهتُ على القضاء، قال: فأُكرِهتَ على أخذ الرزق؟

[٦] ثم قال سليمان: حكى لي عبدالله بنُ صالح بن مُسلم، قال: كان شريكُ على قضاء الكوفة، فخرج يتلقَّى الخَيزُران، فبلغ شاهي[2]، وأبطأت الخيزران، فأقام ينتظرها ثلاثاً، ويبِس خبزُه، فجعل يَبُلُّه بالماء ويأكله، فقال العلاء بنُ المنهال الغَنويّ:

فإن كانَ الَّذي قد قُلتَ حقاً ... بأَن قد أُكرهُوكَ عَلى القَضَاءِ
فما لَك مُوضِعاً في كُلِّ يَومٍ ... تَلَقَّى مَن يَحُجُّ مِن النِّساءِ؟
مُقيماً في قُرى شَاهي ثَلاثاً ... بِلا زاد سِوى كِسَرٍ وَمَاء

[٧] حمدانُ بن الأصبهاني، قال: كنتُ عند شَريك، فأتاه بعضُ ولد المهدي،

---

(١) انظر السير: ٨/٢٠٠-٢١٦.

(٢) موضع قرب القادسية.

فاستند، فسأله عن حديث، فلم يلتفِت إليه، وأقبل علينا، ثم أعاد، فعاد بمثل ذلك. فقال: كأنك تَسْتَخِفُّ بأولاد الخليفة. قال: لا، ولكن العلمَ أزْيَنُ عند أهله من أن تضيِّعوه، قال: فجثا على ركبتيه، ثم سأله، فقال شريك: هكذا يُطلَبُ العِلْمُ.

قال شريك، عن أشعث، عن محمد بنِ سيرين، قال: أدركتُ بالكوفةِ أربعةَ آلاف شاب يطلبُون العلمَ.

[١]قال حفص بن غياث، من طريق علي بن خَشرم، عنه: سمعتُ شريكاً يقول: قُبِضَ النبي ﷺ، واستخار المسلمون أبا بكر، فلو عَلِمُوا أن فيهم أحداً أفضَلُ منه كانوا قد غَشُّونا، ثم استخلف أبو بكر عمرَ، فقام بما قام به من الحق والعدل، فلما حضرته الوفاة، جعل الأمر شورى بين ستة، فاجتمعوا على عثمان. فلو علموا أن فيهم أفضلَ منه كانوا قد غَشُّونا.

[٢]قال علي بنُ خَشرم: فأخبرني بعضُ أصحابِنا مِن أهل الحديث، أنه عرض هذا على عبدالله بن إدريس، فقال ابن إدريس: أنت سمعتَ هذا من حفص؟ قلتُ: نعم: قال: الحمدُ لله الذي أنطقَ بهذا لسانَه، فوالله إنه لَشِيعيٌّ، وإن شريكاً لَشِيعيٌّ.

[٣]قلتُ: هذا التشيُّع الذي لا محذورَ فيه إن شاء الله إلا من قبيل الكلام فيمن حاربَ علياً رضي الله عنه من الصحابة، فإنه قبيحٌ يُؤدَّب فاعِلُه. ولا نذكر أحداً من الصحابة إلا بخير، ونترضَّى عنهم، ونقول: هم طائفةٌ من المؤمنين بَغتْ على الإمام عليٍّ، وذلك بنص قول المصطفى صلواتُ الله عليه لعمَّار: «تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ». فنسأل الله أن يرضي عن الجميع، وألا يجعلنا ممن في قلبه غِلٌّ للمؤمنين. ولا نرتابُ أن علياً أفضل ممن حاربه، وأنه أولى بالحقِّ رضي الله عنه.

مات سنة سبع وسبعين ومئة.

عاش اثنتين وثمانين سنةً.

[٤] قال يعقوب بنُ شَيبة: دعا المنصورُ شريكاً، فقال: إني أُريدُ أن أُولِّيك القضاءَ،

فقال: أعفني يا أميرَ المؤمنين. قال: لستُ أُعفيك. قال: فأنصَرِفُ يومي هذا، وأعودُ، فيرى أميرُ المؤمنين رأيه. قال: تُريد أن تتغيب؟ ولئن فعلتَ لأُقدمنَّ على خمسين مِن قومك بما تكره، فولاه القضاءَ فبقي إلى أيَّام المهدي، فأقره المهديُّ، ثم عزله، قال: وكان شريك ثقة مأموناً، كثير الحديث، أُنكِرَ عليه الغَلَط والخطأ.

[١] قال عيسى بنُ يونس: من يُفلِتُ من الخطأ؟ ربما رأيتُ شريكاً يُخطئ، ويُصَحِّف حتى أستحيي.

٣٧٠ - أبو عَوَانة (ع)(١)

[٢] هو الإمام الحافظ الثَّبت، محدِّثُ البصرة، الوضَّاح بنُ عبدالله، مولى يزيدَ بنِ عطاء اليَشكُري، الواسطي، البزَّاز.

كان الوضَّاح من سبي جُرجَان. مولده: سنة نَيِّف وتسعين.

[٣] قال الحافظ ابنُ عدي: كان مولاه يزيد قد خيَّره بين الحرية، وكتابةِ الحديث، فاختارَ كِتابة الحديث. وفوَّض إليه مولاه التجارة، فجاءه سائل، فقال: أعطني درهمين، فإني أنفعُك، فأعطاه، فدار السَّائلُ على رؤساء البَصرة، وقال: بكِّروا على يزيدَ بنِ عطاء، فإنه قد أعتق أبا عَوانة. قال: فاجتمعوا إلى يزيد، وهنؤوه، فَأَنِفَ من أن يُنكِرَ ذلك، فأعتقه حقيقةً.

[٤] وروى أبو عمر الضَّرير، عن أبي عَوانة، قال: دخلتُ على هَمَّام بنِ يحيى وهو مريض، أعودُه، فقال لي: يا أبا عوانة، ادعُ الله أن لا يُميتَني حتى يبلغَ ولدي الصِّغار. فقلت: إن الأجَل قد فُرِغَ منه، فقال لي: أنتَ بعدُ في ضلالك.

[٥] قلتُ: بئس المقالُ هذا، بل كلُّ شيْءٍ بقَدرٍ سابقٍ، ولكن وإن كان الأجلُ قد فُرغَ منه، فإنَّ الدُّعاء بطول البقاء قد صح. دعا الرسول ﷺ لخادِمه أنسٍ بطول العمر، والله يمحو ما يشاءُ ويُثبتُ. فقد يكونُ طولُ العمر في علم الله مشروطاً بدعاء مجاب، كما أنَّ طيرانَ العمر قد يكون بأسباب جعلها من جَوْر وعسف، و«لا يَرُدُّ

(١) انظر السير: ٨/٢١٧-٢٢٢.

القضاءَ إلا الدُّعاءُ». والكتاب الأول، فلا يتغيَّر.

مات في سنة ست وسبعين ومئة بالبصرة.

٣٧١ جَعفر بنُ سُليمان(١)

[١] **ابن علي بن حَبرِ الأمَّة عبدِ الله بنِ عباس، الأميرُ، سيدُ بني هاشم أبو القاسم العبَّاسي، ابن عم المنصور.**

وكـان من نُبـلاء الملوكِ جُوداً وبـذلاً، وشجـاعة وعلماً، وجلالة، وسُؤْدُداً، وَلِيَ المدينة، ثم مكة معها، ثم عُزِلَ، فَوَلِيَ البصرة للرَّشيد.

مات عن ثمانين ولداً لصُلبه، منهم ثلاثة وأربعون ذكراً.

وله مآثرُ كثيرةٌ ووقفٌ على المنقطعين.

قال الأصمعي: ما رأيتُ أكرَمَ أخلاقاً، ولا أشرف أفعالاً مِنه.

وَلِيَ المدينة سنة ست وأربعين ومئة بعدَ عبدالله بنِ الرَّبيع الحارثي.

[٢]وقـال الأصمعيُّ: ركب جعفر بن سليمان في زيٍّ عجيب من التجمُّل، وكان بالبصرة فقيهٌ صالح غُلِبَ على عقله، فخرج إلى طريق جعفر، فقال له: يا جعفر انظر أيَّ رجل تكونُ إذا خرجتَ مِن قَبرِك، وحُمِلتَ على الصِّراط، وهذا الجمع والـزِّي لا يُساوي غداً حَبَّة، ولا يُغنون عنك مِن الله شيئاً، إنَّك تموتُ وحدَك، وتدخل قبرك وحدَك، وتَقِفُ بين يدي الله وحدَك، وتُحاسب وحدَك، فانظُر لِنَفسك، فقد نصحتُك.

[٣]وقال حمَّاد بنُ زيد: غسَّلتُ جعفر بنَ سليمان، وزَرَرتُ عليه قميصه حين ألبسته الكفن، ثم جاء عمُّه عبدالصمد بتسعة أثواب ليكفنه فيها، فما كفن إلا في ثلاثة أثواب عملاً بالسُّنة.

وقد امتدحه جماعةٌ، وأخذوا جوائزه.

توفي سنة أربع وسبعين ومئة.

---

(١) انظر السير: ٨/٢٣٩-٢٤١.

٣٧٢ ـ رابعة العَدَوية[1]

[١] **البصريةُ، الزاهدةُ، العابدةُ، الخاشعةُ، أم عمرو، رابعة بنتُ إسماعيل.**

[٢] قال خالد بن خِدَاش: سَمِعتْ رابعةُ صالحاً المُرِّيَّ يَذكرُ الدنيا في قصصه، فنادته: يا صالح، مَن أَحبَّ شيئاً أكثرَ من ذِكْره.

[٣] بِشْرُ بن صالح العَتكي، قال: استأذن ناسٌ على رابعة ومعهم سُفيان الثَّوريّ، فتذاكروا عندها ساعةً، وذكروا شيئاً مِن الدنيا، فلما قاموا قالت لخادمتها: إذا جاء هذا الشيخُ وأصحابُهُ، فلا تأذني لَهم، فإني رأيتُهم يُحبُّون الدنيا.

[٤] عُبيس بن مَميون العطَّار، حدثتني عَبدة بنت أبي شَوَّال، وكانت تخدمُ رابعةَ العَدوية، قالت: كانت رابعة تُصلي الليل كُلَّه، فإذا طَلَعَ الفجر، هجعت هَجْعَةً حتى يُسفِرَ الفجرُ، فكنتُ أسمعُها تقول: يا نَفسُ كم تنامِينَ، وإلى كم تقومين، يُوشِكُ أن تنامي نَومةً لا تقومينَ منها إلا لِيَوم النُّشور.

[٥] قال جعفر بن سُليمان: دخلتُ مع الثوريِّ على رابعة، فقال سفيانُ: واحزناه، فقالت: لا تكذب، قل: واقِلَّة حُزناه.

[٦] قال أبـو سعيد بن الأعرابي: أما رابعةُ، فقد حَمل الناسُ عنها حكمة كثيرة، وحكى عنها سُفيان وشُعبة وغيرهما ما يدلُّ على بُطلان ما قيل عنها، وقد تمثلته بهذا:

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ في الفُؤَادِ مُحَدِّثي ... وأبحَتُ جِسمِي مَن أَراد جُلوسي

فنسبها بعضُهم إلى الحلول بنصف البيت، وإلى الإباحة بتمامه.

قلتُ: فهذا غُلوٌّ وجهلٌ، ولعل مَن نَسبها إلى ذلك مُباحيٌّ حلولي ليحتجَّ بها على كُفره كاحتجاجهم بخبر: «كُنتُ سَمعَهُ الَّذي يَسْمَعُ بِهِ».

توفيت سنة ثمانين ومائة.

---

(١) انظر السير: ٨/٢٤١ـ٢٤٣.

٣٧٣ ـ أما رابعةُ الشاميَّةُ(١)

[١] العـابـدةُ فأخـرى مشهورة، أصغر من العَدوية، وقد تدخُلُ حكايات هذه في حكايات هذه، والثانية هي القائلة ما روى أحمد بن أبي الحَواري عن عبَّاس بن الوليد أنها قالت: أستغفر الله مِن قِلة صِدقْي في قولي: أستغفر الله.

٣٧٤ ـ عبدالرحمن بن معاوية بن هشام(٢)

[٢] **ابن عبدالملك بن مروان بن الحَكم بن أبي العاص بن أُمية بن عبد شَمْس بن عبد مناف، أميرُ الأندلس وسلطانُها، أبو المُطَرِّف الأموي، المرواني، المشهور بالـداخل، لأنه حين انقرضت خلافةُ بني أمية من الدنيا، وقُتل مروانُ الحمار، وقامت دَولة بني العبَّاس، هرب هذا، فنجا ودخل إلى الأندلس فتملكها.**

[٣] وذلـك أنه فرَّ من مصر في آخر سنة اثنتين وثَلاثين إلى أرض بَرْقة، فبقي بها خمسَ سنين، ثم دخل المغرب، فنفَّذ مولاه بدراً يتجسَّس له، فقال للمضريَّة: لو وَجدتُم رجلاً من بيتِ الخلافة، أكنتُم تُبايعونه؟ قالوا: كيف لنا بذلك؟

فقال: هذا عبدُ الرحمن بن معاوية، فأتَوه فبايعوه، فتملَّكَ الأندلس ثلاثاً وثلاثين سنةً، وبقي الملك في عَقبة إلى سنة أربع مئة. ولم يتلقَّب بالخلافة، لا هو ولا أكثر ذرِّيته، إنما كان يُقال: الأميرُ فلان.

وأول من تَلَقَّب بأمير المؤمنين مِنهم: النَّـاصر لدين الله، في حدود العشرين وثلاث مئة، عندما بلغه ضعفُ خلفاءِ العصر، فقال: أنا أولى بإمرة المؤمنين.

دَخل عبدالرحمن بن معاوية الأندلسَ في سنة ثمان وثلاثين ومولُدُه بأرض تدمرَ سنة ثلاث عشرة ومئة، في خلافة جده.

[٤] قال ابن حيَّان: وحين افتتح المسلمون قُرطبة شاطرُوا أهلَها كنيستَهم العظمى، كما فعل أبو عبيدة وخالد بأعاجِم دمشق، فابتنَوا فيه مسجداً، وبقي الشَّطرُ بأيدي

---

(١) انظر السير: ٨/٢٤٣ـ ٢٤٤.

(٢) انظر السير: ٨/٢٤٤ـ ٢٥٣.

الروم إلى أن كَثرت عِمارَة قُرطبة، وتداولتها بُعُوث العرب، فضاق المسجدُ وعُلق منه سقائفُ، وصار الناس ينالون مشقة لِقصر السقائف إلى أن أذخر الله فيه الأجرَ لصحيفة الدَّاخل، وابتاع الشَّطرَ الثانيَ من النصارى بمئة ألف دينار، وقبضُوها على ملأ من النـاس، ورضُـوا بعد تمنُّع، وعمل هذا الجامع الذي هو فَخرُ الأرض، وشرفُها مِن مال الأخماس، وكمل على مراده، وكان تأسيسه في سنة سبعين ومئة، فتمَّت أسواره في عام. وبلغ الإنفاق فيه إلى ثمانين ألف دينار.

[١] وأما الإسلام فكان عزيزاً منيعاً بالأندلس في دولةِ الدَّاخل، فانظر إلى هذا الأمان الذي كتب عنه للنصارى:

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابُ أمانٍ ورحمة، وحقن دماء وعصمة، عقده الأميرُ الأكرمُ الملك المعظم عبدُ الرحمن بن معاوية، ذو الشرف الصميم، والخير العميم، للبطارقة والرُّهبان، ومَن تبعهم من سائر البلدان، أهل قَشتالة وأعمالها، ما دامُوا على الطاعة في أداء ما تحمَّلوه، فأشهدَ على نفسه أنَّ عهدَه لا يُنسخ ما أقاموا على تأدية عشرةِ آلاف أوقية من الذهب، وعشرة آلاف رطل من الفضَّة، وعشرة آلاف رأسٍ من خيار الخيل، ومثلها من البغال، مع ذلك ألف دِرع وألف بيضة، ومن الرِّماح الدَّردار مثلها في كل عام، ومتى ثبتَ عليهم النكثُ بأسير يأسِرونـه، أو مسلمٍ يغـدِرُونه، انتكث ما عُوهِدُوا عليه، كتب لهم هذا الأمانُ بأيديهم إلى خمس سنين، أولُها صفر عام اثنين وأربعين ومئة.

وقال أبو المظفَّر الأَبِيْوَرْدِي في أخبار بني أمية: كان الناسُ يقولون: مَلَكَ الأرض ابنا بربريتين - يعني عبدالرحمن والمنصور.

وكـان المنصـور يقـول عن عبدالرحمن بن معاوية: ذاك صَقرُ قريش، دخل المغربَ وقد قُتِلَ قومُه، فلم يزل يضرب العدنانيَّة بالقَحطانية حتى مَلك.

وقال سعيد بن عُثمان اللغوي المتوفى سنة أربع مئة: كانت بقرطبةَ جَنَّةٌ اتخذها عبدالرحمن بن معاوية، كان فيها نخلة أدركتُها.

وغزا عدة غزوات .

من ذلك : غزوة قشتالة ، جاز إليها من نهر طُليطِلَة ، وفرَّت الرومُ أمامه ، وتعلَّقت بالحبال ، فلم يزل حتى وصل مدينة برنيقة ، من مملكة قشتالة ، فنزل عليها ، وأمر برفع الخيام ، وشرع في البناء ، وأخذ الناسُ يبنون ، فسلَّموا إليه بالأمان عند إياسهم من النَّجدة ، وخرجُوا بثيابهم فقط ، وما يُزوِّدُهم ، ثم كتب لأهلِ قشتالة ذلك الأمانَ الذي تقدَّم ، وهو بخط الوزير بِشر بن سعيد الغافقي .

[١] ولما صفا الأمرُ لعبد الرحمن بعد مقتل عثمان بن حمزة ، من ولد عمر بن الخطاب ، وذلك بعد سَبعة أعوامٍ من تمنُّعه بُطليطِلة ، عظُم سلطانه ، وامتدَّت أيامُه وعاش ستين سنة ، ثم توفي سنة اثنتين وسبعين ومئة ، وأيست بنو العبَّاس من مملكة الأندلس لبعد الشُّقَّة .

٣٧٥ ـ هشام بن عبدالرحمن بن معاوية(١)

[٢] الأمير أبو الوليد المروانيُّ ، بُويعَ بالمُلك بالأندلُس عند موت والده ، سنةَ اثنتين وسبعين ، وعمُرُهُ إذ ذاك ثلاثون سنة ، فإنه وُلِدَ بالأندلس ، وكان دَيِّناً وَرِعاً يشهدُ الجنائز ، ويعودُ المرضى ، ويعدلُ في الرعية ، ويُكثر الصَّدقات ، ويتعاهدُ المساكين ، وأمُّه أمُّ ولد ، اسمها حَوْرَاءُ .

ولما احتُضِرَ ، عَهِدَ بالأمر إلى ولده الحكم .

ومات في سنة ثمانين ومئة ، وله سبع وثلاثون سنة ، رحمه الله .

٣٧٦ ـ الحكم بن هشام(٢)

[٣] ابن الداخل عبدالرحمن بن معاوية ، ويلقَّب بالمرتضى .

بُويع بالمُلكِ ، عند موت أبيه في صفر سنة ثمانين ومئة .

---

(١) انظر السير: ٨/٢٥٣ .

(٢) انظر السير: ٨/٢٥٣ـ ٢٦٠

وكان من جَبَابرة الملوك، وفُسَّاقهم، ومُتَمرديهم، وكان فارساً شجاعاً، فاتِكاً، ذا دهاء وحزمٍ وعُتوٍّ وظُلم، تملَّك سبعاً وعشرين سنة.

وكان في أول أمره على سيرة حميدة، تلافيها أباه، ثم تَغيَّر، وتجاهر بالمعاصي.

قال أبو محمد بن حزم: كان من المجاهرين بالمعاصي، سفَّاكاً للدِّماء، كان يأخذ أولاد الناسِ المِلاح، فيَخصيهم ويُمسكهم لِنَفسه.

[١] قال اليَسع بنُ حزم: همت الرومُ بما لم ينالُوا من طلب الثُّغور، فنكثوا العهد، فتجهَّز الحكم إليهم حتى جاز جبل السَّارة ـ شمالي طُليطِلة ـ ففرَّت الرومُ أمامه حتى تجمَّعوا بِسَمُّورة، فلما التقى الجَمعان، نزل النصرُ، وانهزم الكفر، وتحصَّنوا منه بمدينة سَمُّورة، وهي كبيرة جداً، فحصرها المسلمون بالمجانيق، حتى افتتحوها عنوة، ومَلكوا أكثر شوارعها، واشتغل الجندُ بالغنائم، وانضمَّت الروم إلى جهة من البلد، وخرجوا على حميَّة فقتلوا خَلقاً في خروجهم، فكانت غزوته من أعظم المغازي لولا ما طَرأ فيها من تضييع الحزم، ورامت الروم السلم، فأبى عليهم الحكم، ثم خرج من بلادهم خوفاً من الثُّلوج، فلما كان العام الآتي استعدَّ أعظمَ استعداد، وقصد سَمُّورة، فقتل وسَبى كُلَّ ما مرَّ به، ثم نازَلها شهرين، ثم دخلوها بعد جهد، وبذلوا فيها السيفَ إلى المساءِ، ثم انحاز المسلمون فباتوا على أسوارها، ثم صبحُّوها من الغد لايُبقون على محتلم.

قال الرازي في «مغازي الأندلس»: الذي أُحصي ممن قُتل في سَمُّورة ثلاث مئة ألف نفس، فلما بلغ الخبر ملك رومية، كتب إلى الحكم يرغب في الأمان، فوضع الحكمُ على الروم ما كان جدُّه وَضَعَ عليهم، وزاد عليهم أن يجلِبُوا مِن تراب مدينة رومية نفسها ما يُصنع به أكوام بشرقي قرطبة صَغاراً لهم، وإعلاءً لمنار الإسلام، فهما كومان من التُّراب الأحمر في بسيط مدرتها السوداء.

[٢] قُلت: وكثرت العلماءُ بالأندلس في دولته، حتى قيل: إنه كان بقُرطبة أربعة آلاف مُتَقلِّس متزيِّين بزيِّ العلماءِ، فلما أراد الله فناءهم، عزَّ عليهم انتهاكُ الحكم للحُرمات، وائتمروا ليخلعوه، ثم جيَّشوا لقتاله، وجرَت بالأندلس فتنةٌ عظيمة على

الإسلام وأهله، فلا قوة إلا بالله، فذكر ابن مُزين في تاريخه طالوت بن عبدالجبار المعافري، وأنه أحد العلماء العاملين الشهداء الذين همُّوا بخلع الحَكم، وقالوا: إنه غيرُ عَدل ونكثوه في نفوس العوام، وزعموا أنه لا يحلُّ المكث ولا الصبرُ على هذه السيرة الذَّميمة، وعَوَّلوا على تقديم أحد أهل الشُّورى بقرطبة، وهو أبو الشَّماس أحمد بن المنذر بن الداخل الأموي ابن عم الحكم. لِما عرفوا مِن صلاحه، وعقله ودينه، فقصدوه وعرَّفوه بالأمر، فأبدى الميلَ إليهم، والبُشرى بهم، وقال لهم: أنتم أضيافي الليلة، فإنَّ الليل أستر، وناموا، وقام هو إلى ابن عمه بجهلٍ، فأخبره بشأنهم، فاغتاظ لذلك، وقال: جئتَ لسفك دمي أو دمائهم، وهم أعلامٌ، فمن أين نتوصَّلُ إلى ما ذكرت؟ فقال: أرسل معي من تَثِقُ به ليتحقق، فوجَّه من أحب، فأدخلهم أحمد في بيته تحت ستر، ودخل الليل، وجاء القوم، فقال: خبِّروني من معكم؟ فقالوا: فلانٌ الفقيه، وفلان الوزير، وعدُّوا كباراً، والكاتب يكتب حتى امتلأ الرَّق، فمدَّ أحدهم يده وراءَ الستر، فرأى القوم، فقام وقاموا، وقالُوا: فعلتها يا عدُوَّ الله، فمن فرَّ لحينه، نجا ومن لا، قُبض عليه، فكان ممن فرَّ عيسى بن دينار الفقيه، ويحيى بن يحيى الفقيه صاحب مالك، وقرعُوس بن العباس الثقفي.

وقُبض على ناسٍ كأبي كعب، وأخيه، ومالك بن يزيد القاضي، وموسى بن سالم الخولاني، ويحيى بن مُضر الفقيه، وأمثالهم من أهل العلم والدِّين، في سبعة وسبعين رجلاً، فَضُربت أعناقُهم، وصُلِبُوا.

وأضافَ إليهم عَمَّيه كليباً، وأمية، فصُلِبَا، وأحرق القلوبَ عليهم، وسار بأمرهم الرِّفاق، وعلم الحكم أنه محقود من الناس كلِّهم، فأخذ في جمع الجنود والحشم وتهيأ، وأخذت العامَّة في الهيج، واستأسد الناسُ، وتنمَّروا، وتأهَّبوا، فاتفق أن مملوكاً خَرج من القصر بسيف دَفعه إلى الصَّيقل، فماطله، فسَّبه، فجاوبه الصَّيقل فتضاربا ونال منه المملوك، حتى كاد أن يُتلفه، فلما تركه، أخذ الصَّيقل السيفَ فقتل به المملوكَ، فتألَّب إلى المقتول جماعة، وإلى القاتل

جماعة أخرى، واستفحل الشرُّ، وذلك في رمضان سنة اثنتين ومئتين، وتداعى أهلُ قرطبـةَ من أربـاضهم، وتـألَّبوا بالسلاح، وقَصدُوا القصر، فركب الجيشُ والإمامُ الحكم، فهزموا العامَّة، وجاءهم عَسكر مِن خلفهم، فوضعوا فيهم السيفَ، وكانت وقعـةً هائلةً شنيعة، مضى فيها عددٌ كثير زُهاء عن أربعين ألفاً مِن أهل الرَّبَض، وعاينوا البلاءَ من قُدَّامهم ومن خلفهم فتداعوا بالطَّاعة، وأذعنُوا ولاذوا بالعفو، فعفا عنهم على أن يخرجوا من قرطبة، ففعلوا وهُدِمَت ديارُهم ومساجِدهم.

مات الحكَمُ سنة ست ومئتين، وله ثلاثٌ وخمسون سنة، وولي الأندلسَ بعده ابنه أبو المُطرِّف عبدالرحمن، فلنذكره.

٣٧٧ ـ عبدُ الرحمن بن الحكم بن هشام(١)

[١]ابن الداخل، أميرُ الأندلس، أبو المُطَرِّف المروانيُّ، بُويع بعد والده في آخر سنة ست ومئتين، فامتدَّت أيامُه، وكان وادعاً حسنَ السيرة، لينَ الجانب، قليلَ الغزو، غلبت المشركون في دولته على إشبيلية، ولكن الله سلَّم.

[٢] كتب إليه عبدُ الملك بن حبيب الفقيه يُحرِّضه على بناء سور إشبيلية، يقول له: حَقْنُ دماءِ المسلمين ـ أيدك الله، وأعلى يدك بابتناء السور ـ أحقُّ وأولى. فأخذ برأيه.

[٣] فلما كانت سنة ثلاثين ومئتين طرق المجوسُ الأردمانيون(٢) إشبيلية في ثمانين مركباً في الوادي، فصادفُوا أهلها على غرارة بمطاولة أُمدِ الأمان لهم مع قِلَّة خبرتِهم بحربهم، فطلعوا من المراكب، وقد لاح لهم خَوَرٌ مِن أهلها، فقاتلُوهم، وقَووا على المسلمين، ووضعوا السيفَ فيهم، وملكوا إشبيلية بعد القتل الذَّريع في أهلها حتى في النساء والبهائم، وأقاموا بها سَبعة أيام، فورد الخبرُ على الخليفة عبدالرحمن بن

(١) انظر السير: ٨/ ٢٦٠ـ ٢٦١.

(٢) هم النورمان، كانوا يغيرون على الأندلس من المنافذ النهرية، وسمّاهم المسلمون «المجوس» لأنهم كانوا يشعلون النيران كثيراً، فظن المسلمون أنهم يعبدونها. انظر ابن عذاري ٢/ ١٣٠.

الحكم، فاستنفر جيشَه وبعث بهم إلى إشبيلية فحلُّوا بالشرق، ووقع القتالُ، واشتدَّ الخطبُ، وانتصرَ المسلمون، واستَحرَّ القتلُ بالملاعين حتى فني جمع الكفرة، لعنهم الله، وحرق المسلمون ثلاثين مركباً من مراكبهم، فكان بينَ دخولهم إلى إشبيلية وهروبهم عنها ثلاثة وأربعون يوماً. وهذا كان السبب في بناء سور واديها.

ومات في سنة ثمان وثلاثين ومئتين.

٣٧٨ ـ محمد بن عبد الرحمن بن الحكم(١)

[١] **صاحبُ الأندلس، أبو عبدالله الأمويُّ المروانيُّ.**

[٢] كان محباً للعلم، مُؤثِراً لأصحاب الحديث، مُكرِماً لهم، حسنَ السيرة، وهو الذي نصر بَقيَّ بن مَخلد الحافظ على أهل الرأي.

[٣] قال بقيٌّ: ما كلمتُ أحداً من الملوك أكملَ عقلاً، ولا أبلغَ لفظاً من الأمير محمد، ولقد دخلتُ عليه يوماً في مجلس خلافته، فافتَتَح الكلامَ بحمد الله، والصلاةِ على نبيِّه، ثم ذكر الخلفاءَ، فحلَّى كلَّ واحد بحليته وصفتهِ، وذكر مآثِره بأفصحِ لسان حتى انتهى إلى نفسه، فحمِدَ الله على ما قدَّره، ثم سكت.

قلت: رأى مصنَّفَ أبي بكر بن أبي شيبَة، إذ نازع أهلُ الرأي بقيَّ بن مخلَد فأمر بنَسخِه، وقال: لا تَستغني خِزانَتُنا عن هذا.

وكانَ ذا رأيٍ وحزمٍ وشجاعة وإقدام.

بويع عند موت والده في سنة ثمان وثلاثين، وله إحدى وثلاثون سنة وذلك بعهد من والده، وأمُّه: أمُّ ولد.

وامتدَّت دولتُه، وقيل: إنه كان يتوغَّلُ في بلاد الروم، ويَبقى في الغزو السنة وأكثر.

[٤] قال أبو المظفر بن الجوزي: هو صاحب وقعة سَليط(٢). وهي ملحمةٌ مشهورةٌ

---

(١) انظر السير: ٨/٢٦٢ـ ٢٦٣.

(٢) انظر «الكامل» لابن الأثير ٧/٧٣، ٧٤، و«نفح الطيب» ١/ ٣٥٠.

لم يُعهد قبلُها بالأندلس مثلُها، يُقال: قتل فيها ثلاث مئة ألف كافر. وهذا شيءٌ لم نسمع بمثله. قال: وللشعراء فيه مدائحُ كثيرةٌ.

قلتُ: مات في سنة ثلاث وسبعين ومئتين عن أربع وستين سنة ـ رحمه الله.

٣٧٩ ـ المنذر بن محمد بن عبدالرحمن بن الحكم(١)

[١] **أبـو الحكَم المـروانيُّ، صاحبُ الأنـدلس، تملَّكَ بعد والده، فكانت دولتُه** سنتين، فمات وهو يُحاصِرُ عمر بن حفصون، رأسَ الخوارج بالأندلس. وكان هذا بدوياً يجلبُ السمكَ بالأندلس، فآلَ به الأمرُ إلى أن كثر جَمعُه، واستولى على جماعة حُصون.

مات المنذرُ في سنة خمس وسبعين ومئتين، وله ست وأربعون سنة.

٣٨٠ ـ عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن(٢)

[٢] **الأميرُ أبو محمد المروانيُّ، أخو المنذر.**

تملَّك الأندلس بعد أخيه، وامتدت أيامُهُ. وكان أسنَّ من أخيه بعام، وكان ليناً وادعاً، يُحبُّ العافية. فقام عليه في كل قطرٍ من الأندلس مُتغَلِّبٌ، وتناقص أمرُ المروانيَّة في دولته.

[٣] وقال محمد بن وضَّاح: كان عبدُ الله الأميرُ من الصالحين المتَّقين العالمين، روى العلمَ كثيراً، وطَـالعَ الرأي، وأبصر الحديثَ، وحَفظ القرآن، وتَفَقَّه، وأكثر الصوم، وكان يلتزمُ الصلوات في الجامع، فيمرُّ بالصف، فيقومُ الناس له، فكتب إليه سعيد بن حُمير: أيُّها الإمام أنت من المتَّقين، وإنما يقوم الناسُ لرب العالمين، فلا ترضَ مِن رعيتك بغير الصَّواب، فإن العزَّة لله جميعاً، فأمر العامَّةَ بترك ذلك فلم ينتهُوا، فحينئذ ابتنى السَّاباط طريقاً مشهوراً مِن قصره إلى المقصورة.

---

(١) انظر السير: ٨/٢٦٣ـ ٢٦٤.

(٢) انظر السير: ٨/٢٦٤ـ ٢٦٥.

قال اليسعُ بن حزم: استضعفت دولـةُ بني أمية، وقـامَ ابنُ حَفصـون، وكان نَصرانيَّ الأصلِ، فأسلم وتنصَّح[1] وألَّب وحَشَد، وصارت الأندلسُ شعلةً تُضرَمُ ولم يبق لبني أميَّة مِنبرٌ يُخطب فيه إلا مِنبَرُ قُرطبة، والغارات تُشنُّ عليها حتى قام عبدالرحمن الناصر، فتراجع الأمرُ.

مات عبدُ الله في سنة ثلاث مئة، وله اثنتانِ وسبعون سنة.

٣٨١ - عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله[2]

[١] **سلطانُ الأنـدلس، المـدعوُّ: أمير المؤمنين، الناصر لدين الله، أبو المطَرِّف الأمويُّ المروانيُّ.**

وكان شهماً صارماً.

[٢] وكلُّ من تَقَدَّم من آبائه لم يَتَسمَّ أحد منهم بإمرة المؤمنين، وإنما كانوا يُخَاطبُون بالإمارة فقط، وفعل مثلهم عبدالرحمن إلى السنة السابعة والعشرين من ولايته، فلما بَلَغه ضَعفُ الخِلافة بالعراق، وظُهور الشيعة العُبيدية بالقَيروان، رأى أنه أحقُّ بإمرة المؤمنين، ولم يَزل منذ وَلِيَ الأندلس يستنزلُ المُتَغلِّبين حتى صارت المملكة كلُّها في طاعتِه، وأكثر بلاد العُدوة، وأخافَ مُلُوكَ الطوائفِ حوله.

[٣] وابتدأ ببناء مدينة الزَّهراءِ في أول سنة خمس وعشرين وثلاث مئة فكان يُقَسِّم دخلَ مملكته أثلاثاً: فثلثُ يرصُدُه للجند، وثلث يدَّخره في بيت المال وثلث يُنفِقه في الزَّهراء.

[٤] ولم يزل عبدالرحمن يغزو حتى أقام العِوَج، ومهَّد البلاد، ووضع العدلَ، وكَثُرَ الأمنُ، ثم بعث جيشاً إلى المغرب، فغزا برْغَواطة بناحية سَلا[3]، ولم تزل كلمته نافذة، وسِجلماسة[4]، وجميع بلاد القبلة، وقتل ابن حفصون.

---

(١) تنصح: أي تشبَّه بالنصحاء. والتنصح: كثرة النصح، ومنه قول أكثم بن صيفي: إياكم والتنصُّح فإنه يورث التهمة.

(٢) انظر السير: ٨/٢٦٥- ٢٦٩.

(٣) مدينة بالمغرب على ساحل المحيط الأطلسي، قرب المعمورة وبقربها برغواطة.

(٤) مدينة داخلية في جنوب المغرب بينها وبين فاس عشرة أيام.

[١] وصارت الأندلس أقوى ما كانت وأحسَنها حالاً، وصفا وجهُه للروم، وشنَّ الغارات على العدو، وغزا بنفسه بلادَ الروم اثنتي عشرة غزوةً ودَوَّخهم، ووضع عليهم الخرَاج، ودانت له ملوكُها، فكان فيما شرط عليهم اثنا عشر ألف رجل يصنعُون في بناء الزَّهراء التي أقامها لسكناه على فرسخ من قرطبة.

[٢] وساق إليها أنهاراً، ونَقَب لها الجبل، وأنشأها مدوَّرة، وعدة أبراجها ثلاث مئة بُرج، وشرفاتها من حجر واحد، وقسَّمها أثلاثاً، فالثلث المسند إلى الجبل قصورُه، والثلث الثاني دورُ المماليك والخدم، وكانوا اثني عشر ألفاً بمناطق الذهب، يركبون لركوبه، والثلثُ الثالث بساتين تحت القصور. وعمل مجلساً مُشرِفاً على البساتين، صَفَّحَ عُمُدَه بالذَّهب، ورصَّعه بالياقوت والزُّمرُّد، واللؤلؤ، وفرشه بمنقوش الرُّخام، وصنع قدَّامه بحيرة مستديرة ملأها زئبقاً، فكان النورُ ينعكِس منه إلى المجلس، فدخل عليه قاضيه، منذرُ بنُ سعيد البَلُّوطي، فوقف وقرأ ﴿ولَوْلاَ أَن يكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلْنا لِمَنْ يكفُرُ بالرَّحمن لِبُيُوتِهم سُقُفاً مِن فِضَّة﴾ الآيتين [الزخرف ٣٣، ٣٤].

فقال: وعظت أبا الحكم، ثم قام عنِ المجلس، وأمر بنزع الذَّهب والجواهر.

ويقال: إن بناء الزهراء أُكمِل في اثنتي عشرة سنة، بألف بنَّاءٍ في اليوم، مع البنّاء اثنا عشر فاعلاً.

توفي سنة خمسين وثلاث مئة، رحمه الله.

٣٨٢ الحكم بن عبدالرحمن بن محمد(١)

[٣] أميرُ المؤمنين بالأندلس، أبو العاص، المستنصرُ بالله بن الناصر الأمويُّ المروانيُّ.

[٤] وكان حسنَ السيرة، جامعاً للعلم، مُكرماً للأفاضل، كبير القَدر، ذا نَهْمةٍ مُفرِطة في العلم والفضائل، عاكفاً على المطالعة.

(١) انظر السير: ٨/ ٢٦٩- ٢٧١.

[١] جمع من الكتب ما لم يجمعه أحدٌ من الملوك، لا قَبلَه ولا بَعده، وتطلَّبها، وبذل في أثمانها الأموال، واشتُرِيتْ له من البلادِ البعيدة بأغلى الأثمان، مع صفاء السريرة والعقل والكرم، وتقريب العلماء.

[٢] ولقد ضاقت خزائنُه بالكتب إلى أن صارت إليه، وآثرها على لذات الملوك، فَغَزُرَ عِلمُه، ودقَّ نظرُه، وكان له يدٌ بيضاء في معرفة الرجال والأنساب، والأخبار، وقلَّما تجدُ له كتاباً إلا وله فيه قراءةٌ أو نظر، من أي فن كان. ويكتب فيه نسب المؤلِّف، ومولده ووفاته، ويأتي من ذلك بغرائب لا تكادُ تُوجد.

[٣] ومن محاسنه أنه شدَّد في مملكته في إبطال الخمور تشديداً عظيماً.

[٤] وفي دولة الحكم هَمَّتِ الرومُ بأخذ مواضع مِن الثغور، فقواها بالمال والجيوش، وغزا بنفسه، وزاد في القطيعة على الروم، وأذلَّهم.

وكان موته بالفالج سنةَ ست وستين وثلاث مئة.

٣٨٣ - هُشَيم (ع)[١]

[٥] ابنُ بَشير بن أبي خازِم. واسمُ أبي خازم قاسمُ بن دينار، الإمامُ، شيخُ الإسلام، محدِّث بغداد، وحافظُها، أبو معاوية السُّلَميُّ، مولاهم الواسِطيُّ ولد سنة أربع ومئة.

سكن بغداد، ونشر بها العلمَ، وصنف التَّصانيفَ.

قلتُ: كان رأساً في الحفظ إلا أنه صاحبُ تدليسٍ كثيرٍ، قد عرف بذلك.

[٦] قال إبراهيم الحَربي: كان والدُ هُشيم صاحبَ صِحنَاءَ[٢] وكَامَخٍ، فكان يمنع هُشيماً من الطلبِ، فكتب العلمَ حتى ناظر أبا شيبة القاضي، وجالسَه في الفقه. قال: فمرض هشيمٌ، فجاء أبو شَيبةَ يعودُه، فمضى رجل إلى بشير، فقال: الحقِ ابنَك، فقد جاء القاضي يعودُه، فجاء فوجد القاضي في داره، فقال: متى أمَّلتُ أنا

(١) انظر السير: ٨/٢٨٧- ٢٩٤.

(٢) الصحناء: بكسرالصاد: إدام يتخذ من السمك يمد ويقصر، والكامخ: ما يؤتدم به، أو المخللات المشهية، والكلمتان معربتان.

هذا، قد كنتُ يا بني أمنعُك، أما اليوم فلا بَقيتُ أمنعُك.

[١]قال أحمد بن حنبل: لزمتُ هُشيماً أربعَ سنين، أو خمساً، ما سألتُهُ عن شيءٍ، إلا مرتين هيبةً له، وكان كثيرَ التسبيحِ بينَ الحديث، يقولُ بينَ ذلك: لا إله إلا الله، يمد بها صوتَه.

[٢] قال ابن أبي الدنيا: حدثني من سمع عمرو بن عَون يقول: مَكَثَ هُشيم يصلِّي الفجر بوضوء العشاء قبل أن يموت عِشرين سنةً.

[٣] قال يحيى بن أيوب العابد: سمعتُ نَصْرَ بن بسَّام وغيره من أصحابنا، قالُوا: أتينا معروفاً الكرخيَّ، فقال: رأيتُ النبي ﷺ في المنام وهو يقول لهُشيم: جزاكَ الله عن أُمَّتي خيراً، فقلتُ لمعروف: أنتَ رأيتَ؟ قال: نعم، هُشيم خيرٌ مما نظُن.

٣٨٤ - يزيد بن زُريع (ع)[١]

[٤] الحافظُ المجوِّد، محدِّثُ البصرة مع حمَّاد بنِ زيد، وعبدالوارث، ومُعتَمر، وعبدالواحد بن زياد، وجعفر بن سليمان، ووهَيب بن خالد، وخالد بنِ الحارث، وبِشر بنِ المفضَّل، وإسماعيل بن عُلَيَّة، فهؤلاء العشرة كانوا في زمانهم أئمةَ الحديثِ بالبصرة.

يُكنى يزيد أبا معاوية العيشي البَصري.

قال أحمد بنُ حنبل: كان ريحانَةَ البصرة، ما أتقَنَه، وما أحفظَه، وقال أبو حاتِم الرازي: ثقة، إمام.

قُلت: وكان صاحب سنّة واتباع.

[٥] قال نَصْر بنُ علي الجَهضمي: رأيتُ يزيد بنَ زُرَيع في المنام، فقلتُ: ما فعل الله بك؟ قال: أُدخلتُ الجنَّة. قُلتُ: بماذا؟ قال: بكثرةِ الصلاةِ.

مولده: في سنة إحدى ومئة. ومات في سنة اثنتين وثمانين ومئة.

---

(١) انظر السير: ٨/٢٩٦-٢٩٩.

وكان مِن أورع أهلِ زمانه.

[١] مات أبوه، وكان والياً على الأُبُلَّة، فخلَّف خمس مئة ألف، فما أخذ منها حبَّة، رحمه الله.

٣٨٥ - إسماعيل بن عَيّاش (د، ت، س، ق)(١)

[٢] **ابنُ سُليم، الحافظ الإمام محدِّث الشام، بقيةُ الأعلام، أبو عُتبَة، الحمصيّ العنسي، مولاهم، ولد سنة ثمان ومئة.**

وكـان من بحور العلمِ، صادقَ اللهجة، متينَ الدِّيانة، صاحبَ سُنَّة واتِّباع، وجلالة ووقار.

[٣]عن أبي اليمان قال: كان مَنزِلُ إسماعيلَ إلى جانب منزلي، فكان يُحيى الليل، وكان ربَّما قرأ، ثم يقطع، ثم رجع، فقرأ مِن الموضع الذي قطع منه، فلقيتُه يوماً، فقلت: يا عم، قد رأيتُ منكَ في القراءة كَيتَ وكَيت، قال: يا بني، وما سؤالك؟ قلتُ: أريد أن أعلم. قال: يا بنيَّ إني أُصلي، فأقرأ، فأذكر الحديثَ في الباب من الأبواب التي أخرجتها، فأقطع الصلاةَ، فأكتبه فيه، ثم أرجع إلى صلاتي، فأبتدئ من الموضع الذي قطعتُ منه.

[٤]عَن يحيى الوُحَاظي: ما رأيتُ رجلاً كان أكبرَ نفَساً من إسماعيلَ بنِ عياش، كُنا إذا أتَيناه إلى مزرعته لا يرضى لنا إلا بالخروف والخَبيص، سمعتُه يقول: ورثتُ مِن أبي أربعة آلاف دينار، فأنفقتها في طَلب العلم.

[٥]عبدالله بن أحمد بن حنبل: قال أبي لداودَ بنِ عمرو، وأنا أسمع: يا أبا سليمان كان إسماعيلُ بن عياش يُحدِّثكم هذه الأحاديثَ حفظاً؟ قال: نعم، ما رأيتُ معه كِتاباً قطُّ، فقال: لقد كان حافظاً، كم كان يحفظ؟ قال: شيئاً كثيراً. قال له: كان يحفظ عشرةَ آلاف؟ قال: عشرة آلاف وعَشرة آلاف، وعَشرة آلاف. قال أبي: هذا كان مثلَ وَكيع.

(١) انظر السير: ٨/٣١٢-٣٢٨.

[١]قال يعقوب بن شيبة: إسماعيل ثقة عند يحيى بن مَعين وأصحابنا، فيما روى عن الشاميِّين خاصة، وفي روايته عن أهل العراق وأهل المدينة اضطرابٌ كثير، وكان عالماً بناحيته.

[٢]وقال البخاري: إذا حدَّث عن أهل بلده فصحيحٌ، وإذاحدَّث عن غيرهم ففيه نظر.

ولد سنة ست ومئة.

وأما وفاة إسماعيل، ففي سنة إحدى وثمانين ومئة.

٣٨٦ - ابن السَّمَّاك(١)

[٣]**الزاهدُ، القُدوةُ، سيِّدُ الوعاظ، أبو العباس مُحمد بن صَبيح العِجلي، مولاهم الكوفي، ابن السَّمَّاك.**

[٤]وهو القائل: كم من شيءٍ إذا لم ينفع لم يضرَّ، لكن العلمَ إذا لم ينفع، ضَرَّ.

[٥]قيل: وعظَ مرةً، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ لكَ بين يَدي الله مُقاماً، وإنه لك مِن مُقامك مُنصرفاً، فانظُر إلى أين تكونُ، فبكى الرشيدُ كثيراً.

[٦]قيل: دخل ابن السَّماك على رئيس في شفاعة لفقير. فقال: إنِّي أتيتُك في حاجة، والطالبُ والمعطي عزيزان إن قُضيت الحاجة، وذليلان إن لم تُقضَ، فاختر لنفسك عِزَّ البذلِ عن ذُلِّ المنع، وعزَّ النَّجح عن ذل الرَّد.

[٧]وعنه قال: هِمَّةُ العاقل في النجاة والهَرَب، وهِمَّة الأحمق في اللهو والطَّرب عجباً لعينٍ تَلَذُّ بالرقاد، وملَكُ الموتِ معها على الوِساد، حتى متى يُبلِّغنا الوعَّاظ أعلام الآخرة، حتى كأن النفوسَ عليها واقفة، والعيونَ ناظرة، أفلا منتبهٌ من نومَته، أو مستيقظٌ مِن غفلته، ومُفيقٌ من سكرته، وخائفٌ من صَرعته، كَدْحاً للدنيا كدحاً، أما تجعل للآخرِ منك حظاً، أقسم بالله، لو رأيتَ القيامَة تَحفِقُ بأهوالها، والنارَ

(١) انظر السير: ٨/٣٢٨-٣٣٠.

مشرفةً على آلِها، وقد وُضِعَ الكتابُ، وجيءَ بالنبيِّين والشُّهداء، لسَرَّكَ أن يكون لك في ذلك الجمع منزلةٌ، أبَعْدَ الدُّنيا دارُ معتمل، أم إلى غير الآخرة مُنتقل؟ هيهاتَ ولكن صُمَّتِ الآذانُ عن المواعظ، وذَهلت القلوبُ عن المنافِع، فلا الواعظُ ينتفع، ولا السامع ينتفع.

[١] وعنه: الدُّنيا كلها قليلٌ، والذي بقي منها قليلٌ، والذي لكَ من الباقي قَليلٌ، ولم يبقَ من قليلِك إلا قَليل، وقد أصبحتَ في دار العزاء، وغداً تَصير إلى دار الجزاء، فاشترِ نَفسك لعلَّك تَنجو.

توفي ابنُ السَّمّاك سنة ثلاث وثمانين ومئة، وقد أسنَّ.

٣٨٧ - سيبويـــه(١)

[٢] **إمامُ النَّحو، حجَّةُ العرب، أبو بِشر، عمرو بن عثمان بن قَنْبَر الفارسيُّ، ثم البصري.**

وقد طلب الفقهَ والحديثَ مدَّة، ثم أقبل على العربية، فبرعَ وسادَ أهل العصر، وألَّف فيها كتابَه الكبير الذي لا يُدْرَكُ شأْوُه فيه.

استملى على حَمَّاد بن سَلمةَ، وأخذ النحوَ عن عيسى بنِ عُمر، ويونس بنِ حبيب، والخليل، وأبي الخطابِ الأخفش الكبير.

[٣] وقد جمع يحيى البرمكي ببغداد بينه وبينَ الكسائي للمناظرة، بحضور سعيد الأخفش، والفرَّاء، وجرت مسألةُ الزُّنبور، وهي كذب: أظُنُّ الزُّنبورَ أشَدَّ لَسْعاً من النَّحلة فإذا هُو إيَّاها. فقال سيبويه: ليس المثل كذا، بل: فإذا هُو هي، وتشاجرا طويلاً، وتعصبوا للكسائي دونه، ثم وصَله يحيى بعشرة آلاف، فسار إلى بلاد فارس، فاتفق موته بشيرَازَ فيما قيل.

وقيل: كان فيه مع فَرْطِ ذَكائه حُبسةٌ في عبارته، وانطلاقٌ في قلمه.

---

(١) انظر السير: ٨/٣٥١-٣٥٢.

قال إبراهيم الحَربي: سمي سيبويه، لأن وَجنتيه كانتا كالتُّفاحتين، بديع الحسن.

وقال العَيشي: كنا نجلِسُ مع سيبويه في المسجد، وكان شاباً جميلاً نظيفاً، قد تعلَّق مِن كل علم بسببٍ، وضرب بسَهمٍ في كل أدبٍ مع حَداثة سنِّه.

وقيل: عاش اثنتين وثلاثين سنة، وقيل: نحو الأربعين. قيل: مات سنة ثمانين ومئة.

٣٨٨ - إسماعيل بن صالح[١]

[١] **ابنُ علي، الهاشميُّ العبَّاسيُّ، نائبُ مصر، ثم حلب.**

وله ذريةٌ بحلب. وكان يَصلح للخلافة.

[٢] قال سعيد بن عُفير: ما رأيتُ أخطبَ منه على هذه الأعواد، كان جامعاً لكل سُؤدُد، ويعرف الفلسفةَ، وضَرب العودِ، والنجوم.

قلتُ: عِلْمُه هذا الجهلُ خيرٌ منه.

[٣]وكان مليح النَّظم، وكان الرشيد يحترمه، وتحيَّل عليه حتى ضَرب له بالعود: فوصله بجوهرٍ ثمنُه ثلاثون ألف دينار، وولاَّه مصر، وعقد له اللواء بيده، فوليها ست سنين.

وعاش إلى حدود سَنة تسعين ومئة.

٣٨٩ - بِشْر بن منصور (م، د، س)[٢]

[٤] **الإمامُ المحدِّث الرَّبانيُّ القدوةُ، أبو محمد الأزدي السَّليمي، البصري، الزاهد.**

قال ابنُ مهدي: ما رأيتُ أحداً أقدِّمهُ عليه في الوَرع والرِّقةِ.

---

(١) انظر السير: ٨/٣٥٨- ٣٥٩.

(٢) انظر السير: ٨/٣٥٩- ٣٦٢.

[١] قال علي بن المديني : ما رأيتُ أخوفَ لله منه . كان يُصلِّي كل يوم خمس مئة ركعة . وقال القواريري : هو أفضل من رأيتُ من المشايخ .

وقال الإمام أحمد : هو ثقةٌ وزيادة .

[٢] قال ابن المديني : حفر قبره ، وختم فيه القرآن ، وكان وردُه ثلثَ القرآن .

[٣] قال غسَّان : حدثني ابنُ اخي بِشر ، قال : ما رأيت عمي فاتَتهُ التكبيرةُ الأُولى .

[٤] قال غسَّان : وكنت أُراه إذا زاره الرجل من إخوانه ، قام معه حتى يأخُذَ بركابه ، وفعل بي ذلك كثيراً .

[٥] بِشر بن المفضل ، قال : رأيتُ بشر بن منصور في المنام ، فقلت : ما صنَعَ الله بك؟ قال : وجدتُ الأمرَ أهونَ مما كنت أحملُ على نفسي .

قلتُ : توفي هذا الإمام رحمة الله عليه ، في سنة ثمانين ومئة ، وله نيف وسبعون سنةً .

٣٩٠ - العُمَريُّ(١)

[٦] **الإمامُ القدوةُ الزَّاهد العابد ، أبو عبدالرحمن ، عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله ابن صاحب رسول الله ﷺ عبدِ الله بن عمر بن الخطاب القرشيُّ العَدوي العُمَريُّ المدني .**

[٧] وهو قليلُ الرواية ، مشتغل بنفسه ، قوَّالٌ بالحق ، أمَّارٌ بالعُرف ، لا تأخذه في الله لومة لائم . كان يُنكِرُ على مالك الإمام اجتماعَهُ بالدَّولة .

[٨] علي بن حَرب ، عن أبيه قال : مَضَىٰ الرشيد على حمار ، ومعه غلام إلى العُمَري ، فوعظه ، فبكى ، وغُشيَ عليه .

[٩] قال ابنُ أبي أُوَيس : كتب العُمَريُّ إلى مالك ، وابن أبي ذئب ، وغيرهما بكتبٍ أغلظ لهم فيها ، وقال : أنتم علماء تميلون إلى الدنيا ، وتَلبسُون اللَّيِّن ، وتدَّعون التَّقشُّف . فجاوبه ابنُ أبي ذئب بكتابٍ أغلظ له . وجاوبه مالك جوابَ فقيه .

(١) انظر السير : ٨/٣٧٣-٣٧٨ .

[١] قال مُصعب الزُّبيري: كان العُمَري أصفَرَ جَسيماً، لم يكن يقبلُ من السلطان ولا غيره، ومن وَلِيَ من أقاربه ومعارفه لا يُكلمه. وولي أخوه عمر المدينة وكرمَان، فهجره، ما أدركتُ بالمدينة رجلاً أهيبَ منه. وكان يقبلُ صلةَ ابنِ المبارك. وقدم الكوفة ليُخَوِّفَ الرشيد بالله، فرجف لمجيئه الدولةُ، حتّى لو كان نزل بهم من العدو مئة ألف، مازاد مِن هَيبته، فرُدَّ مِن الكوفة ولم يصل إليه.

[٢] ورُوي أنه كان يلزم المقبرة كثيراً، ومعه كتاب يُطالعه، ويقول: لا أوعظَ مِن قبرٍ، ولا آنَسَ مِن كتابٍ، ولا أسلمَ من وَحدة.

[٣] قال أبو المنذر إسماعيل بن عمر: سمعتُ أبا عبدالرحمن العُمريَّ الزاهدَ يقول: إنَّ مِن غفلتك عن نفسك إعراضَك عن الله، بأن ترى ما يُسخطه فتجاوزَه، ولا تأمر، ولا تنهى خوفاً مِن المخلوق. من ترك الأمر بالمعروف خوف المخلوقين، نُزِعَتْ منه الهيبةُ، فلو أمر ولدَه، لاستخفَّ به.

[٤] قال محمد بن حَرب المكي: قدم العُمريُّ، فاجتمعنا إليه، فلما نظر إلى القصور المُحدِقة بالكعبة صاح: يا أصحابَ القصورِ المشيَّدة، اذكروا ظلمةَ القبور المُوحِشة، يا أهلَ التنعم والتَّلذُّذ اذكُروا الدُّودَ والصَّديد، وبلاءَ الأجسام في التراب، ثم غلبته عينُه، فقام.

[٥] سُليمان بنُ محمد، سمعتُ عبدالله بن عبدالعزيز يقول: قال لي موسى بن عيسى: يُنهى إلى أمير المؤمنين أنك تَشتِمُهُ وتدعو عليه، فبم استجزتَ هذا؟ قلت: أما شتمُه، فوالله هو أكرمُ عليَّ من نفسي، لقرابته من رسول الله ﷺ، وأما الدُّعاء عليه، فوالله ما قلتُ: اللَّهمَّ إنَّه قد أصبحَ عِبئاً ثقيلاً على أكتافنا فلا تُطيقُه أبداننا، وقذىً في جفوننا لا تَطرفُ عليه جفونُنا، وشجىً في أفواهنا لا تُسيغُه حلوقُنا، فاكفنا مؤنته، وفرِّق بيننا وبينه. ولكن قلت: اللَّهم إن كان تسمَّى بالرشيد ليرشد، فأرشِده، أو لغير ذلك فراجع به، اللَّهم إن له في الإسلام بالعباس على كلِّ مؤمن كفًّا، وله بنبيِّك ﷺ قرابة ورحم، فقرِّبه من كل خير، وبَاعِده مِن كل سوء، وأسعِدنا

به، وأصلحه لنفسه ولنا، فقال موسى: رحمك الله أبا عبدالرحمن، كذاكَ لَعمري الظنُّ بك.

مات سنة أربع وثمانين ومائة، وله ستٌّ وستون سنة، رحمه الله تعالى.

٣٩١ - عبدالله بن المُبارك (ع)[١]

[١] ابن واضح، الإمامُ شيخُ الإسلام عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، أبو عبدالرحمن الحنظليُّ، مولاهم التُّركي، ثم المَرْوَزِيّ، الحافظ، الغازي، أحدُ الأعلام.

مولده في سنة ثمان عشرة ومئة.

وحديثه حجةٌ بالإجماع، وهو في المسانيد والأصول.

[٢] نعيم بن حَمَّاد قال: كان ابن المبارك يُكثر الجلوسَ في بيته، فقيل له: ألا تستوحِشُ؟ فقال: كيف أستوحشُ وأنا مع النبي ﷺ وأصحابه؟!

[٣] أشعث بن شعبة المصِّيصي، قال: قَدِمَ الرشيد الرَّقة، فانجفل الناسُ خلفَ ابن المبارك، وتقطعت النِّعالُ، وارتفعت الغبرة، فأشرفت أمُّ ولد لأمير المؤمنين من برج من قصر الخشب، فقالت: ما هذا؟ قالُوا: عالم من أهل خُراسان، قَدِمَ. قالت: هذا والله المُلْكُ، لا ملكُ هارون الذي لا يجمع الناسَ إلا بِشُرَط وأعوانٍ.

[٤] محمد بن علي بن الحسن بن شَقيق، سمعتُ أبي قال: كان ابن المبارك إذا كان وقتُ الحجِّ، اجتمع إليه إخوانُه مِن أهل مَرو، فيقولون: نَصحبُك، فيقول: هاتوا نفقاتِكم، فيأخذ نفقاتِهم، فيجعلُها في صندوق، ويُقفِلُ عليها، ثم يكتري له، ويخرجهم مِن مرو إلى بغداد، فلا يزالُ يُنفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام، وأطيب الحلوى، ثم يُخرجهم من بغداد بأحسن زيٍّ وأكمل مُروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول ﷺ، فيقول لكل واحد: ما أمرك عيالُك أن تشتري لهم من المدينة

---

(١) انظر السير: ٣٧٨- ٤٢١.

من طُرَفها؟ فيقول: كذا وكذا فيشتري لهم، ثم يُخرجهم إلى مكة، فإذا قَضَوْا حجَّهم، قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالُك أن تشتريَ لهم مِن متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يُخرجهم من مكَّة، فلا يزال يُنفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فيجصِّصُ بيوتهم وأبوابهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام، عمل لهم وليمةً وكساهم، فإذا أكلوا وسرّوا، دعا بالصندوق، ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صُرَّته، عليها اسمه.

وقال محمد بن المثنّىٰ: سمعتُ عبدالرحمن بن مهدي يقول: ما رأت عيناي مِثل أربعة: ما رأيتُ أحفظَ للحديث من الثوريِّ، ولا أشدَّ تقشفاً مِن شُعبة، ولا أعقلَ مِن مالك، ولا أنصح للأمَّة من ابن المبارك.

[١] قال سفيانُ: إني لأشتهي من عمري كلِّه أن أكون سنة مثلَ ابن المبارك، فما أقدِر أن أكون ولا ثلاثة أيام.

[٢] قال ابنُ عُيينة: نظرتُ في أمر الصحابة، وأمر عبدالله، فما رأيتُ لهم عليه فضلاً إلا بصُحبتهم النبي ﷺ، وغَزوهِم معه.

[٣] قال القاسم بن محمد بن عَبَّاد: سمعت سُويدَ بنَ سعيد يقول: رأيتُ ابن المبارك بمكةَ أتى زمزَم، فاستقى شربةً، ثم استقبلَ القبلة، فقال: اللَّهمَّ إنَّ ابن أبي المَوال، حدثنا عن محمد بن المُنكدِر عن جابر، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَاءُ زَمزَمَ لِما شُرِبَ لَهُ» وهذا أشربه لِعَطَش القِيامة، ثم شربه.

[٤] قال نُعيم بن حَمَّاد: كان ابنُ المبارك إذا قرأ كتاب الرِّقاق، يصيرُ كأنه ثور منحور، أو بقرة منحورة، من البكاء، لا يجترئ أحدٌ منا أن يسأَلَه عن شيءٍ إلا دفعه.

[٥] أبو حاتِم الرَّازي: حدثنا عَبدة بن سليمان المروزي قال: كنا سريَّةً مع ابن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدوّ، فلما التقى الصفَّان، خرج رجل من العدو، فدعا إلى البِراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه رجل، فطارده ساعةً فطعنَه فقتله فازدحم إليه الناسُ، فنظرتُ فإذا

هو عبدالله بن المبارك، وإذا هو يكتمُ وجهه بكُمِّه، فأخذت بطرف كمه فمددتُه، فإذا هو هو. فقال: وأنتَ يا أبا عمرو ممن يُشَنِّع علينا.

[١] وقال أبو حسان عيسى بن عبدالله البصري: سمعت الحسنَ بن عَرَفَةَ يقولُ: قال لي ابنُ المبارك: استعرتُ قلماً بأرض الشَّام، فذهبتُ على أن أرده، فلما قدمت مرو، نظرت فإذا هو معي، فرجعتُ إلى الشام حتى رددتُه على صاحبه.

[٢] قال أَسْوَدُ بن سالم: كان ابنُ المبارك إماماً يُقتدى به، كان مِن أثبت الناس في السُّنَّة، إذا رأيتَ رجلاً يغمِزُ ابنَ المبارك، فاتهمه على الإسلام.

[٣] اجتمع جماعة مثل الفضل بن موسى، ومَخلَدِ بن الحسين، فقالوا: تعالوا نعدّ خِصال ابنِ المبارك من أبواب الخير، فقالوا: العلمُ، والفقهُ، والأدبُ، والنَّحوُ، واللُّغةُ، والزُّهدُ، والفصاحةُ، والشِّعرُ، وقيامُ الليلِ، والعِبادةُ، والحجُّ، والغَزوُ، والشَّجاعة، والفُروسيَّة، والقوَّة، وتركُ الكلام فيما لا يعنيه، والإنصافُ، وقِلَّةُ الخلافِ على أصحابه.

[٤] قال حبيب الجَلاَّب: سألتُ ابن المبارك: ما خيرُ ما أُعطي الإنسان؟ قال غريزة عقل. قلتُ: فإن لم يكن؟ قال: حُسْنُ أدب. قلتُ: فإن لَم يكن؟ قال: أخٌ شفيق يستشيرُهُ. قلتُ: فإن لم يكن؟ قال: صَمتٌ طويل. قلت: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل.

[٥] عن عبدالله، قال: إذا غَلَبَت محاسِنُ الرجل على مساوئه لم تُذكر المساوىءُ، وإذا غلبت المساوئ على المحاسن لم تُذكر المحاسن.

[٦] قيل لابن المبارك: إذا أنت صلَّيت لم لا تجلِسُ معنا؟ قال: أجلس مع الصحابة والتابعين، أنظر في كتبهم وآثارِهم، فما أصنعُ مَعكم؟ أنتم تغتابون الناس.

[٧] وعن ابن المبارك قال: أوَّلُ منفعة العِلم أن يُفيد بعضُهُم بعضاً.

[٨] وجاء أن ابن المبارك سئُل: مَنِ الناسُ؟ فقال: العلماءُ. قيل: فمن الملوكُ: قال: الزهَّاد، قيل: فمن الغَوغاءُ؟ قال: خزيمة وأصحابُه، يعني مِن أمراء الظَّلمة.

قيل: فمن السَّفلة؟ قال: الذين يعيشون بدينهم.

[١] وقال: رُبَّ عمل صغير تُكثِّره النية، ورب عمل كثير تُصغِّره النيةُ.

[٢] وعن ابن المبارك قال: في صحيح الحديث شُغلٌ عن سقيمه.

[٣] قال عليُّ بن الحسن بن شقيق: قمتُ لأخرجَ مع ابن المبارك في ليلة باردة من المسجد، فذاكرني عند الباب بحديث، أو ذاكرتُهُ، فما زِلنا نتذاكر، حتى جاء المؤذِّن للصُّبح.

[٤] قال أحمدُ بن أبي الحَواري: جاء رجل من بني هاشم إلى عبدالله بن المبارك ليسمعَ منه، فأبى أن يُحدِّثَه، فقال الشريف لغلامه: قم فإنَّ أبا عبدِالرحمنِ لا يرى أن يُحدِّثنا، فلما قام ليركب، جاء ابنُ المبارك ليُمسكَ بركابه، فقال: يا أبا عبدالرحمن تفعلُ هذا ولا ترى أن تحدِّثني! فقال: أُذِلُّ لك بدني، ولا أُذِلُّ لكَ الحديثَ.

[٥]نُعَيم بن حَمَّاد: سمعتُ ابن المبارك يقول: السَّيفُ الذي وقع بين الصحابة فتنةٌ، ولا أقول لأحد منهم هو مَفتونٌ.

[٦] وعنه قال: إن البصراء لا يأمنون من أربع: ذنب قد مضى لا يُدْرَى ما يصنع فيه الربُّ عزَّ وجل، وعمرٍ قد بقي لا يُدرَى ما فيه من الهَلَكَةِ، وفضل قد أُعطي العبدُ لعله مكرٌ واستدراجٌ، وضلالة قد زُيِّنت، يراها هدىً، وزيغِ قلب ساعة فقد يسلب المرءُ دينه ولا يشعر.

[٧] وعن عبدالكريم السُّكَّري قال: كان عبدالله يُعجبه إذا خَتَم القرآن أن يكون دعاؤه في السُّجود.

[٨] قال أبو وَهْب المَرْوَزي: سألت ابن المبارك: ما الكِبْرُ؟ قال: أن تَزْدَرِيَ الناس. فسألته عن العُجْب؟ قال: أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك، لا أعلم في المصلِّين شيئاً شراً من العُجْب.

[٩] عن ابن المبارك قال: من استخفَّ بالعلماء، ذهبت آخرتُه، ومن استخفَّ بالأمراء، ذهبت دنياه، ومن استخفَّ بالإخوان ذهبت مُروءتُه.

[١] قال أبو صالح الفرَّاء. وسمعتُه يقول: الحِبْرُ في الثوب خَلُوقُ العلماء.

وقد تفقَّه ابن المبارك بأبي حنيفة، وهو معدود في تلامذته.

[٢] وكان عبدُ الله غنياً شاكراً، رأس ماله نحو الأربع مئة ألف.

[٣] قال الحسن بن الربيع: لما احتُضِرَ ابن المبارك في السَّفر قال: أشتهي سويقاً، فلم نجده إلا عند رجل كان يعمل للسلطان، وكان معنا في السفينة فذكرنا ذلك لعبدالله، فقال: دعوه، فمات ولم يَشْرَبْه.

[٤] محمد بن إبراهيم بن أبي سُكَينة، قال: أملى عليَّ ابنُ المبارك سنة سبع وسبعين ومئة، وأنفذها معي إلى الفُضيل بن عياض من طرَسُوس:

يا عَابدَ الحَرمينِ لَوْ أبْصرتَنَا ... لَعَلِمْتَ أنَّكَ في العبَادةِ تَلْعَبُ

مَن كانَ يَخضِبُ جيدَه بدُمُوعِه ... فَنحورُنا بدمائِنا تتخضَّبُ

أو كانَ يُتعِبُ خيلَه في بَاطِلٍ ... فَخُيولُنا يَومَ الصَّبيحَةِ تَتعَبُ

ريحُ العَبيرِ لكُم ونحنُ عبيرُنا ... رهجُ السَّنابكِ والغُبارُ الأطيبُ(١)

وَلَقد أتانَا مِن مَقَالِ نَبِيِّنا ... قولٌ صحيحٌ صَادِقٌ لا يُكذَبُ

لا يَستوي وغُبَارُ خيل الله في ... أنفِ امرئٍ ودُخانُ نار تَلهبُ(٢)

هذا كِتابُ الله يَنطقُ بَينَنا ... لَيس الشهيدُ بميتٍ لا يُكذَبُ

فلقيت الفُضيل بكتابه في الحرم، فقرأ وبكى، ثم قال: صدق أبو عبدالرحمن ونصح.

[٥] قال أبو العباس السَّراج: أنشدني يعقوب بن محمد لابن المبارك:

أبإذنٍ نَزَلْتَ بي يا مَشيبُ ... أيُّ عَيش وَقَدْ نزلتَ يَطيبُ

وكَفى الشَّيبُ واعظاً غيرَ أنِّي ... آملُ العَيشَ والمَماتُ قريبُ

كم أُنادِي الشَّبابَ إذ بانَ مِنِّي ... ونِدَائي مُوَلِّياً ما يُجِيبُ

---

(١) الرَّهْج والرَّهَج: الغبار، والسنابك جمع سنبك طرف حافر الخيل وجانباه من قُدَّام.

(٢) يشير إلى الحديث الذي أخرجه أحمد ٢/٢٥٦، ٣٤٢، ٤٤١. والنسائي ٦/١٢، يقول: «لايجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدا، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً».

[١] قال حبَّان بن موسى: سمعتُ ابن المبارك يُنشد:

كَيف القرارُ وكيفَ يَهدأُ مُسلِمٌ والمُسلِمَاتُ مَعَ العَدُوِّ المُعتَدِي
الضَّارِبَاتُ خُدُودَهُنَّ برنَّةٍ الدَّاعياتُ نَبيَّهُنَّ مُحمَّدِ
القَائلات إذا خَشِين فَضِيحَةً جهد المَقَالَةِ ليتَنا لَم نُولَدِ
مَا تَستَطِيعُ وَما لَها مِن حيلة إلَّا التَّستُّرُ مِن أخِيها باليَدِ

[٢] وجاء من طرق عن ابن المبارك، ويُقال: بل هي لحميد النحويِّ:

اغتنِم رَكعتينِ زُلفى إلى الله إذا كُنتَ فارغاً مُستريحاً
وإذا ما هَمَمْتَ بالنطقِ بالبَاطِلِ فاجعَلْ مكانَهَ تسبِيحاً
فاغتنِامُ السُّكُوتِ أفضَلُ مِن خوضٍ وإن كُنْتَ بالكلامِ فصيحا

[٣] قال أحمدُ بن عبدالله العِجلي: حدثني أبي قال: لما احتُضِرَ ابنُ المبارك، جعل رجل يُلقِّنُه، قل: لا إله إلا الله، فأكثر عليه، فقال له: لست تُحسِنُ، وأخافُ أن تُؤذيَ مسلماً بعدي، إذا لقَّنتني، فقلتُ: لا إله إلَّا الله، ثم لم أحدِث كلاماً بعدها، فدعني، فإذا أحدثتُ كلاماً، فلقنِّي حتى تكونَ آخرَ كلامي.

[٤] قال مُحمد بن الفُضيل بن عياض: رأيتُ ابن المبارك في النَّوم، فقلت: أيُّ العمل أفضلُ؟ قال: الأمرُ الذي كنتُ فيه. قلتُ: الرِّباط والجهاد؟ قال نعم. قلتُ: فما صَنع بك ربُّك؟ قال: غفر لي مغفرةً ما بعدها مغفرة. رواها رجلان عن محمد.

[٥] وقال العباس بن محمد النَّسفي: سمعت أبا حاتم الفِرَبريَّ يقول: رأيتُ ابن المبارك واقفاً على باب الجنة بيده مفتاح، فقلت: ما يُوقفك ها هنا؟ قال: هذا مفتاح الجنة، دفعه إليَّ رسول الله ﷺ، وقال: حتى أزور الربَّ، فكن أميني في السماء، كما كنتَ أميني في الأرض.

[٦] وقال إسماعيل بن إبراهيم المصِّيصي: رأيتُ الحارثَ بنَ عطيَّةَ في النوم، فسألته، فقال: غفر لي. قلتُ: فابنُ المبارك، قال: بخٍ بخٍ ذاك في علِّيين ممن

يَلجُ على الله كُلَّ يوم مرتين.

[١] وعن نَوفلٍ قال: رأيتُ ابن المبارك في النوم، فقلتُ: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي برحلتي في الحديث. عليك بالقرآن، عليك بالقرآن.

مات سنة إحدى وثمانين ومئة.

[٢] عن يحيى بن يحيى الليثي قال: كنا عند مالك، فاستُؤذِنَ لعبد الله بن المبارك بالدُّخول، فأذنَ له، فرأينا مالكاً تزحزح له في مجلسه، ثم أقعده بلصقه، وما رأيتُ مالكاً تزحزح لأحد في مجلسه غيره، فكان القارئ يقرأ على مالك، فربما مرَّ بشيْ فيسألـه مالك: ما مذهبُكم في هذا؟ أو ما عندكم في هذا؟ فرأيتُ ابن المبارك يُجَاوبه، ثم قام، فخرج، فأعجب مالكٌ بأدبه، ثم قال لنا مالك: هذا ابنُ المبارك فقيهُ خراسان.

[٣] وسئل ابن المبارك بحضور سفيان بن عيينة عن مسألة، فقال: إنَّا نُهينا أن نتكلم عند أكابرنا.

٣٩٢ - الفُضَيل بن عياض (خ، م، د، س، ت)[١]

[٤] ابن مسعود، الإمامُ القدوة الثَّبتُ، شيخُ الإسلام، أبو علي التميمي اليَربوعي الخراساني، المجاورُ بحرم الله.

وُلد بِسَمرقَند، ونشأ بأَبِيوَرْدَ، وارتحل في طلب العلم.

رَوى عنه سُفيانُ الثوريُّ أجلُّ شيوخه، وبينهما في الموت مئة وأربعون عاماً.

[٥] عن الفضل بن موسى، قال: كان الفُضيل بن عياض شاطراً يقطعُ الطريقَ بين أَبِيوَرْد وسَرْخس، وكان سببُ توبته أنه عشق جارية، فبينا هو يرتقي الجدران إليها، إذ سمع تالياً يتلو ﴿أَلَمْ يأْنِ للَّذينَ آمَنُوا أن تخشعَ قُلوبُهُم . .﴾[الحديد ١٦] فَلَما سَمِعها، قال: بلى يارب، قد آن، فرجع، فآواه الليلُ إلى خَرِبة، فإذا فيها سابلة،

(١) انظر السير: ٨/٤٢١-٤٤٢.

فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: حتى نصبحَ فإن فُضَيلاً على الطريق يقطعُ علينا.

قال: ففكرت، وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقومٌ من المسلمين ها هنا، يخافوني، وما أرى اللهَ ساقني إليهم إلا لأرتدعَ، اللهمَّ إني قد تبتُ إليك، وجعلتُ توبتي مَجاورةَ البيت الحرام.

[١] وقال أبو وَهب محمد بن مُزاحم: سمعتُ ابن المبارك يقول رأيتُ أعبدَ الناس عبـدالعزيز بن أبي رَوَّاد، وأورعَ الناس الفُضيلَ بن عياض، وأعلمَ الناس سفيان الثوري، وأفقه الناس أبا حنيفة، ما رأيتُ في الفقه مِثْلَه.

[٢] وروى أحمد بن أبي الحَوَاري عن الهَيثم بن جميلٍ، سمعتُ شَريكاً يقول: لم يزل لكلِّ قوم حجةٌ في أهل زمانهم، وإن فضيلَ بن عِياض حجةٌ لأهل زمانه، فقام فتى من مجلس الهيثم، فلما توارى، قال: الهيثم: إن عاش هذا الفتى يكون حجةً لأهل زمانه. قيل: من كان الفتى؟ قال: أحمد بن حنبل.

[٣] وقال إبراهيم بن الأشعث: ما رأيتُ أحداً كان اللهُ في صدره أعظمَ من الفضيل، كان إذا ذَكـر الله، أو ذُكِرَ عنده، أو سَمِعَ القرآن، ظهر به من الخوف والحزن، وفاضت عيناه، وبكى حتى يرحمَه من يحضرُه، وكان دائمَ الحزن، شديدَ الفكرة، ما رأيتُ رجلاً يُريد الله بعلمه وعمله، وأخْذه وعطائِه، ومنعِه وبذله، وبُغضِه وحبه، وخصالِه كلِّها، غيرَه. كنا إذا خرجنا معه في جِنازة لايزال يَعِظُ، ويذكِّر ويبكي كأنه مودِّعٌ أصحابه، ذاهبٌ إلى الآخرة، حتى يبلُغَ المقابر، فيجلس مكانه بين الموتى من الحزنِ والبكاء حتى يقومَ وكأنَّه رجع من الآخرة يخبر عنها.

[٤] وقال عبد الصَّمد بن يزيد مردويه: سمعتُ الفضيلَ يقول: لم يتزيَّنِ الناسُ بشيْ أفضلَ مِن الصدق، وطلبِ الحلال. فقال ابنُه علي: يا أبةِ إنَّ الحلالَ عزيز. قال: يا بني، وإنّ قليلَه عند الله كثير.

[٥] قال سَري بن المُغَلِّس: سمعتُ الفُضيل يقول: مَنْ خاف اللهَ لم يضرَّه أحدٌ، ومن خَاف غيرَ الله، لم ينفعه أحد.

[١] قال ابراهيم بن الأشعث: سمعت الفضيل يقول: رَهبَةُ العبد من الله على قدر علمه بالله، وزهادتُه في الدنيا على قَدر رغبته في الآخرة، مَن عمل بما علم استغنى عما لا يعلم، ومن عمل بما علم وفَّقه الله لما لا يعلم، ومن ساء خلقُه شان دينَه وحسبه ومروءتَه.

[٢] وسمعته يقول: أكذبُ الناس العائد في ذنبه، وأجهلُ الناس المُدِلُّ بحسناته، وأعلمُ الناس بالله أخوفُهم منه، لن يكمُلَ عبدٌ حتى يُؤثِرَ دينَه على شهوته، ولن يَهْلِكَ عبدٌ حتى يُؤثِرَ شهوتَه على دينه.

[٣] وقال محمد بن عَبدويه: سمعتُ الفُضيل يقول: تركُ العملِ من أجل الناسِ رياءٌ والعملُ من أجل الناس شِرْكٌ، والإخلاصُ أن يعافِيَكَ اللهُ عنهما.

[٤] قال سَلْمُ بن عبدالله الخراساني: سمعت الفُضيل يقول: إنما أمس مَثَلٌ واليومَ عملٌ، وغداً أملٌ.

[٥] وقال فيض بن إسحاق: قال الفضيلُ: والله ما يَحِلُّ لك أن تؤذيَ كلباً ولا خنزيراً بغير حقٍّ، فكيف تُؤذي مسلماً.

[٦] وعنه: بقدر ما يصغر الذَّنبُ عندك يَعْظُمُ عند الله، وبقدر ما يَعْظُمُ عندك يصغُر عند الله.

[٧] إسحاق بن إبراهيم الطبري: قال: ما رأيتُ أحداً أخوف على نفسه، ولا أرجى للناس من الفضيل. كانت قراءتُه حزينةً، شَهيَّةً، بطيئة، مترسِّلةً، كأنه يُخاطب إنساناً، وكان إذا مر بآية فيها ذِكرُ الجنة يُرَدِّدُ فيها، وسأل، وكانت صلاتُه بالليل أكثر ذلك قاعداً، يُلقى له الحصيرُ في مسجده، فيُصلي من أول الليل ساعةً، ثم تغلبه عينُهُ، فيُلقي نفسه على الحصير، فينامُ قليلاً، ثم يقوم، فإذا غلبه النومُ نام، ثم يقومُ هكذا حتى يُصبح. وكان دأبُه إذا نعس أن ينام ويقال: أشدُّ العبادة ما كان هكذا.

[٨] محمد بن زكريا الغَلابي، حدثنا أبو عمرَ الجَرْمي النَّحويّ، حدثنا الفضلُ بن الربيع، قال: حجَّ أميرُ المؤمنين ـ يعني هارون ـ فقال لي: وَيْحَك، قد حكَّ في نفسي شيءٌ، فانظر لي رجلاً أسألُه. فقلت: ها هنا سُفيان بن عيينة، فقال: امضِ

بنا إليه، فأتيناه، فقرعت بابه، فقال: من ذا؟ فقلتُ: أجب أمير المؤمنين.

فخرج مسرعاً، فقال: يا أميرَ المؤمنين، لو أرسلتَ إليَّ أتيتُك. فقال: خُذ لما جئتك له، فحدَّثه ساعةً، ثم قال له: عليك دينٌ. قال: نعم. فقال لي: اقضِ دَيْنَهُ، فلما خرجنا. قال: ما أغنى عني صاحبك شيئاً، قلت: ها هنا عبدالرزاق. قال: امض بنا إليه، فأتيناه، فقرعت الباب فخرج، وحادثه ساعةً، ثم قال: عليك دينٌ؟ قال: نعم. قال: أبا عباس، اقضِ دينه، فلما خرجنا قال: ما أغني عني صاحبُك شيئاً، انظر لي رجلاً أسأله، قلت: ها هنا الفضيلُ بن عياض، قال: امضِ بنا إليه، فأتيناه، فإذا هو قائم يُصلي، يتلُو آيةً يُردِّدُها، فقال: اقرع البَاب، فقرعتُ، فقال: من هذا؟ قلتُ: أجب أميرَ المؤمنين قال: مالي ولأمير المؤمنين؟ قلتُ: سبحان الله، أما عليك طاعةٌ، فنزل، ففتح الباب، ثم ارتقى إلى الغُرفة، فأطفأ السِّراج ثم التجأ إلى زاوية، فدخلنا، فجعلنا نجولُ عليه بأيدينا فسبقت كفٌّ هارون قبلي إليه، فقال: يا لها مِن كفٍّ ما ألينَها إن نجت غداً من عِذاب الله، فقلتُ في نفسي: ليكلمنَّه الليلة بكلام نقيٍّ من قلب تقي، فقال له: خذ لما جئناك له، رحمك الله، فقال: إن عمر بن عبدالعزيز لماوَلِيَ الخِلافةَ دعا سالم بن عبدالله، ومحمد بن كعب، ورجاء بن حَيوة، فقال لهم: إني قد ابتُليتُ بهذا البلاء فأشيروا عليَّ، فعدَّ الخلافة بلاءً، وعددتها أنت وأصحابُك نعمةً، فقال له سالم: إن أردت النجاة، فصم الدنيا وليكن افطارك منها الموت، وقال له ابن كعب: إن أردتَ النجاة من عذاب الله، فليكن كبيرُ المسلمين عندك أباً، وأوسطُهم أخا، وأصغرُهم ولداً، فوقر أباك، وأكرِم أخاك، وتحنَّن على ولدك.

وقال له رجاء: إن أردت النجاة من عذاب الله، فأحبَّ للمسلمين ما تُحبُّ لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مُت إذا شئت، وإني أقولُ لك هذا وإني أخافُ عليك أشدَّ الخوف يوماً تَزِلُّ فيه الأقدام، فهل معك رحمك الله من يُشير عليك بمثل هذا، فبكى بكاءً شديداً حتى غُشي عليه، فقلتُ له: ارفُق بأميرِ

المؤمنين، فقال ياابنَ أمِّ الربيع تقتُله أنت وأصحابُك، وأرفق به أنا؟ ثم أفاق فقال له: زدني رحمك الله. قلتُ: بلغني أن عاملاً لعمر بن عبدالعزيز شُكي إليه، فكتب إليه: يا أخي أذكِّرك طولَ سهرأهلِ النار في النار مع خلود الأبد، وإيَّاك أن يُنصرفَ بك من عند الله، فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء، فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قَدِمَ عليه، فقال: ما أقدمك؟ قال: خلعتَ قلبي بكتابك، لا أعودُ إلى ولاية حتى ألقى الله، فبكى هارون بكاءً شديداً فقال: يا أمير المؤمنين: إن العبَّاس عمَّ النبي ﷺ جاء إليه فقال: أمِّرني، فقال له: «إنَّ الإمارةَ حَسَرَةٌ ونَدامةٌ يومَ القيامةِ، فإن استطعتَ أن لا تكونَ أميراً فافعل» فبكى هارون، وقال: زدني. قال: يا حسنَ الوجه أنتَ الذي يسأَلُك الله عن هذا الخلقِ يومَ القيامة، فإن استطعت أن تقيَ هذا الوجهَ مِن النار، فافعل، وإيَّاك أن تُصبحَ وتمسيَ وفي قلبك غِشٌ لأحد من رعيتك، فإن النبي ﷺ قال: «مَن أصبحَ لَهُم غاشاً لم يَرُحْ رائحةَ الجنة». فبكى هارون وقال له: عليك دينٌ؟ قال نعم: دينٌ لربي، لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن ساءلني، والويلُ لي إن ناقشني، والويلُ لي إن لم أُلهَم حجتي، قال: إنما أعني من دَين العباد، قال: إن ربِّي لم يأمُرْني بهذا، أمرني أن أصدق وعده، وأطيع أمرَه، فقال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات ٥٦] الآيات، فقال: هذه ألفُ دينار خذها، فأنفقها على عيالك، وتقوَّ بها على عبادة ربك، فقال: سبحان الله أنا أدلُّك على طريق النجاة، وأنت تُكافئني بمثل هذا. سَلَّمكَ الله، ووفَّقك ثم صمت، فلم يُكلِّمنا، فخرجنا، فقال هارون: أبا عباس، إذا دللتني، فدلني على مثل هذا، هذا سيِّد المسلمين، فدخلت عليه امرأةٌ من نسائِه فقالت: قد ترى ما نحن فيه من الضِّيق، فلو قبلتَ هذا المال. قال: إنما مَثلي ومثلكم كمثلِ قوم لهم بعير يأكلون من كسبِهِ، فلما كَبِرَ، نحروهُ، فأكلوا لحمَه، فلما سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل فعسى أن يقبلَ المال. فلما علم الفضيلُ، خرج فجلس في السَّطح على باب الغرفة، فجاء هارون، فجلس إلى

جنبه يُكلمه فلا يُجيبه، فبينا نحن كذلك إذ خرجت جاريةٌ سوداء، فقالت: يا هذا، قد آذيت الشيخ منذ الليلة، فانصرف فانصرفنا.

[١]وقال ابراهيم بن الأشعث: سمعتُ الفضيل يقول: من أحبَّ أن يُذكَرَ لم يذكر، ومن كره أن يُذكر ذُكِرَ.

[٢]وسمعتُه يقول: الخوفُ أفضل من الرَّجاء ما دام الرجلُ صحيحاً، فإذا نزل به الموت فالرَّجاء أفضل.

[٣]قال فيض بن وثيق: سمعتَ الفضيل يقول: إن استطعتَ أن لا تكون محدِّثاً ولا قارئاً، ولا متكلِّماً، إن كنت بليغاً، قالوا ما أبلغَه، وأحسَنَ حديثه، وأحسنَ صوته، فيُعجبك ذلك، فتنتفخ، وإن لم تكن بليغاً، ولا حسنَ الصوت، قالوا :ليس يُحسن يحدِّث، وليس صوته بحسَن، أحزنك ذلك، وشقَّ عليك، فتكون مرائياً، وإذا جلست، فتكلمت، فلم تُبالِ مَن ذمك ومَن مدحك، فتكلَّم.

[٤]وقيل له: ما الزهد؟ قال: القُنوع، قيل: ما الوَرع؟ قال :اجتنابُ المحارم. قيل: ما العبادة؟ قال: أداءُ الفرائض. قيل: ما التَّواضعُ؟ قال: أنْ تخضع للحق وقال: أشدُّ الورع في اللسان.

[٥]قال عبدالصمد بن يزيد: سمعتُ الفضيل يقول: لو أنَّ لي دعوةً مستجابة ما جعلتها إلا في إمامٍ، فصلاحُ الإمام صلاحُ البلاد والعباد.

[٦]وعن الفضيل: حرامٌ على قلوبكم أن تُصيبَ حلاوةَ الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا.

[٧]وعنه: إذا لم تقدِر على قيام الليل، وصيام النهار، فاعلم أنك محرومٌ كبَّلَتك خطيئتُك.

[٨]قال عبدالصمد مَردويه: سمعتُ الفُضيل يقول: من أحبَّ صاحبَ بدعة، أحبط الله عمله وأخرج نورَ الإسلام من قلبه، لا يرتفعُ لصاحب بدعة إلى الله عمل. نظرُ المؤمن إلى المؤمن يجلو القلب، ونظرُ الرجل إلى صاحب البدعة يورث العمى،

من جلس مع صاحب بدعة لم يُعطَ الحكمة.

[١] قال ابراهيم بن الأشعث: سمعتُ الفضيل يقول في مرضه: ارحمني بحبِّي إياك فليس شيء أحبَّ إليَّ منك.

[٢]وسمعته يقول وهو يشتكي: مسَّني الضر وأنت أرحم الراحمين.

[٣]وسمعته يقول: من استوحش من الوحدة، واستأنس بالناس، لم يَسلمْ من الرِّياء، ولا حجَّ ولا جهادَ أشدُّ من حبس اللسان، وليس أحداً أشدَّ غمّاً ممن سجن لسانَه.

[٤] وعن الفضيل قال: من أخلاقِ الأنبياء الحلمُ والأناةُ وقيام الليل.

[٥] قال إبراهيم بن الأشعث: رأيتُ سفيان بن عيينة يُقَبِّل يدَ الفضيلِ مرَّتين.

[٦] وعن ابن المبارك قال: إذا نظرتُ إلى الفضيل، جدَّد لي الحزنَ، ومقتُّ نفسي، ثم بكى.

[٧] قال الأصمعي: نظر الفُضيل إلى رجل يشكو إلى رجل، فقال: يا هذا تشكو من يرحمُك إلى من لا يرحمُك.

[٨]قال أحمد بن أبي الحَواري: حدثنا أبو عبدالله الأنطاكي قال: اجتمع الفضيل والثَّوري، فتذاكرا، فرَقَّ سفيانُ وبكى، ثم قال: أرجو أن يكون هذا المجلس علينا رحمة وبركة، فقال له الفضيل: لكني يا أبا عبدالله أخاف أن لا يكون أضرَّ علينا منه. ألستَ تخلَّصتَ إلى أحسن حديثك، وتخلَّصتُ أنا إلى أحسن حديثي، فَتَزَيَّنتَ لي وتزينتُ لك؟ فبكى سفيان، وقال: أحييتني أحياك الله.

[٩] وقال الفيض: قال لي الفضيل: لو قيل لك: يا مُرائي، غضبتَ، وشقَّ عليك، وعسى ما قيل لك حق، تَزَّينتَ للدنيا وتصنَّعتَ، وقصّرتَ ثيابك، وحسّنتَ سمتك، وكففتَ أذاك حتى يُقال: أبو فلان عابدٌ، ما أحسنَ سَمْتَه فيكرمونك وينظرونك، ويقصدونك ويهدون إليك، مثل الدرهم السُّتُّوق(١) لا يعرفه كُلُّ أحد فإذا قُشر، قُشر

(١) هو الرديئ الزيف الذي لا خير فيه.

عن نحاس.

[١] وعنه قال: كفى بالله مُحَباً وبالقرآن مُؤنساً، وبالموت واعظاً، وبخشية الله علماً، وبالاغترار جهلاً.

[٢] وعنه: خصلتان تقسِّيان القلب: كثرةُ الكلام، وكثرةُ الأكل.

[٣] وعنه: كيف ترى حال من كثرت ذنوبُه، وضَعُفَ علمُه، وفني عمرُه، ولم يتزود لمعاده.

[٤] وعنه: يا مسكين، أنت مسيءٌ وترى أنك محسن، وأنت جاهل وترى أنك عالم، وتبخلُ وترى أنك كريم، وأحمق وترى أنك عاقل، أجلُكَ قصير، وأملُك طويل.

قلت: إي واللهِ، صدق، وأنت ظالم وترى أنك مظلومٌ، وآكل للحرام وترى أنك متورِّع، وفاسق وتعتقِدُ أنك عَدْلٌ، وطالب العلم للدنيا وترى أنك تطلبُه لله.

[٥] محمد بن عبدالله الأنْباري، قال: سمعت فُضيلاً يقول: لما قَدِمَ هارون الرشيد إلى مكّةَ قعد في الحِجْر هو وولدُه، وقومٌ من الهاشميين، وأحضروا المشايخ، فبعثوا إليَّ فأردت أن لا أذهب، فاستشرت جاري، فقال: اذهب لعله يريد أن تَعِظَه، فدخلتُ المسجد، فلما صرت إلى الحِجْر، قلت لأدناهم: أيُّكم أميرُ المؤمنين؟ فأشار إليه، فقلتُ: السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فردَّ عليَّ، وقال: اقعُد، ثم قال: إنما دعوناك لتحدِّثَنا بشيْ، وتعظَنا، فأقبلتُ عليه، فقلت: يا حسنَ الوجه، حسابُ الخلق كلهم عليك. فجعل يبكي ويشهَقُ، فرددتُ عليه، وهو يبكي، حتى جاء الخادم فحملوني وأخرجوني، وقال: اذهب بسلام.

[٦] قال قُطْبة بن العلاء: سمعتُ الفضيل يقول: آفةُ القرَّاءِ العُجْبُ. وللفضيل رحمه الله مواعظُ، وقدم في التَّقوى راسخٌ.

وكان يعيش من صِلة ابن المبارك ونحوِه من أهل الخير، ويمتنع من جوائز الملوك.

[٧] قال بعضهم: كنا جلوساً عند الفُضيل بن عياض، فقلنا له: كم سنُّك؟

فقال:

بَلَغتُ الثَّمانِينَ أَوْ جُزتُها فَمَاذا أُؤَمِّلُ أَو أَنتَظِرْ
عَلَتْني السِّنُونُ فَأَبْلَيْنني فَدَقَّ العِظَامُ وكَلَّ البَصَرْ

قلتُ: هو من أقران سُفيان بن عيينة في المولد، ولكنه مات قبله بسنوات وكان ابنه:

٣٩٣ - علي(١)

من كبار الأولياء، ومات قبل والده.

[١] قلتُ: خرج هو وأبوه من الضَّعف الغالِب على الزُّهاد والصُّوفية، وعُدَّا في الثِّقات إجماعاً.

وكان عليٌّ قانتاً لله، خاشعاً، وجِلًا، ربانيّاً، كبيرَ الشأن.

[٢] قال الخطيب: مات قبل أبيه بمدة من آية سمعها تُقرأ، فغُشي عليه، وتوفي في الحال.

[٣] قال إبراهيم بن الحارث العُبّادي: حدثنا عبدُ الرحمن بن عفان، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش قال: صلَّيت خلف فُضيل بن عياض المغربَ وابنُه عليٌّ إلى جانبي، فقرأ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُر﴾. فلما قال: ﴿لَتَرَوُنَّ الجَحِيم﴾ سقط عليٌّ على وجهه مَغْشِيًّا عليه.

[٤] قال ابنُ أبي الدنيا: حدثني عبدُ الصمد بن يزيد، عن فُضيل بنِ عياض قال: بكى عليٌّ ابني. فقلتُ: يا بنيَّ ما يُبكيك؟ قال: أخافُ ألا تجمعَنا القيامةُ.

[٥] وقال لي ابنُ المبارك: يا أبا علي ما أحسن حالَ من انقطع إلى الله، فسمع ذلك عليٌّ ابني، فسقط مغشياً عليه.

[٦] محمد بن ناجية قال: صلَّيت خلف الفضيل، فقرأ: ﴿الحاقَّة﴾ في الصبح. فلما بلغ إلى قوله: ﴿خُذُوه فغُلُّوه﴾ غلبه البكاءُ فسقط ابنه عليٌّ مغشياً عليه.

---

(١) انظر السير: ٨/٤٤٢-٤٤٨.

[١]عبد الصمد بن يزيد، سمعت الفضيل يقول: أشرفتُ ليلةً على عليٍّ، وهو في صحن الدار، وهو يقول: النار، ومتى الخلاص من النار؟ وقال لي: يا أبة سَلِ الذي وهبني لك في الدنيا أن يهبَني لك في الآخرة. ثم قال: لم يَزلْ مُنكَسِرَ القلبِ حزيناً. ثم بكى الفضيلُ، ثم قال: كان يُساعدني على الحزن والبكاء، يا ثمرة قلبي، شكَرَ اللهُ لك ما قد علمه فيك.

[٢] وعن الفضيل قال: اللَّهمَّ إنِّي اجتهدتُ أن أؤدِّب عليّاً، فلم أقدِر على تأديبه فأدِّبه أنت لي.

[٣]قال أبو سليمان الدَّاراني: كان علي بنُ الفُضَيل لا يستطيع أن يقرأ ﴿القارعة﴾ ولا تُقرأ عليه.

[٤]محمد بن أبي عثمان قال: كان عليُّ بن الفضيل عند سفيانَ بنِ عيينة، فحدَّث بحديث فيه ذكر النار، فشهق عليٌّ شهقةً، ووقع، فالتفت سفيان فقال: لو علمتُ أنك ها هنا ما حدثتُ به، فما أفاق إلا بعدَ ما شاء الله.

[٥]وبالإسناد عن فضيل: كانت لنا شاةٌ بالكوفة، أكلت شيئاً يسيراً مِن علف أمير، فما شرب لها لبناً بعدُ.

[٦] عن الفُضيل قال: أهدى لنا ابن المبارك شاةً فكان ابني لا يشربُ منها، فقلتُ له في ذلك. فقال: إنها قد رعت بالعراق.

[٧] علي بن محمد المِصري، سمعت أبا سعيد الخرَّاز، سمعتُ إبراهيم بن بشار يقول: الآية التي مات فيها علي بن الفضيل، في الأنعام: ﴿ولو تَرَىٰ إذْ وُقِفُوا على النَّار فَقَالُوا يالَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ [الأنعام ٢٧]. مع هذا الموضع مات. وكنت فيمن صلَّى عليه، رحمهُ الله.

مات الفضيل سنة ست وثمانين ومئة.

[٨]قُلتُ: وله نيف وثمانون سنة، وهو حجَّةٌ كبير القدر. ولا عبرة بما نقله أحمد بن أبي خَيْثمة، سمعت قُطبة ابن العَلاء يقول: تركتُ حديث فُضيل بن عياض، لأنه روى أحاديثَ أزْرى على عثمانَ بن عفانَ.

[١] قلتُ: فلا نسمعُ قولَ قُطْبة، ليته اشتغل بحاله، فقد قال البخاري: فيه نظر، وقال النسائي وغيره: ضعيف. وأيضاً فالرجلُ صاحب سنّة واتّباع.

قال أحمد بن أبي خيثمة: حدثنا عبدالصمد بن يزيد الصائغ، قال: ذُكر عند الفُضيلِ - وأنا أسمع - الصحابةُ، فقال: اتّبِعوا فقد كُفيتم: أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ، رضي الله عنهم.

[٢] قلتُ: إذا كان مثل كبراءِ السابقين الأولين قد تكلَّم فيهم الروافِضُ والخوارجُ، ومثلُ الفضيل يُتكلَّمُ فيه، فمن الذي يَسلمُ من ألسِنَةِ النَّاس، لكن إذا ثبتت إمامةُ الرجل وفضلُه، لم يَضُرَّه ما قيل فيه، وإنما الكلام في العلماء مُفتَقِر إلى وزن بالعدل والورع.

[٣] وأما قولُ ابن مَهْدي: لم يكن بالحافظ، فمعناه: لم يكن في علم الحديث كهؤلاء الحفاظ البحور، كشُعبة، ومالك وسفيان، وحمَّاد، وابنِ المبارك، ونظرائهم، لكنه ثبتٌ قَيِّم بما نقل، ما أُخذ عليه في حديث فيما علمت. وهل يُراد من العلم إلا ما انتهى إليه الفضيلُ رحمة الله عليه.

٣٩٤ - سُفيان بن عُيينة (ع)(١)

[٤] ابن أبي عِمران ميمون مولى محمد بن مُزَاحم، أخي الضحَّاك بن مُزاحم، الإمامُ الكبيرُ حافظُ العصر، شيخُ الإسلام، أبو محمد الهِلالِي الكوفي، ثم المكّي.

مولده: بالكوفة، في سنة سبع ومئة.

وطلب الحديث، وهو حدَثٌ، بل غلام، ولقي الكبار، وحمَل عنهم علماً جمّاً، وأتقَنَ، وجوَّد، وجمع وصنَّف، وعُمِّر دهراً، وازدحم الخلقُ عليه، وانتهى إليه علوُّ الإسناد، ورُحِل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد.

ولقد كان خلق من طلبة الحديث يتكلَّفون الحج، وما المحرِّك لهم سوى لُقيِّ

(١) انظر السير: ٨/٤٥٤ـ ٤٧٥.

سفيانَ بنَ عيينةَ، لإمامته وعلوِّ إسناده.

وجاورَ عنده غيرُ واحد من الحفَّاظ.

[١] قال الإمام الشافعيُّ: لولا مالكٌ وسفيانُ بن عيينة، لذهبَ علمُ الحجاز.

وارتحل ولقي خَلْقاً كثيراً ما لقيهم مالك، وهما نظيران في الإتقان، ولكنَّ مالكاً أجلُّ وأعلى، فَعنده نافع، وسَعيد المقْبُرِيّ.

قال حَرْملة: سمعتُ الشافعي يقول: ما رأيتُ أحداً فيه من آلةِ العلم ما في سفيان ابن عيينة، وما رأيتُ أكفَّ عن الفتيا منه. قال: وما رأيتُ أحداً أحسنَ تفسيراً للحديث منه.

قال عبدالله بن وَهْب: لا أعلم أحداً أعلم بتفسير القرآن من ابن عُيينة.

وقال: أحمد بن حنبل أعلم بالسنن من سفيان.

البويطي، سمعت الشافعي يقول: أصول الأحكام نيف وخمس مئة حديث، كلها عند مالك إلا ثلاثين حديثاً، وكلها عند ابنِ عيينة إلا ستة أحاديث.

وقال ابن المَديني: قال لي يحيى القطَّان. ما بقي من معلِّمي أحد غير سُفيان ابن عُيينة، وهو إمامٌ منذ أربعين سنة.

[٢]وحكى حَرْمَلَةُ بن يحيى أن ابن عُيينةَ قال له ـ وأراه خبزَ شعير ـ هذا طعامي منذ ستين سنة.

[٣]الحُمَيدي، سمع سفيان يقول: لا تَدخلُ هذه المحابرُ بيتَ رجل إلا أشقى أهلَه وولده.

[٤]وقال سفيان مرةً لرجل: ما حِرْفَتُك؟ قال: طلبُ الحديث. قال: بشِّر أهلك بالإفلاس.

[٥]عن ابن عُيينة قال: من كانت معصيتُه في الشَّهوة فارجُ له، ومن كانت معصيتُه في الكِبْر، فاخشَ عليه، فإنَّ آدم عصى مشتهياً، فَغُفِرَ له، وإبليس عصى متكبراً فَلُعِنَ.

[٦]ومن كلام ابن عيينة قال: الزُّهدُ: الصبرُ، وارتقابُ الموت.

[١] وقال: العلمُ إذا لم ينفعك، ضَرَّك.

[٢] قال نُعيم بن حمَّاد: ما رأيتُ أحداً أجمعَ لمتفرقٍ مِن سُفيان بن عُيينة.

[٣] قال محمد بن يوسف الفِرْيابي: كنت أمشي مع ابنِ عيينة، فقال لي: يا محمد، مايُزَهِّدني فيك إلا طلب الحديث. قلت: فأنت يا أبا محمد، أيَّ شِيْءٍ كنت تعمل إلا طلب الحديث؟ فقال: كنتُ إذ ذاك صبياً لا أعقِلُ.

[٤]قلتُ: إذا كان مِثْلُ هذا الإمام يقولُ هذه المقالَة في زمن التابعين، أو بَعدهم بيسير، وطلب الحديث مضبوطٌ بالاتِّفاق، والأخذ عن الأثبات الأئمة، فكيف لو رأى سفيان رحمه الله طَلَبَة الحديث في وقتنا، وما هم عليه من الهَنات والتخبيط، والأخذِ عن جهلة بني آدم، وتسميع ابنِ شَهر.

أمَّا الخِيَامُ فَإِنَّها كَخِيامِهِمْ وأرى نِسَاءَ الحَيِّ غَيْر نِسائِها

[٥] روى سليمان بن أيُّوب، سمعتُ سفيان بن عُيينة يقول: شهدِتُ ثمانين موقفاً،

ويُروى أن سُفيان كان يقول في كل موقف: اللهم لا تجعلهُ آخِرَ العهدِ منك، فلما كان العام الذي مات فيه لم يَقُلْ شيئاً، وقال: قد استحييتُ مِن الله تعالى.

[٦]وقد كان سُفيانُ مشهوراً بالتدليس، إلاّ أنه لا يُدلِّس إلا عن ثقة عنده.

وسُفيان حجةٌ مطلقاً، وحديثُه في جميع دَواوينِ الإسلام.

وكان سُفيان رحمه الله صاحبَ سُنَّة واتِّباع.

مات سنة ثمانٍ وتسعين ومئة.

[٧]عبدالرحمن بن بِشْر، سمعتُ ابن عُيينة يقول: غَضَبُ اللهِ الدَّاءُ الذي لا دواءَ له، ومن استغنى بالله، أحوجَ اللهُ إليه الناسَ.

قلتُ: عاش إحدى وتسعين سنة.

٣٩٥ - عيسى بن يونس (ع)(١)

[١] ابن أبي إسحاق عمرو بن عبدالله، الإمام القُدوةُ، الحافظ، الحجَّةُ، أبو عمرو، وأبو محمد الهَمْداني، السَّبيعي الكوفي، المرابط.

وكان واسع العلم، كثير الرحلة، وافِرَ الجلالة.

وقد حدَّث عنه أبوه يونس بن أبي إسحاق.

قال أحمد بن حنبل: هو أصحُّ حديثاً من أبيه. قيل له: فإسرائيل؟ قال: ما أقربهما.

[٢] وقال المروذيُّ، عن أحمد: ثبتٌ. وكُنا نُخبَّر أنه سنة في الغزو، وسنة في الحَج، وقدم بغدادَ في شيءٍ من أمر الحصون، فأُمر له بمالٍ، فأبى أن يقبله.

وقيل: إنه زار ابن عُيينة، فقال: مرحباً بالفقيه ابنِ الفقيه ابنِ الفقيه.

[٣] عن جعفر البَرمكي قال: ما رأينا في القُرَّاء مثلَ عيسى بن يونس، أرسلْنا إليه، فأتانا بالرَّقة، فاعتل قبل أن يرجع. فقلتُ له: يا أبا عمرو، قد أمرنا لك بعشرة آلاف. فقال: هيهِ. قلتُ: خمسون ألفاً. قال: لا حاجةَ لي فيها. فقلتُ: ولِمَ؟ والله، لأهنِّئَنَّكَها، هي والله مئة ألف، قال: لا والله، لا يتحدَّثُ أهل العلم أني أكلتُ للسنَّة ثمناً، ألا كان هذا قبلَ أن تُرسلوا إليَّ، فأما على الحديث، فلا، ولا شربة ماء، ولا إهْليلجة (٢).

[٤] قال أحمد بن جَناب: غزا عيسى بن يونس خمساً وأربعين غزوة، وحجَّ كذلك.

مات سنة سبع وثمانين.

٣٩٦ - أبو بكر بن عيَّاش (خ، ٤) (٣)

[٥] ابن سالم الأَسَدي، مولاهم الكوفي الحنَّاطُ - بالنون - المقرئُ، الفقيهُ،

---

(١) انظر السير: ٨/٤٨٩-٤٩٤.

(٢) الإهليلج، بكسر الألف وفتح اللام، وقد تكسر، والواحدة بهاء: شجر ينبت في الهند وكابل والصين ثمره على هيئة حب الصنوبر الكبار.

(٣) انظر السير: ٨/٤٩٥-٥٠٨.

المحدِّث، شيخُ الإسلام، وبقيةُ الأعلام، مولى واصل الأحدب.

وفي اسمه أقوال: أشهرها شُعبة.

قال هارون بن حاتِم: سمعتُه يقول: وُلدتُ سنةَ خمس وتسعين.

قرأ أبو بكر القرآن، وجوَّده ثلاثَ مراتٍ على عاصم بن أبي النَّجود.

ذكره أحمد بن حنبل فقال: ثقة، ربما غلط، صاحب قرآن وخير.

وقال ابنُ المبارك: ما رأيتُ أحداً أسرعَ إلى السُّنة من أبي بكر بن عياش.

[١] وقال غيرُ واحد: إنه صدوقٌ، وله أوهام.

[٢] قلتُ: فأما حالُه في القراءة، فقيِّمٌ بحرف عاصم، وقد خالفه حفص في أزيد من خمس مئة حرف، وحفص أيضاً حجة في القراءة، لينٌ في الحديث.

[٣] قال عثمان بن أبي شيبة: أحضر هارونُ الرشيد أبا بكر بن عياش من الكوفة فجاء ومعه وكيعٌ، فدخل ووكيع يقوده، فأدناه الرشيدُ، وقال له: قد أدركت أيامَ بني أميَّة وأيامَنا، فأيُّنا خيرٌ؟ قال: أنتمُ أقومُ بالصلاة، وأولئك كانوا أنفع للناس. قال: فأجازه الرَّشيدُ بستة آلاف دينار، وصرفَه، وأجاز وكيعاً بثلاثة آلاف.

[٤] عن أبي عبدالله النَّخَعِي، قال: لم يُفْرَش لأبي بكر بن عياش فراشٌ خمسين سنة.

[٥] ابن أبي شيخ: حدثنا يحيى بن سعيد، قال: زاملتُ أبا بكر بن عياش إلى مكّةَ، فما رأيتُ أورَعَ منه، لقد أهدى له رجل رُطباً، فبلغه أنه من بستان أُخِذَ من خالد بن سلمَة المخزومي، فأتى آلَ خالد، فاستحلَّهم، وتصدَّق بثمنه.

[٦] قال يعقـوب الفسَوي: سمعتُ أحمد بن يونس، وذكروا له حديثاً أنكروه من حديث أبي بكـر، عن الأعمش. فقـال: كان الأعمش يضـرب هؤلاء ويشتمهم ويطردهم، وكان يأخذ بيد أبي بكر، فيجلس معه في زاوية لحال القرآن.

وقال أبو هشام الرفاعي: قال أبو بكر بن عياش للحسن بن الحسن بالمدينة: ما أبقت الفتنةُ منك؟ فقال: وأيُّ فتنة رأيتَني فيها؟ قال: رأيتُهم يقبِّلون يدك ولا تمنعُهُم.

[١] وعن أبي بكـر بن عياش قال: أدنى نفع السكوت السلامةُ، وكفى به عافية. وأدنى ضررِ المنطق الشهرةُ، وكفى بها بليَّة.

[٢] قال يحيى بنُ آدم، عن أبي بكر بن عياش قال: تعلمت القرآن مِن عاصم خمساً خمساً، ولم أتعلم من غيره، ولا قرأتُ على غيره.

[٣] عن أبي بكر قال: اختلفتُ إلى عاصم نحواً مِن ثلاث سنين، في الحرِّ والشتاء والمطر، حتى ربما استحييتُ مِن أهل مسجد بني كاهل.

وعن أبي بكر بن عياش قال: الدخولُ في العلم سهلٌ، لكن الخروج منه إلى الله شديدٌ.

[٤] وعن بشر بن الحارث، سمع أبا بكر بن عياش يقول: يا مَلَكَيَّ ادعوا الله لي، فإنكما أطوعُ لله مني.

[٥] وقد رُوي من وجوه متعددة، أن أبا بكر بن عياش مكث نحواً من أربعين سنة يختمُ القرآن في كلِّ يوم وليلة مَرةً.

وهذه عبادةٌ يُخضَع لها، ولكن متابعةُ السنة أولى. فقد صَحَّ أن النبيَّ ﷺ نَهى عبدالله بن عمرو أنْ يقرأ القُرآنَ في أقلَّ من ثَلاثٍ. وقال عليه السلام «لم يَفْقَهْ من قَرَأَ القُرآن في أقلَّ مِن ثَلاثٍ».

[٦] قال أبو العباس بن مَسْروق: حدثنا يحيى الحِمَّاني، قال: لما حَضَرَتْ أبا بكر الوفاة، بكت أخته، فقال لها: ما يُبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية، فقد ختم أخوك فيها ثمانية عشر ألف ختمة.

[٧] قال سُفيان بن عُيينة. قال لي أبو بكر بن عياش: رأيتُ الدنيا في النوم عجوزاً مشوَّهة.

وعن أبي بكر قال: إمامُنا يهمِزُ ﴿مؤصدة﴾، فأشتهي أن أسدَّ أذني إذا هَمزها.

وكان الإمام أبو بكر قد قطع الإقراء قبل موته بنحو من عشرين سنة، ثم كان يروي الحروف، فقيَّدها عنه يحيى بن آدم عالمُ الكوفة، واشتهرت قراءة عاصم من هذا الوجه وتلقَّتها الأُمةُ بالقبول، وتلقاها أهلُ العراق.

الأحمسي: ما رأيتُ أحداً أحسنَ صلاةً من أبي بكر بن عياش.
مات أبو بكر في سنة ثلاث وتسعين ومئة.
قلتُ: عاش سِتّاً وتسعين سنة.

٣٩٧ - القاضي أبو يوسف (١)

[١] هو الإمامُ المجتهدُ، العلّامة المحدِّث، قاضي القضاة، أبو يوسف، يعقوبُ بن إبراهيم بن حَبيب، الأنصاري الكوفي.

[٢] وكان أبوه فقيراً. له حانوتٌ ضعيف، فكان أبو حنيفة يتعاهد أبا يوسف بالدراهم، مئة بعد مئة.

[٣] وعن محمد بن الحسن قال: مرض أبو يوسف، فعاده أبو حنيفة، فلما خرج. قال: إن يمت هذا الفتى، فهو أعلمُ مَن عليها.

قال أحمد بن حنبل: أول ما كتبتُ الحديثَ اختلفتُ إلى أبي يوسف، وكان أميلَ إلى المحدثين من أبي حنيفة ومحمد.

قال إبراهيمُ بن أبي داود البُرُلُّسي: سمعت ابن مَعين يقول: ما رأيتُ في أصحاب الرأي أثبتَ في الحديث، ولا أحفظَ، ولا أصحَّ روايةً من أبي يوسف.

وروى عباس، عن ابن مَعين: أبو يوسف صاحبُ حديث، صاحب سُنَّة.

وعن يحيى البرمكي قال: قدم أبو يوسف، وأقلُّ ما فيه الفقه، وقد ملأ بفقههِ الخافقين.

وعن أبي يوسف قال: صحبتُ أبا حنيفة سبع عشرة سنة.

[٤] وعن ابن سَماعة قال: كان ورد أبي يوسف في اليوم مئتي ركعة.

[٥] قال يحيى بن يحيى التَّميمي: سمعت أبا يوسف عند وفاته يقول: كل ما أفتيتُ بعد فقد رجعتُ عنه إلا ما وَافق الكتابَ والسُّنَّة، وفي لفظ إلا ما في القرآن واجتمع عليه المسلمون.

(١) انظر السير: ٨/٥٣٥- ٥٣٩.

[١]قال بِشْر بن الوليد: سمعت أبا يوسف: من طلبَ المالَ بالكيمياء أفلسَ، ومن طلب الدِّينَ بالكلام تزندقَ، ومن تتبعَ غريب الحديث، كُذِّب.

قُلت: بلغ أبو يوسف من رِئاسة العلم مالا مزيدَ عليه، وكان الرشيدُ يُبالغ في إجلاله.

[٢]أبو سليمان الجُوزجاني، سمعتُ أبا يوسف يقول: دخلت على الرشيد وفي يده دُرَّتان يقلِّبهما، فقال: هل رأيتَ أحسنَ منهما؟ قلت: نعم، يا أمير المؤمنين. قال: وما هو؟ قلت: الوعاءُ الذي هما فيه، فرمى بهما إليَّ، وقال: شأنك بهما.

توفي أبو يوسف سنة اثنتين وثمانين ومئة.

[٣]وما أنبلَ قولَه: العلمُ بالخصومة والكلام جهلٌ، والجهلُ بالخصومةِ والكلامِ عِلْمٌ.

[٤]قلتُ: مثاله شُبَهٌ وإشكالات من نتائج أفكار أهل الكلام، تُورد في الجدال على آيات الصِّفات وأحاديثها، فيكفِّر هذا هذا، وينشأ الاعتزال، والتجهّم، والتجسيم، وكلُّ بلاء. نسأل الله العافية.

٣٩٨ - أبو إسحاق الفَزاري (ع)(١)

[٥]الإمامُ الكبير الحافظُ المجاهدُ، إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجةَ بن حِصن، الفزاريُّ الشاميُّ.

ولجدهم خارجة صحبةٌ. وهو أخو عيينة بن حِصن.

وكان من أئمة الحديث.

ذكره أبو حاتِم، فقال: الثقة المأمون الإمامُ.

قال الحُميدي: قال لي الشافعي: لم يُصنِّفْ أحدٌ في السِّير مثل كتابِ أبي إسحاق.

وقال أبو حاتِم: اتَّفق العلماء على أن أبا إسحاق الفزاري إمامٌ يُقتدى به بلا

(١) انظر السير: ٨/ ٥٣٩- ٥٤٣.

مُدافعة .

وقال الحُمَيدي : جاء رجل إلى ابن عُيَيْنة ، فقال : حدَّثني أبو إسحاق عنك بكذا . فقال : ويحَك ، إذا سمعت أبا إسحاق يُحدث عني ، فلا يضرك أن لا تسمعه مني .

[١] وقال أحمد العِجْلي : كان ثقة ، صاحب سنة ، صالحاً ، هو الذي أدَّب أهل الثَّغر ، وعلمهم السُّنَّة ، وكان يأمر وينهى . وإذا دخل الثغرَ رجلٌ مبتدع ، أخرجه ، وكان كثيرَ الحديث ، وكان له فقهٌ .

أمر سلطاناً ونهاه ، فضربه مئتي سوط ، فغضب له الأوزاعي ، وتكلَّم في أمره .

مات سنة ستٍّ وثمانين ومائة .

قلتُ : من أبناء الثمانين هو ، أو جاوزها بقليل .

[٢] ويُرْوَىٰ أن هارون الرشيد أخذ زنديقاً ليقتُله ، فقال الرجل : أين أنتَ من ألف حديث وضعتها؟ قال : فأينَ أنت يا عدُّو الله من أبي إسحاق الفزاري وابن المبارك يتخللانها ، فيُخرجانها حرفاً حرفاً .

[٣] قال أبو داود الطَّيالسي : توفي أبو إسحاق الفزاري وليس على وجه الأرض أحدٌ أفضلَ منه .

[٤] وعن سُفيان بن عُيينة ، قال : والله ما رأيتُ أحداً أقدِّمه على أبي إسحاق الفزاري .

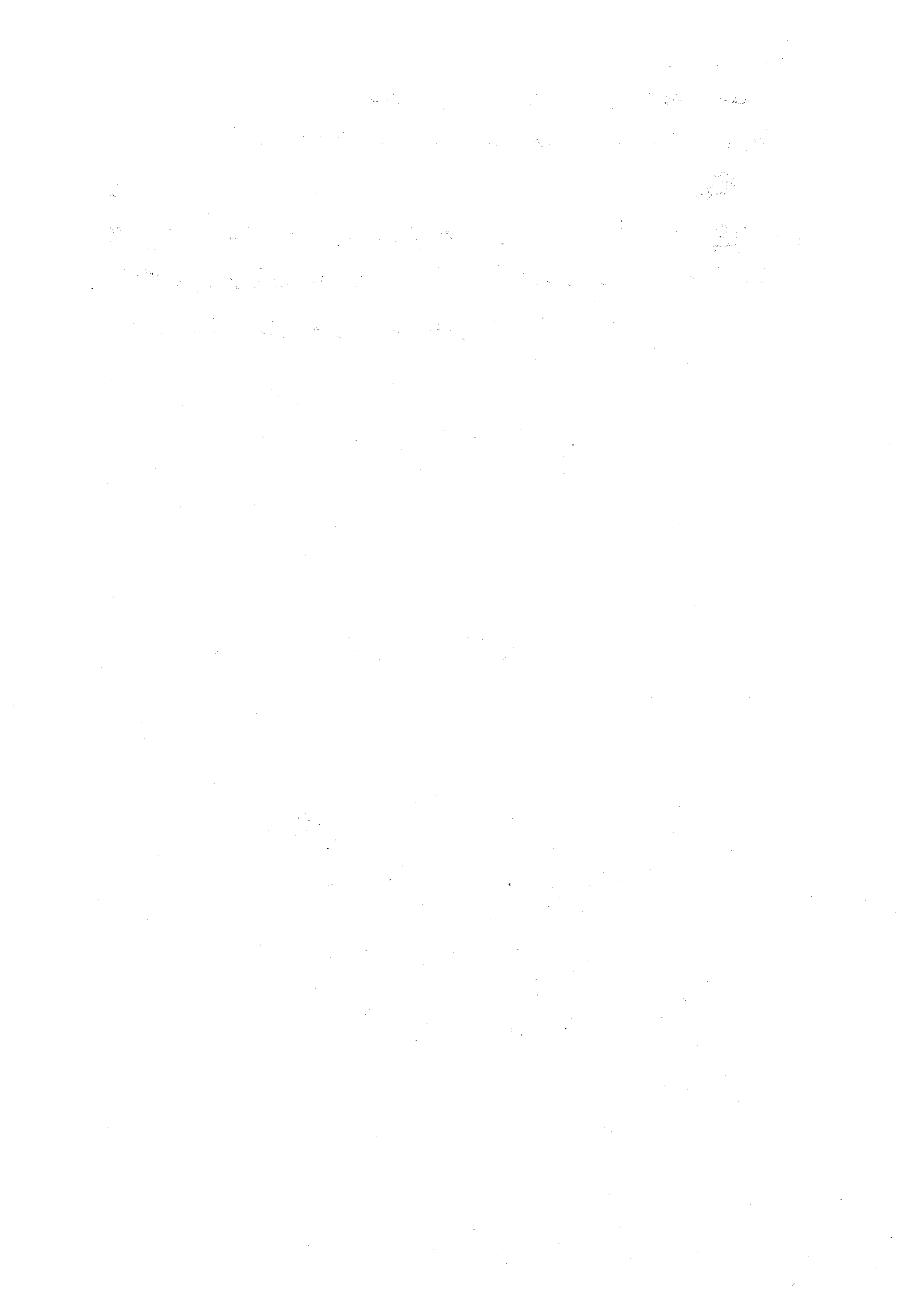
[٥] وقال عطاء الخَفَّاف : كنت عند الأوزاعي ، فأراد أن يكتب إلى أبي إسحاق الفزاري ، فقال لكاتبه ، ابدأ به ، فإنه والله خيرٌ مني .

[٦] قال سُفيان بن عُيينة : دخلتُ على هارون ، فقال : يا أبا إسحاق ، إنك في موضعٍ ، وفي شرف . قلتُ : يا أمير المؤمنين ، ذاك لا يُغني عني في الآخرة شيئاً .

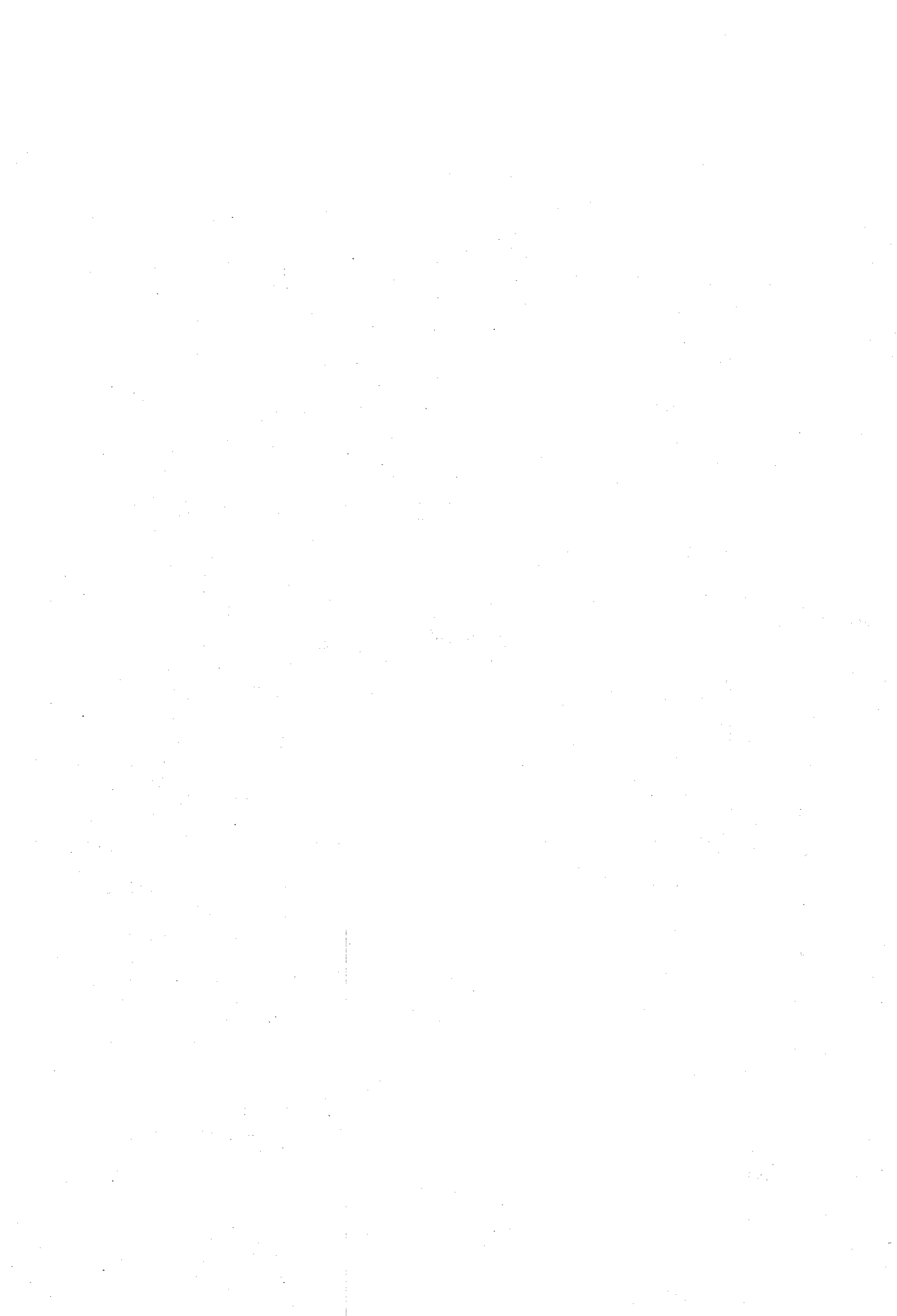
[٧] وقال أبو أسامة : سمعتُ الفضيل بن عياض يقولُ : رأيتُ النبي ﷺ في النوم ، وإلى جنبه فُرجةٌ ، فذهبت لأجلس ، فقال : هذا مجلسُ أبي إسحاق الفزاري .

[١]إبراهيم بن سعيد الجَوْهري: قلتُ لأبي أُسامة: أيُّهما أفضلُ: فضيلُ ابن عياض أو أبو إسحاق الفزاري؟ فقال: كان فُضيل رجلَ نفسه، وكان أبو إسحاق رجلَ عامَّة.

[٢]عن أبي إسحاق، قال الأوزاعي في الرجل يسأل: أمؤمن أنت حقاً؟ قال: إن المسألةَ عن ذلك بِدْعةٌ، والشهادةَ عليه تعمقٌ لم نُكلَّفْهُ في ديننا، ولم يَشْرَعْه نبيُّنا، القولُ فيه جدلٌ، والمنازعة فيه حَدَث، وذكر فَصْلاً نافِعاً.



الجزء التاسع



٣٣٩٩ - جرير بن عبد الحميد (ع)(١)

[١] ابن يزيد الإمامُ الحافظُ القاضي أبو عبدالله الضَّبِّيُّ الكوفي نزل الرَّيَّ، ونشر بها العِلْم.

[٢] عن جرير: وُلدتُ سنةَ مات الحسنُ سنة عشر، وكان من مَشايخ الإسلام، وقال زُنَيج: سمعتُ جريراً يقول: رأيتُ ابنَ أبي نَجيح. ولم أكتُبْ عنه شيئاً، ورأيتُ جابراً الجُعفيَّ، فلم أكتب عنه شيئاً، ورأيتُ ابنَ جُريج، ولم أكتب عنه فقال له رجلٌ: ضيَّعتَ يا أبا عبدالله، قال: لا، أمَّا جابرٌ، فكان يُؤمن بالرَّجعة، وأمَّا ابنُ أبي نَجيح فكان يَرَى القَدَر، وأما ابنُ جُريج، فإنَّه أوصى بنيه بستِّين امرأةً، وقال: لا تَزوَّجُوا بهن، فإنهنَّ أُمهاتكم - كان يرى المُتعةَ. قلت: أمَّا امتناعُه من الجُعْفي، فمعذورٌ، لأنَّه كان مُبْتدعاً، ولم يكن بالثِّقة. وأمَّا الآخران ففرَّط فيهما، وهما من أئمة العلم، وإن غلطا في اجتهادِهما.

[٣] وقال إبراهيمُ بنُ هاشم: ما قال لنا جريرٌ قطُّ ببغداد: حدثنا، ولا في كلمةٍ واحدة، فقلت: تُراه لا يغلَط مرَّةً، فكان ربُّما نَعَس، فنام، ثم يَنتَبِهُ فيقرأ من الموضع الذي انتهى إليه.

[٤] يعقوب السَّدُوسي: سمعتُ عليَّ بنَ المدَينيّ يقولُ: كان جَريرُ بنُ عبدالحميد صاحبَ ليلٍ، وكان له رَسَنٌ، يقولون: إذا أعْيىَ، تعلَّق به - يُريد أنه كان يُصلِّي.

وقال أبو القاسم اللالْكائي: مُجمَعٌ على ثقته. مات جريرٌ سنةَ ثمانٍ وثمانين ومئة وهو ابنُ ثمانٍ وسبعين سنة إلى التسع والسبعين.

---

(١) انظر السير: ٩/٩ - ١٨.

٤٠٠ ـ عبدالله بن إدريس (ع)(١)

[١] ابن يَزيد، الإمامُ الحافِظُ المقرئُ القُدوة، شيخ الإسلام، أبو محمد الأَوْديُّ الكوفي. وُلد سنة عشرين ومئة، وكان مِن أئمة الدِّين. وقد أقدمه الرَّشيدُ بغداد لِيُوَلِّيَه قضاءَ الكوفة، فامتنع.

[٢] قال بِشْرُ بنُ الحارث: ما شربَ أحدٌ ماءَ الفُرات فَسَلِمَ إلا عبدالله بن إدريس.

قال أبو حاتِم: هو حُجَّةٌ إمامٌ من أئمَّة المسلمين.

[٣] وعن حُسين العَنْقَزِيِّ قال: لما نَزَلَ بابن إدريس الموتُ، بكَتْ بنتُه، فقال: لا تبكي يا بُنَيَّة، فقد ختمتُ القرآنَ في هذا البيت أربعةَ آلاف خَتمة.

[٤] الحسنُ بنُ الربيع، قال: قُرِيءَ كتابُ الخليفةِ إلى ابنِ ادريس، وأنا حاضر: من عبدِ الله هارون أمير المؤمنين إلى عبدالله بن إدريس، قال: فَشَهق ابنُ إدريس شَهْقَةً، وسقط بعد الظُّهر، فقُمنا إلى العَصْر، وهو على حاله، وانتبه قُبَيل المغرب، وقد صَبَبْنَا عليه الماءَ فلا شيءٌ قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، صار يَعْرِفني حتى يكتبَ إليَّ! أيُّ ذنب بَلَغ بي هذا؟!.

مات بالكوفة سنة اثنتين وتسعين ومئة.

[٥] قال يعقوب بن شَيْبة: سمعتُ عليَّ بنَ المدَيني، وجعل يَذُمُّ قراءة حَمْزة، وقال: إنَّما نزلَ القرآنُ بلغةِ قُريش وهي التَّفخيم، فقال له بِشْرُ بنُ موسى: حدثنا نَوْفل، فقالَ ابن المديني: نَوْفَلٌ ثقة، قال: سمعتُ عبدَ الله بنَ إدريس يقولُ لحمزة: اتَّقِ الله، فإنك رجلٌ تَتَأَلَّه، وهذه القراءةُ ليست قراءةَ عبدِ الله، ولا قراءةَ غيره، فقال

---

(١) انظر السير: ٩/٤٢ـ٤٨.

حمزةُ: أَمَا إني أَتحرَّجُ أن أقرأ بها في المِحْراب. قلتُ: لِمَ؟ قال: لأَنَّها لم تكنْ قراءةَ القوم. قلتُ: فما تصنعُ بها إذاً؟ قال: إنْ رجعتُ من سفري لأَتركَنَّها. ثم قال ابنُ إدريس: ما أَستَجيزُ أن أقولَ لمن يَقرأُ لحمزة: إنَّه صاحِبُ سُنَّة. قلت: اشتهر تحذيرُ ابن إدريس من ذلك. والله يغفِرُ له، وقد تَلَقَّى المسلمون حروفَه بالقبول، وأجمعوا اليومَ عليها.

٤٠١ ـ البَرْمَكيّ(١)

[١] **الوزيرُ الملكُ أبو الفَضْل جَعْفَر، ابنُ الوزير الكبير أبي علي يحيى، ابن الوَزير خالد بن بَرْمَك الفارسيّ:**

[٢] كان خالدٌ مِن رجال العلم، تَوَصَّل إلى أعلى المراتب في دولةِ أبي جَعْفر، ثم كان ابنُـه يَحيى كاملَ السُّؤدد، جَليلَ المِقْدار، بحيث إنَّ المهديَّ ضَمَّ إليه ولدَه الـرَّشيدَ، فأَحسنَ تربيتَه وأدَّبه، فلما أَفْضَتِ الخلافةُ إلى الرَّشيد، ردَّ إلى يحيى مَقَاليدَ الأُمور، ورفعَ محلَّه، وكان يُخاطِبهُ يا أبي، فكان من أعظم الوزراء، ونشأَ لهُ أولادٌ صاروا مُلُوكاً، ولا سيَّما جعفر، وما أدْراكَ ما جَعفر؟ له نَبَأٌ عَجيبٌ، وشَأْنٌ غَريبٌ، بقي في الارتِقـاء في رُتبةٍ، شَرَكَ الخليفةَ في أموالِهِ ولَذَّاتِهِ وتصرُّفِهِ في الممالك، ثم انقلب الدَّستُ في يومٍ. فقُتِل، وسُجِنَ أبوه وإخوتُه إلى الممات، فما أجهلَ من يَغْتَرّ بالدُّنيا!

[٣] وقال الأَصْمَعِيُّ: سمعتُ يحيى بنَ خالد يقول: الدنيا دُوَلٌ، والمال عَارِيَّة، ولنا بمن قَبْلَنا أُسْوَةٌ، وفينا لمن بعدنا عِبْرة.

[٤] قيل: إنَّ ولداً ليَحيىٰ قال له وهُم في القُيود: يا أَبَةِ بعدَ الأَمْرِ والنَّهْيِ والأموالِ صِرْنَا إلى هذا؟ قال: يا بُنيَّ دعوةُ مَظْلومٍ غَفَلْنا عنها، لم يَغْفُلِ الله عنها.

---

(١) انظر السير: ٩/٥٩ـ ٧١.

مات يحيى مَسجْوناً بالرَّقَّة سنةَ تسعين ومئة عن سبعين سنة.

[١] فأما جَعْفَرٌ، فكان من مِلاحِ زمانه، كان وَسيماً أبيضَ جَميلاً فصيحاً مُفوَّهاً، أديباً، عَذْبَ العِبارة، حاتِميَّ السَّخاء، وكان لعّاباً غارقاً في لذَّات دنياه، وَلِيَ نيابةَ دمشْق، فقَدِمَها في سنة ثمانين ومئة، فكان يَسْتخلفُ عليها، ويُلازِمُ هارونَ، وكان يقولُ: إذا أقلبت الدُّنيا عليك، فأَعْطِ، فإنها لا تَفْنى، وإذا أَدْبرتْ، فأَعْطِ فإنَّها لا تَبْقى.

قد اختلف في سبب مصرع جعفر على أقوال.

[٢] وسُئِلَ سعيدُ بنُ سالم عن ذنب البرامكة، فقال: ما كان منهم بعضُ ما يوجِبُ ما فعَلَ الرشيدُ، لكن طالت أيَّامهُم، وكلُّ طويلٍ يُمَلُّ.

[٣] وفي تاريخ ابن خلِّكان: أَنَّ الرشيدَ دعا ياسراً غُلامَه، فقال: قد انتخبتُكَ لأَمرٍ لم أَرَ له الأمينَ ولا المأمون، فحقِّقْ ظنِّي. قال: لو أمرتَني بقتلِ نفسي، لفَعلتُ. قال: ائتني برأسِ جعفر، فَوَجم لها، قال: ويلك مالَكَ؟ قال: الأمرُ عظيم، ليتَني متُّ قبل هذا.

قال: امضِ، ويلك، فمضى، فأتى جَعفراً، فقال: يا ياسر سَررْتَني بإقبالك لكن سُؤْتَني بدخُولك بلا إذن. قال: الأمرُ وراءَ ذلك يا جعفر، قد أُمِرتُ بكذا، قال المسكين - وأَقبل يُقَبِّلُ قدمه، وقال: دعني أَدخُل وأوصي. قال: لا سبيلَ إلى ذلك، فأوصِ. فقال: لي عليكَ حَقٌّ، فارجِعْ إلى أميرِ المؤمنين. وقل: قتلتُه، فإن نَدِمَ، كانت حياتي على يدك. قال: لا أَقدِرُ، قال: فآتي معكَ إلى مُخَيَّمه، وأسمعُ كلامَه، وقولك له. قال: أمَّا هذا، فنعم. وذهب به، فلما دخلَ ياسرٌ، قال: ما وراءَكَ؟ فذكر له قولَ جعفرٍ، فشتمه، وقال: لئن راجعتَني، لأُقَدِّمنَّك قبله. فخرجَ، وضربَ عُنُقَه، وأتاهُ برأسه، فقال: يا ياسر جِئْني، بِفُلانٍ وفُلانٍ، فلما أَتاهُ بهما، قال: اضربا عُنُقَه، فإني لا أَقدِرُ أرى قاتلَ جعفر.

[١] وقال أبو العَتاهية:

قُولا لمنْ يَرتَجي الحَياةَ أَمَا ... في جَعْفرٍ عِبْرَةٌ ويَحْياهُ

كانَا وَزِيرَيْ خليفةِ الله هـا ... رونَ هُما مَا هما وَزِيرَاهُ

فَذَالكمُ جَعفَرٌ بِرُمَّتِهِ ... في حالِقٍ رَأْسُهُ وَنِصْفَاهُ

والشيخُ يَحيى الوَزيرُ أصبحَ قَدْ ... نَحَّاهُ عن نَفسِهِ وأَقصَاهُ

شُتِّتَ بعد الجميع شَملُهُمُ ... فأصبَحوا في البلادِ قَدْ تاهُوا

كذاك مَن يُسخِطِ الإلهَ بما ... يُرضي به العَبدَ يَجْزِهِ اللهُ

سُبْحان مَنْ دانتِ المُلُوكُ لَهُ ... نَشْهَدُ أَنْ لا إلـه إلَّا هُو

طُوبىٰ لمنْ تَابَ قَبْلَ عَثْرتِهِ ... فَتَابَ قبلَ المَمَاتِ طُوبَاهُ

قُتل جعفر بن يحيى، سنةَ سبعٍ وثمانين ومئة، عاش سبعاً وثلاثين سنة، ومات أخوهُ الفَضْلُ في سنة اثنتين وتسعين ومئة.

٤٠٢ ـ أبو مُعاوية الأسود[١]

[٢] **مِن كبـار أوْلياء الله، صحب سُفْيان الثَّوْري، وإبراهيم بن أَدْهم، وغيرهما، وكان يُعَدُّ من الأبْدال.**

[٣] وقيل: إنه ذهب بصرُه، فكان إذا أراد التِّلاوةَ في المصحف أبصرَ بإذن الله.

[٤] قال أحمدُ بنُ أبِي الحَوَارِي: جاءَ إلى أبي مُعاوية الأسود جماعةٌ، ثم قالوا: ادعُ الله لنا. فقال: اللَّهُمَّ ارْحَمْني بهم، ولا تَحْرِمْهم بي.

[٥] قال أحمد بن فضيل العَكِّيّ: غزا أبو مُعاوية الأسود، فحضر المسلمون حِصناً فيه عِلْجٌ لا يَرمي بحَجر ولا نُشَّاب إلا أصاب، فَشَكوا إلى أبي مُعاوية، فقرأ ﴿وما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ ولكنَّ الله رَمىٰ﴾ [الأنفال ١٧]. استروني منه، فلما وقف، قال:

---

(١) انظر السير: ٩/٧٨ـ ٧٩.

أين تُريدون بإذن الله؟ قالوا: المذاكير. فقال: أيْ ربِّ. قد سمعتَ ما سألوني، فأعطني ذلك: بسم الله، ثم رمى المذاكير، فوقع.

[١] ومن كلامه: من كانتِ الدُنيا هَمَّه، طالَ غداً غَمُّه، ومَن خافَ ما بين يَديْه، ضاق به ذَرْعُه، وله مواعظ وحكم.

٤٠٣ - المُعَافىٰ (خ، د، س)(١)

[٢] **المُعـافى بن عِمْـران، بن نُفَيـل، الإمـامُ، شيـخُ الإسـلام، ياقُوتةُ العلماء، أبومسعود الأَزْدي المَوصِلي الحافظ، وُلد سنة نيِّفٍ وعشرين ومئة.**

وكان من أئمة العلم والعمل، قلَّ أن ترىٰ العُيونُ مثلَه.

[٣] وقال بشرُ بنُ الحارث: إني لأذكر المُعَافىٰ اليومَ، فأَنتفعُ بذكرِه، وأذكُر رؤيته فأنتفعُ.

[٤] بِشْر بن الحارث: سمعتُ المُعَافىٰ يقول: سمعتُ الثَّوري يقول: إذا لم يكن لله في العبد حاجةٌ، نبذهُ إلى السُّلطان.

[٥] قال بشرٌ الحافي: كان المُعافى صاحبَ دنيا واسعةٍ وضياع كثيرة.

[٦] قال مَرَّةً رجلٌ: ما أشدَّ البردَ اليوم، فالتفتَ إليه المُعافى، وقال: استدفأتَ الآن، لو سكتَّ، لكان خيراً لك.

[٧] قلتُ: قولُ مثـلِ هذا جائـزٌ، لكنهم كانـوا يكرَهون فُضُولَ الكلام، واختلف العلماءُ في الكلام المباح، هل يكتُبه المَلَكان، أم لا يَكتُبان إلا المستَحبَّ الذي فيه أجرٌ، والمذمومَ الذي فيه تَبِعَة؟ والصحيحُ كتابةُ الجميعِ لعموم النَّصِّ في قوله تعالى: ﴿ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتيد﴾ [ق ١٨]، ثم ليس إلى الملكين اطِّلاعٌ على النِّيات والإخلاص، بل يكتُبانِ النُّطْقَ، وأما السَّرائرُ الباعثةُ للنُّطقِ، فالله يتولاَّها.

---

(١) انظر السير: ٩/ ٨٠ـ ٨٦.

وقد أوصى المُعافى ـ رحمه الله ـ أولاده بِوَصِيَّةٍ نافعةٍ تكون نحواً من كُراس.

[١]ومما رواه المُعافى بنُ عِمْران: عن سُفيان، عن حَجَّاج بن فُرافِصَة عن بُدَيل، قال: مَنْ عَرَف الله عز وجل، أحبَّه، ومن أَبْصَرَ الدُّنيا زَهِدَ فيها، والمؤمن لا يَلْهو حتى يَغْفُل، فإذا تذكَّر حَزِنَ.

٤٠٤ ـ مَنصور بن عمَّار[١]

[٢]ابن كثير الواعظ، البَليغُ الصَّالحُ، الرَّبَّاني أبو السَّرِيِّ السُّلَمي الخُراساني، وقيل: البصري، كان عديمَ النظير في الموعظة والتَّذكير.

[٣]وعظ بالعراق والشام ومصر، وبعُدَ صِيتُه، وتزاحم عليه الخلقُ، وكان ينطوي على زُهدٍ وتألُّهٍ وخشية، ولِوَعظِهِ وقعٌ في النفوس.

[٤]وقال أحمدُ بنُ أبي الحَوَاري: سمعتُ عبدَالرحمن بنَ مُطَرِّفٍ يقول: رُؤي منصورُ بن عمّار بعد موته، فقيل: ما فعل اللهُ بك؟ قال: غَفَرَ لي، وقال لي: يا منصورُ، غفرتُ لك على تخليطٍ فيك كثير، إلا أنَّك كُنتَ تحوش[٢] النَّاسَ إلى ذكري.

[٥]قال العبَّاس السَّرَّاج: حدَّثنا أحمدُ بنُ موسى الأنصاري قال: قال منصورُ بنُ عمّار: حَجَجْتُ، فبِتُّ بالكوفة، فخرجتُ في الظَّلْماء، فإذا بصارخٍ يقولُ: إلـهي وعزَّتكَ ما أردتُ بمعصيتي مخالَفَتَك، وعصيتُ وما أنا بنَكَالِكَ جاهلٌ، ولكن خطيئةٌ أعانني عليها شَقائي، وغرَّني سترُك، فالآن من يُنقِذُني، فتلوتُ هذه الآية: ﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُم وأَهْلِيكم ناراً﴾ [التحريم: ٦] قال: فسمعتُ دَكْدَكَةً، فلمَّا كان من الغد، مررتُ هناك، فإذا بجنَازة، وعجوزٌ تقولُ: مر البارحة رجل تلا آيةً فتفطَّرت مرارتُه، فوقَعَ ميتاً.

لم أجد وفاةً لمنصور، وكأنَّها في حدود المئتين.

---

(١) انظر السير: ٩/٩٣ـ٩٨.

(٢) أي تسوقهم وتجمعهم.

٤٠٥ ـ غُنْــــدَر (ع)(١)

[١] محمدُ بنُ جعفر، الحافظُ، المُجوِّدُ، الثَّبْتُ، أبو عبدالله الهُذَلي، مولاهم البَصْري الكرابيسي، أحد المُتقِنين.

وُلِد سنة بضع عشرة ومئة.

[٢] قال أحمدُ بنُ حنبل: قال غُنْدَرٌ: لَزِمتُ شُعبةَ عشرين سنة.

[٣] قلتُ: ما أظنُّه رحلَ في الحديث من البَصْرة، وابن جُرَيج هو الذي سمَّاه غُنْدَراً، وذلك لأنَّه تعنَّتَ ابنَ جُريجٍ في الأخذ، وشَغَبَ عليه أهل الحِجاز، فقال: ما أنتَ إلا غُنْدَرٌ.

[٤] قال يحيى بنُ مَعين: أخرج غُنْدَرٌ إلينا ذاتَ يوم جِرَاباً فيه كُتُبٌ، فقال: اجهَدُوا أنْ تُخرِجوا فيها خَطَأً، قال: فما وجدْنا فيه شيئاً، وكان يصومُ يوماً، ويُفطِرُ يوماً منذ خمسين سنة.

[٥] قال أبو حاتِم الرَّازي: كان غُنْدَرٌ صدوقاً مؤدِّياً، وفي حديث شُعبة ثقة وأما في غير شُعبة، فيُكتبُ حديثُهُ، ولا يُحتَجُّ به.

[٦] عن يحيى بنِ معين قال: كان غُندَرٌ يجلِسُ على رأس المنارة يُفرِّقُ زكاته، فقيل له: لِمَ تفعلُ هذا؟ قال: أُرَغِّبُ الناسَ في إخراج الزَّكاة.

[٧] اشترى سمكاً، وقال لأهله: أصلحوه، ونام، فأكل عِيالُه السَّمك، ولَطَخُوا يده. فلما انتبه قال: هاتوا السَّمك. قالوا: قد أكلتَ، فقال: لا. قالوا: فشُمَّ يدك. ففعل، ثم قال: صدقتُم ولكن ما شبعتُ.

[٨] ونقل ابنُ مروان في المجالسة قال: حدثنا جعفرُ بنُ أبي عثمان، سمعتُ يحيى ابنَ مَعين يقولُ: دخلنا على غُنْدَرٍ، فقال: لا أُحدِّثُكم بشيءٍ حتى تجيئوا معي إلى السُّوق وتمشُون، فيراكُم الناسُ، فيُكرموني. قال: فمشينا خلفَه إلى السُّوق.

(١) انظر السير: ٩/٩٨ـ١٠٢.

فجعـل النـاسُ يقـولُـون له: مَن هـؤلاء يا أبـا عبدالله؟ فيقولُ: هـؤلاء أصحابُ الحديث، جاؤوني من بغداد يكتبون عني.

قلت: اتفق أربابُ الصِّحاح على الاحتجاج بغُنْدَر.

وكانت وفاتُه في سنة ثلاث وتسعين ومئة، وهو في عشر الثمانين رحمه الله.

٤٠٦ - ابن عُلَيَّة (ع)(١)

[١] إسماعيل بن إبراهيم بن مِقْسَم، الإمام، العلامةُ، الحافظُ الثَّبت، أبو بِشْر الأَسَدي، مولاهم البَصْريُّ الكوفيُّ الأصل، المشهورُ بابنِ عُلَيَّة، وهي أمُّه.

وُلد سنةَ مات الحسنُ البصري سنة عشر ومئة.

[٢] وكان فقيهاً، إماماً، مُفْتياً، من أئمة الحديث، وكان يقول: من قال: ابن عُلَيَّة، فقد اغتابني.

[٣] قلتُ: هذا سوءُ خلقٍ رحمه الله، شيءٌ قد غلب عليه، فما الحيلة؟ قد دعا النبي ﷺ غيرَ واحدٍ من الصحابة بأسمائهم مُضافاً إلى الأُمِّ، الزُّبير ابن صَفِيَّة، وعمَّار ابن سُمَيَّة.

[٤] وقال عَمرو بنُ زرارة النَّيْسابوري: صحبتُ ابنَ عُلَيَّة أربع عشرة سنة، فما رأيتُه تبسَّم فيها.

[٥] قلتُ: ما في هذا مدح، ولكنه مُؤذن بخشيةٍ وحُزن.

[٦] قال حمَّادُ بنُ سلمة: ما كنا نُشَبِّه شمائل إسماعيل بن عُلَيَّة إلا بشمائل يونس حتى دخل فيما دخل فيه.

[٧] قلتُ: يُريدُ وِلايَتَهُ الصَّدقة، وكان موصوفاً بالدِّين والورَع والتألُّه، منظوراً إليه في الفضلِ والعلم، وبدَتْ منه هفواتٌ خفيفة، لم تُغير رُتبَتَهُ إن شاء الله.

(١) انظر السير: ٩/١٠٧-١٢٠.

[١]دخل على الأمين محمدِ بنِ هارون، فشتمه محمد، فقال: أخطأتُ، وكان حدث بهذا الحديث: «تجيءُ البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان تحاجّان عن صاحبهما» فقيل لابن عُلَيَّة: ألهما لسان؟ قال: نعم: فقالوا: إنه يقول: القرآن مخلوق، وإنما غلط.

[٢]قال الإمامُ أحمدُ: بلغني أنه أُدخِلَ على الأمين، فلما رآه، زحفَ وجعل يقول: يا ابنَ الفاعلة تتكلَّم في القرآن؟ وجعل إسماعيلُ يقول: جعلني الله فداك، زَلَّةٌ من عالم، ثم قال أحمدُ: إنْ يغفِرِ اللهُ له - يعني الأمين - فبها. ثم قال أحمد: وإسماعيلُ ثَبْت.

[٣]قال الفضلُ بنُ زياد: قلتُ: يا أبا عبدالله، إنَّ عبدَ الوهَّاب قال: لا يحبُّ قلبي إسماعيلَ أبداً، لقد رأيتُهُ في المنام كأنَّ وجهَه أسود. فقال أحمد: عافى الله عبدَ الوهَّاب، ثم قال: لزمتُ إسماعيلَ عشر سنين إلى أن أُعيب، ثم جعل يُحرِّكُ رأسَهُ كأنَّهُ يتلهَّفُ. ثم قال: وكان لا يُنْصِفُ في التَّحدُّث (١).

قُلت: توفي إسماعيلُ سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومئة، عن ثلاث وثمانين سنة.

عن شُعبةَ قال: ابنُ عُلَيَّة رَيْحَانةُ الفُقهاء.

[٤]قال سهلُ بنُ شاذويه، سمعتُ عليَّ بن خَشْرم يقُولُ: قلتُ لوكيع: رأيتُ إسماعيل ابنَ عُلَيَّة يَشْرَبُ النَّبيذَ حتى يُحمَلُ على الحمار، يحتاجُ مَنْ يردُّه إلى منزله! فقال وكيعٌ: إذا رأيتَ البصريَّ يشربُ، فاتَّهِمهُ.

قلتُ: وكيف؟ قال: إنَّ الكوفيَّ يَشرَبُهُ تَدَيُّناً، والبصريّ يتركُه تديُّناً.

[٥]وهذه حكايةٌ غريبةٌ، ما علمنا أحداً غَمَزَ إسماعيلَ بشُرب المُسكر قط، وقد انحرف بعضُ الحُفَّاظ عنه بلا حُجَّة، حتى إنَّ منصورَ بن سَلَمَة الخُزاعي تحدَّثَ

---

(١) ذكره المؤلف في «الميزان» وتعقبه بقوله: إمامة إسماعيل وثيقة لا نزاع فيها، وقد بدت منه هفوة وتاب، فكان ماذا؟ إني أخاف الله لا يكون ذكرنا له من الغيبة، وأما القرآن، فقد قال عبدالصمد بن يزيد مردويه: سمعت ابن عليَّة يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق.

مرَّةً، فسبقَه لسانُه، فقال: حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عُليَّة، ثم قال: لا، ولا كرامة، بل أردتُ زُهيراً. وقال: ليس مَنْ قارفَ الذَّنبَ كمن لم يُقارِفْه، أنا والله استَتَبْتُه.

[١]قلتُ: يُشير إلى تلك الهَفْوة الصغيرة، وهذا من الجرح المردود، وقد اتفق علماءُ الأُمَّةِ على الاحتجاج بإسماعيلَ بنِ إبراهيم العَدْلِ المأمون، وقد قال عبدُ الصَّمد ابنُ يزيد مَرْدَوَيْه: سمعتُ إسماعيلَ بن عُلَيَّة يقول: القرآنُ كلامُ الله غير مخلوق.

٤٠٧ ـ عبد الرحمن بن القاسم (خ، س)[1]

[٢]عالم الدِّيار المصرية ومُفْتيها، أبو عبدالله العُتَقِي، مولاهم المصري صاحب مالكٍ الإمام.

[٣]وكان ذا مالٍ ودُنيا، فأنفقَها في العلم، وقيل: كان يمتَنِعُ من جوائز السُّلطان، وله قَدَم في الورع والتَّأَلُّه.

[٤]وعن مالكٍ: أنَّه ذُكِرَ عنده ابنُ القاسم، فقال: عافاه اللهُ، مَثَلُه كَمَثَلِ جِرَابٍ مملوءٍ مِسْكاً.

[٥]وعن ابن القاسم قال: ليس في قرب الولاةِ ولا في الدُّنوِّ منهم خير.

[٦]أحمد بن أخي ابن وَهب: حدثنا عمِّي قال: خرجتُ أنا وابنُ القاسم بضع عشرة سنة إلى مالك. فسَنةً أسألُ أنا مالكاً، وسنةً يسأله ابنُ القاسم.

[٧]عن عليِّ بن مَعْبَدٍ، قال: رأيتُ ابنَ القاسم في النوم، فقلت: كيفَ وجدتَ المسائل؟ فقال: أُفٍّ، أُفٍّ. قلتُ: فما أَحسنُ ما وجدْتَ؟ قال: الرِّباطُ بالثَّغْرِ. قال: ورأيتُ ابنَ وهبٍ أحسنَ حالاً منه.

[٨]قال سعيدُ بنُ الحدَّاد: سمعتُ سُحْنُونَ يقولُ: كنتُ إذا سألتُ ابنَ القاسم عن المسائل، يقولُ لي: يا سُحْنُونُ، أنت فارِغٌ، إني لأُحِسُّ في رَاسي دَوِيًّا كدويِّ الرَّحا

---

(١) انظر السير: ٩/ ١٢٠ـ ١٢٥.

ـ يعني من قيام اللّيل ـ قال: وكانَ قَلَّما يَعْرِضُ لنا إلاّ وهو يقولُ: اتّقوا الله، فإنَّ قليلَ هذا الأَمرِ مع تَقوىٰ الله كثيرٌ، وكثيرُه مع غيرِ تَقوى الله قليلٌ.

[١]وعن سُحْنُون قال: لما حججنا كنت أزامل ابنَ وَهب، وكان أشهب يزامله يتيمُه، وكان ابن القاسم يُزامِلُه ابنه موسى، ونزلنا بمسجدٍ ببعض مدائن الحجاز، فنمنا، فانتبه ابن القاسم مذعوراً، فقال لي: يا أبا سعيد، رأيتُ السّاعةَ كأن رجلاً دخل علينا من باب هذا المسجد، ومعه طبقٌ مغطّى وفيه رأس خنزير. أسأل الله خيرها. فما لبثنا حتى أقبل رجلٌ معه طبقٌ مغطّى بمنديل، وفيه رُطبٌ من تمر تلك القرْية، فجعله بين يدي ابن القاسم، وقال:كُلْ، قال: ما إلى ذلك من سبيل. قال: فأعطه أصحابك، قال: أنا لا آكله، أُعطيه غيري! فانصرف الرجلُ، فقال لي ابن القاسم: هذا تأويل الرؤيا. وكان يقال: إنَّ تلك القريةَ أكثرها وقفٌ غُصِبَتْ.

قال الحارثُ بنُ مسكين: كان ابنُ القاسم في الوَرَع والزُّهد شيئاً عجيباً.

وُلدَ ابنُ القاسم سنَةَ اثنتين وثلاثين ومئة، وتُوفي في سنة إحدى وتسعين ومئة، رحمه الله، عاش تسعاً وخمسين سنة.

٤٠٨ ـ الكسائي(١)

[٢]الإمامُ، شيخُ القِراءة، والعَرَبية، أبو الحسن عليُّ بنُ حَمْزة بنِ عبدالله بنِ بَهْمَن بن فيروز الأَسَدي، مولاهم الكوفي، المُلَقَّب بالكسائي لكساءٍ أحرَم فيه.

[٣]اختار قراءةً اشتهرت، وصارت احدى السَّبع.

قال الشافعي: مَنْ أراد أن يَتَبَحَّرَ في النحو، فهو عِيالٌ على الكسائي.

قال ابنُ الأنباري: اجتمع فيه أنَّه كانَ أعلَمَ النَّاس بالنحو، وواحدَهم في الغريب، وأوحدَ في علم القُرآن، كانوا يُكثرون عليه حتىٰ لا يَضْبِط عليهم، فكان

(١) انظر السير: ٩/١٣١ـ ١٣٤.

يجمَعُهم، ويجلسُ على كرسيٍّ، ويتلو وهم يضبِطُون عنه حتى الوقوف.

[١] قال إسحاقُ بنُ إبراهيم: سمعتُ الكِسَائيَّ يقرأُ القرآنَ على النَّاس مرتين.

[٢] وعن خَلَفٍ، قال: كنتُ أحضُرُ بين يدي الكِسَائيِّ وهو يتلو، ويُنَقِّطُون على قراءته مصاحِفَهم.

[٣] عن عاصمٍ، قال الكِسائيُّ: صلَّيْتُ بالرَّشيدِ، فأخطأتُ في آيةٍ ما أخطأ فيها صَبيٌّ، قلتُ: «لَعَلَّهم يَرجِعين»، فواللهِ ما اجترأ الرَّشيدُ أن يقولَ: أخطأتَ. لكن قال: أيُّ لغةٍ هذه؟ قلتُ: يا أميرَ المؤمنين، قد يعثُرُ الجواد. قال: أمَّا هذا، فنعم.

[٤] وعن خَلَف بن هشام: أنَّ الكِسائي قرأ على المنبر: ﴿أنا أكثر منكَ مالاً﴾ بالنصب، فسألوُه عن العِلّة، فثُرْتُ في وجوههم، فَمَحَوْهُ، فقال لي: يا خَلَف، من يَسْلَمُ من اللَّحن؟

[٥] وعن الفراء قال: إنما تعلَّم الكسائيُّ النحوَ على كِبَرٍ[١].

قُلتُ: كان الكِسائيُّ ذا مَنْزِلةٍ رفيعةٍ عند الرَّشيد، وأدَّبَ ولدَه الأمينَ، ونَالَ جاهاً وأموالاً، وقد ترجمتُه في أماكن.

سار مع الرشيد، فمات بالرَّيِّ بقريةِ أَرَنْبُويَة سنةَ تسعٍ وثمانين ومئة عن سبعين سنة.

٤٠٩ ـ محمد بن الحسن[٢]

[٦] ابن فَرقَد، العلاَّمةُ، فقيهُ العِراق، أبو عبدالله الشَّيْباني، الكُوفي، صاحب أبي حنيفة.

---

(١) وكان سبب تعلمه أنه جاء يوماً وقد مشى حتى أعيى، فجلس إلى قوم فيهم فضل، وكان يُجالسهم كثيراً، فقال: قد عَيِّيْتُ، فقالوا له تجالسنا وأنت تلحن، فقال: كيف لحنت؟ فقالوا: إن كنت أردت من التعب فقل: «أعييتُ» وإن كنت أردت من انقطاع الحيلة والتحيُّر في الأمر، فقل: «عييت» مخففة، فأنف من هذه الكلمة، وقام من فوره، فسأل عمن يعلم النحو، فأرشدوه إلى معاذ الهراء، فلزمه حتى أنفد ما عنده.

(٢) انظر السير: ٩/١٣٤-١٣٦.

وُلد بواسط، ونشأ بالكوفة.

وأخذ عن أبي حَنيفة بعضَ الفِقه، وتمَّمَ الفِقهَ على القاضي أبي يوسف.

أخذ عنه: الشَّافعيُّ فأكثر جداً، وآخرون.

قلتُ: وليَ القَضاءَ للرشيدِ، بعد القاضي أبي يوسف، وكان مع تَبَحُّرِه في الفقه يُضرَبُ بذكائه المثل.

[١] كان الشَّافعيُّ يقولُ: كتبتُ عنه وقْر بُخْتِيٍّ(١)، وما ناظرتُ سميناً أذكى منه، ولو أشاءُ أن أقولَ: نزلَ القرآنُ بلغة محمد بنِ الحسن، لَقُلتُ لِفَصاحتِه.

قال إبراهيمُ الحَربيُّ: قلتُ للإمام أحمد: مِن أينَ لك هذه المسائلُ الدِّقَاق؟ قال: من كُتُبِ محمد بن الحسن.

[٢] قيل: إنَّ محمداً لمّا احتُضِرَ، قيلَ له: أتبكي مع العِلمْ؟ قال: أرأيتَ إنْ أوقفني اللهُ وقال: يا محمد، ما أقدمكَ الرَّيَّ؟ الجهادُ في سبيلي، أم ابتغاء مرضاتي؟ ماذا أقولُ.

قُلت: تُوفيِّ إلى رحمة الله سنة تسع وثمانين ومئة بالرَّي.

٤١٠ - وَكِيع (ع)(٢)

[٣] ابن الجرَّاح، بن مَليح، الإمامُ الحافظُ، محدِّثُ العِراق، أبو سُفيانَ الرُّؤاسي، الكوفيُّ، أحدُ الأعلام. وُلد سنةَ تسعٍ وعشرين ومئة. وكان من بُحور العلم وأئمة الحفظ.

[٤] الفضلُ بن محمد الشَّعراني: سمعتُ يحيى بن أَكْثَم يقول: صَحِبْتُ وكيعاً في الحَضَرِ والسَّفَرِ، وكان يَصومُ الدَّهْرَ، ويَخْتِمُ القرآن كُلَّ ليلة.

قلتُ: هذه عبادةٌ يخضعُ لها. ولكنَّها من مثلِ إمامٍ من الأئمةِ الأثَرية مفضُولَةٌ،

---

(١) البختي: واحد البخت، وهي الإبل.

(٢) انظر السير: ٩/ ١٤٠-١٦٨.

قد صحَّ نهيُه عليه السَّلام عن صَوم ِ الدَّهر، وصحَّ أنَّه نهىٰ أن يُقرأ القرآنُ في أقلَّ من ثلاث، والـدِّين يُسـرٌ، ومتابعةُ السُّنَّة أولى، فرضيَ الله عن وكيع، وأين مثلُ وكيع؟! ومعَ هذا فكان مُلازِماً لشُربِ نبيذِ الكوفة الذي يُسكرُ الإكثارُ منه فكان مُتأولاً في شُربه، ولو تركه تورُّعاً، لكان أولىٰ به، فإنَّ مَنْ تَوقَّى الشُّبهات، فقد استبرأَ لدينِه وعِرْضِه، وقد صَحَّ النهيُ والتحريمُ للنَّبيذِ المذكور. وليس هذا موضعَ هذه الأُمور، وكلُّ أحدٍ يُؤخَذُ من قوله ويُترك، فلا قُدوةَ في خطأ العالِم، نَعَم، ولا يُوبَّخُ بما فعله باجتهاد، نسأل الله له المُسَامحة. [١]

قال يحيى بن مَعين: وكيعٌ في زمانه كالأوزاعيِّ في زمانه.

قلتُ: كان أحمدُ يُعظِّمُ وكيعاً ويُفَخِّمُه.

[٢] قال محمدُ بنُ عامر المِصِّيصِي: سألتُ أحمد: وكيعٌ أَحَبُّ إليك أو يَحيى بنُ سَعيد؟ فقال: وكيع. قلتُ: كيف فَضَّلْتَه على يحيى، ويحيى ومكانه من العلم ِ، والحفظِ والإتْقانِ ما قد علمتَ؟ قال: وكيعٌ كان صديقاً لحفص بنِ غِيَاث، فلمَّا وَلِيَ القضـاءَ، هَجَرَهُ، وإنَّ يحيى كان صديقاً لمعاذ بنِ مُعاذ، فلما وَلِيَ القَضَاءَ، لم يَهْجُرْهُ يحيى.

وقال محمدُ بنُ علي الوَرَّاق: عُرِض القضاءُ على وكيع، فامتنع.

[٣] محمد بن سَلَام البِيكَنْدِيّ: سمعتُ وكيعاً يقولُ: مَنْ طلبَ الحديثَ كما جاء فهو صاحبُ سُنَّة، ومن طلبه ليُقَوِّيَ به رأيَه، فهو صاحبُ بِدْعَة.

[٤] وقال بِشْرُ بنُ موسىٰ: سمعتُ أحمدَ بنَ حنبل يقولُ: ما رأيت قطُّ مِثْلَ وكيع ٍ في العِلم والحفظِ والإسنادِ والأبوابِ مع خشوع ٍ ووَرَع.

قلتُ: يقولُ هذا أحمدُ مع تَحرِّيه وورعه. وقد شاهد الكِبار مثل هُشَيم ٍ، وابن عُيَيْنَة، ويحيى القَطَّان، وأبي يوسف القاضي وأمثالِهم.

[٥] يحيىٰ بنُ أيوب، حدَّثني بعضُ أصحاب وكيع الَّذين كانوا يَلزَمُونه. أنَّ وكيعاً كان

لا ينامُ حتى يقرأَ جُزْءَه من كُلِّ ليلةٍ ثُلُثَ القرآن، ثم يقُومُ في آخر اللَّيل، فيقرأُ المُفَصَّل، ثم يَجلسُ، فيأخُذُ في الاستغفار حتى يطلعَ الفَجر.

[١] قال عليُّ بن خَشْرم، ما رأيتُ بيد وكيعٍ كتاباً قطُّ، إنما هو حِفظٌ، فسألتُهُ عن أدويةِ الحِفظِ: فقال: إن علَّمتُك الدواءَ استعملتَه؟ قلتُ: إِي واللهِ. قال: تركُ المعاصي ما جَرَّبتُ مثلَه للحفظ.

[٢] سُئل أبو داود: أيُّما أحفظُ وكيعٌ أو عبدالرحمن بن مَهْدي؟ قال: وكيعٌ أحفظ، وعبدالرحمن أتقنُ، وقد التقيا بعد العشاء في المسجد الحرام، فتواقفا حتى سمعا أذانَ الصُّبح.

[٣] قال يعقوب الفَسَويُّ ـ وبلغه قولُ يحيى: مَنْ فَضَّلَ عبدَالرحمن على وكيع فعليه اللعنة ـ: كان غيرُ هذا أشبهَ بكلامِ أهل العلم، ومَنْ حاسَبَ نفسه، لم يقُلْ مثلَ هذا، وكيعٌ خَيِّرٌ فاضِلٌ حافظ.

[٤] قال حنبلُ بن إسحاق: سمعتُ ابنَ مَعين يقولُ: رأيتُ عند مَروان بنِ مُعاوية لوحاً فيه أسماءُ شيوخ: فلان رافضي، وفلان كذا، ووكيع رافضي، فقلتُ لمروان: وكيعٌ خيرٌ منك، قال: مني؟ قلتُ: نعم. فسكتَ، ولو قال لي شيئاً، لوثب أصحابُ الحديث عليه. قال: فبلغَ ذلك وكيعاً، فقال: يحيى صاحبُنا، وكان بعد ذلك يَعرِفُ لي، ويرُحِّب.

[٥] والظَّاهر أنَّ وكيعاً فيه تَشيُّعٌ يسير لا يضرُّ إن شاء الله، فإنه كوفيٌّ في الجملة، وقد صنَّف كتَاب فضائل الصحابة، سمعناه، قدَّم فيه باب مناقب عليٍّ على مناقب عُثمان، رضي الله عنهما.

[٦] قال الحُسينُ بنُ محمد بن عُفَير: حدَّثنا أحمدُ بنُ سِنان قال: كان عبدُ الرحمن ابن مَهْدي لا يُتَحدَّثُ في مجلسه، ولا يقومُ أحدٌ، ولا يُبرىٰ فيه قلمٌ، ولا يبتسم أحد، وكان وكيع يكونون في مجلسه كأنهم في صلاة فإن أنكر من أمرهم شيئا انتعل ودخل، وكان ابنُ نُمير يغضب ويصيح وإن رأى من يبري قلماً، تغير وجهه غضباً.

[١] وقال عليُّ بنُ المديني: كان وكيع يَلْحَنُ، ولو حدَّثتُ عنه بألفاظه، لكانت عجباً، كان يقولُ: حدَّثنا مسْعَر عن «عيشة».

وقال إبراهيم الحَرْبيُّ: سمعتُ أحمد يقولُ: ما رأتْ عَيْنَايَ مثلَ وكيعٍ قطُّ، يحفَظُ الحديثَ جيداً، ويُذاكِرُ الفِقه، فيحُسِنُ مع ورعٍ واجتهادٍ، ولا يتكَلَّمُ في أحد.

[٢] قال سَلْمُ بنُ جُنادَة: جالستُ وكيعاً سبع سنين، فما رأيتُهُ بَزَق، ولا مسَّ حصاةً، ولا جلس مجلِساً فتحرَّك، وما رأيتُهُ إلا مستقبلَ القبلة، وما رأيتُهُ يحلِفُ بالله.

[٣] وروي عن وكيعٍ أنَّ رجلاً أغلَظَ له، فدخل بيتاً، فعفَّر وجهَهُ ثم خرج إلى الرجل، فقال: زِدْ وكيعاً بذنبه، فلولاه ما سُلِّطْتَ عليه.

[٤] قال مروانُ بنُ محمد الطَّاطَرِيّ: ما رأيتُ فيمن رأيتُ أخشعَ من وكيعٍ، وما وُصِفَ لي أحدٌ قطُّ إلا رأيتُهُ دون الصِّفة إلا وكيعاً، رأيته فوقَ ما وُصفَ لي.

[٥] قال سعيد بنُ منصور: قدِمَ وكيعٌ مكَّة سَميناً، فقال له الفُضيلُ بنُ عِياض: ما هذا السِّمَنُ، وأنت راهبُ العراق؟ قال: هذا من فرحي بالإسلام، فأفحمه.

[٦] وقال إسحاقُ بنُ راهَوَيه: حِفظي وحِفظُ ابنِ المبارك تَكَلُّف، وحِفظُ وكيعٍ أصْلي، قام وكيعُ، فاستند، وحدَّث بسبع مئة حديث حفظاً.

[٧] أبو زُرعةَ الرَّازي: سمعتُ أبا جعفرٍ الجمَّال يقولُ: أتينا وكيعاً فخرج بعد ساعةٍ، وعليه ثيابٌ مَغْسولة، فلما بَصُرْنا به، فزِعنا من النور الذي رأيناهُ يَتَلأْلأُ من وجهه، فقال رجلٌ بجنبي: أهذا مَلَك؟! فتعجَّبنا من ذلك النور.

[٨] وقال أحمدُ بنُ سِنان: رأيتُ وكيعاً إذا قام في الصَّلاة، ليس يَتَحرَّكُ منه شيءٌ، لا يزولُ ولا يَميلُ على رِجْلٍ دون الأخرى.

[٩] قال الفلاَّسُ: ما سمعتُ وكيعاً ذاكِراً أحداً بِسوءٍ قطُّ.

قلتُ: مع إمامته، كلامُه نزْرٌ جداً في الرِّجال.

[١٠] قلتُ: أصحُّ إسنادٍ بالعراق وغيرها، أحمد بن حنبل، عن وكيع، عن سُفيان،

عن منصور، عن إبراهيم، عن عَلْقَمة، عن عبدِ الله، عن النبي ﷺ، وفي «المُسْنَد» بهذا السند عِدَّةُ مُتون.

علي بن خَشْرَم: سمعتُ وكيعاً يقولُ: لا يكْمُلُ الرجلُ حتى يكتبَ عمنَّ هو فوقَه وعمَّن هو مِثْلُه، وعمن هو دونَه.

[١]محنة وكيع ـ وهي غريبة ـ تَورَّطَ فيها ولم يُرِدْ إلا خيراً، ولكن فاتتهُ سكتَةٌ، وقد قال النبيُّ ﷺ «كفى بالمَرْءِ إثماً أَنْ يُحَدِّثَ بكل ما سَمِعَ، فليَّتقِ عبدٌ ربَّهُ، ولا يخَافَنَّ إلا ذَنْبَه».

قال عليُّ بنُ خَشْـرم: حدَّثنـا وكيعٌ عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبدالله البَهيِّ، أنَّ أبـا بكر الصِّدِّيق جاءَ إلى النبيِّ ﷺ بعد وفاته، فأكبَّ عليه، فقَبَّله، وقال: (بأبي وأُمِّي، ما أَطْيَبَ حياتَكَ وميتَتَك)، ثم قال البهيُّ: وكان تُركَ يوماً وليلةً حتى رَبَا بَطْنُه، وانثَنَتْ خِنْصِرَاهُ ـ قال ابنُ خَشْرم: فلما حدَّث وكيعٌ بهذا بمكَّة، اجتمعت قريش، وأرادوا صَلْبَ وكيعٍ، ونصبُـوا خَشَبـةً لِصَلبه، فجاء سُفيانُ بنُ عُيَيْنَـة، فقـال لهم: اللهَ اللهَ! هذا فقيهُ أهـل العِراق، وابنُ فقيهه، وهذا حديثٌ معروفٌ. قال سُفيان: ولم أكن سَمعتُه إلا أنِّي أردتُ تخليص وكيع.

قال عليُّ بن خَشْرم: سمعتُ الحديثَ من وكيع، بعدما أرادُوا صَلبه فتعجبتُ من جَسَارتِهِ، وأُخبرتُ أنَّ وكيعاً احتجَّ، فقال: إنَّ عِدَّةً من أصحابِ رسول الله ﷺ منهم عُمر قالوا: لم يَمُتْ رسول الله. فأرادَ الله أن يُريَهُم آيةَ الموت.

فهذه زَلَّةُ عَالِمٍ، فما لوكيعٍ ولرواية هذا الخَبَرِ المُنكرِ المُنْقَطعِ الإسنادِ! كادت نفسُه أن تذهبَ غلطاً، والقائمون عليه معذُورون، بل مأجُورون، فإنَّهم تَخيَّلوا من إشاعةِ هذا الخبر المردود، غَضّاً ما لمنصب النُّبوَّة، وهو في بادئ الرَّأيِ يوُهِمُ ذلك، ولكن إذا تأمَّلتَه، فلا بأسَ إنْ شاء اللهُ بذلك، فإن الحيَّ قد يربو جوفهُ، وتسترخي مفَاصِلُه، وذلك تفرُّع من الأمراض، و «أشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأنْبياء»، وانَّما المحذورُ أن تُجـوِّز عليه تَغيُّر سائـرِ موتى الآدميين ورائحتهم، وأكلَ الأرضِ لأجسامِهم،

والنبيُّ ﷺ فمُفَارق لسائِر أُمَّته في ذلك، فلا يَبْلىٰ، ولا تأكُلُ الأرضُ جَسَدَه، ولا يتغيَّر ريحُه، بل هو الآن، وما زال أطيبَ ريحاً من المِسْك، وهو حيٌّ في لحده حياةَ مثلِهِ في البَـرْزَخ، التي هي أكمـلُ من حياة سائر النَّبيين، وحياتُهم بلا ريب أتَمُّ وأشرفُ من حياةِ الشُّهداء الذين هم بنص الكتاب ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِم يُرْزَقُون﴾ [آل عمران: ١٦٩] وهؤلاء حياتُهم الآن التي في عالم البَرْزخِ حقٌ، ولكن ليست هي حياةَ الدنيا من كلِّ وَجهٍ، ولا حياةَ أهلِ الجنة من كُلِّ وَجْهٍ، ولهم شِبْهٌ بحياة أهلِ الكهف، ومن ذلك: اجتماع آدمُ وموسىٰ، لمَّا احتَّج عليه موسىٰ، وحجَّه آدمُ بالعلمِ السابق كان اجتماعُهما حَقّاً، وهما في عالم البَرْزخِ، وكذلك نبيُّنا ﷺ أخبر أنَّه رأىٰ في السمـاواتِ آدم ومـوسىٰ وإبـراهيمَ وإدريس وعيسىٰ، وسَلَّم عليهم، وطـالت محاوَرَاتُه مع موسى، هذا كُلُّه حقٌ. والذي منهم لم يَذُقِ الموتَ بَعْدُ هو عيسىٰ عليه السلام، فقد تبرهنَ لك أَنَّ نبينا ﷺ ما زال طيِّباً مُطَيَّباً، وأنَّ الأرضَ مُحرَّمٌ عليها أكلُ أجسادِ الأنبياء، وهذا شيءٌ سبيلُهُ التوقيف، وما عنَّف النبيُّ ﷺ الصحابةَ رضي الله عنهم لما قالوا له بلا علمٍ: وكيف تُعرضُ صلاتُنا عليكَ وقد أَرَمْتَ؟ - يعني بَليتَ - فقال: «إنَّ اللهَ حَرَّمَ على الأَرْضِ أن تَأْكُلَ أَجْسادَ الأَنْبياء».

وهـذا بحثٌ معُترِضٌ في الاعتذار عن إمامٍ من أئمة المسلمين، وقد قام في الدفع عنه مثلُ إمامِ الحِجاز سُفيان بن عُيينة، ولولا أَنَّ هذه الواقعةَ في عدَّةِ كُتُبٍ، وفي مثل «تاريخ الحافظ ابن عساكر» وفي «كامل الحافظ ابن عدي» لأعرضتُ عنها جملةً، ففيها عِبرة.

قال عليُّ بن عثَّام: مرضَ وكيعٌ، فدخلنا عليه، فقال: إنَّ سُفيان أتاني، فبشَّرني بجواره، فأنا مُبادِرٌ إليه.

مات وكيعٌ سنة سبعٍ وتسعين ومئة يوم عاشوراء.

قلتُ: عاش ثمانياً وستين سنة سوى شهرٍ أو شهرين.

٤١١ ـ يوسف بن أَسْبَاط(١)

[١] **الزَّاهِد، من سادات المَشايخ، له مواعظُ وحِكَم.**

[٢] نزل الثُّغُور مُرابطاً.

[٣] قال المُسيَّبُ: سألتُه عن الزُّهد، فقال: أَنْ تزْهَدَ في الحلال، فأَمَّا الحرامُ، فإن ارتكبتَهُ، عَذَّبك.

[٤] وسُئِلَ يوسفُ: ما غايةُ التَّواضع؟ قال: أَنْ لا تلقى أَحَداً إلا رأيت له الفَضْل عليك.

[٥] وعنه قال: للصَّادِق ثلاثُ خِصال: الحلاوةُ، والمَلاَحةُ، والمَهَابةُ.

وعنه: خُلِقَتِ القُلوبُ مساكِنَ للذِّكر، فصارت مساكنَ للشَّهوات. لا يمَحو الشَّهواتِ إلا خَوفٌ مُزعج، أو شوقٌ مُقلِقٌ، الزُّهدُ في الرئاسة أَشدُّ منه في الدُّنيا.

[٦] قال ابن خُبَيق: قلت لابن أَسْباط: لِمَ لا تأذنُ لابن المبارك يسلِّمُ عليك؟ قال: خشيتُ أَنْ لا أَقُومَ بحقِّه، وأنا أُحِبُّهُ.

[٧] وعن يوسف قال: يُجزِئُ قليلُ الوَرَع والتَّواضُع من كثير الاجتهاد في العمل.

وثَّقه ابنُ معَين.

٤١٢ ـ محمد بن فُضَيل (ع)(٢)

[٨] **ابن غَزْوان، الإمام الصَّدوقُ الحافظ، أبو عبدالرَّحمن الضَّبِّي مولاهم الكوفي، مُصَنِّفُ كتاب «الدُّعاء» وكتاب «الزُّهد» وكتاب «الصِّيام» وغير ذلك.**

[٩] حدَّثَ عنه عددٌ كثير، وجمٌّ غفير على تشيُّعٍ كان فيه، إلا أَنَّه كان من عُلماء الحديث، والكمالُ عزيز.

وقال أحمدُ بنُ حنبل: هو حسنُ الحديث شيعي.

---

(١) انظر السير: ٩/١٦٩ـ ١٧١.

(٢) انظر السير: ٩/١٧٣ـ ١٧٥.

[١] وقال أبو داود السِّجِسْتاني: كان شِيعياً مُتحرِّقاً.

قلتُ: تحـرُّقـه على من حارب أو نازع الأمْرَ علياً رضي الله عنه، وهو مُعظِّم للشَّيخين رضي الله عنهما.

قلتُ: مات في سنة خمسٍ وتسعين ومئة.

٤١٣ - يَحيى القَطَّان (ع)(١)

[٢] **يحيى بن سعيد بن فَرُّوخ، الإمامُ الكبيرُ، أميرُ المؤمنين في الحديث، أبو سعيد التَّميمي مولاهم البَصريّ، الأحول، القطَّان، الحافظ.**

وُلد في أول سنة عشرين ومئة.

وعُني بهذا الشَّأنِ أتمَّ عناية، ورَحَل فيه، وسادَ الأقران، وانتهى إليه الحِفْظُ، وتكلَّم في العِلَلِ والرِّجالِ، وتَخرَّجَ به الحُفَّاظ، كَمُسَدَّدٍ، وعليٍّ، والفَلاَّس، وكان في الفروع على مذهبِ أبي حنيفة - فيما بلغنا - إذا لم يجد النَّص.

وثبتَ أنَّ أحمدَ بنَ حنبل قال: ما رأيتُ بعينيَّ مثلَ يحيى بن سعيد القَطَّان.

[٣] قال ابنُ خُزيمة: سمعتُ بُنْداراً يقولُ: اختلفتُ إلى يحيى بن سعيد أكثرَ من عشرين سنة، ما أظنُّه عصىٰ الله قطُّ، لم يكن في الدُّنيا في شيءٍ.

قال الحافظُ ابنُ عمَّار: كنتَ إذا نظرتَ إلى يحيى القطَّان ظننتَ أنه لا يُحسنُ شيئاً، بزيِّ التُّجَّار، فإذا تكلَّمَ أنصتَ له الفُقهاء.

[٤] وقال عليُّ بنُ المديني: كنَّا عند يحيى بنِ سعيد، فقرأ رجلٌ سورةَ الدُّخان، فصعِقَ يحيىٰ، وغُشِيَ عليه.

قال أحمدُ بنُ حنبل: لو قَدَرَ أحدٌ أن يدفعَ هذا عن نفسه، لدفعه يحيى - يعني الصَّعْقَ.

---

(١) انظر السير: ٩/١٧٥-١٨٨.

[١] قال ابنُ معين: وكان يحيى يجيئ معه بِمِسْبَاحٍ، فيُدْخِلُ يده في ثيابه، فَيُسَبِّح.

[٢] قال محمـدُ بنُ يحيى بن سعيد: قال أبي: كنتُ أخـرجُ من البيتِ أطلُبُ الحديثَ، فلا أرجع إلا بعد العَتَمةَ.

[٣] قلتُ: كان يحيى بن سعيد مُتعَنِّتاً في نقدِ الرجال، فإذا رأيتهَ قد وَثَّق شيخاً، فاعتَمِدُ عليه، أمَّا إذا لَيَّنَ أحداً، فتأَنَّ في أمرِهِ حتى ترىٰ قولَ غيره فيه، فقد لَيَّنَ مثلَ: إسرائيل، وهمَّام، وجماعة احتجَّ بهم الشَّيخان.

[٤] عن زهير البابي، قال: رأيتُ يحيى القطَّان في النومِ عليه قميصٌ بين كَتِفَيه مكتوبٌ: بسم الله الرحمن الرحيم، كتابٌ من اللهِ العزيز العليم براءةٌ ليحيى بن سعيد القطَّان من النار.

[٥] قال محمدُ بن عَمْرو بن عُبيدة العُصْفُري: سمعتُ عليَّ بنَ المديني قال: رأيتُ خالدَ بنَ الحارث في النوم، فقلتُ: ما فعلَ الله بك؟ قال: غَفر لي على أَنَّ الأمرَ شديدٌ. قلتُ: فما فعلَ يحيى القطَّان؟ قال: نَراهُ كما يُرى الكوكب الدُّرِّيُّ في أُفق السَّماء.

توفي يحيىٰ بن سعيد سنة ثمانٍ وتسعين ومئة.

٤١٤ ـ عبدالرحمن بن مَهْدِيّ (ع)(١)

[٦] **ابنِ حسَّان، أبو سعيد الإمام النَّاقدُ المجوِّد، سيِّد الحُفَّاظ، العَنْبري، وقيل: الأَزدي، مولاهم البَصْري اللُّؤْلُؤي.**

وُلد سنةَ خمسٍ وثلاثين ومئة.

وطلب هذا الشَّان وهو ابن بضع عشرة سنة.

كان إماماً حُجَّةً قُدوةً في العلم والعمل.

(١) انظر السير: ٩/١٩٢ـ ٢٠٩.

[١]ورُوي عن ابن مَهديٍّ قال: لولا أنّي أكْرَهُ أن يُعصىٰ الله، لتمنَّيتُ أَنْ لا يبقىٰ أحدٌ في المِصْرِ إلَّا اغْتابني! أيُّ شيءٍ أهنأُ من حَسنةٍ يجدُها الرجلُ في صحيفَتِه لم يَعْمَلْ بها؟!

[٢]وعنه قال: كنتُ أجلسُ يومَ الجمعة، فإذا كثُر الناسُ، فرِحتُ، وإذا قلُّوا، حزنتُ، فسألتُ بِشْرَ بنَ منصور، فقال: هذا مجلسُ سَوْءٍ، فلا تَعُدْ إليه، فما عُدتُ إليه.

[٣]قال عبدالرحمن رُستَه: حدثنا يحيى بنُ عبدالرحمن بنِ مَهْديّ، أنَّ أباه قام ليلةً، وكان يُحيي اللَّيل كُله، قال: فلمَّا طلعَ الفجرُ رمىٰ بنفسِه على الفِراش حتى طلعت الشمسُ، ولم يُصلِّ الصُّبحَ، فجعلَ على نفسه أن لا يجعلَ بينَه وبين الأرض شيئاً شهرين، فقرَّح فَخِذاهُ جميعاً.

[٤]وقال رُسْتَه: سمعتُ ابنَ مهدي يقولُ لفتىً من ولدِ الأمير جعفرِ بن سُليمان: بلغنِي أنَّك تتكلَّم في الرَّبِّ، وتَصِفُه وتُشبِّهه. قال: نعم، نظرنا، فلم نَرَ مِنْ خلق اللهِ شيئاً أحسن من الإنسانِ، فأخَذَ يتكلَّمُ في الصِّفةِ، والقامةِ. فقال له: رُوَيْدكَ يا بُنَي حتى نتكلَّم أول شيءٍ في المخلوق، فإن عجَزْنا عنه، فنحنُ عن الخالق أعجزُ، أخبِرْني عما حدَّثني شُعبةُ، عن الشَّيباني، عن سعيد بن جُبير، عن عبدالله: ﴿لَقَدْ رأىٰ مِنْ آياتِ ربِّهِ الكُبْرىٰ﴾ [النجم: ١٨] قال: رأىٰ جبريلَ له ستُ مئة جَناحٍ، فبقي الغلامُ ينظُر. فقال: أنا أُهوِّنُ عليك صِفْ لي خَلْقاً له ثلاثةُ أَجْنحَة، وركِّبِ الجناحَ الثالثَ منه مَوْضعاً حتى أعلمَ. قال: يا أبا سعيد، عجزنا عن صفةِ المخلوق، فأُشهِدُكَ أنِّي قد عجزتُ ورجعت.

[٥]قال نُعيمُ بنُ حمَّاد: قلتُ لعبد الرحمن بن مَهديٍّ: كيف تعرفُ الكذَّاب؟ قال: كما يَعرفُ الطَّبيبُ المجنونَ.

[٦]قال أحمدُ بنُ سِنان القَطَّان: سمعتُ مَهْدِيَّ بنَ حسَّان يقول: كان عبدُ الرحمن يكون عند سفيان عشرة أيامٍ وخمسةَ عشرَ يوماً باللَّيل والنهار، فإذا جاءنا ساعةً، جاءَ

رسولُ سفيان في أَثرِه يطلُبُه، فيدَعُنا ويذهبُ إليه.

[١]وقال رُسته: سمعتُ عبدَالرحمن يقولُ: كان يُقال: إذا لَقِيَ الرجلُ الرجلَ فوقَه في العلم، فهو يَومُ غنيمتِه. وإذا لقِي مَنْ هو مِثْلُهُ، دارَسَهُ، وتعلَّم منه، وإذا لقي مَنْ هو دونَه، تواضَعَ له، وعلَّمه، ولا يكونُ إماماً في العلم من حدَّث بكلِّ ما سمع، ولا يكونُ إماماً من حدَّث عن كُلِّ أحد، ولا من يُحدِّثُ بالشَّاذِّ، والحِفْظُ للإتقان.

[٢] قال عبدالرحمن رُستَه: سألتُ ابنَ مهديٍّ عن الرَّجل يَبني بأهله، أيترُكُ الجماعةَ أيَّاماً؟ قال: لا، ولا صلاةً واحدة. وحضرتُه صبيحةَ بُنِيَ على ابنتِه، فخرج، فأذَّنَ، ثم مشىٰ إلى بابِهمـا، فقال للجارية: قولي لهما: يخْرجَان إلى الصَّلاة، فخرج النِّساءُ والجواري، فقلْن: سبحان الله! أيُّ شيءٍ هذا؟ فقال: لا أبرَحُ حتى يخرجا إلى الصلاة، فخرجا بعدما صلَّى، فبعثَ بهما إلى مَسْجِدٍ خارج من الدَّرْب.

قلتُ: هكذا كان السَّلفُ في الحرصِ على الخير.

قال بُنْدَار: سمعتُ عبدالرحمن يقولُ: ما نعرِفُ كتاباً في الإسلام بعدَ كتابِ الله أصحَّ من «موطَّأ مالك».

قلتُ: توفِّي ابنُ مهدي بالبَصرةِ سنة ثمانٍ وتسعين ومئة.

[٣] قال أبو عُبيد الآجُرِّيّ: سمعتُ أبا داود يقولُ: قال أحمدُ بنُ سِنان: سمعتُ عبدَ الـرحمن بن مهدي يقول: لو كانَ لي عليه سلطانٌ ـ على من يقرأُ قراءةَ حمزة ـ لأوجعتُ ظهره وبطْنَه.

قلتُ: جاء نحوُ هذا عن جماعةٍ(١) وإنما ذلك عائدٌ إلى ما فيها من قبيل الأداء، والله أعلم، وقد استقرَّ اليومَ الإجماعُ على تَلَقِّي قراءةِ حمزةَ بالقبول.

---

(١) قال: ابن قدامة في «المغني» ١/٤٩٢ ولم يكره أحد قراءة أحد من العشر إلا قراءة حمزة والكسائي، لما فيهما من الكسر والإدغام والتكلف وزيادة المد، وقال ابن الجزري في «غاية النهاية» ١/٢٦٣: وأما ما ذكر عن عبدالله ابن إدريس وأحمد بن حنبل من كراهة قراءة حمزة، فإن ذلك محمول على قراءة من سمعا منه ناقلاً عن حمزة، وما آفة الأخبار إلا رواتها، قال ابن مجاهد: قال محمد بن الهيثم: والسبب في ذلك أن رجلاً ممن قرأ على سُلَيم حضر مجلس ابن إدريس، فقرأ، فسمع ابن إدريس ألفاظاً فيها إفراط في المد والهمز وغير ذلك من التكلف، فكره ذلك =

٤١٥ عبدُ الله بن وَهْب (ع)[1]

[١]ابن مسلم، الإمامُ شيخُ الإسلام، أبو محمد الفِهْريّ، مولاهم المِصْري الحافظ.

مولده: سنة خمسٍ وعشرين ومئة، أرَّخه ابنُ يونُس، وقال: قيل:ولاؤه للأنصار.

طلب العِلم، وله سبع عشرة سنة.

[٢]وقال خالدُ بنُ خداش: قُرِئَ على عبدِ الله بن وَهْبٍ كِتابُ أهوالِ يومِ القيامة ـ تأليفه ـ فَخَرَّ مَغْشِيّاً عليه. قال: فلم يتكلَّم بكلمةٍ حتى ماتَ بعدَ أيامٍ رحمه اللهُ تعالى.

[٣]وعن سُحنون الفقيه قال: كان ابنُ وَهْبٍ قد قَسَم دهْرهُ أثلاثاً ثُلُثاً في الرِّبَاط، وثُلُثاً يُعلِّم النَّاس بمصر، وثُلُثاً في الحجِّ، وذكر أنه حجَّ ستاً وثلاثين حجَّة.

[٤]قال أحمد بن سعيد الهَمَذاني: دخل ابنُ وهبٍ الحمَّام، فسمع قارئاً يقرأُ: ﴿وإذ يتحاجُّون في النَّار﴾ [المؤمن: ٤٧] فغشي عليه.

[٥]قال ابنُ أبي حاتم: حدَّثنا أبي، حدَّثنا حَرمَلَةُ: سمعتُ ابنَ وَهبٍ يقولُ: نَذرتُ أني كُلَّما اغتبتُ إنساناً أن أصوم يوماً، فأَجْهَدني، فكُنت أغتابُ وأصوم، فنويتُ أني كُلَّما اغتبتُ إنساناً أن أَتَصَدَّق بدرهم، فمن حُبِّ الدَّراهم تركتُ الغِيبة.

قلتُ: هكذا والله كان العُلماءُ وهذا هو ثَمرةُ العلمِ النافع، وعبدُ الله حُجَّةٌ مطلقاً، وحديثُهُ كثيرٌ في الصِّحاح، وفي دواوين الإسلام، وحَسبُك بالنَّسَائي وتعنُّتِهِ في النقد حيث يقولُ: وابنُ وَهبٍ ثقةٌ، ما أعلمُهُ روى عن الثِّقات حديثاً منكراً.

[٦]قلتُ: أكثَرَ في تواليفه من المقاطيع والمُعضلات، وأكثر عن ابن سمعان وبابته، وقد تَمَعْقَلَ بعضُ الأئمة على ابنِ وَهْبٍ في أخذه للحديث، وأنه كان يترخَّصُ في

= ابن إدريس، وطعن فيه. قال محمد بن الهيثم: وقد كان حمزة يكره هذا وينهىٰ عنه، قلت: أما كراهته الإفراط من ذلك، فقد روينا عنه من طرق = أنه كان يقول لمن يفرط عليه في المد والهمز: لا تفعل أما علمت أن ما كان فوق البياض، فهو برص، وما كان فوق الجعودة، فهو قطط، وما كان فوق القراءة، فليس بقراءة.

(١) انظر السير: ٩/٢٢٣ـ ٢٣٤.

الأخذ، وسواءٌ ترخَّص ورأى ذلك سائغاً، أو تشدَّد، فمن يروي مئةَ ألف حديث، ويندُرُ المُنكر في سَعَة ما روى فإليه المُنتهى في الإتقان.

قال أبو الطَّاهر بنُ عمرو: جاءنا نَعْيُ ابن وهب، ونحن في مجلس سُفيانَ بن عُيينة، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، أُصيب به المسلمون عامَّة، وأُصبتُ به خاصَّة.

قلتُ: قد كان ابن وهب له دنيا وثروة، فكان يصل سفيان، ويبرُّه، فلهذا يقول: أُصبت به خاصَّة.

قال يُونسُ بنُ عبدالأعلى: كانوا أَرادوا ابنَ وهبٍ على القضاءِ، فتغيَّبَ. قال: ومات سنة سبعٍ وتسعين ومئة.

قلتُ: عاش اثنتين وسبعين سنة.

٤١٦ ـ الرشيد(١)

[١] **الخليفة، أبو جعفر هارون، بن المهدي محمَّد، بن المنصور أبي جعفر عبدالله، بن محمد، بن علي، بن عبدالله بن عبَّاس الهاشمي العبَّاسيّ.**

[٢] كان من أنبل الخُلفاء، وأحشمِ الملوك، ذا حَجٍّ وجِهادٍ، وغزوٍ وشجاعةٍ، ورأيٍ.

وأُمُّه أُمُّ ولد، اسمها خيزُران.

أَغْزاه أبوه بلادَ الروم، وهو حدَث في خلافته.

[٣] قيل: إنه كان يُصلِّي في خلافته في كل يومٍ مئة ركعة إلى أن مات، ويتصدَّقُ بألف، وكان يحبُّ العلماءَ، ويُعظِّم حُرُماتِ الدِّينِ، ويُبغض الجدالَ والكلام، ويَبكي على نفسه ولهوه وذنوبه، لا سِيَّما إذا وُعِظ، ووعظه الفُضَيلُ مرةً حتى شَهِقَ في بكائه.

(١) انظر السير: ٩/٢٨٦ـ ٢٩٥.

[١] ولما بلغه موتُ ابن المبارك، حَزن عليه، وجلس لِلعزَاء، فعزَّاه الأكابر.

[٢] وعن أبي مُعاوية الضَّرير قال: صبَّ عليٰ يديَّ بعدَ الأكل شخصٌ لا أعرِفه، فقال الرشيدُ: تَدري مَن يصبُّ عليك؟ قلتُ: لا، قال: أنا، إجلالاً للعلم.

[٣] وعن الأصمعي: قال لي الرشيدُ وأمر لي بخمسة آلاف دينار: وقِّرنا في الملأ، وعلِّمنا في الخلاء، سمعها أبو حاتِم من الأصمعي.

[٤] قال ابنُ حزم: أُراهُ كان يشربُ النبيذَ المُختلفَ فيه، لا الخمرَ المتفق على حُرمتها.

[٥] قلتُ: حجَّ غير مرةٍ، وله فتوحاتٌ ومواقفُ مشهودة، ومنها فتحُ مدينة هِرَقْلة[1]، ومات غازياً بخُراسان، وقبرهُ بمدينة طوس، عاش خمساً وأربعين سنة، وصلَّى عليه ولدُه صالح، تُوفي في سنة ثلاثٍ وتسعين ومئة.

وَزَرَ له يحيى بنُ خالد مُدَّة، وأحسنَ إلى العَلَوية، وحجَّ سنةَ (١٧٣)، وعَزَلَ عن خُراسان جعفر بن أشْعث بولده العباس بنِ جعفر، وحجَّ أيضاً في العام الآتي، وعقد بولاية العهد لولده الأمين صغيراً، فكان أقبحَ وَهْنٍ تمَّ في الإسلام، وأرضى الأمراءَ بأموال عظيمة، وتحرَّكَ عليه بأرض الدَّيلم يحيى بنُ عبدالله بن حسن الحسني، وعظُم أمره، وبادر إليه الرافِضَةُ، فتنكَّد عيشُ الرشيد واغْتمَّ، وجهَّز له الفضلَ ابن وزيرِه في خمسين ألفاً، فخارتْ قوىٰ يحيى، وطلبَ الأمانَ، فأجابه ولاطَفَه، ثم ظَفِرَ به، وحَبَسَه، ثم تعلَّل ومات.

[٦] وفي سنة ١٧٩ اعتمر الرشيدُ في رمضان، واستمرَّ على إحرامه إلى أنْ حَجَّ ماشياً من بطنِ مكة.

وتفاقم الأمرُ بين قيسٍ ويمن بالشام، وسالتِ الدِّماء.

---

(١) هي مدينة ببلاد الروم سميت بهرقلة بنت الروم، وكان الرشيد غزاها بنفسه، ثم افتتحها عنوة بعد حصار وحرب شديد ورمى بالنار والنفط حتى غلب أهلها

[١]وغزا الرشيدُ، ووَغَلَ في أرض الروم، فافْتَتَحَ الصَّفصاف، وبلغ جيشُه أنقرة.

وفي سنة ١٨٥ ظهر بعبَّادان أحمدُ بن عيسى بن زيد بن علي العَلوي، وبناحية البَصرة، وبُويع ثم عَجَز وهرب، وطال اختفاؤه أزيد من ستين عاماً.

[٢]وفي سنة سبعٍ قَتَل الرشيدُ جعفر بن يحيىٰ البَرمكي، وسجَن أباه وأقاربه، بعد أن كانوا قد بلغُوا رتبةً لامزيدَ عليها، وفيها انتقضَ الصُّلحُ مع الروم، وملَّكوا عليهم نِقفُور، فيُقال: إنه من ذُريَّة جَفْنَةَ الغسَّاني، وبعث يتهدَّدُ الرَّشيدَ، فاسْتَشَاط غضباً، وسارَ في جيوشه حتى نازله هِرَقْلة، وذلَّتِ الرومُ، وكانت غزوةً مشهودة.

[٣]وفي سنة ثمانٍ كانت الملحمةُ الْعُظمىٰ، وقُتِلَ من الروم عددٌ كثير، وجُرح النَّقْفُور ثلاثَ جراحات، وتم الفِداءُ حتى لم يبقَ في أيدي الروم أسيرٌ.

٤١٧ ورش(١)

[٤]**شيخُ الإقراءِ بالدِّيار المِصْرية، أبو سعيد، وأبو عمرو، عثمانُ بنُ سعيد بن عبد الله بن عمرو. القبطي الإفريقي، مولى آل الزبير.**

قيل: وُلد سنةَ عشرٍ ومئة.

جوَّد خَتَماتٍ على نافع، ولقَّبه نافعُ بورشٍ لشدَّةِ بياضِه، والورشُ لبنٌ يُصنع، وقيل: لقبه بطائرٍ اسمهُ ورشان، ثم خُففَ فكان لايكرهه، ويقول: نافعٌ أستاذي سَمَّاني به.

وكان ماهراً بالعربية، انتهت إليه رئاسةُ الإقراء.

وكان ثقةً في الحروف حُجةً، وأما الحديثُ فما رأينا له شيئاً وقد استوفيتُ ترجمتَه في أخبار القُرَّاء.

(١) انظر السير: ٩/٢٩٥ـ ٢٩٦.

[١] قال يونُس: كان جيِّدَ القِراءةِ، حسنَ الصَّوتِ، إذا قرأ يهمِزُ، ويمدُّ، ويُشَدِّد، ويُبيِّنُ الإعراب لا يَمَلُّه سامِعُه.

[٢] ويقال: إنَّه تلا على نافعٍ أربعَ خَتَماتٍ في شهر واحد.

مات بمصر في سنة سبعٍ وتسعين ومئة.

٤١٨ شَقِيق(١)

[٣] الإمامُ الزاهدُ شيخُ خُراسان، أبو علي شقيقُ بنُ إبراهيم الأزدي البَلْخي.

صحبَ إبراهيم بنَ أدهم.

[٤] وعن شَقيقٍ قال: كنتُ شاعراً، فرزقني اللهُ التوبةَ، وخرجتُ من ثلاث مئة ألف درهم، ولبستُ الصُّوف عشرين سنة، ولا أدري أنِّي مرَاءٍ حتى لقيتُ عبدَ العزيز بنَ أبي روَّاد، فقال: ليس الشأنُ في أكل الشعير ولُبسِ الصوفِ، الشأنُ أَنْ تَعْرِفَ اللهَ بقلبكَ، ولا تُشرِكَ به شيئاً، وأن تَرْضىٰ عن الله، وأن تكونَ بما في يدِ اللهِ أوثقَ مِنك بما في أيدي الناس.

[٥] وعنه: لو أنَّ رجلاً عاش مئتي سنة لا يَعْرفُ هذه الأربعة، لم ينجُ: معرفةُ الله، ومعرفةُ النفس، ومعرفةُ أمرِ الله ونهيهِ، ومعرفة عدُوِّ الله وعدُوِّ النفس.

[٦] وقد جاء عن شقيق مع تَأَلُّهِهِ وزُهده أنَّه كان من رؤوس الغُزاة.

[٧] عن شقيق قال: مَثَلُ المؤمن مثلُ مَنْ غرسَ نخلةً يخافُ أن تَحمل شَوْكاً، ومَثَلُ المنافق مثلُ من زرَع شوكاً يَطْمعُ أن يحمِلَ تمراً، هيهات.

[٨] وعنه: ليس شيءٌ أحبَّ إليَّ من الضيف لأنَّ رزقَهُ على الله، وأجره لي.

[٩] وعنه: عَلامَةُ التَّوبة البُكاءُ على ما سلف، والخوفُ من الوقوع في الذَّنب، وهِجرانُ إخوانِ السُّوءِ، وملازمةُ الأخيار.

---

(١) انظر السير: ٩/٣١٣-٣١٦.

[١] وعنه: من شكى مُصيبةً إلى غير الله، لمْ يجدْ حلاوة الطَّاعة.

[٢] وقال الحاكم: قَدِمَ شقيقٌ نَيْسَابُور في ثلاث مئة من الزُّهَّاد، فطلب المأمونُ أن يجتمعَ به، فامْتنع.

[٣] وقُتِل شقيقٌ في غَزَاةِ كُولان سنة أربع وتسعين ومئة.

٤١٩ الأَمينُ(١)

[٤] **الخليفةُ، أبو عبدالله محمد بن الرَّشيد هارون، الهاشِميّ العبَّاسيّ البَغداديّ.**

عَقَد له أبوه بالخلافَة بَعده، وكان مَليحاً، بديع الحُسن، أبيض وسيماً طويلاً، ذا قُوَّة وشجاعة وأدبٍ وفَصاحة، ولكنَّه سَيِّءُ التَّدبيرِ مُفرِطُ التَّبذير، أرعن لعَّاباً، مع صحةِ إسلامٍ ودينٍ.

قال المسعوديُّ: ماوُلِّي الخلافة هاشميٌّ ابن هاشمية سوىٰ عليٍ ومحمد الأمين.

[٥] وفي سنة ١٩٤ أمر الأمينُ بالدعاء لابنه موسىٰ بولاية العهد بعد ولي العهد المأمون والقاسم، وأغرى الفضلُ بنُ الربيع الأمينَ بالمأمون وحثَّه على خلعه لعداوةٍ بينهما، وحسَّن لَه ذلك السِّنديُّ، وعليُّ بن عيسى بن ماهان، ثم بعثَ الأمينُ يطلبُ من المأمون تقديمَ موسىٰ ولدِه على المأمون، ولقَّبه الناطق بالحق، فأبىٰ ذلك المأمونُ.

وأما الأمين، فبلغه خلافُ المأمون، فأسقطه من الدُّعاء، وطلب ما كتَبه الرشيدُ وعلَّقهُ بالكعبة من العهد بين الأخوين، فمزَّقه، فلامَهُ الألِبَّاءُ فلم يَنْتَصح، حتى قال له خازم بن خُزيمة، لن يَنْصَحك من كَذَبك، ولن يَغشَّك من صَدَقكَ، لا تُجسِّر القوَّاد على الخلع، فيخلعوك، ولا تحمِلْهم على النَّكْثِ، فالغادِرُ مفلولٌ، والناكثُ مخذول، فلم يلتفِتْ، وبايع لموسىٰ بالعهد واستَوْزَرَ له.

(١) انظر السير: ٩/٣٣٤ـ ٣٣٩.

فلما عرف المأمون، خلع أخاه، وتسمَّى بأمير المؤمنين، وأما ابنُ ماهان، فجهَّزه الأمينُ، وخصَّه بمئتي ألف دينار، وأعطاه قيداً من فضة ليُقيّدَ به المأمون بزعمه، وعرض الأمين جيشه بالنَّهْرَوان، وأقبل طاهرٌ في أربعة آلاف فالتَقوَا، فقُتلَ ابنُ ماهان، وتمزَّق جيشهُ، هذا والأمين عاكفٌ على الَّلهو والَّلعِب، فبعثَ جيشاً آخر، وندم على خلع المأمون.

وأنفق الأمينُ بيوتَ الأموال على الجند ولا ينفعون، وجاءت أَمدادُ المأمون مع هرْثمة بنِ أعيَن والفضلِ بنِ سَهل، وضعُف أمر الأمين، وجَبُن جندُه من الخُراسانيِّين، وأحاطت المأمونيةُ ببغداد، يُحاصرونَ الأمين واشتدَّ البلاءُ، وعظُم القتالُ، وقاتلت العامَّة والرِّعاعُ عن الأمين قتال الموتِ، واستمرَّ الويلُ والحصارُ، وجرت أمورٌ لا تُوصفُ، وتفاقم الأمر. ونَفِدَت خزائنُ الأمين، حتى باع الأمتعة، وأَنفقَ في المُقَاتِلَة، وما زال أمرُه في سفال، ودَثَرَتْ محاسنُ بَغداد، ودام الحصارُ والوَبالُ خمسةَ عشرَ شهراً.

دخل طاهرٌ بغداد عَنْوَةً، ونادى: مَنْ لزم بيتَه، فهو آمِنٌ، وحاصروا الأمين في قُصُوره أيَّاماً، ثم رأى أن يخرَج على حمية ليلاً، وفعل فظفروا به، وهو في حَرَّاقةٍ[1] فشدَّ عليه أصحابُ طاهر في الزَّوَاريق[2] وتعلَّقُوا بحَرَّاقَته، فنُقِبتْ، وغرقتْ، فرمىٰ الأمين بنفسه في الماء، فظَفِر به رجلٌ، وذهب به إلى طاهر، فقَتَله، وبعَث برأسه إلى المأمون، فإنَّا لله، ولم يُسرَّ المأمون بمصرع أخيه.

وعاش الأمينُ سبعاً وعشرينَ سنة، وقُتل في المحرم سنة ثمان وتسعين ومئة، وخلافَتُه دون الخمس سنين، سامحه الله وغَفر له.

---

(١) ضرب من السفن بالبصرة، فيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر.

(٢) هي القوارب الصغار.

٤٢٠ معروف الكَرْخيّ(١)

[١] **عَلَمُ الزُّهَّاد، بركةُ العصر، أبو محفوظ البغداديّ، واسم أبيه فَيْروز، وقيل: فَيْرُزان، من الصَّابِئة.**

[٢] ذُكِرَ معروفٌ عند الإمام أحمد، فقيل: قصيرُ العلم، فقال: أَمْسِك، وهل يُرَادُ من العلم إلاَّ ما وصل إليه معروف.

[٣] قال إسماعيلُ بنُ شدَّاد: قال لنا سُفيان بن عُيينة: ما فعلَ ذلك الحَبْرُ الذي فيكم ببغداد؟ قلنا: مَنْ هو؟ قال: أبو محفوظ معروفٌ.قلنا: بخير، قال: لا يزالُ أهلُ تلك المدينة بخيرٍ ما بقيَ فيهم.

[٤] عن معروفٍ قال: إذا أراد الله بعبدٍ شَرّاً، أغلق عنه بابَ العمل، وفتح عليه بابَ الجدَل.

[٥] وقصَّ إنسانٌ شاربَ معروف، فلم يفتُر من الذِّكرِ، فقال: كيف أَقُصُّ؟ قال: أنتَ تعمل، وأنا أعمل.

[٦] وقيل: اغتابَ رجلٌ عند معروف، فقال: اذكرِ القُطنَ إذا وُضِعَ على عَينَيك.

[٧] وعنه قال: ما أكثر الصَّالحين، وما أقل الصَّادقين.

[٨] وعنه: من كابر الله، صَرعه، ومن نازعه، قَمَعَه، ومن ماكَرَهُ خَدعه، ومن تَوكَّل عليه، مَنَعه، ومَن تواضعَ له، رفعه، كلامُ العبد فيما لا يعنيه خِذْلانٌ من الله.

[٩] وعنه: مَنْ لَعَن إمامَه، حُرِمَ عَدْله.

[١٠] وعن ابن شِيرويه: قلتُ لمعروفٍ: بلغني أنَّك تَمشي على الماء قال: ما وقعَ هذا، ولكن إذا هَممت بالعُبورِ، جُمِع لي طَرفا النهر، فأتخطَّاهُ.

[١١] محمد بن منصور الطوسي قال: كنت عند معروف، ثم جئت، وفي وجهه أثرٌ، فسئل عنه، فقال للسائل: سل عما يعنيك عافاك الله، فأقسم عليه، فتغيَّر وجهُه،

---

(١) انظر السير: ٩/ ٣٣٩-٣٤٥.

ثم قال: صلَّيتُ البارحة، ومضيتُ، فطفتُ بالبيت، وجئت لأشرب من زمزم، فزلقتُ، فأصاب وجهي هذا.

[١] ابن مسروق: حدَّثنا يَعقوبُ ابنُ اخي معروف، أنَّ معروفاً استَسقى لهم في يومٍ حارّ، فما اسْتَتَمُّوا رفع ثيابهم حتى مُطِروا.

وقد استُجيب دعاءُ معروف في غيرِ قضيَّة، وأفرد الإمامُ أبو الفرج ابنُ الجوزي مناقبَ معروفٍ في أربع كَراريس.

[٢] قال عُبيدُ بنُ محمد الورَّاق: مرَّ معروفٌ، وهو صائم بسقَّاء يقول: رحَم الله من شَرب، فشرِبَ رجاءَ الرحمة.

مات معروفُ سنةَ مئتين.

٤٢١ الخُرَيْبي (خ، ٤)[١]

[٣] **عبد الله بن داود بن عامر، الإمامُ الحافظُ القُدوة، أبو عبدالرحمن الهَمْداني، ثم الشَّعْبيُّ، الكوفي، ثم البَصْريُّ، المشهورُ بالخُرَيبي لنزُوله محلَّةَ الخُرَيْبَةِ بالبصرة.**

وقد قطَعَ الحديثَ قبل موته بأعوام، وكان ثقةً عابداً ناسكاً.

[٤] وقال محمدُ بنُ يَحيى الذُّهلي: سألتُ الخرَيْبيَّ عن التوكل، فقال: أرى التوكُّلَ حُسْنَ الظنَ بالله.

[٥] عن الخَريبي، قال: كانوا يَستَحبُّون أن يكون للرجل خبيئةٌ من عملٍ صالحٍ لا تَعلَم به زوجته ولا غيرُها.

[٦] وقال زيدُ بن أخزم: سمعتُ عبدَ الله بنَ داود يقولُ: مَنْ أمكنَ الناس من كل ما يريدون، أضَرُّوا بدِينِهِ ودنياه.

---

(١) انظر السير: ٩/٣٤٦-٣٥٢.

[١] أبو العَيْنَاء قال: أتيت عبد الله بنَ داود، فقال: ما جاء بكَ؟ قلتُ: الحديث، قال: اذهب فتحفَّظِ القرآنَ، قلتُ: قد حفظْتُ القرآنَ، قال: اقرأ ﴿واتْلُ عَلَيْهِم نَبَأَ نُوحٍ . . .﴾ [يونس: ٧١]، فقرأتُ العَشْرَ حتى أنفذْتُه، فقال لي: اذهب الآن فتعلَّمِ الفرائض، قلتُ، قد تعلمت الصُّلْب والجدَّ والكُبَر(٢). قال: فأيُّما أقربُ إليك ابنُ أخيك أو عمُّك؟ قلت: ابنُ أخي، قال: ولم؟ قلت: لأن أخي من أبي، وعمي من جدي، قال: اذهب الآن، فتعلَّم العربيَّة، قلت: قد عَلِمتُها قبل هذين، قال: فلِمَ قال عمر - يعني حين طُعِن - يالَلَّه، يا لِلْمسلمين، لم فتح تَلْكَ وكسر هذه؟ قلتُ: فتح تلكَ اللامَ على الدُّعاء وكسر هذه على الاستغاثة والاستنصار، فقال: لو حدَّثتُ أحداً، لحدَّثتُك.

[٢]قال أبو نصر بنُ ماكولا: كان الخُرَيْبِيُّ عسِراً في الرواية.

قلتُ: لقيه البخاريُّ، ولم يسمع منه، واحتاج إليه في الصَّحيح، فروى عن مُسَدَّدٍ عنه، وعن الفَلَّاس عنه، وعن نصر بن علي عنه، وترك التحديث تديُّناً إذ رأى طَلَبَهم له بنِيَّةٍ مدْخولة.

قال الخُرَيْبِيُّ: ولدت سنة ست وعشرين ومئة.

ومات سنة ثلاث عشرة ومئتين.

٤٢٢ يَزيدُ بن هارون (ع)(٢)

[٣]**ابن زاذي، الإمــامُ القــدوةُ، شيـخُ الإسـلام، أبـو خالـد السُّلمي، مَوْلاهم الواسِطي، الحافظ.**

مولده في سَنةَ ثمان عشرة ومئة.

وقال أحمدُ بنُ حنبل: كان يَزيدُ حافظاً متقناً.

---

(١) أي: مسائل الفرائض الكبرى.

(٢) انظر السير: ٩/٣٥٨- ٣٧١.

[١] قال أحمد بن سِنان القَطّان: ما رأينا عالماً قطُّ أحسنَ صلاةً مِن يزيدَ بنُ هارون، لم يكن يفْتُر من صلاةِ الليلَ والنَّهار.

[٢] قال أبو حاتِم الرَّازيُّ: يزيدُ ثقةٌ إمامٌ، لا يُسألُ عن مثله.

[٣] عن عاصمٍ بن عليٍّ قال: كنتُ أنا ويزيد بن هارون عند قَيسِ بن الرَّبيع، فأما يزيدُ، فكان إذا صلَّى العَتَمَة، لا يزالُ قائماً حتى يُصلِّيَ الغداةَ بذلك الوضوءِ، نَيِّفاً وأربعين سنة.

[٤] وقال أحمد بن عبدالله العِجْليُّ: يزيدُ بن هارون ثقةٌ ثَبتٌ متعبِّدٌ حَسَن الصلاة جداً، يُصلِّي الضُّحى ستَّ عشرة ركعةً، بها من الجَوْدة غيرُ قليل، قال: وكان قد عَمِي.

قال يعقوب بن شَيبة: كان يزيدُ يُعَدُّ من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

[٥] يحيى بن أكثم، قال: قال لنا المأمون: لولا مكانُ يزيدَ بنِ هارون، لأظهرتُ القرآن مخلوق، فقيل: ومن يزيدُ حتى يُتَّقى؟ فقال: ويحكَ إنِّي لأرتضيه لا أَنَّ له سَلْطَنَة، ولكن أخافُ إن أظهرتُه، فيردُّ علي، فيختلفُ الناس، وتكون فتنة.

[٦] قال أبو نافع سِبْط يزيدَ بنِ هارون: كنتُ عند أحمد بنِ حنبل، وعنده رجلان، فقال أحدُهما: رأيتُ يزيدَ بنَ هارون في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، وشفعني، وعاتبني، وقال: أُتحدِّث عن حَريزِ بن عثمان؟ فقلتُ: يا ربِّ ما علِمتُ إلا خيراً، قال: إنه يُبغِضُ علياً رضي الله عنه، وقال الرجلُ الآخر: رأيتُه في المنام فقلتُ له: هل أتاك منكرٌ ونكير؟ قال: إي والله، وسألاني: مَنْ ربُّك؟ وما دينُك؟ فقلتُ: ألِمثلي يُقَالُ هذا، وأنا كنتُ أعْلَمَ الناس بهذا في الدنيا؟ فقالا لي: صدقْتَ.

توفي يزيدُ بواسط سنة ستٍّ ومئتين.

[١] وقال أحمد بن سِنان: ما رأيتُ عالماً قطُّ أَحْسَنَ صلاةً من يزيد بن هارون، يقومُ كأنَّه أُسطوانة.

[٢] وروى المَرُّوذي عن جعفرِ بن مَيمون حكايةً تدلُّ على أَنَّ يزيد بن هارون كان صاحبَ مُزاح، وكان يتأدَّبُ بحضورِ الإمام، ولا يُمازِحُهُ.

[٣] الطبراني: حدثنا المَعْمَري، سمعتُ خَلَفَ بنَ سالم يقول: كنَّا في مجلس يزيد ابن هارون، فمزح مع مُستمْلِيه، فتنَحنَح أحمدُ بنُ حنبل، فقال يزيدُ: مَنِ المُتَنَحْنِح؟ فقيل له: أحمد بن حنبل، فضرب يزيدُ على جَبِينه وقال: ألا أعلمتموني أنَّ أحمد ها هنا حتى لا أَمزح.

ومِن طبقةٍ على رأسِ المئتين، وَهيَ العَاشِرَة

٤٢٣ سُلَيم بن عيسى(١)

[٤] ابن سُليَم، شيخ القُراء، أبو عيسى، وأبو مُحمد الحنفي مولاهم الكوفي، تلميذُ حمزة، وأحذقُ أصحابه، وهو خَلَفُهُ في الإقراء.

[٥] قال الدُّوريُّ: قال لي الكسائيُّ: كنتُ أقرأُ على حمزةَ، فجاء سُليَم فتلكَّأْتُ، فقال حمزةُ: تَهابُهُ ولا تهابُني؟ قلتُ: أيُّها الأستاذُ، أنت إنْ أخطأتُ، قوَّمْتَني، وهذا إن أخطأْتُ عَيَّرني.

[٦] وقيل: إن سُلَيماً تلا على حمزةَ بنِ حبيب عشْرَ ختم.

مات سُليَم سنةَ ثمانٍ وثمانين ومئة.

٤٢٤ عليّ الرِّضىٰ(٢)

[٧] الإمام السَّيِّد، أبو الحسن، عليّ الرِّضى بن موسى الكاظم، بن جَعفر الصَّادق، ابن محمد الباقر، بن علي، بن الحسين، الهاشِميُّ العَلَويُّ المدني وأُمهُ نُوبيَّة

(١) انظر السير: ٩/٣٧٥-٣٧٦. (٢) انظر السير: ٩/٣٨٧-٣٩٣.

اسمها سُكَينة.

مولده بالمدينة في سنة ثمان وأربعين ومئة عام وفاة جدِّه.

يقال: أفتى وهو شابٌّ في أيَّام مالك. استدعاه المأمونُ إليه إلى خُراسان، وبالغ في إعظامه، وصيَّره وليَّ عهده، فقامت قيامة آل المنصور، فلم تَطُل أيامُه، وتوفِّي.

[١] وعن عليِّ بنِ موسى الرِّضىٰ، عن أبيه قال: إذا أَقبلَتِ الدُّنيا على إنسان، أَعطته محاسنَ غيره، وإذا أَدبرت عنه، سَلَبَتْه محاسنَ نفسِه.

[٢] قال الصُّوليُّ: حدثنا أحمد بن يحيى أنَّ الشَّعبي قال: أفخرُ بيتٍ قيل قولُ الأنصار يوم بدر:

وبِبِئْر بَدر إذ يَرُدُّ وُجُوههم جِبرِيلُ تَحت لوائِنا ومحمدُ

[٣] ثم قال الصُّوليُّ: أفخر منه قولُ الحسنِ بنِ هانيء في عليٍّ بنِ موسى الرِّضى:

قيل لي أَنْتَ واحِدُ الناس في كُـ ـلِّ كلامٍ من المقال بَدِيهِ
لَكَ في جَوْهَر الكَلَام بَديعٌ يُثمرُ الدُّرَّ في يَدي مُجتَنيه
فَعَلَامَ تَركتَ مَدْحَ ابنِ موسى بالخِصال التي تجمَّعنَ فيهِ
قُلت: لا أَهتدي لمَدحِ إمامٍ كان جِبرِيلُ خادِماً لأبيه

[٤] قُلتُ: لا يسوغُ إطلاقُ هذا الأخير إلا بتَوقيف، بل كان جبريل مُعَلِّم نبيِّنا ﷺ، وعليه.

[٥] وعن أبي الصَّلت قال: سمعتُ عليَّ بن موسى بالموقف يدعو: اللهم كما سترتَ عليَّ ما أعلمُ فاغفِر لي ما تَعلمُ، وكما وسِعَنِي علمُك، فَلْيَسَعْني عَفوُكَ، وكما أَكرَمتَني بمعرفتك فاشفَعها بمغفرتك يا ذا الجَلالِ والإكرام.

توفي سنة ثلاثٍ ومئتين كهلا.

قال ابن جرير: دخلت سنةُ ثلاثٍ، فسار المأمونُ إلى طُوس، وأقام عند قبر أبيه الرشيدِ أياماً، ثم إنَّ عليَّ بنَ موسى أكل عِنباً، فأكثر منه، فماتَ فجأةً في آخر صفر فدُفِنَ عند الرشيد، واغتمَّ المأمون لموته.

[١]قال المبرِّد: عن أبي عثمان المازني قال: سُئِلَ عليُّ بن موسى الرِّضى: أيكلِّف الله العباد مالا يُطيقون؟ قال: هو أعدلُ من ذلك، قيل: فيستطيعون أنْ يفعلوا ما يريدون؟ قال: هم أعجزُ من ذلك.

[٢]قيل: قال المأمون للرِّضى: ما يقولُ بنو أبيكَ في جَدِّنا العبَّاس؟ قال: ما يقولونَ في رجلٍ فَرَض اللهُ طاعةَ نبيِّه على خلقه، وفرض طاعته على نبيِّه. وهذا يوهِمُ في البديهة أنَّ الضميرَ في طاعتِه للعبَّاس، وإنما هو لله ـ فأمر له المأمون بألف ألف درهم.

[٣]قيل: إنَّ أخاه زيداً خرج بالبصرةِ على المأمون، وفَتَكَ، وعسفَ فنَفَّذ إليه المأمونُ عليَّ بنَ موسى أخاه ليُردَّه، فسارَ إليه فيما قيل، وقال: ويلك يا زيدُ، فعلتَ بالمسلمين ما فعلتَ، وتزعمُ أنَّك ابنُ فاطمة؟! والله لأشدُّ الناسِ عليك رسولُ الله ﷺ، ينبغي لمن أخذَ برسول الله أن يُعطي به، فبلغ المأمونَ، فبكى، وقال: هكذا ينبغي أن يكونَ أهلُ بيتِ النُّبُوَّة هكذا.

[٤]وقد كان عليُّ الرِّضى كبيرَ الشَّأن، أهلاً للخِلافة، ولكن كَذَبت عليه وفيه الرَّافضةُ، وأطرَوه بما لايجوزُ، وادعوا فيه العِصمة، وغلت فيه، وقد جعل الله لكلِّ شيءٍ قدراً.

٤٢٥ الحُسين بن علي الجُعفي (ع)(١)

[٥]ابن الوليد، الإمامُ القُدوةُ الحافظُ المقرئُ المجوِّد الزَّاهد، بقيةُ الأعلام، أبو عبدالله، وأبو محمد الجُعفي مولاهم الكوفي.

قرأ القرآنَ على حمزةَ الزَّيات، وأتقنه، وأخذ الحروفَ عن أبي عمرو بن العَلاء، وعن أبي بكر بن عَيَّاش.

---

(١) انظر السير: ٩/٣٩٧ـ ٤٠١.

[١] قال أحمدُ بن حنبل: ما رأيتُ أفضلَ من حُسين الجُعفي ـ يُريد بالفضل التقوى والتألُّه ـ هذا عُرفُ المتقدِّمين.

[٢] وقال قُتيبة: قيل لسفيان بن عُيينة: قدِم حسينٌ الجُعفيُّ، فوثب قائماً، وقال: قَدِم أفضلُ رجلٍ يكون قطُّ.

[٣] وقال موسى بنُ داود: كنتُ عند ابن عُيينة، فجاء حُسينٌ الجعفي فقام سُفيان، فقبَّل يدَه.

[٤] وروى أبو هشام الرِّفاعي عن الكِسائي، قال: قال لي هارونُ الرَّشيد: مَن أقرأُ الناس؟ قلتُ: حسينٌ الجعفي.

[٥] قال حُمَيد بن الـرَّبيع: رأى حسينٌ الجعفيُّ كأنَّ القِيامةَ قد قامت وكأنَّ مُنادياً ينـادي: لِيَقُمِ العُلمـاءُ، فيدخلوا الجنة، قال: فقاموا: وقُمت معهم. قيل لي: اجلس، لستَ منهم، أنت لا تُحدِّثُ، قال: فلم يزل بَعْدُ يحدثُ بعدَ أن كان لا يُحدِّث حتى كتبنا عنه أكثرَ من عشرة آلاف حديث.

قال أحمدُ بنُ عبدالله العِجليُّ: حسينٌ الجعفي ثِقة، كان يُقرىءُ القرآنَ، رَأْسٌ فيه، وكان رجلاً صالحاً، لم أرَ رجلاً قطُّ أفضلَ منه.

قال: كان جميلاً لبَّاساً يخِضبُ وخضَابُه إلى الصُّفرة.

قيل: إنَّ مولده في سنة تسع عشرة ومئة. وتوفي في سنة ثلاث ومئتين، وله بضع وثمانون سنة.

٤٢٦ الحَفَريّ (م، ٤)[١]

[٦] **الإمامُ الثَّبتُ القُدوةُ الوَليُّ، أبو داود، عمرُ بنُ سعد الحَفري، الكوفي، العابد.**

والحَفَر: موضعٌ بالكوفة، وهو بكُنيته أشهر.

---

(١) انظر السير: ٩/٤١٥ـ٤١٧.

[١] حُكي أنَّهُ أبطأَ يوماً في الخروج إلى الجماعة، ثم خرج، فقال: أعتِذرُ إليكم، فإنَّه لم يكن لي ثوب غيرُ هذا، صلَّيتُ فيه، ثم أعطيتُه بناتي حتى صَلَّينَ فيه. ثم أخذتُه، وخرجتُ إليكم.

[٢] قال وكيعُ بنُ الجرّاح: إن كان يُدفع بأحدٍ في زماننا، فبأبي داودَ الحَفَري.

وقال عليُّ بن المديني: لا أعلمني رأيتُ بالكوفة أعبدَ منه.

[٣] وكان إذا أراد أن ينتثر، خرجَ من المسجد، وكان مسجدُهُم مُحَصَّباً، فقيل: أليس كفارتُها دفنَها؟ فيقولُ: لعلِّي أُؤْخَذ قبل أن أُكَفِّر.

[٤] وتزَّوج بامرأةٍ، فأصدَقَها ثلاثةَ دنانير، وكان قُوتُه كلَّ ليلةٍ قُرصَين، وبفلسٍ فجل أو هندَبا.

قال أبو حمدون الطَّيبُ المُقرئ: دفنَّا أبا داود الحَفري رحمه الله، وتركنا بابه مفتوحاً، ما كان في البيت شيْ.

مات في سنة ثلاث ومئتين.

قلتُ: ماتَ وقد شاخ، أحسبُه من أبناء السَّبعين.

٤٢٧ الواقِديّ(١)

[٥] **محمد بن عُمر بن واقِد الأسلمي مولاهم الواقديُّ المدينيُّ القاضي، صاحبُ التَّصانيف والمغازي، العلَّامة الإمام أبو عبدالله، أحدُ أوعيةِ العِلمِ على ضعفِه المتَّفق عليه.**

وُلد بعد العشرين ومئة.

وجمعَ، فأوعى، وخَلَطَ الغثَّ بالسَّمين، والخَرَزَ بالدُّرِّ الثَّمين، فاطَّرحوه لذلك، ومع هذا فلا يُستغنى عنهُ في المغازي، وأيامِ الصَّحابة وأخبارِهم.

(١) انظر السير: ٩/٤٥٤- ٤٦٩.

قدم بغـداد في دينٍ لحقَـه سنة ثمانين ومئة، فلم يَزَل بها، وخرجَ إلى الشَّام والرَّقَّة، ثم رجعَ، فولَّاه المأمونُ القَضاء، إذ قَدِمَ من خراسان، ولاّهُ القضاءَ بعسكرِ المَهدي، فلم يزل قاضياً حتى ماتَ ببغداد سنةَ سبع ومئتين.

وقال الخطيب: هو ممَّن طبَّق ذِكرُهُ شرقَ الأرضِ وغربَها، وسارت بكُتُبه الرُّكبانُ في فُنون العلم من المغازي والسِّير والطبقاتِ والفقهِ، وكان جَواداً كريماً مشهوراً بالسَّخاء.

قد كانت للواقديِّ في وقْتِه جَلالةٌ عجيبةٌ، ووقعٌ في النُّفوسِ بحيث إنَّ أبا عامرٍ العَقَدِيَّ قال: نحنُ نُسألُ عن الواقدي؟ ما كان يُفيدنا الشُّيوخَ والحديثَ إلا الواقديُّ.

[١] قال ابنُ سعدٍ: كان الواقديُّ يقولُ: ما مِن أحدٍ إلا وكُتُبه أكثر من حفظه، وحفظي أكثرُ من كتبي.

[٢] وعن أبي حُذافة السَّهميِّ قال: كان للواقديِّ ستُّ مئة قِمَطْر(١) كُتب.

[٣] قلتُ: لا شيءَ للواقديِّ في الكتب السِّتَّة إلا حديثٌ واحد، عند ابن ماجة، حدثنا ابنُ أبي شَيبة، حدثنا شيخٌ لنا، فما جَسَر ابنُ ماجة أن يُفصِح به، وما ذاك إلا لوَهنِ الواقديِّ عند العلماء، ويقولون: إنَّ ما رواهُ عنه كاتبه في «الطبقات» هو أمثلُ قليلاً من رواية الغير عنه.

قال عبَّاس الدُّوريُّ: ماتَ الواقديُّ وهو على القضاء، وليس له كَفَنٌ، فبعث المأمونُ بأكفانه.

[٤] وقد تقرَّر أنَّ الواقديَّ ضعيفٌ، يُحتاجُ إليه في الغَزَوات، والتَّاريخ ونُورِدُ آثارَهُ من غير احتجاجٍ، أمَّا في الفرائضِ، فلا ينبغي أن يُذكَرَ، فهذه الكتُب السِّتَّة، ومسندُ أحمد، وعامَّةُ مَن جمع في الأحكام، نراهم يترخَّصون في إخراجِ أحاديث أُناس

---

(١) القِمطر، والقِمَطْرةُ: ما تصان فيه الكتب.

ضُعفاء، بل ومتروكين، ومع هذا لا يُخرجون لمُحمد بنِ عُمر شيئاً، مع أنَّ وزنَه عندي أنَّه مع ضعفه يُكتب حديثُه ويروىٰ لأنِّي لا أتَّهِمُه بالوضع، وقولُ من أهدره فيه مُجازفَةٌ من بعضِ الوجوه كما أنَّه لا عبرةَ بتوثيقِ من وثَّقه، كيزيد، وأبي عُبيد، والصَّاغاني، والحَربي، ومعن، وتَمام عشرة مُحدِّثين، إذ قد انعقد الإجماعُ اليوم على أنَّه ليسَ بحُجَّة، وأنَّ حديثَه في عِداد الواهي، رَحِمه الله.

٤٢٨ أبو عاصم (ع)(١)

[١] **الضَّحاكُ بن مَخلَد، بن الضَّحاك، الإمامُ الحافظُ شيخُ المحدِّثين الأثبات، أبو عاصم الشَّيبانيُّ، مولاهم، ويقال: من أَنفُسهم، البصري، وأمُّه من آل الزُّبير، وكان يَبيع الحرير.**

ولد سنة اثنتين وعشرين ومئة.

[٢]وقال البخاريُّ: سمعتُ أبا عاصمٍ يقولُ: منذ عَقَلتُ أنَّ الغِيبة حرامٌ، ما اغتَبتُ أحداً قطُّ.

[٣]وروى أبـو عُبيد الآجُرِّيُّ عن أبي داود قال: كان أبو عاصم يحفظُ قدر ألفِ حديث من جيِّد حديثِه، وكان فيهِ مُزَاحٌ، ويُقال: إنما قيل له النبيل، لأنَّ فيلاً قدِم البَصرة، فذهبَ الناسُ يَنظُرون إليه، فقال له ابنُ جُريج: مالك لا تنظر؟ قال: لا أجد منك عِوضاً، قال: أنتَ نبيل. وبعضُهم نقل أنَّ أبا عاصم كان ضَخم الأنفِ، فتزَّوج امرأةً، فلما خلا بها دنا منها ليُقبِّلها، فقالت: نحِّ ركبتَكَ عن وَجهِي قال: ليسَ ذا رُكبَةٌ، إنما هو أنفٌ.

وقيل: لأنَّه كان يَلبس الخَزَّ وجَيِّد الثِّياب، وكان إذا أَقبَل، قال ابنُ جُريج: جاءَ النبيلُ.

---

(١) انظر السير: ٩/ ٤٨٠- ٤٨٥.

وقيل لأنَّ شُعبة حَلف ألَّا يُحدِّث أصحابَ الحديث شهراً، فقصده أبو عاصم فدخل مجلسَه، وقال: حدِّث وغلامي العطَّارُ حُرٌّ لوجه الله كفارةً عن يمينك، فأعجَبه ذلك.

[١] قال محمد بن عيسى الزَّجّاج: سمعتُ أبا عاصم يقولُ: مَن طلبَ الحديثَ، فقد طلب أعلى الأمور، فيجبُ أن يكون خيرَ الناس.

تُوفي في سنة اثنتي عشرة.

٤٢٩ يحيى ابن آدم (ع)[١]

[٢] **ابن سليمان، العلَّامةُ، الحافِظُ، المجوِّدُ، أبو زكريَّا الأُمويُّ، وُلد بعد الثلاثين ومئة.**

وقال يعقوبُ بنُ شَيبة: ثقةٌ، كثيرُ الحديث، فقيهُ البدن، ولم يكن له سنٌّ متقدم، سمعتُ علياً يقولُ: يرحمُ الله يحيى بنَ آدم، أيُّ علمٍ كانَ عنده! وجعلَ عليٌّ يُطريه. وسمعتُ عُبيد بنَ يعيش، سمعتُ أبا أُسامة يقولُ: ما رأيتُ يحيى بنَ آدم قطُّ، إلا ذكرتُ الشَّعبيَّ ـ يُريد أنَّه كان جامعاً للعلم.

[٣] وقال محمدُ بنُ غيلان: سمعتُ أبا أُسامةَ يقولُ: كان عُمر في زمانه رأسَ النَّاسِ، وهو جامعٌ، وكان بعدَه ابنُ عباس في زمانه، وبعدَهُ الشَّعبيُّ في زمانه، وكان بعده سُفيانُ الثَّوري، وكان بعد الثَّوريِّ يحيى بن آدم.

[٤] قلتُ: قد كان يحيى بنُ آدم من كبار أئمة الاجتهاد، وقد كان عُمَرُ كما قال في زمانه، ثم كان عليٌّ وابن مسعود، ومعاذٌ، وأبو الدَّرداء، ثم كان بعدهم في زمانه زيدُ بن ثابت، وعائشةُ، وأبو موسى، وأبو هُريرة، ثم كان ابنُ عباسٍ، وابنُ عمر، ثم عَلقمةُ، ومَسروق، وأبو إدريس، وابنُ المسيِّب.

---

(١) انظر السير: ٩/٥٢٢-٥٢٩

[١]ثُم عُروة، والشَّعبيُّ، والحسنُ، وإبراهيم النَّخعيُّ، ومُجاهد، وطاووس، وعِدَّة، ثم الزُّهريُّ، وعُمر بن عبدالعزيز، وقَتادةُ، وأيُّوب، ثم الأعمش، وابنُ عَونٍ، وابن جُريج، وعُبيد الله بنُ عمر، ثم الأوزاعيُّ، وسُفيان الثَّوريّ، ومَعمَرٌ، وأبو حنيفة، وشُعبة، ثم مالكٌ، واللَّيثُ، وحمَّاد بنُ زيد، وابنُ عُيينة، ثم ابنُ المبارك، ويَحيى القطَّان، ووكيعٌ وعبدُ الرحمن، وابنُ وهب، ثم يَحيى بنُ آدم، وعفَّانُ، والشَّافعيُّ، وطائفةٌ، ثم أحمدُ، وإسحاقُ، وأبو عبيد، وعليُّ بنُ المديني، وابنُ معَين، ثم أبو محمد الدَّارميُّ، ومحمد بنُ إسماعيل البخاري، وآخرون من أئمة العلم والاجتهاد.

واتفق موتُه غريباً في سنة ثلاثٍ ومئتين.

[٢] قال هِشامُ بنُ مَنصور: سمعتُ أحمدَ بن حنبل يقولُ: قال لي يَحيى بن آدم: يَجيئُني الرَّجُلُ ممَّن أُبغضُه، وأكرهُ مجيئه، فأقرأُ عليه كُلَّ شيءٍ معه، لأستريحَ منه، ولا أراه، ويجيءُ الرجلُ أَوَدُّه، فأُرَدِّدُهُ حتى يرجعَ إليَّ.

٤٣٠ عَبد الرزاق بن هَمَّام (ع)(١)

[٣]**ابنِ نافع، الحافظ، عالمُ اليمَن، أبو بكر الحِميري، مولاهم الصَّنعانيُّ الثِّقة الشِّيعيُّ.**

وُلد سنة ست وعشرين ومئة.

[٤]قال عليُّ بن المَديني: قال لي هشامُ بنُ يوسف: كان عبدُ الرَّزاق أعلمَنا وأحفظَنا.

[٥]قلتُ: هكذا كان النُّظراءُ يعترفون لأقرانهم بالحفظ.

وفي المسند قال أحمد بنُ حنبل: ما كان في قرية عبدالرزاق بئرٌ فكنَّا نذهَبُ

(١) انظر السير: ٩/٥٦٣-٥٨٠.

نبكر على ميلين نتوضأُ، ونحملُ معنا الماء.

[١]وقال أبو عَمرو المُستَملي: سمعتُ محمدَ بنَ رافع يقولُ: كنتُ مع أحمد وإسحاقَ عند عبدِ الرزَّاق، فجاءَنا يومُ الفطرِ، فخرجنا مع عبدِ الرزَّاق إلى المُصلَّى، ومعنا ناسٌ كثير، فلما رَجعنا، دعانا عبدُ الرزَّاق إلى الغداء، ثم قال لأحمدَ وإسحاق: رأيتُ اليومَ منكما عجباً، لم تُكبِّرا، فقال أحمدُ وإسحاق: يا أبا بكرٍ، كنا ننتظرُ هل تُكبِّر، فنُكَبِّر، فلمَّا رأيناكَ لم تُكبِّر، أمسكنا، قال: وأنا كنتُ أنظرُ إليكما، هل تُكبِّران فأُكبِّر.

[٢]الحسن بن سُفيان: سمعتُ فيَّاض بن زُهير النَّسائي، يقولُ: تشفَّعنا بامرأةِ عبدالرَّزاق عليه، فدخلنا، فقلنا: هاتُوا، تشفَّعتمُ إليَّ بمن يَنقلبُ معي على فراشي؟ ثم قال:

ليسَ الشفيعُ الذي يَأتيك مُتَّزِراً ... مثلَ الشَّفيعِ الذي يَأتيكَ عُريانا

[٣]قال عبدُ الرزَّاق: قدمتُ مكَّةَ مَّرةً، فأتاني أصحابُ الحديث يومين ثم انقطعوا عني يومين، أو ثلاثةً، فقلتُ: ياربِّ ما شأني؟ أكذَّابٌ أنا؟ أيُّ شيءٍ أنا؟ قال فجاؤوني بعد ذلك.

[٤]العُقيلي في كتاب «الضُّعفاء» له، في ترجمة عبدالرزَّاق: حدثنا محمدُ بنُ أحمدَ ابن حمَّاد، سمعتُ محمدُ بن عثمان الثَّقفي، قال: لمّا قَدِمَ العبَّاسُ بنُ عبدالعظيم من عندِ عبدِ الرَّزاق من صَنعاء، قال لنا ـ ونحن جماعة ـ أَلستُ قد تَجشَّمتُ الخُروجَ إلى عبد الرَّزاق، فدخلتُ إليه، وأقمتُ عنده حتى سمعتُ منه ما أردتُ؟ واللهِ الذي لا إله إلا هو، إنَّ عبدالرزَّاق كذَّابٌ، والواقديُّ أصدقُ منه.

[٥]قلتُ: بل واللهِ ما برَّ عبَّاسٌ في يمينه، ولَبِئْسَ ما قال، يَعْمَدُ إلى شيخِ الإسلام، ومُحدِّث الوقتِ، ومَنِ احتجَّ به كلُّ أرباب الصِّحاح ـ وإن كان له أوهامٌ مَغمورةٌ، وغيرهُ أبرعُ في الحديث منه ـ فيرميه بالكَذِب، ويُقَدِّم عليه الواقديُّ الذي أجمعت

الحُفَّاظُ على تركه، فهو في مقالته هذه خارقٌ للإجماع بيقين.

[١] قال العُقيليُّ: سمعتُ عليَّ بنَ عبدالله بن المبارك الصَّنعاني يقولُ: كان زيدُ بنُ المبارك، قد لزم عبدَ الرَّزَّاق، فأكثر عنه، ثم خَرَق كُتُبَه، ولزم محمدَ بن ثَور، فقيل له في ذلك، فقال: كنا عند عبدِ الرزَّاق، فحدثنا بحديثِ معمر، عن الزُّهريِّ، عن مالك بن أوس بن الحدثان... الحديث الطويل. فلمَّا قرأ قولَ عُمَرَ لعليٍّ والعباس: فجئتَ أنت تطلبُ ميراثَك من ابنِ أخيك، وجاء هذا يطلبُ ميراثَ امرأتِه، قال عبدُ الرَّزاق: انظروا إلى الأنوك، يقولُ: تطلب أنتَ ميراثك من ابن أخيك، ويطلبُ هذا ميراثَ زوجتِه من أبيها، لا يقول: رسول الله ﷺ. قال زيدُ بنُ المبارك: فلم أَعُد إليه ولا أروي عنه.

[٢] قلتُ: هذه عظيمةٌ، وما فهم قولَ أميرِ المؤمنين عُمر، فإنَّك يا هذا لو سَكَتَّ، لكان أولى بك، فإنَّ عُمر إنما كان في مقام تبيين العُمُومة والبُنُوَّة، وإلا فعُمر رَضي الله عنه أَعلمُ بحقِّ المصطفى وبتوقيرِه وتعظيمِه من كُلِّ مُتَحذْلِقٍ متنطِّع، بل الصَّوابُ أن نقول عنك: انظروا إلى هذا الأنوكِ الفاعل ـ عفا الله عنه ـ كيف يقولُ عن عُمَرَ هذا، ولا يقولُ: أميرُ المؤمنين الفاروق؟! وبكُلِّ حالٍ فنستغفرُ الله لنا ولعبدِ الرَّزّاق، فإنَّه مأمونٌ على حديثِ رسول الله ﷺ، صادقٌ.

[٣] قال العُقيليُّ: حدثنا أحمدُ بنُ محمد: سمعتُ أبا صالح محمد بنَ إسماعيل الضِّراريَّ يقول: بلغَنا ونحن بِصنعاء عند عبدِ الرَّزّاق أنَّ أصحابَنا، يحيى بنَ مَعين، وأحمد بنَ حنبل وغيرهما، تركوا حديثَ عبد الرَّزّاق وكرهُوه، فدخَلنا من ذلك غَمٌّ شديدٌ، وقُلنا: قد أنفقنا، ورَحلنا وتَعبنا، فلم أزَل في غَمٍّ من ذلك إلى وقتِ الحجِّ، فخرجتُ إلى مكَّةَ فلقيتُ بها يَحيى بن مَعين، فقلتُ له: يا أبا زكريا، ما نزلَ بنا من شيءٍ بلغَنا عنكم في عبدِ الرَّزاق؟ قال: ما هو؟ قُلنا: بلغَنا أنكم تركتُم حديثَه ورغبتُم عنه، قال: يا أبا صالح، لَوِ ارتدَّ عبدُ الرَّزَّاقِ عن الإسلام ما تركنا حديثَه.

[١] سَلَمة بنَ شَبيب، سمعتُ عبدالرَّزَّاق، يقولُ: ما انشرحَ صدري قطُّ أنْ أُفضِّل علياً على أبي بكر وعُمر، فرحمهما الله، ورحم عثمان وعلياً من لم يُحبهم فما هو بمؤمن، أوثقُ عملي حُبِّي إياهم.

توفي عبد الرَّزَّاق في سنة إحدى عشرة ومئتين.

٤٣١ عليُّ بن بَكار(١)

[٢] **الإمامُ الرَّبانيُّ العابد، أبو الحسن، البَصريُّ الزَّاهد، نزيلُ المِصِّيصة، ومُريدُ إبراهيم بن أدهم.**

[٣] قال يوسفُ بنُ مسلم: بكى عليُّ بنُ بَكَّار، حتى عَمِي، وكان قد أثَّرت الدموع في خَدَّيه.

[٤] قلتُ: وكان فارساً، مُرابطاً، ومُجاهداً كثيرَ الغزو، فَرُوِيَ عنه أنَّه قال: واقعنا العدُّو، فانهزم المسلمون، وقصَّر بي فرسي، فقلتُ: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فقال الفرسُ: نعم، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، حيثُ تَتَّكِلُ على فلانةَ في عَلَفي، فضمنتُ أن لا يليهُ غيري.

[٥] وقال موسى بنُ طَريف: كانت الجاريةُ تَفرُشُ لعليِّ بن بكَّار، فَيلْمَسهُ بيده، ويقولُ: واللهِ إنَّك لَطيِّبٌ، واللهِ إنَّك لباردٌ، والله لا علوتُكَ الليلةَ، وكان يُصلِّي الفجر، بوضُوءِ العَتَمَة.

مات سنة سبعٍ ومئتين.

٤٣٢ النِّباجي(٢)

[٦] القُدوةُ، العابدُ، الرَّبَّانيُّ، أبو عبدالله، سعيدُ بنُ بريد الصُّوفيُّ، له كلامٌ

---

(١) انظر السير: ٩/٥٨٤ـ ٥٨٥.

(٢) انظر السير: ٩/٥٨٦.

شريفٌ، ومواعظ.

[١]روى أبو نُعيم، عن أبيه، عن خاله، أن النِّباجيَّ كانَ مُجابَ الدعوة، وله آياتٌ وكراماتٌ، كان في سفرٍ، فأصابَ رجلٌ عائنٌ ناقتَه بالعين فجاءه النِّباجيُّ، ودعا عليه بألفاظ، فخرجت حدقتا العائن، ونشطت الناقَة.

[٢]وعنه قال: لو جُعِلتْ لي دعوةٌ مجابةٌ ما سألتُ الفِردوس، ولَكُنتُ أسألُ الرِّضىٰ، فهو تعجيل الفردوس.

[٣]قال ابنُ بكـرٍ: سمعتُ النِّبَاجيَّ يقولُ: يَنبغي أَن نكونَ بدعاءِ إخوانِنا أوثَقَ منَّا بأعمالِنا، نخافُ في أعمالنا التَّقصير، ونرجو أَن نكونَ في دعائهم لنا مُخلِصين.

للنِّبَاجيِّ ترجمةٌ طويلةٌ في «الحلية».

الجزء العاشر



٤٣٣ الإمام الشافعي (خت، ٤)[١]

[١] محمد بنُ إدريسَ بنِ العباسِ بنِ عثمانَ بن شافع بن السائب بن عُبيد بن عبد يزيدَ بنِ هاشم بن المطلب بن عبدمناف.

الإمام، عالمُ العصر، ناصرُ الحديث، فقيهُ المِلَّة، أبو عبدالله القُرشي ثم المُطَّلبي الشافعي المكي، الغَزِّيُّ المولد، نسيب رسول الله ﷺ، وابن عمه، فالمُطَّلِبُ هو أخو هاشم والد عبدالمطلب.

اتفق مولدُ الإمام بغَزَّة، ومات أبوه إدريسُ شابًّا، فنشأ يتيماً في حجر أمه، فخافت عليه الضَّيعة، فتحوَّلت به إلى مَحْتِدِه وهو ابن عامين، فنشأ بمكة وأقبل على الرَّمْي، حتى فاق فيه الأقران، وصار يصيب من عشرة أسهم تسعة، ثم أقبل على العربية والشِّعر، فبرع في ذلك وتقدَّم.

حُبِّب إليه الفقهُ، فسادَ أهل زمانه.

[٢] وارتحل ـ وهو ابنُ نيِّفٍ وعشرين سنة وقد أفتى وتأهَّل للإمامة ـ إلى المدينة، فحملَ عن مالك بن أنس «المُوطأ» عَرَضَه من حِفظِه.

[٣] وصنَّف الكبار في مناقب هذا الإمام قديماً وحديثاً، ونال بعضُ الناس منه غَضّاً، فما زاده ذلك إلا رِفعةً وجلالة، ولاح للمُنصفين أنَّ كلام أقرانِه فيه بهوىً، وقلَّ مَنْ برَّز في الإمامة، وردَّ على من خالفه إلا وعُودي، نعوذ بالله من الهوى، وهذه الأوراق تضيقُ عن مناقب هذا السيد.

قال المُزَنيُّ: ما رأيتُ أحسن وجهاً من الشافعي رحمه الله وكان رُبَّما قبضَ على لحيته فلا يفضُلُ عن قبضته.

(١) انظر السير: ١٠/ ٥ ـ ٩٩

[١] قال أبـو عُبيد: ما رأيتُ أحـداً أعقـل من الشافعي، وكذا قال يُونس بن عبد الأعلى، حتى إنه قال: لو جُمعت أُمةٌ لوسعهم عقلُه.

قلتُ: هذا على سبيل المبـالغة، فإنَّ الكامِلَ العقلِ لو نَقَصَ مِن عقله نحوُ الربع، لبان عليه نَقصٌ ما، ولبقي له نُظَراء، فلو ذهب نصفُ ذلك العقلِ منه، لظهَر عليه النقصُ، فكيف به لو ذهب ثلثا عقله! فلو أنَّك أخذتَ عقولَ ثلاثةِ أنفس مثلاً، وصيَّرتَها عقلَ واحدٍ، لجاء منه كامل العقل وزيادة.

[٢]قال يُونس الصَّدَفيُّ: ما رأيتُ أعقلَ من الشافعي، ناظرتُه يوماً في مسألةٍ، ثم افترقنا، ولقيَني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتَّفِق في مسألة.

قلتُ: هذا يدلُ على كمالِ عقلِ هذا الإمام وفقهِ نفسه، فما زال النُّظَراء يختلِفُون.

[٣]وقال تميم بن عبدالله: سمعتُ سويد بن سعيد يقول: كنتُ عند سُفيان، فجاء الشـافعيُّ فسَلَّم، وجلَسَ، فروى ابنُ عُيينة حديثاً رقيقاً، فَغُشِيَ على الشافعي، فقيل: يا أبا محمد، مات محمدُ بن إدريس، فقال ابنُ عُيينة: إن كان مات، فقد مات أفضلُ أهلِ زمانه.

[٤] قال الحارثُ بن سُريج: سمعتُ يحيى القَطَّان يقول: أنا أدعو الله للشافعي، أَخُصُّه به.

[٥] المُزَني: سمعتُ الشافعيَّ يقولُ: من تعلَّمَ القرآن عظُمت قيمتُه، ومن تكلَّم في الفقه نما قدرُه، ومن كتب الحديثَ قويت حُجَّتُه، ومن نظر في اللغة رقَّ طبعُه، ومن نظر في الحساب جزل رأيُه، ومن لم يَصُنْ نفسه، لم ينفعه علمُه.

[٦] قال الربيع: سمعتُ الشافعي يقول: المِراءُ في الدين يُقَسِّي القلبَ، ويُورِثُ الضغائن.

[١]الربيعَ: سمعتُ الشافعيَّ يقولُ: وددتُ أنَّ الناسَ تعلَّموا هذا العلم ـ يعني كُتُبَه ـ على أنْ لا يُنْسَبَ إليَّ منه شيء.

[٢] أبو يحيى زكريا السَّاجِيُّ، حدثنا المُزَنيُّ، قال: قلتُ إن كانَ أحدٌ يُخرِجُ ما في ضميري، وما تَعَلَّقَ به خاطري من أمرِ التوحيد فالشافعي، فصِرْتُ إليه، وهو في مسجدِ مصر، فلما جَثوتُ بين يديه، قلتُ: هَجَس في ضميري مسألةٌ في التوحيد فعلمتُ أنَّ أحداً لا يعلمُ علمكَ، فما الذي عندَكَ؟ فغَضِبَ، ثم قال: أتَدري أين أنتَ؟ قلتُ: نعم، قال: هذا الموضعُ الذي أغرقَ الله فيه فرعونَ.

أبلغَكَ أنَّ رسولَ الله ﷺ أمر بالسؤالِ عن ذلك؟ قلتُ: لا، قال: هل تكلَّمَ فيه الصحابةُ؟ قلتُ: لا، قال: تدري كم نجماً في السماءِ؟ قلتُ: لا، قال: فكوكبٌ منها: تعرف جِنسَه، طلوعَه، أُفولَه، مِمَّ خُلِقَ؟ قلتُ: لا، قال: فشيءٌ تراهُ بعينِكَ من الخلقِ لستَ تعرِفُه، تتكلَّمُ في علم خالقه؟! ثم سألني عن مسألةٍ في الوضوء، فأخطأتُ فيها، ففَرَّعَهَا على أربعةِ أوجهٍ، فلم أُصِبْ في شيءٍ منه، فقال: شيءٌ تحتاج إليه في اليوم خمسَ مرات، تَدَعُ علمه، وتتكلَّف علمَ الخالقِ، إذا هَجَس في ضميرك ذلك، فارجِعْ إلى الله، وإلى قوله تعالى: ﴿وَإِلهكم إلـهٌ واحِدٌ لا إلـهَ إلاّ هُوَ الـرَّحمنُ الرَّحِيم، إنَّ في خَلْقِ السَّمٰوات والأَرْضِ﴾ الآية [البقرة ١٦٣-١٦٤]، فاسْتَدِلَّ بالمخلوقِ على الخالقِ، ولا تتكلَّفْ علمَ ما لم يبلُغهُ عقلُكَ، قال: فَتبْتُ.

[٣] الرَّبيع سمعتُ الشافعيَّ يقولُ: الإيمانُ قولٌ وعملٌ، يَزيدُ وينقُصُ.

[٤] وسمعتُه يقولُ: تجاوزَ الله عمَّا في القُلُوب، وكَتَبَ على النَّاس الأفعالَ والأَقاويل.

[٥] وعن الشافعيِّ قال: ما كابَرَني أحدٌ على الحقِّ ودافَع، إلا سقَطَ من عيني، ولا قَبِله إلا هبتُه، واعتقدتُ مودَّتَه.

[١]عبدالله بن أحمد بن حنبل: سمعتُ أبي يقولُ: قال الشافعيُّ: أنتم أعلمُ بالأخبارِ الصِّحَاحِ منا، فإذا كان خبرٌ صحيحٌ، فأعلِمْني حتى أذهبَ إليه، كوفياً كان، أو بصرياً أو شامياً.

[٢]قال الشافعيُّ: كلُّ ما قلتُه فكانَ من رسولِ الله ﷺ خلافُ قولي ممَّا صحَّ، فهو أولى، ولا تُقَلِّدُوني.

[٣]وقال الحُميديُّ: روى الشافعيُّ يوماً حديثاً، فقلتُ: أتأخُذُ به. فقال: رأيتَني خرجتُ من كنيسةٍ، أو عليَّ زُنَّارٌ، حتى إذا سمعتُ عن رسول الله ﷺ حديثاً لا أقول به.

[٤]الربيعُ بنُ سُليمان، قال: كانَ الشافعيُّ قد جزَّأ الليلَ، فثُلُثُه الأولُ يكتُب، والثاني يُصَلِّي، والثالث ينام.

قلتُ: أفعالُه الثلاثةُ عبادةٌ بالنيَّة.

[٥]محمدُ بنُ إسماعيل، حدثني حسين الكَرابيسي: بِتُّ مع الشافعيِّ ليلةً، فكان يُصلِّي نحو ثُلُثِ الليْل، فما رأيتُه يَزيدُ على خمسين آيةً، فإذا أكثر، فمئة آية، وكان لا يمرُّ بآية رحمةٍ إلا سأل الله، ولا بآيةِ عذابٍ إلا تعوَّذ، وكأنما جُمع له الرجاءُ والرهبةُ جميعاً.

[٦]أبو عَوَانَةَ الإسفراييني: حدثنا الربيعُ: سمعتُ الشافعيَّ يقولُ: ما شبعتُ منذ ستَّ عشرةَ سنةً إلاَّ مرَّة، فأدخلتُ يدي فتقيَّأتُها.

[٧]رواها ابن أبي حاتم عن الربيع، وزاد: لأنَّ الشبع يُثقِلُ البدنَ، ويُقسِّي القلبَ ويُزيل الفطنة، ويجلُبُ النومَ، ويُضعِفُ عن العبادة.

[٨]أبو بكر محمد بن القاسم بنِ مطر، سمعتُ الربيعَ: قال لي الشافعيُّ: عليكَ بالزُّهد فإنَّ الزهدَ على الزاهِدِ أحسنُ من الحُليِّ على المرأةِ الناهِد.

[٩]وقال الربيعُ: كان الشافعيُّ ماراً بالحذَّائين، فسقط سوطُه، فوثب غلامٌ، ومسحه بكُمِّهِ، وناوله، فأعطاه سبعةَ دنانير.

[١] أبو ثَـور، قَال: كان الشافعيُّ من أَسمح الناس، يشتري الجاريةَ الصَّناع التي تطبخ وتعمل الحَلوَاء، ويشترطُ عليها هو أن لا يَقْرَبَها، لأنَّه كان عليلاً لا يُمكِنُه أن يقرَب النساءَ لباسُورٍ به إذ ذاك، وكان يقول لنا: اشتهوا ما أردتُم.

[٢] عن الشافعيِّ: أصلُ العلمِ التَّثبيتُ، وثمرتُه السَّلامةُ، وأصلُ الورع القناعةُ، وثمرتُه الراحةُ، وأصلُ الصبرِ الحزمُ، وثمرتُه الظَّفَرُ، وأصلُ العملِ التوفيقُ، وثمرتُهُ النُّجْحُ، وغايةُ كُلِّ أمرٍ الصدقُ.

[٣] وعن الشافعي: بئسَ الزادُ إلى المَعَادِ العدوانُ على العباد.

[٤] وعنه: ضياعُ العالِم أَنْ يكونَ بلا إخوان، وضياعُ الجاهِل، قلَّة عقلِهِ، وأضيعُ منهما مَنْ واخى مَنْ لا عقلَ له.

[٥] آلاتُ الرياسةِ خمسٌ: صدقُ اللهجةِ، وكتِمانُ السِّرِّ، والوفاءُ بالعهدِ، وابتداءُ النصيحةِ، وأداءُ الأَمانةِ.

وقد صنَّفَ الحافظُ أبو بكر الخطيب كتاباً في ثبوتِ الاحتجاج بالإِمام الشافعيِّ.

[٦] وما تكلَّمَ فيه إلَّا حاسدٌ أو جاهلٌ بحاله، فكانَ ذلكَ الكلامُ الباطلُ منهم مُوجباً لارتفاع شَأْنِهِ، وعُلُوِّ قدرِه، وتلكَ سنةُ اللهِ في عباده: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تكونُوا كالذينَ آذَوْا موسى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قالُوا وكان عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً، يا أَيُّها الَّذِينَ آمنُوا اتَّقُوا اللهَ وقُولُوا قولاً سَدِيداً﴾ [الأحزاب ٦٩- ٧٠].

[٧] وعن يُونس بنِ عبدِ الأعلى، قال: ما كانَ الشافعيُّ إلا ساحراً ما كُنَّا ندري ما يقول إذا قعدنا حوله، كأنَّ ألفاظَهُ سُكَّرٌ . . . . . وكان قد أُوتي عذوبَة منطقٍ، وحُسنَ بلاغةٍ، وفرطَ ذكاءٍ، وسيلانَ ذهنٍ، وكمالَ فصاحَةٍ، وحضورَ حُجَّةٍ.

[٨] فعن عبدالملك بن هشام اللغوي، قال: طالت مُجالَستُنا للشافعيِّ، فما سمعتُ منه لحنةً قطُّ.

[٩] قلتُ: أنَّى يكونُ ذلك، وبمِثلِه في الفصاحَةِ يُضْرَبُ المَثَلُ، كان أفصحَ قُريشٍ في زمانِهِ، وكان مِمَّا يُؤْخَذُ عنه اللغةُ.

[١]قال الربيع: قال لي الشافعيُّ: إن لم يكن الفُقهاءُ العَامِلون أولياء الله فما لله وليٌّ.

[٢] قال محمد بنُ عبدالله بنِ عبدالحكم: ما رأيتُ أحداً أقلَّ صباً للماءِ في تمام التَّطَهُّر من الشافعيِّ.

[٣] الأصمُّ: سمعتُ الـربيعَ يقولُ: سأل رجلٌ الشافعيَّ عن قاتِلِ الوَزَغ هل عليه غُسلٌ؟ فقال: هذا فُتيا العجائز.

[٤] قال صالح بن محمد جزرة: سمعتُ الربيعَ، سمعتُ الشافعيَّ يقولُ: لا أعلمُ علماً بعد الحلال والحرام أنبلَ من الطبِّ، إلا أنّ أهل الكتاب قد غلبونا عليه.

[٥] قال حرملةُ: كان الشافعيُّ يتلهَّفُ على ما ضَيَّعَ المسلمون من الطِّبِّ، ويقول ضيَّعوا ثلثَ العلم، ووكَلُوه إلى اليهود والنصارى.

[٦]علي بن أحمــد بن النضـر الأزدي، سمعتُ أحمـدَ بن حنبـل، وسُئِـل عن الشافعي، فقال: لقد منَّ الله علينا به، لقد كنّا تعلمنا كلامَ القوم، وكَتَبْنَا كُتُبَهَم، حتى قدمَ علينا، فلما سمعنا كلامه، علمنا أنه أعلمُ من غيره، وقد جالسناهُ الأيامَ والليالي، فما رأينا منه إلا كلَّ خير، فقيل له: يا أبا عبدالله، كان يحيى وأبو عُبيد لا يرضيانه ـ يشيرُ إلى التَّشيُّع وأنهما نسباهُ إلى ذلك ـ فقال: أحمدُ بن حنبل: ما ندري ما يقولان، والله ما رأينا منه إلا خيراً.

[٧]قلتُ: من زعم أنَّ الشافعي يتشيَّع فهو مُفترٍ، لا يدري ما يقول.

[٨]الربيعُ بنُ سُليمان قال: حججنا مع الشافعي، فما ارتقى شرفاً ولا هبط وادياً، إلا وهو يبكي، ويُنْشِدُ:

يا راكباً قِفْ بالمُحَصَّبِ مِن مِنى ... واهتِفْ بقاعدِ خَيفنا والنَّاهِضِ
سَحَراً إذا فَاضَ الحجيجُ إلى مِنى ... فَيضاً كمُلْتَطِمِ الفُراتِ الفائِضِ
إن كانَ رَفضاً حبُّ آلِ مُحَمَّدٍ ... فَلْيَشْهَدِ الثَّقلانِ أنِّي رافِضي

[١] قلتُ: لو كان شيعياً ـ وحاشاه من ذلك ـ لما قال: الخلفاءُ الراشدون خمسةٌ، بدأ بالصِّدِّيق، وختم بعمر بن عبدالعزيز(١).

[٢] قال الشافعيُّ: المُحْدَثاتُ من الأمور ضربان: ما أُحدِثَ يُخَالِفُ كتاباً أو سُنَّةً أو أثراً أو إجماعاً، فهذه البدعة ضلالة، وما أُحدِثَ من الخير لا خلاف فيه لواحدٍ من هذا، فهذه مُحدثة غيرُ مذمومة، قد قال عُمرُ في قيام رمضان: نِعمت البِدْعةُ هذه، يعني أنها مُحدثةٌ لم تكن، وإذ كانت فليس فيها ردٌّ لما مضى.

[٣] روى أبو الشيخ الحافظُ وغيره مِن غير وجه: أنَّ الشافعيَّ لما دخل مصر أتاهُ جِلَّةُ أصحابِ مالك، وأقبلوا عليه، فلما رأوه يُخالِفُ مالكاً، وينقُضُ عليه، جَفَوْه، وتنكَّروا له، فأنشأ يقول:

أأَنْثُرُ دُرّاً بين سَارِحَة النَّعَم ... وأَنْظِمُ مَنْثُوراً لِرَاعيةِ الغَنَم
لَعَمْري لَئِنْ ضُيِّعْتُ في شَرِّ بَلْدةٍ ... فَلَسْتُ مُضِيعاً بينَهم غُرَر الحِكَم
فإن فَرَّج اللهُ اللطيفُ بلُطْفِهِ ... وصادَفتُ أهلاً لِلعُلُوم ولِلحِكَم
بَثَثْتُ مَفيداً واستَفَدْتُ ودادَهُم ... وإلاَّ فَمَخْزونٌ لَدَيَّ وَمُكْتَتَم
وَمَنْ مَنَح الجُهَّال عِلماً أَضَاعَه ... وَمَن مَنَعَ المُسْتَوجبينَ فَقَد ظَلَم
وكاتِمُ عِلْمِ الدِّينِ عمَّنْ يُريدُهُ ... يَبُوءُ بإِثمٍ زادَ وآثمٍ إذا كتم

[٤] قال أبو عبدالله بنُ مَندة: حُدِّثْتُ عن الربيع قال: رأيتُ أشهَب بنَ عبدالعزيز ساجداً يقولُ في سجوده: اللَّهمَّ أمِت الشافعيَّ لا يذهب علمُ مالك فبلغَ الشافعيَّ، فأنشأ يقول:

تمنَّى رجالٌ أن أموتَ وإن أُمُتْ ... فَتِلْكَ سَبيلٌ لستُ فيها بأَوْحَدِ
فَقُل للذي يبغي خِلاَفَ الذي مَضَى ... تَهَيَّأْ لأُخرى مِثلها فكَأن قَدِ

(١) وللخبر تتمة في غاية النفاسة عند البيهقي، وهي: ثم قال أحمد لمن حوله: اعلموا رحمكم الله تعالىٰ أن الرجل من أهل العلم إذا منحه الله شيئاً من العلم، وحُرِمَهُ قرناؤه وأشكالُه، حسدوه فرموه بما ليس فيه، وبئست الخصلة في أهل العلم.

وقَدْ عَلِموا لو يَنفَقُ العِلمُ عندَهُمُ لَئِن مِتُّ ما الدَّاعي عَليَّ بِمُخلدِ

[١] قال المُبَرِّدُ: دَخل رجلٌ على الشافعيِّ، فقال: إنَّ أصحابَ أبي حنيفة لَفُصحاء، فأنشأ يقولُ:

فَلولا الشِّعرُ بالعُلَماءِ يُزري لكنتُ اليومَ أشعَرَ من لَبيد
وأشجَع في الوغى من كُلِّ لَيثٍ وآلِ مُهَلَّبٍ وأبي يزيدِ
ولولا خشيةُ الرحمنِ رَبِّي حِسبْتُ النَّاس كُلَّهُم عبيدِي

[٢] قال أبو نعيم بنُ عدي الحافظ: سمعتُ الربيع مراراً يقولُ: لو رأيتَ الشافعيَّ وحسنَ بيانِه وفصاحته، لعجبتَ، ولو أنَّه أَلَّف هذه الكُتب على عربيَّته التي كان يتكلمُ بها معنا في المُناظَرة، لم نقدِر على قراءة كُتُبِه لفصاحتِه، وغرائبِ ألفاظهِ، غير أنَّه كان في تأليفه يُوضِحُ للعَوامِّ.

[٣] ابن خُزيمة وغيره، حدثنا المُزنيُّ قال: دخلتُ على الشافعيِّ في مرضِه الذي ماتَ فيه، فقلتُ: يا أبا عبدِ الله، كيف أصبحتَ؟ فرفعَ رأسهَ، وقال: أصبحتُ من الدنيا راحلاً، ولإخواني مُفارقاً، ولِسوء عملي مُلاقياً، وعلى الله وارداً، ما أدري روحي تصيرُ إلى جَنَّةٍ فأُهَنِّيها أو إلى نارٍ فأُعزِّيها، ثم بكى، وأنشأ يقولُ:

ولما قسى قلبي وضَاقَتْ مذاهبي جَعلتُ رَجائي دُونَ عَفوِكَ سُلَّما
تعاظَمَني ذَنبي فَلمَّا قَرَنْتُه بعَفوِكَ رَبِّي كان عَفوُكَ أَعظما
فما زلتَ ذا عَفوٍ عن الذَّنب لم تَزَلْ تَجودُ وتَعفُوْ مِنَّةً وتَكَرُّما
ولَولاكَ لم يُغوى بابليس عابِدٌ فكيفَ وقَد أغوى صَفيَّك آدَما
وإنِّي لآتي الذَّنب أعرِفُ قَدْره وأَعلمُ أنَّ الله يعفُو تَرَحُّما

[٤] وعن الربيع للشافعيِّ:

لقَد أُصبحت نَفسي تَتوقُ إلى مصر ومن دُونِها أرضُ المَهَامَةِ والقَفْر
فوالله ما أدري أَلِلمالِ والغِنى أُساقُ إليهـا أَم أُساقُ إلى قبري

[١]قال ابن ماجـة القزويني: جاء يحيى بنُ معين إلى أحمدَ بنِ حنبلٍ، فبينا هو عنده، إذ مرَّ الشافعيُّ على بغلته، فوثبَ أحمدُ يُسَلِّم عليه، وتبعه، فأبطأَ، ويحيى جالِسٌ، فلما جاء، قال يحيى: يا أبا عبدالله، كم هذا؟ فقال: دعْ عنك هذا؟ إن أردت الفقه، فالزم ذنَبَ البغلة.

[٢]الربيع: سمعتُ الشافعيَّ يقولُ: لم أرَ أحداً أشهَدَ بالزُّور من الرافضة.

[٣]وقال يونسُ بن عبدالأعلى: سمعتُ الشافعيَّ يقولُ: يا يونس: الانقباضُ عن الناس مَكسبَةٌ للعداوةِ، والانبساطُ إليهم مَجلَبَةٌ لقُرناء السوء، فكُن بين المنقبض والمنبسط.

[٤] وقال لي: رضى الناس غايةٌ لا تُدرك، وليس إلى السلامة منهم سبيلٌ، فعليك بما ينفعُك فالزمه.

[٥] وعن الشافعي: العلم ما نفعَ، ليس العلم ما حُفِظ.

[٦] وعنه: اللبيبُ العاقلُ هو الفَطِنُ المُتغافِل.

[٧] وعنه: لو أعلم أنَّ الماءَ الباردَ يَنقُصُ مروءَتي ما شربتُه.

[٨]عن الشافعيِّ: ما أفلح سمينٌ قطُّ إلا أن يكونَ محمدَ بن الحسن، قيل: ولِمَ؟ قال: لأنَّ العاقلَ لا يعدو من إحدى خَلَّتين، إما يغتَمُّ لآخرته أو لدُنياه، والشحم مع الغَمِّ لا ينعقِدُ.

[٩]قلتُ: كلامُ الأقرانِ إذا تبرهنَ لنا أنَّه بهوىً وعَصبيَّة، لا يُلتَفتُ إليه، بل يُطوى ولا يُروى، كما تقرَّر الكفُ عن الكثير مما شَجَر بين الصحابة وقتالِهم رضي الله عنهم أجمعين، وما زال يمُرُّ بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطعٌ وضعيف، وبعضُه كَذِبٌ، وهذا فيما بأيدينا وبين عُلمائنا فينبغي طيُّه وإخفاؤه، بل إعدامُه لتصفو القلوبُ وتتوفَّرُ علىٰ حُب الصحابة، والترضّي عنهم، وكتمانُ ذلك مُتعيِّنٌ عن العامة وآحادِ العُلماء، وقد يُرخَّصُ في مطالعةِ ذلك خلوةً

للعالم المُنصِفِ العَريّ من الهوى، بشرطِ أن يستغفِرَ لهم، كما علمنا الله تعالى حيث يقول: ﴿والَّذِينَ جاؤوا من بَعْدِهم يَقُولُونَ ربَّنا اغفِر لنا ولإخوانِنا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غِلاً للَّذينَ آمَنُوا﴾ [الحشر ١٠].

[١] فالقوم لهم سوابق، وأعمالٌ مُكفِّرة لما وقع منهم وجهادٌ مَحّاءٌ، وعبادةٌ مُمَحِّصةٌ، ولسنا ممن يغلو في أحد منهم، ولا ندعي فيهم العصمة، نقطع بأن بعضهم أفضلُ من بعض، ونقطعُ بأنَّ أبا بكر وعُمر أفضلُ الأمة، ثم تتمة العشرةِ المشهود لهم بالجنة، وحمزة وجعفر ومعاذ وزيد، وأمهات المؤمنين، وبنات نبينا ﷺ، وأهل بدر مع كونهم على مراتب، ثم الأفضلُ بعدهم مثلُ أبي الدرداء وسلمان الفارسي، وابنِ عُمروسائر أهلِ بَيْعَةِ الرضوانِ الذين رضي الله عنهم بنصٍّ آية سورة الفتح [١٨]، ثم عموم المهاجرين والأنصار كخالدِ بن الوليد والعبَّاس وعبدالله بن عمرو، وهذه الحَلبَة، ثم سائر مَن صحبَ رسولَ الله ﷺ وجاهدَ معه، أو حجَّ معه، أو سمعَ منه، رضي الله عنهم أجمعين وعن جميعِ صواحِبِ رسولِ الله ﷺ المهاجراتِ والمدنيات وأُمِّ الفضل وأُمِّ هانئٍ الهاشميةِ وسائرِ الصحابيات.

[٢] فأما ما تنقله الرافضةُ وأهلُ البِدَعِ في كُتُبِهم من ذلك، فلا نُعرِّج عليه، ولا كرامَة، فأكثرهُ باطلٌ وكَذِبٌ وافتراءٌ، فدأبُ الروافضِ روايةُ الأباطيل، أو رَدُّ ما في الصحاحِ والمسانيدِ، ومتى إفَاقَةُ مَنْ بِهِ سَكَران؟!

[٣] ثم قد تكلَّم خلقٌ من التابعين بعضُهم في بعض، وتحاربوا، وجرت أمورٌ لا يُمكنُ شرحُها، فلا فَائدة في بثِّها ووقع في كُتب التواريخ وكتب الجرح والتعديل أمورٌ عجيبة والعاقلُ خصمُ نفسِه، ومِن حُسنِ إسلام المرءِ تركُهُ ما لا يعنيه، ولُحوم العلماء مسمومةٌ وما نُقِلَ من ذلك لتبيين غلطِ العالمِ، وكثرةِ وهمه، أو نقصِ حفظه، فليس مِن هذا النمط، بل لتوضيح الحديث الصحيح من الحسن، والحسن من الضعيف.

[١] وإمامُنا، فبحمد الله ثبتٌ في الحديث، حافظٌ لما وعى، عديمُ الغَلط، موصوف بالإتقان، متينُ الديانة، فمن نالَ منه بجهلٍ وهوىً مِمَّن عُلِم أنه مُنافِسٌ له، فقد ظلَمَ نفسَه، ومَقَتَهُ العلماءُ، ولاحَ لكلِّ حافظٍ تحامله، وجرَّ النَّاسُ برجلِهِ، ومَن أثنى عليه، واعترفَ بإمامته وإتقانه، وهم أهلُ العَقد والحَلِّ قديماً وحديثاً، فقد أصابوا، وأجملُوا، وهُدُوا، ووُفِّقُوا.

[٢] وأما أئمتُنا اليوم وحُكَّامُنا، فإذا أعدَموا ما وُجِد من قَدحٍ بهوىً، فقد يُقال: أحسَنوا ووفِّقوا وطاعتهُم في ذلك مفترضةٌ لما قد رأوهُ من حسمِ مادَّة الباطل والشَّر.

وبكل حالٍ فالجُهَّال والضُّلَّالُ قد تكلموا في خيارِ الصحابة، وفي الحديث الثابت «لا أحدَ أصبرُ على أذىً يسمعهُ من الله، إنهم ليدعُون له ولداً، وإنه ليرزُقُهم ويُعافيهم».

[٣] وقد كنتُ وقفتُ على بعضِ كلام المغاربة في الإمام رحمه الله، فكانت فائدتي من ذلك تضعيفَ حالِ من تعرَّضَ إلى الإمام، ولله الحمد.

ولا رَيب أنَّ الإمامَ لما سكَن مصر، وخالَف أقرانَه من المالكية، ووهَّى بعضَ فُروعهم بدلائل السُّنَّة وخالف شيخه في مسائل، تألَّموا منه، ونالُوا منه، وجرت بينهم وحشةٌ، غفر الله لِلكلِّ، وقد اعترفَ الإمام سُحنُون، وقال: لم يكُن في الشافعيِّ بدعةٌ، فصدق والله، فرحمَ اللهُ الشافعيَّ، وأين مثلُ الشافعيِّ والله! في صدقِه، وشَرَفِه، ونُبْلِه، وسَعَة علمِه، وفَرْطِ ذكائِه، ونَصرِه للحقّ، وكثرَةِ مناقِبه، رَحمه الله تعالى.

[٤] وعنه قال: التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، والتواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الرَّاحة، وقال: أرفع الناس قدراً من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله.

لا نُلامُ والله على حُبِّ هذا الإمامِ، لأنَّه من رجال الكمال في زمانه رحمه الله، وإن كنَّا نحبُّ غيره أكثر.

٤٣٤ نَفِيسَةُ[1]

[١] السيدةُ المُكَرَّمَةُ الصالحة، ابنةُ أميرِ المؤمنين الحسنِ بن زيد بن السيِّد سِبطِ النبيِّ ﷺ الحَسنِ بنِ عليٍّ رضي الله عنهما، العلويةُ الحَسَنِيَّةُ، صاحبةُ المشهدِ الكبير المعمولِ بين مصر والقاهرة.

وتحـوَّلت هي من المدينة إلى مصر مع زوجها الشريف إسحاق بن جعفر بن محمد الصادق فيما قيل، ثم تُوفِّيت بمصر في شهر رمضان سنة ثمان ومئتين. ولم يبلغنا كبيرُ شيءٍ من أخبارها.

[٢] ولِجَهَلَةِ المصْريين فيها اعتقادٌ يَتَجاوزُ الوصف، ولا يجوزُ مما فيه من الشِّرك، ويسجدون لها، ويلتمسون منها المغفرة، وكان ذلك من دسَائس دُعاةِ العُبَيديَّة[2].

[٣] وقيل: كانت من الصَّالحات والعَوابِدِ، والدُّعاءُ مستجابٌ عِند قبرها، بل وعِند قبورِ الأنبياء والصالحين[3] وفي المساجد، وعَرَفة ومُزدَلِفة، وفي السَّفر المباح، وفي الصَّلاة، وفي السَّحَر، ومِن الأبوين، ومن الغائِب لأخيه، ومن المُضطرِّ، وعندَ قبور المُعذَّبين، وفي كل وقت وحين، لقوله تعالى: ﴿وقالَ رَبُّكُمُ ادعوني أَستَجِبْ لَكُم﴾ ولا يُنهى الداعي عن الدُّعاء في وقتٍ إلا وقت الحاجة، وفي الجماع، وشِبه ذلك.

ويتأكد الدُّعاءُ في جَوفِ الليل، ودُبُرَ المكتوبات، وبَعْدَ الآذان.

---

(١) انظر السير: ١٠/ ١٠٦ـ ١٠٧

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية ١٠/ ٢٦٢: وإلىٰ الآن قد بلغ العامة في اعتقادهم فيها وفي غيرها كثير جداً، ولاسيما عوام مصر، فإنهم يطلقون فيها عبارات بشيعة مجازفة تؤدي إلىٰ الكفر والشرك، وألفاظاً يجب أن يعرفوا أنها لا تجوز، وربما نسبها بعضهم إلى زين العابدين وليست من سلالته، والذي ينبغي أن يعتقد فيها ما يليق بمثلها من النساء الصالحات، وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها وقد أمر النبي ﷺ بتسوية القبور وطمسها، والمغالاة في البشر حرام، ومن زعم أنها تفك من الخشب، أو أنها تنفع أو تضر بغير مشيئة الله تعالىٰ فهو مشرك، رحمها الله وأكرمها.

(٣) لم يثبت عنه ﷺ شيء في كون الدعاء مستجاباً عند قبور الأنبياء والصالحين، والسلف الصالح لا يعرف عنهم أنهم كانوا يقصدون قبور الأنبياء والصالحين للدعاء عندهم، ويرى ابن الجزري في «الحصن الحصين» أن استجابة الدعاء عنه قبور الأنبياء والصالحين ثبتت بالتجربة، وأقرّه عليه الشوكاني في «تحفة الذاكرين» ص ٤٧ لكن قيَّده بشرط ألَّا تنشأ عن ذلك مفسدة وهي أن يعتقد في ذلك الميت ما لا يجوز اعتقاده كما يقع لكثير من المعتقدين في القبور، فإنهم قد يبلغون الغلو بأهلها إلى ما هو شرك بالله عز وجل فينادونهم مع الله، ويطلبون منهم مالا يطلب إلا =

٤٣٥ الفَرَّاء(١)

[١] العلاَّمة، صاحب التصانيف، أبو زكريا، يَحيى بن زياد بن عَبدالله الأسدي، مولاهم الكوفي النَّحوي، صاحب الكِسائي.

وكان ثقة.

[٢] ورَدَ عن ثعلبة أنَّه قال: لولا الفرَّاء لما كانت عربيةٌ، ولَسَقطت، لأنَّه خَلَّصها، ولأنَّها كانت تُتَنَازَعُ ويَدَّعيها كلُّ أحد.

[٣] ونقل أبو بُديل الوَضَّاحي أنَّ المأمون أمرَ الفَرَّاء أن يُؤلِّف ما يُجمع به أصولُ النحو، وأُفرِدَ في حُجرةٍ، وقرَّر له خدماً، وجواريَ، وورَّاقين فكان يُملي في ذلك سنين. قال ولما أملى كتاب «معاني القرآن» اجتمع له الخلقُ، فكان من جملتهم ثمانون قاضِياً، وأملَّ «الحمد» في مئة ورقة.

[٤] وكان المأمونُ قد وكَّل بالفرَّاء ولديه يُلَقِّنُهما النحو، فأراد القيامَ، فابتَدرا إلى نَعْلِه، فقدَّم كلُّ واحد فَردَةً، فبلغَ ذلك المأمون، فقال: لن يَكْبُرَ الرجلُ عن تواضُعِهِ لسلطانه وأبيه ومُعلِّمه.

[٥] وعن ثُمامة بنِ أَشرس: رأيتُ الفرَّاءَ، ففاتَشتُه عن اللغةِ، فوجدتُه بحراً، وعن النحو فشَاهدتُه نسيجَ وَحدِه، وعن الفقه فوجدتُه عارفاً باختلاف القوم، وبالطبِّ خبيراً، وبأيامِ العربِ والشعرِ والنجومِ، فأعلمُت به أميرَ المؤمنين فطَلَبَه.

وقيل: عُرف بالفرَّاء لأنَّه كان يَفري الكلام.

وقال سلمةُ: أني لأعجبُ من الفَرَّاء كيف يُعَظِّم الكِسائيَّ، وهو أعلمُ بالنحوِ منه.

مات الفرَّاء بطريق الحج سنةَ سبعٍ ومئتين، وله ثلاثٌ وستون سنة، رحمه الله.

= من الله عز وجل، وهذا معلوم من أحوال كثير من العاكفين على القبور خصوصاً العامة الذين لا يفطنون لدقائق الشرك.

(١) انظر السير: ١٠/١١٨-١٢١.

٤٣٦ قَبِيصَة بن عُقبَة (ع)[1]

[١] أبو محمد، الحافظُ الإمامُ الثقة العابدُ، أبو عامر السُّوائي الكوفي.

وما أظنُّه ارتحلَ في الحديث، وكان من أوعية العلم.

[٢] عن يحيى بن مَعين: سمعتُ قَبِيصةُ يقولُ: شَهدتُ عندَ شريكٍ، فامتحنني في شهادتي، فذكرتُ ذلك لسُفيان، فأنكر على شريك، وقال: لم يكن له أن يَمتَحِنَه.

قال أحمدُ بنُ سلمة النيسابوري: سمعتُ هنَّاداً يقولُ غيرَ مرةٍ، إذا ذكر قَبِيصَة: الرجلُ الصالح. وتدمع عيناه، وكان هَنَّادٌ كثيرَ البكاء.

[٣] قال عبدالرحمن بن داود بن منصور الفارسي: سمعتُ حفصَ بن عُمر قال: ما رأيتُ مثلَ قَبِيصة ما رأيتُه متبسِّماً قط، من عبادِ الله الصالحين.

[٤] قلتُ: كذا كان واللهِ أهلُ الحديث، العلم والعبادة، واليومَ فلا علمَ ولا عبادةَ، بل تخبيطٌ ولحنٌ، وتصنيفٌ كثير، وحِفظٌ يسير، وإذا لم يرتكبِ العظائمَ، ولا يُخِلُّ بالفرائض، فللَّه دَرُّه.

ماتَ قبيصةُ سنةَ خمسَ عشرةَ ومئتين.

٤٣٧ يحيى بن حمَّاد (خ، م، ت، س، ق)[2]

[٥] ابنِ أبي زِياد، الإمامُ الحافظُ، أبو محمد، وأبو بكر الشيباني، مولاهم البصري.

[٦] وقال محمدُ بن النعمان بن عبدالسلام: لم أرَ أعبدَ من يحيى بن حمَّاد، وأظنُّه لم يضحك.

[٧] قلتُ: الضحكُ اليسيرُ والتبسُّمُ أفضلُ وعدم ذلك من مشايخ العلم على قسمين:

---

(١) انظر السير: ١٠/ ١٣٠ـ ١٣٥

(٢) انظر السير: ١٠/ ١٣٩ـ ١٤١

أحدهما: يكونُ فاضِلاً لمن تركَهُ أدباً وخوفاً من الله، وحُزناً على نفسه المسكينة.

والثـاني: مذمـومٌ لمن فعله حمقـاً وكِبـراً وتصنُّعاً، كما أنَّ من أكثرَ الضحكَ استُخِفَّ به، ولا ريبَ أن الضحكَ في الشبابِ أخفُّ منه وأعذرُ في الشيوخ.

[١]وأما التبسمُ وطلاقَةُ الوجه فأرفعُ من ذلك كلِّه، قال النبيُّ ﷺ «تبسُّمكَ في وجه أخيك صَدَقةٌ» وقال جريرٌ: ما رآني رسولُ الله ﷺ إلا تبسَّم. فهذا هو خلقُ الإسلام، فأعلى المقاماتِ من كان بَكَّاءً بالليل، بَسَّاماً بالنهار.

[٢]بقي هنا شيءٌ: ينبغي لمن كان ضحوكاً بسَّاماً أن يُقصِّر من ذلك، ويلومَ نفسَه حتى لا تمجَّهُ الأنفس، وينبغي لمن كان عبوساً مُنقبضاً أن يتبسَّم، ويُحسِّن خلقَه، ويمقتَ نفسَه على رداءة خُلُقِه، وكل انحرافٍ عن الاعتدال فَمَذمومٌ، ولابدَّ للنفسِ من مجاهدة وتأديب.

مات في سنة خمس عشرة ومئتين.

٤٣٨ أبو نُعَيم (ع)(١)

[٣]الفضلُ بن دُكَين، الحافظُ الكبير، شيخُ الإسلام، الفضلُ بنُ عَمرو بن حمَّاد التيميُّ الـطلحيُّ القرشيُّ مولاهم. الكوفيُّ المُلائي الأحول، مولى آل طلحة بن عبيد الله.

[٤] وكان شريكاً لعبدِ السلام بن حرب المُلائي، كانا في حانوتٍ بالكوفة يبيعان المُلاءَ وغيرَ ذلك، وكان كذلك غالبُ عُلماء السَّلَف إنما يُنفِقُون من كسبهم.

[٥]وكان من أئمة هذا الشأن وأثباتهم.

قال أحمدُ بن منصور الرَّمادي، خرجتُ مع أحمدَ ويَحيى إلى عبدالرزَّاق خادماً

---

(١) انظر السير: ١٠/ ١٤٢-١٥٧

لهما، قال: فلما عُدنا إلى الكوفة، قال يحيى بن معين، أُريد أن أختَبرَ أبا نُعيم، فقال أحمدُ: لا تُرِد فالرجلُ ثِقةٌ، قال يحيى: لا بدَّ لي.

فأخذ ورقةً، فكتبَ فيها ثلاثينَ حديثاً وجعل على رأسِ كلِّ عشرةٍ منها حديثاً ليس من حديثه، ثم إنهم جاؤوا إلى أبي نُعيم، فخرجَ، وجلَس على دكان طين، وأخـذ أحمـدَ بن حنبل، فأجلسه عن يمينه، ويحيى عن يساره، وجلستُ أسفلَ الدكان، ثم أخرج يحيى الطبقَ، فقرأ عليه عشرةَ أحاديث، فلما قرأ الحادي عشر، قال أبو نُعيم: ليس هذا من حديثي، اضرب عليه ثم قرأ العشرَ الثاني، وأبو نُعيم ساكتٌ، فقرأ الحديث الثاني، فقال أبو نُعيم: ليس هذا من حديثي فاضربْ عليه، ثم قرأ العَشر الثالث، ثم قرأ الحديثَ الثالث، فتغير أبو نُعيم، وانقلبت عيناه، ثم أقبل على يحيى، فقال: أمَّا هذا ـ وذراعُ أحمد بيده ـ فأورعُ من أن يعملَ مثلَ هذا، وأما هذا ـ يُريدُني ـ فأقلُّ من أن يفعلَ ذاك، ولكنَّ هذا من فِعلكَ يافاعل، وأخرجَ رِجلَهُ، فرفَس يحيى، فرمى به من الدكان، وقام، فدخل داره، فقال أحمدُ بن حنبل ليحيى: ألم أمْنَعْكَ وأَقلْ لك: إنه ثبتٌ، قال: واللهِ، لرفسَتُه لي أَحَبُّ إليَّ من سَفرتي.

[١] قال أبو المُظَّفر في كتاب «مرآة الزمان» قال عبدُ الصمد بنُ المُهتدي: لما دخل المأمون بغدادَ، نادى بتركِ الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك لأنَّ الشيوخَ بقوا يَضْرِبُون ويَحبِسُون، فنهاهُم المأمون وقال: قد اجتمع الناسُ على إمام، فمرَّ أبو نُعيم، فرأى جُندياً وقد أدخَل يديه بين فخِذي امرأة، فنهاهُ بعُنفٍ، فحمله إلى الوالي، فحمله الوالي إلى المأمون. قال: فأُدخِلتُ عليه بُكرةً وهو يُسبِّح، فقال: توضـأ. فتوضأتُ ثلاثاً ثلاثاً على ما رواه عبدُ خيرٍ، عن عليٍّ، فصلَّيت ركعتين، فقال: ما تقولُ في رجل مات عن أبوين؟ فقلت: للأُمِّ الثُّلُثُ، وما بقي للأب، قال: فإن خلَّف أبويه وأخاه؟ قلتُ: المسألة بحالها، وسقط الأخُ، قال: فإن خلَّف أبوين

وأخوين؟ قلت: للأُمِّ السُّدُسُ وما بقي للأب. قال: في قول الناسِ كُلِّهم؟ قلتُ: لا، إنَّ جدَّكَ ابنَ عبَّاس يا أميرَ المؤمنين ما حجب الأمَّ عن الثُّلُث إلا بثلاثة إخوة.

فقال: يا هذا، من نهى مثلك عن الأمرِ بالمعروفِ؟! إنما نهينا أقواماً يجعلون المعروف مُنكرا. ثم خرجتُ.

[١]عن أحمدَ بنِ حنبل قال: إنما رفع الله عفَّان وأبا نُعيم بالصدق حتى نُوِّه بذكرهما.

ومات سنة تسع عشرة ومئتين.

[٢]قال بشرُ بنُ عبدالواحد: رأيتُ أبا نُعيم في المنام، فقلتُ: ما فعل اللهُ بك؟ ـ يعني فيما كان يأخُذ على الحديث ـ فقال: نظر القاضي في أمري، فوجدني ذا عيالٍ، فعفا عني.

قلتُ: ثبتَ عنه أنَّه كان يأخُذُ على الحديث شيئاً قليلاً لفَقْرِه.

[٣]قال عليُّ بنُ خَشرم: سمعتُ أبا نُعيم يقولُ: يَلومُونني على الأخذِ، وفي بيتي ثلاثة عشرَ نَفساً، وما في بيتي رغيف.

قُلت: لامُوهُ على الأخذِ يعني من الإمام، لا من الطَّلبَةِ.

[٤]وقد كان أبو نُعيم ذا دُعابة، فروى عليُّ بنُ العباس المَقانِعي، سمعتُ الحُسيني ابن عمرو العَنقري يقول: دقَّ رجلٌ على أبي نُعيم البابَ، فقال: مَن ذا؟ قال: أنا، قال: مَن أنا؟ قال: رجلٌ من ولد آدم، فخرج إليه أبو نُعيم، وقبَّله، وقال: مرحباً وأهلاً، ما ظننتُ أنه بقي مِن هذا النسل أَحدٌ.

٤٣٩ يعقوب (م، د، س، ق)(١)

[٥]ابنُ اسحاق بن زيد، الإمامُ المجوِّد الحافظُ، مقريء البصرة، أبو محمد الحضرميُّ مولاهم البصريُّ، أحدُ العَشرة.

---

(١) انظر السير: ١٠/ ١٦٩ ـ ١٧٤

وُلد بعد الثلاثين ومئة.

[١]وفاق الناسَ في القِراءة، وما هو بدونِ الكِسائي، بل هو أرجحُ منه عند أئمةٍ، لكن رُزق أبو الحسن سعادة.

[٢]وكـان يُقرئ الناسَ علانيةً بحرفِه بالبصرة في أيامِ ابنِ عُيينة، وابنِ المبارك، ويحيى القطّان، وابن مهدي، والقاضي أبي يوسف، ومحمدِ بن الحسن، ويحيى اليزيدي، وسُليم، والشافعيِّ، ويزيدَ بنِ هارون، وعدد كثير من أئمةِ الدين، فما بلغَنا بعد الفحص والتنقيب أنَّ أحداً من القُراء ولا الفقهاء ولا الصُّلحاءِ ولا النُّحاةِ ولا الخُلفاء كالرَّشيد والأمين والمأمونِ أنكروا قراءَته، ولا منعوهُ منها أصلاً، ولو أنكر أحدٌ عليه لنُقِل ولاشتهَر، بل مَدَحها غيرُ واحد، وأقرأ بها أصحابُه بالعِراق، واستمرَّ إمامُ جامعِ البصرةِ بقراءتها في المحراب سنينَ متطاولة، فما أنكرَ عليه مُسلمٌ، بل تَلقـاها الناسُ بالقبول، ولقد عُومل حمزةُ مع جلالته بالإنكار عليه في قراءته من جماعةٍ من الكبار، ولم يَجرِ مثلُ ذلك للحَضرميِّ أبداً، حتى نشأ طائفةٌ متأخِّرون لم يَألفـوها، ولا عَرفوها، فأنكروها، ومن جهل شيئاً عاداه، قالوا: لم تَتَّصِل بنا مُتواترةً، قُلنا: اتصلت بخلقٍ كثير متواتَرة، وليسَ من شرطِ التواتر أن يصِلَ إلى كُلِّ الأُمَّة فعند القُرَّاء أشياءُ متواترةٌ دون غيرهم، وعند الفقهاء مسائلُ متواترةٌ عن أئمتهم لا يَدريها القُرَّاء، وعند المحدثين أحاديثُ متواترة قد لا يكون سَمعها الفُقهاء، أو أَفادتهم ظَنّاً فقط، وعند النُّحاة مسائلُ قطعيَّة، وكذلك اللُّغويون، وليسَ من جهل علماً حُجَّةً على مَن علمه، وإنما يُقال للجاهل: تعلم، وسل أهلَ العلم، إن كُنتَ لا تعلم، لا يُقالُ للعالم: اجهلْ ما تعلم، رزقنا الله وإياكم الإنصاف، فكثيرٌ من القِراءات تَدَّعون تواترها، وبالجَهدِ أن تقدِرُوا على غير الآحادِ فيها، ونحنُ نقولُ: نتلوبها وإن كانت لا تُعرفُ إلا عن واحد، لكونها تُلُقِّيت بالقَبول، فأفادت العلمَ، وهذا واقعٌ في حروفٍ كثيرة، وقراءات عديدة، ومن ادّعى تواتُرَها فقد كابر الحِسّ، أمّـا القـرآن العظيم سُورُهُ وآياتُه فمُتَواتِرٌ، ولله الحمد، محفوظٌ من الله تعالى، لا

يستطيع أحدٌ أن يُبدِّله ولا يَزيدَ فيه آيةً ولا جُملة مستقلة، ولو فعلَ ذلك أحدٌ عمداً لانسلَخَ من الـدِّين، قال الله تعـالى: ﴿إنَّـا نَحنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وإنَّا لَهُ لَحَافظُون﴾ [الحجر ٩].

وأولُ من ادَّعى أنَّ حرفَ يعقوبَ من الشاذِّ أبو عمرو الدَّاني، وخالفه في ذلك أئمة، وصارَ في الجملة في المسألة خلافٌ حادثٌ والله أعلم.

قال العلَّامةُ أبوحاتِمٍ السِّجِسْتانيُّ: يعقوب أعلم من رأينا بالحروف والاختلافِ في القرآن وعلَلِهِ ومذاهبِه ومذاهبِ النحو.

[١]وقال أحمدُ بنُ حنبل: هو صدوق، وقال محمدُ بنُ أحمدَ العِجليُّ يمدحُ يعقوبَ:

أبوهُ من القُرَّاءِ كانَ وجَدُّهُ ويعقوبُ في القُرَّاء كَالكوكَبِ الدُّرِّي
تَفَرُّدُهُ مَحضُ الصَّواب وَوَجهُه فَمَن مِثلهُ في وَقْتِهِ وإلى الحَشْرِ

[٢]وعن أبي عُثمان المازني قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ في النَّوم، فقرأتُ عليه سورة طَه فقلت: ﴿مكاناً سِوى﴾، فقال: اقرأ ﴿سُوى﴾ قراءة يعقوب.

[٣]قال أبو القاسم الهُذلي في «كامله»: ومنهم يعقوبُ الحَضرميُّ، لم يُرَ في زَمنِه مثلُه، كان عالماً بالعربيَّة ووجوهِها، والقرآنِ واختلافِه، فاضلاً تقيَّاً نقيَّاً ورعاً زاهداً،

[٤] بلغَ من زُهده أنَّه سُرِق رِداؤه عن كتفِه وهو في الصلاة، ولم يَشْعُر، ورُدَّ إليه، فلم يشعُر، لشُغلِه بعبادة ربه، وبلغَ من جاهِه بالبصرة أنَّه كان يَحبِسُ ويُطلِق.

مات يعقوبُ سنةَ خمس ومئتين.

٤٤٠ الأَصمَعي (د، ت)(١)

[٥]الإمامُ العلَّامةُ الحافظُ، حجةُ الأدب، لسانُ العرب، أبو سعيد عبدُ الملك بنُ قُريب بن عبدالملك الأصمعيُّ، اللغويُّ، الأخباريُّ، أحدُ الأعلام.

(١) انظر السير: ١٠/ ١٧٥ ـ ١٨١

وُلِدَ سنةَ بضعٍ وعشرين ومئة. وقد أثنى أحمدُ بن حنبل على الأصمعيِّ في السُّنَّة.

[١]قيل للأصمعيِّ: كيفَ حفظتَ ونَسوا؟ قال: دَرَسْتُ وتركوا.

[٢]قال عُمر بن شَبَّة: سمعتُ الأصمعيَّ يقولُ: أحفظُ ستةَ عشر ألفَ أُرجُوزة.

[٣]وعن ابن دُرَيْدٍ أنَّ الأصمعيَّ كان بخيلاً، ويجمعُ أحاديثَ البُخلاء.

[٤]وقال محمدُ بن سلَّام: كُنَّا مع أبي عُبيدة بقُربِ دار الأصمعي، فسمعنا منها ضجةً فبادرَ الناسُ ليعرِفُوا ذلك، فقال أبو عُبيدة: إنما يفعلون هذا عند الخُبزِ، كذا يفعلون إذا فقدوا رغيفاً.

[٥]وروى ثعلبٌ، عن أحمد بنِ عُمر النحويِّ قال: قدم الحسنُ بنُ سهل، فجمعَ أهلَ الأدبِ، وحضرتُ، ووقَّعَ الحسنُ على خمسين رُقعَة، وجرى ذِكرُ الحُفَّاظ، فذكرنا الزُّهريَّ وقَتَادة، فقال الأصمعيُّ: فأنا أُعيدُ ما وقَّع بهِ الأميرُ على التَّوالي، فأُحضِرَت الرِّقاعُ، فقال: صاحبُ الرقعة الأولى كذا وكذا، واسمه كذا وكذا، ووقَّعَ له بكذا وكذا، والرُّقعةُ الثانية كذا، والثالثة. . . حتى مر على نَيِّفٍ وأربعين رُقعةً، فقال نصرُ بنُ علي الجَهضميُّ: أيُّها المرءُ أَبْقِ على نفسِكَ من العين.

وتصانيفُ الأصمعي ونوادِرُه كثيرةٌ، وأكثرُ تواليفه مُختصرات، وقد فُقِدَ أكثرُها.

مات الأصمعيُّ سنة خمس عشرة ومئتين.

٤٤١ أبو سُليمان الدَّاراني (١)

[٦]الإمامُ الكبيرُ، زاهدُ العصر، أبو سُليمان، عبدُ الرحمن بنُ أحمد العِنسيُّ الداراني (٢).

---

(١) انظر السير: ١٠/ ١٨٢ - ١٨٦

(٢) قال ابن خلكان ٣/ ١٣١، والداراني بفتح الدال المهملة وبعد الألف راء مفتوحة وبعد الألف الثانية نون، هذه النسبة إلى داريّا وهي قرية بغوطة دمشق، والنسبة إليها على هذه الصورة من شواذ النسب.

وُلِدَ في حدود الأربعين ومئة.

[١]عن الجُنيد قال: قال أبو سُليمان الداراني: ربما يَقعُ في قلبي النُّكتَةُ من نُكَتِ القوم أياماً فلا أقبلُ منه إلا بشاهدين عدلين: الكتابِ والسُّنَّة.

[٢]وعن أبي سُليمان: أفضلُ الأعمالِ خِلافُ هوى النَّفس.

[٣]وقال: لِكُلِّ شيءٍ عَلَمٌ، وعَلَمُ الخِذْلانِ تركُ البُكاء، ولكل شيءٍ صَدأٌ، وصَدأُ القلبِ الشِّبَعُ.

[٤]قال الجُنيد: شيءٌ يُروى عن أبي سُليمـان، أنـا أستَحسِنُه كثيراً: من اشتغل بنفسه شُغِلَ عن الناس، ومَن اشتغل بربِّه شُغِلَ عن نفسه وعن الناس.

[٥]ابن بحر الأسدي: سمعتُ أحمد بنَ أبي الحواري، سمِعتُ أبا سُليمان يقولُ: من وَثِقَ بالله في رِزقه زادَ في حُسن خلقه، وأعقَبه الحِلمَ، وسَخَتْ نفْسُهُ، وقلَّت وساوِسُه في صلاتِه.

[٦]وعنه: الفُتوَّةُ أن لا يَراكَ الله حيثُ نهاك، ولا يفقدَكَ حيثُ أمرك.

توفِّي أبو سُليمان سنةَ خمس عشرة ومئتين.

٤٤٢ عُلَيَّة بنتُ المَهدي(١)

[٧]وأُخت الرشيد، الهاشميةُ العبَّاسيةُ، أديبةٌ، شاعرةٌ، عارفةٌ بالغناءِ والموسيقى، رخيمةُ الصوت، ذاتُ عِفَّةٍ وتقوى ومناقب.

وكانت عُليَّة من مِلَاح زَمانِها، وأظرفِ بناتِ الخُلفاء.

[٨]روى إبراهيمُ بنُ إسماعيل الكاتبُ أنَّها لا تغنِّي إلا زمنَ حيضِها، فإذا طَهُرَتْ أقبلت على التلاوةِ والعلم، إلا أن يدعُوها الخليفةُ، ولا تقدِرُ تُخالِفُه.

[٩]وكانت تقول: لا غُفِرَ لي فاحشةٌ ارتكبتُها قطُّ، وما أقولُ في شِعري إلا عَبَثاً.

وجاء عنها قالت: ما كذبتُ قطُّ.

(١) انظر السير: ١٠/١٨٧ ـ ١٨٨

وكان أخوها لا يصبرُ عن غيابِها، وأخذها معه إلى الرَّيِّ.

قيل ماتت سنةَ عشرٍ ومئتين، ولها خمسون سنة.

[١]وسببُ موتها أنَّ المأمونَ ضمَّها إليه فقبَّلها، وهي عمَّته، وكان وجهُها مُغَطَّى، فشَرِقَت وسَعَلَتْ، ثم حُمَّتْ أياماً، وماتت.

٤٤٣ أبو العتاهية(١)

[٢]رأسُ الشعراءِ، الأديبُ الصالحُ الأوحدُ، أبو إسحاق إسماعيلُ بنُ قاسم بن سُويد العنزي مولاهم الكوفي، نزيلُ بغداد.

لُقِّبَ بأبي العتاهية لاضطراب فيه.

سار شعرُه لجودَتِه وحُسنِه وعدمِ تَقَعُّرِه.

[٣]وقد جمع أبو عُمر بن عبدالبَرِّ شعرَه وأخبارَه، تنسّك بأَخَرَة، وقالَ في المواعظ والزُّهد فأجاد.

[٤]وكان أبو نُواس يُعظِّمه، ويتأدب معه لدينه، ويقولُ: ما رأيتُه إلا توهَّمتُ أنَّه سماويٌّ، وأنِّي أرضيٌّ.

مدح أبو العتاهية المهديَّ، والخلفاءَ بعده، والوزراء، وما أصدقَ قوله:

[٥] إنَّ الشَّبابَ والفراغَ والجِدَة مَفْسَدَةٌ لِلمَرءِ أيُّ مَفسَدَة

حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغيهِ القُوتُ ما أَكْثَرَ القُوتَ لِمَنْ يَمُوتُ

هيَ المَقادِيرُ فلُمني أو فَذَرْ إنْ كُنتُ أخطأتُ فما أخطأ القَدَرْ

توفي أبو العتاهية في سنة إحدى عشرة ومئتين، وله ثلاث وثمانون سنة، أو نحوها، ببغداد.

وتحتمل سيرةُ أبي العتاهية أن تُعملَ في كراريس.

---

(١) انظر السير: ١٠/١٩٥ ـ ١٩٨

٤٤٤ المَرِيْسي(١)

[١]**المُتكلِّمُ المُناظِر البارِع، أبو عبدالرحمن، بشرُ بن غِياث بن أبي كريمةَ العدوي مولاهم البغدادي المَرِيسي، من موالي آل زيد بن الخطاب رضي الله عنه.**

كان بشرٌ من كبار الفقهاء.

[٢]ونَظَر في الكلام، فَغَلب عليه، وانسلَخَ من الوَرَع والتقوى، وجَرَّد القولَ بخلق القرآن، ودعا إليه، حتى كان عينَ الجَهمِيَّة في عصره وعالِمَهُم، فمَقَته أهلُ العلم، وكفّره عِدَّةٌ، ولم يُدرك جَهمَ بن صفوان، بل تَلَقَّفَ مقالاتِه من أتباعِه.

وقال أبو النَّضر هاشمُ بنُ القاسم: كان والد بشرٍ يهودياً قصَّاراً صبّاعاً.

[٣]ذكره النديم، وأطنب في تعظيمه، وقال: كان دَيّناً وَرِعاً مُتكَلِّماً. ثم حكى أنَّ البَلخي قال: بلغَ من وَرَعِه أنه كان لا يَطأُ أهلَهُ ليلاً مخافَةَ الشُّبهَةِ ولا يتزَّوج إلا مَن هي أصغرُ منه بعشرِ سنين مخافَةَ أن تكونَ رضيعَتَه.

[٤]ونقل غيرُ واحدٍ أن رجلاً قال ليزَيد بنِ هارون: عندنا ببغداد رجلٌ، يُقالُ له: المَرِيسي، يقولُ: القرآنُ مخلوقٌ، فقال: ما في فِتيانِكُم مَن يَفتِكُ به؟

قلتُ: قد أُخِذ المَرِيسيُّ في دولةِ الرَّشيد، وأُهين من أجل مقالتِه.

وقال قتيبة: بشرٌ المَرِيسيُّ كافر.

وماتَ في آخر سنةِ ثماني عشرة ومئتين. وقد قارب الثمانين.

فهو بشرُ الشرِّ، وبشر الحافي بشرُ الخير، كما أنَّ أحمدَ بن حنبل هو أحمدُ السُّنَّة، وأحمدُ بن أبي دواد أحمد البدعة.

[٥]ومن كُفِّرَ ببدعةٍ وإن جَلَّت، ليس هو مثل الكافر الأصليِّ، ولا اليهوديِّ والمجوسيِّ، أبى الله أن يجعل من آمن بالله ورسولِه واليومِ الآخر، وصامَ وصلَّى وحجَّ وزكَّى وإن ارتكبَ العظائمَ وضلّ وابتدع، كمن عانَدَ الرسول، وعَبَدَ الوثَنَ، ونبذَ الشرائعَ وكَفَر، ولكن نبرأُ إلى الله من البِدَع وأهلِها.

---

(١) انظر السير: ١٠/١٩٩ - ٢٠٢

٤٤٥ ثُمَامَةُ بنُ أَشْرَس(١)

[١]**العلاَّمةُ أبو معن النُّميري البصريُّ المتكلّم، من رؤوس المعتزلة، وكان نديماً ظريفاً صاحبَ مُلَح، اتَّصل بالرشيد، ثم بالمأمون.روى عنه تلميذه الجاحظ.**

[٢]قال: المقلِّدون من أهل الكتاب وعَبَدَةِ الأوثان لا يدخلون النَّار بل يصيرون تُراباً. وإن من مات مسلماً وهو مُصِرٌّ على كبيرةٍ خُلّد في النَّار، وإنَّ أطفال المؤمنين يُصَيَّرون تراباً، ولا يدخُلون جنة.

قلتُ: قَبَّح الله هذه النِّحلة.

[٣]قال المُبَرِّد: قال ثُمامة: خرجت إلى المأمونِ، فرأيتُ مجنوناً شُدَّ، فقال: ما اسمك؟ قلتُ: ثمامة، فقال: المُتكلِّم؟قلت: نعم، قال: جلستَ على هذه الآجُرَّة، ولم يأذن لك أهلها، فقلتُ: رأيتُها مبذولة، قال: لعل لهم تدبيراً غير البَذْلِ، متى يجد النائم لذَّة النَّوم؟ إن قلتَ: قبلَه، أَحَلْتَ، لأنَّه يقظَانٌ، وإن قلتَ: في النوم، أَبْطَلْتَ، إذِ النائمُ لا يعقل، وإن قلت: بعده فقد خرجَ عنه، ولا يوجَدُ شيءٌ بعد فقده، قال: فما كان عندي فيها جواب.

[٤]وعنه قال: عدتُ رجلاً، وتركتُ حماري على بابه، ثم خرجتُ فإذا صبيٌّ راكبُه، فقلت: لم رَكبته بغير إذني؟ قال: خفتُ أن يذهَبَ، قلت: لو ذهبَ كان أهونَ عليَّ، قال: فَهَبْه لي، وعُدَّ أنَّه ذهبَ، واربحَ شُكري، فلم أَدرِ ما أقول.

[٥]الجاحظُ، حدثني ثُمامة، قال: شهدت رجلاً قدم خصمه إلى والٍ، فقال: أصلحَك الله، هذا ناصبيٌ رافضي جهمي مشبِّه، يشتم الحجَّاج بنَ الزُّبير الذي هدم الكعبة على عليٍّ، ويلعن معاوية بن أبي طالب.

[٦] قال هارون الحمَّال: حدثنا محمد بن أبي كبشة قال: كنتُ في سفينةٍ، فسمعتُ هاتفاً يقولُ: لا إله إلاّ الله، كذَبَ المَريسيُّ على الله، ثم عاد الصوت يقول: لا إله

---

(١) انظر السير: ١٠/٢٠٣ ـ ٢٠٦

إلا الله ، على ثُمامة والمريسيِّ لعنة الله ، قال: ومعنا رجلٌ من أصحاب المريسيِّ في المركب، فخرَّ ميتاً .

الطبقة الحاديَة عشرة

٤٤٦ أسدُ بنُ الفُرات(١)

[١]الإمامُ العلاَّمةُ القاضي الأمير، مُقدمُ المُجاهدين، أبو عبدالله الحرَّاني، ثم المغربي.

مولَده بحرّان سنة أربع وأربعين ومئة.

ودخل القيروانَ مع أبيه في الجهادِ، وكان أبوه الفُراتُ بن سِنان من أعيان الجُند.

وغلب عليه علمُ الرأي، وكتب علمَ أبي حنيفة.

[٢]قيل: إنه رجعَ من العِراق، فدخل على ابنِ وَهبٍ، فقال: هذه كتب أبي حنيفة، وسأله أن يُجيبَ فيها على مذهب مالك، فأبى، وتورَّع، فذهب بها إلى ابن القاسم، فأجابه بما حَفِظَ عن مالك، وبما يعلم من قواعد مالك، وتُسمى هذه المسائل الأسديَّة.

وحصلت بإفريقية له رياسةٌ وإمرةٌ، وأخذوا عنه، وتفقّهوا به.

[٣]وحمل عنه سُحنُون بن سعيد، ثم ارتحل سُحنون بالأسدية إلىٰ ابن القاسم، وعرضَها عليه، فقال ابن القاسم: فيها أشياءُ لابد أن تُغَيَّر، وأجاب عن أماكن، ثم كتب إلى أسدِ بن الفُرات: أن عارضْ كُتُبَكَ بكُتُبِ سُحنون، فلم يفعل، وعزّ عليه، فبلغ ذلك ابن القاسم، فتألم، وقال: اللهم لا تبارك في الأسديَّة، فهي مرفوضة عند المالكية.

[٤]وقد كان أسدٌ ذا إتقانٍ، وتحريرٍ لِكُتُبِه، لقد بيعت كُتُب فقيهٍ، فنُودي عليها: هذه قُوبِلَت على كتب الإفريقي، فاشتروها ورقتين بدرهم.

---

(١) انظر السير: ١٠/ ٢٢٥ـ٢٨.

[١] مضى أسدٌ أميراً على الغزاة من قِبَل زيادة الله الأغلبيِّ متولِّي المغرب، فافتتح بلداً من جزيرة صَقِلِّية، وأدركه أجلُه هناك في سنة ثلاث عشرة ومئتين.

[٢] وكان مع توسُّعِهِ في العلم فارساً بطلاً شُجاعاً مِقداماً، زحفَ إليه صاحبُ صَقِلَّية في مئـةِ ألفٍ وخمسين ألفاً. قال رجلٌ: فلقد رأيتُ أسداً وبيده اللواءُ يقرأ سورَة ﴿يس﴾ ثم حملَ بالجيشِ، فهزمَ العَدوَّ، ورأيتُ الدم وقد سالَ على قناة اللواءِ وعلى ذراعه.

٤٤٧ أبو مُسْهِر (ع)(١)

[٣] عبدُ الأعلى بنُ مُسْهرِ بنِ عبدِ الأعلىٰ، الإمامُ شيخُ الشام، أبو مسهر الغسانيُّ الدمشقيُّ الفقيه.

وكان من أوعيةِ العلم.

مولده سنة أربعين ومئة.

[٤] قال ابنُ سعد: كان أبو مُسهرٍ راويَةَ سعيدِ بنِ عبدالعزيز، وكان أُشْخِصَ من دمشقَ إلى المأمونِ بالرَّقَّة، فسألهُ عن القرآن، فقال: هو كلامُ الله، وأبى أن يقولَ: مخلوق، فدعا له بالنَّطْع والسيفِ ليضربَ عنقَه، فلما رأى ذلك، قال: مخلوقٌ. فتركه من القتل، وقال: أما إنَّك لو قُلت ذاك قبل السيف، لقبلتُ منك، ولكنَّكَ تخرُجُ الآن فتقولُ: قلت ذاك فَرَقاً من القتل، فأمر بحبسِهِ ببغداد في ربيع الآخر سنة ثمان عشرة ومات بعد قليلٍ في الحبس في غُرَّة رجب من السنة، فشهده قومٌ كثيرٌ من أهل بغداد.

[٥] قال أبو إسحاق الجوزجاني: سمعتُ يحيى بنَ مَعِينٍ يقولُ: الذي يُحدِّثُ ببلد به من هو أولى بالتحديث منه أحمق، وإذا رأيتني أُحدِّث ببلد فيها مثلُ أبي مُسهر فينبغي للحيتي أن تُحلق.

---

(١) انظر السير: ١٠/ ٢٢٨-٢٣٨

[١]قال ابنُ دَيزيل: سمعتُ أبا مُسْهر ينشِدُ:

هَبْكَ عُمِّرتَ مِثلَ ما عَاشَ نُوحٌ ثُمَّ لاقيتَ كُلَّ ذاك يسَارا
هَل مِنَ الموتِ لا أَبالَكَ بُدٌّ أيُّ حَيٍّ إلى سِوى المَوتِ صَارا

[٢]قال عليُّ بن عثمان النُّفيلي: كنّا على باب أبي مُسْهِر جماعةً من أصحابِ الحديثِ، فمرِضَ، فعدناهُ، وقُلنا: كيف أصبحت؟ قال: في عافيةٍ، راضياً عن الله، ساخطاً على ذي القرنين، كيف لم يجعل سداً بيننا وبين أهل العراق، كما جعله بين أهل خراسان وبين يأجوج ومأجوج، فما كان بعد هذا إلا يسيراً حتى وافى المأمونُ دمشقَ، ونزلَ بِدَيرِ مُرّان وبنى القُبَّة فوقَ الجبل، فكان بالليلِ يأمرُ بجمرٍ عظيم، فيوقَدُ ويُجعلُ في طُسوتٍ كبارٍ، تُدَلَّى من عند القُبيْبَةِ بسلاسلَ وحِبال، فتُضيءَ لها الغوطةُ، فيُبصِرُها بالليل.

وكان لأبي مُسهر حلقةٌ في الجامع بين العِشاءين عندَ حائطِ الشَّرقي، فبينا هو ليلةً، إذ قد دَخل الجامعَ ضوءٌ عظيمٌ، فقال أبو مُسهر: ما هذا؟ قالوا: النارُ التي تُدلَّى من الجبل لأميرِ المؤمنين حتى تُضيءَ له الغُوطة. فقال ﴿أتبنُون بكل رِيعٍ آيةً تعبَثُونَ. وتَتَّخِذُونَ مَصَانعَ لَعَلَّكُمْ تخلُدُونَ﴾ الآية [الشعراء ١٢٨ و ١٢٩] وكان في الحلقةِ صاحبُ خبرٍ للمأمون، فرفع ذلك إلى المأمون، فَحَقَدَها عليه.

فلما رحلَ المأمونُ، أمر بحملِ أبي مُسهرٍ إليه، فامتحَنَه بالرَّقَّة في القُرآن.

قلتُ: قد كان المأمونُ بأساً وبلاءً على الإسلام.

[٣]قال أبو حاتم الرازيُّ: ما رأيتُ أحداً أعظَمَ قدراً من أبي مُسهر، كنتُ أراه إذا خرجَ إلى المسجِد، اصطفَّ الناسُ يُسلّمونَ عليه، ويقبلون يده.

٤٤٨ زُبَيْدة(١)

[٤]الستُّ المُحجَّبة أَمَةُ العزيز، وتُكنى أمَّ جعفر بنتُ جَعفر بن المنصور أبي جعفر،

(١) انظر السير: ١٠/ ٢٤١.

العبَّاسيَّة، والدةُ الأمينِ محمدِ بن الرَّشيد، قيل: لم تلد عبَّاسيَّةٌ خليفةً سواها.

وكانت عظيمةَ الجاه والمال، لها آثارٌ حميدةٌ في طريق الحج، وجَدُّها المنصور هو لَقَّبها زُبَيْدَة.

[١] وكان في قصرها من الجَوَاري نحوٌ من مِئة جاريةٍ كُلُّهنَّ يحفظْنَ القُرآن.

تُوفِّيت سنةَ ستَّ عشرةَ ومئتين.

٤٤٩ عفَّان (ع)(١)

[٢] ابنُ مُسلم بن عبدالله مولى عَزْرَةَ بن ثابتٍ الأنصاري، الإمام الحافظ، مُحدِّث العراق، أبو عُثمان البصري الصَّفَّار، بقيةُ الأعلام.

ولد سنةَ أربعٍ وثلاثين ومئة تحديداً أو تقريبا.

[٣] قال حنبلٌ: حضرتُ أبا عبدالله وابن مَعينٍ عند عفَّانَ بعد ما دعاه إسحاق بن إبراهيم للمِحنَة، وكان أول مَن امْتُحِنَ من الناس عفَّان، فسأله يحيى من الغد بَعْدَ ما امتُحن، وأبـو عبدالله حاضر ونحن معه، فقال: أخبِرْنا بما قال لك إسحاق؟ قال: يا أبـا زكريا لم أُسَوِّدْ وجهَك ولا وجوه أصحابِك، إني لم أجب. فقال له: فكيف كان؟ قال: دعاني وقرأ عليَّ الكتاب الذي كتب به المأمون من الجزيرة، فإذا فيه: امتحن عفَّان، وادعه إلى أن يقول: القرآن كذا وكذا، فإن قال ذلك فأَقِرَّه على أمره، وإن لم يُجبكَ إلى ما كتبتُ به إليك فاقطَعْ عنه الذي يُجرى عليه ـ وكان المأمون يُجري على عفَّان كلَّ شهرٍ خمسَ مئةِ درهم ـ فلما قرأ عليَّ الكتاب قال لي إسحـاق، ما تقول؟ فقرأتُ عليه ﴿قُل هُو الله أَحدٌ﴾ حتى ختمتُها، فقلت: أمخلوقٌ هذا؟ فقال: يا شيخُ إنَّ أميرَ المؤمنين يقولُ: إنَّك إن لم تُجبه إلى الذي يدعـوكَ إليه يقـطعُ عنـك ما يجـري عليك. فقلت: ﴿وفي السَّمـاءِ رِزقُكُم وما

(١) انظر السير: ١٠/٢٤٢ـ٢٥٥

تُوعَدون﴾ [الذاريات ٢٢] فسكَتَ عني، وانصرفتُ، فسُرَّ بذلك أبو عبدالله ويحيى.

قلتُ: هذه الحكايةُ تدلُّ على جلالةِ عفَّان وارتفاع شأنِهِ عند الدولة، فإنَّ غيره امتُحنَ وقُيِّد وسُجن، وعفَّان فما فعلوا معه غير قطع الدراهم عنه.

[١]قال القاسمُ بن أبي صالح: سمعتُ إبراهيم بن ديزيل، يقول: لما دُعي عفَّانُ للمِحنة كنتُ آخِذاً بلجام حِمارِه، فلما حَضَرَ عُرِض عليه القولُ، فامتنع أن يُجيبَ، فقيل له: يُحبَسُ عطاؤك -قال: وكان يُعطى في كُلِّ شهرٍ ألفَ درهم- فقال: ﴿وفي السَّماء رِزقُكُم وما تُوعدون﴾ فلما رَجَعَ إلى دارِه عَذَلَه نِساؤُه ومن في داره، قال: وكان في داره نحو أربعينَ إنساناً، فدَّق عليه داقٌّ الباب، فدخل عليه رجلٌ شبَّهتُه بسمَّان أو زَيَّات، ومعه كيس فيه ألفُ درهم، فقال: يا أبا عثمان ثَبَّتَكَ الله كما ثَبَّتَّ الدين وهذا في كلِّ شهر.

[٢] محمد بن الحسن بن علي بن بَحر: حدثنا الفَلَّاس قال: رأيتُ يحيى يوماً حدَّث بحديثٍ، فقال له عفَّان: ليس هو هكذا. فلما كانَ من الغد، أتيتُ يحيى، فقال: هو كما قال عفَّان، ولقد سألتُ الله أن لا يكونَ عندي على خلاف ما قال عفَّان.

قلتُ: هكذا العلماءُ، فانظر يا مسكين كيف أنت عنهم بمَعْزَل.

[٣] قال سَلَمةُ بن شَبيب: قلتُ لأحمدَ بن حنبل: طلبتُ عفَّان في منزله، قالوا: خرج، فخرجت أسألُ عنه، فقيل: توجَّه هكذا، فجعلت أمضي أسألُ عنه، حتى انتهيتُ إلى مَقْبُرَةٍ، وإذا هو جالس يقرأ على قبر بنتِ أخي ذي الرِّياسَتَين، فَبزَقْتُ عليه، وقلت: سَوْءَةٌ لك قال: يا هذا، الخُبزَ الخُبزَ! قلتُ: لا أشبع اللهُ بطنَك. قال: فقال لي أحمد: لا تَذكرَّن هذا فإنَّه قد قامَ في المحنة مُقاماً محموداً عليه، ونحوَ هذا من الكلام.

مات عفَّانُ في سنة عشرين ومئتين أو قبلها.

قلتُ: عاش خمساً وثمانين سنة رحمه الله.

٤٥٠ القَعْنَبِيُّ (خ، م، د)[1]

[١]عبدالله بن مَسلَمة بن قَعْنَب، الإمام الثبتُ القدوة، شيخ الإسلام، أبو عبدالرحمن الحارثي القَعْنَبيُّ المدني، نزيل البصرة، ثم مكة.

مولده بعد سنة ثلاثين ومئة بيسير.

[٢]وقال أبو حاتم: ثقة حُجّةٌ لم أر أخشعَ منه، سألناه أن يقرأ علينا «الموطأ» فقال: تعالوا بالغَداة، فقلنا: لنا مجلس عند حجَّاج بن مِنْهال، قال: فإذا فرغتم منه. قُلنا: نأتي حينئذٍ مُسلِم بن إبراهيم .قال: فإذا فرغتُم. قلنا: نأتي أبا حُذيفة النَّهْدي .قال: فبعد العصر. قلنا: نأتي عارماً أبا النُّعمان،قال: فبعدَ المغرب. فكان يأتينا بالليل، فيخرُج علينا، وعليه كَبلٌ ما تحته شيءٌ في الصَّيف، فكان يقرأُ علينا في الحرِّ الشديد حينئذ. الكبل: الفرو الكبير.

قال عَمرو بن علي بن الفلاَّس: كان العَقنبيُّ مُجابَ الدعوة.

[٣]ويُروى عن أبي سَبْرَة المَديني قال: قلتُ للقَعنبي: حدَّثتَ ولم تكن تُحدِّث! قال: إني أُريتُ كأنَّ القيامةَ قد قامت، فصيح بأهلِ العلم، فقامُوا، وقمتُ معهم، فنُودي بي: اجلس. فقلتُ: إلـهي ألم أكن أطلُبُ؟ قال: بلى، ولكنَّهم نَشَروا، وأخفيتَه. قال: فحدَّثتُ.

وقال إسماعيل القاضي: كان القَعنبيُّ من المجتهدين في العبادة.

[٤]أحمد بن مُنير البَلخي، سَمعتُ حَمْدان بن سَهل البلخيَّ الفقيه يقولُ: ما رأيت أحداً إذا رُؤي ذُكرَ الله تعالى إلا القَعنبيُّ رحمه الله، فإنَّه كان إذا مرَّ بمجلسٍ يقولُون: لا إله إلا الله. وقيل: كان يسمَّي الراهبَ لعبادته وفضله.

[٥]عن الحُنينيِّ قال: كُنا عند مالكٍ، فقدم ابن قَعنبٍ من سَفرٍ، فقال مالك: قوموا بنا إلى خيرِ أهل الأرض.

ومات القَعنبيُّ سنةَ إحدى وعشرين ومئتين.

(١) انظر السير: ١٠/ ٢٥٧ـ ٢٦٤

٤٥١ المأمون(١)

[١] **الخليفة، أبو العَبَّاس، عبدالله بن هارون الرشيد. وُلد سنةَ سبعين ومئة.**

وقـرأ العلمَ والأدبَ والأخبـار والعقليَّات وعُلوم الأوائل، وأمر بتعريب كُتبهم، وبالغ، وعمل الرَّصَدَ(٢) فوق جبَلِ دمشق، ودعا إلى القولِ بخلقِ القرآن وبالغ، نسأل الله السلامة.

أتته وفاةُ أبيه وهو بمرو سائراً لغزو ما وراءَ النَّهر، فبايع مَن قِبله لأخيه الأمين، ثم جرت بينهما أمور وخطوب وبلاء وحروب تُشيِّب النواصي، إلى أن قُتِل الأمين، وبايع الناس المأمون في أول سنة ثمان وتسعين ومئة.

[٢] وعن المأمون: أنه تلا في رمضان ثلاثاً وثلاثين خَتمة.

[٣] أبو العبّاس السَّراج: حدثنا محمد بن سهل بن عسكر قال: تقدَّم رجل غريب بيده محبـرة إلى المـأمون، فقال: يا أمير المؤمنين، صاحب حديث منقطع به، فقال: ما تحفظ في باب كذا وكذا؟ فلم يذكر شيئاً. فقال حدثنا هُشيم، وحدثنا يحيى، وحدثنا حجّاج بن محمد، حتى ذكر الباب، ثم سأله عن باب آخر، فلم يذكـر شيئاً، فقال: حدثنا فلان. ثم قال لأصحابه: يطلُبُ أحدهم الحديث ثلاثة أيام، ثم يقول: أنا من أصحاب الحديث، اعطوه ثلاثة دراهم.

[٤] وعن يحيى بن أكثم: كان المأمون يحلُمُ حتى يُغيظَنا، قيل: مرّ ملّاح، فقال: أتـظنّـون أن هذا ينبُلُ عندي وقد قتل أخاه الأمين؟! فسمعها المأمون، فتبسَّم، وقال: ما الحيلةُ حتى أنبل في عين هذا السيد الجليل.

[٥] وعن المأمون قال: أعياني جوابُ ثلاثة:

صرت إلى أم ذي الريَّاستين الفضل بن سهل أعزِّيها فيه، وقلت: لا تَأسَيْ عليه، فإني عِوضُهُ لكِ، قالت: يا أمير المؤمنين وكيفَ لا أحزَنُ علىٰ ولدٍ أكسبني مثلَكَ.

---

(١) انظر السير: ١٠/ ٢٧٢ـ ٢٩٠

(٢) الرصد في علم الفلك: اسم لموضع تعيّن فيه حركات الكواكب.

[١] قال: وأُتيتُ بمتنبىءٍ، فقلت: من أنت؟ قال: أنـا موسى بن عمران، قلتُ: ويحـكَ، موسى كانت له آيات، فائتني بهـا حتى أؤمن بك. قال: إنمـا أتيتُ بالمعجزات فِرعون، فإن قلت: أنا ربكم الأعلى كما قال، أتيتُك بالآيات.

وأتى أهل الكوفة يشكون عامِلَهم، فقال خطيبُهم: هو شَرُّ عامل، أما في أول سنـة، فبعنا الأثاث والعَقَار، وفي الثانية بعنا الضِّياع، وفي الثالثة نَزَحنا وأتيناك، قال: كذبت، بل هو محمود، وعرفت سُخطكم على العُمَّال. قال: صدقتَ يا أمير المؤمنين، وكذبتُ، قد خصصتنا به مدة دون باقي البلاد، فاستعمله على بلد آخر ليشمَلَهم من عدله وإنصافه ما شملنا. فقلت: قم في غير حفظ الله، قد عزلتُه.

[٢] وعن المأمون قال: الناس ثلاثة: رجل منهم مثل الغِذاء لابدّ منه، ومنهم كالدواء يُحتاج إليه في حالِ المرض، ومنهم كالدَّاء مكروه على كل حال.

وعنه قال: لا نزهة ألذُّ من النظر في عُقول الرجال.

[٣] قيل: إن المأمون لتشيُّعه أمر بالنداءِ بإباحة المُتعة ـ مُتعة النساء ـ فدخل عليه يحيى بن أكثم، فذكر له حديث عليٍّ رضي الله عنه بتحريمها، فلما علم بصحة الحديث، رجع إلى الحق، وأمر بالنداء بتحريمها.

أما مسألةُ القرآن، فما رجع عنها، وصمَّم على امتحان العلماء في سنة ثماني عشرة، وشدّد عليهم، فأخذه الله.

[٤] وكان كثير الغزو.

[٥] وفيها ـ أعني سنة ٢٠٥ ـ نُصر المسلمون على بَابك، وبيَّتوه.

[٦] وكـانت الحـروب شديدة بين عسكـر الإسـلام وبين بابَـك، وظَهَـر باليمن الصَّناديقيُّ، وقَتَلَ، وسبى، وادَّعى النُبُوَّة، ثم هلكَ بالطاعون.

[٧] وفي سنة اثنتي عشرة: سار محمد بن حُميد الطوسي لمحاربة بابَك، وأظهر المأمون تفضيل عليٍّ على الشَّيخين، وأن القرآن مخلوق، واستعمل على مصر والشام أخاه المُعتصم فقتل طائفة، وهذب مصر، ووقع المصافُّ مع بابك مرات.

[١]وفي سنة خمس عشرة: سار المأمون لغزو الروم، ومن غزوته عَطَفَ إلى دمشق.
[٢]وفي سنة ستَّ عشرة: كرَّ غازيا في الروم، وجهَّز أخاه المعتصم، ففتح حصوناً، ودخل سنة سبع عشرة مصر، وقتل المتغلب عليها عَبدُوساً الفِهريَّ.
[٣]وفيها وقع حريق عظيم بالبصرة أذهَب أكثرها.
مات في سنة ثمان عشرة ومئتين وله ثمان وأربعون سنة.

٤٥٢ المُتعصِم[1]

[٤]**الخليفة أبو إسحاق محمد بن الرشيد هارون بن محمد المهدي بن المنصور العباسي.**

وُلد سنة ثمانين ومائة.

[٥]قال الرِّياشي: كتب طاغية الروم إلى المعتصم يتهدَّدُه، فأمر بجوابه، فلما عُرِضَ عليه رماه، وقال للكاتب: اكتب: (أما بعد، فقد قرأت كتابك، وسمعت خطابك، والجواب ما ترى لا ما تسمع) ﴿وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار﴾.
[٦] قلتُ: وامتحن الناس بخلق القرآن، وكتب بذلك إلى الأمصار، وأخذ بذلك المؤذنين وفقهاء المكاتب، ودام ذلك حتى أزاله المتوكل بعد أربعة عشر عاماً.
[٧] وكان في سنة ٢١٨ الوباءُ المُفرط والقحط بمصر، ومات أكثرهم.
[٨] واشتد البلاء ببابك، وهزم الجيوش، ودخل في دينه خلائق من العجم، وعسكر بهمذان، فبرز لقتاله إسحاق المُصْعَبي، فكانت ملحمة عظمى، فيقال: قُتِل منهم ستون ألفاً، وهرب باقيهم إلى الروم.
[٩]وفي سنة اثنتين وعشرين، كان المصافُّ بين بابَك الخُرَّمي وبين الأفشين، فطحنه الأفشين، واستباح عسكره، وهرب، ثم إنه أُسرَ بعد فصول طويلة، وكان أحد الأبطال، أخاف الإسلام وأهله، وهزم الجيوش عشرين سنة، وغلب على

(١) انظر السير: ١٠/ ٢٩٠-٣٠٦

أذربيجان وغيرها، وأراد أن يقيم الملة المجوسية.

[١]وكان المعتصم والمأمون قد أنفقوا على حرب بابك قناطير مقنطرة من الذهب والفضة، ففي هذه السنة، بعث المعتصم نفقات إلى جيشه مع الأفشين فكانت ثلاثين ألف ألف درهم، وأُخِذتِ البَذُّ مدينةُ بابكَ اللعين، واختفى في غَيضةٍ، وأُسِرَ أهله وأولاده، وقُطِعَ دابر الخُرَّمِيَّة.

[٢]وقال المسعودي: هرب بابك بأخيه وأهله وخواصّه في زي التجار، فنزل بأرض أرمينية بعمل سهل بن سنباط، فابتاعوا شاة من راع، فَنكِرهم، فأتى سهلاً، فأعلمه فقال: هذا بابَكُ بلا شك، فركب في أجناده حتى أتى بابك، فترجل وسلم عليه بالملك، وقال: قم إلى قصرك، فأنا عبدك، فمضى معه، ومدّ السِّماط له، وأكل معه، فقال بابك: أمثلك يأكل معي! فوقف واعتذر، ثم أحضر حدّاداً ليقيده، فقال: أغدراً يا سهل؟ قال: يا ابن الفاعلة، إنما أنت راعي بقر، ثم قيَّد أتباعه، وكاتَب الأفشين، فجهز أربعة آلاف، فتسلموه وجاء سهل، فَخَلَع عليه الأفشين، وبُعثت بطاقة بذلك إلى بغداد، فضجّ الناس بالتكبير والشكر لله، ثم قدموا ببابك في صفر سنة ثلاث.

[٣]وكان هذا الشقيُّ ثنوياً على دين ماني ومَزْدَك، يقول بتناسُخ الأرواح، ويستحلُّ البنتَ وأمَّها.

[٤]وقيل: إنه أباد من الأمة خلائق، وبخط الإمام ابن الصَّلاح: أنَّ قتلى بابك بلغوا ألف ألف وخمس مئة ألف، وأُحصيَ قتلى أبي مسلم الخراساني، فبلغوا ألفي ألف.

[٥]قال نفطويه: يُقال للمعتصم: المُثَمَّن، فإنه ثامن بني العباس، وتملك ثماني سنين، وثمانية أشهر، وله فتوحات ثمانية.

وقتل ثمانية: بابك، والأفشين، ومازَيار، وباطِيس، ورئيسَ الزَّنادقة وعُجيفاً، وقارون، وأمير الرافضة.

[١]وقال غير نفطويه: خلّف من الذهب ثمانية آلاف دينار، وثمانية عشر ألف ألف درهم، وثمانين ألف فرس، وثمانية آلاف مملوك، وثمانية آلاف جارية، وبنى ثمانية قصور. وقيل بلغ مماليكه ثمانية عشر ألفا، وكان ذا سطوة إذا غضب لا يُبالي من قتل.

قال الخطيب: كثُر عسكرُ المعتصم، وضاقت عليهم بغداد، فبنى مدينة (سُرّ من رأى) وتحوّل إليها وتُسمى أيضا العسكر.

مات المعتصم سنة سبع وعشرين ومئتين، وله سبع وأربعون سنة وسبعة أشهر، ودفن (بسرّ من رأى) وصلى عليه ابنه الواثق.

٤٥٣ الواثق بالله[١]

[٢]**الخليفة أبو جعفر، وأبو القاسم هارون بن المعتصم بالله.**

وكان مولده سنة ست وتسعين ومئة.

[٣]قال الخطيب: استولى أحمد بن أبي دُواد على الواثق، وحمله على التشدد في المحنة، والدعاء إلى خلق القرآن.

[٤]قال عُبيدُ الله بن يحيى: حدثنا إبراهيم بن أسباط، قال: حُمل رجل مقيد، فأدخل على ابن أبي دواد بحضور الواثق، فقال لأحمد: أخبرني عن ما دعوتم الناس إليه، أَعَلِمهُ رسول الله ﷺ فما دعا إليه، أم شيٌ لم يعلمه؟ قال: بل عَلِمَه. قال: فكان يسعه أن لا يدعو النَّاس إليه، وأنتم لا يسعكم؟! فَبُهِتوا، وضحك الواثق، وقام قابضاً على فمه، ودخل مجلساً، ومدَّ رجليه وهو يقول: أمر وسع رسول الله ﷺ أن يسكت عنه ولا يَسَعُنا! ثم أمر أن يُعطى الشيخ ثلاث مئة دينار، وأن يرد إلى بلده.

---

(١) انظر السير: ١٠/٣٠٦-٣١٤

[١]وفي سنة إحدى وثلاثين: قَتَل أحمدَ بنَ نصرٍ الخُزاعيَّ الشهيد ظُلماً، وأمر بامتحان الأئمة والمُؤذِّنين بخلق القرآن، وافتكّ من أسر الروم أربعة آلاف وست مئة نفس، فقال ابن أبي دواد: من لم يقل: القرآن مخلوق، فلا تفتكوه.

وفيها جاء المجوس الأردمانيون في مراكب من ساحل البحر الأعظم، فدخلوا إشبيلية بالسيف، ولم يكن لها سور بعد، فجهزّ لحربهم أمير الأندلس عبدالرحمن المرواني جيشاً، فالتقوا، فانهزم الأردمانيون، وأُسر منهم أربعة آلاف ولله الحمد.

[٢]قال زرقان بن أبي داود: لما احتُضِر الواثق، ردَّد هذين البيتين:

الموتُ فيه جميعُ الخلقِ مشترِكُ   لا سُوقَةٌ مِنهمُ يَبْقَىٰ ولا مَلِك

ما ضرّ أهلَ قليلٍ في تَفرُّقهم   وليس يُغني عن الأملاك ما ملكوا

ثم أمر بالبُسط، فطويت، وألصق خده بالتراب، وجعل يقول: يا من لا يزول ملكُه، ارحم من قد زال مُلكه.

قلتُ: كانت خلافته خمس سنين ونصفاً، مات بسامرّا، سنة اثنتين وثلاثين ومئتين، وبايعوا بعده أخاه المتوكل.

٤٥٤ زكريا بن عَدي (خ، ت)(١)

[٣]ابن زُرَيْق، الإمامُ الحافظ الثبت، أبو يحيى التيمي، مولاهم الكوفي، نزيل بغداد.

[٤] وكان عدي ذمياً فأسلم.

[٥]وقال المنذر بن شاذان: ما رأيتُ أحفظ من زكريا بن عدي، جاءه أحمد بن حنبل ويحيى، فقالا: أخرج إلينا كتاب عبيد الله بن عمرو، فقال: ما تصنعون به؟ خذوا حتى أمليَ عليكم كله،وكان يحدث عن عدة من أصحاب الأعمش،فيُميِّز ألفاظهم.

(١) انظر السير: ١٠/٤٤٢-٤٤٥

[١]وقيل: إنه لما احتضر، قال: اللهم إني إليك مشتاق.

[٢]وقال أبو يحيى صاعقة: قدم زكريا بن عدي، فكلموا له من يستعمله على قرية في الشهر بثلاثين درهماً، فرجع بعد شهر، وقال: ليس أجدني أعمل بقدر الأجرة.

[٣]واشتكت عينه، فأتاه رجل بكحل، فقال: أنت ممن يسمع الحديث مني؟ قال: نعم، فأبى أن يأخذه.

[٤]وقد نال منه أبو نعيم الكوفي بلا حجة، وقال: ماله وللحديث؟ هو بالتوراة أعلم.

قال ابن سعد: هو من موالي تَيم الله، وكان رجلاً صالحاً ثقة، قال: وتوفي في سنة إحدى عشرة ومئتين.

٤٥٥ الوُحَاظِيّ (خ، م)(١)

[٥] **الإمام العالم الحافظ الفقيه، أبو زكريا، يحيى بن صالح الوحاظي الدمشقي، وقيل: الحِمصي.**

قال يحيى بن معين ثقة.

وممَّن وثَّقه ابن عدي وابن حبّان، وغمزه بعض الأئمة لبدعة فيه، لا لعدم إتقان.

[٦]قال أحمد بن حنبل: أخبرني رجل من أصحاب الحديث أن يحيى بن صالح قال: لو ترك أصحابُ الحديثِ عشرةَ أحاديث - يعني هذه التي في الرؤية - ثم قال أحمد: كأنه نزع إلى رأي جهْم.

قلتُ: والمعتزلة تقول: لو أن المحدثين تركوا ألف حديث في الصفات والأسماء والرؤية، والنزول، لأصابوا. والقدرية تقول: لو أنهم تركوا سبعين حديثاً في إثبات القدر.

والرافضة تقول: لو أن الجمهور تركوا من الأحاديث التي يدَّعون صحتها ألف

(١) انظر السير: ١٠/ ٤٥٣-٤٥٦

حديث، لأصابوا، وكثير من ذوي الرأي يردّون أحاديث شافَه بها الحافظ المفتي المجتهد أبو هريرة رسول الله ﷺ، ويزعمون أنه ما كان فقيها، ويأتوننا بأحاديث ساقطة، أو لا يعرف لها إسناداً أصلاً محتجّين بها.

قلنا: وللكلِّ موقفٌ بين يديِ الله تعالى: يا سبحان الله! أحاديث رؤيةِ الله في الآخرة متواترة، والقرآن مصدق لها، فأين الإنصاف؟

[١]قال أبو زُرعة الدمشقي: حدثنا يزيد بن عبد ربه يقول: سمعت وكيعاً يقول ليحيى الوحاظي: اجتنب الرأي، فإني سمعت أبا حنيفة رحمه الله يقول: البول في المسجد أحسن من بعض قياسهم.

مات الوحاظي سنة اثنتين وعشرين ومئتين.

٤٥٦ علي بن الجعد (خ، د)[(١)]

[٢]**ابن عُبيد الإمام الحافظ الحجة مُسند بغداد، أبو الحسن البغدادي الجوهري مولى بني هاشم.**

وُلد سنة أربع وثلاثين ومئة.

[٣]قال الحسين بن إسماعيل الفارسي، سألت عَبدُوس بن هانيء عن حال عليٍّ بن الجعد، فقال: ما أعلم أني لقيت أحفظ منه، فقال: كان يُتَّهم بالجَهْم.

قال: قد قيل هذا، ولم يكن كما قالوا، إلا أن ابنه الحسن بن علي كان على قضاء بغداد، وكان يقول بقول جَهم، قال: كان عند علي بن الجعد عن شعبة نحو من ألف ومئتي حديث، وكان قد لقي المشايخ فزهدت فيه بسبب هذا القول، ثم ندمت بعد.

[٤]وقال أبو يحيى الناقد: سمعتُ أبا غسان الدوري يقول: كنتُ عند علي بن الجعد، فذكروا حديث ابن عِمر: «كنا نُفاضِلُ على عهد النبي ﷺ فنقول: خير

(١) انظر السير: ١٠/ ٤٥٩-٤٦٨

هذه الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان، فيبلغ النبي ﷺ، فلا يُنكره».

فقال علي: انظروا إلى هذا الصبي هو لم يحسن أن يطلق امرأته يقول: كنا نفاضل. وكنت عنده فذكروا حديث: «إن ابني هذا سيد» قال: ما جعله الله سيدا.

قلت: أبو غسان لا أعرف حاله، فإن كان قد صدق، فلعل ابن الجعد قد تاب من هذه الورطة، بل جعله سيداً على رغم أنف كل جاهل، فإن من أصرّ على مثل هذا من الرد على سيد البشر، يكفر بلا مثنويّة، وأي سُؤدد أعظمُ من أنه بويع بالخلافة، ثم نزل عن الأمر لقرابته، وبايعه على أنه ولي عهد المؤمنين، وأن الخلافة له من بعد معاوية حسماً للفتنة، وحقناً للدماء، وإصلاحاً بين جيوش الأمة ليتفرغوا لجهاد الأعداء، ويخلصوا من قتال بعضهم بعضاً، فصحّ فيه تفرّس جدّه ﷺ، وعُدّ ذلك من المعجزات، ومن باب إخباره بالكوائن بعده، وظهر كمال سؤدد السيد الحسن ابنِ عليٍّ ريحانةِ رسولِ الله ﷺ وحبيبهِ، ولله الحمد.

[١]وقال محمد بن حماد المقرئ: سألتُ يحيى بن معين عن علي بن الجعد، فقال: ثقة صدوق، ثقة صدوق قلت: فهذا الذي كان منه؟ فقال: أيش كان منه؟ ثقة صدوق.

[٢]وقال فيه مسلم: هو ثقة لكنّه جهمي.

قلتُ: ولهذا منع أحمد بن حنبل ولديه من السماع منه.

[٣]وقد كان طائفة من المحدثين يتنطعون في من له هفوة صغيرة تخالف السنة، وإلا فعليٌّ إمام كبير حجة، يقال: مكث ستين سنة يصوم يوماً، ويفطر يوما، وبحسبك أن ابن عدي يقول في «كامله» لم أر في رواياته حديثاً منكراً إذا حدّث عنه ثقة.

توفي سنة ثلاثين ومئتين، وقد استكمل ستاً وتسعين سنة.

٤٥٧ بشر بن الحارث(١)

[١]ابن عبدالرحمن، الإمام المحدث الزاهد الرباني القدوة، شيخ الإسلام، أبو نصر المَروزي، ثم البغدادي، المشهور بالحافي.

وُلد سنة اثنتين وخمسين ومئة.

[٢]كان يزُمُّ نفسه، فقد كان رأساً في الورع والإخلاص.

[٣]قال أبو بكر المروزي: سمعتُ بشراً يقول: الجوع يصفي الفؤاد، ويميت الهوى، ويورث العلم الدقيق.

[٤]وقال أبو بكر بن عثمان: سمعتُ بشر بن الحارث يقول: إني لأشتهي شواء منذ أربعين سنة، ما صفا لي درهمه.

[٥]علي بن عثّام، قال: أقام بشر بن الحارث بعبّادان يشرب ماء البحر، ولا يشرب من حياض السلطان، حتى أضر بجوفه، ورجع إلى أخته وجعاً، وكان يعمل المغازل ويبيعها، فذاك كسبه.

[٦]وقال يعقوب بن بختان: سمعت بشر بن الحارث يقول: لا أعلم أفضل من طلب الحديث لمن اتقى الله، وحسنت نيته فيه، وأما أنا فأستغفر الله من طلبه، ومن كل خطوة خطوت فيه.

[٧]قال أحمد بن حنبل: لو كان بشر تزوج لتمّ أمره.

[٨] قال إبراهيم الحربي: ما أخرجت بغدادُ أتمَّ عقلاً من بشر، ولا أحفظ للسانه، كان في كل شعرةٍ منه عقل، وطئ الناسُ عَقِبَه خمسين سنة، ما عُرف له غيبة لمسلم، ما رأيت أفضل منه.

[٩] وعنه: شاطر سخي أحب إلى الله من صوفي بخيل.

(١) انظر السير: ١٠/ ٤٦٩-٤٧٧

[١]وعنه: أمس قد مات، واليوم في السياق، وغداً لم يولد.

[٢]لا يفلح من ألف أفخاذ النساء.

[٣]إذا أعجبك الكلام، فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلَّم.

[٤] وعنه قال: قد يكون الرجل مرائياً بعد موته، يحب أن يكثرَ الخلقُ في جِنازته.

[٥]لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات سُدّاً.

[٦]حمزة بن دهقان، قال: قلت لبشر بن الحارث: أحب أن أخلوَ معك. قال: إذا شئت فيكون يوماً. فرأيته قد دخل قبة، فصلى فيها أربع ركعات لا أحسن أصلي مثلها، فسمعته يقول في سجوده: اللهم إنك تعلم فوقَ عرشِك أن الذُّلَّ أحبّ إليّ من الشرف، اللهم إنك تعلم فوقَ عرشِك أن الفقر أحب إلي من الغنى، اللهم إنك تعلم فوقَ عرشِك أني لا أؤثر على حبك شيئاً، فلما سمعته، أخذني الشهيق والبكاء، فقال: اللهم أنت تعلم أني لو أعلم أن هذا ها هنا، لم أتكلَّم.

[٧]وقيل لأحمد: مات بشر. قال: مات والله وما له نظير، إلا عامر بن عبد قيس، فإن عامراً مات ولم يترك شيئاً. ثم قال أحمد: لو تزوج.

[٨] قال إبراهيم الحربي: لو قسم عقل بشر على أهل بغداد، صاروا عقلاء.

[٩] قيل: جاء رجل إلى بشر، فقبّله، وجعل يقول: ياسيدي أبا نصر. فلما ذهب، قال بشر لأصحابه، رجل أحب رجلاً على خير توهمه، لعل المحب قد نجا، والمحبوب لا يُدرى ما حاله.

مات بشر الحافي رحمة الله عليه سنة سبع وعشرين ومئتين، قبل المعتصم الخليفة بستة أيام، وعاش خمساً وسبعين سنة.

وقد أفرد ابن الجوزي مناقبه في كتاب.

[١٠] عن بشر: ليس أحد يحب الدنيا إلا لم يحب الموت، ومن زهد فيها، أحب لقاء مولاه، وعنه: ما اتقى الله من أحب الشُّهرة.

[١١] وعنه قال: لا تعمل لِتُذكر، اكتم الحسنة كما تكتُم السيئة.

٤٥٨ أبو عُبيَد (د)[١]

[١] **الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون، أبو عبيد، القاسم بن سلّام بن عبدالله.**

مولد أبي عبيد سنة سبع وخمسين ومئة.

وصنّف التصانيف المُونقَة التي سارت بها الركبان. وله مصنف في القراءات لم أره، وهو من أئمة الاجتهاد.

له كتاب «الأموال» في مجلد كبير سمعناه بالاتصال. وكتاب «الغريب» مرويّ أيضاً، وكتاب «فضائل القرآن» وقع لنا، وكتاب «الطّهور»، وكتاب «الناسخ والمنسوخ» وكتاب «المواعظ»، وكتاب «الغريب المصنف في علم اللسان» وغير ذلك وله بضعة وعشرون كتابا.

[٢] قال أبو بكر الأنباري: كان أبو عبيد ـ رحمه الله ـ يقسم الليل أثلاثاً فيصلي ثلثه، وينام ثلثه، ويصنّف الكتب ثلثه.

[٣] علي بن عبدالعزيز، سمعت أبا عبيد يقول: المتبع السنة كالقابض على الجمر هو اليوم عندي أفضل من ضربِ السيف في سبيل الله.

[٤] عبدالله بن العباس الطَّيالِسي، سمعت الهِلالَ بن العلاء الرَّقيَّ يقول: مَنَّ الله على هذه الأُمَّة بأربعةٍ في زمانهم: بالشافعي تفقَّه بحديث رسول الله ﷺ، وبأحمد ثبتَ في المحنة، لولا ذلك كَفر الناس، وبيحيى بن معين نفى الكذب عن الحديث، وبأبي عبيد فسّر الغريب من الحديث، ولولا ذلك لاقتحم الناسُ في الخطأ.

[٥] وقال أحمد بن سلمة: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: الحقُّ يحبُّه الله عزّ وجلّ: أبو عُبيدٍ القاسمُ بن سلّام أفقه منّي وأعلم منّي.

[٦] قال أبو العبَّاس ثَعلب: لو كان أبو عُبيد في بني إسرائيل، لكان عَجباً.

[٧] قال إبراهيم بن محمد النَّسَّاج: سمعتُ إبراهيم الحَربي يقول: أدركتُ ثلاثةً

(١) انظر السير: ١٠/ ٤٩٠ـ ٥٠٩

تعجِـزُ النِّساءُ أن يَلِدْن مثلهم: رأيتُ أبا عُبَيْد، ما مثّلته إلا بجبل نفخ فيه روح، ورأيت بشر بن الحارث، ما شبهته إلا برجل عجن من قرنه إلى قدمه عقلاً، ورأيت أحمد بن حنبل، فرأيت كأن الله قد جمع له علمَ الأوَّلين، فمِن كل صنف يقول ما يشاء، ويُمسِكُ ما يشاء.

[١]انصرف يوماً من الصلاة، فمرّ بدار إسحاق المَوْصلي، فقالوا له: يا أبا عبيد، صاحب هذه الدار يقول: إن في كتابك (غريبِ المُصَنَّف) ألف حرف خطأ.

فقال: كتاب فيه أكثر من مئة ألف يقع فيه ألف ليس بكثير؟ ولعلّ إسحاق عنده رواية، وعندنا رواية، فلم يعلم، فخطَّأنا، والروايتان صواب، ولعله أخطأ في حروف، وأخطأنا في حروف، فيبقى الخطأ يسيراً.

[٢]العبَّاس الدُّوري، سمعتُ أبا عُبيدٍ القاسم بن سلَّام ـ وذكر البابِ الذي يُروى فيه الرؤية، والكرسي مَوضع القَدَمين، وضَحِك رُّبنا، وأين كان رُّبنا ـ فقال: هذه أحاديث صحاح، حملها أصحابُ الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حقّ لا نشك فيها، ولكن إذا قيل: كيف يضحك؟ وكيف وضع قدمه؟ قلنا: لا نُفَسِّر هذا، ولا سمعنا أحداً يفسره.

[٣]قلتُ: قد فسَّر علماءُ السَّلفِ المهمَّ من الألفاظ وغير المهم، وما أبقوا ممكنا، وآيات الصِّفات وأحاديثها لم يتعرضوا لتأويلها أصلاً، وهي أهمُّ الدين، فلو كان تأويلها سائغاً أو حتماً، لبادروا إليه، فعُلِمَ قطعاً أن قراءتها وإمرارها على ما جاءت هو الحق، لا تفسير لها غير ذلك، فنؤمن بذلك، ونسكت اقتداءً بالسلف، معتقدين أنها صفاتٌ لله تعالى، استأثر الله بعلم حقائقها، وأنَّها لا تشبه صفاتِ المخلوقين، كما إنَّ ذاتَه المقدَّسة لا تُماثِل ذواتِ المخلوقين، فالكِتاب والسنة نطق بها، والرسول ﷺ بلّغ، وما تعرّض لتأويل، مع كون الباري قال ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّل إلَيْهِم﴾ [النحل ٤٤] فعلينا الإيمان والتسليم للنصوص، والله يهدي من يشاء إلي صراط مستقيم. مات سنة أربع وعشرين ومئتين بمكة. بلغ سبعاً وستين سنة، رحمه الله.

٤٥٩ يحيى بن يحيى (خ، م، ت، س)(١)

[١]ابن بكر، شيخُ الإسلام، وعالمُ خُراسان، أبو زكريا التميميُّ المِنْقَرِيُّ النيسابوريُّ الحافظ.

وُلد يحيى بنُ يحيى سنة اثنتين وأربعين ومئة.

[٢] أبو العبَّاسِ السَّرَّاج: سمعتُ الحُسين بن عبدش وكان ثقةً، سمعتُ محمد بن أسلم يقول: رأيتُ النبي ﷺ في المنام، فقلت: عمن أكتُبُ؟ فقال: عن يحيى بن يحيى.

قال خُشْنَامُ بن سعيد: سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: كان يحيى بن يحيى عندي إماماً، ولو كانت عندي نفقة، لرحلتُ إليه.

[٣] قال أبو أحمد محمد بن عبدالوهاب: سمعتُ الحسين بن منصور قال: كنَّا عند أحمد بن حنبل، فروى حديثاً عن سفيان، فقلت: خالفك يحيى بن يحيى، فتوقَّف، وقال: لا خير فيما يُخالِفُ يحيى بن يحيى.

[٤]وبلغنا أنَّ يحيى أوصى بثياب بدنه لأحمدَ بن حنبل، فلما قَدِمَتْ على أحمد، أخذ منها ثوباً واحداً للبركة، وردّ الباقي، وقال: إنَّه ليس تفصيل ثيابه من زِيِّ بلدنا.

مات يحيى بن يحيى سنة ستٍّ وعشرين ومئتين.

[٥]قال الحاكم: سمعتُ أبي: سمعتُ أبا عمرو العَمْرَوِيَّ والي البلد يقول: بينا أنا نائم ذات ليلة على السطح، إذ رأيتُ نوراً يسطَعُ إلى السماء، من قبر في مقبرة الحُسين، كأنَّه منارة بيضاء، فدعوت بغلام لي رام، فقلت: ارم ذاك القبرُ الذي يسطَعُ منه النور، ففعل، فلما أصبحت، بكّرت بنفسي، فإذا النشَّابة في قبر يحيى ابن يحيى رحمة الله عليه.

وقال أحمد بن سيَّار المَروزي: يحيى بن يحيى من موالي بني مِنْقَر، كان ثقة، حسن الوجه، طويل اللحية، خيِّراً، فاضلاً، صائناً لنفسه.

---

(١) انظر السير: ١٠/ ٥١٢- ٥١٩.

[١]وقال نصر بن زكريا: سمعت محمد بن يحيى الذُّهلي: سمعتُ يحيى بن معين يقول: الذَّبُّ عن السُّنَّةِ أفضل من الجهاد في سبيل الله. فقلت ليحيى: الرجل يُنفق ماله، ويتعب نفسه، ويجاهد، فهذا أفضل منه!؟ قال: نعم، بكثير.

٤٦٠ يحيى بن يحيى بن كثير(١)

[٢]**ابن وِسْلَاس بن شِملال بن منغايا، الإمام الكبير، فقيه الأندلس، أبو محمد الليثي البربريُّ المصموديُّ الأندلسيُّ القرطبي.**

مولده في سنة اثنتين وخمسين ومئة.

ولازم ابنَ وهبٍ، وابن القاسم، ثم حجَّ، ورجَع إلى المدينة ليزداد من مالك، فوجده في مرض الموت، فأقام إلى أن توفاه الله، وشهد جِنَازته، ورجع إلى قُرطبةَ بعلمٍ جَمٍّ، وتصدر للاشتغال، وازدحموا عليه، وبَعُد صيتُهُ، وانتفعوا بعلمه وهديه وسمته.

وكان كبير الشأن، وافر الجلالة، عظيم الهيبة، نال من الرئاسة والحُرمة ما لم يبلُغه أحد.

[٣]وبلغَنا أن يحيى بن يحيى الليثي كان عند مالك بن أنس رحمه الله، فمرّ على باب مالـكٍ الفيلُ، فخرج كلّ من كان في مجلِسه لرؤية الفيل، سوى يحيى بن يحيى، فلم يقم، فأُعْجِبَ به مالك وسأله: من أنت؟ وأين بلدُك؟ ثم لم يزل بعد مُكْرِماً له.

[٤]وعن يحيى بن يحيى، قال: أخذت بركاب الليث، فأراد غلامُهُ أن يمنعني، فقال الليث، دَعْه. ثم قال لي: خدمَكَ العِلْم. قال: فلم تزل بي الأيام حتى رأيتُ ذلك.

---

(١) انظر السير: ١٠/ ٥١٩ـ٥٢٥

[١] وقيل إنَّ عبدالرحمن بن الحكم المرواني صاحبَ الأندلس نظر إلى جارية له في رمضان نهاراً، فلم يَمْلِكَ نفسه أن واقعها، ثم ندم، وطلب الفقهاء، وسألهم عن توبته، فقال يحيى بن يحيى: صُم شَهرين متتابعين، فسكت العلماءُ، فلما خرجوا قالوا ليحيى:

مالك لم تفته بمذهبنا عن مالك أنه مخيَّر بين العِتْقِ والصَّوْمِ والإطعام؟ قال: لو فتحنا له هذا الباب، لَسَهُلَ عليه أن يَطَأَ كُلَّ يوم، ويعتِقَ رقبة، فحملتُه على أصعب الأمور لئلا يعود.

[٢] قال أبو عُمر بن عبدالبَر: قدم يحيى بنُ يحيى الأندلس بعلمٍ كثير، فعادت فُتيا الأندلس بعد عيسى بن دينار الفقيه عليه، وانتهى السلطانُ والعامَّةُ إلى رأيه، وكان فقيهاً حَسن الرأي، وكان لا يرى القنوتَ في الصبح، ولا في سائِر الصلوات، ويقول: سمعت الليث بن سعد يقول: سمعتُ يحيى بن سعيد الأنصاري يقول: إنما قنت رسول الله ﷺ نحواً من أربعين يوماً يدعو على قوم، ويدعو لآخرين.

قال: وكان الليث لا يقنت.

[٣] قال: وكان يرى جواز كراء الأرض بجزء مما يخرُجُ منها، على مذهب الليث، ويقول: هي سُنة رسول الله ﷺ في خيبر.

[٤] وقضى برأي أمينين إذا لم يوجد في أهل الزوجين حكمانِ يصلحان لذلك.

[٥] قال أبو القاسم بن بشكُوال الحافظ: كان يحيى بن يحيى مُجاب الدعوة، قد أخذ نفسه في هيئته ومقعده هيئة مالك الإمامِ بالأندلس، فإنه عرض عليه قضاء الجماعة، فامتنع، فكان أميرُ الأندلسِ لا يولّي أحداً القضاء بمدائن إقليم الأندلس، إلا من يُشير به يحيى بن يحيى، فكثر لذلك تلامذةُ يحيى بن يحيى، وأقبلوا على فقه مالكٍ، ونبذوا ما سواه.

وفاة يحيى بن يحيى في سنة أربع وثلاثين ومئتين.

٤٦١ إبراهيم بن المهدي(١)

[١]**الأميرُ الكبير، أبو إسحاق، المُلَقَّب بالمبارك، إبراهيم بن أمير المؤمنين محمد ابن أبي جعفر، الهاشمي العبَّاسي الأسود.**

ويُعرف بالتِّنِّين للونه، وضخامته.

كان فصيحاً، بليغاً، عالماً، أديباً، شاعراً، رأساً في فن الموسيقى.

[٢]قال علي بن المغيرة الأثرم: حدثنا إبراهيم: أنه وليَ إمرة دمشق أعواماً لم يقطع فيها على أحد طريق، وحُدثتُ أن الآفة في قطعِ الطريق من دعامةَ ونعمان ويحيى ابن أُرميا اليهودي البلقاوي، وأنهم لم يضعوا يدَهم في يد عامل، فكاتبتُهُم. فتاب دعامة. وحلف النعمان بالأيمان أنه لا يؤذي مهما وليتُ، وطلب ابن أُرميا أماناً ليأتي، ويناظر، فأجبته، فقدم شابٌ أشعرُ أمعرُ في أقبيةِ ديباج، ومِنْطَقَةٍ وسيف محلّى، فدخل على الخضراء، فسلّم دون البساط، فقلت: اصعد. قال: إن لِلبساطِ ذماماً، أخافُ أن يلزمني جلوسي عليه، وما أدري ما تسومني، قلت: أسلِم، وأطِعْ. قال: أما الطاعة فأرجو، ولا سبيل إلى الإسلام، فما عندك إن لم أسلم؟ قلت: لابد من جِزية. قال: أعفني. قلت: كلاّ. قال: فأنا منصرف على أماني. فأذِنْتُ له، وأمرتُهُم أن يسقوا فرسه، فلما رأى ذلك، دعا بدابّةِ غلامه، وترك فرسه، وقال: لن آخُذَ شيئاً ارتفَقَ منكم، فأحاربكم عليه، فاستحييت وطلبتُه، فلما دخل، قلت: الحمد لله، ظفرتُ بك بلا عهد. قال: وكيف؟ قلت: لأنك انصرفت من عندي، وقد عدُت، قال: شرطُك أن تصرِفَني إلى مأمني، فإن كان دارك مأمني، فلستُ بخائف، وإن كان مأمني أرضي، فرُدّني، فجهدت به أن يُؤدِّي جزية على أن أهبه في السنة ألفي دينار، فأبى، وذهب فأسعر الدنيا شراً، وحُمل مالٌ من مصر، فتعرّض له، فكتب النعمان إليَّ، فأمرته بمحاربته، فسار النعمان، ووافاه اليهودي في جماعته، فسأله النعمان الانصراف، فأبى، وقال: بارِزني، وإن

(١) انظر السير: ١٠/ ٥٥٧ـ ٥٦١

شئت، برزت وحدي إليك وإلى جندك. فقال النعمان: يا يحيى، ويحك أنت حَدَث قد بُلِيتَ بالعُجب، ولو كنت من أنفس قريش لما أمكنك معارّة السلطان، وهذا الأمير هو أخو الخليفة، وأنا ـ وإن افترقنا في الدين ـ أحب أن لا يقتل على يديَّ فارس، فإن كنت تُحِبُّ السلامة، فابرز إليَّ ولا يُبتلىٰ بنا غيرنا، فبرز له العصر، فما زالا في مبارزة إلى الليل، فوقف كل منهما على فرسه متكئاً على رمحه، فنعَسَ النعمان، فطعنه اليهوديُّ، فيقع سنانُ رمحه في المِنْطَقَة، فدارت، وصارت السِّنان يدور معها، فاعتنقه النعمان، وقال: أغدراً يا ابن اليهودية؟ فقال: أو مُحارب ينام يابنَ الأمة؟! فاتكأ عليه النعمان، فسقط فوقه، وكان النعمان ضخماً، فصار فوقه، فذبح اليهوديَّ، وبعث إليَّ برأسه، فاطمأنت البلادُ، ثم وَلِيَ بعدي عمّي سُليمان، فانتهبه أهلُ دمشق، وسَبَوا حُرَمَه.

[١] قال الخطيب: بُويع إبراهيمُ بالخلافة زمن المأمون، فحارب الحسن بن سهل، فهزمه إبراهيم، ثم أقبل لحربه حُميدُ الطُّوسي، فهُزِمَ جمعُ إبراهيم، واختفى إبراهيم زماناً إلى أن ظفر به المأمون، فعفا عنه.

[٢] وعن منصور بن المهدي قال: كان أخي إبراهيم إذا تنحنح، طرب من يسمعُه، فإذا غنى، أصغتِ الوحوش حتى تضعَ رؤوسَها في حَجره، فإذا سكَتَ، هَرَبت. وكان إذا غنى لم يبق أحد إلا ذهِل.

[٣] وقال ابن الفضل بن الربيع: ما اجتمع أخٌ وأختٌ أحسن غِناءً من إبراهيمَ بنِ المهديِّ وأختِه عُليَّة.

[٤] قال ثمامة بن أشرس: قال لي المأمون: قد عزمتُ على تقريع عمِّي، فحضرت، فجيْ بإبراهيمَ مغلولاً قد تهدَّل شعرُه على عينيه، فسلَّم، فقال المأمون: لا سلَّم الله عليك، أكفراً بالنعمة وخروجاً عليّ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن القدرة تُذهِبُ الحفيظة، ومن مُدَّ له في الاغترار هجمت به الأناةُ على التلف، وقد رفعك الله فوق كلّ ذنب كما وضع كلَّ ذي ذنب دونك، فإن تعاقب، فبحقِّك،

وإن تعف فبفضلك. قال: إن هذين يعني ابنه العباس والمعتصم يشيران بقتلك. قال: أشارا عليك بما يشار به على مِثلَك في مِثلي، والملكُ عقيم، ولكن تأبى لك أن تستجلب نصراً إلا من حيث عوّدك الله، وأنا عمُّك، والعمُّ صِنوُ الأب، وبكى. فتَغَرْغَرت عينا المأمون، وقال: خلُّوا عن عمي، ثم أحضره، ونادمه، وما زال به حتى ضرب له بالعود.

[١]وقيل: إن أحمد بن خالد الوزير، قال: يا أمير المؤمنين، إن قتلته، فلك نظراء، وإن عفوت، لم يكن لك نظير.

توفي إبراهيم في سنة أربع وعشرين ومئتين.

٤٦٢ أبو نَصر التَّمَّار (م، س)(١)

[٢]**عبدالملك بن عبدالعزيز بن عبدالملك.**

مولده عام مقتل أبي مسلم الخراساني.

وقال أبو حاتم: ثقة، يُعدُّ من الأبدال.

توفي ببغداد في سنة ثمان وعشرين ومئتين، ودفن بباب حرب، وهو ابن إحدى وتسعين سنة، وكان بصره قد ذهب.

[٣]قال أبو زُرعة الرازي: كان أحمد بن حنبل لا يرى الكتابة عن أبي نصر التَّمار، ولا ابن معين، ولا مِمّن امتُحِن، فأجاب.

[٤]وقال أبو الحسن الميموني: صحَّ عندي أنه ـ يعني أحمد ـ لم يحضر أبا نصر التَّمار حين مات، فحسبت أن ذلك لما كان أجاب في المحنة.

[٥]قلتُ: أجاب تَقِيّةً وخوفاً من النّكال، وهو ثقة بحاله ولله الحمد.

[٦]قال محمد بن محمد بن أبي الورد: قال لي مؤذِّن بِشرِ بن الحارث: رأيت بِشراً رحمه الله في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي.

---

(١) انظر السير: ١٠/ ٥٧١ـ ٥٧٤

قلتُ: ما فُعِلَ بأحمد بن حنبل؟ قال: غُفِرَ له. فقلت: ما فُعل بأبي نصر التَّمار؟ قال: هيهات، ذاك في علِّيين، فقلت: بماذا نال ما لم تنالاه؟ فقال: بفَقْره وصبره على بُنيَّاتِه.

٤٦٣ خَلفُ بن هِشام (م، د)[1]

[١]**ابن ثعلب، الإمام الحافظ الحجة، شيخ الإسلام، أبو محمد البغدادي البزَّار، المقرئ.**

مولده سنة خمسين ومئة.

[٢]وله اختيارٌ في الحروف صحيح ثابت ليس بشاذٍّ أصلاً، ولا يكاد يخرج فيه عن القراءات السبع، وأخذ عنه خلق لا يُحصون.

[٣]قال حمدان بن هانئ المقرئ: سمعته يقول: أشكل عليّ باب من النحو، فأنفقت ثمانين ألف درهم حتى حَذَقْتُه.

[٤]قال أبو الحسن عبدالملك الميموني: قال رجل لأبي عبدالله: ذهبت إلى خَلَفٍ البّزار أعِظه، بلغني أنه حدَّث بحديث عن الأحوص عن عبدالله قال: «ما خلق الله شيئاً أعظم . . .» وذكر الحديث، فقال أبو عبدالله، ما كان ينبغي له أن يحدِّث بهذا في هذه الأيام ـ يريد زمن المحنة ـ والمتن: «ما خلق الله من سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي» وقد قال أحمد بن حنبل لما أوردوا عليه هذا يوم المحنة: إن الخلق واقع ها هنا على السماء والأرض وهذه الأشياء، لا على القرآن.

[٥]قلتُ: كذا ينبغي للمحدِّث أن لا يشهر الأحاديث التي يَتَشبَّثُ بظاهرها أعداء السُّنَن من الجَهمية، . . . . . وأهل الأهواء، والأحاديث التي فيها صفاتٌ لم تثبت، فإنك لن تحدِّث قوماً بحديث لا تبلُغه عقولهم، إلا كان فتنةً لبعضهم، فلا تكتم العلم الذي هو علم، ولا تَبْذُله للجَهَلة الذين يَشغَبون عليك، أو الذين

(١) انظر السير: ١٠/ ٥٧٦ ـ ٥٨٠

يفهمون منه ما يَضُرُّهم.

[١]وقال: أعدت الصلاة أربعين سنة كنت أتناولُ فيها الشراب على مذهب الكوفيّين.

[٢]قال الحسين بن فهم: ما رأيتُ أنبـل من خَلَف بن هشـام، كان يبـدأ بأهلِ القرآن، ثم يأذن لأصحاب الحديث.

[٣]إسحـاق بن إبراهيم بن أبي حسان الأنماطي، حدثنا أحمد بن إبراهيم ورَّاق خَلَفِ بن هشام أنه سمع خلفاً يقول: قدمت الكوفة، فصرت إلى سُليم بن عيسى، فقال لي: ما أقدَمَكَ؟ قلتُ: أقرأُ على أبي بكر بن عيّاش، فقال: لا تُريدُه، قلتُ: بلى، فدعا ابنه وكتب معه إلى أبي بكر، لم أدْرِ ما كتب، فأتينا منزل أبي بكر.

قال ابن أبي حسَّان: وكان لخلف تسع عشرة سنة، فلما قرأ الورقة،قال: أدخل الرَّجُل، فدخلت وسلَّمت، فصعَّد فيَّ النَّظر، ثم قال: أنت خلف؟ قلت: نعم، قال:أنت لم تُخلِّف ببغداد أحداً أقرأُ منك؟ فسكتُّ، فقال لي: اقعد، هات اقرأ، قلت: أعليك؟ قال: نعم، قلت: لا والله، لا أقرأ على رجل يستصغرُ رجلاً من حملة القرآن، ثم خرجتُ، فوجَّه إلى سُليم يسأله أن يرُدَّني فأبيت، ثم إني ندمت واحتَجْت، فكتبتُ قراءة عاصم عن يحيى بن آدم عن أبي بكر.

[٤]قال النقاش: قال يحيى الفَحّام: رأيتُ خلف بن هشام في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال غفر لي.

توفِّي خلف في سنة تسع وعشرين ومئتين، وقد شارف الثَّمانين.

٤٦٤ سعيد بن كَثير بن عُفير (خ، م، س)[١]

[٥]الإمـام الحافظ العلاَّمة الأخباري الثقة أبو عثمان المصري. مولده سنة ست وأربعين ومئة. وهو من موالي الأنصار.

(١) انظر السير: ١٠/ ٥٨٣-٥٨٦

[١]قال ابن عدي: هو عند النَّاس ثقة، ثم ساق قول أبي إسحاق السَّعْدي الجوزجاني في سعيد بن عفير: فيه غير لون من البِدَع، وكان مُخَلِّطاً غير ثقة، فهذا من مُجازفات السَّعْدي.

[٢]قال ابن عدي: هذا الذي قاله السَّعديُّ لا معنى له، ولم أسمع أحداً، ولا بلغني عن أحد كلامٌ في سعيد بن عُفير، وقد حدَّث عنه الأئمة، إلا أن يكون السَّعْدي أراد به سعيد بن عُفير آخر. وقال يحيى بن مَعِين: رأيت بمصرَ ثلاثَ عجائبَ: النيل، والأهرام، وسعيد بن عُفير.

قلتُ: حسبك أنَّ يحيى إمامَ المحدثين انبهر لابن عفير. وقال أبو سعيد بن يونس: كان سعيد من أعلم الناس بالأنساب، والأخبار الماضية، وأيام العرب والتواريخ، كان في ذلك كله شيئاً عجيباً، وكان مع ذلك أديباً فصيحاً، حسن البيان، حاضر الحجة، لا تُمَلُّ مجالسته، ولا يُنزَفُ علمه.

[٣]علي بن عبدالرحمن، حدثنا سعيد بن كثير بن عفير قال: كنا بقُبَّة الهواء عند المأمون فقال لنا: ما أعجب فرعون من مصر حيث يقول: ﴿أليس لي مُلكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف ٥١].

فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، إن الذي ترى بقية ما دُمِّر. قال تعالى: ﴿ودمَّرنا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعَونُ وقَوْمُهُ وما كانوا يَعرِشُون﴾ [الأعراف ١٣٧] قال: صدقتَ. ثم أمسك.

مات سعيد بن عفير سنةَ ست وعشرين ومئتين.

٤٦٥ نُعيمُ بن حمَّاد بن مُعاوية (خ، د، ت، ق)(١)

[٤]الإمامُ العلَّامة الحافظ، أبو عبدِالله الخُزاعيُّ المَرْوَزِيُّ الفَرَضيُّ الأعور، صاحب التَّصانيف.

[٥]عن أحمد قال: أول من عرفناه يكتب المسند نعيم بن حمَّاد.

(١) انظر السير: ١٠/ ٥٩٥-٦١٢

[١]العباس بن مصعب قال: وضع نُعيم بنُ حمّادٍ الفَرَضِيُّ كتباً في الردِّ على أبي حنيفة، وناقضَ محمد بن الحسن.

[٢]فقال ابن المبارك: نُعيمٌ هذا قد جاءَ بأمر كبير، يريد أن يُبطِل نكاحاً قد عُقد، ويبطِل بيوعاً قد تقدمتَ، وقوم توالدوا على هذا، ثم خرج إلى مصر، فأقام بها نحو نيف وأربعين سنة، وكتبوا عنه بها، وحُمِل إلى العراق في امتحان (القرآن مخلوق) مع البُويطي مُقيَّدين، فمات نُعيمٌ بالعسكر سنة تسعٍ وعشرين.

قلتُ: نُعيمٌ من كبار أوعية العلم، لكنه لا تركَنُ النفسُ إلى رواياته.

[٣]قال عبدالخالق بن منصور: رأيتُ يحيى بن معين كأنه يُهَجِّن نعيم بن حمَّاد في خبر أمِّ الطُّفيل في الرؤية، ويقول: ما كان ينبغي له أن يحدِّث بمثل هذا.

[٤] فأما خبر أمِّ الطُّفَيْلِ، فرواه محمد بن إسماعيل الترمذي وغيره، حدثنا نُعيم، حدثنا ابن وهب، أخبرنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال أنَّ مروان بن عُثمان حدَّث عن عُمارةَ بنِ عامِر، عن أمِّ الطُّفيل امرأةِ أُبيٍّ بن كعب: سمعتُ رسول الله ﷺ يذكر أنه رأى ربّه في صورة كذا. فهذا خبرٌ منكرٌ جداً، أحسن النَّسائي حيث يقول: ومنْ مَروانُ بن عُثمان حتى يُصدَّق على الله!؟ وهذا لم يَنفرد به نُعيم، فقد رواه أحمد بن صالح المصري الحافظ، وأحمد بن عيسى التُّستَري، وأحمد بن عبدالرحمن بن وهب، عن ابن وهب. قال أبو زرعة النَّصري: رجاله معروفون.

قُلت: بلا ريب قد حَدَّث به ابن وَهب وشيخُه وابن أبي هلال، وهم معروفون عُدول، فأما مروان، وما أدراك ما مروان، فهو حَفيد أبي سعيد المُعلَّى الأنصاري وشيخه هو عُمارة بن عامِر بن عمرو بن حَزم الأنصاري.

[٥]ولئن جوّزنا أن النبي ﷺ قال، فهو أدرى بما قال، ولرؤياه في المنام تعبير لم يذكره عليه السلام، ولا نحن نُحسن أن نَعْبُره، فأما أن نحمله على ظاهره الحسِّي، فمعاذ الله أن نعتقد الخوض في ذلك بحيث إن بعض الفُضلاء قال: تصحَّف الحديث، وإنما هو: رأي رئيَّه بياءٍ مشدَّدة، وقد قال علي رضي الله عنه: حدّثوا

الناس بما يعرفون، ودعوا ما يُنكرون. وقد صحّ أن أبا هريرة كتم حديثاً كثيراً مما لا يحتاجه المسلم في دينه، وكان يقول: لو بَثَثْتُه فيكم لقُطِع هذا البلعوم، وليس هذا من باب كتمان العلم في شيء، فإن العلمَ الواجبَ يجَب بثُّه ونشره ويجب على الأمّة حفظُه، والعلم الذي في فضائل الأعمال مما يصح إسنادُه يتعيَّن نقله ويتأكَّد نشرُه، وينبغي للأمَّة نقلُه، والعلم المباح لا يَجِبُ بثُّه ولا ينبغي أن يدخل فيه إلا خواصُّ العلماء.

[١]والعلمُ الذي يحرم تعلُّمه ونَشره علم الأوائل وإلـهيّات الفَلاسفة وبعض رياضتهم بل أكثره، وعلم السِّحر، والسِّيمياء، والكيمياء، والشَّعْبَذة، والحِيل، ونشرُ الأحاديث الموضوعة، وكثير من القصص الباطلِة أو المنكرة، وسيرة البَطَّال المختلقة، وأمثال ذلك، ورسائل إخوان الصَّفا، وشعرٌ يُعرض فيه إلى الجَناب النبوي، فالعلومُ الباطلة كثيرةٌ جداً فلتُحذر، ومن ابتُلي بالنظر فيها للفُرجة والمعرفة من الأذكياء، فليقلل من ذلك، وليُطالعْه وحدَه، وليستغفرِ الله تعالى، وليَلْتَجيء إلى التوحيد، والدُّعاءِ بالعافية في الدين، وكذلك أحاديث كثيرة مكذوبة وردت في الصِّفات لا يحلُّ بثُّها إلا التحذير من اعتقادها، وإن أمكن إعدامُها فحسن. اللهم فاحفظ علينا إيماننا، ولا قوة إلا بالله.

[٢]أبو سهل بن زياد القطَّان، أخبرنا محمد بن إسماعيل التِّرمذي، سمعتُ نُعيم بن حمَّاد يقول: من شبَّه الله بخلقه، فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه، فقد كفر وليس في ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تَشبيه.

[٣]قلتُ: هذا الكلام حق، نعوذ بالله من التشبيه ومن إنكار أحاديث الصِّفات، فما يُنكِرُ الثابت منها من فَقُهَ، وإنما بعد الإيمان بها هنا مقامان مذمومان:

[٤]تأويلها وصرفُها عن موضع الخطاب، فما أَوَّلها السَّلَفُ ولا حَرَّفوا ألفاظها عن مواضعها، بل آمنوا بها، وأمَرُّوها كما جاءت.

[١]المقام الثاني: المبُالغة في إثباتها، وتصوُّرُها من جِنس صفات البشر، وتشكُّلها في الذِّهن، فهذا جهل وضلال، وإنما الصِّفة تابعة للموصوف، فإذا كان الموصوف عزَّ وجلَّ لم نره، ولا أخبرنا أحد أنه عاينه مع قوله لنا في تنزيله ﴿لَيسَ كَمِثلِه شَيءٌ﴾ [الشورى ١١] فكيف بقي لأذهاننا مجال في إثبات كيفيَّة البارئ، تعالى الله عن ذلك، فكذلك صفاته المُقدَّسة، نُقرُّبها ونعتقد أنها حق، ولا نُمثِّلها أصلا ولا نَتَشكَّلُها.

٤٦٦ محمد بنُ سعد(١)

[١] ابن منيـع، الحـافظ العلاّمة الحجة، أبو عبدالله البغدادي، كاتب الواقدي، ومصنف «الطبقات الكبير» في بضعة عشر مجلداً و «الطبقات الصغير» وغير ذلك.

وُلد بعد الستين ومئة.

وطلب العلم في صباه، ولحق الكبار.

وكان من أوعية العلم، ومن نظر في «الطبقات» خَضع لِعلمه.

سُليمان بن إسحاق بن الخليل: سمعتُ إبراهيم الحَرْبي يقول: كان أحمدُ بن حنبل يوجِّه في كل جمعة بحَنبل إلى ابن سعد يأخُذُ منه جُزأين من حديث الواقدي ينظر فيهما، قال إبراهيم: ولو ذهب سَمِعهما، كان خيراً له.

قال ابنُ فَهم: محمد بن سعد صاحبُ الواقدي، وهو مولى الحُسين بن عبدَ الله ابن عُبيد الله بن العبّاس بن عبدالمطّلب، تُوفِّي ببغداد، في سنة ثلاثين ومئتين، وهو ابن اثنتين وستين سنة.

قال: وكان كثير العلم، كثير الحديث والرواية، كثير الكتب، كتب الحديث والفقه والغريب.

(١) انظر السير: ١٠/٦٦٤ـ٦٦٧



الجزء الحادي عشر



٤٦٧- ابن شَبُّويَـة (د) (١)

[١] الإمـامُ القدوَة المحدِّثُ، شيخُ الإسلام، أبوالحسن، أحمدُ بنُ محمد بن ثابت، الخزاعيُّ المَرْوَزِيُّ الحافظُ، ابن شَبُّوية.

[٢] قال عبـدالله بنُ أحمد بن شَبُّويَة: سمعت أبي يقول: مَنْ أراد عِلْمَ القبر، فعليه بالأثَر، ومَنْ أراد علمَ الخُبْزِ، فعليه بالرأي.

[٣] وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: حدثني ثابتُ بن أحمد بنُ شبوية قال: كان يُخَيَّلُ إليَّ أن لأبي فضيلةً على أحمدَ بنِ حنبـل لجهـاده، وفِكاكِ الأسرى، فسألتُ أخي عبدَالله، فقال: أحمدُ بنُ حنبل أرجح، فلم أقنعْ، فَأُرِيتُ شيخاً حولَه الناس، يسألونه، ويسمعونَ منه، فسألتُهُ عنهما، فقال: سبحان الله!! إن أحمد ابن حنبل ابتُلِيَ فصبر، وإن ابنَ شبوية عوفِيَ، المُبتَلى الصابرُ كالمُعافَى؟! هيهات.

توفي سنة ثلاثين ومئتين، وهو ابن ستين سنة.

٤٦٨- أحمَدُ بـنُ حَـرب (٢)

[٤] ابنِ فَيروز، الإمامُ القدوة، شيخُ نيسابور، أبوعبدالله النيسابوريّ الزاهد. كان من كبار الفقهاء والعبّاد.

[٥] قال زكريا بنُ دَلُّوَيْه: كان أحمد بنُ حرب إذا جلس بين يدي الحَجَّام لِيُحْفِيَ شاربه، يسبّح، فيقول له الحجام: اسكت ساعة، فيقول: اعمل أنت عملك، وربما قطع من شفته، وهو لا يعلم.

---

(١) انظر السير: ١١/ ٧-٩

(٢) انظر السير: ١١/ ٣٢-٣٥.

[١]مرّ أحمد بنُ حرب بصبيان يلعبون، فقال أحدهم: أمسكوا، فإن هذا أحمد ابن حرب الذي لا ينام الليل، فقبض على لحيته، وقال: الصبيان يهابونك وأنت تنام؟ فأَحْيَى الليل بعد ذلك حتى مات.

[٢]رَغِبَ الناس في سماع كتبه، ثم إن أُمَّه ماتت سنة عشرين ومئتين فحج، وعاود الغزو، وخرج إلى بلاد التُّرك، وافتتح فتحاً عظيماً، غُبِطَ به فسعى به الأعداء إلى ابن طاهر، فأحضره، ولم يأْذَن له في الجلوس وقال: أتخرج وتجمع إلى نفسك هذا الجمع، وتخالفُ أعوان السلطان؟ ثم إن ابن طاهر عرف صِدْقَه، فتركه، فسار، وجاور بمكة. وكان تنتحِلُه الكَرَّاميَّة، وتعظمه لأنه أستاذ محمد بن كرّام، ولكنه سليمُ الاعتقاد بحمد الله.

[٣]وعن يحيى بن يحيى التميمي، قال: إنْ لم يكن أحمد بن حرب من الأبدال، فلا أدري مَن هم؟!!

[٤]قال أحمد بن حرب: عبدتُ الله خمسين سنة، فما وجدت حلاوةَ العبادة حتى تركتُ ثلاثة أشياء: تركت رِضى الناس حتى قَدَرت أن أتكلم بالحق، وتركتُ صحبة الفاسقين حتى وجدت صحبةَ الصالحين، وتركت حلاوةَ الدنيا حتى وجدت حلاوة الآخرة.

[٥]وقيل: إنَّه استسقى لهم ببخارى، فما انصرفوا إلا يخوضُون في المطر رحمة الله عليه. مات سنة أربع وثلاثين ومئتين، وقد قارب الستين.

٤٦٩- عَلِيُّ بنُ المَدِينيِّ(١) (خ، د، م، س) (٢)

[٦]الشيخ الإمامُ الحُجّة، أمير المؤمنين في الحديث، أبوالحسن علي بن عبدالله ابن جعفر السعدي، مولاهم البصري، المعروف بابن المديني.

مولد عليٍّ في سنة احدى وستين ومئة، بالبصرة.

(١) انظر السير: ١١/٤١ ـ ٦٠.

(٢) لقد شدد الذهبي المؤلف، رحمه الله، النكير على العقيلي لإيراده علي بن المديني في كتابه «الضعفاء» فقال في «ميزانه» ٣/١٤٠ و ١٤١: وقد بدت منه هفوة ثم تاب منها، وهذا أبوعبدالله البخاري ـ وناهيك به ـ =

[١] قال أبوحاتم الرازي: كان ابنُ المدينيِّ عَلَماً في الناس في معرفة الحديث والعلل. وكان أحمد بن حنبل لا يسميه، إنما يَكْنيه تَبْجيلاً له.

[٢] إبراهيم بن بشار، حدثنا سفيان بن عيينة، فذكر حديثاً ثم قال سفيان: تلومني على حبِّ عَلِيٍّ، والله لقد كنت أتعلم منه أكثرَ مما يتعلم مني.

كان سفيانُ يُسمي عليَّ بن المديني حَيَّةَ الوادي.

[٣] وقال عباس العنبري: كان يحيى القَطَّان ربما قال: لا أحدِّث شهراً ولا أحدث كذا، فحُدِّثْتُ أنّه حدث ابن المديني قبل انقضاء الشهر. قال: فكلمت يحيى في ذلك، فقال: إني أستثني علياً، ونحن نستفيد منه أكثر مما يستفيد منا.

[٤] قال أبو قدامة السَّرَخْسي: سمعتُ عليّاً يقول: رأيت كأنَّ الثريا تدلت حتى تناولتها.

قال أبوقدامة: صدّق الله رؤياه، بلغ في الحديث مبلغاً لم يبلغه أحد.

قال إبراهيم بن مَعْقِل: سمعت البخاري، يقول: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند عليِّ بنِ المديني.

[٥] قال عباس العنبري: لعله كان يقدَّم على الحسن البصري، كان الناس يكتبون قيامَه وقعوده ولباسه، وكل شيء يقول أو يفعل أو نحو هذا.

[٦] قال أحمد بن أبي خيثمة: سمعت ابن معين، يقول: كان علي بن المديني إذا قدم علينا، أظهر السُّنة، وإذا ذهب إلى البصرة أظهر التشيُّعَ.

= قد شحن صحيحه بحديث علي بن المديني. ولو تركت حديث علي وصاحبه محمد، وشيخه عبدالرزاق، وعثمان بن أبي شيبة... لغلقنا الباب، وانقطع الخطاب، ولماتت الآثار، واستولت الزنادقة، ولخرج الدجال. أفما لك عقل يا عقيلي؟! أتدري فيمن تتكلم؟ وإنما تبعناك في ذكر هذا النمط لنذُبَّ عنهم، ولنزيِّف ما قيل فيهم. كأنك لا تدري أن كل واحدٍ من هؤلاء أوثق منك بطبقات، بل وأوثق من ثقات كثيرين لم توردهم في كتابك، فهذا مما لا يرتاب فيه محدث. وأنا أشتهي أن تعرِّفني من هو الثقة الثبت الذي ما غلط ولا انفرد بما لا يتابع عليه. بل الثقة الحافظ إذا انفرد بأحاديث، كان أرفع له، وأكمل لرتبته، وأدل على اعتنائه بعلم الأثر، وضبْطه دون أقرانه لأشياء ما عرفوها، اللهم إلا أن يتبين غلطه ووهمه في الشيء، فيُعرف ذلك فانظر أول شيء إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الكبار والصغار، ما فيهم أحد إلا وقد انفرد بسنة، فيقال له: هذا الحديث لا يتابع عليه!! وكذلك التابعون، كل واحد عنده ما ليس عند الآخر من العلم، وما الغَرَض هذا، فإن هذا مقرر على ما ينبغي في علم الحديث.

قلت: كان إظهارهُ لمناقب الإمام علي بالبصرة، لمكان أنهم عثمانية، فيهم انحراف على عَلِيّ.

[١] قال عبدالله بن أبي زياد القَطَواني: سمعت أبا عُبيد: يقول: انتهى العلم إلى أربعة: أبوبكر بن أبي شيبة أَسْرَدُهم له، وأحمد بن حنبل أفقههم فيه، وعلي ابن المديني أعلمهم به، ويحيى بن معين أكتبهم له.

[٢] قال أبو أمية الطَّرَسُوسي: سمعتُ علياً، يقول: ربما أذَّكَّرُ الحديثَ في الليل، فآمر الجاريةَ تُسْرِجُ السراجَ فأنظر فيه.

[٣] قال ابن عمار المَوْصِلي في «تاريخه»: قال لي علي بن المديني: ما يمنعك أن تكفِّر الجَهْمِيَّة، وكنت أنا أوّلاً لا أكفرهم؟ فلما أجاب علي إلى المحنة، كتبتُ إليه أذكِّره ما قال لي، وأذكِّره الله. فأخبرني رجلٌ عنه أنه بكى حين قرأ كتابي. ثم رأيتُه بعد، فقال لي: ما في قلبي مما قلت وأجبت إلى شيء، ولكني خِفت أن أُقْتل، وتَعْلَمُ ضعفي أنِّي لو ضُرِبتُ سَوْطاً واحداً لمتُّ، أو نحو هذا.

[٤] قال ابنُ عمار: ودفع عني عليٌّ امتحان ابنِ أبي دُواد إياي، شفعَ فيَّ ودفع في غير واحد من أهل الموصل من أجلي، فما أجابَ دِيانةً إلا خوفًا.

[٥] قال عبدالرحمن بن أبي حاتم: كان أبو زُرْعَةَ ترك الرواية عن عليّ من أجل ما بدا منه في المحنة، وكان والدي يروي عنه لنزوعِه عما كان منه. قال أبي: كان عليٌّ عَلماً في الناس في معرفة الحديث والعلل.

قلت: ويُروى عن عبدالله بن أحمد، أن أباه أمسك عن الرواية عن ابن المديني، ولم أر ذلك، بل في «مسنده» عنه أحاديث، وفي «صحيح البخاري» عنه جملة وافرة.

مات بسامَرَّاء في سنة أربع وثلاثين ومئتين.

٤٧٠- أبوتَـمّـام[1]

[١] شاعـر العصـر أبـوتمـام، حَبِيبُ بن أوس بن الحـارث الطائي أسلم وكان نصرانياً. مدح الخلفاء والكُبَراء. وشعره في الذِّرْوَة.

وكان أسمر طُوالاً فصيحاً، عذب العبارة مع تَمْتَة قليلة.

وُلد في أيام الرشيد، وكان أوّلاً حدثاً يَسقي الماء بمصر، ثم جالس الأدباء، وأخـذ عنهم وكـان يتـوقّـدُ ذكـاءً. وسَحَّتْ قريحتُـه بالنـظم البديع. فسمع به المعتصم، فطلبه، وقدَّمُه على الشعراء، وله فيه قصائد. وكان يُوصف بطيب الأخلاق والظَّرْف والسماحة.

وقيل: قدِم في زيِّ الأعراب، فجلس إلى حلقة من الشعراء، وطلبَ منهم أن يسمعوا من نظمه، فشاعَ وذاعَ وخضعوا له. وصار من أمره ما صار.

وقد كان البحتري يرفعُ من أبي تمام، ويقدِّمه على نفسه، ويقول: ما أكلت الخبز إلاَّ به، وإنِّي تابع له.

[٢] وهو القائل:

ولَـوْ كانتِ الأرزَاقُ تُجْـرَى عَلَى الحِجىَ هَلَكْـنَ إذاً من جَهـلِهِـنَّ الـبـهـائِـمُ

وَلَمْ يَجتَمِـعْ شَرْقٌ وغَـرْبٌ لقـاصدٍ ولا المجـدُ في كفِّ امرِىءٍ والدَّرَاهِمُ

[٣] وديوان أبي تمام كبير سائر، ولمَّا مات، رثاه محمد بن عبدالملك الوزير فقال:

نَبَـأٌ أَلَـمَّ مُقَـلْقِـلُ الأحـشَـاءِ لَمـا أتـى مِنْ أعـظَمَ الأنْـبـاء

قالُـوا حَبـيب قَدْ ثَوى فأجَبْتُـهـم ناشـدتُـكُـمْ لاَ تَجْعَـلوه الـطَّائـي

مات سنة اثنتين وثلاثين ومئتين.

[٤] وله في المعتصم أو ابنه:

إقْدَامُ عَمْرٍو في سَمَاحَةِ حاتِمٍ في حُلْمِ أحْنَفَ في ذَكَاء إيَاسِ

---

(١) انظر السير: ١١/ ٦٣-٦٩.

[١]فقال الوزير: شبهت أمير المؤمنين بأجلاف العرب، فأطرق ثم زادها:

لا تُنكِروا ضَرْبي لهُ من دُونه مَثَلاً شَرُوداً في النَّدى والْبَاس
فالله قد ضرب الأقَلَّ لنوره مَثَلاً من المِشْكَاةِ والنِّبْرَاس

٤٧١- يَحْيَى بنُ مَعِين (خ، م، د)[١]

هو الامامُ الحافظ الجِهْبذ، شيخُ المحدثين، أبو زكريا، يحيى بنُ معين بن عون. الغَطَفاني ثم المُرِّي، مولاهم البغدادي، أحد الأعلام.

ولد سنة ثمان وخمسين ومئة.

وهو أسنّ الجماعة الكبار الذين هم: علي بن المديني، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبوبكر بن أبي شَيْبَة، وأبو خَيْثَمَة، فكانوا يتأدبون معه، ويعترفون له، وكان له هيبة وجلالة، يركب البغلة ويتجمل في لباسه، رحمه الله تعالى.

قال أبوالحسن بن البَراء، سمعت علياً يقولُ: لا نعلمُ أحداً من لَدُنْ آدم كتب من الحديث ما كتب يحيى.

قال أحمد بنُ عُقْبَة، سألتُ يحيى بنَ معين: كم كتبتَ من الحديث؟ قال: كتبتُ بيدِي هذه ستَّ مئةِ ألفِ حديث ـ قلت: يعني بالمكرر.

[٢]عبدالخالق بن منصور: سمعتُ ابن الرومي، يقولُ: ما رأيتُ أحداً قطُّ يقولُ الحقَّ في المشايخ غير يحيى، وغيرُه كان يتحاملُ بالقول.

قلت: هذا القول من عبدالله بن الرومي غير مقبول، وإنما قاله باجتهاده، ونحن لا ندعي العِصمَةَ في أئمة الجَرحِ والتعديل، لكن هم أكثر الناس صواباً، وأندرهم خطأً، وأشدهم إنصافاً، وأبعدهم عن التحامل، وإذا اتفقوا على تعديل أو جرحٍ، فَتَمسَّكْ به، واعضضْ عليه بناجِذَيْك، ولا تتجاوزه، فتندم. ومن شَذَّ

(١) انظر السير: ١١/ ٧١-٩٦.

منهم، فلا عبرة به. فخلِّ عنك العناء، وأعطِ القوس باريها، فوالله لولا الحُفَّاظُ الأكابر، لخَطَبَتِ الزنادِقَةُ على المَنَابِر، ولئن خَطَبَ خَاطِب من أهْلِ البِدَع فإنَّما هو بسيف الإسلام وبلسان الشريعة وبجاهِ السنَّة وبإظهار متابعة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فنعوذُ بالله من الخذلان.

[١]ومن نادر ما شذَّ به ابن مَعين، رحمه الله، كلامُه في أحمد بن صالح حافظ مصر، فإنه تكلم فيه باجتهاده، وشاهَد منه ما يُليِّنه باعتبار عدالته لا باعتبار إتقانه، فإنه متقِن ثَبْتٌ، ولكن عليه مأخذ في تيهٍ وبأْوٍ كان يتعاطاه، والله لا يُحب كلَّ مختال فخور، ولعله اطلع منه على حال في أيام شبيبةِ ابنِ صالح، فتاب منه أو من بعضه، ثم شاخ، ولزم الخير، فلقيه البخاري والكبار، واحتجوا به. وأما كلامُ النسائي فيه، فكلامُ موتورٍ لأنه آذى النسائي، وطرده من مجلسه، فقال فيه: ليس بثقة.

[٢]وقال ابن الغلابي: قال يحيى: إني لأحدث بالحديث فأسهر له مخافة أن أكون قد أخطأت فيه.

وقال محمد بن هارون الفَلَّاس: إذا رأيتَ الرجل يقع في يحيى بن معين فاعلم أنَّهُ كذَّاب، يَضَعُ الحديث، وإنما يبغضه لما يُبين من أمر الكذابين.

[٣]وقال جعفر بنُ أبي عثمان: كنا عند يحيى بن معين، فجاءه رجل مستعجل، فقال: يا أبازكريا، حدثْني بشيء أذْكُرْك به، فقال يحيى: اذكرني أنك سألتني أن أحدثَك فلم أفعل.

[٤]الحسين بن فهم: سمعت يحيى بن معين، يقول: كنت بمصرَ، فرأيت جارية بيعت بألف دينار، ما رأيتُ أحسن منها، صلى الله عليها. فقلت: يا أبا زكريا، مثلك يقول هذا؟ قال: نعم، صلّى الله عليها وعلى كل مليح.

هذه الحكاية محمولة على الدُّعابة من أبي زكريا. وتُروى عنه بإسناد آخر.

[٥]قال سعيد بن عمرو البَرْذَعي: سمعت الحافظ أبا زرعة الرازي، يقول: كان أحمد بن حنبل لا يرى الكتابة عن أبي نصر التَّمَّار، ولا عن يحيى بن معين، ولا عن أحد ممن امتحن فأجاب.

[١] قلت: هذا أمرضيِّق، ولا حرج على من أجاب في المحنة، بل ولا على من أكره على صريح الكفر عملاً بالآية. وهذا هو الحق. وكان يحيى رحمه الله من أئمة السنة، فخاف من سطوة الدولة، وأجاب تقية.

[٢]عباس الدوري: سمعتُ يحيى بن معين، يقول: كنتُ إذا دخلتُ منزلي بالليل، قرأتُ آيةَ الكرسي على داري وعيالي خمس مرات، فبينا أنا أقرأ، إذا شيء يكلمني: كم تقرأ هذا؟ كأنْ ليس انسانٌ يُحسن يقرأ غيرك؟ فقلت: أرى هذا يسوءُك؟ والله لأزيدنَّك. فصِرتُ أقرؤهَا في الليلة خمسين ستين مرّةً.

[٣]قال ابراهيم بن عبدالله بن الجنيد: سمعتُ يحيى بن معين، يقول: ما الدنيا إلا كَحُلُم، والله ما ضَرَّ رجلاً اتَّقى الله على ما أصبح وأمسى، لقد حججتُ وأنا ابنُ أربعٍ وعشرين سنة، خرجتُ راجلاً من بغداد إلى مكة، هذا من خمسين سنة كأنما كان أمسِ. فقلت ليحيى: ترى أن يَنظر الرجل في رأي الشافعي، وأبي حنيفة؟ قال: ما أرى لأحد أن ينظُرَ في رأي الشافعي، ينظر في رأي أبي حنيفة أحب إليَّ.

قلت: قد كان أبوزكريا رحمه الله حنفياً في الفروع، فلهذا قال هذا، وفيه انحراف يسير عن الشافعي.

[٤]قال محمد بن جرير الطبري: خرج ابنُ معين حاجاً، وكان أكولاً فحدثني أبوالعباس أحمد بن شاه أنه كان في رُفقَتِه، فلما قدِموا فَيْد أُهدِي إلى يحيى فالوذج لم ينضِج، فقلنا له: يا أبا زكريا، لا تأكله فإنا نخاف عليك. فلم يعبأ بكلامنا وأكله، فما استقر في مَعِدته حتى شكا وجع بطنه وانسهل، إلى أن وصلنا إلى المدينة ولا نهوضَ له. فتفاوضْنا في أمره، ولم يكن لنا سبيل إلى المُقام عليه لأجل الحج، ولم ندر ما نعمل في أمره. فعزم بعضنا على القيام عليه وترك الحج. وبتنا فلم يُصبح حتى وصَّى ومات، فغسلناه ودفناه.

قال عباس الدُّوري: مات قبل أن يَحُجَّ عامئذٍ، وصلى عليه والي المدينة، وكلم الحِزاميّ الواليَ، فأخرجوا له سريرَ النبيِّ، صلى الله عليه وسلم، فحمل عليه.

أحمد بن أبي خَيْثمة، قال: مات يحيى سنة ثلاث وثلاثين، وقد استوفى خمسا وسبعين سنة، ودخل في الست، ودفن بالبقيع.

[١] قال حُبَيْش بن مبشِّر الفقيه ـ وهو ثقة ـ : رأيت يحيى بن معين في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: أعطاني وحَباني وزوجني ثلاث مئة حوراء، ومهَّد لي بين البابين، أو قال: بين الناس. سمعها جعفر بن أبي عثمان من حُبيش.

[٢] ورواها الحسين بن الخصيب، عن حُبيش، قال: رأيت يحيى بن معين في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: أدخلَني عليه في داره وزوجني ثلاث مئة حوراء. ثم قال للملائكة: انظروا الى عبدي كيف تطرّى وحَسُنَ.

[٣] قال عباس، سمعت يحيى يقول في قوله: «لَا تَمْنَعُهُ نَفْسَها ولوْ كانَتْ علَى قَتَبٍ» قال: كانت المرأة في الجاهلية إذا أرادت أن تلد تقعدُ على قتب ليكون أسرعَ لِولادتها.

[٤] وقال: لستُ أعجبُ ممن يحدِّث فيخطىء، بل ممن يصيب.

[٥] وقال يحيى في من صلى خلف الصف وحده، قال: يُعيد.

[٦] وقال في من صلى بقوم على غير وضوء، قال: لا يعيدون ويعيد.

[٧] وقال لي: أنا أُوتِر بثلاث، ولا أقْنت إلا في النصف الأخيرِ من رمضان، وأرفع يدي إذا قَنَتُّ، ولا أرى المسحَ على العِمامة، ولا أرى الصلاةَ على رجل يموتُ بغير البلد ـ كان يحيى يُوهِنُ هذا الحديث ـ ولا أرى أن يهبَ الرجلُ بنتَه بلا مهر، ولا أن يزوجها على سُورةٍ. رأيت يحيى يُوَهِّنُ هذه الأحاديث.

[٨] على بن الحسين بن الجنيد، سمعتُ يحيى بنَ معين، يقول: إنا لَنَطْعُنُ على أقوامٍ لعلهم قد حَطُّوا رِحَالَهُم في الجنَّةِ من أكثر من مئتي سنة. قال ابن مَهْرَوَيه: فدخلتُ على ابن أبي حاتم، وهو يقرأ على الناس كتاب «الجرح والتعديل»، فحدّثتُه بهذه الحكاية، فبكى وارتعدتْ يداهُ حتى سقط الكتابُ من يده، وجعل يبكي، ويستعيدني الحكاية، أو كما قال.

٤٧٢ـ هُدبة بنُ خالِد (خ، م، د، س)(١)

[١]ابَن أسود، الحافظ الصادق، مُسند وقته، أبوخالد القيسي الثَّوْبانِيُّ البصري.
وهو أخو الحافظ أمية بن خالد.

وُلد بعد الأربعين ومئة بقليل.

واحتج به الشيخان. وما أدرى مستند قول النسائي: هو ضعيف.

[٢] قلت: رافق أخاه في الطلب، وتشاركا في ضبط الكتب، فساغ له أن يرويَ من كُتُب أخَيه، فكيف بالماضين لو رأونا اليوم نسمع من أي صحيفة مُصَحَّفة علِى أجْهـلِ شيخ له إجـازة، ونـروي من نسخة أخرى بينهما من الاختلاف والغلط ألوانٌ، ففاضِلُنا يُصحح ما تَيَسَّرَ من حفظه، وطالبُنا يتشاغل بكتابة أسماء الأطفـال، وعـالمنـا ينسخ، وشيخُنا ينام، وطائفةٌ من الشبيبة في وادٍ آخر من المُشَاركة والمحادثة. لقد اشتفى بنا كلُّ مبتدع ومجَّنا كلُّ مؤمن. أفهؤلاء الغُثاء هم الـذين يحفـظون على الأمة دينها؟ كلا والله. فرحم الله هُدبة، وأين مثلُ هُدْبة؟ نعم ما هو في الحِفظ كشعبة.

[٣]قال الحسن بنُ سُفيان: سمعتُ هُدبةَ بنَ خالد، يقول: صليت على شعبةَ. فقيل له: رأيتَه؟ فغضب، وقال: رأيت من هو خير منه حَماد بن سلمة، وكان سُنيّاً، وكان شعبة رأيه رأي الإرجاء.

[٤]قلت: كلا لم يكن شعبة مرجئاً ولعله شيءٌ يسيرٌ لا يضره.

[٥]قال عَبْدان الأهوازي: كنا لا نصلي خلف هدبة من طول صلاته، يُسبّح فى الركوع والسجود نيفاً وثلاثين تسبيحة. قال: وكان من أشبه خلق الله بهشام بن عمار، لحيته ووجهه، وكل شيء منه حتى صلاته.

وقال ابن حبان: مات سنة ست أو سبع وثلاثين.

---

(١) انظر السير: ١١/ ٩٧ـ١٠٠.

٤٧٣- إسحَاقُ النَّديم(١)

[١]الإمامُ العلاّمةُ الحافظ ذو الفُنون، أبومحمد إسحاقُ بنُ إبراهيم بن ميمون التميمي المَوصلي الأخباري، صاحب الموسِيقَى، والشعر الرائق، والتصانيف الأدبية مع الفقه واللغة، وأيامِ النَّاس، والبَصَرِ بالحديث، وعُلُوِّ المرتبة.

ولد سنة بضع وخمسين ومئة.

[٢]وسمع من: مالك بن أنس، وهُشَيْم بنِ بشير، وسفيانَ بنِ عُيينةَ وبَقِيَّةَ بن الوليد، وأبي مُعاوية الضرير، والأصمعي، وعددٍ كثير.

[٣]حدّث عنه: ولده حماد الراوية، وشيخُه الأصمعيُّ، والزبير بنُ بكار وأبو العيناء، ويزيدُ بنُ محمد المُهلَّبي، وآخرون.

ولم يُكْثر عنه الحفاظ لاشتغاله عنهم بالدولة، وقيل: ولد سنة خمسين ومئة.

صنَّف كتاب «الأغاني» الذي يرويه عنه ابنُه.

[٤]وعن إسحاقَ المَوْصلي قال: بقيتُ دهراً من عُمُري أُغَلِّس كلَّ يوم إلى هُشيم أو غيره من المحدثين، ثم أصيرُ إلى الكسائي، أو الفراء، أو ابن غَزالة، فأقرأ جُزءاً من القرآن، ثم إلى أبي منصور زلزَل(٢) فيُضاربُني طَرْقَيْن أو ثلاثة، ثم آتي عاتكةَ بنت شَهْدة، فآخذُ منها صوتاً أو صوتين ثم آتي الأصمعيَّ، وأبا عُبيدة فأستفيدُ منهما، وآتِي مجلسَ الرَّشيد بالعَشي.

[٥]وعن إسحاق أنه كان يكره أن يُنسب إلى الغناء، ويقول: لأنْ أُضربَ على رأسي بالمقارع أحَبُّ إليَّ من أن يُقالَ عني: مُغَنٍّ.

وقال المأمون: لولا شهرةُ إسحاق بالغناء، لوَلَّيْتُه القَضاء.

[٦]وقد أنشد إسحاقُ الرشيدَ أبياتا يقول فيها:

عَطَائي عَطَاءُ المُكثِرينَ تَكَرُّمَا ... وَمَالِي كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ قَلِيلُ

وكيف أخافُ الفَقْرَ أو أُحْرَمُ الغِنَى ... وَرَأْيُ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ جَلِيلُ

---

(١) انظر السير: ١١/ ١١٨-١٢١.

(٢) وهو الذي علَّم إسحاق الموصلي ضرب العود.

فأمر له بمئة ألف درهم.
مات سنة خمس وثلاثين ومئتين.

٤٧٤ - داود بنُ رُشَيد (خ، م، د، س)(١)

[١] الإمام الحافظُ الثقةُ، أبوالفضل الخوَارزمي، ثم البغدادي مولى بني هاشم، رَحَّالٌ جَوَّال، صاحبُ حديث.

[٢] إبراهيم الحربي: حدثنا داود بن رشيد قال: قمتُ ليلةً أُصلي، فأخذني البرد لِما أنا فيه من العُري، فأخذني النَّوم، فرأيتُ كأَنَّ قائلاً يقول: يا داود، أنَمْنَاهُم وأقمناك فتبكي علينا؟ قال الحربي: فأظُنُّ داود ما نامَ بعدها، يعني: ما ترك تهجد الليل.

[٣] قال: وسمعتُ داودَ يقول: قالت حكماءُ الهند: لا ظَفَرَ مع بَغْي ولا صِحَّةَ مع نَهم، ولا ثَناءَ مع كِبْر، ولا صداقةَ مع خِبٍّ،(٢) ولا شرفَ مع سوء أدب ولا بِرَّ مع شُحٍّ، ولا مَحَبَّةَ مع هُزء، ولا قضاء مع عدم فِقْه، ولا عُذْر مع إصرار ولا سِلْمَ قَلبٍ مع غِيبة، ولا راحةَ مع حَسد، ولا سُؤدُدَ مع انتقام، ولا رِئاسة مع عزةِ نفسٍ وعُجبٍ، ولا صوابَ مَع ترك مُشاورة، ولا ثباتَ مُلْكٍ مع تهاون.

توفي في سنة تسع وثلاثين ومئتين، وهو من أبناء الثمانين، ولعل بعض أمراءِ الزمان يحوي هذه الخِلال الرديّة.

٤٧٥- عثمان بن أبي شيبة (خ، م، د، ق)(٣)

هو الإمام الحافظ الكبيرُ المفسر، أبوالحسن، عثمان بن محمد بن القاضي أبي شيبة، صاحب التصانيف، وأخو الحافظ أبي بكر.

(١) انظر السير: ١١/ ١٣٣-١٣٥.
(٢) الخبُّ، بالكسر والفتح: الخداع والخبث والغش.
(٣) انظر السير: ١١/ ١٥١-١٥٤.

وُلد بُعَيد الستين ومئة.

سُئل عنه أحمد بن حنبل، فأثنى عليه، وقال: ما علمتُ إلا خيراً.

وقال يحيى بن معين: ثقة مأمون.

[١] وهو مع ثقته صاحب دُعابة حتى فيما يتصحف من القرآن العظيم سامحه الله.

[٢] قال إبراهيم بن أبي طالب: جئتُه فقال لي: إلى متى لا يموت إسحاقُ بن راهـويه؟ فقلتُ له: شيخٌ مثلك يتمنى هذا؟! قال: دعني فلو مات لصَفا لي جرير بن عبدالحميد.

قلتُ: فما عاش بعد إسحاقَ سوى خمسةِ أشهر.

[٣] الدارقطني: أخبرنا أحمد بن كامل، حدثني الحسن بن الحباب أن عثمانَ ابنَ أبي شيبة، قرأ عليهم في التفسير:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١].

فقالها: ألف لام ميم.

قلت هو: إما سبْق لسان، أو انْبساطٌ محرَّم.

[٤] وقال القاضي علي بن محمد بن كاس، حدثنا إبراهيم الخَصَّاف قال: قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة في التفسير:

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ، جَعَلَ﴾ السَّفِينَة، فنادوا ﴿السِّقَايَة﴾ [يوسف: ٧٠].

فقال: أنا وأخي لا نقرأ لعاصم.

وقد أكثر عنه البخاري في «صحيحه».

قال مُطَيَّن: مات عثمان في سنة تسع وثلاثين ومئتين.

٤٧٦ سالمُ بنُ حامِدٍ(١)

[١] نائب دمشق للمتوكل، كان ظلوماً عَسُوفاً، شدَّ عليه طائفةٌ من أشراف العربِ فقتلوه بباب دار الإمارة يوم جمعة سنة بضع وثلاثين ومئتين فبلغ المتوكلَ فتنمَّر، وقال: مَن للشام في صولة الحجاج؟ فندبَ أفريدون التركي، فسار في سبعة آلاف فارس. ورخص له المتوكل في بذل السيف ضحوتين، وفي نهْب البلد. فنزل ببيت لِهْيا. فلما أصبح قال: يا دمشق، أَيش يحِلُّ بكِ اليوم مني، فقُدمتْ له بغلةٌ دهماءُ ليركبها، فضربته بالزوج على فؤاده فقتلته. فقبره كان معروفاً ببيت لِهيا، ورُد عسكرُه إلى العراق. ثم جاء بعدُ المتوكلُ إلى دمشق وأنشأ قصراً بداريًا، وصلَح الحالُ.

٤٧٧ ـ الخُزاعيُّ (د)(٢)

[٢] الإمامُ الكبير الشهيد، أبوعبدالله، أحمدُ بن نصر بنُ مالك الخزاعي المَرْوزِيُّ ثم البغدادي. كان جدُّه أحَدَ نُقباء الدولة العباسية، وكان أحمد أمَّاراً بالمعروف، قوالاً بالحق.

قال ابنُ الجُنيدُ: سمعتُ يحيى بن معين يَترحم عليه، وقال: ختمَ الله له بالشهادة، وقد كتبتُ عنه، وكان عِندَهُ مصنَّفاتُ هُشيم كلها، وعن مالك أحاديث، وكان يَقولُ عن الخليفة: ما دخل عليه من يَصْدُقُه. ثم قال يحيى: ما كان يُحدِّث، ويقول: لستُ هناك.

[٣] قال الصُّولي: كان هو وسهل بن سلامة حين كان المأمون بخراسان بايعا الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قدمَ المأمونُ فَبَايَعَهُ سهل، ولزمَ ابنُ نصرٍ بيتَه، ثم تَحرك في آخر أيام الواثق، واجتمع إليه خلقٌ يأمرون

---

(١) انظر السير: ١١/ ١٦٢.
(٢) انظر السير: ١١/١٦٦ ـ ١٦٩.

بالمعروف. قال: إلى أن ملكوا بغداد، وتعدَّى رَجُلان مُوسران من أصحابه، فَبَذلا مالاً، وَعَزما على الوثوب في سنة إحدى وثلاثين فنمَّ الخبر إلى نائب بغداد إسحاق بن إبراهيم، فأخذ أحمدَ وصاحبيه وجماعةً، ووجدَ في منزل أحدِهما أعلاماً، وضربَ خادماً لأحمد، فأقر بأن هؤلاء كانوا يأتونَ أحمدُ ليلاً، ويُخبرونَه بما عملوا. فحُمِلوا إلى سَامَرّاء مُقيَّدين، فجلسَ الواثقُ لهم، وقال لأحمد: دعْ ما أُخِذْت له، ما تَقولُ في القرآن؟ قال: كلامُ الله. قال: أفمخلوقٌ هو؟ قال: كلامُ الله. قال: فَتَرَى ربك في القيامة؟ قال: كذا جاءت الرواية. قال: وَيْحَكَ يُرى كما يُرى المحدود المُتَجَسِّم، ويَحْويه مكان ويحصُره ناظر؟ أنا كفرت بمن هذه صفته، ما تَقُولون فيه؟ فقال قاضي الجانب الغربي: هو حلالُ الدَّم، ووافقَهُ فقهاء، فأظهر أحمدُ بنُ أبي دُواد أنه كارهٌ لقتله. وقال: شيخ مختل، تَغَيَّرَ عقله، يُؤخر. قال الواثق: ما أُراه إلا مُؤدِّياً لِكفره قائماً بما يعتقده، ودعا بالصَّمْصَامَة، وقام وقال: أحتسِبُ خُطاي إلى هذا الكافر. فَضَرَب عُنقَه بعد أن مدُّوا له رأسَه بحبل وهو مُقيَّد ونُصبَ رأسُهُ بالجانب الشرقي، وتُتُبِّع أصحابُه فسُجنوا.

[١] قال الحسنُ بنُ محمد الحربي: سمعتُ جعفرَ بنَ محمد الصائغ، يقول: رأيتُ أحمد بن نصر حين قُتل قال رأسُه: لا إله إلا الله.

قال المرّوذي: سمعت أحمد ذكر أحمد بن نصر، فقال: رحمه الله لقد جاد بنفسه.

[٢] وعُلِّقَ في أُذن أحمد بن نصر ورقة فيها: هذا رأسُ أحمد بن نصْر دعاه الإمام هارون إلى القول بخلق القرآن، ونفي التشبيه، فأبى إلا المعاندة، فجعله الله إلى ناره. وكتب محمدُ بنُ عبدالملك.

[٣] ونُقِل عن الموكَّل بالرأس أنَّه سمعهُ في الليل يقرأ (يٓس) وصح أنهم أقعدوا رجلاً بقصبة، فكانت الريحُ تدير الرأسَ إلى القبلة، فَيُديرُهُ الرجل.

[٤] قال السراج: سمعتُ خَلَفَ بنَ سالم، يقول بعد ما قُتل ابن نصر وقيل له: ألا تَسمَعُ ما الناس فيه يقولون: إن رأس أحمد بن نصر يقرأ؟! فقال: كان رأسُ

يحيى يقرأ.

[١] وقيل رُئى في النوم، فقيل : ما فعل الله بك؟ قال: ما كانت إلا غفوة حتى لقيتُ الله، فضحك إليَّ. وقيل: إنه قال: غضبتُ له فأباحني النظر إلى وجهه.

بقي الرأس منصوباً ببغداد، والبَدَنُ مصلوباً بسامراء سِت سنين إلى أن أُنزل، وجمع في سنة سبع وثلاثين، فَدُفِن رحمة الله عليه.

٤٧٨ - أَحْمَدُ بن أَبي دُوَاد(١)

[٢] القاضي الكبير، أبوعبدالله، أحمدُ بن فرج بن حريز الإيادي البصري ثم البغدادي، الجهمي، عدو أحمد بن حنبل. كان داعيةً إلى خلق القرآن، له كرم وسخاء وأدب وافر ومكارم.

ولد سنة ستين ومئة بالبصرة، ولم يُضَف إلى كرمه كرم.

[٣] قال حريز بن أحمد بن أبي دُوَاد: كان أبي إذا صلى، رفع يده إلى السماء وخاطب ربه ويقول:

ما أنت بالسَّبَبِ الضعيف وإنما ... نُجْحُ الأُمورِ بِقُوَّة الأسْبَابِ
فاليَوْمَ حَاجَتُنا إليك، وإنَّما ... يُدعى الطبيبُ لِسَاعةِ الأوْصَابِ

وقال أبو العَيناء: كان ابن أبي دُواد شاعراً مجيداً فصيحاً بليغاً ما رأيتُ رئيساً أفصح منه.

[٤] قال عونُ بنُ محمد الكِندي: لَعَهْدِي بالكرخ، ولو أن رجلاً قال: ابن أبي داود مسلمٌ، لقتل. ثم وَقَعَ الحريقُ في الكرخ، فلم يكن مثله قطُّ فكلم ابنُ أبي دُواد المعتصمَ في الناس، ورقَّقه إلى أن أطلق له خمسةَ آلافِ ألفِ درهم، فقسمها على الناس، وغرم من ماله جملةً. فَلَعَهْدي بالكرخ ولو أنَّ إنساناً، قال: زِرُّ أحمدَ بن أبي دُوَاد وسخ لقتل.

(١) انظر السير: ١١/ ١٦٩-١٧١.

[١]وقد كان ابن أبي داود يوم المحنة إلْباً على الإمام أحمد، يقول: يا أميرَ المؤمنين، اقتلْهُ، هو ضَالٌّ مُضِل.

[٢] قال عبدالله بن أحمد: سمعتُ أبي، سمعت بِشْرَ بنَ الوليد، يقول: استَتَبْتُ أحمد بن أبي دُواد من قوله: القرآنُ مخلوق في ليلة ثلاثَ مرات ثم يَرجِع.

[٣] إسحاقُ بن إبراهيم بن هانىء، قال: حضرتُ العيدَ مع أحمدَ بنِ حنبل، فإذا بقاصٍّ يقول: على ابنِ أبي دُواد اللعنةُ، وحشا الله قبرَهُ ناراً. فقال أبوعبدِالله: ما أنفعَهم للعَامَّة.

[٤] قال المغيرةُ بن محمد المُهلَّبي: ماتَ وولدُه محمد منكوبَيْن الولدُ أولاً، ثم مات الأب في سنة أربعين ومئتين، ودُفِنَ بداره ببغداد.

[٥] قلت: صادَرَهُ المتوكل، وأخَذَ منه ستة عشر ألف ألف درهم، وافتقر، فالدنيا مِحَنٌ.

٤٧٩ - ابنُ الزَّيَّـات (١)

[٦] الوزيرُ الأديبُ العلامةُ أبوجعفر محمد بن عبدالملك بن أبان بن الزيات. كان والـده سوقياً، فسـاد هذا بالأدبِ وفنـونهِ وبراعةِ النظم والنثر، ووزر للمعتصم وللواثق، وكان مُعادياً لابن أبي دُوَاد فأغرى ابنُ أبي داود المتوكلَ، حتى صادر ابنَ الزيات وعذبه.

[٧]وكـان يقول بخلق القرآن، ويقول: ما رحمتُ أحداً قط، الرحمةُ خَوَرٌ في الـطبـع. فسُجن في قَفَص حَرجٍ، جهـاتُه بمسامير كالمَسَالِّ، فكان يَصيحُ: ارحموني، فيقولون: الرحمة خَوَرٌ في الطبيعة.

مات في سنة ثلاث وثلاثين ومئتين. وله ترسُّل بديع، وبلاغة مشهورة، وأخباره في «وفيات الأعيان».

---

(١) انظر السير: ١١/ ١٧٢-١٧٣.

٤٨٠ - ابنُ كُــلَّاب (١)

[١] رأسُ المتكلمين بالبصرة في زمانه، أبومحمد، عبدالله بن سعيد بن كُلَّاب القَطَّان البصري صاحبُ التصانيف في الرد على المعتزلة، وربما وافقهم.

[٢] وكان يُلَقَّبُ كُلَّاباً لأنه كان يجر الخصم إلى نفسه ببيانِه وبلاغتِه وأصحابه هم الكُلَّابِيَّة، لحِق بعضَهم أبوالحسن الأشعري، وكان يَردُّ على الجَهْمية.

[٣] وقال بعضُ من لا يعلم: إنه ابتَدَع ما ابتدعه ليَدُسَّ دينَ النَّصارى في مِلَّتنا وإنَّه أرْضى أخته بذلك، وهذا باطل، والرجلُ أقربُ المتكلمين إلى السُّنةِ، بل هو في مناظريهم.

[٤] وصنَّف في التـوحيد، وإثباتِ الصفات، وأنَّ عُلُوَّ الباري على خلقه مَعْلُوم بالفـطرة والعقـل على وفق النص، وكـذلـك قال المُحـاسبي في كتاب «فهم القرآن». ولـم أقع بوفاة ابن كُلَّاب. وقد كان باقياً قبل الأربعين ومئتين.

٤٨١ - ابنُ بنتِ السُّدِّي * (د، ت، ق)(٢)

[٥] الشيخُ الإمام مُحدِّثُ الكوفة، أبومحمد، وقيل: أبو إسحاق إبراهيم(٣) بن موسى الفزاري الكوفي سبط اسماعيل السُّدِّي.

قال أبو حاتم: صدوق.

وكان من شيعة الكوفة. وقيل: كان غَالياً.

قالَ عبدْانُ الأهوازي: أنكر علينا أبوبكر بنُ أبي شَيْبة، أو هَنَّاد مُضِيَّنا إلى إسماعيلَ بنِ موسى، وقال: أيْش عملتُم عند ذاك الفاسقِ الذي يَشْتُم السلف. وإنما أنْكرُوا غُلوَّه في التشيُّع.

---

(١) انظر السير: ١١/ ١٧٤-١٧٦.

(٢) انظر السير: ١١/ ١٧٦-١٧٧.

(٣) هو في كتب التراجم: إسماعيل بن موسى، وليس إبراهيم، وكذا صرح الذهبي نفسه.

[١] قال علي بن جعفر: أخبرنا إسماعيل بن بنتِ السُّدي، قال: كنتُ في مجلس مالـك، فسئـل عن فريضة، فأجاب بقول زيد، فقلتُ ما قال فيها علي وابنُ مسعود، رضي الله عنهما، فَأَوْمَأَ إلى الحجبة، فلما هَمُّوا بي عدوتُ وأعجزتُهم، فقالوا: ما نَصنَعُ بكتبه ومحبرته؟ فقال: اطلبوه برفق، فجاؤوا إليَّ فجئتُ معهم. فقـال مالـكٌ: من أين أنت؟ قلت: من الكـوفـة، قال: فأين خلَّفت الأدب؟ فقلت: إنما ذاكرتُك لأستفيد فقال: إنَّ علياً وعبدالله لا يُنكر فضلُهما، وأهلُ بلدِنا على قول زيد بن ثابت، وإذا كنتَ بين قوم، فلا تَبدأهم بما لا يعرفون، فيبدأك منهم ما تكره.

تُوُفِّي اسماعيل الفزاري في خمس وأربعين ومئتين. وكان من أبناء التسعين، سامحه الله.

٤٨٢ أحمد بنُ حَنْبل (ع) (١)

[٢] هو الإمـامُ حقـاً، وشيخُ الإسـلام صدقاً، أبوعبدالله، أحمد بن محمد بن حنبل، الذهلي الشيباني المَرْوَزي ثم البغدادي، أحد الأئمة الأعلام.

رُبِّيَ أحمدُ يتيماً.

قال صالح، قال لي أبي: ولدتُ سنةَ أربع وستين ومئة.

طلب العلم وهـو ابنُ خمس عشرة سنة، في العام الذي مات فيه مالك، وحماد بنُ زيد.

ومن صفتـه:

كان شيخاً مخضوباً طُوالاً أسمر شديد السُّمرة.

وعن محمـد بن عباس النحوي، قال: رأيت أحمد بن حنبل حسن الوجه رَبْعة، يخضِب بالحناء خضاباً ليس بالقاني، في لحيته شَعَرات سود، ورأيتُ ثيابَهُ غِلاظاً بيضاً، ورأيتُه معتمّاً وعليه إزار.

(١) انظر السير: ١١/ ١٧٧ـ٣٥٨.

[١] وقال المَرُّوذي: رأيتُ أبا عبدِالله إذا كان في البيت عامّةُ جلوسِه متربعاً خاشعاً، فإذا كان بَرّا، لم يتبين منه شدةُ خشوع، وكنتُ أدخل، والجزء في يده يقرأ.

[٢] وقال حنبل: سمعت أباعبدالله، يقول: تزوجت وأنا ابن أربعين سنة، فرزق الله خيراً كثيراً.

قال عبدالله بن أحمد: قال لي أبو زُرعة: أبوك يحفظُ ألف ألف حديث، فقيل له: وما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب.

فهذه حكاية صحيحة في سَعة علمِ أبي عبدالله، وكانوا يَعُدُّون في ذلك المكرَّر، والأثر، وفتوى التابعين، وما فُسِّر، ونحو ذلك. وإلَّا فالمتون المرفوعة القوية لا تبلغ عشر معشار ذلك.

قال ابراهيم الحربي: رأيتُ أباعبدالله، كأن الله جمع له علمَ الأوّلين والآخرين.

أحمد بن سَلَمة: سمعت ابن راهويه، يقول: كنت أجالس أحمد وابن معين، ونتذاكر فأقول: ما فقهه؟ وما تفسيرُه؟ فيسكتون إلا أحمد.

[٣] قال: وحدثنا المروذي: قلتُ لأحمد: أكان أُغميَ عليك، أو غُشِي عليك عند ابن عُيينة؟ قال: نعم، في دهليزه زَحَمني الناس، فأُغمي عليَّ.

وروي أن سفيان قال يومئذ: كيف أحدث وقد مات خيرُ الناس؟

[٤] وعن شيخ أنه كان عنده كتاب بخطِّ أحمدَ بنِ حنبل، فقال: كنا عند ابن عيينة سنة، ففقدت أحمد بن حنبل أياماً، فدُلِلت على موضعه، فجئتُ فإذا هو في شبيه بكهف في جِياد(١). فقلت: سلام عليكم، أدخلُ؟ فقال: لا ثم قال: ادخلْ، فدخلتُ، وإذا عليه قطعةُ لِبْدٍ خَلَق، فقلت: لم حجبتني؟ فقال: حتى استَتَرت. فقلتُ: ما شأنك؟ قال: سُرِقت ثيابي. قال: فبادرتُ إلى منزلي فجئتُه بمئة درهم، فعرضتُها عليه، فامتنع، فقلت: قرضاً، فأبى، حتى بلغت عشرين درهماً، ويأبى. فقمت، وقلت: ما يحل لك أن تقتلَ نفسك. قال: ارجعْ،

(١) موضع بمكة يلي الصفا.

فرجعت، فقال: أليس قد سمعت معي ابن عُيينة؟ قلت: بلى. قال: تحب أن أنْسخَه لك؟ قلت: نعم. قال: اشترِ لي ورقاً. قال: فكتب بدراهمَ اكتَسَى منها ثوبين.

[١]كان أحمدُ بنُ حنبل يصلي بعبدالرزاق، فسها، فسأل عنه عبدالرزّاق، فأخبر إنه لم يأكل منذ ثلاثة أيام شيئاً.

[٢]المروذي: سمعت جعفر بن ميمون بن الأصبغ، سمعتُ أبي يقول: كنا عند يزيد بن هارون، وكان عنده المُعَيْطي، وأبوخيثمة، وأحمد، وكانت في يزيد، رحمه الله، مداعبة، فذاكره المعيطي بشيء. فقال له يزيد: فقدتك، فتنحنح أحمد فالتفتَ إليه، فقال: من ذا؟ قالوا: أحمد بن حنبل، فقال: ألا أعلمتوني أنه ها هنا؟.

[٣]قال أحمد بن سنان القطان: ما رأيتُ يزيد لأحد أشدَّ تعظيماً منه لأحمد بن حنبل، ولا أكرمَ أحداً مثله، كان يقعده إلى جنبه ويوقِّره، ولا يمازحه.

[٤]وقال عبدالرزاق: ما رأيت أحداً أفقهَ ولا أورعَ من أحمدَ بنِ حنبل.

قلت: قال هذا، وقد رأى مثلَ الثوريِّ ومالك وابن جريج.

[٥]وقال قتيبة: خير أهلِ زماننا ابن المبارك، ثم هذا الشابُّ، يعني: أحمد بن حنبل، وإذا رأيت رجلاً يحبُّ أحمد، فاعلم أنه صاحب سنة. ولو أدرك عصر الثوري، والأوزاعي، والليث، لكان هو المقدم عليهم. فقيل لقتيبة: يضم أحمد إلى التابعين؟ قال: إلى كبار التابعين.

[٦]وقال حرملة: سمعت الشافعي يقول: خرجتُ من بغداد فما خلفتُ بها رجلاً أفضل، ولا أعلم، ولا أفقه، ولا أتقى من أحمد بن حنبل.

[٧]وروى عن إسحاق بن راهويه، قال: أحمد حجة بين الله وبين خلقه.

[٨]وقال عبدالله بن أحمد: قال أصحابُ بشر الحافي له حين ضرب أبي: لو أنك خرجتَ فقلت: إني على قول أحمد، فقال: أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء؟!

[٩]القاسم بن محمد الصائغ: سمعت المَرُّوذي، يقول: دخلتُ على ذي النونِ السجن، ونحن بالعسكر، فقال: أيُّ شيءٍ حالُ سيِّدنا؟ يعني: أحمد بن حنبل.

[١٠]عن ابن المديني، قال: أمرني سَيِّدي أحمد بن حنبل أن لا أُحدث إلا من كتاب.

[١] وعن محمد بنِ مُصعب العابد، قال: لسوطٌ ضُربَه أحمد بن حنبل في الله أكبرُ من أيامِ بشرِ بن الحارث.

قلت: بشر عظيم القدر كأحمد، ولا ندري وزن الأعمال، إنما الله يعلمُ ذلك.

وقال الحُنَيْني: سمعت اسماعيل بنَ الخليل، يقولُ: لو كانَ أحمدُ بنُ حنبل في بني إسرائيل لكان آيةً.

[٢] محمد بن يحيى النيسابوري، حين بلغه وفاةُ أحمد، يقول: ينبغي لكل أهل دار ببغداد أن يُقيموا عليه النِّياحةَ في دورهم.

قلت: تكلم الذُهْلي بمقتضى الحُزْنِ لا بمقتضى الشرع.

لمّا ماتَ سعيدُ بنُ أحمد بنِ حنبل، جاء إبراهيمُ الحَربي إلى عبدالله بنِ أحمد، فقام إليه عبدالله، فقال: تقوم إلي؟ قال: والله لو رآكَ أبي، لقام إليك، فقال إبراهيم: والله لو رأى ابن عيينة أباك، لقام إليه.

وقد أثنى على أبي عبدالله جماعةٌ من أولياء الله، وتبركوا به. روى ذلك ابن الجوزي، وشيخ الإسلام ولم يصح سند بعض ذلك.

في فضله وتألُّهه وشمائله:

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمدُ بن سنان، قال: بلغني أن أحمد ابن حنبل رَهن نعلَه عند خباز باليمن، وأكرى نفسه من جمَّالين عند خروجه وعرض عليه عبدُالرزاق دراهم صالحة، فلم يقبلْها.

[٣] وبعث ابنُ طاهر حين مات أحمد بأكفانٍ وحَنوط، فأبى صالح أن يقبَلَه وقال: إن أبي قد أعدَّ كفنه وحَنوطه، وردَّه، فراجعه، فقال: إن أمير المؤمنين أعفى أبا عبدالله مما يكره، وهذا مما يكره، فلستُ أقبلُه.

[٤] دخل على أحمدَ عمُّه، فقال: يا ابنَ أخي، أيش هذا الغمُّ؟ وأيش هذا الحزن؟ فرفع رأسه، وقال: يا عم، طُوبى لمن أخمل الله ذكره.

[٥] قال ابن أبي حاتم: حدثنا صالح، قال: ربما رأيتُ أبي يأخذ الكِسَر، ينفُضُ الغبار عنها، ويُصيِّرها في قصعة، ويَصُبُّ عليها ماءً ثم يأكُلُها بالملح. وما رأيتُه

اشترى رماناً ولا سفرجلاً ولا شيئاً من الفاكهة، إلا أن تكون بطيخة فيأكلها بخبز وعِنباً وتمراً.

[١] وقال لي: كانت والدتُك في الظلام تَغْزِلُ غزلاً دقيقاً، فتبيع الأستار بدرهمين أقلَّ أو أكثر، فكان ذلك قوتَنا، وكنا إذا اشترينا الشيء نسترُه عنه كيلا يراه، فيُوبخنا، وكان ربما خُبِزَ له، فيجعل في فَخَّارة عدساً وشحماً وتمرات، وكان يأتَدِم بالخلِّ كثيراً.

[٢] وكان إذا توضأ لا يدع من يستقي له، وربما اعتللت فيأخذ قدحاً فيه ماء فيقرأ فيه، ثم يقول: اشربْ منه، واغسل وجهَكَ ويديك.

[٣] وكان ربما أخذ القَدُوم، وخرج إلى دار السكان، يعمل الشيءَ بيده. واعتل فتعالج.

[٤] وكان ربما خرج إلى البقال، فيشتري الجُزْرَةَ الحطَبَ والشيء، فيحملُه بيده.

وكـان يَتَنَـوَّر في البيت. فقال لي في يوم شتوي: أريدُ أدخلُ الحمام بعد المغرب، فقل لصاحب الحمام. ثم بعث إليَّ: إني قد أضربت عن الدخول. وتَنَوَّر في البيت.

[٥] وكنت أسمعه كثيراً يقول: اللهم سلِّم سلِّم.

[٦] وأخبرنا المرُّوذي: قلت لأبي عبدالله: ما أكثر الداعيَ لك! قال: أخافُ أن يكون هذا استدراجاً بأي شيء هذا؟ وقلت له: قدم رجل من طَرَسُوس، فقال: كنا في بلاد الروم في الغزو إذا هدأ الليل، رفعوا أصواتهم بالدعاء، ادعوا لأبي عبـدالله، وكنـا نَمُدُّ المنجنيق ونرمي عن أبي عبدالله. ولقد رُمي عنه بحجر، والعِلج على الحصن متترس بَدَرَقَة فذهب برأسه وبالدَّرَقَةِ، قال: فتغير وجه أبي عبدالله وقال: ليته لا يكون استدراجاً. قلتُ: كلا.

[٧] وعن رجل قال: عندنا بخراسان يظنُّون أن أحمد لا يشبه البشر يظنون أنه من الملائكة.

[٨] وقال آخر: نظرةٌ عندنا من أحمد تعدِلُ عِبادة سنة.

قلت: هذا غلوٌّ لا ينبغي، لكن الباعث له حبُّ ولي الله في الله.

[١] قال المرُّوذيُّ: رأيتُ طبيباً نصرانياً خرج من عند أحمد معه راهب، فقال: إنه سألني أنْ يجيءَ معي ليرى أبا عبدالله.

وأدخلتُ نصرانياً على أبي عبدالله، فقال له: إني لأشتهي أن أراك منذ سنين. ما بقاؤك صلاحٌ للإسلام وحدَهم، بل للخلق جميعاً، وليس من أصحابنا أحد إلا وقد رضي بك.

[٢] قال عباس الدُّوري: حدثنا علي بن أبي فَزَارَة جارُنا، قال: كانت أمي مُقعدةً من نحو عشرين سنة. فقالت لي يوماً: اذهب إلى أحمد بن حنبل، فَسَلْهُ أنْ يدعوَ لي، فأتيتُ، فدققت عليه وهو في دهليزه، فقال: من هذا؟ قلت: رجل سألتني أمي وهي مُقعدةٌ أن أسألك الدعاء. فسمعت كلامه كلام رجل مُغضَب. فقال: نحن أحوج أن تدعوَ الله لنا. فولَّيْت منصرفاً، فخرجتْ عجوز، فقالت: قد تركته يدعو لها. فجئتُ إلى بيتنا ودَقَقْتُ الباب، فخرجت أمي على رجليها تمشي.

هذه الواقعة نقلها ثقتان عن عباس.

[٣] قال عبدالله بن أحمد: كان أبي يُصلي في كل يوم وليلة ثلاث مئة ركعة. فلما مرض من تلك الأسواط، أضعفَتْه، فكان يصلي كُلَّ يوم وليلة مئة وخمسين ركعة.

[٤] وعن أبي اسماعيل الترمذي: قال: جاء رجل بعشرة آلاف من ربح تجارته إلى أحمد فردها. وقيل: إن صيرفياً بذل لأحمد خمس مئة دينار، فلم يقبل.

ومن آدابـــه:

[٥] قال عبدالله بن أحمد: رأيتُ أبي يأخذ شعرة من شعر النبي صلى الله عليه وسلم، فيضعُها على فيه يُقبِّلُها. وأحِسب أني رأيتُه يضعها على عينه، ويغمِسُها في الماء ويشربُه يستشفي به.

[١] ورأيته أخذ قَصْعة النبي صلى الله عليه وسلم فغسلها في حُبّ الماء ثم شرب فيها ورأيتُه يَشْرَبُ من ماء زمزم يستشفي به، ويمسح به يديه ووجهه.

[٢] قلت: أين المتنطِّع المنكِرُ على أحمد، وقد ثبت أن عبدالله سأل أباه عمن يلمس رُمَّانة منبر النبي صلى الله عليه وسلم، ويَمَسُّ الحجرة النبوية، فقال: لا أرى لذلك بأساً. أعاذنا الله وإياكم من رأي الخوارج ومن البدع.

[٣] وقال المرُّوذي: قال لي أحمد: ما كتبتُ حديثاً إلا وقد عملتُ به حتى مرَّ بي أن النبيّ، صلى الله عليه وسلم، احْتَجَم وأعْطَى أبا طَيْبَةَ دِيناراً، فأعطيتُ الحَجَّام ديناراً حين احتجمتُ.

[٤] قال يحيى بن معين: ما رأيت مثل أحمد، صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الخير.

[٥] قال عبدالله بن أحمد: كان أبي يقرأ كُلَّ يوم سُبعاً، وكان ينام نومةً خفيفة بعد العشاء، ثم يقوم إلى الصباح يُصلي ويدعو.

[٦] قال المَرُّوذي: كان أبوعبدالله إذا ذكر الموت، خَنَقَتْه العَبرة وكان يقول: الخوف يمنعُني أكْلَ الطعام والشراب، وإذا ذكرتُ الموت هان علي. كلُّ أمرِ الدنيا. إنما هو طعامٌ دونَ طعام، ولباسٌ دون لباس وإنها أيامٌ قلائل. ما أعدِل بالفقر شيئاً، ولو وجدتُ السبيل لخرجتُ حتى لا يكون لي ذكر.

[٧] وسئل عن القراءة بالألحان، فقال: هذه بدعة لا تُسمع.

[٨] وعن المرُّوذي، قال: لم أر الفقيرَ في مجلس أعزَّ منه في مجلس أحمد. كان مائلاً إليهم، مقصراً عن أهل الدنيا، وكان فيه حِلم، ولم يكن بالعجول، وكان كثيرَ التواضعِ تَعْلوه السكينةُ والوقارُ، وإذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يُسأل، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدر.

[٩] قال عبدالله: رأيتُ أبي حرَّج على النمل أن يَخْرُجوا من داره فرأيتُ النمل قد خرجن بعدُ نملاً سوداً، فلم أرهم بعد ذلك.

[١٠] عبدالله بن أحمد، قال: قال أبوسعيد بن أبي حنيفة المؤدِّب: كنتُ آتي أباك فيدفَع إليَّ الثلاثة دراهم وأقلَّ وأكثر ويقعُد معي، فَيَتَحدث، وربما أعطاني

الشيء، ويقول: أعطيتُك نصف ما عندنا. فجئتُ يوماً، فأطلْتُ القعود أنا وهو. قال: ثم خرج ومعه تحت كسائه أربعةُ أرغِفَة. فقال: هذا نصف ما عندنا. فقلت: هي أحبُّ إليَّ مِنْ أربعة آلاف مِن غيرك.

[١] وكان أبوعبدالله شديد الحياء، كريم الأخلاق، يُعجبه السخاءُ.

[٢] قال المروذي: رأيتُ أبا عبدالله يقوم لِورده قريباً من نصف الليل حتى يُقاربَ السَّحَر. ورأيتُه يركع فيما بينَ المغرب والعشاء.

[٣]وقال عبدُالله: ربما سمعتُ أبي في السحر يدعو لأقوام بأسمائهم.وكان يُكثر الدعاءَ ويُخفيه، ويُصلي بين العشاءين، فإذا صلى عشاء الآخرة، ركع ركعات صالحة، ثم يُوتر وينام نومة خفيفة، ثم يقومُ فيُصلي وكانت قراءته لينة، ربما لم أفهم بعضَها. وكان يصومُ ويُدمن، ثم يُفطر ما شاء الله. ولا يترك صومَ الاثنين والخميس وأيام البيض. فلما رجَع من العسكر، أدمن الصومَ إلى أن مات.

[٤]قال له خراساني: الحمدُ لله الذي رأيتُكَ، قال: اقعُد، أيُّ شيءٍ ذا؟ مَن أنا؟.

[٥]وعن رجل قال: رأيتُ أثر الغَمِّ في وجه أبي عبدالله، وقد أثنى عليه شخص، وقيل له: جزاك الله عن الإسلام خيراً، قال: بل جزى الله الإسلامَ عني خيراً. من أنا ومَا أنا؟!.

قال إبراهيم الحَرْبي: كان أحمد يُجيب في العرس والخِتان، ويأكل. وذكر غيره أن أحمد ربما استعفى من الإجابة. وكان إن رأى إناء فضة أو منكراً، خرج. وكان يُحب الخمولَ والانزواءَ عن الناس، ويعودُ المريض وكان يكره المشْي في الأسواق، ويُؤثِرُ الوَحدة.

[٦]ورُوى عن المرُّذوي، قال: قلتُ لأحمد: كيف أصبحتَ؟ قال: كيف أصبح مَن ربُّه يُطالبُه بأداء الفرائض، ونبيُّه يُطالبه بأداء السُّنة والملَكان يطلُبانه بتصحيح العمل، ونفسه تُطالبه بهواها، وإبليسُ يُطالبه بالفحشاء، ومَلَكُ الموت يُراقب قبضَ روحه، وعِياله يُطالبونه بالنفقة؟!

[١] فاطمة بنتُ أحمد بن حنبل، قالت: وقع الحريق في بيت أخي صالح وكان قد تزوج بِفَتِيَّة، فحملوا إليه جهازاً شبيهاً بأربعة آلاف دينار فأكلته النارُ فجعل صالح، يقولُ: ما غمني ما ذهب إلا ثوبٌ لأبي كان يصلي فيه أتبرَّك به وأُصلي فيه. قالت: فَطُفِيء الحريق، ودخلوا فوجدُوا الثوبَ على سرير قد أكلت النار ما حولَه وسَلِم.

[٢] قال ابن الجوزي: بلغني عن قاضي القضاة علي بن الحسين الزينبي أنه حكى أن الحريقَ وقع في دارهم، فأحرق ما فيها إلا كتاباً كان فيه شيء بخطِّ الإمام أحمد. قال: ولما وقع الغرق ببغداد في سنة ٥٥٤، وغرقت كتبي، سَلِم لي مجلدٌ فيه ورقتان بخطِّ الإمام.

[٣] قلت: وكذا استفاض وثبت أن الغرق الكائن بعد العشرين وسبع مئة ببغداد عامَ على مقابر مقبرة أحمد، وأن الماء دخل في الدهليز عُلُوَّ ذِراع، ووقف بِقُدرة الله، وبقيت الحصرُ حول قبر الإمام بغُبارها، وكان ذلك آية.

[٤] محمد بن المسيَّب، سمعت زكريا بن يحيى الضرير، يقول: قلت لأحمد بن حنبل: كم يكفي الرجل من الحديثِ حتى يكونَ مُفتياً؟ يكفيه مئة ألف؟ فقال: لا. إلى أن قال: فيكفيه خمس مئة ألف حديث؟ قال: أرجو.

[٥] المحـــــنة:

[٦] الصَّدعُ بالحق عظيم، يحتاج إلى قوة وإخلاص، فالمُخْلِص بلا قوة يعجِزُ عن القيام به، والقويُّ بلا إخلاص يُخْذَلُ، فمن قام بهما كاملاً، فهو صِدِّيق. ومن ضَعُفَ، فلا أقلَّ مِن التألم والإنكار بالقلب. ليس وراء ذلك إيمان، فلا قوة إلا بالله.

عن ثوبان قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم. «إن أَخْوَفَ ما أخافُ على أُمَّتي الأئمة المُضِلّون، وإذا وُضِعَ السَّيْفُ عَليهم، لَمْ يُرْفَعْ عَنْهُم إلى يوم القيامة، ولاَ تزال طائِفَة من أمتي على الحَقِّ ظَاهرينَ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ أوْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أمْرُ الله».

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يَحْقِرنَّ أحدُكُم نَفْسَه أنْ يَرَى أمراً لله فيهِ مَقالٌ، فَلا يَقُولُ فِيهِ، فَيُقَالُ لَهُ: ما مَنَعَكَ؟ فَيَقُولُ: مَخافةُ النَّاس. فَيَقولُ: فَإيايَ كنتَ أحَقَّ أنْ تَخافَ».

[١]كان الناسُ أمة واحدة، ودينُهم قائماً في خلافة أبي بكر وعمر فلما استشهد قُفْلُ بابِ الفتنـة عمـر رضي الله عنه، وانكسر الباب، قام رؤوس الشر على الشهيد عثمان حتى ذُبح صبراً. وتفرقت الكلمةُ وتمت وقعةُ الجمل، ثم وقعةُ صِفّين. فظهرت الخوارجُ، وكفَّرت سادةَ الصحابة، ثم ظهرت الروافض والنواصب.

[٢]وفي آخـر زمن الصحـابـة ظهـرت القَـدَرِيَّةُ، ثم ظهـرت المعتزلةُ بالبصرة، والجهمية والمجسِّمة بخُراسان في أثناء عصر التابعين مع ظهور السنة وأهلها. إلى بعـد المئتين، فظهـر المـأمـون الخليفة ـ وكان ذكياً متكلماً، له نَظَرٌ في المعقول ـ فاستجلب كتبَ الأوائل، وعرَّب حِكمة اليونان، وقام في ذلك وقعد، وخبَّ ووضع، ورفعت الجَهميةُ والمعتزلةُ رؤوسها، بل والشيعة. وآل به الحالُ إلى أن حمـل الأمة على القول بخلق القرآن، وامتحن العلماء، فلم يُمْهَلْ. وهَلَكَ لعـامه، وخلَّى بعده شرّاً وبلاءً في الدين. فإن الأمة ما زالت على أن القرآن العظيم كلام الله تعالى ووحيُه وتنزيلُه، لا يعرفون غير ذلك، حتى نبغ لهم القول بأنه كلام الله مخلوق مجْعول، وأنه إنما يضاف إلى الله تعالى إضافة تشريف، كبيت الله، وناقة الله. فأنكر ذلك العلماءُ ولم تكن الجمهية يَظهرون في دولة المهدي والرشيد والأمين فلما وَلِي المأمون، كان منهم، وأظهر المقالة.

روى أحمد بن إبراهيم الدَّوْرقي، عن محمد بن نوح: أن الرشيد قال: بلغني أن بشر بن غياث المريسي، يقول: القرآن مخلوق، فَلِله عليَّ إنْ أظفرَني به، لأقتلنَّه. قال الدروقي: وكان متوارياً أيام الرشيد فلما مات الرشيد، ظهر، ودعا إلى الضلالة.

[١] قلتُ: ثم إن المأمون نظر في الكلام، وناظر، وبقي متوقِّفاً في الدعاء إلى بِدعته.

[٢] قال أبوالفرج بن الجوزي: خالطه قوم من المعتزلة، فحسَّنوا له القول بخلق القرآن، وكان يتردد ويراقب الشيوخ، ثم قوِيَ عَزْمُه وامتحن الناس.

ابن عَرْعَرَة، حدثني ابن أكْثَم، قال: قال لنا المأمون: لولا مكانُ يزيدَ بنِ هارون، لأظهرت أن القرآن مخلوق فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين، ومَن يزيدُ حتى يُتَّقى؟ فقال: ويحك!! إني أخاف أن أظهرته فيردُّ عليَّ يختلِف الناسُ، وتكون فتنةٌ، وأنا أكر الفتنة. فقال الرجل: فأنا أخبُرُ ذلك منه، قال له: نعم، فخرج إلى واسط، فجاء إلى يزيد، وقال: يا أبا خالد، إن أميرَ المؤمنين يُقرئك السلام، ويقول لك: إني أريد أن أُظْهِر خلق القرآن، فقال: كذبتَ على أمير المؤمنين. أميرُ المؤمنين لا يحمِلُ الناس على مالا يعرفونه فإن كنتَ صادقاً، فاقعُد. فإذا اجتمع الناسُ في المجلس، فَقُلْ. قال: فلما أن كان الغدُ، اجتمعوا. فقام، فقال كمقالته، فقال يزيد: كذبتَ على أميرِ المؤمنين، إنه لا يحملُ الناسَ على ما لا يعرِفونه، ومالم يُقلْ به أحد. قال: فَقَدِم، وقال: يا أميرَ المؤمنين، كنتَ أعلمَ، وقصَّ عليه، قال: ويحك يُلْعب بك!!

قال صالح بن أحمد: سمعت أبي، يقول: لما دخلنا على إسحاق بن إبراهيم للمحنة، قرأ علينا كتابَ الذي صار إلى طَرَسُوس، يعني: المأمون فكان فيما قُرِىء علينا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِه شَيءٌ﴾ [الشورى: ١١].

﴿هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الأنعام: ١٠٢]. فقلت: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ البَصيرُ﴾.

قال صالح: ثم امْتُحِنَ القومُ، ووُجِّه بمن امتنع إلى الحبس، فأجاب القومُ جميعاً غيرَ أربعة: أبي، ومحمد بن نوح، والقواريري، والحسن بن حماد سجَّادة. ثم أجاب هذان، وبقي أبي ومحمد في الحبس أياماً، ثم جاء كتابٌ من طرسوس بحَمْلهما مُقَيَّدَيْن زميلين.

[١] الأصم: حدثنا عباس الدُّوري: سمعتُ أبا جعفر الأنباري، يقول: لما حُمِلَ

أحمد إلى المأمون، أُخبرت، فعبَرْتُ الفراتَ، فإذ هو جالس في الخان، فسلمتُ عليه، فقال: يا أبا جعفر، تَعنَّيْتَ. فقلت: يا هذا أنت اليوم رأسٌ، والناسُ يقتدون بك، فوالله لئن أجبتَ إلى خلق القرآن لَيُجِيبَنَّ خلقٌ، وإن أنتَ لم تُجِب، ليَمتَنِعَنَّ خَلقٌ من الناس كثير. ومع هذا فإنَّ الرجل إن لم يقتُلْكَ فإنك تموت، لا بُدَّ من الموت، فاتق الله ولا تجب فجعل أحمد يبكي، ويقول: ما شاء الله. ثم قال: يا أباجعفر، أعِدْ عليَّ فأعدت عليه، وهو يقول: ما شاء الله.

[١] قال محمد بن إبراهيم البُوشَنْجي: جعلوا يُذاكرون أبا عبدالله بالرَّقة في التَّقيَّة وما رُوي فيها. فقال: كيف تصنعون بحديث خَبَّاب: «إنَّ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ كان يُنْشَرُ أحدُهُم بالمِنْشارِ، لا يصُدُّهُ ذلك عَنْ دِينه» فأيسنا منه.

[٢] وقال: لستُ أُبالي بالحبس، ما هو ومنزلي إلا واحد، ولا قتلاً بالسيف إنما أخاف فِتنةَ السَّوْط. فسمعه بعضُ أهل الحبس، فقال: لا عليك يا أبا عبدالله، فما هو إلَّا سوطان، ثم لا تدري أين يقعُ الباقي، فكأنَّه سُرِّي عنه.

[٣] عن محمد بن إبراهيم بن مُصعب، وهو يومئذ صاحبُ شرطة المعتصم خلافة لأخيه اسحاق بن إبراهيم، قال: ما رأيتُ أحداً لم يُداخِل السلطانَ، ولا خالط الملوكَ، كان أثبت قلباً من أحمد يومئذ، ما نحنُ في عينه إلا كأمثال الذُّباب.

قال صالح بن أحمد: قال أبي: فلما صِرنا إلى أُذَنَة، ورحلنا منها في جوف الليل، وفُتحَ لنا بابُها، إذا رجل قد دخل. فقال: البُشْرىَ! قد مات الرجلُ يعني: المأمون. قال أبي: وكنتُ أدعو الله أن لا أراه.

وبقي أحمد محبوساً بالرَّقة حتى بويع المعتصم إثر موت أخيه، فرُدَّ أحمدُ إلى بغداد.

[٤] قال أبوعبدالله: ما رأيتُ أحداً على حداثة سِنِّه، وقدْرِ علمه أقومَ بأمر الله من محمد بن نوح، إني لأرجو أن يكون قد خُتم له بخير قال لي ذاتَ يوم: يا أبا عبدالله، الله الله، إنك لستَ مثلي. أنتَ رجلٌ يُقْتدى بك. قد مدّ الخلق أعناقَهم إليك، لِمَا يكون منك، فاتقِ الله واثْبُتْ لأمر الله، أو نحو هذا. فماتَ،

وصليتُ عليه، ودفنته.

قال صالح: وصار أبي إلى بغداد مقيداً، ثم حُبِسَ في دارٍ اكتُرِيت عند دار عُمارة، ثم حُوِّل إلى حبس العامة في درب المَوْصِليَّة. فقال: كنتُ أصلي بأهل السجن، وأنا مقيد. فلما كان في رمضان سنة تسع عشر ـ قلت: وذلك بعد موت المأمون بأربعةَ عشر شهراً ـ حُوِّلتُ إلى دار إسحاق بن إبراهيم، يعني: نائب بغداد.

فلما كان في الليلة الرابعة، وجه، يعني: المعتُصم، بِبُغا الكبير إلى إسحاق، فَأَمرهُ بحملي إليه، فأُدْخِلتُ على إسحاق، فقال: يا أحمد إنها والله نفسُك، إنه لا يقتلك بالسيف، إنه قد آلى، إن لَمْ تجبه، أن يضربك ضرباً بعد ضرب وأن يَقْتُلَك في موضع لا يرى فيه شمسٌ ولا قمر. أليس قد قال الله تعالى: ﴿إنا جَعَلْناهُ قُرآنا عَربيّاً﴾ [الزخرف: ٣]. أفيكونُ مجعولاً إلا مخلوقاً؟ فقلت: فقد قال تعالى: ﴿فَجَعَلهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥]. أفخلقهم؟ قال: فسكت، فلما صرنا إلى الموضع المعروفِ بباب البستان أُخرجتُ، وجيء بدابةٍ فأُركبتُ وعليَّ الأقياد، ما معي من يُمسكُني، فكِدتُ غير مرة أن أخِرَّ على وجهي لثقل القيود. فجيء بي إلى دار المعتصم، فأُدْخِلْتُ حجرة، ثم أدخلتُ بيتاً، وأُقفلَ البابُ عليَّ في جوف الليل ولا سراج، فأردتُ الوضوء، فمددتُ يدي، فإذا بإناءٍ فيه ماء، وطستٌ موضوع، فتوضأتُ وصليت.

فلما كان من الغد، أخرجتُ تَكَّتي، وشددتُ بها الأقياد أحملها وعطفتُ سراويلي. فجاء رسولُ المعتصم، فقال: أجبْ فأخذ بيدي، وأدخلَني عليه، والتَّكَّةُ في يدي، أحملُ بها الأقيادَ، وإذا هو جالسٌ، وأحمدُ بنُ أبي دُوَاد حاضر، وقد جمع خلقاً كثيراً من أصحابه فقال لي المعتصم: ادنُه ادنه. فلم يَزَلْ يُدْنيني حتى قربت منه. ثم قال: اجلس فجلست، وقد أثقلتني الأقيادُ، فمكثْتُ قليلاً، ثم قلتُ: أتأذن في الكلام؟ قال: تَكَلَّمْ، فقلت: إلى ما دعا الله ورسولُه؟ فسكت هُنَيَّة، ثم قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، فقلت: فأنا أشهد

أن لا إله إلا الله. ثم قلت: إن جدَّك ابنَ عباس يقول: لما قدم وَفْدُ عبدالقيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم، سألوهُ عن الإيمان، فقال: «أتدْرُونَ ما الإيمانُ»؟ قالوا: الله ورسولُه أعْلم، قال «شهادةُ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسولُ الله، وإقامُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاةِ، وأن تُعْطُوا الخُمُسَ من المَغْنَمِ». قال أبي: فقال يعني: المعتصم: لولا أني وَجَدْتُك في يد من كان قبلي، ما عرضتُ لك.

[١] ثم قال: يا عبدالرحمن بن إسحاق، ألم آمُرْك برفع المحنة؟ فقلتُ: الله أكبر! إنَّ في هذا لفَرَجاً للمسلمين. ثم قال لهم: ناظروه وكَلِّموه، يا عبدَالرحمن كَلِّمْه. فقال: ما تَقول في القرآن؟ قلت: ما تقول أنتَ في علم الله؟ فسكتَ، فقال لي بعضُهم: أليس قال الله تعالى: ﴿الله خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾؟ [الرعد: ١٦]. والقرآن أليس شيئاً؟ فقلت: قال الله: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شيءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

فدمَّرت إلا ما أراد الله.. فقال بعضهم: ﴿ما يَأْتِيهم مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] أفيكون محدثٌ إلا مخلوقاً؟ فقلت: قال الله: ﴿ص والقُرْآنِ ذي الذِّكْر﴾ (ص: ١) فالذكر هو القرآن، وتلك ليس فيها ألف ولام. وذَكَر بعضهم حديث عمران بن حصين (إن الله خَلَقَ الذِّكْرَ) فقلتُ: هذا خطأ، حدثنا غير واحد: «إن الله كَتَبَ الذِّكْرَ» واحتجوا بحديثِ ابن مسعود: «ما خَلَقَ الله مِنْ جَنةٍ ولا نارٍ ولا سَماءٍ ولا أرضٍ أعْظَمَ مِنْ آية الكُرسِي». فقلت: إنما وقع الخلق على الجنة والنار والسماء والأرض، ولم يقع على القرآن. فقال بعضهم: حديث خبَّاب «يا هَنَتاه تقربْ إلى الله بما اسْتَطَعْتَ، فإنَّك لن تتقرَّب إليه بشيء أحب إليه مِنْ كَلامِه». فقلت: هكذا هو.

قال صالح: وجعل ابنُ أبي دُوَاد ينظر إلى أبي كالمُغْضَب. قال أبي: وكان يتكلم هذا، فأرُدُّ عليه. ويتكلم هذا فأرُدُّ عليه، فإذا انقطع الرجل منهم، اعترض ابنُ أبي دُوَاد، فيقول: يا أمير المؤمنين، هو والله ضالٌّ مضلٌّ مبتدع!

فيقول: كلِّموه، ناظروه. فيكلمني هذا، فأرد عليه، ويكلمني هذا، فأرد عليه. فإذا انقطعوا، يقول المعتصم: ويحك يا أحمد، ما تقول؟ فأقول: يا أمير المؤمنين، أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حتى أقول به. فطال المجلس، وقام، ورُدِدْتُ إلى الموضع.

فلما أصبحنا، جاء رسوله، فأخذ بيدي حتى ذهب بي إليه، فقال لهم ناظروه وكلموه، فجعلوا يناظروني، فأردُّ عليهم. فإذا جاؤوا بشيء من الكلام مما ليس في الكتب والسنة، قلت: ما أدري ما هذا. قال: فيقولون: يا أمير المؤمنين، إذا توجهت له الحُجَّةُ علينا، ثَبَتَ وإذا كلمناه بشيء، يقول: لا أدري ما هذا؟ فقال: ناظِروه. فقال رجل: يا أحمد، أراكَ تذكرُ الحديث وتنتحِلُه، فقلت: ما تقول في قوله: ﴿يُوصِيكُمُ الله في أولادِكُمْ للذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]؟. قال: خصَّ الله بها المؤمنين. قلت: ما تقول إن كان قاتلًا أو عبداً؟ فسكتَ، وإنَّما احتَجَجْتُ عليهم بهذا، لأنهم كانوا يحتجون بظاهر القرآن. فحيثُ قال لي: أراكَ تَنْتَحِلُ الحديث، احتججتُ بالقرآن، يعني: وإن السنةَ خصَّصَتِ القاتلَ والعبد، فأخرجتْهما من العموم. قال: فلم يزالوا كذلك إلى قُرْبِ الزَّوال. فلما ضَجِر، قال: قومُوا، ثم خَلا بِي، وبعبدالرحمن بن إسحاق، فلم يزل يكلمُني، ثم قام ودخل. ورُدِدْتُ إلى الموضع.

قال: فلما كانت الليلَة الثالثةُ، قلتُ: خَليقٌ أن يحدُثَ غداً من أمرى شيء فقلت للموكَّل بي: أريد خيطاً فجاءني بخيط، فشَددتُ به الأقياد، ورددْتُ التِّكَّة إلى سراويلي مخافة أن يَحْدثَ من أمري شيء فأتَعَرَّى. فلما كان من الغد، أُدخلتُ إلى الدار، فإذا هي غاصَّةٌ فجعلتُ أُدخلُ من موضع إلى موضع، وقومٌ معهم السيوف، وقومٌ معهم السياط وغير ذلك. ولم يكن في اليومين الماضيين كبيرُ أحد من هؤلاء. فلما انتهيتُ إليه قال: أقعد. ثم قال: ناظروه، كلموه. فجعلوا يُناظروني يتكلم هذا، فأرد عليه، ويتكلم هذا، فأرد عليه، وجعل صوتي يعلو أصواتهم. فجعل بعضُ من هو قائم على رأسي يومىء إليَّ بيده، فلما طال

المجلسُ، نحَّاني. ثم خلا بهم، ثم نحاهم، وردني إلى عنده، وقال: ويحك يا أحمد! أجبني حتى أُطلقَ عنك بيدي، فردَدَت عليه نحو ردي. فقال: عليك، وذكر اللعن، خُذُوه اسحبوه خلِّعوه. فَسُحِبْتُ وخلعتُ.

[١]قال: وقد كان صار إليَّ شَعْرٌ من شَعْرِ النبي، صلى الله عليه وسلم في كُمِّ قميصي، فوجَّه إليَّ إسحاق بن ابراهيم، يقول: ما هذا المَصْرُور؟ قلت: شَعْرٌ مِنْ شَعْرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسعى بعضهم ليخرِق القميص عني، فقال المعتصم: لا تخرقوه، فنُزِع، فظننتُ أنه إنما دُرِىء عن القميص الخرقُ بالشعر. قال: وجلس المعتصم على كرسي ثم قال: العُقابَيْن والسِّياط فجيء بالعُقابين، فمُدَّتْ يداي، فقال بعضُ من حضر خلفي: خُذْ ناتِيء الخشبتين بيديك، وشُدَّ عليهما. فلم أفهمْ ما قال، فتخلعتْ يداي.

قال محمدُ بن ابراهيم البوشَنْجي: ذكروا أن المعتصم ألان في أمر أحمد لمّا علق في العقـابين، ورأى ثباته وتصميمه وصلابته، حتى أغراه أحمد بن أبي دُوَاد، وقال: يا أمير المؤمنين، إن تركتَه، قيل: قد ترك مذهبَ المأمون، وسخط قولَه، فهاجه ذلك على ضَرْبه.

قال صالـح: قال أبي: ولمـا جيء بالسياط، نظر إليهمـا المعتصم فقال: ائتـوني بغيرهـا، ثم قال للجلادين: تقدموا، فجعل يتقدمُ إليَّ الرجل منهم، فيضـربني سوطين، فيقـول له: شُدَّ، قطع الله يدَك! ثم يَتنَحَّى ويتقدمُ آخر، فيضربني سوطين، وهو يقول في كلِّ ذلك: شُدَّ، قطع الله يدك! فلما ضُربتُ سبعـة عشـر سوطـاً، قام إليَّ، يعني: المعتصم فقال: يا أحمدُ، علامَ تَقتل نفسك؟ إني والله عليكَ لشفيق، وجعل عُجيف ينخَسُني بقائمة سيفه، وقال: أتُريد أن تغلبَ هؤلاء كلَّهم؟ وجعل بعضُهم يقول: ويلك! إمامك على رأسك قائم. وقال بعضُهم: يا أمير المؤمنين دمه في عنقي، اقتله، وجعلوا يقولون: يا أمير المؤمنين أنت صائم، وأنتَ في الشمس قائم! فقال لي: ويحك يا أحمد، ما تقولُ؟ فأقول: أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله أقولُ به. فرجع

وجَلَس. وقال للجلاد: تقدَّم، وأوْجِعْ. قَطَعَ الله يدك، ثم قام الثانية وجعل يقول: ويحك يا أحمد: أجبني. فجعلوا يُقبلون عَليَّ، ويقولون: يا أحمد، إمامُك على رأسك قائم! وجعل عبدُالرحمن يقول: من صَنع من أصحابك في هذا الأمر ما تصنع؟ والمعتصم يقول: أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فَرَجٍ حتى أُطلق عنك بيدي، ثم رجع، وقال للجلاد: تقدم، فجعل يضربُني سوطين ويتنحى، وهو في خلال ذلك يقول: شُدَّ، قطع الله يدك فذهب عقلي، ثم أفقتُ بعد، فإذا الأقياد قد أُطلقت عني. فقال لي رجل ممن حضر: كبَبْناكَ على وجهِكَ، وطرحْنا على ظهرك بارِيَّةً[1] ودُسْناك! قال أبي فما شعرتُ بذلك وأتوني بسَوِيقٍ، وقالوا: اشربْ وتقيأْ، فقلت: لا أُفطر. ثم جيءَ بي إلى دار إسحاقَ بنِ إبراهيم، فحضرتِ الظهرُ، فتقدم ابنُ سَمَاعَة، فصلى. فلما انفتل من صلاته، وقال لي: صليتَ، والدمُ يسيلُ في ثوبك؟ قلت: قد صلّى عمر، وجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَماً.[2]

قال صالح: ثم خُلِّي عنه، فصار إلى منزله، وكان مُكثُه في السجن منذ أخذ إلى أن ضُرِب وخلي عنه، ثمانية وعشرين شهراً. ولقد حدثني أحدُ الرجلين اللذين كانا معه، قال: يا ابن أخي، رحمة الله على أبي عبدالله، والله ما رأيت أحداً يشبهه، ولقد جَعلتُ أقول له في وقت ما يُوَجَّه إلينا بالطعام: يا أبا عبدالله، أنتَ صائم، وأنت في موضع تَقِيَّة. ولقد عطش، فقال لصاحب الشراب: ناولني، فناولَه قدحاً فيه ماءٌ وثلج، فأخذه ونظر فيه، ثم ردّه، ولم يشرب، فجعلتُ أعجبُ من صبره على الجوع والعطش، وهو فيما هو فيه من الهَوْل!

قال صالح: فكنت ألتمس وأحتال أن أوصِلَ إليه طعاماً أو رغيفاً في تلك الأيام، فلم أقدر. وأخبرني رجلٌ حضره: أنه تفقَّده في الأيام الثلاثة وهم يناظرونه، فما لحن في كلمة. قال: وما ظننتُ أنَّ أحداً يكونُ في مثل شجاعته

---

(١) الحصير المنسوج.

(٢) أي: يجري ويتفجر منه الدم.

وشِدَّةِ قلبه.

قال حنبل: سمعتُ أبا عبدالله، يقول: ذهب عقلي مراراً، فكان إذا رُفِع عني الضـرب، رَجَعَتْ إلى نفسي. وإذا اسْترخيت وسقطتُ، رُفِع الضرب أصابني ذلك مراراً. ورأيته، يعني: المعتصم، قاعدا في الشمس بِغَيْر مظلة، فسمعتُه، وقد أفقت، يقول لابن أبي دُوَاد، لقد ارتكبت إثما في أمرِ هذا الرجل. فقال: يا أمير المؤمنين، إنه ـ والله ـ كافر مشرك، قد أشرك من غير وجه. فلا يزال به حتى يصرفه عما يريد. وقد كان أراد تخليتي بلا ضرب، فلم يدعه، ولا إسحاق ابن ابراهيم.

قال حنبل: وبلَغَني أنّ المعتصمَ، قال لابن أبي دُوَاد بعدما ضُرِبَ أبوعبدالله: كم ضُرِبَ؟ قال: أربعة أو نيفاً وثلاثين سوطاً.

[١] قال ابنُ أبي حاتم: حدثني أحمـد بن سِنـان، قال: بلغني أن أحمد بن حنبـل، جعـل المعتصمَ في حلٍّ يومَ فتح عاصمة بابك وظَفِر به، أَوْفي فَتْحِ عمورية، فقال: هو في حلٍّ من ضربي.

[٢] قال ابنُ أبي حاتم: سمعتُ أبا زرعة، يقول: دعا المعتصم بعمِّ أحمد، ثم قال للناس: تعرفُونه؟ قالوا: نعم، هو أحمد بنُ حنبل قال: فانظروا إليه، أليس هو صحيحَ البدن؟ قالوا: نعم. ولولا أنه فعل ذلك، لكنتُ أخاف أن يقع شيء لا يُقامُ له. قال: ولما قال: قد سَلَّمْتُه إليكم صحيحَ البدن، هدأ الناسُ وسكنوا.

قلت: ما قال هذا مع تمكُّنه في الخلافة وشجاعته إلا عن أمرٍ كبير كأنه خاف أن يموتَ من الضرب، فَتَخرجَ عليه العامة. ولو خرج عليه عامة بغداد لربما عجزَ عنهم.

وبلغنا أن المعتصم ندم، وأُسقِط في يده، حتى صَلُح.

[٣] وسمعته يقول: كلُّ من ذَكَرَني ففي حِلٍّ إلاَّ مُبتدعاً، وقد جعلت أبا إسحاق ـ يعني: المعتصم ـ في حلٍّ، ورأيتُ الله يقول: ﴿**وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ**

أن يَغْفِرَ الله لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] وأمرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، أبابكر بالعفو في قِصةِ مِسْطَح. قال أبوعبدالله: وما ينفعُكَ أن يعذِّبَ الله أخاكَ المسلم في سببك؟!!

محنة الواثق:

قال حنبل: لم يزلْ أبوعبدالله بعد أن بَرِئَ من الضرب يحضرُ الجمعة والجماعة، ويُحدِّث ويُفتي، حتى مات المعتصم، وولي ابنُهُ الواثق فأظهر ما أظهر من المحنةِ والميل إلى أحمد بنِ أبي دُوَاد وأصحابه. فلما اشتدَّ الأمر على أهلِ بغداد وأظهرت القضاةُ المحنةَ بخلق القرآن، وفُرِّق بين فضل الأنماطي وبين امرأته، وبين أبي صالح وبين امرأته، كان أبوعبدالله يَشْهَد الجمعة، ويُعيدُ الصلاة إذا رجع، ويَقول: تُوتَى الجمعة لفضلها، والصلاةُ تُعاد خلفَ مَنْ قال بهذه المقالة.

[١] وجاء نفرٌ إلى أبي عبدالله، وقالوا: هذا الأمر قد فشا وتفاقم ونحن نَخافه على أكْثَرَ من هذا، وذكروا ابنَ أبي دُوَاد، وأنه على أنْ يأمر المعلمين بتعليم الصبيان في المكاتب: القرآن كذا وكذا، فنحن لا نرضى بإمارته. فمنعهم من ذلك، وناظرهم. وحكى أحمد قَصْدَه في مناظرتهم، وأمرهم بالصبر. قال: فبينا نحن في أيام الواثق، إذ جاءَ يعقوبُ ليلاً برسالة الأمير اسحاق بن ابراهيم إلى أبي عبدالله: يقول لك الأميرُ: إن أميرَ المؤمنين قد ذَكَرَكَ فلا يجتمعنَّ إليك أَحَدٌ، ولا تُساكِنِّي

[٢] بأرضٍ ولا مدينةٍ أنا فيها، فاذْهب حيثُ شِئْتَ من أرض الله. قال: فاختفى أبوعبدِالله بقية حياة الواثق وكانت تلك الفتنة، وقتل أحمد بن نصر الخزاعي. ولم يزل أبوعبدالله مختفياً في البيت لا يخرج إلى الصلاة ولا إلى غيرها حتى هَلَكَ الواثق.

[٣] وعن ابراهيم بن هانىء، قال: اختفى أبوعبدالله عندي ثلاثاً ثم قال: اطلبْ لي موضعاً، قلت: لا آمن عليك، قال: افعلْ، فإذا فعلتَ، أفدتُكَ. فطلبتُ

له موضعاً، فلما خرج، قال: اختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم، في الغار ثلاثةَ أيام ثم تحول.

فصل في حال الإمام في دولة المتوكل

قال حنبل: وَلِيَ المتوكل جعفر، فأظهر الله السُّنَّة، وفرَّج عن الناس، وكان أبوعبدالله يُحَدِّثُنا ويُحدِّث أصحابه في أيام المتوكل وسمعتُه يقول: ما كان الناسُ إلى الحديث والعلم أحوج منهم إليه في زماننا.

ثم وَلِيَ بغدادَ عبدُالله بنُ إسحاق، فجاء رسولُه إلى أبي عبدالله فذهبَ إليه، فقرأ عليه كتاب المتوكل، وقال له: يَأمُرك بالخروج يعني: إلى سَامَرّاء، فقال: أنا شيخٌ ضعيف عليل. فكتب عبدُالله بما ردَّ عليه فورد جوابُ الكتاب: أن أميرَ المؤمنين يأمرُه بالخروج. فوجَّه عبدُالله أجْناداً، فباتُوا على بابنا أياماً، حتى تَهَيَّأ أبوعبدالله للخروج فخرج ومعه صالح وعبدالله وأبي.

قال حنبل: فأخبرني أبي، قال: دخلنا إلى العسكر، فإذا نحن بموكبٍ عظيمٍ مُقبل، فلما حاذى بنا، قالوا: هذا وصيف، وإذا بفارس قد أقبل، فقال لأبي عبدالله: الأمير وصيف يقرئُك السلام، ويقول لك: إن الله قد أمكنك من عدوك، يعني: ابنَ أبي دُوَاد، وأميرُ المؤمنين يقبل منك، فلا تَدَعْ شيئاً إلا تكلمتَ به. فما ردَّ عليه أبوعبدالله شيئاً. وجعلتُ أنا أدعو لأمير المؤمنين، ودعوتُ لوصيف. وَمَضَيْنَا فأُنزلنا في دار إيتاخ. وكانتْ تأتينا في كل يوم مائدةٌ فيها ألوان يأمُر بها المتوكل والثلجُ والفاكهةُ وغيرُ ذلك، فما ذاق منها أبوعبدالله شيئاً، ولا نظر إليها. وكان نفقةُ المائدة في اليوم مئةً وعشرين درهماً.

وكان يحيى بنُ خاقان، وابنُه عُبيدالله، وعليُّ بنُ الجهم يختلفون إلى أبي عبدالله برسالة المتوكل. ودامت العلةُ بأبي عبدالله وضعف شديداً. وكان يُواصل، ومكثَ ثمانيةَ أيام لا يأكلُ ولا يشربُ، ففى الثامن دخلت عليه، وقد كاد أن يُطْفَأ، فقلت: يا أبا عبدالله، ابن الزبير كان يواصلُ سبعة، وهذا لك

اليوم ثمانيةُ أيام. قال: إني مُطيق. قلتُ: بحقي عليك. قال: فإني أفعل. فأتيته بسَويق فشرب. ووجَّه إليه المتوكل بمال عظيم. فردَّه، فقال له عُبيدالله بنُ يحيى: فإن أميرَ المؤمنين يأمركَ أن تدفعَها إلى وَلَدِك وأهلك. قال: هم مستغنون. فردها عليه فأخذها عُبيدُالله، فقسمها على ولده، ثم أجرى المتوكل على أهله وولده في كل شهر أربعة آلاف. فبعثَ إليه أبوعبدالله: إنهم في كفاية، وليستْ بهم حاجة. فبعثَ إليه المتوكل: إنما هذا لولدك، فما لَكَ ولهذا؟ فأمسك أبوعبدالله، فلم يزل يُجري علينا حتى مات المتوكل.

[١]وجَرى بين أبي عبدالله وبين أبي كلام كثير. وقال: يا عم ما بقي من أعمارنا. كأنك بالأمر قد نزل. فالله الله، فإن أولادنا إنما يريدون أن يأكلوا بنا، وإنما هي أيامٌ قلائل، وإنما هذه فتنة قال أبي: فقلت: أرجو أن يُؤَمِّنَك الله مما تَحذر. فقال: كيف وأنتم لا تتركون طعامَهم ولا جوائزهم؟ لو تركتموها، لتركوكم. ماذا نَنْتَظِرُ؟ إنما هو الموتُ. فإما إلى جنة، وإما إلى نار. فطوبى لمن قدِم على خير. قال: فقلت: أليسَ قد أُمرتَ ما جاءكَ مِنْ هذا المالِ من غير إشراف نفس، ولا مسألةٍ أن تأخذه؟ قال: قد أخذت مرة بلا إشراف نفس، فالثانية والثالثة؟ ألم تستشرف نفسُك؟ قلت: أفلم يأخذِ ابنُ عُمرَ وابنُ عباس؟ فقال: ما هذا وذاك! وقال: لو أعلمُ أن هذا المالَ يُؤخذُ من وجْهِهِ، ولا يكونُ فيه ظُلْمٌ ولا حِيْف لم أُبالِ.

قال حنبل: ولما طالت عِلة أبي عبدالله، كان المتوكلُ يَبعثُ بابن ماسَويْه المتطبِّب، فيصفُ له الأدوية، فلا يتعالج. ويدخلُ ابنُ ماسَويه، فقال: يا أمير المؤمنين ليستْ بأحمدَ عِلةٌ، إنما هو من قلةِ الطعام والصيام والعبادة، فسكتَ المتوكل.

وبلغ أمَّ المتوكلِ خبرُ أبي عبدالله، فقالتْ لابنها: أشتهي أن أرى هذا الرجل، فَوجَّه المتوكل إلى أبي عبدالله، يسألُه أنْ يدخُلَ على ابنِهِ المعتز، ويدعُوَ له ويُسلِّمَ عليه، ويجعَله في حجره. فامتنع ثم أجاب رجاءَ أن يُطْلَقَ،

وينحـدر إلى بغـداد، فوجَّه إليه المتوكل خِلْعَةً وأتَوْهُ بدابةٍ يركبُها إلى المعتز، فامتنع، وكانت عليه مِيثَرَةُ نُمورٍ فقُدِّم إليه بغل لتاجر، فركبه، وجلس المتوكل مع أمه في مجلس من المكان وعلى المجلس سِترٌ رقيق. فدخَل أبوعبدالله على المعتز، ونظر إليه المتوكل وأمُّه. فلما رأته، قالت: يا بُني، الله الله في هذا الـرجل فليس هذا ممن يُريد ما عندكم، ولا المصلحةُ أن تحبسَهُ عن منزله، فائذنْ له ليذهب، فدخل أبوعبدالله على المعتز، فقال: السلامُ عليكم، وجلس ولم يُسَلِّم عليه بالإِمْـرَة. فسمعتُ أبـا عبـدالله بعـدُ يقول: لما دخلتُ عليه، وجلستُ، قال مؤدِّبه: أصلح الله الأمير، هذا هو الذي أمره أميرُ المؤمنين يُؤَدِّبُكَ ويعلِّمك؟ فقال الصبي: إن عَلَّمني شيئاً، تعلمتُه،! قال أبوعبدالله: فعجبتُ من ذكائه وجوابه على صِغره، وكان صغيراً.

ودامت علة أبي عبدالله، وبلغ المتوكلَ ما هو فيه، وكلَّمه يحيى بنُ خاقان أيضاً، وأخبره أنه رجل لا يُريد الدُّنْيا، فأذِنَ له في الانصراف فجاء عُبيدالله بن يحيى وقتَ العصر، فقال: إنَّ أمير المؤمنين قد أذِنَ لك، وأمر أن يُفرش لك حَرَّاقة[1] تنحدر فيها. فقال أبوعبدالله: اطلبوا لي زورقاً أنحدر الساعة. فطلبوا له زورقاً، فانحدر لوقته.

قال حنبـلُ: فمـا علمنا بقدومه حتى قيل: إنه قد وافى، فاستقبلْتُه بناحية القطيعة. وقد خرجَ من الزورق، فمشيتُ معه، فقال لي: تَقَدَّم لا يراك الناس فيعرفوني، فتقدمْتُه. قال: فلما وصل، ألقى نفسه على قفاه من التعب والعَياء.

[1] قال صالح بن أحمد: قدم المتوكلُ فنزل الشمَّاسيَّة، يُريدُ المدائن فقال لي أبي: أحِبُّ أن لا تذهبَ إليهم تنبِّه عليَّ. فلما كان بعد يومٍ أنا قاعدٌ، وكان يوماً مطيراً، فإذا بيحيى بن خاقان قد جاءَ في موكبٍ عظيمٍ والمطرُ عليه، فقال لي: سبحانَ الله لم تصر إليناحتّى تبلِّغَ أمير المؤمنين السلام عن شيخك، حتّى وجّه بي، ثم نزل خارج الزُّقاق، فَجَهَدْتُ به أن يدخلَ على الدابّة فلم يفعل،

---

(١) السَفينة الخفيفة.

فجعلَ يخوضُ المطر. فلما وصل نزع جُرمُوقَه، ودخل وأبي في الزاوية عليه كساء، فسلَّم عليه، وقبَّل جبهتَه، وسأله عن حالِه، وقال: أميرُ المؤمنين يُقرِئُك السلام، ويقول: كيفَ أنت في نفسك، وكيف حالُك؟ وقد أنستُ بقربك، يسألُك أن تدعوَ له فقال: ما يأتي عليَّ يومٌ إلا وأنا أدعو الله له. ثم قال: قد وَجَّه معي ألفَ دينار تُفرقُها على أهل الحاجة. فقال: يا أبا زكريا، أنا في بيت مُنقطع، وقد أعْفَاني من كلِّما أكره، وهذا ممَّا أكره. فقال: يا أبا عبدالله، الخلفاءُ لا يحتملون هذا. فقال: يا أبا زكريا تلطَّف في ذلك. فدعا له، ثم قام، فلما صار إلى الدار، رَجَع، وقال: هكذا لو وجَّه إليكَ بعضُ إخوانك كنتَ تفعلُ؟ قال: نعمْ. فلما صِرْنا إلى الدِهليز، قال: قد أمَرَني أميرُ المؤمنين أدفعها إليك تُفرقها. فقلت: تكونُ عندك إلى أن تَمضيَ هذه الأيام.

ومِنْ سِيرتِـــه:

أبو مسلم محمدُ بنُ اسماعيل: حدثنا صالحُ بنُ أحمد، قال: مضيتُ مع أبي يوم جمعةٍ إلى الجامع، فوافقْنا الناسَ قد انصرفُوا. فدخل إلى المسجد، وكان معنا إبراهيمُ بن هانىء، فتقدَّم أبي فصلى بنا الظهرَ أربعاً. وقال: قد فعَلهُ ابنُ مسعود بعلقمةَ والأسودِ. وكان أبي إذا دخلَ مقبرةً، خلعَ نَعْلَيه، وأمسكَهُمَا بيده.

[١] ابراهيمُ بنُ محمد بن سفيان: سمعتُ عاصمَ بنَ عصام البيهقي، يقول: بتُّ ليلةً عند أحمد بنِ حنبل، فجاء بماءٍ فوضعَهُ، فلما أصبح نظرَ إلى الماء بحاله، فقال: سبحانَ الله! رجلٌ يطلبُ العلم لا يكون له وِرد بالليل.

[٢] أحمد بن بُندار الشَّعار: حدثنا أبو يحيى بنُ الرازي: سمعت علي بنَ سعيد الرازي، قال: صرنا مع أحمد بن حنبل إلى باب المُتوكل، فلما أدخلوه من باب الخاصَّة، قال: انصرفوا، عافاكم الله. فما مرض منا أحدٌ بعد ذلك اليوم.

[٣] قال الخلَّال: بُلينا بقومٍ جهال، يَظُنُّون أنَّهم علماء. فإذا ذكرنا فضائلَ أبي عبدالله، يُخْرِجُهم الحَسدُ، إلى أن قال بعضُهم فيما أخبرني ثقة عنه: أحمدُ بنُ حنبل نَبِيُّهم.

وقال عبدُالله: سمعتُ أبي، يقول: ربما أردتُ البكور في الحديث، فتأخذ أمي بثوبي، وتقول: حتى يُؤذِّنَ المؤذن.

(بـــابٌ)

[١] طاهر بن خلف، سمعتُ المهتدي بالله محمد بنَ الواثق، يقول: كان أبي إذا أراد أن يَقتُلَ أحداً، أحضرنا، . فأُتي بشيخ مخضوب مُقيَّد فقال أبي: ائذنوا لأبي عبدالله وأصحابه، يعني: ابن أبي دُوَاد قال: فأُدخِل الشيخُ، فقال: السلامُ عليك يا أمير المؤمنين، فقال: لا سلَّم الله عليك. فقال: يا أميرَ المؤمنين، بئسَ ما أدَّبكَ مؤدبُك قال الله تعالى:

﴿وإذا حُيِّيتُم بِتَحيَّةٍ فَحَيُّوا بِأحْسَنَ مِنها أوْ رُدُّوها﴾

(النساء: ٨٦).

فقال ابن أبي دُوَاد: الرجل مُتكلم. قال له: كَلِّمْه، فقال: يا شيخُ ما تقول في القــرآن؟ قال: لم يُنصِفني، ولي السؤال. قال: سل قال: ما تقــولُ في القرآن؟ قال: مخلوقٌ. قال الشيخُ: هذا شيءٌ عَلِمَهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، وأبوبكر وعمر، والخلفاء الراشدون أم شيءٌ لم يعلموه؟ قال: شيءٌ لم يعلموه. فقال: سبحان الله! شيء لم يَعْلَمْهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، علمتَه أنت؟ فخجل. فقال: أقلني، قال: المسألةُ بحالها. قال: نعم عَلِمُوه، فقال: علموه ولم يَدْعُوا الناس إليه، قال: نعم. قال: أفلا وَسِعكَ ما وَسِعهَم؟ قال: فقام أبي، فدخل مجلساً، واستلقى، وهو يقول: شيءٌ لم يَعْلمْه النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أبـوبكـر وعمـر وعثمـان وعلي ولا الخلفاء الراشدون عَلِمْتَه أنت! سبحان الله! شيءٌ عَلِمُوه، ولم يدعوا الناس إليه، أفلا وسعك ما وسعهم؟! ثم أمر برفع قيوده، وأن يُعطىَ مئة دينار، ويُؤْذَنَ له في الرجوع، وسقَطَ من عينه ابنُ أبي دُوَاد ولم يَمتحن بعدها أبداً.

وهذه قصة مليحة، وإن كان في طريقها من يُجهل ولها شاهد.

(فصـــل)

[١] كان يجتمعُ في مجلس أحمد زُهاء خمسة آلاف أو يزيدون نحو خمس مئة يكتبون، والباقون يتعلَّمون منه حُسْنَ الأدب والسَّمْت.

[٢] عبدالله بن محمد الوراق: كنتُ في مجلس أحمدَ بنِ حنبل، فقال: من أين أقبلتُم؟ قلنـا: من مجلس أبي كريب، فقال: اكتُبوا عنه، فإنه شيخٌ صالح، فقلنا: إنه يطعُنُ عليك. قال: فأيُّ شيءٍ حيلتي، شيخٌ صالح قد بُلِيَ بي.

[٣] كان أحمد من أحيى الناس، وأكرمهم، وأحسنهم عشرة وأدباً كثير الإطراق، لا يُسمَعُ منه إلا المذاكرة للحديث، وذِكرُ الصالحين في وقَارٍ وسكونٍ، ولفظ حسن. وإذا لقيه إنسان، بَشَّ به، وأقبلَ عليه. وكان يتواضعُ للشيوخ شديداً، وكانوا يُعظِّمونه، وكان يفعل بيحيى بنِ معين ما لم أرَهُ يعملُ بغيره من التواضعُ والتكريم والتبجيل. كان يحيى أكبرَ منه بسبع سنين.

[٤] عبدُالله بنُ أحمد، قال: كان أبي إذا أتى البيت من المسجد، ضَرَبَ برجله حتى يَسمعُوا صوت نَعْلِهِ، وربَّما تنحنح ليعلموا به.

[٥] إسحاق بن هانىء قال: كنا عند أحمد بن حنبل في منزله، ومعه المَرُّوذي، ومُهنّى، فدقَّ داقٌّ البابَ، وقال: آلمروذي ها هنا؟ فَكأَنَّ المروذي كره أن يُعلمَ موضعُه فوضع مُهنَّى أصبَعَه في راحته، وقال: ليس المروذي ها هنا، وما يصنعُ المروذي هاهنا؟ فضحكَ أحمدُ، ولم يُنْكِر.

[٦] قال ابراهيم الحربي: سُئِلَ أحمدُ عن المسلم يقول للنصراني: أكرمك الله. قال: نعم، ينوي بها الإسلام.

[٧] وقيل: سُئل أحمد عن رجل نَذَر أن يطوفَ على أربع، فقال: يطوفُ طوافين، ولا يطفْ على أربع.

[٨] قال ابنُ عقيل: من عجيبِ ما سمعتُـه عن هؤلاء الأحداث الجهال، أنهم يقـولـون: أحمـدُ ليس بفقيه، لكنـه مُحدِّث. قال: وهذا غايةُ الجهل لأن له اختيارات بناها على الأحاديث بناءً لا يعرفه أكثرُهُم. وربما زاد على كبارهم.

[١] قلت: أحسبهم يَظُنُّونه كان محدِّثاً وبَسْ، بل يتخيَّلُونه من بابةِ محدثي زماننا. ووالله لقد بلغَ في الفقهِ خاصةً رُتبة اللَّيثِ، ومالكٍ والشافعي، وأبي يوسف، وفي الزهد والورعِ رُتبةَ الفُضيل، وابراهيمَ بنِ أدهم، وفي الحِفظِ رتبةَ شُعبةَ، ويحيى القطان، وابنِ المديني ولكن الجاهل لا يعلمُ رُتبةَ غيره؟!!

[٢] ابن السَّمَّاك: حدثنا حنبلُ، قال: جمعَنَا أحمدُ بنُ حنبل، أنا وصالح وعبدالله، وقرأ علينا «المسند»، وما سمعه غيرُنا. وقال: هذا الكتاب: جَمعْتُه وانتقيْتُه من أكثر من سبع مئة ألف وخمسين ألفاً فما اختلفَ المسلمون فيه من حديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم فارجِعُوا إليه. فإنْ وجدتُموه فيه، وإلا فليس بحجة.

[٣] قلت: في «الصحيحين» أحاديثُ قليلة، ليست في «المسند»، لكن قد يُقال: لا تَرِد على قوله. فإن المسلمينَ ما اختلفوا فيها، ثم ما يلزمُ من هذا القول: أنَّ ما وُجدَ فيه أن يكونَ حجة، ففيه جملةٌ من الأحاديث الضعيفةمما يَسُوغ نقلها، ولا يجبُ الاحتجاجُ بها. وفيه أحاديثُ معدودةٌ شِبه موضوعة، ولكنها قطرة في بحر. وفي غُضُون المُسندِ زياداتٌ جَمَّة لعبدالله بن أحمد.

قال ابن الجوزي: وله - يعني: أبا عبدالله - من المصنَّفات كتاب «نفي التَّشبيه» مُجَلَّدة، وكتاب «الإمامة» مجلدة صغيرة، وكتاب «الرد على الزنادقة» ثلاثة أجزاء، وكتاب «الزهد» مجلد كبير وكتاب «الرسالة في الصلاة» - قلت: هو موضوعٌ على الإمام - قال: وكتاب «فضائل الصحابة» مجلدة.

قلت: فيه زيادات لعبدالله ابنه، ولأبي بكر القَطيعيِّ صاحِبه.

زوجاته وآله:

قال زهيرُ بنُ صالح: تزوجَ جدي بأمِّ عَبَّاسَة، فلم يُولَد له منها سوى أبي، ثم تُوُفِّيتْ، ثم تَزَوَّجَ رَيْحانة امرأة من العرب فما ولدتْ له سوى عَمِّي عبدالله.

[٤] قال الخلَّال: سمعت المروذي، سمعت أباعبدالله، ذكر أهْلَه فتَرَحَّم عليها، وقال: مكثْنا عشرين سنة، ما اختلفْنا في كلمة. وما علمنا أحمدَ تزوج ثالثة.

[١]قال يعقوبُ بنُ بُخْتان: أمرَنا أبوعبدالله أن نَشتريَ له جاريةً فمضيتُ أنا وفوران، فتبعني أبوعبدالله، وقال: يا أبا يوسُف، يكونُ لها لحم.

وكان أسنَّ بني أحمد بن حنبل صالحٌ، فَولِيَ قضاءَ أصبهَان، وماتَ بها سنة خمس وستين ومئتين عن نيف وستين سنة.

والولد الثالث سعيد بن أحمد، فهذا وُلد لأحمد قبل موته بخمسين يوماً، فكبر وتفقَّه، ومات قبل أخيه عبدالله.

وأما حسن ومحمد وزينب، فلم يبلغْنا شيءٌ من أحوالهم، وانقطع عَقِبُ أبي عبدالله فيما نعلم.

مَـرَضُـــه:

[٢] وقال المَرُّوذِي: مرض أحمدُ تسعةَ أيام، وكان ربما أذِن للناس فيَدخُلون عليه أفواجاً، يسلمون ويردُّ بيده. وتسامع الناسُ وكَثروا.

وجـاء بنـو هاشم فدخلوا عليه، وجعلوا يبكون عليه. وجاء قومٌ من القضاة وغيرهم، فلم يُؤْذَنْ لهم. ودخل عليه شيخٌ، فقال: اذكرْ وقوفَك بين يدي الله، فشهق أبوعبدالله، وسالت دُمُوعه.

فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين، قال: ادعُو لي الصِّبيان بلسان ثقيل. قال: فجعلوا ينضمُّـون إليه، وجعل يشمُّهم ويمسحُ رؤوسهم وعينُه تدمع، وأدخلتُ تحتَه الطَّسْت، فرأيتُ بوله دماً عبيطاً. فقلتُ للطبيب، فقال: هذا رجلٌ فَتَّتَ الحزنُ والغمُّ جوفَه.

واشتدتْ عِلَّتُه يوم الخميس وَوَضَّأْتُه، فقال: خلِّلِ الأصابع، فلما كانتْ ليلةُ الجمعة، ثَقُل، وقُبضَ صَدْرَ النهار، فصاح الناس، وعلت الأصواتُ بالبُكاء، حتى كأنَّ الدنيا قد ارتجَّتْ، وامتلأت السككُ والشوارع.

[٣] الخلاَّل: أخبرني عصمةُ بن عصام، حدثنا حنبل، قال: أعطى بعضُ ولد الفضلِ بنِ الربيع أبا عبدالله، وهو في الحَبس ثلاثَ شعراتِ فقال: هذه من شعر النبي، صلى الله عليه وسلم، فأوصى أبوعبدالله عند موته أن يُجعَل على

كل عينٍ شعرةً، وشعرةً على لسانه. ففُعل ذلك به عند موته.

وقال عبدُالله بنُ أحمد ومطيَّن وغيرهما: مات لاثنتي عشرة خلتْ من ربيع الأول، يوم الجمعة.

قال صالح بنُ أحمد: واشترينا له حَنُوطاً، وفُرغ من غسله، وكفَّنَّاه وحضر نحو مئة من بني هاشم، ونحن نكفِّنُهُ. وجعلوا يُقَبِّلُون جبهته حتى رفعناهُ على السرير.

قال عبدُالله: صلى على أبي محمدُ بنُ عبدِالله بن طاهر، غَلَبَنَا على الصلاة عليه، وقد كُنَّا صلينا عليه نحنُ والهاشميُّون في الدار.

ولم يَعلم الناسُ بذلك، فلما كان في الغد عَلِمُوا، فجعلوا يَجيؤون، ويصلون على القبر. ومكَثَ الناسُ ما شاء الله، يأتونَ، فيُصَلُّون على القبر.

[١] قال الخَلّال: سمعتُ عبدالوهّاب الورّاق، يقول: ما بَلَغنا أن جمعاً في الجاهلية ولا الإسلام مِثله ـ يعني: مَنْ شَهِدَ الجِنازة ـ حتى بلغَنَا أنَّ الموضع مُسِحَ وحُزِر على الصحيح، فإذا هو نحوٌ من ألفِ ألفٍ وحزرْنا على القبور نحواً من ستين ألف امرأة، وفتح الناسُ أبواب المنازل في الشوارع والدروب، ينادُون مَنْ أراد الوضوء.

[٢] الخَلّال: سمعتُ عبدالوهاب الورّاق، يقولُ: أظهرَ الناسُ في جِنازةِ أحمدَ بنِ حنبل السُّنَّة والطَعنَ على أهل البدع، فَسَرَّ الله المسلمين بذلك على ما عندهم من المصيبة لما رأوا من العزِّ وعُلُوِّ الإسلام، وكبْتِ أهلِ الزيغِ ولزمَ بعضُ الناس القبرَ، وباتُوا عنده، وجعل النساءُ يأتين حتى مُنعْن،وسمعتُ المَرُّوذِي يقول عن علي بن مهرويه، عن خالته، قالت: ما صَلُّوا ببغداد في مسجد العصر يومَ وفاةِ أحمد، وقيل: إن الزحمةَ دامت على القبر أياماً.

[٣]عن أخي أبي عقيل، قال: رأيتُ شاباً، تُوفِّي بقزوين، فقلتُ: ما فعل بك ربُّك؟ قال: غَفَرَ لي. ورأيتُه مستعجلاً، فسألته، فقال: لأن أهل السماواتِ قد اشتغلوا بعقد الألوية لاستقبال أحمدَ بنِ حنبل، وأنا أُريدُ استقباله. وكان أحمدُ

توفي تلك الأيام.

[١] الهيثمُ بنُ خالويه، قال: رأيت السِّنْديَّ في النوم، فقلت: ما حالُك؟ قال: أنا بخير لكن اشتغلوا عني بمجيء أحمد بن حنبل.

[٢] عبدالله بن أحمد بن حنبل، سمعتُ أبي، يقول: رأيتُ ربَّ العزة في المنام، فقلتُ: ياربِّ، ما أفضلُ ما تَقَرَّبَ به إليك المتقربون؟ قال: بكلامي يا أحمد. قلتُ يا رب، بفهم، أو بغير فهم؟ قال: بفهم وبغير فهم.

[٣] زكريًا بنَ يحيى السِّمْسار، يقولُ: رأيتُ أحمد بنَ حنبل في المنام على رأسه تاجٌ مرصَّعٌ بالجوهر، في رجْلَيه نعلان، وهو يَخْطِرُ بهما. قلتُ: ما فعلَ الله بك؟ قال: غفر لي وأدناني، وتَوَّجَني بيده بهذا التاج وقال لي: هذا بقولك: القرآن كلامُ الله غيرُ مخلوق. قلتُ: ما هذه الخطرة التي لم أعرفها لك في دار الدنيا؟ قال: هذه مِشية الخدام في دار السلام.

[٤]وذكر شيخُ الإسلام بإسنادٍ طويل عن محمدِ بنِ يحيى الرملي قاضي دمشق قال: دخلتُ العراقَ والحجازَ، وكتبتُ، فَمِنْ كَثرةِ الاختلاف لم أدْرِ بأيِّها آخذ، فقلت: اللهم اهدني، فنِمتُ، فرأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم وقد أسند ظهرَهُ إلى الكعبة، وعن يمينه الشافعيُّ، وأحمد بنُ حنبل، وهو يتبسمُ إليهما. فقلتُ: يارسول الله، بِمَ آخذ؟ فأومأ إلى الشافعي وأحمد، وقال:

﴿أُولئِكَ الَّذينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ والحُكْمَ وَالنُّبُوَّة﴾ [الأنعام: ٨٩]

[٥]ولقد جمعَ ابنُ الجوزي فأوعى من المنامات في نحو من ثلاثين ورقة وليس أبوعبدالله ممن يحتاجُ تقريرُ ولايته إلى منامات، ولكنها جندٌ من جند الله، تَسُرُّ المؤمنَ ولا سيما إذا تواترت.

٤٨٣ ـ اسحاق بنُ راهَوَيْه (خ، م، د، س)[١]

[١] هو الإمـام الكبير، شيخُ المشـرِق، سيِّدُ الحُفَّـاظِ، أبـويعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مَخْلَد التميمي ثم الحنظلي المرزوي، نزيل نيسابور.

قلت: مولده في سنة احدى وستين ومئة.

قال حاشد بن اسماعيل: سمعتُ وهبَ بن جرير، يقول: جزى الله اسحاق ابنَ راهويه، وَصَدَقَةَ بنَ الفضل، ويَعْمَر عن الإسلام خيراً، أحيوا السُّنَة بالمشرق.

قلتُ: يعمر: هو ابن بشر.

قال أحمد بن سلمة: سمعتُ اسحاق يقول: قال لي الأميرُ عبدُالله بن طاهر: لَمَ قيل لك: ابن راهَوَيْه؟ وما معنى هذا؟ وهل تكره أن يُقال لك ذلك؟ قال: اعلم أيها الأميرُ أن أبي وُلد في طريق مكة، فقالت المراوزة: راهويْه، لأنه وُلد في الطريق، وكان أبي يكره هذا. وأما أنا فلا أكرهه.

[٢] وعن محمـد بن يحيى الصَّفَّـار، قال: لوكـان الحسن البصريُّ في الأحياء لاحتاج إلى إسحاقَ في أشياءَ كثيرة.

[٣] محمـد بن عبدالوهّاب، سمعتُ اسحاق بن ابراهيم، وسُئِلَ عن رجل ترك ﴿بِسْمِ الله الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيمِ﴾ فقـال: من ترك «ب» أوْ «س» أو «م» منها، فصلاتُه فاسدة لأن الحمدَ سبعُ آيات.

وقال ابنُ المبارك: من تركها، فقد ترك مئة وثلاث عشرة آية من كِتاب الله تعالى.

[٤] وقال أحمد بن حفص السعدي، شيخ ابن عدي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: لم يَعْبُرِ الجسر إلى خُراسان مثل اسحاق، وإن كان يُخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يُخالِفُ بعضُهم بعضاً.

---

(١) انظر السير: ١١/٣٥٨ ـ ٣٨٣.

[١] قال حنبل: سمعتُ أبا عبدالله، وسُئل عن إسحاقَ بنِ راهويه، قال: مِثلُ إسحاق يُسأل عنه؟! إسحاق عندنا إمام.

[٢] وقـال إمـامُ الأئمة ابن خُزيمة: والله لو كان اسحاقُ في التابعين لأقرُّوا له بحفظه وعلمه وفقهه.

[٣]علي بن خشرم، حدثنا ابن فضل، عن ابن شُبْرُمة، عن الشعبي قال: ما كتبتُ سوداء في بيضاء إلى يومي هذا، ولا حدثني رجل بحديث قطُّ الا حفظتُه. قال عليّ: فحدَّثْتُ بهذا إسحاق بن راهويه فقال: تَعجَبُ من هذا؟ قلت: نعم. قال: ما كنت أسمع شيئاً إلا حَفِظْتُه، وكأني أنظر إلى سبعين ألف حديث ـ أو قال: أكثر ـ في كتبي.

[٤] قال أبوداود الخَفَّاف: سمعت اسحاق بن راهويه، يقول: لكأني أنظر إلى مئة ألف حديث في كتبي، وثلاثين ألفاً أسْرُدُها. قال: وأمْلىَ علينا إسحاق أحدَ عشر ألف حديثٍ من حفـظه، ثم قرأها علينا، فما زاد حرفاً ولا نقص حرفاً. هذه الحكاية رواها الحافظ ابن عدي، عن يحيى بن زكريا بن حيَّوَيه، سمع أبا داود فذكرها. فهذا والله الحفظ.

قلت: قد كان مع حفظه إماماً في التفسير، رأساً في الفقه من أئمة الاجتهاد.

[٥] وورد عن إسحاقَ أنّ بعض المتكلمين قال له: كفرتُ برب ينزل مِن سماءٍ إلى سماءٍ. فقال: آمنتُ برب يفعل ما يشاء.

قلتُ: هذه الصفـات من الاستـواء والإتيان والنـزول، قد صحَّت بهـا النصـوصُ، ونقلهـا الخلفُ عن السلف، ولم يتعرَّضوا لها بردٍّ ولا تأويل، بل أنكروا على من تأولها مع إصفاقِهم(١) على أنها لا تُشبه نعوت المخلوقين وأنَّ الله ليس كمثله شيءٌ، ولا تَنبغي المناظرة، ولا التنازع فيها فإن في ذلك محاولةً للرد على الله ورسوله، أو حَوْماً على التكييف أو التعطيل.

توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وله سبع وسبعون سنة.

---

(١) أي: اجتمعوا.

[١]وقال عثمان بن جعفر اللبَّان: حدثنا علي بن إسحاق بن راهويه قال: وُلد أبي من بطن أمه مثقوبَ الأذنين، فمضى جديَ راهويه إلى الفضل ابن موسى فَسَأَلَه، فقال: يكون ابنُك رأساً إما في الخير، وإما في الشر.

هذه الحكاية رواها الخطيب في «تاريخه» عن الجوهري، أخبرنا محمد بن العباس الخزاز، حدثنا عثمان فذكرها. وهذا إسناد جيد وحكاية عجيبة.

٤٨٤- عَمْرو بنُ زُرَارَة (خ، م، س)(١)

[٢]ابن واقد المُحدِّث الإمام الثبت، أبو محمد الكلابي النيسابوري المقرىء. تلا على الكسائي.

وقال النسائي: ثقة.

قال السَّرَّاج: كان فيه زعارَّة. (٢)

[٣]وقال داود بن الحُسين البَيْهقيُّ: كنا نختلِفُ إلى عمرو بن زرارة فخرج علينا يوماً، فضحك رجل، فقال عمرو: هب التحرُّجَ، أليس التقى؟ هبِ التقى، أليس الحياء؟ ثم قام ودخل.

قلتُ: قد يقال للزعر الأخلاق: هبْ حسن الخلق ذهب، أليس الحلم، وهب الحلم ذهب، أليس العفو.

قال البخاري: مات سنة ثمان وثلاثين ومئتين.

٤٨٥- الأَنْطاكِيُّ (٣)

[٤]الإمامُ القدوةُ، واعظُ دمشق، أبوعبدالله أحمدُ بنُ عاصم الأَنْطاكي الزاهد.

قال أبوحاتم الرازي: أدركتهُ بدمشق، وكان صاحبَ مواعظ وزهد. من أقران

(١) انظر السير: ١١/ ٤٠٦-٤٠٧. (٢) أي شراسة وسوء خلق. (٣) انظر السير: ١١/ ٤٠٩-٤١٠.

بشر الحافي، وسري السَّقَطِي.

كان يقال: هو جاسوس القلوب.

[١]قال أحمد بن أبي الحَوارِي: سمعتُ أحمد بنَ عاصم، يقول: أصلحْ فيما بَقي، يُغْفَرْ لَكَ ما مضى، ما أغْبِطُ إلا من عَرفَ مولاه.

[٢]وعنه قال: يسيرُ اليقينِ يُخرِج كلَّ الشكِّ من القلب.

[٣]ابن أبي حاتم: قال لي علي بنُ عبدالرحمن، قال لي أحمد بنُ عاصم: قِلَّة الخوف من قلة الحزن في القلب، كما أنَّ البيت إذا لم يسكن خَرِبَ.

[٤]قال أبوزرعة: أملى عليَّ أحمدُ بنُ عاصم الحكيم: الناسُ ثلاثُ طبقات: مطبـوع غالب وهم المؤمنـون، فإذا غفلوا ذَكروا، ومطبوعٌ مغلوبٌ فإذا بُصِّروا أبصروا ورجَعوا بقوة العَقْل، ومطبوع مغلوب غير ذي طباع ولا سبيل إلى ردِّ هذا بالمواعظ.

[٥]قلتُ: فما الظنُّ إذا كان واعظُ الناس من هذا الضرب عبْدَ بطنه وشهوتِهِ، وله قلبٌ عَرِيٌّ من الحزن والخوف، فإن انْضافَ إلى ذلك فِسْقٌ مكينٌ، أو انحلالٌ من الدين، فقد خاب وخَسر، ولا بُدّ أن يفضحَه الله تعالى.

[٦]وعنه: الخيرُ كُلُّه أن تُزوى عنك الدنيا، ويُمنَّ عليك بالقنوع، وتُصرفَ عنكَ وجوه الناس.

وله من هذا النحو مواعظ نافعة، ووقعٌ في النفوس. رحمه الله.

٤٨٦ ـ هِشامُ بن عَمَّار (خ، ٤)[1]

[٧]ابن نُصَير، الإمـامُ الحـافظ العلاَّمة المقرىء، عالمُ أهل الشام، أبوالوليد السُّلَمي، خطيب دمشق.

قال: ولدتُ سنة ثلاث وخمسين ومئة.

(١) انظر السير: ١١/ ٤٢٠ـ٤٣٥.

فلقد كان من أوعية العلم، وكان ابتداء طلبه للعلم وهو حَدَثٌ قبل السبعين ومئة، وفيها، وقرأ القرآن على جماعة.

وروى أبوحاتم الرازي: عن يحيى بن معين: كيِّس كيِّس.

قال أبوالقاسم بن الفرات: أخبرنا أبو علي أحمدُ بن محمد الأصبَهاني المقرىء، لما تُوُفِّي أيوب بن تميم، يعني: مُقرىء دمشق رجعت الإمامةُ حينئذٍ إلى رجلين: أحدُهما مشتهرٌ بالقراءة والضبط، وهو ابنُ ذكوان، فائتمَّ الناس به، والآخرُ مشتهرٌ بالنقل والفصاحة والرواية والعلم، والدراية، وهو هشامُ بنُ عمار، وكان خطيباً بدمشق، رُزِقَ كبرَ السن، وصحةَ العقل والرأي، فارتحل الناسُ إليه في نقل القراءة والحديث.

وكان ابنُ ذكوان يُفضِّله، ويرى مكانه لكبر سنه. فلما توفي ابنُ ذكوان سنة اثنتين وأربعين، اجتمع الناسُ على إمامة هشام بن عمار في القراءة والنقل. وتوفي بعده بثلاث سنين.

[١]قال أبو أحمد بن عُدي في (كامله): سمعتُ قسطنطين بنَ عبدالله مولى المعتمد، يقول: حضرتُ مجلسَ هشام بنِعمار، فقال المستملي: من ذكرتَ؟ فقال: أخبرنا بعض مشايخنا، ثم نَعس، ثم قال له: من ذكرتَ؟ فنعس، فقال المستملي: لا تَنْتَفِعُوا به، فجمعوا له شيئاً فأعطَوه فكان بعد ذلك يُملي عليهم حتى يَملُّوا.

[٢]وقال محمد بنُ أحمد بن راشد بن مَعدان الأصبهاني: سمعتُ ابنَ وَارَة يقول: عزمتُ زماناً أن أُمسكَ عن حديث هشام بنِ عمار، لأنَّه كان يبيعُ الحديث.

قلت: العَجبُ من هذا الإمام مع جلالته، كيف فعل هذا، ولم يكنْ محتاجاً، وله اجتهاده.

[٣]قال صالح بنُ محمد جَزَرَة: كان هشام بنُ عمار يأخذُ على الحديث ولا يحدِّثُ ما لم يأخذ، فدخلتُ عليه، فقال: يا أبا علي، حدثني بحديثٍ لعليّ

ابن الجعد، فقال: حدثنا ابن الجعد، حدثنا أبوجعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: علِّمْ مَجَّاناً كما عُلِّمْت مجاناً. قال: تَعرَّضْتَ بي يا أبا علي؟ فقلتُ: ما تعرضت، بل قصدتُك.

[١] قال أبوبكر المروذي: ذكر أحمدُ بنُ حنبل هشام بنَ عمار، فقال: طياش خفيف.

[٢] خيثمة: سمعتُ محمد بنَ عوف، يقول: أتينا هشامَ بنَ عمار في مزرعة له، وهو قاعد على مورج له، وقد انكشفتْ سَوْءَتُه، فقلنا: يا شيخ غَطِّ عليك. فقال: رأيتموه؟! لن ترمَد عينُكم أبداً، يعني يمزح.

[٣] قال أبوبكر محمد بنُ سليمان الرَّبَعي: حدثنا محمَدُ بنُ الفيض الغَسَّاني، سمعتُ هشام بن عمار، يقول: باع أبي بيتاً له بعشرين ديناراً وجهزني للحج. فلما صِرتُ إلى المدينة، أتيتُ مجلس مالك، ومعي مسائل أريدُ أن أسألَه عنها. فأتيتُـه، وهـو جالس في هيئـة الملوك، وغلمـان قيام، والنـاسُ يسألونه، وهو يُجيبُهم. فلمّا انقضى المجلس، قال لي بعضُ أصحاب الحديث: سل عن ما معـك؟ فقلتُ له: يا أبـا عبـدالله ما تَقولُ في كذا وكذا؟ فقال: حصلنا على الصبيان، يا غلام، احملْه فحملني كما يُحمل الصبي، وأنا يومئذ غُلام مدرِك، فضربني بدِرَّةٍ مثل دِرَّةِ المعلمين سبع عشرة درة، فوقفتُ أبكي، فقال لي: ما يُبكيك؟ أوْجَعَتْكَ هذه الدِّرَّة؟ قلت: إن أبي باع منزله، ووجَّه بي أتشرفُ بك وبـالسماع منك، فضربْتَني؟ فقال: اكتُب، قال: فحدثني سبعةَ عشر حديثاً، وسألتُه عما كان معي من المسائل فأجابني.

[٤] قال محمدُ بنُ خُرَيم الخُرَيْمي: سمعتُ هشام بن عمار، يقول في خطبته: قولوا الحقَّ، ينزِلْكم الحقُّ منازلَ أهلِ الحقِّ يوم لا يُقضى إلا بالحقّ.

قلتُ: وكان هشام خطيباً بليغاً صاحب بديهة.

[٥] قلت: أما قول الإمام فيه: طياش، فلأنه بلغه عنه أنه قال في خطبته: الحمد لله الـذى تجلى لخلقه بخَلقه. فهذه الكلمةُ لا ينبغي إطلاقُها، وإن كان لها

معنى صحيح، لكن يَحتجُّ بها الحُلُوليُّ والاتحادي وما بلغنا أنَّه سبحانه وتعالى تجلى لشيء إلا بجبل الطور، فصيرَّهُ دَكّاً وفي تَجَلِّيه لنبينا، صلى الله عليه وسلم، اختلاف أنكرتْه عائشةُ وأثبته ابنُ عباس.

[١]وبكل حالٍ كلامُ الأقْران بعضهم في بعض يُحتمل، وطَيُّه أولى من بثِّه إلا أن يَتَّفِقَ المتعاصرون على جرح شيخ، فيعتمدُ قولهم، والله أعلم.

[٢]وقال محمدُ بنَ الفيض أيضاً: جاء رجلٌ من قرية الحُرْجُلَّة[1] يطلبُ لعرس أخيه لعَّابين، فوجد الوالي قد منعهم، فجاء يطلب مُغبِّرين، يعني: مُزَمْزِمين يُغبِّرون بالقضيب، قال: فَلقِيَه صوفيٌّ ماجن، فأرشده إلى ابن ذَكوان، وهو خلفَ المنبر، فجاءه، وقال: إنَّ السلطان قد مَنَعَ المغنِّين. فقال: أحسنَ والله، فقال: فنعمل العرس بالمغبِّرين، وقد دُلِلتُ عليك. فقال: لنا رفيق، فإن جاء، جئتُ، وهو ذاك، وأشار إلى هشام بنِ عمار فقامَ الرجلُ إليه، وهو عند المحراب مُتَّكِيء، فقال الرجل لهشام: أبو من أنت، فردَّ عليه رداً ضعيفاً، فقال: أبو الوليد، فقال: يا أبا الوليد: أنا من الحُرْجُلَّة، قال: ما أُبالي من أين كنْتَ. قال: إن أخي يعمَل عُرْسَه، فقال: فماذا أصنعُ؟ قال: قد أرسلني أطلبُ له المُخَنَّثين قال: لا بارك الله فيهم ولا فيك. قال: وقد طلب المغبِّرين فأُرْشِدْتُ إليك. قال: ومن بعثَك؟ قال: هذاك الرجل، فرفع هشامٌ رجله، وَرَفَسَه وقال: قُم. وصاح بابن ذكوان: أقد تفرغتَ لهذا؟ قال: إي والله أنت رئيسُنا، لو مضيتَ مَضَينا.

تُوُفِّي هشامُ بنُ عمار في سنة خمس وأربعين ومئتين.

٤٨٧- القَوارِيرِي (خ، م، د، س)[2]

[٣]عبيدالله بن عمر بن مَيْسَرة، الإمام الحافظ، محدِّث الإسلام، أبوسعيد الجُشمي مولاهم البصري القواريري الزجاج، نزيل بغداد.

(١) من قرى دمشق. (٢) انظر السير: ١١/ ٤٤٢-٤٤٦.

ولدَ سنةَ اثنتين وخمسين ومئة تقريباً.

[١] البغـوي، سمعتُ عُبيدالله القـواريري، يقول: لم تكنْ تكادُ تفوتُني صلاة العَتَمَة في جماعة. فنزل بي ضيفٌ، فشُغِلْتُ به. فخرجتُ أطلب الصلاة في قبائل البصرة. فإذا الناسُ قد صَلَّوا. فقلت في نفسي: يُروَى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «صَلاةُ الجميع تَفْضُلُ عَلَى صلاةِ الفَذِّ إحْدَى وعِشرينَ دَرَجَةً». ورُوي: «خَمْساً وَعِشْرينَ دَرَجَةً» وروي «سبعاً وعشرين». فانقلبْتُ إلى منـزلي، فصليتُ العتمـة سبعاً وعشرين مرة، ثم رقدت فَرأَيْتُني مع قوم راكبي أفـراس، وأنـا راكبٌ ونحن نتجـارى وأفـراسُهم تسبق فرسي، فجعلتُ أضربه لألحقهم، فالتفتَ إليَّ آخرُهُم، فقال: لا تُجْهِد فرسك، فلستَ بلاحِقِنا. قال: فقلتُ: ولِمَ؟ قال: لأنَّا صَلَّينا العتمة في جماعة.

مات القواريري سنة خمس وثلاثين ومئتين.

ولم يكتب القواريري الحديث إلا على كبر من السن، ولو أنه بكَّر بالطلب، لسمع من جرير بن حازم وأقرانه، ولكن السماع واللقاء مُقَدَّر.

٤٨٨- هَنَّاد بن السَّرِيِّ (عخ، م، ٤)(١)

[٢] ابن مُصعب، الإمـامُ الحجـة القـدوة زين العـابدين، أبو السري التميمي الدارمي الكوفي، مصنف كتاب «الزهد» وغير ذلك.

روى أبوالعباس السَّرّاج أنه قال: ولدتُ سنةَ اثنتين وخمسين ومئة.

حدث عنه الجماعة، لكن البخاري في غير «صحيحه» اتفاقاً لا اجتناباً.

قال أبوداود: سمعتُ قتيبة، يقول: ما رأيتُ وكيعاً يُعظم أحداً تعظيمه لهنَّاد.

[٣] وقال أحمدُ بنُ سلمة النيسابوري الحافظ: كان هنَّاد رحمه الله كثيرَ البُكاء، فرغ يَوماً من القراءة لنا، فتوضأ، وجاءَ إلى المسجد فصلى إلى الزوال، وأنا معه

---

(١) انظر السير: ١١/ ٤٦٥-٤٦٦.

في المسجد، ثم رَجَعَ إلى منزله، فتوضأ وجاء فصلى بنا الظهر، وأخذ يقرأُ في المصحف حتى صلى المغرب. قال: فقلتُ لبعض جيرانه: ما أصبرَهُ على العبادة فقال: هذه عبادتُه بالنهار منذُ سبعين سنة، فكيف لو رأيتَ عبادتَه بالليل، وما تزوَّج قط، ولا تسرَّى، وكان يقال له: راهبُ الكوفة.

قال أبوالعباس الثقفي: مات في سنة ثلاث وأربعين ومئتين.

٤٨٩ - حَاتِم الأَصَمُّ(١)

[١] الزاهد القدوة الرَّباني، أبوعبدالرحمن، حاتِم بن عنوان بن يوسف البلخي الواعظ الناطق بالحكمة، الأصم، له كلام جليل في الزهد والمواعظ والحكم، كان يُقال له: لقمان هذه الأمة.

[٢] وقيل له: على ما بنيتَ أمرك في التوكل؟ قال: على خصال أربعة: علمتُ أن رزقي لا يأكلُه غيري، فأطمأنَّتْ به نفسي، وعلمتُ أن عملي لا يعملُه غيري، فأنا مشغولٌ به، وعلمتُ أن الموتَ يأتي بغتةً، فأنا أبادِرُهُ وعلمتُ أني لا أخلو من عين الله، فأنا مستحيٍ منه.

[٣] وعنه: من أصبح مستقيماً في أربع فهو بخير: التفقه، ثم التوكل ثم الإخلاص، ثم المعرفة.

[٤] وعنه: تعاهدْ نفسَك في ثلاث: إذا عملتَ، فاذكرْ نَظَرَ الله إليك وإذا تكلمتَ فاذْكُر سمْعَ الله مِنْك، وإذا سكتَّ فاذكرْ علمَ الله فيك.

[٥] قال أبو تُراب: سمعتُ حاتماً يقول: لي أربعةُ نسوة، وتسعةُ أولاد، ما طمع شيطانٌ أن يُوسوِسَ إليَّ في أرزاقهم.

[٦] قال شقيق لحاتِم، مُذْ صحبتَني، أيَّ شيءٍ تعلمتَ مني؟ قال: ستَّ كلمات: رأيتُ الناس في شكٍ من أمر الرزق، فتوكلتُ على الله. قال الله تعالى:

(١) انظر السير: ١١/ ٤٨٤-٤٨٧.

﴿وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُها﴾ [هود: ٦].

ورأيتُ لكل رجل صديقاً يُفشي إليه سره، ويشكو إليه، فصادقتُ الخير ليكونَ معي في الحساب، ويَجوزَ معي الصراط.

ورأيتُ كل أحدٍ له عدو، فمن اغتابني ليس بَعدُوِّي، ومن أخذ مني شيئاً ليس بَعدُوِّي، بل عَدُوِّي من إذا كنتُ في طاعة، أمرني بمعصية الله وذلك إبليس وجنوده، فاتخذْتُهم عدواً وحاربتُهم.

ورأيت الناس كلهم لهم طالب، وهو ملك الموت، ففرَّغت له نفسي.

ونظرتُ في الخلق، فأحببتُ ذا، وأبغضتُ ذا. فالذي أحْبَبْتُهُ لم يعطني، والذي أبغضتُه لم يأخذْ مني شيئاً، فقلت: من أين أُتيت؟ فإذا هو من الحسد فطرحتُه وأحببتُ الكل، فكل شيء لم أرضَهُ لنفسي لم أرضَهُ لهم.

ورأيت الناس كُلَّهم لهم بيتٌ ومأوى، ورأيتُ مأواي القبر، فكل شيء قدَرْتُ عليه من الخير قَدَّمتُه لنفسي لأُعْمِرَ قبري.

فقال شقيق: عليك بهذه الخصال.

[١] وعن حاتم قال: لو أنَّ صاحب خَبرٍ جلس إليك، لكنت تتحرز منه وكلامكُ يُعرض على الله فلا تحترز!

[٢] قلت: هكذا كانت نُكتُ العارفين وإشاراتُهم، لا كما أحدثَ المتأَخِّرون من الفَناء والمحو والجمع الذي آل بجَهَلَتِهم إلى الاتِّحاد، وعدم السِّوَى.

تُوفِّي حاتِم الأصم، رحمه الله ـ سنة سبع وثلاثين ومئتين.

٤٩٠ ـ أحمدُ بن خِضْرَويه(١)

[٣] الزاهد الكبير الرَّبَّاني الشهير، أبو حامد البلخي، من أصحاب حاتِم الأصم.

[٤] وقد كان معمَّراً، فإن السُّلَمي روى عن منصور بنِ عبدالله، سمع محمد بنَ

(١) انظر السير: ١١/ ٤٨٧-٤٨٩.

حامد، قال: كنتُ عند ابنِ خَضْرَويه، وهو يَنْزِعُ، فسئل عن شيء فقال: باباً كنت أقرعُه منذ خمسٍ وتسعين سنة، الساعةَ يُفتح لا أدري يفتحُ بالسعادة أم بالشقاء.

[١] ومن كلامه: القلوبُ جَوَّالة، فإمّا أنْ تجول حول العرش، وإما أن تجول حول الحُشِّ.

قيل: إنه تُوفي سنة أربعين ومئتين.

٤٩١- أبو حَسَّان الزِّيادِيُّ(١)

[٢] الإمامُ العلامة الحافظ، مؤرخ العصر، قاضي بغداد، الحسنُ بن عثمان بن حماد البغدادي، وعرف بالزيادي لكون جدِّه تزوَّج أمَّ ولدٍ كانت للأمير زياد بنِ أبيه.

[٣] وُلد القاضي أبو حسان في حدود سنة ستين ومئة.

وعن إسحاق الحربي، قال: حدثني أبوحسان الزِّيادي، أنه رأى ربَّ العزة في المنام، فقال: رأيتُ نوراً عظيماً لا أُحْسِن أصِفُه، ورأيتُ فيه رجلا خُيِّل إلى أنه النبيُّ، صلى الله عليه وسلم، وكأنه يشفعُ إلى ربه في رجلٍ من أمَّته، وسمعتُ قائلاً يقول: ألم يكفكَ أني أُنزلُ عليك في سورة الرعد:

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦]. ثم انتبهتُ.

قال الخطيب: كان أبوحسان أحدَ العلماء الأفاضل الثقات، ولي قضاء الشرقية، وكان كريماً مِفضالاً.

[٤] قال يوسف بن البُهلول الأزرق: حدثنا يعقوبُ بن شيبة، قال: أظَلَّ العيدُ رجلًا، وعِنْدَه مئة دينار لا يملكُ سواها، فكتب إليه صديق يسترعي منه نفقة، فأنفذ إليه بالمئة دينار، فلم يَنْشَبْ أن وردَ عليه رقعةٌ من بعض إخوانه يذكرُ أنَّه

(١) انظر السير: ١١/ ٤٩٦-٤٩٨.

أيضا في هذا العيد في إضاقة، فوجَّه إليه بالصُّرَّة بعينها. قال: فبقي الأول لا شيء عنده، فاتفق أنَّه كتبَ إلى الثالث وهو صديقُه يذكرُ حاله، فبعثَ إليه الصُّرة بخَتْمِها. قال فعرفَها، وركبَ إليه، وقال: خبِّرني ما شأنُ هذه الصُّرة؟ فأخبره الخبر، فركبا معاً إلى الذي أرسلها، وشرحوا القصة، ثم فتحوها واقتسموها.

قال ابن البُهلول: الثلاثة يعقوبُ بنُ شيبة، وأبوحسان الزِّيادي وآخر نسيتُهُ. إسنادها صحيح.

وقيل: عاشَ الزيادي تسعا وثمانين سنة، ماتَ في سنة اثنتين وأربعين ومئتين.

الطبقة الثالثة عشر

٤٩٢ـ أحمد بن المُعَذَّل(١)

[١] ابن غيلان، شيخ المالكية، أبو العبَّاس العبدي البصري الأصولي، وكان من بحور الفقه، صاحب تصانيفٍ وفصاحةٍ وبيانٍ.

[٢] قال أبـو إسحـاق الحضرمي: كان ابنُ المُعذَّل من الفقه والسكينة والأدب والحلاوة في غاية. وكان أخوه عبدُالصمد الشاعر يُؤذيه، فكان أحمد، يقول له: أنت كالأُصبع الزائدة، إن تُركتْ، شانت، وإن قُطعت آلمت. وقد كان أهل البصرة يسمون أحمد الراهبَ لِتَعَبُّدِه ودينه.

[٣] عن عبدِالجليل بن الحسن، قال: كان أحمدُ بن المعذَّل في مجلس أبي عاصم فمزَح أبوعاصم يُخجل أحمد، فقال: يا أبا عاصم، إن الله خلقك جِداً فلا تهزِلَن، فإن المستهزيء جاهل. قال تعالى:

﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنا هُزُواً قالَ أعوذُ بِالله أنْ أكونَ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧].

فخجل أبو عاصم. ثم كان يُقعِدُ أحمدَ بنَ المعذَّل إلى جنبه.

[٤] وروى يموتُ بن المُزَرَّع، عن المُبَرِّد، عن أحمد بن المعذَّل، قال: كنت عند ابن الماجِشون، فجاءه بعضُ جلسائه، فقال: يا أبا مروان أعجوبةٌ، خرجتُ إلى حائطي بالغابة، فعرضَ لي رجلٌ، فقال: اخلعْ ثيابك قلت: لِمَ؟ قال: لأني أخوك، وأنا عُريان. قلتُ: فالمواساة؟ قال: قد لبِسْتَها بُرهةً. قلتُ: فتُعَرِّيني؟ قال: قد روينا عن مالك أنه قال: لا بأس للرجل أن يغتسلَ عُرياناً. قلتُ: ترى عورتي. قال: لو كان أحـدٌ يلقاك هنا، ما تعرضْتُ لك. قلتُ: دعني أدخلُ حائطي، وأبعثُ بها إليك، قال: كلا، أردتَ أن تُوجِّه عَبيدك، فأُمْسَك. قلتُ: أحلفُ لك. قال: لا تلزم يمينُك لِلصِّ. فحلفتُ له: لأبعثنَّ بها طيِّبَةً بها نفسي

(١) انظر السير: ١١/ ٥١٩ـ٥٢١.

فأطرق ثم قال: تصفحتُ أمرَ اللصوصِ من عهد النبى صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا، فلم أجد لصاً أخذ بنسيئة، فأَكْرَهُ أن أبْتدع، فخلعتُ ثيابي له.

٤٩٣- محمَّد بن كَـرَّام(١)

[١] السِّجِسْتاني المُبْتدع، شيخُ الكَرَّاميَّة، كان زاهداً عابداً ربانياً بعيد الصيت، كثير الأصحاب، ولكنه يَروي الواهيات كما قال ابن حبان.

خُذِلَ حتى الْتَقَطَ من المذاهب أرداها، ومن الأحاديث أوْهاها، ثم جالس الجُوَيْباري، وابنَ تميم، ولعلهما قد وضعا مئة ألف حديث، وأخذَ التقشُّفَ عن أحمد بن حرب.

قلت: كان يقول: الإيمانُ هو نطق اللسان بالتوحيد، مجرّدٌ عن عقد قلب، وعمل جوارح. وقال خَلْقٌ من الأتباع له: بأن الباري جسمٌ لا كالأجسام، وأن النبيَّ تجوزُ منه الكبائر سِوى الكذب.

وقد سُجن ابن كرَّام، ثم نُفي. وكان ناشفاً عابداً، قليلَ العلم.

قال الحـاكم: مكث في سجن نيسـابور ثماني سنين، وماتَ بأرضِ بيت المقدس سنة خمس وخمسين ومئتين.

قلت: طولنا ترجمته في «تاريخ الإسلام».

وكانت الكرَّاميَّة كثيرين بخراسان. ولهم تصانيف، ثم قَلُّوا وتلاشَوْا. نعوذُ بالله من الأهواء.

٤٩٤ ـ الجَاحِـظ (٢)

[٢] العلامةُ المُتَبَحِّر، ذو الفنون، أبوعثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي، صاحب التصانيف. أخذ عن النظَّام.

---

(١) انظر السير: ١١/ ٥٢٣-٥٢٤. (٢) انظر السير: ١١/ ٥٢٦-٥٣٠.

قلت: كان ماجناً قليل الدين، له نوادر.

قال المبرِّد: دخلتُ عليه، فقلتُ: كيف أنت؟ قال: كيف من نصفُه مفلوجٌ، ونصفُـه الآخـر منقـرسٌ؟ لو طار عليهِ ذُباب لآلمه، والآفةُ في هذا أني جُزت التسعين. وقِيل: طلبـه المتوكل، فقال: وما يصنع أمير المؤمنين بشقٍ مائل، ولعابٍ سائل؟!!

[١]قلت: كانَ من بحور العلم، وتصانيفُه كثيرةٌ جداً. قيل: لم يقع بيده كتابٌ قطُّ إلا استـوفى قراءَتـه، حتى إنَّـه كان يكتري دكاكين الكُتْبِيِّين، وَيبِيتُ فيها للمطالعة، وكان باقِعةً(١) في قوة الحفظ.

وله كتابُ «الحيوان» سبع مجلدات، وأضاف إليه كتاب «النِّساء» وهو فرق ما بين الـذكـر والأنثى، وكتـاب «البِغـال» وقـد أضيف إليه كتـاب سمـوه كتاب «الجمال». ليس من كلام الجاحظ، ولا يقاربه.

قال رجـل للجـاحظ: أَلَـكَ بالبصرة ضيعة؟ قال: فتبسم، وقال: إنما إناء وجـارية ومَن يخـدمهـا، وحمـار، وخـادم. أهـديتُ كتاب «الحيوان» إلى ابن الزيات، فأعطاني ألفي دينار، وأهديتُ إلى فلان فذكر نحواً من ذلك، يعني: أنه في خير وثروة.

[٢]قلت: يظهرُ من شمائل الجاحِظ أنه يَخْتَلِق.

[٣] قال إسماعيل الصفَّار: حدثنا أبوالعيناء، قال: أنا والجاحظ وضعنا حديث فَدَك(٢)، فأدخلناه على الشيوخ ببغداد، فقبلوه إلا ابنَ شيبةَ العلوي، فإنه قال: لا يُشبِـه آخرُ هذا الحديثِ أوَّلَه. ثم قال الصفار: كان أبوالعيناء يحدث بهذا بعدما تاب.

قيل للجـاحظ: كيف حالُك؟ قال: يتكلم الوزيرُ برأيي، وصِلاتُ الخليفة

---

(١) أي داهية، يقال: ما فلان إلا باقعة من البواقع، سمي باقعة لحلوله بقاع الأرض، وكثرة تنقيبه في البلاد، ومعرفته بها، فشبه الرجل البصير بالأمور، الكثير البحث عنها، المجرِّب لها به. والهاء دخلت في نعت الرجل للمبالغة في صفته، كما قالوا: رجل عَلَّامة ونسابة.

(٢) قال ابن حجر: ما علمت ما أراد بحديث فدك.

متواترةٌ إليّ، وآكل من الطير أسمنَها، وألبَسُ من الثياب ألينَها وأنا صابرٌ حتى يأتي الله بالفرج. قيل: بل الفرج ما أنت فيه. قال: بل أحبُّ أنْ أليَ الخِلافةَ، ويختلِفَ إليَّ محمد بن عبدالملك ـ يعني الوزير ـ وهو القائل:

سَقامُ الحِرْصِ لَيْسَ لَهُ دواءٌ ... وداءُ الجَهْلِ لَيْسَ له طبيبُ

وقد روى عنه ابن أبي داود حديثاً واحداً.

قلت: كفانا الجاحظ المؤونة، فما روى من الحديث إلا النَّزْرَ اليسير، ولا هو بمُتَّهم في الحديث، بَلَى في النفس من حكاياتِه ولهجتِه فربما جازف، وتلطُّخه بغير بدعة أمْرٌ واضح، ولكنه أخباريٌّ علاَّمة صاحبُ فنون وأدب باهر، وذكاء بيِّن، عفا الله عنه.

٤٩٥ـ ذو النُّون المِصْرِيُّ[١]

[١]الزاهد، شيخُ الديار المصرية، ثَوبان بن إبراهيم، وقيل: يُكْنَى أبا الفيض.

ولد في أواخر أيام المنصور.

وقلَّ ما روى من الحديث، ولا كان يُتقنُه.

[٢]وقال يوسفُ بن أحمد البغدادي: كان أهلُ ناحيته يُسمُّونه الزنديق فلما مات، أظلت الطير جِنازَتَه، فاحترموا بعدُ قبرَه.

[٣]قال يوسفُ بن الحسين الرازي: حضرتُ ذا النون، فقيل له: يا أبا الفيض، ما كان سببُ تَوْبَتِك؟ قال: نمتُ في الصحراء، ففتحتُ عيني فإذا قُنْبُرةٌ[٢] عمياءُ سقطتْ من وكر، فانشقت الأرضُ، فخرج سُكُرُّجَتان ذهب وفضة في إحداهما سِمْسِم، وفي الأخرى ماء، فأكلتْ وشربتْ. فقلتُ: حسبي، فَتُبْت ولزمتُ الباب إلى أن قَبِلَني.

---

(١) انظر السير: ١١/ ٥٣٢ـ٥٣٦.

(٢) القُنْبُرة والقُنْبَرة والقُبَّرَة والقُنْبُراء والقُنْبَراء: عصفورة من فصيلة القُبَّريات، ورتبة الجواثم المخروطية المناقير، سُمر في أعلاها ضارَبة إلى بياض في أسفلها، وعلى صدرها بقعة سوداء، دائمة التغريد.

[١]قال السُّلَميُّ في «محن الصوفية»: ذو النونِ أوّلُ من تكلم ببلدته في ترتيب الأحوال، ومقامات الأولياء، فأنكر عليه عبدُالله بنُ عبدالحكم، وهجره علماءُ مصر. وشاع أنه أحدث علماً لم يتكلم فيه السلف وهجروه حتى رَموه بالزَّندقة.

فقال أخوه: إنهم يقولون: إنك زنديق فقال:

وَمَالِي سِوَى الإطرَاقِ والصَّمْتِ حِيْلَةٌ ... وَوضْعِيَ كَفِّي تَحْتَ خَدِّي وتَذْكَارِي

[٢]قال: وقال محمدُ بنُ الفَرْخي: كنتُ مع ذي النون في زورق، فمرَّ بنا زورقٌ آخر، فقيل لذي النون: إن هؤلاء يمرون إلى السلطان، يَشهدونَ عليك بالكفر. فقال: اللَّهمَّ إنْ كانوا كاذبين، فَغرِّقهم، فانقلب الزورق، وغرقوا. فقلتُ له: فما بالُ الملاَّح؟ قال: لِمَ حملهم وهو يعلمُ قصدهم؟ ولأنْ يقفوا بين يدي الله غَرقى خيرٌ لهم من أنْ يقفوا شُهودَ زُور، ثم انتفض وتغيَّر، وقال: وعزَّتك لا أدعو على أحدٍ بعدها. ثم دعاهُ أميرُ مصر، وسأله عن اعتقاده، فتكلَّم، فرضي أمرَه. وطلبَهُ المتـوكل، فلما سمع كلاَمه وَلِعَ به وأحبَّه. وكان يقول: إذا ذُكر الصالحون، فحيَّ هلا بذي النون.

[٣]وقال يوسفُ بن الحسين: سمعت ذا النون، يقول: مهما تصوَّر في وهمك، فالله بخلاف ذلك.

[٤]وسمعته يقول: الاستغفارُ جامعٌ لمعانٍ: أوَّلُها النَّدمُ على ما مضى، والثاني: العزمُ على الترك، الثالثُ: أداء ما ضيَّعْتَ من فرض لله، الرابعُ: ردُّ المظالم في الأمـوال والأعـراض والمصالحةُ عليها، الخامسُ: إذابةُ كل لحم ودم نبت على الحرام، السادسُ: إذاقة ألم الطاعة كما وَجَدْتَ حلاوة المعصية.

[٥]وعن عمرو بن السرح: قلتُ لذي النون: كيف خلصتَ من المتوكل وقد أمر بقتلك؟ قال: لمـا أوصلني الغـلامُ، قلت في نفسي: يا مَنْ ليس في البحار قطراتٌ، ولا في ديلج الرياح ديلجاتٌ، ولا في الأرض خبيئاتٌ،ولا في القلوب خطراتٌ، إلا وهي عليك دليلاتٌ، ولك شاهداتٌ، وبربوبيتك مُعترفاتٌ، وفي قُدرتك متحيِّراتٌ. فبالقُدرةِ التي تُجيرُ بها من في الأرضين والسماوات إلا صَلَّيْتَ

على محمـد وعلى آل محمد، وأخذتَ قلبَه عني، فقام المُتوكل يخطو حتى اعتنقني، ثم قال: أتْعَبْناك يا أبا الفيض.

[١]ومن كلامه: العارفُ لا يلتزم حالةً واحدة، بل يلتزمُ أمر ربِّه في الحالات كلِّها.

وفاته في سنة خمس وأربعين ومئتين، وكان من أبناء التسعين.

٤٩٦ - ابنُ زِيـــاد[١]

[٢]متولِّي اليمن الأمير محمد بن عبدالله بن زياد.

غَلَب على اليمن، وحارَب وتمكَّنَ في أيام المأمون، واختط مدينة زَبِيد في سنة أربع ومئتين. ونفَّذ إلى المأمون بَتُحف، فأمدَّه بجيش وعَظُم أمرُه، ودامت دولتُه إلى أنْ مات سنة خمس وأربعين ومئتين.

فقام بعده ابنُه إبراهيم، فولي اليمن مدةَ أربع وأربعين سنة ثم مات. وتملك بعده ولداه زياد ثم إسحاق. ودامت دولتُهم إلى بعد الأربع مئة، ثم صارت في مَواليهم مدةً إلى أن ظهر الصُّلَيْحِيُّ.

٤٩٧- الرَّوَاجِنِيُّ (خ، ت، ق)[٢]

[٣]الشيخُ العالم الصدوق، محدِّثُ الشيعة، أبو سعيد عبَّاد بن يعقوب الأسدي الرواجني الكوفي المبتدع.

وقال الحاكم: كان ابنُ خزيمة يقول: حدثنا الثقة في روايته المتَّهَمُ في دينه، عبَّاد بن يعقوب.

وقال ابنُ عدي: فيه غُلُوٌّ في التَشَيُّع.

---

(١) انظر السير: ١١/ ٥٣٦.

(٢) انظر السير: ١١/ ٥٣٦- ٥٣٨.

[١]عن صالح جَزَرة، قال: كان عبَّاد يشتِم عثمان، رضي الله عنه، وسمعتُه، يقول: الله أعدلُ من أن يُدخل طلحةَ والزُّبيرَ الجنة، قاتَلا علياً بعد أن بايعاه.

[٢]وقال ابنُ جرير: سمعتُه يقول: من لم يبرأْ في صلاته كلَّ يوم من أعداء آل محمد، حُشر مَعَهم.

قلتُ: هذا الكلامُ مَبْدأ الرفض، بل نَكُفُّ، ونستغفِرُ للأمّة، فإنّ آل محمد في إيَّاهم قد عادى بعضُهم بعضاً واقتتلوا على الملك وتمتْ عظائم، فَمِن أيِّهم نبرأ؟!

[٣]قال محمدُ بنُ المظفر الحافظ، حدثنا القاسم المطرِّز، قال: دخلتُ على عبَّاد بالكوفة، وكان يمتحِنُ الطَّلبة، فقال: مَنْ حَفَر البحر؟ قلتُ: الله. قال: هو كذاك، ولكن من حفره؟ قلتُ: يَذْكُر الشيخ، قال: حفره علي، فمن أجراه؟ قلتُ: الله. قال: هو كذلك؟ ولكن من أجراه؟ قلتُ: يُفيدني الشيخ: قال: أجراه الحسين، وكان ضريراً، فرأيتُ سيفاً وحَجَفَةً(١). فقلتُ: لمن هذا؟ قال: أعددتُه لأقاتل به مع المهدي فلما فرغتُ من سماع ما أردتُ، دخلتُ عليه، فقال: مَن حفر البحر؟ قلتُ: حَفَرهُ مُعاويةُ، رضي الله عنه، وأجراه عَمرو بن العـاص، ثم وثَبْتُ وعَدَوْتُ فجعل يصيح: أدركُوا الفاسقَ عدوَّ الله، فاقتلوه. إسنادها صحيح وما أدري كيف تَسَمَّحُوا في الأخذ عمن هذا حاله؟ وإنَّما وثِقوا بصدقه.

قال البخاري: مات عبّاد بن يعقوب في سنة خمسين ومئتين.

ورأيتُ له جُزءاً من كتاب «المناقب»، جمع فيها أشياء ساقطة قد أغنى الله أهلَ البيتِ عنها، وما أعتقدُه يتعمد الكذب أبداً.

---

(١) الحجفة: هي الترس.

٤٩٨- الدُّورِي (ق)[1]

[١] الإمامُ العالم الكبير، شيخُ المقرئين، أبو عُمر حفص بن عُمر بن عبدالعزيز.

ولد سنة بضع وخمسين ومئة في دولة المنصور.

وتلا على الكِسائي بِحَرْفِه، وعلى يحيى اليزِيديِّ بحرف أبي عَمرو، وعلى سُليم بحرف حمزة، وجمع القراءاتِ وصنَّفها.

روى عنه: الإمامُ أحمد، وهو من أقرانه، ونصرُ بن علي الجَهْضَمي وروى هو عنهما.

قال أبوعلي الأهوازي: رحل أبو عُمر في طلب القراءات، وقرأ سائر حُروف السبعة، وبالشَّوَاذِّ، وسمع من ذلك الكثير، وصنَّف في القراءات، وهو ثِقةٌ، وعاش دَهْراً. وفي آخر عمره ذهب بصرُه، وكان ذا دِين.

[٢] وقال الحاكمُ: قال الدارقطني: أبو عُمر الدوري، يقال له: الضرير، وهو ضعيف. وقيل: هو من الدُّور ـ محلة بالجانب الشرقي من بغدد,

تُوفِّي سنةَ ست وأربعين ومئتين.

[٣] وقول الدارقطني: ضعيف: يريدُ في ضبط الآثار. أما في القراءات فثبتٌ إمام. وكذلك جماعة من القُرَّاء أثباتٌ في القراءة دونَ الحديث كنافع، والكسائيِّ، وحفص، فإنَّهم نهضوا بأعْبَاءِ الحروف وحرَّرُوها، ولم يصنَعُوا ذلك في الحديث، كما أنَّ طائفةً من الحفاظ أتقنوا الحديث، ولم يُحكِمُوا القراءة. وكذا شأن كل من برَّز في فنٍّ، ولم يَعْتَنِ بما عداه والله أعلم.

(١) انظر السير، ١١/٥٤١-٥٤٣.



الجزء الثاني عشر



٤٩٩ ابنُ السِّكِّيت(١)

[١] شيخُ العربية، أبو يوسف، يعقوبُ بن إسحاق بن السِّكِّيت(٢)، البغداديُّ النحويُّ المؤدِّب، مؤلف كتاب «إصلاح المنطق»، ديِّنٌ خيِّرٌ، حُجَّةٌ في العربية.

وله مِن التصانيف نحوٌ من عشرين كِتاباً.

[٢] وقال أحمدُ بن عُبيد: شاورَني يعقوبُ في مُنادمة المتوكل، فنهيْتُهُ فحمل قولي على الحسد، ولم ينْتَهِ.

[٣] ويُرْوَى أنَّ المُتوكل نظر إلى ابنيه المُعتز والمؤيِّد، فقال لابن السِّكِّيت: مَن أَحَبُّ إليكَ: هُمَا، أو الحسن والحُسَين(٣)؟ فقال: بل قَنْبَر، فأمر الأتراكَ فداسُوا بَطنه فمات بعد يوم. وقيل: حُمِل ميتاً في بِساط، وكان في المتوكل نَصْب (٤)، نسأل الله العفو. مات سنة أربعٍ وأربعين ومئتين.

قال ثعلب: أجمَعوا أنه لم يكن أحدٌ بعد ابن الأعرابي أعلمَ باللغة من ابنِ السِّكِّيت، وكان المتوكلُ قد ألزمه تأديب ولدِهِ المُعتز، فلما حضر، قال له ابن السِّكِّيت: بم تُحِبُّ أن تَبدأ؟ قال: بالانصراف. قال: فأقوم. قال المُعْتز: فأنا أخفُّ منك، وبادر، فعثر، فسقط وخَجِل فقال يعقوب:

[٤] يموت الفتى مِن عَثْرَةٍ بلِسَانِهِ ... وَلَيْس يَموتُ المرءُ من عَثْرةِ الرِّجْلِ
فعثرتُهُ بالقولِ تُذْهِبُ رأسَهُ ... وَعَثْرَتُهُ بالرجلِ تبرا عَلى مَهْلِ

(١) انظر السير: ١٢/١٦-١٩.

(٢) قال ابن خلكان: عرف بذلك لأنه كان كثير السكوت، طويل الصمت، وكل ما كان على وزن «فِعِّيل» أو «فِعْلِيل» فإنه مكسور الأول.

(٣) الخبر بألفاظ مختلفة في «وفيَّات الأعيان» ٦/٣٩٧، ٣٩٨» وفي «النجوم الزاهرة ٢/٣١٨»، واللفظ فيه: من أَحَبُّ إليك: أنا وولداي المؤيد والمعتز أم علي والحسن والحسين؟ فقال: والله إنَّ شَعْرةً من قَنْبَرٍ خادِمِ عليٍّ خيرٌ منك ومن وَلَدَيْك.

(٤) أهل النَّصب: هم المتدينون ببغضة علي رضي الله عنه، لأنهم نَصَبُوا له: أي عادوه.

قال أبو سهل بن زياد: سمعتُ ثعلباً يقول: عديُّ بن زيد العِبَادِي أمير المؤمنين في اللغة. وكان يقول قريباً من ذلك في ابن السِّكِّيت.

قلت: «إصلاح المنطق» كتابٌ نَفِيس مشكورٌ في اللغة.

٥٠٠ الحسنُ بنُ عِيسى بنِ ما سَرْجِس (م، د، س)(١)

[١] **الإمامُ المحدِّثُ الثقة الجليل، أبو علي النَّيسابوريُّ.**

كان من كُبَراء النصارى فأسلم.

[٢] قال الحاكم: سمِعتُ الحُسين بن أحمد الماسَرْجِسيَّ، يحكي عن جَدِّه وغيره، قال: كان الحسنُ والحسين ابنا عيسى يركبان معاً، فيتحيَّر الناسُ من حُسْنِهما وبَزَّتهما، فاتفقا على أن يُسلِما، فقَصدا حفص بنَ عبدالرحمن، فقال: أنتُما من أَجَلِّ النَّصارى، وابنُ المُبَارك قادم لِيَحُجَّ فإذا أسْلَمْتُما على يدِه كان ذلك أعظمَ عَند المسلمين، وأرفَعَ لكُما، فإنَّه شيخُ المَشرِق. فانصرفا عنه فمرِضَ الحُسَين، فمات نَصرانياً، فلما قَدِم ابنُ المُبَارك، أَسلم الحسن على يدِه.

قلت: يَبْعُدُ أن يأمُرَهما حفصٌ بتأخير الإسلام، فإنَّه رجلٌ عالِم. فإن صح ذلك فموت الحُسين مُريداً للإسلام، مُنْتَظِراً قُدومَ ابن المبارك لِيُسلِمَ نافعٌ له.

[٣] قال الحاكِم: حدَّثنا الحافِظُ أبو عليٍّ النَّيسابوريُّ عن شيوخِه أن ابن المُبارك نزلَ مرةً برأس سِكَّة عيسى، وكان الحسنُ بن عيسى يركب فيجتازُ به وهو في المجلس، وكان من أحسن الشباب وجهاً، فسأل ابن المُبارك عنه فقيل: هو نصرانيٌّ. فقال: اللهُمَّ ارزُقه الإسلام،فاستُجيب له.

قال أبو العباس السَّرَّاجُ: حدثنا الحسنُ بن عيسى مولى عبدِ الله بن المبارك، وكان عاقلاً. عُد في مجلسه بباب الطَّاقِ(٢) اثنا عشر ألف محبرة.

مات مُنصَرفَه من مكة سنة تسع وثلاثين ومئتين.

---

(١) انظر السير: ١٢/٢٧-٣٠.

(٢) محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي بين الرصافة ونهر المعلَّى وتعرف أيضاً بطاق أسماء، نسبة إلى أسماء بنت المنصور.

[١] وقال الحاكم: سمعت ابني المؤمل بن الحسن، يقولان: أنفق جَدُّنا في الحَجَّة التي توفي فيها ثلاثَ مئة ألف.

[٢] وقال محمد بن المؤمَّل بن الحسن: سمعتُ أبا يحيى البَزَّاز يقول لأبي رجاء القاضي: كنتُ فيمن حَجَّ مع الحسن بنِ عيسى وقتَ مَوْته، فاشتغلتُ بحفظِ جَمَلي عن شهوده، فَأُرِيتُه في النوم، فقلتُ: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ولكل من صلَّى عليَّ. قلت: فإني فاتتني الصلاة عليك لغيبةِ عَدِيلي، فقال: لا تجزع، وغُفر لكل من يترحم عليَّ. رحمه الله. قلت: وفي ذريته وأقاربه مُحَدِّثون وفُضلاء.

٥٠١ المُتوكِّل على الله(١)

[٣] الخليفةُ، أبو الفضل، جعفر بن المعتصم بالله محمدِ بن الرشيد القرشيُّ العباسي البغدادي.

وُلد سنة خمس ومئتين. وبُويِع عند موتِ أخيهِ الواثق في ذي الحِجَّة سنة اثنتين وثلاثين.

وكان قاضي البصرة إبراهيم بن محمد التيمي يقول: الخلفاءثلاثة: أبو بكرٍ يَوْمَ الرِّدَّةِ، وعُمَر بن عبدالعزيز في ردِ المظالم من بني أمية، والمتوكل في مَحْوِ البِدع، وإظهار السُّنَّة.

[٤] وفي سنة ٢٣٤ أظهر المتوكلُ السُّنَّةَ، وزَجرَ عنْ القولِ بخلقِ القرآن وكتبَ بذلك إلى الأمصار، واستقدم المُحدِّثين إلى سامَرَّاء، وأَجزل صِلاتِهم ورَوَوا أحاديثَ الرُّؤْيَة والصفات.

وفي سنة ستٍ أحضرَ القُضاةَ من البلدان ليَعْقِد بولاية العهد لبنيه: المنتصر محمد، ثم للمُعتزِّ، ثم للمؤيَّد إبراهيم. وكانت الوَقعَة بين المسلمين والروم، ونصر الله.

---

(١) انظر السير: ١٢/ ٣٠-٤١

[١]وفي سنة ستٍّ وثلاثين هَدَمَ المتوكلُ قبرَ الحُسين رضي الله عنه فقال البَسَّامِيُّ أبياتاً منها:

أَسِفُوا عَلَى أنْ لا يكونُوا شارَكوا في قَتلِهِ فَتَتَبَّعوه رَميما

وكان المتوكلُ فيه نَصْبٌ وانحرافٌ، فَهَدَم هذا المكان وما حوله من الدُّور، وأمر أن يُزرع، ومَنـع الناسَ من انتيابه. فكتب الناسُ شتَم المتوكلِ على الحيطان، وهجته الشعراءُ كَدِعْبِل وغيره.

[٢]وبعث المتوكلُ إلى نائبه بمصر، فحلقَ لحيةَ قاضي القضاة محمد بن أبي الليث، وضربه، وطَوَّف به على حمارٍ في رمضان، وسُجن، وكان ظلوماً جهميّاً، ثم وَلِيَ القضاءَ الحَارثُ بن مسكين، فكان يضرِبُه كلَّ حينٍ عشرين سوطاً ليؤديَ ما وجب عليه، فإنَّا لله.

[٣] وغضب المتوكلُ على أحمد بنِ أبي دُوَاد، وصادره، وسجن أصحابَه وحُمِّل ستة عشر ألف ألف درهم، وافتقر هو وآله. وَوَلَّى يحيى بن أكثم القضاء، وأطلق من تبقَّى في الاعتقال ممَّن امتنع من القول بخلق القرآن وأُنزلت عِظامُ أحمدَ بنِ نصرٍ الشهيدِ، ودفنها أقاربه، وبنى قصر العروس بسامَرَّاء، وأَنفقَ عليه ثلاثون ألف ألف درهم. والتمس المتوكلُ من أحمدَ بنِ حنبل أن يأتيه، فذهب إلى سامَرَّاء ولم يجتمع به. استعفى، فأعفاه ودخل على ولده المعتز، فدعا له.

[٤]وفي سنة أربعين فيها سمع أهل خِلاط[١] صَيْحةً من السماء، مات منها جماعةٌ كثيرة.

[٥]وفي سنة ٢٤١ ماجت النجومُ، وتناثرت شِبْهَ الجَرَادِ أكثرَ الليل فكان ذلك آيةً مزعجة.

[٦] وفي سنة ٢٤٢هـ الزلزلة بقَومِس والدَّامَغَان، والرَّيّ وطَبَرِسْتان ونيسابور، وأصبهان، وهلك منها بِضْعَةٌ وأربعون ألفاً، وانهدَّ نصفُ مدينة الدامَغَان.

[٧]وفي سنة ٢٤٥ عمَّت الزلزلةُ الدنيا، ومات منها خلائق. وبنى المتوكلُ

(١) هي قصبة أرمينية الوسطى.

الماحوزة، وسمّاها الجَعفَريَّ، وأنفق عليها بعد معاونةِ الجيش له ألفي ألف دينار، وتحوَّل إليها، وفيها وقع بناحيةِ بَلْخ مطرٌ كالدم العبيط.

[١] وكان المتوكلُ جَواداً مُمَدَّحاً لعَّاباً، وأراد أن يعزِل من العهد المنتصرَ، ويُقدّم عليه المُعتزَّ لحبِّه أمَّهُ قبيحَة، فأبى المنتصرُ، فغضب أبوه وتهدَّده، وأغرى به، وانحرفت الأتراكُ على المتوكل لمُصادرته وصيفاً وبُغا حتى اغتالوه.

وبويع المنتصرُ من الغدِ بالقصر الجَعفَريِّ سنة سبعٍ وأربعين ومئتين.

٥٠٢ المُنتصر بالله(١)

[٢] الخليفةُ، أبو جعفر، وأبو عبدالله، محمدُ بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم محمد بن هارون الرشيد الهاشمي العباسي، وأمُّه أم ولد روميَّة، اسمها حَبَشيَّة.

[٣] وكان المنتصر وافِرَ العقل، راغباً في الخير، قليلَ الظُّلم باراًّ بالعلويين، ويَسُبُّ الأتراكَ ويقول: هؤلاء قَتَلةُ الخُلفاء، فقال بُغا الصغير للذين قتلوا المتوكل: ما لَكُم عِندَ هذا رِزْق. فعملُوا عليه وهمُّوا، فعجِزوا عنه، لأنّه كان شجاعاً مَهيباً يَقِظاً متحرزاً لا كأَبيه فَتَحَيَّلُوا إلى أن دَسّوا إلى طبيبه ابن طَيْفور ثلاثين ألف دينار عند مرضه فأشار بفَصدِه، ثم فصدهُ بريشةٍ مسمومةٍ، فمات منها.

[٤] ويقال: إنَّ طيفور نَسي ومرض، وافتُصِد بتلك الريشة، فهلكَ.

[٥] ووردَ عنه أنه قال في مرضه: ذَهَبَتْ يا أماه مني الدُّنيا والآخرة عاجَلْتُ أبي فعُوجِلْتُ. وكان يُتَّهم بأنه واطأ على قتلِ أبيه، فما أُمهِل، وَوَزَرَ له أحمدُ بن الخصيب، أحدُ الظَّلَمَة.

[٦] ومن كلام المنتصر إذ عفا عن أبي العَمَرَّد الشَارِي: لذة العفوِ أعذبُ من لذةِ التَّشفِّي، وأقبحُ فعالِ المُقتدر الانتقام.

قال المسعودي: كان المنتصرُ أظهرَ الإنصاف في الرعية، فمالوا إليه مع شدة هيبته.

---

(١) انظر السير: ١٢/٤٢ـ ٤٦.

قلتُ: قلَّ ما وقع في دولته من الحوادث لقصر المدة، وعاش ستاً وعشرين سنة، سامحه الله. ومات سنة ثمانٍ وأربعين ومئتين. فكانت خلافته ستة أشهر وأياماً.

[١] وكان قد أبعد وصيفاً في عسكرٍ إلى ثَغرِ الروم، وكان قد ألحَّ عليه هو وبُغا وابنُ الخصيب في خلع إخوته خوفاً من أن يَلِيَ المُعتزُّ فيستأصلهم، فاعتُقلا، وتمنع أولاً المُعتَزُّ، ثم خاف، وأشهدا على أنفُسهما أنهما يَعْجِزان عن الإمامة، فقال المنتصر: أتَرَياني خلعتُكما طمعاً في أن أعيش بعدكما حتى يكبر ابني عبدالوهاب، وأعهدَ إليه؟! والله ما طمعت في ذلك ولكن هؤلاء ألحُّوا عليّ، وخفت عليكما من القتل. فقبَّلا يده، وضمَّهما إليه.

٥٠٣ المُستعِينُ بالله(١)

[٢] **الخليفةُ، أبو العباس، أحمد بن المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد بن المهدي العباسي، أخو الواثق والمتوكل.**

وُلد سنة إحدى وعشرين ومئتين. وبويع سنة ثمانٍ وأربعين، عند موت أخيه المنتصر.

[٣] وكان مِتلافاً للمال، مُبَذِّراً، فَرَّقَ الجواهرَ وفاخِرَ الثيابِ، اختلَّت الخلافة بولايته، واضطربت الأمور.

وسجَن المعتزَّ والمؤيد، وضيق عليهما، واشترى أملاكهما كُرهاً. وقرر لهما في العام نَيِّفاً وعشرين ألف دينار ليس إلاّ.

[٤] وهاجت الفتنة الكبرى بالعراق، فتنكر الترك للمستعين، فخاف وتحوّل إلى بغداد، فنزل بالجانب الغربي على نائبه ابن طاهر، فاتفق الأتراكُ بِسامَرَّاء، وبعثوا يعتذرون، ويسألونه الرجوع، فأبى عليهم فغضبوا، وقصدوا السجن، وأخرجوا المعتز بالله، وبايعوا له، وخلعوا المستعين، وبنوا أمرهم على شُبهة، وهي أنَّ المتوكلَ عقد للمعتزِ بعد المنتصر، فجهز المعتزُ أخاه أبا أحمد لمحاربة المُستعين،

---

(١) انظر السير: ١٢/٤٦-٥٠

وتهيأ المستعين وابنُ طاهر للحصارِ، وإصلاح السور، وتجرد أهل بغداد للقتل ونُصِبت المَجَانِق، ووقع الجدُ، ودام البلاء أشهراً، وكَثُرَتِ القتلى، واشتد القحط، وتمت بينهما عدة وقعات، بحيث إنه قتل في نوبة من جند المعتز ألفان، إلى أن ضَعُفَ أهل بغداد وذلُّوا وجاعوا.

[١] فكاتب ابن طاهر في السر المعتزَّ، وانحل نظام المستعين، وإنما كان قوام أمره بابن طاهر، وكاشفه الناس، فتحول إلى الرُّصافة، ثم سعى الناس في الصلح، وخلع المُستعين فأقام في ذلك إسماعيل القاضي وغيره بشروط وثيقة، فأذعن بخلع نفسه في أول سنة اثنتين وخمسين وأشهد عليه، ثم حوِّل إلى سامرَّاء فقُتِل بقادسية سامَرَّاء في ثالث شوال من السنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

[٢] وقال الصولي: بعث المعتزُ أحمد بن طولون إلى واسط لقتل المستعين فقال: والله لا أقتل أولاد الخلفاء. فبعث سعيداً الحاجب، فما متَّع الله المعتزَّ، بل عُوجِل بالخلع والقتل جَزاءً وِفاقاً.

٥٠٤ البُوَيْطِيُّ(١)

[٣] **الإمامُ العلاَّمة، سيِّد الفُقهاء، يوسف أبو يعقوب بن يحيى، المصريُّ البُوَيطي، صاحب الإمام الشافعي، لازمه مدة، وتخرج به، وفاق الأقران.**

وكان إماماً في العلم، قدوة في العمل، زاهداً ربانياً، متهجداً دائم الذِّكرِ والعكوف على الفقه. بلغنا أن الشافعي قال: ليس في أصحابي أحدُ أعلَمَ من البويطي.

[٤] الربيع بن سليمان قال: كان البُويطي حين مرض الشافعي بمصر هو وابن عبدالحكم والمُزني، فتنازعوا الحلقةَ، فبلغ ذلك الشافعي، فقال: الحلقة للبُويطي. فلهذا اعتزل ابن عبدالحكم الشافعي وأصحابه، وكانت أعظم حلقة في المسجد. فكان البُويطي يصوم، ويتلو غالباً في اليوم والليلة خَتْمَةً مع صنائع

(١) انظر السير: ١٢/٥٨ـ ٦١.

المعروف إلى الناس.

[١] فَسُعِيَ بالبُـويطي حتى كَتَب فيه ابن أبي دُوَاد إلى والي مصـر، فامتحنـه فلم يجب، وكان الوالي حَسَنَ الرأي فيه، فقال له: قُل فيما بيني وبينك، قال: إنه يقتدي بي مئة ألف، ولا يدرون المعنى، قال: وقد كان أُمِرَ أن يُحمل إلى بغداد في أربعين رِطل حَديدٍ.

[٢] قال الربيع: وكان المزني ممن سعى به، وحرملة.

[٣] عن البويطي أنه قال: بريء الناس من دمي إلاَّ ثلاثة: حرملة، والمزني، وآخر.

[٤] قلتُ: استفق، ويحَكَ، وسل ربك العافية، فكلام الأقران بعضهم في بعض أمرٌ عجيب، وقع فيه سادةٌ، فرحم الله الجميع.

مات الإمامُ البُويطي في قيده مسجوناً بالعراق سنة إحدى وثلاثين ومئتين.

٥٠٥ سُحْنُـون(١)

[٥] **الإمـامُ العـلاَّمة، فقيه المغرب، أبو سعيد، عبدالسلام بن حبيب بن حسان التَّنـوخيّ، الحمصيُّ الأصـل، المغـربيُّ القيروانيُّ المالكيُّ، قاضي القيروان، وصاحب «المُدَوَّنَة» ويلقب بسحنون.**

ارتحلَ وحجَّ. ولم يتوسع في الحديث كما توسع في الفروع.

[٦] ورُوى عن ابن عجلان الأندلسي قال: ما بورك لأحد بعد النبي ﷺ في أصحابه ما بُورك لسحنون في أصحابه، فإنَّهم كانوا في كل بلدٍ أئمة.

[٧] ورُوِيَ عن سحنون قال: من لم يعمل بِعِلْمِهِ، لَمْ يَنفَعْهُ عِلْمُه، بل يَضُرُّه.

[٨] وسُئل سُحنون: أيَسَعُ العالِمَ أن يقول: لا أدري فيما يدري؟ قال: أمَّا ما فيه كِتابٌ أو سنةٌ ثابتة فلا، وأما ما كان من هذا الرأي، فإنَّه يَسَعُهُ ذلك، لأنه لا يدري أمصيب هو أم مُخطِيء.

[٩] وعن سُحنون قال: مُحبُّ الدُّنيا أعمى، لم يُنَوِّرْهُ العِلْمُ.

---

(١) انظر السير: ١٢/٦٣-٦٩

[١] ما أقبحَ بالعالِم أن يأتيَ الأُمراءَ، والله ما دخلت على السلطان إلا وإذا خرجتُ حاسبتُ نفسي، فوجدت عليها الدَّرك(١)، وأنتم ترون مخالفتي لهواه، وما ألقاهُ به من الغِلظة، والله ما أخذتُ، ولا لبستُ لهم ثوباً.

[٢] وعن سُحنون قال: كان بعضُ من مضى يُريد أن يتكلَّم بالكلمة ولو تكلَّم بها لانتفـع بهـا خلقٌ كثير، فيحبِسُها، ولا يتكلَّم بها مخافةَ المباهاة.

[٣] وكان إذا أعجبه الصمتُ تكلَّم، ويقول: أجرأُ الناسِ على الفُتيا أقلُّهم عِلْماً.

[٤] وعنه قال: ما وجدتُ من باع آخرتَه بدنيا غيرِه إلا المُفتي.

[٥] وعن يحيى بن عَون: قال: دخلتُ مع سُحنونٍ على ابنِ القصَّار وهو مريض، فقال: ما هذا القَلَقُ؟ قال له: الموت والقُدومُ على الله. قال له سُحنون: ألست مصدقاً بالرسل والبعث والحساب، والجنة والنار وأن أفضل هذه الأمة أبو بكر، ثم عمـر، والقرآن كلام الله غير مخلوق وأن الله يُرى يومَ القيامة، وأنه على العرش استوى، ولا تخرجُ على الأئمةِ بالسيف، وإن جارُوا. قال: إي والله، فقال: مُتْ إذا شئتَ، مُت إذا شئت.

[٦] وعن سُحنون قال: كَبِرنا وساءت أخلاقُنا، ويعلم اللهُ ما أُصيحُ عليكم إلا لأُؤَدِّبَكم.

[٧] وأصلُ «المدونة» أسئِلة سألها أسدُ بنُ الفرات لابنِ القاسم، فلما ارتحل سُحنون بها عرضَها على ابن القاسم، فأصلَحَ فيها كثيراً، وأسقط ثم رتبها سحنون، وبَوَّبها، واحتجَّ لكثير من مسائلها بالآثار من مروياته مع أن فيها أشياء لا ينهضُ دليلها، بل رأي محض، وحكَوا أنَّ سُحنون في أواخر الأمرِ علَّم عليها، وهَمَّ بإسقاطِها وتهذيب «المـدوَّنة»، فأدركته المنية رحمه الله. فكُبراء المالكية، يعرفون تلك المسائل، ويُقرِّرون منها ما قدَروا عليه، ويُوَهِّنون ما ضعُف دليلُه. فهي لها أسوة بغيرها من دواوين الفقه. وكلُّ أحدٍ فيُؤخَذُ من قوله و يُترَكُ إلا صاحبَ ذاك القبر ﷺ. فالعلمُ بحر بلا ساحلٍ، وهو مُفرَّقٌ في الأُمة موجودٌ لمن التمسه.

---

(١) بفتح الراء وإسكانها: التبِعَة.

وتفسير سحنون بأنه اسم طائرٍ بالمغرب، يُوصف بالفِطنة والتَّحرُّزِ، وهو بفتح السِّين وبضمِّها.

تُوفي الإمامُ سُحنون في سنة أربعين ومئتين. وله ثمانون سنة.

٥٠٦ الجُوعِيُّ(١)

[١] **الإمـامُ القـدوةُ الوليُّ، المُحدِّثُ، أبو عبدالملك، القاسم بن عثمان العبدِيُّ الدمشقيُّ، شيخُ الصوفية، ورفيق أحمد بن أبي الحَواري، عُرف بالجُوعِيّ.**

قال أبو حاتم: صدوق.

قال سعيدُ بن أوس: سمعت قاسماً الجوعي، وكان صوفياً نسب إلى الجُوع.

[٢] قال محمدُ بن الفَيْضِ: قدم ابنُ أكْثَمَ دمشق مع المأمون، فبعثَ إلى أحمد بن أبي الحـواري، فجاء إليه، وجالسه، فخلع يحيى عليه طويلةً وملبوساً، وأعطاه خمسةَ آلاف درهم، وقال: فَرِّقْها يا أبا الحسن حيث ترى، فدخل بها المسجد، وصلَّى صلواتٍ بالخِلعَـة، فقـال قاسم الجـوعيّ: أخذ دراهم اللصوص، ولبس ثيابَهم، ثم أتى الجامع ومر به وهو في التحيَّات، فلما حذاه لطم القَلَنْسُوَةَ، فسلم أحمد، وأعطى القَلَنْسُوَة ابنَه ابراهيم، فذهب بها، فقال له من رآه: ما رأيتَ ما فعل بك هذا؟ فقال: رحمه الله. [٣] ومن كلام القاسم: رأسُ الأعمال الرضى عن الله، والورع عماد الدين والجوع مخ العبادة، والحِصنُ الحصينُ الصَّمتُ.

[٤] وقـال قاسم الجوعي: سمعت مسلم بن زياد يقول: مكتوب في التوراة: من سالَمَ سَلِمَ، ومن شَاتم شُتِم، ومن طلب الفضل من غير أهلِه نَدِم.

وقـال: الشهـواتُ نَفَسُ الدنيا، فمن تركَ الشهوات فقد تركَ الدُّنيا.

[٥] إذا رأيت الرجل يخاصم فهو يحبُّ الرِّئاسة.

توفي قاسم الجوعي سنةَ ثمانٍ وأربعين ومئتين.

[٦] قلتُ: كان زاهدَ الوقت هذا الجوعيُّ بدمشق، والسَّرِيُّ السَّقَطِيُّ ببغداد، وأحمدُ

(١) انظر السير: ١٢/٧٧- ٧٩.

ابن حرب بنيسابور، وذو النون بمصر، ومحمدُ بن أسلم بطوس. وأين مثل هؤلاء السادة؟ ما يملأ عيني إلّا التراب، أو من تحت التراب.

٥٠٧ أحمَدُ بن أبي الحَوارِيِّ (د، ق)[١]

[١] واسم أبيـه عبـدُ الله بن ميمـون الإمام الحافظ القدوة، شيخ أهل الشام، أبو الحسن، الثعلبيُّ الغَطَفانيُّ الدمشقيُّ الزاهد، أحدُ الأعلام أصلُه من الكوفة.

قال: سألني أحمد بن حنبل: متى مولدُكَ؟ قلت: في سنةِ أربعٍ وستين ومئة.

[٢]عن يحيى بن معين، وذكر أحمد بن أبي الحَواري، فقال: أهلُ الشام به يُمطَرون.

وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يُحْسِنُ الثناءَ عليه، ويُطْنِبُ فيه.

[٣] قال محمد بن عوف الحِمْصِيُّ: رأيتُ أحمد بن أبي الحواري عندنا بأنطَرسُوس[٢]، فلما صلَّى العَتَمَة[٣] قام يُصلِّي، فاستفتح بـ ﴿الحمد لله﴾ إلى ﴿إياكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعين﴾، فَطُفْت الحائط كلَّه، ثم رجعتُ، فإذا هو لا يُجاوزُها ثم نمتُ، ومررت في السَّحَرِ، وهو يقرأ: ﴿إيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فلم يزل يُرَدِّدُها إلى الصبح.

[٤] قال سعيد بن عبدالعزيز: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: من عمل بلا اتِّباع سُنَّةٍ فعمَلُهُ باطِل.

[٥] وقال: من نظر إلى الدنيا نظر إرادةٍ وحبٍ، أخرج الله نورَ اليقين والزهدِ من قلبه.

[٦] أحمد بن أبي الحَواري قال: قلت لراهبٍ في دَير حَرملَة، وأشرفَ من صومعته: ما اسْمُكَ؟ قال: جُرَيْجٌ. قلتُ: ما يحبِسُكَ؟ قال: حَبَسْتُ نفسي عن الشهوات. قلتُ: أما كان يستقيمُ لك أن تذهبَ معنا ها هنا وتجيءَ وتمنعَها الشهوات؟ قال:

---

(١) انظر السير: ١٢/٨٥-٩٤.

(٢) في «معجم البلدان» أنطَرطوس: بلد من سواحل بحر الشام.

(٣) أي صلاة العشاء لأنها تصلّى في العَتَمَة أي الظلمة.

هيهات!! هذا الذي تصِفهُ قوة وأنا في ضعف، قلتُ: ولم تفعل هذا؟ قال: نجدُ في كتبنا أنَّ بَدَنَ ابنِ آدمَ خُلِقَ من الأرض، وروحهُ خُلِقَ من ملكوتِ السماء، فإذا أجـاع بدنَـه وأعراه وأسهره وأقمَأه نازَع الرُّوح إلى الموضع الذي خَرج منه، وإذا أطعَمه وأراحه أخلد البدنُ إلى المواضع الذي منه خُلق، فأحبَّ الدُّنيا. قلتُ: فإذا فعل هذا يعجل له في الدُّنيا الثواب؟ قال: نعم نُورٌ يوازيه. قال: فحدثت بهذا أبا سليمان الداراني، فقال: قاتَلَه الله، إنهم يَصِفُون.

[١] قلت: الطريقة المثلى هي المحمدية، وهو الأخذ من الطيبات وتناول الشهوات المبـاحـة من غير إسـراف، كما قال تعالى: ﴿يا أيُّها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ، واعْمَلوا صالِحاً﴾ [المؤمنون ٥١].

وقد قال النبي ﷺ: «لكِني أصومُ وأفطِر، وأقومُ وأنامُ وآتِي النِّساءَ، وآكُلُ اللحْمَ، فمن رَغبَ عن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»، فلم يشرع لنا الرَّهبانيَّة، ولا التَمزُّق ولا الوصال بل ولا صومَ الدهر، ودينُ الإسلام يُسرٌ وحنيفيَّة سَمحَةٌ، فليأكلِ المسلم من الطيب إذا أمكنه، كما قال تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ من سَعَتِه﴾ [الطلاق ٧].

وقـد كان النسـاءُ أحبَّ شيء إلى نبينا ﷺ، وكذلك اللحمُ والحلواء والعسلُ والشراب الحلو البارد والمِسْك، وهو أفضل الخلق وأحبهم إلى الله تعالى.

[٢] ثم العابد العَرِيُّ من العلم، متى زهد وتبتل وجاع، وخلا بنفسه، وترك اللحم والثمـار، واقتصـر على الدُّقَّة والكِسرة، صفت حواسه ولطفت، ولازمته خطرات النفس، وسمع خطاباً يتولد من الجوع والسهر لا وجود لذلك الخطاب - واللهِ - في الخارج، وولج الشيطان في باطنه وخرج، فيعتقد أنه قد وصل، وخوطب وارتقى، فيتمكن منـه الشيطان، ويُوسوسُ له، فينظر إلى المؤمنين بعين الإزدراء، ويتذكر ذنوبهم، وينظُرُ إلى نفسه بعين الكمال، وربما آل به الأمر إلى أن يعتقد أنه وَلِيٌّ، صاحبُ كراماتٍ وتَمَكُّن، وربَّما حصل له شَكٌّ، وتزلزل إيمانه فالخلوة والجوع أبو جادِ التَّرهُّب، وليس ذلك من شريعتنا في شيء، بلى السلوك الكامل هو الورع في القوت، والورع في المنطق، وحفظُ اللسان، وملازمة الذكر، وتركُ مخالطةِ العامةِ،

والبكاءُ على الخطيئة، والتلاوةُ بالترتيل والتدبر، ومَقْتُ النفس وذمُّها في ذاتِ الله، والإكثار من الصوم المشروع، ودوامُ التهجُّد، والتواضع للمسلمين، وصلة الرحم والسماحة وكثرةُ البِشْر، والإنفاق مع الخَصاصَةِ، وقول الحقِّ المُرِّ برفق وتُؤدةٍ، والأمرُ بالعُرف، والأخذُ بالعفو، و الإعراض عن الجاهلين، والرباطُ بالثَّغر، وجهادُ العدو، وحجُّ البيتِ، وتناوُل الطيباتِ في الأحايين، وكثرةُ الاستغفار في السَّحَرِ، فهذه شمائلُ الأولياء، وصفاتُ المحمديّين، أماتَنا الله على محبَّتِهم.

[١] عمر بن بحر، سمعتُ أحمد بن أبي الحَواريِّ يقول: بينا أنا في قُبَّة بالمقابر بلا باب إلَّا كساءٌ أسبلتُه، فإذا أنا بامرأة تدقُّ على الحائط فقلت: من هذا؟ قالت: ضالّةٌ، فدُلَّني على الطريق. فقلت: رحمكِ الله، أيَّ الطريق تسلكين، فَبَكت، ثم قالت: على طريق النجاة، يا أحمدُ. قلت: هيهات! إن بيننا وبينها عقاباً، وتلكَ العقابُ لا تقطع إلَّا بالسَّير الحثيث، وتصحيحِ المعاملة، وحذف العلائق الشاغلة، فبكت، ثم قالت: سبحانَ من أمسكَ عليك جوارحك فلم تتقطَّع، وفؤادكَ فلم يتصدّع. ثم خرَّت مغشيّاً عليها. فقلت لبعض النساء: أيُّ شيءٍ حالها؟ فقُمن، ففتَّشْنَها، فإذا وصيَّتُها في جيبها: كفنوني في أثوابي هذه، فإن كان لي عند الله خيرٌ فهو أسعد لي، وإن كان غير ذلك فبعداً لنفسي، قلتُ: ما هي؟ فحرَّكوها، فإذا هي مَيِتَةٌ. فقلت: لمن هذه الجارية؟ قالوا: جاريةٌ قرشيةٌ مصابة، وكان قرينها يمنعها من الطعام، وكانت تشكو إلينا وجعاً بجوفها، فكنَّا نَصِفُها للأطباء، فتقول: خَلوا بيني وبين الطبيب الراهب، تعني: أحمد بن أبي الحواريّ، أشكو إليه بعضَ ما أجد من بلائي، لعلَّه أن يكون عنده شفائي.

[٢] أحمدُ بن أبي الحَواريِّ قال: كنتُ أسمعُ وكيعاً يبتديءُ قبل أن يُحدِّث فيقول: ما هنالك إلا عَفوُهُ، ولا نعيش إلا في سِتْرِهِ، ولو كُشِفَ الغطاء لكُشِفَ عن أمرٍ عظيم.

[٣] أبو الدحداح الدمشقيّ: حدثنا الحسينُ بن حامد أنَّ كتاب المأمون ورد على إسحاق بن يحيى بن معاذ أميرِ دمشق: أنْ أحضرِ المُحدِّثين بدمشق فامتحنهم.

قال: فأحْضَرَ هشامَ بنَ عمّار، وسليمان بن عبدالرحمن، وابن ذَكْوان، وابن أبي الحَواريّ، فامتحنهم امتحاناً ليس بالشديد فأجابوا خلا أحمد بن أبي الحَواري، فجعل يَرْفُق به، ويقول: أليس السماواتُ مخلوقةً؟ أليس الأرضُ مخلوقةً، وأحمدُ يأبى أن يُطيعه، فسجنه في دار الحِجارة، ثم أجاب بعدُ فأطلقه.

[١]قال أحمدُ السُّلَمي في (محن الصوفية): أحمدُ بن أبي الحواريّ شهد عليه قومٌ أنَّه يُفَضِّلُ الأولياء على الأنبياء وبَذَلُوا الخُطوط عليه، فهرب من دمشق إلى مكةَ، وجاور حتى كَتب إليه السلطان، يسألهُ أن يرجع فرجع.

قلت: إن صحَّتِ الحكايةُ فهذا من كذبِهم على أحمد، وهو كان أعلم باللهِ من أن يقولَ ذلك. توفي أحمد سنة ستٍ وأربعين ومئتين.

٥٠٨ المُحَاسِبيُّ(١)

[٢]**الزاهدُ العارفُ، شيخُ الصوفية، أبو عبدالله، الحارثُ بن أسد البغدادي المُحَاسبي، صاحبُ التصانيف الزهدية.**

قال الخطيب: له كتبٌ كثيرةٌ في الزهد، وأصولِ الدِّيانة، والردِّ على المعتزلة والرافضة.

[٣]وعن حارثٍ: قال: جوهرُ الإنسانِ الفضلُ، وجوهرُ العقلِ التوفيقُ.

[٤]وعنه: قال: تَرْكُ الدنيا مع ذكرها صفةُ الزاهدين، وتركها مع نسيانها صفة العارفين.

[٥]قلت: المُحاسِبي كبيرُ القَدْرِ، وقد دخل في شيءٍ يسيرٍ من الكلام فنُقِم عليه، وورد أنَّ الإمام أحمد أثْنَى على حالِ الحارث من وجه، وحذَّر منه.

[٦] قال سعيد بن عمرو البَرْذَعي: شهدتُ أبا زُرعة الرازي، وسُئل عن المحاسبي وكُتُبه، فقال: إياكَ وهذه الكُتُب، هذه كتبُ بِدَعٍ وضلالاتٍ، عليكَ بالأثرِ تجد غُنيةً، هل بلغكم أنَّ مالكاً والثوريَّ والأوزاعيَّ صنفوا في الخَطَرات والوساوس؟ ما

(١) انظر السير: ١٢/١١٠-١١٢.

أسرع الناسَ إلى البدع.

مات سنة ثلاث وأربعين ومئتين.

٥٠٩ بُندار (ع)(١)

[١]**محمد بن بشار بن عثمان، الإمام الحافظُ راويةُ الإسلام، أبو بكر العبديُّ البصريُّ بُنْدَار، لُقِّب بذلك، لأنه كان بُنْدَارَ الحديث في عصره ببلدِه، والبُنْدَار: الحافظ.**

وُلِدَ سنة سبعٍ وستين ومئة.

[٢]وجمع حديث البصرة، ولم يرحل، بَرّاً بأُمّه، ثم رحل بعدها.

[٣]قال عبدُ الله بن جعفر بن خاقان المروزي: سمعتُ بُنداراً يقول: أردتُ الخروجَ ـ يعني: الرحلة ـ فمنعتني أُمِّي، فأطعتُها، فبُورك لي فيه.

[٤]وقال ابنُ خُزَيمة: سمعتُ بُنداراً يقولُ: ما جلستُ مجلسي هذا حتى حفظتُ جميع ما خرَّجتُه.

[٥]قال اسحاق بن إبراهيم القَزَّاز: كنا عند بُنْدَار، فقال في حديثٍ عن عائشة: قال: قالت رسول الله ﷺ. فقال له رجلٌ يسخرُ منه: أُعيذُكَ بالله، ما أفصَحَكَ!! فقال: كُنَّا إذا خرجنا من عند رَوح دخلنا إلى أبي عبيدة، فقال: قد بان ذلك عليك.

مات سنة ثنتين وخمسين ومئتين.

٥١٠ أحمدُ بنُ صالح (خ، د)(٢)

[٦]**الإمامُ الكبيرُ، حافِظُ زمانِه بالديار المصرية، أبو جعفر المصريُّ المعروف بابن الطبريِّ.** وُلِدَ بمصر سنة سبعين ومئة.

[٧]ذكره النسائيُّ يوماً، فرماه، وأساء الثناء عليه.

---

(١) انظر السير: ١٢/١٤٤ـ ١٤٩.

(٢) انظر السير: ١٢/١٦٠ـ ١٧٧.

[١] قال ابنُ يونس: لم يكن عندنا بحمدِ الله كما قال النسائي ولم يكن له آفةٌ غير الكِبْرِ.

[٢] وقال عبدالكريم بنُ النسائي عن أبيه: أحمدُ بن صالح ليس بثقةٍ ولا مأمونٍ، تركه محمدُ بن يحيى، ورماه يحيى بن معين بالكذب.

[٣] قال ابن عدي: أحمدُ بن صالح من حُفَّاظ الحديث، وخاصةً لحديثِ الحجاز، ومن المشهورينَ بمعرِفته، وحدّث عنه البخاريُّ مع شدَّةِ استقصائه ومحمدُ بن يحيى، واعتمادهما عليه في كثيرٍ من حديث الحجاز، وحدَّث عنه مَن حدَّث من الثقاتِ، واعتمدوه حفظاً وإتقاناً. وكلام ابن مَعين فيه تحاملٌ. وأما سُوء ثَناء النَّسائي عليه، فسمعتُ محمدَ بن هارون بن حسان البَرقي يقولُ: هذا الخراسانيُّ يتكلَّم في أحمدَ بن صالح. وحضرتُ مجلسَ أحمدَ بن صالح، وطردهُ من مجلسه، فحمَلُه ذلك على أن تَكَلَّم فيه قال: وهذا أحمدُ بن حنبل قد أثنى عليه، فالقولُ ما قاله أحمدُ لا ما قاله غيره. ولولا أنِّي شرطتُ في كتابي هذا أن أذكُر فيه كُلَّ من تَكَلَّم فيه متكلمٌ لكنتُ أجِلُّ أحمد بن صالح أن أذكره.

[٤] قال الخطيب: بلغني أنَّ أحمدَ بن صالح كان لا يُحدِّثُ إلا ذا لحيَةٍ ولا يتركُ أمردَ يحضُر مجلسه. فلما حمل أبو داود السِّجستاني إليه ابنَه ليسمع منه ـ وكان إذ ذاك أمرَد أنكر أحمدُ بنُ صالح على أبي داود إحضاره. فقال له أبو داود: هو ـ وإنْ كان أمردَ ـ أحفظُ من أصحاب اللِّحى، فامتحِنْه بما أردتَ. فسأله عن أشياءَ أجابَه ابنُ أبي داود عن جميعها، فحدَّثه حينئذ ولم يُحدِّث أمردَ غيره.

[٥] وقال ابنُ عدي: سمعتُ عبدالله بن محمد بن سَلْم المقدِسيّ يقولُ: قدمتُ مصر فبدأت بحرملة، فكتبت عنه كتابَ عمرو بن الحارث، ويونس ابن يزيد والفوائد، ثم ذهبتُ إلى أحمد بن صالح فلم يُحدِّثني، فحملتُ كتاب يونس، فخرَّقْتُه بين يديه، ـ أُرضِيه بذلك وليتني لم أُخَرِّقْه ـ فلم يرض، ولم يُحدِّثني.

قلتُ: نعوذ بالله من هذه الأخلاق. صدق أبو سعيد بن يونس حيث يقولُ: لم يكن له آفة غير الكِبْرِ، فلو قُدِح في عدالته بذلك، فإنه إثمٌ كبير.

[١] مات أحمدُ بن صالح سنةَ ثمانٍ وأربعين ومئتين وقد كان أحمدُ بن صالح من جِلَّةِ المقرئين.

قال أبـو عمرو الداني: أخذ القراءة عَرْضاً وسماعاً عن ورش، وقالون وروى حروفَ عاصمٍ عن حَرَمِيٍّ بن عُمَارة.

[٢] قال أبو داود: سألتُ أحمدَ بن صالح عمن قال: القرآن كلامُ الله، ولا يقول: مخلوق، ولا غير مخلوق. فقال: هذا شاكٌ والشاكُّ كافرٌ.

قلت: بل هذا ساكتٌ. ومن سكتَ تورُّعاً لا يُنسَبُ إليه قولٌ، ومن سكت شاكّاً مُزرياً على السَّلف، فهذا مُبتِدع.

[٣] وقـال محمـدُ بن موسى المصري: سألتُ أحمدَ بن صالح، فقلتُ: إنَّ قوماً يقولون: إنَّ لفظَنَا بالقرآن غيرُ الملفوظ، فقال: لفظنا بالقرآن هو الملفوظُ، والحكايةُ هي المحكيُّ، وهو كلامُ اللهِ غيرُ مخلوق، من قال: لفظي به مخلوقٌ فهو كافر.

قلتُ: إن قال لفظي، وعنى به القرآن، فنَعَم، وإنْ قال لفظي وقَصَدَ به تلفُّظي وصـوتي وفعلي أنـه مخلوق، فهـذا مُصيبٌ، فالله تعـالى خالقُنا، وخالقُ أفعالِنا وأدواتِنا، ولكن الكَفُّ عن هذا هو السُّنَّة، ويكفي المرءَأن يُؤمن بأنَّ القرآن العظيم كلامُ الله ووَحْيه وتنزيله على قلب نبيِّه وأنه غير مخلوقٍ، ومعلومٌ عند كلِّ ذي ذهنٍ سليم أنَّ الجماعة إذا قرؤوا السورة، أنهم جميعَهم قرؤوا شيئاً واحداً، وأن أصواتَهم وقـراءاتِهم وحنـاجـرَهم أشياءُ مختلفةٌ، فالمقروءُ كلامُ ربِّهم، وقراءتُهم وتلَفُّظهم ونغماتهم مُتباينة، ومن لم يتصوَّر الفرقَ بينَ التلفُّظ وبين الملفوظ، فَدَعْهُ وأعرض عنه.

٥١١ محمد بن أسلم(١)

[٤] ابن سالم، الإمـامُ الحـافظ الـرَّبـانيُّ، شيخُ الإسـلام، أبو الحسن الكِنديُّ الخراساني الطوسي.

(١) انظر السير: ١٢/ ١٩٥ـ ٢٠٧.

مولده في حدود الثمانين ومئة.

[١] قال أبو عبدالله الحاكم: كان من الأبدالِ المُتتبّعين للآثار.

[٢] قال فيه محمدُ بن رافع: دخلتُ على محمد بن أسلم، فما شَبَّهْتُه إلا بأصحاب رسولِ الله ﷺ.

[٣] قال الحاكم: قام محمدُ بن أسلم مقامَ وكيعٍ، وأفضلَ من مَقامه لزُهده وورعه وتَتَبُّعِه للأثر.

[٤] قال محمدُ بن القاسم: وسمعتُ أبا يعقوب المَرْوزي ببغداد، وقلتُ له: قد صَحِبْتَ محمد بنَ أسلم، وأحمدَ بن حنبلٍ، أيُّهما كان أرجحَ وأكبَرَ وأبصَرَ بالدين؟ فقال يا أبا عبدالله: لِمَ تقولُ هذا؟ إذا ذكرتُ محمداً في أربعة أشياء، فلا تَقْرُن معه أحداً: البصر بالدين، واتِّباع الأثر، والزُّهد في الدنيا، وفصاحته بالقرآن والنحو، ثم قال لي: نظر أحمدُ في كتاب «الرد على الجهمية» لابنِ أسلم، فتعجَّب منه.

[٥] قال محمد بن القاسم: ودخلتُ على ابنِ أسلم قبل موته بأربعةِ أيامٍ بنيسابور، فقال: يا أبا عبدالله، تعال أُبَشِّرْكَ بما صنع الله بأخيكَ من الخير، قد نزل بِي الموتُ، وقد مَنَّ الله عليَّ أنَّه مالي درهمٌ يُحاسِبُني الله عليه، ثم قال: أغلق الباب ولا تأذن لأحدٍ حتى أموتَ وتدفنون كُتُبي. واعلمْ أني أخرجُ من الدنيا وليس أدعُ ميراثاً غير كسائي ولِبدي وإنائي الذي أتوضَّأ فيه وكتبي هذه، فلا تُكَلِّفوا الناس مُؤْنَة. وكان معه صُرَّةٌ فيها نحو ثلاثين درهماً، فقال: هذا لابني أهداهُ قريبٌ له، ولا أعلمُ شيئاً أحَلَّ لي منه، لأنَّ النبي ﷺ، قال: «أنتَ ومالُكَ لأبيكَ». وقال: «أطْيَبُ ما أكَلَ الرَّجُلُ من كَسْبِهِ، وإنَّ ولَدَهُ مِن كَسْبِه». فكفِّنوني منها. فإن أصبتُم لي بعشرةٍ ما يسترُ عورتي فلا تشتروا بخمسة عشَرَ وابسُطوا على جِنازَتي لِبدي، وغَطُّوا عليها كِسائي وأعطوا إنائي مسكيناً.

[٦] صحِبتُ محمدَ بنَ أسلم أكثر من عشرين سنةً لم أرهُ يُصَلِّي حيث أراه ركعتين من التطوع إلا يوم الجمعة. وسمعتُهُ كذا وكذا مرةً يحلف: لو قدرتُ أن أتطوَّع حيثُ لا يراني مَلَكَايَ لفعلت خوفاً من الرياء. وكان يدخُل بيتاً له، ويُغلِقُ بابه، ولم

أدرِ ما يَصنَعُ حتى سمعتُ ابناً له صغيراً يحكي بكاءه، فنهته أُمُّه، فقلتُ لها: ما هذا؟ قالت: إنَّ أباالحسن يدخُـلُ هذا البيت، فيقرأُ ويبكي، فيسمعُهُ الصبي، فيَحْكيه، وكان إذا أراد أن يخرج، غسل وجهه، واكتحل، فلا يُرى عليه أثرُ البكاء، وكان يَصِلُ قوماً ويكسوهم، ويقولُ للرسول: انظر أنْ لا يعلموا من بعثَه.

[١] ولا أعلَمُ منذ صحِبتُه وصَلَ أحداً بأقلَّ من مئةِ درهم إلا أن لا يُمْكنَه ذلك. وكان يقولُ لي: اشترِ لي شعيراً أسود، فإنَّه يصيرُ إلى الكَنِيف، ولا تشترِ لي إلا ما يكفيني يوماً بيوم، واشتريتُ له مرَّة شعيراً أبيضَ، ونَقَّيتُه، وطحَنتُهُ فرآه، فتغيَّر لونُه، وقال: إن كنتَ تَنَوَّقتَ فيه، فأطعِمه نفسَك، لعلَّ لكَ عند الله أعمالاً تحتمل أن تُطعِمَ نفسَك النَّقي، وأما أنا، فقد سِرْتُ في الأرض، ودرتُ فيها، فبالله ما رأيتُ نفساً تُصَلِّي أشرَّ عنـدي من نفسي فَبِمَ أَحتجُّ عند الله إن أطعمتُها النَّقيّ؟! خُذ هذا الطعام، واشترِ لي كل يومٍ بقطعة شعير رديئاً، واشترِ لي رَحى فجئني به حتى أطحَنَ بيدي وآكلَه، لعلي أبلغُ ما كان فيه عليٌّ وفاطمة رضي الله عنهما.

[٢] محمد بن العباس السلطي: سمعتُ ابن أسلم يُنْشِدُ:

إنَّ الطَّبيبَ بِطِبِّهِ ودَوائِهِ	لا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَ مَقْدُورٍ أتَى
ما لِلطَّبيبِ يَمُوتُ بالدَّاءِ الذي	قَدْ كانَ يُبْري مثله فيما مَضى
هَلَك المُداوي والمُداوَى والذي	جَلَبَ الدَّواءَ وبَاعَهُ ومَن اشْتَرى

مات محمد بن أسلم سنة اثنتين وأربعين ومئتين بينسابور.

[٣] الحـاكم: سمعتُ أبا النضر الفقيه، سمعتُ إبراهيم بن إسماعيل العَنْبري يقول: كنتُ بمصر، وأنا أكتبُ بالليل كُتُبَ ابنِ وهبٍ، وذلك لخمسٍ بقين من المحرَّم سنة اثنتين وأربعين، فهتف بي هاتف، يا إبراهيم مات العبدُ الصالح محمد بن أسلم، فتعجبت من ذلك، وكتبتُه على ظهرِ كتابي، فإذا به قد مات في تلك الساعة.

٥١٢ محمَّد بن منصور (د، س)(١)

[١] ابن داود الإمامُ الحافظُ القدوةُ شَيخُ الإسلام، أبو جعفر الطوسيُّ ثم البغداديُّ العابد.

[٢] قال أبو حفص بن شاهين: حدثنا أحمد بن محمد المؤذن، سمعتُ محمدَ بن منصور الطوسي، وحواليه قومٌ، فقالوا: يا أبا جعفر، أيش اليومَ عندك، قد شكَّ الناسُ فيه؟ أيومُ عَرَفَة هو أو غيرُه؟ فقال: اصبروا، فدخل البيت ثم خرج، فقال: هو يوم عرفة، فاستحيوا أن يقولوا له: من أين ذلك فعَدُّوا الأيام فكان كما قال. فسمعتُ أبا بكر بن سلام الورّاق يقول له: من أين علِمْتَ؟ قال: دخلت، فسألت ربي فأراني الناسَ في الموقف!

قلتُ: لا أعرفُ هذا المؤذن، ولم يبعُد وقوع هذا لمثلِ هذا الوليّ ولكن الشأنُ في ثبوت ذلك.

[٣] قال الحافظُ أبو سعيد النقاش في كتاب «طبقات الصوفية»: محمدُ بن منصورٍ الطوسي أستاذُ أبي سعيد الخَزَّازَ، وأبي العباس بن مسروق كتب الحديث الكثيرَ، ورواه.

قلتُ: متى رأيت الصوفيَّ مُكِبّاً على الحديث فثِقْ به، ومتى رأيتَه نائياً عن الحديث، فلا تفرح به، لا سيما إذا انضَاف إلى جهله بالحديث عكوفٌ على تُرّهات الصوفيَّة، ورمُوزِ الباطنية، نسألُ الله السلامة، كما قال ابن المبارك:

وَهَل أفسَدَ الدِّين إلا الملوكُ وأحبارُ سَوءٍ ورُهْبَانُها

[٤] وعن محمد بن منصور، أنه سُئل: إذا أكلتُ وشَبِعتُ فما شكرُ تلك النعمة؟ قال: أن تُصلِّي حتى لا يبقى في جوفِك منه شيء.

[٥] قال الحسينُ بن مُصعَب: حدثنا محمدُ بن منصور الطُّوسي، قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ في النَّوم، فقلت: مُرني بشيء حتى أَلْزَمَه قال: عليكَ باليقين.

[٦] وعنـه قال: يُعـرفُ الجاهِل بالغضب في غير شيء، وإفشاء السِّرِّ والثقةِ بكلِّ

(١) انظر السير: ١٢/٢١٢-٢١٤.

أحد، والعظةِ في غير موضِعِها.

مات رحمه الله سنةَ أربعٍ وخمسين ومئتين، وعاش ثمانياً وثمانين سنة.

٥١٣ محمد بن رافع (خ، م، د، س، ت)[1]

[١] **ابن أبي زيد، واسمه سابور، الإمامُ الحافظُ الحجةُ القدوةُ، بقيةُ الأعلام، أبو عبدالله القُشَيري مولاهم النيسابوري.**

وُلِـدَ سنة نيِّف وسبعين ومئة في أيام مالك الإمام. وسمع مالا يُوصف كَثرةً، وجمع، وصنَّف.

[٢] قال الحاكم: أخبرنا أبو عبدالله محمدُ بن يعقوب، سمعتُ أبا عمرو المستملي، سمعتُ محمد بن رافع يقول: كنتُ مع أحمد بن حنبل وإسحاق عند عبدالرزاق، فجاءنا يوم الفِطر، فخرجنا مع عبدِ الرزاق إلى المُصَلَّى، ومعنا ناسٌ كثير فلما رجَعنا من المُصلَّى، دعانا عبدالرزّاق إلى الغداء، فجعلنا نتغدّى معه، فقال لأحمد وإسحاق: رأيتُ اليومَ منكما شيئاً عجيباً، لَم تُكَبِّرا!! قالا: يا أبا بكر، نحنُ ننظر إليك هل تُكبّر، فلمّا رأيناكَ لم تكبر أمسكنا. قال: وأنا كنتُ أنظر إليكما هل تكبِّران فأُكبِّر.

[٣] قال جعفر بن أحمد بن نصر الحافظ: ما رأيتُ من المُحدِّثين أهْيَبَ من محمد ابن رافع، كان يستندُ إلى الشجرة الصنوبر في داره، فيجلسُ العلماءُ بين يديه على مراتبهم، وأولادُ الطاهرية ومعهم الخدم، كأَنَ على رؤوسهم الطير. فيأخذُ الكتابَ ويقرأُ بنفسه ولا ينطِقُ أحد، ولا يتبسَّمُ إجلالاً له، وإذا تبسم واحد أو راطنَ صاحبه، قال: وصلى الله على محمد ويأخذ الكتابَ، فلا يقدِرُ أحدٌ يُراجِعُه أو يشير بيده. ولقد تبسَّم خادمٌ من خدم الطاهرية يوماً، فقطع ابنُ رافعٍ مجلسَه، فانتهى الخبرُ بذلك إلى طاهر بن عبدالله، فأمر بقتل الخادم، حتى احْتَلْنا لخَلاصِه.

[٤] قال زكريا بن دَلُّويه: بعثَ طاهرُ بن عبدالله إلى ابنِ رافعٍ بخمسةِ آلاف درهم

---

(١) انظر السير: ١٢/٢١٤ـ ٢٢١.

مع رسول، فدخلَ عليه بعد العصر، وهو يأكلُ الخبزَ مع الفجلِ فوضع الكِيسَ، فقال: بعثَ الأميرُ إليكَ بهذا المالِ. فقال: خُذْ خُذ لا أحتاجُ إليه، فإنَّ الشمس قد بلغت رأسَ الحيطان إنما تَغربُ بعد ساعة وقد جاوزتُ الثمانين إلى متى أعيش؟ فردَّ[1].

قال: فدخل ابنُه، وقال: يا أبة، ليس لنا الليلة خبزٌ. قال: فبعث ببعض أصحابِه خلفَ الرسولِ ليرُدَّ المالَ إلى طاهر فَزَعاً من ابنه أن يذهبَ خلفه، فيأخذَ المال.

[١] محمد بن رافع، سمعتُ عبد الرزاق، سمعتُ مَعمَراً يقول: رأيتُ باليمن عنقودَ عنب وِقْرَ[2] بغلٍ تام.

مات محمدُ بن رافع سنةَ خمسٍ وأربعين ومئتين.

[٢] محمد بن نُعيم يقول: رأيتُ محمدَ بن رافع في المنام بعد موته بثلاثٍ في حَجْره مُصْحَف يقرأ، فقلتُ له: أليس قد مُتَّ؟ فنظر إليَّ نظرةً منكرَة. فقلتُ: سألتُك بالله إلا ما حدَّثتني، ما فَعل بكَ ربُّك؟ قال: بشَّرني بالرَّوحِ والراحة.

٥١٤ الدَّارِمِيُّ (م، د، ت)[3]

[٣] **عبدُ الله بن عبدالرحمن بن الفضل، الحافظُ الإمامُ، أحدُ الأعلام.**

وقال إسحاقُ بن داود السمرقنديُّ: قَدِمَ قريبٌ لي من الشام، فقال: أتيتُ أحمدَ ابن حنبل، فجعلتُ أصِفُ له أبا المنذر، وجعلتُ أمدحُه، فقال: لا أعرفُ هذا، فقد طالت غيبةُ إخواننا عنا، لكن أينَ أنتَ عن عبدالله بن عبدِ الرحمن؟ عليكَ بذاك السَّيِّدِ، عليك بذاك السَّيِّد.

وقال أبو بكر الخطيب: كان أحدَ الرحّالين في الحديث، والموصوفين بحفظه وجمعِهِ والإتقان له، مع الثقةِ والصدقِ، والورعِ والزهدِ، واستُقضِي على سمرقند،

(١) أي رجع.

(٢) بكسر الواو، وسكون القاف: الحِمْلُ الثقيل.

(٣) انظر السير: ١٢/٢٢٤-٢٣٢.

فأبَى، فألَحَّ السلطانُ عليه حتى يُقَلِّدَه، وقضى قضيةً واحدة ثم استَعْفى، فأعفي، وكـان على غاية العقـل، ونهـاية الفَضـل، يُضرب به المَثَلُ في الدِّيانَةِ والحِلمِ والرّزانة، والاجتهادِ، والعبادة، والزهادةِ والتقلُّل. وصنَّف «المُسند» و«التفسير» و«الجامع».

قال إسحاقُ بن إبراهيم الورَّاق: سمعتُ عبدَ الله بن عبدالرحمن يقولُ: ولدتُ في سنةِ ماتَ ابنُ المبارك، سنةَ إحدى وثمانين ومئة.

مات في سنة خمسٍ وخمسين ومئتين. وهو ابنُ خمسٍ وسبعين سنة.

[١] قال إسحاقُ بن أحمد بن خلف: كنا عند محمد بن اسماعيل البخاري فورد عليه كتـابُ فيه نَعِيُّ عبدِ الله بن عبدالرحمن، فَنكَّس رأسَه، ثم رفع واسترجع، وجعل تسيلُ دموعُه على خَدَّيهِ، ثم أنشأ يقولُ:

إن تَبْقَ تُفْجَعْ بالأحِبَّةِ كُلِّهِمْ　　　وفَنَاءُ نَفْسِكَ لا أبا لَكَ أفْجَعُ

[٢] ومن حديثـه: عبـدُالله الـدارمي، حدثنا يحيى بن حسان، حدثنا سليمانُ بن بلال، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، عن النبيِّ ﷺ، قال: «نِعْمَ الإدامُ الخَلُّ».

هذا حديثٌ صحيح غريب فردٌ على شرط الشيخين، وانفرد مسلم به ورواه أيضاً أبو عيسى في «جامعه» كلاهما عن أبي محمد الدارمي.

وقد كان الدارمِيُّ يُقصد في رواية هذا الحديث لتفرُّده به، قال: فكان يُدق عليَّ البابُ وأنا ببغدَاد، فأقول: مَنْ ذا؟ فيُقال: يحيى بن حسان: «نِعْمَ الإدَامُ الخَلُّ».

٥١٥ المازِنيُّ(١)

[٣] إمـامُ العـربيـة، أبـو عثمـان، بكـرُ بن محمد بن عدي، البصريُّ، صاحب «التصريف» والتصانيف.

[٤] قال المُبَرِّد: لم يكن أحدٌ بعد سيبويه أعلمَ بالنحوِ من المازني، قال: وذكر لنا

(١) انظر السير: ١٢/ ٢٧٠-٢٧٢.

المازنيُّ أنَّ رجلاً قرأ عليه «كتاب» سيبويه في مدة طويلة فلما بلغ آخره قال: أما إني ما فهمتُ منه حرفاً، وأما أنت فجزاك الله خيراً.

وقال المازنيُّ: قرأتُ القرآن على يعقوب، فلما ختمتُ رَمَى إليَّ بخاتمه، وقال: خُذه، ليس لكَ مِثْلٌ.

[١] وقيل: كان المازنيُّ ذا ورع ودينٍ، وبلَغَنا أنَّ يهوديّاً حصَّل النحوَ فجاء ليقرأ على المازني «كتاب» سيبويه، فبذل له مئة دينار، فامتنع وقال: هذا الكتابُ يشتمل على ثلاث مئة آيةٍ ونيِّف، فلا أُمكِّن منهما ذمِّياً.

قال القاضي بكّار بن قتيبة: ما رأيتُ نَحْوياً يُشبِهُ الفُقهاء، إلاَّ حَبَّان بن هلال والمازني.

[٢] وعن المازنيِّ قال: قلتُ لابن السِّكِّيت: ماوزن «نَكْتَل» قال: «نفعل». قلتُ: اتَّئِد، ففكَّر، وقال: «نفتَعِل» قلتُ: فهذه خمسةُ أحرف ـ فسكت فقال المُتوكِّل: ما وزنُها؟ قلت: وزنها في الأصل «نَفْتَعِل»، لأنها «نَكْتَيِل» فتحرك حرفُ العلَّة، وانفتح ما قبله فقُلب ألفاً، فصار نكتال، فحذفت ألِفُه للجزم، فبقي «نكتل».

مات المازنيُّ سنة سبع أو ثمان وأربعين ومئتين.

٥١٦ الذُّهْليُّ وابنُه (خ، ٤)[١]

[١] **محمـدُ بن يحيى بن عبدالله، الإمامُ العلاَّمةُ الحافظ البارع، شيخُ الإسلام، وعالم أهل المشرق، وإمامُ أهلِ الحديث بخراسان، أبو عبدالله الذُّهليُّ مولاهم، النيسابوريُّ.**

مولده سنة بضع وسبعين ومئة.

جَمَعَ علمَ الزُّهريّ، وصنَّفه، وجوَّده، من أجل ذلك يُقال له: الزُّهري ويقال له: الذُّهلي. وانتهت إليه رئاسةُ العلمِ والعظمة، والسُّؤْدُد ببلده، كانت له جَلالةٌ عجيبةٌ بنيسابور، من نوع جلالةِ الإمام أحمد ببغداد، ومالك بالمدينة.

[٢]روى عنه خلائق، منهم محمد بن إسماعيل البخاريُّ، ويُدَلِّسُه كثيراً، لا يقول: محمد بن يحيى، بل يقول: محمد فقط، أو محمد بن خالد أو محمد بن عبدالله يَنسبه إلى الجَدِّ، ويُعمِّي اسمه لمكانِ الواقع بينهما، غفر الله لهما.

وأكثر عنه مسلم، ثم فسد ما بينهما، فامتنع من الرواية عنه فما ضَرَّه ذلك عند الله.

قال ابن أبي حاتم: كتب عنه أبي بالرَّيّ، وقال: ثقة. ثم قال عبدُ الرحمن: هو إمامٌ من أئمة المسلمين.

وكان أحمدُ بن حنبل يُثني عليه، وينشُرُ فَضله.

[٣]وقال محمدُ بن صالح بن هانىء: سمعتُ محمدَ بن النضر الجَارُودي يقول: بلغني أنَّ محمد بن يحيى كان يكتُب في مجلسِ يحيى بن يحيى، فنظر عليُّ بن سلمة اللَّبَقِيُّ إلى حُسن خَطِّه وتَقييده، فقال: يا بُني، ألا أنصحُك؟ إنَّ أبا زكريا يُحدثك عن سُفيان بن عُيَينَة وهو حيٌّ، وعن وكيع وهو حيٌّ بالكوفة وعن يحيى بن سعيد وجماعةٍ أحياء بالبصرة، وعن عبدالرحمن بن مهدي وهو حيٌّ بأصبهان،

---

(١) انظر السير: ١٢/٢٧٣ـ ٢٨٥.

فاخرجْ في طلب العلم، ولا تُضيِّعْ أيامَكَ. فعمل فيه قولُه فخرج إلى أصبَهان فسمع من عبدالرحمن بن مَهدي، والحُسين بن حَفص ثم دخل البصرة وقد مات يحيى، فكتب عن أبي داود وأقرانه، وأكثر بها المُقام، حتى مات سُفيان بن عُيَيْنة.

قلت: ما كان يُمْكِنُه لُقِيِّه، فإنَّ سفيان مات في وسط السَّنَةِ ولا كان يُمكِنُه المسيرُ إلى مكة إلا مع الوفد، وأما وكيع فمات قبل أن يتحرَّك الذهليُّ من بلده.

قال: فخرج إلى اليمنِ، وأكثر عن عبدالرزَّاق وأقرانه، ثم رجعَ وحجَّ، وذهب إلى مصر ثم الشام. وبارك الله له في علمه حتى صار إمامَ عصره.

[١] قال أبو عمرو أحمدُ بن نصر الخَفَّاف: رأيتُ محمد بن يحيى بعد وفاته، فقلتُ: ما فعل الله بك؟ قال: غَفر لي، قلتُ فما فعل بحديثك؟ قال: كُتب بماء الذهب، ورُفع في عِلِّيِّين.

[٢] قال أبو العباس الأزهري: سمعت خادمةَ محمد بن يحيى، وهو على السرير يُغَسَّل، تقول: خَدَمته ثلاثين سنة، وكنت أضع له الماء، فما رأيت ساقه قط، وأنا مِلكٌ له.

[٣] قال الحاكم: سمعتُ أبا علي محمد بن أحمد بن زيد المُعَدِّل يقول: سمعتُ يحيى بن الذهلي يقول: دخلتُ على أبي في الصيف الصائف وقتَ القائلة وهو في بيت كتبه، وبين يديه السِّراجُ، وهو يُصَنِّف، فقلتُ: يا أبةِ هذا وقتُ الصلاة، ودُخانُ هذا السراج بالنهار، فلو نَفَّسْتَ عن نفسك قال: يا بُني، تقولُ لي هذا، وأنا مع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين!!

[٤] وقال الحسينُ بن محمد الفقيه: سمعت محمد بن يحيى يقولُ: تقدَّم رجلٌ إلى عالمٍ، فقال: علِّمني وأوجِزْ، قال: لأوجِزَنَّ لك، أمَّا لِآخرَتك: فإنَّ الله أوحى إلى نبيٍّ من أنبيائه: قُل لقومِكَ: لو كانت المعصيةُ في بيتٍ من بيوت السنة لأوصلتْ إليه الخراب، وأما لدنياك: فإنَّ الشاعر يقول:

[٥] ما النَّاسُ إلَّا مَعَ الدُّنيا وصَاحبها ... وَكَيْفَ ما انقلَبتْ يوماً بِهِ انْقَلَبُوا
يُعَظِّمُونَ أخا الدُّنيا فَإِنْ وَثَبَتْ ... يوماً عَلَيْه بما لا يَشْتَهِي وَثَبُوا

وقال إمام الأئمة ابن خزيمة: حدثنا محمد بن يحيى الذُّهليُّ إمامُ عصره، أسكَنَه الله جَنَّته مع مُحِبِّيه.

مات في سنة ثمان وخمسين ومئتين، عاش ستاً وثمانين سنة.

وخَلَفَهُ في مشيخة البلد ولده حَيكان، واسمه:

٥١٧ يَحْيى بن مُحَمَّد بن يَحْيى الذُّهْليّ (ق)[١]

[١] **الحافظُ المجوِّد الشهيد، أبو زكريا.**

قال الحاكم: هو إمامُ نيسابور في الفتوى والرئاسة، وابنُ إمامها، أميرُ المُطَّوِّعة بخراسان بلا مُدافَعة، يعني: الغُزاةِ. قال: وكان يسكن دارَ أبيه، ولكلٍّ منهما صومعةٌ وآثار لعبادتهما، والسِّكَّةُ والمسجدُ منسوبانِ إلى حَيكان.

[٢] قتله أحمد بن عبدالله الخُجُسْتَاني ظلماً سنةَ سبعٍ وستين ومئتين، لكونه قامَ عليه، وحارَبَه لاعتدائه وعَسْفِه.

قال الحاكم: سمعتُ أبا بكر أحمدَ بن إسحاق، سمعتُ نوحَ بن أحمد سمعتُ أحمد بن عبدالله الخُجُستَاني يقول: دخلتُ على حَيكان في مَحبِسه الذي كنتُ حبستهُ فيه على أن أضربه خشبان، وأُخليَ سَبيلَه، وماكنتُ عازماً على قتله، فلما قربتُ منه، مددتُ يدي إلى لحيته، فقبضْتُ عليها فقبضَ على خَصْيَيَّ، حتى لم أشكَّ أنه قاتلي، فَذَكَرْتُ سكِّيناً في خُفِّي، فجَرَّدْتُ السِّكِّين، وشققتُ بطنه.

[٣] سمعتُ أبا الفضل الحسنَ بن يعقوب العدل، سمعت أبا عمر المستملي يقول: رأيت يحيى بن محمد رضي الله عنه في المنام، فقلت: ما فعل الله بك، قال: غفر لي. قلت: فما فعل الخُجُستَاني؟ قال: هو في تابوت من نار، والمفتاح بيدي.

[٤] وقال أبو إسحاق المُزَكِّي: حدثني أبو علي الحسنُ بن محمد وغيرُه أنَّ محمدَ ابن يحيى الذهلي وابنَه يحيى اختلفا في مسألة فقال أحدهما للآخر: اجعلْ بيننا

(١) انظر السير: ١٢/ ٢٨٥- ٢٩٤.

حكماً، فرَضِيا بابنِ خُزيمة، فقضى ليحيى على أبيه.

[١] وقال أبو العباس السَّرّاج: كان يحيى بن محمد أخرجه الغزاة وجماعة من أصحاب الحديث وأصحاب الرأي، وأركبوه دابة، وألبسوهُ سيفاً. قال المُزَكِّي: بلغني أنَّه كان سيفَ خشب ـ وقاتلوا سلطان نيسابور، يقال له أحمد بن عبدالله، خارجيٌّ، غَلَبَ على البلد، وكان ظالماً غاشماً وكان الناسُ أو أكثرهم مجتمعين عليه مع يحيى، فكانت الدَّبَرة على العامة وهرب يحيى إلى رُستاق، يقال له: بُست فدُل عليه أحمد بن عبدالله وجيء به، فقال: إن عامة من كان مع يحيى من الرؤساء، انقلبوا عليه لمّا واقفه أحمدُ، وقال: ألم أُحسِن إليك؟ ألم أفعل، ألم أفعل؟ وكان يحيى فوقَ جميعِ أهل البلد. فقال: أُكرهتُ على ذلك واجتمعوا عليَّ، قال: فردَّ عليه الجماعةُ، أو من حضر منهم، وقالوا: ليس كما قال. فأخذه أحمدُ فقتله، يقال: إنَّه بنى عليه. قال: وقال إنه أمر بجرِّ خُصيَيْه حتى مات.

قال الحاكم: سمعتُ أبا عبدالله بن الأخرم يقول: ما رأيتُ مثل حَيكان، لارحم الله قاتله.

٥١٨ حجاج بن يوسف (م، د)(١)

[٢] ابنِ حجاج، أبو محمد بنُ الشاعر أبي يعقوب الثقفي البغدادي الحافظ فأما أبوه فَلَقَبُه لِقْوة، من تلامذةِ أبي نُواس وأصحابه.

نشأ حجَّاج ببغداد، وطلب العلم.

قال ابنُ أبي حاتم: ثقةٌ حافظ.

[٣] قال صالح جَزَرَة: سمعتُ حجَّاج بن الشاعر يقولُ: جَمَعتْ لي أُمِّي مئةَ رغيف، فجعلتها في جِرابٍ، وانحدرتُ إلى شَبابة بالمدائن، فأقمت ببابه مئةَ يوم، أغمِسُ الرغيف في دِجلة وآكُلُه، فلما نفدت خرجْتُ.

توفي سنة تسعٍ وخمسين.

---

(١) انظر السير: ١٢/٣٠١ـ٣٠٢.

٥١٩ المَرَّارُ بنُ حَمُّويَه (ق) (١)

[١] ابنِ منصور، الإمامُ الفقيه الحافظُ، شيخُ هَمَذَانَ، أبو أحمد الثقفي الهَمَذاني.

وُلِدَ بعد التسعين ومئة.

فضلانُ بن صالح قال: قلتُ لأبي زُرعَةَ الرازي: أنتَ أحفظُ أم المرَّار؟ فقال: أنا أحفظ، وهو أفقه.

[٢] وقال عبدالله أحمد بن الدُّحَيمي: سمعت المرَّار يقولُ: اللهمَّ ارزقني الشهادة، وأمرَّ يده على حَلْقِهِ. وقيل: لما وقعت فتنة المعتزِّ والمستعين كان على هَمَذان الأميران جَبَّاخ وجُعْلان من قِبَل المعتز، فاستشار أهلُ هَمذان المرَّار والجرجانيَّ في محاربتهما، فأمراهم بلزوم منازلهم، فلما أغار أصحابُهما على دار سَلَمَة بن سهل وغيرها، ورَمَوا رجلاً بسهم، أفتياهم في الحرب، وتقلَّد المرَّار سيفاً، فخرج معهم، فقُتل عددٌ كثيرٌ من الفريقين، ثم طلب مُفلح المرَّاز، فاعتصم بأهل قُمّ، وهرب معه إبراهيم بن مسعود المحدِّث. فأما إبراهيم فهازلهم وقاربهم فسَلِم، وأمّا المرَّارُ، فأظهر مخالفتهم في التشيُّع، وكاشفهم، فأوقعوا به وقتلوه، رحمه الله.

وروى الحسين بن صالح أنَّ عمَّه المرّار قُتِلَ في سنةِ أربع وخمسين ومئتين. وله أربع وخمسون سنة. قال صالح بن أحمد التميمي قُتل المرَّار في السُّنَّة شهيداً.

قلت: كان من أئمة الإسلام.

٥٢٠ الزُّبير بن بَكَّار (ق) (٢)

[٣] العلامةُ الحافظ النَّسَّابة، قاضي مكة وعالمها، أبو عبدالله بن أبي بكر بكّار بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوّام القرشيُّ الأسديُّ الزبيريُّ المدنيُّ المكيُّ.

مولده في سنة اثنتين وسبعين ومئة.

(١) انظر السير: ١٢/٣٠٨-٣١١.

(٢) انظر السير: ١٢/٣١١-٣١٥.

وهو مُصنِّف كتاب «نسب قريش»، وهو كتابٌ كبيرٌ نفيس.

وقال الدارقطني: ثقةٌ.

روى محمدُ بن عبدالملك التاريخي، قال: أنشدني ابنُ أبي طاهر لنفسه في الزُّبير بن بَكار:

[١] ما قال «لا» إلاَّ في تَشَهُّدِهِ ولا جَرَىٰ لَفْظُه إلاَّ على «نَعَمِ»

بَيْنَ الحَوارِيِّ والصِّدِّيقِ نِسبَتُهُ وقَدَ جَرَىٰ ورَسُول الله في رَحِم

[٢] الزبيرُ بن بكَّار، قال: قالت بنتُ أختي لأهلنا: خالي خيرُ رجلٍ لأهلِه، لا يتَّخِذُ ضَرَّةً وسُرِّيَّةً، قال: تقول المرأةُ: واللهِ هذه الكتبُ أشَدُّ عَليَّ من ثلاثِ ضرائر.

[٣] قال محمدُ بن إسحاق الصَّيرفيّ: سألتُ الزبير: مُنذ كَم زَوجَتُكَ معك؟ قال: لا تسألني، ليس ترد القيامَةَ أكثَرُ كِباشاً منها، ضحَّيتُ عنها سبعين كَبْشاً.

[٤] وقال أحمدُ بن علي السليماني الحافظ: منكر الحديث. كذا قال ولا يَدرِي ما ينطق به.

تُوفي الزبيرُ سنة ست وخمسين ومئتين بمكة. وقد بلغ أربعاً وثمانين سنة.

[٥] وكـان سببُ وفـاتـه أنَّه وقع من فوق سطحه، فمكث يومين لا يتكلَّم ومات، انكسرت تَرقُوَتُه وَوَرِكُه.

٥٢١ عبدُ الله بن مُنِير (خ، ت، س)(١)

[٦] **الإمامُ القدوةُ الوَلِيُّ الحافظُ الحجة، أبو عبدالرحمن المروزيُّ.**

وقال الفِرَبْرِيُّ: سمعت بعض أصحابنا يقول: سمعتُ البخاريَّ يقولُ: لم أر مثلَ عبدِ الله بن منير.

قال الفِرَبْرِيُّ: كان يَسكُنُ فِرَبْر، وبها توفي سنة إحدى وأربعين ومئتين.

[٧] قال يعقوب بن إسحاق بن محمود: سمعتُ يحيى بن بدر القرشي يقولُ: كان عبدُ الله بن منير قبلَ الصلاة، يكون بفِرَبر، فإذا كان وقتُ الصلاة يرونه في مسجد

(١) انظر السير: ١٢/٣١٦-٣١٧.

آمل، فكانوا يقولون: إنَّه يمشي على الماء. فقيلَ له في ذلك، فقال: أما المشيُ على الماء فلا أدري، ولكن إذا أراد الله جمعَ حافَّتي النهر، حتى يَعْبُرَ الإنسانُ.

[١] قال: وكان إذا قامَ من المجلس خرجَ إلى البَرِّية مع قومٍ من أصحابه، يجمع شيئاً مثل الأُشنان وغيره، يبيُعه في السوق، ويعيشُ منه. فخرج يوماً مع أصحابه، فإذا هو بالأسدِ رابضٌ فقال لأصحابه: قِفُوا. وتقدَّم هو إلى الأسدِ، فلا ندري ما قال له فقام الأسدُ، فذهب.

[٢] وسُئل ابنُ راهَويه: أيدخُل الرجلُ المفازة بغير زادٍ؟ قال: إن كان مثلَ عبدالله بن منير، فَنَعَمْ.

وقيل: كان ابنُ منير يُعَدُّ من الأبدال.

٥٢٢ أحمدُ بن اسرائيل(١)

[٣] ابن الحسين الأنباريُّ الكاتب، وزيرُ المعتز.

كان ذا مكانةٍ عند المعتز، فاستوزره سنة اثنتين وخمسين، فنهض بأعباءِ الأمر، وكان يُضربُ بذكائه المثلُ، لا يسمع شيئاً إلا حَفِظَهُ. وكان إليه المُنتهى في حساب الديوان.

[٤] وعنه قال: كنتُ أنسخ الكتاب، فلا أفرَغُهُ حتى أحفَظَه حرفاً حرفاً، فعلتُ ذلك مرّاتٍ كثيرةً.

وقد أحدَثَ رسوماً وقواعدَ في الكتابة بقيت بعده، وتُرِكَ ما قبلها.

[٥] قال الصُّولي: كانت وزارتُهُ دون ثلاث سنين، وقتله وصيفٌ بالضربِ في رمضان سنة خمس وخمسين ومئتين.

٥٢٣ يعقوب بن إسحاق(٢)

[٦] ابن الصَّبّاح، الكِنديُّ الأشعثي الفيلسوف، صاحب الكُتب، من ولد الأشعث ابن قيس، أميرِ العرب.

(١) انظر السير: ١٢/٣٣٢-٣٣٣.

(٢) انظر السير: ١٢/٣٣٧.

[١] كان رأساً في حكمة الأوائل ومنطق اليونان والهيئة والتنجيم والطب وغير ذلك، لا يُلحقُ شأوُه في ذلك العلمِ المتروكِ، وله باع أطول في الهندسة والموسيقى.

كان يُقال له: فيلسوفُ العرب، وكان مُتَّهماً في دينه، بخيلاً ساقط المروءة، وله نَظْمٌ جيِّدٌ وبلاغةٌ وتلامذة. هَمّ بأن يعمل شيئاً مِثلَ القرآن، فبعد أيامٍ أذعَنَ بالعجز.

[٢] قال عبدالرحمن بن يحيى بن خاقان: رأيتُه في النوم، فقلتُ: ما فعل الله بك؟ قال: ما هو إلا أن رآني، فقال ﴿انْطَلِقُوا إلى ما كُنْتُم بِهِ تُكَذِّبون﴾ [المرسلات ٢٩].

٥٢٤ عبدُ الرحمنِ بنُ بِشر (خ، م، د، ق)(١)

[٣] **ابنِ الحكم المحـدِّثُ الحافظُ الجواد الثقةُ الإمام، أبو محمد بن الإمام أبي عبدالرحمن العَبديُّ النيسابوريُّ.** مولده بعد الثمانين ومئة.

[٤] واعتنى به أبوه، وارتحل به، ولقي الكبارَ، وطال عمرُه، وتفرّد.

[٥] وكان ابنُ بشرٍ موصوفاً بطيب الصوت. قال مَكيُّ بن عَبْدان: كان عبدُ الله بنُ طاهر الأمير يحضرُ بالليلِ متنكِّراً إلى مسجد عبدالرحمن ليسمع قراءته.

قال عبدالرحمن بن بشر: أقامَنِي يحيى القطّان في مجلسه، فقال: ما حَدَّثَكُم عني هذا الصبي فصَدِّقوه، فإنه كَيِّسٌ.

قال أبو حامد بن الشَّرقي: سمعتُ عبدالرحمن يقول: احتلمتُ فدعا أبي عبدَ الرزاق وأصحابَ الحديث الغرباء فلما فرغوا من الطعام قال: اشهدوا أن ابني قد احتلم وهو ذا يسمع من عبدالرزاق، وقد سمع من سُفيان بن عُيينة.

قلت: هذا الإعلام إيلام للصبي، وتخجيلٌ له.

[٦] الحاكم: حدثنا محمدُ بن صالح بن هانيء، سمعتُ أحمد بن سَلَمة يقولُ: بكَّرت يوماً على عبدالرحمن بن بشر في تزويج أُختِ امرأةِ مسلمِ بن الحجاج، فرأيتُه في المسجد، فقال: ما بكّر بك اليوم؟ قلتُ: عبدُالواحد الصفّار سألني أن

(١) انظر السير: ١٢/ ٣٤٠-٣٤٤.

أجيئك لتُزَوِّج ابنتَه. فقال: ما حضرتُ تزويجاً قط إذا كان في وَقتِ قولهم للخاطبِ: قبلتَ هذا النكاحَ ولها من المهر عليك كذا وكذا. فإذا قال: نعم، قلتُ في نفسي: شقيتَ شقاء لا تسعدُ بعده أبداً.

[١]قال محمودُ بن والان: سمعتُ عبدالرحمن بن بشر، سمعتُ ابن عُيينة يقول: غَضَبُ اللهِ داءٌ لا دواءَ له.

قلت: دواؤه كثرةُ الاستغفار بالأسحار، والتوبةُ النَّصوح.

مات عبدُ الرحمن بن بشر سنةَ ستِّين ومئتين.

٥٢٥ زُهَير بنُ محمَّد بنِ قُمَير (ق)[1]

[٢]**الإمامُ الرَّبانيُّ المحدث الثَّبتُ، أبو محمد، المروزي، نزيل بغداد.**

[٣]وقال الخطيبُ: كان ثقةً صادقاً ورعاً زاهداً، انتقل في آخر عمره من بغداد إلى طرَسُوس، فرابطَ بها إلى أن مات.

[٤] قال البغويُّ: ما رأيتُ بعدَ أحمدَ بنِ حنبلٍ أفضلَ منه، سمعتُه يقولُ: أشتهي لحماً من أربعين سنةً، ولا آكله حتى أدخل الرومَ، فآكُلُ من مغانم الروم.

[٥]وحدثني ولده محمد بن زهير، قال: كان أبي يَجمعُنا في وقت خَتمِهِ للقرآن في شهر رمضان في كلِّ يومٍ وليلة ثلاثَ مرات يختمُ تسعين ختمةً في رمضان.

مات رحمه الله في آخر سنةِ سبعٍ وخمسين ومئتين.

قلتُ: ماتَ عن بضعٍ وسبعين سنة.

يا حَبَّذَا مَروُ وما أخرجتْ   من سادَةٍ في العِلمِ والدِّينِ

٥٢٦ أحمدُ بن الأزهر (س، ق)[2]

[٦]**ابنِ مَنيع الإمامُ الحافظُ الثَّبْتُ، أبو الأزهر، العَبديُّ النيسابوريُّ، محدِّثُ خراسان في زمانه.**

---

(١) انظر السير: ١٢/٣٦٠-٣٦٢.   (٢) انظر السير: ١٢/٣٦٣-٣٦٩.

وُلد بعد السبعين ومئة.

[١] قال الحاكم: حدثنا أبو عليٍّ محمد بن عليِّ بن عمر المُذَكِّر، حدثنا أحمد بن الأزهر، حدثنا عبدالرزّاق، أخبرنا مَعمرٌ، عن الزُّهريّ، عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة، عن ابن عباس، قال «نظر رسول الله ﷺ إلى عليّ بن أبي طالب، فقال: أنتَ سيِّدٌ في الدنيا، سيِّدٌ في الآخرة، حَبِيبُك حَبِيبي، وعَدُوّك عدُوِّي، وعَدُوِّي عَدُوُّ الله. فالويل لمن أَبغَضَكَ بَعْدي».

قال الحاكم: حدَّث به ابُن الأزهر ببغداد في حياة أحمد وابن المديني وابن مَعِين، فأنكره مَن أنكره، حتى تبيَّن للجماعة أنَّ أبا الأزهر بريء الساحةِ منه، فإنَّ مَحلَّه مَحَلُّ الصادقين.

لما حدَّثَ أبو الأزهر بحديثِه عن عبدالرزاق في الفضائل، أُخبِر يحيى بن مَعِين بذلك، فبينا هو عند يحيى في جماعةِ أهل الحديث، إذ قال يحيى: من هذا الكذّاب النيسابوريُّ الذي حدَّث بهذا عن عبدالرزاق؟ فقام أبو الأزهر، فقال: هو ذا أنا. فتبسَّم يحيى بنُ مَعِين، وقال: أما إنَّكَ لستَ بكذّاب، وتعجَّب من سلامته، وقال: الذنبُ لغيرك فيه.

وسمعتُ أبا أحمد الحافظ يقولُ: سمعتُ أبا حامد بن الشرقي، وسُئِل عن حديثِ أبي الأزهر عن عبدالرزاق في فضل علِيٍّ، فقال: هذا حديثٌ باطل ثم قال: والسببُ فيه أن معْمَراً كان له ابنُ أخٍ رافضيٌ، وكان مَعمَرُ يُمَكِّنُه من كُتُبه، فأَدخلَ هذا عليه. وكان مَعْمَرُ رجلاً مَهِيباً لا يقدِر عليه أحدٌ في السؤال والمراجعة، فسمعه عبدُ الرزّاق في كتاب ابنِ أخي معمر.

قلتُ: ولتَشَيُّعِ عبدِ الرزَّاق سُرَّ بالحديثِ، وكتَبَه، وما راجع مَعْمَراً فيه، ولكنه ما جَسَر أن يُحَدِّث به لمثل أحمدَ وابنِ مَعِين وعليٍّ، بل ولا خَرَّجه في تصانيفه. وحدَّث به وهو خائفٌ يترقَّبُ.

قال الحاكم: سمعتُ محمدَ بن حامد البَزَّاز، سمعتُ مكيَّ بن عَبدان سمعتُ أبا الأزهر يقول: خرج عبدُ الرزّاق إلى قريته، فبكَّرتُ إليه يوماً حتى خَشِيتُ على

نفسي من البُكـور. قال: فوصلتُ إليه قبل أن يخرج لصلاةِ الصبح، فلما خرج رآني، فقال: كُنتَ البارحةَ ها هنا؟ قلتُ: لا، ولكني خرجتُ في الليل، فأعجبه ذلك، فلما فرغ من صلاةِ الصُّبح دعاني، وقرأ عليَّ هذا الحديث، وخصَّني به دون أصحابي.

مات أبو الأزهر سنةَ ثلاثٍ وستين ومئتين.

٥٢٧ الرِّيَاشيُّ (د)[1]

[١] عبّاسُ بن الفَرَج، العلاَّمةُ الحافظُ شيخُ الأدب، أبو الفضل، الرِّياشيُّ البصريُّ النحويُّ، مولى محمدِ بن سُليمان بن علي العباسيِّ الأمير.

وُلد بعد الثمانين ومئة.

قال أبو بكر الخطيب: قدِم الرِّيَاشيُّ بغداد، وحدَّث بها، وكان ثقةً، وكان من الأدبِ وعلمِ النحو بمحَلٍّ عال. كان يحفظ كتَبَ أبي زيد وكتب الأصمعيّ كُلَّها. وقرأ على أبي عثمان المازنيِّ «كتاب» سيبويه فكان المازنيُّ يقول: قرأ عليَّ الرياشيُّ «الكتابَ» وهو أعلمُ به مني.

[٢] قال ابنُ دُرَيد: قتلته الزَّنج بالبصرةِ سنةَ سبعٍ وخمسين ومئتين.

[٣] وقال عليُّ بن أبي أمية: لمَّا كان من دخول الزَّنج البصرة ما كان وقَتْلِهم بها مَن قَتَلوا، وذلـك في شوال سنـة سبـع، بَلَغَنـا أنهم دخلوا على الـرِّياشي المسجد بأسيافهم، والرِّيَاشيُّ قائمٌ يُصلِّي الضحى، فضربُوه بالأسياف: وقالوا: هاتِ المالَ، فجعل يقولُ: أيُّ مال، أيُّ مال؟! حتى مات. فلما خرجت الزَّنجُ عن البصرة، دخلنـاهـا، فمـررنـا ببني مازن الـطَّحَّـانين ـ وهناك كان ينزلُ الرِّياشيّ ـ فدخلنا مسجدَه، فإذا به مُلقىً وهو مُستَقْبِلُ القبلةِ كأنَّما وُجِّه إليها، وإذا بِشَمْلَةٍ تحركها الريحُ وقد تمزقت، وإذا جميعُ خَلْقِه صحيح سَوِيّ لم ينشَقَّ له بطنٌ، ولم يتغيَّر له حالٌ، إلا أنَّ جلدَه قد لِصِقَ بعَظمِه ويبس، وذلك بعد مقتله بسنتين رحمه الله.

---

(١) انظر السير: ١٢/٣٧٢-٣٧٦.

[١] قلتُ: فتنةُ الزَّنجِ كانت عظيمة، وذلك أنَّ بعض الشياطين الدُّهاة كان طُرقيّاً أو مؤدِّباً، له نظرٌ في الشِّعر والأخبار، ويظهر من حاله الزندقةُ والمروقُ، ادَّعى أنه علويٌّ، ودعا إلى نفسِه، فالتفَّ عليه قُطَّاع طريقٍ، والعَبيدُ السُّودُ من غلمانِ أهلِ البصرة، حتى صار في عِدّة وتحيلوا وحَصَّلوا سُيوفاً وعِصيّاً، ثم ثاروا على أطرافِ البلد. فبدَّعوا وَقَتَّلوا وقَوُوا، وانضمَّ إليهم كُلُّ مجرم، واستفحل الشَّرُّ بهم، فسار جيشٌ من العراقِ لحربِهم، فكسروا الجيشَ، وأخذوا البصرةَ، واستباحوها، واشتدَّ الخَطب، وصار قائدُهم الخبيثُ في جيشٍ وأُهبة كاملة، وعَزم على أخذ بغداد، وبنى لنفسِه مدينة عظيمة، وحار الخليفة المعتمد في نفسِه، ودام البلاءُ بهذا الخبيثِ المارق ثلاثَ عشرة سنةً، وهابته الجيوشُ، وجرت معه مَلاحِمُ ووقَعاتٌ يطولُ شرحها، قد ذكرها المؤرخون إلى أن قُتل. فالزَّنجُ هم عبارةٌ عن عَبيدِ البصرةِ الذين ثاروا معه، لا بارك الله فيهم.

٥٢٨ أبو عبدِ الله البُخَارِيُّ (ت، س)(١)

[٢] محمـدُ بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَردِزْبَه، وهي لفظةٌ بخارية، معناها الزرّاع.

أسلم المغيرةُ على يدي اليَمـان الجُعفيِّ والي بُخَارى، وكان مجوسياً وطلب إسماعيل بن إبراهيم العلمَ.

[٣] محمدُ بن أحمد بن الفضل البَلخِيُّ، سمعتُ أبي يقول: ذهبَتْ عينا محمدِ بن إسماعيل في صِغره، فرأت والدتُه في المنام إبراهيمَ الخليل عليه السلام، فقال لهـا: يا هذه، قد رَدَّ الله على ابنـك بصرَه لكثرة بكائِك، أو كَثرة دُعائِكِ، شكَّ البلخيُّ، فأصبحنا وقد ردَّ الله عليه بصره.

[٤] محمـد بن أبي حاتم، قال: قلتُ لأبي عبدالله: كيف كان بَدءُ أمرِكَ؟ قال: أُلهِمتُ حِفظَ الحديث وأنا في الكُتّاب. فقلتُ: كم كان سِنُّك؟ فقال: عشر سنين،

(١) انظر السير: ١٢/٣٩١-٤٧١.

أو أقل، ثم خرجتُ من الكُتَّاب بعد العشر فجعلت أُختلِف إلى الداخليِّ وغيره، فقال يوماً فيما كان يقرأ للنَّاس: سفيانُ، عن أبي الزبير، عن إبراهيم، فقلتُ له: إن أبا الزُّبير لم يَروِ عن إبراهيم، فانتَهَرني، فقلتُ له: ارجِع إلى الأصل، فدخل فنظَر فيه، ثم خرج، فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزُّبير بن عدي: عن إبراهيم، فأخذ القلم مني، وأَحْكَمَ كِتابَه، وقال: صدقتَ. فقيل للبخاري: ابنُ كم كنتَ حين رددتَ عليه؟ قال:ابنُ إحدى عشرة سنة.

[١] قال ورَّاقه محمد بن أبي حاتم: سمعته قبل موته بشهرٍ يقول: كتبت عن ألف وثمانين رجلاً، ليس فيهم إلَّا صاحب حديث، كانوا يقولون: الإيمان قولٌ وعمل، يزيد وينقص.

ذِكْرُ رِحلتهِ وطَلَبه وتصانِيفهِ

[٢] قال محمدُ بن أبي حاتم البخاري: سمعتُ أبا عبدالله محمدَ بن إسماعيل يقول: حَجَجْتُ، وَرَجَعَ أخي بأُمِّي، وتخلفتُ في طلب الحديث فلما طَعنتُ في ثمان عشرة، جعلتُ أُصنِّف قضايا الصحابةِ والتابعين وأقاويلَهم.

[٣] وصنَّفتُ كتاب «التاريخ» إذ ذاك عند قبرِ رسول الله ﷺ في الليالي المُقمِرة. وقلَّ اسمٌ في التاريخ إلَّا وله قصةٌ، إلَّا أني كَرِهتُ تطويل الكتاب.

[٤] وكنتُ أختلِفُ إلى الفقهاء، بمَرو وأنا صبيٌّ، فإذا جئتُ أستحي أن أُسلِّم عليهم، فقال لي مؤدِّبٌ من أهلها: كم كتبتَ اليومَ؟ فقلتُ: اثنين وأردتُ بذلك حديثين، فضحك مَن حَضر المجلس. فقال شيخٌ منهم: لا تضحكوا فلعلَّه يضحكُ منكم يوماً!!

[٥] قال محمدُ بن إسماعيل: ما وضعتُ في كتابي «الصحيح» حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك، وصلَّيتُ ركعتين.

[٦] إبراهيم بن مَعقِل، سمعتُ البخاريَّ يقولُ: ما أدخلتُ في هذا الكتاب إلا ما صحَّ، وتركتُ من الصحاح كي لا يطولَ الكتاب.

[١] محمـدُ بن يوسف البخاريُّ: قال: كنتُ مع محمدِ بن إسماعيل بمنزِله ذاتَ ليلةٍ، فأحصيتُ عليه أنه قام وأسرَجَ يستذكر أشياءَ يُعلِّقها في ليلةٍ ثمان عشرة مرة.

[٢] وقال محمدُ: سمعتُ النَّجمَ بن الفُضَيل يقول: رأيتُ النبيَّ ﷺ في النَّوم، كأنَّه يمشي، ومحمدُ بن إسماعيل يمشي خلفه فكلما رَفَع النبيُّ ﷺ قَدَمه، وضع محمدُ ابن إسماعيل قدَمه في المكان الذي رفع النبي ﷺ قدمه.

[٣] وقال: سمعتُ إبراهيم الخَوَّاص، مُستملي صَدَقَة، يقول رأيتُ أبا زُرعة كالصبي جالساً بين يدي محمدِ بن إسماعيل، يسأله عن عِلَل الحديث.

ذِكْرُ حِفْظِهِ وسَعَةِ عِلْمه وذكائه

[٤] وقال محمدُ بن أبي حاتم الورَّاق: سمعتُ حاشِدَ بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أبو عبدالله البخاريُّ يختِلُف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلامٌ، فلا يكتُب، حتى أَتَى على ذلك أيام، فكُنَّا نقولُ له: إنك تختلِف معنا ولا تكتب، فما تصنَعُ؟ فقال لنا يوماً بعد ستة عشر يوماً: إنكما قد أكثرتُما عليَّ وأَلْحَحْتُما، فاعرِضا عليّ ما كَتبتُما. فأخرجنا إليه ما كان عندنا، فزاد على خمسةَ عشرَ ألفِ حديث، فقرأها كُلَّها عن ظهرِ القلب حتى جعلنا نُحكِم كُتُبَنا من حفظه. ثم قال: أَتَرَون أنِّي أختلِفُ هَدراً وأُضَيِّعُ أيامي؟! فعرفنا أنَّه لا يتقدمُه أحد.

[٥] قال: وسمعتُهما يقولان: كان أهلُ المعرفة من البصريِّين يَعدون خلفَه في طلب الحديث وهو شابٌّ حتى يغلبوه على نفسه، ويُجلسوه في بعضِ الطريق، فيجتمع عليه ألوفٌ، أكثرهم ممن يكتُب عنه، وكان شابّاً لم يَخْرُجْ وجهه.

[٦] وقال أبو أحمد عبدالله بن عدي الحافظ: سمعتُ عدةَ مشايخ يحكون أنَّ محمد ابن إسماعيل البخاريَّ قدم بغداد، فسمع به أصحابُ الحديث فاجتمعوا وعَمَدوا إلى مئةِ حديثٍ، فقلَبُوا مُتونها وأسانيدها، وجعلوا متْنَ هذا لإسناد هذا، وإسنادُ هذا لمتن هذا، ودفعـوا إلى كُلِّ واحدٍ عشرةَ أحاديثَ ليُلقوها على البخاريّ في المجلس، فاجتمع الناسُ، وانتَدب أحدُهم فسأل البخاريَّ عن حديثٍ من عَشَرتِه،

فقال: لا أعرفُه. وسأله عن آخر فقال: لا أعرِفُه. وكذلك حتى فرغ من عشرته. فكان الفقهاءُ يلتفتُ بعضهم إلى بعض، ويقولون: الرجل فَهِمَ. ومَن كان لايدري قضى على البخاريِّ بالعجز، ثم انتدب آخرُ ففعل كما فعل الأولُ، والبخاريُّ يقول: لا أعرفه. ثم الثالث وإلى تمام العشرة أنفس، وهو لا يَزيدُهم على: لا أعرفُه فلما علِم أنهم قد فرغوا، التفتَ إلى الأول منهم، فقال: أما حديثُك الأول فكذا، والثاني كذا، والثالث كذا إلى العشرة، فردَّ كُلَّ متنٍ إلى إسناده. وفعلَ بالآخرين مثلَ ذلك، فأقرَّ له الناسُ بالحفظِ، فكان ابنُ صاعد إذا ذكره يقولُ: الكبش النَّطّاح.

وقال محمدُ بن أبي حاتِم الورَّاق: وسمعتُه يقولُ: ما قَدِمْتُ على أحدٍ إلَّا كان انتفاعهُ بي أكثر من انتفاعي به.

وقال الفِرَبْرِيُّ: سمعتُ أبا عبدالله يقولُ: ما استصغرتُ نفسي عند أحدٍ إلا عند عليٍّ بن المَديني.

[١] وقال محمدُ بن أبي حاتم: وسمعتُه يقولُ: ما كتبتُ حكايةً قطُّ، كنتُ أتحفَّظُها.

[٢] محمد ابن خميرويه، سمعتُ محمد بن إسماعيل يقولُ: أحَفظُ مئة ألفِ حديث صحيح، وأحفظ مئتي ألف حديث غير صحيح.

ذِكْرُ ثَناءِ الأئمة عليه

قال أبو جعفر: سمعتُ يحيى بن جعفر يقولُ: لَو قَدرتُ أن أزيد في عُمر محمد ابن إسماعيل من عمري لفعلتُ، فإنَّ موتي يكون موتَ رجلٍ واحد وموتُه ذهابُ العلم.

وقال محمدُ: حدثني محمدُ بن إسماعيل، قال: كنتُ إذا دخلتُ على سُليمان ابن حرب يقول: بَيِّنْ لنا غَلَطَ شُعْبَةَ.

قال وسمعتُه يقول: اجتمع أصحاب الحديث، فسألوني أن أُكلم إسماعيلَ بن أبي أويس ليزيدهم في القراءة، ففعلتُ، فدعا إسماعيلُ الجاريةَ، وأمرها أن تُخرج

صرةَ دنانير، وقال: يا أبا عبدالله، فرقْها عليهم. قلتُ: إنما أرادوا الحديثَ. قال: قد أجَبتُك إلى ما طلبتَ من الزيادة، غير أنِّي أُحِبُّ أن يُضَم هذا إلى ذاكَ ليظهر أثرُكَ فيهم.

وقال محمدُ بن أبي حاتم: سمعتُ حاشدَ بن عبدالله يقول: قال لي أبو مُصعب الزهريُّ: محمدُ بن إسماعيل أفقهُ عندنا وأبصرُ بالحديث من أحمد بن حنبل. فقيل له: جاوزتَ الحدَّ. فقال للرجل: لو أدركتَ مالِكاً ونظرت إلى وجهه ووجهِ محمد ابن إسماعيل، لقلت: كلاهما واحدٌ في الفقه والحديث.

قال: وسمعتُ حاشد بن إسماعيل يقول: سمعتُ إسحاقَ بن راهويه يقول: اكتبوا عن هذا الشابِّ ـ يعني: البخاري ـ فلو كان في زمن الحسن لاحتاج إليه الناسُ لمعرفته بالحديث وفِقهه.

عبدالله بن أحمد بن حنبل، سمعتُ أبي يقول: انتهى الحفظُ إلى أربعةٍ من أهل خراسان: أبو زُرعَةَ الرّازي، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وعبدالله بن عبدالرحمن السمرقندي، والحسن بن شُجاع البَلخي.

قال ابن الأشعث: فحكيتُ هذا لمحمدِ بن عَقيل البلخي، فأطرى ذكر ابن شجاع، فقلتُ له: لِمَ لَمْ يَشْتَهِر؟ قال: لأنه لم يُمَتَّع بالعُمر.

وقال محمد: حدثني جعفرُ بن محمد الفِرَبْري قال: خرج رجلٌ من أصحابِ عبدالله بن مُنير، رحمه الله إلى بخارى في حاجةٍ له. فلما رجع قال له ابنُ منير: لقيتَ أبا عبدالله؟ قال: لا. فطَرَدَهُ، وقال: ما فيكَ بعد هذا خير، إذ قدِمتَ بُخارى ولم تَصِرْ إلى أبي عبدالله محمد بن إسماعيل.

عن قتيبة بن سعيد أنه قال: رُحِل إليَّ من شرق الأرضِ وغربها، فما رحلَ إليّ مثلُ محمد بن إسماعيل، فقال مهيار: صدق. أنا رأيتُه مع يحيى بن مَعِين، وهما يختلفان جميعاً إلى محمد بن إسماعيل، فرأيتُ يحيى ينقادُ له في المعرفة.

وعن قُتَيبةَ قال: لو كانَ محمدٌ في الصحابةِ لكان آيةً.

وقال محمدُ بن يوسف الهَمَذانيّ: كنا عند قُتيبة بن سعيد، فجاء رجلٌ شَعْراني

يقال له: أبو يعقوب، فسأله عن محمدِ بن إسماعيل، فنكس رأسَه، ثم رفعهُ إلى السَّماء، فقال: يا هؤلاء، نظرتُ في الحديث ونظرتُ في الرأي، وجالستُ الفُقهاء والزُّهاد والعُبّاد، ما رأيتُ منذ عقْلتُ مثلَ محمدِ بن إسماعيل.

قال الحاكمُ: سمعتُ محمد بن يعقوب الحافظ يقول: سمعتُ أبي يقولُ: رأيتُ مُسلَم بن الحجَّاج بين يدي البخاري يسألهُ سؤال الصَّبيِّ.

[١] ثم قال: سمعتُ الحسن بن أحمد الشيباني المُعدَّل، سمعتُ أحمدَ بن حمدون يقول: رأيتُ محمدَ بن إسماعيل في جِنازة سعيدِ بن مروان ومحمدِ بن يحيى الذهلي يسأله عن الأسامي والكُنى والعِلل، ومحمدُ بن إسماعيل يمرُّ فيه مثلَ السَّهم، كأنه يقرأ ﴿قُل هُوَ الله أَحدٌ﴾.

[٢] وقال محمد بن حمدون بن رُستُم: سمعتُ مسلمَ بن الحجَّاج، وجاء إلى البخاري فقال: دَعني أُقَبِّل رجليك يا أُستاذ الأُستاذِين، وسيِّد المُحدثين، وطبيب الحديث في عِلَلِه.

وقال أبو علي صالح بن محمد جَزَرَة: كان محمدُ بن إسماعيل يجلِسُ ببغداد، وكنتُ أستملي له، ويجتمع في مجلسِه أكثرُ من عشرين ألفاً.

[٣] خالد بن عبدالله المَروَزيِّ، سمعتُ أبا سهلٍ محمدَ بن أحمد المَرْوَزِيَّ سمعتُ أبا زيد المروزي الفقيه يقولُ: كنتُ نائماً بين الرُّكن والمقام فرأيتُ النبيَّ ﷺ، فقال لي: يا أبا زيد، إلى متى تدرُس كتابَ الشافعيِّ، ولا تدرُسُ كتابي؟ فقلتُ: يا رسول الله، وما كتابك؟ قال: «جامع» محمد بن إسماعيل.

ذِكْرُ عِبادَته وفَضله ووَرَعِه وصَلاحِه

[٤] مُسبِّح بنُ سعيد قال: كان محمدُ بن إسماعيل يختِمُ في رمضان في النهار كُلَّ يومٍ خَتمة ويقومُ بعد التراويح كل ثلاث ليالٍ بخَتْمَة.

[٥] وقال بُكر بن منير: سمعتُ أبا عبدالله البخاري يقولُ: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أنِّي اغتبتُ أحداً.

قلت: صَدَق رحمه الله، ومن نظر في كلامه في الجرحِ والتعديل علم وَرَعه في الكـلامِ في الناس، وانصافَه فيمن يُضَعِّفه، فإنه أكثر ما يقولُ: منكر الحديث، سكتُوا عنـه، فيه نظر، ونحـو هذا، وقـلَّ أن يقول: فلانٌ كذَّاب، أو كان يضَعُ الحديث، حتى إنه قال: إذا قلتُ فلان في حديثه نظر، فهو متَّهم واهٍ، وهذا معنى قوله: لا يحاسبُني الله أني اغتبت أحداً. وهذا هو واللهِ غايةُ الورع.

[١] قال محمدُ بن أبي حاتم الورّاق: وسمعتُه يقول: ما اغتبتُ أحداً قطُّ منذ علمتُ أنَّ الغِيبة تَضَرُّ أهلَها. قال: وكان أبو عبدالله يُصَلِّي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعـةً، وكـان لايُوقظني في كلِّ ما يقوم. فقلتُ: أراكَ تحمِلُ على نفسِك، ولـم توقظني. قال أنت شابٌّ، ولا أُحِبُّ أن أُفسِدَ عليك نومك.

[٢]وقـال محمـدُ بن أبي حاتِم: دُعي محمـدُ بن إسمـاعيل إلى بستـانِ بعضِ أصحابه، فلما صلَّى بالقومِ الظهر، قام يتطوَّعُ، فلما فرغ من صلاته، رفعَ ذيلَ قميصه، فقال لبعض من معه: انظر هل ترى تحت قميصي شيئاً؟ فإذا زنبورٌ قد أَبَرَهُ في ستة عشر أو سبعة عشر موضعاً، وقد تورم من ذلك جسدُهُ فقال له بعضُ القوم: كيف لم تخرج من الصلاة أول ما أَبَرَك؟ قال: كنتُ في سُورةٍ، فأحببتُ أن أُتمَّها!!

[٣] عن الفِرَبْرِيِّ، قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ في النوم، فقال لي: أين تُريد؟ فقلتُ: أُريد محمد بن إسماعيل البخاري، فقال: أقرأْهُ مني السلام.

[٤]وقال محمدُ بن أبي حاتم: وسمعته يقولُ لأبي معشر الضرير: اجعلني في حلٍّ يا أبـا معشـر، فقال: من أيِّ شيء؟ قال: رويتُ يوماً حديثاً فنظرتُ إليك، وقد أُعجِبتَ به، وأنت تُحرِّك رأسَكَ ويدَكَ، فتبسَّمتُ من ذلك. قال: أنتَ في حِلٍّ، رحمك اللهُ يا أبا عبدالله.

[٥]قال: وكان يركبُ إلى الرمي كثيراً، فما أعلمُني رأيتُه في طولِ ما صحبتُهُ أخطأ سهمُه الهَدَفَ إلاَّ مرَّتين، فكان يصيب الهدف في كلِّ ذلك، وكان لا يُسبَق.

[٦] قال محمدُ بن أبي حاتم: وكان أبو عبدالله ربما يأتي عليه النهارُ فلا يأكل رُقَاقَةً، إنما كان يأكل أحياناً لوزتين أو ثلاثاً.

[١] وقال محمدُ الورّاق: دخل أبو عبدالله بِفِرَبْر الحمام، وكنت أنا في مَسْلَح الحمام، أتعاهدُ عليه ثيابه، فلما خرج ناولتُه ثيابه، فلبسها ثم ناولتُه الخُفَّ، فقال: مَسِستَ شيئاً فيه شعرُ النبيِّ ﷺ فقلتُ: في أيِّ موضِعٍ هو من الخف؟ فلم يُخبرني، فتوهَّمت أنَّه في ساقه بين الظِّهارة والبطانة.

ذِكْرُ قِصَّتِهِ مع محمَّد بن يَحيى الذُّهلي رحمهما الله

[٢] قال الحاكم أبو عبدالله: سمعتُ محمد بن حامد البزَّازَ قال: سمعتُ الحسن ابن محمد بن جابر يقولُ: سمعتُ محمد بن يحيى قال لنا: لمَّا ورد محمدُ بن إسماعيل البُخاريُّ نيسابور: اذهبوا إلى هذا الرجلِ الصالح فاسمعُوا منه، فذهب الناسُ إليه، وأقبلوا على السماعِ منه، حتى ظهر الخَلَلُ في مجلسِ محمدِ بن يحيى، فَحَسَدُه بعد ذلك وتكلَّم فيه.

[٣] وقال الحاكم: حدثنا طاهرُ بنُ محمد الورَّاق، سمعتُ محمد بن شاذِل يقولُ: لما وقع بين محمد بن يحيى والبخاريِّ، دخلتُ على البخاريِّ فقلتُ: يا أبا عبدالله أيشٍ الحيلةُ لنا فيما بينك وبينَ محمد بن يحيى كُلُّ من يختلفُ إليك يُطرَدُ؟ فقال: كم يَعتري محمدَ بن يحيى الحسدُ في العلم. والعلمُ رِزقُ الله يُعطيه من يشاء. فقلتُ: هذه المسألة التي تُحكى عنك؟ قال: يا بني، هذه مسألةٌ مشؤومةٌ، رأيتُ أحمدَ بن حنبل وما ناله في هذه المسألة، وجعلتُ على نفسي أن لا أتكلَّم فيها.

[٤] قلتُ: المسألةُ هي أن اللفظَ مخلوقٌ، سُئل عنها البخاريُّ، فوقفَ فيها، فلما وقفَ واحتجَّ بأنَّ أفعالنا مخلوقةٌ، واستدلَّ لذلك، فهمَ منه الذهليُّ أنه يُوَجِّه مسألةَ اللفظ، فتكلَّم فيه، وأخذهُ بِلازِم قولِه هو وغيره(١).

---

(١) ولازم المذهب ليس بلازم كما هو مذهب جمهور المحققين من العلماء، ونقل ابن ناصر الدين في مقدمة كتابه «الرد الوافر» ٢٠ عن الإمام الذهبي ـ ووصفه بإمام التعديل والجرح، والمعتمد عليه في المدح والقدح ـ كلمة جاء فيها: ونعوذ بالله من الهوى والمراء في الدين، وأن نكفر مسلماً موحداً بلازم قوله، وهو يفر من ذلك اللازم، وينزه ويعظم الرب.

[١] قال الحاكم: أخبرنا أبو عبدالله محمدُ بن يعقوب بن الأخرم سمعتُ ابنَ علي المَخلَدي، سمعتُ محمد بن يحيى يقول: قد أظهر هذا البخاريُّ قولَ اللفظية واللفظية عندي شَرٌّ من الجهمية.

قال محمد بن نصر المَروزيُّ: سمعته يقول: من زعم أني قلتُ: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذَّاب، فإني لم أقله، فقلتُ له: يا أبا عبدالله، قد خاض النّاسُ في هذا وأكثروا فيه، فقال: ليس إلّا ما أقول.

[٢] وقال سمعت محمد بن صالح بن هانىء: سمعت أحمد بن سلمة يقول: دخلتُ على البخاريِّ، فقلت: يا أبا عبدالله، هذا رجلٌ مقبولٌ بخراسان خصوصاً في هذه المدينة، وقد لَجَّ في هذا الحديث حتى لا يقدِر أحدٌ منا أن يُكلِّمه فيه، فما ترى؟ فقبضَ على لحيته، ثم قال: ﴿وأُفَوِّضُ أَمري إلى الله إنَّ الله بَصِيرٌ بالعِبادِ﴾ [غافر ٤٤]. اللهم إنكَ تعلمُ أنِّي لم أُرِدِ المقامَ بنيسابور أَشَراً ولا بَطراً، ولا طَلَباً للرئاسة، وإنما أَبَت عليَّ نفسي في الرجوع إلى وطني لغَلَبة المخالفين وقد قَصدني هذا الرجلُ حَسَداً لما آتاني الله لا غير، ثم قال لي: يا أحمدُ إني خارجٌ غداً لتتخلصوا من حديثه لأجلي.

قال: فأخبرتُ جماعةَ أصحابِنا، فوالله ما شَيَّعهُ غيري. كنتُ معه حين خرج من البلد، وأقام على باب البلد ثلاثةَ أيامٍ لإصلاح أمره.

[٣] قال: وسمعتُ محمدَ بن يعقوب الحافظ يقولُ: لمَّا استوطن البخاريُّ نيسابور أكثر مسلمُ بن الحجَّاج الاختلاف إليه، فلما وقع بين الذُّهليِّ والبُخاريِّ ما وقع في مسألِة اللفظ، ونادىٰ عليه، ومنع الناسَ عنه، انقطع عنه أكثرُ الناسِ غيرَ مُسلم. فقال الذُّهليُّ يوماً: أَلَا مَن قال باللفظ فلا يَحِلُّ له أن يحضُر مجلسنا. فأخذ مسلمٌ رداءً فوق عِمامتهِ وقام على رؤوس النَّاس وبعث إلى الذُّهلي ما كَتب عنه على ظهر جَمَّال. وكان مسلمٌ يُظهِر القولَ باللفظِ ولا يَكتمُه.

[٤] وقال محمدُ بن أبي حاتم: أتى رجلٌ أبا عبدالله البخاريَّ، فقال: يا أبا عبدِالله، إنَّ فلاناً يُكفِّرُكَ! فقال: قال النبيُّ ﷺ «إذا قالَ الرَّجُلُ لأخيه: يا كافِرُ، فقد باءَ بِهِ

أَحَدُهُما» .

[١] وكان كثيرٌ من أصحابِه يقولون له : إنَّ بعض الناس يقعُ فيك ، فيقولُ : ﴿إنَّ كَيْدَ الشَّيطانِ كانَ ضَعِيفاً﴾ [النساء ٧٦] ويتلو أيضاً ﴿ولا يَحيقُ المَكْرُ السَّيِّءُ إلَّا بأهلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣] .

[٢] فقال له عبدُ المجيد بنُ إبراهيم : كيف لا تدعو الله على هؤلاء الذين يظلِمونَك ويتناولونكَ ويبهَتُونك؟ فقال : قال النبيُّ ﷺ «اصبروا حتَّى تَلقَوني على الحَوض » .

[٣] قال محمدُ بن أبي حاتم : وسمعتُه يقولُ : لم يكن يتعرَّض لنا قطُّ أحدٌ من أَفناءِ النـاس إلا رُمي بقارِعةٍ ، ولم يَسْلَم ، وكلما حدَّث الجُهالُ أنفسَهم أن يَمكُروا بنا رأيتُ من ليلتي في المنام ناراً تُوقد ثم تُطفأ من غير أن يُنتَفع بها ، فأتأوَّلُ قوله تعالى : ﴿كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلحَربِ أَطْفَأَها اللهُ﴾ [المائدة ٦٤] .

[٤] وكان هِجِّيراه(١) من الليل إذا أتيته في آخِر مَقدَمه من العراق : ﴿إن يَنْصُرْكُمُ الله فلا غالِبَ لَكُمْ وإنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذا الَّذي يَنْصُرُكُم مِن بَعْده﴾ [آل عمران ١٦٠] الآية .

[٥] وقال عبدُ الرحمن بن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» قدِم محمدُ بن إسماعيل الرَّيَّ سنة خمسين ومئتين ، وسمع منه أبي وأبو زُرعةَ وتركا حديثَه عندما كَتَبَ إليهما محمدُ بن يحيى أنَّه أظهر عندهم بنيسابور أنَّ لفظَهُ بالقرآن مخلوق .

[٦] قلت : إن تركا حديثه ، أو لم يَترُكاه ، البخاريُّ ثقةٌ مأمون مُحتجٌّ به في العالم .

ذِكرُ محنَتِه مع أمير بُخارى

[٧] وقال الحاكم : سمعتُ محمدَ بن العبَّاس الضَّبِّيَّ يقول : سمعتُ أبا بكر بن أبي عَمـرو الحافظ البخاريّ يقول : كان سببُ مُنافرةِ أبي عبدالله أنَّ خالد بن أحمد الـذُّهليَّ الأمير خليفة الطاهرية ببخارى سأل أن يحضرَ منزلَه ، فيقرأ «الجامع» و «التاريخ» على أولاده ، فامتنع عن الحضور عندَه ، فراسله بأن يعقِد مجلساً لأولاده ،

(١) أي : كلامه ودأبه وشأنه . وفي حديث عمر رضي الله عنه : ماله هِجِّيرَى غيرها ، أي : الدّأب والعادة والدَّيدَن .

لا يحضُره غيرهم، فامتنع، وقال: لا أُخصُّ أحداً. فاستعان الأميرُ بحريثِ بن أبي الورقاء وغيره حتى تكلَّموا في مذهبه. ونفاه عن البلدِ، فدعا عليهم، فلم يأتِ إلا شهرٌ حتى وَرَدَ أَمْرُ الطاهرية، بأن يُنادَى على خالدٍ في البلد، فنُودي عليه على أتان. وأما حُريث، فإنه ابتُلِي بأهله، فرأى فيها ما يَجِلُّ عن الوصف. وأما فلان، فابتُلي بأولاده، وأراه الله فيهم البلايا.

وقال الحاكم: حدثنا خَلَفُ بن محمد، حدثنا سهلُ بن شاذَوَيه قال كان محمدُ ابن إسماعيل يسكن سِكَّة الدِّهقان، وكان جماعةٌ يختلفون إليه يُظْهرون شِعار أهل الحديثِ من إفراد الإقامة، ورَفع الأيدي في الصلاة وغير ذلك. فقال حَريثُ بن أبي الورقاء وغيره: هذا رجلٌ مُشغِب، وهو يُفسِد علينا هذه المدينةَ، وقد أخرجه محمدُ ابن يحيى من نيسابور، وهو إمامُ أهل الحديث، فاحتجُّوا عليه بابن يحيى، واستعانوا عليه بالسلطانِ في نَفيه من البلد، فأُخرِج، وكان محمدُ بن إسماعيل ورِعاً، يتجنَّب السلطانَ ولا يدخل عليهم.

[١] قلتُ: خالدُ بن أحمد الأمير، قال الحاكم: له ببخارى آثارٌ محمودة كلها، إلا مَوجِدَتَه على البخاريِّ، فإنها زَلَّةٌ، وسببٌ لزوال مُلْكِه.

ذِكْرُ وفاته

[٢] قال ابن عديّ: سمعتُ عبدَالقُدوس بن عبدالجبَّار السمرقنديَّ يقول: جاء محمدُ ابن إسماعيل إلى خَرْتَنْك - قرية - على فرسخين من سمرقند وكان له بها أقرباء فنزل عندهم، فسمعتُه ليلةً يدعو، وقد فرغَ من صلاةِ الليل: اللهمَّ إنه قد ضاقت عليَّ الأرضُ بما رَحُبَتْ، فاقبِضني إليك فما تم الشهرُ حتى مات. وقبره بِخَرْتَنْك.

[٣] وقال محمدُ بن أبي حاتم: سمعتُ أبا منصور غالبَ بن جبريل وهو الذي نزل عليه أبو عبدالله يقول: إنه أقام عندنا أياماً، فمرض واشتدّ به المرضُ حتى وجَّه رسولاً إلى مدينةِ سمرقند في إخراج محمد، فلما وافى تهيَّأ للركوب، فلبس خُفَّيه، وتعمَّم، فلما مشى قدَر عشرين خطوةً أو نحوها، وأنا آخِذ بعضُده، ورجلٌ آخر معي

يقودُه إلى الدابة ليركبها، فقال رحمه الله: أَرسِلوني، فقد ضعفتُ، فدعا بدعواتٍ، ثم اضطجع فقضي رحمه الله. فسال منه العرقُ شيء لا يُوصف. فما سكن منه العَرقُ إلى أن أدرجناه في ثيابه. وكان فيما قال لنا، وأوصى إلينا أن كفِّنوني في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميصٌ ولا عمامة ففعلنا ذلك، فلما دفنَّاه فاح من تُرابِ قبرِه رائحةٌ غاليةٍ أطيب من المسك، فدام ذلك أياماً ثم علت سَوَاريُّ بيضٌ في السماء مستطيلةٌ بِحذاءِ قبرِه، فجعل الناسُ يختلفون ويتعجبون. وأما الترابُ فإنهم كانوا يرفعون عن القبر، حتى ظهر القبر ولم نكن نقدِر على حفظ القبر بالحراس. وغُلِبنا على أنفسِنا، فنصبنَا على القبر خشباً مشبَّكاً لم يكن أحدٌ يقدِر على الوصول إلى القبر فكانوا يرفعون ما حول القبر من التراب، ولم يكونوا يخلُصون إلى القبر. وأما ريح الطيب فإنه تداوم أياماً كثيرة، حتى تحدَّث أهلُ البلدة وتعجَّبوا من ذلك، وظهر عند مُخالفيه أمرُه بعد وفاته، وخرج بعض مُخالفيه إلى قبره وأظهروا التوبةَ والندامة مما كانوا شرعوا فيه من مذمومِ المذهب.

[١] وقال محمدُ بن محمد بن مكيّ الجُرجاني: سمعتُ عبدالواحد بن آدم الطواويسيَّ يقول: رأيتُ النبيَّ ﷺ في النوم، ومعه جماعةٌ من أصحابه، وهو واقفٌ في موضعٍ، فسلمتُ عليه، فردَّ عليَّ السلام فقلتُ: ما وُقوفُك يا رسول الله؟ قال أنتظر محمدَ بن إسماعيل البخاري فلما كان بعد أيامٍ بلغني موتُه، فنظرتُ فإذا قد مات في الساعة التي رأيتُ النبي ﷺ فيها.

[٢] وقال محمد بن أبي حاتم: سمعتُ أبا ذر يقولُ: رأيتُ محمد بن حاتم الخَلْقَانيَّ في المنام، وكان من أصحاب محمد بن حفص، فسألتُه ـ وأنا أعرف أنه ميّت ـ عن شيخي رحمه الله، هل رأيتَه؟ قال: نعم رأيتُه وهو ذاكَ، يُشير إلى ناحيةِ سطحٍ من سطوح المنزل. ثم سألتُه عن أبي عبدالله محمد بن إسماعيل، فقال: رأيتُه، وأشار إلى السماء إشارةً كاد أن يسقط منها لعلوِّ ما يُشير.

[٣] وقال أبو على الغَسَّانيُّ: أخبرنا أبو الفتح نصر بنُ الحسن السكتي السمرقندي، قال: قَحَط المطرُ عندنا بِسَمرقَند في بعض الأعوام، فاستسقى الناسُ مِراراً، فلم

يُسقَوا، فأتى رجلٌ صالح معروفٌ بالصلاح إلى قاضي سَمَرْقَند، فقال له: إني رأيتُ رأياً أعرِضُه عليك. قال: وما هو؟ قال: أرى أن تخرجَ ويخرج الناسُ معك إلى قبرِ الإمام محمدِ بن إسماعيل البخاري، وقبرُه بِخَرْتَنك ونستسقي عنده، فعسى الله أن يَسقينا. قال: فقال القاضي: نِعمَ ما رأيتَ. فخرج القاضي والناسُ معه، واستسقى القاضي بالناس، وبكى الناسُ عند القبرِ، وتشفَّعوا بصاحِبه، فأرسل الله تعالى السماء بماءٍ عظيم غزير، أقام الناسُ من أجله بِخَرْتَنك سبعةَ أيام أو نحوها، لا يستطيع أحدٌ الوصول إلى سَمرقَندَ من كثرةِ المطر وغزارته، وبين خَرْتَنك وسمرقند نحو ثلاثة أميال.

٥٢٩ البَيروتِيُّ (د، س)(١)

[١] **الإمامُ الحُجَّة المقرىء الحافظ، أبو الفضل، العبّاس بن الوليد بن مَزْيَد، العُذريّ البيروتيّ.**

[٢] وبيروت مدينةٌ على البحرِ من ساحلِ دمشق، ما زالت بلادَ إسلامٍ منذُ الفتوح إلى أن استولى عليها الفِرَنْجُ، فدامت داراً لهم إلى أن افتتحها السلطانُ الملك الأشرفُ خليل في سنة تسعين وست مئة عند أخذ عكّا، وبها تُوفي الأوزاعيُّ، وتلميذُه الوليد بن مَزْيَد، وابنُه هذا.

وُلد سنة تسع وستين ومئة، فكان ممن عُمِّر أكثر من مئة عام بيقين.

وكان مُقرئاً حاذقاً بحرف ابنِ عامر، تلا على أبيه.

وقال النَّسائيُّ: ليس به بأس. وكان صاحب ليلٍ.

مات سنةَ سبعين ومئتين، وكان مُمَتَّعاً بقُواه.

[٣] قال خيثمةُ بن سليمان: مازح العبَّاس بن الوليد يوماً جاريةً له فدفعته فوقع، فانكسرت رجلُه، فلم يُحَدِّثنا عشرين يوماً. فكنَّا نلقى الجارية، ونقول: حَسْبُكِ اللهُ كما كسرتِ رِجلَ الشيخِ، وَحَبَسْتِنا عن الحديث.

---

(١) انظر السير: ١٢/٤٧١-٤٧٥.

٥٣٠ إسحاق بنُ بُهلول(١)

[١] ابنِ حسان، الحافظُ الثقةُ العلاّمة، أبو يعقوب، التنوخيُّ الأنباريُّ. مولده بالأنبار في سنة أربعٍ وستّين ومئة.

قال أبو بكر الخطيب: صنَّف كتاباً في القراءات، وصنَّف «المُسنَد» وصنَّف كتاباً في الفقه. وله مذاهبُ اختارها، يعني: أنه يجتهد، ولا يُقلِّد أحداً، إلى أن قال: وكان ثقة.

[٢] قال ولده بهلُول بن إسحاق: استدعى المتوكلُ أبي إلى سُرَّ مَنْ رأى حتى سمع منه، ثم أمر، فنُصِبَ له منبرٌ، وحدَّث في الجامع، وأقطعه إقطاعاً مَغلُّهُ في العام اثنا عشر ألفاً، ووصله بخمسةِ آلاف في السَّنَة فكان يأخذُها، وأقامَ إلى أن قدِم المستعينُ بغداد، فخاف أبي من الأتراك أن يكبِسُوا الأنبار، فانحدر إلى بغداد ولم يحمل معه كُتَبه، فطالبه محمدُ بن عبدالله بن طاهر أن يُحدِّث، فحدَّث ببغداد من حفظِه بخمسين ألف حديث، لم يُخطىء في شيءٍ منها.

[٣] قلتُ: كذا فليكنِ الحفظُ وإلا فلا، قَنِعنا اليومَ بالاسم بلا جسم فلو رأى النّاسُ في وقتِنا من يروي ألفَ حديث بأسانيدها حِفظاً لانبهَروا له.

مات بالأنبار سنة اثنتين وخمسين ومئتين، وقد قارب التسعين.

٥٣١ المُزَنِيُّ(٢)

[٤] الإمامُ العلاَّمة، فقيهُ المِلَّةِ، عَلَمُ الزهاد، أبو إبراهيم، إسماعيلُ بنُ يحيى ابن إسماعيل المُزَنِيُّ المصريُّ، تلميذُ الشافعي.

مولده في سنة موتِ اللَّيثِ بن سعد سنةَ خمسٍ وسبعين ومئة.

وهو قليل الروايةِ، ولكنَّه كان رأساً في الفقه.

[٥] وامتلأت البلادُ بـ «مختصره» في الفقه، شَرَحَهَ عدّةٌ من الكبار بحيثُ يُقال: كانت

---

(١) انظر السير: ١٢/٤٨٩-٤٩١.

(٢) انظر السير: ١٢/٤٩٢-٤٩٧.

البِكر يكون في جهازها نسخةٌ بـ «مختصر» المزني .

قال الشافعي : المُزَنيُّ ناصرُ مَذْهبي .

[١] قلتُ : بلغنا أنَّ المُزَنيَّ كان إذا فَرَغَ من تبييض مسألةٍ ، وأَودَعها مختصرَه ، صلى لله ركعتين .

[٢] ورُوي أنَّ القاضي بكّار بن قتيبَةَ قَدِمَ على قضاء مصر ، وكان حنفياً فاجتمع بالمُزَنيِّ مرَّةً ، فسأله رجلٌ من أصحاب بكار ، فقال : قد جاء في الأحاديث تحريمُ النبيذِ ، وجاء تحليلُه ، فلم قدَّمتُم التحريمَ؟ فقال المُزنيُّ : لم يذهب أحدٌ إلى تحريمِ النبيذ في الجاهلية ثم حُلِّلَ لنا ، ووَقَعَ الاتفاقُ على أنه كان حلالاً ، فحَرُمَ ، فهذا يَعضُدُ أحاديثَ التحريم ، فاستحسن بكّار ذلك منه .

قلتُ : وأيضاً فأحاديثُ التحريم كثيرةٌ صِحاحٌ ، وليس كذلك أحاديث الإِباحة .

محمدُ بن عليٍّ الكَتَّاني ، سمعت عَمرو بن عُثمان المكي ، يقولُ : ما رأيتُ أحداً من المُتعبِّدين في كثرةٍ من لَقِيتُ منهم أشدَّ اجتهاداً من المُزنيِّ ولا أَدْوَمَ على العبادة منه . وما رأيتُ أحداً أشدَّ تعظيماً للعلمِ وأهله منه . وكان من أشدِّ الناسِ تضييقاً

[٣] وكان من أشدَّ الناسِ تضييقاً على نفسِهِ في الورع ، وأوسَعِهِ في ذلك على الناسِ ، وكان يقول : أنا خُلُقٌ من أخلاقِ الشافعي .

قلتُ : وبلغنا أنَّ المُزَنيَّ رحمه الله كان مُجابَ الدعوة ، ذا زُهدٍ وتَأَلُّهٍ ، أخذَ عنه خلقٌ من العلماء وبه انتشر مذهبُ الإمام الشافعيِّ في الآفاق .

[٤] يقال : كان إذا فاتته صلاةُ الجماعة صلَّى تلك الصلاَةَ خمساً وعشرين مرة .

[٥] وكان يُغَسِّل الموتى تعبُّداً واحتساباً . وهو القائل : تَعَانيتُ غَسْلَ الموتى لِيرقَّ قلبي ، فصار لي عادةً ، وهو الذي غَسَّلَ الشافعيَّ رحمه الله .

[٦] وقال أبو سعيد بنُ يونس : ثقة ، كان يلزمُ الرِّباط .

توفي سنة أربعٍ وستين ومئتين ، وله تسعٌ وثمانون سنة .

٥٣٢ أبو حفصٍ النَّيسابوريُّ[١]

[١] الإمامُ القدوةُ الرَّبانيُّ، شيخُ خُراسان، أبو حفص، عَمرو بن سَلم النيسابوريُّ الزاهد.

[٢] قال الأستاذ أبو حفص: المعاصي بَريدُ الكفر، كما أنَّ الحُمَّى بريدُ الموت.

[٣] أبو عمرو بن حمدان قال: كان أبو حفص حدّاداً، فكان غلامُه ينفُخ عليه الكِير مرَّة، فأدخل أبو حفصٍ يده، فأخرج الحديدَ من النار، فغُشي على الغلامِ، فتركَ أبو حفصٍ الحانوتَ وأقبل على أمرِه.

[٤] وقيل: إنَّ أبا حفصٍ دخلَ على مريض، فقال المريضُ: آه، فقال أبو حفص: مِمَّن؟ فسكت. فقال أبو حفص: مع مَن؟ قال: فكيف أقول؟ قال: لا يكن أَنينُك شكوى، ولا سكوتُك تجلُّداً، ولكن بين ذلك.

[٥] وعن أبي حفصٍ قال: حَرَسْتُ قلبي عشرينَ سنةً، ثم حَرَسَني عشرين سنة ثم وَرَدتْ عليَّ وعليه حالةٌ صرنا محروسَين جميعاً.

[٦] وبلغني أنَّه أَنفذَ في يومٍ واحدٍ بضعةَ عشر ألف دينار يَفتَكُّ بها أسرىٰ، فلمَّا أمسى لم يكن له عشاء.

[٧] قال المُرتعِشُ: دخلتُ مع أبي حفصٍ على مريضٍ، فقال: ما تشتهي؟ قال: أن أبرأ. فقال لأصحابه: احملوا عنه. فقام معنا. وأصبحنا نُعادُ في الفُرُشِ.

[٨] قال السُّلَميُّ: أبو حفصٍ كان حداداً، وهو أول من أظهر طريقةَ التصوُّف بنيسابور.

[٩] قال أبو علي الثَّقفيّ: كان أبو حفصٍ يقولُ: من لم يزِنْ أحواله كُلَّ وقتٍ بالكتابِ والسُّنَّة، ولم يَتَّهم خواطِرَه، فلا تَعُدَّه.

[١٠] وعن أبي حفصٍ: ما استحقَّ اسمَ السخاءِ من ذكر العطاء، ولا لمحه بقلبِه.

[١١] وعنه: الكرم طَرحُ الدنيا لمن يحتاجُ إليها، والإقبالُ على الله بحاجتك إليه.

---

(١) انظر السير: ١٢/٥١٠-٥١٣.

[١]أحسنُ ما يتوسَّلُ به العبدُ إلى مولاه الافتقار إليه وملازمةُ السُنّة، وطلبُ القوت من حِلِّه.

توفي الأستاذ أبو حفص سنةَ أربعٍ وستين ومئتين. رحمةُ الله عليه.

٥٣٣ الصَّفَّار(١)

[٢] الملك، أبو يوسف، يعقوبُ بن الليث، السِّجِستاني، المستولي على خراسان.

[٣]قيل: كان هو وأخوه عمرو بن الليث يعملان في النُّحاس، فتزهّدا وجاهدا مع صالح المُطَّوعي المحارب للخوارج.

قال ابنُ الأثير: غَلَب صالحُ على سِجِستان، ثم استنقذها منه طاهرُ بن عبدالله ابنِ طاهـر، فظهـر بهـا درهـمُ بن حسين المُطَّوعي، فاستولى أيضاً عليها، وجعلَ يعقـوبَ بن الليث قائـد عسكره، ثم رأى أصحابُ دِرهـم عَجزَه، فملَّكوا يعقوبَ لحُسن سياستـه، فأذعن لهم دِرهم. واشتهـرت صولـةُ يعقـوب وغَلَبه على هراة وبُوشَنج، وحارب التركَ، وظفر برُتبيل، فقتَلَه وقتل ثلاثة ملوك ورجع معه ألوفٌ من الرؤوس، فهابته الملوكُ، وكان بوجهه ضربةُ سيف مُخَيَّطة.

وكان يحمل إلى المعتمد في العام خمسةَ آلاف ألف درهم، وقنع المعتمدُ بمداراته.

ثم أخذ بلخ ونيسابور، وأَسَرَ مُتولِّيها ابنَ طاهر في ستين نَفْساً من آله، وقصد جُرجان، فهزم المُتغلِّب عليها الحسنَ بن زيد العلويَّ، وغنِم منه ثلاث مئة حملِ مال، ثم دخل جُرجان، فظلم وعَسَف، فجاءت زلزلةٌ قتلت من جنده ألفين.

واستغاث جماعةٌ جرجانيون ببغداد من يعقوب، فعزَم المُعتمدُ على حربه ونَفَّذَ كُتبـاً إلى أعيان خُراسـان بذمِّ يعقـوب، وبأن يهتمّوا لاستئصاله فكاتب المعتمدَ يخضَعُ ويراوِغُ، ويطلبُ التقليدَ بتولِّيه المشرق، ففعل المعتمدُ ذاك وأخوه الموفق

(١) انظر السير: ١٢/٥١٣ـ ٥١٥.

لاشتغالهم بحرب الزِّنج .

وأقبل يعقوبُ ليملِكَ العراقَ، وبرز المعتمدُ، فالتقى الجمعان بدير العاقول[1]، وكَثُرت القتلى، فانهزم يعقوبُ، وجُرح أمراؤهُ، وذَهبت خزائنُه، وغرق منهم خلقٌ في نهرٍ.

وكان المصافُّ في رجب سنة ٢٦٢ فذهب يعقوبُ إلى واسط، ثم إلى تُستَر فأخذها، وتراجع جيشُه، وعظُمت وطأته، وكاد أن يملكَ الدنيا، ثم كان موتُه بالقُولَنج، ووُصفت له حُقنةٌ، فأبى، وتَلِفَ بعد أسبوعين.

وقَلَّ أن رُئي متبسماً، مات بجُنديسابور في سنة خمس وستين ومئتين.

أخوه صاحب خراسان:

٥٣٤ عَمرو بن اللَّيثِ الصَّفَّار [2]

[١] قيل: كان ضرّاباً في الصُّفْر، وقيل: بل مكاري حمير، فآل به الحالُ إلى السلطنة.

تملّكَ بعد أخيه، وأحسن السياسةَ، وعدلَ، وعظُمَتْ دُوَله، وأطاع الخليفة.

وقيل: كان في خدمة زوجته ألف وسبع مئة جارية.

ثم بَغى عمروٌ على والي سمرقند إسماعيل بن أحمد بن أَسَد.

وأقبل إسماعيل، فأخذ أصحابُ عمرو بن الليث في الهزيمة، فركبت عساكرُ إسماعيل ظهورَهم، وتَوَحَّلَت بعَمرو دابتُه، فأُسر، فأتي به إسماعيل، فاعتنقه وخدمه، وقال: ما أحببتُ أن يجري هذا، ثم بالغ في احترامِه، فقال: احلف لي ولا تُسلمني، فحلف له، لكن جاء رسولُ المعتضد بالخَلع والتقليد لإسماعيل، ويطلب عمراً. فأُدخل بغداد على بُختِي عليه جُبَّةٌ ديباج، وبُرنُس السُّخطِ. ثم قال له المعتضد: هذا بَيعَتُك يا عَمرو! ثم اعتقله، فقتله القاسمُ بن عبيد الله الوزيرُ يوم موتِ المعتضد سنة تسعٍ وثمانين ومئتين. وكان دولتُه نيفاً وعشرين سنة.

---

(١) وهو بين مدائن كسرى والنعمانية، على شاطىء دجلة.

(٢) انظر السير: ١٢/٥١٦-٥١٧

[١] حكى القُشيريُّ أنَّ عَمرو بن الليث رُئي، فقيل: ما فعل الله بك؟ قال: أشرفْتُ يوماً من جبل على جيوشي، فأعجبتني كثرتُهم، فتمنيتُ أنني كنتُ حضرتُ مع رسولِ الله ﷺ فنصرتُه وأعنته، فشكر الله لي، وغَفَر لي.

٥٣٥ المعتزُّ بالله(١)

[٢] لخليفةُ أبو عبدالله، محمد بن المتوكل جعفر بن المعتصم.

وُلد سنة اثنتين وثلاثين ومئتين، واستُخلف وهو ابنُ عشرين سنة أو دونها.

وبويع وقت خَلعِ المستعين، فلما كان بعد أشهر من ولايته، خَلَع أخاه المُؤيّد بالله إبراهيم من العهدِ، فما بقي إبراهيمُ حتى مات، وخاف المعتزُّ من أن يتحدَّث الناسُ أنه سمَّه، فأحضَر القُضَاةَ، حتى شاهدوه، وما به أثرٌ، فالله أعلم.

[٣] وكانت دولةُ المعتزِّ مستضعَفةً مع الأتراك، فاتفق القُوّاد، وقالوا: أعطنا أرزاقَنا، ويُقبِل صالحُ بن وصيف، وكان المعتزُّ يخافهُ، فطلب من أُمه مالاً لُينفِقَه فيهم، فَشَحَّتْ عليه، فتجمَّع الأتراكُ لخلعِه، واتَّفق معهم صالحٌ وبابياك، ومحمدُ بن بُغا، فتسلَّحوا، وأتوا الدارَ، وبعثُوا إلى المعتز ليَخرج إليهم. فقال: قد شربتُ دواءً، وأنا ضعيفٌ فهجم جماعةٌ، جَروُّه وضربوه، وأقاموه في الحَرِّ، فبقي المسكينُ يتضَوَّر وهم يلطِمُونه، ويقولون: اخلع نفسَك، ثم أحضروا القاضي والعُدول، وخَلَعُوه وأقدموا من بغداد محمدَ بن الواثق، وكان المعتزُّ قد أبعده، فسلَّم المعتزُّ إليه الخلافةَ، وبايعوه، ولُقِّب المهتدي بالله.

[٤] ثم إنَّ رؤوس الأتراك، أخذوا المعتزَّ بعد خمسةِ أيام فأدخلوه حَمَّاماً وأكربوه حتى عَطِش، ومنعوه الماءَ حتى كاد، ثم سقوه ماءَ ثَلْجٍ، فَسَقَطَ مَيْتاً، رحمه الله. وذلك في سنة خمس وخمسين ومئتين. وعاش ثلاثاً وعشرين سنة.

[٥] ووَهَى منصبُ الخلافة، فللّه الأمر.

---

(١) انظر السير: ١٢/٥٣٢ـ٥٣٥.

٥٣٦ المُهْتَدِي بالله(١)

[١] أميـر المؤمنين، المُهتـدي بالله، أبـو إسحاق، وأبو عبدالله محمدُ بن الواثق هارون بن المعتصم محمد بن الرشيد العباسي.

بويع ابنُ بِضـعٍ وثـلاثين سنة سنة خمس وخمسين وما قَبِل مبايعة أحدٍ حتى أحضر المعتزَّ بالله. فلما رآه قام له وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، وجلس بين يديه، فجيء بشهودٍ، فشهدوا على المعتزّ أنه عاجزٌ عن أعباءِ الإمامة، وأقرَّ بذلك، ومدَّ يدهُ، فبايع ابنَ عمِّه المهتدي بالله، فارتفع حينئذ المهتدي، إلى صدر المجلس، وقال: لا يجتمع سيفان في غمدٍ، وأنشد قولَ ابنِ أبي ذؤيب.

تُريدينَ كَيْما تَجْمَعيني وَخالِداً   وَهَل يُجْمَعُ السَّيفانِ، ويْحَكِ في غِمْدِ؟!

وكـان المهتـدي أسمَـرَ رقيقـاً، مليحَ الوجه، ورِعاً عادلاً صالحاً متعبِّداً بطلاً شجاعاً، قوياً في أمر الله، خليقاً للإمارة، لكنه لم يجد مُعيناً ولا ناصراً، والوقت قابل للإدبار.

نقل الخطيبُ عن أبي موسى العباسي: أنه ما زالَ صائماً منذ استُخلف إلى أن قُتل.

وقـال أبـو العبّاس هاشمُ بن القاسم: كنتُ عند المهتدي عَشِيَّةً في رمضان، فقمتُ لأنصرفَ، قال: اجلس. فجلستُ، فصلَّى بنا، ودعا بالطعام، فأحضر طَبَق خِلَافٍ(٢) عليه أرغفةٌ وآنية فيها ملحٌ وزيتٌ وخَلٌّ، فدعاني إلى الأكل، فأكلتُ أكلَ من ينتـظر الطبيخ، فقال: ألم تكن صائماً؟ قلت: بلى. قال: فكُل واستوفِ، فليس هنـا غيرُ ماترى؟! فعجبت ثم قلتُ: ولِمَ يا أمير المؤمنين، وقد أنعم الله عليك؟ قال: إني فكَّرتُ أنَّه كان في بني أمية عُمر بن عبدالعزيز، فغِرتُ على بني هاشم وأخذتُ نفسي بما رأيتَ.

قال ابنُ أبي الدنيا: حدثنا أبو النضر المَرْوَزيُّ، قال لي جعفرُ بن عبدالواحد:

---

(١) انظر السير: ١٢/٥٣٥ـ ٥٤٠.

(٢) صِنفٌ من الصفصاف، ومن عيدانه تصنع الأطباق.

[١]ذاكرت المهتدي بشيء، فقلتُ له: كان أحمدُ بن حنبل يقولُ به، ولكنه كان يُخالَفُ، كأنّي أشرتُ إلى آبائه ـ فقال: رحم الله أحمدَ بن حنبل، لو جاز لي لَتبَرَّأْتُ من أبي، تَكَلَّم بالحقِّ وقل به فإنَّ الرَّجلَ لَيَتَكلَّمُ بالحقِّ فَيَنْبُلُ في عيني.

[٢] قال نِفْطَوَيْه: أخبرنا بعضُ الهاشميين أنه وُجد للمهتدي سَفطٌ فيه جُبَّة صوف، وكساء كان يلبَسه في الليل، ويُصلِّي فيه، وكان قد اطَّرح الملاهي، وحرَّم الغناءَ، وحَسَمَ أصحابَ السُّلطان عن الظُّلم، وكان شديدَ الإشراف على أمرِ الدواوين، يجلسُ بنفسِه، ويُجلس بين يديه الكُتَّابَ يعملون الحسابَ، ويَلزَمُ الجلوسَ يومي الخميس والإثنين، وقد ضربَ جماعةً من الكبارِ، ونفى جعفرَ بن محمود إلى بغداد لرفضٍ فيه.

[٣] وعاثت الزَّنجُ بالبصرة، ويعقوب الصَّفَّار بخُراسان، وقَتل المُهتدي الأميرَ باكيال، فثار أصحابُه، وأحاطوا بدار الجوسق، فأُلقِي الرأسُ إليهم، وركب أعوانُ الخليفة، فتمت ملحمةٌ كُبرى، قُتل فيها من الأتراك ألوف وقيل بل ألف في رجب سنة ستّ، ثم أصبحوا على الحرب، فركب المُهتدي وصالحُ بن علي في عنقه المصحف يصيح: أيها الناس: انصروا إمامكم فحمل عليه أخو باكيال في خمس مئة، وخامَرَ الأتراكَ الذين مع الخليفة إليه، وحمي الوطيسُ، وتفلَّل جمع المُهتدي واستحر بهم القتلُ. فولَّى والسيفُ في يده يقولُ: أيُّها الناس: قاتِلوا عن خليفتكم، ثم دخل دارَ صالحِ بن محمد بن يزداد، ورمَى السلاحَ، ولبس البياض ليهرُب من السَّطح وجاء حاجبُ باكيال، فأُعلِم به فهرَب، فرماه واحدٌ بسهم، ونفحَهُ بالسيفِ ثم حُمل إلى الحاجب، فأركبوه بغلاً وخَلفَه سائسٌ، وضربوه وهم يقولون: أين الذهبُ؟ فأقرَّ لهم بستّ مئة ألف دينار مودَعةً ببغداد، فأخذوا خَطَّه بها، وعَصَر تُركِيٌّ على أُنْثيه فمات، وقيل: أرادوا منه أن يخلع نفسَه فأبى فقتلوه رحمه الله وبايعوا المُعتمدِ على الله.

وفي ذريته علماءُ وخُطباء.

٥٣٧ المعتَمِدُ على الله(١)

[١] **الخليفةُ، أبو العبّاس، وقيل: أبو جعفر، أحمدُ بنُ المتوكِّل على الله جعفر بن المُعتصم.** وُلد سنة تسع وعشرين ومئتين.

قلتُ: استُخلف بعد قتلِ المُهتدي بالله سنة ستٍّ وخمسين ومئتين.

[٢] وانهمكَ في اللهو واللعبِ، واشتغل عن الرَّعيَّة، فكرِهُوه، وأحبُّوا أخاه الموفق.

[٣] وفي رجب أيضاً استولت الزَّنجُ على البصرة والأُبُلَّة والأهواز، وقَتَلوا وسَبوا، وهم عبَيدُ العَـوام، وغـوغاءُ الأنذال المُلتفِّين على الخبيث وقام بالكوفة عليٌّ بن زيد العلويُّ، واستفحلَ أمرُه، وهَزَمَ جيشَ الخليفة وظهر أخوه حسن بن زيد بالرَّيّ.

وقَتَلت الزَّنجُ بالأُبُلَّةِ نحو ثلاثين ألفاً فحاربهم سعيدٌ الحاجب ثم قووا عليه، وقتلوا خَلقاً من جُندِه، وتمَّت بينهم وبين العسكر وقعاتٌ.

وفي سنـة **٢٥٨** جرت وقعـةٌ بين الـزَّنْج وبين العسكر، فانهزم العسكرُ وقُتل قائـدُهم منصور، ثم نهض أبو أحمد الموفَّق ومُفلح في عسكرٍ عظيم إلى الغاية لحربِ الخبيث، فانهزم جيشه، ثم تهيأ وجمعَ الجيوش وأقبل فتمت ملحمةٌ لم يُسمع بمثلِها، وظهر المسلمون، ثم قُتل مُقدَّمهم مُفلح فانهزم الناسُ، واستباحهم الزَّنجُ، وفرَّ المُوفَّق إلى الأُبُلَّةِ، وتراجعت إليه العساكر، ثم التقى الزَّنْج فانتصرَ، وأسر طاغيتهم يحيى، وبَعث به إلى سامَرَّاء فذُبح، ووقع الوباءُ، فمات خلائقُ، ثم التقى الموفقُ الزنج فانكسر، وقُتِل خلقٌ من جيشِه، وتحيَّز هو في طائفةٍ، وعَظُم البلاءُ وكاد الخبيثُ أن يملِكَ الدنيا، وكان كذَّاباً ممخرِقاً ماكراً شجاعاً داهيةً ادَّعى أنه بُعث إلى الخلق، فردَّ الرسالة، وكان يدَّعي علم الغيب، لعنهُ الله.

ودخلت سنةُ تسعٍ، فعرض الموفَّق جيشَه بواسط، وأما الخبيثُ فدخل البطائح، وبَثَقَ حولَه الأنهار وتحصَّن، فهجم عليه الموفَّق، وأحرقَ وقَتل فيهم، واستنقَذ من السبايا، وردَّ إلى بغداد، فسار خبيثُ الزَّنج إلى الأهواز، فوضع السيفَ، وقتل نحواً من خمسين ألفاً، وسبى أربعين ألفاً فسار لحربه موسى بنُ بُغا فتحاربا بضعةَ عشر

(١) انظر السير: ١٢/ ٥٤٠-٥٥٣.

شهراً، . وذهب تحت السيف خلائقُ من الفريقين، فإنا لله، وإنا إليه راجعون.

وفي سنة ٦٦ أقبلت الرومُ إلى ديار ربيعة، وقتلُوا وسبَوا، وهرب أهلُ الجزيرة، واستباحتِ الزَّنجُ رامَهُرْمُز.

وفي سنة سبعٍ كَرُّوا على واسط، وعَثَّروا أهلها، فجهَّز الموفَّق ولده أبا العبّاس الذي صار خليفة، فقتلَ وأسر، وغرَّق سُفُنهم. ثم تجمَّع جيشُ الخبيث، والتقوا بالعبـاس فهـزَمهم، ثم التقوا ثالثاً فهزمَهم، ودام القتالُ شهرين، ورغبوا في أبي العباس، واستأمن إليه خلقٌ منهم، ثم حاربهم حتى دَوَّخ فيهم، وردَّ سالماً غانماً، وبقي له وقعٌ في النفوس وسار إليهم المُوفَّقُ في جيش كثيفٍ في الماء والبر، ولقيه ولدُه، والتقوا الزنج فهزمُوهم أيضاً، وخارت قوى الخَبيث، وألحّ المُوفَّق في حربهم ونازل طِهْثِيًّا، وكان عليها خمسةُ أسوار، فأخذها، واستخلص من أسرِ الخُبثاء عشرة آلاف مسلمـة، وهَدَمها، وكان المُهلَّبيُّ القائدُ مُقيماً بالأهواز في ثلاثين ألفاً من الزَّنج، فسار المُوفَّقُ لحربه، فانهزم، وتفرَّق عسكرُهُ، وطلب خلقٌ منهم الأمانَ، فأمَّنهم، ورَفَق بهم، وخلع عليهم، ونزَل المُوفَّق بتُستَر، وأنفق في الجيش، ومَهَّد البلاد، وجهَّز ابنَه المُعتضد أبا العباس لحرب الخبيث، فجهَّز له سُفناً فاقتتلوا، وانتصر أبو العباس وكتب كتاباً إلى الخبيث يُهدِّده، ويدعوه إلى التوبة مما فعل، فعتـا وتمـرَّد وقتل الرسولَ، فسار المُوفَّق إلى مدينة الخبيث بنهر أبي الخصيب، ونصب السلالم ودخلوها، وملكوا السُّور، فانهزم الزَّنج، ولما رأى المُوفَّق حَصَانَتَها اندهش، واسمُها المختارة، وهَالَهُ كثرةُ المقاتلة بها، لكن استأمن إليه عدة فأكرمهم.

ونقلتُ تفاصيلَ حروب الزنج في «تاريخ الإسلام» فمِن ذلك لمَّا كان في شعبان سنة سبع برز الخبيثُ وعسكرهُ فيما قيل في ثلاث مئة ألف ما بين فارسٍ وراجلٍ، فركب الموفّقُ في خمسين ألفاً،وحجز بينهم النهر، ونادى المُوفَّقُ بالأمانِ، فاستأمن إليه خلقٌ، ثم إنَّ الموفَّق بنى بإزاء المُختارة مدينة على دجلة سماها المُوفَّقيَّة، وبنى بها الجامع والأسواقَ، وسكنها الخلقُ واستأمن إليه في شهرٍ خمسةُ آلاف، وتمَّت

ملحمةٌ في شوال، ونُصر المُوفَّق.

وفي ذي الحِجة عبر المُوَفَّق بجيشِه إلى ناحية المختارة، وهرب الخبيث، لكنه رجع، وأزال المُوفَّق عنها.

وفي ثمانٍ وستين تتابع أجنادُ الخبيثِ في الخروج إلى الموفق، وهو يُحسِنُ إليهم، وأتاه جعفرُ السَّجَّان صاحب سرِّ الخبيث، فأعطاه ذهباً كثيراً فركبَ في سفينة حتى حاذى قصر الخبيث. فصاح إلى متى تصبِرون على الخبيث الكذاب؟ وحدَّثهم بما اطَّلع عليه من كَذِبه وكُفرِه، فاستأمن خلقٌ. ثم زحف المُوفَّق على البلدِ، وهَدَّ من السور أماكن، ودخل العسكرُ من أقطارها واغترُّوا، فكرَّ عليهم الزنج، فأصابوا منهم، وغَرِق خلقٌ، وردَّ المُوفَّقُ إلى بلده حتى رَمَّ شَعثَه، وقَطَع الجلبَ عن الخبيث، حتى أكل أصحابُه الكلابَ والميتة، وهرب خَلْقٌ، فسألهم الموفق، فقالوا: لنا سَنَة لم نر الخبز وقُتل بهبُود أكبرُ أُمراءِ الخبيث، وقَتل الخبيثُ ولدَه لكونه هَمَّ أن يخرجَ إلى المُوفَّق.

وفي سنة تسعٍ دخل المُوفَّق المختارة عَنوَةً، ونادى الأمانَ، وقاتَل حاشيةُ الخبيثِ دونه أشدَّ قتال، وحاز الموفق خزائن الخبيث، وألقى النارَ في جوانب المدينة، وجُرح الموفَّق بسهمٍ فأصبح على الحرب، وآلمه جُرحُه، وخافوا، فخرجوا حتى عُوفي، ورمَّ الخبيثُ بلده.

وفي شوال كانت الملحمةُ الكبرى بين الخبيث والموفق، ثم وقعت الهزيمة على الزَّنج، وكانوا في جوعٍ شديد وبلاءٍ، لا خفَّف الله عنهم، التقى الخبيثُ والمُوفَّق، فانهزمتِ الزَّنج أيضاً، وأحاطُ الجيشُ، فحصروا الخبيثَ في دار الإمارة، فانملس منها إلى دار المهلَّبيِّ أحد قُواده، وأُسِرَت حُرَمه، فكان النساء نحوَ مئةٍ، فأحسَن إليهنَّ المُوفَّق، وأُحرقت الدارُ، ثم جرت ملحمةٌ بين المُوفَّق والخبيثِ في أول سنة سبعين، ثم وقعة أخرى قُتل فيها الخبيثُ، لا رحمه الله. وكان قد اجتمع من الجُند، ومن المُطَّوعة مع المُوفَّق نحو ثلاث مئة ألف، وفي آخر الأمر شدَّ الخبيثُ وفرسانُه فأزالوا الناسَ عن مواقفهم فحمل الموفقُ فهزَمهم، وساقَ وراءهم إلى آخر

النهرِ، فبينا الحربُ تستعرُ إذ أتى فارسٌ إلى المُوفَّق وبيده رأسُ الخبيث فما صدَّق. وعرضَه على جماعةٍ، فقالوا: هو هو فترجَّل الموفَّق والأمراءُ وخَرُّوا ساجدين لله وضَجُّوا بالتكبير، وبادر أبو العبَّاس بن الموفَّق في خَواصِّه، ومعه رأس الخبيث على قناة إلى بغداد، وعُملت قِبابُ الزينة وكان يوماً مشهوداً، وشرع الناسُ يتراجعون إلى المدائن التي أخذها الخبيثُ، وكانت أيامُه خمس عشرةً سنة.

قال الصُّولي: قد قتل من المسلمين ألفَ ألفٍ وخمس مئة.

قلت: وكذا عددُ قتلى بابَك.

قال: وكان يصعدُ على منبره بمدينته، ويسُبُّ عثمانَ وعليّاً وطلحةَ وعائشة كمذهب الأزارقة، وكان يُنادِي على المَسبِيَّة العلويَّة في عسكرِه بدرهمين. وكان عند الزَّنجي الواحدِ نحو عشر علويَّات، يفترشُهنَّ ويخدُمْنَ امرأتَه.

[١] وفيها نازلت الرومُ في مئةِ ألفٍ طَرَسوسَ، فَبَيَّتهم يا زمان الخادمُ فقيل: قُتل منهم سبعون ألفاً، وقُتل مَلِكُهم، وأُخذ منهم صليبُ الصَّلَبُوت. فالحمدُ لله على هذا النصرِ العزيز الذي لم يُسمع بمثلِه، مع تمام المِنَّةِ على الإسلام بمصرعِ الخبيث.

وعاد الموفَّق إلى بغداد مريضاً من نِقْرسٍ، ثم صار داءَ الفيل وقاسى بلاءً، فكان يقولُ: في ديواني مئةُ ألف مُرتزقٍ، ما أصبحَ فيهم أسوأُ حالاً منِّي، ثم مات.

وفي سنة ٧٩ خُلع المفوَّض بن المعتمد من ولاية العهد، وقُدّمَ عليه أبو العبّاس المُعتضد بن المُوفَّق. نهض بذلك الأُمراءُ.

وفيها مَنَع أبو العبَّاس القُصَّاص والمنجمين، وألزم الكُتبيين أن لا يبيعوا كُتُب الفلسفةِ والجدل، وضَعُفَ أمر عَمِّه المعتمد معه، ثم مات فجأةً لإحدى عشرة ليلةُ بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومئتين ببغداد ونُقل فدُفن بسامراء. فكانت خلافتُه ثلاثاً وعشرين سنة وثلاثة أيام.

[٢] مات بالقصر الحَسَني مع النُّدماء والمطربين، أكل في ذلك اليومِ رؤوس الجداء، فيقال: سُمَّ، وماتَ معه مَن أكل منها، وقيل: نام فَغَمُّوه ببساط. وقيل: سُمَّ في كأس، وأدخلوا إليه إسماعيلَ القاضي والشهود، فلم يروا به أثراً،

واستُخلف أبو العباس المُعتضد. وكانت عُرَيبُ جاريةُ المعتمد ذاتَ أموالٍ جزيلةٍ، ولها في المعتمد مدائحُ، وكان يَسْكَرُ ويُعربِدُ على الندماء، سامحه الله. وكانت دولته بهِمَّةِ أخيه المُوفَّق لا بأسَ بها.

٥٣٨ مُسْلِم (ت)[١]

هو الإمامُ الكبيرُ الحافظُ المجوِّد الحجة الصادق، أبو الحسين، مُسلمُ بن الحجّاج بنِ مسلم بن وَردِ بن كوشاذ القُشَيريُّ[٢] النيسابوريُّ، صاحب «الصحيح» فلعلَّه من موالي قُشَير.

لم يَروِ الترمذيُّ في «جامعه» عن مسلمٍ سوى حديثٍ واحد.

قال أحمدُ بن سَلمة: رأيتُ أبا زُرعة وأبا حاتِم يُقدِّمان مسلماً في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما.

قال أبو عمرو بن حَمدان: سألتُ الحافظ ابن عُقدَةَ عن البُخاري ومسلم: أيُّهما أعلمُ؟ فقال: كان محمدٌ عالماً، ومسلمٌ عالمٌ، فكرَّرتُ عليه مِراراً، فقال: يا أبا عَمرو، قد يقع لمحمدٍ الغَلَطُ في أهل الشام وذلك أنه أخَذَ كتبهم، فنَظَرَ فيها، فربما ذكر الواحدَ منهم بكُنيَتِه ويذكُرُه في موضع آخرَ باسمِه، يتَوَهَّم أنهما اثنان، وأما مسلمٌ فَقَلَّما يقعُ له من الغلط في العِلَل، لأنه كتبَ المسانيدَ، ولم يكتب المَقاطيعَ ولا المَراسيل.

قلتُ: عَنىَ بالمقاطيع أقوالَ الصحابةِ والتابعين في الفقهِ والتفسير.

قال أبو عبدالله محمدُ بن يعقوب بن الأخرم الحافظ: إنما أخرجت نيسابور ثلاثة رجال: محمدَ بن يحيى، ومسلم بن الحجاج، وإبراهيم بن أبي طالب.

وقال الحُسين بن محمد الماسَرجِسِيُّ: سمعتُ أبي يقولُ: سمعتُ مسلماً يقولُ: صنَّفت هذا «المُسند الصحيح» من ثلاثة مئة ألف حديث مسموعة.

---

(١) انظر السير: ١٢/٥٥٧- ٥٨٠.

(٢) القشيري، من بني قشير قبيلة من العرب معروفة.

قال الحاكمُ: سمعتُ أبا عبدالرحمن السُّلميَّ يقولُ: رأيتُ شيخاً حَسَنَ الوجهِ والثياب، عليه رداءٌ حَسَنٌ، وعمامةٌ قد أرخاها بين كتفيه فقيل: هذا مسلم. فتقدَّم أصحابُ السلطان، فقالوا: قد أَمَر أميرُ المؤمنين أن يكون مسلمُ بنُ الحجَّاجِ إمامَ المسلمين، فقدَّموه في الجامع فكبَّر، وصلَّى بالناس.

قال الحافظ ابنُ مَندة: سمعتُ أبا علي النيسابوريَّ الحافظ يقولُ: ما تحت أديم السماءِ كتابٌ أصحّ من كتاب مسلم.

وقال مكيُّ بن عَبدان: سمعتُ مسلماً يقولُ: عرضتُ كتابي هذا «المسند» على أبي زُرعة، فكلُّ ما أشار عليَّ في هذا الكتاب أنَّ له عِلَّةً وسبباً تركتهُ، وكلُّ ما قال: إنَّه صحيح ليس له علَّةٌ، فهوالذي أخرَجتُ،ولو أنَّ أهلَ الحديثِ يكتبون الحديثَ مئتي سنة فمدارُهم على هذا «المسند».

قال الدارقُطني: لولا البخاريُّ ما راح مسلمٌ ولا جاء.

قلتُ: ثم إنَّ مسلماً، لِحِدَّةٍ في خُلُقِه، انحرَفَ عن البخاريِّ ولم يذكُرْ له حديثاً، ولا سمّاه في «صحيحه»، بل افتتح الكتاب بالحَطّ على من اشترط اللُّقِيَّ لمن روى عنه بصيغَة «عنْ»، وادّعى الإجماعَ في أنَّ المُعاصرةَ كافيةٌ، ولا يتوقَّف في ذلك على العلم بالتقائِهما، ووبَّخَ مَن اشترط ذلك. وإنما يقولُ ذلك أبو عبدالله البخاريُّ، وشيخُه عليُّ بن المديني، وهو الأصوبُ الأقوى.

توفي مُسلمٌ سنة إحدى وستّين ومئتين بنيسابور، عن بضع وخمسين سنة، وقبره يُزار.

٥٣٩ الربيعُ بنُ سُليمان (د، ق، س، ت)[١]

[١]ابن عبد الجَبار، الإمامُ المحدِّث الفقيه الكبير، بقيةُ الأعلام، أبو محمد، المُراديُّ، مولاهم المصريُّ المؤذن، صاحبُ الإمام الشافعي، وناقِلُ علمِه، وشيخُ المُؤذِّنين بجامعِ الفُسطاط ومُستملي مشايخِ وقتِه.

(١) انظر السير: ١٢/٥٨٧-٥٩١.

مولده في سنة أربعٍ وسبعين ومئة أو قبلها بعام .

وطال عُمره ، واشتهرَ اسمُه ، وازدحم عليه أصحابُ الحديث ، ونعم الشيخ كان ، أفنى عُمُـرَه في العلم ونشـرِه ، ولكن ما هو بمعـدُودٍ في الحُفّاظ وإنما كتبتُه في «التذكرة» وهنا لإمامته وشهرتِه بالفقه والحديثِ .

ورَووا عن الربيعِ أنَّه قال : كُلُّ مُحدِّثٍ حدَّث بمصرَ بعد ابنِ وهبٍ كنتُ مُستَمليَه .

ورُوي عن الشافعيِّ أنه قال للربيع : لو أمكنَني أن أُطعمكَ العلمَ لأطعمتُك.وقال أيضاً : الربيعُ راوية كتبي .

وقال أبو عُمر بنُ عبد البَرِّ : ذكر محمدُ بن إسماعيلَ الترمذيُّ أسماءَ من أخذَ عن الربيعِ كُتُبَ الشافعي ، ورحل إليه فيها من الآفاق ، فسمَّي نحو مئَتي رجل .

قال أبو عمر : وكان الربيعُ لا يُؤذِّن في منارةِ جامعِ مصرَ أحدٌ قبلَه ، وكانت الرحلةُ إليه في كُتُب الشافعي ، وكانت فيه سلامةٌ وغَفَلة . ولم يكن قائماً بالفقه .

[١] قلتُ : قد كان من كبارِ العلماء ، ولكن ما بلغ رُتبةَ المُزَنيِّ ، كما أن المُزَنيَّ لا يبلغُ رتبةَ الربيع في الحـديث ، وقـد روى أبـو عيسى في «جامعه» عن الربيع بالإجازة ، وقد سمعنا من طريقه «المسنَد» للشافعي انتَقاهُ أبو العبّاسِ الأصمُّ من كتاب «الأُم» لينشَطَ لروايته للرَّحالة وإلا فالشافعيُّ رحمه الله لم يُؤلِّف مسنداً .

[٢] وقيل : إن هذا الشعر للربيع :

صَبْراً جميلاً ما أسرعَ الفَرجا ... مَنْ صَدَق اللهَ في الأُمورِ نَجا

مَن خِشيَ الله لَمْ يَنَلْهُ أذى ... ومَن رَجا الله كانَ حَيْثُ رجَا

مات الربيع سنة سبعين ومئتين .

٥٤٠ أحمدُ بنُ مَهدي(١)

[٣]ابنُ رستُم ، الإمامُ القدوةُ العابدُ الحافظُ المُتقِن ، أبو جعفرٍ الأصبَهانيُّ .

(١) انظر السير : ١٢/٥٩٧ـ٥٩٨ .

[١]قال محمدُ بن يحيى بن مَندة: لم يُحدِّث ببلدِنا منذ أربعين سنة أوثقُ منه، صنَّفَ «المسند» ولم يُعرف له فراشٌ منذ أربعين سنة، صاحبُ عبادةٍ رحمه الله.

[٢] وقال أبو نُعَيم الحافظُ: كان صاحبَ ضياعٍ وثروة، أنفق على أهلِ العلم ثلاثَ مئة ألف درهم.

وقال ابنُ النَّجَّار: كان من الأئمة الثقات، وذَوي المروءات، رحل إلى الشام ومصرَ والعراق.

[٣]قال أحمدُ بن مَهدي: جاءتني امرأةٌ ببغداد ليلةً، فَذَكَرَتْ أنَّها من بناتِ الناس، وأنّها امتُحِنَت بمحنةٍ، وأسألُك بالله أن تستُرَني، فقد أُكرِهتُ على نفسي، وأنا حُبْلَى، وقلتُ: إنّكَ زوجي فلا تفضحني، فنكَّبْتُ عنها، ومضيت. فلم أشعر حتى جاء إمامُ المَحَلَّةِ والجيرانُ يهنئوني بالولد الميمون، فأظهرت التَّهليل، ووزنتُ في اليوم الثاني للإمامِ دينارين، وقلتُ: اعطها نفقةً، فقد فارقتُها، وكنتُ أعطيها في كل شهر دينارين، حتى أتى على ذلك سنتان، فمات الطفلُ، وجاءني الناسُ يُعَزُّونني فكنتُ أُظْهِرُ لهم التسليم والرِّضى، فجاءتني بعد أيامٍ بالدنانير فردَّتها ودَعت لي، فقلتُ: هذا الذهبُ كان صِلَةً للولد، وقد ورِثتيه، وهو لكِ.

توفي في سنة اثنتين وسبعين ومئتين.

٥٤١ بكَّار بنُ قُتيبة(١)

[٤]ابنِ أسَد بن عُبيد الله بن بَشير بن صاحب رسول الله ﷺ أبي بَكرة نُفَيع بن الحارث، الثقفيُّ البَكراويُّ البصريُّ القاضي الكبير، العلَّامةُ المحدِّثُ، أبو بكرة، الفقيهُ الحنفي، قاضي القضاة بمصر.

مولده في سنة اثنتين وثمانين ومئة بالبصرة.

وعُني بالحديث، وكتب الكثيرَ، وبرَع في الفروع، وصنَّف واشتغل.

[٥] أحمدُ بن سهلِ الهَرَويّ قال: كنتُ ساكناً في جوارِ بكَّار بن قُتيبةَ فانصرفتُ بعد

(١) انظر السير: ١٢/٥٩٩-٦٠٥.

العِشاء، فإذا هو يقرأ ﴿يا داودُ إنَّا جَعَلْناكَ خَليفَةً في الأرضِ فاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بالحقِّ ولا تَتَّبـعِ الهَـوَى فَيُضِلَّكَ عَن سبيلِ اللهِ﴾ [ص ٢٦] قال: ثم نزلتُ في السَّحَر، فإذا هو يقرؤها، ويبكي، فعلمت أنه كان يتلوها من أوَّل الليل.

[١]قلتُ: كان عظيمَ الحُرمَةِ، وافِرَ الجلالة، من العلماء العاملين كان السلطانُ ينزل إليه، ويحضر مجلسه.

[٢]قلتُ: كان ولي العهـد المُـوفَّقُ قد استبدَّ بالأُمور، وضَيَّق على أخيه الخليفة المعتمـد. قال الصُّـولي: تخيَّل المُعتمـد من أخيه، فكاتب أحمدَ بنَ طولون، واتفقا، وقال المعتمد:

[٣] أليسَ من العجائِبِ أنَّ مِثلي يرى ما قلَّ ممتنعاً عَلَيه
وتؤكَل باسمِهِ الدنيا جميعاً وما من ذاكَ شيءٌ في يدَيه

فبلغَنا أن ابن طولون جمع العلماء والأعيان، وقال: قد نكث الموفقُ أبو أحمد بأمير المؤمنين، فاخلعوه من العهد فخلعوه، إلا بكّار بن قتيبة. وقال: أنت أوردت عليَّ كتـاب المعتمـد بتـوليه العهـدَ، فهـاتِ كتـابـاً آخـر منـه بخلعه. قال: إنـه محجـورٌ عليه ومقهـورٌ؟ قال: لا أدري. فقال له: غرَّكَ النّاسُ بقولهم: ما في الدنيا مثل بكَّار، أنت قد خرِفت، وقيَّده وحَبَسَه، وأخذ منه جميع عَطائه من سنين، فكـان عشـرَةَ آلافِ دينار، فقيل: إنها وجدت بختومها وحالِها، وبلغ ذلك الموفَّق، فأمر بلعن ابن طولون على المنابر.

[٤]قال ابن خلِّكان: وكان بَكّارُ تالياً للقرآنِ، بكّاءً صالحاً دَيِّناً وقبره مشهورٌ قد عرف باستجابة الدعاءِ عنده.

[٥]تُوفي سنةَ سبعين ومئتين. وقيل: شَيَّعه خلقٌ عظيم أكثر ممن يشهدُ صلاةَ العيد، رحمه الله تعالى. قلتُ: عاش تسعاً وثمانين سنة.

٥٤٢ محمدُ بنُ عَوف (د)(١)

[١]**ابنِ سفيان، الإمامُ الحافظُ المجوِّد، محدِّث حمص، أبو جعفر الطائيُّ الحمصيُّ.**

[٢]قال عبدُ الصمد بن سعيد القاضي: سمعتُ محمدَ بن عوف يقولُ: كنتُ ألعبُ في الكَنيسة بالكُرة وأنا حَدَثٌ، فدخلت الكرةُ، فوقعت قُربَ المُعافى بن عمران الحِمصيِّ، فدخلت لأخْذِها، فقال: ابنُ مَن أنتَ؟ قلت: ابنُ عوف بن سفيان، أَمَا إنَّ أباكَ كان من إخواننا. فكان ممن يكتُب معنا الحديثَ والعلم، والذي كان يُشبِهُك أن تَتَّبعَ ما كان عليه والدك. فصِرت إلى أُمي فأخبَرتُها، فقالت: صدقَ، هو صديقٌ لأبيك، فألبستني ثوباً وإزاراً، ثم جئت إلى المُعافى، ومعي محبرةٌ وورق، فقال لي: اكتُب: حدثنا إسماعيلُ بن عَيّاش، عن عبد ربِّه بن سليمان،

[٣] قال: كتبتُ لي أُمُّ الدرداءِ في لَوحي: اطلبوا العلَمَ صِغاراً، تعمَلوا به كباراً، فإنَّ لكلِّ حاصدٍ ما زَرَعَ.

[٤]وعن أحمدَ بنِ حنبل، قال: ما كان بالشام منذُ أربعينَ سنةً مثلُ محمدِ بنِ عوف.

مات ابنُ عوفٍ في سنة اثنتين وسبعين ومئتين رحمه الله.

٥٤٣ الأثْرَم (س) (٢)

[٥]**الإمامُ الحافظُ العلامةُ، أبو بكر، أحمدُ بنُ محمد بن هانىء، الإسكافيُّ الأثرم الطائي، أحدُ الأعلام، ومُصنِّف «السُّنَن» وتلميذُ الإمام أحمد.**

[٦]قال الأثرَمُ: سألتُ أبا عبدالله عن التعريفِ في الأمصار، يَجتمعون في المساجد يومَ عَرفة، فقال: أرجو أن لا يكونَ به بأسٌ، فعَله غير واحدٍ: الحسنُ، وبكرُ بن عبدالله، وثابتٌ، ومحمدُ بن واسع، كانوا يشهدون المسجدَ يومَ عَرَفة، وسألتُه عن

---

(١) انظر السير: ١٢/٦١٣-٦١٦.

(٢) انظر السير: ١٢/٦٢٣-٦٢٨.

القراءةِ بالألحان، فقال: كلُّ شيءٍ مُحدَثٍ فإنَّه لا يُعجبني، إلا أن يكون صوتَ الرجل لا يَتَكَلَّفُه.

[١] قال أبو بكر الخلَّال: سمعتُ أبا بكرٍ المَرُّوذِيَّ يقولُ: قال الأثرمُ: كنت أحفَظ ـ يعني الفقه والاختلاف ـ فلما صحبت أحمد بن حنبل تركتُ ذلك كُلَّه. وكان معه تَيَقُّظٌ عجيبٌ، حتى نَسَبَه يحيى بن مَعين، ويحيى بن أيُّوبَ المقابري، فقال: كان أحدُ أَبوي الأثرم جِنيّاً.

[٢] ثم قال الخلَّال: قام رجلٌ فقال: أُريدُ من يكتُبُ لي من كتاب الصلاةِ ما ليس في كُتُب أبي بكر بن أبي شَيبة، فقُلنا له: ليس لَكَ إلا أبو بكر الأثرم. قال: فوجَّهوا إليه ورَقاً، فكتب ست مئة ورقة من كتاب الصلاة، قال: فنظرنا فإذا ليس في كتاب ابنِ أبي شَيبةَ منه شيء.

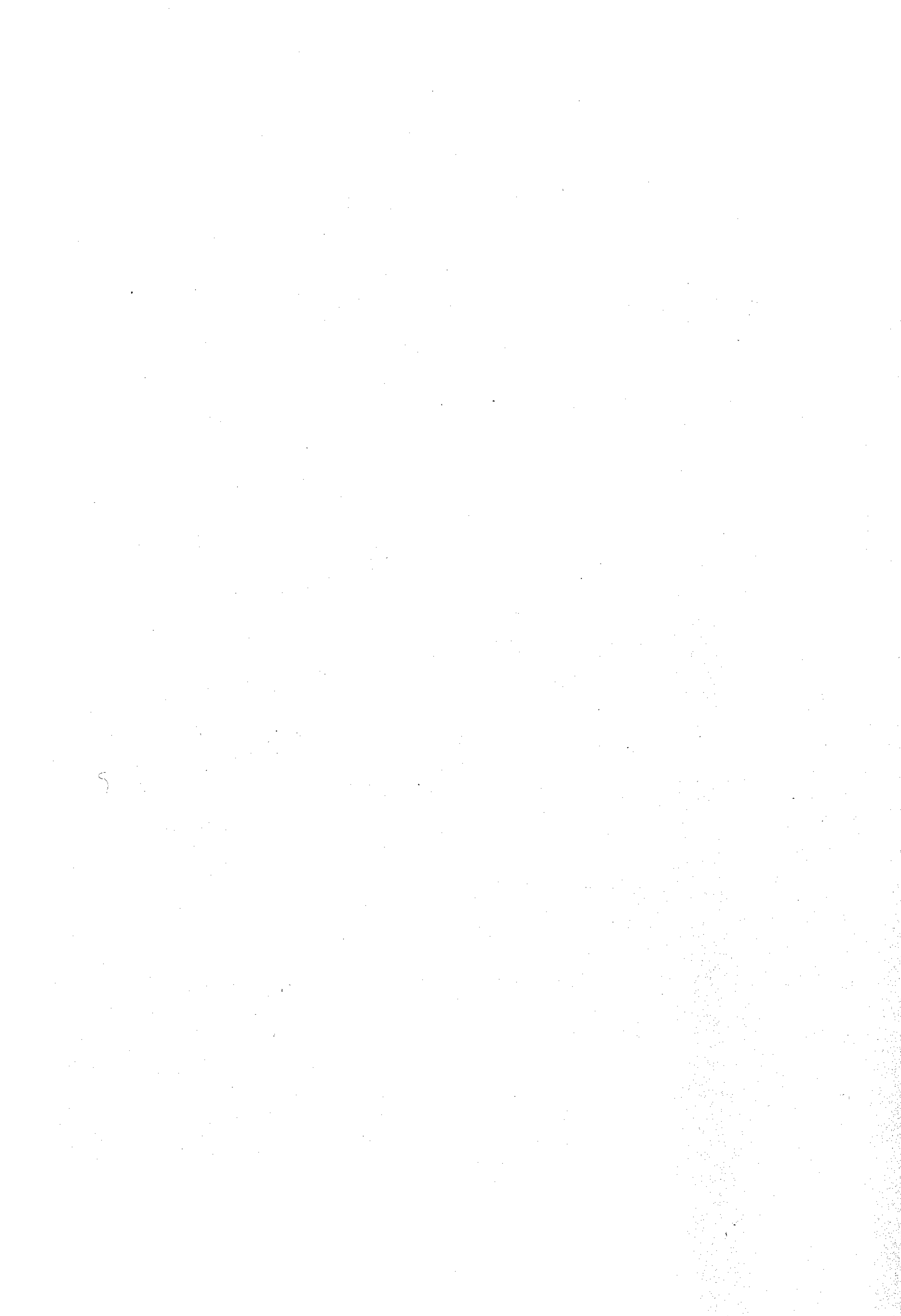
قلتُ: كان عالماً بتواليف ابنِ أبي شيبة، لازَمَه مدةً.

[٣] قال الخَلَّال أبو بكر: وسمعتُ الحسنَ بن علي بن عمر الفقيه يقول: قدِم شيخان من خراسان الحج، فحدّثا فلما خرجا طلبَ قومٌ من أصحاب الحديث أحدَهما، قال: فخرجا: يعني إلى الصحراء ـ فقَعَدَ هذا الشيخ ناحيةً معه خَلقٌ ومُستملٍ، وقعد الآخر ناحيةً كذلك، وقعد أبو بكر الأثرم بينهما، وكتبَ ما أملىٰ هذا وما أملىٰ هذا.

قلتُ: لم أظفر بوفاةِ الأثرم، ومات في حدود الستين ومئتين قبلها أو بعدِها.



الجـزء الثـالث عشر



٥٤٤ الحسن بن مَخْلَد[١]

ابن الجرَّاح، الوزير الأكمل، أبومحمد البغدادي، الكاتب، أحد رجال العصر سُؤدُداً، ورأيا، وشهامة، وكتابة، وبلاغة، وفصاحة، ونبلا.

مولده: في تسع ومئتين. فاتفق أنه ولد فيها أربعة وزراء: هو، وعبدالله بن يحيى بن خاقان، ومحمد بن عبدالله بن طاهر، وأحمد بن إسرائيل.

وزَرَ الحسن للمعتمد نوبتين، فصادره ثم وزر له ثالثا، فاستمر خمسة أعوام، فَسَخِط عليه، فتسلّل إلى مصر، فأقبل عليه ابن طولون وجعل إليه نظرَ الإقليم، والتزم له بنمو ألفِ ألفِ دينار في السنة مع العدل، فخافه العمال، وتفرغوا له، وقالوا: هذا عين عليك للموفق ولي العهد فتخيّل وسجنه. فقالوا: ما الرّأيُ في حبسه في جوارك، فربما حدث به موتٌ، فينسب إليك.. فأرسل به إلى نائبه بأَنْطَاكِيَةَ، وأمره أن يعذبَه، فتلِف تحت العذاب.

وكان ـ مع ظلمه ـ شاعرا جوادا ممدَّحاً، امتدحه البُحْتَرِيُّ وغيره.

قال ابن النجار: عمل الوزارة مع كتابة الموفق، وكان آيةً في حساب الديوان، حتى قيل: مالا يعرفه ابن مَخْلَد، فليس من الدنيا.

وكان تامّ الشكل، مهيباً، فاخر البِزَّة، يركب غلمانه في الديباج، ونسيج الذهب، وعدة جنائب وإذا جلس في داره تقع العين على الفرش والسُّتُور، والآنية التي قيمتُها مئةُ ألف دينار. كان في هيئة سلطان كبير.

مات في سنة إحدى وسبعين ومئتين.

---

(١) انظر السير: ١٣/ ٧ـ٨.

٥٤٥ ابن خَاقَان(١)

[١]الوزير الكبير، أبوالحسن، عُبَيْد الله بن يحيى بن خاقان التركي، ثم البَغدادي. وزر للمتوكل، وللمُعْتَمد. وجرت له أمور. وقد نفاه المستعين إلى بَرْقَة، ثم قدم بغداد بعد خمس سنين، ثم وزر سنة ست وخمسين.

[٢]ذكر محرز الكاتب أن عُبَيْدَاللهِ مرض، فعاده عمُّه الفتحُ، وقال: إن أمير المؤمنين يسأل عن علتك. فقال:

عليل من مكانين من الأسقام والدَّين
وفي هذينِ لي شُغْلٌ وحسبي شُغْلُ هذين

فوصله المتوكل بألف ألف.

[٣]وقيل: لم يكن له حظ من الصناعة، فَأُيِّد بأعوانٍ وكُفَاةٍ.

وكان واسعَ الحيلة. ونفاه المُعْتَز، فلما وَلِيَ المعتمد طلبه، وخلع عليه، فأدَّبَتْهُ النَّكْبَةُ، وتهذَّب كثيرا. وله أخبار في الحلم والسخاء.

مات وعليه ست مئة ألف دينار، مع كثرة ضياعه.

قيل: صدمه خادمه رَشِيق في لعب الصَّوالجة،(٢) فسقط، ثم مات ليومه، سنة ثلاث وستين ومئتين.

٥٤٦ يحيى بن مُعَاذ(٣)

[٤]الرَّازيُّ، الواعظ: من كبار المشايخ، له كلام جيد، ومواعظ مشهورة.

[٥]وعنه قال: لست أبكي على نفسي إن ماتت، إنما أبكي على حاجتي إن

(١) انظر السير: ١٣/ ٩-١٠.

(٢) الصوالجة: جمع الصولجان، وهو عصا يعطف طرفها، يضرب بها الكرة على الدواب.

(٣) انظر السير: ١٣/ ١٥-١٦.

فاتت.

[١]لا يُفْلِحُ من شَمَمْتَ رائحة الرِّياسة منه.

[٢]مسكينٌ ابنُ آدم، قَلْعُ الأحجار أهون عليه من ترك الأوْزار.

[٣]لا تَسْتَبْطيءِ الإجابةَ وقد سددتَ طريقَها بالذنوب.

[٤]الدنيا لا تعدل عند اللهِ جَنَاح بعوضة، وهو يسألك عن جَنَاح بعوضة.

[٥]وعنه قال: الدرجات سبع: التوبة، ثم الزهد، ثم الرضى، ثم الخوف، ثم الشوق، ثم المحبة، ثم المعرفة.

٥٤٧ ابـن وَارَة (س)(١)

[٦]محمـد بن مُسلم بن عثمان: الحافظ، الإمام المجوّد، أبوعبدالله بن وارة الرازي، أحد الأعلام.

ارتحل إلى الآفاق. وكان يضرب به المثل في الحفظ، على حُمْقٍ فيه وَتِيْه.

وكان مولده في حدود عام تسعين ومئة.

قال النسائي: هو ثقة، صاحب حديث.

وقال عبدالمؤمن بن أحمد: كان أبو زُرْعَةَ لا يقوم لأحد، ولا يُجْلِسُ أحدا في مكانه، إلا ابن وَارَة.

قال أبوجعفر الطّحاوي: ثلاثة من علماء الزمان بالحديث، اتفقوا بالرَّي، لم يكن في الأرض مثلُهم في وقتهم، فذكر ابن وارة، وأبا حاتم، وأبا زُرْعَة.

[٧]وعن عبدالرحمن بن خِراش، قال: كان ابن وَارَةَ من أهل هذا الشأنِ المتقنين الأمناء، كنت ليلة عنده، فذكر أبا إسحاق السَّبِيعي، فذكر شيوخه، فذكر في طَلْق واحد سبعين ومئتين من شيوخه، ثم قال: كان غايةً، شيئاً عجباً.

(١) انظر السير: ١٣/ ٢٨-٣٢.

[١]وقال عثمان بن خُرَّزَاذ: سمعت الشَّاذَكُونيَّ يقول: جاءني محمدُ بنُ مسلم، فقعد يَتَقَعَّر(١) في كلامه، فقلت له: من أي بلد أنت؟ قال: من أهل الرَّي، ألم يأتك خبري؟ ألم تسمع بنبئي؟ أنا ذو الرِّحلتين. قلت: من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ـ: (إن من الشِّعر حكمةً) فقال: حدثني بعض أصحابنا. قلت: من؟ قال: أبونعيم وقَبِيْصة. قلت: يا غلام! ائتني بالدِّرَّة، فأتاني بها، فأمرته، فضربه بها خمسين، وقلت: أنت تخرج من عندي، ما آمن أن تقول: حدثني بعضُ غلماننا.

[٢]قال زكريا السَّاجي: جاء ابن وارةَ إلى أبي كُرَيب، وكان في ابن وارة بأْوٌ،(٢) فقال لأبي كُرَيْب: ألم يبلغْك خبري؟ ألم يأتك نبئي، أنا ذو الرِّحلتين، أنا محمد بن مسلم بن وارة. فقال: وارة؟ وما وارة؟ وما أدراك ما وارة؟ قم، فوالله لا حدَّثْتُك، ولا حدَّثْتُ قوما أنت فيهم.

[٣]قال أبوالعباس بن عُقْدَة: دقَّ ابن وَارَةَ على ابن كُرَيْب، فقال: من؟ قال: ابن وَارَة، أبو الحديثِ وأمه.

الصواب في وفاته إنها في سنة سبعين ومئتين.

٥٤٨ أحمد بن إسحاق (خ)(٣)

[٤]الإمام، الزاهد، العابد المجاهد، فارس الإسلام، أبو إسحاق، من أهل سُرْماري، من قرى بخارى.

وكان أحد الثقات. وبشجاعته يُضْرب المثل.

---

(١) التقعير: أن يتكلم بأقصى قعر فمه.

(٢) البأو: الكِبْر والتيه.

(٣) انظر السير: ١٣/٣٧ـ٤٠.

[١] قال إبراهيم بن عفان البَزّاز: كنت عند أبي عبدالله البخاري، فجرى ذكر أبي إسحاقَ السُّرْماري، فقال: ما نَعلمُ في الإسلام مثله. فخرجت فإذا أُحيد رئيس المطَّوِّعة، فأخبرته، فغضب ودخل على البخاري، وسأله، فقال: ما كذا قلت، بل: ما بَلَغَنَا أنه كان في الإسلام ولا الجاهلية مثلُه.

قال أبو صفوان: دخلت على أبي يوما، وهو يأكل وحده، فرأيت في مائدته عصفورا يأكل معه، فلما رآني طار.

[٢] وعن أحمدَ بنِ إسحاق، قال: ينبغي لقائد الغُزاةِ أن يكونَ فيه عشرُ خصال: أن يكون في قلب الأسد: لا يجبن، وفي كِبْرِ النَّمِر: لا يتواضع، وفي شجاعة الدُّبِّ: يقتل بجوارحه كلها، وفي حَمْلة الخِنْزِير: لا يُوَلِّي دُبُرَه، وفي غارة الذِّئب: إذا أيِسَ من وجْهٍ أغار من وجه، وفي حمل السلاح كالنَّملة: تحمل أكثر من وزنها، وفي الثبات كالصخر، وفي الصبر كالحمار، وفي الوقاحة كالكلب: لو دَخَل صيدُه النَّارَ لدخل خَلْفَه، وفي التِمَاس الفرصةِ كالديك.

إبراهيم بن شِمَاس يقول: كنت أكاتب أحمدَ بنَ إسحاق السُّرْمَاري، فكتب إليّ: إذا أردت الخروج إلى بلاد الغُزَيّة في شراء الأسرى، فاكتب إليّ. فكتبتُ إليه، فقدِم سَمَرْقَنْد، فخرجنا، فلما علم جَعْبَوَيْه، استقبلنا في عِدَّةٍ من جيوشه، فأقمنا عنده، فعرض يوما جيشَه، فمرّ رجل، فعظَّمه، وخلع عليه، فسألني عنه السُّرْمَاري، فقلت: هذا رجل مبارز، يُعَدُّ بألف فارس. قال: أنا أبارزه. فسكتُّ، فقال جَعْبَوَيْه: ما يقول هذا؟ قلت: يقول كذا وكذا. قال: لعله سكران لا يشعر، ولكن غدا نركب. فلما كان الغد ركبوا، فركب السُّرْمَاريُّ معه عمودٌ في كمّه، فقام بإزاء المبارز، فقصده، فهرب أحمدُ حتى باعده من الجيش، ثم كرّ وضربه بالعمود فقتله، وتبع إبراهيم بن شِماس، لأنّه كان سبقه، فلحقه، وعلم جَعْبَوَيْه، فجهّز في طلبه خمسين فارساً نقاوةً، فأدركوه، فثبت تحت تل مختفيا، حتى مرُّوا كلُّهم، واحداً بعد واحد، وجعل يضرِبُ بعَمُوده من ورائهم،

إلى أن قتل تسعة وأربعين، وأمسك واحدا، قطع أنفَه وأذنيه، وأطلقه ليخبر، ثم بعد عامين توفي أحمد، وذهب ابنُ شِماسٍ في الفداء، فقال له جعبويه: من ذاك الذي قتل فرساننا؟ قال: ذاك أحمد السرماري. قال: فلم لم تحمله معك؟ قلت: توفي، فصكَّ في وجهي، وقال: لو أعلمتني أنه هو لكنت أعطيه خمسَ مئة بِرْذَوْن،(١) وعشرةَ آلاف شاة.

عن عمران بن محمد المطَّوعي: سمعت أبي يقول: كان عمودُ المطَّوِّعيِّ السُّرْمارِي وزنه ثمانية عشرة مَنّاً،(٢) فلما شاخ جعله اثني عشر مَنّاً، وكان به يقاتل.

[١]عن عبيدالله بن واصل، سمعت أحمد السُّرْمَاريّ يقول، وأخرج سيفه، فقال: أعْلَمُ يقينا أني قتلت به ألفَ تركي، وإن عشت قتلت به ألفاً أخرى، ولولا خوفي أن يكونَ بدعةً لأمرت أن يدفنَ معي.

وعن محمود بن سهل الكاتب، قال: كانوا في بعض الحروب يحاصرون مكانا، ورئيس العدو قاعدٌ على صُفَّة،(٣) فرمى السُّرْمَاري سهما، فغرزه في الصُّفَّة، فأومأ الرئيس لينزعَه، فرماه بسهم آخر خاط يده، فتطاول الكافر لينزعَه من يده، فرماه بسهم ثالث في نحره، فانهزم العدو، وكان الفتح.

قلت: أخبار هذا الغازي تسُرُّ قلب المسلم.

توفي في سنة اثنتين وأربعين ومئتين، رحمه الله تعالى، فإنه كان مع فرط شجاعته من العلماء العاملين العُبَّاد.

[٢]قال ولده أبو صفوان: وهب المأمون لأبي ثلاثين ألفا، وعشرة أفراس وجارية، فلم يقبلْها.

---

(١) البِرذون: ضرب من الدواب، يخالف الخيل العراب، عظيم الخلقة، غليظ الأعضاء.
(٢) المن: زنة رطلين.
(٣) الصفة: الظلة، والبهو الواسع العالي السقف.

٥٤٩ ابن عَبْدوس[1]

[١]فقيه المغرب، أبو عبدالله، محمد بن إبراهيم بن عَبْدوس.

قال أبوالعرب: كان ثقة، إماماً في الفقه، ذا ورعٍ وتواضع، بذَّ الهيئة، كان أشبهَ شيء بأحوال شيخه سُحْنُون، في فقهه وزهادته وملبسه ومطعمه، وكان حسنَ الكتاب، مات ابن ثمان وخمسين سنة.

قال لقمان بن يوسف: أقام ابن عبدوس سبعَ سنين يَدرسُ، لا يخرج إلا لجمعة.

[٢]وعن عبدالله بن إسحاق بنِ التَّبَّان، أن ابن عبدوس أقام أربعَ عشرةَ سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء، وكان على غَاية من التواضع.

وقد فرَقَّ مئة دينار من غَلَّةِ ضيعته في القَحْط.

[٣]وقيل: أتاه رجل، فقال: ما تقول في الإيمان؟ قال: أنا مؤمن. فقال: عند الله؟ قال: أمَّا عند اللهِ فلا أَقْطَعُ لنفسي بذلك، لأني لا أدري بِمَ يختم لي. فبصق الرجل في وجهه، فعمي من وقته الرَّجلُ.

توفي قريبا من سنة ستين ومئتين.

٥٥٠ أبو زُرْعَةَ الرَّازي (م، ت، س، ق)[2]

[٤]الإمامُ، سَيِّدُ الحفاظ، عُبَيْدُ الله بن عبدالكريم بن يزيد، مُحَدِثُ الرَّي. ودخول «الزّاي» في نِسبته غيرُ مَقِيس، كالمروَزي.

[٥]مولده بعد نَيِّفٍ ومئتين. وطلب هذا الشأن وهو حدث، وارتحل إلى الحجاز والشام، ومصر والعراق والجزيرة وخراسان، وكتب مالا يوصف كثرة.

---

(١) انظر السير: ١٣/ ٦٣-٦٤.

(٢) انظر السير: ١٣/ ٦٥-٨٥.

فذكر سعيد بن عمرو البَرْذَعِي، أن أبا زرْعَةَ قال: لا أعلم صفا لي رباطُ يومٍ قَطُّ، أما بيروتُ: فأردنا العباسَ بنَ الوليدِ بنِ مَزْيَد، وأما عَسْقلان، فأردنا محمد ابنَ أبي السَّرِي، وأما قَزْوِين: فمحمد بن سعيد بن سابق.

وقال صالح بن محمد جَزَرَة: سمعتُ أبا زُرْعة يقول: كتبت عن إبراهيمَ بنِ موسى الرّازي مئة ألف حديث، وعن أبي بكر بن أبي شَيْبَةَ مئةَ ألفٍ. فقلت له: بلغني أنك تحفظ مئةَ ألفِ حديثٍ، تَقْدِرْ أن تُملي عليّ ألفَ حديثٍ من حفظٍ؟ قال: لا، ولكن إذا ألقي عليّ عَرَفْتُ.

[١]قال الحافظ أبو أحمد بن عَدِي: سمعت أبي يقول كنت بالرَّيِّ، وأنا غلام في البزّازين، فَحَلَفَ رجل بطلاقِ امرأته: أن أبا زُرْعة يحفظ مئةَ ألفِ حديث. فذهب قوم - أنا فيهم - إلى أبي زُرْعة، فسألناه، فقال: ما حَمَلَه على الحلفِ بالطلاق؟ قيل: قد جرى الآن منه ذلك. فقال أبوزُرْعة: لِيُمْسِكْ امرأتَه، فإنَّها لم تطلق عليه. أو كما قال.

ابن عَدِي: سمعت أبا يَعلى المَوْصِلي يقول: ما سمعنا بذكر أحد في الحفظ، إلا كان اسمُه أكبرَ من رؤيتِه، إلا أبا زُرْعَةَ الرَّازِي، فإن مشاهدَتَه كانت أعظمَ من اسمِه.

[٢]محمد بن إبراهيم المقرىء، سمعت فَضْلَكَ الصَّائغ يقول: دخلت على الربيع بمصر، فقال: من أين؟ قلت: من الرّيّ. قال: تركت أبا زُرْعة وجئتَ؟ إن أبا زُرْعة آيةٌ، وإن الله إذا جعل إنساناً آيةً، أبانه من شَكْله، حتى لا يكونَ له ثانٍ.

[٣]قال أبوجعفر محمد بن علي، ورّاقُ أبي زُرْعة: حضرنا أبا زُرْعَةَ بماشهران، وهو في السَّوْق، وعنده أبوحاتم، وابن وَارَة، والمنذر بن شاذان، وغيرهم،

فذكروا حديث التَّلقين: «لقّنوا موتاكم: لا إله إلا الله»، واستحيوا من أبي زُرْعَة أن يُلقِّنوه، فقالوا: تعالوا نذكر الحديث. فقال ابن وارة: حدثنا أبوعاصم، حدثنا بندار، حدثنا أبوعاصم، عن عبدالحميد بن جعفر عن صالح، ولم يجاوز، والباقون سكتوا، فقال أبوزرعة وهو في السَّوْق: حدثنا بُنْدار، حدثنا أبوعاصم، حدثنا عبدالحميد، عن صالح بن أبي عريب، عن كَثِير بن مُرَّة، عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، دخل الجنة». وتوفي، رحمه الله.

[١]توفي أبو زُرْعة الرّازي، في آخر يوم من سنة أربع وستين ومئتين، ومولده كان في سنة مئتين. وذكر إبراهيم بن حَرْب العسكري أنه رأى أبا أبا زُرْعة الرّازي، وهو يؤم الملائكةَ في السماء الرابعة، فقلت: بِمَ نلتَ هذه المنزلة؟ قال: برفع اليدين في الصلاة عند الركوع، وعند الرفع منه.

[٢]قال أحمد بن محمد بن سليمان: سمعت أبا زُرْعة يقول: إذا مرضت شهراً أو شهرين، تَبَيَّنَ عَلَيَّ في حفظ القرآن، وأما الحديث، فإذا تركتَ أياما تبيَّن عليكَ، فهذا الشأن يحتاج أن تتعاهدَه أبدا.

قلت: يعجبني كثيراً كلامُ أبي زُرْعةَ في الجَرْح والتَّعْديل، يَبِينُ عليه الوَرَع والمَخْبَرة، بخلافِ رَفيقِهِ أبي حاتم، فإنَّه جَرَّاح.

[٣]محمد بن علي بن الهيثم الفَسَوِيُّ، قال: لمّا قدم حَمْدون البَرْذَعِي على أبي زُرْعـة، لكتابة الحديث، دخل، فرأى في داره أوانيَ وفُرُشاً كثيرةً، وكان ذلك لأخيه، قال: فهمّ أن يرجعَ ولا يكتب، فلما كان من الليل، رأى كأنه على شط بِرْكة، ورأى ظل شخص في الماء، فقال: أنتَ الذي زهدت في أبي زُرْعة؟ أما علمت أن أحمد ابن حنبل كان من الأبدال، فلما مات أبدل الله مكانه أبا زُرْعة.

[١]محمد بن إسحاق السَّرَّاج، سمعت محمد بنَ مسلم بنِ وَارَةَ يقول: رأيت أبا زُرْعة في المنام، فقلت له: ما حالك يا أبا زُرْعة؟ قال: أحمد الله على أحوالِه كلِّها، إني حَضَرتُ، فوقفت بين يدي الله تعالى، فقال: يا عُبَيْدَ الله! لم تَذَرَّعْتَ القول في عبادِي؟ قلت: يا رب! إنهم حاولوا دينك. قال: صدقتَ. ثم أُتِي بِطاهر الخُلقاني، فاسْتَعْدَيْتُ عليه إلى ربِّي تعالى، فَضُرِب الحدّ مئةً، ثم أَمَر به إلى الحبس، ثم قال: ألحقوا عُبَيْدَالله بأصحابه: أبي عبدالله، وأبي عبدالله، وأبي عبدالله: سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وأحمد بن حنبل.

قلت: إسنادها كالشمس.

٥٥١ أبو يزيد البسْطامِي(١)

[٢]سُلْطان العارفين، أبو يزيد، طَيْفُور بن عيسى بن شَرْوَسَان البِسْطَامِي، أحد الزُّهاد، أخو الزَّاهِدَيْن: آدم وعلي، وكان جدهم شَرْوَسَان مجوسيّاً، فأسلم.

وقَلَّ ما روى، وله كلام نافع.

[٣]عنـه، قال: ما وجـدتُ شيئاً أشدَّ علي من العِلم ومتابعتِه، ولولا اختلاف العلماء لبقيت حائراً.(٢)

[٤]وعنه قال: هذا فرحي بك وأنا أخافك، فكيف فرحي بك إذا أَمِنتُكَ؟ ليس العَجَبُ من حبي لك، وأنا عبدٌ فقير، إنما العَجَبُ من حُبِّك لي، وأنت مِلكٌ قدير.

[٥]وعنه ـ وقيل: إنك تَمُرُّ في الهواء ـ فقال: وأيُّ أعجوبَة في هذا؟ وهذا طير يأكل الميتَة، يَمُرُّ في الهواء.(٣)

(١) انظر السير: ١٣ / ٨٦-٨٩.

(٢) حلية الأولياء: ١٠/٣٦. وتتمة الخبر: «واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد».

(٣) انظر حلية الأولياء: ١٠/٣٥. وتتمة الخبر فيه: (والمؤمن أشرف من الطير).

[١]وعنه: ما دام العبْدُ يظن أن في الناس من هو شَرٌّ منه، فهو متكبر.

[٢]وقال: ما ذكروا مولاهم إلا بالغفلة، ولا خدموه إلا بالفَتْرة.

[٣]وقال: لله خلقٌ كثيرٌ يمشون على الماء، لا قيمةَ لهم عند الله، ولو نظرتم إلى من أعطي من الكرامات حتى يطير، فلا تَغْتَرُّوا به حتى تروا كيف هو عند الأمر والنهي، وحِفْظِ الحدود والشرع. وله هكذا نُكَتٌ مليحة.

[٤]وجاء عنه أشياء مشكلة لا مَسَاغَ لها، الشأنُ في ثُبوتِها عنه، أو أنه قالها في حال الدهشة والسُّكرِ(١) والغيبةِ والمَحْوِ، فيُطوى، ولا يُحْتجُّ بها، إذ ظاهرها إلحاد، مثل: سبحاني، وما في الجُبَّة إلا الله. ما النَّارُ؟ لأَسْتَنِدنَّ إليها غداً، وأقُول: اجعلني فداءً لأهلها، وإلا بلعتُها. ما الجنة؟ لعبة صِبيان، ومراد أهل الدنيا. ما المحدِّثون؟ إنْ خاطبهم رجلٌ عن رجلٍ، فقد خاطبَنا القلبُ عن الرَّب.

وقال في اليَهود: ما هؤلاء؟ هبهم لي، أيُّ شيءٍ هؤلاء حتى تُعَذِّبَهم؟

قال السُّلَمي في «تاريخ الصوفية»: توفي أبويزيد عن ثلاث وسبعين سنة، وله كلام حسن في المعاملات.

[٥]ثم قال: ويحكى عنه في الشَّطْح أشياء، منها مالا يصِحُّ، أو يكونُ مقولاً عليه، وكان يرجع إلى أحوال سَنِيَّةٍ، ثم ساق بإسناد له، عن أبي يزيد، قال: من نظر إلى شَاهِدِي بعين الاضطراب، وإلى أوقاتي بِعَيْن الاغتِراب، وإلى أحوالي بعين الاستدراج، وإلى كلامي بعين الافتراء، وإلى عباراتي بعين الاجتراء، وإلى نفسي بعين الازدراء، فقد أخطأ النظرُ فيّ.

[٦]وعنه قال: لو صَفَا لي تَهْليلةٌ ما باليتُ بعدها.

توفي أبويزيد بِبسْطَام، سنة إحدى وستين ومئتين.

---

(١) المقصود بالسكر هنا: الشوق والوله بالله تعالى.

الطبقة الخامسة عشرة

٥٥٢ أحمد بن طُولُون(١)

التُّركي، صاحبُ مصر، أبو العباس.

ولد بسامَرَّاء، وقيل: بل تبنّاه الأميرُ طُولون. وطُولون قدَّمه صاحبُ ما وراء النهر إلى المأمون، في عدة مماليك، سنةَ مئتين، فعاش طولون إلى سنة أربعين ومئتين. فأجـاد ابنُـهُ أحمدُ حفظَ القرآن، وطلب العلم، وتنقلت به الأحوال، وتأمَّر، وَوَلِيَ ثُغُورَ الشام، ثم إمرَةَ دمشق، ثم وَلِيَ الديار المصرية في سنة أربع وخمسين، وله إذ ذاك أربعون سنة.

وكان بطلا شجاعا، مقداما مهيبا، سائسا، جَوَادا، مُمَدَّحا، من دهاة الملوك.

[١]قيل: كانت مؤنتُه في اليوم ألفَ دينار، وكان يرجع إلى عدل وبذل، لكنه جبّار، سفّاك للدماء.

[٢]قال القُضَاعي: أُحصي من قتله صبرا، أو مات في سجنه، فبلغوا ثمانيةَ عشرَ ألفا.

وأنشـأ بظاهر مصر جامعا، غرم عليه مئة ألف دينار، وكان جيِّدَ الإسلام، معظِّما للشعائر.

[٣]عن محمد بن علي المادَرائي قال: كنت أجتاز بقبر ابن طولون، فأرى شيخا ملازما له، ثم لم أره مدة، ثم رأيته، فسألته، فقال: كان له عليَّ أيادٍ، فأحببت أن أصِلَه بالتلاوة. قال: فرأيته في النوم يقول: أحب أن لا تقرأ عندي، فما تمُرُّ

(١) انظر السير: ١٣/ ٩٤-٩٦.

بِي آيةٌ إلا قُرِّعْتُ بِها، ويقال لي: أما سمعت هذه؟.

توفي أحمد بمصر سنة سبعين ومئتين.

وقام بعده ابنه خُمارَوَيْه، ثم جَيْش بن خُمارَوَيْه، ثم أخوه هارون.

٥٥٣ داود بن علـي(١)

[١]ابن خلف، الإمام، البحرُ، الحافظُ، عالمُ الوقتِ، أبو سليمان البغدادي، المعروف بالأَصْبهاني، مولى أميرِ المؤمنين المهدي، رئيسُ أهل الظاهر.

مولده سنة مئتين.

قال أبوبكر الخطيب: صنّف الكتب، وكان إماماً ورعاً ناسكاً زاهداً، وفي كتبه حديثٌ كثيرٌ، لكنَّ الروايةَ عنه عزيزةٌ جداً.

قال عمر بن محمد بن بُجير الحافظ: سمعت داود بنَ عليّ يقول: دخلت على إسحاقَ وهو يحتجِم، فجلستُ، فرأيت كتب الشافعي، فأخذت أنظر، فصاح بي إسحاق: أَيْش تَنْظُرُ؟ فقلت: **﴿معاذ اللهِ أن نأخذَ إلا من وجدنا متاعَنا عنده﴾** [يوسف: ٧٩]. قال: فجعل يضحك، أو يبتسم.(٢)

[٢]قال أحمدُ بن كامل القاضي: أخبرني أبوعبدالله الوَرَّاق: أنه كان يُورِق على داود بنِ علي، وأنه سمعه يُسأل عن القرآن، فقال: أما الذي في اللوح المحفوظ: فغير مخلوق، وأما الذي هو بين الناس: فمخلوق.

[٣]والخوضُ في هذا خَطِر. نسألُ اللهَ السلامةَ في الدين. وفي المسألة بحوث طويلة، الكف عنها أولى، ولا سيما في هذه الأزمنةِ المُزْمِنَة.

(١) انظر السير: ١٣ / ٩٧-١٠٨.

(٢) طبقات السبكي: ٢/٢٨٥. وقد قال هذا لأن داود كان في أول أمره من المتعصبين للشافعي، الآخذين بأقواله.

[١] قلت: للعلماء قولان في الاعتداد بخلاف داودَ وأتباعه: فمن اعتدَّ بخلافهم، قال: ما اعتدادنا بخلافهم لأن مفرداتهم حُجَّة، بل لتُحْكى في الجملة، وبعضها سائغٌ، وبعضها قويٌّ وبعضها ساقط، ثم ما تفردوا به هو شيء من قَبيل مخالفة الإجماع الظَّنِّي، وتندر مخالفتهم لإجماعٍ قطعي. ومن أهدرهم، ولم يعتد بهم، لم يعدَّهم في مسائلهم المفردة خارجين بها من الدين، ولا كفّرهم بها، بل يقول: هؤلاء في حَيِّزِ العَوَامِّ، أو هم كالشِّيعة في الفروع، ولا نلتفتُ إلى أقوالهم، ولا نَنْصِبُ معهم الخلاف، ولا يُعتنى بتحصيل كتبهم، ولا ندلّ مستفتيا من العامة عليهم. وإذا تظاهروا بمسألة معلومة البطلان، كمسح الرجلين، أدَّبناهم، وعَزَّرْناهم، وألزمناهم بالغسل جزما.

قال الأستاذ أبو إسحاقَ الإِسْفَرَاييني: قال الجمهور: إنهم - يعني نُفَاة القياس - لا يبلغون رتبة الاجتهاد، ولا يجوز تقليدُهم القضاء.

وقال إمام الحرمين أبوالمعالي: الذي ذهب إليه أهل التحقيق: أن منكِري القياس لا يُعدُّون من علماء الأمة، ولا من حملة الشريعةِ، لأنهم معاندون، مباهتون فيما ثبت استفاضةً وتواترا، لأن مُعْظَمَ الشريعة صادرٌ عن الاجتهاد، ولا تفي النصوص بعشر معشارها، وهؤلاء مُلتحِقون بالعوام.

قلت: هذا القول من أبي المعالي أدّاه إليه اجتهادُه، وهم فأدّاهم اجتهادُهم إلى نفي القول بالقياس، فكيف يُرَدُّ الاجتهادُ بمثله، وندري بالضرورة أن داود كان يُقْرِىء مذهبه، ويناظِر عليه، ويفتي به في مثل بغداد، وكثرة الأئمة بها وبغيرها، فلم نرهم قاموا عليه، ولا أنكروا فتاويَه ولا تدريسَه، ولا سعوا في منعه من بَثِّه، وبالحضرة مثل إسماعيلَ القاضي، شيخ المالكية، وعثمان بن بشّار الأنْماطيّ، شيخ الشافعية، والمرُّوذِيّ شيخ الحنبلية، وابني الإمام أحمد، وأبي العباس أحمد بن محمد البِرْتي، شيخ الحنفية، وأحمد بن أبي عمران القاضي، ومثل عالم بغداد إبراهيم الحربيّ. بل سكتوا له، حتى لقد قال قاسم

ابن أصبغ: ذاكرت الطبري - يعني ابن جرير - وابن سُرَيْج، فقلت لهما: كتاب ابن قُتَيبةَ في الفقه أين هو عندكما؟ قالا: ليس بشيء، ولا كتاب أبي عُبيد، فإذا أردت الفقه فكتب الشافعيِّ، وداودَ ونُظرائهما.

ثم كان بعده ابنه أبوبكر، وابن المُغَلّس، وعدة من تلامذة داود، وعلى أكتافهم مثل: ابن سُرَيْج، شيخ الشافعية، وأبي بكر الخلّال، شيخ الحنبلية، وأبي الحسن الكَرْخي شيخ الحنفية، وكان أبوجعفر الطَّحَاوِيُّ بمصر. بل كانوا يتجالسون ويتناظرون، ويَبْرُزُ كل منهم بحججه، ولا يسعَون بالدّاودية إلى السلطان. بل أبلغ من ذلك، ينصِبون معهم الخلاف، في تصانيفهم قديما وحديثا، وبكل حال، فلهم أشياء أحسنوا فيها، ولهم مسائل مستهجنة، يُشْغَبُ عليهم بها، وإلى ذلك يشير الإمام أبو عمرو بن الصّلاح، حيث يقول: الذي اختاره الأستاذ أبومنصور، وذكر أنه الصحيح من المذهب، أنه يُعْتَبَرُ خلاف داود. ثم قال ابن الصلاح: وهذا الذي استقر عليه الأمرُ آخرا، كما هو الأغلب الأعرف من صَفْوِ الأئمة المتأخرين، الذين أوردوا مذهب داود في مصنفاتهم المشهورة، كالشيخ أبي حامد الإسفَرَاييني، والماوردِيّ، والقاضي أبي الطيب، فلولا اعتدادهم به لما ذكروا مذهبه في مُصَنَّفَاتِهم المشهورة.

قال: وأرى أن يُعْتَبَرَ قولُه إلا فيما خالف فيه القياسَ الجليّ، وما أجمع عليه القياسِيُّون من أنواعه، أو بناه على أصولِه التي قام الدَّليل القاطع على بطلانها، فاتفاق من سواه إجماع منعقد، كقوله في التَغَوُّط في الماء الرَّاكد[1] وتلك المسائل الشنيعة، وقوله: لا ربا إلا في السِّتَّة المنصوص عليها، فخلافه في هذا أو نحوه غير معتد به، لأنه مبني على ما يقطعُ ببطلانه.

---

(١) وهو قول ابن حزم، ونص كلامه في (المحلى): ١/١٣٥: (إلا أن البائل في الماء الراكد الذي لا يجري حرام عليه الوضوء بذلك الماء والاغتسال به لغرض أو لغيره، وحكمه التيمم إن لم يجد غيره.. فلو أحدث في الماء أو بال خارجا منه ثم جرى البول فيه فهو طاهر يجوز الوضوء منه والغسل له ولغيره إلا أن يغير ذلك البول أو الحدث شيئا من أوصاف الماء فلا يجزىء حينئذ استعماله أصلا لا له ولا لغيره.

قلت: لا ريب أن كل مسألة انفرد بها، وقُطِعَ ببطلان قوله فيها، فإنها هَدْرٌ، وإنما نحكيها للتعجب، وكل مسألة له عَضَدها نصٌّ، وسبقه إليها صاحب أو تابع، فهي من مسائل الخلاف، فلا تُهْدَر.

وفي الجملة، فداود بن عليّ بَصيرٌ بالفقه، عالمٌ بالقرآن، حافظٌ للأثر، رأسٌ في معرفة الخلاف، من أوعية العلم، له ذكاءٌ خارقٌ، وفيه دِينٌ متين. وكذلك في فقهاء الظَّاهِرية جَماعةٌ لهم عِلْمٌ باهر، وذكاءٌ قويّ، فالكمال عزيز، والله الموفق.

ونحن: فنحكي قولَ ابنِ عباس في المُتعة، وفي الصَّرْف،(1) وفي إنكار العَوْل، وقول طائفة من الصحابة في ترك الغسل من الإيلاج(2)، وأشباه ذلك، ولا نجوّز لأحد تقليدهم في ذلك.

فأمّا ابنُه: مات داود في شهر رمضان سنة سبعين ومئتين.

٥٥٤ محمد بن داود(3)

[١]ابنِ عليّ الظَّاهري: العلامة، البارع، ذو الفنون، أبوبكر. فكان أحدَ من يضرب المثلُ بذكائه، وهو مصنف كتاب: «الزهرة» في الآداب والشعر. وله كتاب في الفرائض، وغير ذلك. وله بَصَرٌ تامٌّ بالحديث، وبأقوال الصحابة، وكان يجتهد ولا يُقَلِّدُ أحدا.

ومات قبل الكهولة، وقَلّ ما روى.

تصدّر للفتيا بعد والده، وكان يناظر أبا العباس بنَ سُرَيْج، ولا يكاد يَنْقَطِعُ معه.

[٢]قال القاضي أبو الحسن الدّاوودي: لما جلس أبوبكر بن داود للفتوى بعد

(1) انظر صحيح مسلم رقم (٥٩٦) (١٠٢)، وشرح السنة: ٨/ ٦٠-٦١.

(2) انظر شرح السنة: ٢/ ٥-٧.

(3) انظر السير ١٣/ ١٠٩-١١٦.

والـده استصغـروه، فدسّوا عليه من سأله عن حدِّ السُّكر، ومتى يُعَدُّ الإنسان سَكران؟ فقال: إذا عَزَبَت[1] عنه الهموم، وباح بِسِرِّه المكتوم. فاستُحْسِن ذلك منه.

[١] قال أبـومحمد بن حَزْم: كان ابنُ داود من أجملِ الناس، وأكرمهم خُلُقا، وأبلغِهم لسَانا، وأنظفِهم هَيئة، مع الدِّين والوَرَع، وكل خلَّة مَحمودة، مُحبَّباً إلى النـاس، حفظ القرآنَ وله سبعُ سنين، وذاكر الرجال بالآداب والشعر وله عَشرُ سنين، وكان يُشاهَد في مجلسه أربعُ مئة صَاحب محْبَرة. عاش ثلاثاً وأربعين سنة. قال: ومات سنة سبع وتسعين ومئتين.

[٢] وقيل كان ابن داود خَصْما لابن سُرَيْجٍ في المناظرة، كانا يترادّان في الكتب، فلمـا بلغ ابنَ سُرَيْج موتُ محمـد بن دَاود، حزن له، وَنَحَّى مَخادَّه، وجلس للتَّعْزية، وقال: ما آسى إلا على تراب يأكل لسانَ محمد بن داود.

قال أبـوإسحـاق ـ رحمـه الله ـ: وأمـا داود: فقـام بنقـل فقهه جماعةٌ من أصحابه، منهم: ابنُه أبوبكر محمد، وكان فقيها أديبا شاعرا ظريفا، وكان يناظر إمامَ أصحابنا، أبا العباس بن سُرَيْج، وخَلَف أباه في حَلْقته... وسمعت شيخَنا القـاضي أبـالـطيب الطبرِي يقول: سمعت أبا العباس الخُضَري قال:

[٣] كنت جالساً عند أبي بكر محمدِ بن داود، فجاءته امرأةٌ، فقالت: ما تقول في رجل له زوجة، لا هو يمسكها، ولا هو يطلقها؟ فقال أبوبكر: اختلف في ذلك أهل العلم، فقال قائلون: تُؤمر بالصبر والاحتساب، وتبْعَثُ على الطَّلَبِ والاكتساب. وقـال قائلون: يُؤمـر بالإنفاق، وإلا حُمِلَ على الطلاق. فلم تفهمِ المرأة قوله، فأعادت سؤالها عليه، فقال: يا هذه قد أجَبْتُكِ. ولستُ بسُلطان فأُمضي، ولا قاضٍ فأقضي، ولا زَوْجٍ فأُرضيد فانصَرِفي.

---

(١) عزب: بعُد وغاب.

٥٥٥ المُنْتَظَــر(١)

[١]الشَّريف، أبـوالقـاسم، محمد بن الحَسَنِ العسكريّ بن عليّ الهادي بن محمد الجواد بن علي الرِّضى بن موسى الكاظِم بن جعفر الصادق بن محمد البَـاقِـر بن زَيْن العابدين بن عَليّ بن الحسين الشهيد بن الإمام عليّ بن أبي طالب، العَلَويّ الحُسَيْنيّ.

[٢]خاتمةُ الاثني عَشَر سَيِّدا، الذين تَدَّعِي الإمامِيَّةُ عِصْمَتَهم ـ ولا عِصمة إلاَّ لِنَبيٍّ ـ ومحمد هذا هو الذي يزعمون أنه الخَلَف الحجَّة، وأنه صاحبُ الزَّمان، وأنه صاحبُ السِّرداب بِسَامَرَّاء، وأنه حَيٌّ لا يَموتُ، حتَّى يخرُجَ، فيملأ الأرض عَدلا وقِسْطا، كما مُلئت ظُلما وجورا. فوددْنا ذلك ـ واللهِ ـ وهم في انتظاره من أربعِ مئةٍ وسبعين سَنة، ومن أحالَكَ على غائبٍ لم يُنْصِفْكَ، فكيف بمن أحال على مُستحيل؟! والإنصافُ عَزيزٌ. فَنَعُوذُ بالله من الجَهْل والهوى.

[٣] فمولانا الإمام عليّ: من الخلفاء الراشدين، المشهودِ لهم بالجنة ـ رضي الله عنه ـ نُحِبُّه أشَدَّ الحبِّ، ولا ندَّعي عِصْمتَه، ولا عصمةَ أبي بكر الصِّدِّيق.

وابناهُ الحسن والحسين: فَسِبْطَا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وسَيِّدا شَبَابِ أهْلِ الجنة ولو استُخلفا لكانا أهلا لذلك. وزين العابدين: كبيرُ القَدْرِ، من سادة العلماء العاملين، يَصْلُح للإمامة، وله نُظَراء، وغيرُه أكثر فَتْوى منه، وأكثرُ رواية. وكذلك ابنه أبو جعفر الباقر: سَيِّدٌ، إمام، فقيه، يصلح للخلافة. وكذا ولده جعفر الصادق: كبير الشأن، من أئمة العلم، كان أولى بالأمر من أبي جعفر المنصور. وكان ولده موسى: كبيرَ القدر، جَيِّدَ العِلم، أولى بالخِلافَة من هارون، ولـه نُظَراء في الشـرف والفضـل. وابنه عليّ بن موسى الرِّضا: كبيرُ الشَّأن، له علمٌ وبيانٌ، ووقعٌ في النفوس، صيّره المأمونُ وليَّ عَهْدِه لجلالته، فتُوفي سَنَةَ ثلاث ومئتين. وابنه محمد الجواد: من سادة قومِه، لم يبلغ رتبةَ آبائه

(١) انظر السير: ١٣ /١١٩-١٢٢.

في العلم والفقه. وكذلك ولده الملقب بالهادي: شريف جليل. وكذلك ابنه الحسن بن علي العسكري. رحمهم الله تعالى.

فأما محمد بن الحسن هذا: فنقل أبومحمد بن حزم: أن الحسن مات من غير عقب. قال: وثَبَتَ جمهور الرّافضة على أن للحسن ابنا أخفاه.

وممن قال: إن الحسن العسكري لم يعقب: محمد بن جَرِير الطبري، ويحيى بن صَاعد، وناهيك بهما معرفةً وثِقَةً.

٥٥٦ الخَبيث(١)

[١]هو طاغية الزِّنْجِ، عليُّ بن محمد بن عبدالرحمن العَبْدي، من عبد القَيْس.

افترى، وزعم أنه ولد زيد بن عليّ العلويّ، وكان مُنَجِّما طُرُقِيّاً ذكيّا، حَرُورِيّاً(٢) ماكرا، داهية منحلا، على رأي فَجَرَة الخوارج، يَتَسَتَّرُ بالانتماء إليهم، وإلا فالرجل دَهْرِيٌّ فيلسوف زِنْديق. ظهر بالبصرة، واستغوى عبيدَ الناسِ وأوباشَهم، فتجمع له كلُّ لِصٍّ ومُرِيب، وكثروا، فشدَّ بهم على أهل البصرة، وتم له ذلك، واستباحوا البلد، واستَرَقُّوا الذُّرية، وملكوا، فانتُدب لحربهم عسكرُ المعتمد، فالتقى الفريقان، وانتصر الخبيث، واستفحل بلاؤه، وطوى البلاد، وأباد العباد، وكاد أن يملكَ بغداد، وجرت بينه وبين الجيشِ عِدّةُ مَصَافّات، وأنشأ مدينة سماها: المختارة، في غاية الحصانة، وزاد جيشه على مئة ألف، ولولا زندقتُه ومروقُه لاستولى على الممالك.

قال نِفْطَوَيهُ: كان أوّلاً بواسط، وربما كتب العُوَذ، فأخذه محمد بن أبي عوَن، فحبسه، ثم أطلقه، فما لبث أن خَرَج واستغوى الزِّنج - يعني: عبيد

---

(١) انظر السير: ١٣/ ١٢٩-١٣٦.

(٢) نسبة إلى الحرورية: وهم الخوارج الذين خالفوا علياً رضي الله عنه - بعد رجوعه من صفين إلى الكوفة، إذ انحازوا الى «حروراء» موضع بظاهر الكوفة، وكان أول اجتماعهم به، فسموا «الحرورية».

الناس والذين يكْسَحون ويَزْبِلون(١) ـ فصار من أمره ما صار، وخافته الخلفاء، ثم أظفرهم الله به بعد حروب تشيب النواصي.

وقتل ولله الحمد في سنة سبعين ومئتين، وله ثمان وأربعون سنة.

ولو أفردت أخباره ووقائعه لبلغت مجلدا. وكان مُفْرِطَ الشجاعة، جريًا داهية.

[١]رُئي أبوه أنه بال في مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بولة أحرقت نصفَ الدنيا.

وكانت أم الخبيث تقول: لم يدع ابني أحدا عنده عِلم بالرّيّ حتى خالطهم، ثم خرج إلى خراسان، فغاب عني سنتين، وجاء، ثم غاب عني غيبَتَه التي خرج فيها، فورد عليّ كتابه من البصرة، وبعث إليّ بمال، فلم أقبله، لما صح عندي من سَفْكه للدماء، وخرابِه للمدن.

قلت: وكان أبوه داهية شيطانا كَوَلَدِه. فقال عليّ: مرضت وأنا غلام، فجلس أبي يعودني، وقال لأمي: ما خبرُه؟ قالت: يموت. قال: فإذا مات، من يَخْرِبُ البصَرة؟ قال: فبقي ذاك في قلبي.

[٢]قلت: بعد مصرعِ المتوكل وابنه، وأولئك الخلفاء المستضعفين المقتولين، نقصَ أمرُ الخلافة جدا، وطَمِع كلُّ شيطان في التوثب، وخرج الصَّفَّار بخراسان، واتسعت ممالكه، وخرج هذا الخبيث بالبصرة، وفعل ما فعل. وهاجت الروم، وعَظُمَ الخَطْبُ.

[٣] ثم بعد سنوات ثارت القرامِطَة والأعراب، وظهر بالمغرب عُبَيْدُ الله، الملقب بالمهدِي، وتملك. ثم دامت الدولة في ذرية الباطنية إلى نور الدين، رحمه الله.

[٤]فادّعى بعد الخمسين هذا الخبيث بِهَجَر(٢) أنه علي بن محمد بن الفضل بن حسين بن عبدالله بن عباس بن علي بن أبي طالب. ودعا إلى نفسه، فمال إليه

---

(١) الكَسْح: الكنس. والكساحة: الكناسة. **ويزبلون. أي**: يصلحون الأرض بالزِّبْل.

(٢) هجر: مدينة في البحرين.

رئيس هَجَر، ونابذه قوم، فاقتتلوا، فتحول إلى الأحساء، واعتصم ببني الشمَّاس، وإنما قصد البحرين لغباوة أهلها، ورواج المخاريق عليهم، فحل منهم محل نَبيٍّ، وصدقوه بِمَرَّةٍ، ثم تنكروا له لدبره، فَشَخَصَ إلى البادية يستغوى الأعاريب بنفوذ حيله، وشَعْوَذته، واعتقدوا فيه أنه يعلم منطِق الطير، وجعل يُغير على النواحي، ثم تمّت له وقعة كبيرة، هُزِم فيها وقتل كُبراءُ أتباعه، وكرهَتْه العرب.

[١]وذهب إلى بغداد فأقام سنة يستغوى الناس ويُضِلُّهم، فاستمال عِدَّةُ من الحاكَة بمخاريقه، والجَهَلة أسبقُ شيء إلى أرباب الأحوالِ الشيطانية، ومات مُتولِّي البصرة، وهاجت الأعراب بها، وفتحوا السجون، فتخلص قومُه فبادر إلى البصرة في رمضان سنة خمس، وحوله جماعة، واستجاب له عبيدُ زُنُوج للناس، فأفسدهم وجسّرهم، عمد إلى جريدة، فكتب على خرقة عليها **﴿إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفُسَهم وأموالَهُم بأنّ لهم الجنةَ﴾** [التوبة: ١١١]. وكتب اسمه، وخرج بهم في السحر لليلتين بقيت من رمضان في ألف نفس، فخطبهم، وقال: أنتم الأمراء وستملكون.. ووعدهم، ومنّاهم.

ثم لم يزل ينهب ويغير، ويكثر جمعُه من كل مائقٍ(١) وقاطع طريق، حتى استفحل أمره، وعظمت فتنته، وغَنِمَ الخيولَ والسِّلاحَ، والأمتعةَ والأموالَ والمواشي. وصار من الملوك... وصار كلما حاربه عسكر وانهزموا، فرّ إليه غِلْمان العَسْكر. فحشد له أهلُ البصرة في ذي القعدة من العام، والتَقَوْا، فهزمهم، وقتل منهم مَقْتَلة، ووقع رعبُه في النفوس، فوجَّه الخليفةُ جيشاً، فما نفعوا.

ثم أخذ الأهواز، فخافه أهلُ البصرة، وانْجَفَلوا، فأخذها بالسيف في شوال، سنة سبع وخمسين، وقت صلاة الجمعة، وهرب جُنْدُها فأحرق الجامع بمن حوى، ولم تزل الحرب بينه وبين الموفق سِجَالا.

---

(١) مائق: حاقد، والمأقة: الحقد.

واستباح واسطَ في سنة أربع وستين، وحَصَلَ للخبيثِ جواهرُ وأموالٌ، فاستأثر بها، فأنكر عليه المُتَقَشِّفون من أصحابه، وذكروا له سيرةَ أبي بكر وعمر، فقال: ليسَ فيهما قُدوةٌ.

وادّعى أنه هو عبدالله المذكور في: ﴿قل أوحي﴾ [الجن: ١] وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم ما يمتازُ عليه إلا بالنبوة.

وزعم أنه تكلم في المَهْد، صيح به: يا عليّ! فقال: يا لبَّيْكَ.

وكان يجمع اليهود والنصارى، يسألهم عما في التَّوراة والإنجيل من ذكره، وهم يسخـرون منه، ويقرؤون له فصولا، فيدَّعِي أنها فيه. وزاد من الإفك، فنفرت منه قلوبُ خلقٍ من أتباعه ومقتُوه. وبقي المُوَفَّق يكرم كل من فرّ إليه، ويخلعُ عليهم. وكتب إلى الخبيث يدعـوه إلى التـوبـة من ادِّعـاء مخـاطبـة المـلائكـة، ومن تحـريفِه القرآنَ وضَلَالته، فما أجاب بشيء، وحصّن مدينته (المُخْتَارة) التي بِنَهْرِ أبي الخَصِيب، حتى بقيت يُضرب بها المثل، ونصب فيها المجانيق والأسلحة بما بَهَر العقول، وبها نحو مئتي ألف مُقَاتِل، فما قدر عليها الجَيْش إلا بالمُطَاولة، وأنشأ تلقاءها الموفق مدينة وسكنها، ولـم يزل إلـى أن أخذ (المختارة) فهرب الخبيث إلى مضائقَ في نهر أبي الخصيب، لا تصل إليها سفينة ولا فارس، ثم برز في أبطاله، وقاتل أشد قتال، وهو يقول:

وعــزيمتي مِثْـلُ الحُسَـامِ، وهِمَّتي ... نفسٌ أصُـولُ بهـا كنفس القَسْـوَرِ
وإذا تُنَـازِعُـنِي أقُـولُ لهـا اسكُتي ... قَتْـلٌ يُرِيْحُـكِ أوْ صُعُـوْدُ الـمِنْبَـرِ

٥٥٧ أبـو حمـزةَ البَغْدَادي(١)

[١] شيخُ الشيوخِ، أبوحمزة، محمد بن إبراهيم البغدادي الصُّوفي. جالس بِشْراً الحافي، والإمامَ أحمد.

(١) انظر السير: ١٣/ ١٦٥-١٦٨.

[١]كان بصيرا بالقراءات. وكان كثير الرِّباط والغزو.

[٢]قال إبراهيم بن علي المُرَيْدِي: سمعت أباحمزة يقول: من المُحَال أن تحبَّه ثم لا تذكُرَه، وأن تذكرَه ثم لا يوجِدك طعمَ ذكرِه، ويشغِلُك بغيره.

[٣]قلت: ولأبي حمزة انحرافٌ وشَطْحٌ له تأويل.

[٤]قال أبو نصر السَّرَّاج، صاحب (اللمع): بلغَني إنه دخل على الحارث المحاسبي، فصاحت شاة: ماع. فشَهَقَ، وقال: لَبَّيْكَ لبيك يا سيِّدي. فغضب الحارث، وأخذ السِّكين، وقال: إن لم تَتُبْ أذبحْكَ.

نقل الخطيب وفاته في سنة تسع وستين ومئتين.

وكذا ورّخه ابن الأعرابي، وقال: جاء من طَرْسُوس، فاجتمعوا عليه ببغداد، وما زال مَقْبولا، حضر جِنازتَه أهلُ العلم والنُّسك، وغسله جماعة من بني هاشم، وقُدِّم الجُنَيْدُ في الصلاة عليه، فامتنع، فتقدّم ولده، وكنت بائتا في مسجده ليلةَ موته، فأخبرت أنه كان يتلو حزبه، حتى ختم تلك الليلة. وكان صاحبَ ليل، مقدَّما في علم القرآن، وخاصة في قراءة أبي عَمْرو، وحملها عنه جماعة. وكان سبب علته أن الناس كثروا، فَأُتي بكرسي، فجلس، ومر في كلامه شيء أَعْجَبَه، فردده وأغمي عليه، فَسَقَط، وقد كان هذا يصيبه كثيرا، فانصرف بين اثنين يوم الجمعة، فَتَعلَّل ودفن في الجمعة الثانية بعد الصلاة،

[٥]وهو أول من تكلم في صفاء الذكر، وجمعَ الهمِّ والمحبةَ، والشوقَ، والقربَ والأنسَ على رؤوس الناس، وهو مولى لعيسى بن أبان القاضي، وقد سمعته غير مرة يقول: قال لي أحمد بن حنبل: يا صُوفي! ما تقول في هذه المسألة.

٥٥٨ الفَسَوِي (ت، س)(١)

[٦]الإمامُ، الحافظ، الحجة، الرَّحَّال، محدث إقليم فارس، أبويوسف، يعقوب ابن سفيان بن جُوَان الفارسي، من أهل مدينة فَسَا. مولده في حدود عام تسعين

(١) انظر السير: ١٣/ ١٨٠- ١٨٤.

ومئة.

[١]ورُوي عن الحافظ أبي عبدالرحمن النَّهاوَنْدي، أنه سمع الفَسَوِيَّ يقول: كتبت عن ألف شيخ وكسرٍ كلهم ثقات.

قلت: ليس في مشيخته إلا نحوٌ من ثلاثِ مئةِ شيخٍ، فأين الباقي؟ ثم في المذكورين جماعةٌ قد ضُعِّفوا.

[٢]قال الحافظ أبوإسحاقَ بنُ حمزة: سمعت أبي يقول: كنت رحلت إلى يعقوب ابن سفيان، فبقيت عنده ستة أشهر، فقلت له: طال مقامي عندك، ولي والدة. فقال: رددت الباب على والدتي ثلاثين سنة.

[٣]وعن محمد بن القاسم بن بشر: سمعت محمدَ بنَ يزيدَ الفَسَوِي العَطَّار، سمعت يعقوب بن سفيان يقول: كنت في رحلتي في طلب الحديث، فدخلت إلى بعض المدن، فصادفت بها شيخا، احتجت إلى الإقامة عليه للاستكثار عنه، وقلّت نفقتي، وبَعُدْتُ عن بلدي، فكنت أُدمِن الكتابةَ ليلا، وأقرأ عليه نهارا، فلما كان ذات ليلة، كنت جالسا أنسخ، وقد تصرّم الليل، فنزل الماء في عينيَّ، فلم أبصر السِّراجَ ولا البيتَ، فبكيتُ على انقطاعي، وعلى ما يفوتني من العلم، فاشتد بكائي حتى اتكأت على جَنْبي، فَنِمْتُ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فناداني: يا يعقوب بن سفيان! لِمَ أنت بكيت؟ فقلت: يارسول الله! ذهب بصري، فتحسرت على ما فاتني من كَتْبِ سُنَّتِك، وعلى الانقطاع عن بلدي. فقال: أُدْنُ مني. فدنوتُ منه، فأَمَرَّ يده على عينيّ، كأنه يقرأ عليهما. قال: ثم استيقظت فأبصرت، وأخذت نسخي وقعدت في السِّراج أكتب.

مات يعقوب بن سفيان بفسا سنة سبع وسبعين ومئتين.

٥٥٩ أبـوداود (ت، س)[(١)]

[١]سليمان بن الأشعث. الإمام، شيخ السُّنة، مُقدَّم الحفاظ، أبوداود، الأزديّ السِّجِسْتانِي، محدِّث البصرة.

ولد سنة اثنتين ومئتين، ورحل، وجَمَعَ، وصنَّف، وبَرَع في هذا الشأن.

وسكن البصرة بعد هلاك الخبيث طاغية الزِّنج، فنشر بها العلم، وكان يتردد إلى بغداد.

[٢]وقال أبوبكر بن دَاسَة: سمعت أبا داود يقول: كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسَ مئةِ ألفِ حديث، انتخبت منها ما ضمنتُه هذا الكتاب ـ يعني كتاب «السنن» ـ، جمعت فيه أربعة آلاف حديث وثماني مئة حديث، ذكرت الصحيح، وما يشبهه ويقاربه، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعةُ أحاديث، أحدها: قوله صلى الله عليه وسلم: «الأعمال بالنيات» والثاني: «من حسن إسلام المرءِ تركُه مالا يعنيه» . والثالث: قوله: «لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه». والرابع: «الحلال بيّن». . الحديث.

قوله: يكفي الإنسانَ لدينه، ممنوع، بل يحتاجُ المسلم إلى عدد كثير من السنن الصحيحة مع القرآن.

قال أبوبكر الخَلاَّل: أبوداود الإمام المقدَّم في زمانه، رجل لم يسْبِقْه إلى معرفته بتخريج العلوم، وبصرِه بمواضعه أحدٌ في زمانه، رجلٌ ورِعٌ مقدَّم، سمع منه أحمد بن حنبل حديثا واحدا.

وقال أبوبكر محمد بن إسحاق الصَّاغاني، وإبراهيم الحربي لما صنّف أبوداود كتاب «السنن»: أُلين لأبي داود الحديث، كما ألين لداود، عليه السّلام، الحدِيدُ.

---

(١) انظر السير: ١٣/ ٢٠٣-٢٢١.

[١]وقال الحافظ موسى بن هارون: خُلِق أبوداود في الدنيا للحديث، وفي الآخرة للجنة.

[٢]قال القاضي الخليل بن أحمد السِّجْزي: سمعت أحمد بن محمد بن الليث قاضي بلدنا يقول: جاء سهل بن عبدالله التُّسْتَري إلى أبي داود السَّجِسْتَاني، فقيل: يا أبا داود: هذا سهل بن عبدالله جاءك زائراً فرحّب به، وأجلسه، فقال سهل: يا أباداود! لي إليك حاجة. قال: وما هي؟ قال: حتَّى تقولَ: قد قضيتُها مع الإمكـان. قال: نعم. قال: أَخْـرِج إليّ لسانك الذي تحدث به أحاديثَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبِّلَه. فأخرج إليه لسانَه فقبَّله.

قال ابن دَاسَـة: سمعت أبـاداود يقـول: ذكرت في «السنن» الصحيح وما يقاربه، فإن كان فيه وهن شديد بَيّنتُه.

قلت: فقد وفّى - رحمه الله - بذلك بحسب اجتهاده، وبيَّن ما ضعْفُه شديد، ووهْنه غير محتمل وكاسر(١) عن ما ضَعْفُه خفيفٌ مُحتمل، فلا يلزم من سُكوته - والحالة هذه - عن الحديث أن يكونَ حَسَناً عنده، ولا سِيَّما إذا حَكَمنا على حدّ الحسن باصطلاحنا المولد الحادث، الذي هو في عرف السّلف يعود إلى قسم من أقسام الصحيح، الذي يجب العملُ به عند جمهور العلماء، أو الذى يرغَبُ عنه أبوعبدالله البخاري، ويُمشِّيه مسلم، وبالعكس، فهو داخل في أداني مراتِبِ الصِّحَّة، فإنَّه لو انْحطَّ عن ذلك لخرج عن الاحتجاج، ولبقي مُتَجاذَبا بين الضعف والحسن، فكتاب أبي داود أعلى ما فيه من الثابت ما أخرجه الشيخان، وذلـك نحـو من شَطْر الكتاب، ثم يليه ما أخرجه أحدُ الشيخين، ورغب عنه الآخر، ثم يليه ما رَغِبا عنه، وكان إسناده جيدا، سالما من عِلَّة وشُذُوذ، ثم يليه ما كان إسنادُه صالحا، وقَبِلَه العلماءُ لمجيئه من وجهين لَيِّنَيْنِ فصاعدا، يَعْضُد كلُّ إسنادٍ منهما الآخر، ثم يليه ما ضُعِّف إسنادُهُ لنقص حِفْظِ راويه، فمثل هذا يمشِّيه أبوداود، ويسكت عنه غالبا، ثم يليه ما كان بيِّنَ الضَّعْفِ من جهة راويه،

(١) كسر من طرفه: غضَّ.

فهذا لا يسكت عنه، بل يُوهنه غالبا، وقد يسكت عنه بحسب شهرته ونَكَارَته، والله أعلم.

قال الحافظ زكريا السَّاجي: كتابُ الله أَصْل الإسلام، وكتاب أبي داود عَهْد الإسلام.

قلت: كان أبوداود مع إمامته في الحديث وفنونه من كبار الفقهاء، فكتابه يدل على ذلك، وهو من نجباء أصحابِ الإمامِ أحْمَد، لازم مجلسَه مدة، وسأله عن دِقاق المسائل في الفروع والأصول.

وكان على مذهب السلف في اتِّباع السنة والتسليم لها، وتَرْك الخوض في مضائق الكلام.

[١]عن عَلْقَمَةَ، قال: كان عبدالله بنَ مسعود يُشَبَّه بالنبي صلى الله عليه وسلم في هَدْيِه ودله. وكان عَلْقَمة يُشَبَّه بعبدالله في ذلك.

قال جرير بن عبدالحميد: وكان إبراهيم النَّخَعِي يُشَبَّه بعلقمة في ذلك، وكان منصور يُشَبَّه بإبراهيم.

وقيل: كان سُفيانُ الثَّوري يُشَبَّه بمنصور، وكان وَكِيع يُشَبَّه بسفيان، وكان أحمد يُشَبَّه بوكِيع، وكان أبوداود يُشَبَّه بأحمد.

[٢]أبوبكر بن جابر خادم أبي داود ـ رحمه الله ـ قال: كنت مع أبي داودَ ببغداد، فصلَّيْنَا المغرب، فجاءه الأمير أبو أحمدَ المُوَفَّق ـ يعني ولي العهد ـ فدخل، ثم أقبل عليه أبوداود، فقال: ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت؟ قال: خِلالٌ ثلاثٌ. قال: وما هي؟ قال: تنتقل إلى البصرة فتتخذها وطنا، ليرحلَ إليك طلبةُ العلم، فَتَعْمُر بك، فإنها قد خَرِبت، وانقطع عنها الناس، لِمَا جرى عليها من محنة الزِّنج. فقال: هذه واحدة. قال: وتَروي لأولادي «السنن». قال: نعم، هاتِ الثالثة. قال: وتفرد لهم مجلسا، فإن أولاد الخلفاءِ لا يقعدون مع العامَّة. قال: أما هذه فلا سبيل إليها، لأن الناس في العلم سواء.

قال ابن جابر: فكانوا يحضرون ويعقدون في كِمٍّ حِيرِي، عليه سِتْر،

ويسمعون مع العامة.

[١]قال أبوداود في «سننه»: شَبَرْتُ قِثَّاءَةً بمصر ثلاثةَ عشرَ شِبْراً، ورأيت أُتْرُجَّة على بعير، وقد قطعت قطعتين، وعُمِلت مِثْلَ عِدْلَيْن.

توفي أبوداود سنة خمس وسبعين ومئتين.

٥٦٠ أبـوبكـر (١)

[٢]عبدالله بن سليمان بن الأَشْعَث: الإمام العلامة الحافظ، شيخ بغداد، أبوبكر السِّجِسْتَانِي، صاحب التصانيف. ولد بِسِجِسْتَان في سَنة ثلاثين ومئتين.

وكان من بحور العلم، بحيث إن بعضهم فَضّله على أبيه.

[٣]وكان يقول: دخلت الكوفة ومعي درهم واحد، فأخذت به ثلاثين مدّ باقلّا(٢)، فكنت آكل منه، وأكتب عن أبي سعيد الأشَجّ، فما فرغ الباقلا حتى كتبت عنه ثلاثين ألف حديث، ما بين مَقْطوعٍ ومُرْسَل.

[٤]قال أبوبكر بن شَاذَان: قدم أبوبكر بن أبي داود سِجِسْتَان، فسألوه أن يحدثهم، فقال: ما معي أصل. فقالوا: ابن أبي داودَ وأصلٌ!؟ قال: فأثاروني، فأمليت عليهم من حفظي ثلاثين ألف حديث، فلما قدمت بغداد، قال البغداديون: مضى إلى سِجِسْتَان ولعب بهم، ثم فَيَّجوا فيجاً(٣) اكتروه بستة دنانير إلى سِجِسْتان، ليكتبَ لهم النُّسْخَة، فَكُتِبَتْ، وجيء بها، وعُرِضت على الحفاظ، فخطّؤوني في ستة أحاديث، منها ثلاثة أحاديث حَدَّثْتُ بها كما حُدِّثْتُ، وثلاثة أخطأت فيها.

قال الحافظ أبومحمد الخلال: كان ابن أبي داود إمامَ أهلِ العراق، ومن

---

(١) انظر السير: ١٣ / ٢٢١-٢٣٧.

(٢) الباقلاء: باللهجة العراقية: الفول.

(٣) الفيج: الجماعة من النَّاس.

نصب له السلطان المنبر، وقد كان في وقته بالعراق مشايخُ أسندُ منه، ولم يبلغوا في الآلة والإتقان ما بلغ هو.

[١]أبوحفص بن شاهين، قال: أملى علينا ابن أبي داود سنين، وما رأيت بيده كتابا، إنما كان يملي حفظا، فكان يقعد على المنبر بعدما عمي، ويقعد دونه بدرجة ابنه أبو مَعْمَر ـ بيده كتاب ـ فيقول له: حديث كذا، فيسرده من حفظه، حتى يأتيَ على المجلسِ.

[٢]علي بن الحسين بن الجنيد، سمعت أباداود يقول: ابني عبدالله كذّاب.

قال ابن صَاعد: كفانا ما قال فيه أبوه.

قال الحافظ ابن عدي: كان في الابتداء ينسب إلى شيء من النَّصْب،(١) فنفاه ابن الفرات من بغداد إلى واسط، فردّه ابن عيسى، فحدّث، وأظهر فضائل عليّ ثم تَحَنْبَلَ، فصار شيخا فيهم.

قلت: كان شَهما، قويَّ النفس، وقع بينه وبين ابن جرير، وبين ابن صاعد.

[٣]قلت: لعل قولَ أبيه فيه ـ إن صَحَّ ـ أراد الكذب في لهجته، لا في الحديث، فإنه حُجَّة فيما ينقله، أو كان يكذِب ويورِّي في كلامه، ومن زَعَمَ أنه لا يكذب أبدا، فهو أَرْعَن، نسأل الله السلامة من عَثْرة الشَّباب، ثم إنه شاخ وارعَوَى، ولزم الصِّدق والتُّقى.

[٤]قال محمد بن عبدالله بن الشِّخِّير: كان ابن أبي داود زاهداً ناسكا، صلّى عليه يوم مات نحوٌ من ثلاثة مئة ألفِ إنسان، وأكثر.

قال: ومات سنة ست عشرة وثلاث مئة، وخلّف ثلاثة بنين، وخمس بنات، وعاش سبعا وثمانين سنة، وصُلِّي عليه ثمانين مرة.

[٥]قال أبوأحمد بن عدي: سمعت عليَّ بن عبدالله الدَّاهِرِيَّ يقول: سألت ابن

---

(١) النصب: أي بغضة علي رضي الله عنه، من نصب فلان لفلان نصباً، إذا قصد له، وعاداه، وتجرد له.

أبي داود عن حديث الطير[1]، فقال: إن صح حديث الطير فَنُبُوَّة النبي صلى الله عليه وسلم باطلٌ، لأنه حكى عن حاجب النبي صلى الله عليه وسلم خيانةً ـ يعني أَنَسا ـ وحاجب النبي لا يكون خائنا.

قلت: هذه عبارة رديئة، وكلام نَحْسٌ، بل نبُّوة محمد صلى الله عليه وسلم حقٌّ قطعيٌّ، إن صحَّ خبر الطير، وإن لم يصح، وما وجْه الارتباط؟ هذا أنس قد خَدَمَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قبل أن يحتلِمَ، وقبل جريانِ القلم، فيجوز أن تكونَ قصةُ الطَّائرِ في تلك المدة. فَرَضْنا أنه كان محتلما، ما هو بمعصوم من الخِيانة، بل فَعَل هذه الجناية الخفيفة متأولا، ثم إنه حَبَسَ عليّا من الدخول كما قيل، فكان ماذا؟ والدعوة النبوية قد نفذت واستُجيبت، فلو حبسه، أو ردَّه مرّاتٍ، ما بقي يتصور أن يدخلَ ويأكلَ مع المصطفى سواه، اللهم إلا أن يكونَ النبي صلى الله عليه وسلم قصد بقوله: «إيتني بأحب خلقِك إليكَ، يأكلُ معي» عددا من الخِيار، يصدق على مَجْموعهم أنهم أحبُّ النّاسِ إلى الله، كما يصح قولنا: أَحبُّ الخلق إلى الله الصالحون، فيقال: فمن أحبُّهم إلى الله؟ فنقول: الصِّدِّيقون والأنبياء. فيقال: فمن أحبُّ الأنبياءِ كلِّهم إلى الله؟ فنقول: محمد وإبراهيم وموسى، والخَطْبُ في ذلك يسير. وأبو لُبابَةَ ـ مع جلالته ـ بدت منه خِيانةٌ، حيث أشار لبني قريظةَ إلى حَلْقِه، وتاب الله عليه. وحَاطب بدت منه خيانة، فكاتب قُرَيشا بأمر تَخَفَّى به نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم من غزوهم، وغفر الله لحاطِب مع عِظَمِ فِعلِه رضي الله عنه. وحديث الطّير ـ على ضعفه

(١) وأخرجه الحاكم من طريق سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، عن أنس قال: كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدم له فرخ مشوي، فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير، فقلت: اجعله رجلا من أهلي الأنصار، فجاء عليّ، فقلت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم على حاجة، ثم جاء، فقلت ذلك، فقال: اللهم ائتني كذلك، فقلت ذلك، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «افتح، فدخل فقال: ما حبسك يا علي؟ فقال: إنه هذه آخر ثلاث كرَّات يردني أنس، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قلت: أحببت أن يكون رجلا من قومي، فقال: إن الرجل محب قومه» وانظر أجوبة الحافظ ابن حجر على أحاديث وقعت في المصابيح ٣/٣١٣، ٣١٤ (والفوائد المجموعة) ص ٣٨٢. وسيذكر المصنف رأيه بعد قليل.

ـ فله طرق جَمَّة، وقد أفردتها في جُزْء، ولم يَثْبُتْ، ولا أنا بالمعتقِدِ بُطْلاَنه، وقد أخطأ ابن أبي داود في عِبارته وقوله، وله على خَطَئه أجر واحد، وليس من شرط الثِّقةِ أن لا يُخطيء ولا يَغْلَطَ ولا يَسْهو. والرجل فمن كبار علماءِ الإسلام، ومن أوثق الحفَّاظ ـ رحمه الله تعالى ـ.

٥٦١ أبو حاتم الرّازي (د، س، ت)(١)

[٢]محمد بن إدريس بن المنذر: الإمام، الحافظ، النَّاقِد، شيخ المحدثين، الحَنْظَلِي الغَطَفَانِي، من تميم بن حَنْظلة بن يَربوع.

كان من بحور العلم، طوَّف البلاد، وبرع في المتْن والإسناد، وجمع وصنَّف، وجَرَح وعدَّل، وصحَّحَ وعلَّل. مولده سنة خمس وتسعين ومئة.

[٣]قال ابن أبي حاتم: سمعت يونس بن عبدالأعلى يقول: أبو زُرْعة وأبوحاتم إمَامَا خُراسان، ودعا لهما، وقال: بقاؤهما صلاح للمسلمين.

[٤]وقال ابن أبي حاتم في أول كتاب «الجَرْح والتعدِيل» له: سمعت أبي يقول: أول سنةٍ خرجْتُ في طلب الحديث، أقمت سبع سنين، أحصيت ما مشيت على قَدَمَيَّ زيادةً على ألف فرسخ.

قلت: مسافة ذلك نحو أربعة أشهر، سَيْرَ الجادَّة.

قال: ثم تركت العدد بعد ذلك، وخرجت من البَحْرَين إلى مِصْر ماشيا، ثم إلى الرَّمْلَةِ ماشيا، ثم إلى دمشق، ثم أنطاكِيَةَ وطَرَسُوس، ثم رجعت إلى حِمْصَ، ثم إلى الرَّقَّة، ثم ركبت إلى العراق، كل هذا في سفرِي الأول وأنا ابن عشرين سنة.

[٥]سمعت أبي يقول: بقيت في سنةِ أربعَ عشرةَ ثمانيةَ أشهر بالبصرة، وكان في نفسي أن أُقيم سنة، فانقطَعَت نفقتي، فجعلت أبيع ثيابي حتى نفِدت، وبقِيتُ

---

(١) انظر السير: ١٣/ ٢٤٧-٢٦٣.

بلا نَفَقة، ومضيت أطوفُ مع صديق لي إلى المَشْيخَة، وأسمع إلى المساء، فانصرف رفيقي، ورجَعت إلى بيتي، فجعلت أشرب الماء من الجوع، ثم أصبحت، فغدا علي رفيقي، فجعلت أطوف معه في سماع الحديث على جوع شديد، وانصرفت جائعا، فلما كان من الغد، غَدَا عليّ، فقال: مُرَّ بنا إلى المشايخ.

قلت: أنا ضعيف لا يمكنني. قال: ما ضعْفُك؟ قلت: لا أكتمك أمري، قد مضى يومانِ ما طَعمتُ فيهما شيئا، فقال: قد بقي معي دينار، فنصفُه لك، ونجعل النصف الآخر في الكِراء، فخرجنا من البصرة، وأخذت منه النِّصفَ دينار.

[١]وسمعت أبي يقول: خرجنا من المدينة، من عند داود الجَعْفَري، وصِرنا إلى الجَار وركبنا البحر، فكانت الرِّيحُ في وجوهنا، فبقينا في البحر ثلاثة أشهر، وضاقت صدورنا، وفني ما كان معنا، وخرجنا إلى البر نمشي أياما، حتى فني ما تبقى معنا من الزاد والماء، فمشينا يوما لم نأكلْ ولم نشرب، ويوم الثاني، ويوم الثالث، فلما كان يكونُ المساء صلّينا، وكنّا نلقي بأنفسِنا حيث كنا، فلما أصبحنا في اليوم الثالث، جعلنا نمشي على قَدْرِ طاقتنا، وكنا ثلاثةَ أنفس: شَيْخ نَيْسَابُورِيٌ، وأبوزهير المرْوَرُّوذيّ، فَسقط الشيخ مَغْشِيًّا عليه، فجئنا نحركه وهو لا يعقِل، فتركناه، ومشينا قَدرَ فرسخ، فضعُفْت، وسقطت مغشِيّا عليّ، ومضى صاحبي يمشي فبصر من بُعْد قوما، قربوا سفَينتَهم من البر، ونزلوا على بئر موسى، فلما عاينهم، لوح بثوبه إليهم، فجاؤوه معهم ماء في إداوة[١] فَسَقَوه وأخذوا بيده، فقال لهم: ألحقوا رفيقين لي، فما شعرتُ إلا برجل يصب الماء على وجهي، ففتحت عينيَّ، فقلت: اسقني، فصب من الماء في مشربة قليلا، فشربت، ورَجَعَت إليّ نفَسي، ثم سقاني قليلا، وأخذ بيدي، فقلت: ورائي

---

(١) الإداوة: المطهرة: وهي إناء صغير يحمل فيه الماء.

شيخ ملقى، فذهب جماعة إليه، وأخذ بيدي، وأنا أمشي وأُجُرُّ رِجلَيَّ، حتى إذا بلغتُ إلى عند سفينتهم، وأتَوْا بالشيخ، وأحسنوا إلينا، فبقِينا أياما حتى رجعت إلينا أنفسُنا، ثم كتبوا لنا كتابا إلى مدينة يقال لها: راية،(1) إلى واليهم، وزوَّدونا من الكعك والسَوِيق والماء. فلم نزل نمشي حتى نَفِذَ ما كان معنا من الماء والقوت، فجعلنا نمشي جياعا على شط البحر، حتى دفعنا إلى سلحفاة مثل التُّرْس، فعمدنا إلى حجر كبير، فضربنا على ظهرها، فانفلق، فإذا فيها مثل صُفْرةِ البيض، فَتَحَسَّيْنَاه حتى سكن عنا الجوع، ثم وصلنا إلى مدينة الرَّاية، وأوصلنا الكتاب إلى عاملها، فأَنْزَلَنا في داره، فكان يقدم لنا كل يوم القَرْع، ويقول لخادمه: هاتي لهم اليَقْطين المبارك. فيُقَدِّمُه مع الخبز أياما، فقال واحدٌ منا: ألا تدعو باللحم المشؤوم؟! فسمع صاحب الدار، وأتانا بعد ذلك باللحم، ثم زوَّدَنا إلى مصر.

[١]وقال الحافظ أبو القاسم الَّلالَكائي: وجدت في كتاب أبي حاتم محمد بن إدريس الحنظلِي، مما سمع منه، يقول: مذهبُنا واختيارُنا اتِّباعُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين، والتمسك بمذاهبِ أهل الأثَرِ، مثل الشَّافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبي عُبَيد، ولزومُ الكتاب والسنة، ونعتقد أن الله - عزّ وجل - على عرشه ﴿ليس كمثله شيءٌ وهُو السّميع البصير﴾[الشورى: ١١]. وأن الإيمان يَزيد وينقصُ، ونؤمن بعذاب القبر، وبالحوض، وبالمسألة في القبر، وبالشفاعة، ونترحم على جميع الصحابة.. وذكر أشياء.

[٢]إذا وثَّق أبوحاتم رجلا فتمسك بقوله، فإنه لا يوثِّق إلا رجلا صحيح الحديث، وإذا لَيَّن رجلا، أو قال فيه: لا يحتج به. فتوقف حتى ترى ما قال غيره فيه، فإن وثّقه أحد، فلا تَبْنِ على تجريح أبي حاتم، فإنه متعنِّت في الرجال، قد قال في طائفةٍ من رجال (الصِّحاح): ليس بحجَّة، ليس بقوي، أو نحو ذلك.

---

(1) راية: محلة عظيمة بفسطاط مصر وهي المحلة التي في وسطها جامع عمرو بن العاص.

مات الحافظ أبوحاتم سنةَ سبع وسبعين ومئتين. وقيل: عاش ثلاثا وثمانين سنة.

[١]ولأبي محمد الإيادي الشاعرِ مرثيةٌ طويلة في أبي حاتم، رواها عنه ابن أبي حاتم، أولها:

أَنفْسِي مَالَكِ لا تَجْزعِينَا وعَيْنِيَ مالك لا تَدْمَعِينا
ألم تسمعي بكُسُوف العلو م من شهر شَعبَان محقاً، مَدينا
ألم تسمعي خَبرَ المُرتَضَى أبي حاتم أعلمَ العالَمِينا

٥٦٢ ابنُه عبدُالرحمن(١)

[٢]العلاّمة، الحافظ، يكنى: أبا محمد. ولد سنة أربعين ومئتين، أو إحدى وأربعين

[٣]قال أبوالحسن علي بن إبراهيم الرَّازي الخطيب في ترجمة عملها لابن أبي حاتم: كان - رحمه الله - قد كساه الله نورا وبهاءً، يُسَرُّ مَنْ نَظَرَ إليه. سمعته يقول: رحل بي أبي سنة خمس وخمسين ومئتين، وما احتلَمْتُ بعد، فلما بلغنا ذا الحُليفةِ احتلمتُ، فسرّ أبي، حيث أدركت حَجَّة الإسلام.

[٤]وكان بحرا لا تكدِّرُه الدِّلاء.

قال أبو يَعْلي الخَليلي: أخذ أبومحمد علم أبيه، وأبي زُرْعة، وكان بحرا في العلوم ومعرفة الرِّجال. صنف في الفقه، وفي اختلاف الصحابة والتابعين وعلماءِ الأمصار. قال: وكان زاهدا، يعد من الأَبْدال.

قلت: له كتاب نفيس في «الجَرْحِ والتَّعْديل»، أربعُ مجلدات، وكتاب «الرد على الجَهْمِيَّة»، مجلد ضخم، انتخبت منه، وله «تفسير» كبير في عدة مجلدات، عامته آثار بأسَانيده، من أحسن التفاسير، وله كتاب «العلل»، مجلد كبير.

---

(١) انظر السير: ١٣/٢٦٣-٢٦٩.

[١]وقال الرازي: سمعت عليَّ بن محمد المصري ـ ونحن في جنازة ابن أبي حاتم ـ يقول: قَلَنْسُوة عبدالرحمن من السماء، وما هو بعجب، رجل منذ ثمانين سنة على وتيرة واحدة، لم ينحرف عن الطريق، وسمعتُ علي بن أحمد الفَرَضي يقول: ما رأيت أحداً ممن عَرَف عبدَالرحمن ذكر عنه جهالةً قطُّ. وسمعت أحمد ابن محمد بن الحسين الحافظ يحكي عن علي بن الحسين الدَّرستيني، أن أبا حاتم كان يعرف الاسمَ الأعظمَ، فَمَرِضَ ابنُه، فاجتهد أن لا يدعُوَ به، فإنه لا ينال به الدنيا، فلمّا اشتدت العلة، حَزِنَ ودعا به، فَعُوفي، فرأى أبوحاتم في نومه: استجبت لك ولكن لا يُعقِبُ ابنُك. فكان عبدُالرحمن مع زوجته سَبعين سنة، فلم يُرْزَقْ ولدا.

[٢]وقال الرازي: وسمعت علي بنَ أحمدَ الخُوَارِزْمِي يقول: سمعت عبدالرحمن ابن أبي حاتم يقول: كنا بمصرَ سَبْعَةَ أشهر، لم نأكل فيها مرقة، كُلُّ نهارِنا مقسّم لمجالس الشُّيُوخ، وبالليل: النَّسْخُ والمقابلة. قال: فأتينا يوما أنا ورفيق لي شيخا، فقالوا: هو عليل، فرأينا في طريقنا سمكة أعجبتْنا، فاشتريناه، فلما صِرنا إلى البيت، حضر وقتُ مجلسٍ، فلم يمكِنَّا إصلاحُه، ومضَيْنا إلى المجلس، فلم نَزَلْ حتى أتى عليه ثلاثة أيام، وكاد أن يتغير، فأكلناه نِيْئاً، لم يكن لنا فراغ أن نُعْطِيَه من يَشويه. ثم قال: لا يُستَطاعُ العِلمُ براحةِ الجَسَد.

[٣]سمعت الواعظ أبا عبدالله القَزْويني يقول: إذا صليت مع عبدالرحمن فسلِّم إليه نفسَك، يعمل بها ما شاء. دخلنا يوماً بغَلس على عبدالرحمن في مرض موته، فكان على الفراش قائما يصلي، وركع فأطال الركوع.

[٤]ومن كلامه: قال: وجدت ألفاظ التعديل والجرح مراتب: فإذا قيل: ثقة: أو: متقن. احتُجَّ به، وإن قيل: صدوق، أو: مَحَلُّه الصِّدق، أو: لا بأس به، فهو ممن يُكْتَبُ حديثُه، ويُنْظَر فيه وهي المنزلة الثانية، وإذا قيل: شَيْخ، فيُكْتب حديثُه، وهو دون ما قبلَه، وإذا قيل: صالح الحديث، فيكتب حديثُه وهو دون ذلك يكُتب للاعتبار، وإذا قيل: لَيِّن، فدون ذلك، وإذا قالوا: ضعِيفُ

الحديث، فلا يُطْرَح حديثه، بل يُعْتَبر به، فإذا قالوا: متروكُ الحديث، أو: ذاهبُ الحديث، أو: كذَّابٌ، فلا يكتَبُ حديثُه.

[١]الحسين بن أحمد الصَّفّار، سمعت عبدالرحمن بن أبي حاتم يقول: وقع عندنا الغلاء، فأنفذَ بعض أصدقائي حبوبا من أصبهان، فبعتُهُ بعشرين ألفا، وسألَني أن أشتريَ له دارا عندنا، فإذا جاء ينزِل فيها، فأنفقتُها في الفقراء، وكتبتُ إليه: اشتريت لك بها قَصْرا في الجنة، فبعث يقول: رضيْتُ، فاكتب على نفسك صَكّا، فَفَعَلْتُ، فأُرِيتُ في المنام: قد وَفَيْنا بما ضَمِنتَ، ولا تعُد لمثل هذا.

[٢]علي بن الحسين بن الجنيد، سمعت يحيى بن معين يقول: إنّا لنَطْعنُ على أقوام، لعلهم قد حَطُّوا رحالهم في الجنة، مِن أكثَر من مِئتي سنة.

قلت: لعلها من مئة سنة، فإن ذلك لا يبلغ في أيام يحيى هذا القدر.

[٣]قال ابن مَهْرَوَيْه: فدخلت على عبدالرَّحمن بن أبي حَاتم، وهو يقرأ على الناس كتاب: «الجرْح والتَّعْديل»، فحدثته بهذا فبكى، وارتَعَدت يَدَاه، حتى سقطَ الكتاب، وجعل يبكي، ويستعيدُني الحكاية.

قلت: أصابه على طَريق الوجل وخَوفِ العاقبة، وإلا فَكَلَام النَّاقِدِ الورعِ في الضعفاء من النصح لدين الله والذبِّ عن السنة.

توفي ابن أبي حاتم سَنَةَ سَبعٍ وعشرين وثلاث مئة بالرَّي، وله بِضْعٌ وثمانون سنة.

٥٦٣ التِّـرْمِـذِي(١)

[٤]محمد بن عيسى بن سَوْرة، الحافظ، العلَم، الإمام، البارع، ابن عيسى السُّلَمي التِّرْمِذِي الضرير، مصنف «الجامع»، وكتاب «العلل»، وغير ذلك.

اختلف فيه، فقيل: ولد أعمى، والصحيح أنّه أضر في كِبَره، بعد رحلته

(١) انظر السير: ١٣/ ٢٧٠-٢٧٧.

وكتابته العلم. ولد في حدود سنةَ عَشْرٍ ومئتين.

[١]وقال الحاكم: سمعت عمر بن عَلَّك يقول: مات البخاري، فلم يُخلِّفْ بخراسان مثلَ أبي عيسى، في العلم والحفظ، والورع والزهد. بكى حتى عَمي، وبقي ضريرا سنين.

[٢]ونقل أبوسَعْد الإدريسي بإسناد له، أن أبا عيسى قال: كنت في طريق مكة، فكتبت جزأين من حديث شيخ، فوجدتُه فسألتُه، وأنا أظن أن الجُزْأيْن معي، فسألته، فأجابني، فإذا معي جزآن بياض، فبقي يقرأ علي من لفظه، فنظر، فرأى في يدي وَرقا بياضا، فقال: أما تستحي مني؟ فأعلمته بأمري، وقلتُ: أحفظُهُ كلّه. قال: اقرأ. فقرأته عليه، فلم يصدِّقني، وقال: استظهرتَ قبل أن تَجيء؟ فقلت: حدِّثني بغيره. قال: فحدَّثني بأربعين حديثا، ثم قال: هات. فأعدتُها عليه، ما أخطأتُ في حرف.

قال شيخنا أبوالفتح القُشَيْرى الحافظ[٢]: تِرْمِذ، بالكَسر، وهو المستفيض على الألسنة حتى يكونَ كالمتواتر.

[٣]قال أبوعيسى: صَنَّفتُ هذا الكتاب، وعرضته على علماء الحجاز، والعراق وخراسان، فرضوا به، ومن كان هذا الكتاب - يعني «الجامع» - في بيته، فكأنما في بيته نبي يتكلم.

[٤]قلت: في «الجامع» علم نافع، وفوائدُه غزيرة، ورؤوس المَسائل، وهو أحد أصول الإسلام، لولا ما كَدَّره بأحاديث واهية، بعضُها موضوع، وكثيرٌ منها في الفضائل.

[٥]قلت: «جامعه» قاضٍ له بإمامته وحفظه وفقهِه، ولكن يَتَرَخَّصُ في قَبول الأحاديث، ولا يشدِّد، ونَفَسُه في التضعيف رَخْوٌ.

---

(٢) هو شيخ الإسلام، تقي الدين، أبو الفتح، محمد بن علي بن وهب القشيري المصرى المعروف بابن دقيق العيد.

[١]وفي «المنثور» لابن طاهر: سمعت أبا إسماعيل شيخَ الإسلام يقول: «جامع» التِّرمذي أنفعُ من كتاب البخاري ومسلم، لأنهما لا يقِف منهما إلا المتبحر العالم، و «الجامع» يصل إلى فائدته كل أحد.

مات أبوعيسى في سنة تسع وسبعين ومئتين بتِرْمِذ.

٥٦٤ ابن ماجه[١]

محمد بن يزيد: الحافظ، الكبير، الحُجَّة، المُفَسِّر، أبوعبدالله ابن ماجه، القَزْوِيني، مصنف «السُّنن»، و «التاريخ» و «التفسير»، وحافظ قَزْوينَ في عصره.

ولد سنة تسع ومئتين.

عن ابن ماجه، قال: عرضت هذه «السُّنَنَ» على أبي زُرْعَةَ الرّازيِّ، فنظر فيه، وقال: أظن إن وقع هذا في أيدى الناس تعطلت هذه الجوامع، أو أكثرُها. ثم قال: لَعَل لا يكونُ فيه تمامُ ثلاثين حديثا، مما في إسناده ضَعْفٌ، أو نحو ذا.

قلت: قد كان ابن ماجه حافظا ناقدا صادقا، واسع العلم، وإنما غَضَّ من رتبة «سننه» ما في الكتاب من المناكير، وقليلٌ من الموضوعات، وقول أبي زُرْعة - إن صَحَّ - فإنما عني بثلاثين حديثا، الأحاديث المطرحة السَّاقِطة، وأما الأحاديث التي لا تقوم بها حجة، فكثيرة، لعلَّها نحو الألف.

قال أبويعلى الخليلي: هو ثقة كبير، متفق عليه، محتج به، له مَعْرفة بالحديث وحفظٌ، ارتحل إلى العراقَيْن، ومكة والشام، ومصر والرّيّ لكتْب الحديث.

قلت: مات سنة ثلاث وسبعين ومئتين. وعاش أربعا وستين سنة.

وقال أبوالحسن القطان: في «السُّنن» ألفُ وخمسُ مئة باب، وجملة ما فيه أربعَة آلاف حديث.

---

(١) انظر السير: ١٣ / ٢٧٧-٢٨١.

٥٦٥ غـلام خـلـيل (١)

[١]الشيخ، العالم، الزاهد، الواعظ، شيخ بغداد، أبوعبدالله، أحمد بن محمد ابن غالب الباهلي البصريُّ، غُلام خَليل.

[٢]سَكَنَ بغداد. وكان له جلالةٌ عجيبةٌ، وصوْلَةٌ مَهيبَةٌ، وأمْرٌ بالمعروف، واتباعٌ كثير، وصِحَّةُ مُعْتَقَدٍ، إلاَّ أنَّه يَرويَ الكذبَ الفاحش، ويرى وَضْعَ الحديث. نسأل الله العافيةَ.

وخَفِيَ حالُه على الكبار أوّلاً.

قال ابن أبي حاتم: سُئِل أبي عنه، فقال: رجل صالح، لم يكن عندي ممن يَفْتَعِل الحديث.

ورُوي عن أبي داود السِّجِسْتاني أنه قال: ذاك دَجَّال بغداد، نظرت في أربعِ مئة حديث له، عُرِضَت عَليَّ، كلها كَذِبٌ، متونُها وأسانيدُها.

وقال ابن عَدِي: سمعت أبا عبدالله النُّهَاوَنْدي يقول: كَلَّمْتُ غلامَ خليلٍ في هذه الأحاديث، فقال: وضعناها لِتُرَقِّقَ القلوبَ.

وفي «تاريخ بغداد»: أن أبا جعفر الشَّعِيْرِي قال: قلت لغلام خليل لمّا روى عن بَكْر بن عِيسى، عن أبي عَوانة: يا أبا عبدالله! هذا شيخ قَديمُ الوفاة، لم تَلْحَقْه، فَفَكَّرَ، وخِفْتُ أنا، فقلت: كأنَّك سمعتَ من رجل باسمه؟ فسكت، فلما كان من الغد، قال لي: إني نظرت البارِحَة فيمن سمعتُ منه بالبصرة، ممن يقال له: بَكْر بن عيسى، فوجدتهم ستين رجلا.

[٢]قال ابن الأعرابي: قدم من واسط غلام خليل، فذُكِرَتْ له هذه الشَّنَاعات ـ يعني خوضَ الصُّوفية ـ ودقائق الأحوالِ التي يَذُمُّها أهلُ الأثَرِ، وذُكِرَ له قولُهُم بالمحبَّة، ويبلغه قولُ بعضهم: نحن نُحبُّ رَبَّنا ويُحِبُّنا، فأسقط عنَّا خَوفَه بغلبةِ

(١) انظر السير: ١٣/ ٢٨٢ـ٢٨٥.

حُبِّه ـ فكان يُنْكِرُ هذا الخَطَأ بخطإٍ أَغْلَظَ مِنْهُ، حتَّى جَعَل محبَّةَ اللهِ بدعةً، وكان يقول: الخوفُ أولى بنا. قال: وليسَ كما توهم، بل المحبَّةُ والخوفُ أصلان، لا يخلو المؤمِنُ منهما، فلم يزل يَقُصُّ بِهِم، ويُحَذِّر منهم، ويُغري بهم السُّلطانَ والعامَّة، ويقول: كان عندنا بالبصرة قومٌ يقولون بالحُلول، وقومٌ يقولون بالإِبَاحة، وقومٌ يقولون كذا. فانتَشَر في الأفواه أن بِبَغداد قوماً يقولون بالزَّنْدَقة.

وكانت تميل إليه والدةُ الموَفَّق، وكذلك الدَّوْلة والعَوَام، لزُهْدِه وتَقَشُّفه، فأمَرتِ المحتَسِبَ أن يُطِيعَ غُلامَ خَليل، فَطَلب القومَ، وبَثَّ الأعوانَ في طلبهم، وكُتِبُوا، فكانوا نيِّفا وسبعين نَفْساً، فاختفى عامَّتُهم، وبعضُهم خلَّصَتْه العامة، وحُبِس منهم جماعةٌ مُدَّةً.

[١]قال ابن كامل: مات غلام خليل سنة خمس وسبعين ومئتين، وغلقت الأسواق، وخرج الرجال والنساء للصلاة عليه، ثم حمل في تابوت إلى البصرة، وبُنِيَتْ عليه قُبَّةٌ. قال: وكان فصيحا مُعْرِباً، يحفظ علما كثيرا، ويخضِبُ بالحِنَّاء، ويقتُات بالباقلاّ صرفاً.

٥٦٦ بَقِيُّ بن مَخْلَد(١)

[٢]ابن يزيد: الإمامُ، القدوة، شيخُ الإسلام، أبوعبدالرحمن الأندلسي القُرْطُبي، الحافظ، صاحب «التفسير» و «المُسْنَد» اللَّذَيْن لا نظير لهما.

ولد في حدود سنة مئتين، أو قبلها بقليل.

وعني بهذا الشأن عِنايةً لا مَزيد عليها، وأدخل جزيرة الأندلس علما جما، وبه، وبمحمد بن وَضَّاح صارت تلك الناحيةُ دَارَ حديثٍ، وعدَّةُ مَشْيَخَتِه الَّذين حَمَل عنهم مئتان وأربعةٌ وثَمانونَ رجلا.

(١) انظر السير: ١٣/ ٢٨٥-٢٩٦.

وكان إماما مجتهدا صالحا، ربَّانيّا صادقا مُخْلِصا، رأساً في العلم والعمل، عديمَ المثل، مُنْقَطِع القَرين، يفتي بالأثر، ولا يُقَلِّد أحدا.

ذكره أحمد بن أبي خَيْثَمة، فقال: ما كنا نسميه إلا المِكْنَسَة، وهل احتاج بلد فيه بَقِيٌّ إلى أن يَرْحل إلى ها هنا منه أَحَد؟!

وقال أبوالوليد بن الفَرَضِي في «تاريخه»: ملأ بَقِيُّ بن مَخْلَد الأندلس حديثا، فأنكر عليه أصحابُه الأندلسيُّون: أحمد بن خالد، ومحمد بن الحارث، وأبوزَيْد، ما أدخله من كُتب الاختلاف، وغرائب الحديث، فأغرَوْا به السلطان وأخافوه به، ثم إن الله أظهره عليهم، وعصمه منهم، فنشر حديثه وقرأ للناس روايتَه. ثم تلاه ابن وَضَّاح، فصارت الأندلسُ دارَ حديثٍ وإسناد. ومما انفرد به ولم يدخله سواه «مصنف» أبي بكر بن أبي شَيْبَة بتمامه، و «كتاب الفقه» للشافعي بكَماله - يعني «الأم» - و «تاريخ» خليفة، و «طبقات» خليفة، وكتاب «سيرةُ عمرَ بنِ عبدالعزيز»، لأحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقي... وليس لأحد مثل «مُسْنده». وكان وَرِعا فاضلا زاهدا.. قد ظَهرت له إجابات الدعوة في غير ما شيء.

قال الإمام أبومحمد بن حَزْم الظَّاهري: أَقْطَعُ أنه لم يُؤَلَّف في الإسلام مثلُ «تفسير» بِقَيٍّ، لا «تفسير» محمد بن جَرِير، ولا غيره.

[١]قال: وكان محمد بن عبدالرحمن الأُمَويُّ صاحبُ الأندلس مُحبا للعلوم عارِفا، فلما دخل بقيٌّ الأندلس «بمصنف» أبي بكر بن أبي شيبة، وقرىء عليه، أنكر جماعة من أهل الرأي ما فيه من الخلاف واستبشعوه، ونَشَّطوا العامَّةَ عَلَيه، ومنعوه من قراءته، فاستحضره صاحب الأندلس محمدٌ وإيّاهم، وتصفح الكتاب كُلَّه جُزْءا جُزْءا حتى أَتَى على آخره، ثم قال لخازن الكتب: هذا كتاب لا تستغني خِزَانَتُنَا عنه، فانظر في نَسْخِهِ لنا، ثم قال لبقيّ: انشر عِلْمَك، وارو ما عندكَ. ونهاهم أن يَتَعَرَّضُوا له.

[٢]وذكر عبدالرحمن بن أحمد، عن أبيه: أن امرأةً جاءت إلى بَقِيٍّ، فقالت: إن ابني في الأسر، ولا حِيلةَ لي، فلو أَشرتَ إلى من يَفْدِيه، فإنني والِهَةٌ. قال:

نعم، انصرفي حتى أَنْظُرَ في أمره. ثُم أَطْرَق، وحَرَّك شَفَتَيْه، ثم بعد مُدَّةٍ جاءت المرأة بابنها، فقال: كنت في يد مَلِكٍ، فَبَيْنَا أنا في العَمَل، سقط قَيْدي. قال: فذكر اليوم والسَّاعة، فوافق وَقْتَ دعاءِ الشيخ. قال: فصاح عليّ المُرَسَّم بنا، ثم نَظَرَ وتَحَيَّرَ، ثم أحضر الحـدَّادَ وقَيَّدني، فلمـا فرغه ومَشَيْت سَقَطَ القَيْد، فبُهِتوا، ودَعَوا رُهْبَانَهم، فقالوا: أَلَكَ والدةٌ؟ قلت: نعم، قالوا: وافق دعاءها الإِجابةُ.

[١] وكان بَقِيٌّ أوَّلَ من كَثَّر الحديثَ بالأندلس ونَشَره، وهاجم به شيوخَ الأندلس، فثاروا عليه، لأنهم كان علمُهم بالمسائل ومذهب مالك، وكان بَقِيٌّ يفتي بالأثر، فشذَّ عنهم شُذوذا عظيما، فعقدوا عليه الشَّهادات، وبدَّعوه، ونسبوا إليه الزَّندَقة، وأشياء نَزَّهَهُ الله منها. وكان بَقِيٌّ يقول: لقد غرست لهم بالأندلس غرسا لا يُقْلَعُ إلا بُخروج الدَّجَّال.

[٢] قال ابن حزم: و «مُسْند» بَقِيٍّ روى فيه عن ألف وثلاث مئة صاحب ونَيِّفٍ، ورتَّب حديث كل صاحب على أبواب الفقه، فهو مُسْند ومُصَنَّف، وما أعلم هذه الرُّتْبَةَ لأحد قبلَه، مع ثقته وضبطِه، وإتقانه واحتفالِه في الحديث. وله مُصَنَّف في فتاوى الصحابة والتابعين فمن دونهم، الذى قد أَرْبى فيه على «مُصَنَّف» ابن أبي شَيْبَة، وعلى «مُصنَّف» عبدالرَّزَّاق، وعلى «مصنَّف» سعيد بن منصور. . . ثم إنه نوَّه بذكر «تفسيره»، وقال: فصارت تَصانيفُ هذا الإمامِ الفاضلِ قواعدَ الإِسلام، لا نظيرَ لها، وكان مُتَخَيِّرا لا يُقَلِّد أحدا، وكان ذا خاصَّةٍ من أحمدَ بن حنبل، وجارياً في مِضْمَار البخاري ومسلم والنسائي.

[٣] قال ابن البادية الحافظ: كان بَقِيٌّ من عقلاء الناس وأفاضلهم، وكان أَسْلَمُ ابن عبدِالعزيز يُقَدِّمُه على جميع من لقيه بالمشرق، ويصف زُهْدَه، ويقول: ربَّما كنت أمشي معه في أَزِقَّة قُرْطُبَة، فإذا نظر في موضعٍ خالٍ إلى ضعيف محتاج أعطاه أحدَ ثَوْبَيْه.

[١] وذكر أبوعبيدة، قال: كان بَقِيٌّ يختم القرآن كل ليلة، في ثلاثَ عشرةَ ركعة، وكان يصلي بالنَّهار مئةَ ركعة، ويصوم الدهر. وكان كثيرَ الجهاد، فاضِلا، يذكر عنه أنه رابط اثنتين وسبعين غَزْوة.

[٢] ونقل بعض العلماء من كتابٍ لحفيد بَقِيٍّ عبدِالرَّحمنِ بنِ أحمد:

كان جدِّي قد قَسَّم أيامَه على أعمال البِرِّ: فكان إذا صلّى الصُّبحَ قرأ حزبه من القرآن في المصحف، سُدسَ القرآن، وكان أيضاً يَخْتِم القرآن في الصلاة في كل يوم وليلة، ويَخْرُج كلَّ ليلةٍ في الثُّلث الأخير إلى مَسْجِده، فَيَخْتِم قُربَ انْصِداع الفَجر، وكان يُصلِّي بعد حزبه من المصْحَف صلاةً طويلةً جدّاً، ثم ينقِلبُ إلى دَاره ـ وقد اجتمع في مسجده الطَّلَبةُ ـ فَيُجَدِّدُ الوضوءَ، ويخرُج إليهم، فإذا انقضت الدُّوَل، صار إلى صَوْمَعَةِ المسجد، فيصلي إلى الظهر، ثم يكون هو المبتَدِئَ بالأذان، ثم يهبط ثم يُسْمِعُ إلى العصر، ويصلي ويُسْمِع، وربَّما خرج في بقية النهار، فيقعد بين القبور يبكي ويَعْتَبِر، فإذا غربت الشَّمْسُ أتى مسجده، ثم يصلي، ويرجع إلى بيته فَيُفْطِرُ، وكان يسْرُد الصومَ إلا يومَ الجمعة، ويخرج إلى المسجد، فيخرُج إليه جيرانه، فيتكلَّم معهم في دِينهم ودنياهم، ثم يصلي العِشَاء، ويدخُل بيته، فيحدِّث أهلَه، ثم ينام نومة قد أخذتْها نفسُه، ثم يقومُ. هذا دَأْبُه إلى أن تُوُفِّيَ. وكان جَلْدا، قويّاً على المشي، [٣] قد مشى مع ضَعِيف في مَظْلمة إلى إشبِيْلِيَة، ومشى مع آخر إلى إِلْبِيْرة، ومع امرأة ضعيفةٍ إلى جَيَّان.

تُوفِّيَ سنة ستٍ وسبعين ومئتين.

٥٦٧ ابنُ قُتَيْبَة[١]

[٤] العلامة الكبير، ذو الفنونِ، أبومحمدٍ، عبدالله بن مسلمِ بنِ قُتَيْبَةَ الدِّيْنَوَرِيُّ الكاتب، صاحب التصانيف.

---

(١) انظر السير: ١٣/ ٢٩٦-٣٠٢.

نزل بغداد، وصَنَّفَ وَجَمَعَ، وبَعُدَ صِيْتُه. قال أبوبكر الخطيب: كان ثقة ديِّنا فاضلا.

وقد وَلِيَ قضاءَ الدِّيَنَور، وكان رأسا في علم اللِّسان العربي، والأخْبارِ وأيامِ الناس.

[١]وقال مسعود السِّجْزِي: سمعت أبا عبدالله الحاكم يقول: أجمعتِ الأُمّةُ على أن القُتَبِيَّ كَذّاب.

قلت: هذه مُجَازَفَةٌ وقِلَّةُ وَرَع، فما علمتُ أحدا اتَّهمه بالكَذِب قبل هذه القولة، بل قال الخطيب: إنَّه ثقة.

[٢]عن حمَّاد الحرَّاني أنَّه سمع السِّلَفِيَّ ينكر على الحاكم في قوله: لا تجوز الرواية عن ابن قُتَيْبَة. ويقول: ابن قتيبة من الثِّقات، وأهل السُّنة. ثم قال: لكن الحاكم قَصده لأجل المذْهَب.

قلت: عهدي بالحاكم يميل إلى الكَرَّاميّة، ثم ما رأيت لأبي محمد في كتاب «مُشْكل الحديث» ما يخالف طريقة المُثْبِتَة والحنابِلَة، ومِن أنَّ أخبارَ الصفاتِ تُمَرُّ ولا تُتَأَوَّل، فالله أعلم.

[٣]قال أبوالحسين أحمد بن جعفر بن المنادِي: مات أبومحمد بن قُتَيْبَةَ فُجاءة، صاح صيحة سمعت من بعد، ثم أغمي عليه، وكان أكل هَرِيْسَةً، فأصاب حَرَارَةً، فبقي إلى الظُّهر، ثم اضطَرَبَ ساعة، ثم هَدَأ، فما زال يتشهَّدُ إلى السَّحَر، ومات ـ سامحه الله ـ وذلك سنة سِتٍّ وسبعين ومئتين.

والرجل ليس بصاحب حديث، وإنما هو من كبار العلماء المشهورين، عنده فُنُون جَمَّة وعلوم مُهِمَّة.

[٤]قال قاسم بن أصبغ: كنا عند ابن قتيبة، فأَتَوْه بأيديهم المحابر، فقال: اللهم سَلِّمنا منهم. فقَعَدوا، ثم قالوا: حَدِّثْنا ـ رحمك الله ـ قال: ليس أنا ممن يُحدِّث، إنما هذه الأوْضَاع، فَمَن أُحَبُّ؟ قالوا له: ما يَحِلُّ لك هذا، فحدِّثنا بما عندك عن إسحاقَ بن رَاهَوَيْه، فإنا لا نجد فيه إلا طَبَقَتَك، وأنت عندنا أوثق.

قال: لَسْتُ أُحَـدِّث. ثم قال لهم: تَسْـألـوني أن أحـدِّث، وببغداد ثمان مئة محدِّث، كلُّهم مثلُ مشايخي!، لست أفعل. فلم يحدِّثْهم بشيء.

٥٦٨ أبو زُرْعَـةَ الدِّمَشْـقيُّ (د)[1]

[١]الشيخ، الإمام، الصادق، مُحدِّث الشَّام، أبو زُرْعَة، عبدالرَّحمن بن عَمْرو ابن عبدالله النَّصْري الدمشقي.

ولد قبل المئتين.

وجَمَع وصَنَّف، وذاكر الحفاظ، وتَمَيَّز، وتقدم على أقرانه، لمعرفته وعُلُوِّ سنده.

ذكر أحمد بن أبي الحَواري أبا زُرْعَةَ الدمشقي، فقال: هو شَيخ الشَّبَاب.

ولما قَدِمَ أهلُ الرَّيِّ إلى دمشق، أعجبهم علمُ أبي زُرْعة، فَكَنَّوا صاحبهم الحافظ عُبَيْدالله بن عبدالكريم بكنيَته.

[٢]قال أبوالقاسم بن عَسَاكر: قرأت في كتاب أبي الحُسَين الرّازي ـ يعني والد تمّام ـ قال: سمعت جماعة قالوا: لمَّا اتصلَ الخبرُ بأبي أحمدَ الواثق، أن أحمد ابنَ طُولون قد خَلَعَه بدمشق، أمر بلعن أحمدَ بنِ طولون على المنابر، فلما بَلَغَ أحمد، أمر بلعن المُوفَّق على المنابر بمصر والشام، كان أبو زُرْعَةَ محمد بن عثمان القاضي ممن خلع المُوفَّق ـ يعني من ولاية العهد ـ ولَعَنَه، ووقف عند المنبر بدمشق، ولَعَنَه، وقال: نحن أهل الشام، نحن أهل صِفِّين، وقد كان فينا من حَضَرَ الجمل، ونحن القائمون بمن عاند أهلَ الشام، وأنا أشهدكم أني قد خلعت أبا أحْمَق ـ يعني أبا أحمد ـ كما يُخْلَع الخاتَم من الإصبع، فالعَنوه، لَعَنَه الله.

[٣]قال الرازي: وحدثني إبراهيم بن محمد بن صالح، قال: لما رجع أحمد بن

(١) انظر السير: ١٣/ ٣١١-٣١٦.

الموفق من موقعة الطَّوَاحين إلى دمشق، من محاربة خُمَارَوَيه بن أحمد بن طولون - يعني بعد موت أبيه أحمد، وذلك في سنة إحدى وسبعين - قال لأبي عبدالله الواسِطِيّ: انظر ما انتهى إليك ممَّن كان يبغضنا فليُحْمَل. فحُمِل يزيد ابن عبدالصَّمَد، وأبوزُرْعَةَ الدّمشقي، والقاضي أبو زُرْعَةَ بن عُثمان، حتى صاروا بهم مُقَيَّدِين إلى أَنْطَاكِيَة، فبينا أحمد بن أبي المُوفَّق - وهو المعتضد - يسير يوما، إذ بَصُرَ بمَحَامِلِ هؤلاء، فقال للواسِطي: من هؤلاء؟ قال: أهلُ دمشق. قال: وفي الأحْيَاء هم؟ إذا نزلتُ فاذكرني بهم.

قال ابن صالح: فحدثنا أبو زُرْعَة الدِّمشقي، قال: فلمَّا نزل، أحضرنا بعد أن فُكَّتِ القيود، وأوقفنا مذعورين، فقال: أيُّكم القائل: قد نَزَعْتُ أبا أحمق؟ قال: فربَت ألسِنَتُنَا حتى خُيِّل إلَيْنَا أنّنا مَقْتُولون، فأما أنا: فأُبْلست،[1] وأما ابن عبدالصَّمد: فَخَرِسَ، وكان تمتاما، وكان أبو زُرْعَةَ القاضي أحدَثَنا سنا، فقال: أصلح الله الأمير. فالتفتَ إليه الواسِطِيّ، فقال: أَمْسِك حتى يَتَكَلَّمَ أكبرُ منك. ثم عَطَف علينـا، وقال: ماذا عِنْدكم؟ فقلنا: أصْلَحَكَ الله! هذا رجلٌ مُتَكَلِّم يَتَكَلَّم عنَّا، قال: تكلم. فقال: والله ما فينا هاشِميٌّ، ولا قُرَشِي صَحيح، ولا عَرَبِيٌّ فَصِيح، ولكنَّا قومٌ مُلكْنا حتى قُهرنا. وروى أحاديث كثيرة عن النَّبي صلى الله عليه وسلم في السَّمْع والطَّاعَة، في المَنْشَط والمَكْره، وأحاديث في العَفْو والإحسان، وكان هو الذي تكلم بالكلمة التي نُطَالَبُ بخزْيِها، ثم قال: أصلَحَ الله الأمير، وأُشْهِدك أن نِسواني طَوالق، وعَبِيدي أحْرار، ومالي حَرامٌ إن كان في هؤلاء القـوم أحـدٌ قال هذه الكَلمـة، ووراءنـا عيال وحُرَم، وقد تسامَعَ النَّاسُ بهلاكنا، وقد قَدَرْتَ، وإنَّما العَفْو بعدَ المقْدِرة. فقال للواسِطي: يا أبا عبدالله! أَطْلِقْهُم، لا كثَّـر الله في النـاس مِثْلَهم. فأطلقنـا، فاشْتَغَلْتُ أنـا ويَزيد بن عبدالصَّمد عند عُثمان بن خُرَّزَاذ في نُزَه أَنْطَاكِيَة وطِيبها وحَمَّاماتها، وسبق أبوزُرْعَة القاضي إلى حِمْص. مات أبوزُرْعَةَ النَّصري سنة إحدى وثمانين ومئتين.

(١) الإبلاس: الإنكسار والحزن. والمبلس: اليائس المنقطع رجاؤه ولذلك قيل الذي يسكت عن إنقطاع حجته ولا يكون عنده جواب: قد أبلس.

٥٦٩ الـدَّارِمِـيُّ(١)

[١]عثمان بن سعيد بن خالد: الإمامُ، العلاَّمةُ، الحافظُ، النّاقد، شيخ تلك الدّيار، أبوسعيد التميمي، الدَّارِمي، السِجِسْتَاني، صاحب «المسند» الكبير والتصانيف.

ولد قبل المئتين بيسير، وطَوَّفَ الأقاليمَ في طلب الحديث.

وأخذ عِلْمَ الحديث وعللَه عن عليٍّ ويَحيى وأحمد، وفاق أهلَ زمانه، وكان لَهِجاً بالسُّنَّة، بصيرا بالمُنَاظَرة.

[٢]قال ابن عَبْدُوس الطَّرَائفي: لما أردت الخروج إلى عُثْمَانَ بن سَعيد ـ يعني إلى هَرَاة ـ أتيت ابن خُزَيْمة، فسألته أن يكتب لي إليه، فَكَتَبَ إليه، فدخلت هَرَاة في ربيع الأول، سنة ثمانين ومئتين، فأوصلته الكتاب، فقرأه، ورحَّب بي، وسأل عن ابن خزيمة، ثم قالَ: يا فتى! متى قَدِمتَ؟ قلتُ: غداً. قال: يا بُني! فارجِع اليوم، فإنك لم تقدَمْ بعدُ، حتى تَقْدَم غَداً.

[٣]قال عثمان بن سعيد: من لم يجمع حديث شُعْبة وسُفيان ومالك، وحمَّاد بن زيد، وسُفْيان بن عُيَيْنَة، فهو مُفْلِس في الحديث ـ يريد أنه ما بلغ درجة الحُفَّاظ

وبلا ريب، أن من جَمَع علم هؤلاء الخَمْسَة، وأحاط بسائر حَدِيثهم، وكَتَبَه عالياً ونازِلا، وفَهِمَ عِلَلَه، فقد أَحَاطَ بِشَطْر السُّنَّة النَّبوية، بل بأكثر من ذلك، وقد عدم في زماننا من يَنْهَضُ بهذا، وببعضه، فنسأل الله المغفرةَ. وأيضا فلو أرادَ أحدٌ أن يتتبَّع حديث الثَّوري وحده، ويكتبه بأسانيد نفسِه على طولها، ويبيِّن صحَيحَـه من سَقيمِـه، لكان يجيء «مُسنَدُه» في عشر مُجَلَّدَات، وإنما شأن المحـدِّثِ اليوم الاعتنـاءُ بالدَّواوين الستة، و «مُسْند» أحمد بن حنبل، و «سُنَن» البَيْهَقي، وضَبْط مُتُونها وأسانيدِها، ثم لا يَنْتَفع بذلك حتى يَتَّقيَ ربَّه، ويدينَ

(١) انظر السير: ١٣/ ٣١٩-٣٢٦.

بالحديث، فَعَلَى علم الحديث وعلمائه لِيَبْكِ من كان باكيا، فقد عاد الإسلام المحضُ غَريبا، كما بدأ، فَلْيَسْعَ امرؤ في فكاك رَقَبَتِه من النار، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

[١]ثم العِلْمُ ليس هو بكثـرة الرِّواية، ولكنه نور يقذفه الله في القلب، وشرطُه الاتباع، والفِرار من الهوى والابتِداع. وفَّقَنَا الله وإيَّاكم لطاعته.

[٢]قال المحدِّث يحيى بن أحمد بن زياد الهروى، صَاحب ابن مَعين: رأيت في النوم كَأَنَّ قائلاً يقول: إن عُثْمان ـ يعني الدَّارمي ـ لَذو حَظٍّ عظيم.

[٣]وقال أبوالفضل الجارُودي: كان عثمان بن سعيد إماما يقتدى به في حَياته وبعد مماته.

[٤]قال محمد بن إبراهيم الصَّرَّام: سمعت عثمان بن سَعيد يقول: لا نُكيِّف هذه الصِّفَات، ولا نُكذِّب بها، ولا نُفَسِّرُها.

توفي عثمان الدارمي سنة ثمانين ومئتين.

٥٧٠ سَهْل بنُ عبدِالله(١)

[٥]ابن يونس: شيخُ العارفين، أبومحمد التُّسْتَرِي، الصُّوفي الزّاهد.

له كلماتٌ نافعةٌ، ومواعظُ حَسَنَةٌ، وقَدَمٌ راسخ في الطَّرِيق.

[٦]عن ابن دُرُسْتُوَيْه، صاحب سهل، قال: قال سَهْل: ورأى أصحاب الحديث، فقال: اجهَدوا أنْ لا تلقوا الله إلا ومعكم المحابر.

[٧]سُئِـل سهل: إلى مَتى يكتبُ الرَّجُلُ الحديثَ؟ قال: حتى يموتَ، ويُصَبَّ باقي حِبْره في قبرِه.

علي بن الحسين الـدَّقِيق، سمعت سَهْل بن عبدالله يقول: من أراد الدُّنيا والآخرة فليكتبِ الحديث، فإن فيه منفعةَ الدُّنيا والآخرة.

---

(١) انظر السير: ١٣/ ٣٣٠-٣٣٣.

[١]ومن كلام سَهْــل: لا مُعِين إلاَّ الله، ولا دليلَ إلا رسُـولُ الله، ولا زادَ إلا التَّقوى، ولا عملَ إلا الصَّبرُ عليه.

[٢]وعنه قال: الجاهل مَيِّتٌ، والنّاسي نائم، والعاصي سَكْران، والمُصِرُّ هالك.

[٣]وعنه قال: الجوع سرُّ الله في أرضه، لا يُودِعُه عندَ من يُذِيعُه.

[٤]أبـوبكـر الجَوْرَبي، سمعت سهل بن عبدالله يقول: أصولُنا سِتَّةٌ: التمسُّكُ بالقرآن، والاقتداءُ بالسنة، وأكلُ الحلال، وكفُّ الأذى، واجتناب الآثام، والتوبةُ، وأداءُ الحُقُوق.

[٥]عن سهل: من تكلم فيما لا يَعْنِيه حُرِمَ الصِّدْقَ، ومن اشتغَلَ بالفُضُول حُرِمِ الوَرَع، ومن ظَنَّ السَّوْءَ حُرِمَ اليَقين، ومن حُرِمَ هذه الثلاثة هَلَك.

[٦]قال ابنُ سالم الزَّاهد، شيخُ البصرة: قال عبدالرحمن لِسهْل بن عبدالله: إنِّي أتوضأ فيسيل الماءُ من يَدي، فيصيرُ قُضْبانَ ذهبٍ، فقال: الصِّبْيَان يُنَاوَلُون خَشْخَاشَة.

موته سنة ثلاث وثمانين ومئتين، ويقال: عاش ثمانين سنةً أو أكثر.

سَمِيُّهُ: الزّاهد المحدّث:

٥٧١ أبـو طاهــر (١)

[٧]سَهْل بن عبدالله بن الفَرُّخَان الأصبهاني، أحد الثقات.

وكان من حَمَلة الحُجَّة، كبيرَ القدر. ويقال: كان من الأبدال ـ رحمة الله عليه.

قال أبونعيم: لَقيتُ أصحابَه، وكان مُجابَ الدّعوة.. كان أهل بلدنا مفزعهم إلى دعائه عند النوائب والمحن... له آثار مَشْهُورةٌ في إجابة الدُّعاء. وأما رفيع حاله من إدمان الذِّكْرِ، والمشَاهَدة، والحُضُور، والتَّعرِّي من حُظوظ النَّفْسِ... فَشَائع ذَائعٌ، إلى أن قال: ومات في سنة ست وسبعين ومئتين.

(١) انظر السير: ١٣/ ٣٣٣-٣٣٤.

٥٧٢ إبـراهيـم الحَـرْبـي[1]

[١]هو: الشيخ، الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ الإسلام، أبو إسحاق، إبراهيم ابن إسحاقَ بن إبراهيم، البغدادي، الحَرْبي، صاحب التصانيف.

مولده في سنة ثمانٍ وتِسعين ومئة.

قال أبوبكر الخطيب: كان إماماً في العلم، رأسا في الزّهد، عارفا بالفقه، بصيرا بالأحكـام، حافظا للحديث، مُمَيِّزاً لعلله، قَيِّما بالأدَب، جَمَّاعةً للّغة، صَنَّف غريب الحديث، وكتبا كثيرة، وأصله من مَرو.

[٢]ويروى أن أبا إسحاقَ الحربي لما دخل على إسماعيلَ القاضي، بادَرَ أبوعُمَر محمد بن يوسف القاضي إلى نَعْله، فأخذها، فمسحها من الغُبَار، فدعا له، وقال: أعزَّك الله في الدُّنيا والآخرة، فلما توفي أبوعمر، رؤي في النوم، فقيل: ما فعل الله بك؟ قال: أعزّني في الدنيا والآخرة بدعوة الرجل الصَّالح.

[٣] قال محمد بن مَخْلد العطّار: سمعت إبراهيمَ الحَرْبي يقول: لا أعلم عِصابةً خيراً من أصحاب الحديث، إنما يغدو أحدُهُم، ومعه مِحبرة، فيقول: كيفَ فعل النبيُّ صلى الله عليه وسلم وكيف صَلَّى، إياكم أن تجلسوا إلى أهل البِدَع، فإنَّ الرَّجل إذا أقبل بِبِدْعةٍ ليس يُفْلح.

[٤]أحمـد بن محمد بن الصَّقْر، سمعت أبا الحسن بن قُريش يقولُ: حضرْتُ إبـراهيم الحربي ـ وجاءه يوسُفُ القاضي، ومعه ابنه أبوعُمَر ـ فقال له: يا أبا إسحاق! لو جئناك على مِقدار واجب حقك، لكانت أوقاتُنا كلُّها عندك. فقال: ليس كلُّ غَيْبَةٍ جَفْوَةً، ولا كلُّ لقاءٍ مودةً، وإنَّما هو تَقَاربُ القلوب.

[٥]قال أبوالعبَّاس ثعلب: ما فقدتُ إبراهيمَ الحَرْبي من مجلسِ لغةٍ ولا نحوٍ، من خمسينَ سنةً.

[٦]أبوالحسين العَتَكي، قال: سمعت إبراهيم الحَرْبي يقول لجماعةٍ عندَه: من

(١) انظر السير: ١٣/ ٣٥٦-٣٧٢، والحَرْبي: نسبة الى محلة غربي بغداد، بها جامع وسوق. (اللباب).

تَعُدُّون الغريبَ في زمانكم؟ فقال رجلٌ: الغريبُ: مَن نأى عن وطنه. وقال آخر: الغريب: من فارقَ أحبابَه. فقال إبراهيم: الغريبُ في زماننا: رجلٌ صالحٌ، عاشَ بين قومٍ صالحين، إن أمر بمعروفٍ آزروه، وإن نهى عن منكر عانوه، وإن احتاج إلى سبب من الدنيا مانوه، ثم ماتوا وتَركوه.

قال المسعوديّ: كانت وفاة الحربي المحدث الفقيه في الجانب الغربي، وله نَيِّفٌ وثمانون سنة... وكان صدوقا، عالما، فصيحا، جَوادا، عفيفا، زاهدا، عابدا، ناسكا، وكان مع ذلك ضاحكَ السِّنِّ، ظريفَ الطَّبْعِ... ولم يكن معه تَكَبُّرٌ ولا تَجَبُّرٌ، وربما مَزَحَ مع أصدقائه بما يُستحسن منه، ويُسْتَقبح من غيره، وكان شيخَ البغداديين في وقتِه، وظريفَهم، وزاهدَهم، وناسكَهم، ومسنِدَهم في الحديث.

[١]وكان يقول: فرد عَقِبي[1] صحيحٌ والآخرُ مَقْطوع، ولا أحدِّث نفسي أني أُصْلِحَهُما، ولا شَكَوْتُ إلى أهلي وأقاربي حُمى أجدُها، لا يغم الرَّجُلُ نفسَه وعيالَه، ولي عَشْرُ سِنين أُبْصِر بفردِ عَيْن، ما أخبرتُ به أحدا، وأفنيتُ من عُمُري ثلاثينَ سَنة برغيفين، إن جاءتني بهما أُمي أو أختي، وإلا بقيتُ جائعا إلى الليلة الثانية، وأفنيتُ ثلاثين سنة برغيفٍ في اليوم والليلة، إن جاءتني امرأتي أو بناتي به، وإلا بقيتُ جائعا، والآن آكُلُ نصفَ رَغِيفٍ، وأربعَ عشرةَ تمرةً، وقامَ إفطاري في رَمَضانَ هذا بدرهم ودانِقَيْن ونصف.

[٢]وقيل: إن المعتَضِدَ لما نَفَّذَ إلى الحربي بالعَشَرَةِ آلاف فردَّها، فقيل له: فَفَرِّقْها، فأبى، ثم لما مرِض، سَيَّر إليه المعتضدُ ألفَ دينار، فلم يقبلْها، فخاصَمتْه بنتُه، فقال: أتخشَيْن إذا مِتُّ الفقرَ؟ قالت: نعم. قال: في تلك الزَّاوية اثنا عَشَر ألفَ جُزْءٍ حديثيةٍ ولُغَويةٍ وغير ذلك كتبتُها بخطِّي، فبِيعي منها كلَّ يوم جُزءاً بدرهَمٍ وأنفقيه.

توفي سنة خمس وثمانين ومئتين، وكانت جنازته مشهودة، وقبره يُزارُ ببغداد.

---

(١) العقب هنا: النعل، على سبيل المجاز.

٥٧٣ الحُسَيْن بن الفَضْـل[1]

[١]ابن عُمَيْر: العلاَّمة، المفسِّر، الإمام، اللُّغَويُّ، المحدِّث، أبوعليٍّ البَجَلي الكوفي، ثم النَّيْسَابُوري عالمُ عصره.

ولد قبل الثمانين ومئة.

قال الحاكم: الحسين بن الفضل، المفسر: إمام عصره في معاني القرآن، أَقْدَمَهُ ابنُ طاهر معه نَيْسَابور، وابتاع له دار عَزْرة، فسكنها، وهذا في سنة سبع عشرة ومئتين، فبقي يعلّم الناس، ويفتي في تلك الدارِ إلى أن توفي، ودفن في مقبـرة الحسين بن معاذ، في سنة اثنتين وثمانين ومئتين، وهو ابن مئة وأربعِ سنين، وقبره مشهورٌ يزار، وشَيَّعَه خلقٌ عظيم. وسمعت محمد بن أبي القاسم المُذَكِّر يقول: سمعت أبي يقول: لو كان الحسين بن الفضل في بني إسرائيل لكان ممن يُذكر في عجائبهم.

[٢] إبـراهيم بن مضـارب، سمعت أبي يقـول: كان علم الحسَين بن الفضل بالمعاني إلهاما من الله، فإنه كان قد تجاوز حدّ التَّعليم.

[٣] قال: وكان يركع في اليوم واللَّيْلة ستَّ مئةِ ركعةٍ، ويقول: لولا الضَّعْفُ والسِّنُّ لم أطعم بالنَّهار.

وسمعت أبا زكريا العنبريَّ: سمعت أبي يقول: لما قَلَّدَ المأمون عبدَاللهِ بنَ طاهر خراسان، قال: يا أمير المؤمنين! حاجة. قال: مَقْضِيَّة. قال: تُسْعِفني بثـلاثة: الحُسينِ بنِ الفضل، وأبوسعيدٍ الضّرير، وأبو إسحاقَ القرَشي، قال: أسعفْناك، وقد أخليت العِراقَ من الأفراد.

---

(١) انظر السير: ١٣/ ٤١٤-٤١٦.

٥٧٤ الخَــرَّاز[1]

[١]شَيخ الصُّوفية، القُدوة، أبو سعيد، أحمد بن عيسى البغداديُّ الخَرَّاز.

وقد صحب سَرِيّاً السَّقَطِي، وذا النُّون المِصري.

[٢]ويقال: إنه أول من تكلم في علم الفَنَاء والبَقَاء[2] فأيُّ سَكْتَةٍ فاتته، قصد خيرا، فولّد أمرا كبيرا، تشبّث به كل اتّحاديٍّ ضالّ.

وتوفي سنة ست وثمانين ومئتين.

قال السُلمي: هو إمـامُ القوم في كل فنٍّ من علومهم، له في مبادىء أمره عجائب وكَرامات، وهو أحسن القوم كلاما، خلا الجنَيد، فإنَّه الإمامُ.

[٣]ومن كلامه: كل باطنٍ يخالفهُ ظاهرٌ، فهو باطل.

[٤]وقال الكَتَّاني: سمعت أبا سعيد يقول: من ظَنَّ أنَّه يَصِل بغير بَذْل المجهود فهو مُتَمَنٍّي، ومن ظَنَّ أنه يصل ببذل المجهود فهو مُتَعَنٍّي.

---

(١) انظر السير: ١٣/ ٤١٩-٤٢٢.

(٢) انظر ما كتبه ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين ١/ ١٤٨-١٧٣ عن الفناء وأقسامه ومراتبه وما هو مذموم وما هو محمود.

الطبقة السادسة عشرة

٥٧٥ ابن أبي عاصم[1]

[١]حافظ كبير، إمام بارعٌ متَّبعٌ للآثار، كثير التصانيف. قدم أصبهان على قضائها، ونَشَرَ بها عِلمه.

قال أبوالشيخ: كان من الصِّيانة والعِفَّة بمَحَلٍّ عجيب.

[٢]وقال أبوالعباس النَّسَويّ: أبوبكر بن أبي عاصم، وهو أحمد بن عمرو بن الضَّحَّاك بن مَخْلَد الشيباني، من أهل البصرة، من صُوفية المسجد، من أهل السُّنَّة والحديث والنُّسك والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، صَحِب النُّسَّاك.

وكان ثقةً نبيلا مُعَمَّرا، وِلد في شوَّال سنة ستٍّ ومئتين.

[٣]قال ابن عَبْدَ كَوَيه: سمعت عاتِكَة بنت أحمد تقول: سمعت أبي يقول: جاء أخي عثمانَ عهدُه بالقضاء على سَامَرَّاء، فقال: أَقْعُدُ بَيْنَ يَدَي الله تعالى قاضِيا؟! فانشقَّت مرارَتُه، فمات.

[٤]قال ابن عَبْدَ كَوَيْه: أخبرتنا عاتكة، سمعتُ أبي يقول: خرجتُ إلى مكَّةَ من الكوفة، فأكلت أكْلَةً بالكوفة، والثانية بمكة.

قلت: إسنادها صحيح.

وكان ابن أبي عاصم مُجَوِّدا للقراءة، وكان يقول: أنا أُقَدِّم نافعا في القِراءة، وكان يقول ما بقي أحدٌ قرأ على رَوْح بن عبدالمؤمن غيري - يعني صاحب يعقوب -.

[٥]أبوالشيخ: سمعت ابني عبدالرَّزَّاق يحكي عن أحمد بن محمد بن عاصم: سمعتُ ابن أبي عاصم يقول: وصَلَ إليَّ مُنذ دخلتُ إلى أصبهَان من دَراهم القضاء زِيادة على أربع مئة ألف درهم، لا يُحاسبني الله يوم القيامة أني شربتُ منها شربة ماء، أو أكلتُ منها، أو لَبست.

(١) انظر السير: ١٣/ ٤٣٠-٤٣٩

[١] محمد بن خفيف يقول: سمعت الحَكِيمي يقول: ذكروا عند ليلى الدَّيْلَمي أنَّ أبابكر بن أبي عاصِم ناصِبي،(١) فبعث غلاما له ومخلاةً وسَيفاً، وأمره أن يَأْتِيَه برأسِهِ، فجاء الغُلام، وأبوبكر يقرأُ الحديث، والكتاب في يده، فقال: أمرني أن أحملَ إليه رأسَك. فنام على قفاه، ووضع الكتاب الذي كان في يده على وجهه، وقال: افعل ما شئْتَ. فلحقه إنسانٌ، وقال: لا تَفْعل، فإنَّ الأميرَ قد نهاك. فقام أبوبكر وأخذ الجُزْءَ، وَرَجَعَ إلى الحديث الذي قطعه، فَتعَجَّبَ النَّاسُ.

مات أحمد بن عمرو سنة سبع وثمانين.

[٢] وذكر عن أبي الشيخ، قال: حضرت جنازة أبي بكر، وشَهِدَها مئتا ألف من بين راكب وراجل، ما عدا رجلا كان يتولى القضاء، فحُرِم شهود جِنازته، وكان يرى رأي جَهْم.

[٣] قال أبوالشيخ: سمعت ابني عبدالرَّزَّاق يحكي عن أبي عبدالله الكِسَائي، قال: رأيت ابن أبي عاصم فيما يَرى النائم كأنَّه كان جَالساً في مسجد الجامع، وهو يُصلي من قعود، فَسَلَّمت عليه، فردَّ عليَّ، وقلت له: أنت أحمد بن أبي عاصم؟ قال: نعم. قلت: ما فعل الله بك؟ قال: يُؤنسني رَبي. قلتُ: يؤنسك ربُّكَ؟ قال: نعم. فشهقْتُ شهقةً، وانتبهتُ.

٥٧٦ الحكيم(٢)

[٤] الإمام، الحافظ، العارف، الزّاهد، أبوعبدالله، محمد بن عليٍّ بن الحسن، الحكيم التِّرْمذي.

وكان ذا رحلةٍ ومَعْرِفة، وله مُصَنَّفَاتٌ وفضائل.

---

(١) ناصبي: أي مبغض لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه.
(٢) انظر السير: ١٣/ ٤٣٩-٤٤٢.

وله حِكَم ومَواعِظ وجَلالة، لولا هَفْوةٌ بَدَت منه.

[١]ومن كلامه: ليس في الدنيا حِمْلٌ أثْقلُ من البرِّ، فمن بَرَّك، فقد أوثَقَك، ومن جَفَاك فقد أطلقك.

[٢]وقال: كفى بالمرء عيباً أن يَسُرَّه ما يَضُره.

[٣]وقال: من جَهِل أوصاف العبودية، فهو بِنُعوت أوصَاف الرَّبَّانيَّة أجْهَل.

[٤]وقال: صَلاحُ خَمسةٍ في خمسة: صَلاحُ الصَّبي في المَكْتب، وصلاحُ الفتى في العِلْم، وصلاحُ الكَهْلِ في المسْجد، وصلاحُ المرأةِ في البَيْت، وصَلاحُ المؤْذي في السِّجْن.

[٥]وسُئِل عن الخَلْق: فقال: ضَعْفٌ ظَاهر، ودعوى عريضة.

[٦]قال أبوعبدالرحمن السُّلميّ: أخرجوا الحكيم من تَرْمِذ، وشهدوا عليه بالكفر، وذلك بسبب تصنيفه كتاب: «ختم الولاية»، وكتاب: «علل الشَّريعة»، وقالوا: إنَّه يقول: إن للأولياء خاتماً كالأنبياء لهم خاتم. وإنه يُفَضِّل الولايَةَ على النُّبُوَّة، واحتج بحديث: «يغبِطُهُمُ النَّبِيّون والشهداء». فقدِمَ بَلْخ، فَقَبِلوه لموافقته لهم في المذْهَب.

[٧]وقال السُّلميّ: هُجِر لتصنيفه كتاب: «ختم الولاية»، و «علل الشريعة»، وليس فيه ما يوجِبُ ذلك، ولكن لبعد فَهْمهم عنه.

[٨]قلت: كذا تُكُلِّم في السلمي من أجل تأليفه كتاب: «حقائق التَّفْسير»، فياليتَه لم يُؤلفه، فنعوذ بالله من الإشَارات الحلاَّجيَّة، والشَّطَحات البِسْطَامِيَّة، وتَصَوُّف الاتحاديَّة، فواحُزْناه على غُرْبة الإسلام والسُّنَّة، قال الله تعالى: ﴿**وأنَّ هذا صِراطي مُستقيما فاتَّبِعوه ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَنْ سَبِيْله...**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٥٧٧ الأَبّـار(١)

[١]الحافظ، المتقن، الإمام، الرّبّاني، أبوالعباس، أحمد بن علي بن مُسْلم الأَبَّار، من علماء الأثر ببغداد.

وجَمَع وصنّف وأرّخ.

قال الخطيب: كان ثقة حافظا متقنا، حَسَن المذهب.

[٢] وقال جعفر الخُلْدي: كان الأَبّار من أزهد الناس، استأذن أُمَّه في الرحلة إلى قُتَيْبَة، فلم تَأْذَنْ له، ثم ماتت، فخرج إلى خراسان، ثم وصل إلى بلخ وقد مات قُتَيْبَة، فكانوا يُعزُّونه على هذا، فقال: هذا ثمرةُ العلم، إني اخترتُ رِضى الوالدة.

[٣]وقال أبوسهل بن زياد: سمعت أحمد الأَبَّار يقول: بايعتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في النوم على إقامِ الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر.

[٤]وقال أحمد بن جعفر بن سَلْم: سمعت الأبّار يقول: كنت بالأهواز، فرأيت رجلا قد حفّ شاربه ـ وأظنه قال: قد اشترى كُتُبًا وتعيَّن للفتيا ـ فذُكِر له أصحاب الحديث، فقال: ليسوا بشيء، وليس يَسْوون شيئا. فقلتُ: أنت لا تُحسن تُصلِّي. قال: أنا؟ قلت: نعم، أَيْش تحفظُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا افتتحتَ ورفعتَ يديكَ؟ فسكتَ، قلت: فما تحفظُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سَجَدْتَ؟ فسكت، فقلتُ: أَلَمْ أَقُلْ: إنك لا تُحسن تُصَلِّي؟ فلا تذكرْ أصحابَ الحديث.

توفي الأبّار تسعين ومئتين.

قلت: عاش نَيِّفا وثمانين سَنَةً.

(١) انظر السير: ١٣/ ٤٤٣-٤٤٤.

٥٧٨ السَّرْخَسي[١]

الفيلسوف، البارع، ذو التَّصانيف، أبوالعباس، أحمد بن الطَّيِّب السَّرْخَسِي، من بحور العلم الذى لا ينفع.

وكان مؤدب المعتَضِدِ، ثم صار نديمَه وصاحب سِرِّه ومشورته، وله رِئاسة وجلالةٌ كبيرةٌ. وهو تلميذ يعقوبَ بنِ إسحاقَ الكِندي الفيلسوف.

ثم إن المعتَضِد انتخى لله، وقَتَلَ السَّرْخَسيَّ لفلسفته وخُبْثِ مُعتقدِه. فقيل: إنه تنصّل إليه، وقال: قد بعت كتب الفلسفة والنُّجوم والكلام، وما عندي سوى كتب الفقه والحديث. فلما خرج قال المعتضد: والله إني لأعلم أنه زِنديق، فعل ما زَعَمَ رِياءً.

ويقال: إنه قال له: لك سالف خِدَم، فكيف تختار أن نَقْتُلك. فاختار أن يُطْعم كبابَ اللَّحم، وأن يُسْقى خمرا كثيرا حتى يَسْكر، ويُفْصَد في يديه، ففعل به ذلك، فصفي من الدَّم، وبقيت فيه حَياة، وغلبت عليه الصَّفراء، وجُنّ، وصاح، وبقي ينطَحُ الحائطَ لفرط الآلام، ويعدو كثيرا حتى مات، وذلك سنة ست وثمانين ومئتين.

٥٧٩ المُعْتَضِدُ بالله[٢]

الخليفة، أبوالعباس، أحمد بن الموفق بالله، ولي العَهد، أبي أحمد، طلحة ابن المتوكل جعفر بن المُعْتصَم محمد بن الرَّشيد الهاشمي العباسي.

ولد في أيام جَدِّه سنة اثنتين وأربعين ومئتين.

واستُخلف بعد عمّه المُعْتَمِدِ في رجب سنة تسع.

(١) انظر السير: ١٣/ ٤٤٨-٤٤٩.

(٢) انظر السير: ١٣/ ٤٦٣-٤٧٩.

وكـان ملكا مهيبا، شُجاعا، جبَّارا، شديد الوَطْأة، من رجال العَالَم، يُقْدِم على الأسَد وحدَه. وكان أسمر نحيفا، معتدل الخلق، كامل العقل.

[١]قال المسعـودي: كان قليلَ الرَّحمة، إذا غضب على أمير حفر له حَفِيرَةً، وألقـاه حَيّاً، وطَمَّ عليه. وكان ذا سِياسة عظيمة، قيل: إنه تصيّد، فنزل إلى جانب مقثـأة، فصاح النَّاطُور، فطلبه، فقال: إن ثلاثة غِلمان دخلوا المقثأة، وأخذوا، فجيء بهم، فاعتقلوا، ومن الغد ضُربت أعناقُهم، فقال لابن حمدون: اصـدقني عني، فذكـرت الثلاثة، فقال: واللهِ ما سفكتُ دما حراما منذ وليت الخِلافة، وإنما قتلت حراميَّة قد قَتَلوا، أوهمتُ أنَّهم الثلاثَّة. قلت: فأحمد بن الطَّيِّب؟ قال: دَعَاني إلى الإلْحاد.

[٢]عن إسماعيلَ القاضي، قال: دخلت على المعْتَضِد، وعلى رأسه أحداث رُوْم مِلاح، فنـظرت إليهم، فرآني المعتَضدِ أتأمَّلُهم، فلما أردتُ الانصراف، أشارَ إليَّ، ثم قال: أيُّها القاضي! والله ما حَلَلْتُ سراويلي على حَرامٍ قَطُّ.

[٣]ودخلت مرة، فدفع إليَّ كتابا، فنظرت فيه، فإذا قَدْ جمع له فيه الرُّخَص من زلـل العُلَمـاء، فقلت: مُصنِّف هذا زِنديق. قال: ألم تَصِحَّ هذه الأحاديث؟ قلت: بلى، ولكن من أباح المُسْكر لم يُبح المُتْعَة، ومن أباح المُتْعَة لم يبح الغِناء، وما مِن عالم إلا وَلَه زَلَّة، ومن أخَذَ بكل زلل العلماء ذهب دينُه. فَأَمَرَ بالكتاب فَأُحرِق.

[٤]قال أبو علي المحسن التَّنُوخِي: بلغني عن المُعْتَضِد أنه كان جالسا في بيت يبنى له، فرأى فيهم أسودَ مُنْكَر الخِلْقَة يصعد السلالم درجتين درجتين، ويحمل ضِعْفَ ما يحملُه غيره، فأنكر ذلك، وطلبه، وسأله عن سبب ذلك، فَتَلَجْلَجَ فكلَّمه ابنُ حَمدون فيه، وقال: من هذا حتى صرفت فِكْرَك إليه؟ قال: قد وقع في خَلَدي أمرٌ ما أحْسِبُه باطلا، ثم أمرَ به، فضُرب مئةً، وتهدَّده بالقتل، ودعا

بالنَّطْع[1] والسَّيف، فقال: الأمانَ، أنا أعمل في أُتون الآجُرِّ، فَدَخَل من شهور رجُـل في وسطه هِمْيَان،[2] فأخرج دنانير فوثبتُ عليه، وسددتُ فاه، وكتَّفْتُه، وألقيتـه في الأتُـون، والـذَّهَب معي يقـوى به قلبي، فاستحضرها، فإذا على الهميان اسم صاحبه، فنودي في البلد، فجاءت امرأة، فقالت: هو زَوْجي ولِي منه طِفل، فسلَّم الذَّهب إليها، وقَتَلَه.

[1]وأن خادما أتاه، فأخبره أن صَيَّادا أخرج شبكتَه، فَثَقُلت، فجَذَبَها، فإذا فيها جراب، فَظَنَّه مالا، فإذا فيه آجُرٌّ بينه كَفٌّ مَخْضُوبة، فهال ذاك المعتَضِدَ، وأمر الصَّيَّاد، فعاود الشَّبَكة، فخرج جِرابٌ آخرُ فيه رِجْل، فقال: معي في بلدي من يَفْعل هذا؟ ما هذا بمُلك!. فلم يُفطر يومَه، ثم أحضر ثِقَةً له، وأعطاه الجراب، وقـال: طُفْ به على من يعمل الجُرُب: لِمَنْ باعه؟ فغاب الرَّجُل، وجاء وقد عرف بائِعَه، وأنه اشترى منه عطَّارٌ جرابا، فذهب إليه، فقال: نعم، اشترى مني فلانٌ الهاشمي عشرة جُربٍ، وهو ظالم. . . إلى أن قال: يكفيك أنه كان يَعْشَق مُغَنِّيَةً، فاكتـراهـا من مَوْلاهـا، وادَّعى أنها هَربت! فلما سمِع المعْتَضِد ذلك سَجَدَ، وأحضَرَ الهاشميَّ، فأخرج له اليَد والرِّجْلَ، فاصفرَّ واعترف، فدفع إلى صاحب الجارية ثمنَها، وسَجَنَ الهاشمي، فيقال: قَتَلَه.

[2]وعن خفيف السَّمَرْقَنْدي: قال: خرجت مع المعتضد للصيد، وانقطع عنه العسكر فخرج علينا الأسد، فقال: يا خفيف! أمسِك فرسي. ونزل، فَتَحَزَّمَ، وسـلَّ سَيْفَـه. وقَصَـدَ الأسد، فقصده الأسدُ، فتلقاه، المعتضُد، فقطع يده، فتشـاغـل بهـا الأسـد. فضـربَه فَلَقَ هامَتَه، ومسح سيفَه في صوفه، ورِكبَ، وصَحِبْتُه إلى أن مات، فما سمِعتُه يذكُرُ الأسد، لقلَّة احتفاله به.

قلت: وكان في المعتَضِد حرصٌ، وجَمَعٌ للمال، حارب الزِّنْجَ، وله مواقفُ

(1) النَّطع، بفتح النون وكسرها، وفتح الطاء وكسرها وسكونها: بساط من الجلد، كثيرا ما كان يقتل فوقه المحكوم عليه بالقتل.

(2) الهميان: كيس للنفقة يُشد في الوسط.

مشهودة، وفي دولته سكنتِ الفِتَن، وكان فتاه بدر على شَرطته، وعُبَيْد الله بن سُليمـان على وِزَارَتـه، ومحمـد بن شَاه على حرسه، وأسقط المَكْسَ، ونشر العدل، وقَلَّلَ من الظُّلم، وكان يُسَمَّى السَّفَّاح الثاني، أحيا رَمِيمَ الخلافة التي ضَعُفَتْ من مقتـل المتوكل، وأنشأ قصرا غَرِمَ عليه أربعَ مئة ألف دينار، وكان مزاجه قد تغير من فَرْط الجِمَاع وعدم الحمية.

وكان أبو العباس شَهْماً، جلداً، رجلًا بازلاً، موصوفا بالرُّجْلَة والجَزَالة، قد لَقِي الحروب، وعُرِف فَضْلُه، فقام بالأمر أحسن قيام، وهابه الناس ورهبوه، ثم عقد له المُعْتَمِد مكان الموفق، وجعل أولاده تحت يده، ثم إن المعتمد جلس مجلسا عاما، أشهد فيه على نفسه بخلع ولده المفوض إلى الله جعفر من ولاية عهده، وإفراد أبي العباس بالعهد في المحرم.

[١]وفي سنة ثمان وسبعين: كان أول شأن القرامطة.

[٢]ولا ريب أن أول وهن على الأمة قَتْلُ خليفتِها عثمانَ صبرا، فهاجت الفتنة، وجَرَتْ وقعة الجمل بسببها، ثم وقعة صِفِّين، وجرت سُيُول الدماء في ذلك.

ثم خَرَجت الخوارج، وكفّرت عثمانَ وعلياً، وحاربوا، ودامت حروب الخوارج سِنين عِدَّة.

ثم هاجت المُسَوِّدَة بخراسان، وما زالوا حتى قلعوا دولةَ بني أمية، وقامت الدولة الهاشمية بعد قتل أممٍ لا يحصيهم إلا الله.

ثم اقتتل المنصورُ وعمُّه عبدالله. ثم خُذل عبدُالله، وقُتل أبو مُسْلم صاحب الدعوة.

[٣] ثم خرج ابنا حسن(١)، وكاد أن يتملكا، فَقُتلا.

---

(١) هما: محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، وأخوه إبراهيم، وكان خروجهما على المنصور، ذلك أنهما تخلفا عن الحضور عنده عندما حج في ذلك العام، فطلبهما، وبالغ في ذلك، وقبض على أبيهما مع عدد من أهل البيت، وسجنهم، وماتوا في سجنه. فثار محمد في المدينة، وسجن متوليها، وصار له شأن وعمال على المدن، إلى أن أرسل إليه المنصور جيشا بقيادة ابن عمه عيسى بن موسى قضى عليه سنة (١٤٥هـ).

ثم كان حربٌ كبيرٌ بين الأمين والمأمون، إلى أن قتل الأمين.

وفي أثناء ذلك قام غير واحد يطلب الإمامة:

[١]فظهر بعد المئتين بَابَك الخُرَّمِيُّ زِنديق بأَذْرَبِيْجَان، وكان يُضْرَب بِفَرْط شجاعته الأمثالُ، فأخذ عِدَّة مدائن، وهزم الجيوش إلى أن أُسِر بحيلة، وقُتل.

[٢]ولما قتل المتوكل غِيلة، ثم قتل المعتز، ثم المستعين والمهتدي، وضَعُفَ شأن الخلافة توثَّب ابنا الصَّفّار إلى أن أخذا خراسان، بعد أن كانا يَعْملان في النحاس، وأقبلا لأخذِ العراق وقَلْعِ المعتَمِد.

وتوثب طُرُقِيٌّ داهية بالزِّنج على البصرة، وأباد العباد ومزَّق الجيوش، وحاربوه بضعَ عشرةَ سنةً إلى أن قُتل. وكان مارقا، بلغ جُندُه مئة ألف.

[٣]فبقي يتشبه بهؤلاء كلُّ من في رأسه رِئاسة، ويتحيَّلُ على الأمة ليرديهم في دينهم ودُنياهم، فتحرك بقُرى الكوفة رجل أظهر التّعبد والتّزهُّد، وكان يسف الخوص ويؤثر، ويدعو إلى إمام أهلِ البيت، فتلفّق له خلق وتألهوا إلى سنة ستٍّ وثمانين، فظهر بالبحرين أبوسعيد الجنابي، وكان قمَّاحا، فصار معه عسكر كبير، ونهبوا، وفعلوا القبائح، وتزنْدَقوا، وذهب الأَخوان يدعوان إلى المهدي بالمغرب، فثار معهما البربر، إلى أن مَلَك عبدُالله الملقب بالمهدي غالِبَ المغرب، وأظهرَ الرَّفْض، وأبْطَنَ الزَّندقة، وقام بعدَه ابنُه، ثم ابنُ ابنِه، ثم تملّك المُعِزُّ وأولاده مصر والمغربَ واليمنَ والشام، دهرا طويلا فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي سنة ثمانين عاثت بنو شَيْبَان، فسار المُعتَضِد، فلحقهم بالسِّن، فقتل وغرَّق ومَزَّقَهم، وغَنِم العَسْكَرُ من مواشيهم مالا يُوصف، حتى أبيع الجمل بخمسة دراهم، وصان نساءهم وذراريهم، ودخل الموصل، فجاءته بنو شيبان، وذلوا، فأَخَذ منهم رهائن، وأعطاهم نساءَهم، ومات في السجن المفوِّض إلى الله، وقيل: كان المعتضد يُنادمه في السِّر.

[٤]قيل: كان لتاجر على أمير مالٌ، فمطله، ثم جحده، فقال له صاحبٌ له:

قم معي، فأتى بي خيَّاطا في مسجد. فقام معنا إلى الأمير، فلما رآه، هابَه، ووفَّاني المال، فقلت للخياط: خذ مِنِّي ما تريد، فغضِب، فقلت له: فحدِّثني عن سبب خَوفه منك، قال: خرجت ليلة، فإذا بِتُرْكِيٍّ قد صاد امرأة مليحةً وهي تَتَمَنَّع منه وتستغيث، فأنكرت عليه، فضربني، فلما صلّيت العشاء جمعت أصحابي، وجئت بابَه، فخرج في غِلمانه، وعرفني، فَضَرَبَنِي وشَجَّني، وحُملت إلى بيتي، فلما تَنَصَّف الليلُ، قمت فأَذَّنْتُ في المنارة، لكي يظنَّ أن الفَجْر طلع فيُخلي المرأةَ، لأنها قالت: زوجي حالفٌ علي بالطَّلاق أنَّني لا أبيتُ عن بيتي، فما نزلتُ حتى أحاط بي بدرٌ وأعوانه، فأدخلت على المعتَضِد، فقال: ما هذا الأذان؟ فحدَّثْتُه بالقصة، فطلب التُّرْكِيَّ، وجَهَّز المرأة إلى بيتها، وضَرَبَ التُّركي في جوالق حتى مات، ثم قال لي: أنْكِرِ المنكر، وما جرى عليك فأذِّن كما أذَّنْتَ، فدعوتُ له، وشاع الخبر، فما خاطبت أحدا في خصمه إلا أطاعني وخاف.

[١]وفيها: غزا صاحبُ ما وراء النَّهر إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ أسد بلادَ التُّرك، وأسر مَلِكَهُم في نحو من عشرة آلاف نفس، وقتل مثلَهم.

[٢]وغزا المسلمون أرض الروم، ففتتحوا مَلُوريه.

[٣]وفي سنة إحدى وثمانين ومئتين: غارت مياه طَبَرِسْتَان، حتى لأبيع الماءُ ثلاثةُ أرطال بِدرْهَم، وجاعوا، وأكلوا المَيْتَةَ.

[٤]وفي سنة اثنتين وثمانين قتل خُمَارَويه صاحبَ مِصْر والشام غِلمانُه، لأنه راودهم، ثم أُخذوا، وصُلبوا، وتملَّك ابنُه جَيْش، فقتلوه بعد يسير، وملَّكوا أخاه هارون، وقرر على نفسه أن يحمل إلى المعتضد في العام ألفَ دينار، وخمسَ مئة ألف دينار.

وفي سنة ثلاث وثمانين ومئتين: سار المعتَضِدُ إلى الموصل، لأجل هارون الشَّاري، وكان قد عاث وأفسَد، وامتدت أيامه، فقال الحُسين بن حمدان

للمعتضد: إن جِئْتُك به فلي ثلاثُ حوائج. قال: سَمِّها. قال: تُطْلِق أبي، والحاجتان: أذكرهما إذا أتيتُ به. قال: لك ذلك، قال: وأريد أن أنتقيَ ثلاثَ مئة بطل. قال: نعم. ثم خرج الحسين في طلب هارون، فضايقه في مَخاضة، والتقوا، فانهزم أصحاب هارون، واختفى هو، ثم دلَّ عليه أعرابٌ، فأسره الحسين وقدم به، وخلع المعتضد على الحسين، وطوَّفه وسوَّره، وعملت الزينة، وأُرْكِب هارون فيلا، وازدحم الخلق، حتى سقط كُرسيُّ جِسر بغداد، وغَرِق خلق.

[١]قال ابن جرير: وفي سنة (٢٨٤): عزم المعتضد على لَعْنَةِ مُعاوية على المنابر فخوفه الوزيرُ، فلم يلتفِت، وحَسم مادة اجتماع الشِّيعة وأهل البيت، ومنع القُصَّاص من الكلام جُملة، وتجمع الخلق يومَ الجمعة لقراءة ما كتب في ذلك، وكان من إنشاء الوزير، فقال يوسف القاضي: راجع أميرَ المؤمنين. فقال: يا أميرَ المؤمنين! تخاف الفتنة؟ فقال: إن تحرَّكتِ العامَّة وضعتُ السَّيْفَ فيهم. قال: فما تصنع بالعَلَوية الذين هم في كل قطر قد خرجوا عليك؟ فإذا سمع الناس هذا من مناقِبهم كانوا إليهم أميلَ وأبسطَ ألسنةً. فأعرَضَ المعتَضِد عن ذلك.

[٢]وفي سنة ستٍّ ظهر بالبحرين رأس القرامطة أبو سعيد الجنَّابي، وكثُرت جموعُه، وانضاف إليه بقايا الزَّنج، وكان كَيَّالا بالبصرة، فقيراً يَرفو الأعدال، وهم يستَخِفُّون به، ويسخرون منه. فآل أمرُه إلى ما آل، وهزم عساكرَ المعتضِد مراتٍ، وفعل العظَائم، ثم ذُبح في حمَّام قصره. فخلفه ابنُهُ سُليمان الذي أخذ الحَجَر الأسود، وقَتَل الحجِيج حَوْل الكعبة، وهو جدّ أبي علي الذي غلب على الشام، وهلك بالرَّملة في سنة خمس وستين وثلاث مئة.

[٣]وفي سنة سبع: استفحل شَأْنُ القرامطة، وأسرفوا في القتل والسَّبي، والتقى الجنَّابي وعباسُ الأمير، فأسره الجنَّابي، وأسر عامَّة عسكرِه، ثم قتل الجميع

سِوى عباس، فجاء إلى المعتَضد وحدَه في أسوأ حال.

ووقع الفناء بأَذْرَبِيْجَان، حتى عُدِمت الأكفان جملةً، فكفنوا في اللُّبُود.

واعتل المعتضد في ربيع الآخر، ثم تماثل، وانتكس، فمات في الشهر، وقام المكتفي لثمانٍ بقين من الشهر، وكان غائبا بالرَّقَّة، فنهض بالبيعة له الوزير القاسم بن عُبَيْدالله.

وكانت خلافة المعتضد تسعَ سنينَ، وتسعةَ أشهر وأيّاماً.

وقد وَلِيَ الخلافةَ من بنيه: المكتفي علي، والمقتدر جعفر، والقاهِر محمد، وله عِدَّة بناتٍ، وهارون.

٥٨٠ المكتفي بالله(١)

[١] الخليفة، أبومحمد، عليُّ بن المعتَضِد بالله أبي العبَّاس أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكِّل العباسي.

مولده في سنة أربعٍ وستين ومئتين.

بويع بالخلافة عند موت والده بعهد منه، في جمادى الأولى، سنة تسع وثمانين، فاستُخْلِف ستةَ أعوام ونِصفا.

وهدم المطاميرَ التي عمَلِها أبوه، وصيّرها مساجد، وردَّ أملاك النَّاسِ إليهم، وكان أبوه قد أخذَها لعملِ قَصْر، وأحسن السِّيرة، فأحبه النَّاس.

[٢] وفي سنة إحدى وتسعين ومئتين: أقبلت جُموع التُّرك، فبيتهم والي خُراسَان إسماعيل، وقتلوا منهم مَقْتَلة عظيمةً، وأقبلت الروم في مئة ألف، وأتوا إلى الحَدَث(٢) فأحرقوه، وقتلوا وسبوا.

[٣] وفيها: سار عسكر طرسوس، فافتتحوا أنطاكية، وحَصَّل سهمُ الفارس ألفَ

---

(١) انظر السير: ١٣/ ٤٧٩-٤٨٥

(٢) الحَدَث: قلعة حصينة من الثغور الشامية.

دينار.

[١]وفي سنة أربع وتسعين ومئتين: أخذ زَكْرَوَيْه القِرْمِطي ركب العراق، وكنّ نساء العرب يُجْهِزْن على الجرحى، فيقال: قتلوا عشرين ألفا، وأخذوا ما قيمته ألفا ألفِ دينار، ووقع النَّوح في المدن، وجهز المكتفي جيشا لحربه، فلا تسأل ما فعل هذا الكلبُ بالوَفْد! ثم التَقَوْا فقُتل عامَّةُ أصحاب زَكْرَوَيْه، وأُسِر هو وعِدَّة، ثم مات من جِراحه، وأُحرق هو وجماعة.

وفي سنة خمسٍ وتسعين: كان الفِدَاء بين المسلمين والرُّوم، فافْتُكَّ نحو ثلاثة آلاف نَفَر. ومات المكتفي شابّاً، في سابع ذي القعدة من السنة.

وعاش إحدى وثلاثين سنة وأشهرا.

٥٨١ ابن الأغلب(١)

[٢]صاحب المغرب، أبو إسحاقَ، إبراهيمُ بن أحمدَ بن الأغلبِ التَّميمي الأغلبي القَيْرواني، ابن أُمَراء القَيْروان.

وَلِيَ سنة إحدى وسِتين ومئتين.

[٣]وكان ملكا حازما صارما مَهيبا، كانت التجار تسير في الأمن من مِصْرَ إلى سَبْته، لا تعارَض، ولا تُروَّع.

ابتنى الحُصُون والمحارس، بحيث كانت توقَد النَّار، فَتَتَّصِل في ليلة إذا حَدَث أمرٌ من سَبْتَةَ إلى الإسْكَنْدَرية، بحيثُ إنَّه يُقال: قد أُنشيء في البلاد من بنائه وبناء آبائه ثلاثون ألف مَعْقِل، وهو الذي مَصَّر مدينة سُوسة.

[٤]وقد دونت أيامه وعدله وجوده، وكان سَدِيدَ السِّيرة، شَهما، ظفر بامرأةٍ مُتَعَبِّدَةٍ قادت قودَة، فدفنها حَيَّةً، وشنقَ سبعةَ أجناد أخذوا لتاجر ثلاثةَ آلافِ دِينار، بعد أن قَرَّرهم، وأخذ الذهب لم ينقُصْ سوى سبعةِ دنانير، فَوَزَنَها مِن عنده.

---

(١) انظر السير: ١٣/ ٤٨٧-٤٨٩.

[١]وقيل: جاءه رجُل، فقال: قد عشِقْتُ جاريةً، وثمنُها خمسون دِينار، وما معي إلا ثلاثون. فوهَبَه مئة دينار، فَسَمِع به آخر، فجاءَه، وقال: إني عاشق. قال: فما تَجِد؟ قال: لهيباً. قال: اغمسوه في الماء، فغمسوه مراتٍ، وهو يصيح: ذَهَبَ العِشْق. فضحِك، وأمر له بثلاثين دينارا.

ثم إنه تَسَوْدَن، وقتل إخوته، ثم عوفي، وتابَ، وتَصَدَّق.

ثم ظهر عليه الشيعي داعي عبيدالله المهدي، وحاربه، وجرت أمورٌ طويلة، بعضها في «تاريخ الإسلام».

[٢]توفي غازيا بِصِقِلِّيَّة سنة تسع وثمانين ومئتين.

وتملك ابنه عبدالله، فكان ديِّناً، عالماً، بطلاً، شجاعاً، شاعراً، فقتله غِلمانه غِيلةً بعدَ عام.

٥٨٢ ابن الرومي(١)

[٣] شاعر زمانه مع البُحْتُرِى، أبو الحَسَن، عليُّ بن العباس بن جُرَيْج، مولى آل المنصور.

له النَّظم العَجيب، والتوليد الغَريب. رتَّب شِعرَه الصُّولي. وكان رأسا في الهِجاء، وفي المديح، وهو القائل:

[٤] آراؤكُم، وَوُجُوهكُم، وسُيُوفُكُم في الحادثات إذا دَجَوْنَ نُجُوم
منها معالِمُ لِلهُدى وَمَصَابِحُ تجلو الدُّجَى والأُخْرَيَاتُ رُجُومُ

مولده سنة إحدى عشرة ومئتين، ومات سنة ثلاث وثمانين.

[٥]قيل: إن القاسم بن عُبَيْدالله الوزير كان يخافُ من هَجْو ابنِ الرُّومي، فَدَسَّ عليه من أطعمه خُشْكُنانَةً(٢) مَسْمُومة، فأحس بالسُّمِّ، فوثب، فقال الوزير: إلى

(١) انظر السير: ١٣/ ٤٩٥-٤٩٦.

(٢) في (الوفيات): ـ (خشكنانجة) والخشكنان: خبزة تصنع من خالص دقيق الحنطة وتملأ بالسكر واللوز أو الفستق وتغلى. (فارسي).

أين؟ قال: إلى موضعٍ بعثتني إليه.

قال: سلِّم على أبي. قال: ما طريقي على النَّار. فبقي أيّاماً، ومات.

٥٨٣ ابـن خِـرَاش(١)

[١]الحـافظ، النَّـاقد، البارعُ، أبومحمد، عبدُالرَّحمن بن يُوسف بن سعيد بن خِراش، المرْوَزيّ ثم البغداديّ.

[٢]قال بكـر بن محمـد: سمعتُـه يقول: شربت بوْلي في هذا الشأن ـ يعني الحديث ـ خمسَ مرات.

قال أبو نُعَيْم بن عَدي: ما رأيت أحداً أحفظَ من ابن خِراش.

وقال ابن عدي: قد ذكر بشيء من التَّشَيُّع، وأرجَو أنَّه لا يتعمد الكذب. سمعت ابن عُقْدَةَ يقول: كان ابن خِراش عندنا إذا كتب شيئا في التَّشَيُّع يقول: هذا لا يَنْفَق إلا عندي وعندك. وسمعت عَبْدانَ يقول: حمل ابن خِراش إلى بُنْدار عندنا جُزْءيْن صنَّفهما في مثالب الشَّيْخين، فأجازه بألفي دِرهم، بنى له بها حُجْرة ببغداد ليحدِّث فيها، فمات حين فرغ منها.

وقال أبوزُرْعَة محمد بن يوسف الحافظ: خَرَّج ابنُ خِراشٍ مَثَالِبَ الشَّيْخين، وكان رافضياً.

وقال ابن عدي: سمعت عَبْدان يقول: قلت لابن خِراش: حديث: «ما تَرَكْنَا صَدَقَة» فقال: باطل.

قلت: هذا مُعَثَّر مخذول، كان علمه وَبَالاً، وسعيهُ ضَلالاً، نعوذُ بالله من الشَّقاء.

مات سنة ثلاثٍ وثمانين ومئتين.

---

(١) انظر السير: ١٣/ ٥٠٨ـ٥١٠.

٥٨٤ عبدالله بن أحمد (س)[1]

[١]ابن حَنبل: الإمامُ، الحافظ، النَّاقد، محدث بغداد، أبوعبدالرحمن بن شيخ العصر أبي عبدالله الذُّهْلِيّ الشَّيْبانيّ المرْوَزِيّ، ثم البغدادي.

ولد سنة ثلاثَ عشرةَ ومئتين.

[٢]وقال أبوالحسين أحمد بن جَعْفَر بن المُنَادي: لم يكن في الدُّنيا أحدٌ أروى عن أبيه من عبدالله بن أحمد، لأنَّه سَمِعَ منه «المسند»، وهو ثلاثون ألفاً، و «التفسير»، وهو مئة ألف وعشرون ألفا، وغير ذلك من التصانيف.

قلت: ما زلنا نسمع بهذا «التفسير» الكبير لأحمدَ على ألْسِنة الطَّلَبَةِ، وعُمْدَتُهم حكاية ابنِ المُنادي هذه، ولكن ما رأينا أحدا أخبرنا عن وجود هذا «التفسير»، ولا بعضه ولا كُرَّاسة منه، ولو كان له وجود، أو لشيء منه لَنَسَخُوه، ولاعتنى بذلك طلبةُ العِلم، ولحصّلوا ذلك، ولَنُقِل إلينا، ولاشْتُهِرَ، وَلَتَنَافَسَ أعيانُ البغداديين في تحصِيله، ولنقل منه ابن جَرير فمن بعده في تفاسيرهم، وهذا «التفسير» لا وجود له، وأنا أعتقِدُ أنَّه لم يكن، فبغداد لم تَزَلْ دارَ الخُلَفاء، وقُبَّةَ الإسلام، ودارَ الحديث، ومحلَّةَ السُّنَن، ولم يزل أحمد فيها مُعَظَّما في سائِرِ الأعصار، وله تلامذَةٌ كبار، وأصحابُ أصحاب، وهَلُمَّ جراً إلى بالأمس، حين استباحها جيش المغول، وجرت بها من الدماء سُيول، وقد اشتُهِر ببغداد «تفسيرُ» ابن جرير، وتزاحم على تحصيله العلماء، وسارت به الرّكْبان، ولم نعرف مثله في مَعْناه، ولا أُلِّف قبله أكبرُ منه، وهو في عشرين مجلّدة، وما يحتمل أن يكون عشرينَ ألف حديث، بل لعلَّه خمسةَ عشرَ ألف إسنادٍ، فَخُذْهُ، فَعُدَّه إنْ شِئْتَ.

قلت: عاش في عمر أبيه سبعاً وسبعين سنة.

مات ودُفن في مقابر باب التِّبْن[2]، وكان الجمع كثيراً فوق المِقْدار.

---

(١) انظر السير: ١٣/ ٥١٦-٥٢٦

(٢) باب التبن: محلة كبيرة كانت ببغداد على الخندق بإزاء قطيعة أم جعفر.

[١] وقيل: إن عبدالله أمرَهم أن يَدْفِنوه هُناك، وقال: بلغني أنَّ هناك قَبرَ نَبيٍّ، ولأن أكونَ في جِوار نبي أحبُّ إليَّ أن أكونَ في جِوار أبي.

[٢] وكان صيِّنا ديِّنا صادقا، صاحبَ حديثٍ واتِّباعٍ وبصرٍ بالرِّجال، لم يدخل في غير الحديث، وله زيادات كثيرةٌ في «مُسند» والده واضحةٌ عن عوالي شيوخه، ولم يحرر ترتيب «المسند» ولا سَهَّلَه، فهو محتاج إلى عمل وترتيب.

فلعل الله يُقَيِّض لهذا الدِّيوان العظيم من يُرتِّبه ويهذِّبه، ويحذِف ما كُرِّر فيه، ويُصلح ما تَصَحَّف، ويُوضح حال كثير من رِجاله، وينبِّه على مُرْسله، ويُوهِّن ما يَنبغي من مناكيره، ويُرتِّب الصَّحابةَ على المعجم، وكذلك أصحابهم على المُعْجَم، ويرمِزُ على رؤوس الحديث بأسماء الكتب السِّتَّة، وإن رتبّه على الأبواب فحسنٌ جميل، ولولا إنِّي قد عجزت عن ذلك لِضَعْف البصر، وعدم النيَّة، وقُربِ الرحيل، لعملتُ في ذلك.

٥٨٥ القاضي أبو خازمٍ(١)

[٣] الفقيه، العلامة، قاضي القُضاة، أبوخازم، عبدُالحميد بن عبدالعزيز السَّكُونيُّ البَصري، ثم البغدادي الحَنَفي.

وكان ثقة، ديِّناً، وَرِعا، عالِما، أحذقَ الناس بعمل المحاضِر والسِّجلاَّت، بصيرا بالجبر والمقابلة، فارِضاً، ذكيّا، كاملَ العقل.

وبرع في المذهب حتى فُضِّل على مشايخه.

[٤] مُكْرم بن بكر، قال: كنت في مجلس أبي خازِم القاضي، فتقدَّم شيخٌ معه غلام، فادعّى عليه بألف دينار، فأقرّ الحَدَث، فقال القاضي للشيخ: ما تشاء؟ قال: حَبْسُه. فقال للحَدَث: قد سمعت فهل توفيه البعضَ؟ قال: لا. ففكر

(١) انظر السير: ١٣/٥٣٩-٥٤١.

ساعـةً، ثم قال: تلازمـا حتى أنظر. فقلتُ: لم أخَّرَ القاضي الحبْسَ؟ قال: ويحك! إني أعرف في أكثر الأحوال وجه المُحِقِّ من المُبْطل، وقد وقع لي أن سماحَتَه بالإقرار شيءٌ بعيدٌ من الحق، أما رأيتَ قِلَّةَ تغاضُبهما في المحاوَرَة مع عِظَم المال؟ فبينا نحنُ كذلك، إذ استبان الأمر، فاستأذن تاجرٌ موسرٌ، فأذن له القـاضي، فدخـل، وقـال: قد بُليت بابنٍ لي حَدَثٍ، يتلف مالي عنـد فلان المُقَبِّن، فإذا منعته مالي احتالَ بحيلٍ يُلجئني إلى التزام غرم، وأقْرَبُه أنه نَصَبَ المُقَبِّنَ اليوم لمطالبته بألف دينار، وأقعُ مع أمه ـ إن حُبِس ـ في نكدٍ. فتبسم القـاضي، وطلب الغُلامَ والشَّيْخ، فأُدخلا، فوعظَ الغلام، فأقرَّ الشَّيْخ، وأخذ التَّاجر بيد ابنه، وانصرف.

قلت: قد كان المعتضد يحترم أبا خَازِم ويجلّه، قيل: إن أباخازم لما احتُضِر بكى، وجعل يقول: ياربِّ! من القَضَاء إلى القبر.

وله شعر رقيق.

مات ببغداد سنة اثنتين وتسعين ومئتين.

٥٨٦ أبـوجَـعفر التِّرْمِـذِيّ(١)

[١]هو: الإمام، العلاّمة، شيخُ الشَّافعية بالعراق في وقته، أبوجَعفر محمد بن أحمد بن نصر التِّرمِذِيُّ الشَّافعيُّ الزَّاهد.

ولد سنة إحدى ومئتين.

قال الدارَقُطْني: ثقة مأمون ناسِك.

[٢]وذكر إبراهيم بن السَّري الزَّجَّاج: أنه كان يُجرى على أبي جعفر في الشهر أربعةُ دراهم، يتقوَّتُ بها. قال: وكان لا يسألُ أحداً شيئا.

[٣]ونقل الشيخ محيي الدين النَّوَوي: أن أبا جعفرٍ جَزَمَ بطهارة شَعرِ رسول الله

(١) انظر السير: ١٣/ ٥٤٥ـ٥٤٧.

صلى الله عليه وسلم. وقد خالف في هذه المسألةِ جُمهورَ الأصحاب.

قلت: يتعيَّن على كل مسلم القَطْعُ بطَهارةِ ذلك، وقد ثبت أنَّه صلى الله عليه وسلم لما حلق رأسَه، فرَّق شعره المُطهَّر على أصحابه، إكراما لهم بذلك. فوالهفي على تَقْبيل شَعْرة منها.

[١] قال والد أبي حفص بن شاهين: حضرت أباجعفر، فسُئل عن حديث النزول،[١] فقال: النزول معقول، والكَيْفُ مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بِدْعة.

قال أحمد بن كامل القاضي: لم يكن للشافعية بالعراق أرأسُ، ولا أورعُ، ولا أنْقلُ من أبي جعفر التِّرمذي.

قلت: توفي سنة خمس وتسعين ومئتين، وقيل: إنه اخْتُلِط بأَخَرَة.

٥٨٧ أبوعمرو الخَفَّاف [٢]

[٢] الإمامُ، الحافظُ الكبير، القدوة، شيخُ الإسلام، أبوعَمْرو، أحمد بن نصر بن إبراهيم، النيسابوري، المعروف بالخَفَّاف.

قال أبوعبدالله الحاكم: كان نسيجَ وحدِه جلالةً، ورِئاسةً، وزهدا وعبادةً، وسخاءَ نفس.

[٣] قال الحاكم: وسمعت الصِّبغيَّ يقول: صام أبوعمرو الخَفَّاف الدهر نيِّفا وثلاثينَ سنةً.

قلت: ليته أفطر وصام، فما خَفِيَ واللهِ عليه النَّهيُ عن صِيام الدهر، ولكن له سَلَفٌ، ولو صَاموا أفضَلَ الصَّوم، لَلَزِموا صَومَ داودَ عليه السلام.

---

(١) ولفظه بتمامه: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له»؟

(٢) انظر السير: ١٣/ ٥٦٠-٥٦٤.

ولم يكن يُعقِّب.

قال: وسمعت أبا زكريًا العَنْبريّ يقول: فلما أيِس من الولد، تصدَّق بأموالٍ، كان يقال: إن قيمتَها خمسةُ آلاف ألفِ دِرهم، على الأشراف والفقراء والموالي.

[١] قال: وسمعت محمد بن المؤمَّل بن الحسن الماسَرْجسي، سمعت أباعمرو الخَفَّاف يقول: كان عمرو بن الليث الصَّفَّار - يعني السلطان - يقول لي: يا عَم! متى عَلِمت شيئا لا يوافقك فاضرِبْ رَقَبَتي، إلى أن أرجعَ إلى هَواك.

[٢] قلت: كذا فليكنِ السُّلطانُ مع الشَّيخ، وقد كان عَمْرو بن اللَّيْث صانِعاً في الصُّفر فَتَنَقَّلَتْ به الأحوال إلى أن تملَّك خُراسان، وتملَّك بعدَه أخوه يعقوب، فانظر في «تاريخ الإسلام» تسمعِ العجبَ من سيرتهما.

وكان الرئيس أبوعمرو عظيمَ القدر، سَيِّدا مطاعاً ببلده، نال رئاسةَ الدينِ والدنيا، وكانوا يلقبونه بزين الأشراف.

وكانت وفاته سنة تسع وتسعين ومئتين، من أبناء الثمانين.

٥٨٨ البُوْشَنجِيّ (خ)(١)

[٣] الإمام، العلَّامة، الحافظ، ذو الفُنون، شيخُ الإسلام، أبوعبدالله، محمدُ بن إبراهيمَ بنِ سعيد. الفقيه المالكي، البُوشَنجِي، شَيْخ أهل الحديث في عصره بنيسابور.

مولدُه في سنة أربعٍ ومئتين.

[٤] وقال أبوزكريا العَنْبري: شهدْتُ جِنازَةَ الحُسَينِ القبَّاني، فصلَّى بنا عليه أبوعبدالله البُوشَنْجِي، فلما أرادوا الانصراف، قُدِّمت دابةُ أبي عبدالله، وأخذ أبوعمرو الخَفَّاف بلجامه، وأخذ إمام الأئمة برِكَابه، وأبوبكر الجارُودي، وإبراهيم ابن أبي طَالب يُسَوِّيان عليه ثيابَه، فلم يَمنع واحِدا منهم، ومضى.

(١) انظر السير: ١٣/ ٥٨١-٥٨٩.

[١] قال أبوعمرو بن نُجَيد: سمعت أبا عُثمان سعيد بن إسماعيل يقول: تقدمتُ لأصافح أباعبدالله البُوشَنجي تبرُّكاً، فقَبَضَ عنِّي يده، ثم قال: يا أبا عُثمان! لستُ هناك.

[٢] الحاكم: سمعت الحسن بن أحمد بن موسى، سمعت أباعبدالله البُوَشَنجِي يقول في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كان القرآن في إهابٍ ما مسته النار»، قال: معناه: أن مَنْ حَمَل القرآن وقَرَأه، لم تَمَسَّه النَّارُ.

[٣] محمد بن إبراهيم البوشنجي، حدثنا عبدالله بن يزيد الدمشقي، حدثنا عبدالرحمن بن يَزيد بن جَابر، قال: رأيت في المقسلاط صَنَماً من نُحاس، إذا عطِش، نَزَل، فَشَرِب. ثم قال البُوشَنْجِي: ربما تكلمت العُلماء على سبيل تفقدِهم مقدارَ أفهامِ حاضريهم، تأديباً لهم، وتنبيهاً على العلم، وامتحاناً لأوهاهم فهذا ابن جابر، وهو أحد عُلَماءِ الشام، وله كتب في العِلم، يقول هذا، والمقسلاط: موضع بِدَمشق بسوق الدَّقيق، يريد أن الصنم لا يَعْطش، ولو عَطِش نَزَلَ فشرب، فينفي عنه النزول، والعَطَش.

[٤] قال أبو النَّضْر الفقيه: سمِعْتُ البُوشَنجِي يقول: من أراد العِلم والفقه بغير أدب، فقد اقتحمَ أن يكذبَ على الله ورسولِه.

توفي سنة إحدى وتسعين ومئتين، وصلّى عليه ابنُ خزيمة.

الجزء الرابع عشر



٥٨٩ ثعلـــب(١)

[١] العلاَّمة المحدِّث، إمام النَّحو، أبو العبَّاس، أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني مولاهم البغداديّ صاحبُ الفصيح والتصانيف.

وُلِـدَ سنة مئتين، وكان يقول: ابتدأتُ بالنظر وأنا ابنُ ثماني عشرة سنة، ولما بلغت خمساً وعشرين سنة، ما بقي عليَّ مسألة للفرَّاء، وسمعتُ من القواريريّ مئة ألف حديث.

قال الخطيب: ثِقةٌ، حُجة، ديِّنٌ صالح، مشهور بالحفظ.

وقيل: كان لا يتفاصحُ في خِطابِه.

قال المُبَرِّد: أعلمُ الكوفيين ثعلب. فذُكِر له الفرَّاء، فقال: لا يَعْشُرُه.

[٢] وكان يُزري على نفسه، ولا يعدُّ نفسَهُ.

[٣] قال ابنُ مجاهد: فرأيتُ النبي ﷺ في المنام فقال لي: اقريء أبا العبَّاس السَّلام، وقل له: إنك صاحبُ العِلْمِ المُستَطيل.

وله كتاب: «اختلاف النحويين» وكتاب «القراءات» وكتاب «معاني القرآن». وأشياء.

وعُمِّرَ، وأُصَمّ، صدمته دابَّة، فوقع في حُفرة، ومات منها في جمادىٰ الأُولىٰ، سنة إحدى وتسعين ومئتين.

٥٩٠ أبو خَليفَة(٢)

الإمامُ العلاَّمة، المحدِّث الأديب الأخباري، شيخُ الوقت، أبو خليفة، الفضلُ ابن الحُباب، الجُمَحِيُّ البصريّ الأعمى.

---

(١) انظر السير: ١٤/٥-٧

(٢) انظر السير: ١٤/٧-١١

وُلِدَ في سنة ستٍّ ومئتين، وعُنِي بهذا الشأن وهو مُراهق، فسمعَ في سنة عشرين ومئتين، ولقِيَ الأعلام، وكتب علماً جمّاً.

وكان ثقة صادقاً مأموناً، أديباً فصيحاً مفوَّهاً، رُحِلَ إليه من الآفاق، وعاش مئة عام سوى أشهر.

[١] قال أبو الحسين بن المُحامِلي: أخبرنا علي بن أحمد بن أبي خليفة: سمعتُ أبي يقول: حضرنا يوماً عند خليل أمير البصرة، فجرى بينه وبين أبي خليفة كلام. فقال له: من أنت أيُّها المتكلِّم؟ فقال: أيُّها الأمير: ما مِثلك من جَهِل مِثلي: أنا أبو خليفة الفضل بن الحُباب أفَهَلْ يَخفَى القمر؟ فاعتذر إليه، وقضى حاجته، ولمَّا خرج، سألوه، فقال: ما كان إلا خيراً، أحضرني مأدُبَته، فأبَطَّ، وأدجَّ، وأفرَخ، وفولَج لوذج، ثم أتاني بالشَّراب، فقُلتُ: معاذ الله، فعاهدني أن آتيَ مأدبَته كل يوم، فكان إنسانٌ يأتي كلَّ يوم، فيحمله إلى الأمير.

[٢] قال الصُّولي: كُنت أقرأ على أبي خليفة كتاب: «طبقات الشعراء» وغير ذلك، قال: فواعدَنا يوماً وقال: لاتخلفوني فإني أتَّخِذُ لكم خبيصةً فتأخرت لشُغل عرض لي، ثمَّ جئتُ والهاشميُّون عنده، فلم يَعرفْني الغلامُ، وحَجَبَني، فكَتبتُ إليه:

أبا خليفة تجفُو من له أدَب ... وتؤثر الغُرَّ من أولادِ عَبَّاسِ

وأنت رأسُ الورى في كل مكرُمةٍ ... وفي العُلوم، وما الأذنابُ كالرَّاسِ

ما كان قدرُ خَبيصٍ لو أذنِتَ لنا ... فِيه فيختَلِطَ الأشرافُ بالنَّاسِ

فلما قرأها صاحَ على الغُلام، ثم دخلتُ، فقال: أسأتَ إلينا بتغيُّبِك، فظلمتَنا في تَعَتُّبِك، وإنَّما عقد المجلس بك، ونحن فيما فاتَنا بتأخيركَ كما أنشدني التوزي لمن طلق امرأته ثم نَدِم فتزوجت رجلًا، فمات حين دخل بها، فتزوجها الأول فقال:

فعادت لنا كالشَّمسِ بعد ظَلامِها ... على خَير أحوالٍ كأن لم تُطَلَّق

ثم صاح: يا غُلام! أَعِدَّ لنا مثلَ طعامِنا، فأقمنا عنده يومَنا.

[٣] قال أبو نعيم عبدالملك بن الحسن الإسفراييني، ابن أخت أبي عَوانة: سمعتُ

أبي يقول لأبي علي النيسابوري الحافظ: دخلتُ أنا وأبو عَوانةَ البصرة، فقيل: إن أبا خليفة قد هُجر، ويُدَّعى عليه أنه قال: القرآن مخلوق. فقال لي أبو عَوانة: يا بُني! لابدَّ أن ندخُلَ عليه. قال: فقال له أبو عوانة: ما تقولُ في القرآن؟ فاحمرَّ وجهه وسكت. ثم قال: القرآن كلام الله غيرُ مخلوق، ومن قال: مخلوق، فهو كافر، وأنا تائب إلى الله من كل ذنب إلاَّ الكذب، فإنِّي لم أكذب قطّ، أستغفرُ الله.قال: فقام أبو علي إلى أبي، فقبَّل رأسه. ثم قال أبي: قام أبو عَوانة إلى أبي خليفة، فقبَّل كتِفَه.

توفِّي أبو خليفة سنة خمسٍ وثلاث مئة بالبصرة.

٥٩١ صالحُ بن محمد(١)

[١]ابن عمرو. الإمامُ الحافظُ الكبير الحجَّة، محدِّثُ المشرق، أبو عليٍّ الأسدي البغدادي، الملقب جَزَرَةَ ـ بجيم وزاي ـ نزيلُ بُخَارَىٰ.

مولده سنة خمس ومئتين ببغداد. وكان ثقة حافظاً غازياً.

[٢] وقال خلف بن محمد الخَيَّام: حدثنا سهل بن شاذويه: أنَّه سمع الأميرَ خالدَ بن أحمدَ يسأل أبا عليّ: لم لُقِّبت جَزَرَة؟ قال: قدِمَ علينا عمرُ بنُ زرارة، فحدَّثهم بحديث عن عبدالله بن بُسر: أنَّه كان له خَرَزَة للمريض، فجئت وقد تقدَّم هذا الحديث، فرأيتُ في كتاب بعضهم وصحتُ بالشيخ: يا أبا حَفص! يا أبا حَفص! كيف حديث عبدالله بن بسر: أنه كانت له جَزَرَة يداوي بها المرضىٰ، فصاح المحدثون المُجَّان، فبقيَ عليَّ حتَّى السَّاعة.

قلتُ: قد كان صالح صاحبَ دُعَابَة، ولا يغضب إذا واجَهه أحدٌ بهذا اللَّقب.

[٣]بكر بن محمد الصيرفي: سمعتُ صالح بن محمدٍ قال: كنتُ أسايرُ الجملَ الشاعرَ بِمصر، فاستقبلنا جمل عليه جَزَر، فقال: ما هذا يا أبا عليّ؟ قلت: أنا عليك.

---

(١) انظر السير: ١٤/٢٣ـ٣٣

[١]وعن جعفر الطَّستي: أنَّه سمع أبا مُسلم الكَجِّي يقول، وذُكِر عندهُ صالحُ جَزَرَة فقال: ما أهونه عليكم، ألا تقولون: سيِّدُ المُسلمين!

[٢]وقال ابن أبي حاتم: سمعتُ أبي يقول لأبي زُرعَة: حفظ اللهُ أخانا صالح بن محمد، لا يزالُ يُضحِكُنا شاهداً وغائباً، كتبَ إليَّ يذكر أنه مات محمد بن يحيى الذُّهلي، وجلس للتحديث شيخ يُعرف بمحمد بن يزيد محمش فحدَّث أن النبيَّ ﷺ قال «يا أبا عُمَير، ما فعل البَعير؟».

[٣]وأن النبيَّ ﷺ قال: «لا تصحبُ الملائكةُ رِفقَةً فيها خُرس»(١) فأحسن الله عزاءكم في الماضي، وأعظمَ أجرَكم في الباقي.

[٤]ورُوي عن صالح بن محمد قال: الأَحوَلُ في البيت مبارَك، يرى الشيء شيئين.

[٥]قال بكر بن محمد الصيرفي: سمعتُ صالحاً يقول: كان عبدالله بن عُمرَ بن أبانَ يمتحن أصحابَ الحديث، وكان غالياً في التَّشيُّع، فقال لي: من حَفَرَ بئرَ زمزم؟ قُلت: مُعاوية، قال: فَمَن نقل تُرابَها؟ قُلتُ: عَمْرو بن العاص، فصاح فيَّ وقام.

[٦] وقال أبو النضر الفقيه: كُنَّا نسمع من صالح بن محمد وهو عليل فبدت عورتُه، فأشار إليه بعضُنا بأن يَتَغَطَّى، فقال: رأيتَهُ؟ لا تَرمَدُ أبداً.

[٧] قال أبو أحمد علي بن محمد: سمعتُ صالح بن محمد يقول: كانَ هشامُ بن عُمَّار يأخذ على الحديث، ولا يحدِّثُ ما لم يأخذُ، فدخلتُ عليه يوماً فقال: يا أبا عليّ! حدثني. فقلُت: حدثنا عليُّ بن الجعد، حدَّثنا أبو جعفر الرَّازي، عن الرَّبيع ابن أنس، عن أبي العالية قال: عَلِّمْ مجاناً كما عُلِّمتَ مجّاناً، فقال: تُعرِّضُ بي؟ فقلتُ: لا، بل قصدتُك.

[٨]بكر بن محمد الصيرفي، سمعت أبا عليٍّ صالح بن محمد قال: دخلتُ مِصر فإذا حَلقَة ضخمة، فقلت: من هذا؟ قالوا: صاحبُ نحو. فقربتُ منه، فسمعته يقول: ما كان بصادٍ، جاز بالسِّين. فدخلت بين الناس وقلت: صَلامٌ عليكم يا أبا

(١) هذه اللفظة محرفة عن «جَرَس» وهو ما يعلق في رقبة الدواب.

سَالح، سلَّيتُم بَعد؟ فقال لي: يا رَقِيع! أيّ كلامٍ هذا؟ قلت: هذا من قولك الآن، قال: أظنُّك من عَيَّاري بغداد. قلتُ: هو ما ترى.

وكانت وفاةُ صالح سنة ثلاث وتسعين ومئتين، وله تسع وثمانونَ سنة.

٥٩٢ محمد بن نصر(١)

[١]ابن الحجَّاج المَرْوزيّ الإمامُ، شيخُ الإسلام، أبو عبدالله الحافظ.

مولده ببغداد في سنة اثنتين ومئتين، ومنشؤه بنيسابور. ومسكنه سمرقند، كان أبوه مروزياً، ولم يرفع لنا في نسبه.

ذكره الحاكم فقال: إمام عصره بلا مُدافعة في الحديث.

[٢]قلتُ: يُقال: إنه كان أعلم الأئمَّةِ باختلاف العلماء على الإطلاق. وقال أبو بكر ابن إسحاقَ الصِّبغي، وقيل له: ألا تنظر إلى تمكُّن أبي عليٍّ الثقفي، في عقله؟ فقال: ذاك عقلُ الصحابة والتابعين من أهل المدينة. قيل: وكيف ذاك؟ قال: إنَّ مالكاً كان من أعقل أهل زمانه وكان يُقال: صار إليه عقلُ الذين جالسَهم من التَّابعين، فجالسه يَحيى بن يَحيى النيسابوري، فأخذ من عقله وسَمته، ثم جالس يَحيى بن يَحيى محمدُ بن نصر سنين، حتى أخذ من سَمته وعقله، فلم ير بعد يحيى من فقهاء خراسان أعقلُ مِن ابنِ نَصر، ثم إنّ أبا عليٍّ الثقفيّ جالسه أربع سنين فلم يكن بعده أعقلُ من أبي عليّ.

[٣]ومن كلام محمد بن نصر قال: لما كانت المعاصي بعضُها كفراً وبعضُها ليس بكفر، فَرَّق تعالى بينها، فجعلها ثلاثةَ أنواع: فنوع منها كفر، ونوع منها فُسُوق، ونوع منها عِصيان، ليس بكفرٍ ولا فُسُوق. وأخبر أنه كرَّهَهَا كلَّها إلى المؤمنين، ولمّا كانت الطَّاعات كلُّها داخلةً في الإيمان، وليس فيها شيءٌ خارج عنه، لم يفرِّق بينها، فما قال حبب إليكم الإيمان والفرائضَ وسائر الطاعات، بل أجمل ذلك فقال: ﴿حبَّبَ إليكم الإيمانَ﴾ [الحجرات ٧] فدخل فيه جميع الطاعات، لأنه قد

---

(١) انظر السير: ١٤/٣٣-٤٠

حبب إليهم الصلاة والزكاة، وسائر الطاعات حُبَّ تَدَيُّن، ويكرهون المعاصي كراهِيَةَ تَدَيُّن، ومنه قوله عليه السلام: «من سَرَّتهُ حسنتُه، وساءته سيِّئَتُهُ، فهو مُؤمن».

[١]وقال أبو بكر الصِّبغي: أدركت إمامين لم أُرزَقِ السماعَ منهما: أبو حاتم الرَّازي، ومحمد بن نصر المَرْوزي، فأما ابن نصر، فما رأيتُ أحسَنَ صلاةً منه، لقد بلغني أن زُنبُوراً قعد على جَبهَتِهِ فسال الدَّمُ على وجهه، ولم يتحرك.

[٢]وقال محمد بن يعقوب بن الأخرَم: ما رأيتُ أحسنَ صلاة من محمد بن نصر، كان الذباب يقع على أُذنِه، فيسيل الدَّمُ، ولا يَذُبُّه عن نفسه، ولقد كنَّا نتعجب من حُسن صَلاَته وخشوعه وهيئَتِهِ للصَّلاة، كان يضع ذَقنَهُ على صدره فينتصبُ كأنَّه خشبةٌ مَنصوبة. قال: وكان من أحسن الناس خَلقاً، كأنَّما فُقِيءَ في وجهه حبُّ الرُمَّان، وعلى خدَّيه كالوَرد، ولحيتُهُ بيضاء.

[٣]عثمان بن جعفر اللَّبان، حدثني محمد بن نصر قال: خرجتُ من مِصرَ ومعي جاريةٌ، فركبت البحر أريدُ مكَّة، فغرقتُ، فذهب مِنِّي ألفا جزء، وصرت إلى جزيرة أنا وجاريتي، فما رأينا فيها أحداً، وأخذني العطشُ فلم أقدِر على الماء، فوضعتُ رأسي على فَخِذِ جاريتي مُستسلماً للموت، فإذا رجلٌ قد جاءني ومعه كُوز، فقال: لي: هاه. فشربتُ وسَقَيْتُها، ثم مضى، فما أدري مِن أين جاء؟ ولا مِن أينَ راح؟

[٤]ورُوِيَ عنه أنه قال: لم يكن لي حسنُ رأي في الشَّافعي، فَبَينَا أنا قاعد في مسجد النبي ﷺ، أُغفيتُ، فرأيتُ الرسول ﷺ، في المنام فقلتُ: يا رسولَ الله! أكتب رأيَ الشَّافعيّ؟ فَطَأطَأَ رأسه شبهَ الغضبان وقال: تقول رأي؟ ليس هو بالرَّأي، هو ردٌّ على من خالف سُنتَّي. فخرجتُ في أثر هذه الرُّؤيا إلى مِصر، فكتبتُ كُتُبَ الشَّافعي.

[٥]قال الوزير أبو الفَضل محمد بن عبيد الله البَلعَمِيّ: سمعتُ الأمير إسماعيل بن أحمد يقول: كنتُ بِسَمَرقَند، فجلست يوماً للمظالم، وجلس أخي إسحاق إلى جنبي، إذ دخل أبو عبدالله محمد بن نصر، فقمت له إجلالاً للعلم، فلمَّا خرج عاتبني أخي وقال: أنت والي خُرسان تقوم لرجلٍ من الرَّعِيَّة؟ هذا ذهابُ السِّياسة،

قال: فبِتُّ تلك الليلة وأنا متقسِّمُ القلب، فرأيتُ النَّبي ﷺ في المنام، كأنِّي واقف مع أخي إسحاق، إذ أقبل النبي ﷺ فأخذ بعَضُدي فقال لي: ثبتَ ملكُك وملكُ بَنِيك بإجـلالـك محمـدَ بنَ نَصـر. ثم التفتَ إلى إسحـاق، فقال: ذهب ملكُ إسحاق، وملك بنيهِ باستخفافه بمحمدِ بنِ نصر.

ومات بعد أيام قلائل من موت صالح بن محمد جزرة وذلك سنةَ أربعٍ وتسعينَ ومئتين.

[١]قال الحافظ أبو عبدالله بن مَندَة في مسألة الإيمان: صَرَّحَ محمد بن نصر في كتاب «الإيمان» بأن الإيمان مخلوق، وأنَّ الإقرار، والشهادة وقراءة القرآن بلفظه مخلوق. ثم قال: وهَجَرَه على ذلك علماءُ وَقتِهِ وخالفهُ أئِمَّةُ خُراسان والعراق.

[٢]قلتُ: الخوضُ في ذلك لا يجوز، وكذلك لا يجوز أن يُقال: الإيمان، والإقرار، والقراءة، والتلفُّظُ بالقرآن غيرُ مخلوق، فإن الله خلق العباد وأعمالهم، والإيمانُ: فقول وعمل، والقراءةُ والتلفظُ: من كسب القارىء، والمقروءُ الملفوظ: هو كلامُ الله ووحيُه وتَنزيلُه، وهو غير مخلوق وكذلك كلمة الإيمان، وهي قول «لا إله إلَّا الله، محمـدٌ رسول الله» داخلة في القرآن، وما كان من القرآن فليس بمخلوق، والتكلُّم بها من فِعلنا وأفعالُنا مخلوقة، ولو أنَّا كُلَّما أخطأ إمامٌ في اجتهاده في آحاد المسـائل خطأً مغفوراً له، قُمنا عليه، وبدَّعْناه، وهجرناه، لما سَلِمَ معنا لا ابنُ نَصر، ولا ابنُ مَندةَ، ولا من هو أكبرُ منهما، والله هو هادي الخَلق إلى الحق، وهو أرحمُ الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة.

[٣]وقال أبو محمد بن حَزم في بعض تواليفه: أعلمُ النَّاسِ من كان أجمَعَهُم للسُّنَن، وأضبَطَهُم لها، وأذكَرَهُم لمعانيها، وأدراهُم بصحَّتها وبما أجمع الناسُ عليه ممَّا اختلفوا فيه.

وقـال: ومـا نعلمُ هذه الصِّفـةَ ـ بعـد الصحابة ـ أتمَّ منها في محمَّدِ بن نصر المروزي، فلو قال قائل: ليسَ لرسول الله ﷺ حديثٌ ولا لأصحابه إلا وهو عند محمد بنِ نصر، لما أبعد عن الصِّدق.

قلتُ: هذه السَّعَةُ والإحاطةُ ما ادَّعاها ابنُ حَزمٍ لابن نصر إلا بعدَ إمعانِ النَّظر في جماعة تصانيفَ لابن نَصر، ويمكن ادِّعاء ذلك لمثل أحمدَ بنِ حَنبَل ونُظَرائِه، والله أعلم.

٥٩٣ عَبدُ الله بنِ المُعتَزِّ بالله(١)

[١]محمد بن المتوكِّل، جعفر، ابن المُعتصم محمد، بن الرَّشيد هارون، بن المَهدي، الأمير أبو العبّاس الهاشميُّ العباسيُّ البغداديُّ الأديب صاحبُ النَّظم الرَّائق.

مولده في سَنَة تسعٍ وأربعينَ ومئتين. وفي سنة ستٍّ وتسعين، أَنِفت الكبارُ من خلافة المُقتدر، وهو حَدَث، فهاجوا وتوثَّبوا على المقتدر وقتلوا وزيرَه، ونصبوا ابنَ المعتزِّ في الخلافة، فقال: على شرط أن لا يقتل بسببي رجلٌ مسلم. وكان حول المقتدر خواصه، فلبِسوا السِّلاح وحملوا على أولئك، فتفرق عن ابن المعتز جمعُه، وخاف فاختفى، ثم قُبِضَ عليه، وقُتل سرّاً في ربيع الآخر سنةَ ستٍّ، سلّموه إلى مُؤنس الخادم فخنقه، ولفَّه في بِساط، وبعثَ به إلى أهله.

وله نثرٌ بديع منه:

[٢]من تجاوزَ الكفاف لم يُغنِه الإكثار.

[٣]كُلَّما عظُم قدر المنافس، عظُمت الفَجِيعةُ به.

[٤]رُبَّما أوردَ الطمعُ ولم يُصدر.

[٥]من ارتَحَلَهَ الحِرصُ، أنضاه الطَّلب.

[٦]الحظُّ يأتي من لا يأتيه.

[٧]أشقى الناس أقربُهُم من السلطان، كما أن أقربَ الأشياءِ من النَّار أسرعها احتِراقاً.

[٨]من شارك السُّلطان في عزِّ الدنيا، شاركه في ذلِّ الآخرة.

(١) انظر السير: ١٤/٤٢-٤٤

٥٩٤ الشِّيعـيّ(١)

[١]الدَّاعي الخَبيث، أبو عبدالله، الحُسَينُ بن أحمد بن محمد الصَّنعاني، من دهاة الرِّجال الخبيرين بالجَدَلِ، والحيل وإغواء بني آدم.

قام بالدعوة العُبَيْدِيّة، وحجَّ، وصحبَ قوماً من كُتامة(٢)، وربطهم وتألَّه وتزهَّد وشوَّق إلى إمام الوقت، فاستجاب له خلقٌ من البَربر، وعسكر وحارب أمير المغرب ابن الأغلب، وهزمه غير مرة، وإلى أن جاء عبيد الله المهدي، فتسلَّم الملكَ، ولم يجعل لهذا الدَّاعي ولا لأخيه أبي العبَّاس كبير ولايةَ، فغضِبا، وأفسدا عليه القلوب وحـاربـاه، وجرَت أمور إلى أن ظفر بهما المَهدي فقتَلهما في ساعة، سَنَةَ ثمانٍ وتسعينَ ومئتين.

٥٩٥ الرِّيوَندِي(٣)

[٢]المُلحد، عدوُّ الدين، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن إسحاق الرِّيونْدِي صاحبُ التصانيف في الحطِّ من المِلَّة، وكان يلازم الرَّافضة والملاحدة، فإذا عُوتِبَ قال: إنما أريدُ أن أعرِفَ أقوالَهُم.

ثم إنه كاشَفَ وناظَرَ، وأبرزَ الشُّبهَ والشُّكوك.

قال ابن الجوزي: كنت أسمعُ عنه بالعَظَائم، حتى رأيت له مالم يخطر على قلب.

قال ابن عقيل: عجبي كيف لم يُقتـل! وقـد صنَّف الدَّامغَ يدمغُ به القُرآن، والـزُّمُـرُّدة يُزرِي فيه على النُّبوَّات. وقال ابن الجوزي: فيه هذيان بارد لا يتعلَّق بشبهة! يقول فيه: إن كلام أكثم بن صيفي فيه ما هو أحسنُ من سورة الكوثر! وإن الأنبياء وقعوا بطَلاسِم. وألَّف لليهود والنَّصارى يحتجُّ لهم في إبطال نبوَّة سِيِّدِ البشر. وقد سرد ابنُ الجوزي من بلاياه نحواً من ثلاثة أوراق.

---

(١) انظر السير: ١٤/٥٨- ٥٩

(٢) قبيلة من البربر ببلاد المغرب.

(٣) انظر السير: ١٤/٥٩- ٦٢

قال ابن النجَّار: أبو الحسين ابن الرَّواندي المتكلِّم من أهل مروِ الرُّوذ، سَكَنَ بغداد، وكان معتزليّا، ثم تَزَندق، وقيل: كان أبوه يهودياً فأسلم هو، فكان بعضُ اليَهود يقول للمسلمين: لا يُفسِدُ هذا عليكم كتابكم، كما أفسَدَ أبوه علينا التَّوراة.

قال البَلخي: لم يكن في نُظراء ابن الرَّاوندي مثلُه في المعقول وكان أوّلَ أمرِه حَسَنَ السِّيرة، كثيرَ الحَياء، ثم انسلَخَ من ذلك لأسباب وكان علمُهُ فوقَ عقله. قال: وقد حُكي عن جماعة أنَّه تابَ عند موته.

وقال في بعض المعجزات: يقول المنجِّم كهذا.

وقال: في القرآن لحن.

وألَّف في قِدَم العالَم. ونفى الصَّانع.

وقال: يقولون: لا يأتي أحدٌ بمثل القُرآن. فهذا إقليدس[1] لا يأتي أحدٌ بمثله، وكذلك بَطْلَيْموس[2].

مات سنة ثمان وتسعين ومئتين.

وقيل: ما طال عمُرُه، بل عاشَ ستاً وثلاثين سنة.

لَعَنَ الله الذَّكاءَ بلا إيمان، ورضي الله عن البَلَادَةِ مع التَّقوى.

٥٩٦ أبو عثمان الحِيري[3]

[١]**الشيخُ الإمامُ المحدِّث الواعظُ القُدوة، شيخ الإسلام، الأستاذ أبو عثمان، سعيد بنُ اسماعيل بن سَعيد النَّيسابوريُّ الحِيرِيُّ الصُّوفيّ.**

مولده سنةَ ثلاثين ومئتين بالرَّيّ.

قال الحاكم: قدم نيسابورَ لصُحبة الأستاذ أبي حفص النيسابوري ولم يختلف مشايخُنا أن أبا عثمان كان مجاب الدعوة، وكان مجمعَ العُبَّاد والزُّهاد. ولم يزل يسمع ويجلُّ العلماء ويعظِّمُهُم.

---

(١) مظهر الهندسة والمبرز فيها، وهو من الفلاسفة الرياضيين.

(٢) فلكي، رياضي شهير، وهو الذي أخرج علم الهندسة من القوة إلى الفعل.

(٣) انظر السير: ١٤/٦٢-٦٦

[١]ومن كلامه: سرورُك بالدنيا أذهبَ سرورَك بالله عن قلبك.

[٢]يقول: من أمَّر السُّنة على نفسه قولاً وفعلاً، نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه نطق بالبِدعة، قال تعالى: ﴿وإن تُطيعُوهُ تَهتَدُوا﴾ [النور ٥٤].

قلتُ: وقال تعالى: ﴿ولا تتبعِ الهَوَىَ فَيُضِلَّكَ عَن سَبيلِ الله﴾.

[٣]وعن أبي عثمان الحيري قال: لا يكمـلُ الرجلُ حتى يستَوِيَ قلبُهُ في المنع والعَطاء، وفي العِزّ والذُّل.

[٤]الحاكم: سمعتُ محمد بن صالح بن هانئٍ يقول: لما قُتِل يحيى بن الذُّهلي، مُنع الناس من حضور مجالس الحديث من جهة أحمد الخُجُستاني فلم يجسر أحد يحمل محبرة إلى أن ورد السَّريُّ بنُ خزيمة، فقام الزاهد أبو عثمان الحِيري، وجمع المحدِّثين في مَسجده، وعلَّق بيده محبرة وتقدمهم إلى أن جاء خان محمش، فأخرج السريَّ وأجلس المُستملي، فحزَرنا مجلسَهُ زيادةً على ألفِ محبرة، فلما فرغ قامـوا وقبَّلوا رأسَ أبي عثمان ونثر النَّاسُ عليهم الدراهم والسُّكَّر سنة ثلاثٍ وسبعين ومئتين.

[٥]قلتُ: ذكر الحاكم أخبارَ أبي عثمان في خمس وعشرين ورقة وفي غضون ذلك من كلامه في التوكل واليقين والرِّضىٰ، قال الحاكم: وسمعتُ أبي يقول: لما قتلَ أحمـدُ بن عبـدالله الخُجُستاني ـ الذي استولى على البلاد ـ الإمامَ حيكانَ بنَ الذهلي، أخذ في الظُّلم والعَسف، وأمر بحَرْبةٍ رُكزت على رأس المربّعة(١)، وجمع الأعيان، وحلف: إن لم يصبـوا الـدراهم حتى يغيبَ رأسُ الحـربة، فقد أحلُّوا دماءَهم، فكانوا يقتسمون الغرامة بينهم، فَخُصَّ تاجرٌ بثلاثين ألف درهم، فلم يكن يقدر إلا على ثلاثة آلاف درهم فحملها إلى أبي عثمان وقال: قد حلف هذا كما بلغك ووالله لا أهتدي إلاّ إلى هذه.

(١) في «اللسان» والمربعة: خشيبة قصيرة يرفع بها العِدل. . وقال الأزهري: هي عصا تحمل بها الأثقال حتى توضع على ظهر الدواب».

قال: تأذنُ لي أن أفعلَ فيها ما ينفعُك؟ قال: نعم، ففرَّقها أبو عثمان، وقال للتاجر: امكُث عندي، وما زال أبو عثمان يترددُ بين السِّكَّةِ والمسجدِ ليلَتهُ حتى أصبح، وأذَّنَ المؤذِّن، ثم قال لخادمه: اذهب إلى السُّوق، وانظر ماذا تسمع، فذهبَ، ورجعَ فقال: لم أر شيئاً، قال: اذهب مرَّة أُخرى، وهو في مناجاته يقول: وحقِّكَ لا أقمتُ ما لم تُفرِّجْ عن المكروبين، قال: فأتى خادمه الفَرغانيُّ يقول: وكفى الله المؤمنين القتال، شُقَّ بطنُ أحمدَ بن عبدالله، فأخذ أبو عثمانَ في الإقامة.

قلتُ: بمثل هذا يعظُمُ مشايخ الوقت.

قال أبو الحسين أحمد بن أبي عثمان: توفي أبي سنة ثمان وتسعين ومئتين، وصلّى عليه الأمير أبو صالح.

٥٩٧ الجُنَيدُ(١)

[١]ابن محمد بن الجُنيد النَّهاوندي، ثم البغداديُّ القواريريُّ.

هو شيخُ الصوفية، وُلِدَ سنة نيِّفٍ وعشرين ومئتين، وتفقه على أبي ثور، وأتقن العلم، ثم أقبل على شأنه، وتألَّه وتعبَّد، ونطق بالحكمة وقلَّ ما روى.

قال ابن المُنادي، سمعَ الكثير، وشاهدَ الصَّالحين، وأهلَ المعرفة ورُزق الذَّكاء وصوابَ الجواب، لم يُرَ في زمانِهِ مثلُه في عِفَّة وعُزوفٍ عن الدُّنيا.

قيل لي: إنه قال مرَّة: كنتُ أُفتي في حَلقة أبي ثَور الكلْبيِّ ولي عشرون سنة.

عن الجُنيد قال: ما أخرج الله إلى الأرض علماً وجعل للخَلق إليه سبيلاً، إلا وقد جعلَ لي فيه حظاً.

[٢]وقيل: إنه كان في سُوقه ووِردُهُ كلَّ يوم ثلاثُ مئة ركعة، وكذا كذا ألفَ تسبيحة.

[٣]وعن أبي العباس بن سُريج: أنه تكلَّم يوماً فعجبوا! فقال: بِبَركَة مجالستي لأبي القاسم الجُنيد.

---

(١) انظر السير: ١٤/٦٦-٧٠.

[١]علي بن هارون وآخر قالا: سمعنا الجُنيد غير مرَّة يقول: عِلمُنا مضبوط بالكتاب والسنة مَن لم يحفَظِ الكتاب، ويكتبِ الحديث، ولم يتفقَّهْ لا يُقتدى به.

قال الخَلدي: لم نَرَ في شُيوخِنا من اجتمع له علم وحالٌ غير الجُنيد. كانت له حالٌ خطيرة، وعلمٌ غزير، إذا رأيت حالَه رجَّحتَهُ على عِلمه، وإذا تكلَّم رجَّحت علمَه على حالِه.

[٢]أبو سهل الصُّعلوكي: سمعتُ أبا محمد المرتعِش يقول: قال الجُنيد: كنتَ بين يدي السَّـريِّ ألعبُ وأنا ابنُ سبع سنين، فتكلموا في الشكر، فقال: يا غلام ما الشُّكـر؟ قلت: أن لا يُعصى اللهُ بِنِعَمِهِ، فقال: أَخشى أن يكونَ حظَّك من الله لسانُك. قال الجُنيد: فلا أزال أبكي على قوله.

[٣]قيل: كان نقشُ خاتم الجُنيد: إن كنت تَأْمُلُهُ فلا تأمَنْه.

وعنه: أُعطي أهل بغداد الشَّطحَ والعِبارة، وأهلُ خراسان القلب والسخاء، وأهل البصرة الزهد والقناعة، وأهلُ الشامِ الحِلمَ والسَّلامة، وأهل الحجاز الصَّبرَ والإنَابة.

[٤]قال أبو محمد الجَريري: سمعتُ الجُنيد يقول: ما أخذنا التَّصُّوف عن القال والقيل، بل عن الجُوعِ، وتَركِ الدُّنيا، وقطعِ المألوفات.

[٥]قلتُ: هذا حَسَن، ومُرادُه: قطعُ أكثر المألوفات، وتركُ فضول الدُّنيا وجوعٌ بِلا إفراط، أمَّا مَن بالغ في الجوع كما يفعله الرُّهبان، ورفضَ سائر الدُّنيا، ومألوفاتِ النَّفس، من الغذاءِ، والنومِ والأهل، فقد عرَّض نفسه لبلاء عريض، وربما خُولِطَ في عقله، وفاته بذلك كثير من الحنيفيَّة السَّمحَة، وقد جعل الله لكل شيء قدراً، والسَّعادة في متابعة السُّنَنِ فزِن الأمورَ بالعدل، وصُم وأفطِر، ونَم وقُمْ، والزمِ الوَرَعَ في القوت وارضَ بما قسم الله لك، واصمُت إلاَّ من خَير، فرحمة الله على الجُنيد وأين مثلُ الجنيد في علمه وحاله؟

٥٩٨ النُّوريّ(١)

[١]وهو أحمد بن محمد الخُراساني البَغَويُّ الزاهد، شيخُ الطَّائفةِ بالعِراق، وأحذقهم بلطائف الحقائق، وله عباراتٌ دقيقة، يتعلق بها من انحرف من الصُّوفية، نسأل اللهَ العفو.

صحبَ السَّرِيَّ السَّقَطِيَّ وغيره، وكان الجُنيد يُعظِّمه، لكنه في الآخر رقَّ له وعذَرَه لمّا فَسَدَ دِماغُهُ.

[٢]وقال أبو نعيم: سمعتُ عمر البنَّاء البغدادي بمكة يحكي محنةَ غلام خليل، قال: نسبوا الصُّوفية إلى الزندقة، فأمر الخليفة المعتمد في سنة أربع وستين ومئتين بالقبض عليهم، فأخذَ في جملتهم النُّوريّ فأُدخِلُوا على الخليفة، فأمر بضرب أعناقهم، فبادرالنُّوريُّ إلى السَّيَّاف فقيل له في ذلك، فقال: آثرت حياتَهم على نفسي ساعة، فتوقف السَّيَّاف عن قتله، ورفع أمره إلى الخليفة فردَّ الخليفة أمرهم إلى قاضي القُضاة إسماعيلَ بنِ إسحاق، فسأل أبا الحسين النُّوري عن مسائل العبادات فأجاب، ثم قال: وبعد هذا، فللَّه عباد يَنطقُون بالله، ويأكلون بالله ويسمعون بالله، فبكى إسماعيل القاضي. وقال: إن كان هؤلاء القوم زنادقة، فليس في الأرض مُوحِّد، فأطلقوهم.

[٣]أبو نعيم، سمعتُ أبا الفرج الورثاني، سمعت عليَّ بن عبدالرحيم يقول: دخلت على النُّوريِّ، فرأيتُ رجليه منتفختين، فسألته عن أمره فقال: طالبتني نفسي بأكل تَمر، فدافعتُها، فأبت عليَّ فاشتريته فلما أكلت، قلت: قومي فصلِّي، فأبت، فقلت: لله عليَّ إن قَعَدت على الأرضِ أربعينَ يوماً، فما قعدتُ ـ يعني إلاَّ في صلاة.

[٤]وعن النُّوريِّ قال: من رأيتَه يدَّعي مع الله حالةً تُخرِج عن الشرع فلا تَقْرَبن منه.

[٥]قال ابن جهضم: حدثني أبو بكر الجلاء قال: كان النُّوري إذا رأىٰ منكراً غيَّره، ولو كان فيه تَلَفُهُ، نزل يوماً، فرأىٰ زورقاً فيه ثلاثون دَنّاً، فقال للملاَّح: ما هذا؟

(١) انظر السير: ١٤/ ٧٠ـ ٧٧.

قال: ما يلزمك؟ فألحَّ عليه، فقال: أنت والله صُوفيٌّ كثير الفضول، هذا خمر للمُعتضد، قال: أعطِني ذلك المِدْرى فاغتاظ وقال لأجيره: ناوِله حتى أُبصرَ ما يصنع، فأخذه، ونزل فكسَّرها كلَّها غير دَنّ، فأُخِذ وأُدخِلَ إلى المعتضد، فقال: مَن أنتَ ويلك؟ قال: مُحتسِب، قال: ومَن ولاَّك الحِسبَة؟ قال: الذي ولاَّك الإمامة يا أميرَ المؤمنين! فأطرق: وقال: ما حَمَلَك على فِعلك؟ قال: شفقة مِنِّي عليك! قال: كيف سَلِم هذا الدَّنّ؟ فذكر أنه كان يكسر الدنان ونفسُه مُخلِصَةٌ خاشِعةٌ، فلمَّا وصل إلى هذا الدَّنِّ أعجبَتْهُ نفسُه، فارتاب فيها، فتركه.

عن أبي أحمد المغازلي قال: ما رأيت أحداً أقطُّ أعبدَ من النُّوري. قيل: ولا الجُنيد؟ قال: ولا الجُنيد.

[١]وقيل: إن الجُنيد مرض مرَّة فعاده النُّوريّ، فوضع يدَهُ عليه، فعُوفِيَ لوقتِه.

توفِّي النُّوريُّ قبل الجُنيد وذلك في سنة خمس وتسعين ومئتين، وقد شاخ رحمه الله. وموتُ الجنيد في سنة ثمان وتسعين.

[٢] قال أبو بكر العطوي: كنتُ عند الجُنيد لما احتُضِر، فختم القرآن ثم ابتدأ سورة البقرة، فتلا سبعينَ آيةً ومات.

[٣]قال الخلدي: رأيتُه في النَّوم فقلت: ما فعلَ اللهُ بكَ؟ فقال: طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العِبارات، وفَنِيَت تلك العلوم، ونَفِدَت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركعاتٌ كُنَّا نركَعُها في الأسحار.

٥٩٩ علي بن أبي طاهر(١)

[٤]**الإمام الحافظ الأوحد الثِّقة، أبو الحسن، عليّ بن أبي طاهر أحمدَ بنِ الصَّبّاحِ القَزوينيُّ.**

[٥] وثَّقه الخليلي، وقال: سمعتُ الحسن بن أحمد بنِ صالح يحكي عن سليمانَ ابن يزيد: أن عليّ بنَ أبي طاهر لما رحل إلى الشام، وكتب الحديث جعل كتبه في

(١) انظر السير: ١٤/٨٧-٨٨.

صندوق، وقَيَّرَه، وركبَ البحر، فاضطربت السفينة وماجت، فألقى الصندوق في البحر، ثم سكنت السفينة، فلما خرج منها أقام على الساحل ثلاثاً يدعو الله، ثم سجَد في الليلة الثالثة، وقال: إن كان طلبي ذلك لوجهك وحبِّ رسولك، فأغِثني بردِّ ذلك، فرفع رأسه فإذا بالصندوق مُلقى عنده، فقدم، وأقام بُرهَة، ثم قصدوه لسماع الحديث فامتنع منه. قال فرأيتُ النَّبيَّ ﷺ، في منامي، ومعه عليٌّ رضي الله عنه، فقال النبي ﷺ: يا عليُّ من عامل الله بما عاملَك به على شط البحر؟! لا تمتنع من رواية أحاديثي. قال: فقلت: قد تُبتُ إلى الله، فدعا لي وحثَّني على الرِّواية.

مات سنة نيفٍ وتسعين ومئتين، رحمه الله.

الطبقة السابعة عشرة

٦٠٠ النَّسَائيّ[1]

[١]**الإمامُ الحافظ الثَّبْتُ، شيخ الإسلام، ناقد الحديث، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخُراساني النَّسائي، صاحب السُّنَن.**

وُلِدَ بنَسَا في سنة خمس عشرة ومئتين، وطلب العلم في صِغَره.

وكان من بحور العلم، مع الفهم، والإتقان، والبَصَر، ونقد الرِّجال وحسن التأليف.

وكان شيخاً مَهيباً، مليحَ الوجه، ظاهر الدَّم، حَسَنَ الشَّيبَة.

[٢]وكان نَضِرَ الوجه مع كِبَر السِّن، يؤثر لباسَ البُرُود النوبيَّة والخضر، ويكثر الاستمتاع، له أربعُ زوجات، فكان يَقسِم لهنّ، ولا يخلو مع ذلك من سُرِّيَّة، وكان يُكثِر أكلَ الديوك، تُشترى له وتسمَّن وتُخصى.

[٣]وقال الوزير ابن حِنْزابة: سمعت محمد بن موسى المأموني ـ صاحب النَّسائي قال: سمعت قوماً ينكرون على أبي عبدالرحمن النسائي كتاب: «الخصائص» لعليٍّ رضي الله عنه، وتركَهُ تصنيفَ فضائلِ الشَّيخين، فذكرت له ذلك، فقال: دخلت دمشق والمنحرف بها عن عليٍّ كثير، فصنَّفت كتاب «الخصائص» رجوتُ أن يهديَهُمُ الله تعالى. ثم إنه صنَّف بعد ذلك فضائلَ الصحابة، فقيل له وأنا أسمع: ألا تُخرجُ فضائلَ معاوية رضي الله عنه؟ فقال: أيّ شيء أُخرج؟ حديث «اللَّهُمَّ لا تُشبع بَطْنَه» فسَكت السَّائل.

قلتُ: لعلَّ أن يقال: هذه مَنقَبَةٌ لمعاوية لقوله ﷺ «اللَّهُمَّ من لعنتُه أو سَببتُهُ فاجعل ذلك له زكاةً ورحمة».

قال الحاكم: كلام النَّسائي على فقه الحديثِ كثير، ومن نظر في سُنَنِه تحيَّر في حُسن كلامه.

---

(١) انظر السير: ١٤/١٢٥ـ ١٣٥.

[١]قال ابن الأثير في أول «جامع الأصول»، وكان شافعيًّا، له مناسك على مذهب الشافعي، وكان ورعاً متحرياً، قيل: إنَّه أتى الحارث بن مسكين في زي أنكره، عليه قَلنسوة وقَباء، وكان الحارث خائفاً من أمور تتعلق بالسلطان. فخاف أن يكون عيناً عليه، فمنعه، فكان يجيء فيقعد خلف الباب ويسمع، ولذلك ما قال: حدثنا الحارث، وإنَّما يقول: قال الحارث بنُ مسكين قراءةً عليه وأنا أسمع.

قال ابن الأثير: وسأل أميرٌ أبا عبدالرحمن عن سُنَنه: أصحيح كلُّه؟ قال: لا. قال. فاكتب لنا منه الصَّحيح، فجرَّد المُجتَنىٰ(١).

قلت: هذا لم يصح، بل المجتنى اختيار ابن السنِّي.

قال الحافظ ابن طاهر: سألتُ سعد بن علي الزَّنجَاني عن رجل، فوثقه.فقلت: قد ضعفه النسائي، فقال: يا بُنيّ! إن لأبي عبدالرحمن شرطاً في الرِّجال أشدَّ من شرط البخاري ومسلم.

قلت: صَدَق، فإنَّه ليَّن جماعة من رجال صحيحي البخاري ومُسلم.

قال محمد بن المظفر الحافظ: سمعتُ مشايخَنا بمِصرَ يصِفون اجتهادَ النَّسائي في العبادة بالليل والنهار، وأنَّه خرج إلى الفِداء مع أمير مِصرَ فَوُصِفَ من شهامته وإقامته السُّنن المأثورة في فِداء المسلمين، واحترازِه عن مجالس السلطان الذي خرج معه، والانبساطِ في المأكل، وأنه لم يزل ذلك دأبَه إلى أن استُشهد بدمشق من جهة الخوارج.

[٢]عن حمزةَ العَقبي المصري وغيره، أن النَّسائي خرج من مِصر في آخر عمره إلى دِمَشق، فسُئِل بها عن معاوية وما جاء في فضائله، فقال: لا يَرضى رأساً برأسٍ حتى يُفضَّل؟ قال: فما زالوا يدفعون في حِضنَيه(٢) حتى أُخرِج من المسجد، ثم حُملَ إلى مكَّة فتوفي بها، كذا قال، وصوابه: إلى الرَّملة.

قال أبو سعيد ابن يونس في «تاريخه» كان أبو عبدالرحمن النسائي إماماً حافظاً

(١) كذا الأصل «المجتنى» بالنون، وهو في «جامع الأصول» المجتبى بالباء وكلاهما صحيح.
(٢) وهما جنباه، وفي «شذرات الذهب» خصيتيه.

ثبتاً، خرج من مِصر في شهر ذي القعدة من سنة اثنتين وثلاث مئة وتوفي بفلسطين في يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من صفر سنة ثلاث.

[١]قلتُ: ولم يكن أحد في رأس الثلاث مئة أحفظ من النسائي، هو أحذَقُ بالحديث وعلله ورجاله من مسلم، ومن أبي داود، ومن أبي عيسى وهو جارٍ في مضمار البخاري، وأبي زُرعة إلّا أنَّ فيه قليلَ تشيُّعٍ وانحرافٍ عن خصومِ الإمام عليّ، كمعاويةَ وعَمرو، والله يُسامِحهُ.

وقد صنَّف مسندَ عليّ وكتاباً حافلاً في الكنى، وأما كتاب: «خصائص عليّ» فهو داخل في «سُننه الكبير» وكذلك كتاب (عمل يوم وليلة) وهو مجلد، هو من جملة (السنن الكبير) في بعض النسخ، وله كتاب «التفسير» في مجلد، وكتاب «الضعفاء» وأشياء والذي وقع لنا من سُننَهِ هو الكتاب المُجتَنَى منه، انتخاب أبي بكر بن السُّني.

٦٠١ صَاحِبُ خُراسان(١)

[٢]**الأميرُ أبو إبراهيم، إسماعيل بن الملك أحمدَ بنِ أسد بن سامان بن نوح.**

كان مَلكاً فاضِلاً، عالماً، فارساً، شُجاعاً، ميمونَ النقيبةَ، معظِّماً للعلماء، يُلقبُ بالأمير الماضي.

أخذ عنه ابن خزيمة وغيره.

[٣]قال ابن قانع: سمعتُ عيسى بن محمد الطهماني: سمعت الأمير إسماعيل يقول: جاءنا أبونا بمُؤدِّب، فَعَلَّمنا الرَّفض. فَنِمتُ، فرأيت النبي ﷺ، ومعه أبو بكر وعمر، رضي الله عنهما فقال لي: «لم تَسُبُّ صاحِبيَّ؟» فوقفت، فقال لي بيده، فنفضها في وجهي فانتبهت فزعاً أرتعدُ من الحمَّى، فكنت على الفِراش سبعة أشهر، وسقَط شعري، فدخَل أخي، فقال: أيش قِصَّتُك؟ فأخبرته، فقال: اعتذر إلى رسول الله ﷺ، فاعتذرتُ وتبتُ، فما مرَّ لي إلاّ جُمعةٌ حتى نبت شعري.

(١) انظر السير: ١٤/١٥٤-١٥٥.

قلتُ: كان هو وآباؤه ملوك بخارىٰ وسَمَرقَند، وله غزوات في التّرك وهو الذي ظفر بعمـرو بن الليث وأسـره، فجاءه من المعتضِد التقليدُ بولاية خُراسان وما يليها، وكانت سلطَنَتُهُ مدَّةَ سبعِ سنين.

توفيِّ ببخارىٰ سنة خمس وتسعين ومئتين، فتملَّك بعده، ابنُهُ أحمد.

ومات ابنه السلطان أبو نصر أحمد سنة إحدى وثلاثِ مئة، قتله مماليكُه، ثم مَلَّكوا ولَدَه نصراً، فدام ثلاثين عاماً، فأحسن السيرة وعظمت هَيبَتُه.

٦٠٢ ابن مَنْدة(١)

[١]الإمامُ الكبيرُ الحافظُ المجوِّد، أبو عبدالله، محمدُ بنُ يَحيى بن مَندَة، العبدي مولاهم الأصبهاني.

وُلِدَ في حدود العشرينَ ومئتين في حياة جَدِّهم مَندة.

وكان ينازع الحافظَ أحمد بن الفُرات، ويذاكِرهُ، ويرادِدُه وهو شاب.

ومات ابن مندة في رجب سنة إحدى وثلاثِ مئة.

[٢] محمد بن يحيى بن مندة، حدثنا أبو بكر بن أبي النضر، حدثنا أبو النضر، حدثنا أبو عقيل الثقفي، حدثنا مجالد، حدثنا عوْن بن عبدالله بن عتبة، عن أبيه قال: «ما ماتَ النبي ﷺ حتى قرأ وكتب»(٢).

[٣]قلتُ: لم َيرِدْ أنه ﷺ، كتبَ شيئاً، إلاَّ ما في «صحيح البخاري» من أنَّه يوم صُلح الحديبية كتب اسمَه «محمد بن عَبدِ الله» واحتج بذلك القاضي أبو الوليد الباجي، وقام عليه طائفة من فقهاء الأندلس بالإنكار، وبدَّعُوه حتى كفَّره بعضُهم، والخطبُ يسير، فما خرج عن كونه أُمياً بكتابة اسمه الكريم، فجماعة من الملوك ما عَلِموا من الكتابة سوى مجرَّدِ العَلامة، وما عدَّهُمُ النَّاس بذلك كاتِبين، بل هم أُميُّون فلا عبرةَ بالنَّادر، وإنما الحكمُ للغَالب، واللهُ تعالى فمِن حِكمَتِهِ لم يلهم نبيَّه

---

(١) انظر السير: ١٤/١٨٨-١٩٣.

(٢) اسناده ضعيف لضعف مجالد - وهو ابن سعيد الهمداني الكوفي، وأورده الحافظ في «الفتح» ٧/٣٨٦-٣٨٧ وقد تحرف فيه مجالد إلى مجاهد ونسبه لابن أبي شيبة، وضعّفه.

تعلُّم الكتابة، ولا قراءة الكتب حَسماً لمادة المبطلين، كما قال تعالى: ﴿وما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ولا تَخُطُّهُ بِيمِينِكَ إذاً لارْتَابَ المُبْطِلُون﴾، [العنكبوت ٤٨].

ومع هذا فقد افترَوْا وقالوا: ﴿أساطِيْرُ الأوَّلِيْنَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيه﴾ [الفرقان ٥].

فانظر إلى قِحَةِ المعانِد، فمن الذي كان بمكةَ وقتَ المبعث يدري أخبارَ الرُّسلِ والأُمم الخالية؟ ما كان بمكَّةَ أحدٌ بهذه الصفة أصلًا، ثم ما المانع من تعلُّم النَّبيِّ ﷺ، كتابةَ اسمِه واسم أبيه مع فَرْط ذكائِه وقوَّة فَهمِه، ودوام مُجالسَته لمن يكتبُ بين يديه الـوحيَ والكُتبَ إلى ملوك الطَّوائف، ثم هذا خاتمَهُ في يده ونقشُه: محمد رسولُ الله فلا يظن عاقلٌ أنه - عليه السلام - ما تعقَّل ذلك، فهذا كلُّه يَقتضي أنَّه عرف كتابةَ اسمِه واسم أبيه، وقد أخبر الله بأنَّه - صلوات الله عليه - ما كان يَدري ما الكتاب؟ ثم علَّمه الله تعالى ما لم يكن يعلم، ثم الكتابة صفة مدح، قال تعالى: ﴿الذي علَّم بِالقَلَمِ، علَّمَ الإنسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق ٤-٥].

فلمَّـا بلَّغَ الرسالة، ودخل الناسُ في دين الله أفواجاً، شاء الله لنبيِّه أن يتعلَّم الكتابة النَّادرة التي لا يخرج بمثلِها عن أن يكون أُمِّيّاً ثم هو القائل «إنّا أُمَّةٌ أُمِّيَّة لا نَكْتُبُ ولا نَحْسِبُ»، فصدقَ إخبارُهُ بذلك، إذ الحُكم للغالب، فنفى عنه وعن أُمَّتهِ الكتابَةَ والحِسابَ لندور ذلك فيهم وقِلَّته، وإلَّا فقد كان فيهم كتَّابُ الوحي وغير ذلـك، وكان فيهم من يحسُب وقال تعالى: ﴿ولِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ والحِسَابَ﴾ [الإسراء ١٢].

ومن عِلمهم الفرائضُ وهي تحتاجُ إلى حساب وعَوْل، وهو عليه السَّلام فنفى عن الأُمَّة الحِسَاب، فعَلمنا أنَّ المنفيَّ كمالُ علم ذلك ودقائقه التي يقوم بها القِبْطُ والأوائل، فإنَّ ذلك ما لم يَحْتَج إليه دين الإسلام ولله الحمد، فإن القِبطَ عمَّقوا في الحِسـاب والجَبـر، وأشياء تُضيِّعُ الـزَّمان. وأربابُ الهيئة تكلَّموا في سير النُّجوم والشَّمس والقمر، والكسوف والقِران[1] بأمورٍ طويلة لم يأتِ الشرعُ بها، فلمَّا ذكر

(١) يعني قران الكواكب.

ﷺ الشهور ومعرفتها، بيَّنَ أنَّ معرفَتَها ليست بالطُّرق التي يفعلُها المُنجِّم وأصحابُ التقويم، وأن ذلك لا نعبأُ به في ديننا، ولا نحسُبُ الشهر بذلك أبداً ثم بيَّن أنَّ الشهر بالرُّؤية فقط، فيكون تسعاً وعشرين، أو بتكملة ثلاثين فلا نحتاجُ مع الثلاثينَ إلى تكلُّف رؤية.

وأما الشِّعر: فنزَّهه الله تعالى عن الشِّعر، قال تعالى ﴿وَمَا عَلَّمناهُ الشِّعْرَ وما يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس ٦٩].

فما قال الشِّعر مع كَثرته وَجَوْدَتِهِ في قُريش وجرَيان قرائِحِهم به، وقد يقعُ شيءٌ نادرٌ في كلامه ـ عليه السلام ـ موزونا، فما صار بذلك شاعراً قطّ.

كقوله:

أنا النَّبيُّ لاكَذِبْ أنا ابنُ عبد المُطَّلِبْ

وقوله:

هل أنتِ إلا إصبع دَمِيْتِ وفَي سبِيلِ الله ما لَقِيتِ

ومثلُ هذا قد يقع في كُتب الفقه والطِّب وغير ذلك ممّا يقع اتفاقاً ولا يقصده المؤلف ولا يشعرُ به، أفيقولُ مسلم قطّ: إنَّ قولَه تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كالجَوابِ وقُدُورٍ رَاسيَاتٍ﴾ [سبأ ١٣].

هو بيت؟! معاذ الله! وإنَّما صادف وزناً في الجملة، والله أعلم.

٦٠٣ ابنُ سُرَيج(١)

[١]الإمامُ، شيخُ الإسلام، فقيهُ العِراقَين(٢)، أبو العبَّاس، أحمدُ بنُ عمرَ بنِ سُريج البغداديّ، القاضي، صاحبُ المصنَّفات.

وُلِدَ سنة بضع وأربعين ومئتين، وسمعَ في الحَداثة. وتفقَّه بأبي القاسم عثمان ابن بشار الأنماطي الشَّافعي، صاحب المزني، وبه انتشر مذهب الشَّافعيِّ، ببغداد، وتخرَّج به الأصحاب.

---

(١) انظر السير: ١٤/٢٠١ـ ٢٠٤. (٢) يعني: البصرة والكوفة.

[١]وقال أبو عليّ بن خَيران: سمعت أبا العباس بن سُرَيج يقول: رأيتُ كأنَّما مُطِرنا كِبريتاً أحمر، فملأت أكمامي وحِجري، فَعُبِّر لي: أن أُرزق عِلماً عزيزاً كعِزَّة الكبريت الأحمر.

[٢]وقال الحاكم: سمعتُ حسَّان بن محمد يقول: كنَّا في مجلس ابن سُريج سنة ثلاث وثلاث مئة، فقام إليه شيخ من أهل العلم فقال: أَبشر أيُّها القاضي. فإن الله يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدِّد ـ يعني للأُمَّة أمر دينها، وإن الله تعالى بعث على رأس المئة عُمر بن عبدالعزيز وبعث على رأس المئتين محمد بن إدريس الشافعي، وبعثك على رأس الثلاث مئة ثم أنشأ يقول:

اثنان قد ذَهَبَا فَبُورِكَ فِيهما ... عُمَرُ الخليفةُ ثم حلفُ السُّؤددِ

الشافِعيُّ الألمعيُّ محمدٌ ... إرثُ النُّبوَّةِ وابنُ عمِّ محمَّدِ

أبشر أبا العباس إنك ثالث ... من بعدهم سقياً لِتُربةِ أحمدِ

قال: فصاح أبو العباس، وبكى، وقال: لقد نعي إليَّ نَفسي. قال حسَّان الفقيه: فمات القاضي أبو العباس تلك السَّنة.

[٣]قلتُ: وقد كان على رأس الأربع مئة الشيخُ أبو حامد الإسفَراييني وعلى رأس الخمس مئة أبو حامد الغزالي، وعلى رأس الست مئة الحافظ عبدالغني، وعلى رأس السبع مئة شيخنا أبو الفتح ابنُ دَقيق العِيد.

وإن جعلتَ من يُجَدِّد لفظاً يصدُقُ على جماعة ـ وهو أقوى ـ فيكون على رأس المئة عُمر بن عبدالعزيز خليفةُ الوقت، والقاسم بن محمد والحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وأبو قِلابَة، وطائفة، وعلى رأس المئتين مع الشَّافعيّ، يزيدُ بن هارون، وأبو داود الطَّيالسي، وأشهبُ الفقيه، وعدة. وعلى رأس الثلاث مئة مع ابن سُرَيج، أبو عبدالرحمن النَّسائي، والحسن بن سُفيان، وطائفة.

٦٠٤ ابنُ الحَدَّاد(١)

[١]الإمامُ، شيخُ المالكية، أبو عثمان، سعيدُ بن محمد بن صبيح بن الحداد المغربي، صاحبُ سُحْنُون، وهو أحد المجتهدين، وكان بحراً في الفروع، ورأساً في لسان العرب، بصيراً بالسنن.

[٢] وكان يذم التقليد ويقول: هو من نقص العُقول، أو دناءة الهِمم.

[٣] ويقول: ما للعالِم وملائَمَة المَضاجِع.

[٤] وكان يقول: دليلُ الضبطِ الإقلال، ودليل التقصيرِ الإكثار.

وكان من رؤوس السُّنَّة.

[٥] قال ابن حارث: له مقامات كريمة، ومواقف محمودة في الدفع عن الإسلام، والذب عن السُّنَّة، ناظر فيها أبا العباس المعجوقي أخا أبي عبدالله الشِّيعي الداعي إلى دولة عبيد الله، فتكلَّم ابنُ الحداد ولم يَخَف سَطوة سُلطانهم، حتى قال له ولده أبو محمد: يا أبَة! اتّقِ الله في نفسِك ولا تبالغ، قال:حَسبي مَن له غَضِبتُ، وعن دِينه ذَبَبْت.

وله مع شيخ المعتزلة الفرّاء مناظراتٌ بالقيروان، رجع بها عدد من المبتدعة.

[٦]قال أبو بكر بن اللباد: بينا سعيد بن الحداد جالس أتاه رسول عبيد الله ـ يعني المهدي ـ قال: فأتيته وأبو جعفر البغداديّ واقف فتكلّمت بما حضرني، فقال: اجلس. فجلست، فإذا بكتابٍ لطيف، فقال لأبي جعفر: اعرض الكتاب على الشيخ. فإذا حديثُ غَدِير خُمّ(٢). قلتُ: وهو صحيح وقد رَوَيْناه.

فقال عُبَيد الله: فما للنَّاس لا يكونون عبيدنا؟ قلتُ: أعزَّ اللهُ السيِّد،لم يرد ولاية

---

(١) انظر السير: ١٤/٢٠٥-٢١٤.

(٢) أخرج الإمام أحمد في «مسنده» ٢/٣٧٢ عن سفيان، ثنا أبو عوانة، عن المغيرة عن أبي عبيد، عن ميمون قال: قال زيد بن أرقم ـ وأنا أسمع: نزلنا مع رسول الله ﷺ بواد يقال له: وادي خمّ، فأمر بالصلاة، فصلاها بهجير، قال: فخطبنا وظلل لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فقال: ألستم تعلمون، أو لستم تشهدون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فإنّ علياً مولاه. اللهم عادِ من عاداه ووالِ من والاه» وإسناده صحيح.

الرِّق، بل ولاية الدِّين، قال: هل من شاهد؟ قلتُ: قال الله تعالى: ﴿ما كان لبشرٍ أن يُؤتِيَهُ اللهُ الكِتَابَ والحُكْمَ والنُّبُوَّةَ ثم يقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِباداً لي مِن دُونِ الله﴾ [آل عمران ٧٩]. فما لم يكن لنبيٍّ الله لم يكن لغيره. قال: انصرف لا ينالُكَ الحرّ فتبعني البغدادي فقال: اكْتُم هذا المجلس.

[١] وقال موسى بن عبدالرحمن القطَّان: لو سمعتم سعيد بن الحداد في تلك المحافل - يعني مناظرته للشِّيعي - وقد اجتمع له جهارةُ الصوت وفخامة المنطق، وفصاحة اللسان وصواب المعاني، لتَمنَّيتُم أن لا يسكُت.

[٢] وقيل: إنَّه سار لتلقِّي أبي عبدالله الشِّيعي، فقال له: أوَ لمْ يقُلْ رسولُ الله ﷺ «وأقضَاكُم عَلِيٌّ. . . » فساق له موسى تمامه وهو «وأعَلَمُكُم بالحَلالِ والحرام مُعَاذ، وأرأَفُكُمْ أبو بَكر، وأشدُّكُم في دِينِ الله عُمَر» قال: كيف يكون أشدَّهم وقد هرب بالراية يوم خَيْبَر؟ قال موسى: ما سمعنا بهذا. فقلت: إنَّما تحيَّزَ إلى فئةٍ فليس بفَارٍّ.

وقال في ﴿لا تحزَن إنَّ اللهَ مَعَنَا﴾ [التوبة ٤٠] إنما نهاه النبي ﷺ عن حُزنه لأنَّه كان مسخوطاً. قُلت: لم يكن قوله إلا تبشيراً بأنَّه آمنٌ على رسول الله وعلى نفسه فقال: أين نظيرُ ما قلتَ؟ قلت: قولُهُ لموسى وهارون: ﴿لاتخافا إنَّني مَعَكُما أسمعُ وأرىٰ﴾ [طه ٤٦].

فلم يكن خوفهما من فرعون خوفاً بسخط الله.

ثم قال: يا أهل البلدة: إنَّكم تبغضُون عليّاً؟ قلت: على مُبغِضِه لعنةُ الله. فقال: صلى الله عليه. قُلتُ: نَعَمْ، ورفعتُ صوتي: صلى الله عليه وسلم، لأن الصلاة في خطاب العرب الرحمةُ والدُّعاء، قال: ألم يقل رسول الله ﷺ، «أنت مني بمنزلة هارونَ من موسى»؟ قلتُ: نعم، إلَّا أنّه قال: «إلَّا أنَّه لانَبِيَّ بعدي». وهارون كان حجَّة في حياة موسى، وعليٌّ لم يكن حجَّةً في حياة النبي، وهارونُ فكان شريكاً أفكان عليٌّ شريكاً للنبيِّ ﷺ، في النُّبُوَّة؟ وإنَّما أراد التقريب والوزارة والولاية. قال: أو ليسَ هو أفضلَ؟ قلت: أليس الحقُّ مُتَّفقاً عليه؟ قال: نعم. قلتُ: قد ملكت

مدائنَ قبل مدينتنا، وهي أعظمُ مدينة، واستفاض عنك أنك لم تُكرِه أحداً على مذهَبك، فاسلُكْ بنا مسلَكَ غيرنا ونَهضنا.

وقيل: لم يُر أغزرُ دمعَةً من سعيد بن الحداد، وكان قد صَحِب النُسَّاك، وكان مُقِلاًّ حتى مات أخ له بصقِلِّيَّة، فورث منه أربعَ مئة دينار فبنى منها دارَهُ بمئتي دينار. واكتسى بخمسين ديناراً، وكان كريماً حليماً.

[١] وكان يقول: القُربُ من السلطان في غير هذا الوقت حتفٌ من الحُتوف فكيف اليوم؟

[٢] وقال: من طالت صُحبَتُهُ للدُّنيا وللنَّاس فقد ثَقُل ظهرُه. خاب السَّالون عن الله، المتنعمون بالدُّنيا. من تحبب إلى العباد بالمعاصي بَغَّضَهُ الله إليهم.

[٣] وقال: ما صدَّ عن الله مثلُ طلب المحامِد، وطلب الرِّفعة.

مات أبو عثمان سنة اثنتين وثلاث مئة، وله ثلاث وثمانون سنة رحمه الله.

٦٠٥ ابن البَرْدُون(١)

الإمامُ الشهيد المُفتي، أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بنِ البَرْدُون الضَّبّي مولاهم الإفريقيُّ المالكي، تلميذُ أبي عثمان بن الحدَّاد.

[٤] وكان مناقضاً للعراقيِّين، فدارت عليه دوائر في أيام عبيد الله وضُرِبَ بالسِّياط، ثم سَعَوا به عند دخول الشيعيّ إلى القيروان، وكانت الشِّيعة تميل إلى العراقيين لموافقتهم لهم في مسألة التفضيل ورخصة مذهبهم، فَرفَعوا إلى أبي عبدالله الشِّيعِي: أن ابن البَردُون وأبا بكر بنَ هُذيل يطعنان في دولتهم، ولا يفضِّلان علياً. فحبسهما، ثم أمرَ متولِّي القيروان أن يضرب ابن هذيل خمسَ مئةٍ سوط، ويضربَ عنق ابنِ البَردُون فغلط المُتولِّي فقتلَ ابن هُذيل، وضربَ ابنَ البَردون، ثمَّ قتلَه من الغد.

[٥] وقيل لابن البردون لمَّا جرِّد للقتل: أترجع عن مذهبك؟ قال: أعن الإسلام

(١) انظر السير: ١٤/٢١٥-٢١٧.

أرجع؟ ثم صُلبَا في سنة تسع وتسعين ومئتين. وأمر الشيعيُّ الخبيث أن لا يُفتى بمذهب مالك، ولا يُفتى إلا بمذهب أهل البيت ويَرون إسقاط طلاق البتّة، فبقيَ من يتفقّه لمالك إنَّما يتفقَّه خِفية.

٦٠٦ ابنُ خَيرون (١)

[١] الإمامُ أَبو جعفر، محمدُ بن خَيرون المَعَافِريُّ مولاهم القُرطبي.

[٢] قال بعضُهُم: كنتُ جالساً عند ابن أبي خِنزير فدخل شيخٌ ذو هيئة وخشوع، فبكى ابن أبي خِنزير وقال: السلطان ـ يعني عبيد الله ـ وجَّه إليَّ يأمرني بدوس هذا حتى يموت. ثم بَطَحَه، وقفز عليه السُّودان حتى مات، لجِهاده وبغُضِه لعبيد الله وجُنده.

[٣]وكـان سعى به المروذي اللَّعين، ولمَّا رأى ابن أبي خِنزير كثرةَ أذاهُ للعلماء، تحيَّل وسعىٰ به، حتَّى قَتَلَه عبيد الله سنةَ ثلاثِ مئةٍ أو بعدها، فيا مالَقِيَ الإسلام وأهلُه من عبيد الله المَهديِّ الزِّنديق.

٦٠٧ يوسُفُ بنُ الحُسين (٢)

[٤]الرَّازي، الإمامُ، العارفُ، شيخُ الصُّوفيَّة، أبو يعقوب. أكثر التَّرحال، وأخذ عن ذي النُّون المِصري، وأحمدَ بنِ حنبل، وأحمد بن أبي الحَوَاري.

[٥] قال السُّلمي: كان إمامَ وقته، لم يكن في المشايخ أحدٌ على طريقته في تذليل النَّفس وإسقاط الجاه.

[٦] قال أبو القاسِم القُشَيْري: كان نسيجَ وحْدِه في إسقاط التَّصَنُّع. يقال: كَتَب إلى الجُنيد: لا أذاقَكَ الله طعمَ نَفْسِك، فإن ذُقْتَها لا تُفلح.

[٧] وقال: إذا رأيتَ المُريد يشتغلُ بالرُّخص فاعلم أنَّه لايجيءُ منه شيء.

---

(١) انظر السير: ١٤/٢١٧.

(٢) انظر السير: ١٤/٢٤٨ـ ٢٥١.

قال السلمي : كان مع علمه وتمام حاله ـ هَجرَهُ أهلُ الرَّي وتكلَّموا فيه بالقبائح، خصوصاً الزُّهّاد، وأفشَوا أموراً، حتى بلغني أنَّ شيخاً رأى في النوم كأنَّ براءةً نزلت من السماء فيها مكتوب: هذه براءةٌ ليوسفَ بن الحسين مما قيل فيه. فسكتوا.

[١]وعنه قال: بالأدب تتفهَّم العلم، وبالعلم يصحُّ لك العمل، وبالعمل تنالُ الحكمة، وبالحكمة تفهم الزُّهد، وبالزُّهدِ تتركُ الدُّنيا، وترغب في الآخرة، وبذلك تنال رِضى الله تعالى.

مات سنة أربع وثلاث مئة، رحمه الله.

٦٠٨ ابنُ الجَلاَّء(١)

[٢]**القدوة العارف، شيخُ الشَّام، أبو عبدالله ابن الجَلاَّء، أحمد بنُ يَحيى، صحب والدَه، وأبا تراب النَّخْشَبيّ، وذا النُّونِ المصري وحكى عنه.**

أقام بالرملة وبدمشق، وكان يُقال: الجُنيد ببغداد، وابن الجلاَّء بالشام وأبو عثمان الحِيري بنَيسابور ـ يعني لا نظير لهم.

[٣]قال الدُّقِّي : ما رأيتُ شيخاً أهيَبَ من ابن الجَلاَّء مع أني لقيتُ ثلاثَ مئة شيخ، فسمعتُهُ يقول: ما جلا أبي شيئاً قطّ، ولكنه كان يَعِظ، فيقع كلامه في القلوب، فسمي جلاَّءَ القلوب.

قال محمد بن علي بن الجُلندي : سئل ابن الجلاَّء عن المحبَّة فسمعته يقول: مالي وللمحبة؟ أنا أريد أتعلم التَّوبة.

[٤]قال أبو عمر الدِّمشقي : سمعتُ ابن الجلاَّء يقول: قلتُ لأبويَّ : أحبُّ أن تهَبَاني لله. قالا : قد فَعَلنا. فغِبْتُ عنهم مدَّة، ثم جئت فدققت الباب فقال أبي : من ذا؟ قلت: ولدُك، قال: قد كان لي ولدٌ وَهَبْنَاهُ لله، وما فتحَ لي.

[٥]وعن ابن الجلاَّء قال: آلةُ الفقير صِيانةُ فَقره، وحِفظ سِرِّه، وأداءُ فَرضِه.

توفِّي في سنة ستٍّ وثلاث ومئة.

(١) انظر السير: ١٤/٢٥١ـ ٢٥٢.

٦٠٩ ابنُ عَطَاء[1]

[١]**الزَّاهد العابد المتأله، أبو العبَّاس، أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدَميُّ البغداديُّ.**

[٢]كان له في كل يوم خَتمة، وفي رمضان تسعون ختمة، وبقي في ختمة مُفردةٍ بضعَ عشرةَ سنة يتفهم ويتدبر.

[٣]وقال حسينُ بن خاقان: كان ينام في اليوم والليلة ساعتين. مات في سنة تسعٍ وثلاثِ مئة، في ذي القعدة.

[٤]قلتُ: لكنه راجَ عليه حالُ الحلاَّج، وصححه، فقال السُّلَمي: امتُحِن بسبب الحلاَّج، وطلبه حامد الوزير وقال: ما الذي تقول في الحلاَّج؟ فقال: مالك ولذاك؟ عليك بما نُدبت له من أخذ الأموال، وسفكِ الدِّماء فأمر به، ففُكَّت أسنانُه، فصاح: قطع الله يديك ورجليك، ومات بعد أربعة عشر يوماً، ولكن أجيب دعاؤه، فقطِعتْ أربعةُ حامد.

[٥]وقيل: إن ابن عطاء فقد عقله ثمانية عشر عاماً، ثم ثاب إليه عقله.

ثبَّت الله علينا عُقولنا وإيماننا، فمن تسبَّب في زوال عقله بجُوع ورياضةِ صَعبة، وخَلوة، فقد عَصى وأَثِمَ، وضاهىَ من أزال عقله بعض يومٍ بسُكر، فما أحسن التَّقيُّدَ بمتابعة السُّننِ والعِلم.

٦١٠ محمدُ بنُ جَرِير[2]

[٦]ابن يزيد، **الإمامُ العَلَم المجتهد، عالمُ العصر، أبو جعفر الطَّبَرِيّ،** صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طَبَرسْتَان.

مولـدُه سنـة أربـعٍ وعشرين ومئتين، وطلب العلمَ بعد الأربعينَ ومئتين وأكثر التّرحال، ولَقِيَ نبلاءَ الرجال، وكان من أفراد الدهرِ علماً وذكاءً وكثرةَ تصانيف، قلَّ

(١) انظر السير: ١٤/٢٥٥-٢٥٦.
(٢) انظر السير: ١٤/٢٦٧-٢٨٢.

أن ترى العيونُ مثلَه.

واستقرَّ في أواخر أمره ببغداد. وكان من كبار أئمَّةِ الاجتهاد.

قلتُ: كان ثِقةً، صادقاً، حافظاً، رأساً في التفسير، إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف، علاَّمةً في التاريخ وأيَّام النَّاس، عارفاً بالقراءات وباللغة، وغير ذلك.

[١]وقيل: إنَّ المكتفي أراد أن يُحَبِّسَ وقفاً تجتمع عليه أقاويل العلماء، فأحضر له ابن جرير، فأملى عليهم كتاباً لذلك، فأُخرجت له جائزة، فامتنع من قَبُولها، فقيل له: لابُدَّ من قضاء حاجة. قال: أسألُ أميرَ المؤمنين أن يمنعَ السُّؤالَ يومَ الجمعة، ففعل ذلك.

[٢]محمد بن أحمد الصحّاف السِّجستاني، سمعتُ أبا العبَّاس البَكريَّ يقول: جمعتِ الرِّحلةُ بين ابن ِجَرير، وابن خُزَيْمة، ومحمد بن نصر المَرْوزي، ومحمدِ ابن هارون الرُّوياني بمصر، فأرملوا ولم يبْقَ عندهم ما يقوتُهم، وأضَرَّ بهم الجوع فاجتمعوا ليلةً في منزلٍ كانوا يأوون إليه، فاتفق رأيُهم على أن يستهِموا ويضربوا القُرعة، فمن خرجت عليه القُرعة سأل لأصحابه الطعام.فخرجت القرعة على ابن خُزيمة، فقال لأصحابه أمهلوني حتى أُصلِّيَ صلاة الخِيرَة. قال: فاندفع في الصَّلاة، فإذا هم بالشُّموع وخَصِيٍّ من قِبَل والي مصر يدقُّ الباب، ففتحوا، فقال: أيُّكم محمدُ بنُ نَصر؟ فقيل: هو ذا، فأخرج صرَّة فيها خمسون ديناراً، فَدَفعها إليه، ثم قال: وأيُّكم محمد بنُ جَرير؟ فأعطاه خمسين ديناراً، وكذلك للرُّوياني، وابنُ خزيمة، ثم قال: إن الأميرَ كان قائلاً(١) بالأمس، فرأى في المنام أنَّ المحامد جياع قد طَوَوْا كشحَهم، فأنفذَ إليكم هذه الصُّرَرَ، وأقسمَ عليكم: إذا نفِذَت فابعثوا إليَّ أحدَكم.

[٣]وكان ربما أهدى إليه بعضُ أصدقائه الشَّيء فيقبله، ويكافِئه أضعافاً لِعِظَمِ مروءَته.

---

(١) أي: نائماً في القائلة، وهي نصف النهار. وفعلُه: قال يَقِيلُ.

[١]قال الخطيب: سمعتُ عليَّ بنَ عبيدِ الله اللُّغويَّ يحكي: أنَّ محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كلِّ يومٍ منها أربعينَ ورقة.

قال الخطيب: وبلغني عن أبي حامد أحمدَ بنِ أبي طاهر الإسفراييني الفقيه أنَّه قال: لو سافر رجلٌ إلى الصين حتى يُحَصِّلَ تفسير محمدَ بنِ جَرير لم يكن كثيراً.

قال الحاكم: سمعتُ حُسَيْنَك بنَ عليٍّ يقول: أول ما سألني ابنُ خُزيمة فقال لي: كتبتَ عن محمد بن جرير الطَّبري؟ قلت: لا، قال: ولِمَ؟ قلت: لأنَّه كان لا يَظهر، وكانتِ الحنابلة تمنع من الدُّخول عليه، قال: بئسَ ما فَعَلْتَ، ليتَك لم تكتب عن كلِّ مَن كتبتَ عنهم، وسمعتَ من أبي جعفر.

قال الحاكم: وسمعتُ أبا بكر بنَ بالُويه يقول: قال لي أبو بكر بن خزيمة: بلغني أنك كتبتَ التفسيرَ عن محمد بن جرير؟ قلت: بلى كتبته عنه إملاءً، قال: كلّه؟ قلتُ: نعم، قال في أيِّ سنة؟ قلت: من سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعينَ ومئتين. قال: فاستعاره مِنِّي أبو بكر، ثم رده بعد سِنِين، ثم قال: لقد نظرتُ فيه من أوَّله إلى آخره وما أعلمُ على أديم الأرضِ أعلمَ من محمدِ بنِ جَرير ولقد ظَلَمَتْهُ الحَنابلة.

[٢]كان ممن لا تأخذه في الله لومةُ لائِم مع عظيم ما يلحقُه من الأذى والشناعات، من جاهل، وحاسد، ومُلحد، فأمَّا أهل الدين والعِلم، فغيرُ منكرينَ علمَه، وزهدَه في الدُّنيا، ورفضَه لها، وقناعته ـ رحمه الله ـ بما كان يردُ عليه من حصَّةٍ من ضَيعَةٍ خلَّفها له أبوه بطَبَرستان يسيرة.

[٣]أبو القاسم بن عقيل الوراق: أنَّ أبا جعفر الطَّبريَّ قال لأصحابه: هل تَنشَطُون لتاريخ العالم من آدمَ إلى وَقتِنا؟ قالوا: كم قدْرُه؟ فذكر نحو ثلاثينَ ألف ورقة، فقالوا: هذا مما تفنى الأعمارُ قبل تمامه! فقال: إنَّا لله! ماتت الهِمَمَ. فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة ولمَّا أن أراد أن يُمليَ التفسير قال لهم نحواً من ذلك، ثم أملاه على نحوٍ من قدر التاريخ.

[١]وقال مخلد الباقَرحِي: أنشدنا محمد بن جرير لنفسه:

إذا أَعسَرتُ لم يَعلَمْ رَفيقي وأَستغنِي فيستغني صَديقي
حَيائي حافِظٌ لي ماءَ وَجهي ورِفقي في مُطالبتي رَفيقي
ولو أني سَمحتُ بِماء وَجهي لكنت إلى العُلى سَهلَ الطَّريقِ

[٢]وحضر وقتَ موته جماعةٌ منهم: أبو بكر بنُ كامل، فقيل له قبلَ خروج روحه: يا أبا جعفر! أنت الحُجَّةُ فيما بيننا وبين الله فيما نَدينُ به، فهل من شيء توصينا به من أمر دِيننا، وبينةٍ لنا نرجو بها السلامةَ في معادِنا؟ فقال: الذي أدينُ الله به وأوصيكم هو ما ثُبِّتَ في كُتبي فاعملوا به وعليه، وكلاماً هذا معناه، وأكثر من التشهد وذكر الله عز وجل، ومسح يدهُ على وجهه، وغَمَّضَ بصره بيده وبسطها وقد فارقت روحُهُ الدنيا.

[٣]وكان مولدُهُ سنة أربعٍ وعشرينَ ومئتين، ورحل من آمُلَ لما تَرعرَع وحفِظَ القرآن، وسمحَ له أبوه في أسفاره، وكان طول حياته يمدُّه بالشيء بعد الشيء إلى البلدان، فيقتات به، ويقول فيما سمعتُه: أبطأت عنِّي نفقةُ والدي، واضطررتُ إلى أن فتقتُ كُمَّيْ قَميصي فبِعتُهما.

[٤]وكان ابنُ جرير من رجال الكمال، وشُنِّع عليه بيسير تشيُّع، وما رأينا إلا الخير، وبعضُهم ينقل عنه أنه كان يُجيز مسح الرِّجلين في الوضوء ولم نَرَ ذلك في كتبه.

[٥]ولأبي جعفر في تآليفه عبارة وبلاغة، فمما قاله في كتابِ: «الآداب النفيسة والأخلاق الحميدة»: القولُ في البيان عن الحال الذي يجب على العبد مراعاةُ حاله فيما يَصْدُرُ من عمله لله عن نفسه، قال: (إنَّه لا حالةَ من أحوالِ المؤمن يَغفُلُ عدوُّه الموكل به عن دعائه إلى سبيله، والقعود له رَصَداً بطرق ربه المستقيمة، صادّاً له عنها، كما قال لربه ـ عز ذكره ـ إذ جعله من المُنظَرين:

﴿لأقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ المُستقيم * ثم لآتِينَّهم من بين أيديهم ومن خَلْفِهِم﴾ [الأعراف ١٦، ١٧].

طمعاً منه في تصديق ظنِّه عليه إذ قال لربِّه ﴿لئِنْ أخَّرْتنِ إلى يومِ القيامَةِ لأحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلاَّ قليلاً﴾ [الإسراء ٦٢].

فحق على كل ذي حِجىً أن يُجهِدَ نفسَهُ في تكذيب ظنه، وتَخييبِه منه أمَلَهُ وسَعيَهُ فيما أرغمَهُ، ولا شيء من فعل العبد أبلغُ في مكروهِهِ من طاعته ربَّه وعِصيانه أمرَه، ولا شيء أسرُّ إليه من عصيانِه ربَّه، واتِّباعِه أمرَه.

فكلام أبي جعفر من هذا النَّمط، وهو كثير مفيد.

[١]وقد حكى أبو علي التَّنُوخي في «النشوار» له، عن عثمانَ بنِ محمد السُّلميِّ قال: حدثني ابنُ منجو القائد قال: حدثني غلامُ لابن المزوِّق قال: اشترى مولايَ جاريةً، فزوَّجَنِيها، فأحببتها وأبغضتني حتى ضجرتُ، فقلت لها: أنت طالق ثلاثاً، لا تخاطبيني بشيء إلا قلتُ لكِ مثله، فكم أحتملُكِ؟ فقالت في الحال: أنتَ طالقٌ ثلاثاً. فأبلستُ، فدُلِلْتُ على محمد بن جرير فقال لي: أَقِمْ معها بعد أن تقول لها: أنتِ طالقٌ ثلاثاً إن طَلَّقتُك فاستحسَنَ هذا الجواب. وذكرهُ شيخ الحنابلة ابنُ عقيل، وقال: وله جواب آخر: أن يقول كقولها سواء: أنتَ طالق ثلاثاً ـ بفتح التاء ـ فلا يَحنَث. وقال أبو الفرج بن الجَوزي: وما كان يلزمه أن يقول لها ذاك على الفور، فله التَّمادي إلى قبل الموت.

قلتُ: ولو قال: أَنتِ طالق ثلاثاً، وقصد الاستفهام أو عني أنها طالق من وَثاق، أو عَني الطَّلقَ لم يقع طلاقٌ في باطن الأمر.

وله جواب آخر على قاعدة مُراعاةِ سبب اليمين ونيَّة الحالف، فما كان عليه أن يقول لها ما قالته، إذ من المعلوم بقَرينةِ الحال استثناءُ ذلك قطعاً، لأنه ما قصد إلا أنها إذا قالت له ما يؤذيه أن يُؤذِيَها بمثله ولو جاوبها بالطَّلاقِ لسُرَّت هي، ولتأذَّى هو، كما استُثني من عموم قوله تعالى ﴿وأوتِيَتْ مِنْ كلِّ شَيءٍ﴾ [النمل ٢٣] بقرينة الحال أنها لم تُؤتَ لِحيَةً ولا إحليلاً. ومن المعلوم استثناؤهُ بالضَّرورة التي لم يَقصِدْها الحالف قط لو حلف: لا تقولي لي شيئاً إلا قلتُ لكِ مثلَه، أنها لو كفرت وسَبَّت الأنبياء فلم يُجاوِبها بمثل ذلك لأحسنَ.

وذهب إمامٌ(١) في زماننا إلى أنَّ من حَلَفَ على حَضٍّ أو مَنعٍ بالطَّلاق أو العِتاق، أو الحج ونحو ذلك فكفَّارتُهُ كَفَّارة يمين، ولا طلاق عليه.

[١] أبو سعيد الدِّيْنَوَرِيُّ مُستَملي ابن جرير، أخبَرَنا أبو جعفر محمد بن جرير الطَّبريُّ بعقيدته، فمن ذلك: وحسْبُ امرىءٍ أن يَعلمَ أن ربَّه هو الذي على العرش استوى، فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر. وهذا «تفسير» هذا الإمام مشحونٌ في آيات الصِّفاتِ بأقوال السَّلفِ على الإثبات لها، لا على النَّفي والتأويل، وأنَّها لا تُشبه صفاتِ المخلوقينَ أبداً.

[٢] قال أحمد بن كامل: تُوفي ابن جرير سنة عشرٍ وثلاثِ مئة ودُفنَ في داره برَحبَة يَعقوب، يعني ببغداد. وشيعه من لا يُحصيهم إلا الله تعالى، وصُلِّي على قبره عدَّة شهور ليلاً ونهاراً، إلى أن قال: ورثاه خلق من الأدباء وأهل الدين، ومن ذلك قول أبي سعيد الأعرابي:

[٣] حَدَثٌ مُفظِعٌ وخَطبٌ جَليلٌ ... دَقَّ عن مِثلِهِ اصطِبارُ الصَّبُور
قَامَ نَاعي العُلُومِ أجمع لَمَّا ... قَام نَاعي مُحَمَّدِ بنِ جَرِيرِ

٦١١ الحَلاَّج(٢)

[٤] هو الحسينُ بن منصور بن مَحْمِي، أبو عبدالله، الفارسيُّ البيضاويُّ الصُّوفيّ، والبيضاء: مدينة ببلاد فارس، وكان جَدُّه مَحمِيٌّ مجوسيّاً.

وكان يصحح حالَه أبو العبَّاس بن عطاء، ومحمد بن خفيف، وإبراهيمُ أبو القاسم النَصر آباذي.

وتبرأ منه سائرُ الصوفيَّة والمشايخِ والعلماءِ لِمَا سترى من سوء سيرته ومروقه، ومنهم من نسبه إلى الحُلول، ومنهم من نسبه إلى الزندقة وإلى الشَّعبَذَة والزَّوْكرة،

(١) هو شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد جاء في هامش الأصل ما نصُه: «أخطأ هذا الإمام فيما ذهب إليه، وبُدِّع بذلك، وحُجر عليه، واعتقل غير مرة إلى أن مات، وقد نقل الإجماع في المسألة ـ على خلاف قوله ـ جماعة من الأئمة، ورد عليه غير واحد من المحققين، والله المستعان».

(٢) انظر السير: ١٤/٣١٣ـ ٣٥٤.

وقد تستر به طائفةٌ من ذوي الضلال والانحلال وانتحلوه وروَّجوا به على الجهال، نسأل الله العِصمة في الدين.

قال أبو نصر السَّراج: صحب الحلَّاجُ عمرَو بن عثمان، وسرق منه كتباً فيها شيء من علم التصوف، فدعا عليه عمرو: اللهم اقطع يديه ورجليه.

قال ابن الوليد: كان المشايخُ يستثقلون كلامه، وينالون منه لأنه كان يأخذ نفسه بأشياءَ تخالف الشريعة، وطريقة الزهاد، وكان يدَّعي المحبة لله، ويظهر منه ما يخالف دعواه.

قلت: ولا ريب أن اتِّبَاعَ الرسولِ ﷺ، عَلَمٌ لمحبة الله لقوله تعالى ﴿قُل إن كُنتُم تُحبُّون الله فاتبِعوني يُحبِبكُمُ اللهُ ويَغفِرْ لكم ذُنوبكُمْ﴾ [آل عمران ٣١].

قال السلمي: سمعت أبا عليٍّ الهَمَذانيَّ يقول: سألت إبراهيم بن شيبان عن الحلَّاج، فقال: من أحبَّ أن ينظر إلى ثمرات الدعاوي الفاسدة فلينظر إلى الحلَّاج وما صار إليه.

قال النديم: كان يعرف في الكيمياء، وكان مِقداماً جسوراً على السلاطين، مرتكباً للعظائم، يروم إقلاب الدُّول، ويدعي عند أصحابه الإِلهيَّة، ويقول بالحُلول، ويُظهر التشيُّعَ للملوك، ومذاهبَ الصُّوفيَّة للعامّة، وفي تضاعيف ذلك يدَّعي أن الإِلهية حلَّت فيه، تعالى الله وتقدس عما يقول.

[١] قال التَّنُوخي: أخبرنا أبي قال: من مخاريق الحلَّاج: أنه كان إذا أراد سفراً ومعه من يتنمَّسُ عليه ويَهُوسُه، قدَّم قبل ذلك من أصحابه الذين يَكشفُ لهم الأمر، ثم يمضي إلى الصحراء، فيدفن فيها كَعكاً، وسُكَّراً وسَويقاً، وفاكهةً يابسة، ويعلِّم على مواضعها بحجر، فإذا خرج القوم وتعبوا قال أصحابه: نريد الساعة كذا وكذا. فينفرد ويُري أنَّه يدعو، ثم يجيءُ إلى الموضع فيخرجُ الدَّفين المطلوب منه، أخبرني بذلك الجَمُّ الغفير، وأخبروني قالوا: ربما خرج إلى بساتين البلد، فيقدِّم من يدفن الفالوذَجَ الحار في الرُّقاق، والسَّمك السُّخن في الرُّقاق، فإذا خرج طلب منه الرجل ـ في الحال ـ الذي دفنه، فيخرجه هو.

وقال التنوخي: أخبَرَنا أبي: سمعت أحمد بن يوسف الأزرق: أن الحلَّاج لما قدم بغداد استغوى خلقاً من الناس والرؤساء، وكان طمعُهُ في الرَّافضة أقوى لدخوله في طريقهم، فراسـل أبـا سهل بن نوبخت يَستغويه وكان أبو سهل فَطِناً، فقال لرسوله: هذه المعجزات التي يظهرها يمكن فيها الحِيل، ولكني رجلٌ غزِل، ولا لذَّةَ لي أكبر من النساء، وأنا مبتلىً بالصَّلع، فإن جعل لي شعراً وردَّ لحيتي سوداء، آمنتُ بما يدعوني إليه وقلتُ: إنّه بابُ الإمام، وإن شاء قلت: إنّه الإمام، وإن شاء قلت: إنَّه النبيّ، وإن شاء قلت: إنّه الله، فأيسَ الحلاَّجُ منه وكفَّ.

وقال الفقيه أبو علي بن البَنّاء: كان الحلاَّجُ قد ادَّعى أنَّه إله وأنه يقول بحلول الـلاهـوتِ في النَّـاسوت، فأحضره الوزير علي بن عيسى فلم يجده - إذ سأله - يُحِسنُ القرآن والفِقهَ ولا الحديثَ. فقال: تعلُّمُكَ الفرضَ والطُّهور أجدى عليك من رسـائلَ لا تَدري ما تقول فيها. كم تكتبُ - ويلك - إلى النَّاس: تبارك ذو النُّور الشَّعشَعاني؟! ما أحوجَك إلى أدب! وأمر به فصُلب في الجانب الشرقي، ثم في الغربي، ووجد في كتبه: إنِّي مُغرِق قوم نوح، ومُهلِك عاد وثمود.

وكان يقول للواحد من أصحابه، أنت نُوح، ولآخر: أنت مُوسى، ولآخر: أنت مُحمد.

وقال محمد بن يحيى الرازي: سمعتُ عَمرو بن عثمان يلعنُ الحلاَّج ويقول: لو قَدَرتُ عليه لقتلتُهُ بيدي. فقلت: أيش وَجَدَ الشَّيخ عليه؟ قال: قرأتُ آية من كتاب الله فقال: يُمكنُني أن أُؤلِّفَ مثلَه.

وقال أبو يعقوب النُّعماني سمعتُ أبا بكر محمد بن داود الفقيه يقول: إن كان ما أنزل الله على نبيِّه حقاً، فما يقول الحلاَّج باطل. وكان شديداً عليه.

[١] أبو القاسم التَّنُوخي: أخبرنا أبي: حدثني حسين بن عباس عمَّن حضر مجلس حامد وجاؤوه بدفاتر الحلاَّج، فيها: إنَّ الإنسان إذا أراد الحجَّ فإنه يستغني عنه بأن يعمـدَ إلى بيتٍ في داره، فيعمل فيه مِحراباً، ويغتسل ويُحرم ويقول كذا وكذا، ويُصلِّي كذا وكـذا، ويطوفُ بذلـك البيت، فإذا فرغ فقـد سقط عنـه الحج إلى

الكعبة، فأقرَّ به الحلاَّج وقال: هذا شيءٌ رويتُهُ كما سمعته، فتعلَّق بذلك عليه الوزير، واستفتى القاضِيَيْن: أبا جعفر أحمد بن البُهْلول، وأبا عمر محمد بنَ يوسف، فقال أبو عمر: هذه زَنْدَقة يجبُ بها القتل. وقال أبو جعفر: لا يجبُ بهذا قتلٌ إلا أن يُقِرَّ أنَّه يعتقدُه، لأن النَّاس قد يروون الكفرَ ولا يعتقدونَه، وإن أخبر أنَّه يعتقده استُتِيبَ منه، فإن تاب فلا شيء عليه، وإلا قُتل، فعمل الوزير على فتوى أبي عمر على ما شاع وذاع من أمره، وظهرَ من إلحاده وكُفره فاستُؤذِن المقتدر في قتله، وكان قد استغوى نَصراً القَشُوريَّ من طريق الصَّلاح والدِّين، لا بما كان يدعو إليه، فخوّف نصرٌ السيدةَ أمّ المقتدرِ من قتله وقال: لا آمن أن يلحقَ ابنَكِ عقوبةُ هذا الصَّالح. فمنعت المقتدر من قتله، فلم يقبل، وأمر حامداً بقتله، فحُمَّ المقتدر يومه ذلك، فازداد نصرٌ وأمُّ المقتدرِ افتتاناً، وتشكَّك المقتدر، فأنفذ إلى حامد يمنعه من قَتله، فأخر ذلك أياماً إلى أن عُوفي المقتدر، فألح عليه حامد وقال: يا أميرَ المؤمنين! هذا إن بقيَ قلَبَ الشَّريعة، وارتدَّ خلقٌ على يده، وأدَّى ذلك إلى زوال سلطانك، فدعني أقتلْه، وإن أصابك شيءٌ فاقتُلني. فأذن له في قتله، فقَتَله من يومه، فلما قُتل قال أصحابه: ما قُتل وإنَّما قُتِلَ برذَوْنٌ كان لفلان الكاتب، نَفَقَ(1) يومئذ وهو يعود إلينا بعد مُدَّة، فصارت هذه الجَهالةُ مقالةَ طائفة. قال: وكان أكثر مخاريق الحلاَّج أنه يُظهرها كالمعجزات، يستغوي بها ضَعَفَة النَّاس.

ثم قُطعت يدُه، ثم رجلُه، ثم حُزَّ رأسُه، وأحرقت جُثَّتُه، ونصب الرأسُ يومين ببغداد، ثم حُمِلَ إلى خُراسان وطيف به. وأقبل أصحابُه يعِدون أنفسهم برجوعه بعد أربعين يوماً.

قال السلمي: وحُكي عنه أنه رُؤيَ واقفاً في الموقف، والنَّاس في الدُّعاء، وهو يقول: أنزِّهك عما قَرَفَكَ به عبادك، وأبرأ إليكَ مما وحَّدك به الموحِّدون.

قُلت: هذا عينُ الزندقة، فإنَّه تبرأ مما وحَّد اللهَ به الموحِّدون الذين هم الصحابة والتَّابعون وسائرُ الأمَّة، فهل وحَّدوه تعالى إلا بكلمة الإخلاص التي قال رسول الله

(1) أي: مات.

ﷺ من قالها من قَلبِهِ، فقد حَرُمَ مالُهُ ودَمُهُ». وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله. فإذا برئ الصُوفيُّ منها، فهو ملعون زِنديق، وهو صوفي الزِّيّ، والظَّاهر، مُتستر بالنسب إلى العارفين، وفي الباطن فهو من صوفيّة الفلاسفة أعداء الرُّسلِ كما كان جماعة في أيّام النبي ﷺ منتسبون إلى صُحبَتِه وإلى ملَّتِه، وهم في الباطن من مَرَدَةِ المنافقين، وقد لا يعرفهم نبي الله ﷺ، ولا يعلم بهم. قال الله تعالى: ﴿ومن أهلِ المدينة مَرَدُوا على النِّفاق لا تعلمُهُم نحنُ نَعلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَرَّتَينِ﴾ [التوبة ١٠١].

[١]فإذا جاز على سيِّد البشر أن لا يعلمَ ببعض المنافقين وهم معه في المدينة سنوات، فالأولى أن يخفى حالُ جماعةٍ من المنافقين الفارغين عن دين الإسلام بعده عليه السلام على العلماء من أمته، فما ينبغي لك يا فقيهُ أن تُبادر إلى تكفير المسلم إلّا ببرهان قَطعي، كما لا يسوغ لك أن تعتقد العِرفانَ والولايةَ فيمن قد تبرهن زَغَلُه، وانهتك باطنُهُ وزَندقتهُ، فلا هذا ولا هذا، بل العدلُ أنَّ من رآه المسلمون صالحاً محسناً، فهو كذلك، لأنهم شهداء الله في أرضه، إذِ الأمة لاتجتمع على ضلالة، وأن من رآه المسلمون فاجراً أو منافقاً أو مُبطِلاً، فهو كذلك، وأنَّ من كان طائفةٌ من الأُمة تُضَلِّلُه، وطائفةٌ من الأُمّةِ تُثني عليه وتبجِّلُه، وطائفة ثالثة تقِفُ فيه وتتورَّع من الحطِّ عليه، فهو ممَّن ينبغي أن يُعرَض عنه، وأن يُفَوَّضَ أمرُه إلى الله، وأن يُستغفَرَ له في الجملة، لأن إسلامَهُ أصليٌّ بيقين، وضلاله مشكوك فيه، فبهذا تستريحُ ويصفو قلبُك من الغِلِّ للمؤمنين.

ثم اعلم أنَّ أهل القِبلة كلَّهم، مؤمنَهم وفاسقَهم، وسُنِّيَّهُم ومُبتدِعَهُم سوى الصحابة ـ لم يُجمعوا على مسلم بأنَّه سعيد ناجٍ، ولم يُجمعوا على مسلم بأنه شقي هالك، فهذا الصِّديق فرد الأمَّة، قد علمتَ تفرُّقهم فيه وكذلك عُمَر، وكذلك عثمان، وكذلك عليّ، وكذلك ابنُ الزبير، وكذلك الحجَّاج، وكذلك المأمون، وكذلك بشر المَريسيّ، وكذلك أحمدُ بن حنبل والشافعيّ، والبُخاريّ، والنَّسائيّ، وهلمَّ جراً من الأعيان في الخير والشر إلى يومك هذا، فما من إمامٍ كامل في الخير

إلا وثمَّ أناسٌ من جهلة المسلمين ومبتدعيهم يذمُّونه ويحطُّون عليه، وما من رأس في البدعة والتجهم والرَّفض إلا وله أناس ينتصرون له، ويَذُبُّون عنه، ويَدينون بقوله بهوىً وجهل، وإنما العبرة بقول جمهور الأمة الخالين من الهوى والجهل المتصفين بالـورع والعلم، فتدبر ـ يا عبدالله ـ نِحْلَةَ الحلاَّجِ الذي هو من رؤوس القرامطةِ ودعـاة الـزندقة، وأنصِف وتورَّع واتَّق ذلك، وحاسِب نفسَك، فإن تبرهن لك أنَّ شمـائـل هذا المرء شمائلُ عدوٍ للإسلام، محبٍ للرئاسة، حريص على الظهور بباطل وبحق، فتبرأ من نِحلته، وإن تبرهن لك والعياذُ بالله، أنَّه كان ـ والحالة هذه ـ محقاً هادياً مهديّاً فجدِّد إسلامَك واستغث بربِّك أن يوفِّقَك للحقِّ وأن يثبِّتَ قلبَك على دينه فإنَّما الهدى نور يقذفُه الله في قلب عبده المسلم، ولا قوة إلا بالله وإن شككت ولم تعرف حقيقته، وتبرأت مما رُمِيَ به، أرحت نفسك، ولم يسأَلْكَ اللهُ عنه أصلاً.

وقال أبو عمرَ بن حَيوة: لما أُخرجَ الحلاَّجُ ليُقتل، مضيتُ وزاحمتُ حتى رأيته، فقال لأصحابه: لا يَهُولنَّكم، فإني عائدٌ إليكم بعد ثلاثين يوماً.

فهذه حكاية صحيحة توضح لك أن الحلاَّج مُمَخْرِق كذَّاب، حتى عند قتله.

وقال الصُّولي: قيل إنَّه كان في أول أمره يدعو إلى الرِّضى من آل محمد، وكان يُري الجاهل أشياء من شَعبَذتِه، فإذا وِثق منه دعاه إلى أنَّه إلَه.

[١]وقال ابنَ باكويه: سمعت ابنَ خفيف يُسأل: ما تعتقدُ في الحلاَّج؟ قال: أعتقد أنَّه رجل مِن المسلمينَ فقط. فقيل له: قد كفَّره المشايخ وأكثرُ المسلمين. فقال: إن كان الذي رأيتُهُ منه في الحبس لم يكن توحيداً، فليس في الدُّنيا توحيد.

قلت: هذا غلط من ابن خفيف، فإن الحـلاَّج عنـد قتله ما زال يوحِّـدُ الله ويصيح: الله الله في دمي، فأنا على الإسلام. وتبرَّأ مما سوى الإسلام. والزنديقُ فيوحِّد الله علانية، ولكن الزَّندقة في سِرِّه، والمنافقون فقد كانوا يوحِّدون ويصومون ويُصلُّون علانية، والنفاقُ في قلوبهم، والحلاَّج فما كان حماراً حتى يُظهِرَ الزندقة بإزاء ابنِ خفيف وأمثاله، بل كان يبوحُ بذلك لمن استوثق من رباطه، ويمكن أن

يكـون تزندق في وقت، ومَرَق وادَّعى الإلّهية، وعمل السِّحر والمخاريق الباطلة مدَّة، ثمَّ لمانزل به البلاء ورأى الموت الأحمر أسلمَ ورجع إلى الحق، والله أعلم بسره، ولكن مقالته نبرأ إلى الله منها، فإنَّها محضُ الكفر، نسأل الله العفوَ والعافية.

كان مقتل الحلَّاج في سنة تسعٍ وثلاث مئة.

٦١٢ ابن خُزيمة(١)

[١] **محمـد بن إسحـاق بن خُزيمة. الحافظ الحجَّة الفقيه، شيخ الإسلام، إمام الأئمّة، أبو بكر السُّلميُّ النَّيسابوريُّ الشافعيّ، صاحب التصانيف.**

وُلِدَ سنة ثلاثٍ وعشرين ومئتين، وعُنِيَ في حداثته بالحديث والفقه حتى صار يُضرب به المثلُ في سَعَة العلم والاتقان.

[٢] قال أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحِيري: حدثنا ابن خُزيمة قال: كنت إذا أردت أن أُصنِّفَ الشَّيءَ أدخُـلُ في الصـلاة مُستخيراً حتى يُفتَحَ لي، ثم ابتدئ التَّصنيف، ثم قال أبو عثمان: إن الله ليدفع البلاء عن أهل هذه المدينة لمكان أبي بكرٍ محمد بن إسحاق.

[٣] الحاكم: أخبرنا أبو بكر محمدُ بنُ جعفر، سمعت ابن خُزيمة وسُئل: من أينَ أُوتيتَ العِلم؟ فقال: قال رسولُ الله ﷺ: «ماءُ زَمْزَمَ لِما شُرِبَ لَه» وإنِّي لما شربتُ سألت اللهَ علماً نافعاً.

[٤] قال محمد بن سهل الطوسي: سمعت الربيع بن سليمان وقال لنا: هل تعرفون ابن خزيمة؟ قُلنا: نعم. قال: استفدنا منه أكثرَ ممَّا استفاد منا.

[٥] قال محمد بن الفضـل بن محمـد: سمعت جدي يقول: استأذنت أبي في الخروج إلى قُتيبة، فقال: اقرأ القرآنَ أولاً حتى آذنَ لكَ، فاستظهرتُ القرآن، فقال لي: امكث حتى تصلِّيَ بالخَتمة، ففعلت، فلما عيَّدنا، أذن لي فخرجت إلى مرو، وسمعت بِمَرِو الرُّوذِ من محمد بن هشام صاحب هُشَيم، فنُعي إلينا قُتيبة.

---

(١) انظر السير: ١٤/٣٦٥-٣٨٢.

[١]قال الحافظ أبو علي النيسابوري: لم أر أحداً مثل ابنِ خزيمة.

قلتُ: يقول مثل هذا وقد رأى النَّسائي.

[٢]قال أبو أحمد حُسينك: سمعت إمام الأئِمَّة أبا بكر يَحكي عن عليٍّ بن خَشْرَم، عن ابن راهويه، إنَّه قال: أحفظ سبعين ألف حديث، فقلت لابن خزيمة: كم يحفظ الشَّيخ؟ فضربني على رأسي وقال: ما أكثَرَ فضولَك! ثم قال: يا بُني! ما كتبت سوداء في بياض إلاَّ وأنا أعرفه.

[٣]قال أبو عليٍّ الحافظ: كان ابن خُزيمةَ يحفظ الفقهيّاتِ من حديثه كما يحفظ القاريُ السُّورة.

[٤] حكى أبو بشر القَطَّان قال: رأى جار لابن خُزيمة ـ من أهل العلم كأن لوحاً عليه صورة نبينا ﷺ وابنُ خزيمة يصقُلُه. فقال المعبِّر: هذا رجلٌ يُحيي سنَّةَ رسولِ اللهِ ﷺ.

[٥]وقال أبو زكريا يحيى بن محمد العَنْبري: سمعتُ ابنَ خُزيمة يقول: ليس لأحد مع رسول الله ﷺ قولٌ إذا صحَّ الخبر.

[٦]قال الحاكم: سمعت محمد بن صالح بن هانئ، سمعتُ ابن خُزيمة يقول: من لم يُقرَّ بأنَّ الله على عرشه قد استوى فوقَ سبعِ سماواته فهو كافر حلالُ الدَّم، وكان ماله فَيئاً.

قلت: مَن أقرَّ بذلك تصديقاً لكتاب الله، ولأحاديث رسول الله ﷺ، وآمن به مفوِّضاً معناه إلى الله ورسوله، ولم يخُض في التأويل ولاعمَّق، فهو المسلم المتَّبع، ومن أنكر ذلك، فلم يدرِ بثبوت ذلك في الكتاب والسنة فهو مقصِّرٌ، والله يعفو عنه، إذ لم يوجب اللهُ على كل مسلم حِفْظَ ما ورد في ذلك ومن أنكر ذلك بعد العلم، وقَفا غير سبيلِ السَّلَفِ الصالح، وتمعقل على النَّص، فأمرُهُ إلى الله، نعوذ بالله من الضلال والهوى.

وكلام ابن خزيمة هذا ـ وإن كان حقاً ـ فهو فَج، لا تحتملُهُ نفوسُ كثيرٍ من متأخري العلماءَ.

ولابن خُزيمةَ عظمةٌ في النُّفوس، وجلالةٌ في القلوب لعلمه ودينه واتِّبَاعِه السُّنَّة.

[١] وكتابُهُ في «التوحيد» مجلد كبير، وقد تأوَّل في ذلك حديث الصُّورة[1].

[٢] فلْيُعذَرْ من تأوَّل بعض الصفات، وأما السَّلف، فما خاضوا في التَّأويل، بل آمنوا وكفُّوا، وفوَّضوا علمَ ذلك إلى اللهِ ورسوله، ولو أن كُلَّ من أخطأ في اجتهاده ـ مع صحة إيمانه، وتوخِّيه لاتِّباع الحقّ ـ أهدرناه، وبَدَّعناه، لقلَّ مَنْ يَسْلَم من الأئمة معنا، رحم الله الجميع بِمَنِّه وكَرَمِه.

[٣] سُئل عبدالرحمن بنُ أبي حاتم عن أبي بكر بنِ خُزيمة فقال: وَيحكم! هو يُسأل عنَّا ولا نُسأل عنه! هو إمام يُقتدى به.

[٤] وعن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن المضارب قال: رأيت ابن خُزيمةَ في النَّوم، فقلت: جزاك الله عن الإسلام خيراً، فقال: كذا قال لي جبريل في السَّماء.

وفاته في سنة إحدى عشرة وثلاث ومئة، عاش تسعاً وثمانين سنة.

٦١٣ السَّرَّاج[2]

[٥] **محمد بن إسحاق بن إبراهيم، الإمام الحافظُ الثِّقة شيخ الإسلام، محدِّث خراسان، النَّيسابوري، صاحب المسند الكبير على الأبواب والتاريخ وغير ذلك، وأخو إبراهيم المحدِّث وإسماعيل.** مولده في سنة ستَّ عشرةَ ومئتين.

وسكن بغداد مدَّةً طويلة، وحدَّث بها، ثمَّ ردَّ إلى وطنه.

قال الخطيب: كان من الثِّقات الأثبات، عُني بالحديث، وصنَّف كتباً كثيرة.

---

(١) حديث الصورة، أخرجه البخاري في «صحيحه» ١١/٢ أول الاستئذان، ومسلم (٢٨٤١) في الجنة: باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير. وأحمد: ٣١٥/٢، وابن خزيمة في «التوحيد» ٣٩ـ٤٠ من طريق معمر عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه، قال: اذهب، فسلم على أولئك ـ نفر من الملائكة جلوس ـ فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزاده: «ورحمة الله» فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن».

وراجع ما كتبه الحافظ ابن حجر عن عود الضمير في «صورته» في الفتح: ١٣٣/٥، ٢٦٠/٦، ٢/١١ـ٣.

(٢) انظر السير: ٣٨٨/١٤ـ٣٩٨.

[١]قال أبو الوليد حسَّانُ بن محدم: دخل أبو العبَّاس السَّراجُ على أبي عمرو الخفاف فقال له: يا أبا العبَّاس! من أين جمعتَ هذا المال؟ قال: بغيبة دهرٍ أنا وأخوايَ إبراهيم وإسماعيل، غاب أخي إبراهيم أربعين سنة، وغاب أخي إسماعيل أربعين سنة، وغبت أنا مقيماً ببغداد أربعين سنة، أكلنا الجَشِبَ(١)، ولبِسْنَا الخَشِنَ، فاجتمع هذا المال، لكن أنت يا أبا عمرو! من أينَ جمعت هذا المال؟ وكان لأبي عمرو مال عظيم ثم قال متمثِّلاً:

أتذكُرُ إذ لِحافك جِلدُ شاةٍ ... وإذ نَعْلاَكَ من جِلدِ البعير
فسبحان الذي أعطاك مُلكاً ... وعلَّمك الجُلوس على السَّرير(٢)

[٢]قال أبو العبّاس بن حمدان شيخُ خوارزم: سمعتُ السَّراج يقول: رأيتُ في المنام كأنِّي أرقَى في سلم طويل، فصعِدتُ تسعاً وتسعين درجة فكل من أقصُّها عليه يقول: تعيش تسعاً وتسعين سنة. قال ابن حمدان: فكان كذلك.

قلتُ: بل بلغ سبعاً أو خمساً وتسعين سنة، فقد قال أبو إسحاق المزكِّي عنه: ولدت سنةَ ثماني عشرة ومئتين، وختمتُ عن رسول الله ﷺ اثني عشر ألف ختمة، وضحيت عنه اثني عشرَ ألفَ أُضحية.

قلتُ: دليلُه حديث شَريك، عن أبي الحسناء، عن الحكم، عن حَنَش قال: رأيتُ عليّاً رضي الله عنه يُضحي بكبشين، فقلتُ له: ما هذا؟ قال: «أوصاني رسولُ الله ﷺ أن أُضحِّيَ عنه»(٣). زاد الترمذي: واحد عن النبي ﷺ، وواحد عن نفسه.

[٣]بلغَنا أنه قيل لأبي العبّاس السَّراج، وهو يكتب في كهولته عن يحيى بن أبي طالب: إلى كم هذا؟ فقال: أما علمت أن صاحبَ الحديثِ لا يصبر؟!

وقال أبو إسحاق المزكِّي: كان السَّرَّاجُ مُجابَ الدعوة.

---

(١) طعام جشب ومجشوب، أي: غليظ خشن، وقيل: هو الذي لا أدم له.

(٢) البيتان مع سبعة أبيات أخر في «زهر الآداب» ٣/٢٦٣، في قصة جرت لمعْن بن زائدة مع أعرابي.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٧٩٠) والترمذي (١٤٩٥) كلاهما في الأضاحي: باب الأضحية عن الميت، وأحمد: ١/١٠٧ و١٤٩ و١٥٠. وشريك ـ هو ابن عبدالله النخعي ـ سيء الحفظ. وأبو الحسناء: مجهول. وحنش ـ هو ابن المعتمر ـ مختلف فيه.

قال محمد بن أحمد الدَّقَّاق: رأيت السَّرَّاج يضحي كلَّ أسبوع أو أُسبوعين أُضحيةً عن رسول الله ﷺ، ثم يصيح بأصحاب الحديث فيأكلون.

[١] قال إسماعيل بن نُجَيْد: رأيت أبا العبَّاسِ السَّراجَ يركب حماره وعباس المُستملي بين يديه، يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، يقول: يا عبَّاس! غيِّر كذا، اكسِر كذا.

[٢] قال أبو الوليد حسانُ بن محمَّد: سمعتُ أبا العبَّاس السراج يقول: وا أسفي على بغداد! فقيل له: ما حملكَ على فراقِها؟ قال: أقام بها أخي إسماعيلُ خمسين سنة، فلما توفي ورُفعت جنازتُهُ سمعتُ رجلاً على بَاب الدَّربِ يقول لآخر: مَن هذا الميت؟ قال: غريبٌ كان ها هنا. فقلت: إنا لله، بعد طول مقام أخي بها واشتهاره بالعلم والتجارة يقال له: غريب كان هنا. فحملتني هذه الكلمةُ على الانصراف إلى الوطن.

[٣] أحمد بن محمد الخفاف، حدثنا أبو العبَّاس السَّراجَ إملاءً قال: من لم يُقرَّ بأن الله تعالى يَعجَبُ، ويضحكُ، وينزل كل ليلة إلى السَّماء الدُّنيا، فيقول: «من يسألني فأُعطيه» فهو زنديقٌ كافر، يُستتابُ، فإن تاب وإلا ضُربت عنُقُه، ولا يُصلَّى عليه، ولا يدفن في مقابِر المسلمين.

قلت: لا يُكفَّر إلا إن علم أن الرسول ﷺ قاله فإن جحد بعد ذلك فهذا معاند نسأل الله الهدى، وإن اعترف أن هذا حق، ولكن لا أخوض في معانيه، فقد أحسن، وإن آمنَ وأوَّل ذلك كلَّه، أو تأول بَعضَهُ، فهو طريقة معروفة.

وقد كان السَّرَّاج ذا ثروة وتجارة، وبِرٍّ ومعروف، وله تعبُّد وتهجُّد إلا أنه كان منافراً للفقهاء أصحابِ الرَّأي، والله يغفرُ له.

٦١٤ ابنُ الجَصّاص(١)

[١]الصَّدر الرَّئيس، ذو الأموال، أبو عبدالله، الحسين بن عبدالله بن الجَصّاص، البغداديُّ الجوهريُّ التاجر الصَّفّار.

[٢] وعنه قال: كنتُ يوماً في الدهليز، فخرجت قَهرمانَة معها مئةُ حبَّةٍ جَوهَر، تساوي الحبَّةُ ألفَ دينار، فقالت: نريد أن تخرُط هذا الحبَّ حتى يَصغُر، فأخَذتُهُ منها مُسرعاً، وجمعتُ سائرَ نهاري من الحب بمئة ألف درهم، الواحدة بألف، وأتيتُ به القَهرمانة، وقلتُ: قد خَرَطْنا هذا.

[٣] يعني: فربح فيه - في يوم - بضعةً وتسعينَ ألف دينار، ولما تزوَّج المعتضدُ بالله بقَطر النَّدى بنت خُمارَويه صاحبِ مصر، نَفَّذَها أبوها مع ابن الجَصّاص في جهاز عظيم وتُحَفٍ وجواهر تتجاوز الوصف، فنصَحَها ابن الجَصّاص وقال: هذا شيءٌ كثير، والأوقاتُ تتغيَّر، فلو أودَعتِ من هذا؟ فقالت: نَعم يا عمّ. وأودعته نفائس ثمينة، فاتَّفق أنها أُدخلت على المعتضد، وكرُمَت عليه، وحَمَلت منه، ثم ماتت في النِّفاس بَغْتَة، وزادت أموالُ ابنِ الجصاص إلى الغاية، ونظرت إليه الأعينُ، فلما كان في سنة اثنتين وثلاث مئة قَبَضَ عليه المقتدر، وكُبِسَت دارُه، وأخذوا له من الذَّهب والجَوهر ما قُوِّم بأربعة آلاف ألف دينار.

[٤]ويحكى عنه بَلَهٌ وتغفيل، مرَّ به صديقٌ فقال له: كيفَ أنت؟ فقال ابن الجصاص: الدُّنيا كلُّها محمومة، وكان قد حُمَّ.

[٥]ونظر مرَّةً في المرآة، فقال لصاحبه: ترى لحيتي طالت؟ فقال: المرآة في يدك. قال: الشاهدُ يَرَى مالا يَرَى الغائب.

[٦]ودخل يوماً على الوزير ابن الفُرات فقال: عندنا كلاب يحرمونَنا ننام. فقال الوزير: لعلَّهم جِرَاء؟ قال: بل كل واحد في قَدِّي وقَدِّك.

---

(١) انظر السير: ١٤/ ٤٦٩- ٤٧٣.

[١] ودعا فقال: حسبيَ اللهُ وأنبياؤه وملائكتُه، اللّهُمَّ، أعد من بركة دعائنا على أهل القُصور في قصورهم، وعلى أهل الكنائس في كنائسهم.

[٢] وفرغ من الأكل فقال: الحمد لله الذي لا يُحلف بأعظَمَ منه.

[٣] وكان مع الخاقاني في مَركبٍ وبيده كرة كافور، فبصَقَ في وجه الوزير وألقي الكافورة في دجلة، ثم أفاق واعتذر، وقال: إنَّما أردتُ أن أبصُقَ في وجهك وأُلقِيَها في الماء فغلطتُ. فقال: كانَ كذلكَ يا جاهل.

[٤] قال التَّنُوخي: حدثنا جعفُر بن وَرْقاء الأمير قال: اجتزتُ بابن الجصاص وكان مصاهري، فرأيتُه على حوش داره حافِياً حاسِراً، يعدو كالمجنون، فلما رآني استحيى، فقلت: مالك؟ قال: يحقُّ لي، أخذوا مني أمراً عظيماً، فلُمْتُه وقلت: ما بقي يكفي، وإنما يقلقُ هذا القلقَ من يخافُ الحاجة، فاصبِر حتى أُبيِّنَ لك غِناك. قال: هات. قلت: أليس دارك هذه بآلتها وفُرُشها لك؟ وعقارك بالكَرْخ وضِياعُك؟ قال: بلى. فما زلت أُحاسبُه حتى بلغَ قيمة سبع مئة ألف دينار، ثم قلت: واصدُقْني عما سلم لك، فحسَبْناه، فإذا هو بثلاث مئة ألف دينار، قلت: فمَن له ألف ألف دينار ببغداد؟! هذا وجاهُك قائم. فلمَ تغتمّ؟ فسجد لله وحمده وبكَى، وقال: أنقَذني اللهُ بك، ما عزّاني أحد بأنفع من تعزيتك ما أَكلتُ شيئاً منذُ ثلاث، فأقِم عندي لنأكلَ ونتحدّث، فأقمت عنده يومين.

[٥] قال التنوخي: اجتمعتُ بأبي عليّ - ولد ابن الجَصّاص - فسألتُه عمّا يُحكى عن أبيه من أن الإمام قرأ (ولا الضالِّين) فقال: إي لَعَمري بدلاً من آمين.

[٦] وأنه أراد أن يقبِّل رأس الوزير، فقال: إنَّ فيه دُهْناً. فقال: أُقبِّلُهُ ولو كان فيه خرا، فقال: ما كانت فيه سلامةٌ[1] تخرجُه إلى هذا، كان من أدهى الناس، ولكن كان يفعل بحضرة الوزير، وكان يحب أن يصوِّرَ نفسه ببَلهٍ ليأمَنَه الوزراءُ لكثرة خَلْوته بالخلفاء.

وتوفي ابن الجصاص سنةَ خمسَ عشرةَ وثلاث مئة، وقد أَسَنّ.

---

(١) أي: غفلة.

٦١٥ ابنُ الفُرَات (١)

[١]**الوزير الكبير، أبو الحسن، عليُّ بن أبي جعفر محمد بن موسى بن الحسن ابن الفُرات العَاقُوليُّ الكاتب.**

قال الصُّولي: ابتاع جدُّهم ضياعاً بالعاقول، وانتقل إليها، فَنُسِبوا إلى العاقول.

كان ابن الفُرات يتولَّى أمر الدَّواوين زمن المكتفي، فلما وُلِّي المقتدر وَوَزَرَ له العبّاس بن الحسن، بقي ابنُ الفُرات على ولايته، فجرت فتنة ابن المعتز، وقُتل العبّاس الوزير، فوَزَرَ ابنُ الفُرات سنة ستٍّ وتسعين، وتمكَّن، فأحسن وعدل، وكان سمحاً مفضالاً محتشماً، رأساً في حساب الدِّيوان، له ثلاثة بَنين، المحسَّن والفضل والحسين، ثمَّ عُزلِ في دي الحجة سنة تسع وتسعين، ثم وزر في سنة أربع وثلاث مئة إثرَ عزل عليٍّ بن عيسى، ثم عُزل بعد سبعةَ عشرَ شهراً بحامد بن العبّاس، ثم وليها سنة ٣١١، وولي ولده المحسَّن الدواوين، فَعَسَف وصادَر وعذَّب، وظلم أبوه أيضاً، واستأصَل جماعة، فعُزِلَ بعد سنة إلا أياماً، وقيل: إنَّه وصل المحدِّثين بعشرين ألف درهم.

وذكر جماعة أن صاحبَ خبر ابنِ الفُرات رفعَ إليه أن رجلاً من أرباب الحوائج اشترى خُبزاً وجُبناً فأكله في الدهليز، فأقلقَهُ هذا، وأمر بنصب مطبخ لمن يحضُر من أرباب الحوائج، فلم يزل ذلك طولَ أيّامه.

قيل: كان ابنُ الفرات يلتذُّ بقضاء حوائج الرعية، وما ردَّ أحداً قطُّ عن حاجة ردَّ آيِس، بل يقول: تُعاودُني. أو يقول: أُعوِّضُك من هذا.

قال الصولي: لما قُبِضَ على ابن الفُرات، نظرنا فإذا هو يُجري على خمسة آلاف نفس، أقلُّ جاري أحدهم في الشهر خمسةُ دراهم ونصفُ قفيز دقيق وأعلاهم مئة دينار وعشرةُ أقفِزَة.

قال الصُّولي: لم أسمعه قطُّ دعا أحداً من كتّابه بغيركُنيتِهِ. ومرض مَرَّة فقال: ما غمي بعلَّتي بأشَدَّ من غَمِّي بتأخُّر الناس وفيهم المضطر.

---

(١) انظر السير: ١٤/٤٧٤- ٤٧٩.

وكان يمنع الناس من المشي بين يديه.

قال عليُّ بن هشام الكاتب: دخلتُ على ابن الفُرات في وزارته الثالثة وقد غلب ابنُه المحسِّنُ عليه في أكثر أموره، فقيل له: هو ذا يسرف أبو أحمد المحسِّن في مكـاره النَّاس بلا فائدة، ويضرب مَن يُؤدِّي بغير ضرب. فقال: لو لم يفعل هذا بأعـدائه ومَن أساء إليه لما كان من أولاد الأحرار، ولكان ميتاً، وقد أحسنتُ إلى النَّاس دفعتين فما شكروني والله لأُسيئَنّ، فما مضت إلاَّ أيَّام يسيرة حتَّى قبض عليه.

قال الصُّـولي: قبض المُقتدرُ على ابن الفُرات، وهرَب ابنُهُ، فاشتدَّ السلطانُ وجميع الأولياء في طلبه، إلى أن وُجد، وقد حلقَ لحيتَه، وتشبَّه بامرأة في خُفٍّ وإزار، ثم طُولب هو وأبوه بالأموال، وسُلِّما إلى الوزير عبيد الله بن محمد، فعَلما أنَّهما لا يفلتان، فما أذعنا بشيء، ثم قَتَلَهما نازوك، وبعث برأسَيهما إلى المقتدر في سَفَط، وغرَّق جَسَدَيهما.

ضُربت عنقُ المحسِّن بعد أنواع العذاب سنةَ اثنتي عشرة وثلاث مئة، وأُلقي رأسُهُ بين يدي أبيه، فارتاع، ثم قُتل ثُمَّ أُلقي الرَّأسان في الفرات، وكان للوزير إحدى وسبعون سنة وشهور وللمحسن ثلاثٌ وثلاثونَ سنة.

٦١٦ بُنَانُ الحَمَّال[1]

الإمامُ المحدِّث الزاهد، شيخُ الإسلام، أبوالحسن، بُنانُ بن محمد بن حمدان الواسطي، نزيل مصر، ومَن يُضرب بعبادته المَثَل.

صحب الجُنيد وغيره، وقيل: إنه هو أُستاذ الحسين النُّوري وهو رفيقُه ومن أقرانه.

وكان كبيرَ القَدر، لا يقبل من الدولة شيئاً، وله جَلالة عجيبة عند الخاصِّ والعام.

وقد امتُحِنَ في ذات الله، فَصَبَرَ، وارتفع شأنه، فنقل أبو عبدالرحمن السُّلمي

(١) انظر السير: ١٤/٤٨٨- ٤٩٠.

[١] في «محن الصُّوفيَّة» أن بُناناً الحمّال قام إلى وزير خُمارويه ـ صاحب مصر ـ وكان نَصرَانِيّاً، فأنزله عن مركوبه وقال: لا تركب الخيلَ وعِيِّر، كما هو مأخوذ عليكم في الذِّمَّة، فأمر خُمارويه بأن يُؤخذ ويُوضع بين يدي سَبُع، فطُرِح، فبقي ليلةً، ثم جاؤوا والسَّبُعُ يلحَسُه وهو مستقبل القِبْلَة، فأطلقَهُ خُمارويه واعتذر إليه.

[٢] قال الزُّبيرِ بن عبدالواحد: سمعتُ بُناناً يقول: الحرُّ عبد ما طَمِع، والعبدُ حرٌّ ما قَنع.

ومن كلام بُنان: متى يُفلح من يَسرُّه ما يضرُّه؟!

[٣] وقال: رؤيةُ الأسباب على الدَّوام قاطعة عن مشاهدة المسبِّب، والإعراض عن الأسباب جملةً يُؤدِّي بصاحبه إلى ركوبِ الباطل.

[٤] يروى أنَّه كان لرجل على آخرَ دَين مئة دينار، فطلب الرجلُ الوثيقةَ فلم يجدها، فجاء إلى بُنانِ ليدعو له، فقال: أنا رجل قد كبِرت، وأحب الحَلواءَ، اذهب اشتر لي من عند دار فرج رِطلَ حلواء حتى أدعوَ لك، ففعل الرجل وجاء، فقال بُنان: افتح ورقة الحلواء، ففتح، فإذا هي الوثيقة، فقال: هي وثيقتي. قال: خُذها، وأطعم الحلواء صِبيَانَك.

[٥] توفي بُنان سنةَ ستَّ عشرةَ وثلاثِ مئة، وخرج في جنازته أكثرُ أهل مصر، وكان شَيئاً عجباً من ازدحام الخلائق.

٦١٧ ابنُ البُهلول(١)

[٦] **الإمامُ العلّامة المُتَفَنِّن القاضي الكبير، أبو جعفر، أحمد بن إسحاق بن بُهلول، التَّنوخيُّ الأنباريُّ، الفقيه الحنفي.**

وُلد سنة احدى وثلاثين ومئتين.

وكان من رجال الكمال، إماماً ثِقة، عظيمَ الخَطَر، واسع الأدب تامَّ المروءة، بارعاً في العربية، ولِيَ قضاء مدينة المنصور عشرين سنة وعُزل قبل موته بعام.

(١) انظر السير: ١٤/٤٩٧ـ ٥٠٠.

وكان له مصنَّفٌ في نحو الكوفيين، وكان أديباً بليغاً مُفوَّهاً شاعراً.

قال ابنُ الأنباري: ما رأيتُ صاحب طَيْلَسان أنحى منه.

مات في سنة ثمان عشرة وثلاث مئة.

وكان أبوه من كبار الحفّاظ، لقي ابنَ عُيَيْنَةَ وطبقته، وهم من بيت العلم والجلالة.

وقـال طلحة بن محمد: كان عظيمَ القَدر، واسعَ الأدب، تامَّ المروءة حسن الفَصَاحةِ والمعرفةِ بمذهب أهلِ العراق، ولكنَّه غلبَ عليه الأدب.

[١] قال القاضي أبو نصر يوسُف بن عمر: كنتُ أحضُر دارَ المقتدرِ مع أبي وهو ينوبُ عن والده أبي عمر القاضي، فكنتُ أرى أبا جعفر القاضي يأتيه أبي فيجلس عنده، فيتـذاكران حتى يجتمعَ عليهما عدد من الخَدم فسمعت أبا جعفر يقول: أحفظُ لنفسي من شعري خمسة عشر ألف بيت وأحفظ للناس أضعاف ذلك.

[٢]وقال القاضي أبو طالب محمد بن القاضي أبي جعفر: كنتُ مع أبي في جِنازة، وإلى جانبه أبو جعفر الطَّبري، فأخذ أبي يعظُ صاحبَ المُصيبةِ ويسلِّيه، فداخله الطبري في ذلك وذنَّبَ معه، ثم اتسع الأمر بينهما، وخرجا إلى فنون أعجبت من حَضـرَ، وتعالى النَّهار، فلمّا قمنا قال لي: يا بُني! من هذا الشيخ: قلتُ: هذا محمد بن جرير الطَّبري، فقال: إنّا لله! ما أحسنتَ عِشرتي، ألا قلتَ لي، فكنتُ أُذاكره غيرَ تلك المذاكرة؟ هذا رجل مشهور بالحِفظِ والاتِّساع، فمضت مدة ثم حضـرنـا في حقّ رجـل آخـر، وجلسنـا وجاء الطبريُّ، فجلس إلى جانب أبي، وتجاريا، فكُلَّما جاء إلى قصيدة ذكر الطبري بعضها ويُنشِدُها أبي، وكلما ذكر شيئاً من السِّيَر فكذلك، فربما تلعثَم وأبي يمرُّ في جميعه، فما سكت إلى الظُّهر.

٦١٨ واعِظُ بَلْخ(١)

[٣]الإمامُ الكبيرُ الزّاهد، العلاّمة، شيخُ الإسلام، أبو عبدالله محمد بن الفضل بن

(١) انظر السير: ١٤/٥٢٣-٥٢٦.

العباس البَلخي الواعظ، نزيل سَمرقَندَ وتلك الديار.

[١]قال السُّلمي: سمعتُ محمد بن علي الحِيريَّ يقول: سمعتُ أبا عثمان الحِيريَّ يقول: لو وجدتُ من نفسي قوةً لرحلتُ إلى أخي محمد بن الفضل، فأستروح برؤيته.

[٢]قال أبو نُعَيم الحافظ: وسمعتُ محمد بن عبدالله الرّازي بنَسا أنّه سمعَه يقول ذهابُ الإسلام من أربعة: لا يَعملونَ بما يَعلَمون، ويَعملونَ بما لا يَعلَمون، ولا يَتَعلَّمون مالا يَعْلَمون، ويَمنَعون النَّاس من العِلم.

قلتُ: هذه نعوتُ رؤوس العرب والتُّرك، وخلق من جَهَلة العامة فلو عملوا بيسير ما عرفوا، لأفلَحوا، ولو وقفوا عن العمل بالبدع لوُفِّقوا ولو فَتَّشوا عن دينهم وسألوا أهل الذِّكر -لا أهلِ الحِيَلِ والمكر- لسَعِدوا بل يُعرِضون عن التعلُّم تيهاً وكَسَلاً، فواحدة من هذه الخِلال مُردِيَة، فكيف بها إذا اجتمعت؟! فما ظنُّك إذا انضم إليها كِبْر، وفجورٌ، وإجرامٌ وتَجَهْرُمٌ على الله! نسأل الله العافية.

[٣]قال السُّلميُّ في «محن الصوفيَّة»: لما تكلّم محمد بن الفضل ببَلخ في فهم القرآن وأحوال الأئِمَّة، أنكر عليه فقهاءُ بَلخ، وقالوا: مُبتدع. وإنَّما ذاك بسبب اعتقاده مذهبَ أهلِ الحديث، فقال: لا أَخرجُ حتى تُخرجوني وتطوفوا بي في الأسواق. ففعلوا به ذلك، فقال: نزع الله من قلوبكم مَحَبَّتَهُ ومَعَرِفتَه. فقيل: لم يخرج منها صُوفيٌّ من أهلها. فأتى سَمرقَند، فبالغوا في إكرامه.

[٤] وقيل: إنّه وعظ يوماً، فمات في المجلس أربعةُ أنفس.

مات سنة سبعَ عشرة وثلاث مئة.

٦١٩ الكَتَّانيّ(١)

[٥]القُدوةُ العارف، شيخ الصُّوفية، أبو بكر، محمد بن علي بن جعفر البغداديُّ، الكَتَّانيّ.

(١) انظر السير: ١٤/٥٣٣-٥٣٥.

[١]ومن كلامِهِ قال: من يدخل في هذه المفازة يحتاج إلى أربَعٍ: حالٍ تحميه، وعلمٍ يَسُوسُه، وورَعٍ يَحجُزه، وذكرٍ يُؤنسُه.

[٢]وقال: التصوُّفُ خُلُقٌ، فمَن زاد عليك في الخلقِ، زاد عليك في التَّصوُّف.

[٣]وعنه قال: من حكم المُريد أن يكون نومُه غَلَبة، وأَكلُهُ فاقَة وكلامُه ضَرورَة.

قلتُ: نَعم للصادق أن يُقِلَّ من الكلام والأكل والنَّوم والمخالطة وأن يكثر من الأورادِ، والتواضُع، وذكر الموت، وقَولِ: لا حول ولا قُوَّةَ إلا بالله.

[٤]يقال: ختم الكتانيُّ في الطواف اثني عشر ألفَ خَتمة، وكان من الأولياء.

توفي سنة اثنتين وعشرينَ وثلاثِ مئة.

٦٢٠ الدَّغُولي[(١)]

[٥]**الإمامُ العلامةُ، الحافظُ المجوِّد، شيخُ خراسان، أبو العباس، محمد بن عبدالرحمن بن محمد السَّرْخسي الدَّغولي.**

قال الحاكمُ في كتابٍ «مزكي الأخبار»: كانَ أبو العباس أحدَ أئمَّةِ عصرِه بِخُراسان في اللُّغة، والفِقه، والرِّواية.

[٦]الحاكمُ: سمعتُ الأستاذ أبا الوليد يقول: قيل لأبي العبّاسِ الدَّغولي: لم لا تَقنُتُ في صلاة الفَجر؟ فقال: لراحة الجَسَدِ، وسُنَّةِ أهلِ البَلَد، ومُداراةِ الأهلِ والوَلد.

وقال أبو بكر أحمد بن علي بن الحسين الحافظ: خَرجْنا مع الإمام أبي بكر بن خُزيمة إلى سمرقند لِتهنئةِ الأمير الشَّهيد، والتعزية عن الأمير أبي إبراهيم الماضي، فلما انصرفنا، قلتُ لابن خُزيمة: ما رأينا في سفرنا مثل أبي العبَّاس الدُّغولي. فقال أبو بكر: ما رأيتُ أنا مثلَ أبي العباس.

قلت: ما أطلق ابنُ خزيمة هذا القول إلا عن أمر كبيرٍ من سَعةِ علم أبي العباس رحمه الله.

---

(١) انظر السير: ١٤/٥٥٧-٥٦٢.

[١]قال الحاكم: سمعتُ يحيى بن عَمرو البُستيَّ يقول: سمعتُ أبا العباس الدَّغولي يقول لأبي الحسين الحجّاجي: أيش حال أبي عليٍّ الحافظ؟ وما الذي يصنِّفه الآن؟ قال: هو ذا يردُّ على مسلم بن الحجَّاج. فأنشأ يقول:

يُقَضِّي للحُطيئةِ ألفُ بَيتٍ كذاكَ الحيُّ يَغلِبُ كلَّ مَيْتِ
كذلكَ دِعبلٌ يرجو سَفَاهاً وحُمقاً أن يَنالَ مَدَى الكُمَيتِ
إذا ما الحيُّ ناقَضَ حَشوَ قبرٍ فذالُكُمُ ابن زانيةٍ بزيتِ

[٢] قال ابن أبي ذُهل: سمعتُ أبا العباس الدَّغولي يقول: أربع مجلدات لا تُفارقُني في السَّفر، والحَضَر، وإذا خرجتُ من البلد: كتاب المزني، وكتاب «العَين»، و«تاريخ البُخاري»، وكتاب «كليلة ودمنة».

[٣]قال الحاكم: قال الدُّغولي: في العلماء جماعة فُقِدوا فجأةً فلم يُوجَدوا، منهم: عبدالرحمن بن أبي ليلى، فُقِدَ يوم الجماجم، ومنهم: مَعمر بن راشد، ولم تُعرف له تُربةٌ قطُّ، وبَدَل بنُ المحبَّر افتقِدَ ولا يُدرى أين ذهب، ثم سمَّى جماعةً ماتوا فجأةً كالشعبي، وحُميد الطويل، والأوزاعي.

قال الحاكم: سألت محمدَ بنَ عبدالرحمن بن الدَّغُولي عن وفاة جده فقال: في سنة خمسٍ وعشرينَ وثلاثِ مئة.

٦٢١ القاضي الخَيّاط(١)

[٤]**الإمامُ المحدِّثُ الحافظ، القاضي الوَرِع، أبو عبدالله، محمد بن علي المروزي، أحد السادات والأولياء.**

[٥] عرف بالخَيَّاط لأنه كان يَخيط على الأيتام والمساكين حِسبَة.

وُلد سنة بضعٍ وثلاثين ومئتين.

[٦]وَلِيَ قضاء القُضاةِ بنيسابور في سنة ثمان وثلاث مئة، إلى أن استعفَى سنة إحدى عشرة، وردَّ خريطَةَ الحُكمِ إلى الرئيس أبي الفضلِ البَلْعَميِّ، فما شرب لأحد ماءً، ولا ظُفرَ له بزَلة، وكان لا يدعُ سماعَ الحديث أيامَ قضائه، ويحضر مجلسَ أبي

(١) انظر السير: ١٤/٥٦٤-٥٦٥.

العبّاس السَّراج.

[١]وقال الحاكم: سمعتُ أبي يقول: كانَ القاضي محمد بن عليٍّ المروزي طول أيامه يسكنُ دار ابن حَمدون بحذاء دارنا، وكنتُ أعرفُهُ يخيط بالليل، وإذا تفرَّغ بالنهار، للأيتام والضُّعفاء، ويعدُّها صَدَقة.

[٢] سمعتُ محمد بن عبدان خادمَ الجامع يقول: كان محمدُ بن علي الحاكم يجيء في كلِّ أسبوع ليلةً إلى الجامع، فيتعبَّد إلى الصباح من حيث لا يعرف غيري، فصادفته ليلة يتلو: ﴿ومَن لَم يَحكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فأولئِكَ هم الكافِرُونَ﴾ [المائدة ٤٤] الآيات وكُلَّما تلا آيةً منها، ضربَ بيده على صَدرة ضربةً أسمع صوتَها من شدَّته، رحمه الله تعالى.

تُوفي بعد العشرين وثلاث مئة، وله بضع وثمانون سنة.

٦٢٢ ابن أبي العَزاقِر(١)

[٣]الزِّنديق المعثَّر، أبو جعفر، محمدُ بن عليّ، الشَّلْمَغانيُّ الرافِضيّ.

قال بالتَّناسُخ، وبحلول الإلهيَّة فيه، وأن الله يحلُّ في كلِّ شيء بقدر ما يحتمله، وأنَّه خلق الشيءَ وضدَّه، فحل في آدم وفي ابليسِهِ، وكلٌّ منهما ضِدٌّ للآخر.

وقال: إنَّ الضِّدَّ أقربُ إلى الشَّيء من شِبهِهِ، وإنَّ الله يحلُّ في جسد من يأتي بالكرامات ليدلَّ على أنَّه هو، وإن الإلهيَّة اجتمعت في نُوح وإبليسه وفي صالح وعاقر النَّاقة، وفي إبراهيمَ ونَمروذ، وعليٍّ وإبليسه.

وقال: من احتاج الناسُ إليه، فهو إلَه.

وسمَّى موسى ومحمداً الخائِنَيْن، لأن هارونَ أرسل موسى، وعليّاً أرسَلَ محمداً، فخاناهما، وإن عليّاً أمهلَ محمداً ثلاثَ مئةِ سنة ثم تذهب شريعته.

[٤] ومن رأيه تركُ الصَّلاة والصَّوم، وإباحةُ كل فَرج، وأنه لابد للفاضل أن يَنِيكَ المفضولَ ليُولج فيه النُّور، ومن امتَنَعَ مُسِخ في الدَّور الثاني، فرَبَط الجَهَلة وتخرَّق،

---

(١) انظر السير: ١٤/٥٦٦- ٥٦٩.

وأضـلَّ طائفة، فأظهر أمرَهُ أبو القاسم الحسين بن روح ـ رأس الشيعة، الملقب بالبـاب ـ إلى صاحب الـزَّمان، فطُلِب ابنُ أبي العزاقر، فاختفى، وتسحَّب إلى الموصل، فأقام هناك سنين ورجع، فظهر عنه ادِّعاء الرُّبوبيَّة، واتبعه الوزيرُ حسينُ ابن الـوزير القاسم بن عبيدِ اللهِ بن وهب ـ وزير المقتدر ـ فيما قيل، وابنا بِسطام وابراهيم بن أبي عون، فطُلبوا، فتغيَّبوا، فلما كان في شوال من سنة اثنتين وعشرين ظفر الوزيرُ ابن مُقلة بهذا، فسجَنهُ، وكَبَسَ داره، فوجد فيها رِقاعاً وكتباً مما يُدَّعى عليه، وفيها خطابُهُ بما لا يخاطب به بشر فعُرضت عليه فأقرَّ أنَّها خطوطُهم، وتنصَّل مما يُقال فيها، وتبرأ منهم فمدَّ ابن عَبدوس يَدَه، فصَفَعَه، وأماابنُ أبي عَون فمد يده إليه فارتعدت يدُه، ثم قبل لحيتَهُ ورأسَهُ وقال: إلٓهي، ورازقي، وسيِّدي! فقال له الراضي بالله: قد زعمت أنك لا تدَّعي الإلهية، فما هذا؟ قال: وما عليَّ مِن قول هذا؟ واللهُ يعلم أنني ما قلتُ له: إنني إله قطُّ.

فقال ابن عَبْدُوس: إنَّه لم يدَّع إلهية، إنَّما ادَّعى أنه البابُ إلى الإمام المنتظَر. ثم إنهم أُحضروا مرّاتٍ بمحضر الفُقهاء والقُضاة، ثم في آخر الأمر أُفتى العلماء بإباحة دمه، فأُحرقَ في ذي القَعْدة من السَّنة وضُرِبَ ابن أبي عون بالسِّياط، ثم ضُربتْ عُنُقُهُ وأُحرق.

وله مصنَّفاتٌ أدبيَّة، وكان من كبار الكتّاب.

وقتلَ بسببه وزير المقتدر، الحسين، اتُّهم بالزَّندقة، وقُتِل أبو إسحاق إبراهيمُ بن أحمد بن هِلال بن أبي عون الأنباريُّ الكاتب.

وقد كان أبو علي الحسين ـ ويقال: الجمَّال ـ وزَرَ للمقتدر في سنة تسع عشرةَ وثلاث مئة، ولقبُوه عميدَ الدَّولة، وعزل بعد سبعة أشهر وسُجن، وعُقِد له مجلس في كائنة الشَّلْمَغَاني، ونوظِرَ، فظهرت رِقاعُهُ يخاطبُ الشلمغانيَّ فيها بالإلهية، وأنه يُحييه ويُميته، ويسأله أن يغفر له ذنوبَه. فأُخرجت تلك الرِّقاع، وشهد جماعة أنَّه خطُّه، فضربت عُنُقُه وطِيفَ برأسِه في ذي الحِجَّة سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة، وعاش ثمانياً وسبعين سنة.

الجزء الخامس عشر

٦٢٣ - ابنُ الشَّرْقيّ[1]

[١]الإمامُ العلاَّمة الثِّقة، حافظ خُراسان، أبوحامد أحمد بن محمد بن الحسَن النَّيْسَابوريُّ ابن الشَّرْقي، صاحب «الصَّحيح» وتلميذ مُسْلم.

ذكره أبو عبدالله الحاكم فقال: هو واحدُ عَصْره حِفْظاً وإتقاناً ومعرفةً.

قال الحاكم: سمعتُ الحسين التَّميميَّ، سمعت ابنَ خزيمةَ يقول ـ ونَظَرَ إلى أبي حامد ابن الشَّرْقي ـ فقال: حياةُ أبي حامد تحجُزُ بين النَّاس، وبين الكذبِ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

قلت: يعني: أنه يعرفُ الصحيحَ وغيرَه مِنَ الموضوع.

[٢]السُّلَمي: سألتُ الدَّارَقُطْني عن أبي حامد ابنِ الشَّرقي فقال: ثِقَة مأمون إمامٌ. قلتُ: لِمَ تكلَّم فيه ابنُ عُقْدَةَ؟ فقال: سبحانَ الله ترى يؤَثِّر فيه مِثْلُ كلامِه، ولو كانَ بَدَلَ ابن عُقْدَة يحيى بنُ معين. فقلتُ: وأبو عليّ؟ قالَ: وَمَنْ أبو عليّ حتَّى يُسمَعَ كلامُهُ فيه.

وقال الخَليليُّ: هو إمامُ وقته بلا مُدَافعة.

مات سنةَ خمسٍ وعشرين وثلاثِ مئة.

٦٢٤ - المُقْتَدِر[2]

[٣]الخليفةُ المقتدر بالله، أبو الفَضْل جعفرُ بنُ المعتضِد بالله أحمدَ بنِ أبي أحمدَ طلحَةَ بنِ المتوكل على الله الهَاشِميُّ العَبَّاسيُّ البَغْدادِيّ.

بُويِعَ بعد أخيه المُكْتَفي في سنةِ خمسٍ وتسعينَ ومئتين، وهو ابنُ ثلاث

(١) انظر السير: ١٥/ ٣٧-٣٩.

(٢) انظر السير: ١٥/ ٤٣-٥٦.

عشرة سنة. وما وَلِيَ أحدٌ قبله أصغر منه، وانخرم نظامُ الإمامةِ في أيامه، وصَغُر منصِبُ الخِلافةِ، وقد خُلع في أوائل دَوْلته، وبايعوا ابنَ المُعْتَز، ثم لَمْ يتمَّ ذلك. وقُتل ابنُ المعتز وجماعةٌ، ثمَّ إنه خُلِع ثانياً في سنة سبعَ عشرة، وَبَذَلَ خَطَّه بعزلِ نفسه، وبايعوا أخاه القاهر، ثم بعد ثلاثٍ، أُعيد المقتدرُ، ثم في المَرَّة الثالثة قُتل.

وعاش ثمانياً وثلاثين سنةً.

[١] قال أبو علي التَّنُوخي: كان جيِّدَ العقلِ، صحيحَ الرَّأي، ولكنه كان مُؤْثِراً للشَّهَوَاتِ، لقد سمعتُ عليَّ بنَ عيسى الوزير يقول: ما هُوَ إلَّا أنْ يترُكَ هذا الرَّجل - يعني المقتدر - النبيذَ خمسةَ أيام فكان ربما يكونُ في أصالةِ الرَّأي كالمأمونِ والمعتضِد.

[٢] قلتُ: كان منهوماً باللَّعِبِ، والجَوَاري، لا يلتفتُ إلى أعباءِ الأمور فَدَخَلَ عليه الدَّاخِل، وَوَهَنَ دَسْتُه.

[٣] ووصَلَتْ القرامطةُ إلى الكُوفة، فهرب أهلُها. ودخلَت الدَّيْلَمُ فاستباحوا الدِّينَوَر، وَوَصَلَ أهلُها، فرفعوا المصاحِفَ على القَصَب وَضَجّوا يوم الأضحى من سنة تسع عشرة، وأقبلَتْ جيوشُ الرُّوم وبدَّعوا وأسروا. وتَمَّ ببغداد الوباءُ الكبير، والقَحطُ حتى سَوَّد الشُّرفاءُ وجوهَهم، وصاحوا: الجوعَ الجوعَ.

[٤] وكان سَمْحاً مِتلافاً للأموال، مَحَقَ ما لا يُعدُّ ولا يُحصى.

[٥] وتجمَّع في سنة ثمانٍ من الغوْغَاء ببغداد عشرةُ آلاف، وفتحوا السِّجون، وقاتلوا الوزيرَ وولاةَ الأُمورِ، ودامَ القِتالُ أيّاماً، وقُتل عِدَّة، ونُهبتْ أموالُ النَّاس، واختلَّتْ أحوال الخلافة جداً، ومُحِقَتْ بيوتُ الأموال. وفي سنة **٣١٦** دَخَلَ أبوطاهر القِرْمِطي الرَّحبَة بالسيف، ثم قَصَد الرَّقَّة، وبدَّع، وعمِلَ العَظَائم. وفي سنة **٣١٧** جَرَتْ خَبْطةٌ ببغداد واقتتل الجيشُ، وتمَّ مالا يَوصف.

وأمَّا الرُّوم فعاثوا في الثُّغور، وفعلوا العَظَائمَ، وبذَل لهم المسلمون الإتاوة.

قال الصُّولي: كان المقتدر يفرِّق يوم عرفة من الضحايا تسعين ألفَ رأس،

[٦] ويقال: إنه أتلفَ من المال ثمانينَ ألفَ ألف دينار. عثَّر نَفْسَه بيده.

٦٢٥ - مُؤْنِس[1]

[١]الخادِمُ الأكبر الملقَّب بالمظفَّر المُعْتَضِدِيُّ، أحد الخُدام الذين بلغوا رُتبَةَ الملوك، وكان خادِماً أبيضَ فارساً شُجاعاً سائساً دَاهِيةً.

نُدب لحرب المَغَاربة العُبيدية، ووَلِيَ دمشقَ للمقتدر، ثم جَرَتْ له أمورٌ، وحارب المقتدر، فقُتِل يومئذ المقتدرُ، فَسُقِطَ في يد مُؤنس، وقال: كلنا نُقتل. وكان معظَمَ جُندِ مؤنس يومئذٍ البربرُ فَرَمَى واحدٌ منهم بحربته الخليفَةَ، فما أخطأه، ثم نَصَبَ مؤنس في الخلافة القاهر بالله، فلمَّا تمكَّن القاهر، قَتَلَ مؤنساً وغيرَه في سنة إحدى وعشرين. وبقي مُؤْنِسٌ ستين سنةً أميراً، وعاش تسعينَ سنة، وخلَّف أموالاً لا تُحصى.

٦٢٦- ابن زياد النَّيْسابوريُّ[2]

[٢]الإمامُ الحافظُ العلَّامةُ شيخُ الإسلام، أبوبكر عبدالله بنُ محمد بن زِياد، النَّيْسَابُوريُّ، مولى أميرِ المؤمنين عثمانَ بنِ عفَّان الأُمويُّ، الحافظ الشَّافعيُّ، صاحبُ التصانيف.

قال أبوعبدالله الحاكم: كان إمام الشَّافعيين في عصرهِ بالعراق ومِن أحفَظِ النَّاسِ للفقهيَّات واختلافِ الصَّحابة.

[٣]قال أبوالفتح يوسف القَوَّاس: سمعتُ أبابكر النَّيْسَابوريَّ يقول: تعرف من أقامَ أربعينَ سنةً لم ينمِ الليلَ، ويتَقوَّتُ كلَّ يوم بخمس حبَّات، ويصلِّي صلاةَ الغَدَاة على طهارة عِشاء الآخرة؟ ثم قال: أنا هو، وهذا كله قبل أن أعرفَ أمَّ عبدِالرحمن، أيشٍ أقول لمن زَوَّجني؟ ثم قال: ما أراد إلَّا الخَير.

(١) انظر السير: ١٥/ ٥٦-٥٧.

(٢) انظر السير: ١٥/ ٦٥-٦٦.

قلتُ: قد كان أبوبكر من الحُفَّاظ المجوِّدين.

مات سنةَ أربعٍ وعشرين وثلاث مئة عن بضع وثَمانينَ سنةً.

قال الـدَّارقُـطْني: كُنَّـا نتذاكرُ فسألَهم فقيهٌ: من رَوى: «وجُعِلَتْ تُرْبَتُها لنا طَهُوراً» فقَامَ الجماعةُ إلى أبي بكر بن زياد فسألوه، فساق الحديثَ في الحال من حِفْظِهِ.

٦٢٧ - نِـفْـطَـوَيْــه(١)

[١]الإمامُ الحافظ النَّحْويُّ العلَّامةُ الأخباريُّ، أبو عبدِالله إبراهيمُ بنُ محمدِ بن عَرفَةَ، العَتَكِيُّ الأزْديُّ الواسِطِيُّ، المشهور بِنِفْطَوَيْه صاحبُ التَّصانيفِ.

ولد سنة أربعٍ وأربعين ومئتين.

[٢]وكان متضلِّعاً من العلوم، يُنكر الاشتقاق ويُحيله. خَلَطَ نحو الكوفيين بنحو البصريين، وصار رأْسَاً في رأي أهل الظَّاهر.

وكان ذا سُنَّةٍ ودينٍ وفُتُوَّةٍ ومُرُوءةٍ، وحُسْنِ خُلُق، وَكَيْسٍ وله نظمٌ ونثر.

ماتَ سنةَ ثلاثٍ وعشرين وثلاث مئة.

[٣]وكان محمدُ بنُ زيد الوَاسِطِيُّ المتكلِّم يؤذيه، وهجاه، فقال:

من سَرَّهُ أنْ لا يَرَى فَاسِقاً فَلْيَجْتَنِبْ مِنْ أنْ يَرَى نِفْطَوَيْه

أحْرقَهُ الله بنِصْفِ اسْمِهِ وَصَيَّرَ البَاقِي صُرَاخاً عَلَيْه

وقال أيضاً: مَنْ أرَاد أن يَتَنَاهى في الجَهْلِ، فليَعرفِ الكلامَ على مَذْهَب النَّاشيء،(٢) والفِقْهَ على مذهب داود، والنَّحْوَ على مذهب سيبَوَيْه. ثُمَّ يقول: وقد جَمَعَ هذه المذاهب نِفْطَوَيْه، فإليه المُنْتَهَى.

---

(١) انظر السير: ١٥/ ٧٥-٧٧.

(٢) هو عبدالله بن محمد، أبو العباس، المعروف بابن شرشير الناشيء. شاعر متكلم يعد في طبقة ابن الرومي والبحتري أصله من الأنبار، وأقام ببغداد مدة طويلة، وخرج إلى مصر فسكنها، وتوفي بها سنة ٢٩٣ هـ.

٦٢٨ - أحمدُ بن بَقيٍّ[1]

[١]ابن مخْلَد، أبوعمر القُرْطُبي. كبيرُ عُلماء الأندلس، وقاضي قرطبةَ.

[٢]وقال ابنُ عبد البرّ: كان وقوراً حليماً كثيرَ التلاوةِ ليلاً ونهاراً، قويَّ المعرفة باختلاف العُلماءِ، وَلِيَ القَضاءَ عشرةَ أعوامٍ ما ضَرَبَ فيها فيما قيل سوى واحدٍ مجمعٍ على فِسْقِهِ، وكان يتوقَّفُ ويتثبَّتُ ويقول: التأني أخلصُ، إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لما أشكلَ عليه أمرُ حديث حُوَيِّصة ومُحَيِّصة[2] وَدَى القتيلَ مِنْ عنده.

وكان النَّاصرُ لدين الله يحترمُه ويبجِّلُه. توفي على القضاء سنة أربع وعشرين وثلاثمائة.

قُلْتُ: وفي ذريته أئمةٌ وفضلاء، آخرهم أبوالقاسم أحمدُ بنُ بَقيٍّ.

٦٢٩ - الأشْعَريُّ[3]

[٣]العلاَّمة إمامُ المتكلِّمين، أبوالحسن عليُّ بنُ إسماعيلَ بن أبي بِشر إسحاق ابنِ سالمِ بنِ إسماعيلَ بنِ عبدالله بنِ موسى بن أمير البَصْرة بلال بنِ أبي بُرْدَة

---

(١) انظر السير: ١٥/ ٨٣-٨٤.

(٢) أخرجه البخاري ٣١٧٣ في الجهاد، و (٦١٤٣) في الأدب، و (٦٨٩٨) في الديات: باب القسامة، و (٧١٩٢) في الأحكام، ومسلم (١٦٦٩) من حديث سهل بن أبي حثمة ورافع بن خديج أنهما قالا: خرج عبدالله بن زيد، ومحيِّصَة بن مسعود بن زيد حتى إذا كانا بخيبر تفرّقا في بعض ما هُنالك ، ثم إذا مَحيِّصَة يجد عبدالله بن سَهْل قتيلاً، فدفنه، ثم أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وحُويِّصة بن مسعود وعبدالرحمن بن سهل، وكان أصغر القوم ـ فذهب عبدالرحمن ليتكلّم قبل صاحبيه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَبِّر، الكُبْر في السِّنّ»، فصمت، فتكلَّم صاحباه وتكلم معي، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مقتل عبدالله بن سهل، فقال لهم: «أتحلفون خمسين يميناً فتستحِقون صاحبكم أو قاتِلكم»، قالوا: فكيف نحلف ولم نشهد، قال: «فتُبرئكم يهود بخمسين يميناً». قالوا: وكيف نقبل أيمان قومٍ كفار، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى عقله.

(٣) انظر السير: ١٥/ ٨٥-٩٠.

ابن صاحب رسـول الله صلى الله عليه وسلم أبي موسى عبدالله بنِ قَيْس بن حَضَّار، الأشْعَرِيُّ اليمانيُّ البصريُّ.

مولِدهُ سنةَ ستين ومئتين.

[١] وكان عجباً في الذَّكاء، وقوةِ الفهمِ، ولمَّا برع في معرفة الاعتزال، كرِهَه وتبرَّأ منـه، وصَعِـدَ للنَّاس، فتابَ إلى الله تعالى منه، ثُمَّ أخذ يرُدُّ على المعتزلة، ويهتِك عِوَارَهم.

[٢]قال الفقيه أبـوبكر الصَّيْرَفيُّ: كانت المعتزلةُ قد رفعوا رؤوسَهَم، حتى نشأ الأشعريُّ فحجرهم في أقماع السِّمْسِم.

وعن ابنِ البَاقِلَّانيِّ قال: أفضل أحوالي أن أفهمَ كلامَ الأشْعريِّ.

[٣] قلت: رأيتُ لأبي الحسن أربعةَ تواليف في الأصول يذكرُ فيها قواعدَ مذهبِ السَّلَفِ في الصِّفات، وقال فيها: تُمَرُّ كما جاءت، ثم قال: وبذلك أقول، وبه أدين، ولا تُؤوَّل.

قلتُ: مات ببغـدادَ سنـةَ أربعٍ وعشرين ثلاث مئة. حطَّ عليه جماعةٌ من الحنـابلة والعلماء. وكلُّ أحدٍ فيُؤخذ من قوله ويُترك، إلا من عصم الله تعالى اللهم اهدنا، وارحمنا.

ولأبي الحسن ذكاءٌ مُفرط، وتبحُّر في العِلم، وله أشياء حسنة وتصانيف جمّة تقضي له بسَعَةِ العِلمِ.

[٤] رأيتُ للأشعريِّ كلمة أعجبتني وهي ثابتة رواها البيهقيُّ، سمعتُ أبا حازم العَبْدَويَّ، سمعت زاهر بن أحمد السرخسيَّ يقول: لمَّا قَرُبَ حضورُ أجلِ أبي الحسن الأشْعَرِيِّ في داري ببغداد، دعاني فأتيتُه، فقال: اشهدْ عليَّ أني لا أكفِّر أحداً من أهلِ القِبْلة، لأنَّ الكلَّ يُشيرونَ إلى معبودٍ واحد، وإنّما هذا كلُّه اختلاف العِبَارات.

[٥]قلتُ: وبنحو هذا أدين، وكذا كان شيخُنا ابنُ تيميةَ في أواخر أيامه، يقول أنا لا أكفر أحداً من الأمة، ويقول: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «لا يُحافِظُ

على الوضوء إلَّا مؤمنٌ» فمن لازم الصَّلَوات بوضوءٍ فهو مُسلم.

وقد ألّف الأهْوازيُّ(١) جُزءاً في مثالب ابنِ أبي بشر، فيه أكاذيب وجَمَعَ أبوالقاسم في مناقبه فوائد بعضها أيضاً غيرُ صحيحٍ، وله المناظرةُ المشهورةُ مع الجُبَّائي في قولهم: يجِبُ على الله أن يفعل الأصْلحَ.

وكان فيه دُعابةٌ ومزحٌ كثير.

وألَّف كُتباً كثيرةً، وكان يقنَع باليسير، وله بعضُ قريةٍ من وَقْفِ جَدِّهم الأميرِ بلالِ بنِ أبي بُرْدَة.

٦٣٠ - البَـرْبَهـاريّ (٢)

[١]شيخُ الحنابلة القُدوة الإمام، أبومحمدٍ الحسنُ بنُ علي بن خَلَف البَرْبَهَارِيُّ (٣) الفقيه.

كان قوَّالاً بالحق، داعيةً إلى الأثر، لا يَخَافُ في الله لومَةَ لائم.

[٢]ومِنْ عبارة الشَّيخِ البَرْبَهَارِيِّ قال: احذْر صِغَارَ المُحدَثَاتِ مِنَ الأمور فإنَّ صِغَارَ البِدَع تعودُ كِباراً، فالكلامُ في الرَّبِّ عزّ وجل مُحدَثٌ وبِدْعة وضَلالة، فلا نَتكلَّم فيه إلَّا بما وصفَ به نفسَه، ولا نقولُ في صِفاته: لِمَ؟ ولا كيف؟

[٣]قال ابن بَطَّة: سَمِعْتُ البَـرْبَهَـارِيَّ يقـول: المجـالسةُ للمناصحةِ فَتْحُ بابِ الفَائدة، والمجالسةُ للمُناظَرة غَلْقُ بابِ الفائدة.

[٤]قال أبوالحسين بنُ الفَرَّاء: كان للبَرْبَهَارِيِّ مجاهداتٌ ومقامات في الدِّين، وكان المخالفون يُغلِظُون قلب السُّلطان عليه. ففي سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة أرادوا حَبْسَه، فاختفى. وأُخِذَ كبارُ أصحابِهِ، وحُملوا إلى البَصْرة. فعاقب الله

---

(١) هو الحسن بن علي بن إبراهيم، أبو علي الأهوازي، مقرىء الشام في عصره، أصله من الأهواز، استوطن دمشق وتوفي بها سنة ٤٤٦هـ.

(٢) انظر السير: ١٥/ ٩٠-٩٣.

(٣) هذه النسبة إلى «بربهار» وهي الأدوية التي تجلب من الهند.

الوزير ابنَ مُقْلَةَ وأعاد الله البَرْبَهَارِيَّ إلى حشمته، وزادت، وكَثُرَ أصحابُه. فَبَلَغَنا أنَّه اجتازَ بالجانب الغربي، فعَطَس فشَمَّتَه أصحابُه، فارتفعت ضجَّتُهم حتى سمعها الخليفة، فأخبر بالحال، فاستهولها، ثُمَّ لم تزل المُبتدِعةُ تُوحِش قلبَ الرَّاضي، حتى نوديَ في بغداد: لا يجتمع اثنان من أصحاب البَرْبَهَارِيِّ،

[١] فاختفى، وتُوفي مستتراً في رجب سنة ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة، فدُفن بدار أختِ توزون[1] فقيل: إنَّه لمَّا كُفِّن، وعنده الخادم صلَّى عليه وحدَهُ، فنظرتْ هي من الرَّوْشَن،[2] فرأت البيت ملآنَ رجالاً في ثياب بيض، يُصلُّون عليه، فخافتْ وطلبت الخادم، فحلَفَ أنَّ البابَ لم يُفتحْ.

[٢] وقيل: إنه ترَكَ ميراثَ أبيه تورُّعاً، وكان سبعين ألفاً.

[٣] عن ابن سمعون، أنَّه سمع البَرْبَهَارِيَّ يقول: رأيتُ بالشَّام راهباً في صومَعَة حوله رهبانٌ يتمسَّحون بالصَّومعة، فقلتُ لحدَثٍ منهم: بأيِّ شيءٍ أُعطيَ هذا؟ قال: سبحانَ الله متى رأيتَ الله يُعطي شيئاً على شيءٍ؟ قُلْتُ: هذا يحتاج إلى إيضاح، فقد يُعطي الله عبدَه بلا شيء وقد يُعطيه على شيء، لكنّ الشيءَ الذي يُعطيه الله عبدَه، ثم يثيبُه عليه هو منه أيضاً. قال تعالى: ﴿**وقَالوا: الحمدُ لله الَّذي هَدَانا لهذا، وما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لولا أن هَدَانا الله**﴾[3]

وعاش سَبْعاً وسبعينَ سنةً، وكان في آخر عُمره قد تزوَّجَ بجارية.

٦٣١ - القَاهِرُ باللّه[4]

[٤] الخليفةُ أبو منصور محمدُ بنُ المُعْتَضِد بالله أحمدَ بنِ المُوَفَّق طلحة بنِ المتوكل.

---

(١) توزون، أحد القواد الأتراك، خلع عليه المتقي وجعله أمير الأمراء ودامت إمارته حتى وفاته سنة ٣٣٤هـ وهو الذي سَمَل المتقي بالله وخلعه، وبايع المستكفي.

(٢) الكــوَّة.

(٣) الأعراف: ٤٣.

(٤) انظر السير: ١٥/ ٩٨-١٠٣.

استُخْلِفَ سنةَ عشرين وثلاث مئة وقت مَصْرع أخيه المقتدر. فيه شرٌّ وجبروت وطَيْشٌ.

[١] بايعوه بعد المقتدر، فصادر حاشيةَ أخيه وعذَّبهم، وضرب أُمَّ المقتدرِ بيده، وهي عليلة. ثم ماتتْ مُعلَّقـةً بحبـلٍ، وعذَّب أم موسى القَهرمانة، وبالغ في الإِساءة، فنَفَرَتْ منه القلوبُ.

[٢] ولَمْ يكنِ القَاهر متمكِّناً من الأُمور، وحكَمَ عليه عليُّ بنُ بُليق الرَّافضي الذي عزَمَ على سبِّ معاويةَ - رضي الله عنه - على المنابرِ فارتجَّتِ العِراق، وقُبِضَ على شيخ الحَنابِلَة البَرْبَهاريِّ، ثم قَوِيَ القَاهر ونَهَبَ دُورَ مخالفيه، وطَيَّن على ولَد أخيه المكْتَفي بين حَيْطَين وضَرَبَ ابنَ بُلَيق وسَجَنَه، ثُمَّ أمر بذبْحه، وبذبح أبيه، وذبح بعدهما مُؤْنساً الكبيرَ ويُمناً وابنَ زيرك. وبذل للجُند العطاءَ وعَظُمَ شأْنُـه ونـادى بتحـريم الغناءِ، والخمرِ، وكَسْرِ الملاهي، وهو مع ذلك يشرب المـطبـوخَ والسُّـلافَ، ويسكَرُ ويسمعُ القينات. واستوزر غير واحدٍ. وقَتَلَ أبا السَّرايا بن حمدان واسحاقَ النُّوبَخْتي ألقَاهما في بئْرٍ، وطُمَّتْ لكونهما زايده في جاريةٍ قبـل الخِلافة. وبَقِيَ ابنُ مُقْلَةَ في اختفائِهِ يُراسل الجُنْدَ ويَشْغَبُهم على القاهر، ويخرجُ متنكراً في زيٍّ عجميٍّ، وفي زيِّ شحَّاذ، وأعْطَى مُنَجِّماً ذهباً ليقـول للقُوَّاد: عليكم قطع من القاهر. ثم خُلِعَ وأكحل بِمِسْمَار لسوء سيرته وسَفْكه الدِّماءَ. وكانت خلافته سنةً ونصفاً وأسبوعاً.

[٣] قال الصوليُّ: كان أهوجَ، سفَّاكاً للدِّماء، كثيرَ التَّلوُّنِ، قبيحَ السِّيرةِ، مدمِنَ الخَمْرِ، ولولا جَودةُ حاجبه سلامةَ لأهلَكَ الحَرْثَ والنَّسل، وكان قد صَنَعَ حَرْبَةً يحمِلها فلا يطرحُها حتى يقتُلَ إنساناً.

[٤] ثم أُخـرج إلى دار ابن طاهـر، فكـان تارةً يُحبس، وتارةً يُهمَلُ فوقَفَ يوماً بالجامع بينَ الصُّفوف، وعليه جبَّةٌ بيضاء وقال: تصدَّقوا عليَّ، فأنا مَنْ قد عرفتُمْ.

ثم ماتَ في سنةِ تسعٍ وثلاثين وثلاث مئة. وله ثلاثٌ وخَمسون سنةً.

فصـــل

ولْنـذكُـرْ هنـا جمـاعـةً من خلفاءِ الإسلام على التَّوالي إنْ شاءَ الله ليتأمَّلَ تراجِمَهم الفاضلُ مُتَّصِلَةً مجموعةً.

٦٣٢ ـ الـرَّاضـي باللـــه[1]

الخليفةُ أبو اسحاق محمد بنُ المُقْتَدِر بالله. الهاشِمِيُّ العَبَّاسيُّ. وُلِدَ سنةَ سبعٍ وتسعين ومئتين. وأُمُّه روميَّة.

قال أبوبكر الخطيبُ: له فضائل منها: أنه آخرُ خليفةٍ خطب يومَ الجمعةِ، وآخرُ خليفةٍ جالس النُّدماءَ، وآخرُ خليفةٍ له شِعْرٌ مدوَّن، وآخرُ خليفة انفَرَدَ بتدبير الجيوش. وكانت جوائزُهُ وأمْورُه على ترتيب المتقدِّمين منهم، وكان سَمْحاً جَوَاداً أديباً فصيحاً، مُحِبّاً للعلماء.

سمع من البَغَـوِيِّ.

قال الصُّـوليُّ: سُئِـلَ الرَّاضي أن يخطُبَ يوم جُمُعةٍ، فارتقى مِنبرَ سَامَرَّاء، وَحَضَرْتُه، فشنف الأسماعَ وأبلغَ، ثم صلَّى بنا.

تُوفِّيَ سنةَ تسعٍ وعشرين وثلاث مئة. وله اثنتانِ وثلاثون سنةً، سوى أشهر.

وبويع المتَّقي لله إبراهيمُ أخوه. وكانت الفِتَنُ والحروبُ متواترةً بالعراق في هذه السنين، وضعُفَ شأن الخلافةِ. فلِلّه الأمرُ.

٦٣٣ ـ المُتَّقـي لـلّـه[2]

الخَليفةُ أبو اسحاقَ، ابراهيمُ بنُ المقتدر بن المعتضد، العَبَّاسيُّ.

---

(١) انظر السير: ١٥/ ١٠٣-١٠٤. (٢) انظر السير: ١٥/ ١٠٤-١١١.

صَعِدَ على السَّرير، ولم يغيِّرْ شيئاً، ولا تسرَّى على جاريته. وكان ذا صومٍ وتعبُّدٍ، ولم يشربْ نبيذاً، ويقول: لا أريد نَدِيماً غيرَ المصحفِ.

[١] أقبلَ تَوْزُونُ من واسطٍ فخلع عليه المُتَّقي، ولقَّبه أميرَ الأمراءِ ولكنْ ما تَمَّ الود. فعاد تَوزون إلى واسطٍ وصادَرَ المُتَّقي وزيرَهُ، وبعث بخِلَعٍ إلى أحمدَ بن بُوَيْه، واسْتَوزر غيرَ واحدٍ، ويَعْزِلُهُمْ، وصَغُرَ أمرُ الوزارة، ووَهَنَتْ الخلافةُ العَبَّاسيةُ.

[٢] وتوجَّه المُتَّقي مِنَ الرَّقَّة إلى بغداد، فأقامَ بِهِيتَ، وَحَلَفَ له تَوْزُون، فَلَمَّا الْتَقاهُ ترجَّلَ لَهُ وَقَبَّلَ الأرضَ، ومَشَى بين يديهِ إلى مخيَّمٍ ضَرَبَهُ للمُتَّقي، فلما نَزَلَ قَبَضَ توزون عليه وَسَمَلَه، وأُدْخِلَ بغداد أعمى، فلِلَّه الأمرُ، وأخَذَ مِنْه البُرد والقضيبَ والخاتَمَ، وأحْضَرَ عبدَالله المستكفي بالله بن المُكْتَفي فبايَعَهُ بالخِلافَة.

[٣] خُلعَ المُتَّقي سنةَ ثلاث وثلاثين، ولمْ يُمهلْ توزون ولا حال عليه الحَوْلُ.

توفِّي المُتَّقِي في السِّجن بعد كَحْلِهِ بدَهْرٍ وذلك سنةَ سبعٍ وخمسين وثلاث مئة.

٦٣٤ - المُسْتَكْفِـي(١)

[٤] الخليفةُ المستكفي بالله، أبوالقاسم عبدُالله بنُ المُكْتفي.

بُويع وقت خَلْع المُتَّقي لله. وله يومئذٍ إحدى وأربعونَ سنةً.

اشتدَّ بالعراق القحطُ، ومات النَّاس جوعاً، وهَلَكَ ملكُ الأُمراءِ تَوْزون في أوَّل سنةِ أربعٍ، فَطَمِعَ في مَنْصِبه ابنُ شيرزاد، وحلَّفَ العساكر، ونَزَلَ بظاهر بغداد، وبعث المستكفي إليه بالخِلَعِ والإقامات، فصادر التُّجَّارَ والكُتَّابَ، وسلَّط جندَه على العوام فهرب النَّاس، وانقطع الجَلْبُ، ووَهَن أمنُ بغداد.

[٥] ثم دخل على الخليفة اثنان من الدَّيْلَم، فطلبا منه الرِّزْقَ، فمدّ يدَه للتَّقبيل،

(١) انظر السير: ١٥/ ١١١-١١٣.

فجبذاه من سرير الخلافة، وجرَّاه بعمامته، ونُهبتْ دارُه وساقوا المُسْتَكْفِي ماشياً إلى منزلِ مُعزِّ الدولة فَخَلَعَ المستكفي وسَمَلَه، فكانتْ خِلاَفَتُهُ ستةَ عشرَ شهراً.

وضعُفَ دَسْتُ الخلافةِ جدًّا، وظهر الرَّفضُ والاعتزالُ ببني بُويه، نسأل الله العفوَ.

وكان إكحالُ المُسْتَكْفِي بعْدَ أنْ خَلَعَ نفسه ذليلاً مقهوراً في جُمادَى الآخرة سنة أربعٍ وثلاثين فعاشَ بعد العَزْل والكَحْل أربعةَ أعوامٍ.

٦٣٥ - المُطِيعُ لله(١)

[١]الخَليفَةُ أبوالقاسم الفَضْلُ بنُ المُقْتَدِر جعفرِ بنِ المُعْتضد.

وُلِدَ سنةَ إحدى وثلاث مئة.

وبُويعَ بحُكْمِ خَلْعِ المُسْتَكْفِي نفسَه سنةَ **٣٣٤** وأُمُّه أمُّ ولدٍ.

[٢]وكان كالمقهور مع نائب العِراقِ ابن بُوَيْه، قرَّر له في اليوم مئةَ دينارٍ فقط.

واشتدَّ الغَلاءُ المُفْرط ببغدادَ، فذكرَ ابنُ الجَوزي أنَّه اشتُرِيَ لمعزِّ الدَّوْلة كُرُّ دقيق بعشرينَ ألف دِرْهم.

[٣]وكان يُقَام مأْتَمُ عاشوراء ببغدادَ، ويقَع فِتنٌ كبارٌ لذلك.

[٤]وفي سنةِ ستين فُلجَ المُطِيعُ، وبَطَلَ نِصْفُه، وتملَّك بنو عُبيد مِصْرَ والشَّامَ، وأذَّنـوا بدمشق «بحيَّ على خير العمـل»، وغَلَتِ البلادُ بالرَّفْضِ شرقاً وغرباً، وخَفِيَتِ السُّنَّةُ قليلاً، واستباحِت الرُّوم نَصِيبين وغيرَها، فلا قوَّةَ إلَّا بالله.

ولَمَّـا تحكَّم الفَـالـج في المـطيع دَعَاه سُبُكْتِكِين الحاجبُ إلى عَزْل نَفْسِه وتسليمِ الخلافة إلى ابنه الطَّايعِ ففعل ذلك سنة ثلاث وستين. وأثبتوا خَلْعَه على أبي الحسن ابن أمِّ شيبان القاضي. ثُمَّ كان بَعْدُ يُدْعى الشيخَ الفَاضل.

وفيهـا أُقيمت الدَّعوةُ العُبيديَّةُ بالحرمين للمعزِّ. واسْتَفْحَلَ البلاءُ باللُّصوص

---

(١) انظر السير: ١٥/ ١١٣-١١٨.

ببغدادَ، وركِبُوا الخيلَ، وأخذوا الخَفَارَة، وتلقَّبوا بالقُوَّاد ثم إنَّ المطيعَ خرج وولده الخليفة الطَّايع لله إلى واسطَ فماتَ هناك في المُحَرَّم سنةَ أربعٍ وستينَ وثلاث مئة بعد ثلاثة أشهرٍ من عَزْلِهِ. وعمرُهُ ثلاثٌ وستون سنةً رحمه الله. فكانت خِلافتُهُ ثلاثينَ سنةً سوى أشهرٍ. وفي أيَّامه تلقَّب صاحبُ الأنْدَلُسِ النَّاصرُ المَرْوَانيُّ بأمير المؤمنين. وقال: أنا أحقُّ بهذا اللَّقب من خليفةٍ مِنْ تحتِ يدِ بني بُوَيْه. وصدق النَّاصر فإنَّه كان بَطَلًا شُجاعاً سَائساً مهيباً له غزواتٌ مشهودةٌ. وكان خَليقاً للخلافة، ولكنْ كانَ أعظَمَ منه بكثير المعزُّ العُبيدِيُّ الإسماعيليُّ النِّحلة، وأوسعَ ممالك، حَكَمَ على الحرَمَيْنِ ومِصرَ والشَّامِ والمغربِ.

٦٣٦ - الطَّائع لِلّه(١)

[١] الخَليفةُ أبوبكر عبدُالكريمِ بنُ المطيع لله الفضْلِ بنِ المُقْتَدِر. وكان الحَلُّ والعَقْدُ للملكِ عزِّ الدَّوْلةِ وابنِ عمهِ عَضُدِ الدولة.

قال ابنُ الجَوْزيِّ: لما اسْتُخْلِفَ ركِب وعليه البُرْدَةُ وبين يديه سُبُكْتِكِين الحاجبُ وَخَلَعَ من الغدِ على سُبُكْتِكِيْنَ خِلَعَ السَّلْطَنة، وَعَقَدَ له اللِّواءَ، ولَقَّبه نصرَ الدولةِ. ولمَّا كان عيدُ الأضْحَى رَكِبَ الطَّائعُ إلى المُصَلَّى، وعليه قَبَاءٌ وعِمَامَةٌ، فَخَطَبَ خُطْبَةً خفيفةً بعد أن صلَّى بالنَّاس فَتَعَرَّضَ عزُّ الدولةِ لإقطاع سُبُكْتِكِين، فجمع سُبُكْتِكِينُ الأتراك فالتقوا فانْتَصَرَ سُبُكْتِكِين، وقامت معه العامَّة، وكَتَب عِزُّ الدولةِ يستنجد بعضُدِ الدولةِ، فَتَوَانى، وصارَ النَّاسُ حِزْبين، فكانت السُّنَّةُ والدَّيْلَمُ يُنَادونَ بشعار سُبُكْتِكِيْن، والشِّيعةُ يُنَادون بشعارِ عزِّ الدولة ووقع القِتالُ، وسُفِكَتِ الدِّمَاءُ، وأُحْرِقَ الكَرْخُ.

[٢] وجَرَتْ وقعةٌ بين عزِّ الدولة، وعَضُدِ الدولةِ، أُسِرَ فيها مملوكٌ أمْرَدُ لعزِّ الدولةِ فَجُنَّ عليه، وأخذَ في البُكَاءِ، وتركَ الأكلَ وتذلَّلَ في طَلَبه، فصارَ ضُحْكَةً وبَذَلَ

(١) انظر السير: ١٥/ ١١٨-١٢٧.

جاريتين عَوَّادتين في فِدَائِه.

[١] وتمكَّن عضـدُ الـدَّولة، ولُقِّب أيضاً تاج المِلَّة، وضُرِبَتْ له النَّوْبةُ في ثلاثةِ أوقـاتٍ،(١) وعَلا سلطانُه علوَّاً لا مزيدَ عليه، ومع ذلك الارْتِقاء فكان يخضَعُ للطَّائع، وجاءه رسولُ العزيزِ صاحبِ مصرَ، فراسله بتوَدُّدٍ وطلبَ من الطَّائع أن يَزِيْدَ في ألقـابـه، فجلسَ له الـطَّائـع وحـوْلَـه مئةٌ بالسيوفِ والزِّينة وبين يديه المُصْحَفُ العُثْمـانيُّ، وعلى كَتِفِه البُردةُ وبيده القضِيبُ، وهو متقلِّدٌ السَّيْفَ، وأُسْبِلَتِ السِّتارة ودخل الترك والدَّيلم بلا سلاحٍ، ثمّ أُذِن لعضد الدّولة ورفعت له السِّتارةُ، فقبَّل الأرضَ قال: فارْتاعَ زيادُ القائِدُ، وقال بالفَارِسية: أهذا هو الله، فقيل له: بل خليفـةُ الله في أرْضِهِ. ومشى عضُدُ الدَّوْلةِ، وقبَّل الأرض مراتٍ سَبْعاً فقال الطَّائع لخادِمه: اسْتَدْنِه. فَصَعِدَ، وقبَّل الأرض مرتين، فقال: ادنُ إليَّ، فَدنَا حتى قبَّل رِجْلَه، فَثنى الطَّائعُ يدَهُ عليه، وأمره فجلسَ على كُرْسيٍّ بعد الامْتِناعِ، حتى قال: أقسمتُ لَتَجْلِسَنَّ، ثم قال: ما كان أشوقَنا إليك وأتوقَنا إلى مُفَاوضَتِك، فقال: عُذري معلومٌ. قال: نِيَّتُك موثوقٌ بها، فأومأ برأْسه، فقال: قد رأيتُ أن أفوّضَ إليك ما وَكَلَهُ الله إليَّ من أُمورِ الرَّعيَّةِ في شرْق الأرض وغَرْبها سوى خاصتي وأسبابي، فتولَّ ذلك مستجيراً بالله، قال: يُعينني الله على طاعة مولانا أميرِ المؤمنين وخِدْمَتِهِ، وأريدُ كِبارَ القُوَّادِ أن يسمعوا لفظَك. قال الطائع: هاتوا الحسينَ بن موسى، وابنَ معروف، وابنَ أمِّ شيبان فقُدِّموا، فأعاد الطَّائعُ بالتَّفويض، ثم أُلْبِسَ الخِلَعَ والتَّاجَ، فأومأ ليقبِّل الأرضَ فلم يُطقْ. فقال الطَّائع: حَسْبُك. وعَقَدَ له لِواءَين بيد ثم قال: يُقرأ كتابُه فَقُرِىء. فقال الطَّائع: خار الله لنَا ولك وللمسلمين، آمرك بما أَمَرَكَ الله بِهِ، وأنهاك عمَّا نهاكَ الله عنه وأبرأُ إلى الله مما سِوى ذلك. انهضْ على اسمِ الله. ثُمَّ أعطاه بيده سيفاً ثانياً غيرَ سيف الخِلْعَة، وَخَرَجَ من باب الخاصَّةِ، وشقّ البلدَ.

---

(١) كان من العادة أن تضرب الدبادب في أوقات الصلاة على باب الخليفة وقد أحب معز الدولة أن تضرب له الدبادب أيضاً على بابه.. وسأل المطيع ذلك، فلم يأذن له.

[١] وتحارَبَتِ الشِّيعةُ والسُّنَّةُ مدَّةً، ثم وثبوا على الطَّائعِ لله في دارِه في تاسع عشر شعبان سنة ٣٨١ وسَبَبُه أن شيخَ الشِّيعة ابنَ المعلِّم كان من خواصِّ بهاءِ الدَّوْلة فَحُبِسَ، فجاء بهاءُ الدَّوْلة، وقد جَلَس الطَّائعُ في الرِّوَاق متقلِّدٌ السيفَ، فقبَّل الأرضَ، وجلَس على كُرْسيٍّ، فتقدم جماعةٌ من أعوانه، فجذَبُوا الطَّائعَ بحمائل سيْفِه، ولفُّوه في كِسَاءٍ وأُصْعِدَ في سفينته إلى دارِ المملكةِ.

وأُشهد على الطَّائعِ بخَلع نَفْسِه، وأنَّه سَلَّمَ الخِلافة إلى القادِرِ بالله، وشَهِدَ الكبراءُ بذلك، ثم طُلِبَ القادرُ، واستحثُّوه على القدومِ، واستُبِيحتْ دارُ الخِلافة حتى نُقِضَ خشبُها.

وكانت دولتُهُ ثمانيةَ عشرةَ سنة. وبقي بَعد عَزْله أعواماً إلى أنْ ماتَ سنةَ ثلاثٍ وتسعينَ وثلاث مئة فصلَّى عليه القادر وكَبَّر خمساً.

وعاش ثلاثاً وسبعين سنة رحمه الله.

٦٣٧ - القَادِرُ بالله[١]

[٢] الخليفةُ أبو العَبَّاس أحمَدُ بنُ الأمير إسحاقَ بنِ المقتدِر.

وكان أبيضَ كثَّ اللحية يخضِبُ، ديِّناً عالماً متعبِّداً وقُوراً من جِلَّة الخلفاءِ وأمثلِهم. عَدَّه ابنُ الصَّلاح في الشَّافعيَّةِ.

[٣] قال الخطيب: كان من الدِّين، وإدامةِ التهجُّدِ، وكَثْرةِ الصَّدقاتِ على صفةٍ اشتُهِرَتْ عنه. وصنَّف كتاباً في الأصولِ، ذَكَرَ فيه فضلَ الصحابةِ، وإكفارَ مَنْ قال: بِخَلْق القُرآن، وكان ذلك الكتابُ يُقرأُ في كل جمعة في حَلْقةِ أصحابِ الحديثِ، ويحضُرُه النَّاسُ مدَّة خلافتِه وهي إحدى وأربعونَ سنةً وثلاثة أشهر.

قلت: قام بخلافته بهاءُ الدَّوْلةِ.

وذكر محمدُ بنُ عبدِالملك الهَمَذانيُّ، أنَّ القادرَ كانَ يَلْبَسُ زيَّ العامَّةِ ويَقْصِدُ

(١) انظر السير: ١٥/ ١٢٧-١٣٨.

الأماكنَ المباركةَ.

[١] وعَمِلَت الـرّافضةُ عيدَالغدير، فثارت السُّنَّةُ، وقووا، وخَرَّقوا عَلَمَ السُّلْطَانِ، وقُتِلَ جماعةٌ، وصُلِبَ آخرون، فكفّوا.

وفي سنة ٣٨٣ استفحل البلاءُ بالعَيَّارين ببغداد، ولم يحجَّ أحدٌ من العِراق.

[٢] وكان الرَّفضُ عَلانيةً بدمشق في سنةِ أربعِ مئة. ولقد أَخَذَ نائبُها تمصُولُت البَرْبَريُّ رجلاً في سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة فطيفَ به على حمارٍ: هذا جزاء من يحب أبابكر وعمرَ، ثم قُتِل.

وفي هذا الوقتِ انبثَّتْ دُعاةُ الحاكم في الأطرافِ، فأمر القادرُ بعمل مَحْضرٍ يتضمَّنُ القَـدْحَ في نَسَبِ العُبيديّة، وأنهم منسـوبـون إلى دَيصـانَ بنِ سعيد الخُرَّمي، فشهِدُوا جميعاً أن النَّاجمَ بمصرَ منصورَ بنَ نزارٍ الحاكم حَكَمَ الله عليه بالبوار، وأن جدَّهم لما صار إلى الغَرْب تسمّى بالمهدي عُبيدِالله، وهو وسَلَفُه أرجاسٌ خوارجُ أدْعياء، وأنَّ هذا الناجمَ وسلفَه كفّارٌ زَنَادقة، ولمذهب الثَّنَويَّة[١] والمجوسيّة معتقدونَ، عطَّلوا الحدودَ، وأباحوا الفروجَ، وسفكوا الدِّماءَ، وسبُّوا الأنبياءَ ولعنوا السَّلفَ، وادَّعَوُا الربوبيّة.

واستتـابَ القـادرُ فقهـاءَ المُعْتـزلـة، فتبـرَّؤا من الاعتزال والرَّفضِ وأُخذت خطوطُهم بذلك.

وامتثل ابنُ سُبُكْتِكِين أمرَ القَادر، فَبثَّ السُّنّة بممالكه، وتَهدَّد بقتل الرَّافضةِ والإسماعيليّةِ والقَرامطةِ، والمشبِّهةِ والجَهْمِيةِ والمُعْتزلةِ ولُعنوا على المنابر.

[٣] وافتتح ابنُ سُبُكْتِكِين عِدَّةَ مدائنَ بالهند، وورد كتابُه، ففيه: صَدَرَ العبدُ من غَزْنَةَ في أوَّلِ سنةِ عشرٍ وأربعِ مئة، وانتُدِبَ لتنفيذِ الأوامر فرتَّب في غَزْنَةَ خمسةَ عشرَ ألف فارس، وأنهض ابنَه في عشرينَ ألفاً وشَحَنَ بَلْخَ وطَخَارُسْتَان باثني عشر ألف فارس، وعشرة آلاف راجل، وانتخب ثلاثين ألف فارس، وعشرةَ آلاف

---

(١) أصحاب الإثنين الأزليين... النور والظلمة. يزعمون بأنهما أزليان قديمان. انظر «الملل والنحل»: ٢٤٤/١.

راجل لصحبة راية الإسلام. وانضمَّ إليه المُطَّوِّعَةُ، فافتتحَ قِلاعاً وحُصوناً وأسلم زُهاءَ عشرينَ ألفاً، وأدَّوْا نحو ألفِ ألفٍ من الوَرِق، وثلاثين فيلاً. وعِدَّةُ الهلكى خمسون ألفاً. ووافى العبدُ مدينةً لهم عاينَ فيها نحوَ ألفِ قَصْر، وألفَ بيتٍ للأصنام، ومَبْلَغُ ما على الصَّنَم ثمانيةٌ وتسعونَ ألف دينار، وقَلَع أزيدَ من ألف صنمٍ، ولهم صنمٌ معظَّم يؤرخون مُدَّته بجهالتهم بثلاث مئة ألف سنة، وحصَّلْنا من الغَنَائم عشرين ألف ألف دِرْهم، وأفرد الخُمْس مِنَ الرَّقيق فبلغ ثلاثةً وخمسينَ ألفاً، واستعْرَضْنَا ثلاثَ مئةٍ وستةً وخمسين فيلاً.

وفي سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة، مات القادرُ بالله وعاشَ سبعاً وثمانين سنةً سوى شهر وثمانية أيام، وما عَمِلْتُ أحداً من خلفاء هذه الأُمَّةِ بلغ هذا السنَّ، حتى ولا عثمان رضي الله عنه.

٦٣٨ - القائِمُ بأمر الله(١)

[١]الخَليفةُ أبو جعفرٍ عبدُالله بنُ القَادرِ بالله العباسيُّ البَغْدَادِيُّ.

وُلِدَ سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة، وأمُّه بدرُ الدجى الأرْمنيَّةُ.

وكان مليحاً وسيماً أبيضَ بحُمرة، قويَّ النَّفْسِ، ديِّناً ورعاً متصدِّقاً. له يدٌ في الكِتابةِ والأَدَبِ، وفيه عَدْلٌ وَسَماحَةٌ.

[٢]ولم يَزَل أمرُهُ مستقيماً إلى أن قُبِضَ عليه في سنةِ خمسينَ وأربع مئة، لأن أرسلان التُّركيَّ البَسَاسيريَّ، عَظُمَ شَأْنُه لعدمِ نظيرٍ له. وتهيَّبَتْه أمراءُ العربِ والعجمِ، ودُعِيَ له على المنابر. وظلم وخرَّب القُرى وانقهر معه القائمُ، ثم تُحدِّثَ بأنه يريدُ نهبَ دارِ الخلافة، وعَزْلَ القائمِ. فكاتَبَ القائمُ طُغْرلْبَك مَلِكَ الغُزّ يسْتنهضُه، وكان بالرَّي ثم أُحرِقَتْ دارُ البَسَاسِيريِّ، وهَرَبَ، وقدم طُغْرُلْبَك في سنةِ ٤٤٧ وذَهب البَسَاسيري إلى الرَّحْبة(٢) ومعه عسكر، فكاتَبَ المُسْتَنْصِر

(١) انظر السير: ١٥/ ١٣٨-١٤١.
(٢) تقع على الفرات بين الرقة وبغداد.

فأمَّده من مِصرَ بالأموال، ومَضى طُغرُلْبَك سنةَ تسعٍ إلى نَصِيبينَ ومعه أخوه ينال، فكاتب البساسيريُّ ينالَ فأفسدَه، وطَمِعَ بمنصب أخيه، فسار بجيشٍ ضخم إلى الـرَّيّ، فسار أخوه في أثره، وتفرَّقتِ الكلمة. والتقى الأخوان بَهَمَذان. وظَهر ينال، واضطرب أمرُ بغداد، ووقع النَّهبُ، فوصل البَساسِيريُّ في ذي القَعْدَةِ إلى الأنْبـار. وبُـطِّلتِ الجمعةُ، ثم دَخَل هو بغداد في الرَّاياتِ المِصْرية، وضرَبَ سُرادِقَـه على دِجْله، ونصَـرَتـه الشِّيعـةُ وكـان قد جَمَـعَ العَيَّارين والفـلاَّحين، وأطمَعَهُم في النَّهب. وعظُم القَحْطُ، واقتتلوا في السُّفُنِ. ثُمَّ في الجُمُعةِ المقبلة دُعِيَ لصاحبِ مِصْرَ بجامعِ المَنْصور، وأذَّنوا: بحيَّ على خير العَمَلِ. وخندَقَ الخليفـةُ حولَ دارِه، ثم نهَضَ البَسَاسِيريُّ في أهل الكَرْخِ وغيرهم إلى حَرْب القائم، فاقتتلوا يومين، وكَثُرت القَتْلى، وأُحرقت الأسواقُ ودخلوا الدارَ فانتهبُوها، وتذمَّم القائمُ إلى الأمير قُريش العُقيليِّ ـ وكان ممن قامَ مع البَسَاسِيريُّ ـ فأذمَّه، وقبَّل بين يديه. فخرج القائم راكباً، بين يديه الرايةُ، والأتراكُ بين يديه، وأُنزل في خَيْمـة ثم قَبَضَ البَسَـاسِيريُّ على الـوزير أبي القاسم عليِّ بن المُسْلمة، والقاضي أبي عبدِالله الدَّامَغاني، وجماعةٍ، فصلب الوزيرَ فهلك.

[١]وكان القائمُ فيه خيرٌ واهتمامٌ بالرَّعية، وقضاءٌ للحوائج. وقيل: إنه لما بقي مُعتقـلاً عنـد العَرَب كتبَ قِصَّةً، وبعثَ بها إلى بيت الله مستَعْدِياً ممن ظلمه وهي: إلى الله العظيمِ من المسكين عبدِه: اللهمَّ إنك العالِمُ بالسَّرائر، المطَّلعُ على الضَّمائر. اللهم إنك غَنِيٌّ بعلمِكَ واطِّلاعِكَ عليَّ عن إعلامي، هذا عبدُك قد كَفَـر نِعمَـك وما شكرها، أطْغاه حِلْمُكَ حَتَّى تعدَّى علينا بَغْياً. اللهمَّ قَلَّ الناصِرُ واعتزَّ الظالِمُ، وأنت المطَّلعُ الحاكِمُ، بكَ نعتز عليه، وإليك نهرُب من يديه، فقد حَاكَمْنَاه إليكَ، وتوكَّلْنَا في إنصافِنا منه عليكَ، ورفَعْنَا ظُلامَتَنَا إلى حَرَمِك، ووثِقْنا في كَشْفِها بكَرَمِك، فاحكمْ بيننا بالحقِّ، وأنتَ خيرُ الحاكمين.

وأمَّا ما كان من طُغْرُلْبَك، فإنه ظَفِرَ بأخيه وقتَلَه. ثُمَّ كاتب متولي عانةَ في أنْ يَرُدَّ القائمَ إلى مَقرِّ عزِّه.

ثم جهز طُغْرُلْبك عسكراً قاتَلوا البَسَاسِيريَّ فَقُتل وطيف برأسه فكانت الخُطْبة للمستنصر ببغدادَ سنةً كاملة.

تُوفِّي القائمُ سنة سبعٍ وستين وأربع مئة.

٦٣٩ - المَهْديُّ وذُرِّيَّتُه(١)

[١]عُبيدُ الله أبو محمدٍ، أوَّلُ من قام من الخلفاءِ الخوارجِ العُبيدية الباطنيَّةِ الذين قلبوا الإسلامَ، وأعْلَنوا بالرَّفضِ، وأبطنوا مذهبَ الإسْماعِيليَّةِ، وبثُّوا الدُّعاةَ، يستغوون الجَبَليَّةَ والجهلةَ.

وادَّعى هذا المدبَرُ، أنَّهُ فاطميٌّ من ذُرِّيةِ جعفرٍ الصَّادق.

وقيلَ: كان أبوه يهوديّاً.

[٢]والمحقِّقونَ على أنه دَعِيٌّ بحيث إنَّ المُعزّ منهم لما سأله السيِّدُ ابنُ طَبَاطَبَا عن نَسَبه، قال: غداً أُخْرِجه لك، ثم أصبحَ وقد ألقى عَرَمَةً(٢) من الذَّهب، ثم جَذَبَ نِصْف سَيفِهِ من غِمْدِه، فقال: هذا نسبي، وأمرهُم بنهبِ الذَّهبِ، وقال: هذا حَسَبي.

وقد صنَّفَ ابنُ البَاقِلَّانيُّ وغيرُه من الأئمةِ في هَتْكِ مقالاتِ العُبيديّة وبُطلانِ نسبِهم. فهـذا نَسَبُهُم، وهـذه نِحْلَتُهم. وقد سُقتُ في حوادثِ «تاريخنا» من أحوالِ هؤلاء وأخبارِهم في تفاريقِ السِّنينَ عجائب.

فرأى عُبيدُالله أنَّ ما يَرُومُه من المُلْك، لا ينبغي أن يكونَ ظهورُه بالعراق ولا بالشَّامِ، فَبَعَثَ أوّلاً له داعِيَيْن شيطانين دَاهيتين، وهما الأخوانِ أبوعبدالله الشِّيعي، وأخوه أبو العبَّاس، فَظَهَرَ أحدُهُما باليمنِ والآخرُ بأفْريقية، وأظهر كلٌّ منهما الزهدَ والتألُّهَ، وأدَّباً أولادَ النَّاس، وشوَّقا إلى الامام المهديِّ.

---

(١) انظر السير: ١٥/ ١٤١-١٥١.

(٢) العرمة: بالتحريك: مجمّع رمل.. وقد استعمله هنا بمعنى كومة من الذهب.

[١]ولهم(١) البَلاغَاتُ السَّبعَة: فالأوَّل للعوام وهو الرَّفض، ثم البلاغ الثاني للخواصّ، ثمَّ البلاغُ الثالثُ لمن تمكَّن، ثم الرَّابعُ لمن استمرّ سنتين، ثم الخامسُ لِمَنْ ثبتَ في المذهب ثلاثَ سنين، ثم السَّادسُ لمن أقام أربعةَ أعوامٍ، ثم الخِطَابُ بالبلاغ السَّابعِ وهو الناموسُ الأعظمُ.

قال محمد بن إسحاق النَّديم: قرأْتُهُ(٢) فرأيتُ فيه أمراً عظيماً مِنْ إباحةِ المَحْظُوراتِ، والوَضْعِ من الشَّرائعِ وأصحابِها، وكان في أيام معزِّ الدَّوْلةِ ظَاهِراً شائِعاً، والدُّعاةُ منبَثُّونَ في النَّواحي، ثم تناقص.

قُلتُ: ثم اسْتَحْكَم أمرُ أبي عَبْدالله بالمغرب، وتَبِعَه خلْقٌ من البَرْبر، ثم لَحِقَ به أخوه، وعَظُمَ جَمْعُهُ، حتى حاربَ متولي المغرب وقَهَرَه، وجرتْ له أمورٌ طويلة في أزيدَ من عشرة أعوام.

فلمَّا سمعَ عُبيدُالله بظهور داعيه، سارَ بولده في زِيِّ تُجَّارٍ والعُيُونُ عليهما، فَدخلا المغرب، فَظَفِرَ بهما أميرُ المغرب فسجنَهُما، ولم يقرَّا له بشيءٍ، ثم التقى هو وأبو عبدالله الشِّيْعي، فانتصَرَ أبو عبدالله، وتملَّك البلاد، وأخرج المهديَّ من السجنِ، وقبَّلَ يدَه وقال لقُوَّاده: هذا إمامُنا فبايَعَه الملأُ.

ووقع بَعْدُ بينَه وبين داعِيَيْه لكونِهِ ما أنْصَفَهما، ولا جَعَلَ لهما كبيرَ مَنْصِب، فَشَكَّكا فيه خواصَّهما، وتفرَّقَتْ كلمةُ الجنودِ، ووقع بينهم مصافٌّ. فانتصر عُبيدالله، وذَبَحَ الأخوين. ودانَتْ له الأممُ وأنشأَ مدينةَ المَهْدِيّةِ، ولم يتوجَّه لحربِهِ جيشٌ لبُعْدِ الشُّقَّةِ ولِوَهْنِ شأنِ الخِلافة بإمارةِ المُقْتِدِرِ.وجهزَّ من المَغْربِ وَلَدَه ليأخذ مِصْرَ فلم يتمّ له ذلك.

[٢]قال أبوالحسن القَابِسِيُّ، صاحبُ الملخَّص: إنَّ الذين قتلهم عُبَيْدُالله وبنوه أربعة آلافٍ في دارِ النَّحرِ في العذابِ من عالمٍ وعابدٍ ليردَّهم عن التَّرَضِّي عن الصَّحابَةِ، فاختاروا الموت.

---

(١) أي للفاطميين.

(٢) أي: البلاغ السابع.

وفي أيامِ المهديِّ، عاثت القَرامِطَةُ بالبحرين، وأخذوا الحجيجَ وقتلوا وسَبَوْا، واستباحوا حرمَ الله، وقَلَعوا الحجر الأسودَ. وكان عُبيدُالله يُكاتبهم، ويحرِّضُهم، قاتله الله.

وكان موتُهُ، سنةَ اثنتين وعشرينَ وثلاث مئة. وله اثنتَانِ وستونَ سنةً. وكانت دولتُهُ خمساً وعشرين سنةً وأشهراً.

[١]نقل القاضي عياض في تَرْجمة أبي محمد الكستراتي، أنَّه سُئِل عَمَّنْ أكرهه بنو عبيدٍ على الدُّخول في دعوتهم أو يُقتل؟ فقال: يختارُ القتلَ ولا يُعذر، وَيَجِبُ الفِرارُ، لأنَّ المُقَام في مَوضعٍ يُطلب من أهلِه تعطيلُ الشَّرائعِ، لا يجوز.

قال القـاضي عياض: أجمـع العلمـاءُ بالقَيْرَوَان، أنَّ حال بني عُبيدٍ حالُ المرتَدِّين والزَّنادقةِ.

٦٤٠ - القَـائـــم(١)

[٢]صاحبُ المَغْرب، أبوالقاسم محمدُ بنُ المهديِّ عُبيدِالله.

مولـده سنة ثمانٍ وسبعينَ ومئتين. ودخَلَ المغربَ مع أبيه، فبُويع هذا عند موت أبيه في سنةِ اثنتينِ وعشرينَ وثلاث مئة.

وكان مَهيباً شُجَاعاً، قليلَ الخير، فاسدَ العقيدة.

[٣]خرج عليه في سنـة اثنتين وثـلاثين وثـلاث مئـة أبـو يزيد مخْلَدُ بن كَيْدَاد البَرْبَرِيُّ. وجرت بينهما ملاحمُ، وحصره مَخْلَد بالمهديَّة، وضيَّق عليه، واستولى على بلاده. ثم وسوس القائم، واختلط وزال عَقْلُه وكان شيطاناً مريداً يتزَنْدَق.

[٤]ذَكَر القاضي عبدُالجَبَّار المتكلِّم، أنَّ القائمَ أظهر سبَّ الأنبياء وكان مُناديه يصيح: العنُـوا الغـارَ ومـا حوى. وأبـادَ عِدَّة من العلمـاء وكان يُراسل قَرامِطَةَ

---

(١) انظر السير: ١٥/ ١٥٢-١٥٦.

البحرين، ويأمرهُمْ بإحراق المساجدِ والمصاحفِ فتجمعت الإِبَاضِيَّةُ[1] والبربرُ على مَخْلد، وأقْبَلَ، وكان نَاسِكاً قصيرَ الدَّلقِ،[2] يركب حماراً، لكنهم خوارج، وقام معه خَلْقٌ من السُّنَّةِ والصُّلَحاءِ، وكادَ أنْ يتملَّك العالَمَ، ورُكِزت بُنودُهم عند جامع القَيْرَوان فيها: لا إله إلَّا الله، لا حُكمَ إلَّا لله، وبَنْدَانِ أصفرانِ فيهما: نَصْرٌ من الله وَفَتْحٌ قَرِيبٌ. وبند لِمخْلد فيه: اللَّهم انصرْ وليَّك على مَنْ سَبَّ نبيَّك. وخَطَبَهُمْ أحمدُ بنُ أبي الوليد، فحضَّ على الجهاد، ثم ساروا، ونازلوا المَهْـدِيَّة. ولمـا التقـوا وأيقن مَخْلَدٌ بالنصـر، تحـرّكت نفسُه الخارجيَّة، وقال لأصحابه: انكَشِفُوا عن أهل القَيْرَوان، حتى ينالَ منهم عدوُّهم، ففعلوا ذلك، فاستُشْهِد خمسةٌ وثمانونَ نفساً من العلماء والزُّهّاد.

وخوارجُ المَغْرِبِ إباضية منسوبون إلى عبدِالله بنِ يحيى بن إباض الذي خَرَجَ في أيام مَرْوان الحِمـار، وانتشـر أتباعُه بالمَغْرِب. يقول: أفعالُنَا مخلوقةٌ لنا. ويكفِّر بالكبائر، ويقول: لَيْسَ في القرآن خصوص، ومَنْ خالفه حَلَّ دَمَه.

وكان موتُ القائِم، سنةَ أربعٍ وثلاثين محصوراً بالمهْديّة. لكن قام بعدَه ابنُه المنصور.

[١]وقَدْ أجْمَعَ علماءُ المَغْرِب على محاربةِ آل عُبيد لما شهروه من الكُفْر الصراحِ الذي لا حيلةَ فيه.

[٢]وعُوتب بعضُ العُلَماء في الخُروجِ مع أبي يزيد الخارجي، فقال: وكيفَ لا أخرجُ وقد سمِعْتُ الكفرَ بأذنيَّ؟ حضرتُ عقداً فيه جمعٌ من سُنَّة ومشارقة، وفيهم أبو قُضَاعةَ الدَّاعي، فجاء رئيسٌ، فقال كبيرٌ منهم: إلى هُنا يا سيدي ارتفعْ إلى جانبِ رسولِ الله يعني: أبا قُضَاعة، فما نَطَق أحدٌ.

ووُجِد بخط فقيه، قال: في رجب سنة **٣٣١** قام المكوكب يَقْذِفُ الصَّحابة،

---

(١) من أكبر فرق الخوارج، وهم أصحاب عبدالله بن يحيى بن إباض الملقب: بطالب الحق، من أهل اليمن، خلع طاعة مروان بن محمد وبويع له بالخلافة، واستولى على صنعاء ومكة، قتل سنة ١٣٠هـ.

(٢) الدلق: ثوب متسع الأكمام طويلها (صبح الأعشى) ٤/٤٢.

ويَطعُنُ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وعُلِّقت رؤوسُ حميرٍ وكِباش على الحوانيت، كُتِب عليها أنَّها رؤوس صحابةٍ.

[١]وخَرَج أبو إسحاق الفقيه مع أبي يَزيد، وقال: هُمْ أهلُ القِبْلةِ وأولئك ليسوا أهلَ قِبْلةٍ. وهُمْ بنو عَدوِّ الله، فإن ظَفِرنا بهم، لم ندخلْ تحتَ طاعةِ أبي يزيد، لأنه خارجيٌّ.

[٢]قال أبومَيْسَرةَ الضَّريرُ: أدخلني الله في شَفَاعَةِ أسْود رَمَى هؤلاءِ القومَ بحجرٍ.

[٣]وقال السَّبائي: أي والله نجِدُّ في قَتْلِ المُبـدِّل للدين.

[٤]وتسارغ الفقهاءُ والعُبّاد في أُهْبَةٍ كاملة بالطُّبول والبُنُود. وخَطَبهُم في الجمعة أحمدُ بنُ أبي الوليد، وحرَّضَهم. وقال: جاهدوا من كَفَرَ بالله وزَعَمَ أنَّه ربٌّ من دون الله، وغيرَّ أحكـامَ الله، وسبَّ نبيَّه وأصحـابَ نبيِّه. فبكى النَّـاسُ بكـاءً شديداً. وقال: اللهمّ إنَّ هذا القِرمِطيَّ الكافرَ المعروفَ بابنِ عُبيدِالله، المدَّعي الربوبيةَ، جاحدٌ لنِعمتك، كافرٌ بربوبيتك. طاعنٌ على رُسُلك، مكذِّبٌ بمحمدٍ نبيِّك سافِكٌ للدِّماء. فالعَنه لعناً وبيلاً، واخْزِه خِزْياً طويلاً، واغضبْ عليه بكرةً وأصيلاً. ثم نَزَلَ فصلَّى بهم الجمعة.

[٥]ورَكِبَ ربيع القَطَّان[١] فرسَه مُلبساً، وفي عُنُقِه المصحفُ، وحوله جمعٌ كبير، وهو يتلُو آياتِ جهادِ الكَفَرة. فاستُشهد ربيعٌ في خَلْقٍ من النَّاس يومَ المَصَافِّ في صفر سنة أربعٍ وثلاثين. وكان غَرضُ هؤلاءِ المجوسِ بني عبيد أخْذَه حيّاً ليُعذِّبُوه. قال أبوالحسن القَابسيُّ: استُشهد معه فضلاء، وأئمةٌ وعُبَّاد.

وقال بعضُ الشعراء في بني عُبيد:

المـاكِـرُ الغَـادِرُ الغـاوي لشيعتِـه	شرّ الـزَّنـادقِ من صَحْـب وتُبَّـاعِ
العـابـدين إذاً عِجْـلاً يخـاطبُهم	بسحــر هَارُوت من كُفْـر وإبـدْاعِ
لو قيل للرُّوم أنـتـم مثلُهـم لَبَكَـوْا	أو لليهــود لَسَـدّوا صَمْـخَ أسْمَـاعِ

(١) ربيع بن سليمان بن عطاء الله، القطان، كان لسان أفريقية في وقته في الزهد والرقائق. وكان جعل على نفسه أن لا يشبع من طعام ولا نوم حتى يقطع الله دولة بني عبيد. انظر ترجمته في «ترتيب المدارك» ٣/٣٢٣-٣٣٢.

٦٤١ - المنصور[١]

[١]أبو الطَّاهر إسماعيلُ بنُ القائِم بنِ المهديِّ، العُبيديُّ الباطنيُّ.

[٢]وَلِيَ بعدَ أبيه، وحارب رأسَ الإِبَاضِيَّةِ أبا يزيد مخْلد بن كيْداد الزَّاهد، والتقى الجمعان مراتٍ، وظهر مَخْلَد على أكثر المغرب، ولم يبقَ لبني عُبيدٍ سوى المَهْدِيّة.

[٣]فنهض المنصورُ، وأخْفى موتَ أبيه، وصابر الإِبَاضيَّةَ حتى ترحَّلوا عنه، ونازلوا مدينةَ سُوسَة، فَبَرَز المنصورُ من المَهْدِية، والتقوا فانكسر جيشُ مَخْلَد على كثرتهم، وأُسِرَ هو في سنة ٣٣٦، فماتَ بعد الأسْرِ بأربعةِ أيامٍ من الجِراح، فسُلخ وحُشِيَ قُطْناً، وصُلِبَ.

وبنَوْا مدينةَ المنصوريّةِ مكان الوقعة، فنزلها المنصور.

وكان بطلاً شُجاعاً، رابطَ الجأْشِ، فصيحاً مُفوَّهاً يرتجِل الخُطَبَ وفيه إسلامٌ في الجُمْلة وعَقْلٌ بخلاف أبيه الزِّنديق.

[٤] ومن محاسنِهِ أنّه ولَّى محمدَ بنَ أبي المنظور الأنْصاريَّ قضاءَ القَيْروان وكانَ من كِبار أصحاب الحديث، قد لقِيَ اسماعيلَ القاضي، والحارثَ بن أبي أُسامة، فقال: بشرْط أنْ لا آخُذْ رِزْقاً ولا أركبَ دابَّة، فولَّاه ليتألَّف الرعيَّة، فأُحضر إليه يهوديٌّ قد سَبَّ،[٢] فبطحه، وضربَه إلى أن مات تحت الضَرْبِ، خَافَ أن يحكُمَ بقَتْلِهِ فتحلّ عليه الدَّوْلة.

[٥] وأتى يوماً بيتَه فوجد سُلافَ دايةَ السُّلْطان تشفَعُ في امرأةٍ نائحةٍ فاسقةٍ ليُطْلِقَها من حَبْسه، فقال: مالك؟ قالت: قَضيبُ[٣] محبوبةُ المنصور، تطلُب منك أن تُطلِقَها، فقال: يا مُنْتِنَةُ لولا شيءٌ لضربتُكِ لعَنَكِ الله، ولعَنَ مَنْ أرسلَكِ فولْوَلَتْ، وشقَّتْ ثيابَها. ثم ذكرتْ أمرها للمنصور، فقال: ما أصنعُ به؟ ما أخذ

(١) انظر السير: ١٥/ ١٥٦-١٥٩.

(٢) أي: النبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) جارية أخرى للسلطان: ليس عنده أعز منها.

مِنَّا صِلةً، ولا نقدِرُ على عَزْله. نحن نحِبُّ إصلاحَ البلد.

وخَرَجَ في رمضانَ سنةَ إحدى وأربعين وثلاث مئة إلى مكان يتَنَزَّه فأصابه بردٌ وريحٌ عظيمةٌ، فأثَّر ذلك فيه، ومرِضَ، وماتَ عددٌ كثيرٌ ممن معه. ثم ماتَ من السَّنَة. وله تسعٌ وثلاثون سنة.

[١]وقد كان في سَنَة أربعينَ جهَّز جيشَه في البحر إلى صقِلِّيَة، فهزَموا النَّصارى، وكانتْ ملحمةٌ عظمى، قُتِلَ فيها من العدوِّ ثلاثون ألفاً وأُسِرَ منهم ألوفٌ، وغَنِمَ الجند مالا يعبِّر عنه.

وقيل: إنَّه افتتحَ مدينة جَنَـوَة.

وحَكَم على مملكـة صِقِلِّيَّة. وافتتـح له نائبُه عليها فتوحات، وانتصر على العدوِّ وفرح بذلك المسلمون، وتوطَّد سُلْطانُه.

وكان المنصور محبباً إلى الرَّعِيَّة مقتصِراً على إظهار التَّشَيُّعِ. وقام بَعْدَه المعزُّ ولَدُه.

٦٤٢- المُعِـــزُّ(١)

[٢] هو المُعِزُّ لِدين الله أبو تميم مَعَدُّ بنُ المنصورِ العُبيديُّ المَهْدَويُّ المَغْرِبيُّ الذي بُنِيَت القاهرةُ المعزِّيَّةُ له.

وَلِيَ سنةَ إحدى وأربعين وثلاث مئة، وسَارَ في نواحي إفريقية يُمهد مُلْكَه، فذلَّل الخارجين عليه، واستعمل مماليكَه على المدن واستخدم الجُنْدَ، وأنفق الأموالَ، وجهَّز مملوكَه جَوْهر القائد في الجيوش.

[٣]قال القِفْطِيُّ: عَزَمَ المعزُّ على بَعْثِ جيشِه إلى مِصْرَ، فسألَتْه أُمُّه أن يؤخِّرَ ذلـك لتحـجَّ خُفْيَةً فأجـابهـا، وحجَّتْ، فأحسَّ بقدُومها الأستاذ كافور يعني: صاحبَ مِصْـرَ، فحضـرَ إليها وخَدَمَها، وحَمَلَ إليها تُحفاً، وبعث في خدمتها

(١) انظر السير: ١٥/ ١٥٩-١٦٧.

أجناداً، فلما رَجَعَتْ، مَنَعَتْ ابنَها من قَصْد مصرَ، فلما ماتَ كافورُ بعث المعزُّ جيشَه، فأخذوا مصر.

وكانتْ مصرُ في القَحْط، فأخَذَها جوهر، وأخذ الشَّام والحجاز ونفَّذ يُعرِّف مولاه بانتظام الأمر.

وضربت السِّكَّةُ على الدّينار بمصر (وهي: لا إله إلاَّ الله محمدٌ رسول الله، عليٌّ خَيْرُ الوصيين) والوَجْه الآخر اسم المعزّ والتَّاريخ وأُعلن الأذان بحيَّ على خير العَمَل، ونودي: من مات عن بنت وأخ أو أخت فالمالُ كلُّه للبنت. فهذا رأيُ هؤلاء.

[١]فتهيَّأ المُعِزُّ، وسار بخزائِنِه وتوابيتِ آبائه. وكان دخوله إلى الإِسْكَنْدرِية في شعبان سنةَ اثنتين وستين وثلاث مئة. وتلقَّاه قاضي مصر الذُّهْليُّ وأعيانُها. فأكْرَمَهُمْ وطالَ حديثُه معهم، وعرَّفهم أن قصدَه الحقُّ والجهادُ، وأن يختِم عُمرَه بالأعمال الصَّالحة، وأن يُقيمَ أوامر جدِّه رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ووَعَظَ وذكَّر حتّى أعجبهم، وبكى بعضُهم. ثم خلع عليهم، وقال للقاضي أبي الطاهر الذُّهْلِيِّ: من رأيتَ من الخُلفاءِ؟ فقال: واحداً، قال: مَنْ هو؟ قال: مولانا، فأعجبَه ذلك.

ثم إنَّه سار حَتّى خيَّم بالجِيزة. فأخَذَ عسكَرُه في التَّعدية إلى الفُسْطاط، ثم دخَلَ القَاهرةَ، وقد بُنِيَ له بها قصرُ الإمارة، وزُينتْ مصرُ، فاستوى على سرير مُلكه، وصلَّى رَكْعتين.

وكانَ عاقلاً لبيباً حازِماً ذا أدبٍ وعِلْمٍ ومعرفة وجلالةٍ وكرمٍ. يرجِعُ في الجُمْلَة إلى عَدْل وإنْصافٍ، ولولا بِدْعَتُه ورَفْضُه، لكان من خِيَار الملوكِ.

[٢]قلتُ: ظهرَ هذا الوَقْت الرَّفضُ، وأبدى صَفْحَتَه، وشَمَخَ بأنْفِه في مصرَ والشَّامِ والحجاز والغرب بالدولة العُبيدية، وبالعراقِ والجزيرة والعَجَم بني بُوَيه، وكان الخليفةُ المطيعُ ضعيفَ الدَّستِ والرُّتْبَةِ مع بني بُوَيْه. ثم ضَعُفَ بَدَنُه، وأصابَه فَالجٌ، وخَرَسٌ فعزلوه، وأقاموا ابنَه الطَّائعَ لله. وله السِّكَّة والخُطبةُ، وقليلٌ

من الأمور، فكانَتْ مملكةُ هذا المُعِزّ أعظمَ وأمكنَ.

وأعلنَ الأذانُ بالشَّام ومصر بحيّ على خَيْرِ العَمَل. فللّه الأمرُ كلُّه.

قيل: ما عُرِفَ عن المُعزّ غيرُ التَّشيُّع، وكان يُطيل الصَّلاة.

وثارتْ عليه القَرامِطة، واستولوا على كثيرٍ من الشَّام، وساروا حتَّى أتوْا مِصْرَ، فحاربَهُم جَوْهر، وجَرَت أمور مهولة.

وصلّى بالنَّاس المُعزُّ يوميْ العيد صلاةً طويلةً بحيث أنَّه سبَّح في السجودِ نحو ثلاثين، ثم خطبهم فأبْلغ وأحبَّته الرَّعيَّةُ.

وصَنَعَ شَمْسِيَّةً لتُعْمَل على الكَعْبة ثمانية أشبارٍ في مثلِها من حريرٍ أحمر. وفيها اثنا عشر هلالاً من ذَهَبٍ، وفي الهلالِ تُرُنْجَةٌ[1] قد رُصِّعَتْ بجواهر وياقوت وزُمُرُّد، لم يُشاهد أحدٌ مثلها.

ماتَ المُعِزُّ سنةَ خمسٍ وستين وثلاث مئة بالقَاهرة المُعِزِّيَّة. وكان مولده بالمَهْدِيَّة التي بناها جدُّهم. وعاش ستاً وأربعين سنةً. وكانت دولتُه أربعاً وعشرين سنةً.

وقد جَرَى على دمشقَ وغيرِها من عساكر المغاربة كلُّ قبيح من القَتْل والنَّهب. وفَعَلُوا مالا يفعلُه الفِرَنْجُ. ولولا خوفُ الإطالة لسُقتُ ما يُبكي الأعينَ.

٦٤٣ - العَزيزُ باللّه[2]

[١]صاحبُ مِصْرَ أبو منصور نِزارُ بنُ المُعزِّ العُبَيْدِيُّ.

ولدَ سنةَ أربعٍ وأربعينَ وثلاث مئة. قامَ بعد أبيه سنةَ خمسٍ وستين.

[٢]قال أبومنصور الثَّعَالبي في «اليتيمة»: سَمِعْتُ الشَّيخَ أبا الطَّيِّب يَحكي أنَّ الأمَوِيَّ صاحبَ الأنْدَلُس كتَبَ إليهِ نِزارٌ صاحِبُ مِصْرَ كتاباً سبَّه فيه وهَجَاه،

---

(١) ثمرة كالليمون، ذهبية اللون، زكية الرائحة، ذات طعم حامض.

(٢) انظر السير: ١٥/ ١٦٧-١٧٣.

فكتَبَ إليه الأُمَويُّ: «أمَّا بَعْدُ: فإنك عَرَفْتَنا فهجَوْتَنا وَلَو عرفْناك لأجبناك» فاشْتَدَّ هذا على العزيز، وأفْحَمَه عن الجواب، يشيرُ أنَّكَ دَعِيٌّ لا نعرفُ قبيلتَك.

[١]قال أبو الفرج بنُ الجَوْزيّ: كان العزيزُ قد وَلَّى عيسَى بنَ نسطورس النَّصْرانيَّ أمْرَ مِصْرَ، واستنابَ مُنشّا اليهوديَّ بالشَّام. فكتبتْ إليه امرأةٌ: بالذي أعزَّ اليهودَ والنَّصارى بمُنشّا وابن نسطورس، وأذلَّ المسلمين بك، إلَّا ما نظرْت في أمري. فَقَبَضَ على الاثْنين. وأخَذَ من عيسى ثلاث مئة ألف دينار.

[٢]قال ابن خَلِّكان وغيرُه: أكثرُ أهلِ العلم لا يُصححِّون نسَبَ المَهْدِيِّ عُبيدِالله جَدِّ خُلَفاءِ مِصْر، حتى إنَّ العزيز في أوَّل ولايته صَعِدَ المِنْبَرَ يومَ جُمُعَةٍ، فَوَجَدَ هناكَ رُقْعَةً فيها:

إذَا سَمِعْنا نَسَباً مُنْكراً نبكي على المِنْبَرِ والجَامِعِ
إن كُنْتَ فيما تَدَّعي صَادِقاً فاذْكُرْ أباً بَعْدَ الأبِ الرَّابعِ
وإن تُرِدْ تحقيقَ ما قُلْتَه فانسُبْ لنا نَفْسَك كالطَّائِعِ
أوْ لا دعِ الأنسابَ مَسْتورةً وادْخُلْ بِنَا في النِّسَبِ الواسِعِ
فإنَّ أنسابَ بني هاشمٍ يَقْصُرُ عنها طَمَعُ الطَّامعِ

وَصَعِدَ مرّةً أخرى، فرأى وَرَقَةً فيها:

بالظُّلمِ والجَوْرِ قد رَضِينا وليسَ بالكُفْرِ والحماقة
إنْ كُنْتَ أُعْطِيتَ عِلمَ غَيْبٍ فقلْ لَنَا كاتبَ البِطَاقَة

ثم قال ابنُ خَلِّكان: وذلك لأنَّهم ادَّعَوْا عِلْمِ المُغَيَّباتِ. ولهم في ذلك أخبارٌ مشهورة.

وفُتحت للعزيز حَلبٌ وحماةٌ وحِمْص. وخَطَبَ أبو الذَّوَّاد محمدُ بنُ المسيَّب بالمَوْصِل له. ورقَم اسْمَه على الأعلامِ والسِّكَّةِ سنةَ ٣٨٣، وخُطِبَ له أيضاً باليمنِ وبالشَّامِ ومدائنِ المَغْرب.

وكانت دولةُ هذا الرَّافِضيِّ أعظَمَ بكثيرٍ من دولةِ أميرِ المؤمنين الطَّائعِ بنِ

المطيع العَبَّاسيِّ.

وفي أيامه أُظهر سبُّ الصحابةِ جِهَاراً.

[١] وفي سنة ٣٦٦ حَجَّتْ جميلةُ بنتُ نَاصِر الدَّوْلَة، صاحِبِ المَوْصِل فممّا كان مَعَها أربعُ مئةِ محمل. فكانت لا يُدْرى في أيِّ محمل هي. وأَعْتقت خمسَ مئةِ نَفْس. ونثَرتْ على الكعبة عشرةَ آلافِ مِثْقال. وسقت جميعَ الوَفد سَويقَ السُّكَّرِ والثَّلْجِ كذا قال الثَّعالبي، وَخلَعَتْ وَكَسَتْ خمسينَ ألفاً ولقد خَطَبَها السُّلْطَان عضُدُ الدَّولة. فأبتْ فحَنِقَ لذلك، ثم تمكَّنَ منها فأفْقَرها وعذَّبها، ثم ألزمها أن تعقـدَ في الحانة لتحصلَ من الفَاحشة ما تؤدِّي، فَمَرَّتْ مع الأعوانِ، فَقَذَفَتْ نَفْسها في دِجْلَة، فغرقَتْ، عفا الله عنها.

وفي سنةِ ستٍ وثمانين في رمضان ماتَ العزيز ببِلْبِيس في حمام من القُولَنج، وعمره اثنتان وأربعون سنة وأشهر. وقام ابنُهُ الحاكمُ الزِّنديق.

٦٤٤ ـ الحـاكـــــم[1]

صاحِبُ مِصْـرَ الحـاكمُ بأمرِ الله، أبو عليٍّ منصورُ بنُ العَزيزِ نزار العُبيديُّ المِصْريُّ الرَّافضيُّ، بل الإسْمَاعيليُّ الزِّنديق المدَّعي الربوبية.

مولده في سنة خمس وسبعين وثلاث مئة.

وأقاموه في المُلْك بَعْدَ أبيه، وله إحدى عشرة سنة. فحكى هو قال: ضمَّني أبي وقَبَّلَني وهو عُرْيان، وقال: امضِ فالْعب. فأنا في عافية. قال: ثم تُوفِّي، فأتاني بَرْجَوَان،[2] وأنا على جُمَّيْزة في الدّار فقال: انزلْ وَيْحَكَ، الله الله فينا، فنـزلتُ، فوضَـعَ العِمامة بالجَوْهر على رأسِي، وقبَّل الأرضَ ثم قال: السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين وخَرَجَ بي إلى النَّاس، فقبَّلوا الأرضَ، وسلَّموا عليَّ

(١) انظر السير: ١٥/ ١٧٣-١٨٤.

(٢) هو أبوالفتوح، برجوان، كان من خدام العزيز، ومدبري دولته، نافذ الأمر، مطاعا، نظر في أيام الحاكم في ديار مصر والحجاز والمغرب وذلك في سنة ٣٨٨ وقتل بأمر الحاكم سنة ٣٩٠.

بالخلافة.

[١]قلت: وكان شَيطاناً مَريداً جَبَّاراً عنيداً، كثيرَ التلوُّن، سفَّاكاً للدماء، خبيثَ النِّحْلة، عظيمَ المكْرِ جَوَاداً مُمدَّحاً، له شأنٌ عجيبٌ ونبأٌ غريبٌ، كان فِرعونَ زمانِه، يَخْتَرع كلَّ وقتٍ أحكاماً يُلْزِمُ الرَّعِيَّةَ بها. أمَر بَسبِّ الصحابةِ رضي الله عنهم، وبكتابةِ ذلك على أبوابِ المساجدِ والشوارع. وأمر عُمَّالَه بالسَّبِّ، وبقتل الكلابِ في سنة خمسٍ وتسعين وثلاث مئة. وأبطل الفُقَّاعَ(١) والمُلوخيا، وحرَّمَ السَّمَكَ الذي لا فُلُوس عليه،(٢) ووقع ببائعٍ لشيءٍ من ذلك فقتلهم.

[٢]وفي سنةِ اثنين وأربع مئة، حرَّم بيع الرُّطَب، وجَمَعَ منه شيئاً عظيماً، فأحْرقه، ومنع من بيع العِنب، وأباد الكرومَ، وأمر النَّصارى بتعليق صَليبٍ في رِقَابِهم زِنَتُه رِطْلٌ وَرُبْعٌ بالدِّمشقي. وألزم اليهودَ أن يعلِّقوا في أعناقهم قُرميَّةً في زِنَةِ الصَّليب إشارةً إلى رأس العِجْلِ الذي عَبَدوُه، وأن تكون عمائمهم سُوداً، وأن يَدْخُلُوا الحَمَّامَ بالصليب وبالقُرميَّة. ثم أفْرَدَ لهم حَمَّاماتٍ. وأمر في العام بِهَدْمِ كنيسةِ قُمامة،(٣) وبهدم كنائسِ مصر، فأسْلَمَ عِدَّةٌ، ثم إنه نَهَى عن تقبيل الأرضِ، وعن الدُّعاءِ له في الخُطَب وفي الكُتُب. وجعل بدله السَّلامَ عليه.

[٣]وقيل: إن ابن باديس أميرَ المغرب بَعَثَ يَنْقم عليه أموراً، فأراد أن يستميلَه، فأظهـر التَّفَقُّـه، وحَمَـلَ في كُمِّـه الدَّفاترَ، وطَلَبَ إلى عنده فقيهين، وأمرَهما بتدريسِ فقهِ مالكٍ في الجامع، ثم تغيَّرَ فقتلهما صَبْراً.

[٤]وأذِنَ للنَّصارى الذين أكْرَهَهُم في العَوْد إلى الكُفْر.

[٥]وَمَنَـعَ النِّساءَ من الخروج من البيوت، فأحسنَ، وأبطل عمل الخِفاف لَهُنَّ جُمْلَةً، ومازلن ممنوعات من الخروج سبعَ سنين وسبعةَ أشهر.

[٦]ثم بعد مدَّة أمرَ بإنشاء ما هدم من الكنائسِ، وبتنصُّر مَن أسلم.

[٧]وقد حُبِّبَ في الآخر إلى الحاكم العُزْلَةُ، وبقي يَرْكَبُ وحده في الأسواق على

---

(١) شراب يتخذ من الشعير.

(٢) الفلس: القشرة على ظهر السمكة.

(٣) في بيت المقدس.

حمار، ويقيم الحِسْبَة بنفسه، وبين يديه عبدٌ ضخمٌ فاجرٌ فمن وَجَبَ عليه تأديبٌ، أمر العَبْدَ أن يولجَ فيه، والمفعول به يصيح.

وقيل: إنّه أراد ادِّعاءَ الإلَهية، وشَرَعَ في ذلك، فكلَّمه الكبراء وخوَّفوه من وثوبِ النَّاسِ، فتوقَّف.

وفي الأربع مئة وبعدَها كانت الأنْدَلُسُ تَغْلي بالحروبِ والقِتال على المُلْك.

[١]وأنشأ داراً كبيرةً ملأها قيوداً وأغْلالاً، وجَعَلَ لها سبعةَ أبوابٍ وسمَّاها جهنَّم، فكان من سَخِطَ عليه، أسْكنه فيها.

ولما أمَرَ بحريق مصر، واستباحَها، بَعَثَ خادمَه ليشاهدَ الحال فلما رَجَعَ، قال: كيف رأيتَ؟ قال: لو استباحَها طاغيةُ الرُّوم ما زاد على ما رأيتُ، فَضَرَبَ عُنُقَه.

وفي سنة ثلاث وأربع مئة، أُخِذَ الوفدُ العراقيُّ، وغُورِّت المياه وَهَلَكَ بِضْعَةَ عَشَرَ ألف مسلمٍ. ثم أُخِذَ من العرب ببعض الثَّأْر. وقُتِلَ عِدَّةٌ.

وبعث المَلِكُ محمودُ بنُ سُبُكْتِكين كتاباً إلى الخليفة بأنَّه وَرَدَ إليه من الحاكِمِ كتابٌ يدعوه فيه إلى بيعته. وقد خرَّق الكِتابَ، وبصَقَ عليه.

[٢]وفي سنة خمس ظَفِرَ الحاكمُ بنساءٍ على فسادٍ، فغَرَّقهنَّ، وكانت الغَاسِلة لا تخرجُ إلى امرأةٍ إلَّا مع عَدلين. ومرَّ القَاضي مالكُ بنُ سعيد الفَارِقيُّ، فنادته صبيةٌ من رَوْزَنَةٍ: أقْسَمت عليك بالحاكِمِ أن تَقِفَ فَوَقَفَ فبكَتْ، وقالت: لي أخٌ يموتُ، فبالله إلَّا ما حَمَلْتَني إليه لأراه، فَرَقَّ وبعث معها عَدْلَين، فأتت بيْتاً، فدخَلَتْ، والبَيْت لعاشِقَها، فجاء الزَّوجُ، فسأل الجيران، فحدَّثوه، فجاءَ إلى القاضي، وصاحَ، وقال: لا أخَ لها، وما أفارقُك حتى تردَّها إليَّ، فحار القاضي وطلع بالرجل إلى الحاكم، ونادى العفْوَ فأمره أن يَرْكَبَ مع الشَّاهدَيْن فوجدوا المرأةَ والشَّابَّ في إزَار واحد على خُمار، فَحُمِلا على هيئتِهما فسألها الحاكِمُ فأحالتْ على الشَّابِّ، وقال: بل هجمت عليَّ، وزعمتْ أنَّها بلا زوجٍ، فلُفَّتْ في باريَّةٍ، وأُحْرِقَتْ، وضُرِبَ الشَّابُّ ألفَ سَوط.

ووَلِيَ دمشقَ للحاكم عِدَّةُ أمراء ما كان يَدَع النائب يستَقر حتى يَعْزلَه.

[١] وذكرنا في ترجمته،(١) أنه خَرَجَ من القَصْر فطافَ ليلتَه، ثُمَّ أصبح فتوجَّه إلى شرقي حُلْوان مَعَـه ركـابيان. فردَّ أحـدَهما مع تسعةٍ من العَرَب ثم أمر الآخر بالانْصراف. فزعَمَ أنَّه فارقه عند المَقْصَبة. فكانَ آخِرَ العهد به. وخَرَجَ النَّاسُ على رَسْمهم يلتَمسُون رجُوعَه، معهم الجَنَائب ففعلوا ذلك جُمعةً. ثُمَّ خَرَجَ في ثاني ذي القَعْدَة مظفَّر صاحب المِظَلَّة ونسيمٌ وعِدَّة. فبلغوا دَير القُصَير، وأمعنُوا في الـدُّخول في الجَبَل فبَصُروا بحمارِه الأشهب المسمى بقَمر، وقد ضُربت يداه، فأثَّر فيهما الضَرْب وعليه سَرْجه ولِجَامُه، فتتبعوا أثر الحمار فإذا أثر راجلٍ خَلْفَه وراجل قُدَّامه، فقصُّوا الأثر إلى بِرْكَةٍ بشرقي حُلْوان، فنزل رجلُ إليها فيجد فيهما ثيابه وهي سبع جِباب، فوجِدَت مُزَرَّرةً، وفيها آثار السَّكاكين فما شكُّوا في قتله.(٢)

وثَمَّ اليوم طائفـة من طَغـام الإسْمَـاعِيلية الذين يحلِفون بغيبة الحاكم، ما يعتقِدُون إلا أنَّه باقٍ، وأنه سيظهر. نعوذ بالله من الجهل.

وقد قَتَل الحاكمُ جماعةً من الأُمراء بلا ذَنْبٍ، وذَبَح قاضيين له.

وسيرةُ الحاكمِ ، وعَسْفُه تحتمل كراريس.

---

(١) يشير الذهبي هنا الى كتابه «تاريخ الإسلام».

(٢) «وفيات الأعيان» : ٥/ ٢٨٧-٢٩٨.

وقد نقل المقريزي عن المسبحي رواية أخرى لمقتله. قال «وفي المحرم سنة خمس عشرة وأربع مئة قبض على رجل من بني حسين ثار بالصعيد الأعلى، فأقر بأنه قتل الحاكم بأمر الله في جملة أربعة أنفس تفرقوا في البلاد، وأظهر قطعة من جلدة رأس الحاكم وقطعة من الفوطة التى كانت عليه، فقيل له: «لم قتلته؟» قال: «غيرة لله وللإسلام» فقيل له: «كيف قتلته؟» فأخرج سكيناً ضرب بها فؤاده، فقتل نفسه، وقال «هكذا قتلته» فقطع رأسه، وأنفذ به إلى الحضرة مع ما وجد معه. هذا هو الصحيح في خبر قتل الحاكم، لا ما تحكيه المشارقة في كتبهم من أن أخته قتلته، انظر «اتعاظ الحنفا» : ٣١٤.

٦٤٥ - الظَّاهِرُ[1]

صاحبُ مِصْرَ الظَّاهرُ لإعزاز دينِ الله، أبو الحسن، عليُّ بنُ الحاكمِ منصور ابن العزيز نزارِ بنِ المُعِزّ، العُبيديُّ المِصْريُّ. ولا أَسْتَحِلُّ أنْ أقول العَلَويُّ الفاطِميُّ، لِمَا وَقَرَ في نفسي من أنه دَعِيٌّ.

بُويع وهو صبيٌّ لمَّا قُتِلَ أبوه سنةَ إحدى عشرة وأربع مئة.

وكانَتْ دولتُه على مِصْرَ والشام والمَغْرِب. ولكنْ طمِع في أطراف بلاده طوائفُ، فَتَغلَّبَ حسَّانُ بنُ مفرِّج الطَّائي صاحبُ الرَّمْلة على كثيرٍ من الشَّام، وضعُفت الإمارة العُبيديَّة قليلاً.

وماتَ الظَّاهر في سنةِ سبعٍ وعشرينَ وأربع مئة. ولم يبلُغْني كبيرُ شيءٍ من أخبارِهِ. وقام بعده ابنه المُسْتَنْصِر. وقيل: كان غارِقاً في اللهو والمُسكر والسَّراري.

٦٤٦ - المُسْتَنصر باللّه[2]

[١] صاحبُ مِصْرَ المستنصرُ بالله، أبوتميم مَعَدُّ بنُ الظَّاهر، وَلِيَ الأمرَ بعد أبيه، وله سبعُ سنين، فامتَدَّتْ أيامُه ستين سنة وأربعة أشهر.

وفي وسط دولته خُطب له بإمرة المؤمنين على منابر العراقِ في سنةِ إحدى وخمسين وأربع مئة. والتجأ القائمُ بأمر الله الخليفةُ إلى أميرِ العَرب فأجاره، ثُمَّ بعد عامٍ عادَ إلى خلافَتِهِ.

[٢] وفي سنة أربعين غزت الغُزُّ مع إبراهيمَ يَنَال السَّلْجُوقيِّ وقيل: ما كان معهم، فغزوا إلى قريب القُسطنْطينيَّة، وغنِمُوا وسَبَوْا أزيدَ من مئة ألف، وقيل: جُرَّتِ

---

(١) انظر السير: ١٥/ ١٨٤-١٨٦.

(٢) انظر السير: ١٥/ ١٨٦-١٩٦.

المكاسب على عشرة آلاف عجَلة وكان فتحاً عظيماً.

وكان الرَّفْض أيضاً قويًّا بالعِراق.

[١]وفي سنة ٤٨ كان بالأنْدَلسُ القَحْطُ ما سُمِعَ بمثله، ويُسمونه الجوعَ الكبير. وكان بمصرَ القحطُ والفَناءُ.

[٢]وكان غلاءٌ مُفْرِط ببغدادَ وفَنَاءٌ، وأما بما وراء النهر فتجاوز الوصفَ.

وفي سنة إحدى وستينَ كانت حريقُ جامع دمشق، ودُثِرَتْ محاسنُه واحترقت الخَضْرَاءُ معه ـ وكانت دارَ الملكِ ـ من حربٍ وقعَ بين عسكرِ العراق، وعسكر مصر.

وفي سنة اثنتين وستين، قُطِعَتْ من مكَّة الدعوةُ المستنصريَّة وخُطب للقائم بأمر الله، وتُرِكَ الأذانُ «بحي على خير العَمَل». وذلك لذلَّة المِصْريين بالقحط الأكْبر وفنائهم. وأكَلَ بعضُهم بعضاً. وتمزَّقُوا في البلاد من الجوع، وتمَّحقَتْ خزائنُ المُسْتَنْصِر، وافتقرَ، وتعثَّر.

[٣]وفي هذه النوبة نقل صاحبُ «المرآة»، أن امرأة خَرَجَتْ وبيدها مُدُّ لؤلؤ لتشتريَ به مُدَّ قمحٍ، فلم يلتفتْ إليها أحدٌ، فرمته فما كان له مَنْ يَلْتَقِطُه. فكاد الخرابُ أن يستوليَ على سائر الأقاليم، حتى لأُبيع الكَلْبُ بستةِ دنانير والقط بثلاثةِ دنانير، حتى أُبيع الإردب بمئة دينار.

[٤]قال ابنُ الأثير: اشْتَدَّ الغلاءُ حتى حُكِيَ أن امرأةً أكلتْ رغيفاً بألفِ دينارٍ، باعت عروضاً تساوي ألفَ دينار بثلاث مئة دينار، فاشترتْ بها جُوالِقَ(١) قمح، فانْتهَبَه الناسُ، فنهبَتْ هي منه فَحَصَلَ لها ما خُبِزَ رَغِيفاً.

[٥]وفي دولة المستنصر وقع القَحْطُ المذكور لاحتراق النِّيل الذي ما عُهدَ مِثْلُه بمصـرَ من زمن يوسفَ عليه السَّلام. ودام سنواتٍ بحيث أن والِدَة المُسْتَنْصِرِ وبناتِه سافَرْنَ من مصرَ خوفاً من الجوع. وآل أمرُه إلى عدمِ كُلِّ الدَّوابّ ببلاد

(١) وعاء من صوف أو غيره، جمعه: جوالق ـ بفتح الجيم، وهو عند العامة (شوال).

مصر. بحيث بقي له فَرَس يَرْكَبُها. واحتاجَ إلى دابَّة يركَبُها حَامِلُ الجِتْرِ[1] يوم العيد وراءه، فما وَجَدُوا سوى بغلَةِ ابنِ هبة كاتب السِّرِّ فوقفتْ على باب القَصْر، فازْدَحَم عليها الحَراشِفَةُ[2] وذبحوها وأكلوها في الحال، فأخذهم الأعوان وشُنِقُوا، فأصبحت عظامُهم على الجذوع قد أُكلوا تحت اللَّيل.

مات المستنصر سنةَ سبعٍ وثمانين وأربع مئة، وقد قارب السبعين وكان سَبُّ الصَّحابةِ فاشياً في أيامه، والسُّنَّة غريبةٌ مكتومةٌ، حتى إنهم منعوا الحافظ أبا إسحاق الحبَّال من رواية الحديث، وهدَّدوُه فامتنع، ثم قام بعد المستنصر ابنُه أحمد.

٦٤٧ - المُسْتَعْلي بالله[3]

[١]صاحِبُ مِصْر أبوالقاسم أحمدُ بنُ المُسْتَنْصِر العُبيديُّ المِصْرِيُّ.

وفي أيامه وَهَتْ الدَّولَةُ العُبيديَّة، واختلَّت قواعِدُها، وانقَطَتْ الدَّعوة لهم من أكثرِ مدائنِ الشَّام، واستولى عليها الفِرَنْجُ وغيرُهم من الغُزِّ.

[٢]فأخذَتِ الفرنج أَنْطَاكِيَة من المسلمين في سنةِ إحدى وتسعينَ، وكان لها في يدِ المُسْلِمِيْنَ نحو عشرين سنةً، وأخذُوا بيتَ المَقْدِسِ، واستباحوه وأخذوا أيضاً المعرَّةَ في سنةِ اثنتينِ وتسعين، ثم استوْلَوْا على مدائنَ وقلاعٍ.

[٣]وفي دَوْلَتِه كَثُرَتِ البَاطِنِيَّةُ الملاحدةُ الذين هُم الإِسْمَاعِيلِيَّةُ. وأخذوا القُفُول،[4] وتملَّكُوا قلعة أَصْبَهان، وفتكوا بعددٍ كثيرٍ من الكبارِ والعُلماءِ وشَرَعُوا في شُغل السِّكِّين، وجرت لهم خطوبٌ وعجائب.

وفي سَنَةِ خمسٍ وتسعينَ وأربع مئة مات المُسْتَعلي وأقاموا وَلَدَه الآمرَ بأحكام

(١) الجِتْر، بكسر الجيم. المظلة.

(٢) كالشطار والعيارين في بغداد.

(٣) انظر السير: ١٥/ ١٩٦-١٩٧.

(٤) جمع قافلة.

الله منصـوراً. ولـه خمسُ سنين، وأزِمَّـة الملكِ إلى الأفضـلِ أميرِ الجيوش.
ويُقال: إنه سُمَّ وقُتِلَ سِرّاً.

٦٤٨ - الآمِـرُ بأحْـكَامِ اللّـــهِ(١)

[١]صاحِبُ مِصْرَ أبو علي منصورُ بنُ المُسْتَعلي، العُبيديُّ الرَّافضيُّ الظَّلُومُ.

كانِ متظاهِراً بالمَكْر واللَّهو والجبروتِ.

وَلِيَ وهـو صغير، فلمـا كَبِرَ قَتَلَ الأفضَلَ أميرَ الجيوش، واصطفى أمواله، وكانت تفوتُ الإحْصَاءَ، ويُضْرَبُ بها المَثَلُ، فاستوزر بعده المأمونَ محمّدَ بن مختار البَطائحيّ، فَعَسَفَ الرَّعيَّة، وتمرَّد، فاستأْصَلَه الآمِر بعد أربعِ سنين، ثم صَلَبَه، وقَتَلَ معه خمسةً من إخوته.

[٢]وفي دولتِـه أخذت الفِرَنْج طَرَابُلُسَ الشَّامِ وصَيْدا، ثم قصد الملك بردويل الفِـرَنْجِيُّ ديارَ مصـر، وأخـذ الفَرَما وهي قريبة من العَريش، فأحرَقَ جامِعَها، ومساجِدَها، وقتل وأسر، ثم رجع فهلك في سَبخَة بردويل فشقُّوه ورموا حُشوته وصَبَّروه، فَحِشْوَتُهُ تُرْجَم هناك إلى اليوم، ودفنوه بقُمَامة. وكان قَدْ أخذ القدسَ وعكّا والحصون.

وفي أيامه ظهر ابنُ تُوْمَرْت بالمغرب وكَثُرت أتباعه، وعسكروا وقاتلوا، وملكوا البلادَ.

[٣]وبقي الآمِر في المُلْك تسعاً وعشرينَ سَنَةً وتسعةَ أشهر إلى أن خَرَجَ يوماً إلى ظَاهِر القَاهرة، وعدَّى على الجسر إلى الجِيزَة، فَمَكَنَ له رجالٌ في السِّلاحِ، ثم نزلـوا عليه بأسْيَافهم، وكـان في طائفـةٍ ليست بكثيرةٍ، فَرُدَّ إلى القصـر مثخناً بالجراح. وهَلَكَ من غير عَقِبٍ.

وكان العاشرَ من الخُلَفَاءِ الباطنيَّة فبايعوا ابنَ عمٍّ له، وهو الحافظ لدين الله.

---

(١) انظر السير: ١٥/ ١٩٧-١٩٩.

وكان حسنَ الحظ، جيِّد العقل والمعرفة، لكنّه خبيثُ المعتَقد سفَّاكاً للدِّماء، متمّرداً جَبَّاراً فاحشاً فاسقاً، صادر الخلقَ. عاش خمساً وثلاثين سنة.

وانقَلَعَ سنةَ أربعٍ وعشرينَ وخمس مئة.

٦٤٩ - الحافظُ لدين الله[١]

[١]صاحِبُ مِصْرَ أبو الميمونِ عبدُالمجيد بنُ الأمير محمدِ بنِ المسْتَنْصِر بالله مَعَدّ، العُبيديُّ الإسْماعِيليُّ المِصْريُّ.

بايعوه يومَ مَصْرَعِ ابنِ عمِّه الآمِرِ ليدبِّر المملكةَ إلى أن يُولَد حَملٌ للآمر إنْ وُلِد.

[٢]وغَلَبَ على الأمورِ أميرُ الجيوش أبو عليٍّ بنُ الأفضلِ بن بدر الجمالي فأخرجَتِ الأُمراء أبا عليٍّ، وقدَّموه عليهم، فأتى إلى القصر، وأمرَ ونَهَىَ، وبقي الحافِظُ معه مُنْقَهراً، فقام أبو عليٍّ بالمُلْكِ أتمَّ قِيام وَعَدَلَ في الرَّعية، وَرَدَّ أموالاً كثيرةً على المصادَرين، ووقف عند مذهب الشِّيعة، وتَمَسَّكَ بالإثني عشر، وتَرَكَ ما تقولُهُ الإسْمَاعِيلِيَّة، وأعْرَضَ عن الحافِظِ وآلِ بيته، ودَعَا على منابِرِ مصر لِلْمُنْتَظَر صاحِبِ السِّرْدابِ على زَعْمهم، وكتب اسمَه على السِّكَّة، واستمرَّ على ذلك، وقَلِقَت الدَّوْلة إلى أن شَدّ عليه فارسٌ من الخاصَّة، فقتَلَه بظاهِرِ القَاهِرَة في المحرَّم سنةَ ستٍ وعشرينَ وخمس مئة، وذلك بتدبيرِ الحافِظِ، فبادرتِ الأُمراء إلى خدمة الحافظ، وأخرجوه من الضِّيق والاعتقال، وجدَّدوا بَيعَتَهُ واستقلّ بالمُلْكِ.

وعندما ماتَ الآمِر قبْله، قال الجُهال: هذا بيتٌ لا يموتُ إمامٌ منهم حتى يخلِّفَ ابناً ينصُّ على إمامته، فخلَّف الآمرُ حَمْلاً فكان بنتاً.

وكان الحافظُ كلما أقامَ وزيراً تمكَّن، وحَكَمَ عليه، فيتألَّمُ ويتحيَّلُ عليه،

(١) انظر السير: ١٥/ ١٩٩-٢٠٢.

وَيَعْمَلُ على هلاكِهِ. وبَقِيَ الحافظ بلا وزيرٍ عَشْرَ سنين.

ومات سنةَ أربعٍ وأربعينَ وخمس مئة، فكانت دولتُه عشرينَ سنةً سوى خمسةِ أشهر. وعاش سبعاً وسبعينَ سنةً. فما بَلَغَ أحدٌ هذا السنَّ من العُبيدية، وقام بعده ولدُه الظَّافر.

٦٥٠ - الظَّافِرُ باللّه(١)

[١]صاحِبُ مِصْرَ الظَّافِرُ بالله أبو منصور إسماعيلُ بنُ الحافظ لدين الله.

وَلِيَ الأمرَ بعد أبيه خمسةَ أعوامٍ. وكان شابّاً جميلًا وسيماً لعَّاباً عَاكِفاً على الأغاني والسَّراري.

استوزر الأفضلَ سليم بنَ مصال فساس الإقليم.

وانقطعتْ دَعْوَتُه، ودعوةُ أبيه من سائرِ الشَّام والمغرب والحَرَمَين وبقي لهم إقليمُ مِصْرَ.

ثم خرج على ابن مصـال العادلُ ابن السلَّار، وحاربه، وظفر به واستأصله واستبدَّ بالأمر.

[٢]وقَدِمَ من إفْريقية عباسُ بنُ أبي الفتوح بنِ الملك يحيى بنِ تميم بنِ المُعِزّ ابن باديس مع أمّه صبيّاً. فتزوّج العادلُ بها قبلَ الوزارَة فتزوّج عَباسٌ، وَوُلِدَ له نَصْرٌ، فأَحَبَّه العادل، ثُمَّ جَهَّز أباه للغزو فلمَّا نزل بِبِلْبِيس، ذاكره ابنُ مُنْقِذ،(٢) فاتَّفَقَا على قَتْلِ العَادِلِ، وأن يأخذَ عَبَّاس مَنصبَه. فَذَبَح نَصْرٌ العادلَ على فراشِهِ في المحرم سنة ٥٤٨، وتملَّكَ عَبَّاسٌ وتمكَّن.

[٣] وكان ابنُه نَصْر من المِلاح. فمال إليه الظَّافر وأحبَّه، فاتَّفَقَ هو وأبوه عَبَّاس

(١) انظر السير: ١٥/ ٢٠٢-٢٠٥.

(٢) أسامة بن منقذ الكناني، أمير، من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر (قرب حماة) ومن العلماء الشجعان، له تصانيف في الأدب والتاريخ. ومن أمتع كتبه «الاعتبار» نحا فيه منحى السيرة الذاتية. توفي سنة ٥٨٤هـ بدمشق.

على الفَتْكِ بالظَّافر.(١) فَدَعاه نصرٌ إلى دارِهِم ليأتي متخفياً، فجاء إلى الدَّار التي هي اليوم المدرسة السُّيوفية. فشدَّ نَصْرٌ عليه فَقَتَله وطَمَرَه في الدار. وذلك في سنةِ تسعٍ وأربعين وخمس مئة. وعاشَ الظَّافر اثنتين وعشرين سنةً.

ثم رَكِب عبَّاسٌ من الغد وأتى القصر. وقال: أين مولانا؟ فطلبوه فَفَقَدُوه. وخرج جبريلُ ويوسف أخوا الظَّافر، فقال: أين مولانا؟ قالا: سَلْ ابنَك، فغضِب. وقال: أنتما قتلْتُماه، وضربَ رِقابَهما في الحالِ.

٦٥١ - الفائز بالله(٢)

[١]صاحِبُ مِصْرَ أبو القَاسمِ عيسى بْنُ الظَّافرِ إسماعيلَ العبيديُّ.

[٢]لما اغتال عَبّاسٌ الوزيرُ الظَّافرَ، أظهر القلقَ، ولم يكن عَلِم أهلُ القصْرِ بمقتله. فطلبوه في دور الحُرَمِ فما وجدوه. وفتَّشوا عليه وأيسوا مِنْه. وقال عباسٌ لأخويه: أنتما الذين قَتَلْتُمَا خَليفَتَنَا فأصرَّا على الإنكار، فَقَتَلَهُمَا نَفْياً للتُّهْمة عنه. واستَدعى في الحالِ عيسى هذا، وهو طفلٌ له خمسُ سنينَ، وقيل: بل سنتانِ فحمله على كَتِفيه، ووقف باكياً كئيباً، وأمر بأنْ تَدْخُلَ الأُمراءُ، فدخلوا فقال: هذا وَلَدُ مولاكم، وقد قَتَلَ عَمَّاه مولاكُمْ، فقتلتُهما به كما تَرَوْن والواجِبُ إخلاصُ النيَّةِ والطَّاعةِ لهذا الولد. فقالوا كلُّهم: سمعاً وطاعةً، وضجُّوا ضجَّةً قويةً بذلك. فَفَزِعَ الطِّفلُ، وبال على كَتِفَ الملكِ عَبَّاس. ولقَّبوه الفائزَ، وبعثوه إلى أُمِّه، واخْتُلَّ عَقْلُه من حينئذٍ وصارَ يتحرك ويُصرعُ، ودانَتْ الممالكُ لعبّاسٍ.

وأما أهْلُ القَصْرِ، فاطَّلعُوا على باطِنِ القَضِيَّةِ، وأقاموا المآتمَ على الثلاثَة، وتحيَّلوا، وكاتبوا طلائعَ بن رُزِّيك الأرمنيَّ الرَّافضيَّ(٣) والي المُنْيَةِ،(٤) وكان ذا

(١) يذكر أسامة بن منقذ أن الظافر حمل نصرا على قتل أبيه، فاطلع والده على الأمر فلاطفه واستماله وقرر معه قتل الظافر، انظر الاعتبار: ١٩-٢٠.

(٢) انظر السير: ١٥/ ٢٠٥-٢٠٧.

(٣) لقب بالملك الصالح. كان شجاعا حازماً مدبراً، أصله من الشيعة الإمامية في العراق، مات غيلة سنة ٥٥٦ هـ.

(٤) منية بني خصيب، من أعمال صعيد مصر.

شهَامَةٍ وإِقْدَامٍ. فسألوه الغوثَ، وقطعوا شعورَ النِّساءِ والأولادِ، وسيَّروها في طَيِّ الكتـابِ وسخَّمُـوه، فلما تأمَّله اطّلع مَنْ حَوْلَه مِنَ الجُنْدِ عليه، وبَكَوْا. ولبسَ الحِدادَ، واستمال عربَ الصَّعيدِ، وَجَمَعَ وَحَشَد، وكاتَبَ أمراءَ القاهرةِ، وهيّجهم على طلبِ الثَّأرِ فأجابوه. فسار إلى القاهرةِ، فبادر إلى ركابه جمهورُ الجيش، وبقي عباسٌ في عسكرٍ قليل. فخارتْ قواه وَهَرَب هو وابنُهُ نصر ومماليكه والأميرُ ابنُ منقذ.

ثم قَصَدَ عَبَّاسٌ الشَّام على ناحية أَيْلَةَ في ربيعٍ الأول، فما كانت أيامُهُ بَعْدَ قَتْلِ الظَّافِرِ إلا يسيرة، واستولى الصالحُ طلائعُ بنُ رُزِّيك على ديارِ مِصرَ بلا ضَرْبَـةٍ ولا طَعْنَةٍ، فَنَزَلَ إلى دَارِ عَبَّاس، وطَلَبَ الخادمَ الصَّغيرَ الذي كان مع الظَّافر، وسأله عن المكان الذي دُفِنَ فيه أُستاذه، فأعْلمه فقلع بلاطَه، وأخْرَجَ الظَّافرَ وَمَنْ مَعَه من القَتْلَى. وحُمِلُوا وناحوا عليهم. وتكفَّل طلائعُ بالفَائز، ودبَّر الدَّولة.

وجهَّزت أختُ الظَّافرِ رسولاً إلى الفِرَنْج بِعَسْقَلان، وبَذَلَتْ لهم مالاً عظيماً إن أسـروا لهـا عبّاساً وابنَه، فخرجوا عليه، فالْتقاهم، فَقُتِل في الوقعةِ، وأُخِذَتْ خَزَائِنُـه، وأسروا ابنَه نَصْراً، وبعثوه إليها في قفص حديدٍ، فلمَّا وصل، قبض رسولُهم المالَ، وذلك في ربيع الأول سنة خمسين، فقُطِعتْ يَدُ نصر، وضُرِب بالمقارِعِ كثيراً، وقُصَّ لحمُه ثم صُلِبَ فمات، فبقي معلَّقاً شهوراً، ثم أحرِق.

ماتَ الفـائزُ سنةَ خمسٍ وخمسينَ وخمسِ مئة، وله نحو من عَشْرِ سنين، وبايعوا العاضدَ.

٦٥٢ - العـاضـــــد(١)

صَاحِبَ مِصْرَ العَاضدُ لدين الله خَاتَمُ الدَّوْلةِ العبيدية أبو محمد عبدُالله بنُ الأميرِ يوسفَ بن الحـافظِ لدينِ الله عبـدِالمجيدِ، العُبيديُّ الحاكميُّ المِصْريُّ

(١) انظر السير: ١٥/ ٢٠٧-٢١٥.

الإِسْمَاعيليُّ المدَّعي هو وأجْدَادُه، أنَّهم فاطميّون.

مولده سنةَ ستٍ وأربعينَ وخمس مئة.

أقامه طلائعُ بنُ رُزِّيك بعدَ الفائز، فكان من تحت حِجره، لا حَلَّ لديه ولا رَبْط. وكان العاضدُ سَبَّاباً خبيثاً مُتخلِّفاً.

قال القاضي شمسُ الدِّين بنُ خَلِّكان: كان إذا رأى سُنِّيّاً اسْتحلَّ دمَه. وسار وزيرُه الملكُ الصالحُ طلائعُ سيرةً مَذمومَةً، واحتكر الغَلَّاتِ، وقتل عِدَّةَ أُمَراء، وأَضْعَفَ أحوالَ الدَّوْلَةِ بقَتْلِ ذوي الرأيِ والبأْسِ، وصادر وعَسَف.

[١]وأخَذَ طلائعُ في قَطْع أخبار العَسْكَرِ والأُمراءِ، فتعاقدوا بموافقةِ العَاضِدِ لهم على قَتْلِه، فكَمَن له عِدَّةٌ في القَصْر، فَجَرحُوه، فدخل مماليكُه، فَقَتلُوا أولئك، وحملوه، فما أَمْسى. وذلك سنةَ ستٍّ وخمسين.

ووَلِيَ مكانَه ولدُه الملكُ العَادلُ رُزِّيك. وكان مليحَ النَّظْمِ، قويَّ الرَّفْضِ، جواداً شجاعاً، يُناظرُ على الإمامةِ والقدَر، وعَمِل قبل مَوْته بثلاث ليالٍ:

[٢]نحن في غَفْلَةٍ ونَوْمٍ وللمو ت عيونٌ يَقْظَانَةٌ لا تَنَامُ
قد رَحَلْنا إلى الحِمام سِنينا لَيْتَ شِعري متى يكونُ الحِمامُ؟

نعم، ووزَرَ للعاضِد الملكُ أبو شجاع شاوَرُ السَّعديُّ، وكان على نيابةِ الصَّعيد من جهةِ طلائع، فَقَوي، ونَدِمَ طلائعُ على تَوْليته لفروسيته وشَهامته، فأوصى طلائعُ وهو يموت إلى ابنِه أن لا يهيجَ شاوَرَ.

ثم إن شاوَرَ حشد وجمع، واخترقَ البَرِّيَّة إلى أن خرجَ من عند تَرْوَجة،(١) وقصد القاهِرةَ، فدخلها من غير مُمانعة، ثمَّ فَتَكَ برُزِّيك وتمكَّن.

[٣] ثُم قَدِم دمشق جريدةً إلى نورِ الدين مستَنْجداً به، فَجَهَّز معه شِيركُوه، بل بَعْدَه بسنةٍ، فاستردَّ له الوَزارةَ، وتمكَّن، ولم يجازِ شِيركُوه بما يليقُ به، فأضمر له الشَّرَّ، واستعانَ شاور بالفِرَنْج، وتَحَصَّن منهم شِيركوه ببِلْبيس، فحصروه مدَّةً، حتى مَلُّوا.

---

(١) قرية بالقرب من الإسكندرية.

واغتنم نورُ الدين خُلوَّ السَّاحلِ منهم فَعمِلَ المصافَّ على حَارِمٍ وأَسَرَ ملوكاً في سنةِ تسعٍ وخمسين.

ورَجَعَ شِيركُوه بَعْدَ أمورٍ طويلةِ الشَّرْحِ.

[١]ثم سيَّر العـاضِدُ يستنجدُ بشِيركوه على الفِرَنْج، فسار وهزم الفِرَنْجَ بعد أنْ كادوا يأخذون البلادَ، وهمَّ شاور باغتيال شيركوه وكبارِ عَسْكره فناجَزُوه وقتلوه في ربيع الآخر سنةَ أربع وستينَ قَتلَه جُرْديك النُّوريُّ وصلاحُ الدينِ.

[٢]فاستـوزرَ العاضِدُ شِيركُوه، فلم يُطوِّلْ، ومات بالخَانُوق بعد شهرينِ وأيامٍ، وقـام بَعْـدَه ابنُ أخيه صلاحُ الدين. وكان يُضربَ بشجاعة أسدِ الدينِ شِيركوه المثل، ويخافُه الفِرَنْجُ.

[٣]قلت: تلاشى أمْـرُ العَاضِد مع صلاحِ الدين إلى أن خلعه، وخطب لبني العبَّـاسِ، واستـأْصَل شَأْفَةَ بني عُبيد ومحق دولةَ الرَّفضِ. وكانوا أربعةَ عَشَرَ متخلِّفاً لا خليفةً، والعاضِدُ في اللُّغَةِ أيضاً القاطعُ، فكان هذا عاضداً لدولةِ أهلِ بيتِه.

[٤]قال ابنُ خَلِّكان: أخبرني عالمٌ أن العاضِدَ رأى في نومه كأَنَّ عقرباً خَرَجَتْ إليه من مسجد عُرِفَ بها فلدغته، فلما استيقظَ طَلب مُعبِّراً، فقال: ينالُكَ مكروه من رجلٍ مقيمٍ بالمسجد، فسأل عن المسجدِ، وقال للوالي عنه، فأُتي بفقيرٍ، فسأله من أين هو؟ وفيم قَدِم، فرأى منه صِدْقاً وديناً. فقال: ادْعُ لنا يا شيخ، وخلَّى سبيلَه، وَرَجَعَ إلى المسجدِ، فلمَّا غلب صلاحُ الدِّين على مصرَ، عزم على خلْعِ العاضِدِ، فقال ابنُ خَلِّكان: استفتى الفقهاء، فأَفْتَوْا بجواز خَلْعِهِ لِمَا هُوَ من انحلالِ العقيدةِ والاستِهْتار، فكان أكثرهم مبالغةً في الفُتْيا ذاك، وهو الشيخُ نجم الدينِ الخُبُوشانيُّ، فإنه عدَّد مساوِئَ هؤلاء، وسلب عنهم الإيمان.

[٥]قال أبو شامة: كان منهم ثلاثةٌ بإفريقية: المهديُّ، والقائمُ والمنصورُ، وأَحَدَ عَشَرَ بمصرَ آخرهُم العاضِدُ، ثم قال: يدَّعون الشَّرفَ ونِسْبَتُهم إلى مجوسيٍّ أو يهوديٍّ، حتى اشْتهر لهم ذلك، وقيل: الدولة العلوية، والدولة الفاطمية، وإنما

هي الدَّوْلة اليهوديَّة أو المجوسيَّة المُلْحِدَةُ الباطنيَّةُ.

قلت: وكـانت دولتُهم مئتي سنـةً وثمـانياً وستين سنة، وقد صنَّفَ القاضي أبوبكر بن الباقِلاَّني كتاب «كَشْف أسرارِ الباطنيَّة» فافتتحه ببُطْلانِ انتسابِهم إلى الإمام عليٍّ، وكذلك القاضي عبدُالجبار المُعْتَزِليُّ.

هلَكَ العاضدُ يومَ عاشوراءَ سنةَ سبعٍ وستينَ وخمس مئة بذَرَب مُفْرِطٍ وقيل مات غَمّاً لما سَمِع بقطع خُطبتِه وإقامةِ الدعوةِ للمستضيء.

وتسلَّم صلاحُ الدينِ القصرَ بما حوى من النفائسِ، والأموالِ، وقَبَضَ أيضاً على أولاد العـاضـدِ وآلِـه، فسجَنَهُم في بيتٍ من القَصْـرِ، وقَمَـعَ غِلْمـانَهم وأنصارَهم، وعفى آثارَهم.

قال العِماد الكاتبُ: وهمُ الآن محصورون محسورون لم يظهروا وقد نقصوا وتقلَّصوا، وانتقى صلاحُ الدين ما أحبَّ من الذَّخائرِ، وأطلقَ البيعَ بعدُ في ما بقي، فاستمرّ البيع فيها مدَّة عشرِ سنين.

[١]ومن كتابٍ من إنشاءِ القاضي الفاضل إلى بغدادَ: (وقد تَوالَت الفُتوحُ غرباً ويَمَناً وشاماً. وصارت البلاد بل الدنيا والشهر، بل والدهرُ حَرَماً حراماً. وأضحى الدِّينُ واحداً بعد أن كان أدياناً، والخلافةُ إذا ذُكِّرَ بها أهلُ الخلافِ لم يَخِرُّوا عليهـا صُمّـاً وعُميانـاً، والبـدعةُ خَاشِعةٌ، والجُمُعة جَامِعةٌ، والمذلّة في شِيَعِ الضـلالِ، شائعـةٌ. ذلك بأنَّهم اتَّخذوا عبادَ الله مِنْ دُونه أولياءَ، وسَمَّوْا أعداء الله أصفياء، وتقـطّعـوا أمـرهم بينهم شِيَعاً، وفرَّقوا أمرَ الأُمّةِ وكان مجتمِعاً، وقُطع دابرُهُم، ورَغِمت أُنـوفهُم ومنـابـرُهم، وحقَّتْ عليهم الكلمةُ تشريداً وقَتْلاً، وتمتْ كلماتُ ربك صِدْقاً وعَدْلاً، وليس السيف عمن سواهم من الفِرَنْج بصائم، ولا الليلُ عن السير إليهم بنائمٍ).

قلت: أعجبني سَرْدُ هؤلاء الملوكِ العُبيديّةِ على التـوالي، ليتـأمَّلَه النـاظـرُ مجتمِعاً. فلنرجعِ الآن إلى ترتيبِ الطِّباق في حُدُود العشرين وثلاثِ مئةٍ وما بعدها.

٦٥٣ - ابن مُقْلـــة[١]

[١]الوزيرُ الكبيرُ، أبو علي محمدُ بنُ عليٍّ بن حسن بن مُقْلة.

وُلِدَ بَعْدَ سنة سبعينَ ومئتين.

قال الصُّوليُّ: ما رأيتُ وزيراً منذ توفِّي القاسمُ بنُ عبيدالله[٢] أحسنَ حركةً، ولا أظْرفَ إشارةً، ولا أمْلَحَ خطّاً، ولا أكْثرَ حِفْظاً، ولا أسلطَ قلَماً، ولا أقْصدَ بلاغـةً، ولا آخذَ بقلوب الخُلَفاءِ، من ابنِ مُقْلَة. وله عِلْمٌ بالإِعراب، وحِفْظٌ لِلُّغة، وتوقيعاتٌ حِسَانٌ.

[٢]قال ابنُ النَّجَّار: أوَّلُ تصرُّفِه كان مع محمدِ بنِ داودَ بنِ الجرَّاح وعُمره ست عشرة سنة وأُجْري له في كل شهرٍ ستةُ دنانير، ثمَّ انتقل إلى ابن الفُرات، فلما وزر ابنُ الفُرات أحسن إليه وجعله يُقدِّم القصصَ فكَثُر مالُه إلى أن قال: فلما استَعْفى ابنُ عيسى من الوزَارة، أُشير على المقتدر بالله بابنِ مُقْلَة، فولاَّه في ربيعٍ الأوَّل سنة ٣١٦، ثم عزل سنة ٣١٨ بعد سنتين وأربعة أشهر، ثم لما قُتِلَ المُقْتَدِر، وبويع القاهِرُ، كان ابنُ مُقْلَةَ بشيراز مَنْفِيّاً، فأحضر القاهرُ وزيرَ المقتدر أبا القاسم عُبيدَالله بنِ محمد، وعرَّفه أنَّه قَدْ استوزَرَ أبا عليّ فاستخلفه له إلى أن يَقْـدَمَ، فقَـدِمَ أبو عليّ يوم النَّحر سنةَ عشرين فدام إلى أن اسْتَوْحش من القاهر، فاستتر بعد تسعةِ أشهر، ثم إنَّهُ أفْسَدَ الجُنْدَ على القاهر، وجَمع كلمتهم على خَلْعه وقتله، فتمَّ ذلك لهم. وبُويعَ الراضي، فأمّن أبا عليّ، فظهر، ووزر، ثم عُزل بعد عامين، واستتر، ثم كتب إلى الرَّاضي بالله أن يستَحْجِبَ بُجْكَم عِوض ابنِ رائق، وأن يعيدَه إلى الوزارَة، وضَمِنَ له مالاً، وكتب إلى بُجْكم، فأطمعه الرّاضي حتّى حصل عنده، واستفتى الفقهاء فأفْتوْا بقطعِ يدِه. فقطع في شوَّال سنة ستٍ وعشرينَ وثلاث مئة. ثُمَّ كان يَشِدُّ القلمَ على ساعِدِه، ويكتبُ

---

(١) انظر السير: ١٥/ ٢٢٤-٢٣٠.

(٢) توفي القاسم سنة ٢٩١ وكان وزيراً للمعتضد.

خطّاً جيداً. وكتب أيضاً باليسرى.

[١]قال أبو الفضل بنُ المأمون: أنشدَنا أبو عليّ بنُ مُقْلَة لِنَفْسِهِ:

إذا أتـى الـمـوتُ لمـيْقَـاتِـهِ ... فخـلِّ عن قولِ الأطِبَّاءِ
وإنْ مضـى من أنْـتَ صَبٌّ به ... فالـصَّـبْـرُ مِنْ فِعْـلِ الألِـبَّـاءِ
ما مَرَّ شيءٌ ببـنـي آدم ... أمَـرُّ من فَقْـدِ الأحِـبَّاءِ

[٢]وقيل: أنشأ داراً عظيمةً، فقيل:

قُل لابن مُقْلَةَ مَهْـلاً لاتكن عَجِـلاً ... واصْبِـرْ فإنّـكَ في أضغـاثِ أحْـلامِ
تَبْني بأنْقَـاضِ دُورِ النَّـاسِ مجتهِداً ... داراً ستُـهْـدَمُ أيضـاً بَعْـدَ أيَّامِ
ما زِلْتَ تختـارُ سَعْـدَ المشتـري لها ... فلم توقَّ به من نحس بهـرامِ
إن القـران وبـطليمـوس ما اجْتَمَعـا ... في حالِ نَقْضٍ ولا في حالِ إبْرامِ

أُحْرِقَتْ بعدَ ستةِ أشهر، وبقيت عِبْرةً.

ومات سنةَ ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة.

واختُلِف فيه هل هو صاحبُ الخطِّ المنسوبِ أوْ أخُوه الحسن؟ وكانَا بديعَي الكتابةِ، والظَّاهر أنَّ الحسنَ هو صاحب الخطِّ. وكان أوَّل من نَقَلَ هذه الطَّريقةَ المُولّدة مِنَ القلم الكوفيّ.

٦٥٤ - المُرْتَـعِـشُ(١)

[٣]الزاهِدُ الوَلِيُّ، أبو محمد، عبدُالله بنُ محمد النَّيْسابوريُّ الحِيريُّ، وصَحِب أبا عثمان الحِيْريّ، والجُنَيْدَ، وسكن بغدادَ.

وكان يُقَال عجائبُ بغدادَ في التصوف ثلاثٌ: نُكَتُ أبي محمدٍ المُرْتَعِش، وحكاياتُ الخُلْدِيِّ، وإشاراتُ الشِّبْليّ.

[٤]وسُئِل بماذا ينالُ العبْدُ المحَبةَ؟ قال: بموالاة أولياءِ الله ومُعاداةِ أعداءِ الله.

(١) انظر السير: ١٥/ ٢٣٠-٢٣١.

[١]وقيل له: فلانٌ يمشي على الماءِ، قال: عندي أنَّ من مكَّنه الله مِن مخالفة هواه فهو أعظمُ من المشي على الماء.

وسُئِل: أيُّ العملِ أفضلُ؟ قال: رؤيةُ فَضْلِ الله.

تُوفِّيَ ـ رحمه الله ـ سَنَةَ ثمانٍ وعَشْرينَ وثلاثِ مئة.

٦٥٥ ـ النَّهْرَجُـــورِيُّ(١)

[٢]الأُستاذُ العارِفُ أبويعقوبَ إسحاقُ بنَ محمد، الصُّوفيُّ النَّهْرَجُـورِيُّ. صَحِبَ الجُنَيْدَ، وجاور مدَّةً، ومات بمكَّة.

[٣]وعنه قال: الصِّدْقُ موافقَةُ الحقِّ في السرِّ والعلانية، وحقيقةُ الصدْقِ القولُ بالحقِّ في مواطن الهَلَكةِ.

[٤]قال إبـراهيم بنُ فاتـك: سمِعْتُ أبـا يعقوب، يقول: الدنيا بحرٌ، والآخرةُ سَاحِلٌ. والمركبُ التَّقْوى، والناس سَفْرٌ.

[٥]وعنه: أفضلُ الأحوالِ ما قارن العِلمَ.

تُوفِّيَ النَّهْرَجُورِيُّ سنةَ ثلاثين وثلاثِ مئة.

٦٥٦ ـ الإِصْطَخْـــرِيُّ(٢)

[٦]الإمـامُ القُـدْوَةُ العـلَّامة، شيخُ الإِسلام، أبو سعيد، الحَسَنُ بنُ أحمدَ بنِ يزيد، الإِصطخْريُّ(٣) الشَّافِعِيُّ، فقيه العراقِ، ورفيقُ ابنِ سُرَيْج.

وقال الخطيب: وَلِيَ قضاء قُمّ،(٤) وولي حِسْبَةَ بغداد، فَأَحْرَقَ مكانَ الملاهي.

---

(١) انظر السير: ١٥/ ٢٣٢-٢٣٣.

(٢) انظر السير: ١٥/ ٢٥٠-٢٥٢.

(٣) هذه النسبة إلى إصطخر، وهي من كور فارس. (٤) مدينة قرب أصبهان.

قال: وكان وَرِعاً زاهداً متقلّلاً من الدُّنيا، له تصانيفُ مفيدةٌ.

واستفتاه القاهرُ في الصَّابئين، فأفْتَاهُ بقَتْلهم لأنهم يَعْبُدُون الكواكبَ، فعزَم الخليفةُ على ذلك، فجمعوا مالاً جزيلاً وقدَّموه، ففتَر عنهم.

مات سنةَ ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة، وله نيِّف وثمانون سنة.

٦٥٧ - ابنُ شَنَبُوذ(١)

[١] شيخُ المُقْرئين، أبو الحسن، محمدُ بنُ أحمدَ بنِ أيّوبَ بنِ شَنَبُوذ، المُقْرىء، أكثَرَ التِّرحالَ في الطَّلَب.

وكان إماماً صَدوقاً أميناً مُتصوِّناً، كبيرَ القَدْر.

[٢] اعْتَمَدَهُ أبو عمرو الدّاني، والكبارُ، وثُوقاً بنَقْله وإتقانه لكنَّه كان له رأيٌ في القِرَاءةِ بالشَّوَاذِّ التي تُخَالف رَسْمَ الإمامِ، فَنَقَمُوا عليه لذلك. وبالغوا وعزَّرُوه. والمسألةُ مختلَفٌ فيها في الجُمْلَةِ. وما عارَضُوه أصلاً فيما أقْرأ به ليعقوبَ،(٢) ولا لأبي جعفـر،(٣) بل فيما خرج عن المُصَحفِ العُثمانيِّ. وقد ذَكَرْتُ ذلك مطوَّلاً في طبقات القُرَّاء.

[٣] قال أبوشامةَ: كان الرِّفْقُ بابن شَنَبوذَ أَوْلى، وكان اعتقَالُه وإغلاظُ القَوْلِ له كافياً. وليس كان بمصيب فيما ذَهَبَ إليه، لكن أخطاؤه في واقعةٍ لا تُسقط حَقَّه من حُرْمة أهْلِ القُرآنِ والعِلْم.

مات سنةَ ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة، وهو في عَشْرِ الثمانين أو جَاوَزَهُ.

---

(١) انظر السير: ١٥/ ٢٦٤-٢٦٦.

(٢) يعقوب بن إسحاق، أحد القراء العشرة، توفي سنة ٢٠٥ هـ.

(٣) أبوجعفر المخزومي، يزيد بن القعقاع، أحد القراء العشرة تابعي مشهور كبير القدر توفي سنة ١٣٠.

٦٥٨ - ابنُ الأنْبَـــارِيِّ(١)

[١]الإمـامُ الحافِظُ اللُّغويُّ ذو الفنونِ، أبوبكر محمد بنُ القاسمِ بنِ بشّارٍ بن الأنْبارِيِّ، المقرئُ النَّحْويُّ.

ولد سنةَ اثنتين وسبعينَ ومئتين.

[٢]قال أبو عليٍّ القَالِيُّ: كان شيخُنا أبوبكر يَحْفَظُ فيما قيل ثلاثَ مئةِ ألفِ بيتٍ شَاهدٍ في القُرْآن.

قُلْتُ: هذا يجيءُ في أربعينَ مجلَّداً.

[٣]قال أبو علي التَّنُوخِيُّ: كان ابنُ الأنْبارِيِّ يملي من حِفْظه، ما أَمْلى من دَفترٍ قَطُّ.

[٤]وقال محمدُ بنُ جعفر التَّميميُّ: ما رأينا أحداً أحفظَ مِن ابنِ الأنْبَارِيِّ، ولا أغزرَ مِن علمه. وحدثوني عنه أنه قال: أحفظُ ثلاثةَ عشرَ صُنْدوقاً.

[٥]وقيل: إن من جملة مَحْفُوظِه عشرين ومئة تَفْسيرٍ بأسانيدها.

قال أبوبكر الخطيبُ: كان ابنُ الأنْبَارِيِّ صَدُوقاً دَيِّناً من أهلِ السُّنَّة. صنَّف في علوم القُرْآن والغريبِ والمُشْكِلِ والوَقْفِ والابتداء.

[٦]قال أبو الحسن العَرُوْضيّ: كنتُ أنا وابن الأَنباريِّ عند الرَّاضي بالله، ففي يومٍ من الأيَّامِ سأَلَتْـه جاريةٌ عن تَفْسيرِ شيءٍ من الـرُّؤْيا، فقـال: أنا حاقِنٌ، ومَضَى. فلمَّا كان من الغَدِ، عاد، وقَدْ صار مُعبِّراً للرُّؤْيا، مضى مِنْ يومِه فدرس كتابَ الكِرْمانيِّ في التعبير وجاء.

وقـال حمـزةُ بنُ محمدِ بن طَاهر: كان ابنُ الأنْبَارِيِّ زاهِداً متواضعاً حكى الدَّارَقُطْنيُّ أنَّه حضره، فصحَّف في اسمٍ، قال: فأعْظمْتُ أن يُحملَ عنه وَهمٌ وهِبْتُـه، فعـرَّفْتُ مسْتَمْلِيَه. فلمَّـا حضرْتُ الجمعة الأخرى، قال ابنُ الأنْبَارِيِّ لمُسْتَمْليه: عرِّفِ الجماعةَ أنَّا صحَّفْنا الاسمَ الفُلانيَّ، ونَبِّهنا عليه ذلك الشَّابُّ على الصَّواب. مات سنة أربعٍ وثلاث مئة.

(١) انظر السير: ١٥/ ٢٧٤-٢٧٩.

٦٥٩ - أبو عليّ الثَّقَفِـيُّ(١)

[١]الإمـامُ المحـدِّث الفقيه العلاَّمة الزَّاهد العابدُ، شيخُ خُراسانَ، أبو عليّ، محمدُ بنُ عبدالوهَّاب بنِ عبدِالرحمن، الثَّقَفِيُّ النَّيسابوريُّ الشَّافِعيُّ الواعظُ، من وَلَد الحجَّاج.

مولدُه بقُهُسْتان في سنةِ أربعٍ وأربعين ومئتين.

قال الحـاكم: شَهِـدْتُ جنـازتَـه، فلا أذكـر أني رأيتُ بنَيسـابور مثلَ ذلك الجمعِ، وحضرتُ مجلسَ وعظِه، وأنا صغيرٌ، فسمعتُه يقول في دعائه: إنك أنت الوهَّاب الوهَّاب الوهَّاب.

[٢]قال شيخنا الصِّبْغِيُّ: شمائل الصَّحَابةِ والتَّابعينَ، أخذَهَا مالك الإمامُ عنهم، وأخذها عن مالكٍ يحيى بنُ يحيى التَّميميُّ، وأخذها عن يحيى محمدُ بنُ نَصْر المَرْوَزِيُّ، وأخذها عن ابنِ نَصْر أبو عليّ الثَّقَفِيُّ.

قال الحاكم: وسمعت أبا العَبّاسِ الزاهد، يقول: كان أبو عليٍّ في عَصْره حُجَّةَ الله على خلقه.

[٣]قال أبـوعبدالرحمن السُّلَمي: لَقِيَ أبو عليّ الثَّقفيُّ أبا حَفْص النَّيْسَابوريَّ، وحمدونَ القَصَّارَ، وكان إماماً في أكثر علوم الشرع مقدَّماً في كلِّ فنٍّ منه. عطَّل أكثرَ علومِه، واشتغَل بعِلْم الصُّوفية وقعَدَ، وتكلَّم عليهم أحسنَ كلامٍ في عيوب النَّفْس، وآفاتِ الأفعالِ. ومع علمه وكماله خالفَ الإمامَ ابنَ خُزَيْمةَ في مسائل التوفيق والخذلان، ومسألةِ الإيمان، ومسألة اللَّفْظِ، فأُلزم البيتَ، ولم يخرجْ منه إلى أن مات وأصابه في ذلك مِحَنٌ.

[٤]ومن قوله: يا مَنْ باع كلَّ شيءٍ بلا شيء، واشترى لا شيءَ بكلِّ شيء.

[٥]وقال: أُفٍّ من أشغال الدُّنيا إذا أقبلت، وأُفٍّ مِنْ حسراتها إذا أدبرت. العاقل لا يَرْكَن إلى شيءٍ، إن أقبل كان شُغلاً، وإن أدبر كان حَسْرَةً.

(١) انظر السير: ١٥/ ٢٨٠-٢٨٣.

[١] وقال أبوبكر الرَّازِيُّ: سمِعْتُه يقول: تَرْكُ الرِّياء للرِّياء أقبحُ من الرِّياء.
وكان كثيراً ما يتكلَّم في رؤية عَيْبِ الأفعال.
مات أبو عليٍّ سنة ثمانِ وعشرين وثلاثِ مئة.

الطبقـــة التاسـعة عشـــرة

٦٦٠ - الوَزِيـــــرُ(١)

[١]الإمـامُ المحدِّث الصَّادِقُ الوزيرُ العادل، أبو الحسنِ، عليُّ بنُ عيسى بن داود، البغداديُّ الكاتبُ.

وزَرَ غيرَ مرَّةٍ للمقتدر، وللقاهر، وكان عديمَ النَّظيرِ في فَنِّهِ.

وُلِدَ سنةَ نيِّفٍ وأربعين ومئتين.

[٢]كان على الحقيقةِ غنيّاً شاكراً، ينطوي على دينٍ متين وعلمٍ وفضلٍ، وكان صبوراً على المِحن. ولله به عناية، وهو القائل يُعزّي وَلَدَيْ القاضي عمرَ بن أبي عمر القاضي في أبيهما: مُصيبةٌ قد وَجَبَ أجْرُها خَيْرٌ مِنْ نِعْمَةٍ لا يُؤدَّى شُكْرُها.

وكان ـ رحمه الله ـ كثيرَ الصَّدَقَاتِ والصَّلَواتِ، مَجْلسُه موفورٌ بالعلماءِ. صَنَّفَ كِتَاباً في الدُّعاءِ، وكتابَ «مَعاني القرآن» أعانَه عليه ابنُ مجاهد المقرىء وآخر.

وكان من بُلَغاءِ زمانِه. وَزَر في سنةِ إحدى وثلاثِ مئة أربعةَ أعوام وعُزل ثُمَّ وَزَر سنةَ خمس عشرة.

قال الصُّـوْليُّ: لا أعْلَمُ أنـه وَزَرَ لبني العَبَّاس مثلُه في عِفَّتِه وزُهْدِه وحِفْظِه للقرآن، وعِلْمِهِ بمعانيه، وكان يصومُ نهارَه، ويقومُ ليلَه وما رأيتُ أعرَفَ بالشِّعْر منه، وكان يجلس للمظالم، ويُنصِفُ النَّاسَ، ولم يَرَوْا أعفَّ بطناً ولِساناً وفَرْجاً منه، ولما عُزل ثانياً، لم يَقنع ابنُ الفُرَات حتَّى أخرَجَه عن بغدادَ، فجاور بمكَّةَ.

[٣]وله في نَكْبَتِـــه:

وَمَـنْ يَكُ عَنِّـي سائـلاً لِشمـاتـةٍ	لِمَـا نابـني أوْ شامِتـاً غَيْرَ سَائـلِ
فقـد أبرزتْ منِّي الخُطُوبُ ابنَ حُرَّةٍ	صَبُـوراً على أحـوال تلك الـزَّلازلِ
إذا سُرَّ لم يَبْـطَرْ ولَـيْسَ لِنَـكْبـةٍ	إذا نزلت بالخَـاشِـعِ المُتضـائـلِ

(١) انظر السير: ١٥/ ٢٩٨-٣٠١.

وقد أشارَ على المقتدِر، فأفلَحَ، فوَقَفَ ما مغَلُّه في العام تسعونَ ألف دينار على الحرمين والثُّغور، وأفْرد لهذه الوُقُوفِ ديواناً سمَّاه ديوانَ البرِّ.

[١]قال المحدِّث أبو سهل القَطّان: كُنْتُ مَعَه لمَّا نُفِي بمكَّةَ فدخلنا في حَرٍّ شديد وقد كِدْنا نتلف، فطاف يوماً، وجاء فرمى بنفسِه، وقال: أشتهي على الله شربَةَ ماءٍ مثلوج. قال: فَنَشَأَتْ بعد ساعةٍ سحابةٌ ورَعَدتْ وجاء بَرَدٌ كثيرٌ جمع منه الغِلْمَانُ جراراً. وكان الوزيرُ صائماً، فلمَّا كان الإِفطارُ جِئْتُه بأقداحٍ من أصنافِ الأسْوقة فأقبل يسقي المجاورينَ، ثم شرِب وحمِد الله، وقال: ليتني تمنَّيْتُ المغفِرَة.

وكان الوزيرُ متواضعاً، قال: ما لَبِسْتُ ثوباً بأزيدَ من سبعةِ دنانير.

قال أحمدُ بنُ كاملٍ القاضي: سَمِعْتُ عليَّ بنَ عيسى الوزير، يقول: كَسَبْتُ سبع مئة ألف دينار. أخرجت منها في وجوه البرِّ ستَّ مئةِ ألف وثمانين ألفاً.

توفِّي في آخِرِ أربعٍ وثلاثين وثلاث مئة. وله تسعون سنة.

٦٦١ - القِرْمِطِـيُّ[١]

عدوُّ الله مَلكُ البحـرين، أبـو طاهـر، سُليمـانُ بنُ حسنٍ، القِـرْمِـطيُّ[٢] الجَنَّـابيُّ،[٣] الأَعْـرَابيّ الـزنـديقُ. الذي سار إلى مَكَّةَ في سبعِ مئةِ فارس فاسْتَبَاح الحجيجَ كلَّهم في الحرم، واقْتلع الحجرَ الأسودَ، وردم زمزمَ بالقتلى، وصَعِد على عتبة الكعبة يصيح:

أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلقَ وأُفْنيهم أنا

فقتل في سِكَكِ مكةَ وما حولها زُهاءَ ثلاثين ألفاً، وسَبى الذُّرِّيَّةَ وأقامَ بالحرم ستةَ أيام.

---

(١) انظر السير: ١٥/ ٣٢٠-٣٢٥.

(٢) نسبة إلى حمدان قرمط، وهو أول من نشر مذهب القرامطة.

بَذَل السَّيفَ في سابـع ذي الحجـة، وَلَمْ يعرِّفْ[1] أحد تلك السَّنَة، فلله الأمر. وقتل أميرَ مكة ابنَ محارب، وعَرّى البيتَ، وأخذ بابه، ورجع إلى بلاد هَجَر.

وقيل: دَخَلَ قِرْمطيٌّ سكران على فَرس، فصفرَّ له، فبال عند البيت وضَرَبَ الحجر بدبُوس هشَّمه ثم اقتلعه وبقي الحجرُ الأسودُ عندهم نيِّفاً وعشرين سنة.

ويقـال: هلك تحتـه إلى هَجَـر أربعون جَمَلاً، فلما أُعيد كان على قعُودٍ ضَعيف، فسَمِنَ.

وكان بُجْكَم التُّرْكيُّ[2] دَفَعَ لهم فيه خمسين ألف دينارٍ، فأَبَوْا وقالوا: أخذناه بأمْرٍ، وما نردُّه إلا بأمرٍ.

وقيل: إن الذي اقْتَلَعَه صَاحَ: يا حمير، أنتم قُلْتُم وَمَنْ دخَلَه كان آمِناً فأين الأمنُ؟ قال رجلٌ: فاستَسْلَمتُ، وقُلتُ: إن الله أرادَ: ومنْ دخله فأمِّنوه، فلَوَى فرسَه وما كلَّمني.

[١] واتّفقَ أنَّ أبي السَّـاجِ الأميرَ نَزَل بأبي سعيدِ الجَنّابيِّ[3] فأكْرَمَه، فلمَّا سار لحرْبه، بَعَثَ يقول: لكَ عليَّ حَقٌّ، وأنتَ في خمس مئة وأنا في ثلاثين ألفاً. فانصرف، فقال للرَّسول: كم مع صاحبك؟ قال: ثلاثون ألفَ راكبٍ، قال: ولا ثلاثة، ثُمّ دعا بعبدٍ أسود، فقال له: خَرِّقْ بطنك بهذه السِّكين، فبدَّد مصارينَه. وقال لآخر: اغرقْ في النَّهر، ففعل وقال لآخر: اصعَدْ على هذا الحائطِ، وانزل على مُخِّك، فهلك. فقال للرَّسول: إنْ كان معه مثلُ هؤلاء، وإلاّ فما معه أحد.

وقيل صَعَـدَ قِرْمِطِيٌّ لقلع الميزاب، فسَقط، فماتَ. وكان ذلك سنةَ سبعَ عشرة، وكان أمير العِراقيْن منصور الدَّيْلَمي، وجَافَتْ[4] مكة بالقَتْلى.

---

(١) لم يقف أحد على جبل عرفة.

(٢) أمير الأمراء في بغداد زمن الراضي بالله والمتقي. كان داهية شجاعاً، قتله الأكراد سنة ٣٢٩هـ.

(٣) هذه النسبة إلى جنّابة، وهي بلدة من أعمال فارس متصلة بالبحرين عند سيراف، والقرامطة منها، فنسبوا اليها.

(٤) أنتنت.

قال المـراغيُّ: حدَّثنـا أبـوعبـدالله بنُ محْـرم، وكـان رسـولَ المقتـدر إلى القِرْمطيِّ، قال: سألْتُهُ بعد مناظراتٍ عن استحلاله بما فَعَل بمكةَ فأحْضَرَ الحجر في الدِّيباج، فلما أُبرز كبَّرْتُ، وأرَيْتُهم من تعظيمه والتَّبرك به على حالةٍ كبيرةٍ، وافتُتِنَتِ القَرامِطَةُ بأبي طاهر، وكان أبوه قد أطْلعه وحده على كنوزٍ دفنها. فَلَمَّا تَمَلَّك، كان يقول: هنا كَنْزٌ فيحفرون، فإذا هُمْ بالمال. فَيَفْتَتِنُون به وقال مَرَّةً: أريدُ أن أحفر هنا عَيْناً، قالوا: لا تَنْبَعُ، فخالفهم، فنبع الماءُ، فازداد ضلالُهم به، وقالوا: هو إله، وقال قوم: هو المسيحُ، وقيل: نبيّ. وقد هَزَم جيوش بغداد غير مرَّةٍ، وعتَا وتمرَّد.

[١]قال محمد بن رزام الكُوفي: حكى لي ابنُ حمدان الطبيبُ، قال: أقَمْتُ بالقَـطِيف أُعـالج مريضاً، فقال لي رجل: إن الله ظهر، فخرجْتُ فإذا الناس يُهْرَعُون إلى دارِ أبي طاهر، فإذا هو ابنُ عشرين سنةً، شابٌّ مليحٌ عليهِ عمامةٌ صَفْـراءُ، وثـوبٌ أصفـرُ على فرسٍ أشْهبَ، وإخوتُه حَوْلَه فَصَاح: مَنْ عرفني عرفني، ومن لم يَعْرِفْني، فأنا أبو طاهر سليمانُ بن أبي سعيدِ الحسنُ، الجَنَّابيُّ. اعلمـوا أنَّا كنّا وإيَّاكم حَميراً، وقد مَنَّ الله علينا بهذا وأشار إلى غلامٍ أمْرَدَ، فقال: هذا ربُّنا وإلَهنا وكلُّنا عباده. فأخَذ الناسُ الترابَ، فوضعوه على رؤوسهم. ثم قال أبو طاهر: إن الدِّين قَدْ ظَهَر وهو دين أبينا آدم، وجميع ما أوصَلتْ إليكم الدُّعاةُ باطل من ذِكْرِ موسى وعيسى ومحمد، هؤلاء دَجَّالون. وَهَذَا الغلامُ هو أبو الفَضْـل المجـوسي،شَـرَعَ لهم اللّواطَ، ووطءَ الأُختِ، وأمر بقتل من امتنع. فأُدخِلْتُ عليه وبين يديه عِدَّةُ رؤوس، فسجدتُ له، وأبو طاهر والكبراءُ حوله قيام. فقال لأبي طاهر: الملوكُ لم تزل تُعِدُّ الرؤوس في خزائنها. فسلوه كيف بقاؤها؟ فَسُئِلْتُ، فقلتُ: إلَهُنا أعلم، ولكني أقول: فجُمْلة الإنسانِ إذا ماتَ يحتاج كذا وكذا صبِرَاً وكافوراً. والرأس جُزْءٌ فيُعطى حسابه. فقال: ما أحسنَ ما قال. ثم قال الطبيبُ: ما زلت أسْمَعُهُم تلك الأيامَ يَلْعنون إبراهيمَ وموسى ومحمّداً وعلياً. ورأيت مصحفاً مُسِحَ بغائط.

وقـال أبوالفضلِ يوماً لكاتبه: اكتبْ إلى الخليفة، فصلِّ لهم على محمد، وكِلِ مِنْ جراب النُّورة،[1] قال: والله،ماتَنْبَسِطُ يدي لذلك. فافتضَّ أبو الفضلِ أُختاً لأبي طاهر الجَنَّابيِّ، وذبَحَ ولدَها في حجرها ثم قتل زوجها، وهمَّ بقتل أبي طاهر، فاتَّفق أبو طَاهر مع كاتبه ابن سَنْبر، وآخر عليه فقالا: يا إلٓهنا، إن والدةَ أبي طَاهر قد ماتتْ فاحضر لِتَحْشُوَ جَوْفَها ناراً، قال: وكان سَنَّه له، فأتى، فقال: ألا تجيبها؟ قال: لا. فإنَّها ماتت كافرةً، فعاوده، فارتاب وقال: لا تعجلا عليَّ، دعاني أَخْدِمُ دوابَّكما إلى أن يأتي أبي، قال ابن سَنْبر: ويلك هَتَكْتنا، ونحن نرتِّب هذه الدَّعوةَ من ستين سنةً. فلو رآك أبوك لقتَلك. اقْتُلْه يا أبا طاهر، قال: أخافُ أن يمسخَني، فضرب أخو أبي طاهر عُنُقَه، ثم جمع ابنُ سَنْبر النَّاسَ، وقـال: إن هذا الغـلام ورد بكذب سرقه من معْدن حقّ، وإنَّا وجدنا فوقه من يَنْكِحُه، وقد كُنَّا نسمع أنه لا بدّ للمؤمنين من فِتنة يظهرُ بَعْدَها حقٌّ، فأطفئوا بيوتَ النِّيران وارجعوا عن نِكاح الأُم، ودعوا اللِّواط، وعظِّموا الأنبياءَ، فضجُّوا وقالوا: كلُّ وقتٍ تقولون لنا قولاً. فأنْفَقَ أبو طاهرٍ الذَّهبَ حتى سكنوا.

قال الطبيب: فأخرج إليَّ أبو طاهر الحجرَ، وقال: هذا كان يُعبد.

قلت: كلَّا، قال: بلى. قلت: أَنْتَ أعلم، وأخرجه في ثوبٍ دَبيقيٍّ[1] ممسَّك.

ثم جَرَتْ لأبي طاهر مع المُسلمين حروبُ أوْهنته. وقُتِلَ جُنْدُه، وطلب الأمان على أن يَرُدَّ الحجر، وأن يأخذ عن كل حاج ديناراً ويخفِرَهُم.

قلت: ثم هلك بالجُدَري ـ لا رحمه الله ـ سنةَ اثنتين وثلاث مئة بهَجَر كَهْلا. وقام بَعْدَه أبو القَاسم سعيد.

---

(١) أي اعمل معهم بالتقية.

(١) نسبة إلى «ديبق» وهي بليدة كانت بين الفرما وتنيس، من أعمال مصر.

٦٦٢ - ابن عُقْـدَة(١)

[١]أحمدُ بنُ محمدِ بن سعيد، أبو العَبَّاس الكُوفيُّ الحافظُ العلاَّمة أحدُ أعلامِ الحـديث، ونـادرةُ الزَّمان، وصاحب التَّصانيف على ضعْفٍ فيه وهو المَعروف بالحافظ ابنِ عُقْدةَ.

وُلِد أبو العَبَّاس في سنة تسعٍ ومئتين بالكوفة. وطلب الحديثَ سنة بضعٍ وستين ومئتين. وكتَبَ منه مالا يُحدُّ ولا يُوصَفُ عن خلْق كثير بالكوفة وبغدادَ، ومكَّة.

وجَمَعَ التَّراجمَ والأبوابَ والمشيخة، وانتشر حديثُه، وبعُدَ صيته وكتب عمَّن دبَّ ودَرَجَ من الكِبار والصِّغار والمجاهيل، وجمع الغثَّ إلى السَّمين، والخَرَزَ إلى الدُّرِّ الثَّمين.

[٢]أبو الحسينِ أحمدُ بنُ محمدِ الواعظ، حدثنا أبو العَبَّاسِ بنُ عُقُدَةَ إملاءً سنة ثلاثين وثـلاث مئـة، حدثنـا عبدُالله بنُ الحُسين بن الحسن بنِ الأشْقَر قال: سَمِعْتُ عَثَّام بن عليٍّ العَامِريَّ قال: سمعتُ سُفْيان، وهو يقول: لا يجتمعُ حبُّ عليٍّ وعثمانَ إلا في قلوب نُبلاءِ الرِّجال.

[٣]قلتُ: قد رُمي ابنُ عُقْدَة بالتَّشيُّع، ولكنْ روايتُهُ لهذا ونحوهِ يَدُلُّ على عَدَم غلوِّه في تشيُّعه، ومن بلغ في الحفظِ والآثارِ مبلغَ ابنِ عُقْدَةَ ثم يكونُ في قَلْبِهِ غِلٌّ للسَّابقين الأوَّلين، فهو مُعانِدٌ أو زِنْديق. والله أعلم.

[٤] محمدُ بنُ جعفر بن النَّجَّار، قال: حَكَى لنا أبو عليٍّ النَّقَّار قال: سقطت مِنْ عُقْدَةَ دنانيرُ، فجاء بنخَّالٍ ليطلُبَها، قال عُقْدَةُ: فوجدتُها ثم فكرَّتُ فقلتُ: ليس في الدنيا غيرُ دنانيرك؟ فقلتُ للنَّخال: هي في ذِمَّتِك، وذهبْتُ وتركْتُه.

[٥]قال: وكان يؤدِّب ابن هشام الخَزَّاز، فلمَّا حَذَقَ الصَّبيُّ وتعَلَّم وجَّه إليه أبوه بدنـانير صالحـة، فردَّها فَظَنَّ ابنُ هِشام أنَّها اسْتُقِلَّتْ فأضْعفها له، فقال: ما رددْتُها اسْتِقْلالاً، ولكنْ سألَني الصبيُّ أنْ أعلِّمه القُرآن، فاخْتلط تعليمُ النَّحْوِ

---

(١) انظر السير: ١٥/ ٣٤٠-٣٥٥.

بتعليم القُرْآن، ولا أستَحِلّ أن آخذ منه شيئاً، ولو دَفعَ إلي الدُّنيا.

ثم قال ابنُ النَّجَّار: وكان عُقدةُ زيديّاً، وكان وَرِعاً نَاسِكاً، سمِّي عُقْدَةَ لأجل تعقيده في التَّصْـرِيفِ، وكـان ورَّاقاً جيِّدَ الخَطِّ، وكان ابنُهُ أحفظَ مَنْ كان في عَصْرنا للحديثِ.

[١] قال أبو أحمد الحاكم: قال لي ابن عُقْدَةَ: دخل البَرْديجيُّ الكوفة، فَزَعَم أنَّه أحفَظُ مني. فقلتُ: لا تطولُ نتقدَّمُ إلى دُكَّان ورَّاق، ونَضَعُ القَبَّان، ونَزِنُ من الكُتُب ما شئتَ، ثم يُلقى علينا فنذكره قال: فبَقِي.(١)

[٢] عليّ بن عمر ـ وهو الدَّارَقُطْني ـ يقول: أجْمَعَ أهلُ الكُوفة أنَّه لم يُرَ مِنْ زَمَنِ عبدِالله بنِ مسعود إلى زمنِ أبي العباس بن عُقْدَة أحفظُ منه.

قلتُ: يمكن أن يُقـال: لم يوجْد أحفَظَ منه وإلى يومنا وإلى قيامِ السَّاعة بالكوفة، فأما أن يكونَ أحدٌ نظيراً له في الحِفْظِ، فَنَعَم فقد كان بها بعد ابنِ مسعـود وعليّ، علقمةُ، ومسروقٌ، وعَبيدةُ، ثمَّ أئمةٌ حُفَّاظٌ كإبراهيمَ النَّخَعِيِّ، ومنصـورٍ، والأعمش، ومِسْعَر، والثَّوري، وشَريك، ووكيع، وأبي نُعيم، وأبي بكر بن أبي شَيْبَة، ومحمدِ بنِ عبدالله بن نُمَيْر، وأبي كُرَيْب، ثُمَّ هؤلاء يمتازون عليه بالإتْقان والعَدَالة التامَّة، ولكنَّه أوسعُ دائرةً في الحديثِ منهم.

[٣] عبدالغني، سمعت أباالحسن، يعني الدَّارقُطْني، سمعتُ ابَن عُقْدَةَ يقول: أنا أجيب في ثلاث مئة ألفِ حديث من حديث أهل البيت خاصَّةً.

قال أبوالحسن: وكان أبوه عُقْدَةُ أنحى النَّاس.

الصُّوري، قال لي عبدُالغني: سمعتُ الدَّارقُطْني يقول: ابنُ عُقْدَةَ يعَلمُ ما عند النَّاس، ولا يعلمُ النَّاسُ ما عنده.

[٤] قال الصُّوري، وقال لي أبوسَعْد المَالِينيُّ: أراد ابنُ عُقْدَة أن ينتقلَ، فاستأْجَرَ مَنْ يَحملُ كُتُبَه، وشارط الحَمَّالينِ أن يَدْفَعَ إلى كلِّ واحدٍ دَانِقاً، قال: فَوَزَن لهم أجورَهُم مئةَ دِرْهَم، وكانت كتبه ستَّ مئةِ حمْلة.

---

(١) أي: بقي مندهشاً أو مبهوتاً.

[١]قال الحاكم: قلتُ لأبي عليٍّ الحافظ: إنَّ بعض النَّاس يقول في أبي العَبَّاس، قال: في ماذا؟ قلتُ: في تفرُّده بهذه المقحمات عن هؤلاء المجهولين. فقال: لا تشتغلْ بمثلِ هذا، أبو العَبَّاس إمامٌ حافظٌ محلُّه محلُّ من يُسأل عن التَّابعين وأتباعِهم.

قال أبو أحمد بنُ عَدِيّ: هو صاحب مَعْرفةٍ وحِفْظ وتقدُّم في الصَّنْعة، رأيتُ مشايخ بغداد يسيئون الثَّناء عليه، ثم إنَّ ابنَ عديٍّ قوَّى أمرَه، ومشَّاه.

مات ابن عُقْدَةَ، سنة اثنتين وثلاثين وثلاثِ مئة.

٦٦٣- الإخشيذ(١)

صاحبُ مِصْرَ الملك، أبوبكر محمدُ بنُ طُغْج بنُ جُفّ بن خاقَان الفَرْغَانيُّ التُّركيُّ. وَلِيَ مصرَ سنةَ إحدى وعشرينَ،(٢) ثُمَّ دمشق مُضافا إلى مصر من قِبَل الرَّاضي.

والإخْشِيذُ بالتُركي ملك الملوك.

صار طُغْجُ من كبار قوَّاد خُمَارَوَيْه، ثم سارَ إلى بغداد فعظَّموه فبدا منه كِبرٌ وتيه في حَقِّ الوزير، فسُجن هو وابنُه هذا، فمات في السِّجن ثم أطْلِق محمد، وجَرَتْ له أمورٌ طويلة إلى أن تملَّك.

وكان بطلاً شجاعاً حازماً يقظاً مهيباً سعيداً في حروبه مكرِّماً لأجناده شديد الأيد(٣) لا يكاد أن يَجرَّ أحدٌ قَوْسَه.

بلغ عِدّةُ مماليكِه ثمانيةَ آلاف. وله جماعةُ أولاد تملَّكوا بعده.

توفِّي بدمشق، سنةَ أربعٍ وثلاثين وثلاث مئة عن ستٍ وستين سنة ثم نُقِلَ، فَدُفن ببيت المَقْدس غفر الله له.

---

(١) انظر السير: ١٥/ ٣٦٥-٣٦٦.

(٢) هذه ولايته الأولى، ودامت اثنين وثلاثين يوماً. ولم يدخل مصر فيها، أما ولايته الثانية والتى دامت إلى أن مات.. فكانت سنة ٣٢٢هـ.

(٣) القـوة.

وقد حاربه ابنُ رائق فهزَمه الإخْشيذُ، ثم سارَ أخو الإخْشيذ، فالتقى ابنَ رائقٍ فقُتِلَ. فندِم ابنُ رائق، وبعث ابنَه مزاحماً إلى الإخْشِيذ ليقتُلَه بأخيه، فعفا، وخلع على مزاحم، وردَّه إلى أبيه.

٦٦٤ - الشِّـبْلِـيُّ(١)

[١] شيخُ الطائفةِ، أبوبكر الشِّبْلِيُّ(٢) البَغْدَادِيُّ. قيل: اسمه دُلَف بنُ جَحْدر.

وكان أبوه من كِبار حُجَّاب الخلافة. ووَلِيَ هو حجابة أبي أحمد الموفق،(٣) ثم لما عُزِل أبو أحمد من ولاية، حَضَرَ الشِّبليُّ مجلسَ بعضِ الصَّالحين، فتاب ثُمَّ صَحِب الجُنَيْدَ وغيرَه، وصار مِن شأنه ما صار.

[٢] وكان فقيهاً عَارفاً بمذهب مالك، وكَتَبَ الحديثَ عن طائفةٍ. وقال الشِّعْرَ، وله ألفـاظٌ وحِكَم وتمكُّن، لكنَّه كان يحصُل له جفافُ دِماغ وسُكْر. فيقول أشياء يُعْتَذرُ عنه فيها.

وقيل: إنَّ ابنَ مُجَاهد، قال له: أين في العلم إفسادُ ما ينفع؟ قال: قوله: «فَطَفِقَ مَسْحاً بالسُّوقِ والأعناق».(٤) ولكن يا مقرىء أين معك أن المحبَّ لا يُعذِّب حبيبَه؟ فسكت ابنُ مجاهد قال قوله: ﴿نحن أبناءُ الله وأحِبَّاؤه قل فَلِمَ يعذِّبُكُم﴾(٥)؟.

وكان رحمه الله لَهِجاً بالشِّعر الغَزَل والمحبَّة. وله ذوقٌ في ذلك وله مجاهداتٌ عجيبةٌ انحرف منها مزاجُه.

قال السُّلَميُّ: سمِعْتُ محمدَ بنَ الحسن، سمعتُ الشِّبْليَّ، يقول: أعرفُ من لَمْ يدخـل في هذا الشَّـأن حتَّى أنفقَ جميعَ ملكـه، وغرَّق سبعين قِمَطْراً

(١) انظر السير: ١٥/ ٣٦٧-٣٦٩.

(٢) هذه النسبة إلى قرية من قرى أشروسنة ـ بلدة عظيمة وراء سمرقند يقال لها: الشبلية.

(٣) ابن الخليفة المتوكِّل، وأخو الخليفة المعتمد.

(٤) ذلك لأنه كان من شأن الشبلي إذا لبس شيئاً خَرَّق فيه موضعاً. وفي الاستشهاد بالآية نظر.

(٥) المائدة: ١٨.

بخطِّه، في دجلةِ التي تَرون، وحَفِظَ «الموطأ» ، وتلا بكذا وكذا قراءة يعني: نفسَه.

وسُئل: ما علامة العارف؟ قال: صدرُه مَشروحٌ، وقَلْبُه مجروح، وجسمه مَطْروح.

توفِّي ببغدادَ سنةَ أربعٍ وثلاثين وثلاث مئة. عن نيِّفٍ وثمانينَ سنة.

٦٦٥ ـ الحُبُلـي[1]

[١]الإمامُ الشَّهيد قاضي مدينةَ بَرْقَة، محمدُ بنُ الحُبُلي.

أتاه أميرُ بَرْقَة، فقال: غداً العيد، قال: حتى نرى الهِلالَ ولا أُفَطِّر النَّاس، وأتقلَّد إثمَهم، فقالَ: بهذا جاء كتابُ المنْصور ـ وكان هذا من رأْيِ العُبَيْدِيَّة يفطِّرون بالحِساب، ولا يعتبرون رؤية ـ فلم يُر هِلال، فأصبح الأميرُ بالطُّبول والبُنُـودِ وأُهبَـةِ العيد. فقـال القَاضي: لا أخرج ولا أُصلِّي، فأمر الأميرُ رجلاً خطب. وكَتَبَ بما جرى إلى المنصور فَطَلَب القاضي إليه، فأُحضِر، فقال له: تَنَصَّـلْ، وأعفـو عنـك، فامتَنَـعَ فأمر، فَعُلِّقَ في الشمس إلى أن مات، وكان يستغيث العطشَ، فلم يُسقَ ثم صلبُوه على خشبةٍ. فلعنةُ الله على الظَّالمين.

٦٦٦ ـ ابن ديـنار[2]

[٢]الإمامُ الفقيه المأمونُ الزَّاهد العابد، أبوعبدالله محمدُ بنُ عبدِالله بن دينار، النَّيْسَابوريُّ الحَنفِيُّ.

عظَّمه الحاكمُ وبَجَّله، وقال: كان يصومُ النهار، ويقومُ اللَّيل، ويصبِرُ على الفقْرِ. ما رأيتُ في مشايخ أصحابِ الرَّأْيِ أعبدَ منه.

---

(١) انظر السير: ١٥/ ٣٧٤.

(٢) انظر السير: ١٥/ ٣٨٢-٣٨٣.

وكان يحجُّ ويغزو، وكان عارفاً بالمذهب، سار ليحجَّ فتوفي غريباً ببغداد، رحمه الله ورضي عنه.

وقال الخطيب: ثِقَةٌ توفي سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاث مئة.

وكان قد رَغِبَ عن الفتْوى لاشتغاله بالعبادة مع صَبْرٍ على الفَقْر وكان يأكُلُ مِنْ عمـلِ يدِهِ، ويتصدَّق، ويؤْثر ويحُجُّ في كل عشرِ سنين ويغزو كلَّ ثلاث سنين، وكان كثير الرِّواية.

قال مرَّةً: ابني يحبُّ الدُّنيا، والله يبغضُها، ولا أُحبُّ مَن يحبُّ ما يبغضُه الله.

٦٦٧ - القِرْمِيسِينِــيُّ(١)

[١]شيخُ الصُّوفية، أبو إسحاقَ، إبراهيمُ بنُ شَيْبَان، القِرْمِيْسِينيُّ(٢) زاهدُ الجَبَل.

[٢]سُئِلَ عبدُالله بن مَنازل الزَّاهدُ عنه، فقال: هو حُجَّةُ الله على الفُقَراء وأهلِ المعاملات والآداب.

[٣]وعن إبراهيمَ، قال: مَنْ أراد أن يتعطَّل ويتبطَّل، فليلزمِ الرُّخَص.

[٤]وقال: علْمُ الفَناء والبقاء يدور على إخلاص الوَحْدانية، وصحَّةِ العبوديَّة، وما كان غيرَ هذا فهو من المُغَالطة والزَّنْدقة.

[٥]قلتُ: صَدقتَ والله، فإنَّ الفناءَ والبقاءَ من تُرَّهات الصُّوفيَّةِ أطلقه بعضُهم، فَدَخَل من بابه كلُّ إلحاديٍّ وكلُّ زنديق، وقالوا: ما سوى الله باطلٌ فان، والله تعالى هو الباقي، وهو هذه الكائنات، وما ثَمَّ شيء غيره.

ويقول شاعرهم:

وما أنت غيرَ الكون ... بل أنـتْ عَيْنُـه

ويقول الآخر:

---

(١) انظر السير: ١٥/ ٣٩٢-٣٩٤.

(٢) هذه النسبة إلى «قرميسين» وهي بلدة بجبال العراق، على ثلاثين فرسخاً من هَمَذان عند دِينَوَر، على طريق الحاج.

وما ثَـمَّ إلا الله ليـس سـواه.

فانظرْ إلى هذا المروقِ والضَّلالِ، بل كلُّ ما سوى الله مُحْدَثٌ موجود.

قال الله تعالى:

﴿خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ وما بينهما في ستةِ أيام﴾.

وإنما أراد قدماء الصُّوفيّةِ بالفناء نسيانَ المخلوقات وتركَها وفناء النَّفس عن التَّشاغل بما سوى الله، ولا يُسلَّمُ إليهم هذا أيضاً بل أمَرَنا الله ورسولُه بالتَّشاغل بالمخلوقات ورؤيتها والإقبال عليها وتعظيمِ خالقِها، قال تعالى:

﴿أوَلَمْ ينظُروا في ملكوتِ السَّماواتِ والأرضِ وما خَلَقَ الله مِنْ شيءٍ﴾.

وقال:

﴿قُلْ انظروا ماذا في السَّمَاوات والأَرْض﴾.

وقال عليه السلام: «حُبِّبَ إليَّ النِّساء والطِّيب».

وكان يحِبُّ عائشة، ويحبُّ أباها، ويحبُّ أُسامةَ، ويحب سِبْطَيْه، ويحبّ الحَلْواء والعسلَ، ويحبّ جَبَلَ أُحدٍ، ويحبُّ وطَنَه، ويحبُّ الأنصارَ، إلى أشياءَ لا تُحصى مما لايغني المؤمن عنها قطُّ.

تُوفِّي سنة سبعٍ وثلاثين وثلاثِ مائة.

٦٦٨ - أبـو مَيْسَـرة(١)

[١]فقيه المغربِ، أبو مَيْسرة، أحمدُ بنُ نزار، القَيْرَوانيُّ المالكيُّ من العُلَماء العاملين.

[٢]وكان يختِمُ كُلَّ ليلة في مسجده، فرأى ليلةً نوراً قد خرج من الحائط وقال: تمَلَّأ من وجهي، فَأنَا ربُّك، فبصق في وجهه، وقال: اذهبْ يا معلون. فطُفيء النُّور.

[٣]وقـع في ذِهن المنصـور أن أبـا مَيْسَرة لا يرى الخروجَ عليه، فأراده ليُوليه القضاء، فقال: كيف يلي القضاءَ رجلٌ أعمى، يَبُولُ تحته، فما عَلِم أحدٌ بضرره

(١) انظر السير: ١٥/ ٣٩٥-٣٩٦.

إلَّا يومئذٍ، فقال: اللَّهم إنَّك تعلم أنِّي انقطَعْتُ إليك وأنا شابٌّ، فلا تمكِّنْهم مني، فما جاءت العَصْرُ إلا وهو من أهل الآخرة. فوجَّه إليه المنصورُ بكَفَن وطيب.

توفِّي سنةَ ثمانٍ وثلاثين وثلاث مئة وكان مجابَ الدعوة رحمه الله.

[١]وقال لرجل: يا أخي فائدة الاجتماع الدُّعاء. فادُع لي إذا ذكرتني، وأدعو لك إذا ذكرتُك فنكون كأنا التقينا وإنْ لم نلتقِ.

٦٦٩ - علي بن حَمْشاذ(١)

[٢]ابن سَخْتويه بن نصر، العَدْلُ الثِّقةُ الحافظُ الإمامُ شيخُ نَيْسَابور أبو الحسن النَّيْسَابورِيُّ، صاحبُ التَّصانيف، وُلِدَ سنة ثمانٍ وخمسين ومئتين.

قال الحاكم: قرأ علينا بُكرة الجُمعة نصفَ جُزء، ثم قمنا نتأهَّبُ للصَّلاة فلما صلَّيْنا، قَعَدتُ ساعةً، فسمعت المنادي يصيح بجنازته، فصحْتُ وقلتُ: هذا كَذِبٌ، وإذا هو قد دَخلَ الحَمَّام فماتَ فيه، وذلك سنة ثمانٍ وثلاثين.

[٣]وسمعتُ أبا بكر بنَ اسحاق يقول: صحبْتُ عليَّ بن حَمْشاذ في الحضر والسَّفر، فما أعلم أنَّ الملائكةَ كتبت عليه خطيئةً.

[٤]قال: وسمعت عبدَالله ولدَه يقول: ما أعلم أنَّ أبي تركَ قيامَ الليل.

٦٧٠ - عِمَادُ الدَّوْلَة(٢)

السُّلْطان الكبيرُ، عمادُ الدَّوْلة، أبوالحسن، عليُّ بنُ بُوَيْه بن فَنَّاخسْرُوا الدَّيْلَمي.

صاحبُ ممالكِ فارس، وأخو الملكين: معزِّ الدَّولةِ أحمدَ، وركنِ الدَّولةِ

(١) انظر السير: ١٥/ ٣٩٨-٤٠٠.
(٢) انظر السير: ١٥/ ٤٠٢-٤٠٣.

الحسن، فكان عمادُ الدَّولة أوَّلَ مَنْ تملَّك البلاد بعد أن كان قائداً كبيراً من قوَّاد الدَّيْلم.

وكان أبوهم بُوَيْه يصطاد السَّمكَ، ثم آلَ بأولاده الأمرُ إلى مُلك البلادِ ثُم تملَّك من بعد العماد وَلَدُ أخيه عضُدُ الدولة بن ركن الدَّوْلة.

وكانت دولةُ العماد ست عشرة سنةً، وعاش بضعاً وخمسين سنة.

توفي سنة ثمانٍ وثلاثين.

[١]ولما تملَّك شيراز، طالبه قُوَّادُه بالأموال، وثاروا عليه، فاغتَمَّ لذلك، واستَلْقى، فرأى حَيَّةً في السَّقْف، ففزِعَ ودعا الفَرَّاشين فنصبوا سُلَّماً، فوجدوا غُرْفَةً يُدخل إليها، فأمرهم بفتحها ففُتِحت، فوجدوا فيها صناديق فيها قدرُ خمس مئةِ ألفِ دينار، فأُنْزلت، ففرِح، وأنفق في الجيش.

[٢]ثم إنه طلب خيَّاطاً ليفصِّل له، وكان أُطْروشاً، ففزِعَ وجاوبَه عمَّا لم يُسأَلْ عنه، وحَلَف أنَّه ليس عنده سوى اثني عشرَ صُندوقاً وديعةً فتعجَّب عمادُ الدَّوْلة، وأُحضرت إليه، فإذا فيها أموال وثياب ودِيْبَاج فكان ذلك من سعادته المقبلة، ولا عَقِب له.

٦٧١ - ابنُ الأعْرَابيِّ(١)

[٣]أحمدُ بنُ محمد بن زياد، الإمامُ المحدِّثُ القُدْوةُ الحافظ شيخُ الإسلام، أبوسعيد بنُ الأعْرابي البَصْريّ الصُّوفي، نزيل مكة، وشيخ الحرم.

وما هو بابنِ محمَّد بن زياد الأعْرَابي اللُّغوي، ذاك ماتَ قبل أن يولَد هذا بأعوامٍ عدَّة.

ولد سنة نيِّف وأربعين ومئتين، وكان كبيرَ الشَّأْن، بعيدَ الصِّيتِ، عالي الإسْناد.

[٤]قال أبوعبدالرحمن السُّلَميُّ: سمعت محمدَ بنَ الحسن الخَشَّاب، سمعت

(١) انظر السير: ١٥/ ٤٠٧-٤١٢.

ابنَ الأعْـرابي يقـول: المعْـرفـةُ كلُّهـا الاعْتـرافُ بالجهْل، والتصوّفُ كلُّه تَرْكُ الفُضُول، والزُّهد كلُّه أخذُ ما لابدَّ منه، والمعاملةُ كلُّها استعمالُ الأولى فالأولى، والرِّضى كُلُّه تَرْكُ الاعتراض، والعافيةُ كلُّها سقوطُ التكلُّف بلا تَكلُّف.

وكان رحمه الله قد صَحِبَ الجُنَيْد، وأبا أحمد القَلاَنسيَّ.

وعمل تاريخاً للبَصْرة لم أره. أما كتابه في (طبقات النُّسَّاك) فنقَلْت منه.

[١]قال: فإذا سمعت الرَّجُل يسألُ عن الجَمْع أو الفَناء، أو يجيب فيهما، فاعلمْ أنَّه فارغٌ، ليس من أهلِ ذلك، إذ أهلُهما لا يسألون عنه لعلمهم أنَّه لا يدرك بالوَصْف.

[٢]قلت: إي والله، دقَّقُوا وعمَّقـوا، وخاضُوا في أسْرارٍ عظيمة ما معهم على دَعْـواهم فيهـا سوى ظنٍّ وخيالٍ، ولا وجـودَ لتلك الأحوال من الفَناء والمحو والصَّحـو والسُّكـر إلاَّ مجرَّد خَطَرات ووساوسَ، ما تفوَّه بعباراتهم صِدِّيق، ولا صاحبٌ، ولا إمـامٌ من التَّـابعين، فإن طالبْتَهم بدعـاويهم مقَتـوك، وقـالـوا: محجوب، وإن سَلَّمت لهم قِيادَك تخبَّط ما معك من الإيمان، وهَبَط بك الحال على الحَيْرة والمُحال، ورَمَقْت العُبَّاد بعين المَقْت، وأهلَ القرآن والحديثِ بعين البُعْد، وقُلْتَ: مساكين محجوبون. فلا حَوْلَ ولا قوةً إلاَّ بالله.

[٣]فإنمـا التَّصوُّف والتألُّه والسُّلوك والسَّيْرُ والمحبّة ما جاءَ عن أصحابِ محمد رسول الله صلى الله عليهِ وسلم، من الرِّضا عن الله، ولزوم تَقْوى الله، والجهادِ في سبيل الله، والتأدُّب بآداب الشَّريعة من التِّلاوة بترتيلٍ وتدبُّرٍ، والقيامِ بخشيةٍ وخشوعٍ، وصَوْمِ وقتٍ، وإفطار وقت، وبَذْلِ المعروف، وكَثْرةِ الإيثار، وتْعليمِ العَوامِّ، والتواضع للمؤمنين، والتعزُّزِ على الكافرين، ومع هذا فالله يَهْدي مَنْ يَشاء إلى صراطٍ مستقيمٍ.

[٤]والعَالِمُ إذا عَرِيَ من التَّصوف والتألُّه، فهو فارغ، كَمَا أن الصُّوفيَّ إذا عَرِيَ من عِلْمِ السُّنَّة، زَلَّ عن سواءِ السَّبيل.

[٥]وقد كان ابنُ الأعْرابيِّ من عُلَماء الصُّوفية، فتراه لا يَقْبَلُ شيئاً من اصطلاحات

القَوْمِ إلا بحُجَّةٍ.

توفِّي بمكَّةَ، سنةَ أربعين وثلاثِ مئة. وله أربعٌ وتسعون سنةً وأشهر.

٦٧٢ - خَيْثَمَة(١)

[١]الإمامُ الثقة المُعَمَّر، محدِّث الشَّام، أبوالحسن، خَيْثَمةُ بنُ سليمان بن حَيْدَرة، القُرَشيُّ الشَّاميُّ الأطْرابُلُسيُّ، مصنِّف «فضائل الصَّحابة».

كان رَحّالاً جوَّالاً صاحب حديثٍ. ولد سنةَ خمسين ومئتين.

وعُمِّرَ ورُحِلَ إليه مِنَ الآفاق، وقَدِمَ إلى دمشق في آخر عُمُره، فحدَّثَ بها.

[٢]قال ابنُ أبي كامل: سَمِعْتُ خيثَمةَ بنَ سليمان يقول: رَكِبْتُ البحرَ وقَصَدْتُ جَبَلة لأسمع من يوسفَ بنِ بحر، ثُمَّ خرجت إلى أنْطَاكية، فَلقِينا مَرْكبٌ - يعني للعدوِّ - قال: فقاتلناه، ثم سَلَّم مَرْكَبنا قومٌ من مقدَّمه، قال: فأخذوني، ثُمَّ ضربوني، وكَتَبوا أسماءنا، فقالوا: ما اسمُك؟ قلتُ: خَيْثَمة، فقالوا: اكتبْ حمار بن حمار. ولما ضُربت نِمْتُ، فرأيتُ كأني أنظرُ إلى الجَنَّة، وعلى بابها جَماعةٌ من الحُور العين، فقالت إحداهنَّ: يا شقي، أيشٍ فاتَك؟ فقالت أُخرى: أيشٍ فاته؟ قالتْ: لو قُتِلَ لكان في الجَنَّة مع الحور، قالت لها: لأنْ يَرزُقَه الله الشَّهادة في عزٍّ من الإسلامِ وذلٍّ من الشِّرْكِ خيرٌ له. ثم انتبهتُ. قال: ورأيتُ كأنَّ من يقولُ لي: اقرأْ لي: اقرأ براءة فقرأت إلى ﴿**فسيحوا في الأرضِ أربعةَ أشْهُرٍ**﴾ (التوبة: ٢) قال: فَعَددت من ليلةِ الرُّؤيا أربعة أشهر فَفَكَّ الله أسري.

تُوفِّي سنةَ ثلاثٍ وأربعين وثلاث مئة.

---

(١) انظر السير: ١٥/ ٤١٢-٤١٦.

٦٧٣ - الفَارَابِـــيُّ[1]

شيخُ الفَلْسَفَةِ الحكيمُ، أبو نَصْرٍ، محمدُ بنُ محمد بن طَرْخَان بن أَوْزَلَغ، التُّركي الفَارَابي المنطِقيُّ، أحدُ الأذكياء.

له تصـانيفُ مشهورةٌ، من ابتغى الهُدى منها، ضلَّ وحارَ، منها تَخرَّج ابنُ سينا، نسأل الله التوفيق.

وقد أحكم أبو نَصْرٍ العربيَّة بالعراق، ولقي مَتّى بنَ يونس[2] صاحبَ المنطق، فأخـذ عنه، وسار إلى حرَّان، فلزِم بها يوحنَّا بن جيْلان النصراني، وسار إلى مِصرَ، وسكن دمشق.

وكان يحب الوَحدَة، ويصنِّف في المواضع النُّزهة، وقلَّ ما يبيِّض منها.

وكان يتزهَّد زُهْدَ الفلاسفة، ولا يحتفِل بملبس ولا منزل. أجرى عليه ابنُ حمدانَ في كلِّ يومٍ أربعةَ دراهم.

ويقال: إنَّهم سألوه أأنت أعلم أو أرسطو؟ فقال: لو أدركْتُه لكنتُ أكبرَ تلامذته.

ولأبي نَصْرٍ نَظْمٌ جيِّد، وأدعيةٌ مليحةٌ على اصطلاح الحكماء.

ذكـره أبوالعَبَّاسِ بنُ أبي أُصَيْبعةَ، وسرَدَ أسامي مصنَّفاته وهي كثيرةٌ. منها مقالة في إثباتِ الكيمياء. وسائرُ تَواليفِه في الرِّياضيِّ والإلّهيِّ.

وبدمشق كان موتُه، سنةَ تسعٍ وثلاث مئة عن نحوٍ من ثمانين سنة.

٦٧٤ - الـكَـرْخِــيُّ[3]

الشيخُ الإمامُ الزَّاهد، مفتِّي العراقِ، شيخُ الحنفيَّةِ، أبو الحسَن، عُبيدُ الله

---

(١) انظر السير: ١٥/ ٤١٦-٤١٨.

(٢) إليه انتهت رياسة المنطقيين في عصره، وكان نصرانياً، توفي ببغداد سنة ٣٢٨هـ. انظر «طبقات الأطباء»: ٣١٧، واسمه فيه «متى بن يونان».

(٣) انظر السير: ١٥/ ٤٢٦-٤٢٧.

ابنُ الحُسين بن دَلَّال، البَغْدَادِيُّ الكَرْخِيُّ الفقيه.

انتهت إليه رئاسةُ المذهب، وانتشرت تلامِذَتُه في البلاد، واشتُهر اسمُه وبَعُدَ صيتُه، وكان من العُلَماءِ العُبَّاد ذا تهجُّدٍ وأورَادٍ وتألُّهٍ، وصَبْرٍ على الفَقْر والحاجة، وزُهدٍ تامٍّ، ووقْعٍ في النُّفوس، ومن كبار تلامذته أبوبكر الرَّازي، وعاشَ ثمانين سنة.

[١] أبوالقاسم بنُ عَلانَ الوَاسِطِيُّ، لَمَّا أصَابَ أبا الحسن الكَرْخِيُّ الفَالجُ في آخر عُمُره، حَضَرْتُهُ، وحضر أصحابُه: أبوبكر الدَّامَغانيُّ وأبو علي الشَّاشيُّ، وأبوعبدالله البَصْريُّ، فقالوا: هذا مَرَضٌ يحتاجُ إلى نفقة وعلاج، والشَّيخ مُقِلٌّ ولا ينبغي أن نَبْذُلَه للنَّاس فكَتَبُوا إلى سيفِ الدَّوْلة بنِ حَمْدان، فأحسّ الشيخُ بما هم فيه، فبكى وقال: اللَّهم لا تجعلْ رِزْقي إلا مِنْ حيث عَوَّدتني، فمات قَبْلَ أن يُحْملَ إليه شيءٌ. ثمَّ جاء مِن سيف الدَّولةِ عشرةُ آلاف دِرْهم، فتُصدِّق بها عنه.

توفِّي رحمه الله في سنةِ أربعين وثلاث مئة. وكان رَأْساً في الاعتزال، الله يُسامحه.

٦٧٥ - ابنُ الحَدَّاد(١)

[٢] الإمامُ العلَّامة الثَّبْتُ، شيخُ الإسلام، عالِمُ العَصْرِ، أبوبكر محمدُ بنُ أحمدَ ابنِ محمدٍ، الكِنانيُّ المِصْريُّ الشَّافعي ابنُ الحدَّاد.

ولد سنةَ أربع وستين ومئتين.

لازمَ النَّسائيَّ كثيراً، وتخرَّج به، وعوَّل عليه، واكتفى به وقال: جعلتُه حُجَّةً فيما بيني وبين الله تعالى، وكان في العِلْم بحراً لا تكدره الدِّلاءُ، وله لَسَنٌ وبلاغة وبَصَرٌ بالحديث ورجاله، وعربيَّة مُتقَنةٌ، وباعٌ مديد في الفِقْه لا يُجارى فيه، مع التألُّه والعِبَادة والنَّوافل وبُعد الصِّيت، والعَظَمة في النُّفوس.

(١) انظر السير: ١٥/ ٤٤٥-٤٥١.

ذكره ابن زُوْلاق ـ وكان من أصحابه ـ فقال: كان تَقِيًّاً متعبِّداً يحسن عُلوماً كثيرةً: عِلْم القُرآن وعِلْم الحديث، والرِّجال، والكُنى واختلافِ العُلَماء والنَّحْو واللُّغة والشِّعْر، وأيَّام النَّاس، ويختِمُ القُرآن في كلِّ يوم، ويصوم يَوْماً ويفطر يَوْماً. كان من محـاسنِ مِصْـرَ إلى أن قال: وكـان طويلَ اللِّسـان، حسن الثِّيابِ والمركوب، غيرَ مَطْعون عليه في لَفْظٍ ولا فِعْل، وكان حَاذِقاً بالقَضَاء.

[١] قال أبو عبدالرحمن السُّلَميّ: سمِعْتُ الدارقُطْني، سمعت أبا إسحاق إبراهيم ابنَ محمد النَّسْوي المعدَّل بِمصْرَ، يقول: سمعت أبابكر بن الحَدَّاد، يقول: أخَـذْتُ نفسي بما رَوَاه الربيع عن الشَّافعي، أنَّه كان يختِم في رمضان ستين خَتْمَةً، سوى ما يقرأ في الصلاة، فأكثر ما قدرت عليه تسعاً وخمسين ختمة. وأتَيْت في غير رمضان بثلاثين خَتْمة.

قال: ومات وصُلِّي عليه يوم الأربعاء، ودفن بسفح المُقَطَّمِ عند قَبْرِ والدَته، وحضـر جنازتَه الملكُ أبوالقاسم بن الإِخْشِيذ، وأبو المسك كافور، والأعيانُ، وكان نسيجَ وحدِه في حِفْظ القرآن واللُّغة، والتَّوسُّع في عِلْم الفِقْه. وكانت له حَلْقةٌ من سنين كثيرة يَغْشاها المسلمون وكان جِدّاً كلَّه، رحمه الله. فما خلَّف بمصرَ بعده مثله.

وفي ابن الحَدَّاد، يقول أحمد بن محمد الكحَّال:

الشَّافِعِيَّ تفقهاً والأصـمعيَّ ... تفنُّناً والتَّابعين تزهـدا

[٢] قال ابن زُوْلاق: وحدَّثني عليُّ بنُ حسن، قال: سَمِعْتُ ابنَ الحَدَّاد يقول: كنتُ في مَجْلسِ ابنِ الإِخْشيذ، يعني: مَلِكَ مِصْرَ، فلما قُمْنا أمسكني وحدي، فقال: أيُّما أفضل أبوبكر، وعُمر، أو عليّ؟ فقلتُ: اثنين حِذَاء واحد، قال: فأيُّمـا أفضـل أبوبكر، أو علي؟ قلتُ: إنْ كان عِنْدَك فعليّ، وإن كان برّا[1] فأبوبكر، فضحِك.

ومولده يومَ ماتَ المُزَني، توفِّي سنةَ خمسٍ وأربعين وثلاث مئة.

---

(١) برّا: كلمة مولدة بمعنى علانية، ومنه: «من أصلح جوانيه أصلح الله بَرَّانيَّه» أي: من أصلح سريرته أصلح الله علانيته.

٦٧٦ - الأصَـــــمُّ(١)

[١]محمدُ بنُ يعقوبَ بن يوسُف، الإمام المحدِّث مُسْنِدُ العَصْر، رحلة الوَقْت، أبـو العَبَّـاس الأمـويُّ مولاهم، النِّسَـانيُّ المَعْقِليُّ النَّيْسـابـوريُّ الأصَـمُّ، ولَدُ المُحدِّثِ الحافظِ أبي الفَضْل الوَرَّاق، وقد ارتحل بابنِه أبي العَبَّاس إلى الآفاق، وسَمَّعه الكُتُبَ الكِبارَ.

وحدَّث «بكتاب الأُم» للشافعي عن الرَّبيع، وطال عُمره وبَعُد صيتُه، وتزاحَمَ عليه الطَّلَبةُ. وجميعُ ما حدَّثَ به إنَّما رواه من لَفْظه فإن الصَّمم لحِقَه وهو شابٌّ له بِضْعٍ وعشرونَ سنة، بعد رجوعه من الرِّحْلَةِ ثُم تَزَايد به، واستحكَم بحيث إنَّه لا يسمع نهيقَ الحمار. وقد حدَّثَ في الإِسلام ستاً وسبعينَ سنةً.

قال الحاكم: كان يكره أن يقالَ له: الأصمُّ، فكان إمامُنا أبوبكر بنُ إسحاق الصِّبْغي، يقول: المَعْقِليُّ، قال: وكان محدِّثَ عَصْرِه، ولم يختلفْ أحدٌ في صِدقْه وصحَّة سَماعاته، وضبْطِ أبيهِ يعقوبَ الوَرَّاقِ لها، وكان يَرْجِع إلى حُسْن مَذْهب وتـديُّن. وبَلَغني أنَّـه أذَّن سبعينَ سنـةً في مسجِدِه. قال: وكان حسنَ الخُلُق، سخيَّ النَّفْس، وربما كان يحتاجُ إلى الشيء لمعاشه فيُورق، ويأكل مِنْ كسب يده، وهذا الذي يُعاب به مِنْ أنَّه كان يأخذُ على الحديث، إنَّما كان يَعِيْبُه به مَنْ لا يعرفُه، فإنَّه كان يكره ذلك أشدَّ الكراهة ولا يناقش أحداً فيه، إنما كان ورَّاقُـه وابنُه يطلُبان النَّاس بذلك، فيكره هو ذلك، ولا يقدِرُ على مخالفتهما. سمع منه: الآباءُ والأبناءُ والأحْفاد، وكفاه شَرَفاً أن يُحدِّث طول تلك السِّنين، ولا يجدُ أحدٌ فيه مَغْمزاً بحُجةٍ، وما رأينا الرِّحْلة في بلادٍ من بلاد الإِسلام أكثرَ منهـا إليه، فقـد رأيت جمـاعـةً مِنْ أهـلِ الأنْدَلُسِ وجماعةً من أهل طراز(٢) وإسْبيجـاب على بابـه، وكذا جماعة مِنْ أهل فَارس. سمعتُه غير مَرةٍ يقولُ: وِلِدْتُ سنةَ سبعٍ وأربعين ومئتين.

(١) انظر السير: ١٥/ ٤٥٢-٤٦٠.

(٢) بلد قريب من إسبيجاب، من ثغور الترك. في أقصى بلاد الشاش مما يلي تركستان.

[١] أبوعبدالله الحاكم: حَضرْتُ أبا العَبَّاسِ يوماً في مسجده، فخرج ليؤذِّن لصَلاة العصرِ، فوقف موضعَ المئْذَنة، ثُمَّ قال بصوتٍ عالٍ: أخبرنا الرَّبيع بنُ سليمان، أخبرنا الشَّافعي، ثم ضحِك، وضحِك النَّاسُ، ثم أذَّن.

[٢] قال الحاكم: سمعتُ الأصمَّ، وقد خرج ونحن في مسجده، وقد امتلأت السكَّة من النَّاس سنة إربع وأربعين وثلاث مئة. وكان يملي عشيَّة كل اثنين من أصوله. فلمّا نظر إلى كثرة الناس والغرباء وقد قاموا يحملونه على عواتقهم من باب داره إلى مسجده، وبكى طويلاً، ثم قال: كأني بهذه السكَّةِ لا يدخلها أحدٌ منكم، فإني لا أسمع وقد ضعُف البصر، وحان الرّحيل، فما كان إلَّا بعد شهر أو أقلَّ منه حتى كُفَّ بصرُه، وانقطعت الرحلة، وانصرف الغُرباء، فرجع أمره إلى أنه كان يُناولُ قلماً فيعلم أنهم يطلبون الرواية، فيقول حدثنا الرَّبيع، وكان يحفظ أربعةَ عشرَ حديثاً، وسبعَ حكايات، فيرويها. وصار بأسوأ حال حتى توفي.

توفِّي أبو العَبَّاس، سنةَ ستٍّ وأربعين وثلاثِ مئة.

٦٧٧ - القَطَّان(١)

[٣] الإمامُ الحافِظُ القُدْوَةُ، شيخُ الإسلام، أبو الحسن عليُّ بنُ إبراهيمَ بن سَلَمة، القَزْوينيُّ القَطَّان عالمُ قَزْوين. مولده في سنةِ أربعٍ وخمسين ومئتين.

وجمع وصنَّف، وتَفنَّن في العُلُومِ، وثابر على القُرَب.

قال أبو يَعْلَى الخليليُّ: أبو الحسن القَطَّان، شيخٌ عالم بجميعِ العلوم والتَّفسير والفِقْهِ والنَّحْوِ واللُّغة.

[٤] سمعتُ جماعةً من شيوخ قَزْوين، يقولون: لم يرَ أبوالحسنِ رحمه الله مِثْلَ نَفْسه في الفَضْل والزُّهد. أدامَ الصِّيامَ ثلاثين سنةً، وكان يُفْطِر على الخُبزِ والمِلْح، وفضائِلُهُ أكثرُ مِنْ أنْ تُعَدَّ.

---

(١) انظر السير: ١٥/ ٤٦٣-٤٦٦.

[١]وقال ابنُ فارسٍ في بعضِ أماليه: سمعتُ أبا الحسنِ القَطّان بعدما عَلتْ سِنُّه، يقول: كنتُ حين رَحَلْتُ أحفَظُ مئةَ ألفِ حديثٍ، وأنا اليومَ لا أقومُ على حِفْظ مئة حديث.

[٢]وسمعتُهُ يقول: أصِبْتُ ببصري، وأظُنُّ أني عُوقِبْتُ بكثرةِ كلامي أيامَ الرِّحْلة.

[٣]قلت: صَدَقَ والله، فقد كانوا مع حُسْن القَصْدِ، وصحَّةِ النِّيَّةِ ـ غالباً ـ يخافونَ من الكلامِ، وإظهار المَعْرِفَةِ والفَضِيلة، واليوم يكثرونَ الكلامَ مع نقْصِ العلْمِ، وسوءِ القَصْد. ثُم إنّ الله يفضَحُهم ويَلُوحُ جهلُهم وهواهُم واضطرابُهم فيما عَلِموه. فنسألُ الله التوفيقَ والإخلاص.

توفِّي هذا الإمامُ في سنةِ خمسٍ وأربعين وثلاث مئة.

٦٧٨ ـ الصِّبْغي(١)

[٤]الإمامُ العلاَّمةُ المفتي المحدِّث، شيخ الإسلام، أبوبكر أحمدُ بنُ إسحاقَ ابنِ أيوب، النَّيْسَابوريّ الشَّافعيّ المعروف بالصِّبْغيّ.

مَوْلده في سنةِ ثمانٍ وخمسين ومئتين.

[٥]قال الحاكمُ: بقي الإمام أبوبكر يفتي بنَيْسَابور نيِّفاً وخمسين سنة ولم يُؤْخذ عليه في فتاويه مسألة وهم فيها.

سمعتُ أبا الفضل بنَ إبراهيم، يقول: كان أبوبكر بنُ إسحاق يخلُفُ إمامَ الأئمة ابنَ خُزَيمةَ في الفَتْوى بضع عشرة سنة في الجامع وغيرِه.

[٦]ثُم قال الحاكم: سَمِعْتُ الشَّيْخَ أبابكر، يقول: رأيت في منامي كأني في دارٍ فيها عُمرُ، وقد اجتمع النَّاسُ عليه يسألونه المسائل فأشار إليَّ: أن أُجيبَهُم، فما زلت أُسأل وأُجيب وهو يقول لي: أصَبْتَ امضِ، أصَبْتَ امضِ، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، ما النَّجاةُ مِنَ الدُّنيا أو المخرج منها؟ فقال لي بإصْبعه: الدُّعاء،

(١) انظر السير: ١٥/ ٤٨٣-٤٨٨.

فأعدت عليه السؤال فجمع نَفْسَه كأنَّه ساجِدٌ لخضوعه. ثم قال: الدُّعاء.

[١] قال الحاكم: سمِعْتُ محمدَ بنَ حَمْدون، يقول: صَحِبْتُ أبابكر بن إسحاق سنين، فما رأيته قطُّ تَرَكَ قِيامَ اللَّيل لا في سَفَر ولا حَضَر.

[٢] رأيتُ أبابكر غير مرَّة عقِيب الأذَان يدعو ويبكي، وربَّما كان يَضْرِب برأسه الحائط، حتى خشِيْتُ يوماً أن يَدْمى رأسُه، وما رأيتُ في جماعة مشايخِنا أحسنَ صلاةً منه، وكان لا يدع أحداً يغتاب في مَجْلِسه.

[٣] قال الحاكم: وسمِعْتُ أبابكر بنَ إسحاق: يقول: خَرَجْنَا من مجلس إبراهيم الحَرْبي، ومعنا رجلٌ كثيرُ المُجون، فرأى أمرد، فتقدَّم فقال: السَّلام عليك، وصافحه، وقبَّل عينيه وخدَّه، ثم قال: حدثنا الدَّبري بصَنْعاءَ بإسناده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسَلَّم: «إذا أحبَّ أحدُكم أخاه فليُعْلِمه» فقلت له: ألا تستحي تلوطُ وتكذِب في الحديث؟ - يعني: أنه رَكَّب إسْنَاداً للمَتْن.

توفِّي الصِّبْغيُّ، سنةَ اثنتين وأربعين وثلاث مئة.

الطبقة العشرون

٦٧٩ - أبو النَّضْر الطُّوسيّ[(١)]

[١]الإمامُ الحافِظُ الفقيه العَلَّامة القُدْوة شيخُ الإسلام محمدُ بن محمدِ بنِ يوسف، الطُّوسي الشَّافِعيُّ، شيخُ المَذْهَبِ بخُراسان. وُلِدَ في حدود الخمسين ومئتين.

[٢]قال الحاكم: رحَلْتُ إليه إلى طُوس مَرَّتين، وسأْلتُه متى تتفرَّغ للتَّصْنيف مع هذه الفتاوى الكثيرة؟ فقال: جَزَّأتُ اللَّيلَ أثلاثاً: فثُلُثٌ أصنِّف، وثُلُثٌ أنام، وثُلُثٌ أقرأُ القُرْآن.

[٣]قال: وكان إماماً عابداً، بارعَ الأدب، ما رأيت في مشايخي أحسنَ صلاة منه، وكان يصومُ الدَّهْرَ ويقومُ ويتصدَّق بما فَضَل من قُوته وكان يأمر بالمعروف، ويَنْهى عن المُنْكر.

[٤]سمِعْتُ أحمدَ بنَ منصور الحافظ، يقول: أبو النَّضْرِ يُفتي النَّاس من سبعينَ سنةً أو نحوِها، ما أُخِذ عليه في فَتْوى قَطُّ.

ثم قال الحاكم: دخَلْتُ طُوس، وأبو أحمدَ الحافظ على قَضَائها فقال لي: ما رأيتُ قَطُّ في بلدٍ من بلاد الإسلام مثلَ أبي النَّضْر، رحمه الله.

مات سنة أربع وأربعين وثلاث مئة. قلت: جاوزَ التِّسْعين.

٦٨٠ - أبو الوليد الفقيه[(٢)]

[٥]الإمامُ الأوْحد المفتي، شيخُ خُراسانَ أبو الوليدِ حَسَّان بنُ محمدِ بنِ أحمدَ، النَّيْسَابُوريُّ الشَّافعيُّ العَابد. ولد بَعْدَ السَّبْعين ومئتين.

(١) انظر السير: ١٥/ ٤٩٠-٤٩٢.

(٢) انظر السير: ١٥/ ٤٩٢-٤٩٦.

[١]ومن أغرب ما أتى به أنه قال: من كرّر الفاتحةَ مرّتين بطَلَتْ صلاتُه، وهذا خِلافُ نَصِّ الإمام.

[٢]وقال: الحِجَامَةُ تُفطِّر الحاجمَ والمَحْجُوم، والتزم أنَّه هو المذهب لصحَّة الأحاديث فيه. وهذا فيه نظر، لأن الإمامَ[1] ما ضعَّف الأحاديث، بل ادَّعى نسخها.

[٣]قال الحاكم: سَمِعْتُ الأُستاذَ أبا الوليد، يقول: قال لي أبي: أيَّ شيء تَجْمع؟ قُلْتُ: أخرِّج على كتاب البُخاري، فقال: عليكَ بكتابِ مُسْلم، فإنَّه أكثرُ بَرَكَةً، فإن البُخَاريَّ كان يُنْسَب إلى اللَّفْظ.

[٤]قال محمد بن الذَّهبي: ومُسْلم أيضاً نُسِبَ إلى اللَّفْظ، ألا تراه كيف قَام من مجلس الذُّهْلي على رأس الملأ لمَّا قال: ألا مَنْ كان يقولُ بقول محمدِ بنِ إسماعيل، فلا يَقْرِبَنَّا؟ فهذه مسألة مُشْكِلَة، وقد كان أحمدُ بنُ حَنْبل وغيرُه لا يَرَوْن الخوضَ في هذه المسألة، مع أنَّ البخاريَّ ـ رحمه الله ـ ما صرَّح بذلك، ولا قال: ألفاظُنَا بالقُرْآن مَخْلُوقة، بل قال. أفعالُنا مَخلوقة، والمقروء الملفوظ هو كلامُ الله تَعالى، وليس بمخلوقٍ، فالسُّكوت عن تَوَسُّع العبارات أسلم للإنسان.

ولقد كان أبوالوليدِ هذا من أركان الدِّين.

قال الحاكم: أرانا أبوالوليد نقش خاتمه «الله ثقة حسَّان بن محمد»، وقال: أرانا عبدالملك بن محمد بن عديّ نقش خاتمه «الله ثقةُ عبدالملك بن محمد» وقال: أرانا الرَّبيع نقش خاتمه «الله ثِقةُ الرَّبيع بن سليمان»، وقال: كان نقش خاتم الشافعي: «الله ثِقة محمدِ بنِ إدريس».

ماتَ أبوالوليد، سنةَ تسعٍ وأربعين وثلاث مئة[2] عن اثنين وسبعين سنةً.

٦٨١ - أبو وَهْـــب

[٥]زاهِدُ الأنْدَلُس، جَمَعَ ابنُ بَشْكُوال أخبارَه في جُزْءٍ مُفْرِدٍ.

---

(١) أي الشافعي رحمه الله.

(٢) انظر السير: ١٥/ ٥٠٦ـ٥٠٨.

[١] قال أبوجعفر بنُ عَوْن الله: سمعتُهُ يقول: لا عانَق الأبكار في جنات النعيم والنَّاسُ غداً في الحِسَاب إلا مَنْ عانق الذُّلَّ، وضاجع الصَّبْر، وخرج منها كما دخل فيها. ما رُزِقَ امرؤٌ مثلَ عافية، ولا تصدَّق بمثل مَوْعظة، ولا سأل مثل مَغْفرة.

[٢] وعن خالد بن سعيد، قال: قيل: إنَّ أبا وهبٍ عبَّاسيٌّ، وكان لا ينْتَسِبُ، وكان صاحِبَ عُزْلَة، باع ماعُونَه قبل موته. فقيل: ما هذا؟ قال: أريد سفراً، فمات بعد أيامٍ يسيرة.

[٣] وعن ابن حَفْصُون، قال: قلت لأبي وَهْب: تعلم أني كبيرُ الدَّار فاسكنْ معي، وأخدمُك وأشارِكُك في الحُلْو والمُرِّ، قال: لا أفعل، إني طَلَّقْتُ الدُّنيا بالأمس، أفأُراجعها اليوم؟ فالمطلِّق إنما يطلِّق المرأة بَعْدَ سوء خُلُقِها، وَقِلَّة خيرها، وليس في العقل الرجوعُ الى مكروه، وفي الحديث «لا يُلْدَغ مؤمنٌ مِنْ جُحْرٍ مرتين».

[٤] وقال فقير: فقد قُلْتُ ليلةً لأبي وَهْب: قُمْ بنا لزيارة فُلان، قال: وأينَ العِلم؟ وليُّ الأمر له طاعة، وقد منعَ من المشي ليلاً.

[٥] قال يونس بنُ مغيث: طرأ أبووَهْب إلى قُرْطُبة، وكان جليلاً في الخير والزُّهْد، يقال: إنه من ولد العَبَّاس، وكان يقصِدُه الزُّهَّاد ويأْلفونه، وإذا جاءه مَن ينكر مِنَ النَّاس تَباله وتولَّه، وإذا قيل له: مِنْ أين أنت؟ قال: ابنُ آدم ولا يزيد. وأخبرني مَن صَحِبَه، أنَّه يُفْضي منه جليسُه إلى عِلْمٍ وحِلْم ويقين في الفِقْه والحديث. وقيل: كان ربما جلَبَ من النَّبات ما يقُوته.

توفِّي سنةَ أربعٍ وأربعين وثلاث مئة. وقبره يُزَار.

٦٨٢ ـ أبو عُمرَ الزَّاهِدُ [(١)]

الإمامُ الأوْحد العلَّامة اللُّغويُّ المحدِّث، أبوعمر محمدُ بنُ عبدِالواحِدِ بن أبي

(١) انظر السير: ١٥/ ٥٠٨-٥١٣.

هاشم، البَغْدَادِيُّ الزَّاهِدُ، المعروف بغلام ثَعْلَب.

ولدَ سنةَ إحدى وستين ومئتين.

لازم ثَعْلبـاً في العَـرَبية، فأكثر عنه إلى الغاية، وهو في عِدَاد الشُّيوخ في الحديث لا الحُفاظ، وإنَّما ذكرتُهُ لِسَعةِ حِفْظِه للسانِ العرب وصِدقِه وعلوِّ إسناده.

[١]قال أبوالحسن ابنُ المَرْزُبَان: كان أبومحمد بنُ مَاسي مِنْ دار كعْب يُنفِذُ إلى أبي عمرَ غلامِ ثعلب وقتاً بعد وقت كفايتَه ما يُنْفِقُ على نَفْسِهِ فقطع ذلك عنه مُدةً لعُذرٍ، ثم أنفذَ إليه جُملةَ ما كان في رَسْمه، وكتب إليه يعتذرُ، فرده، وأمر أن يُكْتَبَ على ظهر رُقْعته: أكْرمْتَنا فملكْتَنا ثُم أعْرضْتَ عنا، فأَرحْتَنا.

[٢]قلتُ: هو كمـا قال أبـوعمر، لكنَّه لم يُجْمِلْ في الردِّ، فإنْ كان قد ملكه بإحسانِه القديم، فالتملُّكُ بحاله، وجُبِرَ التأخيرُ بمجيئه جملة وباعتذارِه، ولو أنَّه قال: وتركتنا فأعتقْتَنا، لكان أليَقَ.

[٣]قال: وأخبرني عَبَّاسُ بنُ عمر، سمعت أبا عمر الزَّاهد، يقول: تَرْكُ قَضَاء حُقوقِ الإخْوانِ مَذَلّة، وفي قَضَاء حُقُوقهم رِفْعَة.

[٤]قال الخطيب: سمعتُ غيرَ واحدٍ يحكي عن أبي عمرَ أنَّ الأشرافَ والكُتَّاب كانوا يحضُرون عنده ليسمعوا منه كُتبَ ثعلب، وغيرَها. وله جُزْء قد جَمَع فيه فضَائلَ مُعاوية، فكان لا يترك واحداً منهم يقرأ عليه شيئاً حتى يبتدِىءَ بقراءة ذلك الجُزْء.

وكان جماعةٌ من أهل الأدب لا يوثِّقون أبا عمر في عِلْم اللُّغة حتى قال لي عُبيدُالله بنُ أبي الفتح، يقال: إن أبا عمرَ كان لو طارَ طائرٌ لقال: حدَّثنا ثَعْلَب عن ابنِ الأعْرابي، ثُمَّ يذكر شيئاً في معنى ذلك.

[٥]فأما الحديث فرأيت جميعَ شيوخِنا يوثِّقونه فيه، وحدثنا عليُّ بنُ أَبي علي، عن أبيه، قال: ومن الرُّواة الذين لم يُرَقَطُّ أحفظ منهم أبو عُمرَ غلامُ ثعلب، أمْلى من حِفْظِه ثلاثينَ ألفَ ورقة لغةً فيما بَلَغني، وجميعُ كتبِه إنما أملاها بغير

تصنيف، ولِسَعَةِ حِفْظه اتُّهِم. وكان يُسْأل عن الشيء الذي يُقدّر أن السائل وضعه، فيجيبُ عنه، ثم يَسأله غيرُه بعد سنةٍ، فيجيب بجوابه.

[١] قال الخطيبُ: حكى لي رئيس الرؤساءِ أبوالقاسم عليُّ بنُ الحسن عمّن حدَّثه، أنَّ أبا عمر الزَّاهد، كان يؤدِّب ولدَ أبي عمرَ محمدِ بنِ يوسفَ القَاضي، فأملى يوماً على الغُلام ثلاثينَ مسألة في اللُّغة، وختمَها ببيتين. قال: فحضر ابنُ دريد، وابنُ الأَنْبَاريِّ، وأبوبكر بن مِقْسَم عند القاضي، فَعَرَض عليهم المسائل فما عرفوا منها شيئاً، وأنكروا الشعر. فقال لهم القاضي: ما تقولون فيها؟ فقال ابنُ الأنْبَاريِّ: أنا مشغول بتصنيف «مُشكل القرآن». وقال ابن مِقْسَم: وذكر اشتغاله بالقِراءات، وقال ابن دُريد: هي من وَضْع أبي عُمرَ، ولا أصل لشيءٍ منها في اللُّغة، فبَلَغَ أبا عمر، فسأَل مِنَ القاضي إحضارَ دَواوينَ جماعةٍ عيَّنهم له فقتح خزائنَه، وأخرج تلك الدَّواوين، فلم يزلْ أبوعمر يعمِدُ إلى كلِّ مسألة، ويخرِجُ لها شاهداً، ويعرِضُهُ على القاضي حَتّى تمَّمها، ثُمَّ قال: والبيتانِ أنْشَدَناهُما ثَعْلب بحضرةِ القاضي، وكَتَبَهُما القاضي على ظَهْر الكِتَاب الفُلاني، فأحضر القاضي الكتابَ، فوجَدهما، وانتهى الخبرُ إلى ابن دُريد، فما ذكر أبا عمرَ الزَّاهدَ بلفظةٍ حتى مات.

[٢] ثم قال رئيسُ الرُّؤساء: وقد رأيتُ أشياءَ كثيرةً مما استُنكر على أبي عُمَر، واتُّهِم فيها مدوَّنةً في كُتب أئمة العِلمِ، وخاصةً في «غريب المصنَّف» لأبي عُبيد.

[٣] ولليَشْكُري في أبي عمر قصيدةٌ منها:

فلو أنني أَقْسَمْتُ ما كُنْتُ كاذباً ... بأَنْ لم يَرَ الرَّاؤون حِبْراً يُعَادِلُهْ
إذا قُلْتُ شَارَفْنَا أَواخِرَ عِلْمِه ... تفجَّر حتى قُلْتُ هذا أوائِلُهْ

مات أبوعمر، سنةَ خمسٍ وأربعين وثلاث مئة.

٦٨٣ - أبو سَهْل القَطَّان[1]

[١] الإمامُ المحدِّث الثِّقة، مُسنِدُ العراقِ، أبو سَهْل، أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِالله، القَطَّان البَغْدَادِيُّ.

قال الخطيب: كان صَدوقاً أديباً شاعراً، راويةً للأدب عن ثَعْلَبَ والمبرِّد، وكان يميل إلى التَّشُّيع.

[٢] قال أبوعبدالله بنُ بِشْر القَطَّان: ما رأيتُ أحسنَ انتزَاعاً لِمَا أراد من آي القُرآن من أبي سهل بن زياد، وكان جارَنا، وكان يُديم صَلاةَ اللَّيلِ، والتِّلاوةَ، فَلِكثرة دَرْسِه، صَار القُرْآنُ كأنَّه بين عَيْنَيه.

[٣] قال الخطيب: وكان في أبي سَهْل مُزَاحٌ ودُعابة، سمعْتُ البَرْقَانيَّ يقول: كرِهوه لمزاح فيه، وهو صدوق.

وقال محمدُ بنُ الصُّوريِّ: سمعتُ عليَّ بنَ نَصْر بمصرَ يقول: كُنَّا يوماً بين يدي أبي سهل بنِ زياد، فأخَذَ شخصٌ سكِّينا كانت بين يديه، فجعل ينظُرُ فيها، فقال: مالك ولها؟ أتريدُ أن تسرقَها كما سَرَقتُها أنا؟ هذه سكين البَغَوي سرقتها منه.

توفِّي أبو سهْل، سنةَ خمسين وثلاث مئة. وكان موْلدُه في سنةِ تسعٍ وخمسين ومئتين.

٦٨٤ - ابنُ كامل[2]

[٤] الشَّيخُ الإمامُ العلاَّمةُ الحافِظُ القاضي، أبوبكر أحمدُ بن كاملِ بنِ خَلَف، البَغْدَادِيُّ، تلميذُ محمد بنِ جرير الطَّبَرِيِّ.

ولد سنةَ ستين ومئتين.

(١) انظر السير: ١٥/٥٢١-٥٢٢.

(٢) انظر السير: ١٥/ ٥٤٤-٥٤٦.

قال أبوالحسن بن رِزْقَوَيه: لم تَرَ عيناي مِثْلَه.

قال الخطيب: كان من العُلَماء بالأحْكَام، وعلومِ القُرْآنِ والنَّحْوِ والشِّعْر والتَّواريخِ. وله في ذلك مصنَّفَات، وَلِيَ قضاءَ الكُوفةِ.

[١] وقال الدَّارَقُطْني: كان مُتَساهِلاً، رُبَّما حدَّث من حِفْظِهِ بما ليس في كتابه، وأهلكه العُجْبُ، كان يختارُ لنفْسِه، ولا يُقلِّد أحداً.

توفِّي سنة خمسين وثلاث مئة. وله تسعون سنة..

[٢] وقال الدَّارَقُطْنيُّ أيضاً: كان لا يَعُدُّ لأحدٍ من الفقهاء وَزْناً، أملى كِتاباً في السُّنَن، وتكلَّم على الأخبار.

[٣] قال ابنُ الذَّهبي: كان من بحورِ العِلْم فأخْملَهُ العُجْب.

٦٨٥ ـ صاحِبُ الأنْدَلُس(١)

[٤] المَلِكُ الملقَّبُ بأمير المؤمنين، النَّاصر لدين الله، أبو المُطَرِّف عبدُالرحمن ابنُ الأمير محمدِ بنِ صاحب الأنْدَلُس عبدِالله بنِ صاحب الأنْدَلُس محمد بن صاحب الأنْدَلُس عبدالرحمن بن صاحبها الحكم بنِ صاحبها هِشَام ابن الأمير الدَّاخلِ عبدالرحمن بنِ معاوية بنِ أمير المؤمنين هِشَام بنِ عبدالملك بنِ مروان، المَرْوَانيُّ الأنْدَلُسيُّ.

[٥] باني مدينة الزَّهْرَاء، والذي دامتْ دولتُه خمسين سنةً، وصاحب الفُتُوحاتِ الكثيرة، والغَزَوات المشهورة، وهو أوَّلُ من تَلَقَّب بألقاب الخِلافة، وذلك لَمَّا بلغه قَتْلُ المُقْتَدر، ووَهْنُ الخِلافة العَبَّاسية، فقال: أنا أولى بالاسم والنَّعْت.

[٦] قُتِلَ أبو هذا شابّاً ولهذا عشرون يوماً، فكَفَله جدُّه، فلما مات جَدُّه، بويع هذا سنَة ثلاث مئة مع وجودِ الأكابر من أعمامه وأعمام أبيه فَوَلِيَ وعمره اثنتان وعشرون سنة، فضَبط الممالك، وخافَتْه الأعداء، وعمل الزَّهْراءَ على بَريد(٢)

(١) انظر السير: ١٥/ ٥٦٢-٥٦٤.

(٢) البريد: اثنا عشر ميلاً.

من قُرْطُبَةَ، فشيَّدها وزخرفَها، وأنفق عليها قناطيرَ من الذّهب، وكان لا يملُّ من الغزو، فيه سؤددٌ وحزم وإقْدام، وسجايا حميدة.

وقد توفي النَّاصر قبل تتمة زخرفةِ مدينةِ الزَّهْراء، فأتمها ابنُه المستنصر، وبها جامعٌ عديم المِثْل وكذا مَنارته.

[١] افتتح سبعينَ حِصْناً من أعظم الحُصون، وقد مَدَحَتْه الشُّعراء.

قلتُ: توفِّي سنةَ خمسين وثلاث مئة وله اثنتان وسبعون عاماً رحمه الله.

[٢] وقد كنتُ ذكرتُ ترجَمَتَه مع جدِّهم، فأعدتُها بزوائدَ وفوائد، وإذا كان الرأسُ عاليَ الهِمَّـةِ في الجهـاد، احتُمِلت له هَنَاتٌ، وحسابه على الله أما إذا أمات الجهاد، وظلم العباد، وللخزائن أباد، فإنَّ ربَّك لبالمرصاد.

٦٨٦ - ابـنُ الأخْـــرَمِ(١)

[٣] مقـرىء دمشق، العـلَّامـةُ أبـوالحسن، محمـدُ بنُ النَّضـرِ بنُ مرٍّ، الرَّبَعِيُّ الدِّمَشْقِيُّ ابنُ الأخْرَم، تلميذُ هارون الأخْفَشِ الدِّمشْقيّ.

كانتْ له حَلْقة عظيمة بجامع دمشق يقرؤون عليه من بَعْد الفجر إلى الظُّهر.

وقـال عليُّ بنُ داود الـدَّارَانيُّ: قَدِمَ ابنُ الأخْـرَمِ بغدادَ، فأمر ابنُ مجاهد تلامذتَه أنْ يختلفوا إلى ابن الأخرم.

وقال الشنَبُوذيُّ: قرأْتُ عليه، فما رأيتُ أحسن معرفةً منه بالقرآن ولا أحفظَ، وكان يحفَظُ تفسيراً كثيراً ومعانيَ، حَدَّثني أنَّ الأخْفَش حفَّظه.

[٤] قال محمـد بن علي السُّلَمِيُّ: قمتُ ليلةً سحـراً لآخـذ النَّـوْبـةَ على ابن الأخْرمِ، فوجدتُ قد سبقني ثلاثون قارئاً، وقال: لم تدركْني النَّوْبَةُ إلى العَصْر.

توفِّي ابنُ الأخْرم في سنةِ إحدى وأربعين وثلاث مئة. وعاش إحدى وثمانين سنة.

---

(١) انظر السير: ١٥/ ٥٦٤-٥٦٦.

٦٨٧ - النَّقَّــاش(١)

العلاَّمة المفسِّر، شيخُ القُرَّاء، أبوبكر محمدُ بنُ الحسنِ بنِ محمدِ المَوْصليُّ ثُمَّ البَغْدَادِيُّ النَّقَّاش. ولد سنةَ ستٍ وستين ومئتين. وهو مؤلف «شفاء الصدور» في التفسير.

وكان واسع الرِّحْلة، قديمَ اللِّقاءِ، وهو وفي القراءاتِ أقوى منه في الرِّوايات، ولو تثبَّت في النقل لصار شيخَ الإسلام.

قال أبو عَمْرو الدَّاني: هو مقْبول الشَّهادةِ، حدَّثنا فارسٌ، سَمِعْتُ عبدَالله بنَ الحسين، سَمِعْتُ ابن شَنَبُوذ، يقـول: خَرَجْتُ من دِمَشْقَ، فإذا بَقـافلة فيهـا النَّقَّاش، وبيده رَغِيف، فقال لي: ما فعَلَ الأخفش؟ قُلْتُ: تُوفِّي، قال: ثُمَّ انصرفَ النَّقَّاشُ، وقال: قرَأْتُ على الأخفش.

وقـال طلحةُ بنُ محمدٍ الشَّاهد: كان النَّقَّاش يَكْذِبُ في الحديث والغَالِبُ عليه القَصَصُ.

وقال أبوبكر البَرْقَانيُّ: كلُّ حديث النَّقَّاشِ منكر.

وقال الحافظ هبة الله اللاَّلْكَائيّ: تفسير النَّقَّاش إشفى الصُّدور لا شفاء الصُّدور. (٢)

روى أبوبكر عن أبي غَالب، عن جدِّه معاوَيةَ بن عَمرو، عن زائدةَ عن ليثٍ، عن مُجَاهد، عن ابن عُمرَ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله لا يَقْبَلُ دعاءَ حبيبٍ على حَبيبه».

قال الدَّارَقُطْني: فرجع عنه حين قُلْتُ له: هو موضوع.

وقال الدَّارَقُطْني: قال النَّقَّاش: كسرى أبو شِرْوَان. جَعلها كُنْيَةً، وكان يدعو: لا رجَعَتْ يَدٌ قَصدَتْك صفراء من عَطَائِك. وإنما هي صِفْراً.

---

(١) انظر السير: ١٥/ ٥٧٣-٥٧٦.

(٢) الإشفى: المثقب يخرز به، يستعمله الإسكاف.

قال الخطيب: سَمِعْتُ ابنَ الفَضْلِ القَطّان يقول: حَضَرْتُ النَّقَّاشَ وهو يَجُود بنفسِه في ثالث شَوَّال سنةَ إحدى وخمسين وثلاث مئة، فنادى بأعلى صوته ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١] يُرَدِّدُها ثلاثاً. ثم خَرَجَتْ نَفْسُه رحمه الله.

٦٨٨ العَسّالُ(١)

[١] **محمد بن أحمدَ بن إبراهيمَ، القاضي أبو أحمدَ الأصبهانيُّ الحافظ المعروف بالعسَّال، صاحب المصنفات.**

قال الحاكم: كان أحدَ أئمّة الحديث.

وقال أبو سعيد النَّقّاش: أخبرنا أبو أحمد العسَّال، ولم نَرَ مثلَه في الإتقان والحفظ.

قلت: وقد رأى النَّقّاشُ الحاكمَين، والدَّارقُطْنيّ، وأبا بكرٍ الجعَابي، وأبا اسحاق ابنَ حمزة، وأخذ عنهم، وهو مع ذلك يقول هذا القول.

[٢] وقيل: إنه كان لا يُغلق بابَه عن أَحد، وكان إذا توجَّه على الخصم يمينٌ لا يُحلِّفه ما أَمكنَه، بل يغرم عنه مالم يبلغ مئة دينار، فإذا بلغ المئة أو جاوزها، كان يتثبَّت ويُدافع ويُمهلُ إلى المجلس الثاني، ويُحذِّرُ المدَّعى عليه وَبَالَ اليمين، ويخوِّفه يوم الدين، ويذكِّره الوقوف بين يدي ربِّ العالمين، ثم يُحلِّفه على كُره.

[٣] يُحكى أنه ما كان يجلسُ لإملاء الحديث، ولا يَمَسُّ جُزءاً إلا على طهارة، وأنَّه كان مَرَّةً مع صِهره، فدخل مسجداً، وشرع في الصلاة فختم القرآن في ركعة.

[٤] قال أبو غالب: وسمعت جدِّي يقول: سمعتُ والدي أبا إسحاقَ إبراهيمَ بن القاضي أبي أحمد العسّال يقول: لما مات القاضي وجلسَ بنوه للتَّعزية، فدخل رجلان في لباس سواد، وأَخَذا يولوِلان ويقولان: واإسلاماه، فسُئلا عن حالهما، فقالا: إنَّا وردنا من أغمات من المغرب، لنا سنة ونصف في الطريق في الرِّحلة إلى هذا الإمام لنسمعَ منه فوافق ورودُنا وفاتَه.

تُوفِّيَ القاضي أبو أَحمدَ سنةَ تسعٍ وأربعينَ وثلاث مئة.

وكان مولدُهُ سنةَ تسعٍ وستِّين ومئتين.

---

(١) انظر السير: ١٦/٦-١٥

٦٨٩ دَعْلَج(١)

[١]**دَعلَج بنُ أحمدَ بنِ دَعلَج المحدِّث، الحجَّة الفقيه الإمام، أبو محمد السِّجستانيُّ، ثمَّ البغداديُّ التاجرُ، ذو الأموال العظيمة.**

وُلد سنةَ تسعٍ وخمسينَ ومئتين أو قبلها بقليل وسمع بعد الثَّمانين مالا يُوصف كثرةً بالحرمين، والعراق، وخراسان، والنواحي حال جولانه في التجارة.

[٢] قال الخطيب: كان دَعْلَج من ذوي اليَسار، له وقوفٌ على أهل الحديث.

قال الخطيب: حكى لي أبو العلاء الواسِطي، أن دَعلجاً سُئِلَ عن مفارقته مكَّة، فقال: خرجتُ ليلةً من المسجد، فتقدَّم ثلاثةٌ من الأعراب، فقالوا: أخٌ لكَ من خراسان قتل أخانا، فنحن نقتلكَ به، فقلت: اتقوا الله، فإن خراسانَ ليست بمدينةٍ واحدة، ولم أزل بهم إلى أن اجتمع النّاسُ وخَلُّوا عني. فهذا كان سببَ انتقالي إلى بغداد. وكان يقول: ليس في الدنيا مثلُ داري، وذلك لأنه ليس في الدنيا مثل بغداد، ولا ببغداد مِثلُ محلَّة القَطيعة، ولا في القطيعة مثلُ دربِ أبي خلف، وليس في الدَّرب مثلُ داري.

[٣]ونقل أبو بكر الخطيب حكايةً مقتضاها أنَّ رجلاً صلَّى الجمعةَ فرأى رجلاً متنسِّكاً لم يصل، فكلمه، فقال: استُرْ عَليّ، لدعلَج عَليَّ خمسة آلاف، فلما رأيته أحدثت، فبلغ ذلك دَعلَجاً، فطَلَبَهُ إلى مَنزله، وحلَّلَه من المال، ووَصَلَه بمثلها لكونه روَّعه.

[٤]أحمدُ بن الحُسين الواعظ، قال: أُودعَ أبو عبدالله بن أبي موسى الهَاشميّ عشرةَ آلاف دينار ليتيم، فضاقت يده فأنفقها وكَبرَ الصبي، وأُذنَ له في قبض ماله، قال ابنُ أبي موسى: فضاقت عليَّ الأرض، وتحيَّرتُ، فبكرتُ على بغلتي، وقصدتُ الكَرخ فانتهت بي البغلة إلى درب السلولي ووقفت بي على باب مسجد دَعلَج،

(١) ١٦/ ٣٠-٣٥

فدخلتُ فصليتُ خلفه الفجر، فلما انفتل رحَّب بي، وقُمنا فدَخلْنا دارَه، فقُدِّمتْ لنـا هريسـة، فأكلتُ وقصـرتُ، فقـال: أراكَ منقَبضاً، فأخبرته، فقال: كُلْ فإنَّ حاجتك تُقضى، فلمَّا فرغنا، استدعى بالذَّهب والمِيزان، فوزن لي عشرةَ آلاف دينار وقمت أطيرُ فَرَحاً، ثم سلمت المال إلى الصَّبيِّ بحضرة قاضي القُضاة، وعظم الثناء عليّ، فلما عدتُ إلى منزلي استدعاني أمير من أولاد الخليفة فقال: قد رغبتُ في معاملتك وتضمينك أملاكي، فضَمنتُها فربحتُ في سنتي ربحاً عظيماً، وكسبت في ثلاث سنين ثلاثينَ ألف دينار، وحملتُ لدعلج المال، فقال: سبحان الله، والله ما نويت أخذها، حلٍّ بها الصِّبيان، فقلتُ: أيُّها الشيخ، أيش أصلُ هذا المال حتى تهبَ لي عشـرةَ آلاف دينار؟ فقال: نشأتُ، وحفظتُ القرآن، وطلبتُ الحديث، وكنتُ أتبـزز، فوافاني تاجر من البحر فقال: أنتَ دَعلَج؟ قلت: نعم. قال: قد رغبتُ في تسليم مالي إليكَ مضاربةً، فسلَّم إليَّ برنامجات بألف درهم، وقال لي: ابسُطْ يدكَ فيه ولا تعلم مكاناً ينفقُ فيه المتاع إلا حملته إليه، ولم يزل يتردد إليَّ سنةً بعد سنة يحمل إليَّ مثل هذا والبضاعة تَنمى. ثم قال: أنا كثير الأسفار في البحر، فإن هلكتُ فهذا المالُ لك على أن تصدَّق منه، وتبني المساجد، فأنا أفعل مثل هذا، وقد ثمَّر الله تعالى المال في يدي، فاكتُمْ عليّ ما عِشتُ.

قال الحاكم: كان السلطانُ لا يتعرض لتَرِكةٍ، ثم لم يصبر عن أموال دَعلَج، وقيل: لم يكن في الدُّنيا أيسرُ منه من التجار، وتركوا أوقافَه، رحمه الله.

ماتَ سنةَ إحدى وخمسين وثلاث ومئة.

٦٩٠ التُّجِيبي(١)

[١]**العـلاَّمـة، شيـخُ المالكيَّةِ بقُرطُبَةَ، أبو إبراهيمَ إسحاق بنُ إبراهيمَ بن مَسرَّة**

(١) انظر السير: ١٦/٧٩ـ ٨٠

التُجيبي، مولاهم الكتّاني الطُلَيْطُليّ، نزيل قرطبة، فقيه قدوة، ورِع، صالح، له حانوتٌ في الكتان، أقرأ الفقه.

[١] قال ابنُ عفيف: كان من أهل العِلم، والفَهم، والعقل والدين المتين، والزهد، والبعد من السلطان، لا تأخذهُ في الله لومة لائِم.

[٢] وقال ابن الفَرَضي: كان أبو إبراهيمَ حافظاً للفِقه، صدراً في الفُتيا وَقوراً، مهيباً، لم يكن له بالحديث كبيرُ علم، وله كتاب «معالم الطهارة» وكان الحكَمُ أمير المؤمنين معظِّماً له. وكان صليباً قليلَ الهيبةِ للملوك، اغتاب الحكمُ رجلاً، فسكتَ أبو إبراهيمَ ونكس برأسه فأقصر الحكمُ وفهم، وقد راوده على أن يأتيَه بولده أحمدَ وهو صبيّ، فقال: لا يصلُحُ الآنَ لذلك.

توفي أبو إبراهيمَ سنةَ اثنتين وخمسين وثلاثِ مئة.

٦٩١ الجِعَابيّ(١)

[٣] **الحافظ البارعُ العلاّمة، قاضي الموصل، أبو بكر محمدُ بنُ عمرَ بنِ محمد التَّميميُّ البغداديُّ الجِعَابيّ.**

مولده سنةَ أربعٍ وثمانينَ ومئتين.

[٤] قال ابنُ الفضل القطّان: سمعتُ ابنَ الجِعَابي يقول: دخلتُ الرَّقَّة، وكان لي ثَمَّ قِمَطَرانِ(٢) كتب فجاءَ غُلامي مغموماً وقد ضاعت الكُتُب، فقلتُ: يا بني لا تَغْتَمّ، فإنَّ فيها مئتي ألف حديثٍ لا يُشْكِلُ عليَّ حديث منها لا إسنادُهُ ولا مَتنُه.

ونقل الخطيبُ عن أشياخه أنَّ ابنَ الجِعَابي كان يشربُ في مجلس ابنِ العميد.

وقال أبو عبدالرحمن السُّلمي: سألتُ الدَّارقطني عن ابنِ الجِعابيِّ فقال: خلَّط، وذكر مذهبه في التشيُّع، وكذا نقل أبو عبدِالله الحاكم، عن الدارقطني قال:

---

(١) انظر السير: ١٦/٨٨-٩٢

(٢) تثنية قِمَطْر: ما يصان فيه الكتب.

وحدَّثني ثقةٌ أنَّه خلَّى ابنَ الجِعابي نائماً وكتب على رجله، قال: فكنتُ أراه ثلاثة أيامٍ لم يمسَّه الماء.

قال الخطيب: سمعتُ ابن رزقويهٍ يقول: كان ابنُ الجِعابي يمتلئُ مجلسه، وتمتلئُ السِّكَّةُ التي يُملي فيها والطريق، ويحضرُ الدارقطني، وابنُ المظفر ويُملي من حِفظه.

قال الأزهري: كانت سكينةُ نائحةُ الرافضة تنوحُ في جنازَته، مات سنة خمس وخمسين وثلاث مئة.

٦٩٢ ابنُ حِبَّان(١)

[١]**الإمامُ العلَّامة، الحافظ المجوِّد، شيخُ خُراسان، أبو حاتِم محمدُ بنُ حِبَّانَ بنِ أحمدَ بن حبَّانٍ، التَّميميُّ الدارميُّ البُستيّ، صاحب الكتب المشهورة.**

وُلد سنة بضعٍ وسبعينَ ومئتين.

[٢]قال ابن حِبَّان في أثناء كتاب «الأنواع»: لعلَّنا قد كَتَبنا عن أكثرَ من ألفي شَيخ.

قلت: كذا فلتكنِ الهمم، هذا مع ما كانَ عليه من الفِقهِ والعربيَّةِ، والفضائل الباهرة، وكثرة التَّصانيف.

[٣]عبدالصمد بن محمد بن محمد، سمعت أبي يقول: أنكروا على أبي حاتم بن حبان قوله: النبوة: «العلم والعمل» فحكموا عليه بالزندقة، هُجر، وكُتب فيه إلى الخليفة، فكتبَ بقتلِه.

قلتُ: هذه حكايةٌ غريبَة، وابنُ حَبَّانَ فمِن كبارِ الأئمة، ولسنا نَدَّعي فيه العِصمةَ من الخطأ، لكن هذه الكلمة التي أطلقها، قد يطلقها المُسلم، ويُطلُقها الزنديق الفيلسوف، فإطلاق المسلمِ لها لا ينبغي، لكن يُعتذر عنه، فنقول: لم يرد حصرَ المبتـدأ في الخبر ونظير ذلك قوله عليه السلاة والسلام «الحجُّ عرفة» ومعلوم أنَّ

(١) انظر السير: ١٦/٩٢ـ١٠٤

الحاج لا يصيرُ بمجرَّد الوقوف بعَرَفَةَ حاجاً، بل بقيَ عليه فروض وواجبات وإنَّما ذكر مهمَّ الحجّ. وكذا هذا ذكر مهمَّ النُّبوة، إذ من أكمل صفات النبيِّ كمالُ العلمِ والعملِ. فلا يكون أحد نبياً إلَّا بوجودهما، وليَس كلُّ من برز فيهما نَبياً، لأن النبوةَ موهبةٌ من الحقِّ تعالى، لا حيلةَ للعبدِ في اكتسابها، بل بها يتولَّد العلمُ اللَّدُنِّي والعملُ الصالح.

وأما الفيلسوفُ فيقول: النُّبوةُ مكتسبة يُنتجها العلمُ والعمل فهذا كفرٌ، ولا يريدُهُ أبو حاتم أصلاً، وحاشاه، وإن كان في تقاسيمه من الأقوال، والتأويلات البعيدة، والأحاديث المنكرة عجائب وقد اعترف أنَّ «صحيحَه» لا يقدر على الكشف منه إلا من حفظه، كمن عنده مصحف لا يقدر على موضع آية يريدها منه إلَّا من يحفظه.

[١] وقال أبو إسماعيل الأنصاري: سمعت يحيى بن عمّار الواعظ وقد سألتُه عن ابن حبَّان، فقال: نحن أخرجناه من سِجستان، كان له علم كثير، ولم يكن له كبير دين، قدم علينا، فأنكر الحدَّ لله، فأخرجناه.

قلت: إنكارُكُم عليه بدعةٌ أيضاً، والخوضُ في ذلك ممَّا لم يأذن به الله، ولا أتى نصٌّ بإثبات ذلك ولا بِنَفْيه، و«من حُسن إسلام المرء تركُه مالا يَعنيه» وتعالى الله أن يُحدَّ أو يُوصف إلا بما وصفَ به نفسَه، أو علَّمه رسلَه بالمعنى الذي أراد بلا مثل ولا كَيف ﴿لَيْسَ كَمِثْلِه شَيءٌ وهوالسَّمِيع البَصير﴾ [الشورى ١١].

توفي ابن حبَّان بسجستان بمدينة بُست في سنة أربعٍ وخمسينَ وثلاث مئة وهو في عشر الثمانين.

٦٩٣ ابنُ الدَّاعي(١)

[٢] **الكبيرُ، الرئيس المعظَّم الشريف، أبو عبدالله، محمد بنُ الحسن بن القاسم**

---

(١) انظر السير: ١٦/١١٤-١١٦

العلويُّ الديلميُّ المولد.

وُلد سنة أربعٍ وثلاث مئة وحجَّ في سنة بضعٍ وثلاثين.

[١] برع في الرأي على الإمام أبي الحسن الكَرْخي، وأخذ علم الكلام عن حسين ابن علي البَصري، وأفتى ودرَّس، ووَلِيَ نقابة الطالبيِّين في دولة بني بُوَيه، فعدل وحُمد، وكان معزُّ الدولة يُبالغُ في تعظيمه، وتقبيل يده، لعبادته وهيبته، وكان فيه تشيُّع بلا غلو.

[٢] قال أبو علي التَّنوخيّ: حدثنا أبو الحسن بن الأزرق، قال: كنت بحضرة الإمام أبي عبدالله بن الدَّاعي، فسأله أبو الحسن المعتزليُّ عما يقوله في طلحة والزبير، فقال: أعتقد أنهما من أهل الجنَّة، قال: ما الحجة؟ قال: قد رويت توبتهما، والذي هو عُمدتي أنَّ الله بشرهما بالجنّة، قال: فما تنكر على من زعم أنه عليه السلام قال: إنهما من أهل الجنة ومقالته: فلو ماتا لكانا في الجنة، فلما أحدثا زال ذلك، قال: هذا لا يلزم، وذلك أن نقل المسلمين أن بشارةَ النبيِّ ﷺ سبقت لهما فوجب أن تكون موافاتهما القيامة على عمل يوجب لهما الجنة وإلاَّ لم يكن ذلك بشارة، فدعا له المعتزليُّ واستحسن ذلك، ثم قال: ومحالٌ أن يُعتقد هذا فيهما، ولا يُعتقد مثله في أبي بكر وعمر، إذ البشارةُ للعَشَرَة.

[٣] قال أبو علي التَّنوخي: رأيتُ في مجلس أبي عبدالله، وقد جَاءَهُ رجلٌ بفتوى فيمن حلف فطلَّق امرأته ثلاثاً معاً، فقال له: تريد أن أفتيك بما عندي وعند أهل البيت أو بما يحكيه غيرنا عن أهل البيت؟ فقال: أريد الجميع، قال: أمّا عندي وعندهم فقد بانَت، ولا تحلُّ لَكَ حتَّى تنكح زوجاً غيرَكَ.

قلت: كان يمتنع من الترحُّم على معاوية رضي الله عنه، ولا يَشتِمُ الصحابة.

٦٩٤ الطَّبَراني(١)

[١]هو الإمامُ الحافظُ، الثِّقة، الرّحّال الجَوّال، محدِّث الإسلام علمُ المعمَّرين، أبـو القـاسم، سليمـان بن أحمـد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة.

مولُدُه بمدينة عكا في سنة ستين ومئتين، وكانت أمه عكَّاوية.

وأولُ سَمـاعِـهِ في سنة ثلاث وسبعين، وارتحل به أبوه وحرص عليه فإنه كان صاحب حديث، من أصحاب دُحَيم، فأول ارتحاله كان في سنة خمس وسبعين، فبقي في الارتحال ولقيِّ الرِّجال ستَّة عشر عاماً وكتب عمَّن أقبل وأَدبَر، وبرع في هذا الشأن، وجمع وصنَّف وعمر دهراً طويلاً، وازدحم عليه المحدثون، ورحلوا إليه من الأقطار.

استوطن أَصبهان، وأقام بها نحواً من ستين سنة ينشر العلم ويؤلفه، وإنَّما وصل إلى العراق بعد فراغه من مصر والشام والحجاز واليمن، وإلا فلو قصد العراق أولاً لأدركَ إسناداً عظيماً.

[٢]ومن تواليفـه «المعجم الصغير» في مجلد عن كل شيخٍ حديثٌ، و«المعجم الكبير» وهو معجم أسماء الصحابة وتراجمهم وما رَوَوه، لكن ليس فيه مُسند أبي هريرة، ولا استوعب حديث الصحابة المكثرين، في ثمان مجلدات، و«المعجم الأوسط» على مشايخه المُكثرين، وغرائب ما عنده عن كل واحد، يكون خمس مجلدات. وكان الطبرانيُّ ـ فيما بلغنا ـ يقول عن «الأوسط»: هذا الكتاب رُوحي.

[٣]قال ابنُ مَنده: وبلغني أن الطَّبراني كان حَسَنَ المشاهدة طيِّب المحاضرة، قرأ عليه يوماً أبو طاهر بنُ لُوقا حديثَ: كان يغسل حَصى جِماره(٢) فصحَّفه، وقال: خُصي حماره، فقال: ما أراد بذلك يا أبا طاهر قال: التواضع، وكان هذا كالمغفل،

(١) انظر السير: ١٦/١١٩ـ ١٣٠

(٢) في «مصنف ابن أبي شيبة» ٤/٢٧: حدثنا وكيع عن زمعة عن ابن طاووس، عن أبيه أنه كان يغسل حصى الجمار.

قال له الطبراني يوماً: أنت ولدي، قال: وإياك يا أبا القاسم، يعني: وأنت.

[١] قال أبو الحسين أحمدُ بنُ فارس اللُّغوي: سمعت الأستاذ ابنَ العميد يقول: ما كنت أظنُّ أنّ في الدنيا حلاوةً ألذّ من الرئاسة والوزارة التي أنا فيها، حتى شاهدت مذاكرة أبي القاسم الطَّبراني وأبي بكر الجِعابي بحضرتي، فكان الطَّبراني يغلب أبا بكر بكثرة حفظه، وكان أبو بكر يغلب بفطنته وذكائه حتى ارتفعت أصواتُهُما، ولا يكاد أحدُهُما يغلب صاحبه، فقال الجعابي: عندي حديث ليس في الدنيا إلا عندي فقال: هات، فقال: حدثنا أبو خليفة الجُمَحي، حدثنا سُليمان بنُ أيوب وَحَدَّث بحديث، فقال الطَّبراني: أخبرنا سليمان بن أيوب ومني سمعه أبو خليفة، فاسمع مني حتى يَعْلُوَ فيه إسنادُك، فخجل الجعابي، فوددت لو أن الوزارة لم تكن وكنتُ أنا الطبراني، وفرحت كفرحه، أو كما قال.

قيل: ذهبت عيناهُ في آخر أيّامه، فكان يقول: الزنادقةُ سحرتني. فقال له يوماً حسن العطار ـ تلميذه ـ يمتحن بصره: كم عددُ الجذوعِ التي في السَّقف؟ فقال: لا أرى، لكن نقشُ خاتمي سليمان بن أحمد.

قلت: هذا قاله على سبيل الدُّعابة.

وقد عاش الطّبراني مئة عام وعشرة أشهر.

قال أبو نعيم الحافظ: توفي الطّبراني سنة ستين وثلاث مئة بأصبهان.

٦٩٥ ابنُ هاني(١)

[٢] شاعرُ العصر أبو الحسن، محمدُ بنُ هاني الأزديُّ المهلَّبي الأندلسيّ يُقال: إنَّه من ذريَّة المهلَّب وكان أبوه شاعراً أيضاً، ويُكنى محمدُ أبا القاسم أيضاً.

مولده بإشبيلية وكان ذا حُظوة عند صاحب إشبيلية، ونَظْمُهُ بديعٌ في الذّروة،

(١) انظر السير: ١٦/١٣١ـ١٣٢

وكان حافظاً لأشعار العربِ وأيّامِها، لكنَّه فاسقٌ خمِّير يُتَّهم بدين الفلاسفة، فهرب لمّـا همُّوا به إلى العُدوة فاتَّصل بالمعزِّ العُبيدي، فأنعمَ عليه، وشرب عند قوم، فخنق في سنة اثنتين وستين وثلاث مئة، وهو في عشر الخمسين.

وديوانه كبير وفيه مدائح تُفضي به إلى الكفر[1] وهو من نظراء المتنبي.

٦٩٦ ابنُ العَميد[2]

[١] **الوزيرُ الكبير، أبو الفضل، محمدُ بن الحُسين بن محمد الكاتب وزير الملك ركن الدَّولة الحسنِ بن بُويه الدَّيلمي.**

كان عجباً في الترسُّل والإنشاء والبلاغة، يُضربُ به المثل، ويقال له: الجاحظ الثاني. وقيل: بدئت الكتابةُ بعبد الحَميد، وختمت بابن العميد.

وقد مدحَه المتنبي، فأجازه بثلاثةِ آلاف دينار.

وكان مع سعة فنونِه لا يَدري ما الشَّرع، وكان متفلسفاً، متَّهماً بمذهب الأوائل.

وكان إذا تكلَّم فقيه بحضرتِه شقَّ عليه ويَسكُت، ثم يأخذ في شيء آخر.

وكان ابنُ عبَّاد يصحبهُ ويلزَمُه، ومِن ثَمَّ لُقِّبَ الصَّاحب.

مات سَنَة ستِّين وثلاث مئة فَوَزرَ بعده ابنُه أبو الفتح عليٌّ وعمُرُه اثنتان وعشرونَ سنة، وكان ذكياً، غزيرَ الأدب، تيَّاهاً، ولُقب ذا الكفايتين، وله نظمٌ رائق، ثم عُذِّبَ وقُتل في سنة ست وستين وثلاث مئة، بعد أن سَمَلَ عضدُ الدَّولة عينَه الواحدة وقطع أنفَه، وله نظم جيد.

---

(١) من ذلك قوله ـ قبحه الله في ـ مدح المعز:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار   فاحكم فأنت الواحد القهار

ومثل هذا كثير في ديوانه، وانظر «حسن المحاضرة» ١/ ٥٩٩.

(٢) انظر السير: ١٦/ ١٣٧ـ ١٣٨.

٦٩٧ ابنُ نُجَيْد(١)

[١]**الشيخُ الإمام القُدوةُ المحدِّث الرَّباني، شيخ نَيسابور، أبو عَمرو إسماعيلُ بن نُجيد بن الحافظ أحمدَ بن يوسف بن خالد السُّلميُّ النَّيسابوريُّ الصُّوفي كبيرالطائفة، ومُسْنِدُ خُراسان.**

مولدُهُ في سنةِ اثنتينِ وسبعين ومئتين.

[٢]ومن محاسِنِهِ أن شيخَه الزاهد أبا عثمانَ الحِيريَّ طلبَ في مجلسه مالاً لبعض الثُّغور، فتأخر، فتألَّم وبكى على رؤوس الناس فجاءه ابن نُجَيْدٍ بألفي درهم، فدعا له، ثمَّ إنَّه نوَّه به، وقال: قد رجوتُ لأبي عَمرو بما فعل، فإنه قد ناب عن الجماعة، وحمل كذا وكذا، فقام ابنُ نُجيد، وقال: لكن إنَّما حملتُ من مالِ أمّي وهي كارهة، فينبغي أن تردَّه لترضى، فأمر أبو عثمان بالكِيسِ فردَّ إليه، فلما جَنَّ الليلُ جاء بالكيس، والتمس من الشيخ سترَ ذلك، فَبكى، وكان بعد ذلك يقول: أنا أخشى من همَّة أبي عَمرو.

[٣]قال أبو عبدالرحمن السُّلمي: جدِّي له طريقةٌ ينفرد بها من صون الحال وتلبيسه، سمعتُه يقول: كلُّ حالٍ لا يكون عن نتيجةِ علمٍ وإن جلَّ، فإن ضررَهُ على صاحبه أكبرُ من نفعه.

[٤]وسمعتُهُ يقول: لا يَصفُو لأحدٍ قدمٌ في العبوديَّة حتى تكونَ أفعالُه عنده كلها رياء، وأحواله كلّها عنده دعاوى.

توفي ابن نُجَيد سنةَ خمسٍ وستين وثلاث مئة عن ثلاثٍ وتسعين سنة.

---

(١) انظر السير: ١٦/١٤٦-١٤٨

٦٩٨ الشهيد(١)

[١]**الإمامُ القدوةُ الشَّهيد، أبو بكر، محمدُ بن أحمدَ بن سَهل الرَّملي، ويُعرفُ بابن النَّابُلسي.**

[٢]قال أبو ذرٍّ الحافظ: سَجَنَهُ بنو عُبيد، وصَلبُوه على السنَّة، سمعتُ الدارقطني يذكره، ويبكي، ويقول: كان يقول، وهو يُسلَخ ﴿كانَ ذلكَ في الكِتَاب مَسطُورا﴾ [الإسراء ٥٨].

قال أبو الفرج بنُ الجَوزي: أقام جَوهر القائد لأبي تميم صاحبِ مصرَ أبا بكر النَّابُلسي، وكان ينزل الأكواخ فقال له: بَلَغَنا أنَّك قلت: إذا كان مع الرجل عشرةُ أَسهم، وجب أن يَرمِيَ في الرُّوم سَهماً، وفينا تسعة، قال: ما قلتُ هذا، بل قلت: إذا كان معه عشرةُ أسهم، وجب أن يرميَكم بتسعة وأن يَرميَ العاشر فيكم أيضاً، فإنكم غيرتم الملَّة، وقَتَلْتُم الصَّالحين وادَّعيتُم نورَ الإلهية، فشهرهُ ثم ضَرَبَه، ثم أمر يهودياً فَسَلَخَه وحُشِيَ تِبناً، وصُلب.

قال معمر بنُ أحمدَ بن زيادٍ الصُّوفي: أخبرني الثقة، أن أبا بكر سُلخ من مفرق رأسه حتَّى بلغ الوجه، فكان يذكر الله ويَصبر حتى بلغ الصدر فرحمه السلاَّخ، فوكزه بالسِّكين موضع قلبه فقضى عليه، وأخبرني الثقةُ أنه كان إماماً في الحديث والفقه، صائمَ الدَّهرِ، كبيرَ الصَّولةِ عند العامَّة والخاصَّة، ولما سُلخ كان يُسمع من جسده قراءةُ القرآن.

[٣]قلت: لا يُوصَف ما قلبَ هؤلاء العُبَيْدِيَّةُ الدِّينَ ظهراً لبَطن واستَولَوا على المغرب، ثمَّ على مصرَ والشام، وسَبُّوا الصحابة.

[٤]حكى ابنُ السّعساع المصريّ، أنَّه رأى في النوم أبا بكر بن النابُلسي بعدما صُلب وهو في أحسنِ هيئة، فقال: ما فعل الله بك؟ فقال:

---

(١) انظر السير: ١٦/١٤٨ـ١٥٠.

حباني مالِكي بِدَوامِ عِزٍّ وَوَاعَدَني بقُربِ الانتصارِ
وقرَّبَني وأدناني إليهِ وقال: انعم بعَيشٍ في جِواري

٦٩٩ النّعمان(١)

العلاَّمة المارق، قاضي الدَّولة العُبيديَّة، أبو حنيفة النعمانُ بنُ محمد بنِ منصور المَغربيّ.

كان مالكياً، فارتد إلى مذهب الباطنية، وصنَّف لهم أُسَّ الدعوة، ونبذ الدين وراء ظهره، وألَّف في المناقب والمثالب، وردَّ على أئمَّة الدِّين، وانسلَخَ من الإسلام، فسُحقاً له وبُعداً.

ونافق الدَّولة لا بل وافقهم وكان ملازماً للمعزِّ أبي تميم منشىء القاهرة.

وله يدٌ طُولى في فنون العُلوم والفقه والاختلاف، ونَفَس طويل في البحث، فكان علمُهُ وبَالا عليه.

وصنَّف في الردِّ على أبي حَنيفةَ في الفقه، وعلى مالك والشافعيِّ،وانتصر لفقه أهل البيت، وله كتاب في اختلاف العلماء، وكتُبُه كبار مطوَّلة.

وكان وافرَ الحشمة، عظيم الحُرمة، في أولاده قضاةٌ وكُبَراء وانتقل إلى غير رضوان الله، بالقاهرة سنةَ ثلاثٍ وستِّين وثلاث مئة.

٧٠٠ مُنذِرُ بنُ سَعيد البَلُّوطيُّ(٢)

[١]**أبو الحكَم الأندلسي، قاضي الجماعة بقُرطبة، يُنسَبُ إلى قبيلةٍ يقال لها: كُزْنة، وهو من موضع قريب من قرطبة، يقال له: فحص البَلُّوط.**

[٢]كانَ فقيهاً محقِّقاً، وخطيباً بليغاً مُفوَّهاً، له اليومُ المشهور الذي ملأ فيه الآذان،

(١) انظر السير: ١٦/١٥٠ـ ١٥١

(٢) انظر السير: ١٦/١٧٣ـ ١٧٨

وبهر العقول، وذلك أن المستنصر بالله كان مشغوفاً بأبي عليٍّ القالي، يؤهِّلُهُ لكلِّ مهم، فلما وَرَد رسولُ الرُّوم أَمَرَهُ أن يقومَ خطيباً على العادة الجارية، فلما شاهد أبو عليٍّ الجمعَ العظيم جَبُن فلم تَحمِلهُ رجلاه، ولا ساعَدَهُ لسانُه، وفطن له منذر بنُ سعيد، فوثب في الحال، وقام مقامَه وارتجَلَ خطبةً بديعة، فأَبهَتَ الخَلق وأنشدَ في آخرها لنفسه:

هذا المَقَالُ الذي ما عابَه فَنَدُ   لَكِنَّ صَاحِبهُ أزرى به البَلَدُ
لو كُنتُ فيهِم غريباً كُنتُ مُطرفاً   لكنني منهم فاغتالني النَّكدُ
لَولاَ الخِلاَفَةُ أبقى الله بَهجَتَها   ما كُنت أبقى بأرضٍ ما بها أَحَدُ

فاستحسنُوا ذلك.

[١] قال ابنُ بشكوال في بعض كتبه: مُنذر بنُ سعيد خطيب بليغ مِصْقَع(١) لم يكن بالأندلس أخطبُ منه، مع العِلم البارِع، والمعرفةِ الكاملة واليقين في العلوم، والدِّينِ والوَرَع، وكثرةِ الصيام والتَّهجُّد، والصَّدعِ بالحق، كان لا تأخُذه في الله لومةُ لائِم وقد استسقى غير مرة، فسُقي.

[٢] قال أبو محمد بنُ حَزم: أخبرني حَكَمُ بنُ منذر بنُ سَعيد أخبرني أبي أنه حجَّ راجلاً مع قومٍ رجّالة، فانقطَعُوا وأعوزَهم الماء في الحجاز وتاهُوا، قال: فَأَوَينا إلى غارٍ ننتظر الموت، فوضعت رأسي مُلصقاً بالجَبَل، فإذا حجرٌ كان في قُبالتِه، فعالَجتُه، فنَزَعتُه فانبَعَثَ الماء، فشَربنا وتزَوَّدْنا.

[٣] قال الحسنُ بنُ محمد: قحطَ الناسُ في بعض السِّنين آخر مدَّةِ الناصِر، فأمرَ القاضي منذرَ بن سعيد بالبروز إلى الاستِسقاء بالنَّاس، فصامَ أيّاماً وتأهب، واجتمع الخلق في مصلَّى الرَّبَض وصعِد النَّاصر في أعلى قصره ليشاهدَ الجمع، فأبطأ منذر ثم خرج راجلاً متخشِّعاً، وقام ليخطُبَ فلما رأى الحالَ بَكَى ونَشَج وافتتح خطبَتَهُ

(١) الخطيب المصقع: البليغ الماهر في خطبته، وهو «مِفعَل» من الصقع ومعناه رفع الصوت ومتابعته، ومِفعَل: من أبنية المبالغة. «لسان العرب» مادة: صقع.

بأن قال: سلامٌ عليكم، ثم سكت شبهَ الحَسير، ولم يكن من عادته، فنظرَ الناس بعضهم إلى بعض لا يدرون ما عراه، ثم اندفع فقال: سلام عليكم، ﴿كَتَبَ ربُّكم عَلى نَفْسِهِ الرحمة﴾ [الأنعام ٥٤] استغفروا ربَّكم وتُوبوا إليه، وتقرَّبوا بالأعمال الصاحلة لديه، فَضَجَّ الناسُ بالبكاء، وجأرُوا بالدُّعاء والتَّضرُّع وخطبَ فأَبلغ، فلم يَنْفَضّ القومُ حتَّى نَزَل غيث عظيم.

[١]واستسقى مرَّة، فقال يهتف بالخلق: ﴿يا أَيُّها النَّاس أنتُمُ الفُقَراء إلى الله﴾ [فاطر ١٥، ١٦] فهيَّج الخلقَ على البكاء.

[٢]قال: وسمعتُ مَن يَذكر أنّ رسولَ الناصِرِ جاءَه للاستسقاء، فقال للرَّسول: ها أنا سائر، فليت شِعري ما الذي يصنعهُ الخليفةُ في يومنا هذا؟ فقال: ما رأيته قطُّ أخشعَ منه في يومه هذا، إنه منفرد بنفسه، لابسٌ أخشنَ الثياب، مفترش التُّراب، قد علا نحيبُه واعترافُه بذنوبه، يقول: رب هذه ناصِيتي بيدك، أتراك تعذِّبالرعية، وأنتَ أحكمُ الحاكمين وأعدلُهُم، أَن يفوتك مني شيء، فتهلَّل منذرُ بن سعيد، وقال: يا غلام احمل المِمْطَرة معك، إذا خَشَعَ جبَّارُ الأرض رَحم جبَّار السَّماء.

[٣]قال ابنُ عفيف: من أخباره المحفوظة: أنَّ أميرَ المؤمنين عملَ في بعض سطوح الزَّهراء قبّةً بالذهب والفضة وجلس فيها، ودخل الأعيان، فجاء منذر بنُ سعيد، فقال له الخليفة كما قال لمن قبله: هل رأيتَ أو سمعتَ أن أحداً من الخلفاء قَبلي فعلَ مثلَ هذا؟ فأقبلت دموعُ القاضي تتحدّر، ثمَّ قال: والله ما ظننت يا أميرَ المؤمنين أن الشيطانَ يبلغُ منكَ هذا المبلغَ أن أنزلَكَ منازل الكفّار، قال: لِمَ؟ فقال: قال الله عزَّ وجلّ: ﴿ولَولاَ أن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً لَجَعَلنا لِمَن يَكْفُرُ بالرَّحمـٰن لِبُيُوتهم سُقُفاً مِن فِضَّة﴾ إلى قوله ﴿والآخِرَةُ عَندَ رَبِّكَ لِلمُتَّقين﴾ [الزخرف ٣٣ـ ٣٥] فنكس الناصرُ رأسَهُ طويلاً، ثم قال: جَزاكَ الله عنَّا خيراً وعن المسلمين، الذي قُلتَ هو الحق، وأمر بنقضِ سَقفِ القبة.

[٤] وخطَبَ يوماً فأعجبته نفسُه، فقال: حتَّى متى أعظُ ولا أتَّعظ وأزجُر ولا أزدَجِر،

أدلُّ على الطريق المُستَدِلِّينَ وأبقى مُقيماً مع الحائِرين، كلَّا إنَّ هذا لهو البلاء المبين، اللهمَّ فَرِّغني لَما خلقتَني له، ولا تَشغَلني بما تكفَّلتَ لي به.

[١]وقد استغرقَ مرَّة في خطبته بجامع الزهراء فأدخل فيها ﴿أتبنُون بكلِّ رِيعٍ آيةً تَعبَثُون، وتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لعلَّكم تَخلدون، وإذا بَطَشتُم بَطَشتُم جَبّارين﴾ [الشعراء ١٢٨ـ ١٣٠] فتخيَّر الناصرُ لخطابة الزهراء أحمدَ بنَ مطرف إذا حضر النَّاصر.

توفي منذر في سنة خمسٍ وخمسينَ وثلاث مئة.

٧٠١ حَمْزَةُ بنُ مُحمد(١)

[٢]**ابن عليٍّ، الإمامُ الحافظُ القدوة، محدِّث الدِّيار المصريَّة، أبو القاسم الكِنَانيُّ المِصريّ.**

وُلدَ سنة خمسٍ وسبعين ومئتين.

وجمع وصَنَّفَ، وكان متقناً مجوِّداً، ذا تَألُّهٍ وتعبُّد.

كلُّ شيءٍ له في سنة خمس: وُلد سنةَ خمس وسبعين، وأول سماعِهِ في سنة خمس وتسعين ورحَلَ إلى العراق سنة خمسٍ وثلاث مئة.

[٣]عبدُ الله بن محمد بن أسد، سمعتُ حمزةَ الكِنانيَّ يقول: خرَّجت حديثاً واحداً عن النبيِّ ﷺ من نحوِ مئتي طريق، فداخَلَني لذلك من الفَرح غيرُ قليل، وأُعجبت بذلك، فرأيتُ يَحيَى بن مَعين في المنام، فقلت: يا أبا زكريا، خرَّجتُ حديثاً من مئتي طريق، فسكتَ عنِّي ساعة، ثم قال: أخشى أن تدخلَ هذه تحتَ ﴿ألهاكُمُ التَّكاثُر﴾ [التكاثر ١].

[٤]قال أبو عبدِ الله بنُ مَندَة: سمعتُ حمزةَ بن محمد الحافظ يقول: كنت أكتبُ الحديث، فلا أكتب (وسلَّم) بعد صلَّى الله عليه فرأيتُ النَّبيَّ ﷺ في المنام، فقال

---

(١) انظر السير: ١٦/١٧٩ـ ١٨١

لي: أما تختِمُ الصلاةَ عليَّ في كتابك؟!

[١]عليّ بن عمر الحَرّاني، سمعتُ حمزة بن محمد الحافظ، وجاءه غريب، فقال: إن عسكر أبي تميمٍ ـ يعني المغاربة ـ قد وَصَلُوا إلى الإسكندرية فقال: اللهمَّ لا تُحيني حتَّى تُرِيَني الراياتِ الصفر، فمات حمزة ودَخَل عسكرهُم بعد موتِهِ بثلاثة أيام.

[٢]قلتُ: هؤلاء عسكرُ المعز العُبيدي الاسماعيليَّة، تملَّكوا مصر في هذا الوقت، وبنـوا في الحال مدينةَ القاهرةِ المُعَزِّيَّة، فأماتوا السُنَّة، وأظهروا الرفض، ودامت دولتُهم أزيدَ من مئتي عام، حتى أبادَهُم السلطان صلاح الدين، ونسبهم إلى علي رضي الله عنه غيرُ صَحيح.

مات حمزة في سنة سبع وخمسين وثلاث مئة.

٧٠٢ المغفّلي(١)

[٣]**الإمـامُ العالم، القدوةُ الحافظ، ذو الفنون، أبو محمد أحمدُ بنُ عبدِ الله بنِ محمد بن عبدالله بن بشر بن مغفَّل بن حسّان بن صاحب رسولِ الله ﷺ عبدِ الله ابنِ مغفَّل المُزَني المغفلي الهروي، الملقب الباز الأبيض.**

وُلَد بعدَ السَّبعين ومئتين.

وجمع وصنَّف، وتقدَّم في معرفة الحديثِ والعُلوم.

[٤]قال الحـاكم: كان إمـامَ أهلِ خُراسان بلا مُدافعة، وقد حج بالنَّاس وخطب بمكَّة، وقُدِّمَ إليه المقام وهو قاعدٌ في جوف الكعبة ولقد سمعتهم بمكةَ يذكرونَ أنّ هذه الـولاية لم تكن قطُّ لغيره، ومن عَظَمتِـه أن كان فوقَ الـوزراء، وأنهم كانوا يصدرون عن رأيِه. وجاوَرَ مرَّة بمكة، وكنتُ ببخارى أستملي له، فذكر أنَّه حصل وَجدٌ وشيءٌ من غشي بسبب إملاء حكاية وأبيات، وتوفي بعد جمعة فسمعت ابنه

(١) انظر السير: ١٦/١٨١ـ ١٨٤

[١] بشراً يقول: آخرُ كلمةٍ تكلّم بها أن قَبَضَ على لحيته ورفع يده اليُمنى إلى السَّماء، وقال: ارحم شيبةَ شيخٍ جاءك بتوفيقِكَ على الفِطرة.

توفِّي سنة ستٍ وخمسين وثلاث مئة.

[٢] قال الحاكم: وسمعتُ أبا الفضل السُّليماني ـ وكان صالحاً ـ يقول: رأيتُ أبا محمد المُزَنيَّ في المنام بعد وفاتِه بلَيْلَتَين، وهو يتَبَختَرُ في مِشيته ويقول بصوتٍ عال: ﴿وما عِندَ الله خَيرٌ وأبقىٰ﴾ [القصص ٦٠].

[٣] قال الحاكم: وردَ كتابٌ من مِصر بأن يحجَّ أبو محمد المُغَفَّلِيُّ بالنَّاس، ويخطب بعَرَفَةَ ومِنى، فصلَّى بعرفَةَ وأتمَّ الصَّلاة، فعجَّ الناس، فصعِد المنبر، فقال: أيُّها الناس، أنا مُقيم وأنتم على سفر، فلذلك أتممتُ.

٧٠٣ سَيْفُ الدَّولة(١)

[٤] **أبو الحسنِ عليُّ بنُ عبدِ الله بنِ حمدان، صاحبُ حلب، مقصدُ الوفود، وكعبةُ الجود، وفارسُ الإسلام، وحاملُ لواء الجهاد.**

كان أديباً مليحَ النَّظم، فيه تشيُّعٌ.

[٥] ويقال: ما اجتمع ببابِ ملكٍ من الشُّعراءِ ما اجتمعَ ببابِه. وكان يقول: عطاءُ الشُّعراءِ من فرائض الأُمراء.

وقد جُمع له من المدائح مُجلَّدان.

[٦] يقال: تمَّ له من الرُّوم أربعون وقعةً، أكثرها ينصُرُه الله عليهم.

[٧] وقيل: إنَّه في عيد نفَّذ إلى الناس ضحايا لا تُعَدُّ كثرةً، فبعثَ إلى اثني عشرَ ألف إنسان، فكان أكثر ما يبعثُ إلى الكثير منهم مئةَ رأس.

[٨] وتُوفِّيت أُختُهُ، فَخَلَّفت له خمس مئة ألفِ دينار، فافتكَّ بجميعها أسرى.

[٩] مولِدُه في سنة احدى وثلاث مئة. وله غزوٌ ما اتفق لملكٍ غيره وكان يُضرب

(١) انظر السير: ١٦/١٨٧ـ ١٨٩

بشجاعَته المثل، وله وقعٌ في النُّفوس، فالله يرحمه.

[١] مات بالفالج، وقيل: بعسر البَول، سنةَ ستٍّ وخمسين. وكان قد جمع من الغُبار الذي يقع عليه وقت المصافات قدر الكفّ، وأوصى أن يوضَعَ على خدِّه.

وكانت دولتُهُ نيِّفاً وعشرينَ سنةً.

٧٠٤ مُعزُّ الدَّولة(١)

[٢] **السُّلطان، أبـو الحسين، أحمدُ بنُ بُوَيه بن فنَّاخسرو الدَّيلَميُّ الفارسي، قد ساقَ نسبَهُ ابنُ خَلِّكان إلى كِسرى بهرام جُور. فالله أعلم.**

[٣] كان أبوه سَمَّاكاً، وهذا ربَّما احتَطَب، تملَّك العراق نيِّفاً وعشرينَ سنة، وكان الخليفةُ مقهوراً معه، وماتَ مَبطُوناً فعهد إلى ابنِهِ عزِّ الدولة بَختِيار، وكان يتشيَّع، فقيل: تاب في مرضه، وترضَّى عن الصحابة، وتصدَّق، وأعتق، وأراق الخمور ونَدم على ما ظَلَم، وردَّ المواريث إلى ذوي الأرحام وكان يقال له: الأقطع. طَارت يسارُه في حرب، وطارت بعضُ اليمنى، وسقط بينَ القتلى ثمَّ نجا، وتملَّك بغداد بلا كلفة ودانت له الأُمم، وكان في الابتداء تبعاً لأخيه الملك عماد الدَّولة.

مات سنةَ ستٍّ وخمسينَ وثلاث مئة، وله ثلاثٌ وخمسون سنة.

وقـد أنشـأ داراً غرم عليها أربعينَ ألفَ ألفِ درهم فبَقيت إلى بعد الأربع مئة ونقضت، فاشتَرَوا جردَ ما في سُقوفها من الذَّهب بثمانية آلاف دينار.

٧٠٥ كافُور(٢)

[٤] **صاحبُ مصر، الخادم الأستاذ، أبو المسك، كافورُ الإِخْشِيذِيُّ الأسود.**

تقدم عند مولاه الإخْشِيذ، وسادَ لرأيِهِ وحَزمِه وشجاعته فصيَّرهُ من كبار قوَّاده، ثم

---

(١) انظر السير: ١٦/١٨٩-١٩٠

(٢) انظر السير: ١٦/١٩٠-١٩٣

حاربَ سيف الدَّولة، ثم صار أتابَك أنُوجُور ابن أستاذه وتمكن.

ماتَ الملك أنوجور شاباً في سنة تسع وأربعين وثلاث مئة فأقام كافور أخاه علياً في السَّلطنـة، فبقي ستَّ سنين، وأزِمَّةُ الأُمورِ إلى كافور، وبعده تسلطن وركب الأسود بالخِلعة السوداء الخليفتية فأشار عليه الكبار بنصب ابنٍ لعليٍّ صورةً في اسم الملك، فاعتلَّ بصِغره، وما التفتَ على أحد، وأظهرَ أنَّ التقليد والأهبة جاءَته من المطيع، وذلك سنةَ خمسٍ وخمسين، ولم ينتطِح فيها عَنزان.

وكان مَهيباً، سائساً، حليماً، جواداً، وقوراً، لا يشبه عقلُه عقولَ الخدَّام وفيه [١] يقول المُتنبِّي:

قَواصدُ كافورٍ توارِكُ غَيرِه ... ومَنْ قَصَدَ البَحْرَ استَقَلَّ السَّواقيَا

فَجَاءَتْ بِنا إنسانَ عَينِ زَمانِهِ ... وخَلَّتْ بَيَاضاً خَلْفَهَا ومَآقِيا

فأقام عنده أربعَ سنين، ونالَه مال جزيل، ثم هجاه لآمَةً وكُفْراً لِنعمتِه وهرب على البَرِّيَّة يقول:

[٢] مَنْ عَلَّمَ الأَسْوَدَ المَخْصِيَّ مَكْرُمَةً ... أَقوامُهُ البِيْضُ أَمْ آباؤُهُ الصِّيْدُ

وذَاكَ أنَّ الفُحولَ البِيضَ عاجِزة ... عَنِ الجَميلِ فَكَيْفَ الخِصْيَةُ السُّودُ

ودُعِي لكافور على منابر الشَّام ِومصرَ والحرمين والثغور.

وكان ملازماً لمصالح الرعية.

وكانَ يتعبَّدُ ويَتَهَجَّدُ، ويمرِّغُ وَجْهَهُ، ويقول: اللهمَّ لا تُسلِّط عليَّ مَخلوقاً.

وكان يُقرأ عندَهُ السِّيَرُ والدول.

وله نُدماءُ وجوارٍ مغنِّيات، ومن المماليك أُلوفٌ مؤلَّفة، وكان فَطِناً، يَقظاً، ذكيّاً، يُهادي المعزَّ إلى الغرب، ويُداري ويخضع للمُطيع، ويخدع هؤلاء وهؤلاء.

وله نظر في الفقه والنحو.

توفي سنةَ سبعٍ وخمسينَ وثلاث مئة، ومات في عشر السبعين.

وقيل: مشتراه على الإخشيذ ثمانية عشر ديناراً.

وللمتنبِّي يهجوه ويَهجُو ابنَ حِنزابَة الوزير:

وَمَاذا بِمصرَ من المُضْحِكَاتِ ولكِنَّه ضَحِكٌ كالبُكَا
بهَا نَبَطِيٌّ مِنَ أهلِ السَّوَادِ يُدرِّسُ أنسابَ أهلِ الفَلا
وأسوَدُ مِشفَرُهُ نصفُه يُقالُ له أنتَ بدْرُ الدُّجَا
وشعرٍ مَدَحْتُ بِهِ الكركدَنَّ بيْنَ القَريضِ وبيْنِ الرُّقا
فَمَا كَانَ ذلِكَ مَدحاً له ولكنَّه كَانَ هَجْوَ الوَرىٰ

[١] وقد كان في كافور حلمٌ زائد، وكفٌّ عن الدماء، وجودة تَدبير.

٧٠٦ المُتَنَبِّي(١)

[١] شاعرُ الزمان، أبو الطَّيِّب، أحمدُ بنُ حسين بنِ حسن الجُعفيُّ الكوفيُّ الأديب، الشهير بالمُتنبِّي.

وُلد سنةَ ثلاثٍ وثلاث مئة، وأقامَ بالبادية، يَقتبِسُ اللُّغَةَ والأخبار، وكان من أذكياء عَصره.

بلغ الذروة في النَّظم، وأربى على المُتقدمين، وسار ديوانُه في الآفاق، ومدحَ سيفَ الدولةِ ملكَ الشام، والخادمَ كافوراً صاحبَ مصر، وعَضُدَ الدَّولةِ ملكَ فارسٍ والعراق.

وكان يركب الخيلَ بِزِيِّ العرب، وله شارة وغلمان وهَيئة.

وكان أبوه سقَّاءً بالكوفة، يعرف بعَبدان.

[٢] قيل: إنَّه جلسَ عند كُتبيٍّ، فطول المطالعة في كتاب الأصمعي فقال صاحبه: يا هذا أتريد أن تحفظَه؟ فقال: فإن كنت قد حفظتُهُ؟ قال: أَهَبُهُ لك، قال: فأخذ يقرؤه حتى فرغه وكان ثلاثينَ ورقة.

قال التَّنوخِيُّ: خرج المتنبي إلى بني كَلب، وأقامَ فيهم وزعَمَ أنّه علويّ، ثم تنبَّأ، فافتُضِحَ وحُبِسَ دهراً، وأشرف على القتل ثم تاب.

وقد نال بالشعر مالاً جليلاً، يُقالُ: وصل إليه من ابن العميد ثلاثون ألف دينار. وناله من عَضُدِ الدولة مثلها.

أُخذ عند النُّعمانية(٢)، فقاتل، فقتل هو وولده محسَّد وفتاه في رمضان سنة أربعٍ وخمسينَ وثلاث مئة.

وكان يُبَخَّل وقد طوَّلتُ أمرَه في «تاريخ الإسلام».

---

(١) انظر السير: ١٦/١٩٩-٢٠١

(٢) النعمانية: بليدة بين واسط وبغداد في نصف الطريق إلى ضفة دجلة، معدودة من أعمال الزاب الأعلى، وأهلها شيعة غالية كلهم. «معجم البلدان» ٥/٢٩٤.

وهو القائل:

لَولاَ المشقَّةُ سَادَ النَّاسُ كلُّهم الجُودُ يُفقِرُ والإقدامُ قَتَّال

وله هكذا عدةُ أبياتٍ فائقةٍ، يُضربُ بها المثل.

وكان معجباً بنفسه، كثير البأو والتِّيه، فمُقِتَ لذلك.

٧٠٧ صَاحِبُ الأغاني[١]

[١]**العـلاَّمة الأخباريّ، أبو الفَرَج، عليُّ بنُ الحسين بن محمدٍ القُرَشيُّ الأُمويُّ الأصبهانيُّ الكاتب، مصنِّفُ كتاب «الأغاني» من وَلَدِ مروان الحِمَار.**

كان بحـراً في نقـل الأدب، وكان بصيراً بالأنسابِ وأيام العرب، جيدَّ الشِّعر والعجب أنّه أُمويٌّ شيعيٌّ.

قال ابن أبي الفوارس: خلّط قبل موته.

قلت: لا بأس به.

وكان وَسِخاً زَرِيّاً، وكانوا يَتَّقون هجاءه.

[٢]وله حكاية مع الجهنيِّ المُحتسب: كان يُجازف، فقال مرة:

بالبلد الفلاني نعنعٌ يطول حتى يُعمل منه سلالم. فبدر أبو الفرج وقال: عجائبُ الدُّنيا ألوان، والقدرة صالحة، فعندنا ما هو أعجبُ مِن هذا، زوجُ حمامٍ، يبيضُ بَيْضَتَيْنِ، فنـأخـذُهُـمـا، ونضـع بدلَهمـا سنجتين[٢] نحـاساً، فتفقس عن طست ومسينه، فتضاحكوا وخجل الجهنيّ.

مات سنة ستٍّ وخمسين وثلاث مئة، وله اثنتان وسبعون سنة.

---

(١) انظر السير: ١٦/٢٠١-٢٠٣

(٢) ما يوزن به.

٧٠٨ الذُّهْلِيُّ (١)

[١]**الإمامُ العالمُ المسندُ المحدِّث، قاضي القُضاة، أبو الطَّاهر محمدُ بن أحمدَ ابن عبدالله الذُّهْلِيُّ البغداديُّ المالكيُّ، قاضي الدِّيارِ المصريَّة.**

وُلد سنة تسع وسبعين ومئتين، وسمع وهو ابن تسع سنين. وكان ثقة في الحديث.

قال عبدالغني: وقد قرأ القرآن وهو ابنُ ثمان سنين، وكان مفوَّهاً، حسن البديهة، شاعراً، علاَّمة، حاضرَ الحُجَّة، عارفاً بأيام الناس، غزيرَ المحفوظ، لا يَملُّه جليسُه من حسن حديثِه، وكان سمحاً كريماً، ولِيَ قضاءَ مصر سنة ثمانٍ وأربعينَ وثلاث مئة وأقام على قضائها ثمانيَ عشرةَ سنة.

[٢]قال عبدالغني: وسمعتُ الوزيرَ أبا الفَرَج يعقوبَ بنَ يوسف يقول: قال لي الأستاذ كافور: اجتمع بالقاضي أبي الطَّاهر، فسلِّم عليه وقل له: إنه بلَغَني أنَّك تنبسط مع جلسائك، وهذا الانبساطُ يُقِلُّ هَيْبَةَ الحكم، فأعلمتُه بذلك، فقال: قل للأستاذ: لستُ ذا مالٍ أفيضُ به على جُلسائي، فلا أقلَّ من خُلقي، فأخبرتُ الأستاذ، فقال: لا تعاوِدْهُ.

[٣]قال الحافظ عبدالغني: لما تلقى أبو الطاهر المعزَّ أبا تميم بالإسكندريَّة سأله المعز، فقال: يا قاضي، كم رأيت من خليفة؟ قال: واحد: قال: من هو؟ قال: أنت، والباقون ملوك، فأعجبه ذلك، ثم قال له: أحجَجْتَ؟ قال: نَعَم، قال: وسلَّمت على الشَّيخين؟ قال: شغَلني عنهما النبيُّ ﷺ كما شغلني أميرُ المؤمنين عن وليِّ عهده، فازداد به المعزُّ إعجاباً، وتخلص من وليِّ العهد إذ لم يسلِّم عليه بحضرةِ المعز فأجازَهُ المعزُّ يومئذٍ بعشرة آلاف درهم.

---

(١) انظر السير: ١٦/ ٢٠٤ـ ٢١٠

ولم يزل أمرُه مستقيماً إلى أن لحقته علّة عطّلت شقّه في سنة ٣٦٦هـ فقلد العزيزُ صاحبُ مصر القضاءَ حينئذ عليَّ بنَ النُّعمان.

مات سنة سبع وستين وثلاث مئة.

٧٠٩ المُسْتَنْصِر(١)

[١] **الملَقب بأمير المؤمنين، المستنصِرُ بالله، أبو العاص، الحكمُ بنُ الناصر لدين الله عبدالرحمن بن محمد الأُمويُّ المَرواني صاحب الأندلس وابن مُلوكها.**

وكانت دولتُهُ ستَّ عشرةَ سنة، وعاش ثلاثاً وستين سنة.

[٢] وكـان جيِّدَ السِّيرة، وافـرَ الفضيلة، مُكرماً للوافدين عليه، ذا غرامٍ بالمُطالعة وتحصيلِ الكتبِ النفيسةِ الكثيرةِ حقِّها وباطلِها بحيثُ إنها قاربت نحواً من مئتي ألفِ سِفْر، وكان ينطوي على دِين وخَير.

[٣] وكان باذلاً للذَّهب في استجلاب الكتب، ويعطي من يتَّجرُ فيها ما شاء حتى ضاقت بها خزائنُه، لا لَذَّة له في غير ذلك.

[٤] وكان عالماً أخبارياً، وقوراً، نسيج وَحدِه.

[٥] وكان الحكمُ موثَّقاً في نقله، قلَّ أن تجد له كتاباً إلَّا وله فيه نظرٌ وفائدة، ويكتب اسم مؤلِّفه ونسبَه ومولدَه، ويُغرب ويُفيد.

[٦] ومن محاسنه أنه شدد في الخمر في ممالكه، وأبطله بالكلية وأعدمه.

[٧] وكان يتأدب مع العلماء والعباد، التمس من زاهد الأندلس أبي بكر يحيى بن مجاهد الفزاري أن يأتي إليه، فامتنع، فمر في موكبه بيحيى وسلّم عليه، فرد عليه ودعا له، وأقبلَ على تلاوته ومر بحلقة شيخ القُرّاء أبي الحسن الأنطاكي، فجلس ومنعهم من القيام له، فما تحرَّك أحد.

مات بقصر قُرطبة سنة ستٍّ وستين وثلاث مئة.

ويُـويع ابنُه هشام وله تسع سنين أو أكثر ولُقِّب بالمؤيد بالله، فكان ذلك سبباً لتلاشي دولة المروانيَّة، ولكن سدَّد أمرَ المملكة الحاجبُ الملقب بالمنصور أبي عامر محمد بن عبدالله بن أبي عامر القحطاني، وإليه كان العقد والحل، فساس أتمَّ سياسة.

---

(١) انظر السير: ١٦/ ٢٣٠ـ ٢٣١

٧١٠ الصُّعْلُوكي(١)

[١]**الإمـامُ العـلاّمـة ذو الفنونِ أبو سهل، محمدُ بنُ سليمانَ بن محمدٍ العجليُّ الصُّعلوكيُّ النَّيسابوريّ، الفقيهُ، الشافعيّ، المتكلِّم، النحويُّ المفسر، اللغوي، الصوفيُّ، شيخُ خراسان.**

أفتى ودرَّس بنيسابور نيِّفاً وثلاثين سَنَة.

[٢]قال أبو القاسم القُشَيريُّ: سمعت أبا بكر بن فُورك يقول: سُئِل الأستاذُ أبو سَهل عن جواز رؤية الله بالعقل، فقال: الدليلُ عليه شوقُ المؤمنينَ إلى لقائه، والشوقُ إرادةٌ مفرطة، والإرادةُ لا تتعلق بمُحال.

[٣]وقال السُّلمي: سمعت أبا سهل يقول: ما عقدت على شيء قطُّ، وما كان لي قفل ولا مفتاح ولا صررت على فضة ولا ذهب قطُّ.

[٤]عمرو بن مسرور، أنشدنا أبو سَهل الحَنفي لنفسه:

أنامُ علَى سَهوٍ وتَبكي الحَمَائمُ ... ولَيس لها جُرمٌ ومنِّي الجَرائِمُ

كذبتُ وبيتِ الله لو كُنتُ عَاقلاً ... لما سبقَتْني بالبُكاء الحَمَائِمُ

توفي أبو سهل سنة تسع وستين وثلاث مئة.

٧١١ يحيى بنُ مُجاهد(٢)

[٥]**ابن عوانة، أبو بكر الفزاريُّ الأندلسيُّ الإلبِيريُّ الزَّاهد.**

[٦]ذكر ابنُ بشكوال في غير «الصِّلة» فقال: زاهد عَصره، وناسك مِصْرِه، الذي به يتبرَّكون، وإلى دعائه يَفزعون.

كان منقطعَ القَرين، مجابَ الدعوة، جُرِّبت دعوتُه في أشياء ظهرت، حج وعُني بالقراءات والتفسير، وله حظٌّ من الفقه، لكن غلبت عليه العبادة.

(١) انظر السير: ١٦/٢٣٥ـ ٢٣٩.

(٢) انظر السير: ١٦/٢٤٤ـ ٢٤٦.

[١] وذكره عمرُ بنُ عفيف، فقال: كان من أهل العلم والزُّهد والتقشُّف والعبادة، وجميل المذهب، لم تر عيْنيَّ مثلَه في الزُّهد والعبادة، يلبس الصوف، ويمشي حافياً مرة، وينتعل مرة فحدثني محمد بن أبي عثمان، عن أبيه أن الحكم المستنصر بالله أحب أن يجتمع بيحيى بن مجاهد الزاهد، فلم يقدر عليه، ووجَّه إليه من يتلطف به ويستعطفه، فقال: مالي إليه حاجة وإنما يدخل على السُّلطانِ الوزراءُ، وأهل الهيئة، وأيشٍ يعمل بأصحاب الأطمار الرَّثَّة، فوجه إليه الحكم جبَّةَ صوف وغَفّارة وقميصاً من وسط الثياب ودنانير، فلما نظر إليها قال: مالي ولهذه؟ ردوها على صاحبها، ولئن لم يتركوني سافرت، فيئس من لقائه وتركه، وكان يجلسُ إلى مؤدبٍ بالجامع يأنسُ به.

توفي ابن مجاهد سنة ست وستين وثلاث مئة وهو ابن سبعين سنة أو نحوها.

٧١٢ عَضُدُ الدَّولة(١)

[٢] **السُّلطان، عضد الدولة، أبو شجاع، فَنَّاخُسْرُو، صاحب العراق وفارسَ، ابن السلطان ركن الدولةِ حسن بن بُويه الدَّيلمي.**

تملَّك بفارس بعد عمِّه عمادِ الدَّولة ثم كثرت بلادُه واتسعت ممالكهُ وسار إليه المتنبي ومدحه، وأخذ صِلاتِه.

قصد عضد الدولة العراق، والتقى ابن عمه عز الدولة وقتله وتملك، ودانت له الأمم.

وكان بطلاً شجاعاً مهيباً، نحوياً، أديباً، عالماً، جباراً عَسوفاً، شديد الوطأة.

[٣] وكان يقول الشعر، فقال أبياتاً كفريَّةً:

ليس شربُ الراح إلاَّ في المَطَر وغناء مِنْ جوارٍ في السَّحَر
مبرزات الكأسِ من مَطلِعها ساقيات الرَّاح من فَاق البشَر

(١) انظر السير: ١٦/٢٤٩-٢٥٢

عضد الدولةِ وابن رُكنِها ملكُ الأَملاكِ غَلَّاب القَدَر

[١]نُقل أنه لما احتضر ما انطلق لسانه إلا بقوله تعالى: ﴿ما أغنَى عَنِّي مالِيَه، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه﴾ [الحاقة ٢٨- ٢٩] ومات بعلَّة الصَّرَع، وكان شيعياً جلداً أظهر بالنجف قبراً زعم أنه قبر الإمامِ عليّ، وبنى عليه المشهد، وأقام شعارَ الرفض، ومأتمَ عاشوراء، والاعتزال.

تملك العراق خمسة أعوام ونصفاً، وما تلقى خليفة ملكاً من قدومه قبله.

مات سنة اثنتين وسبعين وثلاث مئة ببغداد وعُمل في تابوت، ونُقل فدفن بمشهد النجف، وعاش ثمانياً وأربعين سنة وقام بعده ابنه صَمْصَامُ الدَّولة وحلفوا له، وقلَّده الطائع.

[٢]قال عبدالله بن الوليد: سمعت أبا محمد بن أبي زيد يسأل ابنَ سعدي لما جاء من الشرق: أحضرت مجالس الكلام؟ قال: مرتين ولم أعد، فأول مجلس جمعوا الفرق من السنة والمبتدعة واليهود والنَّصارى والمجوس والدهريَّة ولكل فرقة رئيس يتكلم وينصر مذهبه، فإذا جاء رئيس قام الكل له فيقول واحد: تناظروا ولا يحتج أحد بكتابه، ولا بنبيِّه، فإنا لا نصدِّق بذلك ولا نُقِرُّ به، بل هاتوا العقل والقياس، فلما سمعتُ هذا لم أعُد، ثم قيل لي: ها هنا مجلسٌ آخر للكلام، فذهبت فوجدتهم على مثل سيرةِ أصحابِهم سواء، فجعل ابن أبي زيد يتعجب وقال: ذهبتِ العلماء وذهبتْ حُرمةُ الدِّين.

[٣]قلت: فنحمد الله على العافية، فلقد جرى على الإسلام في المئة الرابعة بلاءٌ شديد بالدولة العُبيدية بالمغرب، وبالدولة البُويهِيَّة بالمشرق، وبالأعراب القرامطة، فالأمر لله تعالى.

٧١٣ النَّصْرابَاذِي[1]

[١]**الإمامُ المحدِّثُ، القدوةُ الواعظ، شيخُ الصُّوفية، أبو القاسم إبراهيم بن محمد ابن أحمد الخُراسانيُّ النَّصراباذيُّ النيسابوريُّ الزاهد، ونصرآباذ: محلة من نَيسابور.**

قال أبو عبدالرحمن السُّلمي: كان شيخَ الصُّوفية بنَيسابور،له لسان الإشارة مقروناً بالكتاب والسنة، وكان يرجع إلى فنون منها حفظ الحديث وفهمُه وعلم التاريخ وعلوم المعاملات والإشارة.

[٢]ومع عظم محلِّه كم من مرةٍ قد ضُرب وأُهين، وكم حُبس، فقيل له: إنك تقول: الروح غير مخلوقة، فقال: لا أقول ذا، ولا أقول إنها مخلوقة بل أقول: الروح من أمر ربي، فَجَهِدُوا به، فقال: ما أقول إلا ما قال الله.

قلت: هذه هفوةٌ، بل لا ريب في خلقها، ولم يكن سؤال اليهودِ لنبينا ﷺ عن خلقها ولا قدمها، إنما سألوا عن ماهيتها وكيفيَّتها، قال الله تعالى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شيء﴾ [الزمر ٦٢] فهو مُبدع الأشياء وموجِدُ كل فصيح وأعجم، ذاته وحياته وروحه وجسده، وهو الذي خلق الموتَ والحياةَ والنفوسَ، سُبحانَه.

[٣]ثم قال السُّلمي: وقيل له: إنـكَ ذهبت إلى النَّـاووس وطُفتَ به وقُلتَ: هذا طوافي فَتَنقَّصت بهذا الكعبة!! قال: لا ولكنهما مخلوقان، لكن بها فضلٌ ليس هنا، وهذا كمن يُكرمُ كلباً، لأنه خَلْقُ الله، فعوتب في ذلك سنين.

قلت: هذه ورطة أخرى. أفتكون قبلة الإسلام، كقبر يطاف به، فقد لعن رسول الله ﷺ من اتخذ قبراً مسجداً.

قال السُّلمي: سمعت جدي يقول: منذ عرفت النصراباذي ما عرفتُ له جاهلية.

وقـال الحـاكم: هو لسـانُ أهـلِ الحقـائقِ في عصـره، وصـاحبُ الأحـوال

---

(١) انظر السير: ١٦/٢٦٣-٢٦٧

الصحيحة. وكان يَعِظُ ويُذَكِّرُ، وجاور في سنة خمسٍ وستين، وتعبَّد حتّى دُفن بمكة، سنةَ سبع وستين وثلاث مئة، ودُفن عند الفضيل، وبِيعت كتبُه، فكشفت تلك الكتُب عن أحوالٍ، والله أعلم.

[١] وسمعته يقول: إن كان بعد الصّديقين موحِّدٌ فهو الحلاَّج.

قلتُ: وهذه ورطة أخرى، بل قُتل الحلاّج بسيفِ الشرع على الزَّندَقَة وقد جَمعتُ بلاياه في جُزءين، وقد كان النَّصرَاباذي صحب الشبلي ومشى على حذوه، فواغوثاه بالله.

ومن كلامه: نهايات الأولياء بدايات الأنبياء.

[٢] وقال: أصلُ التصوُّفِ ملازمةُ الكتاب والسنَّة، وتركُ الأهواءِ والبدعِ، ورؤيةُ أعذارِ الخلق، والمداومة على الأورادِ، وتركُ الرُّخَصِ.

٧١٤ القَفَّالُ الشَّاشِي(١)

[٣] **الإمامُ العلاّمة، الفقيهُ الأصوليُّ اللُّغويّ، عالمُ خُراسان أبو بكر محمد بن عليِّ ابن إسماعيل الشاشيُّ الشافعيُّ القَفَّالُ الكبير، إمامُ وَقتِه بما وراء النَّهر، وصاحبُ التصانيف.**

أرخ وفاته الحاكم في سنة خمس وستين وثلاث مئة بالشاش.

[٤] قال أبو الحسن الصَّفّار: سمعتُ أبا سَهلٍ الصُّعلُوكي، وسئل عن تفسير أبي بكر القفال، فقال: قدَّسَهُ من وَجه، ودنَّسهُ من وَجْهٍ أي: دنَّسهُ من جهة نَصْره للاعتزال.

قلتُ: الكمالُ عزيزٌ، وإنما يمدحُ العالم بكثرةِ ماله من الفضائل، فلا تُدفن المحاسنُ لورطة، ولعلَّه رجع عنها. وقد يُغفر له باستفراغه الوُسْعَ في طلب الحقِّ، ولا قوة إلا بالله.

---

(١) انظر السير: ١٦/٢٨٣-٢٨٥

[١] قال أبو بكر البَيْهَقيّ في «شعب الإيمان» أنشدنا أبو نصر بنُ قَتادة، أنشدنا أبو بكرٍ القفال:

أوِّسعُ رَحْلي على مَن نَزَلْ وَزَادِي مُبَاحُ عَلى مَن أكل
نُقدِّمُ حاضِرَ ما عِندَنا وإن لَمْ يَكُن غيرَ خُبزٍ وخَلّ
فأمّا الكريمُ فَيَرضَى بِهِ وأَمَّا اللَّئيمُ فَمَنْ لَمْ أُبَل

انتهى الجزء الثانى
والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

•••

ويليه الجزء الثالث وأوله :
الطبقة الحادية والعشرون
أبو عثمان المَغْرِبُّى

نزهة الفضلاء

تهذيب

سير أعلام النبلاء

للإمام الذهبي

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

٧٤٨ هـ

الجزء الثالث

محمد حسن عقيل موسى

الناشر

دار الأندلس

للنشر والتوزيع - جدة



الطبقة الحادية والعشرون

٧١٥ أبو عثمان المَغْرِبيُّ(١)

[١]الإمامُ القدوة، شيخُ الصُّوفيَّة، أبو عثمان، سعيدُ بن سلَّام المغربيُّ القيروانيُّ، نزيل نَيسابور.

سافَر وحجَّ، وجاورَ مدَّة.

[٢]وقال السُّلَمي: كان أوحدَ المشايخ في طريقته، لم نَرَ مثلَه في علو الحال وصون الوقت، امتُحن بسبب وِزرٍ نُسبَ إليه، حتى ضُرب وشُهر على جمل، ففارق الحرمَ.

وقال الخطيب: وكان من كبار المشايخ، له أحوال وكرامات.

وقال الحاكم: سمعتُهُ يقول ـ وقد سُئِل: الملائكةُ أفضلُ أم الأنبياء؟ فقال: القُربَ القربَ، هم أقربُ إلى الحق وأطهر.

[٣]قال السُّلمي: سمعتُه يقول: ليكن تدبُّرُك في الخلق تدبرَ عِبرة، وتدبُّرك في نفسك تدبر موعظة، وتدبرك في القرآن تدبر حقيقة. قال الله تعالى: ﴿أفلاَ يَتَدبَّرون القرآن﴾ [النساء ٨٢] جرَّأك به على تلاوته، ولولا ذلك لكلَّت الألسُنُ عن تلاوتِه.

[٤]وقال: من أعطى الأماني نفسَه قَطَعَتها بالتَّسويف وبالتواني.

[٥]وسمعتُه يقول: علوم الدقائق علوم الشياطين، وأسلمُ الطُّرق من الاغترار لزومُ الشريعة.

توفي سنة ثلاثٍ وسبعينَ وثلاث مئة.

---

(١) انظر السير: ١٦/ ٣٢٠ـ ٣٢١

٧١٦ ابنُ خَفِيف(١)

[١]الشيخُ الإمامُ العارف الفقيه القدوة، ذو الفنون، أبو عبدالله محمدُ بنُ خَفيف بن اسكفشار الضبيُّ الفارسيُّ الشيرازي، شيخ الصُّوفية.

وُلد قبل السَّبعينَ ومئتين.

قال السُّلمي: أقام بشِيراز، وأُمه نَيْسابوريَّة، وهو اليومَ شيخُ المشايخ، وتاريخُ الزمان، لم يبق للقوم أقدمُ منه، ولا أتمّ حالاً. صحب رُوَيْم بنَ أحمد، وابنَ عطاء، ولقِيَ الحلاَّج، وهو من أعلم المشايخ بعلوم الظَّاهر، متمسِّكٌ بالكتابِ والسُّنة، فقيه شافعيّ.

[٢]قال أبو الفتح عبدُ الرَّحيم خادمُ ابنِ خَفيف: سمعتُ الشيخَ يقول: سَألَنا يوماً أبوالعبَّاس ابنُ سُريج بشِيراز ونحن نحضرُ مجلسَه للفقه فقال: أمحبَّةُ الله فرضٌ أو لا؟ فقلنا: فرض. قال: ما الدَّليلُ؟ فما فينا مَن أجاب بشيء، فسألناه، فقال: قوله تعالى: ﴿قُل إن كَانَ آباؤكُمْ وأبنَاؤكُمْ﴾ إلى قوله ﴿أحَبَّ إلَيْكُمْ مِنَ الله وَرَسُولِه﴾ الآية [التوبة ٢٤]. قال: فتوعدهم الله على تفضيل محبَّتِهم لغيرِه على مَحَبَّتِهِ، والوعيد لا يقعُ إلا على فرضٍ لازم.

[٣]قال ابن باكُويَه: سمعتُ ابنَ خفيف يقول: كنتُ في بدايتي ربَّما أقرأُ في ركعةٍ واحدة عشرةَ آلاف ﴿قُلْ هُوَ الله أحَدَ﴾ وربما كنت أقرأُ في ركعةٍ القرآن كلَّه.

[٤]ورُويَ عن ابنِ خفيف، أنَّه كان به وجعُ الخاصِرة، فكان إذا أصابه أقعَدَهُ عن الحركة، فكان إذا نُودي بالصلاة يحملُ على ظهر رَجل، فقيل له: لو خفَّفتَ على نفسِكَ؟! قال: إذا سمعتُم حيّ على الصَّلاة ولم تَروني في الصف فاطلبوني في المقبرة.

[٥]قال ابن باكويه: سمعتُ ابنَ خفيف يقول: ما وجبت عليَّ زكاةُ الفِطرِ أربعين سنة.

(١) انظر السير: ١٦/٣٤٢-٣٤٧

[١]قال ابن باكويه: نظر أبو عبدالله بنُ خفيف يوماً إلى ابن مكتوم وجماعة يكتبون شيئاً، فقال: ما هذا؟ قالوا: نكتُبُ كذا وكذا، قال: اشتغلوا بتعلُّم شيء، ولا يغرنَّكم كلامُ الصُّوفيَّة فإني كنتُ أخبيء مِحبرتي في جيب مَرقَّعي، والورق في حجزةِ سَراويلي وأذهب في الخِفيَةِ إلى أهل العلم، فإذا علموا بي، خاصَمُوني وقالوا: لا يفلح، ثمَّ احتاجوا إليّ.

قلت: قد كان هذا الشيخ قد جمعَ بين العلمِ والعَمَل، وعُلوِّ السَّنَد، والتمسُّكِ بالسُّنن، ومُتِّعَ بطول العُمر في الطاعة.

[٢]عاش خمساً وتسعين سنة، وازدحَمَ الخلقُ على سريره، وكان أمراً عجيباً، وقيل: إنَّهم صَلَّوْا عليه نحواً من مئة مرَّة.

٧١٧ - ابنُ أبي ذُهل (١)

[٣]الإمامُ الحافظُ الأنْبَل، رئيسُ خُراسان، أبوعبدالله محمدُ بنُ العبَّاس محمدِ العُصميُّ، الضَّبيُّ الهَرَوي.

مولدُهُ في سنةِ أربعٍ وتسعينَ ومئتين.

وكان إماماً نبيلاً، وصدراً عظيماً، كثيرَ الأموال والبذْل للمُحدِّثين والأخيار.

[٤]قال الحاكم: صحبتُهُ حضراً وسفراً، فما رأيت أحسنَ وضوءاً ولا صلاةً منه، ولا رأيتُ في مشايخنا أحسنَ تضرُّعاً وابتهالاً منه. قيل لي: إنَّ عُشر غلَّتهِ تبلغُ ألفَ حِمْل. وحدَّثني أبو أحمد الكاتب أنَّ النُّسخةَ بأسامي مَنْ يمونُهم تزيدُ على خمسةِ آلافِ بَيْت، وقد عُرِضتْ عليه ولاياتٌ جَليلَة فأبى.

(١) انظر السير: ١٦/ ٣٨٠-٣٨٢

قال الخـطيب: كانَ ثِقَـة، نبيلاً، من ذوي الأقدارِ العَالية سمعتُ البرقاني يقول: كانَ ملكُ هَرَاه من تحتِ أمرِهِ لقَدْرِهِ وأُبُوَّته.

استشهد ابنُ أبي ذُهل سنةَ ثمانٍ وسبعينَ وثلاث مئة.

٧١٨ ابنُ المُقرىء[١]

[١]الشَّيخُ الحافظُ الجَوَّال الصَّدوق، مُسْنِدُ الوقتِ، أبو بكر، محمد بنُ ابراهيمَ بن عليٍّ، الأصبهانيُّ ابن المُقرىء.

وُلِدَ سنة خمسٍ وثمانينَ ومئتين.

وقال أبو نُعيم: محدِّث كبيرٌ، ثقةٌ، صاحبُ مسانيد، سمع ما لا يُحصى كَثْرَةً.

[٢]أبو طاهر أحمدُ بنُ محمود: سمعتُ أبا بكر بن المُقرىء يقول: طفتُ الشَّرقَ والغربَ أربعَ مرّات.

[٣]وروى رجلان عن ابنِ المُقرِيء: قال: مَشَيتُ بسببِ نُسخةِ مفضَّلِ بنِ فَضَالَة سبعين مَرْحَلَة، ولو عُرِضَت على خباز برغيفٍ لم يَقْبَلْها.

[٤] قال أبو طاهر بن سَلَمة: سمعتُ ابن المُقرىء يقول: دخلتُ بَيْتَ المَقدِسِ عشرَ مرّات، وحَجَجْتُ أربعَ حجّات، وأقمتُ بمكّة خمسةَ وعشرين شَهراً.

---

(١) انظر السير: ١٦/٣٩٨-٤٠٢

[١]قيل للصاحب إسماعيلَ بن عبّاد: أنتَ رجلٌ معتزلي وابنُ المقرىء محدِّث، وأنت تحبُّه! قال: لأنَّه كان صديقَ والدي، وقد قيل: مودَّةُ الآباء قرابَةُ الأبناء، ولأني كنتُ نائماً فرأيتُ النبيَّ ﷺ في النوم يقول لي: أنتَ نائم، ووَليٌّ من أولياءِ الله على بابك؟! فانتبهتُ ودعوتُ وقلتُ: مَنْ بالبَاب؟ فقال: أبو بكر بنُ المُقرىء.

[٢]وقد سمع ابنُ المقرىء الحديثَ في نحوٍ من خمسين مدينة.

قال أبوطاهر بنُ سَلمة: سمعتُ ابنَ المُقرىء يقول: استلمتُ الحَجَرَ في ليلةٍ مئةً وخمسينَ مرَّة.

تُوفَي ابنُ المُقرىء سنة إحدى وثمانينَ وثلاث مئة، وله ستٌّ وتسعونَ سنَة.

٧١٩ الدَّارَكيّ(١)

[٣]**الإمامُ الكبير، شيخُ الشَّافعية بالعراق، أبو القاسم، عبدالعزيز بنُ عبدالله بن محمدٍ الدَّاركيُّ الشَّافعيّ.**

وُلِدَ بعدَ الثلاثِ مئة.

وتفقَّه بأبي إسحاقَ إبراهيمَ بنِ أحمدَ المَرْوزي، وتصدَّر للمذهب فتفقَّه به الأستاذ أبو حامد الإسفراييني وجماعة.

[٤]قال ابنُ خلِّكان: كان يُتَّهم بالاعتزال، وكان ربَّما يختار في الفتوى، فيقال له في ذلك، فيقول: ويْحكُم! حدَّث فلانٌ عن فلانٍ، عن رسول الله ﷺ بكذا وكذا، والأخذُ بالحديثِ أولى من الأخذ بقول الشَّافعيِّ وأبي حَنيفة.

قلت: هذا جيِّد، لكن بشرطِ أن يكونَ قد قال بذلك الحديثِ إمامٌ من نظراء هذين الإمامَين مثل مالك، أو سُفيان، أو الأوزاعي وبأن يكون الحديث ثابتاً سالماً من علَّة، وبأن لا يكون حجةُ أبي حنيفةَ والشَّافعيِّ حديثاً صحيحاً معارضاً للآخر. أما من أخذ بحديثٍ صحيح وقد تنكَّبه سائرُ أئمةِ الاجتهاد، فلا، كخبر: «فإن شَربَ

(١) انظر السير: ١٦/٤٠٤-٤٠٦

في الرَّابِعَةِ فَاقْتُلُوه»، وكحديث «لَعَنَ الله السارِقَ، يَسْرِقُ البَيْضَة، فَتُقْطَع يَدُه».

توفي الدَّارَكيُّ ببغداد سنةَ خمسٍ وسبعينَ وثلاث مئة وهو في عشر الثَّمانين.

وكان ثقةً صَدوقاً.

ودارَك: من أعمال أَصبَهان

٧٢٠ ابنُ كِلِّس[١]

وزيرُ المعزِّ والعَزيز، أبو الفرج، يعقوبُ بنُ يوسفَ بنِ إبراهيمَ البَغداديُّ الذي كان يهودياً فأَسلَم.

كان داهيَةً، ماكراً، فَطِناً، سائساً، من رجال العالم.

سافر إلى الرَّملة، وتوكل للتّجار، فانكسرَ عليه جملة، وتعثَّر فهربَ إلى مصر، وجرتْ له أمورٌ طويلة، فرأى منه صاحبُ مصرَ كافور الخادِم فطنَةً وخبرةً بالأُمور، وطمِعَ هو في التَّرقِّي، فأَسلَم يوم جُمعة، ثم فَهِمَ مقاصِدَهُ الوزيرُ ابنُ حِنزابةَ فعمل عَلَيه، ففرَّ منه إلى المَغرب، وتوصَّل بيهود كانوا في باب المعزِّ العُبيدي، فنفق على المعزِّ، وكشفَ له أُموراً، وحسَّن له تملكَ البلاد، ثمَّ جاءَ في صُحبتِهِ إلى مصر، وقد عظُمَ أمرُه، ولما وَلِيَ العزيزُ سنةَ خمسٍ وستينَ استوزرَهُ، فاستمرَّ في رفعة وتمكّن، إلى أن مات.

وكان عاليَ الهِمَّة، عظيمَ الهَيبَة، حَسَنَ المُداراة.

مرضَ فنزل إليه العزيز يعوده، وقال: يايعقوب وددتُ أنَّك تُباع فأشتريكَ من الموت بمُلكي، فهل من حاجَة؟ فَبَكى وقبَّل يَدَه وقال: أمّا لنفسي فَلاَ، ولكن فيما يتعلَّق بك، سالِمِ الرُّومَ ما سَالَمُوك، واقنَع من بَني حَمدان بالدعوةِ والسّكَّة، ولا تُبقِ على المفرج بنِ دَغفل مَتى قَدَرت.ثمَّ ماتَ، فدفنهُ العزيزُ في القَصر في قُبَّةٍ

(١) انظر السير: ١٦/٤٤٢-٤٤٤

أنشأها العزيزُ لنَفْسِه، وألحدَهُ بيده، وجَزِعَ لفَقْدِه.

ويقال: إنَّه كان حَسُنَ إسلامُه مع دُخوله في الرَّفض، وقرأ القُرآنَ والنَّحو، وكان يحضرُ عندَه العُلماء، وتُقرأ عليه تواليفُه ليلةَ الجُمعة، وله حُبٌّ زائد في العلوم، على اختلافها.

وقد مَدَحَهُ عِدَّةٌ من الشُّعراء، وكان جَواداً مُمَدَّحاً.

وقال العزيز وهو يبكي: واطولَ أسفي عَلَيكَ يا وزير.

مات سنةَ ثمانين وثلاث مئة، وله اثنتان وستُّون سنة، وخلَّف من الذَّهب والجَوْهر والمتاع مالا يوصُف كَثْرَة، ولا ريبَ أنَّ مَلِكَ مِصْرَ في ذاك العصر، كان أعظَمَ بكثير من خلفاء بني العبّاس، كما الآن صاحب مصر أعلى ملوكِ الطوائف رُتبةً ومملكة.

٧٢١ الدّارَقُطنيُّ(١)

الإمامُ الحافظُ المجوِّد، شيخُ الإسلام، علم الجهابذَة، أبو الحسن عليُّ بن عمر بن أحمَدَ، البغداديُّ، المقرىء المحدِّث، من أهل محلة دار القطن ببغداد.

وُلِدَ سنة ستٍّ وثلاث مئة.

وكان من بحور العلم، ومن أئمّة الدُّنيا، انتهى إليه الحفظ ومعرفة عِلَل الحديث ورجـالـه، مع التقـدّم في القـراءات وطُرقِها وقوة المشاركة في الفقه والاختلاف والمغازي، وأيّام النّاس، وغير ذلك.

صنَّف التصانيف، وسار ذكرُهُ في الدنيا، وهو أوّلُ مَنْ صنَّف القراءات، وعقد لها أبواباً قبل فرشِ الحروف.

وسمع حروف السَّبعة من أبي بكر بن مُجاهد، وتصدر في آخر أيامِه للإقراء، لكنْ لم يبلغنا ذكرُ من قرأ عليه.

---

(١) انظر السير: ١٦/٤٤٩- ٤٦١

قال أبو بكر الخطيب: كان الدَّارَقطنيُّ فريدَ عصرِه، وقريعَ دَهْرِه، ونَسِيجَ وَحْدِه، وإمـام وَقْتِـه، انتهى إليه علوُّ الأثـرِ والمعرفة بعلل الحديث وأسماء الرجال، مع الصدق والثِّقة، وصحة الاعتقاد، والاضطلاع من علومٍ، سوى الحديث، منها القـراءات فإنـه له فيها كتاب مختصر، جمع الأصول في أبواب عقدها في أول الكتـاب، وسمعت بعض من يعتني بالقـراءات يقول: لم يُسبق أبو الحسن إلى طريقته في هذا، وصار القرّاء بعده يسلكون ذلك.

[١]قال الخـطيب: حدثنـا الأزهريُّ قال: بلغني أنَّ الدَّارَقطنيَّ حضر في حداثته مجلسَ إسمـاعيلَ الصفَّار، فجعل ينسخ جزءاً كان معه وإسماعيل يُملي، فقال رجـل: لا يصـحُّ سمـاعُك وأنتَ تنسخ فقال الدارقطنيُّ: فهمي للإملاء خلافُ فهمِك، كم تحفظ أمْلى الشيخ؟ فقال: لا أحفظ، فقال الدَّارقطني: أملى ثمانيةَ عشر حديثاً الأولُ عن فلانٍ عن فلان، ومتنُه كذا وكذا، والحديث الثاني عن فلان عن فلان، ومتنه كذا وكذا، ومرَّ في ذلك حتى أتى على الأحاديث، فتعجّب الناس منه.

[٢]قال رجاء بن محمد المعدّل: قلت للدّارَقطني: رأيتَ مثل نفسك؟ فقال: قال الله: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فألححتُ عليه فقال: لم أر أحداً جمع ما جمعت، وقال أبو ذر: قلت لأبي عبدالله الحاكم: هل رأيت مثلَ الدارَقطنيّ؟ فقال: هو ما رأى مثلَ نفسِه، فكيف أنا؟

[٣]قال أبـو الحسن العَتيقي: حضرتُ أبا الحسن، وجاءه أبو الحسين البَيْضاويُّ بغريب ليقرأ له شيئاً فامتنع واعتلَّ ببعض العلل. فقال: هذا غريب، وسأله أن يُمليَ عليه أحـاديث، فأملى عليه أبـو الحسن من حِفـظه مجلسـاً تزيدُ أحـاديثه على العشـرين. مَتْنُ جميعِها: «نعمَ الشَّيءُ الهديَّة أمامَ الحَاجَة»(١)، قال: فانصرف الرجل، ثم جاءه بعد، وقد أهدى له شيئاً، فقرَّبه وأملى عليه من حفظه سبعةَ عشر

(١) خبر باطل

حديثاً، متونُ جميعها: «إذا أَتَاكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوه».

قلت: هذه حكاية صحيحة، رواها الخطيب عن العتيقي، وهي دالة على سعة حفظِ هذا الإمام، وعلى أنه لوَّح بطلب شيء، وهذا مذهب لبعض العلماء، ولعل الدَّارَقطنيَّ كان إذ ذاك مُحْتاجاً، وكان يقبل جوائزَ دَعْلَج السِّجزي وطائفة، وكذا وَصَلَه الوزير ابن حِنزَابةَ بجملة من الذهب لما خرَّج له المسند.

توفي سنةَ خمسٍ وثمانين وثلاث مئة.

[١]أبو نصر عليُّ بنُ هبة الله بن ماكُولا، قال: رأيتُ كأني أسألُ عن حال الدَّارَقطنيِّ في الآخرة، فقيل لي: ذاك يُدعىَ في الجنة: الإمام.

[٢]وقال الدارَقطنيُّ: اختلفَ قوم من أهل بغداد، فقال قوم: عثمان أفضل، وقال قوم: عليٌّ أفضل، فتحاكموا إليَّ، فأمسكتُ وقلت: الإمساك خيرٌ، ثم لم أرَ لديني السكـوت، وقلت للذي استفتـاني: ارجع إليهم، وقل لهم: أبو الحسن يقول: عثمانُ أفضلُ من عليٍّ باتِّفاق جماعةِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ، هذا قول أهل السُّنة وهو أول عقد يحلّ في الرَّفض.

[٣]قلت: ليس تفـضـيلُ عليٍّ برفض ولا هو بدعـــة، بل قد ذهب إليه خلقٌ من الصحابة والتابعين، فكلٌّ من عثمانَ وعليٍّ ذو فضلٍ وسابقة وجهاد، وهما متقابلان في العلم والجـلالـة، ولعلَّهما في الآخرة مُتساويان في الدَّرجة، وهما من سادة الشُّهداءِ رضي الله عنهما ولكن جمهور الأمة على ترجيح عثمانَ على الإمام عليّ، وإليه نذهب والخـطب في ذلك يسير، والأفضل منهما لاشك أبو بكر وعمر من خالف في ذا فهو شِيعي جلد، ومن أبغض الشَّيخين واعتقد صحَّة إمامتهما فهو رافِضِيٌّ مقيت، ومن سبَّهما واعتقد أنهما ليسا بإمامي هُدى فهو من غُلاة الرَّافِضة، أبعدَهم الله.

الأشراف بالذهب، فلما حُمل تابوتُهُ من مصرَ تلقَّوه ودُفن في تلك الدار.

تُوفِّيَ سنةَ إحدى وتسعين وثلاثِ مئة.

٧٢٤ الحاتِميُّ[١]

إمامُ اللُّغةِ والأدب، أبو علي، محمدُ بن الحسين بن المظفّر البغداديُّ الكاتب.

ولـه «الـرسـالة الحاتميَّة»[٢] فيها ما جرى بينَه وبين المتنبي من إظهار سَرِقَاتِهِ وعيوبِ شعره وحُمقِهِ وتِيهِهِ، فذكر أنَّه ذهب إليه وتحامق عليه، ثم قال: ما خبرُكَ؟ فقلتُ: بخيرٍ لولا ما جَنَيْتُهُ على نفسي من قصدك، ووسمت به قدري من ميسَم الذلِّ بزيارتك، يا هذا أبِن لي ممَّ تِيهُك وخيلاؤك؟ وما أوجب ذلك؟ أها هنا نسبٌ علقت بأذياله، أو سُلطانٌ تسلَّطْت بعزِّه، أو علمٌ يشار إليك به؟ فلو قدرتَ نفسك بقدرها لما عدوت أن تكون شاعراً مكتسِباً، فامتقع لونُه، ولان في الاعتذار، وكرَّر الأيمـانَ أنَّه لم يُثْبِتْنِي، ولا اعتمد التقصير بي، وذكر فصلاً طويلاً في المعنى، وناظَرَهُ في الشِّعر.

مات سنة ثمان وثمانين وثلاثِ مئة. وحاتِم كان بعض جدوده.

٧٢٥ الملك سُبكتِكين[٣]

صاحب بَلْخ وَغَزْنَة وغير ذلك.

مات سنة سبعٍ وثمانين وثلاث مئة.

كانت دولتُه نحواً من عشرين سنة، وكان فيه عدلٌ وشجاعةٌ ونُبْلٌ مع عسف،

---

(١) انظر السير: ١٦/٤٩٩-٥٠٠

(٢) هي الموسومة بالرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره. طبعت في بيروت سنة ١٩٦٥م بتحقيق الدكتور محمد يوسف نجم.

(٣) انظر السير: ١٦/٥٠٠-٥٠١

وكونه كَرّامياً، ولما أخذ طُوس أخرب مشهدَ الرِّضا، وقتل مَن يزوره، فلما تملك ابنُـه محمـود، رأى في النوم عليّاً رضي الله عنه وهو يقول: إلى كم هذا؟ فبنى المشهدَ وردَّ أوقافه إليه، عهد بالمملكة بعدَه إلى ابنه إسماعيل، ولم يقدِّم محموداً وهو كان الأسنّ فتحارب الأخوان، وانهزم إسماعيل، فتحصن بقلعة غزنة، ثم إنه نزلَ بالأمان إلى أخيه بعد أشهر، فأمَّنه وتمكّن محمود.

٧٢٦ ابنُ سَمْعُون(١)

[١] **الشيـخُ الإمام، الواعظ الكبيرُ المحدِّث، أبو الحُسين، محمد بنُ أحمد بن إسماعيلَ البغدادي، شيخ زمانه ببغداد.**

مولده سنة ثلاث مئة، وسَمعون: هو لقب جدِّه إسماعيل.

وقال الخطيب: كان أوحدَ دهره، وفردَ عصره في الكلام على علم الخواطر، دوَّن النـاسُ حِكَمَه، وجمعوا كلامَه، وكان بعضُ شيوخِنا إذا حدَّث عنه، قال: حدثنا الشيخُ الجليل المُنطَقُ بالحكمة.

[٢] وكان ابنُ سمعون في أول أمره ينسخُ بالأجرة، ويُنفق على نفسِه وأُمِّه، فقال لها يوماً: أُحبُّ أن أحجَّ، قالت: وكيف يمكنك؟! فغلب عليها النوم، فنامت وانتبهت بعد ساعة، وقالت: يا ولدي حُجّ، رأيتُ رسول الله ﷺ في النوم يقول: دعيه يحجُّ فإنَّ الخير له في حجِّه، ففرح وباع دفاتره، ودفع إليها من ثمنها، وخرج مع الوفد، فأخذت العرب الوفد، قال: فبقيتُ عُرياناً، فجعلتُ إذا غلب عليَّ الجوع ووجدتُ قوماً من الحجاج يأكلون وقفتُ، فيدفعون إليَّ كسرةً فأَقتنع بها، ووجدتُ مع رجل عباءةً فقلت: هَبْها لي استَتِرْ بها، فأعطانيها وأحرمتُ فيه، ورجعتُ وكان الخليفة قد حرَّم جارية وأراد إخراجها من الدار. قال السُنيّ: فقال الخليفة: اطلبوا رجلاً مستوراً يصلح أن تُزوج هذه الجارية به فقيل: قد جاء ابنُ سَمعون، فاستصوب

(١) انظر السير: ١٦/٥٠٥ـ ٥١١

الخليفة ذلك، وزوَّجه بها، فكان يعظُ ويقول: خرجت حاجاً، ويشرح حاله ويقول: ها أنا اليومَ عليَّ من الثياب ما ترون!!

قلت: كان فاخرَ الملبوس.

[١] قال أبو بكر البَرْقانيُّ: قلت له يوماً: تدعو الناس إلى الزُّهد وتلبس أحسنَ الثياب، وتأكل أطيبَ الطَّعامِ، كيف هذا؟ فقال: كلُّ ما يُصلحك لله فافعله إذا صلح حالُكَ مع الله تعالى.

[٢] قال أبو محمد الخلّالُ: قال لي ابن سمعون: ما اسمُك؟ قلت: حسن. قال: قد أعطاك الله الاسمَ، فسَلْهُ المعنى.

[٣] أحمد بن عليّ البادي، سمعتُ أبا الفتح القوّاس يقول: لحقتني إضاقَة، فأخذت قوساً وخفَّين لأبيعَهما، فقلت: أحضُر مجلسَ ابنِ سَمعون ثم أبيع، فحضرتُ، فلمّا فرغ ناداني: يا أبا الفتح لا تَبعِ الخُفَّين والقَوس فإنَّ الله سيأتيك برزقٍ من عنده.

[٤] أبو عليّ بنُ أبي موسى الهاشمي، قال: حكى لي مولى الطائعِ أنَّ الطائع أمره، فأحضر ابنَ سمعون، فرأيتُ الطائع غضبان ـ وكان ذا حدَّةٍ ـ فسلَّم ابنُ سمعون بالخِلافة، ثم أخذ في وعظه فقال: رُوي عن أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه كذا. ووعظ حتى بكى الطائع وسُمع شهيقُه، وابتل منديلٌ من دموعه، فلمّا انصرف سُئل الطائع عن سبب طلبِه، فقال: رُفِعَ إليَّ أنَّه ينتقص عليّاً، فأردت أقابله، فلمّا حضرَ افتتح بذكره والصلاة عليه وأعاد وأبدى في ذكره، فعلمتُ أنَّه وُفِّق، ولعلَّه كُوشف بذلك.

[٥] أبو الثَّناء شُكر العَضُدي قال: لما دخل عَضُدُ الدولةِ بغداد وقد هلك أهلُها قتلاً وخوفاً وجوعاً للفتن التي اتصلت بين السُّنَّةِ والشِّيعة، فقال: آفةُ هؤلاءِ القُصَّاصُ، فمنعهم، وقال: من خالف أباح دَمَه، فعرف ابن سَمعون، فجلس على كُرسيِّه فأمرني مولاي، فأحضرتُه، فدخل رجلٌ عليه نور، قال شكر: فجلس إلى جنبي غير

مكترث، فقلتُ: إنَّ هذا الملك جبارٌ عظيم، ما أوثر لك مخالَفَته، وإنِّي موصلُك إليه، فقبِّل الأرض وتلطَّف له واستعِن بالله عليه، فقال: الخلقُ والأمر لله. فمضيتُ به إلى حجرةٍ قد جلس فيها الملك وحده، فأوقفتُه ثم دخلتُ أستأذن، فإذا هو إلى جانبي، وحوَّل وجهه إلى دار عزِّ الدّولةِ ثم تلا: ﴿وَكَذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إذا أَخَذَ القُرى وَهِيَ ظَالِمَة﴾ [هود ١٠٢] ثم حول وجهه وقرأ: ﴿ ثم جعلناكُم خَلائِفَ في الأرضِ مِن بَعدهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلون﴾ [يونس ١٤] ثم أخذ في وعظه فأتى بالعجب، فدمعت عينُ الملك، وما رأيتُ ذلك منه قطّ وشرك كمّه على وجهه، فلمّا خرج أبو الحسين رَحمه الله، قال الملك: اذهب إليه بثلاثة آلاف درهم وعشرة أثواب من الخزانة فإن امتنع فقل له: فرِّقها في أَصحابك، وإن قبِلَها فجئني برأسه، ففعلتُ فقال: إنَّ ثيابي هذه فُصِّلتْ من نحو أربعين سنة ألبسُهَا يومَ خروجي وأطويها عند رُجـوعي، وفيهـا متعةٌ وبقيةٌ، ونَفَقَتي من أجرة دارٍ خلَّفها أبي، فما أصنع بهذا؟ قلت: فرِّقها على أصحابك قال: ما في أصحابي فقير. فعدتُ فأخبرتُه، فقال: الحمد لله الذي سلَّمه منّا وسلَّمَنا منه.

[١] قال أبو سعيد النَّقَّاش: كان ابنُ سَمعون يرجع إلى علم القرآن وعلم الظَّاهر متمسكـاً بالكتـاب والسنة، لقيتُه وحضرتُ مجلسه، سمعتُه يُسأل عن قوله: «أنا جَلِيسُ من ذَكرني» قال: أنا صائِنُهُ عن المعصيَة، أنا معه حيث يذكرني، أنا مُعينُهُ.

توفي ابنُ سَمعون سنة سبعٍ وثمانين وثلاث مئة.

٧٢٧ الصَّاحب[١]

الوزير الكبير العلاّمة، الصاحب، أبو القاسم، إسماعيل بنُ عبّاد بن عباس الطّالقانيُّ الأديب الكاتب، وزير الملك مؤيّد الدولة بُوَيه بن ركن الدولة.

---

(١) انظر السير: ١٦/٥١١-٥١٥

صحب الوزيرَ أبا الفضل بن العَميد، ومن ثَمّ شُهر بالصَّاحب.

[١]وكان شيعياً معتزلياً مبتدعاً، تيّاهاً صلفاً جبّاراً، قيل: إنه ذكر له البخاري، فقال: ومَن البخاري؟!! حَشويٌّ لا يُعوَّل عليه.

وقد نُكب ونُفي، ثم ردَّ إلى الوزارة، ودام فيها ثمانيَ عشرة سنة، وافتتح خمسين قلعة لمخدومه فخر الدولة.

وكان فصيحاً متقعِّراً، يَتعانى وَحْشِيَّ الألفاظ في خطابه ويتيه ويغضب إذا نَاظر.

[٢]قيل: جمع الصاحب من الكتب ما يحتاج في نقلها إلى أربع مئة جَمل، ولما عزم على التَّحديث تاب، واتَّخذ لنفسه بيتاً سمّاه بيتَ التَّوبة، واعتكف على الخير أسبوعاً، وأخذ خطوط جماعةٍ بصحَّة توبته، ثم جلس للإملاء، وحضره الخلق، وكان يتفقَّد علماءَ بغداد في السنة بخمسة آلاف دينار، وأدباءها، وكان يُبغض مَن يدخل في الفلسفة.

مات بالرّي، ونُقل إلى أصبهان، ولما أبرز تابوته ضجَّ الخلق بالبكاء.

[٣]يُقال: إنَّه قال: ثلاثة خجلوني: البندهي حضر المجلسَ فقدمت فواكه، منها مشمش فائق، فأكل وأمعن، فقلت: إنه ملطخ المَعِدَة، فقال: لا يعجبني الرئيسُ إذا تطبَّب، والفرنديُّ قال: وقد جئتُ من دار السلطنة وأنا ضجرٌ: من أين أقبل مولانا؟ قلتُ: من لعنة الله، قال: ردَّ الله غُربَةَ مولانا. والثالث: المافرُّوخي أيام حُسنِه داعبتُه، فقلت: رأيتك تحتي، قال: مع ثلاثة مثلي.

مات الصَّاحب سنة خمس وثمانين وثلاث مئة، عن تسع وخمسين سنة.

٧٢٨ الصَّابىء(١)

[٤]**الأديبُ البليغ، صاحب الترسُّل البديع، أبو إسحاق، إبراهيم بنُ هلال الصابىء الحَرَّانيُّ المشرك.**

(١) انظر السير: ١٦/٥٢٣ـ ٥٢٤

[١] حرصوا عليه أن يُسلم فأبى، وكان يصوم رمضان، ويحفظ القرآن، ويحتاج إليه في الإنشاء.

وله نظمٌ رائق.

ولما تملك عضدُ الدولة همَّ بقتله وسجنه، ثمَّ أطلقه في سنة **٣٧١** فألف له كتاب: «التاجي في أخبار بني بُويه».

مات في سنة أربع وثمانين وثلاث مئة، وله إحدى وسبعون سنة، ويقال: قتله لأنَّه أمره بعمل التاريخ التاجي، فدخل عليه رجلٌ فسأله ما تؤلف؟ فقال: أباطيل أُلَفِّقُها، وأكاذيب أُنَمِّقها فتحرَّك عليه عضد الدولة وطرده، ومات، فرثاه الشريف الرضيّ، فَلِيمَ في ذلك، فقال: إنما رثيتُ فضلَه، وهذا عذر بارد.

وكان مكثراً من الآداب.

وكذلك مات على كفره ابنُه المحسن، وكان محتشماً، أديباً ثم خلفه ابنه الصدر الأوحد هلالُ بن المحسن، الصابيء، الذي أسلم وعاش كثيراً، وبقي إلى سنة ٤٤٨.

٧٢٩ ابنُ أَبي شُريح(١)

[٢] **الإمامُ القدوة، المحدِّث المتَّبِع، مُسْنَدُ هَراةَ وعالمُها أبو محمد عبدُ الرحمن ابنُ أحمدَ بنِ محمدٍ الأنصاريُّ الهَرَويّ ابن أبي شُريح.**

وُلد بعد الثلاث مئة، ارتحل به أبوه، صاحب حديثٍ وعلمٍ وجلالَة.

[٣] أبو إسماعيل الأنصاري، سمعتُ محمد بن أحمد البلخي المؤذن يقول: كنت مع الشيخ أبي محمد بن أبي شُريح في طريق غُور، فأتاه إنسانٌ في بعض تلك الجبال، فقال: إنَّ امرأتي ولدت لستَّةِ أشهر، فقال: هو ولدُك، قال رسول الله ﷺ «الوَلَدُ للفِراش» فعاوده، فردَّ عليه كذلك، فقال الرجل: أنا لا أقول بهذا، فقال:

---

(١) انظر السير: ١٦/٥٢٦-٥٢٨

هذا الغزو، وسلَّ عليه السيف، فأكببنا عليه وقلنا: جاهل لا يدري ما يقول.

قلت: كانَ سَبيلُه أن يوضِّحَ له، ويقول: لك أن تنتفيَ منه باللِّعان، ولكنه احتمى للسُّنة وغضب لها.

توفي سنة اثنتين وثلاث مئة، وله خمس وثمانون سنة.

٧٣٠ ابنُ بَطَّة(١)

[١]**الإمامُ القدوة، العابدُ الفقيهُ المحدِّث، شيخ العراق، أبو عبدالله، عبيد الله بن محمد بن محمد العُكْبَريُّ الحنبليّ.**

مصنِّف كتاب «الإبانة الكبرى» في ثلاث مجلدات.

قال عبدالواحد بن علي العُكْبَريّ: لم أَرَ في شيوخ الحديث ولا في غيرهم أحسنَ هيئةً من ابنِ بَطَّةَ رحمه الله.

[٢]قال الخطيب: حدثني أبو حامد الدَّلوي، قال: لما رجعَ ابنُ بطَّة من الرحلة لازم بيته أربعين سنة، لم يُرَ في سوق ولا رؤي مفطراً إلا في عيد، وكان أمّاراً بالمعروف، لم يبلغه خبرُ منكرٍ إلاّ غيَّره.

[٣]وقال أبو محمد الجَوهري: سمعت أخي الحُسين: يقول: رأيتُ النبي ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله قد اختلفت عليَّ المذاهب، فقال: عليك بابن بطَّة، فأصبحتُ ولبستُ ثيابي، ثم أصعدت إلى عُكبرا، فدخلت وابن بطَّة في المسجد فلما رآني قال لي: صدقَ رسولُ الله ﷺ، صدقَ رسول الله ﷺ.

وكان مستجابَ الدَّعوة.

قلت: لابن بطَّة مع فضله أوهامٌ وغلط.

[٤]رَوى ابنُ بطَّة عن البغوي، عن مُصعب بن عبدالله عن مالك، عن الزُّهري، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «طَلَبُ العِلمِ فَريضَةٌ على كُلِّ مُسلم».

---

(١) انظر السير: ١٦/٥٢٩-٥٣٣

قال الخطيب: هذا باطل، والحمل فيه على ابنِ بطَّة[1].

قلت: أفحَش العبارة، وحاشى الرجل من التعمد، لكنّه غلط ودخل عليه إسنادٌ في إسناد.

موته في سنة سبع وثمانين وثلا ثمئة.

(1) حديث حسن انظر «فيض القدير» ٤/٢٦٧

٧٣١ - ابن أبي زيد(١)

[١]الإمامُ العلامةُ القدوةُ، الفقيهُ، عالمُ أهل المغربِ، أبو محمدٍ عبدُالله بنُ أبي زيد، القيروانيُّ المالكيُّ، ويقال له: مالك الصغير.

وكان أحدَ من بَرَّزَ في العلم والعمل.

قال القاضي عياض: حازَ رئاسةَ الدِّين والدنيا، ورُحِلَ إليه من الأقطار ونُجُبَ أصحـابُـهُ، وكَثُـر الآخذونَ عنه، وهو الذي لخّصَ المذهبَ، وملأَ البلادَ من تواليفِهِ، تفقَّه بفُقهاء القيروان.

[٢]وقيل: إنه صنع «رسالته» المشهورة وله سبعَ عشرةَ سنة.

وكان مع عظمتِهِ في العلمِ والعملِ ذا برٍّ وإيثارٍ وانفاقٍ على الطلبةِ وإحسان.

[٣]وقيل: إنَّ مُحـرِزاً التـونسي أُتي بابنـةِ ابن أبي زيد وهي زَمِنَـة فدعا لها، فقامَتْ، فعجِبوا، وسبَّحوا الله، فقال: واللهِ، ما قلتُ إلا: بِحُرَمةِ والدِها عندك اكشِفْ ما بِها. فشفاها الله.

قلتُ: وكان رحمه الله على طريقةِ السَّلَفِ في الأُصولِ، لا يدري الكلام ولا يتأوَّلُ، فنسألُ الله التوفيق.

ولما تُوفي رثاهُ عِدّةٌ من الشعراء.

٧٣٢- ابن أبي عامر(٢)

[٤]
الملكُ المنصور، حاجب الممّالكِ الأندلسية، أبوعامر، محمدُ بنُ عبدالله بن

(١) انظر السير: ١٧/ ١٠-١٣.

(٢) انظر السير: ١٧/ ١٥-١٦.

أبي عامر محمد القحطانيُّ المَعَافِريُّ القرطبي، القائمُ بأعباء دولةِ الخليفة المرواني المؤيَّد بالله هشام بن الحكمِ أميرِ الأندلس، فإنَّ هذا المؤيَّد استُخلف ابنَ تسع سنين، ورُدَّت مَقَاليدُ الأمور إلى الحاجب هذا، فيَعَمَدُ إلى خزائِن كُتُب الحَكَم، فأبرزَ ما فيها، ثم أفردَ ما فيها من كُتُب الفلسفة، فأحرقَها بمشهدٍ من العُلماء، وطَمَرَ كثيراً منها، وكانت كثيرة إلى الغاية، فعله تقبيحاً لرأيِ المُستنصر الحَكَم.

[١]وكان بطلاً شجاعاً، حازماً، سائساً، غَزَّاءً عالماً، جمَّ المحاسن كثيرَ الفُتوحات، عالي الهمة، عديمَ النظير.

دام في المملكة نيفاً وعشرين سنة، ودانت له الجزيرة.[1] وأمنت به.

[٢]وكان المؤيَّد معه صورةً بلا معنى، بل كان محجوباً لا يجتمع به أمير ولا كبير، بل كان أبوعامر يدخُلُ عليه قصرَهُ، ثم يخرج فيقول: رسَمَ أميرُ المؤمنين كذا وكذا، فلا يُخالفه أحد، وإذا كان بعد سنة أو أكثر أركبه فرساً، وجعل عليه بُرْنُساً، وحوله جواريه راكبات، فلا يعرفُه أحد.

[٣]وقد غزا أبوعامر في مدته نيفاً وخمسين غزوة، وكثُر السَّبيُ حتى لأُبيعت بنتُ عظيم ذات حسن بعشرين ديناراً، ولقد جمع من غُبار غزواته ما عُملت منه لبنةٌ، وأُلحدت على خَدِّه، أو ذُرَّ ذلك على كفنه.

[٤]توفي بأقصى الثغور، سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة. وكان جواداً مُمَدَّحاً معطاءً.

---

(١) يعني بلاد الأندلس.

الطبقــة الثانية والعشــرون

٧٣٣ - ابــن منــدة(١)

[١]الإمامُ الحافظ الجوّال، محدِّثُ الإسلام، أبوعبدالله، محمدُ بن المحدث أبي يعقوب إسحاقَ بنِ الحافظ أبي عبدالله محمد بن يحيى بن مندة واسم مندة إبراهيمُ بن الوليد بن سَنْدة بن بُطَّة بن أُستندار بن جهاربُخْت وقيل: إنّ اسم أستندار هذا فيرُزان، وهو الذي أسلم حين افتتح أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبَهـان، وولاؤه لعبدِالقيس، وكان مجوسيّاً، فأسلم، ونابَ على بعض أعمال أصْبَهان، العبديُّ الأصبهانيُّ الحافظُ صاحبُ التصانيف.

مولده في سنة عشر وثلاث مئة.

ولم أعلم أحداً كان أوسعَ رحلةً منه، ولا أكثرَ حديثاً منه مع الحفظ والثقة، فبَلَغَنا أنَّ عدَة شُيوخِه ألفٌ وسبعُ مئةِ شيخ.

قال الحاكم: قال شيخُنا أبو علي الحافظ: بنو مَنْدَةَ أعلامُ الحُفّاظ في الدنيا قديماً وحديثاً، ألا ترون إلى قريحة أبي عبدالله.

[٢]وقيل: إنَّ أبا نُعيم الحافظ ذُكر له ابنُ مَنْدة، فقال: كان جبلاً من الجبال. فهذا يقوله أبو نُعيم مع الوحشة الشديدة التى بينه وبينه.(٢)

[٣]وقال أبو نُعيم في «تاريخ أصبهان»: ابنُ مَنْدة حافظ من أولاد المُحدِّثين، اختلط في آخــر عُمُـره، وتخبط في أمـاليه، ونسبَ إلى جمـاعـة أقـوالاً في المعتقدات لم يُعرفوا بها، نسألُ اللهَ الستر والصيانة.

قلت: لا نعبأُ بقولكَ في خصمكَ للعداوةِ السائرة، كما لا نسمعُ أيضاً قولَه

---

(١) انظر السير: ١٧/ ٢٨-٤٣.

(٢) وهي بسبب الخلاف المتأجج بين العلماء وقتئذ حول قضية اللفظ بالقرآن، أهو مخلوق أو غير مخلوق.

فيك، فلقد رأيت لابنِ مَنْدة حَطًّاً مُقذِعاً على أبي نُعيم وتبديعاً، وما لا أُحبُّ ذِكْرَه، وكلٌّ منهما فصدوق في نفسه، غيرُ مُتهمٍ في نقله بحمد الله.

[١]قلت: بقي أبوعبدالله في الرحلة بضعاً وثلاثين سنةً.

[٢]قال الباطرقاني: سمعتُ أبا عبدالله يقولُ: طفت الشرقَ والغربَ مرتين.

[٣]قال الباطِرْقاني: وكنتُ مع أبي عبدالله في الليلةِ التى تُوفي فيها، ففي آخر نَفَسِه قال واحد منا: لا إله إلاَّ الله ـ يُريد تلقينه ـ فأشار بيده إليه دفعتين ثلاثة. أي: اسكت يُقالُ لي مثلُ هذا؟!

مات ابنُ مَنْدة سنة خمسٍ وتسعين وثلاث مئة.

وما علمتُ بيتاً في الرُّواة مثلَ بيت بني مندة، بقيَت الروايةُ فيهم من خلافة المُعتصم وإلى بعد الثلاثين وست مئة.

[٤]عن يحيى بن منـدة قال: سمعت عمي عبـدالـرحمن، سمعت محمد بنَ عُبيدِالله الـطَّبَـرَانيَّ يقولُ: قمتُ يوماً في مجلس والدك رحمه الله فقلتُ: أيها الشيخُ، فينا جماعة ممَّن يدخلُ على هذا المشؤوم ـ أعني أبا نُعيمٍ الأشعريّ ـ فقال: أخرجوهم. فأخرجنا من المجلس فلاناً وفلاناً ثم قال: على الداخلِ عليهم حرجٌ أن يدخُلَ مجلسَنا، أو يسمعَ منّا، أو يرويَ عنا، فإن فعلَ فليس هو منا في حِلّ.

قلتُ: ربمـا آل الأمـرُ بالمعـروف بصاحبه إلى الغضب والحِدَّة، فيقع في الهجـران المُحَـرَّم، وربمـا أفضى إلى التّكفير والسعيِ في الـدَّم، وقـد كان أبوعبدالله وافرَ الجاهِ والحُرمةِ إلى الغاية ببلده، وشغب على أحمدَ بنِ عبدالله الحافظ، بحيث إنَّ أحمد اختفى.

[٥]وإذا روى الحديثَ وسكت، أجاد، وإذا بوَّب أو تكلَّم من عنده، انحرف

وخَـرْفَش،[1] بلى ذَنْبُـه وذنبُ أبي نُعيم أنهمـا يرويان الأحـاديثَ السـاقـطةَ والموضوعةَ، ولا يهتِكَانها، فنسألُ الله العفو.

٧٣٤ ـ ابـن الحـجَّــاج[2]

[١]شاعـر العصـر، وسَفِيهُ الأُدبـاء، وأميرُ الفُحش، وديوانُهُ مشهور في خمس مجلدات، وهـو أبـو عبـدالله، الحسينُ بن أحمـد بن الحجّـاج البغـداديُّ المُحتسِبُ، الكاتبُ.

ولقد هجا المُتنبّي، ومدح الملوكَ، مثل عَضُدِ الدولة وبنيه والوزراء وله باع أطول في الغزل. وأما الزَّطاطةُ والتفحُّشُ، فهو حامِلُ لوائها والقائِمُ بأعبائها.

وخدم بالكتابة في جهات، وأخذ الجوائزَ، وولي حِسْبَةَ بغداد مدة وعُزل، وله معان مُبتكرة ما سُبق إليها.[3]

وكان شيعياً رقيعاً، ماجناً، مَزَّاحاً، هجّاءً، أُمةً وحدَهُ في نظم القبائح، وخفَّة الرُّوحِ، وله معرفة بفُنونٍ من التاريخ والأخبار واللغات.

[٢]ورأيتُ له أنه قال: كُلُّ ما قُلتُهُ من المُجُون فالله يشهد أنني ما قصدتُ به إلا بَسْطَ النفس، أنا أستغفر الله من هذه العَثْرة.

مات سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة وقد شاخ.

---

(١) أي: خـلَـط.

(٢) انظر السير: ١٧/ ٥٩ـ٦١.

(٣) انظر فنون شعره في «يتيمة الدهر» ٣/ ٣١ـ٩٩، و «الوافي بالوفيات» ١٢/ ٣٣٤ـ٣٣٧.

٧٣٥ - ابن الإسماعيلي[1]

[١]العلامةُ، شيخُ الشافعية، أبو سعيد، اسماعيلُ بن الإمام شيخِ الإسلام أبي بكر، أحمدَ بن إبراهيم، الاسماعيليُّ الجُرجانيُّ الشافعيُّ، صاحب التصانيف.

ولد سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة.

وقال حمزةُ السَّهميُّ: كان أبوسعد إمامَ زمانه، مُقدماً في الفقهِ وأصوله والعربيةِ والكتابةِ والشروطِ والكلام، صنّف في أصول الفقهِ كتاباً كبيراً، وتخرج به جماعةٌ، مع الورع الثخين، والمُجاهدة والنُّصح للإسلام والسَّخاءِ وحُسن الخلق. وبالغ السَّهمي في تعظيمه.

[٢]توفي سنةَ ست وتسعين وثلاث مئة فتوفي إكراماً من الله له في صلاة المغرب وهو يقرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾ ففاضت نفسُه رحمه الله.

٧٣٦ - ابن فارس[2]

[٣]الإمامُ العلاّمةُ، اللُّغويُّ المحدِّثُ، أبوالحسين، أحمد بن فارس بن زكريا القَزْوِينيُّ، المعروفُ بالرازي، المالكي اللغوي، نزيل هَمَذان، وصاحب كتاب: «المُجْمل».

وكان يقول: من قصُر علمُهُ في اللغة وغُولطَ غَلِطَ.

وكان أبو الحُسين من الأجواد حتى أنه يهبُ ثيابه وفَرْش بيتِه، وكان من رؤوس أهلِ السُّنَّة على مذهب أهل الحديث.

---

(١) انظر السير: ١٧/ ٨٧-٨٨.

(٢) انظر السير: ١٧/ ١٠٣-١٠٦

ومات بالرَّيِّ سنة خمس وتسعين وثلاث مئة.

[١]ولــه:

إذا كُنــتَ تُؤذى بحــرِّ الــمَـصِيف ويُبس الــخَــريفِ وَبَــرْدِ الــشِّتَــا
ويُلْهِــيكَ حُسْــنُ زَمــانِ الــرَّبــيع فَأَخــذُكَ لِلْعِــلْمِ قُل لي مَتَــى؟

٧٣٧ - أبو حيّان التوحيديُّ(١)

الضَّالُ المُلحد، أبو حيّان، عليُّ بنُ محمد بن العباس، البغداديُّ الصوفيُّ، صاحبُ التصانيف الأدبية والفلسفية، ويقال: كان من أعيان الشافعية.

قال ابنُ بابي في كتاب (الخَريدة والفَريدة): كان أبو حيان هذا كذّاباً قليلَ الدِّين والورع عن القَذْف والمُجاهرة بالبُهتان، تعرَّض لأمور جسام من القدحِ في الشريعة والقول بالتَّعطيل، ولقد وقف سيدُنا الوزيرُ الصاحبُ كافي الكفاة على بعضِ ما كان يُدغِلُه ويُخفيه من سوء الاعتقادِ، فطلبه ليقتُلَهُ، فهرب، والتجأ إلى أعدائه، ونَفَقَ عليهم تزخرفُهُ وإفكُه، ثم عَثَروا منه على قبيح دِخْلتِهِ وسُوءِ عقيدَتِهِ، وما يبطنه من الإلحاد، ويرومُهُ في الإسلام من الفساد، وما يُلصِقُه بأعلام الصحابة من القبائح، ويُضِيفُه إلى السَلَفِ الصالح من الفضائح، فطلبه الوزير المُهَلَّبي، فاستتَرَ منه ومات في الاستتارِ، وأراح الله، ولم يُؤْثَر عنه إلا مثلبةٌ أو مُخزية.

وقال أبوالفرج بنُ الجَوزي: زنادقةُ الإسلام ثلاثة: ابنُ الرَّاوَنْديِ وأبو حيّان التوحيدي، وأبو العَلاءِ المعري، وأشدهم على الإسلام أبو حيان لأنهما صرّحا، وهو مَجْمَجَ ولم يُصرِّح.

(١) انظر السير: ١٧/ ١١٩-١٢٣.

قلتُ: وكـان من تلامـذة عليِّ بن عيسى الرُّمّاني، ورأيته يبالغ في تعظيم الرمّاني في كتابه الذي ألفه في تقريظ الجاحظ، فانظر الى المادحِ والممدوحِ! وأجودُ الثلاثةِ الرُّمّانيُّ مع اعتزالِهِ وتشيُّعِهِ.

وهو الذي نسب نفسَه إلى التوحيد، كما سمى ابنُ تُومرت أتباعَه بالمُوحِّدين، وكما يُسمِّي صوفيَّةُ الفلاسفة نُفُوسَهم بأهل الوحدة وبالاتحاديّة.

٧٣٨ ـ هشام المؤيَّدُ بالله[١]

ابنُ المستنصر صاحب الأندلس، بايعوه صبياً، فقام بتشييد الدولة الحاجبُ المنصور محمدُ بن أبي عامر فكان من رجال الدهر رأياً وحزماً ودهاءً وشجاعةً وإقداماً ـ أعني الحاجب.

ولم يزل المُؤَيَّدُ بالله هشام غائباً عن الناس لا يَظهَرُ ولا يُنفِّذ أمراً.

ولما توفي الحاجبُ ابن أبي عامر، قام في منصبه ابنُهُ الملقب بالمُظَفَّر: أبو مروان عبدُالملك بنُ محمد. وجرى على منوال والده، فكان ذا سَعْدٍ عظيم، وكـان فيه حياءٌ مُفْرِطٌ يُضربُ به المَثَلُ، لكنه كان من الشُّجعانِ المذكورين، فدامت الأندلسُ في أيامه في خيرٍ وخِصْبٍ وعزٍّ إلى أن مات في صفر، سنةَ تسع وتسعين وثلاثِ ومئة.

وقـام بتـدبير دولـةِ المُؤيدِ بالله النـاصـرُ عبـدُالرحمن أخو المُظَفّر المذكور المعروف بشنشول، فعتا وتمرَّد، وفسق وتهتَّك، ولم يزل بالمُؤيد بالله حتى خلع نفسَه من الخلافة، وفوَّضها إلى شنشول هذا مُكْرَهاً، في جُمادى الآخرة، سنة تسع وتسعين وثلاث مئة.

---

(١) انظر السير: ١٧/ ١٢٣-١٣٣.

[١]من مفاخر المنصور: أنه قدم من غزوةٍ، فتعرضت له امرأة عند القصر، فقالت: يا منصورُ! يفرحُ الناسُ وأبكي؟ إن ابني أسير في بلاد الروم. فثنى عِنَانَه وأمر الناسَ بغَزْوِ الجهةِ التي فيها ابنُها.

[٢]وقد عصاه مرةً ولدٌ له، فهربَ، ولجأ إلى ملك سَمّورة، فغزاها المنصورُ، وحاصرها، وحَلَفَ ألا يرحَلَ إلا بابنِهِ، فسلموه إليه، فأَمَرَ بقتله، فقُتِلَ بقُرب سَمُّورة.

[٣]ومن رُجْلَة المنصور: أنه أُحيط به في مدينة فُتّة، فرمى بنفسه من أعلى جبلها، وصار في عسكره، فبقي مُفْدَع[1] القدمين لا يركَبُ، إنما يُصنَعُ له محملٌ على بغل يُقادُ به في سبع غزوات وهو بضعة لحمٍ، فانظر إلى هذه الهمّة العليّة، والشجاعةِ الزائدة.

[٤]وكان موتُه آخِرَ الصلاح وأولَ الفسادِ بالأندلس، لأن أفعاله كانت حسنةً في الحال، فاسدةً في المآل، فكانت قبله القبائلُ، كُلُّ قبيلةٍ في مكان، فإذا كان غزو، وضعتِ الخلفاء على كُلِّ قبيلةٍ عدداً، فيغزُون، فلما استولى المنصورُ، أدخل من صنهاجة ونَفْزن عشرين ألفاً إلى الأندلس، وشَتَّتَ العربَ عن مواضِعها، وأخملَهم، وأبقى على نفسه لكونه ليس من بيوت المُلْك، ثم قتل في بني أُميّةَ جماعةً، واحتاط على المُؤيّد، ومنعَه من الاجتماع بأحدٍ، وربما أخرجهُ لهم في يوم العيدِ للهناء، فلما مات المنصور وابنهُ المُظَفَّر أبو مروان، انخرمَ النظامُ، وشرع الفسادُ، وهلك الناس، فقام شنشول وطغى وبغى، وفعل العظائِمَ، والمؤيَّدُ بالله تحت الاحتجار. فجاءه الخبرُ بأنَّ محمدَ بن هشام بن عبدالجبّار الأُموي ابن عمِّ المُؤَيَّد بالله قد توثّب بقُرطبة، وهدم الزّهراءَ، وأقام معه القاضي ابنَ ذكوان.

---

(١) الفَدَع محركة: عوج وميل في المفاصل، كأن المفاصل قد زالت عن مواضعها، لا يستطاع بسطها معه، وأكثر ما يكون في الرسغ من اليد والقدم.

وأما محمد بن هشام بنِ عبدالجبّار بن الناصر لدين الله عبدِالرحمن، فتلقَّب بالمهدي.

[١]وكان شنشول قد استعان بعسكر الفِرَنْجِ لأنَّ أمَّه منهم، وقام معه ابنُ غومِش، فجاء إلى قُرطبة، فتسحب جُنده، فقال له ابنُ غومِش: ارجع بنا قبل أن تُؤخذ. فأبى، ومال إلى دير شربش جوعانَ سهران، فأنزل له راهب دجاجةً وخُبزاً، فأكل وشرب وسَكِرَ، وجاء لحربه ابنُ عمِّ المهدي وحاجبُه محمدُ بن المُغيرة الأموي، فقبضَ عليه، فظهر منه الجَزَعُ، وقبَّل قَدَمَ ابنِ المُغيرة، وقال: أنا في طاعة المَهْدي. ثم ضُربت عُنُقُهُ، وطيف برأسه: هذا شنشول المأبُون المخذول. فلما استوثق الأمرُ للمهدي أظهر من الخَلَاعة والفسادِ أكثرَ مما عمله شنشول.

[٢]قال الحُميدي: فقام على المَهْدي ابنُ عمِّه هشامُ بن سُليمان بن الناصر لدين الله، في شوال سنة تسع وتسعين، وقام معه البربر، وأُسر هشام هذا فقتله المهدي. وتحيَّز جُلُّهم إلى قلعة رَباح، فهرب معهم سليمانُ بنَ الحَكَم بن سليمان بن الناصر، وهو ابن أخي هشامٍ المقتول، فبايعوه، وسمَّوه: المستعين بالله، وجمعوا له مالاً، حتى صار له نحوٌ من مئة ألف دينار، فتوجّه بالبربرِ إلى طُليطُلة، فتملكها، وقَتل واليَها، فجزع المَهْدِيُّ، واعتدَّ للحصار، وتجرأت عليه العامة، ثم بعث عسكراً، فهزمهم سليمانُ المستعين ثم سار حتى شارف قُرطُبة، فبرز لحربه عسكرُ المهدي، فناجزهم سليمانُ. ثم خرج أهلُ قُرطَبة إلى المُستعين، سليمان فأحسن ملقاهم واختفى محمد المهدي واستوثق أمر المستعين ودخل قصرَ الإمارة، وواری الناسُ قتلاهم فكانوا نحواً من اثني عشر ألفاً، ثم تسحّب المهديُّ إلى طُليطلة، فقاموا معه، وكتب إلى الفِرَنْجِ، ووعدَهم بالأموال، فاجتمع إليه خلق عظيم وهو أول مالٍ انتقلَ من بيت المال

بالأنـدلس إلى الفِرَنْجِ ، وكانت الثغورُ كلُّها باقيةً على طاعة المَهْدي ، فقصد قُرطبة في جحفل عظيم، فالتقى الجمعان على عقبة البقر على بريدٍ من قُرطبة، فاقتتلوا أشد قتال فانهزم سليمانُ المستعين، واستولى المهدي على قرطبة ثانياً، ثم خرج إلى قتال جماهير البربر، فالتقاهم بوادي آرُهْ، فهزموهُ أقبح هزيمةٍ، وقُتل من جنـده الفـرنج ثلاثةُ آلاف، وغرق خلقٌ، فجاء إلى قرطبة، ثم وثب عليه العَبيدُ، فضُربت عنقُه، وقطعت أربعتُه، وكفى الله شره فى ثامن ذي الحجة عام أربع مئة، وعاش أربعاً وثلاثين سنة.

[١]وعاثت البربرُ، وعملت مالا يعملُه مسلم، ونازلوا قُرطبة سنة اثنتين وأربع مئة، واشتد القحطُ والبلاءُ، وفني الناس، ودخل البربرُ بالسيف في سنة ثلاثٍ، فَقَتَلُوا حتى الـولدان، وهرب الخلقُ، وهرب المُؤَيَّدُ بالله إلى المشرق، فحجّ، ولقد تصرّف في الدنيا عزيزاً وذليلاً، والعزة لله جميعا.

[٢]وبالجُملة فالذي جرى على أهل الأندلس من جندها البربر لا يُحَدُّ ولا يُوصف عملوا ما يصنعـه كُفّار التُّركِ وأبلغَ، وحرقوا الزَّهراء وجامعَها وقُصُورَهَا، وكانت أحسنَ مدينةٍ في الدُّنيا وأطراها، قال ابن نبيط:

ثلاثةٌ مِنْ طَبْعِها الفَسادُ الفَأْرُ والبَرْبَرُ والجَرَادُ

٧٣٩ ـ سُليمان المستعينُ بالله(١)

[٣]ابن الحَكَم بن سُليمان بن الناصر لدين الله عبدالرحمن بن محمد الأُمويُّ المرواني. دانت له الأندلسُ سنة ثلاث وأربع ومئة.

[٤]جال بالبربرِ يُفسِدُ وينهب البلادَ، ويعملُ كُلَّ قبيح، ولا يُبقي على أحد فكان

---

(١) انظر السير: ١٧/ ١٣٣-١٣٥.

من جُملة جُندِه القاسمُ وعليٌّ ابنا حَمُّود بن ميمون العلويِّ الإدريسي، فجعلهما قائدَيْنِ على البربر، وأمَّر عليّاً على سَبْتة وطَنْجة وتلك العُدوة وأمَّر القاسِمَ على الجزيرة الخضراء.

[١]قال الحُميدي: لم يزل المُستعينُ يجولُ بالبَرْبَر يُفسِدُ وينهبُ، ويُقفِر المدائن والقُرى بالسيف، ولا يُبقي معه البربر على صغير ولا كبير، الى أن غلب على قُرطُبة.

[٢]ثم إنَّ عليَّ بن حَمُّود الإدريسيَّ طَمِعَ في الخلافة وراسل جماعة، فاستجابَ له خَلْقٌ، وبايعوه، فعدَّى من سبتة إلى الأندلس، فبايعه مُتَوَلِّي مالقه واستحوذَ على الكبار، وزحف إلى قُرطبة، فجهَّزَ المستعينُ لحربه ولَدَه محمدَ بنَ سُليمان، فالتقوا، فانهزم محمد، وهجم ابنُ حَمُّود، فدخل قُرطبةَ فى الحال، وظفر بالمُستعين، فذبَحه بيده صبراً، وذبح أباه الحَكَم وهو شيخ في عشر الثمانين، وذلك في المحرم، سنة سبع وأربع مئة وانقضت دولةُ المروانية في جميع الأندلس.

وكان المستعين أديباً شاعراً، عاش نَيِّفاً وخمسين سنة.

[٣]وأما عليُّ بن حَمُّود، فوثب عليه غلمانٌ له صَقالبَةٌ في الحمَّام، فقتلوه في آخر سنةَ ثمان وأربع مئة.

٧٤٠ - القاسم بن حَمُّود بن ميمون(١)

الإدريسيُّ، والي إمرةِ الأندلسِ بعد مَقتل أخيه عليِّ بن حمُّود سنة ثمان.

وكان هادئاً ساكناً، أمِنَ الناسُ معه، وكان يتشيَّع قليلاً، فبقي في المُلك إلى سنة اثنتي عشرة وأربع مئة، في ربيع الأول، فخرج عليه ابنُ أخيه يحيى بن علي

(١) انظر السير: ١٧/ ١٣٦.

ابن حمُّود المُعْتَلي، فهربُ القاسِمُ من غير قِتالٍ إلى إشبيلية، فاستمالَ البربر، وجمع وَحَشَد، وجاء إلى قُرطُبة، فهرب منه المُعْتَلي ثم اضطرب أمرُ القاسم بعد قليل، وخَذَلهُ البربرُ، وتفرَّقوا في سنة أربع عشرةَ، وتغلَّبت كُلُّ فرقة على بلدٍ من الأنـدلس، وجـرتْ خطوب وأمـور يطول شرحُها. وتفرقت الكلمة، وصار فى الأندلس عدة ملوك.

وصار الأمر في غاية الأُخْلُوقة، اجتمع في الوقتِ أربعة يُدْعَون بأمير المؤمنين في رُقعةٍ من الأندلس، مقدارُ ما بينهم ثلاثون فَرْسخاً فى مثلها وغلب على كل قطر مُتغلِّبٌ تسمّى بالمـأمون، ومنهم من تسمَّى بالمُعتصم، وآخر بالمتوكل، حتى قال الحسن بنُ رَشِيق:

مِمّـا يُزَهِّـدني في أرْض أنـدلُسٍ ... سَمَـاعُ مُعْـتَصِمٍ فيهـا ومُعْتَضِـدِ
ألقـابُ مَمْلَكَـةٍ في غَيْر مَوْضِعِـهـا ... كالهِـرِّ يَحْكي انتِفـاخـاً صَوْلَةَ الأسَدِ

٧٤١ - الحـاكـم (١)

محمـدُ بنُ عبـدالله بن مِحمـد، الإمـامُ الحـافظ، النـاقـدُ العلامةُ، شيخُ المحدِّثين، أبوعبدالله بن البَيِّع الضَّبِّيّ الطَّهْمانيُّ النيسابوريُّ، الشافعيُّ صاحبُ التصانيف.

مولدُهُ سنة إحدى وعشرين وثلاث مئة بنيسابور.

وطلب هذا الشأن في صِغَرِه بعناية والدِه وخالِه، وأولُ سماعِه كان في سنة ثلاثين.

(١) انظر السير: ١٧/ ١٦٢-١٧٧.

وحدث عن أبيه وكان أبوه قد رأىٰ مُسلماً صاحب «الصحيح».

وصنَّف وخرَّج، وجَرَح وعدَّل، وصحَّح وعلَّل، وكان من بُحور العِلمِ على تشيُّعٍ قليلٍ فيه.

مضىٰ إلى رحمة الله سنةَ خمسٍ وأربع مئة.

[١]قال أبو حازم عمرُ بن أحمد العَبدُوي الحافظُ: سمعتُ الحاكم أبا عبدالله إمامَ أهل الحديثِ في عصره يقولُ: شربتُ ماء زمزم، وسألتُ الله أن يرزُقَني حُسنَ التصنيف.

[٢]عن سعد بن علي الزَّنْجَاني، سمع أبا نَصرٍ الوائليَّ يقولُ: لما ورد أبو الفضل الهَمَذانيُّ نيسابور، تعصَّبُوا له، ولقَّبوه: بديعَ الزمان فأُعجب بنفسه إذ كان يحفَظُ المئة بيتٍ إذا أُنشدتْ مرة، ويُنشدُها من آخرها إلى أولها مقلوبةً، فأنكر على الناس قولَهم: فلان الحافظُ في الحديث ثم قال: وحِفْظُ الحديثِ مما يُذكر؟! فسمع به الحاكمُ ابنُ البَيِّع، فوجَّهَ إليه بجزء، وأجَّل له جُمعةً في حفظه، فردَّ إليه الجزءَ بعد الجمعة وقال: من يحفظ هذا؟ محمدُ بن فلان، وجعفرُ بن فلان، عن فلان؟ أسامي مُختلفة، وألفاظ مُتباينة؟ فقال له الحاكم: فاعرفْ نفسَك، واعلمْ أنَّ هذا الحفظَ أصعبُ مما أنتَ فيه.

[٣]روى أبو موسى المَدينيُّ: أنَّ الحاكمَ دخل الحمّام، فاغتسل، وخرج وقال: آه. وقُبضت روحه وهو مُتَّزر لم يلبس قميصه بعد.

[٤]قال الحسن بن أشعث القرشي: رأيتُ الحاكم في المنام على فَرَسٍ في هيئةٍ حَسَنة وهو يقولُ: النجاةَ، فقلت له: أيُّها الحاكم! في ماذا؟ قال: في كِتْبَة الحديث.

٧٤٢ - ابن الفَرَضِيّ(١)

[١]الإمامُ الحافظُ، البارعُ الثقةُ، أبو الوليد عبدُالله بنُ محمد بن يوسف بن نصر، القرطبيُّ، ابن الفَرَضيِّ، مصنف «تاريخ الأندلسيِّين»(٢).

حدث عنه: أبو عُمر بن عبدالبرِّ، وقال: كان فقيهاً حافظاً عالماً في جميع فنون العلمِ في الحديث والرجال، أخذتُ معه عن أكثرِ شيوخي، وكان حسنَ الصُّحبةِ والمُعاشرة، قَتَلَتْهُ البربَرُ، وبقي مُلقىً في داره ثلاثةَ أيام.

[٢]قال أبو مروان بن حيان: وممن قُتل يومَ أخذِ قُرطبةَ الفقيهُ الأديبُ الفصيح ابنُ الفَرَضي، ووُرِيَ مُتغيّراً من غير غُسل، ولا كفن ولا صلاة ولم يُرَ مثلُه بقُرطبة في سعـة الروايةِ، وحفظِ الحديثِ ومعرفة الرجال والافتنانِ في العلوم والأدب البارع ولد سنةَ إحدى وخمسين وثلاث مئة وحجَّ سنةَ اثنتين وثمانين، وجمعَ من الكتب أكثرَ ما يجمعُه أحدٌ في عُلماءِ البلد، وتقلّد قراءة الكُتُب بعهد العامريّة، واستقضاهُ محمد المَهْديُّ بَبلَنْسِيَة، وكان حسنَ البلاغة والخَطِّ.

[٣]عليُّ بن أحمد الحافظ، أخبرني أبو الوليد بن الفَرَضي قال: تعلَّقْت بأستار الكعبة، وسألت الله تعالى الشهادة، ثم فكّرتُ في هول القتل فندمتُ، وهممتُ أن أرجع، فأستَقيل الله ذلك، فاستحييتُ. قال الحافظُ عليّ: فأخبرني من رآه بين القتلى، ودنا منه، فسمعه يقول بصوت ضعيف: «لا يُكْلَمُ أحَدٌ في سبيل

---

(١) انظر السير: ١٧/ ١٧٧-١٨٠.

(٢) قد طبع «تاريخه» بعنوان (تاريخ علماء الأندلس) نشره فرنسيسكو كوديرا بمدينة مدريد في القرن الماضي، وأعيد طبعه في سنة ١٩٦٦ نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة، وهذا الكتاب هو الذي ذيل عليه ابن بشكوال المتوفى سنة ٥٧٨ بكتابه المشهور «الصلة» ثم ألف ابن الأبار الموفى سنة ٦٥٩ كتابه «الذيل والتكملة» وألف أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي المتوفى سنة ٧٠٨ كتابه «ذيل الصلة».

الله، والله أعلمُ بمن يُكْلَمُ في سبيله إلا جاء يومَ القيامَةِ وجُرْحُهُ يَثْعَبُ دماً، اللونُ لونُ الدَّم، والريحُ ريحُ المِسْكِ». كأنّه يُعيدُ على نفسه الحديثَ، ثم قضى على إثْرِ ذلك رحمه الله.

[١]وله شعر رائق فمنه:

أسِيرُ الخَطَايا عنـد بابِـكَ واقف ... على وَجَـلٍ ممّـا بهِ أنـت عارفُ

يَخَافُ ذُنُوباً لم يغب عنك غيبُها ... ويرجُـوكَ فيهـا فَهْـوَ راجٍ وخـائِفُ

ومن ذا الـذي يرجُـو سواك وَيتَّقي ... ومـالَـكَ في فصـل القضـاءِ مُخالفُ

فيا سَيِّدي! لا تُخزني في صَحيفَتي ... إذا نُشِـرت يوم الحِسَـابِ الصَّحَائِفُ

قُتل - رحمه الله - سنة ثلاث وأربع مئة كهلاً.

٧٤٣ - ابن البَاقِلاّنيّ(١)

[٢]الإمـامُ العـلامـةُ، أوحـدُ المتكلمين، مُقدَّم الأُصوليين، القاضي أبو بكر، محمـدُ بن الطَّيِّبِ بنِ محمـد، البَصْريُّ، البغداديُّ، ابن الباقِلّانيِّ صاحبُ التصانيف، وكان يُضربُ المثلُ بفَهمه وذَكَائه.

وكـان ثقـةً إمـامـاً بارِعاً، صنّف في الرَّدِّ على الرافِضَةِ والمُعتزلة والخوارج والجهميَّة والكَرَّامية، وانتصـر لطريقة أبي الحسن الأشعري، وقد يُخالفُهُ في مضائق، فإنّه من نُظرائه، وقد أخذ علم النظر عن أصحابه.

[٣]قال أبـوبكـر الخطيب: كان وِردُه في كل ليلة عشرين ترويحة في الحضر والسفر، فإذا فرغ منها، كتب خمساً وثلاثين ورقة من تصنيفه.

[٤]وقد سار القاضي رسولاً عن أمير المؤمنين إلى طاغية الروم، وجرت له أمور،

---

(١) انظر السير: ١٧/ ١٩٠-١٩٣.

منهـا أنَّ الملك أدخله عليه من باب خوخةٍ[1] ليدخُل راكعاً للمَلِكِ فَفَطِنَ لها القاضي، ودخل بظَهْرِه.

[١]ومنها أنَّه قال لراهبهم: كيف الأهلُ والأولادُ؟ فقال الملك: مَهْ! أما علمتَ أنَّ الراهب يتنزَّه عن هذا؟ فقال: تُنزِّهُونه عن هذا، ولا تُنَزِّهون ربَّ العالمين عن الصاحبة والولد!.

[٢]وقيل: إنَّ الطاغيةَ سأله: كيف جرىٰ لزوجةِ نبيِّكم؟ ـ يقصِدُ توبيخاً ـ فقال: كما جرى لمريمَ بنتِ عِمران، وبرَّأهما الله، لكنَّ عائشةَ لم تأتِ بولد. فأفحمه.

قال الخطيبُ: سمعتُ أبابكر الخوارزمي يقولُ: كل مُصنِّفٍ ببغداد إنما ينقُل من كُتُب الناس سوىٰ القاضي أبي بكر، فإنما صَدْرُه يحوي عِلْمَه وعلمَ الناس.

[٣]وقال أبومحمد البافي: لو أوصىٰ رجل بثُلُث مالِهِ لأفْصحِ الناس لوجَبَ أن يُدفع إلى أبي بكر الأشعريّ.

[٤]وعمل بعضُهُم في موتِ القاضي:

انـظُرْ إلى جَبَـلٍ تَمشِي الـرِّجَالُ به وانْظُرْ إلى القَبْر ما يَحْوِي من الصَّلَفِ
وانـظُرْ إلى صارِمِ الإسْـلام مُنْغَمِداً وانْظُرْ إلى دُرَّة الإسْلام في الصَّدفِ

مات سنة ثلاثٍ وأربع مئة، وصلى عليه ابنُهُ حسن وكانت جِنَازَتُهُ مشهودة، وكان سيفاً على المعتزلة والرافضة والمُشَبِّهة، وغالبُ قواعِدِه على السُّنَّة، وقد أمر شيخُ الحنابلة أبو الفضل التميميُّ مُنادياً يقول بين يدي جِنَازتِهِ: هذا ناصرُ السُّنَّةِ والدين، والذّابُّ عن الشريعة، هذا الذي صنَّف سبعين ألف ورقة. ثم كان يزورُ قبرَه كُلَّ جمعة.

---

(١) هو باب صغير ضمن باب كبير لايتمكن الانسان من دخوله إلا أن يحني رأسه.

٧٤٤ - أبو حَامد الإسْفراييني[1]

[١]الأستاذُ العلامةُ، شيخُ الإسلام، أبو حامد، أحمدُ بنُ أبي طاهر محمد بن أحمد الإسْفَرايينيُّ، شيخُ الشافعية ببغداد.

ولد سنة أربع وأربعين وثلاث مئة.

قال الشيخ أبو إسحاق في «الطبقات»: انتهت إليه رئاسةُ الدِّينِ والدنيا ببغداد، وعُلِّق عنه تعاليقُ في شرح المُزَني، وطبّق الأرضَ بالأصحاب وجمع مجلسُهُ ثلاثَ مئة مُتفقِّه.

وقال الشيخ محيي الدين النواوي: تعليقةُ الشيخ أبي حامد في نحو من خمسين مُجلداً، ذكر فيها مذاهبَ العُلماء، وبسطَ أدلَّتَها والجوابَ عنها.

[٢]قال الخطيب: حدّثُونا عن أبي حامد، وكان ثقةً، حضرتُ تدريسهَ في مسجد ابن المُبارك، وسمعتُ من يذكُر أنَّه كان يحضُر درسَه سبعُ مئة فقيه وكان الناسُ يقولونَ: لو رآهُ الشافعيُّ، لَفَرِحَ به.

قال ابنُ الصَّلاحِ: وعلى الشيخ أبي حامد تأوَّلَ بعض العلماء حديثَ: «إنَّ الله يبعَثُ لهذه الأُمَّةِ على رأس كُلِّ مئةِ سنةٍ مَن يُجَدِّدُ لها دِينَها»، فكان الشافعيُّ على رأس المئتين، وابنُ سُريج على رأس الثلاث مئة، وأبو حامد على رأس الأربع مئة.

[٣]وروي عن سُليم الرازي قال: كان أبوحامد في أولِ أمره يحرُسُ في درب، وكان يُطالعُ على زيتِ الحَرَس، وإنه أفتى وهو ابن سبع عشرة سنة.

قال الخطيب: مات أبوحامد في سنة ست وأربع مئة، وكان يوماً مشهوداً، ودفن في داره، ثم نُقل بعد أربع سنين، ودُفن بباب حرب، رحمه الله.

---

(١) انظر السير: ١٧/ ١٩٣-١٩٧.

٧٤٥ - الصُّعْلُوكيّ(١)

[١]العلاّمةُ، شيخُ الشافعية بخُراسان، الإمامُ أبو الطيِّب، سهلُ بن الإمام أبي سهل محمد بن سُليمان، العِجْلِيُّ الحَنَفيُّ، ثم الصُّعْلُوكيُّ النيسابوريُّ، الفقيهُ الشافعي. تفقَّه على والده.

قال الحاكم: هو من أنْظَرِ من رأينا، تخرَّج به جماعة، وحدّث وأملى.

قال: وبلغني أنَّه كان في مجلسه أكثرُ من خمس مئة محبرة.

[٢] وقال الحاكم: كان أبوه يُجلُّه، ويقول: سهلٌ والد.

[٣] وله ألفاظٌ بديعة، منها: مَنْ تَصَدَّرَ قبلَ أوانِهِ، فقد تصدّى لِهَوَانِهِ.

[٤] وقال: إذا كان رضى الخلق معسوراً لا يُدرك، كان رضى الله ميسوراً لا يُترك. إنا نحتاج إلى إخوان العُشرة لوقت العُسْرة.

[٥]وكان بعضُ العلماء يعدُّ أبا الطيب المجدِّدَ للأُمة دينَها على رأس الأربع مئة، وبعضُهُم عدَّ ابن الباقِلاّنيِّ وبعضُهُم عدَّ الشيخ أبا حامد الإسفراييني، وهو أرجح الثلاثة.

توفي الإمامُ أبوالطيِّب، سنة أربع وأربع مئة في عشر الثمانين رحمه الله تعالى.

٧٤٦ - عميد الجيوش(٢)

[٦] الأمير الوزير، أبو علي، الحسينُ بن أبي جعفر.

خدم أبو علي بهاءَ الدولة، فاستنابَهُ على العراق، فقدِمَها في سنة ٣٩٦

(١) انظر السير: ١٧/ ٢٠٧-٢٠٩.

(٢) انظر السير: ١٧/ ٢٣٠-٢٣١.

والفتنُ ثائرةٌ بها، فضبط العراقَ بأتمِّ سياسة، وأباد الحراميّةَ، وقتل عدهً، وأبطل مآتمَ عاشوراء، وأمر مملوكاً له بالمسيرِ في محالِّ بغداد، وعلى يده صينيةٌ مملوءةٌ دنانير، ففعلَ، فما تعرض له أحد لا في الليل ولا في النهار. ومات نصرانيٌّ تاجرٌ من مصر، وخلّف أموالاً، فأمر بحفظِها حتى جاء الورثة من مصر فتسلّموها.

وكان مع فرط هيبتِه ذا عدلٍ وانصافٍ، وَلِيَ العراق تسع سنين سوى أشهر. تُوفي سنة إحدى وأربع مئة، وولي بعده فخرُ الملك.

٧٤٧ - السُّلَمي(١)

[١]محمد بن الحُسين بن محمد، الأزْديُّ، السُّلَميُّ الأُمِّ، الإمامُ الحافظُ المحدِّثُ، شيخُ خراسان وكبيرُ الصوفيَّة، أبوعبدالرحمن النيسابوريُّ الصوفيُّ صاحبُ التصانيف.

وُلد سنةَ خمس وعشرين وثلاث مئة.

قال الخَشّاب: كان مَرْضِيّاً عند الخاصّ والعامّ، والمُوافق والمُخالف والسُّلطان والرَّعيةِ، في بلده وفي سائرِ بلاد المسلمين، ومضى إلى الله كذلك، وحبَّبَ تصانيفَه إلى الناس وبيعت بأغلى الأثمانِ.

[٢]وقال: أصلُ التصوُّفِ ملازمةُ الكتابِ والسُّنَّة وترك الأهواءِ والبِدَعِ وتعظيمُ حُرمات المشايخ، ورؤيةُ أعذارِ الخَلْق، والدوامُ على الأوراد.

قال أبو الوليد القُشَيري: سمعتُ أبا عبدالرحمن السُّلميَّ يسألُ أبا عليٍّ الدقّاق، فقال: الذِّكرُ أتمُّ أم الفِكْرُ؟ فقال: ما الذي يُفتَح للشيخ فيه؟ قال

(١) انظر السير: ١٧/ ٢٤٧-٢٥٥.

أبوعبدالرحمن: عندي الذكرُ أتمُّ، لأن الحقَّ يُوصف بالذِّكْر، ولا يُوصف بالفِكرْ. فاستحسنه أبو عليّ.

[١]القشيري: سمعتُ السُّلَميَّ يقـولُ: خرجتُ إلى مرو في حياة الأستاذ أبي سهل الصُّعْلُوكي، وكان له قبلَ خُروجي أيام الجُمَع بالغَدَوات مجلسُ دور القرآن بختم، فوجدتُه عند رجوعي قد رفع ذلك المجلس، وعقدَ لابن العُقابي في ذلك الوقت مجلسَ القول فداخلنَي من ذلك شيء، وكنتُ أقول في نفسي: استبدلَ مجلس الختم بمجلس القول ـ يعني الغناء ـ فقال لي يوماً: يا أبا عبدالرحمن: أيش يقـولُ النـاس لي؟ قلت: يقولون: رفع مجلسَ القرآن، ووضعَ مجلسَ القول. فقال: مَنْ قال لأستاذه: لِمَ؟ لا يُفلح أبداً.

قلتُ: يَنبغي للمُريد أن لا يقولَ لأستاذه: لِمَ، إذا علمه مَعْصوماً لا يَجُوز عليه الخطأ، أما إذا كان الشيخُ غيرَ معصوم وكره قولَ: لِم؟ فإنه لا يُفلح أبداً، قال الله تعالى:

﴿وتَعَاوَنُوا عَلى البِـرِّ والتَّقْـوىٰ﴾ (المائدة: ٢).

وقال تعالى:

﴿وتواصوا بالحق﴾ (العصر: ٣). ﴿وتواصَوْا بالمَرْحَمَةِ﴾ (البلد: ١٧).

بلىٰ هنا مُريدون أثقالٌ أنكاد، يعترِضُون ولا يقتدون، ويقولُون ولا يعملُون فهؤلاء لا يُفلحون.

قلتُ: وللسُّلَميِّ سؤالات للدار قطنيِّ عن أحـوالِ المَشَـايخ والـرُّواة سؤالَ عارف، وفي الجُملة ففي تصـانيفِه أحاديثُ وحكاياتٌ موضوعة، وفي «حقائق تفسيره» أشياءُ لا تسـوغُ أصلاً، عدَّها بعضُ الأئمةِ من زَنْدَقَةِ الباطنيّة، وعدها بعضُهم عِرْفاناً وحقيقةً، نعوذُ بالله من الضلال ومن الكلام بهوى، فإنَّ الخيرَ كُلَّ الخيرِ في متابعةِ السُّنَّة والتمسُّكِ بهَدْي الصحابةِ والتابعين رضي الله عنهم.

مات السُّلَميُّ، سنة اثنتي عشرة وأربع مئة، بنيسابور، وكانت جنازتُه مشهودة.

[١]قال الإمام تقي الدين ابن الصلاح في «فتاويه»: وجدتُ عن الإمام أبي الحسن الواحديِّ المُفَسِّر رحمه الله أنَّه قال: صنّف أبو عبدِالرحمنِ السلميُّ «حقائق التفسير»، فإن كان اعتقدَ أنَّ ذلك تفسيرٌ فقد كفر.

قلتُ: واغوثاه! واغُربتاه!.

٧٤٨ - عبدُالغني بن سعيد[١]

[٢]ابنِ عليٍّ، الإمامُ الحافظ الحُجَّةُ النسابة، محدِّثُ الديارِ المصرية أبو محمد الأزْدِيُّ المِصْريّ.

مولده في سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة.

وكان أبوه سعيد فَرَضِيَّ مصرَ في زمانِهِ.

وكان من كبار الحفاظ.

قال البَرْقاني: سألتُ الدارقُطنيَّ لما قَدِمَ من مصر: هل رأيتَ في طَرِيقِكَ من يَفْهَمُ شيئاً من العلم؟ قال: ما رأيْتُ في طول طريقي إلا شاباً بمصر يقال له: عبدُالغني، كأنه شُعْلَةُ نار. وجعل يُفَخِّمُ أمره ويرفع ذِكْرَه.

[٣]قال أبو الوليد الباجي: عبدُالغني بن سعيد حافظٌ متقن، قلتُ لأبي ذَرٍّ الهَرَوي: أخذتَ عن عبدالغني؟ فقال: لا، إن شاء الله. على معنى التأكيد، وذلك أنه كان لعبدالغنيِّ اتصالٌ ببني عُبيد، يعني أصحاب مصر.

قلتُ: اتصالُه بالدولة العُبيدية كان مداراةً لهم، وإلا فلو جَمح عليهم، لاستأصَلَه الحاكمُ خليفةُ مصر، الذي قيل: إنه ادّعى الإلهية.

وأظنُّه وَلِيَ وظيفةً لهم، وقد كان من أئمة الأثَر، نشأ في سُنَّةٍ واتّباعٍ قبل وجود

---

(١) انظر السير: ١٧/ ٢٦٨-٢٧٣.

الـرفض، واستمـرّ هو على التّمسُّـك بالحديث، ولكنه دارى القومَ، وداهَنَهُم فلذلك لم يُحِبَّ الحافظُ أبو ذرٍّ الأخذَ عنه.

[١]وقدْ كان لعبدِالغنيِّ جنازةٌ عظيمة تحدَّثَ بها الناس، ونُودي أمامها: هذا نافي الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

توفي سنة تسعٍ وأربع مئة.

٧٤٩ - طغـان خـــان[1]

التركيُّ، صاحب تُرْكِسْتان، وبَلَاساغُون،[2] وكاشْغر،[3] وخُتَن،[4] وفاراب.[5]

[٢]قصدته جيوش الصين والخَطَا،[6] في جَمْعٍ ما سُمع بمثله حتى قيل: كانوا ثلاثَ مئة ألف.

وكان مريضاً فقال: اللهم عافِني لأغزُوَهم، ثم توفني إن شِئْتَ فعُوفِيَ، وجَمَعَ عساكِرَهُ، وساقَ، فبيَّتَهُم، وقتل منهم مئتي ألف وأسر مئة ألف، وكانت ملحمةً مشهودة في سنة ثمان وأربع مئة، ورجعَ بغنائِمَ لا تُحصى إلى بَلَاساغُون، فتوفّاه

---

(١) انظر السير: ١٧/ ٢٧٨-٢٧٩.

(٢) قال ياقوت: بلد عظيم في ثغور الترك وراء نهر سيحون قريب من كاشغر.

(٣) قال ياقوت: هي مدينة وقرى ورساتيق يسافر إليها من سمرقند وتلك النواحي، وهي في وسط بلاد الترك، وأهلها مسلمون.

(٤) بلد وولاية دون كاشغر ووراء يوزكند، وهي معدودة من بلاد تركستان، وهى في واد بين جبال في وسط بلاد الترك.

(٥) ولاية وراء نهر سيحون في تخوم بلاد الترك، وهي أبعد من الشاش قريبة من ساغون.

(٦) قال القلقشندي: إن اسم الخطا يطلق على بلاد متاخمة للصين يسكنها جنس من الترك، وقد أسسوا دولتهم في القرن السادس الهجري أو الثاني عشر الميلادي وكانت بينهم وبين المسلمين حروب طويلة.

الله عقيب وصوله.

وكان ديِّنا عادلاً، بطلاً شجاعاً.

٧٥٠ - فخر المُلْك(١)

[١]الوزيرُ الكبيرُ، أبوغالب، محمدُ بنُ علي بن خلف بن الصيرفي.

كان صدراً مُعظماً، جواداً مُمَدَّحاً من رجالِ الدهر، كان أبوه صيرفياً بديوان واسط، وكان أبوغالب من صِباه يتعانىٰ المكارم والأفاضل ويُلقِّبونه بالوزير الصغير، وَلِيَ العراقَ بعد عميد الجيوش، فعدل قليلاً وأعاد اللَّطْم يوم عاشُوراء، وثارت الفِتَنُ لذلك، ومدَحَتْه الشُّعراء، ودام ستَّ سنين، ثم أُمسك بالأهوازِ، وقُتل في سنة سبعٍ وأربع مئة وأخذوا له جوهرا ونفائس، وألفَ ألفِ دينار وغير ذلك، وطُمِرَ في ثيابه.

وكان شَهماً كافياً، خبيراً بالتصرف، سديدَ التوقيع، طلق المُحَيّا يُكاتب ملوكَ النواحي، ويُهاديهم، وفيه عدلٌ في الجملة، عمرت العراقَ في أيامه، وكان من محاسِنِ الدهر، أنشأ بيمارستاناً عظيما ببغداد وكانت جوائزُهُ متواترةً على العلماء والصلحاء، وعاش ثلاثاً وخمسين سنة.

[٢]رُفعت إليه سِعايةٌ برجل، فوقَّع فيها: السِّعايةُ قبيحة، ولو كانت صحيحة، ومعاذَ اللهِ أن نقبل من مهتوكٍ في مستور، ولولا أنك في خُفَارة شَيْبك، لعاملناكَ بما يُشبه مقالَك، ويردَعُ أمثالَكَ، فاكتم هٰذا العَيب، واتَّق من يعلمُ الغيب. فأخذها فُقهاءُ المَكاتب، وعلَّمُوها الصِّغار.

---

(١) انظر السير: ١٧/ ٢٨٢-٢٨٣.

٧٥١ - علي بنُ هلال ابنُ البواب(١)

[١]البغداديُّ، مولى مُعاويةَ بن أبي سفيان الأموي.

برع في تعبير الرُّؤيا، وقصّ على الناس بجامع المنصور، وله نظمٌ ونثرٌ وإنشاء.

قال ابنُ خَلِّكان: هذَّبَ ابنُ البّوابِ طريقةَ ابنِ مُقْلَةَ ونقّحها وكساها طَلاوَةً وبهجة.

تُوفي ابنُ البواب صاحبُ الخَطِّ الحسن، سنة ثلاث عشرة وأربع مئة.

[٢]قال ابن خَلِّكان: روى الكلبيُّ والهيثمُ بن عديٍّ أنَّ الناقلَ للكتابة العربية من الحِيْرةِ إلى الحجاز هو حربُ بن أُمَيَّة. فقيل لأبي سُفيان: ممَّن أخذ أبوكَ الكِتَابة؟ قال: من ابنِ سِدْرَة، وأخبره أنَّه أخذَها من واضعها مرامر بن مُرَّة، قال: وكانت لِحِمْيرَ كتابةٌ تُسمَّى المُسْند، حروفها منفصلةٌ، غيرُ مُتَّصلة، وكانوا يمنعون العامّةَ من تعلُّمِها، فلما جاء الإسلامُ، لم يكن بجميع اليمن من يقرأ ويكتُب.

قلت: هذا فيه نظرٌ، فقد كان بها خلق من أحبار اليهودِ يكتبُون بالعبراني.

إلى أن قال: فجميعُ كتابات الأُمم اثنتا عشرة كتابةً، وهي: العربيةُ، والحِمْيَريَّةُ، واليُونانية، والفارسيَّة، والروميَّة والسُّريانيَّة، والقِبْطِيَّة، والبربرية، والأندلسية، والهنديَّةُ والصِّينية، والعِبرانية، فخمس منها ذهبت: الحِميرية، واليونانيةُ والقبطيةُ، والبربريةُ، والأندلسيةُ. وثلاثٌ لا تُعرف ببلاد الإسلام: الروميَّةُ والصِّينيَّةُ، والهنديَّةُ.

[٣]قلت: الكتابةُ مُسَلَّمَة لابن البوّاب، كما أنَّ أقرأ الأُمةِ أُبَيُّ بن كعب،

---

(١) انظر السير: ١٧/ ٣١٥-٣٢٠.

وأقضاهم عليٌّ، وأفرضَهم زيد، وأعلمهم بالتأويل ابن عباس، وأمينهم أبوعبيدة، وعـابـرهم محمـدُ بن سيرين، وأصـدقهم لهجـة أبـو ذر، وفقيهَ الأمة مالك، ومحـدثهم أحمدُ بن حنبل، ولُغَويُّهم أبو عُبيد، وشاعرَهُم أبو تمّام، وعابدَهم الفُضيل، وحـافِـظَهُم سفيانُ الثـوري، وأخباريُّهم الواقديُّ، وزاهدَهُم معروف الكرخي، ونحويُّهم سيبويه، وعَرُوضِيُّهم الخليلُ وخطيبَهُم ابن نباتة، ومُنشِئَهم القاضي الفاضل، وفارسهم خالد بن الوليد رحمهم الله.

٧٥٢ ـ الشيخ المُفيـد[١]

[١]عالمُ الرافِضة، محمدُ بن محمدِ بن النُّعمان، البغداديُّ الشِّيعيُّ ويعرف بابن المُعَلِّم.

كان صاحبَ فنونٍ وبُحوثٍ وكلام، واعتزالٍ وأدب.

[٢] ذكره ابن أبي طي في «تاريخ الإمامية» فأطنب وأسهب، وقال: كان أوحدَ في جميع فنـون العلم: الأصْلَين، والفقـهِ، والأخبارِ، ومعرفة الرجال، والتفسير، والنحـو، والشِّعر. وكان يُناظِرُ أهلَ كلِّ عقيدةٍ مع العَظَمة في الدولة البُويهيّة، والرُّتبةِ الجسيمةِ عند الخلفاء، وكان قويَّ النفس، كثيرَ البرِّ، عظيم الخُشُوع، كثيرَ الصَّلاة والصَّوم، يلبَسُ الخَشِنَ من الثياب، وكان مديماً للمطالعة والتَّعليم، ومن أحفظِ الناس، قيل: إنه ما ترك للمُخالفين كتاباً إلا وحفِظَه، وبهذا قَدَر على حَلِّ شُبَـهِ القـوم، وكان من أحرص الناس على التعليم، يدورُ على المكاتب وحـوانيت الحاكة فيتلمَّحُ الصَّبيَّ الفَطِنَ، فيستأجِرُه من أبويه ـ يعني فيُضِلَّه ـ قال: وبذلك كثر تلامذتُه.

[٢]عاش ستـا وسبعين سنة، إلى أن قال: مات سنة ثلاث عشرة وأربع مئة،

(١) انظر السير: ١٧/ ٣٤٤ـ٣٤٥.

وشيعه ثمانون ألفاً.

وقيل: بلغت تواليفُه مئتين، لم أقِفْ على شيءٍ منها ولله الحمدُ.

٧٥٣ - ابن الفَخَّـار(١)

[١]الإمامُ العلاّمةُ الحافظ، شيخُ الإسلام، عالمُ الأندلس، أبوعبدالله محمدُ بن عمر بن يوسف بن الفَخّار، القرطبيُّ المالكيُّ.

ولد سنة نيف وأربعين وثلاث مئة.

وكان رأساً في الفقه، مُقَدَّماً، في الزُّهد، موصوفاً بالحِفظ، مُفْرطَ الذَّكاء عارفاً بالإجماع والاختلاف، عديمَ النَّظير، يحفَظُ «المُدَوَّنَة» سرداً، و «النوادر» لأبي محمد بن أبي زيد.

[٢]أُريد على الرُسليَّة إلى أُمراء البربر، فأبى، وقال: بي جفاءٌ وأخاف أن أُوذى. فقال الوزير: ورجلٌ صالحٌ يخافُ الموتَ! فقال: إنْ أخَفْهُ، فقد خافه أنبياءُ الله، هذا موسى قد حكى الله عنه:

﴿فَفَرَرْتُ منكم لَمّا خِفْتُكُم﴾ (الشعراء: ٢١).

[٣]قال ابنُ حيان: تُوفيَ الفقيهُ الحافظُ المشاوَرُ، المستبحِرُ الرواية البعيدُ الأثر، الطويلُ الهجـرةِ في طلب العلم، النـاسكُ المُتقشِّفُ، أبوعبدالله بن الفَخَّار بمدينةِ بَلَنْسِيَة سنةَ تسعَ عشرةَ وأربعَ مئة. فكان الحفلُ في جنازته عظيماً. وعاين الناسُ فيها آيةً من طيورٍ شبهِ الخُطَّافِ ـ وما هي بها ـ تخلَّلتِ الجمعَ رافَّةً فوقَ النعشِ، جانحـةً إليه مُشِفَّـةً إليه، لم تُفارق نعشَهُ إلى أن ووريَ، فتفرَّقَت،

---

(١) انظر السير: ١٧/ ٣٧٢-٣٧٤.

وتحدث النّاسُ بذلك وقتاً. مكث مدة ببَلَنْسِيَةَ مُطاعاً، عظيمَ القَدر عند السُّلطان والعامّة وكان ذا منزلةٍ عظيمةٍ في الفقهِ والنُّسك، صاحب أنباء بديعة.

وكان يُقال: إنه مُجابُ الدعوة. واختُبرتْ دعوتُهُ في أشياء.

وقال أبو عَمرو الدانيُّ: وهو آخر الفقهاءِ الحفاظ، الراسخين العالمين بالكتاب والسنة بالأندلس. رحمه الله.

٧٥٤ - الجَصَّاص(١)

[١]شيخُ الزهّاد، أبو محمد، طاهرُ بن حسن بن إبراهيم، الهَمَذانيُّ الجصاص.

وله أحوالٌ وخوارقُ. وبعضُهم رماهُ بالزَّنْدَقَة. وقد عظمه شِيرَوَيْه الدَّيْلَميُّ، وبالغ.

وكان يقرأُ القرآنَ والتوراةَ والإنجيل والزَّبُور، ويعرِفُ تفسيرَها فيما قيل.

[٢]قال مَكِّيُّ بن عمر البَيِّع: سمعتُ محمدَ بن عيسى يقول: صامَ طاهرٌ أربعين يوماً أربعين مرة، فآخرُ أربعين عملَها صام على قِشر الدُّخنِ فَلِبُسِه قَرِعَ رأسُه، واختَلَط في عقله، ولم أرَ أكثرَ مجاهدةً منه.

قلت: فِعْلُ هذه الأربعيناتِ حرامٌ قطعاً، فعُقباها موت من الخَوَر أو جُنون واختلاط، أو جفافٌ يُوجب للمرء سماعَ خطابٍ لا وجودَ له أبداً في الخارج فيظن صاحبُه أنه خطاب إلِّي.(٢) كلا والله.

وقال ابنُ زيرك: حضرتُ مجلساً ذُكر فيه الجصَّاصُ، فبعضُهم نسبه إلى

---

(١) انظر السير: ١٧/ ٣٩٠-٣٩٢.

(٢) أي: إلهي، فقد جاء في اللسان: الإل: الله عز وجل... والمعنى أنه مما يوسوس له يخيل إليه أنه يسمع كلاماً ويظن أن الله يخاطبه به.

الزندقة، وبعضُهم نسبه الى المعرفة.

وقيل: كان ترَكَ اللحمَ والخُبزَ، فحوقق في ذلك، فقال: إذا أكلتُها، طالبتني نفسي بتقبيل أمرد مليح.

وكان عليه قملٌ مُفرطٌ، ولا يقتلُه، ويقول: لا يُؤذيني.

توفي سنة ثمان عشرة وأربع مئة وقبره يزار بهَمَذان.

٧٥٥ ـ القَفّـال (١)

[١]الإمامُ العلاّمةُ الكبيرُ، شيخُ الشافعيّة، أبوبكر، عبدُالله بن أحمد بن عبدالله، المَرْوَزِيُّ الخُراساني.

[٢]حَذَقَ في صنعة الأقْفَال حتى عمل قُفلاً بآلاته ومفِتاحه زنة أربع حبات، فلما صار ابنَ ثلاثين سنة، آنس من نفسه ذكاءً مفرطاً، وأحب الفقهَ فأقبل على قراءته حتى برَع فيه، وصار يضرب به المثل، وهو صاحبُ طريقة الخُراسانيّين في الفقه.

قال الفقيه ناصرٌ العُمري: لم يكن في زمان أبي بكر القفّال أفقهُ منه، ولا يكون بعده مثلهُ، وكنا نقولُ: إنه ملَكٌ في صورة الإنسان. حدَّث وأملى، وكان رأساً في الفقه، قُدوةً في الزُّهد.

[٣]وذكر ناصر المَرْوزيُّ أن بعضَ الفقهاء المُختلفين إلى القفّال احتسب على بعض أتباعِ متولّي مَرْو، فرُفع ذلك إلى السلطان محمودٍ، فقال: أيأخذ القَفّال شيئاً من ديواننا؟ قال: لا. قال: فهل يتلبَّسُ بشيء من الأوقافَ؟ قال: لا. قال: فإن الاحتسابَ لهم سائغٌ، دَعْهُم.

---

(١) انظر السير: ١٧/ ٤٠٥ـ٤٠٨.

[١] حكى القاضي حسين عن القفّال أستاذِه أنَّه كان في كثيرٍ من الأوقات يقعُ عليه البكاءُ حالةَ الدرس، ثم يرفع رأسه ويقول: ما أغفلَنا عما يُرادُ بنا.

مات في سنة سبع عشرة وأربع مئة، وله من العمر تسعون سنة.

الطبقـة الثالثـة والعشـرون

٧٥٦ ـ أبـو نُعَـيم (١)

[١] أحمد بن عبدالله بن أحمد، الإمامُ الحافظُ، الثقةُ العلاّمةُ شيخُ الإسلام، أبو نُعيم، المهرانيُّ، الأصبهانيُّ، الصُّوفيُّ، الأحولُ وصاحب «الحِلية».

ولد سنة ست وثلاثين وثلاث مئة.

قال أحمد بن محمد بن مَرْدَوَيْه: كان أبونُعيمٍ في وقتِه مرحُولاً إليه ولم يكن في أُفُقٍ من الآفاق أسندُ ولا أحفظُ منه، كان حُفَّاظُ الدنيا قد اجتمعُوا عنده، فكان كُلّ يوم نوبة واحد منهم يقرأُ ما يريده إلى قَريب الظُّهر، فإذا قام إلى داره، رُبّما كان يُقرأ عليه في الطريق جُزء وكان لا يَضْجَرُ، لم يكن له غَداء سوى التصنيفِ والتسميع.

[٢] قال أبوطاهر السِّلَفيُّ: سمعتُ أبا العلاء محمدَ بن عبدالجبار الفُرْسَانيَّ يقول: حضرتُ مجلسَ أبي بكر بن أبي علي الذَّكْواني المُعَدّل في صِغَري مع أبي، فلما فرغ من إملائه، قال إنسانٌ: من أراد أن يحضُر مجلسَ أبي نُعيم، فليَقُم. وكان أبو نُعيم في ذلك الوقت مهجوراً بسبب المَذْهب، وكان بين الأشعريَّةِ والحنابِلة تعصُّبٌ زائد يؤدي إلى فتنة، وقِيلٍ وقالٍ، وصُداعٍ طويل، فقام إليه أصحابُ الحديثِ بسكاكين الأقلام، وكاد الرجلُ يُقتل.

قلتُ: ما هؤلاء بأصحابِ الحديث، بل فَجَرةٌ جَهَلة، أبعد الله شَرَّهم.

[٣] قلت: قد كان أبوعبدالله بنُ مَنْدة يُقذعُ في المَقَال في أبي نُعيم لمكان الاعتقادِ المُتَنازَعِ فيه بين الحنابلة وأصحاب أبي الحسن، ونال أبو نُعيم أيضاً

(١) انظر السير: ١٧/ ٤٥٣-٤٦٤.

من أبي عبدالله في «تاريخه». وقد عُرف وهنُ كلامِ الأقرانِ المُتنَافِسين بعضِهم في بعض. نسألُ الله السَّماح.

مات أبو نعيم الحافظ، سنة ثلاثين وأربع مئة وله أربع وتسعون سنة.

٧٥٧ - يحيى بن عمار[1]

[١]ابنِ يحيى، الإمامُ المحدِّثُ الواعظ، شيخُ سِجِسْتان، أبوزكريا الشيباني النِّيهِيُّ السِّجِسْتانيُّ، نزيلُ هَرَاة.

[٢]وكان مُتحرِّقاً على المُبتدعة والجَهْميّة بحيث يؤولُ به ذلك إلى تجاوُز طريقة السلف، وقد جعل الله لكُلِّ شيءٍ قدراً، إلا أنَّه كان له جلالةٌ عجيبةٌ بَهَراةَ، وأتباعٌ وأنصار.

وكان فصيحاً مُفَوَّهاً، حسنَ الموعِظَةِ، رَأْساً في التفسير، أكمل التفسيرَ على المِنبر في سنة اثنتين وتسعين وثلاث مئة، ثم افتتح خَتْمةً أخرى فمات وهو يُفَسِّرُ في سورة القيامة، وعاش تسعين سنة.

قال أبو إسماعيل الأنصاريُّ: كان يحيى بن عمّار مَلِكاً في زِيِّ عالِمٍ، كان له مُحِبٌّ مُتَموِّلٌ يحملُ إليه كلّ عام ألفَ دينار هَرَوية، فلما مات يحيى، وجدوا له أربعين بَدْرَةً لم يَفُكَّ خَتْمَها.

[٣]وقال أبو إسماعيل: سمعتُ يحيى بن عمّار يقولُ: العلوم خمسةٌ: علمٌ هو حياةُ الدين وهو علمُ التوحيد، وعلمٌ هو قوتُ الدين وهو العِظَةُ والذِّكرُ، وعلمٌ هو دواءُ الدين وهو الفقهُ، وعلمٌ هو داءُ الدين وهو أخبارُ ما وقع بين السَّلَف، وعلمٌ هو هلاكُ الدين وهو الكلامُ.

قلت: وعلم الأوائـل.

[٤]وكان يحيى بن عمّار من كبار المُذكِّرين، لكن ما أقبحَ بالعالمِ الداعي إلى الله الحرصَ وجمعَ المال!

---

(١) انظر السير: ١٧/ ٤٨١-٤٨٣.

تُوفِّيَ يحيى بن عمّار بهَراة، سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة، وكانت جنازتُه مشهودة.

٧٥٨ - السُّلْطان(١)

[١]الملكُ يمينُ الدولة، فاتح الهند، أبوالقاسم، محمودُ بن سيد الأمراء، ناصر الدولة سُبُكْتِكين، التركيُّ، صاحبُ خراسان والهند وغير ذلك.

فرض على نفسِه كلَّ سنةٍ غَزْوَ الهندِ، فافتتح بلاداً شاسعةً.

وكان السلطانُ مائلا إلى الأثر إلاَّ أنَّه من الكرّاميّة.

[٢]قال أبـو النَّضرِ الفاميُّ: لما قدم التَّاهَرْتيُّ الداعي من مصرَ على السُّلطان يدعُوه سِرّاً إلى مذهبِ الباطنيّة، وكان التَّاهَرْتيُّ يركَبُ بغلاً يتلَوَّنُ كُلَّ ساعةٍ من كُل لون، ففهم السلطانُ سِرَّ دعوتهم، فغضب، وقَتَل التَّاهَرْتيَّ الخبيث، وأهدى بغلَهُ إلى القاضي أبي منصور محمد بن محمد الأزْدي، شيخ هراة، وقال: كان يركبه رأس الملحدين، فليَركَبْه رأسُ المُوحِّدين.

[٣]وذكر إمامُ الحرمين أن محمودَ بن سُبُكتِكِين كان حنفيّاً يحبُ الحديثَ فوجد كثيراً منـه يخـالِفُ مذهبَـه، فجمع الفقهاءَ بمَرْو، وأمر بالبحث في أيما أقوى مذهبُ أبي حنيفة أو الشافعي. قال: فوقع الإتفاق على أن يُصَلُّوا ركعتين بين يديه على المذهبين. فصلّى أبوبكر القفال بوُضوءٍ مُسْبغٍ وسترةٍ وطهارةٍ وقبلة وتَمَامِ أركانٍ لا يُجوِّزُ الشافعيُّ دونها، ثم صلّى صلاةً على ما يُجوِّزُه أبوحنيفة، فلبس جِلْدَ كلبٍ مدبـوغـاً قد لُطخ رُبُعُه بنجاسة، وتوضأ بنبيذ، فاجتمع عليه الذُّبّان، وكان وضوءاً مُنَكساً، ثم كبّر بالفارسيّة وقرأ بالفارسية: دُوبَرْكك سَبْز.(٢)

(١) انظر السير: ١٧/٤٨٣-٤٩٥.

(٢) والمعنى: ورقتان خضراوان، وهو معنى قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿مدهامتان﴾ انظر «وفيات الأعيان» ١٨٢/٥، و «المعجم الذهبي» فارسي عربي.

ونَقَرَ ولم يَطْمئنَّ ولا رَفَعَ من الرُّكُوع، وتشهد، وضَرَطَ بلا سلام. فقال له: إن لم تكن هذه الصلاةُ يُجيزُها الإمامُ، قتلتُكَ. فأنكرت الحنفيةُ الصلاةَ، فأمر القفّالُ بإحضار كتُبُهِم، فوُجد كذلك، فتحوّل محمود شافعيّاً. هكذا ذكرهُ الإمام أبو المعالي بأطولَ من هذا.(١)

[١]قال عبدُالغافر الفارسيُّ في ترجمة محمود: كان صادقَ النيَّةِ في إعلاءِ الدين، مُظَفَّراً كثير الغَزْو، وكان ذكياً بعيد الغَور، صائبَ الرَّأْيِ، وكان مجلسُه موردَ العُلماء. وقبره بغَزْنة يُزار.

مولدُ محمود في سنة إحدى وعشرين وأربع مئة.

ومات بغَزْنة، سنة إحدى وعشرين وأربع مئة.

[٢]وكانت غَزَواتُ السلطان محمود مشهورةً عديدةً وفتوحاتُه المبتكرة عظيمة.

[٣]بلغ السلطانَ أن الهنود قالوا: أخرب أكثرَ بلادِ الهند غضبُ الصنمِ الكبير سُومَنات على سائر الأصنام ومَنْ حولها، فعزم على غَزْو هذا الوثنِ، وسار يَطوي القِفَارَ في جيشه إليه، وكانوا يقولون: إنه يَرزُق ويُحيي ويميت ويسمع ويَعي، يَحُجُّـون إليه، ويُتحِفونه بالنفائس، ويتغالَون فيه كثيراً، فتجمّع عند هذا مالٌ يتجاوزُ الوصف، وكانوا يَغسِلُونه كل يوم بماء وعسل ولبن، وينقلُون إليه الماءَ من نهر حيل مسيرةَ شهر، وثلاث مئة يَحلِقُون رؤوس حُجّاجه ولِحَاهم، وثلاثُ مئةٍ يُغَنُّون. فسار الجيش من غَزْنة، وقطعُوا مَفازةً صعبةً. وكانوا ثلاثين ألف فارس وخلقاً من الرَّجَّالة والمُطَّوِّعة، وقَوَّى المُطَّوِّعة بخمسين ألف دينار، وأنفق في

---

(١) في «مغيث الخلق في اختيار الأحق»، ونقله عنه ابن خلكان في (وفيات الأعيان) ٥/١٨٠، ١٨١. وهذه الحكاية التي يغلب على الظن أنها ملفقة مفتراة تنبىء عن ذميم التعصب الذي يفعل أفاعيله في النفوس، فيحملها على الكراهية، وعرض رأي المخالف عرضاً مشوهاً مبتوراً، والإغضاء عن فضائله الكثيرة، ومحاسنه الجمة، وكان على إمام الحرمين أن يسلك مع مخاليفه سبيل أهل العلم والعرفان، ويناقشهم بالحجة والبرهان ويصون كتابه عن مثل هذا الهراء والهذيان.

الجيش فوقَ الكفَاية، وارتحل من المُليا ثاني يوم الفطر سنة ٤١٦، وقاسُوا مشاقَّ وبقُوا لا يجدون الماء إلا بعد ثلاث، غطّاهُم في يوم ضباب عظيم، فقالت الكفرةُ: هذا مِن فعل الإله سُومَنات.

ثم نازل مدينةَ أنْهَلْوارة، وهرب مَلِكُها إلى جزيرة، فأخرب المسلمون بلدَه، ودكُّوها، وبينها بين الصنم مسيرةُ شهر في مفاوزَ، فساروا حتى نازَلُوا مدينة دَبُولوارة، وهي قبل الصَّنَم بيومين، فأُخذت عَنْوَةً، وكُسِرت أصنامُها، وهي كثيرةُ الفواكِه، ثم نازلوا سُومَنات في رابع عشر ذي القعدة، ولها قلعةٌ منيعةٌ على البحر، فوقع الحصارُ فنُصِبت السلالمُ عليها، فهرب المُقاتِلةُ إلى الصنم، وتضرَّعُوا له، واشتدَّ الحالُ وهم يظنُّون أنَّ الصنم قد غضب عليهم، وكان في بيت عظيمٍ منيع، على أبوابه السُّتورُ الديباجُ، وعلى الصنم من الحُلِيِّ والجواهر مالا يُوصف والقناديل تُضيء ليلاً ونهاراً، على رأسه تاج لا يُقوَّم، يندهِشُ منه الناظر ويجتمعُ عنده في عيدهم نحوُ مئة ألف كافر، وهو على عرشٍ بديعِ الزَّخرفة علو خمسةِ أذرع، وطولُ الصنمِ عشرةُ أذْرُع، وله بيتُ مال فيه من النفائس والذهب مالا يُحصى، ففرّق محمود في الجند مُعظمَ ذلك، وزعزعَ الصنَمَ بالمعاول، فخرّ صريعاً، وكانت فرقةٌ تعتقِدُ أنه مَنَات، وأنه تحوَّل بنفسِه في أيام النُّبُوة من ساحل جُدّة، وحصل بهذا المكان لِيُقصَدَ ويُحَجَّ معارضةً للكعبة. فلما رآه الكفارُ صريعاً مهيناً، تحسّروا وسُقِط في أيديهم، ثم أحرق حتى صار كلساً، وألقيت النيران في قصور القلعة، وقتل بها خمسون ألفا، ثم سار محمود لأسر المَلِك بهيم، ودخلوا بالمراكب، فهَرَبَ، وافتتح محمود عدة حصون ومدائن، وعاد إلى غَزْنة فدخلها في ثامن صفر سنة سبع عشرة، ودانت له الملوك، فكانت مدةُ الغيبةِ مئةً وثلاثة وستين يوماً.

وقد خُطب له بالغُور وبخُراسان والسند والهند، وناحية خوارزم وبلخ وهي من

خُراسان، وبجُرجان وطبرستان والرَّيِّ والجِبَالِ، وأصْبَهان وأذْرِبيجان وهَمَذان وأرمِينية.

وكان مُكرِماً لأمرائه وأصحابِه، وإذا نقم عاجَلَ، وكان لا يفتُر ولا يكاد يَقِرُّ، وكان يعتقدُ في الخليفة، ويخضعُ لجلاله، ويحمل إليه قناطيرَ من الذَّهب، وكان إلْباً على القَرامطة والإسماعيلية وعلى المتكلِّمين، على بدعةٍ فيه فيما قبل، ويغضَبُ للكرّاميّة، وتصَرُّفه على الأخلاق الزكية، وكان فيه شدةُ وطأةٍ على الرعيّة، ولكن كانوا في أمن وإقامة سياسة.

وقال محمودٌ يوماً للأمير أبي طاهر الساماني: كم جمع آباؤك من الجَوْهر؟ قال: سمعت أنه كان عند الأمير الرِّضي سبعة أرطال. فسجد شكرا، وقال. أنا في خِزانتي سبعون رطلاً.

[١]أُحضر إلى محمود بغزنةَ شخصان من النَّسْناسِ من بادية بلاصيغون وهي مملكةُ قدرخان، وعَدْوُ النسناسِ في شدة عَدْوِ الفرس، وهو في صورة آدمي، لكنَّهُ بدنُهُ ملبَّس بالشعر، وكلامُهُ صفير، ويأكل حشيشاً، وأهل تلك البلاد يصطادُونهم، ويأكُلُونهم. فسأل محمود الفقهاء عن أكل لَحْمِهم، فَنَهوا عنه.

٧٥٩ - ابن السِّمْسَار(١)

[٢]الشيخُ الجليل، المسند العالم، أبوالحسن، علي بن موسى بن الحسين، ابن السِّمْسار الدمشقي.

كان مسند أهل الشام في زمانه.

قال الكتاني: كان فيه تشيُّعٌ وتساهل.

---

(١) انظر السير: ١٧/ ٥٠٦-٥٠٧.

[١]وقال أبوالوليد الباجي: فيه تشيُّعٌ يفضي به إلى الرفض، وهو قليل المعرفة.

[٢]مات ابن السمسار سنةَ ثلاث وثلاثين وأربع مئة، وقد كمل التسعين، ولعل تشيعَه كان تقيَّةً لا سجيَّة، فإنه من بيت الحديث، ولكن غلت الشامُ في زمانه بالرفض، بل ومصر والمغرب بالدولة العبيدية، بل والعراق وبعض العجم بالدولة البويهية، واشتد البلاء دهراً، وشَمَخَت الغلاةُ بأنفِهَا، وتواخى الرفضُ والاعتزالُ حينئذٍ، والناس على دين المَلِك، نسأل الله السلامَةَ في الدين.

٧٦٠ - ابن عبّاد(١)

[٣]القاضي الكبير، أميرُ إشْبِيْلِيَة ومدبِّرُها وحاكمها، أبوالقاسم محمدُ بن إسماعيل بن عباد بن قُريش، اللخميُّ، من ذُريَّة أمير الحيرة النعمانِ بنِ المنذر، أصلُه من الشام من بلد العَرِيش، فدخل أبوه الأندلسَ ونشأ أبوالقاسم، فبرعَ في العلم، وتنقَّلت به الأحوالُ، ووَلِيَ قضاءَ إشبِيلِيَة في أيام بني حَمُّود العلوية، فساس البلد، وحُمِدَ، ورمقته العيون، ثم سار يحيى بن علي بن حَمُّود، وكان ظَلُوماً، فحاصر إشبيلية فاجتمع الأعيانُ على القاضي، وأطاعُوه، ثم قالوا: انهض بنا إلى هذا الظالم، ونُملِّكُك. فأجابهم، وتهيَّأ للحرب، وركب إليهم يحيى سكران، فقُتِلَ.

وتمكَّن القاضي، ودانت له الرعيَّةُ، ولُقِّب بالظافر، ثم إنه تملَّكَ قُرطبة وغيرَها.

وقصَّتُه مشهورة مع الشخص الذي زَعم أنه المُؤَيَّدُ بالله المرواني، وكان خَبَرُ المرواني قد انقطع من عشرين سنة، وجرتْ فِتنٌ صعبةٌ في هذه السِّنين، فقيل لابن عباد: إنَّ المُـؤيَّد حيٌّ بقلعةِ رباح في مسجد، فطلبه، واحترمه وبايعَهُ بالخلافة، وصيَّر نفسه كوزيرٍ له.

---

(١) انظر السير: ١٧/٥٢٧-٥٣٠.

[١] وقال ابنُ حزم: فضيحة! أربعةُ رجالٍ في مسافةِ ثلاثةِ أيام يُسَمَّوْن أميرَ المؤمنين في وقت، أحدهُم خلف الحصري بإشبيلية على أنه المُؤَيَّدُ بالله، والثاني محمدُ بن القاسم الإدريسي بالجزيرة الخضراء، والثالث محمدُ بن إدريس بن علي بن حَمُّود بمالقة، والرابع إدريسُ بن يحيى بن علي بن حمُّود بشَنْتَرين. فهذه أُخلوقةٌ لم يُسمَعْ بمثلها!.

قلت: مات القاضي في سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة ودفن بقصر إشبيلية، وخلفه ابنُه المعتضِدُ بالله عبّاد، فدامت دولتُه إلى سنة أربع وستين وأربع مئة.

٧٦١ - ابن سينا (١)

[٢] العلاّمةُ الشهير الفيلسوفُ، أبو عليٍّ، الحسينُ بن عبدالله بن الحسن بن علي ابن سينا، البلخيُّ ثم البخاريُّ، صاحبُ التصانيف في الطِّبِّ والفلسفةِ والمنطقِ.

كان أبوه كاتباً من دُعاة الإسماعيليّة، فقال: كان أبي تولّى التصرُّف بقرية كبيرة، ثم نزل بُخارى، فقرأْتُ القرآن وكثيراً من الأدب ولي عشرٌ، وكان أبي ممّن آخى داعيَ المصريين، ويُعَدُّ من الإسماعيلية.

ثم ذكرَ مبادىءَ اشتغالِه، وقُوَّةَ فهمِه، وأنه أحكم المنطقَ وكتابَ إقليدس إلى أن قال: ورغبتُ في الطِّبِّ، وبرَّزْتُ فيه، وقرؤوا عليَّ، وأنا مع ذلك أختلف إلى الفقه، وأُناظِرُ ولي ستَّ عشرةَ سنة.

ثم قرأتُ جميع أجزاءِ الفلسفةِ، وكنتُ كلما أتحيَّر في مسألةٍ، أو لم أظفر بالحدِّ الأوسط في قياس، ترددتُ إلى الجامع، وصلَّيتُ، وابتهَلْتُ إلى مبدع

(١) انظر السير: ١٧/ ٥٣١-٥٣٧.

الكُـلِّ حتى فُتـح لي المُنغلِقُ منـه، وكنتُ أسهَرُ ، فمهما غلبَني النوم شربْتُ قَدَحاً. إلى أن قال: حتى استحكم معي جميعُ العلوم.

واتفق لسُلطان بخارى نوح مرضٌ صعبٌ، فأُحضِرتُ مع الأطباء، وشاركتهم في مداواته، فسألت إذناً في نظر خزانةِ كُتُبِهِ، فدخلتُ فإذا كتب لا تحصى في كل فن، فظفرت بفوائد. إلى أن قال: فلما بلغت ثمانية عشر عاماً، فرغت من هذه العلوم كلِّها، وكنت إذ ذاك للعلم أحفظ، ولكنه معي اليوم أنضج، وإلا فالعلم واحد لم يتجدَّدْ لي شيء، وصنفت «المجموع» فأتيت فيه على علوم، وسألني جارُنا أبوبكر البرقي وكان مائلاً إلى الفقه والتفسير والزهد، فصنفت له «الحــاصــل والمحصــول» في عشـرين مجلدة، ثم تقلدت شيئـا من أعمـال السلطان، وكنت بزي الفقهاء إذ ذاك.

ثم نزل الريَّ وخدم مجدَ الدولة وأُمَّه، ثم خرج إلى قزوين وهَمَذان فوزَر بها، ثم قام عليه الأمـراءُ، ونهبـوا دارَهُ، وأرادوا قتله، فاختفى فعاود مُتولِّيَها شمسَ الدولةِ القُولَنْجُ، فطلبَ الرئيس، واعتذَر إليه فعالجه فبرَأ، واستوزَرهُ ثانياً، وكانوا يشتغلُون عليه، فإذا فرغوا حضر المُغَنُّون، وهُيِّىءَ مجلسُ الشراب. ثم مات الأميرُ، فاختفى أبوعلي عند شخص، فكان يؤلف كل يوم خمسين ورقة، ثم أُخِذَ، وسجن أربعةَ أشهر ثم تسحَّب إلى أَصْبَهان مُتنكِّراً في زِيِّ الصَّوَفَة هو وأخوه وخادِمُه وغُلامان.

وقاسَوا شدائدَ، فبالغ صاحبُ أَصْبَهان علاءُ الدولة في إكرامِه وكان الشيخ قويَّ القُـوى كُلِّهـا، يُسرفُ في الجِماع، فأثَّر في مِزاجه، وأخذه القولنج، ثم حصل له الصَّرع، وسقطت قوتُه، فأهمل العلاج.

قال ابنُ خَلِّكـان: ثم اغتسـلَ وتـابَ، وتصـدَّق بمـا معه على الفُقراء وردَّ المظالمَ، وأعتقَ مماليكَه، وجعل يَختِمُ القرآن في كُلِّ ثلاثٍ، ثم مات سنةَ ثمان

وعشرين وأربع مئة. ومولدُه في سنةَ سبعين وثلاث مئة.

وهو رأسُ الفلاسفةِ الإسلامية، لم يأت بعد الفارابي مثلُه، فالحمد لله على الإسلام والسُّنَّة.

وله كتاب «الشفاء»، وغيرُه وأشياءُ لا تُحتَمل، وقد كفّره الغزاليُّ في كتاب «المُنقِذ من الضلال»، وكفَّر الفارابي.

[١]وقال الرئيس: قد صحَّ عندي بالتواتُر ما كان بجوزجان في زمانِنا من أمرِ حديدٍ ـ لعله زنةُ مئة وخمسين مَنّاً ـ نزلَ من الهواءِ، فنشَبَ في الأرض، ثم نَبا نَبْوَة الكُرة، ثم عاد، فنشب في الأرض، وسُمع له صوتٌ عظيمٌ هائلٌ، فلما تفقَّدُوا أمره، ظفِرُوا به، وحمل إلى والي جوزجان فحاولوا كسر قطعةٍ منه، فما عملت فيه الآلات إلا بجَهْدٍ، فراموا عمل سيفٍ منه، فتعذَّر، نقله في «الشِّفاء».

٧٦٢ - أبو عِمرانَ الفاسِيّ(١)

[٢]الإمامُ الكبير، العلاَّمةُ، عالمُ القَيْروان، أبو عمران، موسى بنُ عيسى بن أبي حاجّ، البَرْبَريُّ، الزَّنَاتيُّ، الفاسِيُّ المالكي أحدُ الأعلام.

قلت: حجَّ غير مرَّةٍ، وأخذ القراءاتِ ببغداد. وأخذ علم العقليّات عن القاضي أبي بكر بن الباقِلاني.

قال ابنُ بَشْكُوال: أقرأ الناسَ بالقَيْروان، ثم تركَ ذلك، ودرس الفقهَ وروى الحديث.

قال ابن عبدالبر: ولدتُ مع أبي عمرانَ في سنة ثمانٍ وستين وثلاثِ مئة.

توفي سنة ثلاثين وأربع مئة.

---

(١) انظر السير: ١٧/ ٥٤٥ـ٥٤٨.

قلتُ: تخرَّج بهذا الإمامِ خلقٌ من الفُقهاء والعُلماء.

[١]وحكى القـاضي عياض قال: حَدَثَ في القيروان مسـألـةٌ في الكفار، هل يعرفون الله تعالى أم لا؟ فوقع فيها اختلافُ العلماء، ووقعتْ في ألسِنَةِ العامّةِ، وكثُر المِراءُ، واقتتلوا في الأسواق إلى أن ذهبُوا إلى أبي عمران الفاسي، فقال: إن أنصتُّم، علَّمْتُكم. قالوا: نعم. قال: لا يكلِّمُني إلا رجلٌ، ويَسمَعُ الباقون. فَنصَبـوا واحداً، فقال له: أرأيتَ لو لقيتَ رجلاً، فقلتَ له: أتعرف أبا عمرانَ الفاسي؟ قال: نعم. فقلتَ له: صِفْه لي؟ قال: هو بقَّالٌ في سوق كذا، ويسكُن سَبْتَة، أكان يعرِفُني؟ فقال: لا. فقال: لو لقيتَ آخَرَ فسألتَه كما سألت الأول، فقـال: أعرفه، يُدرِّس العلم، ويُفتي، ويسكنُ بغرب الشمّاط، أكان يعرفُني؟ قال: نعم. قال: فكذلك الكافرُ قال: لرَبِّه صاحبةٌ وولدٌ، وأنه جسمٌ، فلم يعرف الله ولا وصَفَهَ بصفَتِه بخلاف المُؤمن. فقالوا: شفَيْتَنا. ودعَوا له ولم يخوضُوا بعدُ في المسألة.

قلت: المشـركـون والكتـابيُّون وغيرهم عرفـوا الله تعـالى بمعنى أنهم لم يَجْحدوه، وعَرَفوا أنه خالِقُهم، قال تعالى:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَهُم لَيَقُولُنَّ الله﴾ (الزخرف: ٨٧).

وقـال:

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفي الله شَكٌّ فاطِرِ السمواتِ والأرض﴾ (إبراهيم: ١٠).

فهؤلاء لم يُنكِرُوا البارىء، ولا جَحدُوا الصانعَ، بل عرفُوه، وإنما جَهِلُوا نُعُوتَه المُقدَّسة، وقالوا عليه مالا يعلمون، والمؤمنُ فعرف ربَّه بصفاتِ الكَمال، ونفى عنه سماتِ النَّقْصِ في الجُملة، وآمن بِربِّه، وكفَّ عَمّا لا يعلَمُ فبهذا يتبيَّنُ لك أنَّ الكـافـر عرف الله من وَجْـهٍ، وجَهِلَهُ من وُجوه، والنبيُّون عرفوا الله تعالى، وبعضُهم أكمـلُ معـرفـةً لله، والأولياءُ فعـرفوهُ معرفةً جيِّدة، ولكنها دون معرفةِ

الأنبياء، ثم المؤمنون العالمون بعدَهم ثم الصالحون دونَهم. فالناسُ في معرفةِ رَبِّهِمْ مُتفاوِتُون، كما أنَّ إيمانَهم يزيدُ وينقُص، بل وكذلك الأُمَّةُ في الإيمان بنبيِّهم والمعرفةِ له مراتب فأرفعُهم في ذلك أبوبكر الصديق مثلًا، ثم عددٌ من السابقين، ثم سائر الصحابة، ثم علماءُ التابعين، إلى أن تنتهيَ المعرفةُ به والإيمانُ به إلى أعرابيٍّ جاهل وامرأةٍ من نساء القُرى، ودون ذلك. وكذلك القولُ في معرفة الناس لدين الإسلام.

٧٦٣ - أبو ذَرٍّ الهَرَوي(١)

[١]الحافظُ الإمامُ المجوِّدُ، العلاَّمة، شيخُ الحرم، أبو ذر، عبْد بنُ أحمد بن محمد، المعروف ببلده بابن السَّمّاك، الأنصاريُّ الخُراسانيُّ الهَرَويُّ المالكيُّ، صاحبُ التصانيف.

قال: ولدتُ سنة خمس أو ست وخمسين وثلاث مئة.

مات بمكة، سنةَ أربع وثلاثين وأربع مئة. وكان على مذهبِ مالك ومَذْهب الأشْعريِّ.

[٢]قلتُ: أخذ الكلامَ ورأيَ أبي الحسنِ عن القاضي أبي بكر بن الطيِّب وبثَّ ذلـك بمكة، وحمله عنه المغاربةُ إلى المغرب، والأندلس، وقبل ذلك كانت عُلماءُ المغرب لا يدخُلُون في الكلام، بل يُتقِنُون الفقهَ أو الحديثَ أو العربيَّةَ، ولا يخوضُون في المعقولات، وعلى ذلك كان الأصِيليُّ، وأبوالوليد بنُ الفَرَضي، وأبوعمر الطَّلَمَنْكِيُّ، وَمَكِّي القَيسيُّ، وأبوعمرٍو الدانيُّ، وأبو عُمر بن عبدالبَرِّ، والعلماءُ.

---

(١) انظر السير: ١٧/ ٥٥٤-٥٦٣.

[١]قال أبوالوليد الباجيُّ في كتاب «اختصار فرقِ الفقهاء» من تأليفه في ذكر القاضي ابن الباقِلاني: لقد أخبرني الشيخُ أبو ذرٍّ وكان يَميلُ إلى مذهبه، فسألته: مِنْ أينَ لك هذا؟ قال: إني كُنْتُ ماشياً ببغداد مع الحافظ الدارقطني، فلقِينا أبا بكر بنَ الطَّيِّب فالتزمه الشيخُ أبوالحسن وقبَّل وجهَه وعينيه، فلما فارقناه، قلتُ له: من هذا الذي صنعتَ به ما لم أعتقِدْ أنَّكَ تصنَعُه وأنتَ أمامُ وقتِكَ؟ فقال: هذا إمامُ المسلمين والذَّابُّ عن الدِّين، هذا القاضي أبوبكر محمدُ بنُ الطَّيِّب، قال أبو ذر: فمن ذلك الوقت تكرَّرْتُ إليه مع أبي، كل بلد دخلتُهُ من بلاد خراسان وغيرِها لا يُشَارُ فيها إلى أحد من أهل السُّنَّة إلا من كان على مذهبه وطريقِه.

[٢]قلت: هو الذي كان ببغداد يُناظِرُ عن السُّنَّة وطريقةِ الحديث والجَدَل والبرهان، وبالحضرةِ رؤوسُ المُعْتَزِلَةِ والرافِضَةِ والقَدريَّة وألوانِ البدع، ولهم دولةٌ وظهورٌ بالدولة البويهية، وكان يردُّ على الكرّاميَّة وينصُرُ الحنابلةَ عليهم، وبينه وبين أهلِ الحديث عامِرٌ، وإن كانوا قد يختَلِفون في مسائلَ دقيقةٍ، فلهذا عامَلَه الدارقطنيُّ بالاحترام، وقد ألَّف كتابا سماه: «الإبانة»، يقولُ فيه: فإن قيل: فما الدليلُ على أن لله وجهاً ويداً؟ قال: قوله:

﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ (الرحمن: ٢٧). وقوله: **﴿ما مَنَعَكَ أنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾** (ص: ٧٥).

فأثبت تعالى لنفسه وجهاً ويداً. إلى أن قال: فإن قيل: فهل تقولون: إنَّه في كل مكان؟ قيل: معاذَ الله! بل هو مُسْتَوٍ على عرشه كما أَخْبَرَ في كتابه. إلى أن قال: وصفاتُ ذاتِهِ التي لم يزل ولا يزال موصوفاً بها: الحياةُ والعلمُ والقُدرةُ والسمعُ والبصرُ والكلامُ والإرادةُ والوجهُ واليدانِ والعينانِ والغضبُ والرضى. فهذا نصُّ كلامِه. وقال نحوَه في كتاب «التمهيد» له، وفي كتاب «الذَّبِّ عن

الأشعريِّ» وقال: قد بَيَّنَّا دينَ الأُمَّةِ وأهلِ السُّنَّة أنَّ هذه الصفات تُمَرُّ كما جاءت بغير تكييفٍ ولا تحديدٍ ولا تجنيسٍ ولا تصويرٍ.

[١]قلتُ: فهذا المنهجُ هو طريقةُ السَّلَف، وهو الذي أوضحه أبوالحسن وأصحابُه، وهو التسليمُ لنُصُوص الكتابِ والسُّنَّة، وبه قال ابن الباقلاني وابنُ فُوْرَك، والكبارُ إلى زمن أبي المعالي، ثم زمنِ الشيخ أبي حامد فوقع اختلافٌ وألوانٌ، نسألُ اللهَ العَفْوَ.

[٢]قال الحافظ أبو علي الغَسّاني: أخبرنا أبوالقاسم أحمدُ بنُ أبي الوليد الباجيُّ، أخبرنا أبي أن الفقيهَ أبا عِمرانَ الفاسيّ مضىٰ إلى مكةَ وقد كان قرأ على أبي ذرٍّ شيئاً، فوافق أبا ذرٍّ في السَّرَاة موضع سُكناه فقال لخازن كُتُبه: أخرِجْ إليَّ من كُتُب الشيخ ما أنسَخُهُ ما دام غائباً، فإذا حضر، قرأتُهُ عليه. فقال الخازن: لا أجترىءُ على هذا، ولكن هذه المفاتيحُ إن شئْتَ أنت، فخُذْ وافْعَلْ ذلك. فأخَذَها، وأخرجَ ما أراد، فسمع أبو ذَرٍّ بالسَّراة بذلك، فركب، وطرقَ مكَّةَ، وأخذ كُتُبَه، وأقسم أن لا يُحدّثَه. فلقد أُخبِرتُ أن أبا عمران كان بعدُ إذا حدَّث عن أبي ذر، يُورِّي عن اسمه فيقولُ: أخبرنا أبو عيسى وبذلك كانت العرب تكنيه باسم ولده.

قلتُ: قد مات أبو عِمرانَ الفاسيُّ قبل أبي ذر، وكان قد لَقِيَ ابنَ الباقلاني والكبار، ومالِانزعاج أبي ذرٍّ وجهٌ، والحكاية دالَّةٌ على زَعَارَّةِ الشيخ والتلميذِ رحمهما الله.

٧٦٤ - الطَّلَمَنْكِيّ[١]

[١]الإمام المقرىء المُحَقِّقُ المُحَدِّثُ الحافظُ الأثَرِيُّ، أبو عُمرَ، أحمدُ بن محمد بن عبدالله، المَعَافِرِيُّ الأندلسيُّ الطَّلَمَنْكِيُّ. وطَلَمَنْك بفتحات ونون ساكنة: مدينةٌ استولى عليها العدوُّ قديماً.

كان من بحور العلم، وأولُ سماعِه في سنة اثنتين وستين وثلاث مئة.

أدخَل الأندلسَ علماً جمّاً نافعاً، وكان عجباً في حفظِ علوم القرآن: قراآتِه ولُغَتِه وإعرابه وأحكامِه ومنسوخِه ومعانِيه. صَنَّفَ كُتُباً كثيرةً في السُّنَّة يلوحُ فيها فضلُه وحفظُه وإمامتُه واتِّباعُه للأثر.وكان فاضلاً ضابطاً، شديداً في السُّنَّة.

وقال ابن بَشْكُوال: كان سيفاً مُجرَّداً على أهلِ الأهواء والبِدع، قامِعاً لهم، غَيُوراً على الشريعةِ، شديداً في ذات الله، أقرأ الناسَ مُحتَسِباً، وأسمع الحديث، والتزم للإمامة بمسجد مُتْعَة، ثم خرج، وتحوَّل في الثغر وانتفع الناسُ بعلمه، وقصد بلدَهُ في آخر عُمُره، فتُوفِّيَ بها. أخبرنا إسماعيلُ بن عيسى بن محمد بن بقي الحِجَارِيُّ، عن أبيه قال: خرج أبوعمرَ الطَّلَمَنْكِيُّ علينا، ونحن نقرأ عليه، فقال: رأيتُ البارحة في منامي من ينشدني:

اغتنِمُوا البرَّ بشيخٍ ثَوى ... تَرحَمُه السُّوقَةُ والصِّيْدُ

قد خَتَمَ العُمْرَ بعيدٍ مَضى ... لَيْسَ لَهْ مِنْ بَعْدِهِ عِيْدُ

فتُوفي في ذلك العام في ذي الحجة، سنة تسع وعشرين وأربع مئة.

قلت: عاش تسعين عاماً سوى أشهر، وقد امتُحن لفَرط إنكارِه، وقام عليه طائفةٌ من أضدادِه، وشهدُوا عليه بأنه حَرُورِيٌّ يرى وضعَ السيفِ في صالحي

---

(١) انظر السير: ١٧/ ٥٦٦-٥٦٩.

المُسلمين، وكان الشهودُ عليه خمسةَ عشرَ فقيهاً، فنصرهُ قاضي سَرَقُسْطة، في سنة خمس وعشرين وأربع مئة، وأشهد على نفسه بإسقاط الشهود، وهو القاضي محمد بن عبدالله بن قرنون.

[١]رأيتُ له كتاباً في السُّنَّة في مجلَّدين عامَّتُه جيِّد، وفي بعض تبويبه مالا يوافَقُ عليه أبداً مثل: باب الجَنْب لله، وذكر فيه: ﴿يا حَسْرَتى على ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ الله﴾ (الزمر: ٥٦).

[٢]فهذه زَلَّةُ عالِم، وألَّفَ كتاباً في الردِّ على الباطنية، فقال: ومنهم قوم تعبَّدوا بغير علم، وزعموا أنهم يرون الجنةَ كُلَّ ليلةٍ، ويأكُلُون من ثِمارِها، وتنزلُ عليهم الحُورُ العِيْنُ، وأنهم يلوذُون بالعرش، ويرون الله بغيرِ واسطة، ويُجالِسُونه.

٧٦٥ - الأبْهَــري[1]

[٣]القدوةُ شيخ الزهاد، أبو محمد جعفرُ بنُ محمد بن الحسين، الأبْهَرِيُّ ثمّ الهَمَذانِيُّ. وارتحل وعُنِيَ بالرواية. وكان ثقةً عارفاً، له شأنٌ وخطر، وكرامات ظاهرة.

مات سنة ثمان وعشرين وأربع مئة عن ثمان وسبعين سنة.

[٤]قيل: إنه عمل له خلوةً، فبقي خمسين يوماً لا يأكُلُ شيئاً. وقد قلنا: إنّ هذا الجوعَ المُفرطَ لا يَسُوغُ، فإذا كان سَرْدُ الصِّيامِ والوصالُ قد نُهي عنهما، فما الظَّنُّ؟ وقد قال نبيُّنا صلى الله عليه وسلم: «اللهم إنّي أعوذُ بك من الجُوعِ فإنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ». ثم قَلَّ مَنْ عمل هذه الخَلَواتِ المُبْتَدَعةِ إلا واضطربَ، وفسد عَقْلُه، وجفَّ دماغُه، ورأى مرأىً، وسمع خطاباً لا وُجودَ له في الخارج، فإن كان مُتَمَكِّناً من العلم والإيمان، فلعلَّه ينجُو بذلك من تَزَلْزِل توحيدِه، وإن كان جاهلاً

(١) انظر السير: ١٧/ ٥٧٦-٥٧٧.

بالسُّنَن وبقَواعد الإيمان تزلزلَ توحيدُه، وطمع فيه الشيطانُ، وادَّعى الوصولَ، وبقي على مَزلَّةِ قدم، وربما تزندقَ، وقال: أنا هو. نعوذُ بالله من النفسِ الأمَّارة ومن الهوى، ونسألُ الله أن يحفظَ علينا إيمانَنا آمين.

٧٦٦ - المُرْتَضى (١)

[١]العلاَّمةُ الشريفُ المُرْتضى، نقيبُ العلويَّة، أبو طالب، عليُّ بن حسين بن موسى، القُرشيُّ العَلَويُّ الحُسينيُّ المُوسَوِيُّ البغداديُّ، من ولد موسى الكاظم.

ولد سنة خمس وخمسين وثلاث مئة.

[٢]قلتُ: هو جامعُ كتابِ «نهج البلاغة»، المنسوبة ألفاظُه إلى الإمامِ علي رضي الله عنه، ولا أسانيدَ لذلك، وبعضُها باطل، وفيه حق ولكن فيه موضوعات حاشا الإمامَ من النُّطْقِ بها، ولكن أين المُنْصِفُ؟! وقيل: بل جَمْعُ أخيه الشريف الرضي.

وديوانُ المُرتضى كبير وتواليفُه كثيرة، وكان صاحبَ فُنُون.

وكان من الأذكياء الأولياء، المُتَبحرين في الكلام والاعتزالِ، والأدبِ والشعر، لكنه إماميٌّ جَلْدٌ. نسأل الله العفو.

[٣]قال ابن حزم: الإماميَّةُ كُلُّهم على أنَّ القرآنَ مُبَدَّلٌ، وفيه زيادةٌ ونقص سوى المُرتضى، فإنه كفَّر من قال ذلك، وكذلك صاحباه أبو يعلى الطُّوسي، وأبوالقاسم الرازي.

[٤]قلتُ: وفي تواليفه سَبُّ أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعوذ بالله من علم لا ينفع.

تُوفِّيَ المُرتضى في سنة ست وثلاثين وأربع مئة.

(١) انظر السير: ١٧/ ٥٨٨-٥٩٠.

٧٦٧ - القَــزْوِينِــيُّ[1]

الإمامُ القدوة، العارفُ، شيخُ العراق، أبوالحسن، عليُّ بنُ عمر بن محمد، ابن القزوينيِّ البغداديُّ الحَربيُّ[2] الزاهدُ.

[١] قال الخطيبُ: كتبنا عنه، وكان أحدَ الزُّهّاد، ومن عباد الله الصالحين، يُقرىءُ القُرآن، ويَروي الحديثَ، ولا يخرُجُ من بيتِهِ إلا للصَّلاة رحمةُ الله عليه، قال لي: ولدتُ سنة ستين وثلاث مئة، ومات في سنة اثنتين وأربعين وأربع مئة، وغُلِّقت جميعُ بغداد يوم دَفْنِه، لم أر جمعاً على جنازة أعظمَ منه.

[٢] أبوبكر محمدُ بن أحمد بن طلحة بن المُنَقِّي قال: حَضَرَتْ والدي الوفاةُ، فأوصى إليَّ بما أفعلُهُ، وقال: تمضي إلى القَزْويني، وتقول له: رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في المنام، وقال لي: اقرأ على القَزْوينيِّ مني السَّلام، وقل له: بالعلامَةِ أنَّكَ كنت بالموقِفِ في هذه السَّنَة فلما مات، جئت إليه، فقال لي إبتداءً: مات أبوكَ؟. قلت: نعم. قال: رحمه الله، وصدق رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم، وصدَقَ أبوك. وأقسم عليَّ أن لا أُحدِّثَ به في حياته.

السِّلَفِيُّ قال: سألتُ شُجاعاً الذُّهليَّ عن أبي الحسن القَزْويني، فقال: كان عَلَمَ الزُّهّاد والصالِحِين، وإمامَ الأتقياء الوَرِعين، له كراماتٌ ظاهرة معروفةٌ يتداولُها الناس، لم يزل يُقرِىءُ ويحدِّثُ إلى أن مات.

[٣] وقال هبةُ الله بنُ المُجْلي في كتاب «مناقب القَزْويني»: كان كلمة إجمَاعٍ في الخير، وممّن جُمعت له القلوب. سمعت أبا العباس المؤدب وغيره يقولان: إن القزويني سمع الشاة تذكر الله تعالى. وحدثني هبةُ الله بن أحمد الكاتبُ أنه زار قَبْرَ ابنِ القزويني، ففتح ختمةً هناك، وتفاءَل للشَّيخ، فطلع أولُ ذلك:

---

(١) انظر السير: ١٧/ ٦٠٩-٦١٣.

(٢) نسبة إلى محلة الحربية غربي بغداد.

﴿وَجِيهاً في الدُّنْيا والآخِرَةِ ومِنَ المُقَرَّبِيْن﴾ (آل عمران: ٤٥).

[١]ورُوي عن أقضى القُضَاة الماوَرْدِيِّ قال: صَلَّيْتُ خلف أبي الحسن القزويني، فرأيتُ عليه قميصاً نقيّاً مُطَرَّزاً، فقلت في نفسي: أينَ الطرز من الزُّهد؟ فلما سلَّم، قال: سُبحان الله! الطرزُ لا ينقُضُ حُكمَ الزُّهْد.

[٢]وذكر محمدُ بن حسين القزّاز قال: كان ببغداد زاهدٌ خَشِنُ العيش وكان يبلُغُه أنّ ابنَ القزوينيِّ يأكُلُ الطَّيِّبَ، ويلبسُ الرَّقيقَ، فقال: سُبحان الله! رجل مُجمَعٌ على زُهده وهذا حالُه! أشتهي أن أراه. فجاء إلى الحربيَّة، فرآه، فقال الشيخُ: سُبحان الله! رجل يُوماً إليه بالزُّهد يُعارِضُ الله في أفعالِه، وما هنا مُحَرَّمٌ ولا مُنكر. فَشَهَقَ ذلك الرجلُ، وبكىٰ.

[٣]ثم سرد له ابنُ المُجْلي كراماتٍ منها شهودُهُ عرفةَ وهو ببغداد، ومنها ذهابُهُ إلى مكة، فطاف، ورجَعَ من ليلتِهِ.

[٤]جعفر الهَمْداني، أخبرنا السِّلَفي: سمعت جعفراً السَّرّاج يقول: رأيتُ على أبي الحسن القَزْوينيِّ ثوباً رقيقاً، فخطر لي: كيف مثله في زُهدِه يلبس هذا؟ فنظر في الحال إليَّ، وقال:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِيْنَةَ اللهِ التي أخْرَجَ لِعبَادِهِ﴾ (الأعراف: ٣٢).

[٥]وحضرتُ عنده يوماً للسماع إلى أن وصلت الشمسُ إلينا، وتأذينا بحَرِّها فقلتُ في نفسي: لو تحوَّلَ الشيخ إلى الظِّلِّ فقال لي في الحال:

﴿قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أشَدُّ حَرًّا﴾ (التوبة: ٨١).

٧٦٨ - الصُّوري(١)

[٦]الإمامُ الحافظُ البارعُ الأوحدُ الحُجّةُ، أبو عبدِالله، محمدُ بن علي بن

(١) انظر السير: ١٧/ ٦٢٧-٦٣١.

عبدالله، الشاميُّ الساحليُّ الصُّوريُّ، أحدُ الأعلام.

[١]وُلد سنةَ ستٍّ أو سنةَ سبعٍ وسبعين وثلاث مئة. وكان ـ رحمه الله ـ يَسْرُدُ الصومَ إلا الأعياد.

[٢]وقال عبدُالمُحسن الشَّيحيُّ التاجرُ: ما رأيتُ مثل الصُّوريِّ! كانَ كأنَّه شُعلةُ نار، بلسانٍ كالحُسام القاطع.

[٣]وذكر أبوالوليد الباجي في كتاب «فرق الفُقهاء» له: حدثنا أبوعبدالله محمدُ بن علي الورّاق ـ وكان ثقةً مُتْقناً ـ أنه شاهدَ أبا عبدالله الصُّوريَّ، وكان فيه حسنُ خُلُقٍ ومزاحٌ وضَحِكٌ، لم يكن وراءَ ذلك إلا الخيرُ والدينُ، ولكنَّه كان شيئاً جُبِلَ عليه، ولم يكُنْ في ذلك بالخارق للعادَةِ، فقرأ يوماً جُزءاً على أبي العبّاس الرازيِّ، وعنَّ له أمرٌ ضَحَّكَهُ، وكان بالحضرة جماعةٌ من أهل بلدِه، فأنكروا عليه، وقالوا: هذا لا يَصْلُح، ولا يَليقُ بعلمك وتقدُّمِكَ أن تقرأ حديثَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وأنتَ تَضْحَكُ. وكثَّروا عليه، وقالوا: شيوخُ بلدنا لا يَرْضَون بهذا. فقال: ما في بلدِكم شيخ إلا يجبُ أن يقعُدَ بين يديَّ، ويقتديَ بي، ودليلُ ذلك أنِّي قد صِرتُ معكم على غير موعد، فانظروا إلى أيِّ حديثٍ شِئتُم من حديث رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، اقرؤوا إسنادَه لَأقْرَأَ مَتْنَه أو اقرؤوا متنه حتى أُخبِرَكُم بإسناده، ثم قال الباجي: لزمتُ الصُّوريَّ ثلاثة أعوام، فما رأيته تعرض لفتْوى.

قلت: كان من أئمَّة السُّنةِ وله شعرٌ رائق. مات الصُّوريُّ سنة إحدى وأربعين وأربع مئة.

٧٦٩ - قِـرْوَاش(١)

[١]ابنُ مُقَلَّدِ بن المُسَيَّب، الأميرُ، صاحبُ الموصل، أبو المَنيع معتمدُ الدولة ابن صاحبِ الموصل حسامِ الدولة أبي حسان العُقَيلي.

تملّك بعد موت أبيه في سنة إحدى وتسعين وثلاثِ مئة، فطالت أيّامُه واتَّسع مُلكُه، فكان له الموصِلُ والكوفةُ والمدائنُ وسَقْيُ الفُرات.

وقـد خَطَب في بلاده للحاكم العُبيدي، ثم ترك، وأعاد الخُطبة العبّاسيَّة، فغضب الحاكِمُ، وجهَّز جيشاً لحَرْبه، وأتَوا، ونهبُوا دارَه بالموصل، وأخذُوا له مئتي ألف دينار، فاستنجد بدُبَيس الأسديّ فانتصر.

[٢]وكان أديباً شاعراً، جواداً مُمَدَّحاً، نهَّاباً وهَّاباً، فيه جاهليةٌ وطبعُ الأعراب، يُقال: إنه جمعَ بين أُخْتَين، فلاموه، فقال: حدِّثوني ما الذي نعمل بالشَّرع حتى تذكُـروا هذا؟ وقـال مرة: ما في عُنُقي غيرُ دمِ خمسـةٍ ستَّةٍ من العرب، فأما الحاضرةُ، فما يعبأُ الله بهم.

[٣]ثم إنه وقع بينَه وبين ابنِ أخيه بركةَ، فظفر به بركةُ، وحبسَه وتملَّك، وتلَّقب زعيمَ الدولة، في سنة إحدى وأربعين وأربع مئة، فلم تطل دولةُ بَركة، ومات في آخر سنة ثلاث، فقام بعده المَلِكُ أبو المعالي قُريشُ بن بدران بن مُقَلَّد، فأخرج عمَّه، وذَبحه صَبْراً في رجب سنة أربعِ وأربعين.

وتمكَّن قُريش، ونهض مع البَسـاسِيرِيِّ، ونهب دارَ الخِلافة، وكان هلاكُه بالطاعون في سنة ثلاث وخمسين كهلاً، فتملَّك بعده ابنُه شرفُ الدولة مسلمُ ابن قريش، فعظُم سلطانُه، واستولى على الجزيرةِ وحلب، وحاصر دمشقَ وكاد أن يأخُـذَهـا، وأخـذ الإتاوةَ من بلاد الرُّوم، وخرج عليه أهلُ حرّان سنة ستٍّ

---

(١) انظر السير: ١٧/ ٦٣٣-٦٣٤.

وسبعين، فظفِرَ بهم، وقتلَ قاضيَها، وكان مُحبَّباً إلى الرعية مَهِيباً.

٧٧٠ - سُلَيم بن أيـوب (١)

[١]ابنِ سُلَيم، الإمامُ شيخُ الإسلام، أبو الفتح، الرازيُّ الشافعيُّ.

ولد سنة نيِّفٍ وستين وثلاث مئة. وسكن الشام مرابطاً، ناشراً للعلم احتِساباً.

[٢]وقال سهلُ بنُ بشر: حدثنا سُلَيم أنه كان في صِغَره بالريّ، وله نحو من عشر سنين، فحضَر بعضُ الشيوخ وهو يُلَقِّن قال: فقال لي: تقدَّمْ فاقْرأ. فجهدتُ أن أقـرأَ الفاتحةَ، فلم أقْدِرْ على ذلك لانغلاقِ لِساني فقال: لكَ والدةٌ؟ قلتُ: نعم. قال: قُل لها تدعُو لك أن يرزُقَكَ الله قراءةَ القُرآنِ والعلم. قلت: نعم. فرجعتُ، فسألتها الدعاءَ فدَعَتْ لي، ثم إني كَبِرْتُ، ودخلْتُ بغداد، قرأتُ بها العـربيَّةَ والفقـهَ، ثم عُدْتُ إلى الـرَّي، فبينـا أنا في الجامع أُقابِلُ «مختصر المزني»، وإذا الشيخُ قد حضرَ وسلَّم علينا وهو لا يعرفُني، فسمع مُقابَلَتَنا، وهو لا يَعْلَمُ ماذا نقول، ثم قال: متى يُتعلَّم مثلِ هذا؟ فأردتُ أن أقول: إن كانت لك والدةٌ، فقُل لها تدعو لك. فاستحييتُ.

[٣]قال أبوالقاسم ابنُ عساكر: قرأت بخط غيث الأرْمَنَازيِّ: غَرِق سُلَيْمٌ الفقيهُ في بحر القُلْزُم، عند ساحل جُدَّة، بعد أن حجَّ في صفر سنة سبعٍ وأربعين وأربع مئة، وقد نيَّف على الثمانين. وهو أول من نشرَ هذا العلم بصُور، وانتفع به جماعة، وحُدِّثْتُ عنه أنه كان يحاسِبُ نفسَه في الأنفاس، لا يَدَعُ وقتاً يَمضي بغير فائدة، إمّا ينسخُ، أو يُدرِّسُ، أو يَقْرأُ وحُدثتُ عنه أنه كان يُحَرِّكُ شَفَتَيه إلى أن يَقُطَّ القلمَ.

---

(١) انظر السير: ١٧/ ٦٤٥-٦٤٧.

٧٧١ - أبو نصر السِّجْـزي (١)

[١]الإمامُ العالمُ الحافظ المُجَوِّد شيخُ السنة، أبو نصر، عبيدُالله بنُ سعيدِ بنِ حاتم الوائليُّ(٢) البكريُّ السِّجِسْتانيُّ، شيخُ الحرم ومصنف «الإبانة الكبرى» في أنَّ القرآنَ غيرُ مخلوق، وهو مجلَّدٌ كبير دالٌّ على سَعَةِ علم الرجل بفَنِّ الأثَر.

[٢]قال محمـدُ بن طاهـر: سألتُ الحـافظ أبـا إسحـاق الحبّال عن أبي نصر السِّجْزيِّ، وأبي عبدالله الصُّوريِّ، أيُّهما أحْفَظُ؟ فقال: كان السِّجْزيُّ أحفَظَ من خمسين مثل الصُّوري. ثم قال إسحاق: كنتُ يوماً عند أبي نصر السِّجْزيِّ، فدُقَّ البـابُ، فقمتُ ففتحتُ، فدخلتْ امرأة، وأخرجتْ كيساً فيه ألفُ دينار، فوضعتْهُ بين يَدَي الشيخِ، وقالت: أنفِقْهَا كما ترى! قال: ما المقصودُ؟ قالت: تتزوَّجُني ولا حاجةَ لي في الزَّوج، لكن لأخدُمَكَ. فأمرها بأخذِ الكيسِ، وأن تَنْصَرف، فلما انصرَفَتْ، قال: خرجتُ من سِجِسْتَانَ بنيَّةِ طلب العلم. ومتى تزوجتُ، سقط عني هذا الاسمُ، وما أُوثِر على ثواب طلبِ العلم شيئاً.

[٣]قلت: كأنه يُريد متى تزوج للذهب، نَقَص أجرُه، وإلا فلو تزوَّج في الجملة، لكـان أفضـلَ، ولمـا قَدَحَ ذلك في طلبِهِ العلم، بل يكونُ قد عمل بمُقتضىٰ العلم، لكنه كان غريباً، فخاف العَيْلَةَ، وأن يتفرَّق عليه حالُه عن الطلب.

توفي أبو نصر بمكة، سنة أربع وأربعين وأربع مئة.

---

(١) انظر السير: ١٧/ ٦٥٤-٦٥٧.

(٢) نسبة إلى قرية بسجستان يقال لها: وائل.

٧٧٢ - أبو الطيِّب الطبريّ (١)

[١]الإمـامُ العلاَّمةُ، شيخُ الإسلام، القاضي أبو الطيِّبِ، طاهرُ بنُ عبدالله بن طاهر، الطبريُّ الشافعيُّ، فقيهُ بغداد.

ولد سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثِ مئة بآمُل.

[٢]قيل: إنَّ أبا الطيِّب دفع خُفّاً له إلى من يُصْلحُه، فمطَلَهَ، وبقي كلما جاء، نقعَهُ في الماء، وقال: الآن أُصلِحُه. فلما طال ذلك عليه قال: إنما دفعتُه إليك لتُصْلِحَه لا لتُعلِّمَه السِّباحة.

[٣]قال القاضي ابنُ بكران الشامي: قلتُ للقاضي أبي الطيِّب شيخِنا وقد عُمِّر: لقد مُتِّعتَ بجوارِحِكَ أيها الشيخ! قال: ولِم؟ وما عصيتُ الله بواحدةٍ منها قَطُّ. أو كما قال.

[٤]قال غيرُ واحد: سمعنا أبا الطَّيِّب يقول: رأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في النومِ، فقلت: يا رسول الله: أرأيْتَ من روى أنك قُلتَ: «نَضَّرَ الله امْرَءاً سَمعَ مَقَالَتي، فَوَعَاها» أحقٌّ هو؟ قال: نعم.

[٥]قلت: من وُجوه أبي الطَّيِّب في المذهب أنَّ خُرُوجَ المَنِيِّ ينقُضُ الوضوء.

ومنها أن الكافِرَ إذا صَلَّى في دارِ الحربِ، فصلاتُه إسلام. (٢)

ماتَ صحيحَ العَقْلِ، ثابتَ الفَهمِ، سنة خمسين وأربعمئة، وله مئة وسنتان رحمه الله.

---

(١) انظر السير: ١٧/ ٦٦٨-٦٧١.

(٢) انظر (تهذيب الأسماء واللغات) ٢/ ١٢٤٨. وقال النووي في المسألة الأولى: والصحيح الذي قاله جمهور أصحابنا: لا ينقضه، بل يوجب الغسل فقط، وقال في المسألة الثانية: والصحيح المنصوص للشافعي وجمهور الأصحاب أنها ليست بإسلام إلاّ أن تسمع منه الشهادتان.

الطبقة الرابعة والعشرون

٧٧٣ - الأهْوازيّ(١)

[١] كان رأساً في القراءات، مُعَمِّراً، بعيد الصيت، صاحبَ حديثٍ ورحلة وإكثار، وليس بالمُتقنِ له، ولا المُجوِّد، بل هو حاطبُ ليلٍ. ومع إمامتِه في القراءات فقد تكُلِّمَ فيه وفي دعاويه تلكَ الأسانيدَ العالية.

وهو الشيخُ الإمامُ العلاّمة، مُقرئُ الآفاق، أبو علي، الحسنُ بنُ علي بنِ إبراهيمَ الأهوازيُّ، نزيلُ دمشق. وُلد سنةَ اثنتين وستينَ وثلاثِ مئة.

وزعم أن تلا على عليِّ بن الحسين الغَضَائِرِيّ - مجهولٌ لا يوثق به.

[٢] جمع سيرةً لمعاوية، و «مسنداً» في بضعةَ عشر جزءاً، حشاه بالأباطيل السَّمجة.

[٣] وألَّفَ كتاباً طويلاً في الصفات، فيه كَذِبٌ، ومما فيه حديثُ عَرَقِ الخيل(٢)، وتلك الفضائح، فسبَّه علماءُ الكلام وغيرُهم.

[٤] قال ابنُ عساكر: كان على مذهب السّالميّة،(٣) يقول بالظاهر ويتمسك بالأحاديث الضعيفة التي تُقَوِّي رأيَه.

قال الكتانيّ: وكان مُكثراً من الحديث، وصنَّف الكثير في القراءات وفي

---

(١) انظر السير: ١٨/ ١٣-١٨.

(٢) انظر اللآلي المصنوعة ١/٣ و «تنزيه الشريعة» ١/١٣٤.

(٣) قال العلامة الكوثريُّ في تعليقه على «تبيين كذب المفتري» ٣٦٩: السالمية فرقة من المشبهة، يقولون: إن الله تعالى يُرى في صورة آدمي. وإنه تعالى يقرأ على لسان كل قارىء، وإنهم إذا سمعوا القرآن من قارىء يرون أنهم إنما يسمعونه من الله تعالى، ويعتقدون أن الميت يأكل في القبر ويشرب وينكح إلى غير ذلك، وهذه النحلة معروفة بالبصرة وسوادها بالسالميَّة نسبة إلى مقالة الحسن بن محمد بن أحمد بن سالم السالمي البصري وابنه أبي عبدالله المتصوف.

أسانيدها، له غرائبُ يذكر أنه أخذها رِوايةً وتِلاوةً، وممن وهَّاه ابنُ خَيرون.

وقال الداني: أخذ القِراءاتِ عَرْضاً وسماعاً من أصحاب ابن شَنَبُوذٍ وابنِ مجاهد. قال: وكان وَاسعَ الرواية، حافظاً ضابطاً، أقرأ دهراً بدمشق.

قلتُ: في نفسي أمورٌ من عُلُوِّه في القراءات.

[١] وقال ابنُ عساكر عقيب حديثٍ كذبٍ: الأهوازيُّ متهم.

قلت: الحديثُ أنبأني به ابنُ أبي الخير، عن ابن بَوْش، عن أحمدَ بنِ عبدالجبار عن الأهوازي، حدثنا أحمدُ بنُ علي الأطرابُلسي، عن عبدِالله بنِ الحسن القاضي، عن البَغويّ، عن هُدبة، عن حمادِ بن سلمة، عن وكيع بنِ عُدس، عن أبي رزين، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رأيتُ ربي بمنىً على جملٍ أورق، عليه جُبَّة».

[٢] وقال ابنُ عساكر في «تبيين كذب المفتري»: لا يَستبعدنَّ جاهلٌ كَذِبَ الأهوازيِّ فيما أوردهُ من تلك الحكايات، فقد كان من أكذبِ الناس فيما يَدَّعي من الروايات في القراءات.

وقال عبدُالله بنُ أحمد بن السمرقنديّ: قال لنا أبوبكر الخطيب: أبو عليٍّ الأهوازيُّ كذّابٌ في القراءاتِ والحديثِ جميعاً.

قلتُ: يُريد تركيب الإسناد، وادِّعاء اللقاء، أما وضع حروف أو متون فحاشا وكلاّ، ما أُجَوِّزُ ذلك عليه، وهو بَحرٌ في القراءات، تلقّى المُقرئون تواليفه ونَقْلَه للفنِّ بالقبول، ولم ينتقدوا عليه انتقاد أصحاب الحديث كما أحسنوا الظنَّ بالنَّقّاش، وبالسامريّ، وطائفة راجوا عليهم.

توفي أبو عليّ ـ سامحه الله ـ سنةَ ستٍّ وأربعين وأربعِ مئة.

٧٧٤ - أبو العـــــلاء[1]

[١]هو الشيخ العلاّمة، شيخُ الآداب، أبو العلاء، أحمدُ بنُ عبدالله بنِ سليمانَ، القحطانيُّ، ثم التَّنُوخِيُّ المَعَرِّيُّ الأعمى، اللُّغويّ، الشاعرُ صاحبُ التصانيفِ السائرة، والمُتَّهَمُ في نِحْلَتِه.

وُلد في سنة ثلاثٍ وستينَ وثلاثِ مئة.

وأضرّ بالجُدَرِيِّ وله أربعُ سنين وشهر، سالتْ واحدةٌ، وابيضّتِ اليُمنى فكان لا يَذكُر من الألوان إلا الأحمرَ، لثوبٍ أحمرَ ألبسوه إيَّاه وقد جُدِّر، وبقي خمساً وأربعين سنة لا يأكلُ اللحم تزهُّداً فلسفيًّا.

وكان قَنوعاً مُتعفِّفاً، له وقْفٌ يقومُ بأمره، ولا يَقبلُ من أحدٍ شيئاً، ولو تكسَّبَ بالمديح، لحصَّلَ مالاً ودُنيا، فإن نظمه في الذُّروة يُعَدُّ مع المتنبي والبُحْتُري.

وكان يَتوقَّدُ ذكاء.

ومِنْ أردإ تواليفه «رسالةُ الغفران» في مجلد قد احتوت على مَزْدكَةٍ وفراغ، و «رسالة الملائكة»، ورسالة «الطير» على ذلك الأنموذج، وديوانه «سقط الزند» مشهور، وله «لزوم ما لا يلزم» من نظمه، وكان إليه المنتهى في حفظ اللغات.

[٢]ارتحل في حدود الأربعِ مِئة إلى طرابلس وبها كتب كثيرةٌ، واجتاز باللاذقية، فنزل ديراً به راهب متفلسف، فدخل كلامُه في مسامع أبي العلاء، وحصلتْ له شكوك لم يكن له نورٌ يدفعُها، فحصلَ له نوْعُ انحلالٍ دلَّ عليه ما يَنظمه ويَلهج به. ويقال: تاب من ذلك وارعوى.

وقد سارت الفضلاءُ إلى بابه، وأخذوا عنه.

وكان غذاؤُه العَدَسَ ونحوه، وحلواه التين، وثيابُه القطن.

---

(١) انظر السير: ١٨/ ٢٣-٣٩.

يقـال: كان يَحفظُ كلَّ ما مرَّ بسمعِـه، ويُلازم بيتَـه، وسمى نفسه رهن المَحْبِسَيْن، للزومه منزلَه وللعمى، وقال الشعرَ في حداثته، وكان يُملي تصانيفَه على الطَّلَبةِ من صدره.

خرج صالح بن مرداس ملك حلب فنـازل المعـرّةَ يُحاصِرها، ورماها بالمجانيق، فخرج إليه أبوالعلاء يتشفَّع، فأكرمه، وقال: ألكَ حاجة؟ قال: الأميرُ ـ أطال الله بقاءَه ـ كالسيف القاطع، لان مَسُّه وخَشُن حدُّه، وكالنهار الماتع[1] قاظ[2] وسطُه، وطاب أبْرداه[3] ﴿**خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عن الجاهلين**﴾. (الأعراف: ١٩٩). فقال: قد وهبتُك المعرة، فأنشِدْنا من شعرِكَ، فأنشدهُ على البديهة أبياتاً وترحّل صالحٌ.

وكـان لأبي العـلاء خَلوةٌ يدخُلها للأكلِ، ويقولُ: الأعمى عورة والواجبُ استتارُه، فأكل مرّةً دُبساً، فنقط على صدرِه منه، فلما خرج للإفادة قيل له: أكلتُم دُبساً؟ فأسرع بيده إلى صدره، فمسحه وقال: نعم، لعنَ الله النَّهَم. فعجبوا من ذكائه، وكان يعتذر إلى من يرحل إليه ويتأوَّه لعدم صلته.

قال الباخَرزي: أبو العلاء ضرير ماله ضريب، ومكفوف في قميص الفضل ملفـوف، ومَحجـوبٌ خصمه الألد محجوج، قد طال في ظل الإسلام آناؤه، ورشَـح بالإلحـاد إناؤه، وعندنا خَبرُ بصرِه، والله العالم ببصيرته والمَطَّلعُ على سريرته، وإنما تحدَّثتِ الألسُنُ بإساءته بكتابه الذي عارض به القرآن، وعنونه بـ (الفصول والغايات في محاذاة السور والآيات).

وقال غَرسُ النِّعمة محمدُ بنُ هلال بن المُحَسّن: له شِعرٌ كثير، وأدب غزير،

---

(١) الماتع: المرتفع، قال في (القاموس): متع النهار: ارتفع قبل الزوال.

(٢) قاظ من القيظ ، وهو شدة الحر.

(٣) أبرداه: أي طرفاه، وهما الغداة والعشي.

ويُرمى بالإلحاد، وأشعارُه دالَّةٌ على ما يُزَنُّ[1] به، ولم يَأكل لحماً ولا بيضاً ولا لَبَناً، بل يقتصر على النبات، ويُحرِّمُ إيلامَ الحيوان ويُظهر الصومَ دائماً، قال: ونحن نذكرُ مما رُمي به فمنه:

صَرْفُ الزمانِ مُفَرِّقُ الإلْفَينِ   فاحْكُم إلهي بينَ ذَاك وبَيني

أنهيْتَ عَنْ قَتْلِ النُّفوس تعمُّداً   وبَعَثْتَ أنتَ لِقَبْضِها مَلَكينِ

وزَعمْتَ أنَّ لها معاداً ثانياً   ما كان أغناها عنِ الحالَيْنِ

ومنه:

قُلْتُمْ لنا خالقٌ قديمٌ   صَدقْتُمُ هكذا نقولُ

زَعمتُمُوهُ بلا زمانٍ   ولا مكانٍ ألا فقولوا

هكذا كلامٌ له خَبِيءٌ   مَعناهُ ليستْ لكم عُقُولُ

ومنه:

دينٌ وكفرٌ وأنباءٌ تقال وفُر   قان يُنَصُّ وتَوارةٌ وإنجيلُ

في كلِّ جيلٍ أباطيلٌ يُدانُ بها   فهل تفرَّد يوماً بالهُدى جِيلُ

فأجبْتُهُ:

نَعَمْ أبو القاسِمِ الهادي وأُمَّتُهُ   فزادَكَ اللهُ ذُلًّا يا دُجَيْجِيلُ

ومنه، لُعِنَ:

فلا تَحْسَبْ مَقالَ الرُّسْلِ حقّاً   ولكنْ قَولُ زُورٍ سَطَّرُوهُ

وكان الناسُ في عَيْشٍ رَغيدٍ   فَجاؤُوا بالمُحالِ فكَدَّرُوهُ

---

(١) أي: يُتَّهمُ.

السِّلَفي، سمعتُ أبا زكريا التبريزيَّ يقولُ: لما قرأتُ على أبي العلاء بالمعرَّة قوله:

تنـاقُضٌ مالَـنـا إلا الـسُّـكـوتُ لَهُ   وأن نَعُـوذَ بمَـولانـا مِنَ الـنـارِ
يَدٌ بخمس مِيءٍ[1] من عَسْجَدٍ وُدِيَتْ   ما بالُـهـا قُطِعَـتْ في رُبْـع دِينـارِ؟

سألتُه: فقال: هذا كقول الفقهاء: عبادة لا يُعقَلُ معناها.

قال كاتِبُه: لو أراد ذلك، لقال: تَعَبُّدٌ. وَلَمَا قال: تناقضٌ، ولَمَا أردفَه ببيتٍ آخرَ يَعترِضُ على ربه.

وبإسنادي، قال السِّلَفيّ: إن كان قاله مُعْتَقِداً معناه، فالنارُ مأواه، وليس له في الإسلام نصيب. هذا إلى ما يُحكى عنه في كتاب «الفصول والغايات» فقيل له: أين هذا من القرآن؟ فقال: لم تَصْقُلْهُ المحاريب أربعَ مِئةِ سنة.

[١]قال السِّلفيّ: ومما يَدُلُّ على صحة عَقيدتِه ما سمعتُ الخطيب حامدَ بن بختيار، سمعتُ أبا المهديِّ بن عبدالمنعم بن أحمد السَّرُوجيّ، سمعتُ أخي أبا الفتح القاضي يقولُ: دخلتُ على أبي العلاء التنوخي بالمعرة بَغْتَةً، فسمعتُه يُنشد:

كم غُودِرَتْ غادَةٌ كَعَـابٌ وعُـمِّـرت أُمُّـهـا الـعَـجـوزُ
أحـرَزَهـا الـوالِـدَانِ خوفـاً والـقـبـرُ حِرْزٌ لـهـا حَـريزُ
يجـوزُ أن تُخْـطِـئَ الـمَـنـايا والـخُـلْدُ في الـدَّهـرِ لا يَجـوزُ

ثم تَأَوَّهَ مرّات، وتلا قولَه تعالى:

﴿إنَّ في ذلـكَ لآيـةً لِمَنْ خاف عَذابَ الآخِرةِ﴾ إلى قوله: **﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وسَعِيدٌ﴾** (هود: ١٠٣ـ١٠٥).

---

(١) في (اللزوم) ١/٥٤٤: بخمس مئين عسجد، ومِيءٍ بميم مكسورة وهمزة منونة: من جموع المئة.

ثم صاح وبكى، وطرح وجهه على الأرض زماناً، ثم مَسح وجهَه، وقال: سُبحان مَنْ تكلَّم بهذا في القِدَم! سُبحان مَنْ هذا كلامُه! فصبرت ساعةً ثم سَلَّمْتُ، ثم قلتُ: أرى في وَجْهِكَ أثَر غيظٍ؟ قال: لا، بل أنشدتُ شيئاً من كلام المخلوق، وَتَلوتُ شيئاً مِن كلام الخالق، فلَحِقَني ما ترى. فتحققت صحةَ دينِه.

قال السِّلَفيّ: سمعتُ أبا زكريا التبريزيَّ يقول: أفضلُ من قرأتُ عليه أبو العلاء. وسمعت أبا المكارم ـ وكان من أفراد الزمان ـ يقولُ لما تُوفي أبو العلاء اجتمع على قبره ثمانون شاعراً وخُتِمَ في أسبوعٍ واحد مئتا ختمة. إلى أن قال السِّلَفيّ: وفي الجُملة فكان مِن أهل الفضل الوافر، والأدبِ الباهر، والمعرفةِ بالنسب وأيامِ العرب، قرأ القرآن بروايات، وسَمِعَ الحديثَ على ثقات، وله في التوحيد وإثبات النبوات، وما يَحُضُّ على الزهد وإحياء طرق الفتوة والمروءة شعرٌ كثير، والمُشكل منه، فله على زَعمه تفسير.

قيل: انه أوصى أن يكتب على قبره:

هـذا جَنـاه أبـي عَـليَّ وما جَـنَيْـتُ عـلى أَحَــد

قلتُ: الفلاسفة يَعُدّون اتخاذَ الولدِ وإخراجَه إلى الدنيا جنايةً عليه، ويَظهرُ لي من حال هذا المخذول أنه مُتَحيِّرٌ لم يَجزم بِنِحْلَةٍ. اللهم فاحفظ علينا إيمانَنا.

قلتُ: قبرُهُ داخلَ المعرّةِ في مكان داثرٍ، وقد حدَّث عنه أبو طاهر بنُ أبي الصقر الأنباري، وطائفة، وقد طال المقالُ، وما على الرجل أُنسُ زُهَّادِ المؤمنين، والله أعلم بما خُتِمَ له. ومن خَبيثِ قوله:

أَتـى عيسـى فَبَـطَّلَ شَرْعَ موسـى وجـاء محمّـدٌ بصـلاة خمسِ
وقالوا: لا نبـيٌّ بعــد هــذا فضــلَّ القوم بين غـدٍ وأمسِ

ومهما عشتَ دنياك هذي فما تُخْليك من قَمَر وشَمسِ
إذا قلت المحال رفعت صوتي وإن قلتُ الصحيحَ أطَلْتُ هَمسِي

وكانت عِلَّته ثلاثةَ أيام، ومات سنةَ تسعٍ وأربعٍ مئة وعاش ستّاً وثمانين سنة.

٧٧٥ - الصَّابُونيُّ(١)

[١]الإمامُ العلامةُ، القُدوة، المفسِّر، المُذكِّر، المُحدِّث، شيخُ الإسلام، أبو عثمان، إسماعيلُ بنُ عبدِالرحمن بنِ أحمدَ النَّيْسابوريُّ، الصَّابُونيُّ. وُلِدَ سنة ثلاثٍ وسبعينَ وثلاثِ مئة.

[٢]وقال عبدالغافر: خطب وصلَّى في الجامع نحواً من عشرين سنة وكان حافظاً، كثيرَ السماعِ والتصانيف، حريصاً على العلم، سمع بنَيسابورَ وهراةَ وسَرْخَس والحجازِ والشامِ والجبالِ، وحدَّث بخُراسان والهند وجُرجان والشام والثغورِ والحجاز والقدس، وزُرِقَ العزَّ والجاهَ في الدين والدنيا، وكان جَمالاً للبلد، مقبولاً عند المُوافقِ والمُخالف مجمعٌ على أنه عديمُ النظير، وسيفُ السنة، ودامغُ البِدعة، وكان أبوه الإمامُ أبو نصر من كبار الواعظين بنيسابور، ففُتِكَ به لأجلِ المذهب، وقُتِلَ، فأُقْعِدَ ابنُه هذا ابنَ تسعِ سنين، فأُقعد بمجلس الوعظ، وحضرَه أئمةُ الوقت، وأخذَ الإمامُ أبو الطَّيِّب الصُّعْلوكيُّ في ترتيبه وتهيئةِ شأنِه، وكان يَحضرُ مجلسَه هو والأستاذ أبو إسحاق الإسفرايينيّ، والأستاذ أبوبكر بن فُورَك، ويَعْجَبُون من كمالِ ذكائه وحُسنِ إيراده، حتى صار إلى ما صار إليه، وكان مُشتغلاً بكثرةِ العبادات والطاعات، حتى كان يُضْرَبُ به المثل.

---

(١) انظر السير: ١٨/ ٤٠-٤٤.

تُوفي أبو عثمان سنة تسع وأربعين وأربع مئة.

[١] قال عبدُالغافر في «تاريخه»: حكى الثِّقاتُ أن أبا عثمانَ كان يَعِظُ، فدُفع إليه كتابٌ ورد من بُخارى، مُشتملٌ على ذكرِ وباءٍ عظيم بها لِيَدْعُوَ لهم، ووصفَ في الكتاب أنَّ رجلاً أعطى خبَّازاً درهماً، فكان يَزِنُ، والصانعُ يَخْبِزُ، والمُشتري واقف، فمات ثلاثَتُهم في ساعة.

فلما قرأ الكتابَ هالَهُ ذلك، واستقرأ من القارىء ﴿أَفَأَمِنَ الّذِيْنَ مَكَرُواْ السّيِّئاتِ﴾ (النحل: ٤٥) . . . الآيات. ونظائرَها وبالغ في التخويف والتحذير، وأثَّر ذلك فيه وتغيَّر، وغلبَه وجَعُ البَطْنِ وأُنزل من المنبر يَصيح من الوجعِ، فَحُمِلَ إلى حمَّام، فبقي إلى قريب المغرب يتقلَّب ظَهراً لبطن، وبقي أسبوعاً لا يَنفعُه علاج، فأوصى، وودَّع أولادَه، ومات.

[٢] وأطنب عبدُالغافر في وصفِه، وأسهب، إلى أن قال: وقرأتُ في كتابٍ كتبَهُ زَيْنُ الإسلام من طُوس في التعزية لشيخِ الإسلام: أليس لم يَجْسُرْ مُفْترٍ أن يَكذِبَ على رسول الله في وقته؟ أليستِ السُّنةُ كانت بمكانِه منصورةً، والبِدعةُ لفَرْط حِشمتِه مقهورة؟ أليس كان داعياً إلى الله هادياً عبادَ الله، شابّاً لا صَبْوَةَ له، كهلاً لا كَبْوَةَ له، شَيخاً لا هفوةَ له؟ يا أصحابَ المحابر، وَطِّؤوا رِحالَكم، قد غُيِّب من كان عليه إلمامُكم. ويا أربابَ المنابر، أعظمَ الله أجوركم، فقد مضى سيِّدُكم وإمامُكم.

قُلتُ: ولقد كان من أئمة الأثر، له مُصنَّفٌ في السنة واعتقادِ السلف، ما رآه مُنْصِفٌ إلا واعترف له.

٧٧٦ - أبو عَمـرو الدّانـيّ(١)

[١] الإمامُ الحافظُ، المُجوّد المُقرىء، الحاذقُ، عالِمُ الأندلس أبو عمرو، عثمانُ ابن سعيد الأمويُّ، مولاهم الأندلسي، القُرطبيُّ ثم الدّانيّ، مُصنف «التيسير» و «جامع البيان»، وغير ذلك.

ذكر أنَّ والدَه أخبره أن مولدي في سنة إحدى وسبعين وثلاثِ مئة، فابتدأتُ بطلب العلم في أولِ سنة ستٍّ وثمانين.

قال المُغَامي: كان أبوعمرو مُجابَ الدَّعوةِ، مالكيَّ المذهبِ.

وقال الحُمَيديّ: هو مُحدِّث مُكْثِر، ومُقرىءُ مُتَقدِّم، سمع بالأندلس والمشرق.

قلتُ: المشرق في عُرف المغاربة مصرُ وما بعدَها من الشام والعراق، وغير ذلك، كما أن المغربَ في عُرف العجمِ وأهل العراق أيضاً مصرُ، وما تغرَّب عنها.

[٢]وفي فهرس ابنِ عُبيدِالله الحَجَريّ قال: والحافظ أبوعمرٍو الداني قال بعضُ الشيوخ: لم يَكن في عصره ولا بعدَ عصره أحدُ يُضاهيه في حِفظه وتحقيقه، وكـان يقـولُ: ما رأيتُ شيئـاً قطُّ إلا كَتبْتُه، ولا كَتبْتُه إلا وحَفِظتُه، ولا حَفِظتُه فَنَسيتُـه، وكـان يُسـأل عن المسألة مما يتعلَّقُ بالآثار وكلامِ السلف، فيُوردها بجميع ما فيها مُسنَدةً من شيوخه إلى قائلها.

قلت: إلى أبي عمرو المُنتهى في تحرير علمِ القراءات، وعلمِ المصاحف، مع البراعة في علم الحديث والتفسير والنحو، وغير ذلك.

[٣]وقد كان بين أبي عمرٍو، وبين أبي محمد بنِ حزم وَحْشَةٌ ومُنافرة شديدة،

---

(١) انظر السير: ١٨/ ٧٧-٨٣.

أَفْضَتْ بهما إلى التهاجي، وهذا مذموم من الأقران، مَوفُورُ الوجود. نسأل الله الصَّفْح، وأبو عمروٍ أقومُ قيلًا، وأتبعُ للسنة ولكنَّ أبا محمد أوسعُ دائرةً في العلوم. بلغت تواليفُ أبي عمروٍ مئةً وعشرينَ كِتاباً.

[١]وهو القائل في أُرجوزته السائرة:

تَدْري أخي أيْنَ طَرِيقُ الجَنَّةْ　　طَرِيْقُها القُرآنُ ثُمَّ السُّنَّة

كِلاهُمَا ببَلَدِ الرَّسولِ　　ومَوطِنِ الأصحابِ خيرِ جيلِ

فاتَّبِعَنْ جَماعةَ المَدِينَهْ　　فالعِلْمُ عن نَبِيِّهم يَرْوُونَه

وَهُمْ فَحُجَّةٌ على سِوَاهُم　　في النَّقلِ والقولِ وفي فَتْواهُمْ

واعْتَمِدَنْ على الإمَامِ مالِك　　إذ قد حَوى على جميع ذلك

في الفقه والفَتوى إليه المُنتهى　　وصحةِ النقلِ وعلمِ مَنْ مضى

[٢] ومنها:

ومِنْ صَحيحِ ما أتى به الخبر　　وشَاعَ في النَّاسِ قَديماً وانتشر

نُزولُ ربِّنا بلا امتراءِ　　في كُل ليلةٍ إلى السَّمَاء

من غَيرِ ما حَدٍّ ولا تَكْييفِ　　سُبحانَهُ مِن قَادرٍ لَطيفِ

وَرُؤيةُ المُهيمنِ الجَبَّارِ　　وأنَّنا نَراهُ بالأبصارِ

يومَ القيامةِ بلا ازْدحامِ　　كرؤية البَدْرِ بلا غَمامِ

وضَغْطَةُ القَبْرِ على المَقْبُورِ　　وفِتْنَةُ المُنْكَرِ والنَّكِير

فالحَمدُ لله الذي هَدانا　　لواضِحِ السُّنَّة واجْتَبانا

وَهِيَ أُرْجُوزَةٌ طَويلةٌ جداً.

مات أبوعمر سنةَ أربع وأربعين وأربعِ مئة، ودُفِن ليومه بعد العصر بمَقْبرة دَانِيَة، وَمَشى سلطانُ البلدِ أمام نعْشِه، وشَيّعه خَلْقٌ عظيم، رحمه الله تعالى.

٧٧٧ - طُغْرُلْبَك[1]

محمدُ بن ميكائيل، السلطان الكبير، رُكن الدين أبو طالب.

أصلُ السلجوقية، من بَرّ بُخارى، لهم عدد وقوة وإقدام، وشجاعة وشهامة وزعارة، فلا يدخلون تحت طاعة، وإذا قصدهم ملك، دخلوا البرِّيَّة على قاعدة الأعراب، ولمّا عبر السلطانُ محمودُ بنُ سُبُكْتِكِين إلى بلاد ما وراء النهر وجد رأسَ السلجوقية قَويَّ الشوكة، فاستماله، وخدعه حتى جاء إليه، فقبض عليه، واستشار الأمراء فَأشَار بعضُهُم بتغريق كبارهم، وأشار آخرون بقطع إبهاماتهم لِيَبْطُلَ رَمْيُهم، ثم اتفق الرأيُ على تفريقهم في النواحي، ووضع الخَرَاج عليهم فَتَهَذَّبُوا، وَذَلُّوا فانفصل منهم ألفا خَركاه،[2] ومضوا إلى كَرْمَان،[3] ومَلِكُه يومئذابنُ بهاءِ الدولة بن عضد الدولة بن بُوَيْه، فأحسن إليهم، ولم يلْبثْ أن مات بعد الأربع مئة، فقصدوا أصبهان، ونزلُوا بظاهرها، وكان صاحبُها علاء الدولة ابن كاكويه، فرغب في استخدامهم، فكتب إليه السلطانُ محمود يأمره بحربهم، فوقع بينهم مصافّ، ثم ترحّلُوا إلى أذْرِبيجان، وانحاز إخوانُهُم الذين بخراسان إلى خُوَارَزْم وجبالها، فجهز السلطانُ جيشاً ضايقوهم نحو سنتين، ثم قصدهم محمود بنفسه، ومزَّقهم وشتَّتهم، فمات وتَسَلْطن ابنُه مسعود، فتألَّف الذين نزلوا بأذْرَبيجان فأتاهُ ألفُ فارس، فاستخدمهم، ثم لاطف الآخرين، فأجابوا إلى طاعته ثم اشتغل بحرب الهند، فإنهم خرجوا عليه، فخلَتِ البلاد للسلجوقية فهاجوا وأفسدوا.

---

(١) انظر السير: ١٨/ ١٠٧-١١١.

(٢) كلمة فارسية معناها الخيمة الكبيرة، وفي (وفيات الأعيان): فانفصل منهم ألفا بيت.

(٣) قال ياقوت: هي ولاية مشهورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان إلى أن قال: وكرمان أيضاً: مدينة بين غزنة وبلاد الهند، وهى من أعمال غزنة.

هذا كلُّه، والأخوان طُغْرُلْبَك وجَغْرِيَك في أرضهم بأطراف بخارى ثم جرت ملحمةٌ بين السلجوقية وبين مُتولّي بُخارى، قُتِل فيها خلقٌ من الفئتين، ثم نفّذوا رسولاً إلى السلطان، فحبسه، وجهّز جيشَه لحربهم فالتقوا، فانكسر آلُ سلجوق، وذلُّوا، وبذلُوا الطاعة لمسعود، وضمنوا له أخذ خُوارَزْم، فطيّب قلوبَهم، وانخدع لهم، ثم حشد الأخَوانِ وعَبَروا إلى خراسان، وانضم الآخرون إليهم وكَثُرُوا، وجرت لهم أمور يطولُ شرحها إلى أن استولوا على الممالك، فأخذوا الرَّيَّ فى سنة تسع وعشرين وأربع مئة، وأخذوا نيسابور في سنة ثلاثين وأخذوا بلخ وغيرَ ذلك، وضَعُف عنهم مسعود، وتحيَّز إلى غَزْنة، وبقوا في أوائل الأمر يَخْطُبون له حتى تمكنوا، فراسلهم القائمُ بأمر الله بقاضي القضاة أبي الحسن الماورديّ، ثم إن طُغْرُلْبَك المذكور عَظُم سلطانُه، وطوى الممالكَ، واستولى على العراقِ في سنة سبع وأربعين، وَتَحَبَّبَ إلى الرعية بعدلٍ مشوب بجور، وكان في نفسه ينطوي على حلم وكرم، وقيل: كان يُحَافِظُ على الجماعة، ويصوم الخميس والإثنين، ويَبني المساجد ويتصدَّقُ، وقد جهَّز رسولَه ناصرَ بن إسماعيل العلوي إلى ملكة النصارى فاسْتأذنها ناصر في الصلاة بجامع قُسطَنطينية جماعةً يوم جمعة، فأذنت له، فخطب للخليفة القائم، وكان هُناك رسولُ خليفةِ مصرَ المستنصرِ فأنكر ذلك.

وذكر المُؤَيّد في «تاريخه» أن في سنة إحدى وأربعين بعث ملكُ الروم إلى طُغْرُلْبك هدايا وتحفاً، والتمس الهدنةَ، فأجابه وعمر مسجد القسطنطينية، وأقام فيها الخطبة لطُغْرُلْبك، وتمكّن مُلكُه.

[١]ولما تمهدت البلادُ لطُغْرُلْبَك خَطبَ بنت الخليفة القائم، فتألَّمَ القائمُ، واستعفى فلم يُعْفَ، فزوّجَّه بها، ثم قدم طُغرلْبَك بغداد للعُرس.

وكانت له يدٌ عظيمة على القائم في إعادةِ الخلافةِ إليه، وقَطْعِ خُطبة المصريين التى أقامها البَسَاسِيريّ.

[١]ثم نَفَّذَ طُغْرُلْبَك مئة ألف دينار برسم نقل الجهاز، فعُمِل العرسُ في صفر سنة خمسٍ وخمسين، وأُجْلِسَتْ على سرير مُذَهَّب، ودخل السلطانُ إلى بين يديها، فقبّـل الأرض، ولم يكشفِ المنـديلَ عن وجههـا، وقَـدّم تُحفـاً سنِيَّة، وخدم وانصرف، ثم بعث إليها عِقْدَيْن مجوهرين، وقطعةَ ياقوت عظيمة، ثم دخل من الغـد، فقبَّلَ الأرضَ، وجلس على سرير إلى جانبها ساعةً، وخرج وبعثَ لها فَرَجيّةَ نسيجٍ مُكلَّلةً بالجوهر ومِخْنقةً أي قِلادة مُثمّنة، وسُرَّ بها. هذا والخليفةُ في ألمٍ وحُزنٍ وكَظْمٍ، فأما غيره من الخلفاء الضُّعفاء فَودُّه لو زَوّج بنته بأميرٍ من عُتقاء السلطان، ثم إن طُغرلبك خلا بها، ولم يُمتَّع بنعيم الدنيا، بل مات في رمضان من السنة بالريِّ سنة خمسٍ وخمسين، وحمل إلى مرو، فدفُن عند أخيه وقيل: بل دُفن بالري، وعاشَتِ الزوجة الخَلِيفَتية إلى سنة ستٍّ وتسعين وأربعِ مئة، وصار مُلكُه من بعده إلى ابنِ أخيه السلطان ألب آرسلان.

[٢]ولم يُرزق طغـرلبك ولداً، وعاش سبعين عاماً، وكان بيده خُوارَزْم ونيسابور وبغـداد والـريّ وأصبهـان، وكـان أخوه إبراهيم يَنالُ قد حاربه، وجَرت أمور، وحصـل في يده مَلِكٌ كبير للروم، فبذل في نفسه أموالاً عظيمة، فأبى عليه، فبعثَ نصرُ الدولة صاحبُ الجزيرة وميَّافارِقين يشفعُ في فكاكه، فبعثه طُغْرُلْبَك إلى نصرِ الدولة بلا فِداء فانْتَخى مَلِكُ الروم، وأهدى إلى طُغْرُلْبَك مئتي ألف دينـار، وخمسَ مئةِ أسير، وألفاً وخمسَ مئةِ ثوب، ومِئةَ لَبِنَةِ فِضة، وألفَ عنزٍ أبيض وثلاث مئة شِهْرِي،[١] وبَعَثَ إلى نصر الدولة تُحَفاً ومِسْكاً كثيراً.

(١) قال في (الأساس): والبرذون الشِّهري: بين الرِّمَكةِ والفرس العتيق.

٧٧٨ ـ الكُنْدُرِيّ[١]

الوزيرُ الكبيرُ، عَميد الملك، أبو نصر، محمدُ بنُ منصور بن محمد الكُنْدُرِيّ، وزيرُ السلطان طُغْرُلْبَك.

كان أحدَ رجال الدهر سُؤْدُداً وجوداً وشَهَامة وكتابة.

وكُنْدُر: من قُرى نيسابور. وُلد بها سنة خمس عشرة وأربع مئة.

تَفَقَه وتأدب، وكان كاتباً لرئيس، ثم ارتقى ووَلِيَ خُوارَزْمَ وَعَظُم، ثم عصى السلطان، وتزوج بامرأةِ ملك خُوارَزْمَ، فتحيَّل السلطانُ حتى ظَفِر به، وخصاه لتزوُّجِه بها، ثم رَقَّ له وتداوى وعُوفي وَوَزر له.

وقدم بغداد، ولقَّبه القائمُ سيدَ الوزراء، وكان مُعتزلياً، له النظم والنثر فلما مات طُغْرُلْبَك، وَزَر لألب آرسلان قليلاً ونُكب.

وَوَزَرَ تسعَ سنين وأخذوا أمواله، منها ثلاثُ مئة مملوكٍ. وقُتِل صبراً، وطيف برأسه، وما بلَغَنا عنه كبيرُ إساءة، لكنْ ما على غضب الملك عِيار. قُتل بِمْرِو الرُّوذ سنةَ ستٍّ وخمسين وأربع مئة، وله اثنتان وأربعون سنة.

وَوَزَرَ بعدَه نِظَامُ المُلك.

٧٧٩ ـ صاحبُ غَزْنَة[٢]

السلطانُ فرُّخْزاد بنُ السلطان مسعود بن السلطان الكبير محمود بن سُبُكتِكِين.

---

(١) انظر السير: ١٨/ ١١٣-١١٥.

(٢) انظر السير: ١٨/ ١٣٣-١٣٤.

كان مَلِكاً سائساً، مَهيباً شُجاعاً، مُتَّسِعَ الممالك، هجم عليه مماليكُه الحمّامَ، فكان عنده سيفُه، فشد عليهم، وسَلِمَ وأدركه الحرسُ، وقتلوا أولئك، ثم صار بعدُ يُكثِرُ من ذكر الموت ويَزْهَدُ في الدنيا فأخذه قَولَنْج في سنة إحدى وخمسين وأربع مئة، فماتَ وتملَّك أخوه إبراهيم فجاهد، ونشرَ العدلَ، وفتح قِلاعاً من الهند.

٧٨٠ - ابن عبدالبـر(١)

[١]الإمامُ العلاّمة، حافظُ المغربِ، شيخُ الإسلام، أبوعمر، يوسفُ بنُ عبدِالله ابنِ محمد بن عبدِالبرِّ النَّمَرِيُّ،(٢) الأندلسيُّ، القُرطبيّ المالكيّ، صاحبُ التصانيف الفائقة. مولده في سنة ثمانٍ وستين وثلاثِ مئة.

طلب العلمَ بعد التسعين وثلاثِ مئة، وأدرك الكبار، وطال عمره وعلا سندُه، وتكاثر عليه الطلبةُ، وجمع وصنّف، ووثّق وضعَّف، وسارت بتصانيفه الرُّكبانُ، وخضع لعلمه علماءُ الزمان.

[٢]قلتُ: كان إماماً ديِّناً ثقة، مُتقْناً، علامة، متبحِّراً، صاحِبَ سُنّة واتِّباع، وكان أوّلاً أثريّاً ظاهريّاً فيما قيل، ثم تحوّل مالكياً مَعَ مَيْلٍ بيِّنٍ إلى فقه الشافعيّ في مسائل، ولا يُنكر له ذلك، فإنّه مِمّن بلغ رتبةَ الأئمة المجتهدين، ومن نظر في مُصَنَّفاته، بانَ له مَنزلَتُه من سعة العلم، وقُوةِ الفهم، وسَيَلان الذهن، وكُلُّ أحدٍ يُؤخذ من قوله ويتركُ إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن إذا أخطأ إمام في اجتهاده، لا ينبغي لنا أن نَنسى محاسنَه، ونُغطِّيَ معارفَه بل نستغفرُ له، ونَعتَذِرُ عنه.

---

(١) انظر السير: ١٨/ ١٥٣-١٦٣.

(٢) قال ابن خلِّكان: هذه النسبة إلى النَّمِر بن قاسط. بفتح النون وكسر الميم. وإنما تفتح الميم في النسبة خاصة، وهي قبيلة كبيرة مشهورة.

وقال أبو عليٍّ الغَسّانيّ: ألَّف أبو عمر في «المُوطّأ» كتباً مفيدة منها: كتاب «التمهيد لِما في الموطأ من المعاني والأسانيد» فرتَّبهُ على أسماء شيوخ مالك، على حروف المعجم، وهو كتابٌ لم يَتَقَدَّمْه أحدٌ إلى مثله، وهو سبعون جزءاً.

قلت: هي أجزاء ضخمة جدّاً.

قال ابنُ حزم: لا أعلمُ في الكلام على فِقه الحديث مثلَه فكيف أحسن منه؟

ثم صنع كتاب «الاستذكار لمذهب علماء الأمصار فيما تضمَّنه الموطأُ من معاني الرأيِ والآثار» شَرَحَ فيه «الموطأ» على وجهه، وجمع كتاباً جليلاً مفيداً وهو «الاستيعاب في أسماء الصحابة» وله كتاب «جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وحمله» وغير ذلك من تواليفه.

وكان موفّقاً في التأليف، معاناً عليه، ونفع الله بتواليفه وكان مع تقدُّمه في علم الأثر وبصَرِه بالفقه ومعاني الحديث له بسْطةٌ كبيرة في علم النسب والخبر.

مات أبـو عمرَ سنةَ ثلاثٍ وستين وأربعِ مئة، واستكمل خمساً وتسعين سنة وخمسةَ أيام، رحمه الله.

قلت: وكـان في أُصـول الديانة على مذهب السلف، لم يَدْخُلْ في علم الكلام، بل قفا آثارَ مشايخِه رحمهم الله.

٧٨١ - البَيْهقــــيّ[١]

[١]هو الحـافظ العـلاّمـة، الثَّبْتُ، الفقيهُ، شيخُ الإسـلام، أبـوبكر أحمدُ بن الحسين بن عليّ، الخراسانيّ. وبَيْهَق: عِدّة قُرى من أعمال نيسابور على يومين منها. وُلد في سنة أربعٍ وثمانين وثلاثِ مئة، وسمع وهو ابنُ خمسَ عشرةَ سنة.

---

(١) انظر السير: ١٨/ ١٦٣-١٧٠.

وبُـورِكَ له في عِلمـه، وصنَّف التصـانيفَ النـافعـةَ، ولـم يكن عنده «سُننُ النسائيّ»، ولا «سُننُ ابنِ ماجة» ولا «جامعُ أبي عيسى»، بلى عنده عن الحاكم وِقْرُ بعيرٍ أو نحوُ ذلك، وعنده «سُنن أبي داود» عالياً وتفقَّه على ناصر العمريِّ، وغيره.

وانقطع بقريته مُقبلاً على الجمع والتأليف، فعمل «السُّنن الكبير» في عشر مجلدات ليس لأحدٍ مثلُه، وألّف كتابَ «السنن والآثار» في أربع مجلدات.

قال الحافظ عبدُالغافر بن إسماعيل في «تاريخه»: كان البَيهقيُّ على سيرة العلماء، قانعاً باليسير، مُتجمِّلاً في زُهدِه وورعه.

[١] قال شيخُ القضـاة أبـو عليٍّ إسمـاعيلُ بن البيهقيّ: حدثنا أبي قال: حين ابتدأتُ بتصنيف هذا الكتابِ ـ يعني كتاب «المعرفة في السنن والآثار» ـ وفرغتُ من تهـذيب أجـزاءَ منـه، سمعتُ الفقيه محمـد بن أحمد ـ وهو من صالحي أصحابي وأكثرِهم تلاوةً وأصدقِهم لهجةً ـ يقول: رأيتُ الشافعيَّ ـ رحمه الله ـ في النـوم، وبيده أجزاءٌ من هذا الكتاب وهو يقولُ: قد كتبتُ اليوم من كتاب الفقيه أحمد سبعة أجزاء ـ أو قال: قرأتُها ـ ورآه يَعْتَدُّ بذلك. قال: وفي صباح ذلك اليوم رأى فقيهٌ آخر من إخواني الشافعيَّ قاعداً في الجامع على سرير وهو يقولُ: قد استفدتُ اليومَ من كتاب الفقيه حديثَ كذا وكذا.

[٢] وأخبـرنـا أبي قال: سمعتُ الفقيه أبا محمد الحسَنَ بنَ أحمدَ السمرقنديّ الحـافظ يقول: سمعتُ الفقيه محمّدَ بنَ عبدالعزيز المَرْوَزِيَّ يقولُ: رأيتُ في المنام كأنّ تابوتاً علا في السماء يعلوه نور، فقلتُ: ما هذا؟ قال: هذه تَصانيفُ أحمدَ البيهقيّ.

قلتُ: هذه رؤيا حق، فتصانيفُ البيهقيِّ عظيمةُ القدر، غزيرةُ الفوائد، قلَّ من جوَّد تواليفَه مثلُ الإمام أبي بكر، فينبغي للعالم أن يَعتنيَ بهؤلاء سيما «سُننَه الكبير».

وبلغَنا عن إمام الحرمين أبي المعالي الجُوينيّ قال: ما من فقيهٍ شافعيٍّ إلا وللشافعيّ عليه مِنَّةٌ إلا أبا بكر البيهقي، فإنَّ المِنَّةَ له على الشافعيِّ لتصانيفه في نُصرة مذهبه.

قلت: أصاب أبو المعالي، هكذا هو، ولو شاء البيهقيُّ أن يعملَ لنفسِه مذهباً يجتهد فيه، لكان قادراً على ذلك، لسعة علومه، ومعرفته بالاختلاف، ولهذا تراه يُلوِّح بنصر مسائلَ مما صحَّ فيها الحديثُ. ولَمَّا سمعوا منه ما أحبوا في قدمته الأخيرة، مرض، وحضرت المنية، فتُوفي سنةَ ثمانٍ وخمسين وأربعِ مئة، فغُسِّل وكُفِّنَ وعُمِلَ له تابوت، فنُقلَ ودُفِنَ ببيهق. عاش أربعاً وسبعينَ سنةَ.

٧٨٢ - ابن أبي الطَّيِّـــب(١)

[١]الإمامُ العلامةُ، المُفسِّر الأوحد، أبو الحسن، عليُّ بنُ أبي الطيب عبدِالله ابنِ أحمدَ النَّيْسابوريُّ.

له تَفسيرٌ في ثلاثين مجلداً، وآخر في عشرة، وكان يُملي ذلك من حفظه، كان آيةً في الحفظ، مع الورع والعبادة والتَّألُّه.

[٢]قيل: إنه حُمل إلى السلطان محمودِ بن سُبُكْتِكِين ليسمعَ وَعْظَه فلما دخل جلسَ بلا إذن، وأخذ في رواية حديثٍ بلا أمر، فتَنَمَّر له السلطانُ، وأمر غلاماً، فلكمَهُ لَكْمةً أطْرَشَتْهُ، فعرَّفَه بعضُ الحاضرين منزلَتَه في الدين والعلم، فاعتذر إليه، وأمر له بمال، فامتنع فقال: يا شيخُ: إن لِلْمُلْكِ صَولةً، وهو مُحتاجٌ إلى السياسةِ، ورأيتُ أنك تَعدَّيتَ الواجبَ، فاجْعلني في حِلٍّ. قال: الله بيننا بالمِرصاد، وإنما أحْضرتَني للوعظ، وسماعِ أحاديث رسول الله صلى الله عليه

---

(١) انظر السير: ١٨/ ١٧٣-١٧٤.

وسلم وللخشوع لا لإقامة قوانين الرئاسة. فخَجِل المَلِكُ، واعتنقه.

تُوفي سنةَ ثمانٍ وخمسين وأربع مئة بسانْزُوار.

قلتُ: رتُبةُ محمودٍ رفيعةٌ في الجهاد وفتحِ الهند وأشياءَ مليحةٍ وله هَنَات، هذه منها، وقد نَدِم واعتذر، فنعوذُ بالله من كُلِّ مُتكبرٍ جبَّار. وقد رأينا الجَبَّارين المُتمرِّدين الذين أماتوا الجهاد، وطَغَوْا في البلاد، فَواحسرةً على العباد.

٧٨٣ - ثابت بن أسلم(١)

العَلاَّمة أبو الحسنِ الحلبيّ، فَقيهُ الشيعة، ونَحْويُّ حلب.

تَصدّر للإفادة، وله مُصنّفٌ في كشف عُوارِ الإسماعيليّة وبَدءِ دعوتِهم وأنّها على المخاريق، فأخذه داعي القوم، وحُمِل إلى مِصْرَ، فصلبه المستنصرُ، فلا رضي الله عَمَّن قتله، وأُحرِقَتْ لذلك خِزانةُ الكتب بحلب، وكان فيها عشرةُ آلاف مجلّدة، فرحم الله هذا المبتدعَ الذي ذَبَّ عن المِلّة، والأمرُ لله.

٧٨٤ - ابن حزم(٢)

[١]الإمامُ الأوحدُ، البحر، ذو الفنون والمعارف، أبو محمد، عليُّ بنُ أحمدَ بنِ سعيدِ بنِ حزم بنِ غالب بنِ صالح بنِ خلف بنِ مَعْدان بنِ سفيان بنِ يزيدَ الفارسيُّ الأصلِ، ثم الأندلسيُّ القُرطبيُّ اليَزيديُّ مولى الأميرِ يزيدَ بن أبي سفيان بن حرب الأمويّ، - رضي الله عنه - المعروف بيزَيدِ الخَيْر، نائبِ أمير المؤمنين أبي حفصٍ عُمرَ على دمشق، الفقيهُ الحافظُ المتكلِّمُ، الأديبُ،

(١) انظر السير: ١٨/ ١٧٦.

(٢) انظر السير: ١٨/ ١٨٤-٢١٢.

الوزيرُ الظاهريُّ، صاحبُ التصانيف، فكان جَدُّه يزيدُ مولىً للأمير يزيدَ أخي معاوية. وكان جدُّه خَلَفُ بنُ مَعْدان هو أول من دخل الأندلس في صحابة ملكِ الأندلسِ عبدِالرحمن بنِ معاويةَ بنِ هشام المعروف بالداخل.

ولد أبو محمدٍ بقُرطبةَ في سنة أربعٍ وثمانين وثلاثِ مئة.

نشأ في تنعُّمٍ ورفاهية، ورُزِق ذكاءً مُفرطاً، وذِهناً سيّالاً، وكُتُباً نفيسةً كثيرة، وكان والدُه من كُبَراء أهلِ قرطبة، عمل الوزارةَ في الدولة العامرية، وكذلك وَزَرَ أبومحمد في شَبِيبَته، وكان قد مَهر أولاً في الأدب والأخبار والشعر، وفي المنطق وأجزاءِ الفلسفة، فأثَّرت فيه تأثيراً لَيْتَه سَلِمَ من ذلك، ولقد وقَفتُ له على تأليف يحضُّ فيه على الاعتناء بالمنطق، ويُقدِّمه على العلوم، فتألَّمتُ له، فإنه رأسٌ في علوم الإسلام، مُتبحِّر في النقل، عدَيمُ النظير على يُبْسٍ فيه، وفَرْطِ ظاهريّةٍ في الفروع لا الأصول.

[١]قيل: إنه تفقّه أوّلاً للشافعيِّ، ثم أدّاه اجتهادُه إلى القول بنفي القياس كله جَليِّه وخَفيِّه، والأخذِ بظاهر النَّصِّ وعمومِ الكتاب والحديث، والقولِ بالبراءة الأصلية، واستصحابِ الحال، وصَنَّف في ذلك كتباً كثيرة، وناظر عليه، وبسط لسانَه وقلمَه، ولم يتأدّب مع الأئمة في الخطاب، بل فجّج[١] العبارة وسبَّ وجَدَّع[٢]، فكان جَزاؤه من جِنس فعلِه، بحيث إنه أعرض عن تصانيفه جماعةٌ من الأئمة، وهجروها ونفروا منها، وأُحرقت في وقت، واعتنى بها آخرون من العلماء وفَتَّشوها انتقاداً واستفادة، وأخذاً ومؤاخذة، ورأوا فيها الدُّرَّ الثمينَ ممزوجاً في الرَّصْفِ بالخَرَزِ المهين، فتارةً يَطربون، ومرّةً يعجبون، ومن تَفرُّده يهزؤون. وفي الجملة فالكمالُ عزيز، وكلُّ أحد يُؤخذ من قوله ويُترك، إلا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) المعنى أنه ساق العبارة فجَّةً قاسية.

(٢) الجدع في الأصل: القطع، وهو هنا كناية عن الذم والشتم.

وكان ينهض بعلومٍ جَمّة، ويُجيد النقل، ويُحسنُ النظم والنثر وفيه دِينٌ وخير ومقاصدُهُ جميلة، ومُصنّفاتُه مفيدة، وقد زهد في الرئاسة، ولزم منزلَه مُكبّاً على العلم، فلا نغلو فيه، ولا نَجْفو عنه، وقد أثنى عليه قَبْلَنا الكبارُ:

قال أبوحامد الغزالي: وَجَدْتُ في أسماء الله تعالى كتاباً ألفه أبو محمد بن حزم الأندلسيّ يدلُّ على عِظَمِ حِفظِه وسَيَلانِ ذِهنِه.

قال أبوعبدالله الحُميديّ: كان ابنُ حَزمٍ حافظاً للحديث وفِقهِه، مُستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة، مُتفنِّناً في عُلوم جَمّة عاملاً بعلمه، ما رأينا مثلَه فيما اجتمع له من الذكاء، وسُرعةِ الحفظ وكرمِ النفس والتَّديُّن، وكان له في الأدب والشعر نَفَس واسعٌ وباعٌ طويل وما رأيتُ من يقول الشعر على البَديهِ أسرعَ منه، وشِعره كثير جَمعتُه على حروف المعجم.

وقد حَطَّ أبوبكر بن العَربيّ على أبي محمد في كتاب «القواصم والعواصم» وعلى الظاهرية، فقال: هي أمة سخيفة، تَسَوَّرتْ على مَرتبة ليست لها، وتكلمت بكلامٍ لم نَفهمْه، تَلَقَّوْه من إخوانهم الخوارج حين حكَّم عليٌّ - رضي الله عنه - يومَ صِفِّين، فقالت: لا حُكم إلا لله، وكان أوّلَ بدعة لقيتُ في رحلتي القولُ بالباطن، فلما عُدتُ وَجدتُ القولَ بالظاهر قد ملأ به المغربَ سخيفٌ كان من بادية إِشْبِيلِيَة يُعْرَفُ بابن حزم، نشأ وتعلَّق بمذهب الشافعيِّ، ثم انتسب إلى داودَ، ثم خلع الكلَّ، واستقل بنفسه، وزعم أنه إمامُ الأُمَّةِ يضع ويرفع، ويحكم ويشرع، يَنسِبُ إلى دين الله ما ليس فيه، ويقول عن العلماء مالم يقولوا تنفيراً للقلوب منهم، وخرج عن طريق المُشبِّهة في ذاتِ الله وصفاته، فجاء فيه بطوامَّ، واتفق كونُه بين قومٍ لا بَصَرَ لهم إلا بالمسائل فإذا طالبهم بالدليل كاعُوا،(١) فَيَتضاحكُ مع أصحابه منهم، وعَضَدَتْهُ الرئاسةُ بما كان عنده من أدب، وبشُبَهٍ

(١) أي: (جبنوا).

كان يُورِدُها على الملوك فكانوا يَحملونه، ويَحمُونه، بما كان يُلقي إليهم من شُبَه البِـدعِ والشِرك، وفي حين عَوْدي من الرحلة ألفيتُ حضرتي منهم طافحة، ونارَ ضلالِهم لافحة، فقاسيتُهم مع غير أقران وفي عدمِ أنصار إلى حساد يَطؤون عَقِبي، تارة تذهب لهم نفسي، وأخرى ينكشر بهم ضِرسي، وأنا ما بين إعراضٍ عنهم أو تَشْغيبٍ بهم، وقد جاءني رجل بجُزء لابن حزم سماه «نكت الإسلام» فيه دواهي، فجردت عليه نواهي، وجـاءني آخر برسالة في الاعتقاد فَنَقضتُها برسالة «الغُرَّة»، والأمر أفحشُ من أن يُنقض.

[١] يقـولون: لا قولَ إلا ما قالَ الله، ولا نَتَّبعُ إلا رسول الله، فإنَّ الله لم يأمرْ بالاقتـداءِ بأحد، ولا بالاهتداء بِهَدْي بشر، فيجب أن يتحققوا أنهم ليس لهم دليل وإنما هي سَخافة في تهويل، فأوصيكم بوصيتين: أن لا تستدلوا عليهم، وأن تُطالبوهم بالدليل، فإن المُبتدع إذا استدللت عليه شَغَّبَ عليك، وإذا طالبته بالدليل لم يَجِدْ إليه سبيلاً فأما قولُهم: لا قول إلا ما قال الله، فحق، ولكن أرِني ما قال. وأما قولُهم: لا حكم إلا لله. فغير مُسَلَّمٍ على الإطلاق، بل مِنْ حُكِم الله أن يَجعلَ الحُكمَ لغيره فيما قاله وأخبر به.

صَحَّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «وإذَا حاصَرْتَ أهلَ حِصنٍ فلا تُنـزِلْهم على حُكم الله، فإنـك لا تدري ما حُكم الله، ولكن أنـزِلُهم على حُكمك». وصح أنّه قال: «عَلَيْكُم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء. . .» الحديث.

قُلتُ: لم يُنصِفِ القاضي أبوبكر - رحمه الله - شيخَ أبيه في العلم، ولا تَكلَّم فيه بالقِسط، وبالغ في الاستخفاف به، وأبوبكر فعَلى عظمته في العلم لا يَبْلُغُ رُتبةَ أبي محمد، ولا يكاد، فرحمهما الله وغفر لهما.

قال اليَسَـعُ بنُ حَزمٍ الغـافقيُّ وذكر أبا محمد فقال: حدثني عنه عمرُ بنُ واجب قال: بينما نحن عند أبي بِبَلَنْسِيَةَ وهو يُدَرِّسُ المذهب إذا بأبي محمد بن

حزم يَسمعُنـا، ويتعجبُ، ثم سأل الحاضرين مسألةً من الفقه، جُووب فيها، فاعترَض في ذلك، فقال له بعضُ الحُضَّار: هذا العلم ليس من مُنْتَحلاتِك، فقام وقعد، ودخل منزلَه فعكف، وَوكفَ[1] منه وَابِلٌ فما كَفَّ، وما كان بعد أشهر قريبة حتى قَصَدْنا إلى ذلك الموضع فناظر أحسنَ مناظرة، وقال فيها: أنا أتبع الحق، وأجتهد ولا أتقيّدُ بمذهب.

[١]قلتُ: نعم، من بلغ رُتبةَ الاجتهاد، وشهد له بذلك عِدّةٌ من الأئمة، لم يَسُغْ له أن يُقلِّدَ، كما أن الفقيه المُبتدىءَ والعاميَّ الذي يحفظ القرآن أو كثيراً منه لا يَسوغُ له الاجتهاد أبداً، فكيف يَجتهدُ وما الذي يقول؟ وعلام يَبني؟ وكيف يَطيرُ ولمّا يُرَيِّشْ؟ والقِسم الثالث: الفقيه المنتهي اليَقِظُ الفَهِمُ المُحدِّث، الذي قد حفظ مختصراً في الفروع، وكتاباً في قواعد الأصول، وقرأ النحو، وشارك في الفضائل مع حفظِه لكتاب الله وتشاغله بتفسيره وقوةِ مُناظرته، فهذه رُتبة من بلغ الاجتهـادَ المُقيَّد، وتـأهَّلَ للنظر في دلائلِ الأئمة، فمتى وَضح له الحقُّ في مسألة، وثَبت فيها النص، وعَمِلَ بها أحدُ الأئمةِ الأعلامِ كأبي حنيفةَ مثلاً، أو كمالك، أو الثوريِّ، أو الأوزاعيِّ، أو الشافعيّ وأبي عبيد، وأحمدَ، وإسحاق، فَلْيَتَّبِعْ فيها الحقَّ ولا يَسْلُكِ الرُّخصَ ولْيتَورَّع، ولا يَسَعُه فيها بعد قيامِ الحجةِ [٢] عليه تقليدٌ، فإن خاف ممن يُشغِّب عليه من الفقهـاء فَلْيَتكتَّم بهـا ولا يتراءى بفعلها، فربّما أعجبته نفسُه، وأحب الظهور، فيُعاقَب، ويَدخل عليه الداخلُ من نفسه. فكم من رجلٍ نَطق بالحقِّ، وأمر بالمعروف، فَيُسلِّطُ الله عليه من يُؤذيه لسوء قَصدِه، وحُبِّه للرئاسة الدينية، فهذا داءٌ خَفيٌّ سارٍ في نفوس الفقهاء كما أنه داءٌ سارٍ في نفوس المُنفِقين من الأغنياء وأربابِ الوقوفِ والتُّربِ المُزَخْرَفة وهو دَاء خفيٌّ يَسري في نفوس الجند والأُمراء والمجاهدين، فتراهم يَلتقون العدوَّ،

---

(١) وكف: قطر.

ويَصطدِمُ الجمعان وفي نفوس المجاهدين مُخَبَّآتٌ وكمائِنُ من الاختيالِ وإظهار الشجاعةِ ليقال، والعُجْبِ، ولُبْسَ القراقل[1] المذهَّبة والخُوذ المزخرفة، والعُدد المُحلاَّة على نفوس مُتكبرةٍ، وفُرسان مُتجبرة وينضاف إلى ذلك إخلالٌ بالصلاة، وظُلم للرعية، وشُرب للمسكر، فأنَّى يُنصرون؟ وكيف لا يُخذلون؟ اللهَّم: فانصر دينَك، ووفِّق عبادَك. فمَن طلب العلمَ للعمل كسره العلمُ، وبكى على نفسه، ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والرياء، تحامق، واختال، وازدرى بالناس وأهلكه العُجْبُ، ومَقَتَتْهُ الأنفس ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾(الشمس: ٩، ١٠) أي: دَسَّسَها بالفُجور والمعصية. قُلِبتْ فيه السينُ ألفاً. [١]

قال الشيخ عزُّالدينِ بنُ عبدالسلام ـ وكان أحدَ المُجتهدين ـ : ما رأيتُ في كتب الإسلام في العلم مثل «المُحلّى» لابن حزم، وكتاب «المُغني» للشيخ موفق الدين.

قُلتُ: لقد صَدق الشيخُ عزالدين وثالِثُهما: «السُّنن الكبير» للبيهقيِّ. ورابعهما: «التمهيد» لابن عبد البَرّ. فمن حصَّل هذه الدواوين، وكان من أذكياء المفتين، وأدمنَ المطالعة فيها، فهو العالم حقّاً.

قال أبوالعباس ابنُ العَريف: كان لسانُ ابنِ حزم وسيفُ الحجّاجِ شقيقين.

[٢] وقال أبوبكر محمدُ بنُ طرخان التركي: قال لي الإمام أبومحمد عبدُالله بن محمد ـ يعني والدَ أبي بكر بن العربي ـ : أخبرني أبو محمد بنُ حزم أن سَبب تَعلُّمه الفقه أنه شهِد جِنازة، فدخل المسجدَ، فجلس ولم يركع، فقال له رجل: قُم فَصلِّ تحية المسجد. وكان قد بلغ ستّاً وعشرين سنة. قال: فَقُمتُ وركعتُ، فلمّا رجعنا من الصلاة على الجِنازة، دَخَلْتُ المسجد، فبادرتُ بالركوع، فقيل

---

(١) القرقل: ضرب من الثياب، وقيل: هو ثوب بغير كُمّين، وقال أبو تراب: القرقل قميص من قمص النساء بلا لِبْنَة، وجمعه قراقل.

لي: اجلس اجلس، ليس ذا وقتَ صلاة ـ وكان بعدَ العصر ـ قال: فانصرفتُ وقد حَزِنْت، وقلت للأستاذ الذي رَبَّاني: دُلَّني على دار الفقيه أبي عبدالله بن دحُّون. قال: فقصدتُه، وأعلمتُه بما جرى، فدلّنى على «موطأ» مالك، فبدأتُ به عليه، وتتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحواً من ثلاثة أعوام، وبدأتُ بالمناظرة.

قال أبومروانَ بنُ حَيّان: كان ابنُ حزمٍ ـ رحمه الله ـ حاملَ فنونٍ مِن حديثٍ وجدل ونَسَب، وما يتعلَّق بأذيال الأدب، مع المشاركة في أنواع التعاليمِ القديمةِ من المَنطق والفلسفة، وله كُتب كثيرة لم يخلُ فيها من غَلَطٍ لِجَراءته في التَّسَوُّر على الفنون لا سيما المنطق فإنّهم زعموا أنه زَلَّ هناك، وضَلَّ في سلوك المسالك، وخالف أرسطاطاليس واضعَ الفنِّ مخالفةَ من لم يَفهم غَرَضَه، ولا ارتاض، ومال أولاً إلى النظر على رأي الشافعيِّ، وناضل عن مذهبه حتى وُسِمَ به، فاستُهْدِفَ بذلك لكثير من الفقهاء، وعِيبَ بالشُّذوذ، ثم عَدَل إلى قول أصحاب الظاهر فنقَّحه، وجادلَ عنه، وثبت عليه إلى أن مات، وكان يحمل علمَه هذا، ويُجادِلُ عنه من خالفه، على استرسالٍ في طِباعِه ومَذَلٍ[1] بأسرارِه، واستنادٍ إلى العهد الذي أخذه الله على العلماء ﴿لَيُبَيِّنُنَّهُ للناس ولا يكتمونه﴾[2]. فلم يك يُلطِّف صَدْعَه بما عنده بتعريض ولا بتدريج بل يصكُّ به مَنْ عارضه صكَّ الجَندل[3]، ويُنْشِقه إنشاق الخَرْدَل، فتنفِرُ عنه القلوبُ، وتُوقع به الندوب، حتى استُهدِفَ لفقهاء وقتِه، فتمالؤوا عليه، وأجمعوا على [١]

(١) مذل بسره، كنصر وعلم وكرم: أفشاه ومذلت نفسه بالشيء مذلاً: طابت وسمحت.

(٢) في قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لَتُبَيِّنُنَّهُ للناس ولا تكتمونه، فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون﴾ (آل عمران: ١٨٧) وقوله تعالى: ﴿لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو بياء الغيب فيهما، والباقون بتاء الخطاب.

(٣) الجندل: ما يُقِلُّه الرجل من الحجارة.

تضليله، وشَنَّعوا عليه وحَذَّروا سلاطينهم من فِتنته ونهوا عَوامَّهم من الدنو منه فطَفِق الملوكُ يُقصونه عن قُرْبهم، ويُسيرِّونه عن بلادهم إلى أن انتهوا به مُنقطعَ أثره ببلدة من بادية لَبْلَة، وهو في ذلك غيرُ مُرتدع ولا راجع، يَبُثُّ علمه فيمن ينتابه من بادية بلدِه من عامة المقتبسين من أصاغر الطلبة، الذين لا يخشون فيه المَلامة يُحدثهم، ويفقههم، ويُدارسهم، حتى كَمَل من مصنفاته وِقْرُ بعير، لم يَعْدُ أكثرُها باديَتَه لزُهد الفقهاء فيها، حتى لأُحْرِقَ بعضُها بإشبيلِيَة ومُزِّقتْ علانيةً.

وكان مما يزيد في شنآنه تَشيُّعه لأمراءِ بني أمية ماضِيهم وباقيهم واعتقادُه لصحة إمامتهم، حتى لنُسب إلى النَّصْب.

قلت: قد أخذ المنطقَ ـ أبعده الله من عِلمٍ ـ عن: محمد بن الحسن المَذْحِجيّ، وأمعن فيه، فزلزله في أشياء، ولي أنا مَيْلٌ إلى أبي محمد لمحبته في الحديث الصحيح، ومعرفتِه به وإن كنتُ لا أُوافِقُه في كثيرٍ مما يقولُه في الرجال والعلل، والمسائل البَشِعَةِ في الأصول والفروع، وأقطعُ بخطئِه في غير ما مسألةٍ، ولكن لا أُكَفِّره، ولا أُضلِّلُه وأرجو له العفوَ والمسامحةَ، وللمسلمين. وأخضعُ لَفَرْط ذكائِه وَسَعَة علومه.

ولابن حزم:

[١] مُنَايَ من الدنيا عُلُومٌ أَبُثُّها ... وَأَنْشُرُهَا في كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرِ
دُعاءٌ إلى القُرآن والسُّننِ التي ... تَنَاسَى رجالٌ ذِكرَها في المَحاضِرِ
وألزمُ أطرافَ الثُّغورِ مُجَاهِداً ... إذَا هَيْعَةٌ ثَارَتْ فَأُوَّلُ نافرِ
لأِلْقَى حِمامي مُقْبِلاً غيرَ مُدْبِرٍ ... بِسُمْرِ العَوالي والرِّقاق البَوَاتِرِ
كِفَاحاً مع الكُفار في حَوْمَةِ الوَغى ... وأكْرمُ مَوْتٍ للفتى قَتْلُ كافرِ
فيا رَبِّ لا تجعل حِمامي بغَيْرِهَا ... ولا تجْعَلَنِّي من قَطينِ المَقَابِرِ

وشعِرُه فحلٌ كما ترى، وكان ينظِمُ على البَديهِ، ومن شعره:

أنـا الـشَّـمْسُ في جَوِّ الـعُلوم مُنِيرَةً ... وَلـكـنَّ عَيْبـي أن مَطْلَعِـيَ الـغَـرْبُ

ولـو أنَّني من جانِبِ الشَّرْقِ طَالِـعٌ ... لَجَدَّ على ما ضَاع مِنْ ذكْرِيَ النَّهْبُ

ولي نَحْـوَ أَكْنـافِ العِراقِ صَبَابَـةٌ ... وَلاَ غرْو أن يَستـوحِشَ الكَلِفُ الصَّبُّ

فإن يُنـزِلِ الـرَّحمنُ رَحْليَ بَيْنَهُمْ ... فحينئـذٍ يَبْـدو التَّـأسُّفُ والكَـرْبُ

هُنـالِـكَ يُدْرَى أن لِلْبُعْـد قِصَّـةً ... وَأنَّ كَسَـادَ الـعِـلْمِ آفَتُـه القُـرْبُ

[١] قال ابنُ حزمٍ في تراجم أبواب «صحيح» البخاري: منها ما هو مقصورٌ على آية، إذ لا يَصِحُّ في الباب شيءٌ غيرُها، ومنها ما يُنَبِّه بتبويبه على أنَّ في الباب حديثاً يَجِبُ الوقوفُ عليه، لكنه ليس من شرط ما أَلَّف عليه كتابَه، ومنها ما يُبَوِّب عليه، ويذكر نُبذة من حديث قد سَطَرَه في موضعٍ آخر، ومنها أبواب تقعُ بلفظ حديث ليس من شرطه ويَذكر في الباب ما هو في معناه.

وكلامُ ابنِ حزم كثيرٌ، ولو أخذتُ في إيراد طُرَفه وما شَذَّ به لطال الأمر.

تُوفِّي سنةَ ستٍّ وخمسين وأربعِ مئة. عمره إحدى وسبعين سنة وأشهر، رحمه الله.

٧٨٥ ـ المأمــــون(١)

ملك طُلَيْطُلة، أبـو زكـريا، يحيى بن صاحب طُلَيْطُلَةَ الأميرِ إسماعيلَ بنِ عبدِالرحمنِ بنِ عامرٍ الهَوَّاريُّ، الأندلسيّ.

استـولى أبوه على البلد بعد العشرينَ وأربعِ مئة، ونزعوا طاعةَ المَرْوانيّة، وتَملّك المـأمون بعد أبيه سنة خمسٍ وثلاثين، فامتدَّتْ أيامُه خمساً وعشرين

(١) انظر السير: ١٨ / ٢٢٠-٢٢١.

سنـة، عاكفـاً على اللذات والخـلاعـة، وصـادر الـرعيّةَ وهـادن العدو، وقَدِم الأطراف، فطمعت فيه الفِرَنْجُ، بل في الأندلس وأخذت عِدّةَ حُصون إلى أن أخذوا منهم طُليطُلَةَ في سنة ثمانٍ وسبعين وأربعِ مئة، وجعلوها دار ملكهم ـ فإنّا لله وإنا إليه راجعون ـ وكان المأمونُ أراد أن يَستنجدَ بالفِرَنْج على تَملُّك مدائنِ الأندلس، فكاتب طاغيتَهم: أن تعالَ في مئة فارس، والمُلتقى في مكان كذا، فسار في مئتين، وأقبل الطاغيةُ في ستة آلاف، وجعَلهم كميناً له، وقال: إذا رأيتمونا قد اجتمعنا، فأحيطوا بنا. فلما اجتمع المَلِكان أحاط بهم الجيش، فَنَدِم المأمون، وحار، فقال الفِرَنْجيُّ: يا يحيى! وحَقِّ الإنجيل كنتُ أظنك عاقلاً، وأنت أحمقُ! جئت إليَّ، وسَلَّمتَ مُهجتَك بلا عَهد ولا عَقد، فلا نَجوتَ مني حتى تُعطيَني ما أطلب. قال: فاقْتصِد فَسَمّى له حصوناً، وقرّر عليه مالاً في كل سنة، ورجع ذليلاً مخذولاً، وذلك بما قَدَّمتْ يداه.

تُوفي سنةَ ستين وأربعِ مئة.

٧٨٦ ـ الـــدّاوودي(١)

[١]الإمامُ العلاّمةُ، الوَرِع، القدوة، جمالُ الإسلام، مُسنِدُ الوقت أبو الحسن عبدُالرحمن بنُ محمد بنِ المُظفَّر الداووديُّ، البُوشَنْجيُّ.

مَولدُه في سنة أربعٍ وسبعين وثلاثِ مئة.

[٢]قال أبـوسعـد السمعـاني: كان وَجْـهَ مشـايخَ خُراسـانَ فضلاً عن ناحيته. والمعـروفَ في أصلِه وفضلِه وطريقتِه، له قَدَمٌ في التقوى راسخ، يستحق أن يُطوى للتبرك به فراسخ. فَضلُه في الفنون مشهور، وذِكْرُه في الكتب مسطور، وأيّامه غُرر، وكلامه دُرر.

(١) انظر السير: ١٨/ ٢٢٢-٢٢٦.

[١] وسمعتُ أسعد بن زياد يقول: كان شَيخُنا الداووديّ بقي أربعين سنةً لا يأكل لحماً، وقت تشويش التُّركمان، واختلاطِ النَّهْب فأضرّ به فكان يأكلُ السمكَ، ويُصطادُ له من نَهرٍ كبير، فحُكي له أنَّ بعض الأمراء أكل على حافة ذلك النهر ونُفِضتْ سفرته وما فضل في النهر، فما أكل السمكَ بعدُ.

تفقّه بسهل الصُّعلوكيّ، وبأبي حامد الإسفراييني.

[٢] قال أبوُالقاسم عبدُالله بن عليّ، أخو نظام الملك: كان أبوالحسن الداووديُّ لا تَسكن شَفَتُه من ذِكر الله، فحُكِيَ أن مُزَيِّناً أراد قصَّ شاربِه، فقال: سَكِّنْ شَفتيك، قال: قل للزمان حتى يسكن.

[٣] ودخل أخي نِظامُ الملك عليه، فقعد بين يديه، وتواضع له، فقال لأخي: أيها الرجل! إنَّك سَلَّطك الله على عِباده، فانظر كيف تُجيبه إذا سألك عنهم.

[٤] ومن شعره:

رَبِّ تَقَبَّلْ عملي ... وَلَا تُخيِّبْ أملي
أَصْلِحْ أُموري كُلَّها ... قَبْل حُلُولِ الأجل

وله

[٥] يا شاربَ الخمْرِ اغتنم توبةً ... قبل التفاف السّاقِ بالسّاقِ
الموتُ سلطانٌ له سطوةٌ ... يأتي على المسقيِّ والسَّاقي

تُوفي بِبُوشَنْج سنة سبعٍ وستين وأربعٍ مئة.

وبُوشَنْج: بشين مُعجمة: بَلْدة على سبعة فراسخ من هرَاة.

٧٨٧ - القُشَيْريّ(١)

[٦] الإمامُ الزاهد، القدوة، الأستاذ أبوالقاسم عبدُالكريم بنُ هَوازِن بن عبدالملك

(١) انظر السير: ١٨/ ٢٢٧-٢٣٣.

القُشَيْريُّ، الخراسانيُّ، النَّيْسابوريُّ الشافعيُّ الصوفيُّ، المُفسِّر، صاحب «الرِّسالة» .(١)

وُلدَ سنة خمسٍ وسبعين وثلاثِ مئة.

وتعاني الفُروسيَّةَ والعمل بالسلاح حتى برع في ذلك، ثم تَعلَّم الكتابة والعربية، وجَوَّد، ثم سمع الحديث.

[١]وذكره أبوالحسن الباخَرْزيُّ في كتاب «دمية القصر» وقال: لو قَرعَ الصَّخرَ بَسْوطِ تحذيرِه، لذاب، ولو رُبطَ إبليسُ في مجلسه لتاب.

قلت: مات أبوه وهو طفل، فدفُع إلى الأديب أبي القاسم اليمنيِّ فقرأ عليه الآداب. ثم دخل نيسابور من قريته، فاتفق حضورُه مجلسَ أبي عليٍّ الدَّقاق، فوقع في شبكته، وقَصُرَ أملُه، فأقبل عليه أبو عليٍّ وأشار عليه بطلب العلم، فمضى إلى حَلْقةِ الطُّوسيّ.

وانتقل إلى ابن فُوْرَك، فتقدّم في الكلام، ونظر في تصانيف ابن البَاقِلاَّنِيّ، ولما توفي حَمُوه أبو عليٍّ تردَّد إلى السُّلَميِّ، وعاشره، وصار شيخَ خُراسان في التصوف، ولَزِم المجاهدات وتخرج به المُريدون.

وكان عَديمَ النَّظيرِ في السلوك والتذكير، لطيفَ العبارة، طَيِّبَ الأخلاق، غوّاصاً على المعاني، صنَّف كتاب «نحو القلوب» وكتاب «لطائف الإشارات».

وقال أبوبكر الخطيب: كتبْنا عنه، وكان ثقةً، وكان حَسنَ الوعظ، مليحَ الإشارة، يَعرِف الأصولَ على مذهب الأشعريِّ، والفروعَ على مذهب الشافعيِّ، قال لي: وُلْدتُ سنةَ ستٍّ وسبعين وثلاثِ مئة.

[٣] قال عبدالغافر بنُ إسماعيل: ومن جُملة أحوالِ أبي القاسم ما خُصَّ به من المِحنة في الدين، وظُهورِ التعصُّبِ ومَيْلِ بعضِ الولاة إلى الأهواء، وسَعْيِ

---

(١) المسماة بالرسالة القشيرية، وقد صنفها في الكلام على رجال الطريقة وأحوالهم، وأخلاقهم، وقد طبعت أكثر من مرة، وطبعت أيضاً مع شرحها للشيخ زكريا الأنصاري، وقد ترجمت إلى اللغة الفرنسية أيضاً.

بعضِ الرؤساءِ إليه بالتخليط، حتى أدَّى ذلك إلى رَفْعِ المجالس، وتَفَرُّقِ شَمْلِ الأصحاب، وكان هو المقصودَ من بينهم حسداً، حتى اضْطُر إلى مفارقة الوطنِ، وامتدّ في أثناء ذلك إلى بغداد، فورد على القائمِ بأمر الله، ولَقِيَ قبولاً، وعُقد له المجلسُ في مجالسه المُختصَّة به، وخرج الأمرُ بإعزازِه وإكرامه فعاد إلى نيسابور.

[١]تُوفي الأستاذ أبوالقاسم سنة خمسٍ وستين وأربعِ مئة.

قلتُ: عاش تسعين سنة.

[٢]وقال المُؤيّد في «تاريخه»: أُهدِيَ للشيخ أبي القاسم فرَسٌ، فركبه نحواً من عشرين سنة، فلما مات الشيخ لم يَأْكُلِ الفَرسُ شيئاً، وماتَ بعد أُسبوع.

٧٨٨ - ابنُ المُهْتَــدي بالله (١)

[٣]الإمام العالِمُ الخطيب، المُحدِّث الحُجَّة، مُسنِد العراق، أبو الحسين، محمدُ بنُ عليّ بنِ محمد الهاشميُّ، العباسيُّ، البغدادي، المعروف بابن الغَريق، سَيِّدُ بني هاشم في عصره. وُلد في سنة سبعين وثلاثِ مئة.

قال الخطيب: كان ثِقة نبيلاً، وَلِيَ القضاءَ بمدينة المنصور هو ممن شاع أمرُه بالعبادة والصلاح، حتى كان يقال له: راهبُ بني هاشم.

[٤]وقال أبوالفضل بنُ خيرون: كان صائمَ الدهر زاهداً. قضى ستّاً وخمسين سنة، وخطب ستّاً وسبعين سنة لم تُعرف له زَلَّة وكانت تِلاوتُهُ أحسنَ شيء.

[٥]قال أبوبكر بنُ الخاضِبة: رأيتُ كأن القيامةَ قد قامت، وكأنّ من يقول: أين ابنُ الخاضِبة؟ فقيل لي: ادخلِ الجنة، فلما دخلتُ استلقيتُ على قفاي،

(١) انظر السير: ١٨/ ٢٤١-٢٤٤.

ووضعت إحدى رجليَّ على الأخرى، وقلتُ: آه! استرحتُ والله من النسخ.
فرفعتُ رأسي، فإذا ببغلة مُسرَجَة مُلْجَمة في يد غلام فقُلتُ: لمن هذه؟ فقال:
للشريف أبي الحسين بن الغَريق. فلما كان في صبيحة تلك الليلة، نُعي إلينا
أبوالحسين رحمه الله.

[١]وقال الزاهدُ يوسفُ الهَمَذَاني: انطرش أبوالحسين، فكان يقرأ علينا، وكان
دائمَ العبادة، قرأ علينا حديث المَلَكَيْنِ[1] فبكى بُكاءً عظيماً، وأبكى
الحاضرين.

مات سنةَ خمسٍ وستين وأربعِ مئة.

٧٨٩ - المعتضـــد [2]

صاحب إشْبيلية، أبو عَمرو، عبّادُ بن محمد بن إسماعيل بن عبّاد اللَّخميُّ
الأندلسيُّ، ابْن القاضي أبي القاسم.

حكم أبوه على إشبيلية مدةً، ومات في سنة **٤٣٣**، فقام عبَّاد بعده وتلقَّب
بالمعتضد بالله.

وكان شهماً، مهيباً، شجاعاً، صارماً، جرى على قاعدة أبيه مدةً، ثم خُوطبَ
بأمير المؤمنين، قتل جماعةً صبراً، وصادر الكبارَ وتمكَّن. اتَّخذ في قصره خشباً
جلَّلها برؤوس أمراء وكبار، وكانوا يُشهبونه بالمنصور، لكن مملكة هذا سعةُ ستّةِ

(١) ينظر في هذا حديث البراء بن عازب الطويل المخرج في (المسند) ٤/٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٦، وأبي داود (٣٢١٢) الطيالسي (٧٥٣) وصححه الحاكم ١/٣٧-٤٠، وأقره الذهبي، وصححه غير واحد من الأئمة وهو كما قالوا، وحديث أنس في البخاري (١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠).

(٢) انظر السير: ١٨/ ٢٥٦-٢٥٧.

أيام، ومملكةُ أبي جعفر مسيرةُ ثمانية أشهر في عرض أشهر، وقد همَّ ابنُه بقتله، فما تمَّ له وسجنه أبوه، ثم قتله، ثم عهد بالمُلك إلى ابنه المعتمد محمد، وكان جبَّاراً عسوفاً.

مات سنة أربعٍ وستين وأربع مئة، وقام بعده ابنه.

قيل: لما رأى ميلَ الكبار إلى خليفةٍ مَرواني، أخبرهم بأن المؤيَّد بالله الذي زال مُلكه سنة أربع مئة عنده، وأحضر جماعةً شهدوا له، وقال: أنا حاجبُه. وأمر بذِكره على المنابر، واستمر ذلك مدةً إلى أن نعاه إلى الناس في سنة خمسٍ وخمسين وأربع مئة وزعم أنه عَهِدَ إليه بالخلافة. وهذا مُحالٌ لا يروجُ أصلاً، ولو كان المؤيَّدُ حيَّاً إلى حين نعاه، لكان ابنَ مئةِ عامٍ وزيادة.

وقيل: إن طاغيةَ الفِرنْج سمَّ المعتضد في ثيابٍ أهداها له.

٧٩٠ ـ المَنِيعـــيّ[١]

الشيخ الجليل، الحاجُّ الرئيس أبو علي حسّانُ بنُ سعيد بنِ حسّانَ بنِ محمد ابنِ أحمدَ ابنِ عبدِالله بنِ محمد بنِ مَنيع بنِ خالد بنِ عبدِالرحمن بنِ سيف الله خالدِ بنِ الوليدِ المخزوميُّ، الخالديُّ، المَنِيعِيُّ المَرْوَرُّوذيّ.

قال عبـدُالغـافر: هو شيخُ الإسلام المحمودُ بالخصال السَّنِيَّة، عمَّ الآفاق

(١) انظر السير: ١٨/ ٢٦٢-٢٦٤.

بخيرِه وبِـرِّه، وكـان في شبـابِه تاجراً، ثم عَظُم حتى كان من المُخاطبين من مجـالس السـلاطين، لم يستغنـوا عن رأيه فرغب إلى الخيرات، وأنـاب إلى التقوى، وبنى المساجد والرباطات وجَامعَ مَروِ الرُّوذِ، يكسُو في الشتاء نحواً من ألف نفس، وسعى في إبـطال الأعشارِ عن بلده، ورفع الوظائف عن القُرى، واستـدعى صدقة عامّة على أهل البلد غَنِيِّهم وفقيرِهم، فتُدفع إلى كل واحد خمسة دراهم، وكان ذا تهجدٍ وصيامٍ واجتهاد.

[١]وقيل: إن امرأةً أتَتْهُ بثوبٍ لِيُنفقَ ثَمنَه في بناء الجامع، يساوي نصفَ دينار، فاشتراه منها بألفِ دينار، وسَلَّمتِ المال إلى الخازن لإنفاقه وخَبَّأ الثوبَ كفناً له.

[٢]وقيل: مرَّ السلطانُ ببابِ مسجده، فنزل مُراعاةً له، وسلم عليه. ومناقبه جمة.

مات سنة ثلاثٍ وستين وأربعِ مئة.

٧٩١ ـ الخطـــيب(١)

[٣]الإمـامُ الأوحـد، العلاَّمةُ المُفتي، الحافظُ النّاقدُ، مُحدِّث الوقتِ أبوبكر، أحمدُ بنُ علي بن ثابت البغداديُّ، صاحبُ التصانيفِ، وخاتمةُ الحُفّاظ.

وُلد سنة اثنتينِ وتسعين وثلاث مئة. سمع وهو ابن إحدى عشرة سنة.

وكتب الكثيرَ وتقدمَ في هذا الشأن، وبَذَّ الأقران، وجمع وصنَّف وصحَّح، وعلَّل وجرّح، وعدّل وأرّخ وأوضح، وصار أحفظَ أهلِ عصرِه على الإطلاق.

وكان مِن كبار الشّافعيّة.

قال أحمدُ بنُ صالح الجِيليّ: تَفَقَّه الخطيبُ، وقرأ بالقراءات وارتحل وقَرُبَ

---

(١) انظر السير: ١٨/ ٢٧٠-٢٩٧.

من رئيس الرؤساء،(١) فلما قبض عليه البساسِيرِيُّ استتر الخطيبُ، وخرج إلى صور، وبها عزُّ الدولة، أحدُ الأجواد، فأعطاه مالاً كثيراً. عمل نَيِّفاً وخمسين مصنفاً وانتهى إليه الحفظُ. وأوقف كتبه، واحترق كثير منها بعده بخمسين سنة.

[١]قال عبدُالعزيز بنُ أحمدَ الكَتانيّ: وكان يذهب إلى مذهبُ أبي الحسن الأشعريِّ، رحمه الله.

قلتُ: صَدَق. فقد صرّح الخطيبُ في أخبار الصفات أنها تُمَرُّ كما جاءت بلا تأويل.

[٢]قال الحافظ ابنُ عساكر: سمعتُ الحسينَ بن محمد يحكي، عن ابن خيرون أو غيره، أن الخطيبَ ذكر أنه لما حج شرِب من ماء زمزم ثلاثَ شَرْباتٍ، وسأل الله ثلاثَ حاجاتٍ: أن يُحَدِّثَ بـ «تاريخ بغداد» بها، وأن يُمْلِيَ الحديثَ بجامع المنصور، وأن يُدْفَنَ عند بشر الحافي. فقُضيت له الثلاث.

[٣]قال المؤتَمَن: سمعتُ عبدَالمحسنِ الشِّيحيَّ يقولُ: كنتُ عديلَ(٢) أبي بكر الخطيب من دمشق إلى بغداد، فكان له في كلِّ يومٍ وليلة خَتمةٌ.

[٤]وقد كان رئيسُ الرؤساء تَقَدَّم إلى الخطباء والوعاظ أن لا يَروُوا حديثاً حتى يعرضُوه عليه، فما صَحَّحه أوردوه، وما ردَّه لم يذكروه. وأظهر بعضُ اليهود كتاباً ادَّعى أنه كتابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بإسقاطِ الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادةُ الصحابة، وذكروا أنَّ خطَّ عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ فيه. وحُمِلَ الكتابُ إلى رئيس الرؤساء فعرضه على الخطيب، فتأمّله، وقال: هذا مُزوَّر، قيل: من أين قُلت؟ قال: فيه شهادةُ مُعاوية وهو أسلم عامَ الفتح، وفُتحت خيبرُ سنة سبعٍ، وفيه شهادةُ سعدِ بنِ معاذٍ وماتَ يوم بني قُريظة، قبل خيبر بسنتين، فاستحسن ذلك منه.

---

(١) هو أبوالقاسم علي بن الحسن بن المُسلمة.

(٢) أي معادله في الركوب في المحمل.

[١]وقال ابن الآبَنُوسيِّ: كان الحافظُ الخطيب يَمشي وفي يده جُزءٌ يُطالعه.

[٢]وقال المؤتَمن: كان الخطيبُ يقولُ: من صَنّف فقد جعل عقله على طبق يَعرضه على الناس.

[٣]مكيُّ بنُ عبدالسلام الرُّمَيليُّ قال: كان سببُ خروجِ الخطيبِ من دمشق إلى صور، أنه كان يختلف إليه صبيٌّ مليح، فتكلم الناسُ في ذلك، وكان أميرُ البلد رافضيّاً مُتَعَصِّباً، فبلغته القصةُ، فجعل ذلك سبباً إلى الفتك به، فأمر صاحبَ شُرطته أن يأخذ الخطيبَ بالليل، فيقتُلَه، وكان صاحبُ الشرطة سُنِّيّاً، فقصده تلك الليلةَ في جماعة، ولم يُمكنْه أن يُخالفَ الأمير، فأخذه، وقال: قد أُمِرْتُ فيك بكذا وكذا، ولا أجدُ لك حيلةً إلا أني أعبرُ بك عند دار الشريفِ ابن أبي الجن. فإذا حاذيتُ الدار اقفزْ وادْخُل، فإني لا أطلبُك، وأرْجِعُ إلى الأمير، فأُخبرُه بالقصة. ففعل ذلك، ودخل دارَ الشريف، فأرسل الأميرُ إلى الشريف أن يَبعثَ به فقال: أيها الأمير! أنتَ تعرفُ اعتقادي فيه وفي أمثاله، وليس في قَتلِه مصلحةٌ، هذا مشهورٌ بالعراق، إن قَتَلْتَه، قُتِل به جماعةٌ من الشيعة، وخُرِّبَتِ المشاهد. قال: فما ترى؟ قال: أرى أن يَنْزَحَ من بلدك. فأمر بإخراجه، فراح إلى صور وبَقِيَ بها مدة.

قال ابنُ الطاهر: سألتُ هِبَةَ الله بنَ عبدِالوارث الشيرازيّ: هل كان الخطيبُ كتصانيفه في الحفظ؟ قال: لا، كنّا إذا سألناه عن شيء أجابنا بعد أيام، وإن ألحَحْنا عليه غَضِب، كانت له بادرة وَحشة ولم يكن حِفظُه على قدر تصانيفه.

[٤]وقال أبوالحسن بنُ الطُّيوريّ: أكثر كُتُبِ الخطيب ـ سوى «تاريخ بغداد» ـ مُستفادةٌ من كتب الصُّوريّ، كان الصوريُّ ابتدأ بها وكانتْ له أُختٌ بصور، خلّف عندَها اثني عشر عِدْلاً من الكتب، فحصَّل الخطيبُ من كتبه أشياء.

قلت: ما الخطيبُ بمفتقر إلى الصوريِّ، هو أحفظُ وأوسعُ رحلةً وحديثاً ومعرفة.

[١] محمدُ بنُ مرزوق الزعفرانيّ، حدثنا الحافظ أبوبكر الخطيب قال: أمّا الكلامُ في الصفـات، فإنَّ ما رُوِيَ منهـا في السُّنَن الصحـاح، مذهبُ السلف إثباتُها وإجراؤُها على ظواهرها، ونَفيُ الكيفية والتشبيه عنها وقد نفاها قومٌ، فأبطلوا ما أثبتـه الله، وحقّقهـا قوم من المُثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضَرْب من التشبيه والتكييف، والقصـدُ إنما هو سلوكُ الطريقةِ المتوسطةِ بين الأمرين، ودينُ الله تعالى بين الغالي فيه والمُقصِّرِ عنه. والأصلُ في هذا أنّ الكلامَ في الصفات فَرْعُ الكلام في الذات، ويُحتذَى في ذلك حَذْوُه ومثالُه، فإذا كان معلوماً أنَّ إثبات ربِّ العالمين إنما هو إثباتُ وجودٍ لا إثباتُ كيفيّة، فكذلك إثباتُ صفاتِه إنما هو إثباتُ وجودٍ لا إثباتُ تحديدٍ وتكييف.

[٢] فإذا قلنا: لله يَدٌ وسمع وبصر، فإنما هي صفاتٌ أثبتها الله لنفسه، ولا نقول: إنَّ معنى اليدِ القـدرةُ، ولا إن معنى السمـعِ والبصـرِ العلمُ، ولا نقول: إنها جوارحُ. ولا نُشبِّهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارحُ وأدواتٌ للفعل، ونقولُ: إنما وجب إثباتُها لأن التوقيف وردَ بها. ووجب نفيُ التشبيه عنها لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١). ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ (الاخلاص: ٤).

[٣] وأوصى بأن يُتصدقَ بجميع ثيابِه. وشيَّعه الفقهاءُ والخلقُ وحملُوه إلى جامع المنصورِ، وكان بينَ يدي الجنازةِ جماعةٌ ينادون: هذا الذي كان يَذبُّ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم الكذبَ، هذا الذي كان يَحفظُ حديثَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم. وخُتِمَ على قبره عِدّةُ خَتَمات.

[٤] قال أبـو البركات إسماعيل بنُ أبي سعد الصوفيّ: كان الشيخُ أبوبكر ابن زهراء الصُّوفي بِرباطِنا، قد أعدَّ لنفسه قبراً إلى جانب قبرِ بشرٍ الحافي، وكان يَمضي إليه كل أسبوع مرةً، وينام فيه، ويتلو فيه القرآن كُلَّه، فلما مات أبوبكر

الخطيب، كان قد أوصى أن يُدفن إلى جنب قبر بشر، فجاء أصحابُ الحديثِ إلى ابن زهراء، وسألوه أن يَدفنوا الخطيب في قبره، وأن يُؤثره به، فامتنع، وقال: مَوضع قد أعددتُه لنفسي يُؤخذ مني!. فجاؤوا إلى والدي، وذكروا له ذلك فأحضر ابنَ زهراء وهو أبوبكر أحمدُ بنُ علي الطُّرَيْثِيثِيُّ فقال: أنا لا أقولُ لك أعطهم القبر، ولكن أقولُ لك: لو أنَّ بشراً الحافي في الأحياء وأنتَ إلى جانبه، فجاء أبوبكر الخطيبُ ليقعد دونك، أكان يَحسُن بك أن تقعدَ أعلى منه؟ قال لا، بل كنت أُجْلِسُه مكاني. قال: فهكذا ينبغي أن تكون الساعةَ. قال: فطاب قَلبُه، وأَذِنَ.

[١]قال أبو الفضل بنُ خَيْرُونَ: جاءني بعضُ الصالحين وأخبرني لمّا مات الخطيب أنّه رآه في النوم، فقال له: كيف حالك؟ قال: أنا في رَوْحٍ وريحانٍ وجنةِ نعيم.

[٢]وقال أبوالحسن عليُّ بنُ الحسين بن جَدّا: رأيتُ بعد موت الخطيب كأنّ شخصاً قائماً بحِذائي، فأردتُ أن أسأله عن أبي بكر الخطيب، فقال لي ابتداءً: أُنزِل وَسط الجنةِ حيثُ يتعارفُ الأبرار.

[٣]قال الفقيهُ الصالح حسنُ بن أحمد البصريّ: رأيتُ الخطيبَ في المنام وعليه ثيابٌ بيضٌ حِسانٌ وعمامةٌ بيضاء، وهو فرحانٌ يتبسمُ، فلا أدري قلتُ: ما فعل الله بك؟ أو هو بدأني، فقال: غفر الله لي، أو رحمني، وكل من يجيء - فوقع لي أنه يعني بالتوحيد - إليه يرحمُه، أو يغفر له فأبشِروا، وذلك بعد وفاته بأيام.

قلت: تناكد ابنُ الجوزي رحمه الله وغضَّ من الخطيبِ، ونسبه إلى أنه يتعصَّبُ على أصحابنا الحنابلة.

قلت: ليت الخطيبَ تركَ بعضَ الحطِّ على الكِبار فلم يَروِه.

قال أبو سعد السمعانيُّ: للخطيب ستةٌ وخمسون مصنّفاً.

٧٩٢ ـ القـائـم[1]

[١]أميرُ المؤمنين أبوجعفر عبدُالله بنُ القادر بالله أحمدَ العباسيُّ.

كان ذا دِينٍ وبرٍّ وعلم وعدل، بُويع سنة اثنتين وعشرين وأربعِ مئة.

[٢]نُكِبَ سنـةَ خمسين في كائنـة البَسـاسِيريِّ، ففـرَّ إلى البرِّيَّة في ذِمام أميرٍ للعـرب، ثم عاد إلى خلافته بعد عامٍ بهمة السلطان طُغْرُلْبَك وأُزيلت خُطبة خليفةِ مصرَ المستنصر بالله من العراق، وقُتِلَ البساسِيريُّ، ولمّا أن فرَّ القائمُ إلى البرية، رفع قصةً إلى رب العالمين مستعدياً على مَن ظلمه، وَنَفَّذ بها إلى البيت الحرام، فنَفعت، وأخذ الله بيده، وردَّه إلى مَقَرِّ عزِّه، فكذلك ينبغي لكلِّ مَنْ قُهِر وبُغِيَ عليه أن يستغيثَ بالله تعالى، وإن صبر وغفر فإن في الله كفايةً ووِقايةً.

[٣]وكان ذا حظٍّ من تَعَبُّدٍ وصيام وتهجُّد، لمّا أن أُعيد إلى خلافته قيل: إنه لم يسترد شيئاً مما نُهب من قصره، ولا عاقب من آذاه، واحتسب وصبر. وكان تاركاً للملاهي ـ رحمه الله ـ وكانت خِلافته خمساً وأرْبَعينَ سنة.

وَغَسَّله شيخُ الحنابلة أبوجعفر بن أبي موسى الهاشميّ، وعاش ستّاً وسبعين سنة، وبُويعَ بعدَهُ ابنُ ابنِه المقتدي بالله.

[٤]وكان مُلْكُ بني بويه في خلافته ضعيفاً، بحيث إنّ جلالَ الدولةِ باع مِن ثيابه المبلوسة ببغداد، وقَلَّ ما بيده، وَخَلَتْ دارُه من حاجب وفَرَّاش، وَقُطعت النوبةُ على بابه لذهاب الطَّبَّالين، وثار عليه جُندُه ثم كاشروا له رحمةً، ثم جرت فِتنةُ البَساسِيريِّ، ثم بدتِ الدولةُ السلجوقية، وأوَّل ما ملكوا خراسان، ثم الجبل، وعسفوا ونهبوا وقتلوا، وفعلوا القبائح ـ وهم تُركمان.

---

(١) انظر السير: ١٨/ ٣٠٧ـ٣١٨.

وفي سنة أربعين غزا يَنال السلجوقي أخو طُغْرُلْبَك بجيوشه، ووغل في بلاد الروم وغنم مالا يُعبّر عنه، وكانت غزوةً مشهودةً وفتحاً مبيناً. فهذا هو أولُ استيلاء آلِ سلجوق ملوكِ الروم على الروم، وفي هذا الحين خَطَب متولِّي القيروان المُعز بن باديس للقائم بأمر الله وقَطَع خُطبة العُبيدية، فبعثُوا من حاربه، فتمّت فصولٌ طويلة.

[١]وفي سنة ٤٤١ عُملت ببغداد مآتمُ عاشوراء، فجرت فتنةٌ بين السنة والشيعة تفوتُ الوصفَ من القتل والجراح، واصطلح السنةُ والشيعةُ، وترحّم أهلُ الكرخ على الصحابة، وهذا شيءٌ لم يُعهد.

[٢]ثم بعد سنة فسد ما بين السُّنةِ والشيعة، وعَمِلَت الشيعةُ سورا على الكرخ، وكتبوا عليه بالذهب: محمد وعليٌّ خير البشر، فمن أبى فقد كفر، ثم وقع القتالُ والنهبُ، وقَوِيَتِ السنةُ وفعلوا العظائم، ونُبِشَت قبورٌ، وأُحرقت عظامٌ.

[٣]وفي سنة ٤٤٤ هاجت السنّةُ على أهل الكرخ، وأحرقُوا، وقتلوا وهلك يومئذٍ في الزحمة نَيِّفٌ وأربعون نفساً، أكثَرُهم نساء.

[٤]وفي سنة ٤٤٧ قَبَضَ طُغْرُلْبَك على الملك الرحيم، وانقضتْ أيام بني بُويه، وكان فيها دخولُ طُغْرُلْبَك بغداد، وكان يوماً مشهوداً، بينَ يديه ثمانيةَ عشرَ فيلاً. مُظهِراً أنه يَحِجُّ، ويغزو الشامَ ومصر، ويُزيلُ الدولةَ العُبيدية.

[٥]وفي سنة ثمانٍ، كان القَحْطُ عظيماً بمصر وبالأندلس، وما عُهِدَ قَحْطٌ ولا وباء مثلُه بقُرطبة، حتى بَقِيَت المساجدُ مغلقة بلا مُصَلٍّ وسُمِّي عامَ الجوعِ الكبير.

[٦]وفي سنة تسعٍ أخذ طُغْرُلْبَك الموصل، وسلَّمَها إلى أخيه يَنال وكتب في ألقابه: ملك المشرق والمغرب، وفيها كان الجوعُ المُفرط ببغداد والفناء، وكذلك ببخارى وسمرقند حتى يقال: هلك بما وراء النهر ألفُ ألفٍ وستُّ مئةِ ألف.

[١] وفي سنة ٤٥٤ زوّج القائمُ بنته بطُغْرُلْبَك بعد استعفاء وكُرهٍ، وغرقت بغداد، وبلغ الماءُ أحداً وعشرين ذراعاً.

[٢]وفي سنة ٦٦ غَرِقَتْ بغداد، وأُقيمت الجمعةُ في السفن مرتين وهلك خَلْقٌ لا يُحْصَــون حتى لقيل: إن المــاءَ بلغ ثلاثين ذراعــاً. حتى لقــال سِبطُ ابنِ الجوزي: وانهدمتْ مئةُ ألفِ دار.

٧٩٣ - المقتــــدي(١)

[٣]الخليفة المُقتدي بأمر الله، أبو القاسم.

تسلّم الخلافةَ بعهدٍ من جدِّه سنةَ ٤٦٧ وهو ابنُ عشرين سنة.

[٤]وكــان حَسَنَ السيرةِ، وافــرَ الحُرمةِ. أمر بنفي الخواطىءِ والقينات، وأن لا يدخُلَ أحدُ الحمّام إلا بمئزر، وأخرب أبراجَ الحمام، وفيه دِيانةٌ ونَجابةٌ وقُوةٌ وعُلُوُّ هِمّة، وكان مَلِكْشاه قدَ صمَّم على إخراجه من بغداد فحار، والتجأ إلى الله، فدفعَ عنه، وهَلك مَلِكْشاه.

وكان مُحِبّاً للعلوم، مُكرِماً لأهلها، لم يزل في دوَلةٍ قاهرة وصَوْلة باهرة، وكان غزيرَ الفضلِ، كاملَ العقلِ، بليغَ النَّثْرِ، فمنه:

[٥]وَعْــدُ الكــرمــاء أَلْــزَمُ من ديون الغُــرَماء. الألسنُ الفصيحة أنفعُ من الوجوه الصبيحــة، والضمــائر الصحيحة أبلغُ من الألسن الفصيحة. حَقُّ الرعيَّةِ لازم للرعاة، ويَقبحُ بالولاة الإقبالُ على السُّعاة.

وفي أوّل سنة سبع وثمانين تُوفِّي فجأة وهو ابن تسع وثلاثين سنة، وكانت خلافتُه عشرين سنة. وكان هو خليفةَ الإسلام في زمانه، لكن يزاحمه صاحبُ مصرَ المستنصر، فكان العُبَيْدِيُّ والعبَّاسيُّ مقهورَيْن من وجوه. وكان حكمُ العراقِ

---

(١) انظر السير: ١٨/ ٣١٨-٣٢٤.

والمشرق إلى السلجوقيّة، وحُكْمُ المغرب إلى تاشفين وابنِه، وحُكْمُ اليمن إلى طائفة، والأمر كله لله.

٧٩٤ - ابن مَنْده(١)

[١] الشيخُ الإمامُ، المُحَدِّثُ، المُفِيدُ، الكبيرُ، المُصنِّفُ أبو القاسمِ، عبدُالرحمن ابنُ الحافظ الكبير أبي عبدالله محمد بن إسحاق.

[٢] السمعاني: سمعتُ الحسينَ بنَ عبدالملك الخَلاّل، سمعتُ عبدالرحمن بن منده يقول: قد عَجِبْتُ من حالي، فإني وجدتُ أكثر من لقيتُه إن صَدَّقتُه فيما يقولُهُ مداراةً له، سمَّاني موافقاً، وإن وَقَفْتُ في حَرْفٍ من قوله أو في شيءٍ من فعله، سماني مخالفاً، وإن ذكرتُ في واحد منهما أن الكتاب والسنة بخلاف ذلك، سماني خارِجيّاً، وإن قُرِىء عليّ حديثٌ في التوحيد، سماني مشبهاً، وإن كان في الرؤية، سماني سالِميّا... إلى أن قال: وأنا متمسك بالكتاب والسنة. مُتَبرِّىءٌ إلى الله من الشِّبْه والمِثْلِ والنِّدِّ والضِّدِّ والأعضاء والجسم والآلات، ومن كل ما يَنسُبُه الناسبون إليَّ، ويَدَّعيه المدّعون عليَّ من أن أقولَ في الله تعالى شيئاً من ذلك أو قُلته، أو أراه، أو أتوهَّمُه، أو أصفه به.

[٣] وقال يحيى بنُ مَنْده: كان عمي سيفاً على أهل البدع، وهو أكبرُ من أن يُثنيَ عليه مثلي، كان - والله - آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، كثيرَ الذكرِ، قاهراً لنفسه، عظيمَ الحِلم، كثيرَ العلمِ قرأتُ عليه قولَ شُعبة: من كتبتُ عنه حديثاً فأنا له عبد. فقال عمي: من كتبَ عنّي حديثاً فأنا له عبد.

[٤] وسمعت أبي يقول: أفطرنا في رمضانَ ليلةً شديدةَ الحر، فكنا نأكلُ ونشرب،

---

(١) انظر السير: ١٨/ ٣٤٩-٣٥٤.

وكان أخي عبدُالرحمن يأكلُ ولا يشرب، فخرجت وقلت: إن من عادة أخي أنه يأكلُ ليلةً ولا يشربُ، ويشربُ ليلة أخرى ولا يأكل قال: فما شَرِبَ تلك الليلة، والليية الآتية كان يشربُ ولا يأكلُ ألبتة، فلما كان في الليلة الثالثة قال: يا أخي: لا تَلعب بعد هذا، فإني ما اشتهيتُ أن أُكَذِّبَك.

[١]وقال السَّمْعانيُّ: سمعتُ الحسنَ بنَ محمد بن الرضا العلوي يقول: سمعتُ خالي أبا طالب بنَ طَباطبا يقول: كنتُ أشْتُم أبداً عبدَ الرحمن بنَ مَنْده، فسافرتُ إلى جَرْباذَقان،(١) فرأيتُ أميرَ المؤمنين عمرَ في النوم ويدُه في يد رجلٍ عليه جُبّة زرقاء، وفيه عينه نكتةٌ، فسلمتُ عليه فلم يردَّ عليَّ، وقال: تشتُمُ هذا. فقيل لي في المنام: هذا عمرُ وهذا عبدُالرحمن بن مَنده. فانتبهتُ، ثم رجعتُ إلى أصبهان، وقصدتُ عبدالرحمن، فلما دخلتُ عليه، صادفتُه كما رأيتُه في النوم، فلما سلَّمت عليه، قال: وعليكَ السلام يا أبا طالب. وقبلَها ما رآني، ولا رأيتُه، فقال لي قبل أن أُكَلِّمَه: شيء حَرَّمه الله ورسولُه يجوزُ لنا أن نُحِلَّه؟ فقلتُ: اجعلني في حِلٍّ، وناشدْتُه الله، وقَبَّلْتُ عينيه، فقال: جعلتُك في حِلٍّ فيما يرجعُ إليَّ.

صاعد بن سيّار، سمعتُ الإمام أبا إسماعيلَ الأنصاريَّ يقولُ في عبدِالرحمن ابن مندة: كانت مَضَرَّتُه أكثرَ من مَنفعته في الإسلام.

قلت: أطلق عباراتٍ بَدَّعهُ بعضهُم بها، الله يُسامِحُه. وكان زَعِراً على مَنْ خالفه، فيه خارجيّةٌ، وله محاسنُ، وهو في تواليفه حاطِبُ ليلٍ، يروي الغَثَّ والسَّمين. ويَنْظِمُ رديءَ الخَرَز مع الدُّرِّ الثمين.

مات سنةَ سبعين وأربعِ مئة، وشيَّعه عالَمٌ لا يُحصون.

---

(١) بلدة قريبة من هَمَذان.

٧٩٥ - الصُّلَيْحِيُّ[1]

[١] صاحبُ اليمن، كان أبوه من قضاة اليمنِ، وهو الملك أبو الحسن عليُّ بنُ القاضي محمد بن عليّ.

[٢]دار به داعي الباطنية عامرُ الزَّوَاحيُّ[2] حتى أجابه وهو حدث، فتفرّسَ به عامر النجابةَ، وشوَّقه، وأسرَّ إليه أُموراً. ثم لم يَنْشَب عامرٌ أن هلك، فأوصى بكتبه لعليٍّ، فعكف على الدرس والمُطالعة، وفقُه وتميَّز في رأي العُبيديّةِ، ومهَرَ في تأويلاتهم، وقَلْبِهم للحقائق.

ثم صار يحجُّ بالناس على طريق السّراةِ خمسَ عشرةَ سنة، وكان الناسُ يقولون له: سَتملكُ اليمن بأسره. فيُنكر على القائل، فلمّا كان في سنة تسعٍ وعشرين وأربع مئةَ، ثار بجبل مَسَار في ستين رجلاً فأَوَوْا إلى ذِرْوَةِ شاهق، فما أمسوا حتى أحاط بهم عشرون ألفاً وقالوا: انزل وإلا قتلناكم جوعاً وعطشاً. قال: ما فعلتُ هذا إلا خوفاً أن يَمْلِكَه غيرُنا، وإن تركتمونا نحرسه، وإلا نزلنا إليكم. وخدعهم، فانصرفوا فلم يَمْضِ عليه أشهرٌ حتى بناه وحَصَّنه، ولَحِقَ به كلُّ طمّاعٍ وذي جَلادةٍ، وكثرُوا فاستفحل أمرُه وأظهر الدعوةَ لصاحب مصرَ المستنصر، وكان يخافُ من نجاحٍ صاحبِ تِهامة، ويُلاطِفُه ويتحيَّلُ عليه، حتى سقاه مع جاريةٍ مليحةٍ أهداها له، واستولى على الممالك اليمنية في سنة خمسٍ وخمسين وأربعِ مئة، وخطب على منبر الجَنَد،[3] فقال: وفي مِثْلِ هذا اليومِ نَخْطُبُ على منبر عَدَن. فقال رجل: سُبُّوحٌ قُدُّوس، يَستهزِىء بقوله، فأمر بأخذه فاتَّفقَ أنه أخذ عَدَن، وخطب، وصَيَّرها دارَ مُلْكِه، وأنشأ عِدَّةَ قصورٍ أنيقة، وأَسَر

---

(١) انظر السير: ١٨/ ٣٥٩-٣٦٢.

(٢) قرية باليمن وإليها ينسب عامر بن عبدالله الزواحي صاحب الدعوة، عن الصليحي.

(٣) مدينة باليمن بينها وبين صنعاء ثمانية وخمسون فرسخاً.

مُلوكاً، وامتدت أيامُه ثم حج، وأحسنَ إلى أهل مكة.

وكـان أشقـرَ أزرق، يُسلِّم على من مرَّ عليهم، وكان ذا ذكاءٍ ودهاء، كسا الكعبـةَ البياضَ، وخُطب لزوجتِهِ أيضاً معه على المنابر. ثم إنه حج في سنة ثلاثٍ وسبعين واستخلف على اليمن ابنَـه أحمـدَ الملك المُكَـرَّم فلمـا نزل بالمَهْجَم(١)، وَثَبَ عليه جيَّاشُ بنُ نجاح وأخوه سعيدُ الأحول، فقتلاه بأبيهما، والتفّ أكثر العسكر على ابنِ نجاح وتملَّكَ.

ودام ملكُ ولدِه المكرم على شطر اليمن مدّةً، وحارب ابنَ نجاح غيرَ مرَّة إلى أن مات سنة أربع وثمانين فَتملَّك بعده ابنُ عمه سبأ بنُ أحمد إلى سنة خمس وتسعين، وصار المُلكُ إلى آل نجاح مدة.

٧٩٦ - الوَخْـــشيُّ(٢)

[١]الشيخُ الإمـام الحافظ، المحدِّث الزاهد، أبو عليٍّ، الحسنُ بنُ علي بن محمد البلْخيُّ، الوخْشيُّ(٣). ولد سنة خمس وثمانين وثلاثِ مئة.

قال أبـو سعد السمعانيُّ: كان حافظاً فاضلاً ثقة، حسن القراءة رحل إلى العراق والجبال والشام، والثغور ومصر، وذاكر الحفاظ.

[٢]قال عمرُ المحموديُّ: لما مات الوَخْشيُّ كنتُ قد راهقتُ، فلما وضعوه في القبـر، سمعنا صيحةً، فقيل: إنه لما وُضع في القبر، خَرجتِ الحشراتُ من المقبُرة، وكان في طرفها وادٍ فأخذتْ إليه الحشراتُ، فذَهبتْ والناسُ لا يَعْرِضون لها.

---

(١) بلد من أعمال زبيد باليمن.

(٢) انظر السير: ١٨/ ٣٦٥-٣٦٧.

(٣) نسبة إلى وخش وهي بلدة بنواحي بَلْخ على نهر جيحون.

مات الوَخْشيُّ سنةَ إحدى وسبعين وأربعِ مئة ببلخ وله سِتٌّ وثمانون سنة.

[١]قال الوَخشيُّ يوماً: رحلتُ، وقاسيتُ الذلَّ والمشاقَّ، ورجعتُ إلى وَخْش، وما عرف أحدٌ قدري، فقلتُ: أموتُ ولا ينتشرُ ذكري، ولا يترحَّمُ أحدٌ عليّ، فسهَّل الله، ووفَّق نظامَ الملك حتّى بَنَى هذه المدرسة وأجلسني فيها أحدِّثُ، لقد كنتُ بعسقلان أسمعُ من ابن مُصحِّحٍ، وبَقيتُ أياماً بلا أكلٍ، فقعدت بقرب خبّاز، لأشمَّ رائحةَ الخُبز وأتقوّى بها.

٧٩٧ - الزَّنْجـــانيّ(١)

[٢]الإمامُ العلاّمةُ، الحافظ، القدوة، العابدُ، شيخُ الحرم، أبوالقاسمِ، سعدُ بنُ عليّ بنِ محمد الزَّنْجَانيُّ الصوفيُّ.

وُلِدَ سنة ثمانينَ وثلاثِ مئة تقريباً.

[٣]قال أبـو سعـد السمعانيُّ: قال لي شيخٌ: كان جدُّك أبو المظفَّرِ عزم على المُجـاورة في صحبة سعدٍ الإمام، فرأى والدتَه كأنما كَشفتْ رأسَها تقولُ: يا بنيّ، بحقِّي عليك إلا ما رجعتَ إليَّ، فإني ألا أُطيقُ فِرَاقَك، قال: فانتبهتُ مغموماً، وقلت: أُشاور الشيخ، فأتيتُ سَعداً ولم أقدر من الزحام أن أُكلِّمه، فلما قام تَبِعتُه، فالفت إليَّ، وقال: يا أبا المظفر، العجوزُ تَنتظرُك، ودَخَل بيتَه، فَعلمتُ أنه كاشَفَني فرجعتُ تلك السنة.

[٤]وعن ثابت بن أحمد قال: رأيتُ أبا القاسم الزَّنْجَانيَّ في النوم يقولُ لي مرّةً بعد أخرى: إن الله يَبْني لأهلِ الحديث بكل مجلسٍ يجلسونه بيتاً في الجنة.

[٥]قال أبـوسعـد: كان سَعدٌ حافظاً متقناً، ثِقةً، ورعاً، كثيرَ العبادة، صاحبَ كرامات وآيات، وإذا خرج إلى الحرم يخلُو المَطَافُ ويُقبلون يَده أكثر مما يُقَبِّلون

---

(١) انظر السير: ١٨/ ٣٨٥-٣٨٩.

الحَجَرَ الأسود.

قال ابنُ طاهر: وسمعتُ الفقيه هَيَّاجَ بنَ عُبيد إمامَ الحرم ومُفتيه يقولُ: يومٌ لا أرى فيه سعداً لا أعتدُّ أنِّي عَمِلْتُ خيراً. وكان هَيَّاجٌ يعتمرُ في اليوم ثلاثَ عُمَرٍ.

[١]قال ابنُ طاهـر: لمـا عزم سعـدٌ على المجـاورة، عزَم على نَيِّفٍ وعشرين عزيمة، أن يُلزمَها نفسَه من المُجاهدات والعبادات، فبقي به أربعين سنة لم يُخِلَّ بعزيمةٍ منها. وكان يُملي بمكةَ في بيته ـ يعني خوفاً من دولة العُبيديّة.

[٢]قال ابنُ طاهر: دخلتُ عليه وأنا ضَيِّقُ الصدرِ من شيرازيٍّ، فقال لي من غير أن أُعْلِمَه: لا تُضيِّق صدرك، في بلادنا يقالُ: بُخْلُ أهوازيٍّ، وحَماقَةُ شِيرازيٍّ، وكَثرةُ كلام رازيٍّ. وأتيتُه وقد عزمتُ على الخروج إلى العراق فقال:

أَراحِلون فَنَبْكِي أم مُقِيمُونا؟

فقلتُ: ما يأمُرُ الشيخ؟ فقال: تَدخُل خراسان، وتفوتُك مِصرُ فيبقى في قلبك منها. اخرج إلى مصر، ثم منها إلى العراق وخراسان فإنه لا يفوتُك شيءٌ. فكان في رأيه البركة.

سُئل إسماعيلُ بنُ محمد التيميُّ الحافظ عن سعدٍ الزَّنْجانيِّ، فقال: إمام كبير، عارف بالسنة.

تُوفِّي سنةَ إحدى وسبعين وأربعِ مئة، وله تسعون عاماً.

ومن قصيدة الزَّنْجانيِّ:

[٣]ومـا أجْمَعَتْ فِيه الصَّحـابَـةُ حُجَّـةٌ وَتـلْكَ سبـيلُ الـمؤمـنينَ لِمَنْ سَبَـرْ
فِفِي الأخْـذِ بالإجْمـاعِ ـ فَاعْلَمْ ـ سَعادَةٌ كمَـا في شُذوذِ القَوْل نوْعٌ مِنَ الخَطَرْ

٧٩٨ - هَيَّاجُ بن عُبيـد[1]

[١]الإمـامُ، الفقيهُ، الـزاهـدُ، شيخُ الإسـلام، أبو محمد الشاميُّ الحِطِّينيُّ، الشافعيُّ، شيخُ الحرم. وُلد بعد التسعين وثلاثِ مئة.

وكان اعتناؤه جيِّداً بالحديث، وله بَصَرٌ بالمذهب، وقَدَمٌ في التقوى وجلالةٌ عجيبة.

[٢] قال ابنُ طاهر: كان هَيّاجٌ قد بلغ من زهده أنه يصومُ ثلاثةَ أيام ويُواصِلُ، لكن يُفـطُر على ماء زمـزم، فمن أتـاه بعـد ثلاث بشيءٍ أكله وكـان قد نَيَّفَ على الثمانين، وكان يَعتَمِرُ كلَّ يوم ثلاثَ عُمَرٍ، ويُدَرِّس عدّةَ دروس، ويزور ابنَ عباس بالطائف كُلَّ سنةٍ مرة، لا يأكلُ في الطريق شيئاً ويزورُ قبرَ النّبيِّ صلى الله عليه وسلم كُلَّ سنـةٍ مع أهـل مكة، فيخرج فمن أخذ بيده، كان في مَؤونتِه حتى يرجِعَ، وكان يمشي حافياً من مكةَ إلى المدينة، وسمعتُ من يشكو إليه أن نعليه سُرِقَتا، فقال: اتخذ نعلين لا يسرقُهُما أحد - يعني الحفاء - ورُزِق الشهادةَ في كائنة بين السُّنَّةِ والرافضة وذلك أن بعضَ الرافضة شكى إلى أمير مكة أنَّ أهل السنـة ينـالون منا، فأنفذ، وطلب هيَّاجاً وأبا الفضل بن قوام وابنَ الأنماطيّ، وضربهم، فمات هذان في الحال، وحُمِلَ هيَّاج، فمات بعدَ أيام - رضي الله عنهم.

مات هيّاج سنة اثنتين وسبعين وأربع مئة.

---

(١) انظر السير: ١٨/ ٣٩٣-٣٩٥.

٧٩٩ - أبو مُسْلم اللَّيْثِــيّ(١)

[١]الشيخ الإمـام، المُحدِّث، المُفيد، الرحّالُ، الطوّافُ، أبو مسلم عمرُ بنُ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ اللَّيث، اللَّيثِيُّ، البخاريُّ.

قال المؤتَمَن الساجيّ: كان حسنَ المعرفةِ، شديد العنايةِ بالصحيح.

[٢]وقال أبوزكريا بنُ منده: هو أحدُ من يَدَّعي الحفظ، إلا أنه يدُلِّس، ويتعصَّبُ لأهلِ البدع، أحولُ، شَرِه، كلما هاجت ريحٌ، قام معها، صنّف «مسند الصحيحن».

[٣]قلتُ: آلُ منـده لا يُعبـأ بقَـدْحِهم في خُصـومهم، كمـا لا نَتلفتُ إلى ذَمِّ خصومِهم لهم، وأبو مسلمٍ ثِقةٌ في نفسه.

مات بخوزستان سنة ستٍّ وستين وأربعِ مئة.

٨٠٠ - ألْـب آرْسَــلان(٢)

[٤]السلطانُ الكبير، الملكُ العـادل، عضُـدُ الدولة، أبو شجاعٍ ألْبُ آرْسَلان محمدُ بنُ السلطان جَغْرِيبَك داودَ بن ميكائيلَ بنِ سلجوق التركمانيُّ، الغُزِّيُّ.

من عظماء ملوك الإسلام وأبطالهم.

[٥]عَظُمَ أمـر السلطان ألْب آرْسَـلان، وخُـطب له على منـابر العراق والعجم وخراسان، ودانت له الأممُ، وأحبته الرعايا، ولاسيما لمّا هزمَ العدوَّ فإنّ الطاغية عظيم الروم أرمانوس حشد، وأقبل في جمعٍ ما سُمع بمثله في نحو من مئتي

(١) انظر السير: ١٨/ ٤٠٧-٤٠٩.

(٢) انظر السير: ١٨/ ٤١٤-٤١٨.

ألف مقاتل من الروم والفِرَنْج والكُرْج وغيرِ ذلك، ووصل إلى مَنَازْكِرْد[1]، وكان السلطان بخُوَيّ[2] قد رجع من الشام في خمسةَ عشرَ ألف فارس، وباقي جُيوشه في الأطـراف، فصمَّم على المصافّ، وقال: أنا ألتقيهم ـ وحسبي الله ـ فإن سَلِمْتُ، وإلا فإبني مَلِكْشـاه وَليُّ عهـدي وسـار، فالتقى يَزَكُه[3] ويَزَكُ القوم، فكسـرهم يَزَكُـه، وأسروا مُقَدَّمَهم فقَطع السلطانُ أنفَه، ولما التقى الجمعان، وتراءى الكفرُ والإيمان واصطدم الجبلان، طلب السلطانُ الهُدْنَةَ، قال أرمانوس: لا هُدْنةَ إلا ببذل الريّ، فَحمي السلطانُ وشاط، فقال إمامُه: إنك تقاتِلُ عن دينٍ وَعَدَ الله بنصره، ولعلَّ هذا الفتحَ باسمك، فالْتَقِهم وقتَ الزوال ـ وكان يومَ جمعة ـ قال: فإنه يكون الخَطباءُ على المنابر، وإنهم يدعُون للمجاهدين، فَصلَّوْا، وبكى السلطانُ، ودعـا وأمَّنـوا، وسجد، وعَفَّر وجهَه وقال: يا أُمراء! من شاء فلينصرف، فما هاهنا سلطان، وعقَد ذَنَبَ حصانِه بيده، ولبس البياضَ وتَحنَّط، وحمل بجيشه حملةً صادقة فوقعوا في وسط العدو يقتلون كيف شاؤوا، وثبت العسكرُ، ونزلَ النَّصْرُ وَوَلَّتِ الرومُ، واستحرَّ بهم القتل، وأُسر طاغِيَتُهم أرمانوس، أسـره مملوك وهمَّ بقتله، فقـال إفـرنجي: لا لا، فهذا الملك. وقرأتُ بخط القِفـطيِّ أنَّ ألْب آرْسَلان بالغ في التضرع والتذلل، وأخلص لله. وكيفيةُ أسرِ الطاغية أنَّ مملوكاً وجد فرساً بلجام مجوهر وسرج مذهب مع رجلٍ، بين يديه مِغفر من الذهب، ودرع مُذهّب، فَهَمَّ الغلام، فأتى به إلى بين يدي السلطان، فقنّعه بالمِقرعة، وقال: ويلك! ألم أبعثْ أطلبْ منك الهُدنة؟ قال: دعني من التوبيخ، قال: ما كان عَزْمُك لو ظفرتَ بي؟ قال: كل قبيح. قال: فما تُؤَمِّلُ وتـظُنُّ بي؟ قال: القتـلُ أو تُشهِّـرُني في بلادك، والثـالثة بعيدةٌ: العفوُ وقبولُ

---

(١) بلد في أرمينية، وأهله أرمن وروم.

(٢) خُوَي: بلد بأذربيجان.

(٣) اليزك: كلمة فارسية، معناها: مقدمة الجيش.

الفِداء. قال: ما عَزمتُ على غيرها. فاشترى نفسَه بألِف ألفِ دينار وخمسِ مئةِ ألفِ دينار، وإطلاقِ كلِّ أسير في بلاده، فخلع عليه، وبعثَ معه عدّةً وأعطاه نفقة تُوصله. وأما الروم فبادروا، وملَّكوا آخر، فلما قرب أرمانوس، شعر بزوال ملكِه، فلبس الصوف، وترهَّب، ثم جمع ما وصلتْ يدُه إليه نحو ثلاث مئةِ ألف دينار، وبعث بها، واعتذر. وكانت الملحمةُ في سنة ثلاث وستين.

وقد غزا بلادَ الروم مرّتين وافتتح قلاعاً، وأرعب الملوكَ، ثم سار إلى أصبهان وذهب إلى شيراز، ثم عاد إلى خراسان، وكاد أن يتملّكَ مصر.

ثم في سنة خمسٍ عبر السلطانُ بجيوشه نهر جَيحون، وكانوا مئتي ألف فارس، فأُتي بِعِلْج يُقال له: يوسف الخُوارَزْمي. كانت بيده قلعة فأمر أن يُشْبَحَ في أربعة أوتاد، فصاح: يا مخنّثُ: مثلي يُقتل هكذا فاحتدَّ السلطانُ، وأخذ القوس، وقال: دعوه. ورماهُ فأخطأه، فظَفَر[1] يوسفُ إلى السرير، فقام السلطانُ فعثر على وجهه، فبركَ العِلجُ على السلطان، وضربه بسكِّين، وتكاثر المماليكُ، فهبَّروه، ومات منها السلطان، وذلك سنةَ خمسٍ وستين وأربعِ مئة، وله أربعون سنة.

(١) ظَفَر، أي: وثب في ارتفاع.

الطبقة الخامسة والعشرون

٨٠١ ـ أبو إسحاقَ الشِّيرازيُّ (١)

[١]الشيخ الإمـام، القدوة، المُجْتَهد، شيخُ الإسلام، أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عليِّ بنِ يوسفَ الفَيْروزاباديُّ، الشيرازيُّ، الشافعيُّ نزيلُ بغداد.

مولده في سنة ثلاثٍ وتسعين وثلاثِ مئة.

وقـدم بغـدادَ سنـةَ خمسَ عشرةَ وأربعِ مئة، فلزمَ أبا الطَّيِّبِ، وبرَع وصار مُعيدَه، وكان يُضرب المثلُ بفصاحته وقوةِ مُناظرته.

قال السَّمعانيُّ: هو إمامُ الشَّافعيَّةِ، ومُدَرِّسُ النِّظاميَّةِ، وشيخ العصر، رحل الناسُ إليه من البلاد وقَصدُوه، وتفرَّد بالعلم الوافر مع السيرةِ الجميلة، والطريقةِ المَرْضِيَّة. جاءته الدنيا صاغرةً فأباها، واقتصر على خُشونة العيشِ أيّامَ حياتِه، صنّف في الأصول والفروع والخلافِ والمَذهب، وكان زاهداً، وَرِعاً، متواضعاً، ظريفاً، كريماً جواداً، طَلْقَ الوجهِ، دائِمَ البِشْرِ، مليحَ المُحاورةِ.

[٢]حُكِي عنه قال: كنتُ نائماً ببغداد، فرأيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم، ومعه أبـوبكـرٍ وعمـرُ، فقلتُ: يا رسـول الله! بلَغني عنك أحاديثُ كثيرةٌ عن ناقلي الأخبار، فأُريد أن أسمعَ منك حديثاً أتشرّفُ به في الدنيا، وأجعلُه ذُخراً للآخرة، فقال لي: يا شيخ! ـ وسمّاني شيخاً، وخاطبني به، وكان يَفْرَح بهذا ـ قل عني: من أراد السلامةَ، فَلْيَطْلُبْها في سلامة غيره.

[٣]وعن أبي إسحاقَ: أن رجلاً أَخْسأ كلباً، فقال: مَه! الطريق بينك وبينه.

[٤]وعنـه: أنـه اشتهى ثريداً بمـاء باقلاء، قال: فما صحَّ لي أكلُه لاشتغالي

---

(١) انظر السير: ١٨/ ٤٥٢-٤٦٤.

بالدرس وأخذي النّوبةَ.

[١]قال السَّمعانيّ: قال أصحابُنا ببغداد: كان الشيخ أبو إسحاقَ إذا بقي مدةً لا يأكل شيئاً، صَعد إلى النَّصرية وله بها صديق، فكان يَثْرِد له رغيفاً ويشربُه بماء الباقلاء، فرُبما صعد إليه وقد فرَغ، فيقول أبو إسحاق: ﴿تِلْكَ إذاً كَرَّةٌ خاسِرَةٌ﴾ (النازعات: ١٢).

قال القاضي ابن هانىء: إمامانِ ما اتَّفق لهما الحج، أبو إسحاق، وقاضي القضاةِ أبو عبدالله الدَامَغانيّ. أما أبو إسحاقَ فكان فقيراً ولو أراده لحملوه على الأعناق. والآخر لو أراده لأمكنه على السُّندس والإِسْتبْرق.

[٢]السمعانيّ: سمعتُ أبا بكر محمدَ بنَ القاسم الشَّهْرُزُوريَّ بالمَوْصِلِ يقول: كان شيخُنا أبو إسحاقَ إذا أخطأ أحدٌ بين يديه قال: أيُّ سكتةٍ فاتَتْكَ.

[٣]قال السمعانيُّ: دخل أبو إسحاق يوماً مسجداً ليتغدّى، فنسي ديناراً، ثم ذكر، فرجع فوجده، ففكَّر وقال: لعله وقع من غيري، فتركه.

[٤]وعنه قال: العلمُ الذي لا يَنْتفعُ به صاحِبُه أن يكونَ الرجل عالِماً ولا يكونَ عاملاً.

[٥]وقيل: إنَّ أبا إسحاقَ نزع عِمامته ـ وكانت بعشرين ديناراً ـ وتوضأ في دجلة، فجـاء لِصٌّ فأخذها، وترك عمامةً رَديئة بَدَلها، فطلع الشيخ فلبِسها، وما شعر حتى سألوه وهو يدرس، فقال: لعلَّ الذي أخذها محتاج.

[٦]قال محمدُ بنُ عبدالملك الهَمَذانيُّ: نَدبَ المُقتدي بالله أبا إسحاق للرسْليَّة إلى المعسكر، فتوجَّه في آخر سنةِ خمسٍ وسبعين، فكان يَخرجُ إليه أهلُ البلد بنسائهم وأولادهم يَمْسَحون أرْدَانه[1]، ويأخذون ترابَ نعليه يَسْتَشْفُون به، وخرج الخبَّـازون، ونثـروا الخبـز، وهـو يَنْهاهم ولا ينتهون، وخرج أصحابُ الفاكهة

---

(١) الأردان: جمع ردن، وهو أصل الكُمّ.

والحلواء، ونثروا على الأساكفة وعملُوا مداساتٍ صغاراً، ونَثرُوها، وهي تقع على رؤوس النـاس، والشيخُ يعجَبُ، وقال لنا: رأيتم النِّثار، ما وصَلَ إليكم منه؟ فقالوا: يا سيِّدي! وأنت أيَّ شيءٍ كان حظُّكَ منه؟ قال: أنا غَطَّيتُ نفسي بالمِحَفَّة.

[١]قال خَطيبُ الموصل أبو المفضل: حدثني أبي قال: تَوجهتُ من الموصل سنة ٤٥٩ إلى أبي إسحاقَ، فلما حضرتُ عنده رحَّب بي، وقال: من أين أنت؟ فقلت: من المـوصـل. قال: مرحبـاً أنت بَلديّ، قلتُ: يا سيِّدَنا! أنت من فيروزابـاد. قال: أمـا جَمعَتْنا سفينةُ نوح؟ فشاهدتُ من حُسن أخلاقِه ولطافتِه وزُهدِه ما حبَّبَ إليَّ لُزومَه فصحبتُه إلى أن مات.

تُوفي سنـة ستٍّ وسبعينَ وأربعِ مئة ببغداد، وأحضر إلى دار أميرِ المؤمنين المُقتدي بالله فصلَّى عليه.

[٢]كان الفقيه رافعُ الحمّال رفيقَه في الاشتغال، فيحمل شطر نهاره بالأُجرة، وينفق على نفسه وعلى أبي إسحاقَ، ثمَّ إن رافعاً حجَّ وجاور، وصار فقيهَ الحرم.

ومات أبو إسحاقَ ولم يُخَلِّف درهماً، ولا عليه درهمٌ. وكذا فَلْيَكُنِ الزهد، ومـا تزَّوج فيمـا أعلم، وبِحُسْن نيَّتِه في العلم اشتهـرتْ تصـانيفُـه في الدنيا «كالمهذَّب» و «التنبيه» و «اللُّمَع في أصول الفقه».

٨٠٢ ـ إمامُ الحَرَمين (١)

[٣]الإمامُ الكبير شيخُ الشافعية، إمامُ الحرمين، أبو المعالي عبدُالملك بنُ الإمام

(١) انظر السير: ١٨/ ٤٦٨-٤٧٧.

أبي محمد عبدِالله بنِ يوسفَ، الجُوينيُّ، ثمّ النَّيسابوريُّ، ضياءُ الدِّين، الشَّافِعيُّ، صاحبُ التصانيفِ.

وُلِدَ في سنةِ تسعَ عشرةَ وأربعِ مئة.

[١]وفي «فنون» ابنِ عقيل: قال عَميدُ المُلْكِ: قَدِمَ أبو المعالي فكلّم أبا القاسم ابنَ بَرهان في العِباد، هل لهم أفعال؟ فقال أبو المعالي: إن وجدتَ آيةً تقتضي ذا فالحجةُ لك، فتلا: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ (المؤمنون: ٦٣). ومدّ بها صوتَه. وكَرَّر ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ وقوله: ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُم يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُم واللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُم لَكَاذِبُونَ﴾ (التوبة: ٤٢). أي كانوا مُستطيعين فأخذ أبو المعالي يستروحُ إلى التأويل، فقال: والله إنَّكَ بارد تتأوّلُ صَرِيحَ كلامِ الله لِتُصحِّحَ بتأويلك كلامَ الأشعريِّ. وأكَلَّهُ ابنُ بَرهان بالحجة، فبُهِتَ.

درّس بنظامية نَيْسابور، واستقام الأمر، وبقيَ على ذلك ثلاثين سنة غير مُزاحَمٍ ولا مُدَافَع، مُسَلَّماً له المِحرابُ والمنبر والخُطبة والتدريس ومجلسُ الوعظ يوم الجمعة، وظهرت تصانيفُهُ وحضر درسَه الأكابرُ والجمعُ العظيم من الطَّلَبة، كان يقعدُ بين يديه نحوٌ من ثلاث مئة وتفقّه به أئِمةٌ.

[٢]وقرأتُ بخط أبي جعفرٍ: سمعتُ أبا المعالي يقول: قرأتُ خمسين ألفاً في خمسين ألفاً، ثم خَلّيْتُ أهلَ الإسلامِ بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة، وركبتُ البحرَ الخِضَمَّ، وغُصتُ في الذي نهىٰ أهلُ الإسلام، كل ذلك في طلب الحق، وكنت أهرُبُ في سالف الدهر من التقليد والآن فقد رجعتُ إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركْني الحقُّ بلطيف برّه، فأموت على دين العجائز، ويُختم عاقبةُ أمري عند الرّحيلِ على كلمة الإخلاصِ: لا إله إلا الله، فالويلُ لابنِ الجُوينيّ.

[١]قلت: كان هذا الإمام مع فَرْط ذكائه وإمامته في الفروع وأصولِ المذهب وقُوةِ مناظرته لا يدري الحديثَ كما يليق به لا متناً ولا إسناداً ذكر في كتاب «البرهان» حديثَ معاذٍ في القياسِ فقال: هو مُدَوَّنٌ في الصحاح، متفق على صحته.

قلت: بل مَدَارهُ على الحارثِ بنِ عمرو، وفيه جَهالة، عن رجالٍ من أهل حمص، عن معاذ. فإسناده صالح.

[٢]قال المَازريُّ في شرح «البرهان» في قوله: إن الله يَعلم الكُلِّياتِ لا الجُزئيات: وَدِدْتُ لَو مَحَوْتُها بِدَمي.

وقيل: لم يَقُلْ بهذه المسألة تصريحاً، بل أُلزم بها، فالله أعلم.

قلت: هذه هَفْوةُ اعتزال، هُجِر أبو المعالي عليها، وحلف أبو القاسم القُشيريُّ لا يُكلِّمه، ونُفي بِسببها، فجاور وتعبَّد، وتاب ـ ولله الحمدُ ـ منها، كما أنه في الآخر رجّح مذهب السلف في الصِّفات وأقرَّه.

[٣]قال الفقيه غانم المُوْشِيليّ: سمعتُ الإمام أبا المعالي يقول: لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما اشتغلتُ بالكلام.

قال أبو المعالي في كتاب «الرسالة النظامية»: اختلفت مسالكُ العلماء في الظَّواهر التي وردت في الكتابِ والسنة، وامتنع على أهل الحقِّ فَحْواها، فرأى بعضُهم تأويلَها، والتزَمَ ذلك في القرآن وما يصح من السُّنن، وذهبَ أئمةُ السلف إلى الانكِفَاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مَوَاردها، وتفويضِ معانيها إلى الرب تعالى والذى نَرْتَضيه رأياً، وَنَدينُ الله به عَقداً اتباعُ سلفِ الأُمَّة، فالأولى الاتباعُ.

[٤]وكان إذا أخذ في عِلم الصوفية وشرْحِ الأحوال أبكى الحاضرين، وكان يذكر في اليوم دروساً، الدَّرسُ في عدة أوراق، لا يَتَلَعْثَمُ في كلمة منها.

[١]تُوفي سنةَ ثمانٍ وسبعين وأربعِ مئة، ودُفن في داره، ثم نُقلَ بعد سنين إلى مَقبرة الحسين فدُفن بجنب والدِه، وكسروا مِنبرَه، وغُلِّقَتِ الأسواق، ورُثي بقصائدَ وكان له نحو من أربع مئة تلميذ، كَسروا مَحابِرَهم وأقلامَهم، وأقاموا حَوْلاً، ووُضِعتِ المناديلُ عن الرؤوسِ عاماً، بحيث ما اجْترأ أحد على سَتْرِ رأسِه، وكانتِ الطَّلَبَةُ يطوفون في البلدِ نائحينَ عليه، مُبالغين في الصِّياح والجَزَعِ.

قُلتُ: هذا كان من زيّ الأعاجم لا من فعل العُلماء المُتَّبعين.

[٢]وقال أبوالحسن البَاخَرْزيُّ في «الدمية» في حقه: الفِقهُ فقهُ الشافعيِّ، والأدبُ أدبُ الأصمعي، وفي الوعظِ الحسنِ الحسنُ البصريّ، وكيف ما هو فهو إمامُ كُلِّ إمام، والمستَعلي بِهمَّته على كلِّ هام، والفائز بالظَّفَر على إرغام كل ضِرْغام، وإن تصدَّر للفقه، فالمُزَني من مُزْنَتِه، وإذا تكلَّم فالأشعريُّ شَعْرَةٌ من وَفْرَته.

٨٠٣ ـ صَاحبُ المَوْصِل(١)

[٣]السلطان شَرفُ الدولة، أبو المكارم، مُسلِمُ بن ملكِ العرب قُريشِ بنِ بَدران ابن الملكِ حُسامِ الدولةِ مُقلَّدِ بنِ المسيَّبِ بنِ رافعٍ العُقَيليُّ.

[٤]كان يترفّضُ كأبيه. ونهب أبوه دُورَ الخلافةِ في فتنة البَساسِيريِّ، وأجار القائمَ بأمر الله. ومات سنةَ ثلاث وخمسين كهلاً، فَولِيَ ابنُه ديارَ ربيعةَ ومضر، وتملَّك حلب، وأخذ الأتاوةَ من بلاد الرومِ، وحاصرَ دمشقَ، وكاد أن يأخذَها، فنزع أهلُ حَرّان طاعتَه، فبادرَ إليها فحاربُوه فافتتحها، وبذَل السّيفَ في السُّنَّةِ بها،

---

(١) انظر السير: ١٨/ ٤٨٢-٤٨٣.

وأظهـر سبّ الصحـابـة، ودانت له العـربُ، ورام الاستيلاءَ على بغـداد بعد طُغْرُلْبك، وكان يُجيد النَّظْمَ وله سَطوة وسياسةٌ، وعدلٌ بعُنف، وكان يُعطي جزيةَ بلاده للعلويَّة.

ثم إنه عمل المَصافَّ مع سُلطان الروم سليمانَ بنِ قُتُلْمِش في سنة ٤٧٨ بظاهر أنطاكية، فقُتل مُسلمٌ وله بضع وأربعون سنة. وقيل: بل خنقه خادمٌ في الحمّام. وملَّكوا أخاه إبراهيم، وله سِيرةٌ طويلةٌ وحُروبٌ وعجائب.

٨٠٤ ـ الحَبَّــــال[1]

[١]الإمامُ، الحافظُ، المُتقِن، العالم، أبو إسحاق، إبراهيمُ بنُ سعيد بنِ عبدِالله النُّعمانيُّ مولاهم، المصريُّ، الكُتُبيُّ، الوَرَّاق الحبّال، الفرّاء. وُلد سنة إحدى وتسعينَ وثلاثِ مئة. وحصَّل من الأصولِ والأجزاء مالا يُوصَفُ كثرةً.

[٢]وكانتِ الدولةُ الباطنيّةُ قد منعوه من التحديث، وأخافوه، وهدَّدوه فامتنع من الرواية، ولم ينتشر له كبيرُ شيء.

[٣]قال القـاضي أبو عليٍّ الصَّدَفيّ: مُنِعْتُ من الدخولِ إليه إلا بشرط أن لا يُسمعني، ولا يكتبَ إجازةً، فأوَّلُ ما فاتَحْتُه الكلامَ خَلَّط في كلامه وأجابني على غير سؤالي حَذَراً من أن أكون مَدْسُوساً عليه، حتى بَسطْتُه، وأعلمْتُه أني أندلسيٌّ أريدُ الحج، فأجاز لي لفظاً، وامتنع من غير ذلك.

[٤]قلتُ: قبَّـح الله دولـةً أمـاتتِ السنّـةَ وروايةَ الأثـارةِ النبوية وأحيتِ الرّفضَ والضـلال، وبَثَّتْ دُعـاتَهـا في النـواحي تُغـوي النـاسَ ويدعـونهم إلى نِحلة الإسماعيلية، فَبِهم ضَلَّت جَبَلِيَّةُ الشَّام وتعثَّروا، فنحمدُ الله على السلامة في الدين.

(١) انظر السير: ١٨/ ٤٩٥-٥٠٣.

وقال عبدُالله بن حَمُّود الزاهد فيما علَّقه عنه السِّلَفيُّ: إنه حضر مجلسَ الحبّالِ والحديثُ يُقرأُ عليه، فلم تَزَلْ دموعُه تجري حتى فرغ القارىء.

[١] قال الحافظ محمدُ بنُ طاهر: سمعتُ أبا إسحاق الحبّال يقولُ: كنّا يوماً نقرأ على شيخ، فقرأنا قولَه عليه السلام: «لا يَدْخُلُ الجنَّةَ قَتَّاتٌ». وكان في الجماعة رجلٌ يبيع القَتَّ ـ وهو عَلَفُ الدوابِّ ـ فقام وبكى، وقال: أتوبُ إلى الله. فقيل له: ليس هو ذاك، لكنه النَّمَّامُ الذي ينقُل الحديث من قوم إلى قوم يُؤذيهم. قال: فسكَن وطابت نفسُه.

موتُه سنة اثنتين وثمانين وأربع مئة، وله إحدى وتسعون سنة.

٨٠٥ ـ شيخُ الإسـلام(١)

[٢] الإمـامُ القدوةُ، الحافظ الكبير، أبو إسماعيل عبدُالله بنُ محمد بنِ عليّ، الأنصاريُّ الهَرَويُّ، مصنِّفُ كتابِ «ذم الكلام». وشيخُ خراسان من ذريّة صاحب النبي صلى الله عليه وسلم أبي أيوبَ الأنصاريِّ.

مولدُه في سنة ستٍّ وتسعينَ وثلاثِ مئة.

[٣] قال المؤتَمَن: كان يدخلُ على الأُمراء والجبابرة فما يُبالي، ويرى الغريبَ من المُحدِّثين، فيُبالِغُ في إكرامه. وسمعتُه يقولُ: تركتُ الحِيرِيَّ لله. قال: وإنّما تركه، لأنه سمع منه شيئاً يُخالف السُّنَّة.

[٤] قلتُ: كان يدري الكلامَ على رأي الأشعريِّ، وكان شيخُ الإسلام أثريّاً قُحّاً، يَنالُ من المُتكلِّمة، فلهذا أعرضَ عن الحيريِّ، والحِيريُّ: فَثِقةٌ عالم، أكثر عنهُ البيهقيُّ والنّاس.

---

(١) انظر السير: ١٨/ ٥٠٣ـ٥١٨.

[١]قال محمدُ بنُ طاهر: وسمعتُه يُنشِدُ على منبره:

أنَا حَنْبَلِيٌّ ما حَييتُ وإنْ أَمُتْ فَوَصِيَّتي للنَّاسِ أن يَتَحَنْبَلوا

[٢]قلت: وقد قال في قَصيدته النونية:

أنـا حَنْـبَـلِيٌّ ما حَييتُ وإنْ أمُـتْ فَوَصَـيَّـتي ذَاكُـمْ إلـى الإخـوانِ

إذ دِينُـهُ دِينِـي ودِينـي دِينُـهُ مَا كُنـتُ إمَّـعَـةً لَهُ دِينَـانِ

ولقد بالغ أبو إسماعيل في «ذمّ الكلام» على الاتِّباعِ فأجاد ولكنه له نَفَسٌ عجيب لا يُشبهُ نَفَسَ أئمةِ السلف في كتابه «منازل السائرين»[١] ففيه أشياء مُطربة، وفيه أشياء مُشكلة. ومن تَأمَّله لاح له ما أشرتُ إليه، والسُّنَّةُ المحمدية صَلِفَة ولا يَنْهَضُ الذوقُ والوَجْدُ إلا على تأسيسِ الكتاب والسنة. وقد كان هذا الرجلُ سيفاً مسلولاً على المتكلمين، له صَوْلَةٌ وهيبةٌ واستيلاءٌ على النفوس ببلده، يُعظمونه، ويتغالَون فيه، ويَبذلون أرواحهم فيما يأمرُ به. كان عندهم أطوعَ وأرفعَ من السلطان بكثيرٍ وكان طوداً راسياً في السنة لا يتزلزلُ ولا يَلين، لولا ما كَدَّر كتابَه «الفاروق في الصفات» بذكر أحاديثَ باطلةٍ يجبُ بيانُها وهَتْكُها، والله يغفرُ له بحُسْنِ قصده.

[٣]قال ابنُ طاهر: سمعتُه يقول: عُرضتُ على السيف خمسَ مرات لا يقال لي: ارجعْ عن مذهبك. لكن يُقال لي: اسكت عمّن خالفك. فأقول: لا أسكُتُ.
وسمعتُهُ يقول: أحْفَظُ اثني عشرَ ألفَ حديثٍ أسرُدها سرداً.

[٤]قلتُ: قد انتفعَ به خَلْقٌ، وجَهِلَ آخرون، فإنّ طائفةً من صَوفَةِ الفلسفةِ والاتحادِ يخضعون لكلامه في «منازل السائرين» ويَنتحِلُونه ويزعُمون أنه مُوافقهم. كلا، بل هو رجل أثَريٌّ، لَهِجُ بإثبات نُصوص الصفات، مُنافِرٌ للكلام

---

(١) طبع كتاب «منازل السائرين» مع شرحه «مدارج السالكين» للعلاَّمة ابن القيم، وقد تعقبه الامام ابن القيم رحمه الله في شرحه هذه الأشياء المشكلة وانتقدها انتقاداً جيداً.

وأهلِه جداً، وفي «منازله» إشاراتٌ إلى المحو والفناء، وإنما مُرادُه بذلك الفَناءِ هو الغَيْبَةُ عن شُهود السِّوى، ولم يُرِدْ مَحْوَ السِّوى في الخارج، ويا ليتَه لا صنَّف ذلـك، فمـا أحلى تصـوُّفَ الصحابةِ والتابعين، ما خاضوا في هذه الخطَراتِ والـوسـاوس، بل عبـدوا الله وذَلُّوا له وتَوكَّلوا عليه، وهم من خشيته مُشفقون، ولأعدائِه مُجاهدون، وفي الطاعة مُسارعون، وعن اللَّغو مُعرضون، والله يَهدي من يشاءُ إلى صراط مستقيم.

قال أبو الوقتِ السِّجْزيُّ: دَخَلْتُ نَيسابور، وحضرتُ عند الأستاذِ أبي المعالي الجُوينيِّ، فقال: من أنت؟ قلت: خادمُ الشيخ أبي إسماعيلَ الأنصاريِّ. فقال: رضي الله عنه.

قلتُ: اسمع إلى عقل هذا الإمام وَدَعْ سَبَّ الطَّغَام، إنْ هُمْ إلا كالأنعام.

وقال عبدُالغافر بنُ اسماعيل: كان أبو إسماعيلَ الأنصاريُّ على حظٍّ تامٍّ من معـرفة العربيّةِ والحديثِ والتواريخِ والأنسابِ، إماماً كاملاً في التفسير، حسنَ السيرةِ في التصوُّف، غيرَ مشتغلٍ بكسْبٍ. وعنه أخذَ أهلُ هَراةَ التبكيرَ بالفجر، وتسميةَ الأولاد غالباً بعبدٍ المضافِ إلى أسماءِ الله تعالى.

[١]قيل: إنَّ شيخ الإِسـلام عَقـد على تفسير قوله **﴿إنَّ الَّذِيْنَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الحُسْنَى﴾** (الأنبياء: ١٠١) ثلاثَ مئةٍ وستينَ مجلساً.

تُوفي شيخُ الإسلام سنةَ إحدى وثمانينَ وأربعِ مئة عن أربعٍ وثمانينَ سنةً وأشهرٍ.

٨٠٦ ـ أبو الوَليد البَاجيّ[1]

[١]الإمام العلّامة، الحافظ، ذو الفنون، القاضي، أبو الوليد سليمانُ بنُ خلفِ ابن سعدٍ، التُّجيبيُّ، الأندلسيُّ، القُرطبيُّ الباجِيُّ الذهبيُّ.

وُلد أبوالوليدِ في سنة ثلاثٍ وأربع مئة. وارتحل فرجع إلى الأندلس بعد ثلاثَ عشرةَ سنةً بعلمٍ غزير، حصَّله مع الفقر والتَّقَنُّعِ باليسير.

وتفقّه به أئمةٌ، واشتهر اسمُه، وصنّف التصانيف النفيسة.

قال القاضي عياض: ولمّا قدم من الرحلة إلى الأندلس وجد لكلام ابن حزمٍ طَلاوةً، إلّا أنه كان خارجاً عن المذهب، ولم يكن بالأندلس من يَشتغِلُ بعلمه، فَقَصُرَتْ ألسنةُ الفقهاء عن مُجادلته وكلامِه، واتّبعه على رأيه جماعةٌ من أهل الجهل، وحلّ بجزيرة مَيُورقة، فرأسَ فيها، واتَّبعه أهلُها، فلما قدم أبو الوليد، كلَّموه في ذلك، فدخل إلى ابنِ حزم وناظره، وشهر باطلَه، وله معه مجالسُ [٢]كثيرة. قال: ولمّا تكلّم أبوالوليد في حديث الكتابةِ يوم الحُديبية الذي في «صحيح البخاري»، قال بظاهر لفظه، فأنكر عليه الفقيهُ أبوبكر بنُ الصائغ وكفَّره بإجازته الكَتْبَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم النبيِّ الأُميِّ وأنّه تكذيبٌ للقرآن، فتكلَّم في ذلك من لم يفهم الكلامَ، حتى أطلقوا عليه الفتنةَ، وقبَّحوا عند العامة ما أتى به، وتكلّم به خُطباؤُهم في الجُمَع، وقال شاعرهم:

بَرِئْتُ مِمَّن شَرَى دُنيا بآخِرَةٍ ... وقال: إنَّ رَسُولَ الله قَدْ كتبا

فصنَّف القاضي أبوالوليد رسالةً بيَّن فيها أنّ ذلك غيرُ قادحٍ في المُعجزة، فرجَع بها جماعةٌ.

---

(١) انظر السير: ١٨/ ٥٣٥ـ٥٤٥.

قلت: يجوز على النبيِّ صلى الله عليه وسلم أن يَكْتُبَ اسمَه ليس إلّا، ولا يَخرُجُ بذلك عن كونه أُمِّيّاً، وقد قالَ عليه السلام: «إنّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لا نَكْتُبُ ولا نَحسُبُ». أي لأن أكثرَهم كذلك، وقد كان فيهم الكَتَبَةُ قليلاً. وقال تعالى ﴿هُوَ الَّـذي بَعَثَ في الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنهُم﴾ (الجمعة: ٢). فقوله عليه السلام «لا نَحسُب» حقٌّ، ومع هذا فكان يعرف السنينَ والحسابَ وقَسْمَ الفَيْءِ، وقِسْمةَ المواريثِ بالحساب العَربيّ الفِطريّ لا بحساب القِبط ولا الجَبْرِ والمُقابلة، بأبي هو ونَفْسي صلّى الله عليه وسلم، وقد كان سيِّدَ الأذكياء، ويَبْعُد في العادة أن الذَّكِيَّ يُملي الوحي وكُتُبَ الملوكِ وغيرَ ذلك على كُتَّابه، ويَرى اسمَه الشريفَ في خاتِمه، ولا يعرفُ هيئةَ ذلك مع الطُّول، ولا يخرُج بذلك عن أُمِّيَّته، وبعضُ العلماء عدَّ ما كتبه يوم الحُدَيْبِيَةِ من مُعجزاته، لكونه لا يعرفُ الكتابةَ وكتب.

ومِن نَظْمِ أبي الوليد:

[١] إذا كُنْتُ أعْلَمُ عِلْماً يَقيناً بأنَّ جَميعَ حَياتي كساعه
فَلِم لا أكُونُ ضَنيناً بِها وَأجْعَلُها في صَلاحٍ وَطَاعَهْ

مات أبوالوليد بالمَرِيّة سنةَ أربع وسبعين وأربعِ مئة، فعُمُرهُ إحدى وسبعون سنة فإنّ مولدَه سنةَ ثلاث وأربع مئة.

٨٠٧ - أبو جعفر الهاشِمِيّ(١)

[٢] الإمامُ، شيخ الحنبلية، أبو جعفرٍ، عبدُالخالق بنُ أبي موسى عيسى، الهاشميُّ، العباسيُّ، الحنبليُّ، البغداديّ.

مولدُهُ سنةَ إحدى عشرةَ وأربعِ مئة.

(١) انظر السير: ١٨/ ٥٤٦-٥٤٨.

قال أبو الحسين بنُ الفرَّاء: لَزِمْتُهُ خمسَ سنين، وكان إذا بلغَه مُنْكَرٌ، عَظُمَ عليه جدّاً، وكان شديداً على المبتدعة، لم تزل كَلِمَتُهُ عاليةً عليهم، وأصحابُهُ يقمعونَهم، ولا يردُّهم أحد، وكان عفيفاً نزِهاً دَرَّس بمسجده، ثم انتقل إلى الجانب الشرقيِّ يُدَرِّس، ثم درَّس بجامع المهديّ، ولما احتُضِرَ أبو يعلى، أوصاه أن يُغَسِّلَهُ، وكذا لمّا احتُضِر الخليفةُ القائمُ أوصى أن يُغْسِّلَه أبو جعفر، ففعل، وما أخذ شيئاً مما وصّى له به. إلى أن قال:وأُخِذَ أبوجعفر في فتنة ابن القُشيريِّ[1] وحُبس أياماً فسرَدالصومَ، وما أكل لأحدٍ شيئاً، ودخلتُ فرأيتُهُ يقرأ في المصحف، ومَرِضَ فلما ثَقُلَ وَضَجَّ الناسُ من حَبْسه، أُخرج إلى الحريم فمات هناك، وكانت جنازتُهُ مشهودةً، ودُفِنَ إلى جانب قبر الإمام أحمد ولَزِمَ الناسُ قبره مدّةً حتى قيل: خُتِمَ على قبره عشرةُ آلافِ ختمة.

توفي سنة سبعين وأربعِ مئة.

قال ابنُ النجّار: كان مُنقطعاً إلى العبادَةِ وخُشُونةِ العيشِ والصَّلابةِ في مذهبه، حتى أفضى ذلك إلى مُسارعة العوام إلى إيذاء الناس وإقامةِ الفتنة، وسفكِ الدماء، وَسَبِّ العلماء، فَحُبِسَ.

قلت: كان يومُ موته يوماً مشهوداً، رحمه الله.

٨٠٨ - البَكْـــريّ[2]

الواعظ، العالم، أبوبكر، عَتيقُ البكريُّ، المغربيُّ الأشعريُّ.

وفد على النظام الوزير، فنفَق عليه، وكتب له توقيعاً بأن يَعِظَ بجوامع

---

(١) التي وقعت بينَ الحنابلة والأشعريَّةِ، انظر تفصيل ذلك في «ذيل طبقات الحنابلة» ١/ ١٩-٢٢، وطبقات السبكيِّ ٣/ ٣٨٩ وما بعدها.

(٢) انظر السير: ١٨/ ٥٦١-٥٦٢.

بغـداد، فقـدم وجلس واحتفـل الخلقُ، فذكر الحنابلة. وحطّ وبالغ، ونَبَزَهم بالتجسيم، فهاجتِ الفتنةُ، وغَلَتْ بها المراجلُ وكفَّر هؤلاء هؤلاء، ولما عزم على الجلوس بجامع المنصور، قال نقيبُ النقباء: قِفُوا حتى أَنْقُلَ أهلي، فلا بد من قتلٍ ونهبٍ. ثم أُغلقت أبوابُ الجامع، وصَعِد البَكْريُّ، وحوله التُّرْكُ بالقِسِيِّ، ولُقِّب بعلم السُّنَّـة فتعـرَّض لأصحـابه طائفةٌ من الحنابلة فشدت الدولةُ منه، وكُبِست دورُ بني القاضي ابن الفرّاء، وأُخذت كتُبُهم، وفيها كتاب في الصفات، فكان يُقرأُ بين يدي البكريِّ، وهو يُشَنِّع ويُشَغِّب، ثم خرج البكريُّ إلى المعسكر متشكياً من عميدِ بغداد أبي الفتح بن أبي الليث. وقيل: إنه وعظ وعظَّم الإمام أحمـد، ثم تلا ﴿**وَمَـا كَفَـرَ سُلَيمانُ ولكِنَّ الشَّياطِينَ كَفَرُوا**﴾ (البقرة: ١٠٢) فجاءَتْهُ حَصاةٌ ثم أُخرى فكشفَ النقيبُ عن الحال، فكانوا ناساً من الهاشميين حنابلةً قد تخبَّؤوا في بطانة السَّقف، فعاقبهم النقيبُ ثم رَجع البكريُّ عليلاً، وتُوفي سنةَ ستٍّ وسبعينَ وأربعِ مئة.

٨٠٩ - ابن مَاكُـــــولا(١)

[١]الأميرُ الكبير، الحافظ، الناقد، النَّسَّابة، الحُجّة أبو نصرٍ، عليُّ بنُ هبة الله ابنِ عليٍّ، البغداديُّ، صاحب كتاب «الإكمال في مشتبه النسبة» وغير ذلك.

مولدُه سنةَ اثنتينِ وعشرين وأربعِ مئة بقرية عُكْبَرا.

قال شيرويه الديْلميُّ في كتاب «الطبقات» له: كان حافظاً متقناً، عُني بهذا الشأن، ولم يكن في زمانه بعدَ الخطيب أحدٌ أفضلَ منه. حضر مجلسَه الكبارُ من شيوخنا، وسمعوا منه.

---

(١) انظر السير: ١٨/ ٥٦٩-٥٧٨.

[١] قال الحُميديُّ: ما راجعتُ الخطيب في شيءٍ إلا وأحالني على الكتاب وقال حتى أكْشِفَه. وما راجعتُ ابنَ ماكولا في شيءٍ إلّا وأجابني حفظاً كأنه يقرأ من كتاب.

وهذا يدلُّ على قوة حفظه، وأما الخطيب ففعلُه دالٌّ على وَرَعِه وتثبُّته.

قال المؤتمَنَ الساجيُّ الحافظ: لم يلزمِ ابنُ ماكولا طريقَ أهل العلم، فلم ينتفع بنفسه.

قلت: يُشير إلى أنه كان بهيئة الأمراء وبرفاهِيَتهم.

وقال الحافظ ابنُ ناصر: قُتِلَ الحافظُ ابن ماكولا، وكان قد سافر نحو كِرمان ومعه مماليكُه الأتراك، فقتلوه، وأخذوا مالَه، في سنة خمسٍ وسبعين وأربعِ مئة.

ومن نَظْـمه:

[٢] قَوِّضْ خِيَامَـك عَنْ دَارٍ أُهِنْتَ بهـا ... وَجَـانِبِ الـذُّلَّ إنَّ الـذُّلَّ مُجْتَنَبُ

وَارْحَـلْ إذَا كانَتِ الأوْطـانُ مَضْيعَـةً ... فالمَنْدلُ[١] الرَّطْبُ في أوْطَانِه حَطَبُ

٨١٠ - المَهْـــري[٢]

[٣] شاعرُ الأندلس، ذو الوزارتين، أبوبكر محمدُ بنُ عمّار الأندلسيُّ المَهْريّ.

كان هو وابنُ زيدونَ كَفَرسيْ رِهان.

[٤] بلغ المَهْريُّ أسنى الرُّتب، حتى استوزره المعتمِدُ بنُ عبّاد، ثم استنابه على مُرسيةَ، فعصى بها، وتملّكها، فلم يزلِ المُعتمد يتلطَّفُ في الحيلة، إلى أن

---

(١) العود الرطب يتبخّر به.

(٢) انظر السير: ١٨/ ٥٨٢-٥٨٤.

وقـع في يدهِ، فذبحَـه صبـراً للعصيان بعد فَرْطِ الإحسانِ ولأنه هجا المعتمِدَ وآباءَه، فهو القائل:

مِمـا يُقَبِّـحُ عِنْـدِي ذِكْـرَ أنْـدلُـسٍ   سَمَـاعُ مُعْـتَـمِـدٍ فيهـا ومُعْتَضِـدِ
أسْمَـاءُ مَمْلَكَـةٍ في غَيْرِ مَوْضِعهـا   كالهِـرِّ يَحْكِي انْتِفَـاخـاً صَوْلَةَ الأسدِ

[١] وقد جال ابنُ عمار في الأندلس أولاً، ومدح الملوكَ الكبار والسُّوقة بحيث إنه مدح فلاَّحاً أعطاه مِخلاةَ شعيرٍ لحمارِه، ثم آل بابن عمار الحالُ الى الإمرةِ، فملأ للفلاح مِخلاتَه دارهمَ، وقال: لو ملأها بُرًّا لملأناها تِبراً.

وقد سجنه المعتمِدُ مُدّة، وتوسّل إليه بقصائدَ تُلِيِّن الصخرَ، فقتله في سنة ٤٧٩ .[١]

٨١١ - باديس بنُ حَبُّـوس[٢]

[٢] ابن ماكس الصنهاجيُّ، من قُوَّاد البربر، له شَرَفٌ وأُبوَّة وعشيرة.

تملَّك غَرناطةَ وجيَّش الجيوش، وحارب المُعتصمَ صاحب المريّة، والمُعتضدَ صاحبَ إشبيلية، وكان سَفّاكاً للدماء. فيه عَدْلٌ بِجَهل.

[٣] وَقَفتْ له امرأةٌ عند باب إلْبيرة فقالت: يا مولانا! ابني يَعُقُّني، فطلبه، ودعا بالسيف، فقالتِ المرأةُ: إنما أردتُ تهديدَه. فقال: ما أنا بِمُعَلِّمِ كُتَّاب. وأمر به فضُربت عنقُه.

[٤] واستعمل بعضَ أقاربه على بلد، فخرج يتصيَّدُ، فمرَّ بشيخِ قرية فرغب في تشريفه بالضيافة، فأنزله في أرض فيها دُولاب وفواكه، فبادر له بثريدٍ في لبن

(١) انظر هذه القصائد في «الذخيرة»: ٢/١/٤١٩ وما بعدها.

(٢) انظر السير: ١٨/ ٥٩٠-٥٩٢.

وسُكَّرٍ، وقال: نأتي بعدُ بما تُحب. فرماه برجله وضرب الشيخ، ففرّ الشيخُ، وأتى إلْبِيرةَ، فَعرَّف المَلِكَ بما جرى عليه فقال: ارجع واصبر وواعَدَه، ثم جاءه بعد أيام في كبكبة منهم خَصمُه فقدَّم الشيخُ للملك مثلَ ذلك الثريد، فتناوله وأكله واستطابه، ثم قال: خذ بثأرك من هذا فاضْرِبْهُ. فاستعظم الشيخُ ذلك، فقال الملك: لا بدَّ فضربه حتى اقتصَّ منه، فقال الملكُ هذا حقُّ هذا، بقِيَ حقُّ الله في إهـانـة نعمتـه، وحَقِّي في اجتراء العمال. فضرب عُنُقَه، وطِيف برأسه. حكاها اليسعُ بنُ حزم.

[١] وحكى أيضاً أنَّ بعضَ أهلِ البادية كانت له بنتُ عمٍّ بديعةُ الحُسْنِ فافتقر، ونَزَح بها فصادفَه في الطريق أميرٌ صنْهاجيٌّ، فأركبها شفقةً عليها، ثم أسرع بها، فلما وصل البدويُّ، أتى دارَ الأمير، فطردوه، فقصد الملكَ، فقال لذاك الأمير: ادفع إليه زوجتَه. فأنكر فقال: يا بدويُّ! هل لك من شهيد ولو كلباً يعرفُها؟ قال: نعم. فدخل بِكَلْبٍ له إلى الدار، وأُخرِجَتِ الحُرَمُ، فلمّا رآها الكلبُ، عَرفها وبَصْبَص فأمر الملكُ بدفعها إلى البدويِّ، وضرب عُنُقَ الأمير، فقال البدويُّ: هي طالقٌ لكـونهـا سكتتْ ورَضِيَتْ، فقـال الملكُ: صَدَقْتَ، ولـو لم تُطَلِّقْها لألحقتُك به. ثم أمر بالمرأة فقُتلت.

وامتدّت أيامه ثم تَملّك غرناطةَ ابنُ أخيه عبدُالله بن بُلُكِّين بنِ حَبُوس وبقي حتى أخذها منه يُوسفُ بنُ تاشفين، سنة بضعٍ وثمانين وأربع مئة.

٨١٢ - المُظَفَّر بن الأفطس[١]

[٢] سُلطانُ الثَّغرِ الشماليِّ من الأندلس، ودارُ مُلْكِه بَطَلْيَوْس.

(١) انظر السير: ١٨/ ٥٩٤-٥٩٧.

[١] كان رأساً في العلم والأدب والشجاعةِ والرأي، فكان مُناغراً[1] للروم شجىً في حُلُوقهم، لا يُنَفِّسُ لهم مَخْنَقاً، ولا يُوجدُ لهم إلى الظهور عليه مُرتقى، وله آداب تُغير سراياها، فَتَسبي عَذارى معانٍ لا تَعشقُ المحامدُ إلا إيّاها، ألفاظٌ كالزلزال، وأغراضٌ أبعدُ من الهلال، رائقُ النظم ذكيُّ النور، رصيفُ المعاني، شاهقُ الغور، وله تأليفُ كبير في الآدابِ على هيئة «عيون الأخبار» لابن قُتيبة، يكون عشرَ مجلدات، ومن نَثْره ـ وقد غنم بلادَ شلمنكة وهي مجاورتُه، فكتب إلى المعتمد بالله يَفخر، ويُنَكِّتُ عليه بمسالمته للروم، فقيل: إنه حَصَّل من هذه الغزوة ألفَ جاريةٍ حسناءَ من بنات الأصفر ـ: مَنْ يَصِدْ صَيْداً فَلْيَصِدْ كَما صَيْدِي، صَيْدِي الغَزَالَةُ من مَرابض الأسد. أيها الملك إنّ الروم إذا لم تُغْزَ غَزَتْ، ولو تعاقدنا تعاقدَ الأولياء المُخلصين فَلَلْنا حَدَّهم وأذْلَلْنا جَدَّهم،[2] ورأيُ السيِّدِ المعتمدِ على الله سراجٌ تُضيء به ظُلمات المنى.

وللمظفَّر تفسيرٌ للقُرآن.

وكان مع استغراقه في الجهاد لا يفتر عن العلم، ولا يترك العدل.

[٢] وكان كاتبُه الوزير أبو محمد عبدُالله بن النحويِّ أحدَ البلغاء فكتب أذفونش ـ لعنه الله ـ يُرْعِدُ ويُبْرِق، فأجاب: وصل إلى الملك المُظَفَّر من عظيم الروم كتاب مُدّع في المقادير، يُرعِدُ ويُبْرِق، ويجمعُ تارة ويُفرِّق، ويهدد بالجنود الوافرة، ولم يدر أنَّ لله جنوداً أعزَّ بهم الإسلامَ، وأظهر بهم دينَ نبيِّنا عليه الصلاة والسلام، يُجاهدون في سبيل الله، ولا يخالفون لومةَ لائم، فأما تعييرُك للمسلمين فيما وهَنَ من أحوالهم، فبالذُّنوبِ المركوبة، والفِرَق المنكوبة، ولو

---

(١) أي مغيظاً لهم.

(٢) الجدُّ: الجلال والعظمة.

اتفقت كلمتُنا علمتَ أيَّ صائبٍ أذقْناك، كما كانت آباؤك مع آبائنا، وبالأمسِ كانت قطيعةُ المنصور على سَلَفِك، أهدى ابنتَه إليه،مع الذخائر التي كانت تَفِدُ في كل عام عليه، ونحن فإن قَلَّت أعدادُنا، وعُدم من المخلوقين استمدادُنا، فما بيننا وبينك بحرٌ تُبصره في يومك، وبالله وملائكتِه نَتقوىً عليك، ليس لنا سواه مطلب، ولا إلى غيره مَهْرَب، وهل تربَّصُون بنا إلا إحدى الحُسْنَيَيْنِ: شهادةٌ، أو نصرٌ عزيز.

ولما تُوفي المظفر بعد السبعين وأربع مئة أو قبلَها، قام في المُلك بعده ولدُه الملقب بالمتوكل على الله أبو حفص عُمرُ بنُ الأفطس صاحبُ بَطَلْيَوس ويابُرة وشَنْتَرين وأُشْبُونة فكان نحواً من أبيه في الشجاعة والبراعة والأدب والبلاغة، فبقي إلى أن قتله المرابطون جُنْدُ يوسفَ بنِ تاشفينَ صبراً، وقتلوا معه ولديه الفضلَ وعبّاساً، في سنة خمسٍ وثمانين وأربعِ مئة، إذِ استولَوا على الأندلس.

٨١٣ - رزقُ الله

[١]ابنُ الإمام أبي الفرج، عَبدِالوهّاب بن عبدِالعزيز بن الحارث الشيخُ الإمام المُعَمَّرُ، الواعظ، رئيس الحنابلة، أبو محمد التَّميميُّ البغدادي. ولد سنة أربعِ مئة.

قال السمعانيُّ: هو فَقيهُ الحنابلة وإمامهُم، قرأ القرآن والفقهَ والحديثَ والأصول والتفسيرَ والفرائضَ واللُّغة والعربيَّة، وعُمِّر حتى قُصد من كل جانب، وكان مَجلسُه جَمَّ الفوائد، كان يجلس في حَلْقةٍ له بجامع المنصور للوعظ والفتوى، وكان فصيحَ اللسان.

[٢]قال أبو عليٍّ الصَّدَفيُّ: قرأتُ علي رزق الله التميميِّ برواية قالون ختمةً، وكان كبيرَ بغداد وجليلَها، وكان يقولُ: كُلُّ الطوائف تَدَّعيني، وسمعتُه يقولُ:

(١) انظر السير: ١٨/ ٦٠٩-٦١٦.

يَقبُح بكم أن تستفيدوا منّا، ثم تذكرونا فلا تترحَّموا علينا، رحمه الله.

[١]وقال أبوعامر العَبْدَرِيُّ: كان أبو مُحمد ظريفاً لطيفاً، كثيرَ الحكايات والمُلَحِ، ما أعلم منه إلّا خيراً.

وقال ابنُ ناصر: ما رأيتُ شيخاً ابنَ سبعٍ وثمانين سنةً أحسن سمتاً وهدياً واستقامةَ قامةٍ منه، ولا أحسنَ كلاماً، ولا أظرف وَعْظاً، وأسرعَ جواباً منه. فلقد كان جمالاً للإسلام ـ كما لُقِّب ـ وفخراً لأهل العراق خاصَّةً، ولجميع البلاد عامّةً، ما رأينا مثلَه، وكان مُقَدّماً وهو ابنُ عشرين سنةً، فكيف اليوم؟ وكان ذا قدرٍ رفيعٍ عند الخُلفاء.

تُوفي أبومحمد التَّميميُّ سنةَ ثمانٍ وثمانينَ وأربعِ مئة، ودُفن في داره بباب المراتب ثم نُقل فدفن في سنة إحدى وتسعين إلى جانب قبر الإمام أحمدَ بن حنبل.

٨١٤ ـ أبو يوسُفَ القَزْوِينيُّ[١]

الشيخ العلّامة، البارع، شيخُ المعتزلةِ وفاضِلُهم، أبو يوسفَ عبدُالسلام بنُ محمد بنِ يوسفَ القَزوِينيُّ المُفسِّرُ، نزيلُ بغداد.

[٢]ابن عَقيل في «فنونه» قال: قَدم علينا من مصرَ القاضي أبو يوسفَ القَزوِينيُّ، وكان يفتخر بالاعتزال، ويتوسّعُ في قدح العلماء وله جُرأةٌ، وكان إذا قصد بابَ نظامِ الملكِ، يقول: استأذنوا لأبي يوسفَ المُعتزليِّ، وكان طويلَ اللسان بعلمٍ تارةً، وبَسَفهٍ تارةً، لم يكن مُحققاً إلا في التفسير، فإنه لَهِجَ بذلك حتى جمع كتاباً بلغ خمسَ مئةِ مُجلد، فيه العجائب، رأيتُ منه مُجلدةً في آية واحدة، وهي ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾(البقرة: ١٠٢) فذكر السِّحرَ والملوك الذين نفَق عليهم السِّحرُ، وتأثيراتِه وأنواعَه.

---

(١) انظر السير: ١٨/ ٦١٦-٦٢٠.

[١] وقال محمدُ بنُ عبدالملك، مَلك من الكُتب ما لم يَملِكْه أحدٌ. قيل: ابتاعها من مصرَ بالخُبزِ وقتَ القحط، وحدثني عبدُالمحسن بنُ محمد أنه ابتاعها بالأثمان الغالية، كان يبتاعُ من كتب السيرافيِّ وكانت أزيدَ من أربعين ألف مُجلد، فكان أبو يوسفَ يشتري في كل أسبوع بمئةِ دينار، ويقولُ: قد بِعتُ رحلي وما في بيتي. وكان الرؤساء يَصِلُونه.

[٢] قيل: دخل الغزَاليُّ إليه، وجلس بين يديه فقال: من أين أنت؟ قال: من المدرسة ببغداد، قال الغزاليُّ: لو قلتُ: إني من طوس لذكر تَغفيلَ أهلِ طوس، من أنَّهم سألوا المأمون، وتوسَّلُوا إليه بقبرِ أبيه عندهم، وطلبوا أن يُحوِّلَ الكعبةَ إلى بلدهم، وأنه جاء عن بعضِهم أنه سُئل عن نجمه، فقال: بالتَّيس. فقيل له، فقال: كان من سَنتين بالجدي، والساعةَ قد كَبِرَ.

وقال ابن ناصر: مات سنةَ ثمانٍ وثمانين وأربعِ مئة.

٨١٥ سُليمان بنُ إبراهيمَ(١)

[١]ابنِ محمد الحافظ العالمُ المحدِّث المفيدُ، أبو مسعودٍ الأصبَهانيّ.

وُلِدَ سنةَ سبعٍ وتسعين وثلاث مئة.

قال السَّمعـانيُّ: كانت له معـرفـةٌ بالحديث، جمعَ الأبـوابَ، وصنَّف التصانيفَ، وخرَّج على «الصحيحين»، سألتُ أبا سعدٍ البغداديَّ عنه فقال: لا بأسَ به، ووصفَه بالرِّحلة والجَمْعِ، والكَثْرةِ، كان يُملي علينا فقام سائلٌ يطلب، فقال سليمان: من شُؤمِ السائلِ أن يسألَ أصحابَ المحابرِ.

وسألت إسماعيلَ الحافظ عنه، فقال: حافِظٌ. وأبوه حافظ.

[٢]وقال يحيى بن مَندة: في سماعه كلامٌ، سمعتُ من ثقاتٍ أن له أخاً يُسمّى إسماعيلَ أكبرَ منه، فحكَّ اسمَه، وأثبت اسمَ نفسه، وهو شيخ شَرِهٌ لا يتورَّع، لحَّان وقَاح.(٢)

تُوفِّي سنةَ ستٍ وثمانين، وله تسعون عاماً غير أشهر.

[٣]وينبَغي التوقّفُ في كلام يحيى، فبينَ آلِ منده وأصحاب أبي نُعيمٍ عداواتٌ وإحَنٌ.

٨١٦ - ظَهيرُ الدِّيـن(٣)

[٤]الوزيرُ العادلُ، ظهيرُ الدين، أبو شجاع محمد بن الحسين بن محمد.

---

(١) انظر السير: ١٩/ ٢١-٢٥.

(٢) في اللسان: وقُحَ الرجلُ: إذا صار قليلَ الحياء، فهو وَقح وَوَقَاحٌ.

(٣) انظر السير: ١٩/٢٧-٣١.

مولده بقلعة كَنْكَور، من أعمال هَمَذان، سنة سبعٍ وثلاثين وأربعِ مئة.

[١] خَدَم وليَّ العهدِ المقتدي، وصار صاحِبَ سِرِّه، فلما استُخْلِفَ، عَظُمَ وأقبلت سعادتُه، وتمكَّن من المقتدي تمكناً عجيباً، وعزَّتِ الخلافةُ وأمِنَ النَّاسُ، وعُمِرَتِ العراق، وكَثُرتِ المكاسبُ.

[٢] وكان كثيرَ التلاوةِ والتهجّدِ، ويكتب مصاحِفَ، ويجلس للمظالم فيغتصُّ الديوانُ بالسادة والكبراء، ويُنادي الحُجَّابُ: أين أصحابُ الحوائج؟ فيُنْصِفُ المظلومَ، ويؤدِّي عن المحبوس، وله في عدله حكايات في إنصاف الضعيفِ من الأمير.

[٣] وقيل: إنه أمر ليلةً بعمل قطائف، فلما أُحضِرت، تذكر نفوسَ مساكينَ تشتهيها، فأمر بحملها إلى فقراءَ وأضِرَّاء.

[٤] وقيل: أُحصي ما أنفقه على يد كاتبٍ له، فبلغ أزيدَ من مئةِ ألف دينار. قال الكاتب: وكنت واحداً من عشرة يَتَوَلَّوْنَ صدقاتِه.

[٥] وزر سبعَ سنين وسبعةَ أشهر، ثم عُزِلَ ثم خرج إلى الجمعة، فضجَّتِ العامّةُ يدعون له، ويُصافحونه، فأُلزم لذلك بأن لا يخرج مِن داره، فاتخذ في دِهليزه مسجداً، ثم حج لِعامِه، ورجع، فمُنِعَ من دخول بغداد، وبُعِثَ إلى رُوذْراور، فبقِيَ فيها سنتين، ثم حجَّ بعد موتِ الخليفة، ونزل المدينةَ وتزهّد، فمات خادِمٌ، فأعطى الخدّامَ ذهباً حتى جُعِلَ موضِعَ الخادم، فكان يكنُس ويُوقِد، وحَفِظَ القرآنَ هناك.

دُفن بالبَقيع سنةَ ثمان وثمانين وأربع مئة عن إحدى وخمسين سنة، رحمه الله تعالى.

٨١٧ - مَلِكْشَــــاه [١]

[١]السلطانُ الكبيرُ جلالُ الـدَّوْلَةِ أبو الفَتحِ مَلِكْشَاه بنُ السلطانِ ألب أرسلان محمد بن جغريبَك السّلجوقيُّ التُّركيّ.

تَمَلَّكَ بعد أبيه ودبَّر دولتَه النظامُ الوزيرُ بوصيةٍ من ألب أرْسلان إليه في سنةِ خمسٍ وستينَ.

[٢]تَمَلَّكَ من المدائن ما لم يملكه سلطان، فمن ذلك مَدَائنُ ما وراءَ النَّهرِ وبلادُ الهَيَاطِلة، [٢] وبلادُ الروم، والجزيرة، وكثيرٌ من الشام، فتملَّك مِن كَاشْغَرَ [٣] إلى القـدس طُولاً، ومن أَطراف قُسْطَنطِينية إلى بلاد الخَزَر [٤] وبَحر الهند عرضاً، وكـان حسنَ السيرة لَهِجاً بالصَّيد واللَّهو مغُرىً بالعمائر، وحفرِ الأنهار، وتَشييدِ القناطر، والأسوارِ، وَعَمَّرَ ببغدادَ جامعاً كبيراً، وأبطل المُكوسَ والخفاراتِ في جميع بلاده.

[٣]يقال: إنه ضبَط ما اصطاده بيده فبلغ عشرةَ آلافِ وَحشٍ، فتَصدَّقَ بعشرة آلافِ دينارٍ، وقال: إنِّي خائِفٌ من إزهاق الأرواحِ لِغير مَأْكَلَةٍ.

[٤]شيَّعَ مرةً ركبَ العراق إلى العُذَيب، [٥] فصادَ شيئاً كثيراً، فَبَنى هناك منارة القرون من حوافر الوَحشِ وقرونِها، ووقف يتأمّل الحُجّاج، فَرَقّ ونزل وسجد،

---

(١) انظر السير: ١٩/ ٥٤ـ٥٨.

(٢) قال ياقوت في معجم البلدان: هَيْطَل: اسم لبلاد ما وراء النهر، وهي بخارى، وسمرقند، وخُجَند. سُمِّيَ بهطيل بن عالم بن سام بن نوح عليه السلام.

(٣) قال ياقوت: هى مدينة وقرى ورساتيق يسافر إليها من سمرقند وتلك النواحي وهي في وسط بلاد الترك.

(٤) قال ياقوت: هي بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروف بالدربند، وقيل: سُمِّيَ بالخزر بن يافث بن نوح.

(٥) هو ماء بين القادسية والمُغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال.

وعفَّر وجهَه وبكى، وقال بالعجميّة: بلِّغوا سلامي إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وقولُوا: العبدُ العاصي الآبقُ أبو الفتحِ يخدم ويقول: يا نَبيَّ الله، لو كنتُ مِمَّن يصلُح لِتِلك الحضـرةِ المقدَّسةِ، كنتُ في الصُّحبة، فضجَّ الناسُ وبكَوْا، ودَعَوْا له.

[١]وأَمِنَتِ الـطُّرُقُ في دولتـه، وانحلَّتِ الأسعارُ، وتزوَّج الخليفةُ المُقتَدِي بابنته بِسِفَارة شيخ الشافعيّةِ أبي إسحاق،[1] وكان عُرْسُها في سَنة ثمانين وعُمِلَتْ دعوةٌ لجيشِ السلطان ما سُمِعَ بمثلها أبداً، فمما دخل فيها أربعون ألف مَنّاً سُكَّراً. فولدت له جعفراً.

[٢]وقَـدِمَ مَلِكشـاه بغـداد مرَّتين وقدِم إلى حلب، ولم يكن لِلمقتدي معه غيرُ الاسم، ثم قَدِمهـا ثالثـاً عليلاً. وكـان المُقتـدي قد فَوَّض العهـدَ إلى ابنـه المستظهِر، فألزمه مَلِكشاه بعزله، وأن يُولِّيَ ابنَ بنتِه جعفراً، وأن يُسلِّمَ بغدادَ إليه، ويتحوَّل إلى البصرة، فشقَّ على المقتدي، وحار ثم طَلَب المُهلةَ عشرةَ أيّام لِيتجهَّـزَ، فصـام وطـوى، وجلس على التُّراب وتضـرَّع إلى ربـه، فَقَوَى بالسلطان المرضُ، ومات في شوَّال سنة خمسٍ وثمانين عن تسعٍ وثلاثين سَنَة فقيل: سُمّ في خِلالٍ تَخَلَّلَ به، وكان وزيرُهُ النِّظام قد قُتِلَ من أيَّام، ولم يشهدِ السلطانَ كبيرُ أحد، ولا عُمِلَ له عزاءٌ ونُقِلَ تابوتُه إلى أصبَهان، فَدُفِنَ في مدرسةٍ عظيمة.

وقد تزوَّج المستظهرُ بالله بخاتون بنْتِهِ الأخرى، وتنازع في المُلك أولادُهُ من بعده زماناً، وكان آخِرَهم مَوتاً ابنُهُ سَنْجَر صاحبُ خراسان، عاش بعدَ أبيه أقلَّ من سبعين سنة.

---

(١) هو ابو إسحاق الشيرازي صاحب «المهذَّب» و «التنبيه».

٨١٨ ـ المُعْتَمِدُ بنُ عبَّـــاد(١)

[١] صاحبُ الأندلسِ، المُعْتمِدُ على الله أبو القاسم مُحمدُ بنُ الملكِ المُعْتَضِدِ بالله أبي عمرو، عبَّاد بن الظَّافر بالله أبي القاسم، قاضي إشْبيلية، ثم مَلِكُها، مُحمد بن إسماعيل بن قُريش اللَّخْميّ.

حكم المُعتَمِدُ على المدينَتين قُرطبةَ وإشْبيلية، وأصلهم مِن الشَّام من بلد العَريشِ. فدخل أبوالوليد إسماعيلُ بنُ قُريش إلى الأندلس، ثم برع في الفقه، وَوَلِيَ القضاءَ، ثم تملَّكَ مُدَّةً، وقام مِن بعده ابنُهُ المُعْتَضِد، فساسَ المَمْلكةَ بإشبيلية، وبايعُوهُ بالمُلك في سنةِ ثلاثٍ وثلاثينَ وأربعِ مئة.

وكـان شهْماً، صَارِماً، دَاهِيَةً، ذَبَحَ جماعةً من أعوان أبيه وصادَرهم، وعلا شأنُهُ، ودانت له الأمَمُ.

غرز خشباً في قصره، وعَمَّمَها برؤوس كبارٍ وملوكٍ، وكانوا يُشبِّهونه بالمنصور العباسيّ. ورام ابنُهُ إسماعيلُ اغتيالَه، فأخذه، وضربَ عنقَه، وعَهِدَ إلى ابنه المعتمد

قيل: سمَّه طاغيةُ الفِرَنْجِ في ثوبٍ فاخر، أهداه له.

[٢] ومن جَبَروتِهِ وعُتُوِّه أنه أخذ مالاً لأعمى، فحجَّ وجاور بمكة، فبلغ المعتضِدَ أنّـه يَدعـو عليه، فندبَ رجلاً أعطاه جُملَةَ دنانيرَ مطليَّةً بِسُمّ فسارَ إلى مكة، وأوصله الذهب، فقال: يَظلمني بإشبيلية، ويَصِلُني هنا؟! ثم وضع منها ديناراً في فَمه كَعَادَةِ الأضِرَّاء، فمات مِن الغد.

[٣] وقـد سَكِـرَ ليلةً، وخـرج في الليل معـه غلامٌ، وسار مخموراً، حتى وافى

---

(١) انظر السير: ١٩/ ٥٨-٦٧.

قَرْمُـونه،[1] وصاحبها إسحاق البِرْزال، وبينهما حُروب، وكان يشرب أيضاً في جمـاعة، فاستأذَن المُعَتضِدُ، ودخل، فزاد تعجُّبهُم. فسلَّم وأكل، وألَّ[2] من سُكْرِه، وسُقِطَ في يده، لكنه تجلَّد، ثم قال: أُريد أن أنام. ففَرشوا له، فتناوم، فقال بعضُهم: هذا كَبش سمينٌ، والله لو أنفقتُم مُلكَ الأندلسِ عليه ما قَدَرْتُم. فقـال مُعاذ بن أبي قُرّة: كلاّ، رجل قَصَدَنا ونَزَل بنا مستأمِناً، لا تَتَحدّث عنا القبائلُ أنّا قتلنا ضَيفَنا ثم انتبه وقام، فقبَّلُوا رأسه، وقال للحاجب: أين نحن؟ قال: بينَ أهلِك وإخـوانـك. قال: هاتوا دواة، فكتب لكل منهم بخلعة ومال وأفـراس وخَدَمٍ. وأخذ معه غِلمانهم لقبض ذلك، وركب، فَمَشَوْا في خِدمته لكن أساء كلَّ الإساءة، طلبهم بعدَ أشهرٍ لِوليمة، فأتاه سِتّون منهم فأكرمهم، وأنـزلهم حَمّـاماً، وطيَّنـه عليهم سِوى معـاذ، وقال لمعاذ: لم تُرَعْ، حَضَرَتْ آجالُهم، ولولاكَ، لقَتلوني، فإن أردت أن أقاسِمَك مُلكي، فعلت، قال: بل أُقيم عندك، وإلاَّ بأيِّ وجه أرجِعُ، وقد قتلتَ ساداتِ بَني بِرْزال، فصَيَّره مِن كبار قُوّاده، وكانَ من كِبار قواد المُعتَمد.

هلك المُعَتضِدُ سنة أربع وستين وأربع مئة.

قال أبوبكر محمد بن اللَّبَّانَة الشاعر: مَلَكَ المُعتمِدُ من مُسوَّرات البلاد مئتي مُسوّر، وولد له مئة وثلاثة وسبعون ولداً، وكان لمطبخه في اليوم ثمانيةُ قَناطير لحم، وكُتَّابُه ثَمانيةَ عشر.

[١] قال ابنُ خلِّكـان: كان الأذْفـونشُ قد قَوِيَ أمـرُه، وكانت الملوكُ بالأندلس يُصـالحونه، ويَحمِلُون إليه ضرائبَ، وأخذ طُليطلَةَ في سَنةِ ثمانٍ وسَبعين بعدَ حِصارٍ شديد، مِن القادِر بن ذي النُّون، فكان ذلك أوَّلَ وَهْنٍ دخل مِن الفِرَنْج على المسلمين، وكـان المُعْتَمِـدُ يُؤدي إليه، فلمـا تمكّن لم يقبلِ الضَّريبةَ،

---

(١) غربي قرطبة وشرقي إشبيلية، قديمة البنيان.

(٢) في اللسان: ألَّ في سيره ومشيه، إذا أسرع واهتز واضطرب.

وتهـدَّدَه، وطلب منه أن يُسلِّمَ حُصوناً، فضرب الرسولَ وقَتَل مَنْ معه، فتحرَّك اللَّعينُ، واجتمع العُلماءُ، واتَّفقوا على أن يُكاتِبُوا الأميرَ أبا يَعقوبَ بن تاشِفينَ صاحبَ مَرَّاكُش ليُنْجِدَهم، فعَبَر ابنُ تاشفينَ بجيوشه إلى الجزيرة، ثم اجتمع بالمُعتَمِـد، وأقبلت المُـطوِّعةُ مِن النَّواحي، وركب الأذْفونش في أربعين ألف فارس، وكتب إلى ابن تاشفين يتهـدده فكتب في ظهـر كتـابه: «الذي يكون ستَـراه». ثم التقى الجَمعانِ واصطدمَ الجبلانِ بالزَّلَّاقَةِ من أرض بَطَلْيَوْس،(1) فانهزم الكَلبُ، واستؤْصِل جمعُه وقلَّ مَنْ نَجا، في رَمضان سنة تسعٍ وسبْعين، وجُرِحَ المُعتمِدَ في بَدَنه ووجهه، وشُهد له بالشجاعةِ والإقدام، وغَنِمَ المسلمون ما لا يُوصف. وغدا ابنُ تاشفين.

[١]ثم عَبَر في العام الآتي، وتلقاه المُعتَمِد، وحاصرا حِصناً للفِرَنْج وترجَّل ابنُ تاشفين، فمرَّ بغَرناطة، فأخرج إليه صاحبُها ابن بُلُكِّين تقادِمَ وهَدايا وتلقاه، فَغَدر به، واستـولى على قَصره، ورجـع إلى مَرَّاكُش وقـد بَهـره حُسنُ الأنـدلسِ وبساتينُها، وحسَّن له أُمراؤه أخذَها، ووحَّشوا قلبَه على المعتمد.

[٢]قال عبدُالواحدِ بن عَليّ: غلب المعتمِدُ على قُرطبة في سنة (٤٧١) فأخرج منها ابن عُكاشة، إلى أن قال: وجالَ ابنُ تاشفين في الأندلس يتفرَّجُ، مضمِراً أشياء، معظماً للمعتمِد، ويقول: نحنُ أضيافُه وتحتَ أمرِه، ثم قرَّر ابنُ تاشفين خَلْقاً من المرابطين يُقيمون بالأندلس، وأحبَّ الأندلسيون ابنَ تاشفين، ودَعَوْا له، وجعل عندهم بُلَّجين قرابته، وقرَّر معه أموراً، فهاجت الفتنةُ بالأندلس في سنـة ثلاثٍ وثَمـانين، وزَحَفَ المُرابطون، فحاصروا حُصوناً للمعتمد، وأخذوا بعضَها، وقتلُوا وَلَدَه المأمونَ في سنةِ أربع، فاستحكَمت الإِحْنَةُ، وغَلَتْ مراجلُ الفِتنةِ، ثم حاصروا إِشْبيلية أشدَّ حصار، وظَهر مِن بأس المعتمِدَ وترامِيه على

---

(١) مدينة كبيرة بالأندلس، تقع على الحدود الشرقية للبرتغال، كانت عاصمة بني الأفطس التجيبيين في عهد ملوك الطوائف.

الاستشهاد ما لم يُسْمَعْ بمثله، وفي رجب سنة أربع، هَجَمَ المرابطون على البَلَد وشَنُّوا الغارات، وخرج الناسُ عَرايا، وأَسَروا المعتمِد.

[١]قال عبدُالواحد: برز المعتمِدُ من قصره في غِلالَةٍ، بلا دِرْعٍ ولا دَرَقةٍ وبيده سيفُه، فرماه فارس بحربة أصاب الغِلالة، وضربَ الفارسَ فتلَّه فولَّتِ المرابطون. ثم وقتَ العَصرِ، كرَّتِ البَربرُ، وظهروا على البلد من واديه، ورَمَوْا فيه النارَ، فانقطع العملُ، واتسع الخَرْقُ على الراقع بقُدوم ابن أخي السُّلطانِ، ولم يترك البربرُ لأهل البلد شيئاً، ونُهِبتْ قصور المُعتمِدِ، وأُكْرِهَ على أن كَتَبَ إلى وَلَدَيْه أن يُسلِّما الحِصْنَيْن وإلا قُتِلْتُ، فَدَمِي رهنٌ على ذلك، وهما المُعتَدُّ، والـرَّاضِي وكانا في رُنْدَةَ ومارْتله فنزلا بأمانٍ ومواثيقَ كاذبة فقتلوا المعتدَّ وقتلوا الـرَّاضيَ غِيلة، ومَضَوْا بالمعتمدِ وآله إلى طَنْجَةَ بعد أن أفقروهم، ثم سُجِنَ بأغْمات[1] عامين وزيادة، في قِلَّة وذِلَّة.

[٢]قيل: إن بناتِ المُعتَمِدِ أتَينه في عِيدٍ، وكُنّ يَغزِلْنَ بالأُجرة في أغْماتَ، فرآهُنَّ في أطمَارٍ رَثَّةٍ، فَصَدَعْنَ قَلْبَه، فقال:

فِيمَا مَضَى كُنْتَ بالأعْيَاد مَسْرُورا	فَسَاءَكَ العِيدُ في أغْمَات مَأْسُورا
تَرَى بَنَاتِكَ في الأطْمَارِ جَائِعَةً	يَغْزِلْنَ لِلنَّاسِ ما يَمْلِكْنَ قِطْمِيرا
بَرَزْنَ نَحْوَكَ لِلتَّسْلِيم خَاشِعَةً	أبْصَارُهُنَّ حَسِيرَاتٍ مَكَاسِيرا
يَطَأْنَ في الطِّينِ وَالأقْدَامُ حَافِيَةٌ	كَأنَّها لم تَطَأْ مِسْكاً وكَافُورا

مَوْلِدُه سَنةَ إحدى وثلاثين وأربعِ مئة وماتَ سنةَ ثمانٍ وثمانين وأربعِ مئة.

وقد سَمَّى ابنُ اللبَّانةِ بَني المعتَمِدِ بأسمائهم وألقابِهِم، فَعَدَّ نَحواً مِن ثلاثين نَفْساً، وعدَّ له أربعاً وثلاثين بنتاً.

قلت: افتَقَروا بالمرَّة، وتعلَّموا صَنائعَ، وكذلك الدهرُ، نَسأل الله المَغفرةَ.

---

(١) أغمات: ناحية في بلاد البربر المصامدة من أرض المغرب قرب مراكش.

٨١٩ ـ الخِلَعِـــيّ(١)

[١]الشيخُ الإمامُ الفقيهُ القُدوة، مُسْنِدُ الديارِ المصريّة، القاضي أبو الحَسَنِ عليٌّ ابنُ الحَسَنِ بنِ الحُسينِ المَوْصِليُّ الأصل، المِصريّ الشَّافعيّ الخِلَعيّ.

مولدُه بمصر في أوَّلِ سَنَة خمسٍ وأربعٍ مئة.

قال ابن سُكَّـرة: هو فَقيه، له تَصـانيف، وَلِيَ القَضاءَ، وحكم يوماً واحداً واستعفى، وانزوى بالقَرَافة،(٢) وكان مُسْنِدَ مصرَ بعدَ الحَبَّال.

كان يَبيعُ الخِلَعَ لملوك مصرَ.

[٢]كان القاضي الخِلَعيّ يَحْكُم بَيْنَ الجنِّ، وإنَّهُم أبطؤوا عليه قَدرَ جُمعةٍ ثم أتَوْه، وقالوا: كان في بيتك أُتْرُجٌّ، ونحن لا ندخلُ مكانا يكونُ فيه.

[٣]عن أبي الفضل الجَوْهَريِّ الوَاعِظ، قال: كنتُ أتَرَدَّدُ إلى الخِلَعِيِّ فَقمتُ في ليلةٍ مُقمِـرَةٍ ظَننتُ الصُّبـحَ، فإذا على باب مَسْجِـدِهِ فرس حسنـة فصعدتُ، فَوَجدتُ بينَ يديه شابّاً لم أر أحسنَ منه يَقرأ القُرآنَ، فجلستُ أسْمَعُ إلى أن قرأ جُزءاً، ثم قال لِلشّيخ: آجرَكَ الله. قال: نَفَعك الله، ثم نزل، فنزلتُ خلفَه، فلما استوى على الفَرس، طارت به فغُشِيَ عليّ، والقاضي يصيح بي: اصْعَدْ يا أبا الفَضلِ، فصَعِدْتُ، فقال: هذا من مُؤمِني الجِنِّ، يأتي في الأُسبوع مَرَّةً يقرأ جُزءاً ويَمضي.

[٤]قال أبوالحسن عليُّ بنُ أحمدَ العابد: سَمعتُ الشيخ ابن بَخيساه قال: كنا ندخـلُ على القـاضي أبي الحَسنِ الخِلَعيِّ في مَجلسـه، فنجِـدُه في الشِّتـاء والصَّيف وعليه قميصٌ واحدٌ، ووجهُه في غايةٍ من الحسن، لا يتغير من البَرد ولا

---

(١) انظر السير: ١٩/ ٧٤ـ٧٩.

(٢) القرافة: قرافتان، الكبرى منهما ظاهر مصر، والصغرى ظاهر القاهرة، وبها قبر الشافعي رحمه الله.

مِن الحرّ، فسألتُه عن ذلك، فتغيَّر وجهُه، ودمَعت عينُه، ثم قال: أتكتمُ عليَّ ما أقول؟ قلتُ: نعم. قال: غَشِيَتْني حُمَّى يوماً، فنِمْتُ في تلك اللَّيلة، فهتَف بي هاتفٌ، فناداني باسْمي، فقلتُ: لبَّيْكَ داعيَ الله، فقال: لا، قُلْ: لَبَّيكَ رَبِّيَ الله، ما تَجِدُ من الألم؟ فقلتُ: إلهي وسَيِّدي، قد أخَذَتْ منّي الحُمّى ما قد علِمْتَ، فقال: قد أمرتُها أن تُقْلِعَ عَنْك، فقلت: إلهي، والبردَ أيضاً؟ قال: قد أمرتُ البردَ أيضاً أن يُقْلِعَ عنكَ، فلا تجدُ ألَمَ البَرْدِ ولا الحرّ، قال: فوالله ما أُحِسُّ بما أنتمُ فيه من الحرِّ ولا من البرد.

مَاتَ الخِلَعِيُّ بمصرَ سنةَ اثنتين وتسعين وأربعِ مئة.

٨٢٠ - تُتُش(١)

الملك تاجُ الدَّولة تُتُش بنُ السلطان أبي شُجاع ألب أرسلان.

كان شُجاعاً مَهيباً جبّاراً، ذا سطوةٍ، وله فتوحاتٌ ومصافّات، وتملَّك عدَّةَ مدائن، وخُطِبَ له ببغداد، وصارَ من كبار ملوكِ الزَّمان.

وكان يتغالى في حُبِّ الشيخ أبي الفرجِ الحنبليّ.

وكان عسُوفاً للرعية، تملَّك دمشقَ بعدَه ابنُه شمسُ الملوك دُقاق وغيرُه، ثم مملوكُه طُغْتكين وأولادُه، إلى أن تملَّكها العادِلُ نورُ الدينِ السَّلجوقيّ، ثم صلاحُ الدين وابنُه، ثم أخوه، وأهلُ بَيتِه، ثم مَواليهم وإلى اليوم.

---

(١) انظر السير: ١٩/ ٨٣-٨٥.

٨٢١ - الحَمَـــويّ[1]

[١]الإمامُ المفتي، شيخُ الشافعية، قاضي القضاة، أبوبكر محمد بنُ المظفَّرِ بنِ بَكران الشاميُّ الحَمَويُّ الشافعيُّ الزَّاهدُ.

وُلِدَ سنة أربعِ مئة، وقَدِم بغداد شاباً.

[٢]قال السمعانيّ: هو أَحد المُتْقِنين للمذهب، وله اطِّلاع على أسرارِ الفِقْه، وكـان وَرِعاً زاهِداً، مُتَّقياً سَديدَ الأحكام، وَلِيَ قضاءَ القُضاةِ بعد أبي عبدالله الدَّامَغانيّ مدةً إلى أن تَغيَّر عليه أميرُ المؤمنين المُقْتدي فمنع الشهودَ من حُضورِ مجلسِه مدّةً، فكان يقول: ما أنْعزِلُ ما لم يتحقَّقْ عليَّ فِسق، ثم إن المقتدي رضيَ وخَلَع عليه.

[٣]وشَهِدَ عِنده المشطَّب الفَرْغانيّ،[2] فلم يقبلْه، لكونه يَلْبَسُ الحريرَ فَقَال: تردُّني، والسلطانُ ووزيرُه نظام المُلْكِ يَلْبَسانه؟! فقال: ولو شَهِدا، لما قبلتُهما.

[٤]قال ابنُ النَّجار: تَفقَّه على القاضي أبي الطَّيِّب، ولم يأخذْ على القَضاء رِزْقاً، ولا غيَّرَ مَأْكلَه ولا مَلبَسه، وكان يُسَوِّي بينَ الناس فانقلبَ عليه الكبراء، وكان نَزِهاً وَرِعاً على طَريقة السلفَ، له كارك[3] يُؤجِّرُه كل شهرٍ بدينارٍ ونِصف، كان يَقْتاتُ مِنه، فلما وَلِيَ القَضاءَ، جاء إنسانٌ، فَدفع فيه أربعةَ دنانير، فأبى، وقال: لا أغيِّرُ ساكِني، وقد ارتبتُ بكَ، هلاَّ كانت الزِّيادةُ من قَبل القضاء.

قال أبـو عَلي الصَّـدَفيُّ: هو وَرِع زاهدٌ. وأما الفِقْه، فكان يُقال: لو رُفِعَ مذهبُ الشافعي، لأمْكنه أن يُمْلِيَه من صَدْره.

---

(١) انظر السير: ١٩/ ٨٥ـ٨٨.

(٢) هو أبـو المـظفـر المشـطب بن محمـد بن أسامة الفرغاني من فرغانة ما وراء نهر جيحون، كان من فحول المناظرين، وكانت له يد باسطة في النظر والجدل، وكان مختلطاً بالعسكر، وكان لا يفارقهم.

(٣) الكلمة فارسية، ومعناها: البيت كما يفهم من هذا السياق.

قلتُ: كان قدومُه بغدادَ في سنة عشرين وأربع مئة، وكانَ مِن أوْعية الفقه، وقد صنَّف «البيان في أصول الدين» ينحو فيه إلى مذهب السَّلَف.

مات سنةَ ثمان وثمانين وأربعِ مئة، وقد قاربَ التِّسعين ودُفِنَ في تربةٍ له عند أبي العبّاس بنِ سُرَيج.

٨٢٢ - نِظامُ المُـــلْك(١)

[١] الـوزير الكبير، نِظامُ المُلكِ، قِوامُ الـدِّين، أبـو عليٍّ الحسنُ بنُ علي بن إسحــاق الــطُّوسيُّ، عاقـلٌ، سائسٌ، خبيرٌ، سَعيدٌ، مُتـديِّنٌ محتَشمٌ، عامـرُ المجلسِ بالقُرّاء والفقهاء.

[٢] أنشـأ المدرسةَ الكبرى ببغداد، وأخرى بنَيْسَابور وأخرى بطُوس ورغَّب في العلم، وأدرّ على الطلبة الصِّلاتِ وأملى الحديثَ وبَعُدَ صيتُه.

[٣] وكان أبوه من دَهاقين بَيْهَقَ، فنشأ وقرأ نحواً، وتعانى الكِتابةَ والدِّيوانَ، وخدم بَغزْنةَ، وتنقلت به الأحوالُ إلى أن وَزَرَ للسُّلطان ألب آرسلان، ثم لابنه ملكشاه، فدبَّر ممالِكَه على أتمِّ ما ينبغي، وخفف المظالمَ، ورفَق بالرعايا، وبنى الوقوفَ، وهاجرت الكبارُ إلى جَنابه وازدادت رفعتُه، واستمر عشرينَ سنة.

[٤] وكان فيه خَيرٌ وتَقوى، وَميلٌ إلى الصَّالحين، وخُضوعٌ لموعظتهم يُعجِبُه من يُبيِّنُ له عيوبَ نَفسِه، فينكسِرُ ويبكي.

[٥] مولده في سنةِ ثمانٍ وأربعِ مئة، وقُتل صائماً في رمضان، أتاه باطنيٌّ في هيئة صوفيٍّ يُنـاولـه قِصة، فأخذها منه، فضربه بالسِّكينِ في فُؤاده، فَتَلِف، وقَتلوا قاتِلَه، وذلك سنةَ خمسٍ وثمانين وأربعِ مئة، بقرُب نُهَاوَنْدَ، وكان آخِرُ قوله:

---

(١) انظر السير: ١٩/ ٩٤-٩٦.

لا تقتلوا قاتِلي، قد عَفوتُ، لا إله إلا الله.

قال ابنُ خَلِّكَان: قد دَخل نِظامُ الملك على المُقتدي بالله فأجلسَه وقال له: يا حَسنُ، رضيَ الله عنك، كَرِضَى أميرِ المؤمنين عنك.

وكان شافِعيّاً أشعرياً.

وقيل: إن قتلَه كان بتدبيرِ السُّلطانِ، فلم يُمْهَلْ بعدَه إلا نحوُ شَهرٍ.

[١]قيل: إنَّه ما جلس إلّا على وضوء، وما توضأ إلا تنفّل، ويصومُ الإثنين والخميس، جدَّد عمِارةَ خُوارِزْم، ومشهدَ طوس، وعَمِلَ بيمارستاناً، نابه عليه خمسون ألف دينار، وبنى أيضاً بِمَرْوَ مدرسةً، وبِهَرَاةَ مدرسةً، وبِبَلْخٍ مدرسةً، وبالبصرةِ مدرسةً، وبأصبَهانَ مدرسةً، وكان حليماً رزيناً جواداً صاحبَ فُتُوَّةٍ واحتمال ومعروف كثير إلى الغاية، ويُبالغ في الخضوع للصالحين.

[٢]وقيل: كان يتصدَّقُ كُلَّ ضباح بمئةِ دينار.

قال ابنُ عقيل: بَهَرَ العُقُولَ سيرةُ النِّظامِ جُوداً وكَرَماً وعدلاً، وإحياءً لِمعالم الدين، كانت أيامُهُ دولَةَ أهلِ العلم، ثم خُتِمَ له بالقَتل وهو مارٌّ إلى الحج في رَمضانَ، فمات مَلِكاً في الدُّنيا، مَلِكاً في الآخرة، رحِمهُ الله.

الطبقة السادسة والعشرون

٨٢٣ - ابنُ الخاضِبَة(١)

[١]الشيخُ الإمامُ، المحدِّث الحافِظُ، الصادِقُ القدوة، بَرَكَةُ المحدِّثين أبوبكر محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِالباقي البَغداديّ الدَّقَّاق، عُرِفَ بابنِ الخاضِبَة.

قرأ للناس الكثيرَ، هو كان مُقرىءَ المحدِّثين ببَغداد، وكتب وخرّج. وأفاد، وهو مُتوسِّط في الفنِّ، مع دِيانة مَتينة، وتعبُّد وفَصَاحة، وحُسنِ قراءة.

حدَّث عنه جماعةٌ يسيرة، فإنه توفِّيَ قبل أن يُنْفِق مرويّاته.

قال أبو علي الصَّدَفيُّ: كان أبوبكر محبوباً إلى الناس كُلِّهم فاضلاً حَسَنَ الذِّكْرِ، ما رأيتُ مثلَه على طريقتِهِ، وكان لا يأتيه مستعيرٌ كتاباً إلا أعطاه أو دلَّه عليه.

قال أبو سْعدٍ السمعانيّ: نسخ ابنُ الخاضِبة «صحيح مسلم» بالأجرة سبعَ مراتٍ.

قال محمد بن طاهر: ما كان في الدنيا أحدٌ أحسنَ قراءةً للحديثِ مِن ابنِ الخاضِبة في وقته، لو سَمِعَ إنسانٌ بقراءته يَومين، لما مَلَّ.

ابنُ طاهـر: سمعتُ ابن الخـاضِبَـة، وكنت ذكرتُ له أن بعضَ الهاشِميِّين حَدَّثِني بأصبَهـانَ أن أبـا الحُسين بن المهتدي بالله يرى الاعتزال، فقال: لا أدري، لكن أحكي لكَ: لمَّـا كان سنـة الغـرق، وَقَعَت داري على قُمـاشي وكُتُبي، ولم يكن لي شَيءٌ، وعندي الأمُّ، والزَّوجةُ والبَنَاتُ، فكنتُ أنسَخُ وأُنْفِقُ عليهِنَّ، فأعرف أنني كتبتُ «صحيح مُسلم» في تلك السنة سبعَ مراتٍ، فلما كانَ في ليلةٍ من الليالي، رأيتُ القيامَـةَ قد قامت، ومُنـادٍ يُنـادي: أين ابنُ

(١) انظر السير: ١٩/ ١٠٩-١١٤.

الخاضِبَة؟ فأُحْضِرْتُ، فقيل لي: ادْخُلِ الجنَّة، فلما دخلتُ البابَ وصرتُ من داخلٍ، استَلقيتُ على قَفَاي، ووضعتُ إحدى رَجْليَّ على الأُخرى، وقلتُ: استرحتُ والله من النَّسخ، فرفعتُ رأسي، فإذا ببغلة في يدِ غلامٍ، فقلت: لمن هذه؟ قال: للشريف أبي الحُسين فلما أصبحتُ، نُعي لنا الشريفُ رحمه الله.

[١]أبو القاسم بنُ عَسَاكر: سمعتُ أبا الفضل محمدَ بنَ محمدِ بنِ عطَّاف يَحكي أنه طلع في بعض أولادِ الرؤساءِ ببغداد إصبعٌ زائدة، فاشتد ألمُه له، فدخل عليه ابنُ الخـاضِبَة، فَمَسَحَ عليها، وقال: أمرُها يسير. فلمّا كان الليلُ نام وانتبه. فوجدها قد سَقَطَتْ، أو كما قال.

مات ابنُ الخَـاضِبَةِ سنةَ تسع وثَمانين وأربعِ مئة، وكانت جِنازتُه مشهودةً، وخُتِمَ على قَبره عِدَّةُ خَتَمات.

٨٢٤ - أبو المظفّر السّمْعانـيّ(١)

[٢]الإمامُ العلاَّمة، مفتي خُراسانَ، شيخُ الشافعيّةِ، أبو المظفّرِ منصورُ بن محمدِ ابنِ عبدِالجبّارِ التَّميميّ، السَّمْعَانيُّ، المَرْوَزيّ الحَنَفِيُّ كان، ثُمّ الشَّافعي.

وُلِدَ سنةَ ستٍّ وعشرين وأربعِ مئة.

[٣]حَجَّ على البرِّيَّة أيام انقطع الرَّكْبُ، فأُخِذَ هو وجماعةٌ، فصبر إلى أن خلّصه الله من الأعـراب، وحجّ وصَحِب الزَّنْجانيّ. كان يقول: أسَرونا فكنتُ أرعى جِمـالَهم، فاتَّفقَ أنَّ أميرَهـم أراد أن يُزوِّجَ بنتَـه، فقالوا: نحتاجُ أن نرحل إلى الحضـر لأجـل من يَعقِدُ لنا. فقال رجل منا: هذا الذي يرعى جمالَكم فقيهُ خُراسان، فَسَألوني عن أشياءَ، فأجبتُهُم وكلمتُهُم بالعربية، فخَجلوا واعتذروا،

(١) انظر السير: ١٩/ ١١٤-١١٩.

فعقـدتُ لهم العَقْـدَ، وقلتُ الخُـطبـةَ فَفَـرِحُـوا وسألوني أن أقبلَ منهم شيئاً، فامتنعتُ، فحملوني إلى مكةَ وسَط العام.

قال عبدُالغافر في «تاريخه»: هو وحيدُ عصرِه في وقته فضلاً وطريقةً. وزهداً وَوَرعاً، من بيت العلمِ والزّهد، تفقَّه بأبيه، وصار مِن فحول أهلِ النَّظَرِ وأخذ يُطالـعُ كتبَ الحديث، وحجّ ورجع وتركَ طريقتَه التي ناظر عليها ثلاثين سنةً وتحوّل شافِعيّاً، وأظَهر ذلك في سنةِ ثمانٍ وستين، فاضْطَرب أهلُ مرْو، وتَشَوَّش العوام، حتى وردت الكتبُ من الأميرِ ببَلْخ، في شأنه والتشدِيدِ عليه فخرج من مَرْوَ وفي خدمتـه عِدَّةٌ من الفقهاء، فصار إلى طُوس، وقَصَدَ نَيْسابورَ فاستقبله الأصحـابُ استقبـالاً عظيمـاً أيام نِظامِ المُلك، وعميد الحضـرة أبي سعـد، فأكرموه، وأُنزِلَ في عِزٍّ وحشمة وعُقِدَ له مجلسُ التذكيرِ في مدرسة الشافعيَّة، وكـان بحـراً في الوعظ، حافِظاً، فظهر له القبولُ، واستحكم أمرُه في مذهب الشافعيِّ، ثم عاد إلى مَرْو، ودَرّس بها في مدرسة الشافعيَّة، وقدَّمه النِّظام على أقْرانه، وظَهر له الأصحابُ، وخَرَج إلى أصبهَانَ، وهو في ارتقاء.

تُوفِّيَ سنةَ تسعٍ وثمانين وأربعِ مئة. عاش ثلاثاً وسِتِّين سنةً رحمه الله.

٨٢٥ - الحُـمَـيـدِيّ(١)

[١]الإمامُ القُدوةُ الأثَريُّ، المُتْقِنُ الحافظُ، شيخُ المحدِّثينَ، أبو عبدالله محمدُ ابن أبي نَصـر فُتُـوح بن عبـدالله، الأزْديُّ، الحُميديُّ، الأنـدلسيُّ المَيُورْقي، الفقيهُ، الظاهريُّ، صاحبُ ابن حَزم وتلميذُه. ومَيُورْقَة: جزيرة فيها بلدة حَصينة تجاه شرقِ الأندلس، هي اليومَ بأيدي النَّصارى.

(١) انظر السير: ١٩/ ١٢٠-١٢٧.

قال: مولدي قبلَ سنة عشرين وأربع مئة.

جَمع وصنَّف، وعمل «الجمع بين الصحيحين» ورَتَّبه أحسن ترتيب.

استوطن بَغداد، وأوّلُ ارتحالِه في العلم كان في سنةِ ثمانٍ وأربعين وأربعِ مئة.

[١]قال يحيى بن البَنّاء: كان الحُميديُّ من اجتهاده ينسَخُ باللّيل في الحرِّ، فكان يجلِس في إجَّانة في ماء يتبرَّد به.

قال الحسين بن محمد بن خُسْرو: جاء أبوبكر بن مَيْمون، فدقَّ الباب على الحُميديّ، وظن أنه أذِنَ له، فدخل، فوجده مكشوفَ الفَخِذِ فبكى الحمُيديُّ، وقال: والله لقد نظرتَ إلى موضع لم يَنظرْه أحد منذ عَقَلْت.

قال القَاضي عياض: مُحمد بن أبي نَصر الأزدي الأنْدلسي، سمَع بميُورْقَةَ من ابنِ حَزْم قديماً، وكان يتعصَّب له، ويميل إلى قوله وأصابته فيه فِتنة، ولما شُدِّد على ابنِ حزم، خرج الحُميديُّ إلى المشرقِ.

توفي الحميدي سنةَ ثمانٍ وثَمانين وأربعِ مئة عن بضعٍ وستّين سنة أو أكثر، وصلَّى عليه أبوبكر الشَّاشي، ودُفِنَ بمقبرة باب أبْرَز، ثم إنهم نقلُوه بعد سنتين إلى مَقبرة باب حَرْب، فَدُفِنَ عند بِشرٍ الحافي.

[٢]قال الحافظ ابنُ عساكر: كان الحُميديُّ أوصى إلى الأجلِّ مظفر بن رئيس الرُّؤسَاء أن يَدْفِنَه عند بشرٍ، فخالف، فرآه بعد مُدَّة في النومِ يُعاتِبه، فنَقله في صفر سنة إحدى وتسعين، وكان كفنُه جديداً، وبدنُه طَرِيّاً يفوحُ منه رائحةُ الطيب، رحمه الله. ووقف كتبه.

[٣]ومن نَظم الحُميديّ:

لِقَاءُ النَّاسِ ليس يُفِيدُ شَيئاً   سِوى الهَذَيانِ مِن قِيْلٍ وقَالِ
فَأَقْلِلْ مِنْ لِقاءِ النَّاسِ إلاَّ   لأخْذِ العِلْمِ أوْ إصْلاحِ حَالِ

٨٢٦ - قَسيمُ الدَّولة[1]

الأميرُ الكبيرُ، قسيمُ الدولة أبوالفَتحِ آقْسُنْقُر التُّركيُّ الحاجبُ مملوكُ السلطانِ مَلِكْشاه السَّلْجوقيّ، وهو جدُّ نورِ الدّينِ الشَّهيد، وقيل: لا بل هو لَصِيق بمَلِكْشاه. كان رفيعَ الرُّتبةِ عند السُّلطان، وقَدِمَ مع السلطان حلب حين حاربَ أخاه تاجَ الدَّولة، ففرّ، وتملَّكها مَلِكْشاه سنةَ تسعٍ وسبعين وأربعِ مئة، فقرَّر نيابَتَها لآقْسُنْقر، فأحسنَ السِّياسَة، وأباد الدُّعَّار[2] وعُمرت حلبُ، وقَصَدَها التجّارُ، وأنشأ منارةَ جامِعِها، فاسمُه منقوش عليها. وصار دَخْلُ البلد في اليوم ألفاً وخمسَ مئةِ دينار.

وأما تاج الدولة، فاستولى على دمشق، فلما كان في سنة سبعٍ وثمانين، تَحَارَبَ هو وآقْسُنقر، وعرض آقْسُنقر عشرين ألفَ فارس، والتقى الجمعانِ، فبرز آقْسُنقر بنفسه، وحَمِيَ الوَطيسُ، ثم تفلَّلَ جمعُه، وثبت آقْسُنقر فأُسِرَ في طائفة في فُرسانه، فأمر تاجُ الدولة بضرب عُنقِه وأعناقِ أصحابه، وذلك في جُمادى الأولى من السَّنَةِ رحمه الله، ثم دُفِنَ بالمدرسة الزجاجية بحلب. ولما قُتِلَ كان ولده زَنْكي صبياً، وتنقَّلَتْ به الأيّامُ ثم صار مَلِكاً.

٨٢٧ - الفَقيـه نَصْـر[3]

[١]الشيخُ الإمامُ العلاّمةُ القدوةُ المحدِّث، مفيدُ الشام، شيخُ الإسلام أبو الفتح نصرُ بنُ إبراهيمَ بنِ نَصر النَّابُلسيُّ المَقْدِسيُّ الفَقيه، الشافعيّ، صاحبُ

---

(١) انظر السير: ١٩/ ١٢٩-١٣٠.

(٢) هم المفسدون والخبثاء وقطاع الطرق، الواحد داعر.

(٣) انظر السير: ١٩/ ١٣٦-١٤٣.

التصانيفِ والأمالي.

وُلِدَ قبلَ سنةِ عشرٍ وأربعِ مئة.

وصنَّف كتاب «الحجّة على تارك المَحَجَّة» وبَرَع في المذهب.

استوطن بيتَ المقدس مُدّةً طويلة، ثم تحوَّل في أواخرِ عمره وسكن دمشق عشرَ سنين وتخرَّج به الأصحابُ.

[١]قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر: قَدِمَ دمشقَ سنة ثمانين وأربع مئة، فأقام بها يُدرِّسُ المذهبَ إلى أن مات، ويروي الحديث، وكان فَقيهاً، إماماً، زاهداً، عاملاً، لم يَقْبَلْ صِلةً من أحد بدمشق، بل كانَ يقتاتُ من غَلَّةٍ تحمل إليه من أرض نَابُلُس، فَيخْبِزُ له كُلَّ يوم قُرْصَة في جانب الكانون. حكى لنا ناصر النجار ـ وكان يَخدمه ـ من زُهده وتَقلُّلِه وتَركه الشَّهواتِ أشياءَ عجيبة.

[٢]قال غيث بن علي الأرْمَنازِيّ: سمعتُ من يَحْكي أن الملكَ تاج الدَّولة تُتُش ابن ألب أرْسلان زار الفقيهَ نصراً يوماً، فلم يَقُمْ له، ولا التفتَ إليه وكذا ابنُه الملك دُقَاق، فسأله عن أَحَلِّ الأموال التي يتصرَّفُ فيها السُّلطان، قال: أحلُّها أموالُ الجِزْية، فقام من عنده، وأرسل إليه بمبلغ، وقال: هذا من الجِزية، فَفَرَّقه على الأصْحاب، فلم يقبلْه، وقال: لا حاجةَ بنا إليه، فلما ذهب الرسولُ لامه الفقيهُ نصر المِصِّيصيّ، وقال: قد عَلِمْتَ حاجتَنا إليه، فقال: لا تَجْزَعْ من فوَاته، فسوف يأتيك من الدُّنيا ما يَكفيك فيما بعد، فكان كما تَفرَّس فيه.

عاش نَيِّفاً وثمانين سنةً، رحمه الله، ودُفن بمقبرة باب الصَّغير. تُوفِّيَ سنةَ تسعين وأربعمائة.

قلتُ: في مجالسه غَلطاتٌ، وأحاديثُ واهية.

[٣]حكى الفقيه نصر[1] عن شَيخه نَصرٍ أنّه قَبل موته بلحظة سمعه وهو يَقول:

(١) يعني نصر الله المصيصي.

يا سيّدي أمهلُوني، أنا مَأمور وأنتُم مأمورون، ثم سمعتُ المؤذّنَ بالعَصر، فقلتُ: يا سيدي المؤذّنُ يُؤذّن، فقال: أجْلِسني، فأجلسْتُه فأحرم بالصَّلاة، ووضع يدَه على الأُخرى وصلَّى، ثم تُوفي مِن ساعته، رحمه الله.

٨٢٨ - شَيْذَلَه[١]

[١]الإمامُ الواعظُ المُحدِّث المذكِّرُ أبو المعالي عَزيزِيُّ بنُ عبدِالملك بنِ منصور الجِيْليّ، نزيل بغداد.

له تصانيفُ في الوعظ، وكان عارفاً بمذهب الشافعيِّ. واعظاً فصيحاً، ظريفاً، مليحَ النَّوادر.

[٢]قال السَّمعاني: سمعتُ عليَّ بنَ طِرادٍ يقول: ضاع حمارٌ لِسَوَادِيٍّ بباب الأزَج، فتطلَّبه، فقال له عزيزي: خُذ المِقْوَد، وشُدّه في رقبةِ من أردت مِن أهل المَحَلَّةِ، فإنهم مِثْلُ ما تَطلُبُه.[٢]

قال ابن سُكَّرة: كان شَيْذَلَه شيخ الوُعَّاظ. وكان متزهِّداً متقلِّلاً لم يكن يَدْري ما الحديث، وكان شافعيّاً.[٣]

قلتُ: مات سنةَ أربع وتسعين وأربع مئة.

---

(١) انظر السير: ١٩/١٧٤-١٧٥.

(٢) وفي «المنتظم» ٩/١٢٦: وقال يوما بحضرة نقيب النقباء طراد: لو حلف أنه لا يرى إنسانا، فرأى أهل باب الأزج، لم يحنث، فقال النقيب: أيها الثالب من عاشر قوماً أربعين يوماً كان منهم.

(٣) في طبقات السبكي: ٥/٢٣٧ نقلا عن شهدة بنت أحمد بن الفرج الإبري قالت: سمعت القاضي الإمام عزيزي بن عبدالملك من لفظه سنة تسعين وأربع مئة يقول: اللهم يا واسع المغفرة، ويا باسط اليدين بالرحمة افعل بي ما أنت أهله، إلهي.. أذنبت في بعض الأوقات، وآمنت بك في كل الأوقات، فكيف يغلب بعض عمري مذنباً جميعَ عمري مؤمناً. إلهي لو سألتني حسناتي لجعلتُها لك مع شدة حاجتي إليها وأنا عبد، فكيف لا أرجو أن تهب لي سيئاتي مع غناك عنها وأنت رب، فيا من أعطانا خيرَ ما في خزائنه، وهو الإيمان به قبل السؤال. لا تمنعْنا أوسعَ ما في خزائنِك، وهو العفو مع السؤال، إلهي حجتي حاجتي، وعدَّتي فاقتي فارحمني. إلهي، كيف أمتنع بالذنب من الدعاء، ولا أراك تمنع مع الذنب من العطاء، فإن غفرت فخير راحم أنت. وإن عذبت فغير ظالم أنت. إلهي أسألك تذللا فأعطني تفضلا.

٨٢٩ - الخيّـــــاط[١]

[١]الإمامُ القُدْوةُ المُقرئ، شيخُ الإسلامِ أبو منصورٍ مُحمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عليٍّ البغداديُّ الخيّاطُ الزّاهِد.

جلس لِتعليم كِتابِ الله دهراً، وتلا عليه أمم.

[٢]قال السَّمعاني: صالح ثقة عابد ملقِّن، له وِرْدٌ بين العشاءين بسُبْعٍ، وكان صاحبَ كرامات.

[٣]وقال آخر: كان إمامَ مسجدِ ابنِ جَرْدة بالحريم،[٢] لقَّن العُميانَ دهراً لله، وكان يسألُ لهم، ويُنفِقُ عليهم، بحيث إن ابنَ النجار نقل في «تاريخه» أنَّ أبا منصورٍ الخيّاطَ بلغ عَدَدُ مَنْ أقرأهم مِن العُميان سبعين ألفاً.

قلت: هذا مستحيل، والظاهر أنّه أراد أن يكتب نَفْساً، فسبقه القلمُ فخطَّ ألفاً، ومن لقّن القرآنَ لِسبعين ضريراً، فقد عمل خيراً كثيراً.

[٤]عن علي بن الأيسر العُكْبَري قال: لم أرَ أكثرَ خلقاً مِن جنازةِ أبي منصور، رآها يهوديٌّ، فاهْتَال لها وأسْلم.

[٥]قال السَّمعاني: رُؤِيَ بعدَ موته، فقال: غفر الله لي بتعليمي الصِّبيانَ الفاتحةَ. مات سنةَ تسع وتسعين وأربعِ مئة.

٨٣٠ - الفَامِـــــيّ[٣]

[٦]الإمامُ المفتي، مدرِّسُ النِّظامية، أبو محمد عبدُالوهّابِ بنُ محمدِ بنِ

(١) انظر السير: ١٩/ ٢٢٢-٢٢٤.

(٢) أي بحريم دار الخلافة ببغداد.

(٣) انظر السير: ١٩/ ٢٤٨-٢٥٢.

عبدالوَهَّاب، الفارسيّ الفامِيّ الشِّيرازيُّ الشّافعيّ.

قَدِمَ بغـداد مدرِّسـاً مِن جهـةِ نظامِ المُلكِ سنةَ ثلاثٍ وثمانين مشاركاً فيها للحُسين بن محمد الطَّبريّ، فكان كل واحد منهما يُدرِّس يوماً ثم عُزِلاَ بعدَ سنة.

قال أبـو عليِّ بنُ سُكَّـرَة: عبُدالوهَّابِ بنُ محمدٍ الفاميّ من أئمةِ الشّافعية وكِبارِهم، سمعتُ عليه كثيراً، وسمعتُه يقول: صنفتُ سبعين تأليفاً، ولي التفسيرُ ضمّنتُه مئةَ ألفِ بيتٍ شاهداً. أملى وحُفِظَ عليه تصحيفٌ شنيع، فأُجْلِبَ عليه، وطُولِبَ، ورُمِيَ بالاعتزال حتى فَرّ بنفسه.

[١]وقال أحمد بن ثابت الطَّرْقي: سمعتُ جماعةً أن عبدَالوهَّابِ أملى عليهم ببغداد: «صلاةٌ في أثَرِ صلاةٍ كتابٌ في عِلِّيينَ»، فصحَّفها «كنارٍ في غَلَس»، فكلَّموه، فقال: النارُ في الغلس تكونُ أضوأ.

قال الطَّرْقي: وسأله صديقٌ لي: هل سمعتَ «جامع أبي عيسى»؟ فقال: ما الجامعُ؟ ومَنْ أبو عيسى؟ ثم سمعتُهُ بعدُ يَعُدُّه في مسموعاته.

[٢]ولمّا أراد أن يُملِيَ بجامع القَصرِ، قلتُ له: لو استعنتَ بحافظ؟ فقال: إنما يفعـلُ ذا من قَلَّت معـرفتُهُ، وأنا فحفظي يُغنيني، فامتُحِنْتُ بالاستملاء عليه، فرأيتـه يُسْقِطُ من الإسنـاد رجـلاً، ويزيد رجلاً، ويجعل الرجلَ اثنين، فرأيتُ فضيحـةً، فمن ذلـك: الحسنُ بن سفيان، حدثنـا يزيدُ بن زريع، فأمسـك الجماعةُ، ونظر إليَّ وتكلَّموا، فقلتُ: قد سقط إمّا محمدُ بنُ مِنْهال، أو أُميَّةُ بنُ بِسطام، فقال: اكتبُوا كما في أصلي. وجاء: أخبرنا سهل بن بحر، أنا سألتُهُ، فَصَحَّفَها، فقال: أنا سالِبُهُ، وقال: سعيد بن عمْرو الأشعثي، فقال: والأشعثي، جعل واو «عمْرو» للعطف، فرددتُه، فأبى، فقلتُ: فمن الأشعثيُّ؟ قال: فضولٌ منك، وجاء ورقاءُ بن قيس بن الربيع، فقلت: هو «عن» بَدل «ابن» وقال في حديث حُمَيْلِ بنِ بَصْرَةَ: لقيتُ أبا هريرة وهو يجيء مِن الطُّورِ، فقال: «الطْودِ»

وفسَّر مرَّةً «الخِشف»[1] فقال: طائر، وقال في: ﴿فليعمل عملاً صالحاً﴾ (الكهف: ١١٠): انتصب على الحال.

قيل: وُلِدَ سنةَ أربع عشرةَ وأربعِ مئة، وعاش ستاً وثمانين سنة.

٨٣١ - صاحب الغَــرْب[2]

أميرُ المسلمين، السلطان أبو يعقوب يوسفُ بنُ تاشفين اللَّمتونيُّ البربريُّ المُلثَّم، ويُعْرَفُ أيضاً بأمير المرابطين، وهو الذي بنى مَرَّاكُش وصيَّرها دارَ ملكه.

وأوَّلُ ظهورِ هؤلاء المُلَثَّمين[3] مع أبي بكر بن عمر اللَّمتونيّ، فاستولى على البلاد من تِلمسَان إلى طرف الدنيا الغربي، واستناب ابنَ تاشفين فَطَلَعَ بطلاً شجاعاً شهماً عادلاً مهيباً، فاختط مَرَّاكُش في سنة (٤٦٥)، اشترى أرضَها بماله الذي خرج به مِن صحراء السُّودان، وكثرت جيوشُه، وخافته الملوكُ، وكان بربرياً قُحّاً، وثارتِ الفِرَنْجُ بالأندلس فَعَبَرَ ابنُ تاشفين يُنجِدُ الإسلامَ، فطحن العَدُوَّ،[4] ثم أعجبته الأندلسُ فاستولى عليها، وأخذ ابنَ عبَّاد وسجنه وأساءَ العِشرة.

وقيل: كان ابنُ تاشفين كثيرَ العفو، مُقَرِّباً للعلماء، وكان أسمرَ نحيفاً، خفيفَ

---

(١) الخشف: هو الظبي أوّل ما يولد.

(٢) انظر السير: ١٩/ ٢٥٢-٢٥٤.

(٣) لقبوا بذلك لأنهم كانوا يتلثمون، ولا يكشفون وجوههم، وتلك سنة لهم يتوارثونها خلفاً عن سلف، وقيل في سبب ذلك: إن حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد، يفعله الخواص منهم، فكثر ذلك حتى صار يفعله عامتهم، وأصل هؤلاء القوم من حمير بن سبأ، وهم أصحاب خيل وإبل وشاء ويسكنون الصحاري الجنوبية بين بلاد البربر وبلاد السودان، وينتقلون من ماء إلى ماء كالعرب، وبيوتهم من الشعر والوبر، وأول من جمعهم وحرضهم على القتال، وأطمعهم في تملك البلاد عبدالله بن ياسين الفقيه، وقتل في حرب جرت مع برغواطة، وقام مقامه أبوبكر ابن عمر الصنهاجي ابن عم يوسف بن تاشفين الذي ولاه إمارة الملثمين، فكان من أمره ما كان. . .

(٤) في وقعة الزلاقة سنة (٤٧٩).

اللحية، دقيقَ الصَّوْتِ، سائساً، حازماً، يخطُبُ لخليفة العِراق، وفيه بُخْلُ البربرِ، تملَّكَ بضعاً وثلاثين سنة، وهو وجيشُهُ ملازمون لِلِّثامِ الضَّيِّق، وفيهم شجاعة وعُتُوّ وعَسْف، جاءته الخِلَعُ من المُسْتَظْهِرِ، وولِيَ بعدَه ولدُهُ علي.

مات في أولِ سنة خمس مئة، وله بِضعُ وثمانون سنة، وتملك مدائنَ كباراً بالأندلس، وبالعُدوة،[1] ولو سار، لتملَّك مِصرَ والشّام.

٨٣٢ - ابن غَطـــاش[2]

طاغيةُ الإسماعيلية،[3] هو الرئيسُ أحمدُ بن عبدالملك بن غطاش العجمي.

كان أبوه مِن كبار دُعاةِ الباطنية، ومِن أذكياء الأدباء، له بلاغة وسُرعةُ جواب، استغوى جماعةً، ثم هلك، وخلَفَه في الرياسة ابنُه هذا، فكان جاهلاً، لكنه شجاعٌ مطاع، تجمّع له أتباع، وتحيَّلُوا، حتى ملكوا قلعةَ أصبَهان التي غَرِمَ عليها السُّلطانُ مَلِكْشاه ألفي ألف دينار وصاروا يقطعون السُّبُلَ، والتف عليهم كُلُّ فاجر، ودام البلاءُ بهم عشرَ سنين، حتى نازلهم محمدُ بنُ مَلِكْشاه أشهراً، فجاعُوا، ونزل كثير منهم بالأمان، وعصى ابنُ غَطاش في بُرج أياماً، وجرت أمورٌ طويلة، ثم أُخِذَ وسُلِخَ، وتأمَّر على الباطنية بعدَه ابنُ صبَّاح،[4] وكانوا بلاءً على المسلمين، وقتلُوا عدداً من الأعيان بشغل السكين.

---

(١) وقد شمل سلطانه المغربين الأقصى والأوسط، وجزيرة الأندلس.

(٢) انظر السير: ١٩/ ٢٦٧.

(٣) قال ابن الأثير: وهم الذين كانوا يسمون قبل ذلك القرامطة.

(٤) هو الحسن بن صباح بن علي الإسماعيلي صاحب الدعوة النزارية، وجدّ أصحاب قلعة ألَمُوت. قال الإمام الذهبي في «الميزان» ١/ ٥٠٠: كان من كبار الزنادقة، ومن دهاة العالم، وله أخبار يطول شرحها لخصتها في تاريخي الكبير في «حوادث سنة أربع وتسعين وأربع مئة» وأصله من مرو، وقد أكثر التطواف ما بين مصر إلى بلد كاشغر، يغوي الخلق ويضل الجهلة إلى أن صار منه ما صار، وكان قوي المشاركة في الفلسفة والهندسة، كثير المكر والحيل، بعيد الغور، لا بارك الله فيه.

٨٣٣ - الأبِيـــــورْدِي[1]

[١]الأستاذُ العلامةُ الأكملُ أبو المظفّرِ محمدُ بنُ أبي العبّاسِ أحمدَ بنِ محمد ابنِ أحمدَ بنِ إسحاقَ بنِ محمدِ بنِ إسحاقَ بنِ الحسنِ بنِ منصورِ بنِ معاويةَ ابنِ محمدِ بنِ عثمانَ بنِ عَنْبَسَةَ بنِ عُتبةَ بنِ عُثمانَ بنِ عَنْبَسَةَ بنِ أبي سفيان الأمويّ العَنبسيُّ المُعاوي الأبيورْدِي[2] اللُّغويّ، شاعرُ وقته، وصاحبُ التصانيف، فالواسطةُ بَينه وبينَ أبي سفيان خمسةَ عشرَ أباً.

قال يحيى بن منده: سُئل الأديبُ أبو المظفّرِ عن أحاديثِ الصفات فقال: تُقَرُّ وتُمَرُّ.

قال السَّمعاني: سمعتُ غيرَ واحد يقولون: كان الأبيورْدِيُّ يقول في صلاته: اللَّهُمّ ملِّكني مشارِقَ الأرضِ ومغارِبَها.

[٢]قلتُ: هو ريَّان من العلوم، مَوصُوف بالدين والورع، إلا أنَّه تيَّاهٌ مُعْجَب بنفسه، قد قتله حُبُّ السُّؤدُدِ. وكان جميلاً لبَّاساً له هيئة ورُوَاء، وكان يفتخِرُ، ويكتب اسمَه: العبشميُّ المُعاوي، يقال: إنه كتب رُقعةً إلى الخليفة المستظهر بالله، وكتب: المملوكُ المُعاوي، فحكَّ المستظهرُ الميمَ، فصار: العَاوِي، وردَّ الرُّقعةَ إليه.

قال حمَّاد الحراني: سمعتُ السِّلَفيَّ يقول: كان الأبِيْوَرْدِي ـ والله ـ مِن أهل الدين والخير والصلاحِ والثقة، قال لي: والله ما نمتُ في بيت فيه كتابُ الله، ولا حديثُ رسولِ الله احتراماً لهما أن يَبْدُوَ منّي شيءٌ لا يجوز.

قال عبدالغافر في «السياق»: ظهر أمرُه، وعلا قدرُه، وحصل له مِن السلطان

(١) انظر السير: ١٩/ ٢٨٣-٢٩٢.

(٢) نسبة إلى أبيورد، ويقال لها: أباورد، وباورد وهي من بلاد خراسان بين سرخس ونسا، وقد فتحها المسلمون سنة ٣١هـ بقيادة عبدالله بن عامر بن كريز، ويقال: الأحنف بن قيس.

مكـانـةٌ ونعمة، ثم كان يَرْشُحُ من كلامه نوعُ تشبُّثٍ بالخِلافة ودعوة إلى اتباع فضله، وادِّعـاءُ استحقـاقِ الإمـامة، تبيضُ وساوسُ الشيطانِ في رأسه وتُفَرِّخُ، فاضطره الحالُ إلى مفارقةِ بغداد، ورجع إلى هَمَذَان، فأقام بها يُدَرِّسُ ويُفيد ويصنِّف مدة.

توفي الأبِيوَرْدِي بأصبهَانَ مسموماً سنةَ سبعٍ وخمس مئة، كهلاً.

[١]وقـال محمد بن عبدالملك الهَمَذاني: قَدِمَ بغدادَ سنة ثمانين ولازم خِزانةَ الكتبِ النـظاميَّة، وكـان مِن الذكاء على وصف عجيب، كان يسمعُ القصيدَةَ الطويلة في نَوْبَةٍ، فيرويها، ويتصفَّحُ الكتابَ مرة، فيذكُرُ فوائدَه ويحكيها، كان يُعابُ بإعجابه بنفسه، وكان عفيفاً متصوناً، أكثرَ مِن مدائح الوزير أبي منصور ابن جَهير، فصادف منه رِفداً جليلاً، ثم هجاه في هوى مؤيدِ الملك بن النظام، فسعى ابنُ جَهير إلى الخليفـة بأنه قد هجاك ومدح صاحب مصرَ، فأبيح دمُه فهرب إلى هَمَذَان.

٨٣٤ ـ فـخْـرُ الملـــكُ(١)

ابن عمّـار صاحبُ طرابلس، كان من دُهـاة الرجالِ وأفرادِ الزمان شجاعةً وإقـدامـاً ورأياً وحزماً، ابتُلِي بلدُه بحصارِ الفِرَنْجِ خمسةَ أعوام وهو يُقاومهم، ويُنكي في العدو، ويستظهِرُ عليهم، ويُراسِلُ ملوكَ الأطرافِ، ويُتحفُهم بالهدايا، وهم حائرون في أنفسهم، ولم يُنْجِدْه أحد. وقد راسل صاحبَ الرُّومِ مرات، وكـان حسنَ التدبيرِ في الحِصار، جَيِّدَ المكيدةِ والمخادعة، برّاً وبحراً، شتاءً وصيفاً، حتى تفانت رجالُه، وكَلَّت أبطالُه، فركب في البحر، وطَلَع حتى قَدِمَ

---

(١) انظر السير: ١٩/ ٣١١.

دمشق، وأُخِـذَتْ طرابلسُ منـه سنةَ اثنتين وخمس مئة، فأقطعه طُغْتِكين قَرْيَةَ الـزَّبَـدَاني، وكان لِشدة ما نزل به يُصادِرُ الرعِيّة ويَعْسِفُهم، وجرت له تنقلاتٌ وأحوال، إلى أن أدبرت أيّامُه، ووافاه حِمامُه، والله يَسْمَحُ له.

٨٣٥ - رضـــوان(١)

[١]صاحبُ حلب، الملك رضوان بن السلطان تُتُش بن السلطان ألبْ آرسلان السّجلوقي.

تملَّكَ حلبَ بعدَ أبيه وامتدَّت أيامُه، وقد خُطِبَ له بدمشق عندما قُتِلَ أبوه أيّاماً ثم استقل بحلب، وأخذت منه الفِرَنْجُ أنطاكية.

[٢]وكان ذميمَ السيرة، قَرّبَ الباطنية، وعَمِلَ لهم دارَ دعوةٍ بحلب وكَثُرُوا، وقتل أخويه أبا طالب وبهراماً، ثم هلك في سنةِ سبعٍ وخمس مئة، فتملَّك بعده أخوه الأخرس ألب آرسلان، وله سِتَّ عشرةَ سنة، فقتل أخوين له أيضاً، وقتل رأسَ الباطنيّةِ أبا طاهرٍ الصائغ، وجماعةً مِن أعيانهم، وهرب آخرون، فقتل الأمراءُ الأخرس بعد سنة، وملَّكُوا أخاه سُلطان شاه.

[٣]وقصدت النصارى أنطاكِيةَ ونازلُوا بيتَ المقدسِ سنةَ اثنتين، وقُتِلَ به سبعون ألفَ مسلم، ونقل ابنُ منقذ ظهورَ الفِرَنْجِ في هذا الوقت من بحر قسطنطينية، وجرت لهم مع طاغية الروم حروب وعَجَزَ عنهم، ثم قالوا: ما نفتحُه من بلاد الروم فهو لك، ومهما نفتحه من بلاد الشام، فهو لنا.

[٤]وقيل: كانـوا في أربع مئة ألفٍ، ثم أخذوا بعضَ بلادِ الملكِ قلج رسلان بالسَّيف، فجمع حينئذٍ عساكِرَه، والتقاهم في سنة تسعين، وأشرف على النصر،

---

(١) انظر السير: ١٩/ ٣١٥-٣١٦.

ثم كسرته الفِرَنْجُ، وقُتِلَ من جنده خلق، وهرب واستغاث بملوك النَّواحي على مادَهم الإسلامَ، فوصلت كتُبه إلى حلب مسخمة مشققة فيها بعضُ شَعْرِ النساء، وانزعج الخلقُ، ثم توجَّهت الفِرَنْجُ إلى الشام فكانوا أزيدَ من ثلاث مئة ألف نفسٍ فعاثوا وأخربوا البلادَ، وتفرَّقوا، وكبسهم المسلمون، وجرت فتنٌ وحروب لا يُعبَّر عنها، وأُخذت أنطاكيةُ بالسيف سنةَ إحدى وتسعين، وقُتِلَ صاحبُها وقتل أيضاً من كبار الفِرَنْجِ عددٌ كثير، وكان الأمر إلى كُندفري، ثم إلى أخيه بغدوين وبيمنت، وابن أخيه طنكل وصنجيل هؤلاء ملوكهم، ثم جاء المسلمون نجدةً لأنـطاكية وقد أُخِذَت، فحاربوا العدو أياماً، وانتصروا وهلكَ خلق من العدو، وجاعوا، وجرى غَيْرُ مَصافّ.

الطبقـــة السابعـة والعشـرون

٨٣٦ - الغَـزَّالــــي[١]

[١]الشيخُ الإمامُ البحر، حجةُ الإسلامِ ، أعجوبةُ الزَّمانِ، زَيْنُ الدينِ أبوحامد محمـدُ بنُ محمـدِ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ الطُّوسيُّ ، الشافعيُّ ، الغزَّاليُّ صاحبُ التصانيفِ، والذَّكاءِ المُفرط.

تفقَّه ببلده أولاً ، ثم تَحوَّل إلى نَيْسابور في مرافقة جماعةٍ من الطلبة، فلازم إمامَ الحرمين، فبَرع في الفقه في مدة قريبة، ومَهَر في الكلام، والجدل، حتى صارَ عينَ المنـاظرين، وأعادَ لِلطلبة، وشَرع في التصنيف. فما أعجب ذلك شيخَـه أبـا المعـالي، ولكنـه مُظْهِر للتبجُّح به ثم سار أبو حامد إلى المُخيَّم السُّلطانيّ ، فأقبل عليه نظامُ المُلكِ الوزير وسُرَّ بوجوده، وناظرَ الكِبارَ بحضرته، فانبهر له، وشاع أمرُه، فولاَّه النظام تدريسَ نِظامية بغداد، فقدمها بعدَ الثمانين وأربـع مئـة، وسنّه نحو الثلاثين، وأخذ في تأليفِ الأُصولِ ، والفقه والكلامِ والحِكمة، وأدخله سَيَلانُ ذهنه في مضايق الكلامِ ، ومَزالِّ الأقدام، ولله سرٌّ في خلقه.

وعَظُم جاهُ الرجل، وازدادت حِشمتُه، بحيث إنه في دست أميرٍ، وفي رتُبةِ رئيسٍ كبير، فأدَّاه نظرُه في العُلوم وممـارستُـه لأفـانين الـزّهـدياتِ إلى رفض الرئاسة، والإنابة إلى دارِ الخلود، والتأله، والإخلاصِ ، وإصلاحِ النفس، فحجَّ من وقته، وزار بيتَ المقدس، وصحب الفقيهَ نصرَ بنَ إبراهيمَ بدمشق، وأقام مدّةً، وألَّف كتـابـه «الإحياء». وراض نفسَه وجاهدها، وطرد شيطانَ الرُّعونة، ولبس زِيَّ الأتقياء، ثم بعدَ سنواتٍ سار إلى وطنه، لازماً لِسنَنِه، حافظاً لوقته،

---

(١) انظر السير: ١٩/ ٣٢٢-٣٤٦.

مكباً على العلم.

[١] ذكر هذا وأضعافَه عبدالغافر في «السِّياق»، إلى أن قال: ولقد زرتُه مِراراً، وما كنت أحْدُس في نفسي مع ما عهِدتُ عليه من الزَّعارَّة[1] والنظر إلى الناس بعين الاستخفاف كبراً وخُيلاء، واعتزازاً بما رُزق من البسطة والنُّطق والذهن، أنه صار على الضدِّ، وتصفّى عن تلك الكدوراتِ، وكنت أظنّه متلفعاً بجلباب التكلف، متنمِّسا بما صار إليه فتحققت بعد السَّبر والتنقيرِ أن الأمر على خلاف المظنون، وأن الرجل أفاق بعد الجنون.

قال أبوبكر بن العربي: شيخُنا أبو حامد بَلَعَ الفلاسفةَ، وأراد أن يَتَقيَّأهُمْ، فما استطاعَ.

ومن معجم أبي علي الصدفيّ، تأليفُ القاضي عياض له، قال: والشيخ أبو حامدٍ ذو الأنباءِ الشنيعةِ، والتصانيفِ العظيمة، غلا في طريقة التَّصوفِ وتجرَّد لنصر مذهبِهم، وصار داعيةً في ذلك، وألَّف فيه تَواليفَه المشهورة، أُخِذَ عليه فيها مَوَاضعُ، وساءت به ظنونُ أُمّةٍ، والله أعلمُ بِسِرِّه، ونَفَذَ أمرُ السلطان عندنا بالمغرب وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعدِ عنها، فامْتُثِلَ ذلك.

قلت: ما زال العلماءُ يختلِفُون، ويتكلّم العالمُ في العالم باجتهاده وكلٌّ منهم معذور مأجور، ومن عاند أو خرق الإجماعَ، فهو مأزور، وإلى الله تُرْجَعُ الأمورُ.

[٢] قلت: قد ألَّف الرّجلُ في ذم الفلاسفة كتاب «التهافت»، وكشف عوارَهم، ووافقهم في مواضعَ ظنّاً منه أنّ ذلك حقٌّ، أو موافِقٌ للملة، ولم يكن له عِلْمٌ بالآثار ولا خِبرةٌ بالسنن النبويّةِ القاضيةِ على العقل، وحُبِّب إليه إدمانُ النظر في كتاب «رسائلِ إخوان الصفا» وهو داء عُضال وَجَرب مُرْدٍ، وسُمٌّ قَتَّالٌ، ولولا أنّ أبا حامدٍ من كبار الأذكياء، وخيارِ المُخلصين، لَتَلِفَ. فالحِذَارَ الحِذَارَ من هذه الكتب، واهـرُبُـوا بدينكم من شُبَهِ الأوَائِلِ، وإلا وقعتُم في الحَيْرةِ، فمن رام

(١) شراسة وسوء خلق.

النجاةَ والفوز فليلزمِ العُبودية، وليُدْمِنِ الاستغاثَةَ بالله، وليبتهِلْ إلى مولاه في الثَّبات على الإسلام وأن يُتوفَّى على إيمانِ الصحابةِ، وسادة التابعين، والله الموفق، فَبحسْنِ قَصْدِ العَالِمِ يُغْفَرُ لَهُ وينجو إن شاء الله.

وقال أبوعمرو بن الصلاح: فصل لبيان أشياءَ مُهِمَّةٍ أُنْكِرَت على أبي حامد:

ففي تواليفه أشياءُ لم يرتضها أهلُ مذهبِهِ من الشذوذ، منها قوله في المنطق: هو مقدمة العُلُومِ كُلِّها، ومن لا يُحيطُ به، فلا ثقةَ له بمعلوم أصلاً. قال: فهذا مردود، إذ كلُّ صحيحِ الذهن منطقيٌّ بالطبع، وكم مِن إمام ما رَفع بالمنطِق رأساً.

[١]قال الغزَّالي: وذهبت الصوفيَّةُ إلى العلومِ الإلهامية دونَ التعليمية، فيجلس فارغَ القلبِ مجموعَ الهَمِّ يقول: الله الله الله، على الدوام، فليُفَرِّغ قلبَه، ولا يشتغل بتلاوة ولا كتبِ حديث. قال: فإذا بلغَ هذا الحدَّ، التزم الخلوةَ في بيتٍ مظلمٍ، وتدثَّرَ بكسائه، فحينئذٍ يسمعُ نداء الحق: ﴿**يا أيُّها المُدَّثِّرُ**﴾ و ﴿**يا أيُّها المُزمِّلُ**﴾.

قلتُ: سَيِّدُ الخلقِ إنما سَمِعَ ﴿**يا أيُّها المُدَّثِّرُ**﴾ من جبريل عن الله وهذا الأحمقُ لم يَسْمَعْ نداءَ الحقِّ أبداً، بل سَمِعَ شيطاناً أو سَمِعَ شيئاً لا حقيقةَ مِن طيش دماغه، والتوفيقُ في الاعتصام بالسنة والإجماع.

قال ابنُ عساكر: حجَّ أبو حامدٍ وأقام بالشام نحواً من عشر سنين وصنَّف، وأخذ نفسَه بالمجاهدة، وكان مُقَامُه بدمشقَ في المنارةِ الغربية مِن الجامع، سَمِعَ «صحيح البخاري» من أبي سهل الحفصي، وقَدِمَ دمشق في سنة تسع وثمانين.

قال أبو العباسِ أحمد الخطيبي: كنت في حلقة الغزَّالي، فقال: مات أبي، وخلَّف لي ولأخي مقداراً يسيراً فَفَنِيَ بحيث تعذَّر علينا القوتُ فصِرنا إلى مدرسة نطلُبُ الفقه، ليس المرادُ سوى تحصيلِ القوت، فكان تعلُّمنا لذلك، لا لله،

فأبى أن يكون إلا لله.

ومما أُخِذَ عليه قال: إن للقدر سِرّاً نُهينا عن إفشائه، فأيُّ سرٍّ للقدر؟ فإن كان مُدْركاً بالنظر، وُصِلَ إليه ولا بُدَّ، وإن كان مُدْركاً بالخبر فما ثبت فيه شيء. وإن كان يُدْرَكُ بالحال والعِرفان، فهذه دعوى مَحضة فلعله عَنَى بإفشائه أن نُعَمِّق في القدر، ونبحثَ فيه.

[١] أبوحامد، قال: اعلم أنَّ الدينَ شطرانِ: أحدُهُما تركُ المناهي، والآخرُ فعل الطاعات، وتركُ المناهي هو الأشدُّ، والطاعات يَقْدِرُ عليها كُلُّ أحد، وتركُ الشهوات لا يقدِرُ عليها إلا الصِّدِّيقون، ولذلك قال صلّى الله عليه وسلم: «المُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السُّوءَ والمُجاهِدُ مَنْ جَاهَدَ هَوَاهُ».

[٢] وقال أبوعامر العبدري: سمعت أبا نصر أحمد بن محمد بن عبدالقادر الطوسي يَحْلِفُ بالله أنه أبصر في نومه كأنَّه ينظر في كتب الغزالي رحمه الله، فإذا هي كُلُّها تصاوير.

قلت: الغزالي إمامٌ كبير، وما مِن شرط العالم أنه لا يُخطىء.

وقال محمد بن الوليد الطُّرطُوشيُّ في رسالة له إلى ابن مظفر: فأما ما ذكرت من أبي حامد، فقد رأيتُهُ، وكلمتُهُ، فرأيتُهُ جليلاً من أهل العلم، واجتمع فيه العقلُ والفهمُ، ومارسَ العلومَ طُولَ عمره، وكان على ذلك معظَمَ زمانه، ثم بدا له عن طريق العلماء، ودخل في غُمار العُمَّال، ثم تصوَّف، وهجر العلومَ وأهلها، ودخل في علوم الخواطِرِ وأربابِ القلوب، ووساوسِ الشيطان، ثم شابها بآراء الفلاسفةِ، ورُموزِ الحلاّج، وجعل يَطْعُنُ على الفقهاء والمتكلمين،

[٣] ولقد كاد أن ينسلخَ من الدين، فلما عمل «الإحياء» عَمَدَ يتكلَّم في علوم الأحوال، ومرامزِ الصُّوفية، وكان غيرَ أنيسٍ بها، ولا خبير بمعرفتها، فسقط على أُمِّ رأسه وشحن كتابَه بالموضوعات.

[١]قلتُ: أما «الإحياء» ففيه من الأحاديث الباطلة جملة، وفيه خير كثير لولا ما فيه من آداب ورسوم وزُهد من طرائق الحكماء ومنحرفي الصوفية، نسأل الله علماً [٢] نافعاً، تدري ما العلمُ النافع؟ هو ما نزل به القرآنُ، وفسره الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً، ولم يأت نهي عنه، قال عليه السلام: «مَنْ رَغِبَ عن سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي» فعليك يا أخي بتدبُّر كتاب الله وبإدمان النظر في «الصحيحين» وسننِ النسائي، ورياض النواوي وأذكاره تُفْلِحْ وتُنْجِحْ، وإياك وآراءَ عُبَّادِ الفلاسفة، ووظائِفَ أهلِ الرياضات وجُوعَ الرهبان، وخطابَ طَيْشِ رؤوسِ أصحابِ الخلوات، فَكُلُّ الخير في متابعة الحنيفية السمحة، فواغوثاه بالله، اللهم اهدِنَا إلى صراطك المستقيم.

[٣] قال أبو الفرج ابن الجوزي: صنف أبوحامد «الإحياء» وملأه بالأحاديثِ الباطلة، ولم يعلم بطلانها، وتكلم على الكشف وخرج عن قانونِ الفقه، وقال: إن المرادَ بالكوكب والقمر والشمس اللواتي رآهن إبراهيم، أنوارٌ هي حُجُبُ الله عز وجل، ولم يُرد هذه المعروفات وهذا من جنس كلامِ الباطنية، وقد ردَّ ابنُ الجوزي على أبي حامد في كتاب «الإحياء» وبين خطأه في مجلدات، سماه كتاب «الأحياء».

[٤]ولأبي الحسن ابن سُكَّرٍ رَدٌّ على الغزّالي في مجلد سماه: «إحياء ميت الأحياء في الرد على كتاب الإحياء».

قلت: ما زال الأئمة يُخالف بعضُهم بعضاً، ويردُّ هذا على هذا ولسنا ممن يَذُمُّ العالم بالهوى والجهل.

[٥]توفي سنةَ خمس وخمس مئة، وله خمس وخمسون سنة، ودُفِنَ بمقبرة الطابَران قصبة بلادِ طوس، وقولهم: الغزّالي، والعطّاري، والخبّازي، نسبة إلى الصنائع بلسان العجم بجمع ياء النسبة والصيغة.

وللغزّالي أخ واعظٌ مشهور، وهو أبو الفتوح أحمد، له قبولٌ عظيم في الوعظ يُزَنُّ[1] برقة الدين وبالإباحة، بقي إلى حدود العشرين وخمس مئة، وقد ناب عن أخيه في تدريس النظامية ببغداد لما حج مُديدة.

أبـو الثنـاء محمود الفرضي، قال: حدثنا تاجُ الإسلام ابن خميس قال لي الغزَّالي: الناس يقولون لي الغزَّالي، ولست الغزَّالي، وإنما أنا الغَزَالي منسوب إلى قرية يقال لها: غزالة، أو كما قال.

رحم الله الإمـامَ أبا حامد، فأين مثلُه في علومه وفضائله، ولكن لا ندّعي عصمتَه من الغلطِ والخطأ، ولا تقليدَ في الأصول.

٨٣٧ - مُحـمّد بـن طَاهـر[2]

[١]ابنِ علي الإمام الحافظُ، الجوَّال الرحَّال، ذو التصانيف أبو الفضل بن أبي الحسين بن القَيْسَرَاني، المقدسيّ الأثريّ، الظَّاهريّ الصوفيّ.

وُلِدَ ببيت المقدس سنةَ ثمانٍ وأربع مئة.

وكتب مالا يُوصَفُ كثرةً بخطه السريع، القوي الرفيع، وصنَّفَ وجمع وبرع في هذا الشأنِ، وعُنِيَ به أتَمَّ عِنَايَة، وغيرُهُ أكثرُ إتقاناً وتحرياً منه.

[٢]قال أبو مسعود عبدُالرحيم الحاجي: سمعتُ ابنَ طاهر يقول: بُلْتُ الدَّمَ في طلب الحديث مرتين، مرة ببغداد، وأخرى بمكة، كنتُ أمشي حافياً في الحرِّ، فلحقني ذلك، وما ركبتُ دابة قطُّ في طلب الحديث وكنت أحْمِلُ كتبي على ظهري، وما سألتُ في حال الطلب أحداً، كنت أعيش على ما يأتي.

[٣] وقيل: كان يمشي دائماً في اليوم والليلة عشرينَ فرسخاً، وكان قادِراً على ذلك،

(١) أي: يتهم ويرمى.

(٢) انظر السير: ١٩/ ٣٦١-٣٧١.

[١] وقد ذكره الدَّقّاق في رسالته، فحطَّ عليه، فقال: كان صوفيّاً مَلاَمتيّاً، سكن الرَّيَّ، ثم هَمَذَان، له كتاب «صفوة التصوف» وله أدنى معرفة بالحديثِ في باب شيوخ البخاريِّ ومسلمٍ وغيرهما.

قلت: ياذا الرجل، أقْصِرْ، فابنُ طاهرٍ أحفظُ منك بكثير.

[٢]ثم قال: وذُكِرَ لي عنه الإباحة.

قلتُ: ما تعني بالإباحة؟ إن أردتَ بها الإباحةَ المطلقة، فحاشا ابن طاهر، هو ـ والله ـ مسلمٌ أثريٌّ، مُعَظِّم لحرمات الدين، وان أخطأ أو شذ، وإن عنيتَ إبـاحةً خاصَّةً، كإباحة السَّماعِ ، وإباحةِ النظر إلى المُرْدِ فهذه معصية، وقول للظاهرية بإباحتها مرجوح.

قال أبو سعدٍ السمعانيّ: سألتُ إسماعيلَ بنَ محمد الحافظ عن ابن طاهر، فتوقَّف، ثم أساءَ الثناءَ عليه، وسمعتُ أبا القاسمِ بنَ عساكر يقول: جَمَعَ ابنُ طاهرٍ أطرافَ «الصحيحين» وأبي داود، وأبي عيسى والنسائي وابن ماجه، فأخطأ في مواضعَ خطأً فاحشاً.

[٣]وقال ابنُ ناصر: كان لُحَنَةً ويُصَحِّف، قرأ مرّة: وإنّ جَبينَه لَيَتَفَصَّدُ[١] عَرَقاً ـ بالقاف ـ فقلت: بالفاء، فكابرني.

[٤]وقال السِّلَفيّ: كان فاضلاً يَعْرِفُ، لكنّه لُحَنَة، قال لي المُؤتَمَنُ السَّاجي: كان يقرأ، ويَلْحَنُ عند شيخ الإسلامِ بهَراة، فكان الشيخُ يُحرِّكُ رأسَه، ويقول: لا حَوْلَ ولا قوَّة إلا بالله.

[٥]قال ابنُ طاهر: كُنت يوماً أقرأ على أبي إسحاق الحبَّال جزءاً فجاءني رجلٌ من أهل بلدي، وأسرَّ إليّ كلاماً قال فيه: إن أخاك قد وصل مِن الشام، وذلك بعـدَ دخـولِ التـركِ بيتَ المقـدس، وقتـل الناس بها، فأخذتُ في القراءة،

---

(١) أي: يسيل من التفصد وهو السيلان، وهو قطعة من حديث.

فاختلطت عليَّ السطورُ، ولم يُمكني أقرأ، فقال أبو إسحاق: مالك؟ قلتُ: خير، قال: لا بُدَّ أن تُخبرني، فأخبرتُه، فقال: وكم لك لم تر أخاك؟ قلتُ: سنين، قال: ولِمَ لا تذهبُ إليه؟ قلت: حتى أُتِمَّ الجزءَ، قال: ما أعظمَ حرصَكم يا أهلَ الحديث، قد تَمَّ المجلس، وصلّى الله على محمد، وانصرف.

[١]وأقمتُ بتِنِّيس مدةً على أبي محمد بن الحداد ونظرائه، فضاق بي فلم يبقَ معي غيرُ درهمٍ، وكنت أحتاج إلى حبرٍ وكَاغَد، فترددت في صرفه في الحبر أو الكاغد أو الخبز، ومضى على هذا ثلاثةُ أيّام لم أطْعَمْ فيها فلما كان بكرةَ اليومِ الرابع، قلتُ في نفسي: لو كان لي اليوم كاغَد لم يُمكني أن أكتبَ من الجُوع، فجعلت الدرهم في فمي. وخرجتُ لأشتري خبزاً، فبلعتُه، ووقع عليّ الضحكُ، فلقيني صديق وأنا أضحك، فقال: ما أضحكك؟ قلت: خير، فألحَّ عليَّ، وأبيتُ أن أُخْبِرَه، فحلف بالطلاق لتَصْدُقَنِّي، فأخبرتُه، فأدخلني منزلَه، وتكلَّف أطعمةً، فلما خرجنا لصلاة الظهر، اجتمع به بعضُ وكلاء عامل تِنِّيس ابنِ قادوس، فسأله عنِّي فقال: هو هذا، قال: إن صاحبي منذ شهرٍ أمر بي أن أُوصِلَ إليه كُلَّ يومٍ عشرةَ دراهم قيمتُها ربعُ دينار، وسهوتُ عنه، فأخذ منه ثلاثَ مئةٍ وجاء بها. مات ابنُ طاهر عند قدومه من الحج سنةَ سبعٍ وخمس مئة.

٨٣٨ ـ المُسْتَظْهِر بالله(١)

[٢] الإمامُ أميرُ المؤمنين، أبو العباس أحمدُ بنُ المقتدي بأمر الله أبي القاسم عبدالله بن الذّخيرة محمد بنِ القائم بأمر الله عبدِالله بنِ القادرِ الهاشميُّ العباسيُّ البغداديّ.

مولده سنة سبعين ومائة، واستخلف عند وفاة أبيه وله ست عشرة سنة.

قال ابنُ النّجار: كان موصوفاً بالسخاء والجود، ومحبَّةِ العلماءِ وأهلِ الدين،

(١) انظر السير: ١٩/ ٣٩٦-٤١٢.

والتفقّدِ للمساكين، مع الفضل والنُّبلِ والبلاغة، وعلوِّ الهِمَّةِ، وحُسنِ السيرةِ، وكان رضيَّ الأفعالِ، سديدَ الأقوال.

قال السِّلَفِيّ: قال لي أبو الخطّابِ ابنُ الجرّاح: صلّيتُ بالمستظهر في رمضان، فقرأت ﴿إنَّ ابنَكَ سُرِّقَ﴾ (يوسف: ٨١) روايةً رويناها عن الكِسائيّ، فلمّا سلمتُ، قال: هذه قراءة حسنة، فيه تنزيه أولادِ الأنبياءِ عن الكذب.

قلت: كيف بقولهم: ﴿فأكَلَهُ الذِّئْبُ﴾، ﴿وجَاؤوا على قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ ؟!.

[١] أبو سَعْدٍ بن أبي عمامة قال: كنتُ ليلة جالساً في بيتي، وقد نامَ الناسُ، فَدُقّ البابُ، فإذا بفراشٍ وخادمٍ معه شمعة، فقال: بسم الله فأدْخِلْتُ على المستظهر، وعليه أثرُ غَمٍّ، فأخذتُ في الحكايات والمواعِظِ وتصغيرِ الدنيا وهو لا يتغير، وأخذتُ في حكايات الكِرامِ وغير ذلك، فقلتُ: هذا لا يَنَامُ، ولا يَدعُني أنامُ، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، لي مسألة قال: قُلْ، قلتُ: ولا تكتُمني؟ قال: لا، قلتُ: بالله حَلَّ عليك نقدة للبائع، أو انكسَرَ زورقُكَ، أو وقعوا على قافِلَةٍ لك، وضاق وقتُكَ؟ عندي طَبَقُ خلافٍ أنا أقرِضه لك، وتبقى بارزيّاً في الدروب وما يُخلي الله من رِزق، فهذا همٌّ عظيم، وقد مرستني الليلة، فَضَحِكَ حتى استلقى، وقال: قُمْ، فعلَ الله بكَ وصنع فقمتُ، وتبعني الخادم بدنانيرَ وتختِ ثياب.

قال أبوطالب بن عبدالسميع: كان مِن ألفاظ المستظهر:

[٢] خيرُ ذَخائِرِ المرءِ لِدنياه ذكرٌ جميلٌ، ولآخِرَته ثوابٌ جَزِيل.

[٣] شُحُّ المرءِ بفَلْسِه من دناءَةِ نفسهِ.

[٤] الصَبْرُ على الشَّدَائِدِ يُنتج الفوائد.

[٥] أدبُ السائِلِ أنفعُ مِن الوسائل.

بِضاعة العاقِلِ لا تَخْسَرُ، ورِبْحُها يَظْهَرُ في المَحْشَرِ.

وله نظم حسن.

توفي المستظهِرُ بالله سنةَ اثنتي عشرة وخمس مئة، وبَلَغَ إحدى وأربعين سنة وستةَ أيام، وكان ليّنَ الجانبِ، كريمَ الخلائقِ مشكورَ المساعي، إذا سُئِلَ مكرمَة، أجاب إليها، وإذا ذُكِّرَ بمثوبةٍ تشوَّف نحوها.

وقيل: إنه أنشد قبلَ موته بقليل، وبكى:

يَا كَوْكَبَاً ما كَانَ أقْصَرَ عُمْرَهُ   وَكَذَاكَ عُمْرُ كَوَاكِبِ الأسْحَارِ

[١]وفي سنة تسع كان أولُ ظهورِ الفِرَنْجِ بالشَّام قَدِمُوا في بحر القُسطنطينية في جمعٍ كثير، وانزعجت الملوكُ، وعظم الخطبُ، لا سيما ابن قُتلمش صاحبُ الروم، فالتقاهم، فطحنوه.

[٢]وأما ابن الأثير، فقال: ابتداءُ دولتهم في سنة (٤٧٨)، فأخذوا طُلَيْطُلَة وغيرها، ثم صقلية، وأخذوا بعضَ إفريقية، وجمع ملكُهم بَغْدَوِين جمعاً، وبعث يقول لرُجَّار صاحب صقلية: أنا واصل إليك لِنفتحَ أفريقية. فبعث يقولُ: الأولى فتح القدس، فقصدُوا الشام.

[٣]وقيل: إن صاحبَ مصرَ لما رأى قُوّةَ آلِ سلجوق واستيلاءَهم على الممالك كاتب الفِرَنْج.

[٤]فمروا بسيس، ونازلوا أنطاكية، فخاف صاحِبُها ياغي بسَان، فأخرج النصارى إلى الخندق وحبسهم به، فدام حصارُها تسعةَ أشهر، وفَنِيَ الفِرَنْجُ قتلاً وموتاً، ثم إنهم عاملُوا الزرَّاد المقدَّم، وبذلُوا له مالاً، فكاشرَ لهم عن بدنه،[1] ففتحوا شُبَّاكاً، وطلعوا منه خمسَ مئة في الليل، ففتح ياغي بَسان، وهرب، واستُبيح

---

(١) في كامل ابن الأثير: ١٠/٢٧٤: فلما طال مقام الفرنج على أنطاكية راسلوا أحد المستحفظين للأبراج، وهو زراد يعرف بروزبه، وبذلوا له مالا وأقطاعا، وكان يتولى حفظ برج يلي الوادي، وهو مبني على شباك في الوادي، فلما تقرر الأمر بينهم وبين هذا الملعون الزراد، جاؤوا إلى الشباك ففتحوه.

البلد - فإنا لله - في سنة إحدى وتسعين وسقطت قوة ياغي بسَان أسفاً، وانهزم غلمانه، فذبحه حَطّابٌ أرمنيٌّ. ثم أخذوا المَعَرَّةَ، فقتلُوا وَسَبَوْا، وتجمعت عساكرُ المَوْصِلِ وغيرها فالتقوا، فانهزم المسلمون واستشهد ألوف وصالحهم صاحبُ حمص، وأقبل ابنُ أميرِ الجيوش، فأخذ القدسَ من ابن أرتُق، وانتشرت الباطنيةُ بأصبَهَانَ وتمت حروبٌ مزعجة بينَ ملوكِ العجم، وأخذت الفِرَنْجُ بيتَ المقدس، نصبُوا عليه أربعين منجنيقاً، وهدُّوا سُورَه وجدُّوا في الحصار شهراً ونصفاً، ثم ملكُوه من شماليِّه سنةَ اثنتين وتسعين، وقتلوا به نحواً من سبعين ألفاً.

[١]والتقى السُّلطانُ محمدُ بنُ مَلِكْشَاه وأخوه بَرْكِيَا رُوق مرات، وغَلَتِ الأقطارُ بالباطنية، وطاغوتهم الحسن بن الصَّبَّاح المَرْوزيّ الكاتب، كان داعيةً لِبني عُبَيْدٍ، وتعانَوْا شُغْلَ السِّكِّين، وقتلُوا غِيلَةً عدةً من العلماء والأمراء وأخذوا القِلاَعَ، وحاربوا، وقطعوا الطرقَ، وظهروا أيضاً بالشام، والتف عليهم كلُّ شيطانٍ ومارِق، وكُلُّ ماكرٍ ومتحيِّل.

[٢]قال الغزَّالي في «سر العالمين»: شاهدتُ قصَّةَ الحسنِ بنِ الصَّبَّاحِ لما تزهَّد تحتَ حصنِ الألَموت، فكان أهلُ الحِصن يتمنون صُعُودَه، ويَتَمَنَّعُ ويقول: أما ترون المنكَرَ كيف فشا، وفَسَدَ الناسُ، فَصَبَا إليه خلق وذهب أميرُ الحِصنِ يتصيَّدُ، فوثب على الحصن فتملَّكَه، وبعث إلى الأميرِ مَنْ قَتَلَهُ، وكثرت قِلاعُهُم، واشتغل عنهم أولادُ مَلِكْشَاه باختلافهم.

[٣]ولابن الباقِلَّاني، والغزالي، وعبدِالجبَّارِ المعتزليِّ كتبٌ في فضائح هؤلاء.

[٤]قال ابنُ الأثير: وفي سنة (٤٩٤) أمر السلطانُ بَرْكِيَا رُوق بقتل الباطنية، وهُم الإسماعيلية، وهم الذين كانوا قديماً يسمون القرامِطَة.

[٥]قال: وتجرد بأصبهانَ للانتقام منهم الخُجَنْديّ،(١) وجمع الجمَّ الغفيرَ

---

(١) هو أبوالقاسم مسعود بن محمد الخجندي الفقيه الشافعي.

بالأسلحة، وأمر بحفرِ أخاديدَ أُوقِدَتْ وفيها النيرانُ، وجعلوا يأتون بهم ويُلقونهم في النار إلى أن قتلوا منهم خلقاً كثيراً.

[١] وصارت الأمراءُ يلازمون لُبْسَ الدروعِ تحت الثيابِ خوفاً من فتك هؤلاء الملاحدة، وركب السلطان بَرْكْيا رُوق في تطلُّبهم، ودوَّخهم، حتى قتل جماعةً برآء، سعى بهم الأعداءُ، ودخل في ذلك أهلُ عانة، واتُّهم إلْكيا الهرَّاسي بأنه منهم، وحاشاه، فأمر السلطانُ محمد بنِ مَلِكشاه بأن يُؤخذ حتى شهدوا له بالخير، فأُطلق.

[٢] وفي سنة (٤٩٥) كانت حروبٌ بين الأخوين بَرْكْيَا رُوق ومحمد، وبلاء وحصار، ونازلت الفِرَنْجُ طَرَابُلُس، فسار للكشف عنها جندُ دمشقَ وحمصَ، فانكسروا، ثم التقى العسكر، وبغدوين، فهزمُوه، وقلَّ مَنْ نجا من أبطاله، وظَفِرَ ثلاثةٌ من الباطنية على جناحِ الدَّولةِ صاحب حمص، فقتلوه في الجامع، فنازلتها الفِرَنْجُ، فصُولحوا على مال، وتسلَّمها شمسُ الملوك، وقتلت الباطنيةُ الأعزَّ، وزيرَ بَرْكْيَا رُوق.

[٣] وفي سنة ستٍّ وتسعينَ سار شمسُ الملوكِ، فحاصر الرَّحْبَةَ وأخذها، وجاء عسكرُ مصر، فالتقوا الفِرَنْجَ بيافا، وخُذِلَتِ الفِرَنْجُ، وتصالَح بَرْكَيَا رُوق وأخوه، وملّوا من الحرب، وتحالفوا، وطال حِصارُ الفِرَنْجِ لطرابُلُس، وأخذوا جُبيلَ، وأخذوا عكَّا، ونازلُوا حرَّان، فجاء العسكرُ، ووقع المصافُّ، ونزل النصرُ، وأُبيدتِ الملاعينُ، وبلغت قتلاهم اثني عشرَ ألفاً. ومات شمسُ الملوك دُقاق، وتملَّكَ ولدُه بدمشق وأتابكه طُغْتِكين.

[٤] وفي سنة (٤٩٦) كبس الأتابك طُغْتِكين الفِرَنْجَ بالأردن، فقتل وأَسَرَ وزُيِّنت دمشقُ وأُخذ من الفرنج حِصْنَيْن.

وفي سنة إحدى وخمسِ مئة مات صاحبُ الحِلَّةِ سيفُ الدَّولَةِ صدقةُ بنُ

منصور بن دُبَيْس الأسدي مَلِك العرب الذي أنشأ الحِلَّةَ على الرفض، قُتِلَ في وقعةٍ بينه وبين السلطانِ محمد بن مَلِكْشَاه.

[١] وفيها سار طُغْتِكين في جُندِ دمشقَ، فهزم الفِرَنْجَ، وأسر صاحبَ طَبريَّة جرماس، وحاصر بغدوين الكلبُ صُورَ، وبنى بإزائها حصناً، ثم بذل له أهلُها سبعةَ آلافِ دينار، فترحّل عنهم.

[٢] وفي سنة اثنتين سار طُغْتِكين في ألفينِ، فالتقى الفِرَنْجَ، فانهزم جمعُه، وثبت هو، ثم تراجعُوا إليه، ونُصِرُوا، وأسروا قومصاً، بذل في نفسه جُملةً، فأبى طُغْتِكين وذبحه، ثم هادن بغدوينَ أربعةَ أعوام.

[٣] وفي سنة ثلاثٍ أخِذت طرابُلُس في آخر السنةِ بعدَ حصارِ ستٍّ سنين أخذوها بأبراج خشب صُنِعَتْ وأُلصِقَتْ بسُورِها، وأخذوا بانياس، وجُبيل بالأمان ثم طرَسُوسَ، وحِصنَ الأكراد.

[٤] وفي سنة خمسٍ تناحَب[1] عساكرُ العراقِ والجزيرة، وأقبلوا لِغزو الفِرَنْجِ، وعدَّوُا الفُرَات، فقل ما نفعوا، ثم رجعوا والأعداءُ تجول في الشام.

[٥] وفي أوَّلِ سنةِ سبعٍ أقبلَ عسكرُ الجزيرةِ نجدةً لطَغْتِكين، فالتقوا الفِرَنْجَ بالأردن، وصبر الفريقانِ، ثم استحرَّ القتلُ بالفِرَنْج، وأُسر طاغيتُهم بغدوين، لكن أساء الذي أسره، فشلَّحه، وأطلقه جريحا، ثم تراجع العدو، وجاءتهم نجدة، فعملوا المصافَّ من الغدِ، وحمي القتالُ وطاب الموتُ، وتحصَّن الكلابُ بجبلٍ، فرابط الجيشُ بإزائهم يترامَوْنَ بالنُّشاب ويقتتلون، فدام ذلك كذلك ستة وعشرين صباحاً حتى عُدِمَتِ الأقواتُ وتحاجز الجمعانِ.

[٦] وفيها وثب باطنيٌّ بجامع دمشقَ على صاحب الموصل مودود بن ألتونتكين فقتله، وأُحرِقَ الباطني.

(١) يقال: تناحب القوم: إذا تواعدوا للقتال أي وقت.

٨٣٩ - صاحب إفريقيـــة(١)

[١]الملكُ أبو طاهرٍ يحيى بنُ الملك تميم بنِ المُعزِّ بنِ باديس الحِمْيري. قام في المُلك بعد أبيه، وخلع على قواده وعَدل، وافتتح حصوناً ما قَدر أبوه عليها، وكان عالماً، كثير المطالعة، جواداً مُمدَّحاً، مقرباً للعلماء.

مات يحيى فجأة، سنةَ تسعٍ وخمسِ مئة، فكانت دولتُه ثمانيَ سنين، وخلَّف لِصُلبه ثلاثين ابناً، فتملَّك منهم ابنُه علي، فقام سِتَّةَ أعوام، ومات، فملَّكوا ولدَه الحسنَ بنَ عليٍّ صبيّاً مُراهقاً فامتدت أيامُه، إلى أن أخذت الفِرَنْجُ طرابُلُس المغربِ بالسيف سنةَ إحدى وأربعين، فهرب الحسن من المهديَّة هو وأكثرُ أهلها، ثم انضم إلى السلطان عبدِالمؤمن.

[٢]وقد وقف ليحيى ثلاثةُ غرباء، وزعموا أنهم يعملون الكيمياء فأحضرَهم ليتفرّج وأخلاهم، وعنده قائدُ عسكرِه إبراهيمُ، والشريفُ أبو الحسنِ، فسلّ أحدُهم سكيناً، وضرب الملكَ، فما صنع شيئاً، ورفَسَه الملكُ دحرجه، ودخل مجلساً وأغلقه، وقتل الآخرُ الشريفَ، وشدَّ إبراهيم بسيفه عليهم، ودخل المماليكُ، وقتلوا الثلاثةَ، وكانوا باطنيّةً أظنُّ الآمرَ العُبيديَّ ندبهم لذلك.

٨٤٠ - القَيْرَوَانـــي(٢)

[٣]العلامةُ الأُصوليُّ، شيخُ القُرّاء، أبو عبدِالله محمدُ بنُ عتيق بنِ محمدٍ التميميُّ القَيْرَوَانِيُّ، المعروف بابن أبي كُديَّة.

---

(١) انظر السير: ١٩/ ٤١٢-٤١٤.

(٢) انظر السير: ١٩/ ٤١٧-٤١٨.

تصدَّر لإقراء الأصولِ، وكان متعصّباً لمذهب الأشعريّ.

قال ابن عقيل: هو شيخ هشٌّ، حسنُ العارضة، جاري العبارة، حُفَظَةٌ متديِّنٌ صَلِفٌ، تذاكرنا، فرأيتُه مملوءاً علماً وحفظاً.

تُوفِّيَ سنةَ اثنتي عشرة وخمس مئة عن نحو من تسعين سنة.

[١]قال السِّلَفيّ: كان مشاراً إليه في الكلام، قال لي: أنا أدْرُسُ الكلامَ، من سنة ثلاث وأربعين، جَرتْ بينَه وبينَ الحنابلةِ فِتَنٌ وأُوذِيَ غايةَ الإيذاء، سألتُه عن مسألة الاستواءِ، فقال: أحدُ الوجهين للأشعريِّ أنّه يُحمَلُ على ما ورد ولا يُفَسَّر.

[٢]قال ابن ناصر وجماعةٌ: كان أصحابُ القيروانيِّ يشهدون عليه أنه لا يُصلِّي ولا يغتسِلُ من جنابة في أكثر أحوالِه، ويُرْمى بالفسقِ مع المُرْدِ واشْتُهِرَ بذلك، وادَّعى قراءَةَ القرآنِ على ابنِ نفيس.

قلتُ: هذا كلام بِهَوىً.

٨٤١ - السُّمَيرمي(١)

[٣]الوزيرُ الكبيرُ، أبو طالب عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عليّ السُّميرمي، وزيرُ السلطان محمود السّلجوقي، صَدْرٌ معظم، كبيرُ الشأن، شديدُ الوطأة، ذو عَسْفٍ وظُلْمٍ، وسوءِ سيرة، وقف مدرسةً بأصبهَانَ، وعَمِلَ بها خزانةَ كتبٍ نفيسة، وكانَ يقول: قد استحييت من كثرة الظُّلمِ والتعدي، ولما عزم على السَّفر، أخذ الطالع، وركب في موكب عظيم، وبينَ يديه عِدَّةٌ بالسيوف والحراب والدبابيس، قال ابن النجار: فمرَّ بمضيقٍ، وتقدَّمه الكلُّ وبقي منفرداً، فوثب عليه باطنيٌّ من دكة،

(١) انظر السير: ١٩/ ٤٣٢-٤٣٣.

فضربه بسكين، فوقعت في البغلة وهرب، فتبعه كُلُّ الأعوان، فوثب عليه آخر، فيضربه في خاصرته وجَذَبه رماه عن البغلة إلى الأرض وجرحه في أماكن، فرد الأعوان، فوثب اثنانِ فحَملا، هُما والقاتلُ عليهم، فانهزم الجمعُ، وبقي الوزيرُ، فكرَّ قاتلُه، وجرّه، والوزير يستعطفُه ويتضرع له، فما أقلع حتى ذبحه وهو يُكبِّر ويصيح: أنا مسلم موحِّد فقُتِلَ هو والثلاثة، وحُمِلَ الوزيرُ إلى دار أخيه النَّصير، ثم دُفِنَ وذلك سنةَ ستٍّ عشرَةَ وخمسِ مئة.

[١]وقيل: إنَّ الذي قتله عبدٌ كان للمؤيد الطُّغْرائي وزير السلطان مسعود فإن السُّميرمي قتل أستاذَه ظلماً، ونبزه بأنه فاسد الاعتقاد، وكُلُّ قاتلٍ مقتول.

٨٤٢ - البَغَويُّ(١)

الشيخُ الإمامُ، العلاَّمةُ القُدوة الحافظُ، شيخُ الإسلامِ، محيي السُّنَةِ أبو محمد الحسينُ بنُ مسعودِ بنِ محمدِ بنِ الفرّاء، البَغويُّ الشافعيُّ المُفَسِّرُ صاحبُ التصانيف، كـ «شرح السنة»، و «معالم التنزيل» و «المصابيح» وأشياء.

وكان البغويُّ يلقَّبُ بمحيي السنة وبركن الدِّين، وكان سيِّداً إماماً عالماً علاَّمة، زاهداً قانعاً باليسير، كان يأكُلُ الخبزَ وحدَه، فعُذِلَ في ذلك، فصار يَأتَدِمُ بزيت، وكان أبوه يعمل الفِرَاءَ ويبيعُها. بُورِكَ له في تصانيفه، ورُزِقَ فيها القبولَ التام، لحُسن قصده، وصِدق نيته وتنافس العلماءُ في تحصيلها. وكان لا يُلقى الدرسَ إلا على طهارةٍ، وكان مقتصداً في لباسه. وله القدمُ الراسخ في التفسير، والباعُ المديد في الفقه، رحمه الله.

توفي بمَرْوِ الرُّوذ مدينة من مدائن خراسانَ سنةَ ستٍّ عشرةَ وخمسِ مئة، وعاش بضعاً وسبعين سنة رحمه الله.

(١) انظر السير: ١٩/ ٤٣٩-٤٤٣.

٨٤٣ - ابن عَقيل[١]

[١] الإمامُ العلامةُ البَحْرُ، شيخُ الحنابلة، أبو الوفاءِ عليُّ بنُ عقيل بنِ محمد البغداديّ الحنبليّ المتكلم صاحبُ التصانيف. كان يسكن الظَّفَرية، [٢] ومسجده بها مشهور.

وُلِدَ سنةَ إحدى وثلاثين وأربعِ مئة.

[٢] سمع القاضيَ أبا يعلى بنَ الفرَّاء، وتفقَّه عليه، وتلا بالعشر على أبي الفتح ابن شيطا، وأخذ العربية عن أبي القاسم بن بَرهان، وأخذ عِلْمَ العقليات عن شيخي الاعتزال أبي علي بنِ الوليد، وأبي القاسم بن التبَّان صاحِبَيْ أبي الحُسين البصري، فانحرفَ عن السُّنّة.

[٣] وكان يتوقَّد ذكاءً، وكان بحرَ معارفَ، وكنزَ فضائل، لم يكن له في زمانه نظيرٌ على بدعته، وعلَّق كتاب «الفنون» وهو أزيدُ من أربع مئةِ مجلد، حشد فيه كُلَّ ما كان يجري له مع الفضلاء والتلامذة، وما يَسنَحُ له مِن الدقائق والغوامض، وما يسمعُهُ مِن العجائبِ والحوادثِ.

عن حمَّاد الحرَّاني، سمع السِّلَفِيَّ يقول: ما رأت عيني مثلَ أبي الوفاء بن عَقِيل الفقيه، ما كان أحدٌ يقدِرُ أن يتكلَّم معه لغزارة علمِه وحُسنِ إيراده، وبلاغةِ كلامه، وقُوَّةِ حجته، تكلَّم يوماً مع شيخنا إلْكيا أبي الحسن، فقال له إلْكيا: هذا ليسَ مذهبَك، فقال: أكونُ مثلَ أبي علي الجُبَّائي، وفلان وفلان لا أعلمُ شيئاً؟! أنا لي اجتهاد متى ما طالبني خصمٌ بالحُجَّة، كان عندي ما أدفع به عن نفسي وأقومُ له بحجتي، فقال إلْكيا: كذاك الظَّنُّ بِكَ.

---

(١) انظر السير: ١٩/ ٤٤٣-٤٥١.

(٢) الظفرية، محلة بشرقي بغداد كبيرة.

[١]وقال ابنُ عَقِيل: عصمني الله في شبابي بأنواعٍ من العِصمة وقَصَر محبّتي على العَلم، وما خالطتُ لعَّاباً قطُّ، ولا عاشرتُ إلا أمثالي مِن طلبة العلم، وأنا في عشر الثمانين أجِدُ من الحِرصِ على العلم أشدَّ مما كنتُ أجده وأنا ابنُ عشرين، وبلغتُ لاثنتي عشرة سنة، وأنا اليومَ لا أرى نقصاً في الخاطر والفِكر والحفظ، وحدَّة النظر بالعين لرؤية الأهِلَّةِ الخفية إلا أن القوَّة ضعيفة.

قال ابنُ الجـوزي: كان ابنُ عقيلٍ ديِّناً، حافظاً للحدود، توفي له ابنانِ، فظهر منه مِن الصبر ما يُتعجَّب منه، وكان كريماً يُنفق ما يجد وما خلّف سِوى كتبِه، وثيابِ بدنه، وكانت بمقدار، توفي سنةَ ثلاثَ عشرةَ وخمسِ مئة، وكان الجمعُ يفوتُ الإحصاءَ، قال ابنُ ناصر شيخُنا: حزرتُهم بثلاثِ مئةِ ألف.

[٢] قال: وكان أصحابُنا الحنابلةُ يُريدون مني هِجرانَ جماعةٍ من العُلماء وكان ذلك يحرمني علماً نافعاً.

قلت: كانـوا ينهـونه عن مجالسةِ المعتزلة، ويأبى حتى وقع في حبائلهم، وتجسّر على تأويل النُّصوصِ، نسألُ الله السّلامة.

وفي «تاريخ ابن الأثير» قال: كان قد اشتغل بمذهب المعتزلةِ في حَداثته على ابن الوليد، فأراد الحنابلةُ قتلَه. فاستجارَ بباب المراتبِ عدّةَ سنين، ثم أظهر التوبةَ.

[٣] وقـال أبـو المـظفـر سِبطُ ابن الجـوزي: حكى ابنُ عقيل عن نفسه قال: حججتُ. فالتقطتُ عقدَ لؤلؤٍ في خيط أحمرَ، فإذا شيخٌ أعمى ينشُدُه، ويبذُلُ لملتقـطه مئـةَ دينار، فرددتُه عليه، فقال: خُذِ الدنانيرَ، فامتنعتُ وخرجتُ إلى الشَّام، وزُرْتُ القُدْسَ، وقصدتُ بغدادَ، فأويتُ بحلب إلى مسجد وأنا بردانُ جائـع، فقدَّموني، فصليتُ بهم، فأطعموني، وكان أوَّل رمضان فقالوا: إمامُنا تُوفِّيَ فصلِّ بنا هذا الشهر، ففعلتُ: فقالوا: لإمامنا بنت، فزُوِّجتُ بها، فأقمتُ

معها سنة، وأولدتُها ولداً ذكراً فَمَرِضَتْ في نفاسها، فتأملتُها يوماً فإذا في عُنُقِها العقدُ بعينه بخيطِه الأحمر فقلتُ لها: لِهذا قصة. وحكيتُ لها، فبكت، وقالت: أنت هُوَ، والله لقد كان أبي يبكي، ويقول: اللَّهُمَّ ارزُقْ بنتي مثلَ الذي ردّ العقدَ عليّ وقد استجاب الله منه، ثم ماتت، فأخذتُ العِقدَ والميراثَ، وعُدْتُ إلى بغداد.

[١]وحكى عن نفسه قال: كان عِندنا بالظَّفَرِيَّةِ دارٌ، كلما سكنها ناسٌ أصبحوا موتى فجاء مرّةً رجل مقرىء، فاكتراها، وارتضى بها، فباتَ بها وأصبح سالماً، فعجب الجيرانُ، وأقام مدّةً، ثم انتقل، فسُئِلَ فقال: لما بِتُّ بها، صليتُ العشاء، وقرأت شيئاً، وإذا شاب قد صَعِدَ من البئر، فسلَّم عليَّ، فَبُهِتُّ، فقال: لا بأسَ عليك، علمني شيئاً من القُرآن، فشرعتُ أُعلِّمُه، ثم قلتُ: هذه الدار، كيف حديثُها؟ قال: نحن جِنٌّ مسلمونَ، نقرأ ونُصلِّي، وهذه الدار ما يكتريها إلا الفُسَّاقُ فيجتمعون على الخمر، فنخنقهم، قلتُ: ففي الليل أخافُك، فجىء نهاراً، قال: نعم، فكان يَصْعَدُ من البئر في النهار، وألِفْتُه. فبينما هو يقرأ، إذا بمعزم في الدَّرب يقول: المُرقي من الدَّبيب، ومن العين ومن الجنّ، فقال: أيش هذا؟ قلت: مُعَزِّم، قال: اطلبْه، فقمتُ وأدخلتُه، فإذا بالجنِّيِّ قد صار ثعباناً في السقف، فعزَّم الرجل، فما زال الثعبانُ يتدلى حتى سقط في وسط المندل، فقام لِيأخذه ويضعَه في الزنبيل، فمنعتُه، فقال: أتمنعني من صيدي؟! فأعطيتُه ديناراً وراح فانتفض الثعبان، وخرج الجني، وقد ضَعُفَ واصْفَرَّ وذاب، فقلتُ: مالك؟ قال: قتلني هذا بهذه الأسامي، وما أظنني أُفْلِحُ، فاجعل بالك الليلة متى سمعتَ في البئر صُراخاً، فانهزِم، قال: فسمعتُ تلك الليلة النعيَّ فانهزمتُ. قال ابن عقيل: وامتنع أحدٌ أن يسكنَ تلك الدّارَ بعدَها.

٨٤٤ - الطُّرْطُوشِيّ(١)

[١]الإمامُ العلاّمةُ، القُدوة الزاهدُ، شيخُ المالكيّةِ، أبوبكر محمدُ بنُ الوليدِ بنِ خلف، الفِهْرِيّ الأندلُسيُّ الفقيه، عالمُ الإسكندريّة. وطُرْطُوشَة: هي آخِرُ حدِّ المسلمين مِن شمالي الأندلس، ثم استولى العدو عليها مِن دهرٍ.(٢)

نزل بيتَ المقدسِ مدّةً وتحوّل إلى الثَّغر.

[٢] قال ابن بَشْكُوال: كان إماماً عالماً، زاهداً ورِعاً، ديِّناً متواضعاً متقشِّفاً متقللاً من الـدنيا، راضياً باليسير، أخبـرنـا عنه القاضي أبوبكر ابن العربي، ووصفه بالعلمِ، والفضل، والزُّهد، والإقبالِ على ما يعنيه قال لي: إذا عَرَض لك أمرُ دنيا وأمرُ آخرة، فبادِرْ بأمرِ الآخرة، يَحْصُلُ لكَ أمرُ الدنيا والأخرى.

وقال إبراهيمُ بن مهدي: كان شيخُنا أبوبكر زُهْدُه وعبادتُه أكثرُ مِن علمه، وحكى بعضُ العلماء أن أبابكر الطُّرطُوشيُّ أنجبَ عليه نحوٌ مِن مئتي فقيه مفتي،

[٣] وكان يأتي إلى الفُقهاء وهُم نيام، فيضع في أفواههم الدَّنانير فيهبُّون فيرونها في أفواههم.

[٤] قال القاضي شمسُ الدين ابنُ خَلِّكان: دخل الطُّرطُوشيُّ على الأفضلِ ابنِ أمير الجيوش بمصرَ، فبسط تحته مئزرة، وكان إلى جانب الأفضلِ نصرانيٌّ، فوعظ الأفضلَ حتّى أبكاه(٣) ثم أنشده:

---

(١) انظر السير: ١٩/ ٤٩٠-٤٩٦.

(٢) وتم ذلك في سنة (٥٤٣)هـ.

(٣) فكان مما قال له كما في (نفح الطيب): ٢/ ٨٧: إن الأمر الذي أصبحت فيه من الملك إنما صار اليك بموت من كان قبلك، وهو خارج عنك بمثل ما صار إليك، فاتَّقِ الله فيما خوّلك من هذه الأمة، فإنّ الله عز وجل سائلُك عن النقير والقطمير والفتيل، واعلم أنّ الله عزّ وجل آتى سليمان بن داود ملك الدنيا بحذافيرها، فسخر له الإنس والجنّ والشياطين والطير والوحش والبهائم، وسخر له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ورفع عنه حساب ذلك أجمع، فقال عز من قائل ﴿هذا عطاؤنا فامنُنْ أو أمسكْ بغير حساب﴾ فما عد ذلك نعمة كما عددتموها، ولا حسبها كرامة كما حسبتموها، بل خاف أن يكون استدراجا من الله عز وجل، فقال: ﴿هذا من فضل ربِّي لِيَبْلُوَني أأشكرُ أم أكفر﴾ فافتح الباب، وسهل الحجاب، وانصر المظلوم.

يَا ذَا الَّـذِي طَاعَـتُـه قُرْبَـةٌ وحَـقُّـه مُفْـتَـرَضٌ وَاجِـبُ
إن الَّـذِي شُرِّفْـتَ مِنْ أجْـلِهِ يَزْعُـمُ هذَا أنَّـه كَاذِبُ

وأشار إلى ذلك النَّصرانيِّ، فأقام الأفضلُ النَّصرانيّ مِن موضعه.

وقد صنَّف أبوبكر كتابَ «سراج الملوك»[1] للمأمونِ بنِ البطائحيِّ الذي وَزَرَ بمصرَ بعدَ الأفضلِ، وله مؤلَّف في طريقة الخلاف، وكان المأمون قد نوَّه باسمه، وبالغ في إكرامه.

قيل: كان مولِدُهُ في سنة إحدى وخمسين وأربع مئة.

[١] ودخَلَ بغداد في حياة أبي نصرٍ الزَّينبيِّ، وأظنه سَمِعَ منه، وقال: رأيتُ بها آيةً في سنة ثمان وسبعين بعدَ العصر، فسمعنا دوياً عظيماً وأقبل ظلامٌ، فإذا ريحٌ لم أرَ مثلَها، سوداءُ ثخينة، فاسَودَّ النهارُ، وذهبت آثارُه، وذهب أثرُ الشمس، وبقينا كأنَّنا في أشدِّ ظُلمةٍ، لا يُبْصِرُ أحدٌ يدَه، وماجَ النَّاسُ، ولم نشكَّ أنها القِيامةُ أو خسفٌ، أو عذابٌ قد نزل، وبَقِيَ الأمرُ كذلك قدر ما ينضِجُ الخبز، ورجع السوادُ حُمرةً كلهبِ النار، أو جمراً يتوقّد، فلم نشك حينئذ أنها نارٌ أرسلها الله على العباد، وأيِسْنَا من النجاة، ثم مكثتْ أقلَّ من مُكث الظلام، وتجلَّت بحمدِ الله عن سلامة، ونهب النَّاسُ بعضَهم بعضاً في الأسواق، وخطفُوا العمائِمَ والمتاع، ثم طلعتِ الشَّمسُ، وبقيت ساعةً إلى الغُروب.

وله مؤلَّف في تحريم الغناء، وكتاب في الزهد، وتعليقةٌ في الخلاف، ومؤلَّف في البدع، والحوادث، وبرِّ الوالدين، والرد على اليهود، والعمد في الأصول، وأشياء.

توفي بالإسكندرية سنةَ عشرين وخمسٍ مئةٍ رحمه الله.

---

(١) وهو من أمتع الكتب وأجودها في بابها، يقال: إنه كتب على اللوحة الأولى منه هذان البيتان:

الناس يُهدون على قدرِهم لكنني أهدي على قـدري
يُهْدُونَ ما يفنى وأُهدي الذي يبقى على الأيام والدَّهـر

٨٤٥ ـ القَلانسي[1]

[١]الإمامُ الكبيرُ، شيخُ القُرَّاءِ، أبو العِزِّ محمدُ بنُ الحُسين بن بُندار الواسطيُّ القَلانسي، صاحبُ التَّصانيف في القراءات.

وُلِدَ سنة خمسٍ وثلاثين وأربعِ مئة.

[٢]قال السَّمعاني: قرأ عليه عالَمٌ مِن الناس، ورُحِلَ إليه من الأقطار وسمعتُ عبدَالوّهابِ الأنماطيَّ يُسيءُ الثناءُ عليه ونسبَه إلى الرّفض،[2] ثم وجدتُ لأبي العزِّ أبياتاً في فضيلة الصحابة.

[٣]قلت: كان يأخُذُ الذهبَ على إقراء العشرة.

[٤]قال ابنُ النَّجار: سمعت أحمدَ بنَ البَنْدَنيجيِّ يقول: سألتُ أبا جعفر أحمدَ ابن أحمد بن القاصّ: هل قرأتَ على أبي العزِّ؟ فقال: لما قَدِمَ بغداد، أردتُ أن أقرأ عليه، فطلب مني ذهباً، فقلتُ: والله إني قادر، ولكن لا أُعطيك على القُرآن أجراً، فلم أقرأ عليه.[3]

مات سنةَ إحدى وعشرين وخمسِ مئة.

---

(١) انظر السير: ١٩/ ٤٩٦ـ٤٩٨.

(٢) قال المصنف في الميزان: ٣/٥٢٥ تعليقاً على قول السمعانيّ: أما الرفض، فلا، فله أبيات في تعظيم الأربعة الراشدين إن لم يكن نظمها تقية.

وقال الحافظ في «اللسان»: ٥/١٤٤: والأبيات المذكورة أوردها ابن السمعاني عن سعد الله بن محمد المقرىء أنه أنشده، قال: أنشدني أبو العز القلانسي لنفسه:

إنّ مَنْ لَمْ يُقَدِّمِ الصِّدِّيقا ... لم يكن لي حتى المماتِ صَديقا

والذي لا يقول قولي في الفا ... روقِ أهوى لشخصه تفريقا

وبنارِ الجحيم باغضُ عثما ... نَ ويهوي منها مكانا سحيقا

من يوالي عندي عليا وعادا ... هم جميعا عددته زنديقا

قال ابن السمعاني: كنت أعتقد في أبي العز أنه يميل الى الرفض حتى سمعت له هذه الأبيات.

(٣) علق المؤلف في (الميزان) بعد إيراد هذا الخبر بقوله: أبو العز عندنا مع ذلك ثقة في القراءات مرضيّ.

٨٤٦ - أميـر الجيــوش (١)

[١]الملكُ الأفضلُ، أبو القاسم شَاهِنشاه ابنُ الملكِ أميرِ الجيوش بَدْر الجمالي الأرمني.

[٢]كان أبـوه نائبـاً بعكـا، فسـار في البحر في ترميم دولةِ المستنصرِ العُبيديِّ فاستولى على الإقليم، وأبادَ عدة أمراء، ودانت له الممالك إلى أن مات، فقام بعدَه ابنُه هذا، وعَظُم شأنُه، وأهلك نزاراً وَلَدَ المستنصر صاحبِ دعوة الباطنّيةِ وأتابِكَه أفتكين متولي الثَّغر، وكان بطلاً شجاعاً، وافِرَ الهيبة، عظيمَ الرُّتبة، فلما هَلَكَ المُستعلي، نصبَ في الإمامة ابنَه الآمِرَ، وحَجَرَ عليه وقَمَعَه، وكان الآمرُ طيّاشاً فاسقاً، فعمِلَ على قتل الأفضل، فرتب عدَّة وثَبُوا عليه، فأثخنوه، ونزل إليه الآمر، توجَّع له، فلما قضى، استأصل أموالَه، وبقي الآمرُ في داره أربعين صباحاً والكَتَبة تضبِطُ تلك الأموال والذخائر، وحَبَسَ أولادَه، وكانت أيّامُه ثمانياً وعشرين سنة، وكانت الأمراء تكرهُه لكونه سُنِّيّاً، فكان يُؤذيهم. وكان فيه عدل فظهر بعدَه الظلمُ والبدعةُ، وولي الوزارة بعدَه المأمونُ البطائحي.

قتلوه سنةَ خمسَ عشرةَ وخمسِ مئة، وله ثمان وخمسون سنة.

[٣]قال ابنُ خلكان في «تاريخه»: قال صاحبُ الدول المنقطعة: خلَّف الأفضلُ ستَّ مئةِ ألفِ ألفِ دينار، ومئتين وخمسين إردَبّاً مِن الدَّراهم، وخمسين ألفَ ثوبٍ من ديبـاج، وعشـرين ألفَ ثوبِ حرير، وثـلاثين راحلة كذا وكـذا ودواةً مجوهرة باثني عشر ألف دينار، وعشرة مجالس، في المجلس مضروب عشرة مسـامير من الـذهب، على المسمار منديل مشدودٌ فيه بدلة ثياب وخمس مئة صندوق، فيها كسوة ومتاع، سوى الدَّوابِّ والمماليكِ والبقر والغنم، ولبن مواشيه

(١) انظر السير: ١٩/ ٥٠٧-٥١٠.

يُباع في السنة بثلاثين ألف دينار.

[١]قلتُ: هذه الأشياء ممكنة، سوى الدنانير والدراهم، فلا أُجوِّز ذلك، بل أستبعد عُشرَه، ولا ريبَ أن جَمعه لهذه الأموالِ موجبٌ لضعف جيش مصرَ، ففي أيَّامه استولت الفِرَنْجُ على القدس وعكَّا، وصُور وطرابُلُس والسَّواحل فلو أنفق ربعَ مالِه، لجمع جيشاً يملأ الفضاءَ، ولأَباد الفِرَنْجَ، ولكن لِيقضي الله أمراً كان مفعولاً.

[٢]قال أبو يعلى بن القلانسي: كان الأفضلُ حسنَ الاعتقادِ، سُنّيّاً حميدَ السيرة، كريمَ الأخلاق، لم يأت الزمانُ بمثله.

[٣]ووزر بعد هلاكِ الآمرِ أميرُ الجيوش أبو علي أحمد بن الأفضل، وكان شهماً مطاعاً، وبطلاً شجاعاً، سائساً سُنّياً، كأبيه وجده، فحجر على الحافظ، ومنعه من أعباءِ الأمور، فشدَّ عليه مملوكٌ للحافظ إفرنجيٌّ، فطعنه فقتلَه، وَوَزَر يانس الحافظي، وكان أبو عليٍّ أحمدُ قد بالغ في الاحتجار على الحافظ، وحوَّل ذخائرَ القصر إلى داره، وادَّعى أنها أموال أبيه.

وقيل: إنه ترك من الخُطبة اسمَ الحافظ، وخطب لنفسه، وقطع الأذانَ بحيَّ على خيرِ العمل، فنفرت منه الرَّعيَّةُ، وغالبُهم شيعة، فَقُتِلَ وهو يلعب بالكُرة سنةَ ستٍّ وعشرين وخمسِ مئة، وجدَّدوا البيعة حينئذ للحافظ، فمات الوزير يانس بعد ثلاث سنين، فوزر وليُّ العهدِ حسنُ ابنُ الحافظ.

الطبقة الثامنة والعشرون

٨٤٧ - طُغْتِكين[1]

[١]صاحِبُ دمشق، الملك أبو منصور طُغْتِكين الأتابك، من أمراء السلطان تُتُش ابن ألب آرسلان السّلجوقي، فقتل السلطان وتملَّك بعدَه ابنُه دُقاق، وصار طُغْتِكين مُقَدَّمَ عسكره، ثم تملّكَ بعدَ دُقاق وكان شهماً شجاعاً، مهيباً مجاهداً في الفِرَنْجِ. مؤثراً لِلعدل، يُلقّب ظهيرَ الدين.

قال أبو يعلى بن القلانسي: مَرِضَ وَنَحُلَ، ومات سنةَ اثنتين وعشرين وخمس مئة، فأبكى العيونَ، وأنكأ القُلُوبَ، وفتَّ في الأعضادِ، وفتت الأكبادَ، وزاد في الأسَفِ. فرحمه الله، وبرَّدَ مضجعه.

[٢]قلتُ: لولا أنَّ الله أقام طُغْتِكين للإسلام بإزاء الفرنج، وإلاّ كانوا غلبُوا على دمشق. فقد هزمهم غيرَ مرة، وأنجده عسكرُ المَوْصِلِ، مع مودود، ومع البُرسُقي.

قال ابنُ الأثير: تملَّك بعده ابنُهُ الكبير تاجُ الملوكِ بُوري بعهدٍ منه.

وقال ابن الجوزي: حكم على الشَّام خمساً وثلاثين سنة، وسار ابنُهُ بسيرته مُديدة. ثم تغيَّر وظَلَم.

[٣]قلت: قد كان طَغْتِكين سيفاً مسلولاً على الفرنج، ولكن له خَرْمَةٌ. كان قد استفحل البلاءُ بداعي الإسماعيلية بَهْرام بالشَّام، وكان يطوفُ المدائنَ والقِلاعَ متخفياً، ويُغوي الأغتام والشُّطار، وينقادُ له الجُهَّال إلى أن ظهر بدمشق بتقرير قرَّره صاحبُ ماردين إيلغازي مع طُغْتِكين، فأخذ يُكرمه، ويُبالغ، اتقاءً لشره، فتبعه الغَوْغَاءُ، والسُّفهاءُ والفلاحون، وكَثُرُوا، ووافقه الوزيرُ طاهر المزدقاني،

---

(١) انظر السير: ١٩/ ٥١٩-٥٢١.

وبثَّ إليه سِرَّه، ثم التمس من الملك طُغْتِكِين قلعةً يحتمي بها فأعطاه بانياس في سنةِ عشرين وخمسٍ مئة، فَعَظُمَ الخطبُ، وتوجَّعَ أهلُ الخير، وتستَّروا من سبِّهم، وكانوا قد قتلُوا عِدَّةً من الكبار، فما قصَّر تاجُ الملوك فقتل الوزيرَ كمالَ الدين طاهر بن سعد المذكور سنةَ ثلاثٍ وعشرين بالقلعة، ونصبَ رأسَه، وركب جنـدُه، فوضعُوا السيفَ بدمشق في الملاحدة الإسماعيلية، فسبّكوا منهم في الحـال نحـواً من ستـة آلاف نفسٍ في الطُّرقات، وكانوا قد تظاهروا، وتفاقم أمرُهم، وراح في هذه الكائنة الصالحُ بالطالح.

[١]وأمـا بَهْرام، فتمرَّد وعَتَا، وقتل شاباً من أهل وادي التيم اسمه برْق، فقام عشيرتُه، وتحالفوا على أخذ الثأر، فحاربهم بَهْرام فكسبوه، وذبحوه إلى اللعنة، [٢]وسلّمت الملاحدةُ بانياس للفِرَنْج وذَلُّوا.

[٣]وقيل: إن المزدقانيَّ كاتب الفِرَنْجَ ليُسلم إليهم دمشق. ويُعْطوه صُورَ، وأن يهجمـوا البلدَ يوم جُمعة، ووكّل الملاحدةَ تُغْلِقُ أبوابَ الجامع على الناس، فقتله لهذا تاجُ الملوك رحمه الله، وقد التقى الفِرَنْجَ وهزمهم، وكانت موقعةً مشهودة.

[٤]وفي سنة عشرين أقبلت جموعُ الفِرَنْجِ لأخذ دمشق، ونزلُوا بِشَقْحَب فجمع طُغْتِكِين التُّركمانيين وشُطَّار دمشق، والتقاهم في آخر العامِ وحَمِيَ القتالُ، ثم فرّ طُغْتِكِين وفـرسـانُـه عجـزاً، فعـطفت الـرجّالةُ على خيام العدوِّ، وقتلوا في الفِرَنْجِ، وحازُوا الأموالَ والغنائم، فوقعت الهزيمةُ على الفِرَنْج، ونزل النصرُ.

٨٤٨ - السُّلطان[1]

صاحبُ العراق، مغيثُ الدين محمودُ بنُ السلطان محمد بن مَلِكْشَاه بن ألب آرْسلان السّلجوقيّ.

تملَّك بعد أبيه وهو حَدثٌ أمردُ في أوَّل سنةِ اثنتي عشرة، وخُطِبَ له على منابِرِ بغداد، وكان ذكيّاً فطناً، له معرفة بالنحو، وميل إلى العلم، ونظر في التاريخ، وضَعُفَتْ دولةُ بني سلجوق في أواخر أيامه وكان عمُّه السلطانُ سَنجر أعلى رتبةً منه.

مات بِهَمَذانَ في شوَّال سنةَ خمس وعشرين وخمَس مئة.

٨٤٩ - ابنُ تُومَرت[2]

الشيخُ الإمامُ، الفقيهُ الأصوليُّ الزاهدُ، أبو عبدالله محمدُ بنُ عبدِالله بن تُومَرت، البَربريُّ المَصْمُوديُّ الهرْغي، الخارجُ بالمغرب المدَّعي أنه علويٌّ حَسَنيّ، وأنه الإمامُ المعصومُ المهديُّ، وأنه محمدُ بنُ عبدِالله بنِ عبدِالرحمن ابنِ هودَ بنِ خالد بنِ تمام بنِ عدنانَ بنِ صفوانَ بنِ جابر بنِ يحيى بنِ رباح بنِ يسار بنِ العبّاس بنِ محمد بنِ الحسن بنِ الامام عليٍّ بن أبي طالب.

رَحَلَ من السُّوسِ الأقصى شابّاً إلى المشرقِ، فحج وتفقه، وحَصَّل أطرافًا من العلم، وكان أمّاراً بالمعروف، نهّاءً عن المنكر، قويَّ النفس، زَعِراً شجاعاً، مهيباً قوّالاً بالحق، عمّالاً على الملك، غاوياً في الرِّياسة والظهور، ذا هيبةٍ

(١) انظر السير: ١٩/ ٥٢٤ـ٥٢٥.

(٢) انظر السير: ١٩/ ٥٣٩ـ٥٥٢.

ووقـار، وجـلالـةٍ ومعـاملة وتألُّه، انتقع به خلقٌ، واهْتَدوْا في الجملة، وملكوا المدائنَ، وقهروا الملوكَ.

وأخذ عن إلْكِيا الهرَّاسي وأبي حامدٍ الغزاليّ ، وأبي بكر الطُّرطوشيّ وجاور سنةً.

وكـان لَهِجًـا بعلم الكـلامِ ، خائضـاً في مزالِّ الأقـدامِ ،ألَّف عقيدةً لقَّبها بالمُرشِدَة، فيها توحيد وخير بانحراف، فحمل عليها أتباعَه وسمَّاهم الموحدين، ونَبَزَ من خالفَ المُرشِدَةَ بالتَّجسيم، وأباحَ دَمَه، نعوذُ بالله من الغَيِّ والهوى.

وكان خَشِنَ العيش، فقيراً، قانعاً باليسير، مقتصراً على زيِّ الفقْرِ، لا لَذَّةَ له في مأكَلٍ ولا مَنْكحٍ ، ولا مال، ولا في شيء غير رياسة الأمر حتى لَقِيَ الله تعالى.

لكنه دخل - والله - في الدِّماء لِنيل الرياسة المُردية.

وكان غَرامُهُ في إزالة المنكر، والصَّدْعِ بالحق، وكان يتبسَّمُ إلى مَنْ لَقِيَه.

وله فصاحةٌ في العربية والبربرية، وكان يُؤْذَى ويُضرَبُ ويَصبرُ أوذِيَ بمكة، فراح إلى مِصرَ، وبالغ في الإنكار، فطردُوه، وآذَوْهُ وكان إذا خاف مِن البطشِ بهِ خلَّط وتبالَه.

ثم سكن الثَّغرَ مدّةً، ثم ركِبَ إلى المغرِب، وقد رأى أنه شَرِبَ ماءَ البحرِ مرتين، وأخـذ يُنْكِرُ في المركب على النَّاس، وألزمهم بالصلاة، فآذَوْهُ، فقدم المَهْدِيَّة، [1] وعليها ابنُ باديس، فَنَزَلَ بمسجد معلق، فمتَى رأى منكراً أو خمراً، كَسَـر وبَدَّد، فالتفَّ عليه جماعةٌ واشتغلوا عليه، فطلبَه ابنُ باديس، فلما رأى حالَه، وسَمِعَ كلامَه سأله الدُّعاءَ، فقال: أصلحك اللهُ لِرعيّتك.

وسار إلى بَجاية، فبقي يُنكر كعادته، فنُفي. فذهب إلى قرية ملاّلة، فوقع

(١) مدينة محدثة بساحل أفريقية بينها وبين القيروان ستون ميلاً والبحر محيط بها من جهاتها الثلاثة، بناها عبيدالله الشيعى الخارج على بنى الأغلب، وهو سماها المهديّة، وكان ابتداء بنيانها سنة ثلاث مئة.

بها بعبدِالمؤمن الذي تسلطنَ، وكان أمْرَدَ عاقلاً، فقال: يا شاب، ما اسُمك؟ قال: عبدُالمؤمن، قال: الله أكبرُ، أنت طَلِبَتي، فأين مقصِدُك؟ قال: طلبُ العلم، قال: قد وجدتَ العلمَ والشَّرف، اصْحَبْني.

فربط الشاب، وشوّقه إلى أمورٍ عَشِقَها، وأفضَى إليه بسرِّه وكان في صُحبته الفقيهُ عبدُالله الوَنْشَريسي، وكان جميلاً نحوياً، فاتفقا على أن يُخفيَ علمَه وفصاحتَه، ويتظاهر بالجهل واللَّكَنِ مدّة، ثم يجعلُ إظهارَ نفسِه معجزةً، ففعل ذلك.

وسار ابنُ تُومَرْت إلى أغمات، فنزلوا على الفقيه عبدالحق المَصموديِّ، فأكرمهم، فاستشاروه، فقال: هُنا لا يحميكم هذا الموضع فعليكم بتِيْنَمَلَّ فهي يومٌ عنّا، وهو أحصنُ الأماكن، فأقيمُوا به بُرهَةً كي يُنسى ذكركُم. فلما رآهم أهلُ الجبلِ على تلك الصُّورة، علموا أنهم طَلَبَةُ علمٍ، فأنزلوهم، وأقبلُوا عليهم، ثم تسامع به أهلُ الجبل فتسارعُوا إليهم، فكان ابنُ تُومرت من رأى فيه جَلادة، عَرض عليه ما في نفسه، فإن أسرع إليه، أضافه إلى خواصِّه، وإن سكت، أعرض عنه، وكان كُهولُهم ينهون شبَّانَهم ويُحذِّرونهم، وطالت المدّةُ، ثم كَثُرَ أتباعُهُ مِن جبال درَن، وهو جبل الثلج، وطريقُهُ وعرٌ ضيق.

قال اليسع في «تاريخه»: لا أعلم مكاناً أحصنَ من تِيْنَمَلَّ لأنها بين جبلين، ولا يصِلُ إليهما إلا الفارسُ، وربما نزل عن فرسه في أماكنَ صعبة، وفي مواضع يَعْبُرُ على خشبة، فإذا أُزيلت الخشبة، انقطع الدَّربُ، وهي مسافة يوم، فشرع أتباعُه يغيرون ويقتلُون، وكثُرُوا وقَوُوا ثم غَدَرَ بأهل تِيْنَمَلَّ الذين آووْهُ، وأمر خواصَّه، فوضعُوا فيهم السيفَ فقال له الفقيهُ الإفريقيُّ أحدُ العشرة من خواصِّه: ما هذا؟! قومٌ أكرمونا وأنزلونا نقتلُهم!! فقال لأصحابه: هذا شكٌّ في عِصمتي، فاقتلُوه، فقُتِل.

قال اليسع: وكُلُّ ما أذكُرُه من حال المصامِدة، فقد شاهدتُه أو أخذتُه متواتراً، وكان في وصيته إلى قومه إذا ظَفِرُوا بمُرَابِطٍ أو تِلِمْسَانيٍّ أن يحرقوه.

فلما كان عامُ تسعةَ عشرَ وخمسِ مئة، خرج يوماً، فقال: تعلمون أن البشير - يريُد الوَنْشَرِيسي - رجلٌ أمِّيٌّ، ولا يثُبت على دابّة، فقد جعلَه الله مبشراً لكم، مطَّلِعاً على أسراركم، وهو آية لكم، قد حَفِظَ القرآن، وتعلَّم الرُّكوب، وقال: أقـرأ، فقرأ الختمة في أربعة أيام وركب حصاناً وساقه، فَبُهِتُوا، وعدُّوها آيةً لغباوتهم، فقام خطيباً وتلا ﴿لِيَمِيزَ الله الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (الأنفال: ٣٧). وتـلا ﴿مِنْهُمُ المُـؤْمِنُونَ وأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: ١١٠) فهذا البشيرُ مطلع على الأنفس، مُلْهَمٌ، ونبيُّكم صلى الله عليه وسلم يقول: «إن في هذِهِ الأُمَّةِ محدَّثين وإنَّ عُمَرَ مِنْهُمْ» وقد صحِبْنَا أقوامٌ أطلعه الله على سرهم، ولا بُدَّ من النظرِ في أمرهم، وتيمُّمِ العدلِ فيهم، ثم نُودِيَ في جبال المصامدة: من كان مطيعاً للإمام، فليأتِ، فأقبلُوا يُهْرَعُونَ، فكانوا يُعرضون على البشير، فَيُخْرِجَ قوماً على يمينه، ويَعُدُّهم من أهل الجنة، وقوماً على يساره، فيقول: هذا تائب ردُّوه على اليمين تاب البارحة، فيعترفُ بما قال، واتفقت له فيهم عجائب، حتى كان يُطلقُ أهلَ اليسارِ، وهم يعلمون أن مآلَهم إلى القتل فلا يَفِرُّ منهم أحد، وإذا تجمَّع منهم عدة، قتلهم قراباتُهم حتى يقتلَ الأخُ أخاه.

قال: فالذي صَحَّ عندي أنهم قُتِلَ منهم سبعون ألفاً على هذه الصفة ويُسمونه التمييز، فلمـا كَمُـلَ التمييز، وجَّـه جمـوعَه مع البشير نحو أغمات، فالتقاهم المرابطون، فهزمَهُمُ المرابطون، وثبت خلقٌ من المصامدة، فَقُتِلُوا، وجُرِحَ عمر الهِنْتاتي عِدَّةٍ جراحات، فَحُمِلَ على أعناقهم مُثخناً، فقال لهم البشير: إنه لا يموتُ حتى تفتح البلاد، ثم بعدَ مدة، فتح عينيه، وسلم، فلما أتَوْا، عزَّاهم ابنُ تُومرت، وقال: يوم بيوم، وكذلك حربُ الرُّسل.

وكان ابنُ تُومرت طويلَ الصمت، دائمَ الانقباض، له هَيْبَةٌ في النفوس. وكان فيه تشيّعٌ،[1] ورتب أصحابه، فمنهم العشرةُ، فَهُمْ أوّل من لبّاه ثم الخمسين، وكـان يُسميهم المؤمنين، ويقـول: ما في الأرض مَنْ يُؤمن إيمـانَكم، وأنتم العِصـابـة الـذين عَنَى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله «لا يَزَالُ أهْلُ الغَرْبِ ظَاهِرِينَ»[2] وأنتم تفتحون الروم، وتقتلون الدَّجّالَ، ومِنكم الذي يؤمُّ بعيسى، وحدَّثهم بجزئيات اتفق وقوعُ أكثرِها، فَعَظُمَتْ فتنةُ القوم به حتى قتلوا أبناءَهم وإخوتَهم لِقسوتهم وغِلَظِ طباعِهم، وإقدامِهم على الدماء، فبعث جيشاً، وقال: اقصـدُوا هؤلاء المـارِقين المُبَـدِّلين الـدين، فادعوهم إلى إماتة المنكر وإزالة البدع، والإقرار بالمهديِّ المعصوم، فإن أجابُوا، فهم إخوانُكم، وإلا فالسنةُ قد أباحت لكم قِتالَهم، فسار بهم عبدُالمؤمن يقصِدُ مرَّاكُش، فالتقاه الزبيرُ بنُ أمير المسلمين، فكلّمـوهم بالـدعوة، فردوا أقبحَ رد، ثم انهزمت المصامدة، وقتل منهم ملحمة فلما بلغ الخبرُ ابنَ تُومرت، قال: أنجى عبدُالمؤمن؟ قيل: نعم. قال: لم يُفْقَدْ أحد، وهوَّن عليهم، وقال: قتلاكم شهداء.

وقـال الأمير عزيز في «أخبـار القيروان»: سمَّى ابنُ تُومـرت أصحـابَـه بالموحِّدين، ومن خَالَفه بالمُجَسِّمين، واشتهر سنةَ خمسَ عشرةَ، وبايعته هَرْغة على أنـه المهـديّ، فقصـده المُلَثَّمـون، فكسروا الملثمين، وحازُوا الغنائم، ووثقت نفوسُهم، وأتتهم أمدادُ القبائل، ووحدت هنتاته وهي من أقوى القبائل.

ثم قال عزيز: لهم توُّددٌ وأدبٌ وبشاشة، ويلبَسُون الثيابَ القصيرةَ الرخيصة، ولا يُخلون يوماً مِن طرادٍ ومثاقفة ونضال، وكان في القبائل مفسدون، فطَلَبَ ابنُ تُومرت مشايخَ القبائل ووعظهم، وقال: لا يَصْلُحُ دينُكم إلاّ بالنهي عن المنكر،

---

(١) قال ابن خلدون: وكان من رأيه القول بعصمة الإمام علي على رأي الإمامية من الشيعة.

(٢) وتمامه: «على الحقِّ حتى تقوم الساعة»، والمراد بأهل الغرب في هذا الحديث أهل الشام لأنهم بالنسبة للمدينة المنورة في الجهة الشمالية الغربية، وانظر فتح الباري: ١٣/ ٢٩٥ الطبعة السلفية.

فابحثوا عن كُلِّ مفسد، فانهوه، فإن لم ينته، فاكتُبُوا إلي أسماءهم، ففعلوا، ثم هدَّد ثانياً، فأخذ ما تكرَّر من الأسماء، فأفردها، ثم جمع القبائلَ، وحضهم على أن لا يغيبَ منهم أحد، ودفع تلك الأسماء إلى البشير، فتأمَّلها، ثم عَرضهم رجلاً رجلاً، فمن وجد اسْمَه ردّه إلى الشمال، ومن لم يجده، بعثه على اليمين، ثم أمر بتكتيف أهلِ الشمال، وقال لِقراباتهم: هؤلاء أشقياء من أهل النار، فلتقتُلْ كلُّ قبيلة أشقياءَها، فقتلوهم، فكانت واقعةً عجيبة، وقال: بهذا الفعلِ صحَّ دينُكم، وقَوِيَ أمرُكم.

وفي أوَّلِ سنة أربع وعشرين، جهز عشرين ألفَ مقاتل عليهم البشير وعبدُالمؤمن بعدَ أمور يطولُ شرحُها، فالتقى الجمعانِ واستحر القتلُ بالموحِّدين، وقتل البشير، ودام الحربُ إلى الليل فصلَّى بهم عبدُالمؤمنِ صلاةَ الخوف، ثم تحيَّز بمن بقي إلى بُستان يُعرف بالبُحيرة، فراح منهم تحت السيف ثلاثةَ عشرَ ألفاً، وكان ابنُ تُومرت مريضاً، فأوصى باتِّباع عبدِالمؤمن، وعَقد له، ولقَّبه أميرَ المؤمنين، وقال: هو الذي يفتحُ البلاد، فاعضُدوه بأنفسِكم وأموالكم ثم مات في آخر سنة أربع وعشرين وخمس مئة.

قال اليسع بنُ حزم: سَمَّى ابنُ تُومرت المرابطين بالمجسِّمين، وما كان أهلُ المغرب يدينون إلا بتنزيه الله تعالى عما لا يجب وصفُه بما يجب له، مع تركِ خوضهم عمَّا تقصر العقولُ عن فهمه.

إلى أن قال: فكفَّرهم ابنُ تُومرت لجهلهم العَرضَ والجوهر، وأن من لم يَعْرِفْ ذلك، لم يعرفِ المخلوقَ من الخالق، وبأن من لم يُهاجِرْ إليه ويقاتلُ معه، فإنه حلالُ الدّمِ والحريم، وذكر أن غضبَه لله وقيامَه حسبةٌ.

قال ابنُ خَلِّكان: قبره بالجَبَل مُعظَّم، مات كهلاً. وكان قُوتُه مِن غزل أخته رغيفاً بزيت، أو قليل سمن، لم ينتقِلْ عن ذلك حين كَثُرتْ عليه الدنيا، رأى أصحابَه يوماً، وقد مالت نفوسُهم إلى كثرة ما غنِموه، فأمر بإحراق جميعه، وقال: مَنْ أراد

الدنيا فهذا له عندي، ومن كان يبغي الآخرة، فجزاؤه عند الله، وكان يتمثل كثيراً:

تَجَرَّدْ مِن الدُّنْيا فإنَّكَ إنَّما   خَرَجْتَ إلى الدُّنْيَا وأنْتَ مُجَرَّدُ

ولم يفتتح شيئاً من المدائن، وإنما قرر القواعد، ومهَّد، وبغته الموت، وافتتح بعدَه البلادَ عبدُالمؤمن.

وقد بلغني ـ فيما يقال ـ: أن ابنَ تُومرت أخفى رجالاً في قبور دَوَارِسَ، وجاء في جماعة لِيُريَهم آية، يعني فصاحَ: أيُّها الموتى أجيبوا، فأجابوه: أنتَ المهديُّ المعصومُ، وأنت وأنت، ثم إنَّه خاف من انتشار الحِيلة، فخسف فوقهم القبور فماتوا.

وبكل حالٍ، فالرجل مِن فحول العالم، رام أمراً، فتم له، وربط البربرَ بادِّعاء العِصْمَة، وأقْدَم على الدِّماء إقدام الخوارج، ووجد ما قدَّم.

٨٥٠ ـ البَطائحيّ[1]

هو وزيرُ الدِّيارِ المِصريّةِ، والدَّولةِ العُبَيْدِيَّةِ، الملكُ أبو عبدِالله المأمونُ بن البطائحي، وكان مِن قصته أن أباه كان صاحبَ خبرٍ بالعراق للمصريين من أجلادِ الرافضة، فمات، ونشأ المأمونُ فقيراً صُعْلُوكاً فكان حمالاً في السُّوق بمصرَ، فدخل مرةً إلى دار الأفضل أميرِ الجيوش مع الحمَّالين فرآه الأفضلُ شاباً مليحاً، خفيفَ الحركات، فقال: مَنْ هذا؟ قال بعضُهم: هذا ابنُ فلان، فاستخدمه فرّاشاً مع الجماعة فتقدَّم وتميَّز، وترقَّى به الحالُ إلى الملك، وهو الذي أعان الآمِرَ بالله على الفتكِ بأميرِ الجُيوش، ووَلِيَ منصبَه، وكان شهماً مِقداماً، جواداً بالأموال، سفاكاً للدماء، عُضْلَةً من العُضَلِ، ثم إنَّه عامل أخا الخليفة الآمر على قتل الآمر، ودخل معهما أمراء، فعرف بذلك الآمرُ، فقبض على المأمون، وصلبه، واستأصله، في سنة تسع عشرة وخمس مئة.

---

(١) انظر السير: ١٩/ ٥٥٣.

٨٥١ ـ المسترشد بالله(١)

[١]أميرُ المؤمنين أبو منصور الفضلُ بن المستظهرِ بالله أحمدَ بنِ المقتدي بأمرِ الله عبدِالله بنِ محمد بنِ القائم عبدِالله بنِ القادرِ القُرشيُّ الهاشميُّ العبَّاسيُّ البغداديُّ.

مولِدُه سنةَ ستٍّ وثمانين وأربعِ مئة في أيَّام جدِّه المقتدي، وخطب له بولاية العهدِ وهو يَرْضَعُ، وضُرِبَتِ السِّكَّةُ باسمه.

وله خطٌّ بديع، ونثر صَنيع، ونظم جيِّد، مع دينٍ ورأيٍ، وشَهامةٍ وشجاعة، وكان خليقاً للإمامة، قليلَ النظير.

قال ابنُ النجار: كان ذا شهامةٍ وهيبة، وشجاعةٍ وإقدامٍ، ولم تَزَلْ أيامُه مُكدَّرَةً بتشويش المخالفين، وكان يخرُجُ بنفسه لدفع ذلك ومباشرته إلى أن خرج، فكُسِرَ، وأُسِرَ، ثم استشهد على يدِ الملاحدة وكان قد سَمِع الحديثَ.

[٢]ابن النجار: أخبرنا زينُ الأمناء عن محمد بن محمد الإسكافيّ إمامِ الوزير قال: لما كنا مع المسترشد بباب هَمَذان، كان معنا إنسان يعرف بفارس الإسلام، وكان يَقْرُبُ من خدمة الخليفة، فدخل على الوزير ابن طراد، فقال: رأيتُ الساعة النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسولَ الله ما تقول في هذا الجيش؟ قال: مكسور مقهور، فأريد أن تُطالعَ الخليفةَ بهذا، فقال: يا فارسَ الإسلام، أنا أشرتُ على الخليفة أن لا يَخْرُجَ مِن بغداد، فقال: يا عليّ، أنتَ عاجز رُدّ إلى بيتك، فلا أُبلِّغُه هذا، لكن قل لابن طلحةَ صاحبِ المخزن، فذهب إلى ابن طلحة، فأخبره، فقال: لا أُنهي إليه ما يُتطيَّرُ به، فاكتب هذا إليه واعْرِضها، وأخلِ موضع مقهور فكتبتُها، وجئتُ إلى السُّرادق، فوجدتُ نجا

(٢) انظر السير: ١٩/ ٥٦١ـ٥٦٨.

في الدِّهليز، وقد صلَّى الخليفةُ الفجرَ، وبينَ يديه مصحف، ومقابله ابنُ سُكينة إمامُه فدخل نجا الخادم، فسلم الرُّقعةَ إليه، وأنا أنْظُرُه، فقرأها غيرَ مرة وقال: مَن كتب هذه؟ فقال: فارسُ الإسلام، قال: أحضره، فجاء فقبض على يدي، فأُرْعِدْتُ، وقبّلتُ الأرض، فقال: وعليكمُ السلامُ ثم قرأ الرقعة مرات، ثم قال: من كتب هذه؟ قلت: أنا، قال: ويلَك، لم أخليت موضعَ الكلمة الأخرى؟ قلتُ: هو ما رأيتَ يا أميرَ المؤمنين، قال: ويلَك، هذا المنام أُريتُه أنا في هذه الساعة، فقلتُ: يا مولانا، لا يكون أصدق مِن رؤياك، ترجِعُ من حيث جئتَ، قال: ويلك ويُكذِّب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؟! لا والله ما بقي لنا رجعة ويقضي الله ما يشاء، فلما كان اليومُ الثاني، أو الثالث، وقع المصافُّ وتم ما تم، وكُسر وأُسر، وقُتِلَ رحمه الله.

[١]قال ابن ناصر: خرج المسترشد بالله سنة تسع وعشرين وخمس مئة إلى هَمَذان للإصلاح بين السلاطين، واختلاف الجند، وكان معه جمعٌ كثير مِن الأتراك، فَغَدَرَ به أكثرُهم، ولَحِقُوا بمسعود بنِ محمد بن مَلِكْشَاه، ثم التقى الجمعانِ، فانهزم جمعُ المسترشد بالله وقُبِضَ عليه، وعلى خواصِّه، وحُملُوا إلى قلعةٍ هناك، فَحُبِسوا بها وبقي الخليفةُ مع السلطان مسعود، وحُمِلَ معهم إلى مَرَاغة، ثم إن الباطنية ألَّفوا عليه جماعةً من الملاحدة، وكان قد أنزل ناحية من المعسكر، فدخلوا عليه، ففتكوا به، وبجماعةٍ كانوا على باب خَرْكَاهِه(١)، وقُتِلوا.

وجاء الخبر إلى بغداد، فَكَثُرَ النوحُ والبكاءُ بها، وعُمِلَ العَزَاءُ.

قلتُ: بويع عندَ موتِ أبيه سنةَ اثنتي عشرةَ وخمسِ مئة فكانت دولتُه سبعَ عشرةَ سنةً وسبعةَ أشهر، وعاش ستاً وأربعين سنة فقيل: إن الذين فتكُوا به

---

(١) الخركاه بالفارسية، الخيمة الكبيرة.

جَهَّزَهُمْ مسعود، وكانوا سبعة عشرَ نفساً فأُمسكُوا، وقتلَهم السُّلطانُ، وأظهر الحزنَ والجزعَ.

وقيل: بعث السلطانُ سَنجرٌ بنُ ملِكْشاه إلى ابن أخيه مسعود يُوبِّخُه على انتهاك حُرمة المسترشد، ويأمرُه بردِّه إلى مقر عِزِّه، وأن يمشيَ بينَ يديه بالغَاشية ويخضَعَ، ففعل ذلك ظاهراً، وعمل على قتلِه.

٨٥٢ - الراشد بالله(١)

[١]أميرُ المؤمنين، أبو جعفر منصورُ بنُ المسترشد بالله الفضلِ بنِ أحمدَ العبَّاسي.

وُلِدَ سنة اثنتين وخمس مئة في رمضان، فقيل، وُلِدَ بلا مَخْرَجٍ، ففُتِقَ له مخرج بآلةٍ من ذهب، وأمه أمُّ ولد.

خُطِبَ له بولاية العهد سنةَ ثلاثَ عشرَ وخمسِ مئة، واستُخْلِفَ في ذي القَعدة سنة تسع وعشرين.

[٢]وكان أبيضَ مليحاً، تامَّ الشكل، شديدَ الأيد، يقال: إنه كان بدارِ الخِلافة أيِّلٌ عظيم اعترضه في البُستان، فأحجم الخدمُ، فهجم على الأيِّل، وأمسك بقرنيه ورماه، وطلب مِنشاراً، فقطع قرنيه.

[٣]وكان حسنَ السِّيرة، مؤثراً للعدل، فصيحاً عذْبَ العبارة، أديباً شاعراً، جَواداً، لم تَطُلْ أيامُه حتى خرج إلى المَوْصِل، ثم إلى أذْرَبيجَان، وعاد إلى أصْبَهانَ، فأقام على بابها مع السُّلطان داود، محاصِراً لها، فقتله الملاحدةُ هناك، وكان بعدَ خروجه من بغداد مجيءُ السلطانِ مسعودِ بنِ محمدِ بنِ مِلَكْشَاه، فاجتمع بالأعيان، وخلعوا الرَّاشِدَ، وبايعوا عمَّه المقتفي.

(١) انظر السير: ١٩/ ٥٦٨-٥٧٣.

٨٥٣ تاج الملوك(١)

[١]صاحب دِمشقَ، تاجُ الملوك، بوري بنُ صاحبِ دمشق الأتَابك طُغتِكِين، مولى السلطان تُتُش السّلجوقيّ.

[٢]تملّك بعد أبيه سنة اثنتين وعشرين، وكان ذا حلمٍ وكرم، له أثر كبير في قتل الإسماعيليَّة.

مولده في سنة ثمان وسبعين وأربع مائة.

[٣]ولمَّا علم ابنُ صبَّاح صاحبُ الألَموتَ بما جرى على أشياعه الإسماعيليةِ بدمشق، تنمَّر، وندب طائفة لقتل تاج الملوك، فعيَّن اثنين في زيِّ الجند، ثم قدِما فاجتمعا بناسٍ منهم أجنادٌ، وتحيّلا على أن صارا من السَّلحدانة، وضمنوهما، ثم وثبا عليه فقتلاه.

[٤]قال أبو يعلي القلانسيّ: وثبوا عليه في خامسِ جمادى الآخرة سنةَ خمس وعشرين، فضربه الواحِدُ بالسيف قصد رأسه، فجرحه في رقبته جرحاً سليماً، وضربه الآخر بسكين فى خاَصرته، فمرَّت بين الجلد واللحم.

قلت: كان تعلّل من ذلك، ولكنه تُوفِّي في رجب سنة ستٍّ وعشرين وخمس مئة.

[٥]وقيل: كان عجباً في الجهاد، لا يفترُ من غزوِ الفِرَنْج، ولو كان له عسكر كثير لاستأصل الفِرَنْجَ.

---

(١) انظر السير: ١٩/ ٥٧٣-٥٧٥.

٨٥٤ - شمس الملوك[1]

[١]صاحبُ دمشق، شمسُ الملوكِ، إسماعيلُ بن بُوري بن الأتَابَك طُغْتِكِين التُّركي.

تملَّكَ بعدَ أبيه في رجب سنةَ سِتٍّ وعشرين، وكان بطلاً شجاعاً شهماً مِقداماً كآبائه، لكنَّه جَبَّارٌ عَسُوف.

[٢]استنقذ بانياس مِن الفِرَنْج في يومين، وكانت الإسماعيليةُ باعُوها لهم مِن سبع سنين، وسَعَّر بلادَهم، وأوْطأهم ذُلًّا، ثم سارَ، فحاصر أخاه ببعلبَكَّ، ونازل حماة، وهي للأتابَك زنكي، وأخذها ثمّ بدا له، فكاتب الأتابك زنكي لِيسلمَ إليه دمشق، فخافته أُمُّه زُمُرُّد والأمراء، فهيأت أُمُّهُ س قتله، لأنه تهدَّدَهَا-لما نصحَتْه- بالقتل، وكانت الفِرَنْجُ تخافه لما هزمهم، وبيَّتهم، وشن الغارة على بلادهم، وعثَّرهم.

قال ابن القلانسيّ: بالغ في الظُّلم، وصادر وعذَّب، ولما علم بأن زنكي على قصدِ دمشق، بعث يستحِثُّه ليعطيَه إيّاها لِهذيانٍ تخيَّله ويقول: إن لم تجيء، سلمتُها إلى الفِرَنْج، كتب هذا بيده، فأشفق الناسُ، فحمل صفوةَ المُلكِ دينُها على حسمِ الداءِ، فأهلكته، وكَثُرَ الدُّعاءُ لَهَا.

قُتِلَ سنةَ تسعٍ وعشرين وخمس مئة، وله ثلاث وعشرون، وتملَّك بعده أخوه محمود، ثم تزوَّجت أمه بصاحب حلب زنكي.

(١) انظر السير: ١٩/ ٥٧٥-٥٧٦.

٨٥٥ ـ العَبْـــدَرِيّ(١)

[١]الشيخُ الإمـامُ، الحـافظ النَّـاقـد الأوحدُ، أبو عامر محمد بن سعدون بن مُرجَّى، القرشيّ العَبْدَرِيُّ، الميُوْرقي المغربي الظَّاهري، نزيل بغداد.

مولده بقُرطبة، وكان مِن بحور العلم، لولا تجسيمٌ فيه، نسأل الله السلامة.

قال القاضي أبوبكر بن العربي في «معجمه»: أبو عامرٍ العبدريُّ هو أنبلُ مَنْ لقيتُه.

وقال ابنُ ناصر: كان فهماً عالماً، متعففاً مع فقره.

[٢]وقال الحافظ ابنُ عساكر: كان العَبْدَرِيُّ أحفظَ شيخ لقيتُه وكان فقيهاً داوودِيّاً، ذكر أنَّه دخل دمشق في حياة أبي القاسم بن أبي العلاء وسمعتُه وقد ذُكِرَ مالك، فقال: جِلْفٌ جاف، ضرب هشامَ بنَ عمّار بالدِّرَّة، وقرأتُ عليه «الأموال» لأبي عبيد، فقال وقد مرَّ قولٌ لأبي عُبيد ـ: ما كان إلّا حماراً مُغفّلاً، لا يعرفُ الفقه، وقيل لي عنه: إنه قال في إبراهيم النَّخَعيّ: أعورُ سوء، فاجتمعنا يوماً عند ابنِ السمـرقنـديِّ في قراءة كتاب «الكامل»، فجاء فيه: وقال السَّعديُّ كذا فقال: يَكْذِبُ ابنُ عدي، إنما ذا قولُ إبراهيمَ الجوزجانيّ، فقلت له: فهو السَّعديّ، فإلى كم نحتمِلُ منك سوءَ الأدَبِ، تقول في إبراهيم كذا وكذا، وتقول في مالك جاف، وتقول في أبي عُبيد؟! فغضب وأخذته الرِّعدة، وقال: كان ابنُ الخاضبةِ والبَـرداني وغيرهمـا يخافوني، فآل الأمرُ إلى أن تقولَ فيَّ هذا؟! فقال له ابنُ السمرقنديّ: هذا بذاك، فقلت: إنما نحترمك ما احترمتَ الأئمة، فقال: واللهِ لقد علمتُ من علم الحديث ما لم يعلمْه غيري ممن تقدَّم، وإنّي لأعلمُ من صحيح البخاريِّ ومسلم ما لم يعلماه، فقُلْتُ مستهزئاً: فعلمُك إلهام إذاً،

(١) انظر السير: ١٩/ ٥٧٩ـ٥٨٣.

وهاجرتُه.

سألتُه يوماً عن أحادث الصفات، فقال: اختلف الناسُ فيها فمنهم مَنْ تأوَّلها، ومنهم من أمسك، ومنهم من اعتقد ظاهِرَها، ومذهبي أحدُ هذه المذاهبِ الثلاثة، وكان يُفتي على مذهب داود، فبلغني أنَّه سُئِلَ عن وجوب الغسل على مَنْ جامع ولم يُنْزِلْ، فقال: لا غُسل عليه، الآن فعلتُ ذا بأمِّ أبي بكر.

إلى أن قال: وكان بَشِعَ الصُّورةِ زَرِيَّ اللباس.

قلت: ما ثبتَ عنه ما قِيلَ من التشبيه، وإن صحَّ، فبُعْدَاً لَهُ وسُحقَاً.

٨٥٦ قاضي المَرَسْتان(١)

[١]الشيخُ الإمامُ العالِمُ المُتفنِّنُ، الفَرَضيُّ العدلُ، مُسندُ العصرِ القاضي أبو بكرٍ محمدُ بنُ عبدِ الباقي بنِ محمد بنِ عبدِالله بنِ محمد بنِ عبدِالرحمنِ بنِ الرّبيعِ بنِ ثابت بنِ وهب بنِ مَشجَعَةَ بنِ الحارثِ بنِ عبدِالله بنِ شاعرِ النبي ﷺ وأحدِ الثلاثةِ الذين خُلِّفوا كعبِ بنِ مالكِ بنِ عمرو القيْنِ الخَزرَجيُّ السَّلميُّ الأنصاريُّ البغداديُّ.

مولده سنة اثنتين وأربعين وأربعِ مئة.

[٢]وقال أبو موسى المدينيّ: كان إماماً في فُنون، وكان يقول: حَفِظْتُ القرآن وأنا ابنُ سبعٍ، وما مِن علمٍ إلا وقد نظرتُ فيه، وحصَّلتُ منه الكُلَّ أوِ البعضَ، إلا هذا النَّحوَ، فإنّي قليلُ البِضاعةِ فيه. وما أعلمُ أنّي ضَيَّعْتُ ساعةً من عُمري في لهوٍ أو لعب.

[٣]وكان قد سافر، فوقع في أَسرِ الروم، وبقي سنةً ونصفاً، وقيَّدوه وغلُّوه، وأرادوهُ على كلمـةِ الكُفـر، فأبى، وتعلَّم منهم الخَطَّ الروميَّ. سمعتُه يقول: من خَدَمَ المحابِرَ، خَدَمَتْهُ المَنابِرُ. يجب على المُعَلِّمِ أن لا يُعنِّفَ، وعلى المُتعلِّم أن لا يأنَف، ورأيتُه بعد ثلاث وتسعين سنةً صحيحَ الحواسِّ لم يتغيَّر منها شيءٌ، ثابت العقلِ، يقرأُ الخطَّ الدقيقَ من بُعْدٍ، ودخلنا عليه قَبلَ موته بمُدَيدَةٍ، فقال: سالت في أُذني مادَّةٌ، فقـرأ علينـا مِن حديثـه، وبقي على هذا نحـواً من شهرين، ثم زال ذلك.

[٤] ثم مرض، فأوصى أن يُعمَّق قبرُه زيادةً على العادة، وأن يُكتبَ على قبره ﴿قُلْ هُو نَبَأٌ عَظِيمٌ . أَنْتُمْ عَنهُ مُعْرِضُونَ﴾ [صَ: ٦٧، ٦٨] وبقي ثلاثةَ أيامٍ لا يفتُرُ من قراءة القرآن، إلى أن تُوفِّي سنةَ خمس وثلاثين وخمس مئة.

---

(١) انظر السير: ٢٠/٢٣ـ٢٨

[١]قال السمعاني : وقال لي : أَسَرَتْني الرومُ، وكانوا يقولون لي قل: المسيحُ ابنُ الله حتى نَفْعَلَ ونصنَعَ في حقِّك، فما قلتُ، وتعَلَّمتُ خطَّهم، وكان لا يَعْرِفُ علمَ النحو، سمعتُهُ يقول: الذُّبابُ إذا وقع على البياض سوَّدَهُ، وعلى السواد بَيَّضَهُ، وعلى التُّراب برغثه وعلى الجُرْحِ قَيَّحه.

٨٥٧ عمادُ الدَّولة بن هود(١)

[٢]كان أحدَ مُلوكِ الأندلس في حدود الخمس مئة، وهو من بيت مملكةٍ تملَّكوا شرقَ الأنـدلس، فلما استولى الملثَّمون على الأندلس، أبقى يوسفُ بن تاشفين على ابنِ هود، فلما تملّك عليُّ بنُ يوسفَ بعد أبيه كان فيه سلامةُ باطن، فحسَّنَ له وزراؤه أخذَ المُلكِ من ابنِ هود، حتى قالوا له: إنَّ أموال المُسْتنصرِ العُبيديِّ صارت في غلاء مصر المُفْرِط تحوَّلت كُلُّها إلى بني هود، وقالوا: الشرعُ يأمُرك أن تسعى في خلعهم لكـونهم مُسالمين الروم، فجهَّز لهم الأميرَ أبا بكر بن تيفلوت فتحصَّن عمادُ الدولة برُوْطَة(٢)، وكتب إلى عليِّ بنِ تاشفين يستعطفُه في المُسالمة، ويقول: لكم فيما فعله أبوكم أُسْوَةٌ حسنةٌ، وسيعلَم مُبرِمُ هذا الرأيِ عندكم سوءَ مغبَّتِه، والله حسيبُ من معي وحسبُنا الله وكفى، فأمر عليُّ بنُ يوسف بالكفِّ، وأنى ذلكَ وقد أدخلته الرعية سَرَقُسْطة، وكان ابنُ رُذْمير اللعينُ صاحبُ مملكة أَرَغونة من شرقِ الأندلس قِسِّيساً مُجرباً داهيةً مُترهِّباً، فقويَ على بلادِ ابنِ هود، وطواها وقنع عمادُ الدولة بنُ هود بدارِ سُكناه، وكان ابن رُذمير لا يتجهَّز إلا في عسكرٍ قليل كاملِ العُدّة، فيَلقى بالألف آلافاً.

[٣]قال اليسعُ بن حزم: حدثني عنه أبو القاسم هلالٌ أحدُ وجوه العرب قال: كان بيني وبين المُرابطين أمرٌ ألجأني إلى الوفودِ على ابن رُذمير، فرحَّب بي، وأمر لي براتبٍ كبير، فحضرتُ معه حرباً طُعن عنه حِصانُه، فوقفتُ عليه ذاباً عن حَوزته،

---

(١) انظر السير: ٢٠/٣٧-٤١

(٢) رُوطَة: حصن من أعمال سرقسطة حصين جداً.

فلما انصرفنا إلى رشقة أمر الصوّاغين بعمل كأسٍ من ذهبٍ رصّعَهُ بالدُّرّ، وكتب عليه: «لا يَشْربُ منه إلا من وقفَ على سُلطانه». فحضرتُ يوماً، فأخرج الكأسَ، وملأه شراباً، وناولني بحضرة ألفِ فارسٍ، ورأيتُ أعناقَهم قد اسودَّت من صدأ الدُّروع. قال: فناديتُ، وقلتُ: غيري أحقُّ به، فقال: لا يَشْرَبُ هذا إلا مَن عَمِلَ عَمَلَكَ. وكان هلالٌ هذا من قرية هلالِ بن عامر، تاب بعدُ وغزا معنا، فكان إذا حضر في الصفِّ جبلاً راسياً يمنعُ تهائمَ الجُيوش أن تميدَ، وقلباً في البسالة قاسياً، يقـولُ في مُقارعة الأبطال: هل من مزيد، أبصرتُه رحمه الله أُمّةً وحدَه، يتحاماه [١] الفوارس، فحدثني عن ابنِ رُذمير وإنصافِه قال: كنتُ معه بظاهر رُوْطَة وقد وجَّه إليه عمادُ الدولة وزيرَه أبا محمد عبدَالله بنَ هَمُشْك الأمير رسولاً، فطلب فارسٌ من ابنِ رُذمير أن يُمكَّن من مبارزة إبنِ هَمُشْك، فقال: لا، هو عندنا ضيفٌ، فسمع بذلك ابن هَمُشْك، وأمضى ابن رُذمير حاجَته، وصرفَه فقال: لابُدَّ لي من مُبارزة هذا، فأمر الملكَ ذاك الفارسَ بالمُبارزة وقال: هذا أشجعُ الرومِ في زمانِه، فانصرف عبدالله يريد رُوطة وخرج وراءه الروميُّ شاكّاً في سلاحِه، وما مع ابن هَمُشْكَ درعٌ ولا بيضةٌ فأخذ رُمحه وطارقَتَهُ من غُلامه، وقصد الروميَّ، فحمل كُلٌّ منهما على الآخـر حمـلاتٍ، ثم ضربـه ابن هَمُشْـك في الطارقة، فأعانه الله فانقطع حِزام الفارسِ، فوقع بسرجه إلى الأرض، فطعنه ابنُ هَمُشْكَ، فقَتَلَه والملُك يُشاهده على بُعد، فهمَّت الرومُ بالحملة على ابنِ هَمُشْك فمنعهم الملكُ، ونزل غلامُ ابنِ هَمُشْك، فجرَّد الفارس، وسَلَبَه، وأخذ فرسَه، وذهب لم يلتفتْ إلى ناحيتِنا، فما أدري مِمّ أعجبُ، من إنصافِ الملك، أو من ابنِ هَمُشْك كيف مضى ولم يُعَرِّج إلينا؟!

وأقام ابن رُذمير مُحاصِراً سَرَقُسْطةَ زماناً، وأخذ كثيراً من حُصُونها فلما رأى أبو عبدالله محمدُ بنُ غَلْبُون القائد ما حلَّ بتلك البلادِ من الرومِ، ثار بدورقة وقلعة

أيوب وملينة، وجمع وحشد، وكافح ابنَ رُذمير واستولى أبو بكر بنُ تيفلوت على سَرَقُسْطَة، وأقـام بقصرها في لذّاته، وأما ابنُ غَلْبُون، فأحسن السيرةَ، وعدلَ، وجاهدَ ورُزِقَ الجندَ، رأيتُهُ رَجُلًا طُوالًا جدّاً، واجتمعتُ به، أقام مُثاغراً لابن رُذمير شجىً في حلقِهِ، التقى مرّةً في ألف فارس لابنِ رُذمير، والآخرُ في ألف، فاشتدَّ بينهما القتالُ، وطالَ، ثم حمل ابنُ غَلْبُون على ابن رُذمير، فصرعه عن حصانه، فدفع عنه أصحابُهُ فسَلِمَ، ثم انهزموا، ونجا اللعينُ في نحو المئتين فقط، وأما ابنُ تيفلوت فإنه راسل ابنَ غَلْبُون، وخدعه، حتى حَسَّن له زيارةَ أميرِ المسلمين عليّ ابنِ يوسف، فاستخلفَ على بلادِهِ ولدَه أبا المُطرف، وكان من الأبطال الموصوفين أيضـاً، فقـدم محمدٌ مراكش، فأُمسِكَ، وأُلزم بأن يُخاطب بنيه في إخلاءِ بلاده للمُرابطين، فأخلَوها طاعةً لأبيهم، وترحّلوا إلى غرب الأندلس، ففرِح بذلك ابنُ رُذْمير، وحَصَر سَرَقُسْطَةَ، وصنع عليها بُرجين عظيمين من خشب، وَإِنَّ أهلها لمّا يئسـوا من الغِياث، خرجـوا وأحرقوا البُرجين، واقتتلوا أشدَّ قتال، وكتبُوا إلى ابنِ تاشفين يستصرخون به، ومات ابنُ تيفلوت، وذلك في سنة إحدى عشرة وخمس مئة، فأَنجَدَهُم بأخيه تميمِ ابنِ يوسف، فَقَدِمَ في جيشٍ كبير، وعنَّى ابنُ رُذمير جيوشَه، ففرح أَهْلُ سَرَقُسْطَةَ بتميم، فكان عليهم لا لهم.

جاء مُواجِهَ المدينة، ثم نَكَّبَ عنها، وكان طائفةٌ من خيلها ورَجِلِها قد تَلَقَّوْه، فحمل عليهم حملةً قَتَلَ منهم جماعَةً كثيرة، ثم نكبَ عن لقاءِ العدو، وانصَرَف إلى جهات المورالة، واشتد البلاءُ على البلد ثم سلَّموه بالأمان، على أن من شاء أقامَ به [١] وكان ابنُ رُذمير معروفاً بالوفاء، حدثني من أثقُ به أنَّ رجلاً كانت له بنتٌ من أجملِ النساء ففقَدَهَا، فأُخْبِرَ أن كبيراً من رُؤوس الروم خرجَ بها إلى سَرَقُسْطَةَ، فتبعه أبواها وأقاربُها، فشكَوه إلى ابنِ رُذمير، فأحضره، وقال: عليَّ بالنارِ، كيف تفعلُ هذا بمن هو في جواري؟ فقال الروميُّ : لا تعجل عليَّ، فإنها فرَّت إلى دينِنَا، فجيء بها، فأنكرت أبويها، وارتدَّت. ولما دخل سَرَقُسْطَةَ، أقرَّهم على الصلاة في

جامعهـا سبعـة أعوام، وبعد ذلك يعمل ما يرى، وحاصر قُتُنْدَة[1] بعد سَرَقُسْطة سنتين، فلما كان في آخر سنة أربع عشرة، قصده عبدُ الله بنُ حيونة في جيش فيهم قاضي المَرِيّة أبو عبدالله بنُ الفراء، وأبو علي بنُ سُكَّرة، فبرز لهم اللعينُ، فقتل خلقاً، وأُسِرَ آخرون، واستُشْهِدَ المذكوران، فبنى عليهم ابنُ رذمير قبوراً، ثم سُلِّمَ البلدُ إليه وأخـذ في تلك المـدة دورقة، وقلعة أيوب، وطَرَسُونة، وأكثر من مئتي مُسَوّر، ولم يبق أكثرُ من ثلاثة مدائن لم يأخذها، وبقي من أعمال بني هود لارِدَة، وإفراغة، وطُرْطُوشَة، وغير ذلك معاملة عشرة أيام لم يظفر اللعينُ بها، فقام بِلارِدَة الهُمَامُ البَطَلُ أبو محمد، وقام بإفراغةَ الزاهدُ المجاهدُ محمد مَردنيش الجُذامي جَدُّ الأمير محمد بنِ سَعْد.

٨٥٨ أحمدُ بنُ عبدالملك بن هود[2]

[١] المُلَقب بالمُسْتَنْصر بالله الأندلسي، من بيت مملكةٍ وحشمةٍ، وأموالٍ عظيمة، وكان بيده قطعةٌ من الأندلس، فاستعان بالفِرَنْج على إقامة دولتِه.

[٢] ذكره اليسعُ بنُ حزم، فقال: انعقد الصلحُ بين المُستنصر بنِ هود وبين السُّليطين ملكِ الروم وهو ابنُ بنتِ أذفونش إلى مدة عشرين سنة على أن يدفع للفِرَنْج رُوطة، ويدفعوا إليه حُصُوناً عِوَضَها، ويُعينوه بخمسين ألفاً من الروم، يخرجُ بها إلى بلاد المسلمين ليملكَ، فجعل الله تَدميرَه في تدبيره، وكنا نجدُ في الآثار عن السَّلَف فسـادَ الأنـدلس على يدي بني هود وصـلاحَها بعدُ على أيديهم، فخرج اللعينُ السُّليطينُ وابنُ هود في نحوٍ من أربعين ألف فارس، وتاشفينُ بالزهراء، فقصد ابنُ هود جِهـةَ إشْبِيلِيَةَ، وبَقِيَ يُنفِقُ على جيوش السُّليطين نحـوَ ثمانيةِ أشهر، وشرطَ عليهم أنهم لا يأسِرُون أحداً، فحدثني المستنصرُ ـ وقد ندم على فعلِهِ من شيطنة

---

(١) وهي ثغر سرقسطة من قرى مرسية

(٢) انظر السير: ٢٠/٤١ـ٤٤

الشبيبـة وطلب مُلْكِ آبائه ـ فقال لي: الذي أنفقتُ في تلك السفرة من الذهبِ الخالص ثلاثةُ آلافِ ألفِ دينار، والذي دفعتُ إليهم من مخازن رُوطة من الدُّروع أربعون ألف درع، ومن البَيض مثلها، ومن الطوارق ثلاثون ألفاً، وذكر لي جماعةٌ أنه دفع إلى السُّلَيطين خيمةً كان يحملُها أربعون بغلاً، وذكر لي محمدُ بنُ مالك الشاعرُ أنه أبصر تلك الخيمَةَ، قال: فما سُمِعَ بأكبرَ منها قطُّ، ولما طالت إقامَتُهُ على البلادِ، ولم يخرج إلى ابن هودٍ أحدٌ، رَجَعَ ومعه ابنُ هود، ولم يكن مع ابنِ هودٍ إلا نحوٌ من مئتي فارس، فأقام ابنُ هودٍ بطُلَيْطُلَةَ ليذهَبَ منها إلى حُصونه التي عُوِّض بهـا ـ وبئسَ للظَّالمين بَدَلا ـ ثم إنَّ قُرطبـةَ اضطَرَب أمرُها، واشتغل أميرُ المسلمين بما دَهَمَهُ من خُروج التُّومرتيَّة[1]، فجاء المستنصرُ بالله أحمدُ من مدينة غرليطش، وقصد قُرطبة، وكان مُحبَّبا إلى الناس بالصِّيت، فبرز إليه ابنُ حمدين زعيمُ قُرطُبة بعسكرها، فقصد عسكَرُها نحوَ ابنِ هود طائعين ففرَّ حينئذٍ ابنُ حَمْدين إلى بُليدة، ودخل ابنُ هود قرطبةَ بلا كلفةٍ ولا ضربة ولا طعنة، فاستوزر أبا سعيدٍ المعروف بفرج الدليل، وكاتب نُوّابَ البلادِ، ففرحُوا به لأصالته في المُلك، ثم خرج فرجُ الدليل إلى حصن المُدوّر، فقيل لابنِ هود: قد نافق وفارقَ، فخرج بنفسِهِ واستنزَلَه من الحصن، فنزَلَ غير مُظْهِرٍ خلافاً، وكان رجلاً صالحاً فقتله صبراً، فساء ذاكَ أهلَ قُرطبة، وثارت نفوسُهُم، وعَظُمَ عليهم قتلُ أسدٍ من أُسد الله، فزحفُوا إلى القصر، ففرَّ ابنُ هودٍ من قُرطبةَ فقصدها ابنُ حَمدين، فأدخله أهلُهُ، وكثُر الهيجُ، واشتدّ البلاءُ بالأندلس، وغلت مراجِلُ الفتنة، وأما أبو محمد بنُ عياض، فكان على مملكـة لارِدَة، فخـرج في خمس مئةِ فارسٍ ليسعى في إصلاح أمرِ الأُمّة وقصـدُه أهـلُ مُرسِية وَبَلَنسِيَةَ ليُملِّكـوه عليهم، فامتنع، ثم بايع أهلَ بَلَنْسِيَةَ عن الخليفة عبدِ الله العباسي، ثم اتفق ابنُ عياض وابنُ هود على أنَّ اسمَ الخلافةِ لأميرِ

---

(١) هم جماعة محمد بن عبدالله بن تومرت، مهدي المغرب، زعيم الموحدين.

المؤمنين العباسيّ، وأنَّ النظر في الجيوش والأموال لابن عياض رحمه الله، وأنَّ السلطَنَةَ لابن هود.

٨٥٩ العثمانيّ(١)

[١] **العلاّمَةُ المُفتي، أبو عبدالله، محمدُ بنُ أحمدَ بنِ يحيى العثمانيُّ المَقْدسيُّ الشافعيُّ الأشعريُّ، نزيلُ بغداد، من ذرية محمد بن عبدالله الدِّيباج.**

مولده سنة اثنتين وستين وأربع مئة ببيروت.

قال ابنُ كامل: لم أر في زماني مثلَه، جمع العلمَ والعملَ والزُّهدَ والوَرَعَ والمُروءةَ وحُسنَ الخُلُق، وكان يومُ جِنازتِه يوماً مشهوداً.

[٢] قال أبو الفرج بنُ الجوزي: رأيتُهُ يَعِظُ بجامع القصر، وكان غالياً في مذهب الأشعري.

مات في سنة سبع وعشرين وخمس مئة.

[٣] قلت: غُلاةُ المُعتزِلةِ، وغُلاةُ الشِّيعةِ، وغُلاةُ الحنابلةِ، وغُلاةُ الأشاعرةِ، وغُلاةُ المُرجِئَةِ، وغُلاةُ الجهميَّةِ، وغُلاةُ الكرّاميَّةِ، قد ماجت بهم الدنيا، وكثروا، وفيهم أذكياءُ وعُبّـادٌ وعُلماء، نسألُ الله العفوَ والمغفرة لأهل التوحيد، ونبرأُ إلى الله من الهوى والبِدَعِ ونُحِبُّ السُّنَّةَ وأهلَها، ونُحِبُّ العالِمَ على ما فيه من الاتّباعِ والصفاتِ الحميدة، ولا نُحِبُّ ما ابتدعَ فيه بتأويلٍ سائغ، وإنما العِبْرَةُ بكثرةِ المَحَاسن.

٨٦٠ عطاءُ بن أبي سَعْد(٢)

[٤] **ابن عطاء، الإمامُ المحدِّثُ الزاهدُ، أبو محمد الثعلبيُّ الهَرَويُّ الفُقّاعيّ(٣)،**

---

(١) انظر السير: ٢٠/٤٤-٤٦

(٢) انظر السير: ٢٠/٥٤-٥٦

(٣) نسبة إلى بيع الفقاع وعمله، وهو شراب يتخذ من الشعير، سمي به لما يعلوه من الزَّبَد.

تلميذُ شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاريّ.

مولدُه سنةَ أربع وأربعين وأربع مئة بمَالِينَ.

[١] قال السَّمعانيّ: كان ممن يُضرَبُ به المَثَلُ في إرادة شيخ الإسلام والجدِّ في خِدمتِه، وله حكاياتٌ ومقامات في خروجِ شيخه إلى بَلْخ في المِحنة، وجرى بينَه وبينَ الوزيرِ نِظَامِ المُلك محاورةٌ ومُرادَدةٌ واحتمل له النِّظَام.

[٢] قال: وسمعتُ أنَّ عطاءً قُدِّمَ للخَشَبة ليُصْلَبَ، فنجّاهُ الله لحُسْنِ نِيَّتِه، فلما أُطلِقَ، عادَ إلى التظلُّمِ، وما فَتَر، وخرج مع النِّظام ماشياً إلى الروم، فما رَكِبَ، وكان يخوضُ الأنهارَ مع الخيل ويقولُ: شيخي في المِحنة، فلا أستريحُ، قال لي ابنُه محمدٌ عنه قال: كنتُ أعدو في موكبِ النِّظام، فوقع نعلي، فما التفتُّ، ورميتُ الأُخرى، فأمسكَ النِّظامُ الدابةَ، وقال: أينَ نعلاكَ؟ فقلتُ: وقع أحدُهما، فخشيتُ أن تسبقَني إن وقفتُ. قال: فلِمَ رميتَ الأُخرى؟ فقلتُ: لأنَّ شيخي أخبرنا أنَّ النبيَّ ﷺ نهى أن يمشِيَ الرجلُ في نعلٍ واحد، فما أردتُ أن أُخالِفَ السُّنَّة. فأعجبهُ، وقال: أكتُبُ إن شاء الله حتى يَرجِعَ شيخُك إلى هَرَاة، وقال لي: اركب بعضَ الجنائب، فأبيتُ، وعرضَ عليّ مالاً، فأبيتُ.

[٣] قال السمعانيّ: سمعتُ عبدَ الخالقِ بنَ زياد يقولُ: أمَرَ بعضُ الأمراء أن يُضرب عطاءٌ الفُقّاعيُّ، في محنة الشهيد عبدِ الهادي بن شيخِ الإسلام، مئةً، فبُطِحَ على وجهه، فكان يُضرب إلى أن ضُرِبَ ستين، فشكُّوا كم ضُرِبَ خمسين أو ستين؟ فقال عطاء: خُذوا بالأقلِّ احتياطاً، وحُبِسَ مع نساءٍ، وكان في الموضع أترسةٌ، فقام بجهد من الضربِ، وأقام الأترسةَ بينَه وبينَهنّ، وقال: نهى رسولُ الله ﷺ عن الخلوة بالأجنبية.

توفي تقديراً سنة خمس وثلاثين وخمس مئة.

٨٦١ يُوسفُ بنُ أيُّوبَ(١)

[١]ابنِ يوسفَ، الإمامُ العالمُ الفقيهُ القدوةُ، العارفُ التقيُّ، شيخُ الإسلام، أبو يعقوبَ الهَمَذانِيُّ الصُّوفيُّ، شيخُ مرو.

وُلِدَ في حدود سنة أربعين وأربعِ مئة.

قال أبو سَعْد السمعانيّ: هو الإمامُ الورعُ التقيُّ الناسكُ العاملُ بعلمه، والقائمُ بحقّه، صاحبُ الأحوالِ والمقامات، انتهت إليه تربيةُ المُريدين الصادقين، واجتمع في رباطه جماعةٌ من المُنقطعين إلى اللهِ مالا يُتصوّر أن يكونَ في غيره من الرُّبُطِ مثلُهم، وكان عمرَهُ على طريقةٍ مَرضيَّة وسدادٍ واستقامةٍ.ترك كلّ ما كان فيه من المُناظرة، واشتغَلَ بالعبادَةِ ودعوةِ الخلقِ وإرشادِ الأصحاب.

[٢]سمعتُ صافيَ بنَ عبدِاللهِ الصوفيَّ يقول: حضرتُ مجلسَ يُوسفَ في النظاميَّة، فقام ابنُ السقّاء، فآذى الشيخَ، وسألَه عن مسألةٍ، فقال: اجلس، إنّي أجدُ من كلامِكَ رائحةَ الكُفر، ولعلك تموتُ على غير الإسلام فاتفقَ أنّ ابنَ السّقّاء ذهب في صُحبة رسولِ طاغيةِ الرُّوم، وتنصَّر بقُسْطَنطِينيّة.

[٣]وسمعتُ من أثقُ به أنّ ابني أبي بكر الشاشيِّ قاما في مجلسِ وعظِه وقالا له: إن كُنتَ تنتحِلُ مذهَبَ الأشعريِّ وإلا فانزِل. فقال: اقعُدا لا مُتِّعتُما بشبابِكُما، فسمعتُ جماعةً أنهما ماتا قبل أن يتكهّلا.

[٤]قال أبو سعد: ولما عزمتُ على الرحلةِ، دخلتُ على شيخنا يُوسف مُودِّعاً، فصوَّب عزمي، وقال: أُوصيك: لا تَدخُل على السَّلاطين، وأبصِر ما تأكُلُ لا يكون حراماً.

ماتَ سنةَ خمسٍ وثلاثين وخمس مئة وله بضع وتسعون سنة رحمه الله.

[٥] وأما ابنُ السقّاء المذكورُ، فقال ابنُ النجار: سمعتُ عبدَالوهّاب بنَ أحمد

---

(١) انظر السير: ٢٠/٦٦-٦٩

المُقرِئَ يقولُ: كان ابنُ السقاء مقرئاً مُجوِّداً، حدثني من رآهُ بالقُسطنطينية مريضاً على دَكَّةٍ، فسألتُهُ: هل القرآنُ باقٍ على حِفْظِكَ؟ قال: ما أذكُرُ منه إلا آيةً واحدة: ﴿رُبَما يَوَدُّ الَّذينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِيْنَ﴾ [الحِجر: ٢] والباقي نسيتُه.

٨٦٢ التَّيميّ(١)

[١] **الإمامُ العلّامة الحافظُ، شيخُ الإسلام، أبو القاسم، إسماعيلُ بن محمدِ بنِ الفضل، القُرشيُّ التَّيميُّ، ثم الطَّلْحيُّ الأصبهَانيُّ المُلقّب بقِوَام السُّنَّة.**

مولده في سنة سبع وخمسين وأربع مئة، ومات سنة خمس وثلاثين وخمس مئة.

ووالدته كانت من ذُرِيَّةِ طلحةَ بنِ عُبيد الله التَّيميِّ أحدِ العشرة رضي الله عنهم.

[٢] قال أبو موسى: ولا أعلمُ أحداً عابَ عليه قولاً ولا فعلاً، ولا عانده أحدٌ إلا ونصره الله، وكان نَزِهَ النَّفسِ عن المطامع، لا يدخُل على السلاطينِ، ولا على من اتصلَ بهم، قد أخلى داراً من مُلكِه لأهل العلمِ مع خِفَّة ذاتِ يدِه، ولو أعطاهُ الرجلُ الدنيا بأسرِها لم يترفع عندهُ، أملى ثلاثةَ آلافٍ وخمسَ مئةِ مجلس، وكان يُملي على البديهة.

[٣]وقال الحافظُ يحيى بنُ مَندة: كان أبو القاسم حسنَ الاعتقاد جميلَ الطريقة، قليلَ الكلام، ليس في وقته مِثلُه.

[٤]وبلغنا عن أبي القاسم تعبُّدٌ وأورادٌ وتهجُّدٌ، فقال أبو موسى: سمعتُ من يحكي عنه في اليوم الذي قُدِم بولده ميتاً، وجلس للتعزية أنه جدَّد الوضوء في ذلك اليوم مراتٍ نحو الثلاثين، كل ذلك يُصَلِّي ركعتين.

[٥] وقال محمدُ بنُ ناصر الحافظ: حدثنا أبو جعفر محمدُ بنُ الحسن ابنُ أخي إسماعيلَ الحافظ، حدثني أحمدُ الأسواريُّ الذي تولىَّ غَسلَ عمِّي وكان ثقةً ـ أنه أراد أن يُنَحِّيَ عن سَوْأتِهِ الخرقة لأجلِ الغُسل، قال: فجبذَها إسماعيلُ بيدِه، وغطَّى

---

(١) انظر السير: ٢٠/ ٨٠ـ ٨٨

فرجَهُ، فقال الغاسلُ: أحياةٌ بَعْدَ موت؟!

[١] وقد سُئل أبو القاسم التيميُّ رحمه الله: هل يجوزُ أن يُقال: لله حدٌّ أو لا؟ وهل جرى هذا الخلافُ في السلفِ؟ فأجاب: هذه مسألةٌ استعفي من الجوابِ عنها لغُمُوضِها، وقلَّة وقُوفي على غرضِ السائلِ منها، لكني أُشِيرُ إلى بعض ما بلغني، تكلَّم أهلُ الحقائقِ في تفسيرِ الحدِّ بعباراتٍ مختلفةٍ محصولُها أن حدَّ كلِّ شيءٍ موضعُ بينونَتِه عن غيرِه، فإن كان غرضُ القائل: ليس لله حدٌّ: لا يحيطُ علمُ الحقائقِ به، فهو مُصيبٌ، وإن كان غرضُه بذلك: لا يُحيط علمُهُ تعالى بنفسِه فهو ضالٌّ، أو كان غرضُه أنَّ الله بذاتِهِ في كُلِ مكانٍ فهو أيضاً ضالٌّ.

[٢] قلتُ: الصوابُ الكفُّ عن إطلاقِ ذلك، إذ لم يأتِ فيه نصٌّ، ولو فرضنا أنَّ المعنى صحيحٌ، فليس لنا أن نتفوَّه بشيءٍ لم يأذنْ به الله خوفاً من أن يدخُلَ القلبَ شيءٌ من البدعة، اللهم احفظ علينا إيماننا.

[٣] قال أبو موسى المدينيُّ: سمعتُهُ يقول: أخطأ ابنُ خزيمة في حديث الصورة، ولا يُطعنُ عليه بذلك، بل لا يُؤخذُ عنه هذا فحسْبُ.

[٤] قال أبو موسى: أشار بهذا إلى أنَّه قلَّ إمامٌ إلا وله زَلَّةٌ، فإذا تُرِكَ لأجل زَلَّتِهِ، تُرِكَ كثيرٌ من الأئمة، وهذا لا ينبغي أن يُفعل.

٨٦٣ المازريّ(١)

[٥] الشيخُ الإمامُ العلّامةُ البَحرُ المُتفنِّن، أبو عبدالله، محمد بنُ علي بن عمر التميميُّ المازِريُّ المالكيُّ.

مصنِّفُ كتابِ «المُعلِم بفوائد شرح مسلم» ومصنِّف كتاب «إيضاح المحصول» في الأصول، وله تواليف في الأدب، وكان أحدَ الأذكياءِ الموصوفين والأئمةِ المُتبحِّرين، وله شرحُ كتاب «التلقين» لعبد الوَهّاب المالكيِّ في عشرة أسفار، هو

(١) انظر السير: ٢٠/١٠٤ـ١٠٧

من أنفس الكُتب وكان بصيراً بعلمِ الحديث.

مولُده بمدينة المَهديّةِ من إفريقية، وبها مات، سنةَ ستٍّ وثلاثين وخمس مئة، وله ثلاثٌ وثمانون سنة. ومازِر: بُليدة من جزيرة صَقَلية.

[١] قيل: إنه مرض مرضةً، فلم يَجد من يُعالجه إلا يهوديٌّ، فلما عُوفي على يده، قال: لولا التزامي بحفظِ صناعتي لأعدمتُكَ المُسلمين فأثَّر هذا عند المازِريِّ، فأقبل على تعلُّم الطِّبِّ حتى فاقَ فيه، وكان ممَّن يُفتي فيه كما يُفتي في الفقه.

[٢] وقال القاضي عِياض في «المدارك»: المازِريُّ يُعرف بالإمام،نزيلُ المهديَّة.قيل: إنه رأى رؤيا، فقال: يا رسول الله، أحقٌّ ما يدعُونني به؟ إنهم يدعونني بالإمام، فقال: وسَّع صدرَكَ للفُتيا.

ثم قال: هو آخر المتكلِّمين من شُيوخ إفريقية بتحقيق الفقهِ ورُتبة الاجتهاد، ودِقَّةِ النظرِ، وإليه كان يُفزَعُ في الفُتيا في الفِقه، وكان حسنَ الخُلُق، مليحَ المُجالسة، كثير الحكاية والإنشاد، وكان قلمُه أبلغَ من لسانِه.

ولصاحب الترجمة تأليفٌ في الردِّ على «الإحياء» وتبيين ما فيه من الواهي والتفلسف، أنصف فيه، رحمه الله.

٨٦٤ أبو سعد(١)

[٣] **الشيخُ الإمامُ، الحافظ الثقةُ، المسندُ، مُحدِّثُ أَصبَهان، أبو سعد، أحمدُ بنُ محمد بنِ أحمد، البغداديُّ الأصل، الأصبهانيُّ.**

وُلِدَ بأصْبَهانَ، سنةَ ثلاثٍ وستين وأربع مئة.

قال السمعانيُّ: ثقةٌ حافظٌ، ديِّنٌ خيِّرٌ، حَسنُ السيرة، صحيحُ العقيدة، على طريقة السَّلفِ الصالح، تاركٌ للتكلُّف، كان يخرجُ إلى السوق وعلى رأسِهِ طاقيَّةٌ. وكان حُلْوَ الشمائِلِ، استمليتُ عليه بمكةَ والمدينةِ، قال لي مرةً: أَوقفْتُك،

(١) انظر السير: ٢٠/١١٩-١٢٣

واعتـذر، فقلتُ: يا سيِّدي، الـوقـوفُ على بابِ المُحدِّث عِزٌّ. فقال: لكَ بهذه الكلمة إسناد؟ قلتُ: لا. قال: أنتَ إسنادُها.

وقال عبدُ الله بنُ مرزوق الحافظُ: أبو سعد بن البغدادي شعلةُ نار.

قال السمعـانيّ: وسمعتُ مُعمَـر بنَ الفـاخر يقولُ: أبو سعد يحفَظُ «صحيحَ مسلم»، وكان يتكلَّم على الأحاديثِ بكلامٍ مليح.

وقـال ابنُ النَّجَّـار: هو إمـامٌ في الـزُّهد والحديثِ، واعظٌ، كتبَ عنه شُجاعٌ الذُّهلي، وابنُ ناصر، كان إذا أكل اغرُورِقَتْ عيناهُ، ويقولُ كان داودُ عليه السلام إذا أراد أن يأكلَ بكى.

قال ابنُ الجوزيّ: حجّ أبو سعدٍ إحدى عشرةَ حجةً، وتردَّد مراراً وسمعتُ منه الكثيرَ، ورأيتُ أخلاقَهُ اللطيفة، ومحاسنَه الجميلةَ.

مات بنهاوَند راجعاً من الحج سنةَ أربعين وخمسِ مئة، وحُمل إلى أَصْبَهَان، فدُفِنَ بها.

٨٦٥ ابن تاشفين(١)

[١] **السلطانُ، صاحبُ المغـرب، أميرُ المسلمين، أبو الحسن عليُّ بنُ صاحبِ الغربِ يوسفَ بنِ تاشفين، البربريُّ، ملكُ المُرابطين.**

تولّى بعد أبيه سنةَ خمسِ مئة.

[٢] وكان شُجاعاً مُجاهداً عادلاً دَيِّناً، ورعاً، صالحاً، مُعظِّماً للعُلماء مُشاوراً لهم، نفق في زمانه الفقهُ والكُتبُ والفروع، حتى تكاسلوا عن الحديثِ والآثارِ، وأُهينت الفلسفةُ، ومُجَّ الكلامُ، ومُقِتَ، واستحكم في ذهن عليٍّ أن الكلام بدعةٌ ما عرفه السَّلَفُ، فأسرفَ في ذلك، وكتب يتهدَّد، ويأمرُ بإحراق الكُتُب، وكتب يأمرُ بإحراق تواليفِ الشيخِ أبي حامد، وتوعَّد بالقتل من كتَمَها.

---

(١) انظر السير: ٢٠/١٢٤-١٢٥

ولما التقى عسكرَه العدوُّ انهزموا، واختلَّت الأندلس، وظَهَرَ بها المُنكر، وقُتِلَ خلقٌ من المُـرابـطين، وأخذ يتهاونُ، ويقنعُ بالاسم ِ، وأقبل على العبادةِ وأهملَ الرَّعايا، وعَجَزَ، حتى قيل: إنه رفعَ يديه ودعا، فقال: اللهم قَيِّض لهذا الأمرِ من يقوى عليه.

وابتُلَي بنُوّابٍ ظلَمَة، ثم خرج عليه ابنُ تُومرت، وحاربه عبدُ المؤمن، وقوي عليه، وأخذ البلادَ، وولّت أيام المُلَثَّمة[1]، فمات إلى رحمة الله في سنة سبعٍ وثلاثين وخمس ٍ مئة.

٨٦٦ سبطا الخيَّاط[2]

[١] الشيخُ الإمامُ المُسنِدُ المُقرىء الصالحُ، بقيَّة السَّلفِ، أبو عبدالله، الحسينُ بنُ علي بنِ أحمدَ البغداديُّ.

وُلِدَ سنةَ ثمانٍ وخمسين وأربع مئة.

[٢] قال السَّمعانيُّ: صالحٌ، حسنُ الإقراء، ديِّنٌ، يأكُلُ من كدِّ يده.

وقال أبو الفرج بنُ الجوزيّ: قرأتُ عليه القُرآن.

مات سنةَ سبعٍ وثلاثين وخمس مئة.

٨٦٧ أخوه[3]

[٣] الشيخُ الإمامُ العلامةُ، مُقرىء العراق، شيخُ النُّحاة، أبو محمد عبدُ الله بنُ عليّ ابنِ أحمد، سبطُ الإمامِ الزاهدِ العابدِ أبي منصورٍ الخياط.

وُلِدَ سنة أربع وستين.

(١) وهم المرابطون، وسموا الملثمين لأنهم كانوا يتلثمون ولا يكشفون وجوههم، وذلك سُنة لهم يتوارثونها خلفاً عن سلف، ذلك أن أصل هؤلاء القوم من حمير بن سبأ، وكانت حمير تتلثم لشدة الحر والبرد.

(٢) انظر السير: ٢٠/ ١٢٩ـ ١٣٠

(٣) انظر السير: ٢٠/ ١٣٠ـ ١٣٤

[١] وتصدَّر للإقراء، وصنَّف الكُتُبَ الشهيرة «كالمُبهج» و «الإيجاز» و «الكفاية» وأَمَّ بمسجد ابنِ جَردةَ بضعاً وخمسين سنة، وكان من أطيب الناس صوتاً بالقرآن، وختم عليه خلقٌ كثيرٌ وقرأ عليه النحوَ جماعةٌ.

[٢] قال ابنُ الجوزيّ: لم أسمع قارئاً قطُّ أطيبَ صوتاً منه، ولا أحسنَ أداءً على كبرِ سنِّه، وكان لطيفَ الأخلاقِ، ظاهرَ الكَياسةِ والظَّرافةِ حسنَ المُعاشرةِ للعوامِّ والخواصِّ.

[٣] وقال السَّمعانيُّ: كان مُتواضعاً متودِّداً، حسنَ القراءةِ في المحراب، خصوصاً ليالي رمضان، وقد تخرج عليه خلقٌ، وختَموا عليه، وله تصانيفُ في القراءات، وخُولِفَ في بعضها، وشنَّعوا عليه ثم سمعتُ أنه رجع عن ذلك.

وقال أبو الفرج ابنُ الجوزيّ: ما رأيتُ أكثر جمعاً من جمعِ جنازتِه.

توفي سنة إحدى وأربعين وخمس مئة.

٨٦٨ ابن المُعْتَمِد(١)

[٤] الواعظُ الكبيرُ المتكلِّم، أبو الفتوح، محمدُ بنُ الفضل الإسفراييني المعروف بابنِ المُعتمد.

كان رأساً في الوعظ، فصيحاً، عذبَ العبارة، حُلوَ الإيراد ظريفاً، عالماً، كثيرَ المحفوظ، صُوفيَّ الشارةِ، جَيِّد التَّصنيف.

وُلِدَ سنةَ أربعٍ وأربع مئة.

[٥] قال ابنُ النَّجّار: كان من أفراد الدهرِ في الوعظ، دقيقَ الإشارةِ، وكان أوحَدَ وقتِهِ في مذهبِ الأشعريِّ، وله في التصوُّفِ قدمٌ راسخٌ، صنَّف في الحقيقة كُتُباً، وكُلُّ كُتُبِه نكتٌ وإشاراتٌ، ظهر له القَبولُ التامُّ ببغداد، وكان يتكلَّم بمذهب الأشعريِّ، فثارت الحنابلةُ، فأمر المُسترشِدُ بإخراجه، فلما وَلِيَ المُقْتفي رجع إلى بغداد،

(١) انظر السير: ٢٠/١٣٩-١٤٢

وعاد فعادت الفتَنُ، فأخرجوه إلى بلده.

[١] قال ابنُ عساكر: هو أجرأُ من رأيته لساناً وجَناناً، وأكثرهُم فيما يُورِدُ إعراباً وإحساناً، وأسرعُهم جواباً، وأسلسُهم خِطاباً، مع مارُزق بعد صحة العقيدة من الخِصال الحميدة، وإرشادِ الخلق، وبذلِ النَّفس في نُصرة الحق. إلى أن قال: فمات مبطوناً شهيداً غريباً، لازمتُ مجلسَه، فما رأيتُ مثلَه واعظاً.

قال السَّمعانيُّ: أُزعِجَ عن بغداد، فأدركهُ الموت بِبِسطام، سنةَ ثمانٍ وثلاثين وخمس مئة، فدُفِنَ بجنب الشيخ أبي يزيدَ البِسْطاميِّ.

[٢] قال ابنُ الجوزيِّ في «المنتظم»: قدم السلطانُ مسعودٌ بغداد ومعه الحسنُ بن أبي بكر النيسابوريُّ الحَنَفيُّ، أحدُ المناظرين، فجلس بجامع القصر، وكان يلعنُ الأشعريَّ جهراً، ويقول: كن شافعيّاً ولا تكن أشعريّاً، وكن حنفيّاً ولا تكن معتزليّاً، وكن حنبلياً ولا تكن مشبِّهاً، وكان على باب النِّظامية اسمُ الأشعري، فأمر السلطان بمحوه، وكتب مكانه: الشافعي، وكان الإسفرايينيُّ يَعِظُ في رِباطه ويذكُر محاسنَ مذهبِ الأشعريِّ، فَتَقَعُ الخُصوماتُ، فذهب الغزنويُّ، فأخبر السلطانَ بالفِتَن، وقال: إنَّ أباالفتوحِ صاحبُ فتنة، وقد رُجم غيرَ مرَّة، والصوابُ إخراجهُ فأُخرِجَ.

[٣] قلتُ: فيَنبغي للمُسلم أن يستعيذَ من الفِتَنِ، ولا يَشْغَبَ بذكر غريبِ المذاهبِ لا في الأصولِ ولا في الفروع، فما رأيتُ الحركةَ في ذلك تُحصِّل خيراً، بل تُثير شرّاً وعداوةً ومَقْتاً للصُّلحاء والعُبَّاد من الفريقين فتمسَّكْ بالسُّنَّة، والزمِ الصمت، ولا تَخُضْ فيما لا يَعنيك، وما أشكل عليك فرُدَّه إلى الله ورسولِه، وقف، وقُل: الله ورسولُه أعلم.

الطبقة التاسعة والعشرون

٨٦٩ الأتابَك[١]

[١] **الملك عمادُ الدين الأتابَك زَنْكيُّ بنُ الحاجب قسيمِ الدولة آقسُنقر بن عبدِ الله التركيُّ، صاحبُ حلب.**

[٢] فوَّض إليه السُّلطانُ محمودُ بنُ ملِكْشاه شِحْنَكِيَّةَ[٢] بغداد في سنةِ إحدى عشرةَ[٣] وخمسِ مئة في العام الذي وُلِد له فيه ابنُهُ الملكُ العادلُ نورُ الدين الشهيدُ، ثم إنه حوَّله إلى مدينةِ المَوْصِلِ، فجعله أتابَكاً لولدِهِ المُلَقَّب بالخَفَاجيِّ في سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة.

[٣] ثم استولى على البلادِ وعظُم أمرُهُ وافتتح الرُّها، وتملَّك حلَبَ والمَوْصِلَ وحماةَ وحِمْصَ وبَعْلَبَكَّ وبانياسَ، وحاصر دمشقَ، وصالحهم على أن خطبُوا له بها بعد حروبٍ يطولُ شرحُها.

[٤] وكان بطلاً شُجاعاً مقداماً كأبيه، عظيمَ الهيبَة، مليحَ الصُّورة أسمَرَ جميلاً، قد وَخَطَه الشَّيبُ، وكان يُضرَبُ بشجاعته المَثَلُ، لا يقرُّ ولا ينام، فيه غَيْرةٌ حتى على نساء جُنْدِهِ، عَمَرَ البلاد.

[٥] قلت: نازل زَنْكِي قلعَةَ جَعْبَر، وحاصر ملِكَها عليَّ بنَ مالك وأشرف على أخذها، فأصبحَ مقتُولاً، وفرَّ قاتلُه خادمُهُ إلى جَعْبَر، وذلك في سنة إحدى وأربعين وخمسِ مئة، فتملَّك ابنُهُ نورُ الدين بالشام، وابنُهُ غازي بالمَوْصِلِ.

زَاد عُمُرُ زَنكي رحمه الله على الستِّين.

---

(١) انظر السير: ٢٠/ ١٨٩- ١٩١

(٢) يُقصد بها رئاسة أو إدارة الشحنة، والشحنة: من فيهم الكفاية لضبط البلد من جهة السلطان، ويسمون في وقتنا الشرطة.

(٣) كذا ذكر المؤلف، وذكر ابن خَلِّكان وابن الأثير وابن كثير أنه ولي شجنكية بغداد سنة إحدى وعشرين وخمس مئة انظر وفيات الأعيان ٢/ ٣٢٧ و الكامل ١٠/ ٦٤١، و البداية والنهاية ١٢/ ١٩٦ وانظر الروضتين ١/ ٢٩.

٨٧٠ ابن الشَّجريّ(١)

[١]**العلاَّمةُ، شيخُ النُّحاة، أبو السعادات، هِبَةُ الله بنُ عليّ بنِ محمد، الهاشميُّ العلويُّ، الحَسَنيُّ، البغداديُّ، من ذُرِّية جعفرِ بنِ الحسن بنِ علي بن أبي طالب.**

قال ابن النَّجَّار: ابنُ الشَّجريِّ شيخُ وقتِهِ في معرفةِ النَّحو، درَّس الأدبَ طُولَ عُمرِهِ، وكثر تلامذتُه، وطال عمُره، وكان حسنَ الخُلُق، رفيقاً.

[٢]وكان فصيحاً حُلوَ الكلام، وَقُوراً ذا سَمْتٍ، لا يكاد يتكلَّم في مجلسه بكلمةٍ إلا وتتضمَّنُ أدبَ نفسٍ أو أدب درسٍ، ولقد اختصم إليه علويَّانِ فقال أحدُهُما: قال لي: كذا وكذا. قال: يا بنيَّ احتَمِلْ، فإنَّ الاحتمالَ قبرُ المعايب.

توفي سنة اثنتين وأربعين وخمس مئة، ودفن بداره.

٨٧١ ابن العربيّ(٢)

[٣]**الإمامُ العلاّمةُ الحافظُ القاضي، أبو بكر، محمدُ بنُ عبدالله بنِ محمد، ابنُ العربيِّ الأندلسيُّ، الإشبيليُّ، المالكيُّ، صاحبُ التصانيف.**

مولده في سنةِ ثمانٍ وستين وأربع مئة.

وكان أبوه أبو محمدٍ من كبارِ أصحاب أبي محمد بن حزم الظّاهري بخلاف ابنِهِ القاضي أبي بكر، فإنه مُنافِرٌ لابنِ حزم، مُحِطٌّ عليه بنفسٍ ثائرة.

وَتَفَقَّه بالإمامِ أبي حامدٍ الغزاليِّ، والفقيهِ أبي بكرٍ الشاشيِّ والعلامةِ الأديب أبي زكريا التِّبريزيّ، وجماعة.

ورجع إلى الأندلس في سنةِ إحدى وتسعين وأربع مئة.

قلتُ: رجع إلى الأندلس بَعْد أن دفنَ أباهُ في رحلتِهِ ـ أظنُّ ببيتِ المَقدس ـ وصنَّف، وجمع، وفي فنون العلم بَرَعَ، وكان فصيحاً بليغاً خطيباً.

---

(١) انظر السير: ٢٠/١٩٤-١٩٦ (٢) انظر السير: ٢٠/١٩٧-٢٠٤

صنَّف كتاب «عارضة الأحوذي في شرح جامع أبي عيسى الترمذيّ» وفسر القرآن المجيد، فأتى بكل بديع.

وله كتاب «كوكب الحديث والمُسلسلات» وكتاب «الأصناف» في الفقه، وأشياء سوى ذلك، أدخل الأندلسَ إسناداً عالياً، وعلماً جمّاً.

[١]وكان ثاقبَ الذهن، عذبَ المنطِق، كريمَ الشمائل، كاملَ السُّؤْدُدِ، وَلِيَ قضاءَ إشبيلِيَة، فَحُمِدَت سياسَتُهُ، وكان ذا شدَّةٍ وسطوة فعُزِلَ، وأقبل على نشرِ العلم وتدوينِهِ.

كان القاضي أبو بكر ممن يُقالُ: إنه بلغ رُتبة الاجتهاد.

[٢]قرأت بخط ابنِ مَسْدي في «معجمه» أخبرنا أحمدُ بنُ محمد بنِ مُفرج النَّباتيُّ، سمعتُ ابنَ الجَدِّ الحافظَ وغيرَه يقولُون: حضر فُقهاءُ إشبِيلِيَة: أبو بكر بنُ المُرَجّي وفلان وفلان، وحضر معهم ابنُ العربيِّ فتذاكروا حديثَ المِغْفَر.

فقال ابنُ المُرَجّي: لا يُعرفُ إلا مِن حديث مالكٍ عن الزُّهريِّ، فقال ابنُ العربيِّ: قد رويتُه من ثلاثةَ عشرَ طريقاً غيرَ طريقِ مالك. فقالوا: أفِدْنا، فوعدَهُم، ولم يُخرِج لهم شيئاً وفي ذلك يقولُ خلَفُ بن خير الأديب:

يا أهلَ حِمِصَ[١] ومَنْ بِهَا أُوصيكُمُ ... بالبِرِّ والتقوىٰ وصيَّةَ مُشفِقِ
فخُذوا عن العَرَبيِّ أسمارَ الدُّجى ... وخُذُوا الرِّوايةَ عن إمامٍ مُتَّقِ
إنَّ الفتى حُلْوُ الكَلامِ مُهذَّبٌ ... إنْ لم يَجِدْ خَبَراً صحيحاً يَخْلُقِ

[٣]قلت: هذه حكاية ساذجةٌ لا تدلُّ على تَعمُّد، ولعل القاضي رحمه الله وَهِمَ، وسرى ذهنُه إلى حديثٍ آخر، والشاعرُ يخلُقُ الإفكَ، ولم أَنْقُمْ على القاضي رحمه الله إلا إقذاعَه في ذَمِّ ابنِ حزم واستجهالَه له وابنُ حزم أوسعُ دائرةً من أبي بكرٍ في العُلومِ، وأحفَظُ بكثير، وقد أصابَ في أشياءَ وأجاد، وزَلَقَ في مضايقَ كغيره من

(١) ويقصد بحمص هنا إشبيلية، إذ كانت تدعى حمص أيضا.

الأئمة، والإنصافُ عزيز.

تُوفي ابنُ العَربيِّ بفاس سنةَ ثلاثٍ وأربعين وخمس مئة.

٨٧٢ الفَنْدَلاويّ(١)

[١] الإمامُ أبو الحجّاج، يوسفُ بنُ دوناس المَغربيُّ الفَنْدلاويُّ المالكيُّ، خطيبُ بانياس، ثم مُدرِّسُ المالكيةِ بدمشق.

[٢] روى عنه ابنُ عساكر، وقال: كان حسنَ المُفاكهة، حُلوَ المُحاضرة، شديدَ التعصُّبِ لمذهب أهلِ السُّنَّة، كريماً، مُطَّرِحاً للتكلف، قويَّ القلب، وكان يَخْطُبُ ليلةَ الختمِ في رمضان رجلٌ في حلقةِ الفَنْدلاويِّ وعنده أبو الحسن بنُ المُسلم الفقيهُ، فرمامهم واحدٌ بحجرٍ، فلم يُعرف، فقال الفَندولايُّ: اللهمّ اقطع يده. فما مضى إلا يسيرٌ حتّى أُخذ حُضيرٌ من حلقة الحنابلة، ووُجِدَ في صندوقه مفاتيحُ كثيرةٌ للسَّرقة فأمر شمسُ الملوكِ بقطع يديه، فماتَ مِن قطعِهما.

[٣] قُتل الفَندلاويُّ وزاهدُ دمشق عبدُ الرحمن الحلحوليُّ سنةَ ثلاثٍ وأربعين وخمس مئة بالنَّيْرَبِ(٢) في حرب الفِرَنْج ومُنازَلتِهم دمشق، فقُبِر الفِندلاويُّ بظاهر باب الصغير، وقُبِر الحلحوليُّ بالجبل، رحمهما الله.

٨٧٣ القاضي عِياض(٣)

[٤] الإمامُ العلّامةُ الحافظُ الأوحد، شيخُ الإسلام، القاضي أبو الفضل عِياضُ بنُ موسى بنِ عياض اليَحْصَبِيُّ الأندلسيُّ، ثم السَّبتيُّ المالكيُّ.

وُلِدَ في سنة ستٍّ وسبعين وأربع مئة.

---

(١) انظر السير: ٢٠/٢٠٩-٢١٠

(٢) النَّيربُ: محلة تلي الربوة من جهة دمشق، وهي كلمة سريانية معناها الوادي: ولكن يراد بها سفح قاسيون مما يلي الربوة.

(٣) انظر السير: ٢٠/٢١٢-٢١٩

واستبحرَ من العلوم، وجمع وألَّف، وسارت بتصانيفه الركبانُ واشتهر اسمُه في الآفاق.

[١] وحَاز من الرئاسةِ في بلده والرفعةِ مالم يَصِلْ إليه أحدٌ قطُّ من أهل بلده، وما زاده ذلك إلا تواضُعاً وخشية لله تعالى.

قال القاضي شمسُ الدين في «وفيات الأعيان»: هو إمامُ الحديثِ في وقته وأعرفُ الناس بعلومه، وبالنّحو واللّغةِ وكلامِ العرب وأيامهم وأنسابهم.

قال: ومن تصانيفه كتابُ «الإكمال في شرح صحيح مسلم» كَمَّلَ به كتاب «المُعْلِم» للمازَريِّ، وكتاب «مشارق الأنوار» في تفسير غريب الحديث، وكتاب «التنبيهات» فيه فوائد وغرائب وكلُّ تواليفه بديعة، وله شِعر حسن.

[٢] قلت: تواليفُه نفيسةٌ، وأجلُّها وأشرفُها كتابُ «الشِّفا» لولا ما قد حشاهُ بالأحاديث المُفتعلة، عَمَلَ إمامٍ لا نَقْدَ له في فنِّ الحديث ولا ذوق، والله يُثيبُه على حُسن قصدِه، وينفعُ بـ «شفائِه» وقد فَعَلَ، وكذا فيه مِن التأويلاتِ البعيدةِ ألوانٌ، ونبيُّنا صلواتُ الله عليه وسلامُه غنيٌّ بمدحَةِ التنزيلِ عن الأحاديثِ، وبما تواتَر من الأخبار عن الآحادِ، وبالآحاد النظيفةِ الأسانيدِ عن الواهياتِ، فلماذا يا قوم نتشبَّعُ بالموضوعات، فيتطرَّقُ إلينا مقالُ ذوي الغِلِّ والحسد، ولكن مَنْ لا يعلم معذورٌ، فعليكَ يا أخي بكتاب «دلائل النبوة» للبيهقيِّ، فإنه شفاءٌ لما في الصدور وهدىً ونُور(١).

قال القاضي ابنُ خلِّكان: شُيوخ القاضي يُقاربون المئة، تُوفي في سنة أربع وأربعين وخمس مئة.

[٣] قلتُ: بلغني أنه قُتل بالرماح لكونِه أنكر عصمةَ ابنِ تُومَرْت.

---

(١) هو أيضاً كسابقه فيه أحاديث واهية وعذره فيها أنه ساقها بأسانيدها.

٨٧٤ العبَّادي[1]

[١] الواعظُ المشهورُ المطرب، أبو منصور، المُظَفَّرُ بنُ أردشير المَرْوَزِيُّ العبّادي ويُلقَّبُ بالأمير.

[٢]واعظٌ باهر حلوُ الإشارة، رشيقُ العبارة، إلّا أنّه قليلُ الدين.

وكان يُضرب بحُسنِ وعظه المَثَلُ.

[٣]قال أبـو سعد السمعانيُّ: لم يكن بثقة، رأيت رسالةً بخطِّه جمعها في إباحة شُربِ الخمر.

قال ابنُ الجَـوزيِّ: له كلماتٌ جيدة، وكَتَبُوا عنه من وعظِهِ مُجَلَّداتٍ. ذهب ليُصلحَ بين ملكٍ وكبير، فحصل له منهما مالٌ كثير، ومات بعسكر مُكرم سنة سبع وأربعين وخمس مئة.

[٤]وقيل: كان يُخِلُّ بالصلاة ليلةَ حضورِه السماع، وذكر ليلةً مناقبَ عليٍّ رضي الله عنه، وأنَّ الشمسَ رُدّت له، فاتفق أن الشمسَ غابت بالغَيم، فعمل أبياتاً وهي:

لا تَغرُبي يا شَمْسُ حَتَّى يَنْتَهِي ... مَدحي لآلِ المُصْطَفَى ولِنَجْلِهِ

واثْنِي عِنَانَكِ إن أَرَدْتِ ثَنَاءَهُم ... أنسِيْتِ إذْ كَانَ الوُقُوفُ لأَجْلِهِ

إنْ كَانَ لِلْمَوْلَى وَقُوفُكِ فلْيَكُنْ ... هذا الوُقُوفُ لِخَيْلِهِ وَلِرَجْلِهِ

قال: فطلعتِ الشمسُ من تحت الغيم، فلا يُدرى ما رُمي عليه من الثيابِ والأموال.

عاش ستّاً وخمسين سنة، الله يُسامحه.

٨٧٥ أبو عبدالله مَرْدَنيش[2]

[٥] الزاهدُ المجاهدُ، أبو عبدالله، محمد الجُذامي المغربيّ.

---

(١) انظر السير: ٢٠/٢٣١-٢٣٢

(٢) انظر السير: ٢٠/٢٣٢-٢٣٤

كان معه عدّةُ رجالٍ أبطالٍ يُغيرُ يمنةً ويسرةً، وكانوا يحرثون على خيلِهم كما يحرُثُ أهلُ الثَّغر، وكان أميرُ المسلمين ابنُ تاشفين يمدُّهم بالمال والآلات، ويبرُّهم.

ولمردنيش مغازي ومواقفُ مشهودةٌ وفضائلُ.

[١] فمن عجيب ما صحّ عندي من مغازيه ـ يقول ذلك اليَسَعُ بنُ حزم ـ أنه أغار يوماً، فغنم غنيمةً كثيرة، واجتمع عليه من الروم أكثرُ من ألف فارس، فقال لأصحابه وكانوا ثلاث مئة فارس: ما ترَون؟ فقالوا: نَشْغَلُهُم بتركِ الغنيمة. قال: ألم يقل القائلُ ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ﴾، [الأنفال ٦٥] فقال له ابنُ مُورين: يا رئيس، الله قال هذا. فقال: اللهُ يقولُ هذا وتقعُدُون عن لقائِهم؟ قال: فَثَبَتُوا، فهزَموا الروم.

وفي سنة سبع وعشرين وخمس مئة سار ابن رُذمير، فنازل مدينة إفراغة[1] وبها ابنُ مردنيش، وطال الحصارُ، فكتبوا إلى أميرِ المسلمين ابنِ تاشفين لِيُغيثَهُمْ، فكتب إلى ابنِهِ تاشفين بنِ علي وإلى الأمير يحيى بن غانية بإغاثتهم، وإدخال الميرة إليهم، فتهيأ لنجدتهم أربعةُ آلاف، فما وصلوا إلى إفراغة إلا وقد فَنِيَ ما بها، ولم يبق لابنِ مَردنيش سوى حصان فذبحهُ لهم، فَحَصَلَ لكل واحدٍ أوقية أوقية.

قال اليسع: فحدثني المَلكُ المجاهد ابنُ عياض حديثَ هذه الغَزاة قال: لما وصل أبو زكريا يحيى بنُ غانية مدينة زيتونة، خرجت إليه من لاردِة مع فرساني، فقال: أشيروا عليَّ، فقلت: الصوابُ جمع جُند الأندلس تحت رايةٍ واحدة، وهلال وسُليم تحت رايةٍ أخرى، ويتقدمُ الزبيرُ ابن عمر بأهل المَغرب وبالدوابِّ التي تحملُ الأقواتَ، معهم الطُّبُولُ والراياتُ، ونبقى نحن والعربُ كميناً عن يمين الجيشِ ويسارِهِ فإذا أبصرَ اللعينُ الراياتِ والطبولَ والزَّمر حمل عليه، فنكرُّ عليه من الجهتين. قال: فصلَّينا الصُّبح في ليلة سبعٍ وعشرين من رمضان سنة سبع

---

(١) مدينة بالأندلس من أعمال «ماردة كثيرة الزيتون

وعشرين وخمس مئة، وأبصر اللعين الجيشَ وقد استراح من جراحاته وكان عسكَرُهُ إذ ذاك أربعةً وعشرين ألف فارس سوى أتباعِهم، فقصدوا الطُّبولَ، فانكسروا وتفرَّقُوا ـ يعني المسلمين ـ فأتينا الرومَ عن أَيمانهم، ونزل النصرُ وعمل السيفُ في الروم حتى بقي ابنُ رُذمير في نحـو أربـع مئة فارس، فلجؤوا إلى حصنٍ لهم، وباتَ المسلمـون عليه، ثم هلك غمّـاً، وأصابه مرضٌ؛مات بعد خمسة عشر يوماً من هزيمته فلا رحمه الله.

٨٧٦ أبو محمد ابنُ عياض المجاهدُ(١)

عبدُ الله، المجاهدُ في سبيل الله، فارسُ الأندلس، وبطلُها المشهور، اتفق عليه أهلُ شرقِ الأندلس.

قال عبدُ الواحد بنُ عليٍّ المَرّاكُشيّ: كانَ مِن الصَّالحين الكِبار، بلغني عن غير واحدٍ أنَّه كان مُجابَ الدعوةِ، سريعَ الدمعة، رقيقاً فإذا ركب الخيل لا يقوم له أحدٌ، كان النصارى يَعُدُّونه بمئةِ فارس فحمى الله به الناحِيةَ مدّةً إلى أن تُوفِّيَ رحمةُ الله عليه.

وقـال اليسع بنُ حزم في «أخبار المغرب» حدثني الأميرُ الملكُ المجاهد في سبيل الله أبو محمد عبدُ الله بنُ عياض أشجعُ من ركب الخيل،وأفرسُ من سام الرُّومَ الويل، قال: نزلت الفِرَنْجُ علينا فكانوا إذا رمونا بالنبل صار حائلاً بينَنا وبينَ الشمس كالجراد، والذي صحَّ عندنا أنَّ عددَ خيلِهم مئةُ ألفِ فارس، ومن الرَّجْل مئتا ألف أو أزيد وكنا نعدُّ على مقربة من سورنا أربعَ مئةِ خيمةِ ديباج أو نحوها نحقق هذا، فاشتد علينا الحصارُ، فخرجنا في مئتي فارس، فشققنا الرومَ نقتُل فيهم، ولجأنا إلى حصنِ الزَّيتونة قاصدين بَلَنْسِية.

قال اليسعُ: قال لي مسعودُ بنُ عز النَّاس: أبصرتُ ابنَ عياض وهو شابٌّ حَدَثٌ،

---

(١) انظر السير: ٢٠/٢٣٧ـ ٢٣٩

وقد صارع رُومياً غلبَ جميعَ من في بلاد الأندلس، فجاءه الروميُّ، فدفعه ابنُ عياض عن نفســه دفعةً حسبتُ أنّ الروميَّ انتفضَت أوصالُهُ، ثم أمسك بخاصرةِ الرومي حتى رأيتُ الدمَ تحتَ أصابع ابنِ عياض، ثم رفعه ، وألقى به الأرض، فطار دماغُه.

وله قصةٌ أخرى: وذلك أنه وقف فارسٌ من جُملة خيَّالة الروم على لاردَة وطلب المُبارزة، فخرج ابنُ عياض عليه قميصٌ طويلُ الكُمِّ قد أدخل فيه حجراً مُدحرجاً، وربط رأسَ الكُمِّ، وتقلَّد سيفَـه، والـروميُّ شاكٌّ في سلاحـه، فحمـل عليه ابنُ عياض، فطعنـه الرُّوميُّ في الطارقة فنشب الرمح، فأطلقها ابنُ عياض من يده، وبادر فضرب الرُّوميَّ بكُمِّه، فنثر دماغَه، فعَجِبْنا، وكبَّرْنا، فاشتهر ذكرُه على صِغر سِنِّه، وأما أنا فحضرتُ معه أيام مملكته حروباً، وكان في هيئته كأنه برجٌ غريبُ الخِلقة.

قلتُ: ولابن عياض مواقفُ مشهودةٌ، وكان فارسَ الإسلام في زمانه لعلّه بقي إلى بعـد الأربعين وخمس مئـة، وقـام بعـده خادمُـهُ محمدُ بنُ سعد بمَردنيش، استخلفه عند موته على الناس، فدامت أيامُه إلى سنة ثمان وستين وخمس مئة.

قال اليسعُ في «تاريخ المغرب» وقد خدم ابنَ عياض، وصار كاتباً له ـ فذكر أنَّ ابنَ عياض التقى البـرشلوني، وانتصـر المسلمون فلما انفصل المصافُّ، قصد المسلمون الماء ليشربوا، وتجرَّد ابنُ عياض من درعه، ونحو الخمس مئة من الروم في غابةٍ عند الماء، فالتفت ابنُ عياض إلى أصحابِه أن ارمُوا الرومَ بالنبل، فجاءه سَهمٌ في فقـار ظهرِه، فأُخرج منه بعد قتل أولئك الخمس مئة، وإذا بالسهم قد أصـاب النُّخـاع، فوصـل مُرسِية، وتـوفِّيَ بعـد ولايتـه إياها أربعَ سنين، ووجد المسلمون لفقده.

٨٧٧ محمد بن سَعْد(١)

[١]ابن محمد بن مَردَنيش الجُذاميُّ الأندلسيُّ، الملكُ أبو عبدالله صاحبُ مُرْسِيَة وبَلَنْسِيَة.

[٢]كان صِهراً للملك المجاهدِ الورع أبي محمد عبدِ الله بنِ عياض فلما تُوفي ابنُ عياض، اتفق رأيُ أجناده على تقديم ابنِ مَرْدنيش هذا عليهم، وكان صغيرَ السنِّ شابّاً، لكنه كان ممن يُضرب بشجاعته المثلُ وابتُلي بجيش عبدِ المؤمنِ يحاربونه، فاضطُر إلى الاستعانة بالفِرَنْجِ فلما تُوفي الخليفة عبدُ المؤمن تمكَّن ابنُ مردنيش، وقَوِيَ سلطانه وجرت له حروبٌ وخطوب.

ذكره اليسع في «تاريخه» وقال: نازلَتِ الرومُ المَريّةَ عند علمهم بموت ابنِ عياض، ولكون ابنِ مَردنيش شابّاً، ولكنه عنده من الإقدامِ مالا يوجد في أحدٍ حتى أضرَّ بهِ في مواضعَ شاهدناها معه، والرأيُ قبل الشجاعة، وإلا فهو في القوة والشجاعة في محلٍّ لا يتمكَّن منه أحد في عصره، ما استتم خمسةَ عشر عاماً حتى ظهرت شجاعتُه، فإنَّ العدوّ نازلَ إفراغة، فقرُب فارسٌ منهم إلى السُّور، فخرج محمدُ، وأبوه سعدٌ لا يَعرف، فالتقيا على حافَّة النهر، فضربه محمدٌ ألقاهُ مع حصانِهِ في الماء، فلما كان الغدُ طلب فارسٌ من الروم مبارزته، وقال: أين قاتلُ فارِسنا بالأمسِ؟ فامتنع والدُه من إخراجه له، فلما كان وقتُ القائلة وقد نام أبوه، ركب حصانَه، وخرج حتى وصلَ إلى خيام العدو، فقيل للملكِ: هذا ابنُ سعد. فأحضره مجلسَه، وأكرَمه وقال: ما تريدُ؟ قال: منعني أبي من المُبارزة، فأين الذي يُبارز؟ فقال: لا تعصِ أباك. فقال: لابدَّ. فحضر المبارز فالتقيا، فضرب العلجُ محمداً في طارقتِه، وضرب هو العلجَ ألقاه ثم أومأ إليه بالرمح ليقتُله، فحالت الرومُ بينهما، وأعطاه الملكُ جائزة.

---

(١) انظر السير: ٢٩/ ٢٤٠-٢٤٢

ومن شجاعته يوم نِوَلَه[1]: كان في مئة فارس، والرومُ في ألفٍ فحمل بنفسه، فاجتمعت فيه أكثرُ من عشرين رمحاً، فما قلبوه، ولولا حَصَانَةُ عُدّتِه لهلك، فكشف عنه أصحابَه، وانهزم الرومُ، فاتبعهم من الظهر إلى الليل، ثم هادن الرومَ عشر سنين.

قال: ولم تزل الأيامُ تخدمُه، وقد اهتم بجمع الصُّنّاعِ لآلاتِ الحروبِ وللبناء والترخيم، واشتغل ببناء القصور العجيبة والنزه والبساتين العظيمة، وصاهر الرئيسَ القائد أبا إسحاقَ بن هَمُشْك.

٨٧٨ ابن الطَّلَّايَة[2]

[١]الشيخُ الصادقُ الزاهدُ القدوةُ، بركةَ المسلمين، أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ أبي غالب، عُرِفَ بابن الطَّلَّاية[3]، الكاغِديُّ البغداديُّ.

وُلِدَ سنة اثنتين وستين وأربعِ مئة.

[٢]قال السمعانيُّ: شيخٌ كبير، أفنى عُمرَه في العبادة والقيامِ والصيام، لعله ما صرف ساعةٍ من عُمُره إلا في عبادة، وانحنى حتى لا يتبُينُ قيامُهُ من ركوعه إلا بيسير، وكان حافظاً للقرآن، لا يقبلُ من أحدٍ شيئاً، وله كفايةٌ يتقنَّع بها.

[٣]قال أبو المظفر بنُ الجَوزيِّ: سمعتُ مشايخ الحربية يَحْكُونَ عن آبائهم وأجدادِهم أن السلطان مسعوداً لما أتى بغداد، كان يحبُّ زيارةَ العُلماء والصالحين، **فالتمس حضورَ ابنِ الطَّلَّاية، فقال للرسولِ: أنا في هذا المسجد أنتظرُ داعيَ الله في النهار خمسَ مرات، فذهب الرسولُ، فقال السلطانُ: أنا أولى**

(١) بكسر أوله وفتح ثانيه: حصن من أعمال مرسية بالأندلس

(٢) انظر السير: ٢٠/ ٢٦٠ـ ٢٦٣

(٣) ذكر في «الوافي» و «المستفاد» أن والدته كانت تطلي الورق عند عمله بالدقيق المعجون بالماء رقيقاً قبل صقله، فاشتهرت بذلك.

بالمشي إليه، فزارهُ، فرآه يُصلِّي الضُّحى، وكـان يُطَوِّلهـا يصلِّيها بثمانية أجزاء، فصلى معـه بعضهـا، فقـال له الخادمُ: السلطانُ قائم على رأسكَ. فقال: أينَ مسعـود؟ قال: ها أنا. قال: يا مسعود، اعدلْ، وادعُ لي، اللهُ أكبر. ثم دخلَ في الصلاة فبكى السلطانُ، وكتب ورقةً بخطِّه بإزالة المُكُوسِ والضرائبِ، وتاب توبةً صادقةً.

مات ابنُ الـطَّلَّايةِ سنة ثمان وأربعين وخمس مئة، وحُمِلَ على الرؤوس، وما خلَّف بعدَه مثلَه.

٨٧٩ ابن ناصر(١)

[١]**الإمامُ المحدِّثُ، مفيدُ العراق، أبو الفضل محمدُ بنُ ناصر بنِ محمد السَّلاميُّ البغدادي.**

مولده في سنة سبع وستين وأربع مئة.

وقرأ ما لا يُوصف كثرةً، وحصَّل الأُصول، وجمع وألَّف، وبَعُدَ صيتُه.

وكان فصيحاً، مليحَ القراءة، قويَّ العربية، بارعاً في اللُّغة، جمَّ الفضائل.

[٢]قال السمعانيُّ: كان يُحبُّ أن يقعَ في الناس، فردَّ ابنُ الجوزيِّ هذا، وقبَّحه، وقال: صاحبُ الحديث يَجْرَحُ ويُعدِّل، أفلا تُفَرِّقُ يا هذا بينَ الجرح والغِيبة؟! ثم قال: وهو قد احتجَّ بكلام ابنِ ناصر في كثيرٍ من التراجم في «الذيل» له. ثم بالغ ابنُ الجوزيِّ في الحَطِّ على أبي سَعْدٍ كذلك، ولا ريبَ أن ابنَ ناصر يتعسَّفُ في الحطِّ على جماعةٍ من الشيوخ، وأبو سعد أعلمُ بالتاريخ، وأحفظُ من ابنِ الجوزيِّ ومن ابن ناصر، وهذا قولُه في ابن ناصر في «الذيل»، قال: هو ثقةٌ حافظٌ ديِّنٌ متقن ثبتٌ لُغوي، عارفٌ بالمتون والأسانيد، كثيرُ الصلاةِ والتلاوةِ غير أنه يحبُّ أن يقعَ في الناس، وهو صحيحُ القراءةِ والنقل.

---

(١) انظر السير: ٢٠/٢٦٥-٢٧١

[١]أنبؤونا عن ابنِ النجّارِ قال: قرأتُ بخط ابنِ ناصر وأخبرنيه عنه سماعاً يحيى بنُ الحسين قال: بقيتُ سنينَ لا أدخلُ مسجدَ أبي منصور الخيّاط، واشتغلتُ بالأدب على التبريزيِّ، فجئت يوماً لأقرأ الحديثَ على الخيّاط، فقال: يا بُني، تركتَ قراءةَ القرآن، واشتغلتَ بغيره؟! عُدْ، واقرأ عليَّ ليكون لك إسنادٌ، فصعدتُ إليه في سنة اثنتين وتسعين، وكنتُ أقول كثيراً: اللَّهمَّ بيِّن لي أيَّ المذاهبِ خيرٌ، وكنتُ مراراً قد مضيتُ إلى القيروانيِّ المتكلِّم في كتاب «التمهيد» للباقلاني وكأنَّ من يردُّني عن ذلك. قال: فرأيتُ في المنام كأني قد دخلتُ المسجدَ إلى الشيخ أبي منصور، وبجنبه رجلٌ عليه ثيابٌ بيضٌ ورداءٌ على عمامتِه يُشبه الثيابَ الريفية، دُرِّيُّ اللون، عليه نورٌ وبهاء، فسلَّمتُ وجلستُ بين أيديهما، ووقع في نفسي للرجلِ هيبةٌ وأنه رسولُ الله ﷺ، فلما جلستُ التفتَ إليّ، فقال لي: عليكَ بمذهب هذا الشيخ، عليكَ بمذهب هذا الشيخ. ثلاث مرات، فانتهبتُ مرعوباً، وجسمي يرجفُ، فقصصتُ ذلك على والدتي، وبكّرتُ إلى الشيخِ لأقرأ عليه، فقصصتُ عليه الرؤيا، فقال: يا ولدي، ما مذهبُ الشافعيِّ إلا حسنٌ، ولا أقول لك: اتركه، ولكن لا تعتقد اعتقادَ الأشعريِّ. فقلتُ: ما أريد أن أكونَ نصفين، وأنا أُشهدك، وأُشهد الجماعةَ أنّني منذ اليوم على مذهبِ أحمدَ بنِ حنبل في الأصول والفروع فقال لي: وفقكَ الله. ثم أخذتُ في سماع كتبِ أحمدَ ومسائلِه والتفقُّه على مذهبه.

قال ابنُ الجوزيِّ وغيره: تُوفي ابنُ ناصر، سنةَ خمسين وخمس مئة.

[٢]ثم قال ابنُ الجوزي: حدثني الفقيه أبو بكرٍ بنُ الحُصري، قال: رأيتُ ابنَ ناصر في النوم، فقلتُ له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، وقال لي: قد غفرتُ لعشرةٍ من أصحاب الحديثِ في زمانك لأنك رئيسُهم وسيِّدُهم.

٨٨٠ الشَّهْرَسْتَانيّ(١)

الأفضـلُ محمدُ بنُ عبدالكريم بن أحمد الشَّهرَسْتَاني، أبو الفتح شيخُ أهلِ الكلامِ والحكمة، وصاحب التصانيف.

برع في الفقـهِ، وقـرأ الأصولَ، وصنّف كتاب «نهاية الإقدام» وكتاب «الملل والنِّحَلْ» وكان كثيرَ المحفوظ، قويَّ الفهم، مليحَ الوعظِ.

وُلد سنةَ سبعٍ وستين وأربعِ مائة.

وقال في «التحبير»: هو مِن أهل شَهْرَستانة، كان إماماً أصولياً، عارفاً بالأدبِ وبالعلومِ المهجورة، قال: وهو مُتَّهم بالإلحاد، غالٍ في التشيُّع.

وقال ابنُ أرسلان في «تاريخ خُوارزم»: عالم كَيِّسٌ متفنِّنٌ، ولولا ميلُهُ إلى أهل الإلحاد وتخبطه في الاعتقاد، لكان هو الإمامَ، وكثيراً ما كُنا نتعجبُ من وفور فضلِه كيف مالَ إلى شيءٍ لا أصلَ له؟! نعوذُ بالله من الخِذلان، وليس ذلك إلا لإعراضِهِ عن علم الشـرعِ، واشتغالِهِ بظُلُمات الفلسفة، وقد كانت بيننا محاوراتٌ فكيف يُبالغ في نصرة مذاهبِ الفلاسفةِ والذَّبِّ عنهم.

حضـرتُ وعـظَه مراتٍ، فلم يكن في ذلك قال الله ولا قال رسولُه، سأله يوماً سائلٌ، فقال: سائرُ العلماءِ يذكرون في مجالسهم المسائلَ الشرعية، ويُجيبون عنها بقولِ أبي حنيفةَ والشافعيِّ وأنت لا تفعل ذلك؟! فقال: مَثَلِي وَمَثَلُكُم كَمَثَل بني إسرائيل يأتيهم المنُّ والسلوى، فسألوا الثُّومَ والبصل.

مات بشهرستانة سنة تسع وأربعين وخمس مئة.

٨٨١ أبو الوقت(٢)

[١]**الشيخُ الإمامُ الزاهدُ الخيِّر الصوفيُّ، شيخُ الإسلام، مُسندُ الآفاقِ أبو الوقت،**

(١) انظر السير: ٢٠/٢٨٦-٢٨٨ (٢) انظر السير: ٢٠/٣٠٣-٣١١

عبدُ الأوّلِ بنُ الشيخِ المحدِّثِ المعمَّرِ أبي عبدِ الله عيسى السِّجزيُّ، ثم الهَرَوِيُّ المالينيّ.

مولدهُ في سنة ثمانٍ وخمسين وأربع مئة.

وقال ابنُ الجوزيِّ: كان صَبُوراً على القراءة، وكان صالحاً كثيرَ الذِّكرِ والتهجُّدِ والبُكاء، على سَمْتِ السَّلَفِ، وعزمَ عامَ موته على الحج، وهيَّأ ما يحتاجُ إليه، فمات.

[١] وقال يوسفُ بنُ أحمدَ الشيرازيُّ في «أربعين البلدان» له: لما رحلتُ إلى شيخنا رُحْلَةِ الدنيا ومُسنِدِ العصرِ أبي الوقت، قدَّر الله لي الوصولَ إليه في آخر بلاد كرمان، فسلمتُ عليه، وقبّلتُه، وجلستُ بين يديه، فقال لي: ما أقدمكَ هذه البلاد؟ قلتُ: كان قصدي إليك، ومُعوَّلي بعد اللهِ عليك، وقد كتبتُ ما وقع إليَّ من حديثك بقلمي، وسعيتُ إليك بقدمي، لأُدرِكَ بركةَ أنفاسِك، وأحظى بعُلوِّ إسنادِك، فقال: وفقك الله وإيّانا لمرضاتِه، وجعل سَعْينا له وقَصْدَنا إليه، لو كُنتَ عرفْتَني حقَّ معرفتي، لما سلَّمتَ عليَّ، ولا جلستَ بين يديَّ، ثم بكى بُكاءً طويلاً، وأبكى من حضرهُ، ثم قال: اللهم استُرنا بسترِكَ الجميلِ، واجعل تحت السترِ ما ترضى به عنّا، يا ولدي تعلمُ أني رحلتُ أيضاً لسماع «الصحيح» ماشياً مع والدي من هَرَاةَ إلى الداووديِّ ببُوشَنْج ولي دون عشرِ سنين، فكان والدي يضعُ على يديَّ حَجَرين، ويقول: احملْهما، فكنت من خوفه أحفظهُما بيديَّ، وأمشي وهو يتأمَّلُني، فإذا رآني قد عييتُ أمَرني أن أُلقيَ حجراً واحداً، فأُلقي ويَخِفُّ عنّي، فأمشي إلى أن يتبيَّنَ له تعبي، فيقول لي: هل عييتَ؟ فأخافُه، وأقولُ: لا. فيقول: لم تُقصِّرُ في المشي؟ فأسرعُ بين يديه ساعةً، ثم أعجِزُ، فيأخذ الآخَرَ فيُلقيه، فأمشي حتى أعطَبَ، فحينئذ كان يأخذُني ويحملُني، وكنا نلتقي جماعةً من الفلاحين وغيرِهم، فيقولون: يا شيخُ عيسى، ادفع إلينا هذا الطفلَ نُركبُه وإياكَ إلى بُوشَنْج، فيقول: معاذ الله أن نركبَ في طلبِ أحاديثِ رسول الله ﷺ، بل نمشي، وإذا عجز أركبتُه

على رأسي إجلالاً لحديثِ رسولِ الله ورجاءَ ثوابه. فكان ثمرة ذلك من حُسن نيَّتِه أنِّي انتفعتُ بسماع هذا الكتاب وغيره، ولم يبق من أقراني أحدٌ سواي، حتى صارت الوفودُ ترحلُ إليَّ من الأمصار. ثم أشارَ إلى صاحِبنا عبدِ الباقي بن عبدالجبار الهَرَويِّ أن يُقدمِّ لي حَلواء، فقُلت: يا سيِّدي، قراءتي لجُزء أبي الجهمِ أحبُّ إليَّ من أكل الحلواء، فتبسَّم، وقال: إذا دخل الطعامُ خرج الكلام، وقدم لنا صحناً فيه حَلْواءُ الفانيذ، فأكلنا، وأخرجُت الجُزء، وسألتُه إحضارَ الأصلِ، فأحضرهُ، وقال: لا تخفْ ولا تحرِص، فإني قد قبرتُ ممن سمع عليَّ خلقاً كثيراً، فسلِ الله السلامةَ، فقرأتُ الجُزءَ، وسُررتُ به، ويسَّر الله سماعَ «الصحيح» وغيره مراراً، ولم [١]أزل في صُحبتِه وخدمتِه إلى أن تُوفي ببغداد، قال لي: تدفنني تحتَ أقدامِ مشايخنا بالشُّونيزيَّة، ولما احتُضِرَ سَنَدْتُه إلى صدري، وكان مُسْتَهْتَراً(١) بالذِّكر، فدخل عليه محمدُ بنُ القاسمِ الصوفيُّ، وأكبَّ عليه، وقال: يا سيِّدي، قال النبيُّ ﷺ «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلامِهِ لا إله إلا الله دَخَلَ الجَنَّةَ» فرفع طرفه إليه، وتلا ﴿يا لَيْتَ قَوْمي يَعْلَمونَ بما غَفَرَ لي رَبِّي وَجَعَلَني من المُكْرَمِين﴾ [يس ٢٦، ٢٧] فدهش إليه هو ومن حضر من الأصحاب، ولم يزل يقرأُ حتى ختمَ السورةَ، وقال: الله الله الله، وتُوفي وهو جالسٌ على السجّادة، سنةَ ثلاثٍ وخمسين وخمس مئة.

٨٨٢ الزَّبِيْدِيُّ(٢)

[٢]الإمامُ القدوةُ العابدُ الواعظ، أبو عبدالله، محمدُ بنُ يحيى بنِ عليٍّ، القُرشيُّ اليمنيُّ الزَّبيديُّ، نزيل بغداد.

مولدُهُ سنة ستِّين وأربعِ مئة، وكان حنفيَّاً سلفياً.

[٣]قال ابنُ هُبيرة: جلستُ معه من بكرة إلى قريب الظهر وهو يَلُوكُ شيئاً، فسألتُه، فقال: نواةٌ أتعلّل بها، لم أجد شيئاً.

(١) أي: مُولَعٌ به، يقال: أُهتِرَ فلان بكذا، واستُهتِر، فهو مُهْتَرٌ ومستهتر، أي: مولع به لا يتحدث بغيره، ولا يفعل غيره.
(٢) انظر السير: ٢٠/٣١٦ـ ٣١٩

[١] قال ابنُ الجوزيِّ: كان يقولُ الحقَّ وإن كان مُرّاً، لا تأخُذُهُ في الله لومةُ لائم، قيل: دخل على الوزيرِ الزَّينبيِّ وعليه خِلْعةُ الوزارةِ وهم يُهَنِّئُونه، فقال: هو ذا يومُ عَزَاءٍ، لا يومُ هَنَاء، فقيل: ولم؟ قال: أَهَنَّىءُ على لبس الحرير؟!

[٢] قال ابنُ الجوزيِّ: حدثني الفقيهُ عبدُالرحمن بنُ عيسى، سمعتُ الزَّبيديَّ قال: خرجت إلى المدينة على الوحدة، فآواني الليلُ إلى جبلٍ، فصعدتُ، وناديتُ: اللهمَّ إنّي الليلةَ ضيفُك. ثم نُوديت: مرحباً بضيفِ الله. إنَّك مع طلوع الشمس تمرُّ بقومٍ على بئرٍ يأكلونَ خُبزاً وتمراً، فإذا دعوكَ فأجبْ، فسِرْتُ من الغد، فلاحَتْ لي أهدافُ بئر، فجئتُهَا، فوجدتُ عندها قوماً يأكُلون خُبزاً وتمراً فدَعَوْني، فأجبتُ.

[٣] وقيل: كان يذهَبُ إلى مذهب السالِمّية، ويقول: إنَّ الأموات يأكُلون ويشربُونَ وينكحون في قبورهم، وإنَّ الشاربَ والزاني لا يُلامُ لأنه يفعلُ بقضاء اللهِ وقَدَرِه.

قلتُ: يحتجُّ بقصةِ آدمَ وموسى عليهما السلام، وبقول آدم: أتلومُني؟ وأنه حجَّ موسى، ولـو سلَّمنا أن الزاني لا يُلام، فعلينا أن نحدَّهُ ونُغرِّبَه، ونَذُمَّ فعلَه، ونردَّ شهادتَه، ونكرهَه، فإن تاب واتقى أحببناه واحترمناه، فالنزاعُ لفظيٌّ.

[٤] قال ابن عساكر: قال ولده إسماعيل: كان أبي في كل يوم وليلة من أيام مرضه يقول: الله الله، نحواً من خمسةَ عشرَ ألف مرة، فما زال يقولها حتى طفيء.

وقال ابنُ شافع، كان له في علمِ العربيّة والأصولِ حظٌّ وافر، وصنَّف في فُنُون العلم نحواً من مئة مُصنَّف، ولم يُضَيِّعْ شيئاً من عُمُره.

تُوفي سنةَ خمسٍ وخمسين وخمس مئة رحمه الله.

٨٨٣ عليُّ بنُ مَهْدي(١)

[٥] كان أبوهُ من قريةٍ بزَبيد من الصُّلحاء، فنشأ عليٌّ في تزهُّد، وحجَّ ولقي العلماءَ، وحصَّل، ثم وعظ، وذمَّ الجُند.

(١) انظر السير: ٢٠/٣٢١ـ٣٢٢

وكان فصيحاً صبيحاً طويلاً، أخضرَ اللون، طيِّبَ الصوت، غزيرَ المحفوظ، متصوِّفاً، خبيثَ السريرة، داهيةً، يتكلَّمُ على الخواطر فربط الخلق، وكان يَعظُ وينتحِبُ.

قال عُمارة اليمني: لازمتُهُ سنةً، وتركتُ التفقُّه، ونَسَكْتُ فأعادني أبي إلى المدرسة، فكنتُ أزورُهُ في الشهرِ، فلما استفحل أمرُهُ تركتُهُ.

ولم يزل من سنة ٥٣٠ يَعِظُ ويُخوِّفُ في القُرى، ويحجُّ على نجيب، وأطلقت له السيدَةُ أمُّ فاتك ولأقاربه خَرَاجَ أملاكهم، فتموَّلُوا إلى أن صار جمعُهُ نحو أربعين ألف مقاتل، وحاربَ، وكان يقولُ: دنا الوقتُ، أزِفَ الأمرُ، كأنكم بما أقول لكم عياناً، ثم ثار ببلاد خَولان، وعاث وسبى، وأهلك الناس، ثم لقيتُهُ عند الداعي بجبْلة سنةَ تسعٍ وأربعين يستنجِدُ به، فأبى، ثم دَبَّر على قتل وزيرِ آلِ فاتِك ثم زحفَ إلى زَبيد، فقاتله أهلُها نيفاً وسبعين زحفاً، وقُتِلَ خلائق من الفريقين، ثم قُتل فاتكُ مُتولِّي زَبيد، وأخذها ابنُ مَهدي في رجب سنةَ أربعٍ وخمسين وخمس مئة، فما مُتِّع، وهلك بعد ثلاثة أشهر، وقام بعدَه ابنُهُ عبدُ النبيِّ، وعظُم، حتى استولى على سائرِ اليمن، وجمع أموالاً لا تُحصى، وكان ـ أعني الأب ـ يرى التكفيرَ بالمعاصي، ويستحلُّ وطءَ سبايا من خالَفَه، ويعتقدُ فيه قومُهُ فوقَ اعتقادِ الخلقِ في نبيِّهم.

قال: وحُكي لي عنه أنه لم يَثِق بيمينٍ من يصحَبُهُ حتى يَذْبَحَ وَلَدَهُ أو أخاه، وكان يقتُلُ بالتعذيب في الشمسِ، ولا يشفعُ أحدٌ عندَهُ، وليس لأحدٍ من عسكرِهِ فرسٌ يملكُهُ ولا سلاحٌ، بل الكُلُّ عندَهُ إلى وقت الحرب، والمنهزِمُ منهم يُقتل جزماً، والسكرانُ يُقتل، ومن زنى أو سمع غناءً يُقتل، ومن تأخَّر عن صلاة الجماعةِ قُتِلَ.

٨٨٤ كُوْتَاه[1]

[١]الشيخُ الإمام الحافظُ المُتقِنُ، محدِّثُ أَصبهان، أبو مسعود، عبدُ الجليل بنُ محمد بنِ عبدِالواحدِ، الأصبَهانيُّ كُوْتَاه.

وُلِدَ سنةَ ستٍّ وسبعين وأربع مئة.

[٢]وقال السمعانيُّ: لما وردتُ أَصبَهان كان ما يخرجُ من دارهِ إلا لحاجةٍ مُهمّة، كان شيخُه إسماعيلُ الحافظُ هجره، ومنعه من حضور مجلسِه لمسألةٍ جرت في النُّـزول، وكان كوتاه يقولُ: النزولُ بالذات فأنكر إسماعيلُ هذا، وأمرهُ بالرجوعِ عنه. فما فعل.

مات كوتاه في سنة ثلاثٍ وخمسين وخمس مئة.

[٣]ومسألةُ النزولِ فالإيمانُ به واجبٌ، وتركُ الخوضِ في لوازمِه أولى وهو سبيلُ السَّلَف، فما قال هذا: نزولُه بذاته، إلا إرغاماً لمن تأوَّله، وقال: نزولُه إلى السماء بالعلِم فقط. نعوذُ بالله من المراء في الدين.

وكذا قولُه ﴿وجاء ربُّك﴾ [الفجر ٢٢] ونحوُه، فنقولُ: جاءَ وينزلُ، وننهى عن القـول: سينـزلُ بذاته، كما لا نقولُ: ينزلُ بعلمهِ، بل نسكتُ ولا نتفاصحُ على الرسول ﷺ بعباراتٍ مبتدَعة، والله أعلم.

٨٨٥ عَديّ[2]

[٤]الشيخُ الإمامُ الصالح القدوةُ، زاهدُ وقتِه، أبو محمد عَديُّ بنُ صخر الشامي، وقيل: عديُّ بنُ مسافر ـ وهذا أشهر ـ ابنِ إسماعيلَ الشامي، ثم الهَكّاريّ.

قال الحافظُ عبدُ القادر: ساح سنينَ كثيرةً، وصحبَ المشايخ وجاهد أنواعاً من

---

(١) انظر السير: ٢٠/٣٢٩ـ ٣٣١

(٢) انظر السير: ٢٠/٣٤٢ـ ٣٤٤

المُجاهدات، ثم إنه سكنَ بعض جبالِ الموصل في موضعٍ ليسَ به أنيسٌ، ثم آنس الله تلكَ المواضعَ به، وعمرها ببركاتِه، حتى صار لا يخافُ أحدٌ بها بعد قطع السُّبُل، وارتدّ جماعةٌ من مُفسدي الأكراد ببركاته، وعُمّر حتى انتفع به خلقٌ، وانتشر ذِكرُه، وكان مُعلِّماً للخير، ناصحاً متشرعاً، شديداً في الله، لا تأخذه في الله لومةُ لائم، عاشَ قريباً من ثمانين سنة ما بلغنا أنه باعَ شيئاً ولا اشترى، ولا تلبّس بشيءٍ من أمرِ الدنيا كانت له غُلَيلةٌ يزرعُها بالقَدُوم في الجَبَل، ويحصُدها، ويتقوَّت، وكان يزرعُ القُطن، ويكتسي منه، ولا يأكلُ من مالِ أحدٍ شيئاً، وكان له أوقاتٌ لا يُرى فيها مُحافظةً على أورادِه، وقد طُفْتُ معه أياماً سوادَ المَوْصِل، فكان يُصلِّي معنا العِشـاء، ثم لا نراهُ إلى الصبح ورأيتُه إذا أقبل إلى قريةٍ يتلقّاه أهلُها من قبل أن يسمعُوا كلامَه تائبين رجالُهم ونساؤهم إلا من شاء الله منهم، ولقد أتينا معه على دَير رُهبان، فتلقَّانا منهم راهبان، فكشفا رأسَيهما، وقبَّلا رجليه، وقالا: ادع لنا فما نحنُ إلا في بركاتِك، وأخرجا طَبَقاً فيه خُبز وعسل، فأكل الجماعةُ، وسمعتُ شخصاً يقولُ له: يا شيخ، لا بأس بمُداراة الفاسق. فقال: لا يا أخي، دينٌ مكتومٌ دِينٌ ميشوم، وكان يُواصل الأيامَ الكثيرةَ على ما اشتهر عنه، حتى إنَّ بعضَ النّاسِ كان يعتقِدُ أنه لا يأكل شيئاً قطُّ، فلمّا بلغه ذلك أخذ شيئاً، وأكله بحضرةِ الناسِ، واشتهر عنه من الرياضات والسِّير والكرامات والانتفاع به ما لو كان في الزمانِ القديم لكانَ أُحدوثةً، ورأيتُهُ قد جاء إلى المَوْصِل في السَّنَة التي ماتَ فيها، فنزل في مشهدٍ خارجَ المَوصل، فخرج إليه السُّلطانُ وأصحابُ الولايات والمشايخُ والعوامُّ حتى آذوه مما يقبِّلُون يدَه، فأُجلس في موضع بينه وبين الناس شُبَّاكٌ بحيث لا يَصِلُ إليه أحدٌ إلا رؤيةً، فكانوا يَسلِّمون عليه، وينصرفُون، ثم رجعَ إلى زاويته.

وقال ابنُ خلِّكان: أصلُه من بلاد بَعْلَبَكّ، وتوجَّه إلى جَبَلِ الهَكَّارية، وانقطَع، وبنى له زاويةً، ومال إليه أهلُ البلاد ميلاً لم يُسمع بمثله، وسار ذكُره في الآفاق، وتبعـهُ خلقٌ جاوزَ اعتقـادُهم فيه الحـدَّ، حتى جعلُوهُ قبلتَهم التي يُصلُّون إليهـا

وذخيرتَهم في الآخرة، عاش تسعين سنة.

توفي سنة سبع وخمسين وخمس مئة.

٨٨٦ ابن الحُطَيئة[١]

[١]**الشيخُ الإمامُ العلاّمةُ القُدوة، شيخُ الإسلام، أبو العباسِ أحمدُ بنُ عبد الله اللَّخميُّ المَغْربيُّ الفاسيُّ المُقرىء الناسخُ ابنُ الحُطَيئة.**

مولدُه بفاس سنةَ ثمانٍ وسبعين وأربعِ مئة.

[٢]وقـد دخل الشامَ وزار، وسكن مِصْرَ، وتزوَّج، وكان يعيشُ من الوراقة، وعلَّم زوجتَه وبنتَه الكتابَة، فكتبتَا مثلَه، فكان يأخُذُ الكتابَ ويقسِمه بينه وبينهما، فينسخُ كلٌّ منهما طائفةً من الكتاب فلا يُفرَّقُ بين الخطوط إلا في شيء نادرٍ، وكان مُقيماً بجامع راشدة خارجَ الفُسطاط، ولأهل مصر حتى أمرائها العُبيدية فيه اعتقادٌ كبيرٌ، كان لا يقبلُ من أحدٍ شيئاً، مع العلمِ والعملِ والخوف والإخلاص.

وأحكم العربيَّةَ والفقهَ، وخطُّه مرغوبٌ فيه لإتقانِهِ وبَركتِهِ.

[٣]وقـد كان حصـل قحطٌ بمصر، فبذل له غيرُ واحدٍ عطاءً، فأبَى وقنِع فخطب الفضلُ بنُ يحيى الطويلُ إليه بنتَه، فزوَّجه، ثم طلب منه أُمَّها لتُؤنسَها، ففعَل، فما أجملَ تلطُّفَ هذا المرءِ في برِّ أبي العبّاس.

قال السِّلَفِيُّ: كان ابنُ الحُطيئةِ رأساً في القراءات، وقرأتُ بخط أبي الطاهر بنِ الأنماطيِّ قال: سمعتُ شيخنا شُجاعاً المُدلجيَّ ـ وكان من خيار عباد الله ـ يقول:

[٤]كان شيخُنا ابنُ الحُطيئةِ شديداً في دين الله فَظّاً غليظاً على أعداء الله، لقد كان يَحْضُرُ مجلسَه داعي الدعاة[٢] مع عِظمِ سُلطانِه ونفوذِ أمرِه، فما يَحتشِمُهُ، ولا

---

(١) انظر السير: ٢٠/٣٤٤ـ٣٤٨

(٢) وهـو أبو القاسم هبة الله بن كامل المصري التنوخي، قاضي الخليفة العاضد متوفى سنة ٥٦٩، مترجم في الخريدة (قسم مصر) ١/١٨٦، والروضتين ١/٢٢٤ و«العبر» ٤/٢٠٩، و«شذرات الذهب» ٤/٢٣٥

يُكرِمُه، ويقول: أحمقُ الناسِ في مسألة كذا وكذا الروافض، خالفوا الكتابَ والسُّنَّةَ وكفَروا بالله.

[١] وكنتُ عنده يوماً في مسجده بشرفِ مصر وقد حضرهُ بعض وزراء المصريين أظنُّه ابنَ عبّاس، فاستسقى في مجلسه، فأتاه بعضُ غلمانِه بإناء فضة فلما رآه ابنُ الحُطيئة وضع يدهُ على فؤاده، وصرخ صرخةً ملأتِ المسجدَ وقال: واحَرَّها على كَبِدي، أتشربُ في مجلسٍ يُقرأ فيه حديث رسول الله ﷺ في آنية الفِضَّة؟! لا واللهِ لا تفعلُ، وطرد الغلامَ فخرج، وطلب الشيخُ كُوزاً، فجيء بكوز قد تثلَّم، فشربَ، واستحيى من الشيخ، فرأيتُه واللهِ كما قال تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ ولا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ [إبراهيم ١٧].

قال: وأتى رجلٌ إلى شيخنا ابن الحُطيئةِ بمئزرٍ، وحلَف بالطلاق ثلاثاً لابُدَّ أن يقبلَه، فوبَّخه على ذلك، وقال: علِّقْهُ على ذاك الوَتدِ فلم يزلْ على الوَتدِ حتى أكله العُثُّ، وتساقطَ، وكان ينسخُ بالأُجرة وكان له على الجزية في السنة ثلاثةُ دنانير، ولقد عَرَضَ عليه غيرُ واحد من الأُمراء أن يزيد جامكيَّته[1]، فما قبل، وكان له من الموقعِ في قلوبهم مع كثرةِ ما يُهينُهُم ما لم يكن لأحدٍ سواه، وعرضُوا عليه القضاءَ بمصر، فقال: واللهِ لا أقضي لهم.. إلى أن قال شجاع: وكتب «صحيحَ» مسلم كلَّه بقلمٍ واحد، وسمعتُهُ وقيل له: فلانٌ رُزِقَ نعمةً ومعِدَةً، فقال: حسدوه على التردُّد إلى الخَلاء، وسمعتُهُ كثيراً إذا ذُكر عُمر بنُ الخطاب رضي الله عنه يقولُ: طُوِيتْ سعادةُ المسلمين في أكفانِ عُمر.

وقرأتُ بخطِّ ابنِ الأنماطي، قال لي شيخُنا شجاعُ: كان الشيخُ أبو العبّاس قد أخذ نفسَه بتقليلِ الأكل، بحيثُ بلغ في ذلك إلى الغاية وكان يتعجّبُ ممَّن يأكُلُ ثلاثين لُقمةً.

[٢] وحكى لنا شجاعٌ أنَّ العبّاس وُلِدَتْ له بنتٌ، فلما كَبِرتْ أقرأها

(١) الجامكية: رواتب خدام الدولة، تعريب جامكي، وهو مركب من «جامه» أي قيمة، ومن (كي) وهو أداة النسبة.

بالسَّبْعِ ، وقرأت عليه «الصحيحين» وغيرَ ذلك، وكتبت الكثيرَ وتعلَّمت عليه كثيراً من العلم، ولم ينظُرْ إليها قطُّ، فسألتُ شجاعاً: أكان ذلكَ عن قصدٍ؟ فقال: كانَ في أوَّل العُمر اتفاقاً، لأنه كان يشتغِلُ بالإقراءِ إلى المَغْرب، ثم يدخل بيتَهُ وهي في مهدِها، وتمادى الحالُ إلى أن كَبِرَت، فصارت عادةً، وزوَّجَها ودخلت بيتَها والأمرُ على ذلك، ولم ينظر إليها قطُّ.

قلتُ: لا مَدْحَ في مثـلِ هذا، بل السُّنَّةُ بخلافِه، فقد كان سيِّدُ البشر ﷺ، يَحمِلُ أُمَامَةَ بِنْتَ ابنتِه وهو في الصَّلاةِ.

تُوفي ابنُ الحُطيئةِ رحمه الله سنةَ ستين وخمس مئة وقبرُهُ بالقَرَافة ظاهرٌ يُزار.

٨٨٧ سَنْجَر(١)

السلطانُ، ملكُ خُراسـان، مُعزُّ الدين، سَنْجَر بنُ السلطان مِلْكشاه بنِ أَلْب آرْسَـلان بن جَغْرِيبَك بنِ ميكائيلَ بنِ سَلجُوق الغُزِّيُّ التركيُّ السَّلْجوقيُّ صاحبُ خراسان وغَزْنَةَ وبعضِ ما وراء النهر.

خُطبِ له بالعراق وأَذْربيجان والشامِ والجزيرةِ وديار بكرٍ وأرّان والحرمين.

وُلد بسِنْجار من الجزيرة سنةَ تسعٍ وسبعين وأربعِ مئة إذ توجَّه أبوهُ لغَزو الروم، ونشأ ببلادِ الخُوز ثم سكن خُراسان، وتديَّر مَرْو.

وكان وَقُوراً حَيِيّاً، كريماً سخِيّاً، مُشفِقاً، ناصحاً لرعيتّه كثيرَ الصَّفْح جلسَ على سريرِ المُلك قريباً من ستين سنة.

وقال ابنُ خَلِّكان: كان من أعظمِ الملوكِ همَّةً، وأكثرهم عطاءً.

قال ابنُ خَلِّكان: لم يزل في ازديادٍ إلى أن ظهرت عليه الغُزُّ في سنة ٥٤٨ وهي وقعةٌ مشهورةٌ استُشهد فيها الفقيهُ محمدُ بنُ يحيى ،فكسروهُ، وانحلَّ نظامُ مُلكه، وملكوا نَيْسابور، وقتلُوا خَلقاً كثيراً وأخذوا السُّلطان، فبقي في أسرهم ثلاثَ سنين

(١) انظر السير: ٢٠/٣٦٢-٣٦٥

وأربَعَةَ أشهر، ثم أفلت منهم، وعاد إلى خُراسان، وزال بموتِهِ مُلْكُ بني سَلْجُوق عن خُرَاسان واستولى على أكثر مملكَتِهِ خُوارزم شاه أُتسِزُ بن محمد بن نوشتكين ومات أُتسِزُ قبل سنجر.

مات سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة.

قال ابنُ الجوزي: لما جاء خبرُ موتِهِ إلى بغداد، قُطعت خطبَتُهُ ولم يُعقد له عزَاء.

٨٨٨ عَبْدُ المؤمن بن عليٍّ[١]

[١]ابنِ عَلَويٍّ، سُلطَانُ المغربِ الذي يُلَقَّبُ بأمير المؤمنين، الكُوفيُّ القيسيُّ، المَغربيّ.

مولدُهُ بأعمال تِلِمْسان، وكان أبوه يصنعُ الفَخَّار.

وكان الخُطباء إذا دَعَوا له بعد ابنِ تُومرت، قالوا: قسيمُه في النَّسب الكريم.

مولده سنةَ سبعٍ وثمانين وأربع مئة.

وقال «المعجب» عبدالواحد المَرّاكُشي: استدعى ابنُ تومرت قبل موته الرجالَ المُسمَّين بالجماعة وأهلَ الخمسين، والثلاثةَ عُمر أرتاج، وعُمر إِيْنْتي، وعبدَ الله ابنَ سُليمان، فحمد الله ثم قال: إنَّ الله ـ سبحانه، وله الحمدُ ـ منَّ عليكم أيَّتُها الطائفةُ بتأييدِهِ، وخَصَّكُم بحقيقةِ توحيدِه، وقيَّضَ لكم من ألفاكُم ضُلاّلاً لاتهتدون وعُمياً لا تبصرون، قد فشت فيكم البِدَعُ، واستهوتكم الأباطيلُ فهداكم الله به، ونصركُم، وجمعكُم بعد الفُرقة، ورفع عنكم سُلطانَ هؤلاء المارقين، وسيُورِثُكم أرضَهم وديارهُم، ذلك بما كسبت أيديهم، فجدِّدوا لله خالصَ نياتكم، وأرُوهُ من الشكر قولاً وفعلاً مما يُزكي به سعيَكُم، واحذَرُوا الفُرقة، وكونوا يداً واحدةً على

---

(١) انظر السير: ٢٠/٣٦٦-٣٧٥

عدوِّكم فإنكم إن فعلتُم ذلك هابكم الناسُ وأسرعوا إلى طاعتِكُم، وإن لا تفعلُوا شملكُم الذُّلُّ، واحتقرتكُم العامَّة، وعليكم بمَزجِ الرأفةِ بالغلظة واللينِ بالعُنف، وقد اخترنا لكم رجُلاً منكم، وجعلناهُ أميراً بعد أن بلوناهُ، فرأيناهُ ثَبْتاً في دينه مُتبصِّراً في أمره، وهو هذا ـ وأشار إلى عبدِ المؤمن ـ فاستمعوا له وأطيعُوا ما أطاعَ ربَّه، فإن بَدَّل ففي المُـوحِّـدين بركةٌ وخير، والأمرُ أمرُ الله يُقلِّده من يشاء فبايع القومُ عبدَ المؤمن، ودعا لهم ابنُ تُومرت.

وقال ابنُ خلكان: ما استخلفهُ بل أشارَ به. قال: فأولُ ما أخذَ من البلاد هَوران، ثم تلمسان، ثم فاس، ثم سَلاَ، ثم سَبْتَه، ثم حاصر مرّاكُش أحد عشر شهراً، فأخـذهـا في سنـةِ اثنتين وأربعين وخمس مئـة، وامتـدّ مُلكُه، وافتتح كثيراً من الأندلس، وقصدته الشُّعراءُ ولما قال فيه التِّيفاشيُّ قصيدَتَه:

ما هَزَّ عِطْفَيْهِ بَيْنَ البِيْضِ والأَسَلِ   مثلُ الخَلِيفَةِ عبدِ المؤمنِ بنِ علي

أشار إليه أن يقتصِرَ على هذا المطلع، وأمر له بألف دينار. وانقطعت الدعوةُ العبّاسية بموت أميرِ المسلمين عليِّ بنِ تاشفين وولدِه تاشفين، وكانت دولةُ تاشفين ثلاثَ سنين.

قال ابنُ الجوزي في «المرآة»: استولى عبدُ المؤمن على مَرَّاكُش فقتل المُقاتلة، وكفَّ عن الرعيَّة، وأحضر اليهودَ والنصارى وقال: إنَّ المهديَّ أمرني أن لا أُقِرَّ الناسَ إلا على مِلَّةِ الإسلام، وأنـا مُخيِّركُم بين ثلاثٍ، إما أن تُسلموا، وإما أن تلحقُوا بدار الحـرب، وإمّـا القتـل فأسلم طائفـةٌ ولحقت أُخـرى بدارِ الحرب، وخرَّب كنائسَهم، وعملها مساجدَ وألغى الجزيةَ، فعلَ ذلكَ في جميع مدائِنه، وأنفقَ بُيوتَ الأموالِ وصلَّى فيها اقتداءً بعليٍّ، وليُريَ الناسَ أنه لا يكنِزُ المال، وأقام كثيراً من معالم الإسلام مع سياسةٍ كَاملة.

ونادى: من تركَ الصلاة ثلاثاً فاقتُلوه، وأزال المنكر، وكان يَؤمُّ بالناس، ويتلُو في اليوم سُبعاً، ويلبَسُ الصوفَ الفاخر، ويصومُ الاثنين والخميس، ويقسم الفيء

بالشرع فأحبوه.

قال عزيز في كتاب «الجمع»: كان عبدُ المؤمن يأخُذ الحقَّ إذا وجبَ على ولدِه، ولم يَدَعْ مُشرِكاً في بلاده لا يهودياً ولا نصرانياً فجميع رعيّته مسلمون.

وكان عبدُ المؤمن مؤثراً لأهل العلم، مُحبّاً لهم، ويُجزِلُ صِلاتهم وسُمِّيت المصامدُة بالمُوحِّدين لأجل خوضِ المَهديِّ بهم في علم الاعتقاد والكلام.

وكان عبدُ المؤمن رزيناً وقُوراً، كامل السؤدُدِ، سريّاً، عالي الهمّة، خليقاً للإمارة، واختلَّت أحوالُ الأندلس، وتخاذل المُرابطُون وآثروا الراحةَ، واجترأ عليهم الفِرَنْجُ، وانفرد كُلُّ قائدٍ بمدينة وهاجت عليهم الفِرَنْجُ، وطمعوا، فجهَّز عبدُ المؤمن عُمر إينتي فدخل إلى الأندلس، فأخذَ الجزيرة الخضراء، ثم رُندة، ثم إشبيلية وقرطبة وغَرناطة، ثم سار عبدُ المؤمن بجيوشِه، وعدّى البحرَ من زقاق سَبْتة، فنزل جبلَ طارق، وسمّاه جبلَ الفتح، فأقام أشهراً، وبنى هناك قصوراً ومدينة، ووفد إليه كُبراء الأندلس، وقام بعضُ الشعراء منشداً:

ما للعِدى جُنَّةٌ أوقى مِنَ الهَرَبِ أينَ المَفرُّ وخيلُ اللهِ في الطّلبِ
وأينَ يَذْهَبُ مَن في رَأسِ شاهِقَةٍ وقد رمَتْهُ سِهامُ الله بالشُّهُبِ
حَدِّثْ عَنِ الرُّومِ في أَقطارِ أَندلُسٍ والبحرُ قد ملأ البَرَّينِ بالعَرَبِ

فأُعجب بها عبدُ المؤمن، وقال: بمثل هذا يُمدح الخُلفاء، ثم أمَّر على إشبيلية ولده يوسف، وعلى قُرطبة أبا حفص عُمر إينتي، وعلى غرناطة عثمانَ ولدهُ، وقرَّر بالأندلس جيشاً كثيفاً من المصامدِة والعربِ وقبائل بني هلال، وكان قد حاربَهم مدّةً، وظَفِرَ بهم، وأذلَّهم، ثم كاتبهم ولاطفهم، فخدموا معه، وخلع عليهم، وكان دخولُه إلى الأندلسِ في سنة ثمانٍ وأربعين.

قال عبدُ الواحد المراكشي: حدثني غيرُ واحدٍ أنَّ عبدَ المؤمن لِمّا نزل سَلاَ ـ وهي على البحر المُحيط ينصبُّ إليها نهرٌ عظيم ويمرُّ في البحر ـ عبَرَ النَّهر، وضُربت له خيمةٌ، وجعلت جيوشُه تعبرُ قبيلةً قبيلةً فخرّ ساجداً، ثم رفع وقد بلَّ

الدّمـعُ لحيتَهُ، فقال: أعرف ثلاثةً وردُوا هذه المدينةَ، لا شيءَ لهم إلا رغيفٌ واحد، فرامو عُبُور هذا النهر، فبذلُوا الرغيفَ لصاحبِ القارب على أن يُعدِّي بهم، فقال: لا آخذهُ إلا عن اثنين، فقال أحدُهم وكان شابّاً: تأخذُ ثيابي وأنا أسبَحُ، ففعلَ، فكان الشابُّ كلّما أعيا، دنا من القاربِ، ووضع يدَهُ عليه يستريح، فيضربُه بالمِجذاف فما عدَّى إلا بعد جُهد. فما شكّ السامعون أنه هو السابح، والآخران ابنُ تُومرت، وعبدُ الواحد الشرقي.

قال ابنُ الأثير: نازل عبـدُ المؤمن المهديَّة، فبرز شجعانُ الفِرَنْجِ، فنالُوا مِن عسكره، فأمرَ ببناءِ سورٍ عليهم، وصابَرهم وأخذ سَفَاقِس وطرابلس وقابِس، وجرت أمورٌ وحروبٌ يطولُ شرحهُا، وجهَّز من افتتح تَوزَرَ وبلادَ الجَريد وطرد عنها الفِرَنْجَ، وطهَّر إفريقية من الكُفر، وتكمَّل له ملكُ المغرب من طرابلس إلى السُّوسِ الأقصى وأكثر مملكة الأندلس، ولو قصد مصرَ لأخذَها، ولما صَعُبت عليه.

ولما دخلت سنةُ ثمانٍ وخمسين أمر الجيشَ بالجهازِ لجهاد الروم واستنفر الناسَ عاماً، ثم سار حتى نزل بسَلاَ، فمرضَ، وجاءه الأجل بها في السابع والعشرين من جُمادى الآخرة، وارتجَّت المغربُ لموته وكان قد جعل وليَّ عهدِهِ ابنَه محمداً، وكان لا يصلُح لطيشه وجُذَامٍ به ولشربه الخَمرَ، فتملَّك أياماً، وخلعُوه، واتفقوا على تولية أخيه يوسفَ بن عبـدالمؤمن، فبقي في الملك اثنتين وعشـرين سنة، وخلف عبد المؤمن ستة عشر ولداً ذكراً.

قال صاحبُ كتـاب «الجمـع»: وقفت على كتاب كتبَهُ عن عبدالمؤمن بعضُ كُتّابه: من الخليفةِ المعصوم الرضيِّ الزكيِّ، الذي بشَّر به النبيُّ العربيُّ، القامعُ لكل مُجَسم غَويّ، الناصرُ لدين الله العَليّ أميرِ المؤمنين عبدِ المؤمن بنِ عليّ.

٨٨٩ أبو الحُسَين الزاهد(١)

[١] **هو الزاهدُ القدوةُ الوليُّ، أبو الحسين بنُ أبي عبدالله بن حمزة المَقدسي.**

[٢] ألّف الحافظُ الضياءُ سيرتَه في جزءٍ، أنبأني به الشيخُ أبو عبدالله بنُ الكمال وغيرُه بسماعهم منه، فقال: حدثني الإمامُ عبدُ الله بنُ أبي الحسن الجُبّائي قال: مضيتُ إلى زيارةِ أبي الحسين الزاهد بحلَب، ولم تكُن نيتّي صادقةً، فقال: إذا جئتَ إلى المشايخ فلتكُن نيَّتُك صادقةً في الزيارة.

[٣] قال أبو سعد السمعاني: سمعتُ سنانَ بنَ مُشيّع الرَّقِّي يقولُ: رأيتُ أبا الحسين المَقدسيَّ برأس عينٍ في موضعٍ عُرياناً قد اتَّزر بقميصِه ومعه حمارٌ، والناسُ قد تكابُّوا عليه، فقال: تعال. فتقدمتُ، فأخذ بيدي، وقال: نتواخى؟ قلتُ: مالي طاقة. قال: أيش لكَ في هذا، وآخاني، وقال لواحدٍ من الجماعة: حماري يحتاجُ إلى رَسَن فقالوا: ثمنُه أربعةُ فلوس، فأشارَ إلى موضع في الحائط، فإني جزتُ ها هنا وخبأت ثمّ أربعَ فلوس، اشترُوا لي بها حَبْلاً، ثم قال: أريد أن تشتريَ لي بدينارٍ سَمكاً. قلتُ: كرامة، ومن أينَ لك ذهب؟ قال: بلى معي ذهبٌ كثير. قلتُ: الذهبُ يكونُ أحمر. قال: أبصِرْ تحتَ الحشيش، فأخذتُ الحشيشَ، فخرج دينارٌ، فاشتريتُ له به سمكاً فنظَّفه، وشواه، ثم قلاه، ثم أخرج منه الجلد والعِظام، وجعلهُ أقراصاً وجفَّفه، وتركه في جِرابِه، ومضى.وله سنون ما أكل الخُبز وكان يسكُنُ جبالَ الشام ويأكلُ البَلُّوط والخرنوب.

[٤] وكان عظيمَ الشأن، يقعُدُ خمسةَ عشر يوماً لا يأكُلُ سوى أكلةٍ ويتقوَّتُ من الخَرُّوب البَرِّي، ويُجَفِّف السمك، وحدثني يوسفُ بنُ الشيخ أبي الحسين أن الشيخ استفّ من صُرَّةٍ، فرآه رجلٌ، فأراد أن يستفَّ منه، فإذا هو مُرٌّ، فلما جاء الشيخُ، قال يا سيِّدي: ما في الصُرَّة؟ فناوله منها كفّاً، فإذا هو سُكر وقلبُ لوز.

---

(١) انظر السير: ٢٠ / ٣٨٠- ٣٨٤

[١]وعن مسعود اليمني : قالت الفِرَنْجُ : لو أنَّ فيكم آخرَ مثلَ أبي الحسين لاتَّبعناكُم على دينكُم ، مرُّوا يوماً ، فرأوه راكباً على سَبُعٍ وفي يده حيةٌ ، فلما رآهم ، نزلَ ومضى .

[٢]السَّمعاني : سمعتُ عبدالواحد بالكَرج يقولُ : سمعتُ الكفَّار يقولون : الأُسودُ والنُّمور كأنها نَعَمُ أبي الحسين .

[٣]قال الضياء : سمعنا له غيرَ ذلك مِن مشـي الأسدِ معهُ ، وقيل : عمل حلاوةً من قُشُور البطيخ ، فغرف حـلاوةً من أحسن الحلاوة .

[٤] وحدثني عنه المحسنُ بنُ محمد بن الشيخ ، حدثنا أبي قال : كان والدي يعملُ لنا الحلاوةَ من قُشُور البطيخ ، ويَسُوطها بيده ، فعملْنا بعده فلم تنعمل ، فقالت أمي : بقيت تُعْوزُ المِغرفة .

[٥]حُكِي أن أبا الحسين أراد لصٌّ أن يأخذ حماره ، فيبست يدُه ، فلما أبعد عنه عادت .

[٦]قال الضياءُ : وبلغني عنه أنه كان يُلبِسُ سراويلَه حمارَه ، ويقول : نواري عورَتَه ، فيضحكُ الناسُ .

مات ظنّاً سنةَ ثمانٍ وأربعين وخمس مئة .

٨٩٠ المُقْتَفي لأَمْرِ الله(١)

[٧] **أميرُ المؤمنين ، أبو عبدالله ، مُحمد بنُ المستظهرِ بالله أحمدَ ، الهاشميُّ العباسيُّ البغداديُّ ، الحبشي الأمّ .**

مولدُه سنةَ تسعٍ وثمانين وأربع مئة .

وبويع بالإمامةِ في سادس عشر ذي القعدة سنة ثلاثين وخمس مئة .

[٨]كان المُقتفي عاقلاً لبيباً ، عاملاً مهيباً ، صارماً ، جواداً محبّاً للحديث والعلم ،

(١) انظر السير : ٢٠/٣٩٩ـ ٤١٢

مُكـرماً لأهله، وكان حميدَ السيرةِ، يَرجعُ إلى تديُّن وحُسنِ سياسة، جدَّد معالمَ الخلافة، وباشر المهمّات بنفسه وغزا في جُيوشه.

[١]قال أبـو طالب بنُ عبدالسميع: كانت أيامُهُ نَضِرَةً بالعدلِ زهرة بالخير، وكان علـى قَدَمٍ من العِبادة قبل الخلافةِ ومعَها، ولم يُرمَعَ لينِه بعد المعتصم في شهامتِهِ مع الزُّهد والورع، ولم تزل جيوشُهُ منصورة.

[٢]قلت: وكان مِن حَسَنَاتِهِ وزيرُهُ عونُ الدين بنُ هُبيرة، وكان أسمَرَ آدَمَ، مجدُورَ الوجه، مليحَ الشَّيبة، أقام حشمةَ الخلافة وقطع عنها أطماعَ السلاطين السَّلجُوقيَّة وغيرِهم.

[٣]عن ابن الجوزي قال: قرأتُ بخطِّ أبي الفرج الحدّاد قال: حدثني من أثِقُ به أن المقتفي رأى في منـامـه قبل أن يُستخلَفَ بستة أيامٍ رسولَ الله ﷺ يقولُ له: سَيصلُ هذا الأمرُ إليكَ فاقتفِ بي. فلذا لُقِّب المُقْتَفي لأمرِ الله.

[٤]وفي سنة ٥٤٣ جاءت ثلاثةُ ملوك من الفِرنج إلى القُدْس، منهم طاغيةُ الألمان، وصلَّوْا صلاةَ الموتِ، وفرَّقُوا على جُندهم سبع مئة ألف دينار، فلم يَشْعُرُ بهم أهلِ دمشق إلا وقد صبَّحوهم في عشرةِ آلافِ فارس وستِّين ألف رجل، فخرج المسلمون فارسُهُم وراجلُهُم، والتَقوا، فاستُشْهِدَ نحوُ المئتين، منهم الفَندلاويُّ، وعبدُالرحمن الحَلحُوليُّ، ثم اقتتلوا مِن الغد، وقُتِلَ خلقٌ من الفِرَنْج، فلما كان خامس يومٍ وصل من الجزيرة غازي ابنُ زنكي في عشرين ألفاً، وتبعه أخوه نورُ الدين وكان الضجيجُ والـدعـاءُ والتضرُّعُ بدمشق لا يُعبَّرُ عنه، ووضعوا المُصحَفَ العثمانيَّ في صحنِ الجامع، وكان قِسِّيسُ العدوِّ قال: وعدني المسيحُ بأخذِ دمشق، فحفُّوا بهِ، وركب حمـارَهُ وفي يده الصليبُ، فشدَّ عليه الدماشقةُ، فقتلُوه، وقتلوا حمارَهُ، وجاءت النَّجدات، فانهزم الفرنجُ.

[٥]واشتد بإفريقية القحطُ، لا بل كان القحطُ عامّاً، فقال المؤيد عماد الدين: فيها كان الغلاءُ العامُّ من خُراسان إلى العراق إلى الشام إلى بلاد المغرب.

قال ابنُ الجوزي: مرض المُقتفي بعلَّة التَّراقي، وقيل بدُمَّلٍ في عُنُقِهِ، فتُوفي، سنة خمس وخمسين وخمس مئة وله ستٌّ وستون سنة سوى ثمانية وعشرين يوماً، وكذا مات أبوه بعلَّة التراقي.

٨٩١ المُسْتَنْجد بالله(١)

[١]الخليفةُ أبو المُظَفَّر يوسفُ بنُ المقتفي لأمرِ الله.

[٢]قال ابنُ النَّجار: حكي ابنُ صفيّة أن المُقتفي رأى ابنه يوسفَ في الحرّ، فقال: أيش في فمِك؟ قال: خاتم يَزْدَن عليه أسماءُ الاثني عشر، وذلك يسكِّن العطش، قال: ويلك يُريد يَزْدَن أن يصيِّرك رافضياً، سيدُ الاثني عشرالحسينُ رضي الله عنه، ومات عطشان.

وللمستنجد:

[٣]عيَّرتْني بالشَّيبِ وهو وَقارُ ليتَها عَيَّرتْ بما هُو عارُ
إن تكُن شابَتِ الذَّوائِبُ مِنيَّ فالليالي تَزينُها الأقمارُ

[٤]نبّأني جماعةٌ عن ابنِ الجوزي، حدثني الوزيرُ ابنُ هُبيرة، حدثني المستنجدُ قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في النوم منذُ خمس عشرة سنة، فقال لي: يبقى أبوك في الخلافة خمساً وعشرين سنةً فكان كما قال. فرأيتُه قبل موت أبي بأربعة أشهر، فدخل بي من باب كبير، ثم ارتفعنا إلى رأس جبل، وصلَّى بي ركعتين، وألبَسني قميصاً ثم قال لي: قل «اللَّهمَّ اهْدِني فيمَنْ هَدَيْتَ».

ونقـل صاحبُ «الروضتين» أنه كان موصوفاً بالعدلِ والرفق، وأطلق المُكُوسَ بحيث إنه لم يَتْرُكْ بالعراق مُكساً، وكان شديداً على المُفسدين سجن عوانياً كان يسعى بالنّاس مُدَّةً، فبذل رجلٌ فيه عشرةَ آلاف دينار قال المستنجد: فأنا أَبْذُلُ عشرة آلاف دينار لتأتِيَني بآخرَ مثلِه أحبِسُه.

---

(١) انظر السير: ٢٠/٤١٢-٤١٨

[١]قال ابنُ الأثير في «كامله» : كان المستنجدُ أسمرَ، تامَّ القامةِ طويلَ اللحية، اشتد مرضُه، وكان قد خافه أستاذُ الدار عضدُ الدولة ابنُ رئيس الرؤساء وقايماز المُقْتَفوي كبيرُ الأمراء، فواضعا الطبيبَ على أذيَّتِه، فوُصِفَ له الحمَّام، فامتنع لضعفِه، ثم أُدخِلَ الحمامَ وأُغلق عليه، فتَلِفَ.

[٢]وفي سنة ٥٦ قُتِلَ بمصرَ الصالحُ وزيرُها، واستولى شاور، وسافر للصيدِ المُستنجد مراتٍ، وفيها كسرت الفِرنجُ نورَ الدين تحتَ حِصْنِ الأكراد، ونجا هو بالجهد، ونزل على بُحيرةِ حمص، وحلف لا يَستَظِلَّ بسقفٍ حتى يأخُذَ بالثأر، ثم التقاهُم في سنة ٥٩ فطحنَهم، وأسر مُلوكَهم، وقتل منهم عشرةَ آلافٍ بحارِم(١).

وفي سنة ٦٠ وَلَدتْ ببغداد بنتُ أبي العزِّ الأهوازيِّ أربعَ بناتٍ جملة، وفيها هاجت فتنةٌ صمَّاءُ بسبب العقائدِ بأَصبَهان، ودام القتالُ بين العُلماء أياماً، وقُتل خلقٌ كثير. قاله ابنُ الأثير.

وفي سنة ٥٦١ عملتِ الرافِضةُ مأتمَ عاشوراء، وبالغُوا، وسبُّوا الصحابةَ، وخرجت الكرج، وبدَّعوا في الإسلام، وغزا نورُ الدينِ مراتٍ.

[٣]وفي سنة ٥٦٤ غزوُ شِيركوه مصرَ ثالثَ مرّةٍ، ومَلكتِ الفِرَنجُ بَلْبيس ونالُوا القاهرة، فذلَّ لهم شاور، وطلب الصُّلحَ على قطيعةِ ألفِ ألفِ دينار في العام، فأجابه الطاغيةُ مَرِّي إلى ذلك، فعجَّل له مئةَ ألف دينار، واستنجد بنورِ الدِّين، وسَوَّد كتابَه، وجعل في طَيِّه ذوائبَ النساء، وواصل كُتُبَه يحثُّه، وكان في حلب، فجهز عسكرهُ، واستخدم أسدَ الدين حتى قيل: كان في سبعين ألفاً من بين فارس وراجِل، فتقهقر الفِرَنْجُ لقُدومه وذلُّوا، ودخل القاهرةَ وجلس في دَسْت المَمْلكة.

تُوفي سنةَ ستٍّ وستين وخمس مئة، وقام بعده ابنُه المستضيء.

[٤]قلت: الإمامُ إذا كان له عقلٌ جيدٌ ودِين متينٌ، صَلُحَ به أمرُ الممالك فإن ضَعُف

(١) حارِم بكسر الراء: هي اليوم بلدة شمال سورية من محافظة إدلب

عقلُه، وحسُنَت دِيانتُه، حمله الدينُ على مُشاورةِ أهل الحَزْمِ، فتسدَّدت أمورُه، ومَشَتِ الأحوالُ، وإن قلَّ دينهُ، ونَبُلَ رأيُه، تعبت به البلادُ والعبادُ وقد يَحمِلُهُ نُبْلُ رأيِه على إصلاح مُلكِه ورعيَّته للدنيا لا للتقوى، فإن نَقَصَ رأيُه، وقلَّ دينُه وعقلُه، كَثُرَ الفسادُ، وضاعتِ الرعيةُ، وتَعِبُوا به، إلا أن يكونَ فيه شجاعةٌ وله سطوةٌ وهيبةٌ في النفوس، فينجبِرُ الحالُ، فإن كان جَبَاناً، قليلَ الدِّين، عديمَ الرأي، كثيرَ العَسف، فقد تَعرَّض لبلاءٍ عاجل، ورُبما عُزِلَ وسُجِنَ إن لم يُقتل، وذهبت عنه الدنيا، وأحاطت به خطاياهُ وندم ـ واللهِ ـ حيثُ لا يُغني الندمُ، ونحن آيسون اليومَ من وجودِ إمامٍ راشدٍ من سائرِ الوجوه، فإن يسَّر الله للأمَّةِ بإمامٍ فيه كثرةُ محاسن و فيه مساوىءُ قليلة، فَمَنْ لنابه، اللهم فأصِلح الراعيَ والرعيَّةَ وارحم عبادَك، ووفِّقهم، وأيِّد سُلطانَهم، وأعِنهُ بتوفيقِكَ.

٨٩٢ ابن هُبَيرة(١)

[١]**الوزير الكاملُ، الإمامُ العالمُ العادلُ، عونُ الدين، يمينُ الخِلافة، أبو المُظَفَّر يحيى بنُ محمدِ بنِ هُبَيرة، الشَّيبانيُّ الدُّورِيُّ العراقيُّ الحنبليُّ، صاحبُ التصانيف.**

مولده سنة تسع وتسعين وأربع مئة.

قال ابنُ الجوزي: كان يجتهدُ في اتّباع الصواب، ويَحذَرُ من الظُّلم ولا يلبَسُ الحرير، وكان مُبالغاً في تحصيل التعظيم للدولة قامِعاً للمُخالفين بأنواع الحِيلِ، حسمَ أمورَ السَّلاطين السَّلجوقيَّة، وكان يتحدَّثُ بنعم الله، ويذكر في منصبه شدة فقرِه القديم، وقال: نزلتُ يوماً إلى دِجلة وليس معي رغيفٌ أعبُر به. وكان يُكْثِرُ مجالسةَ العُلماءِ والفُقراء، ويبذُلُ لهم الأموالَ، فكانت السنَةُ تدورُ وعليه دُيُونٌ وقال:

---

(١) انظر السير: ٢٠/٤٢٦-٤٣٢

ما وجبت عليَّ زكاةٌ قطُّ، وكان إذا استفاد شيئاً من العلم قال: أفادَنيه فُلان، وقد أفدتُه معنى حديث، فكان يقول: أفادَنيه ابنُ الجَوزيِّ، فكنتُ أستحيي، وجعلَ لي مجلساً في دارِه كُلَّ جُمعة ويأذنُ للعامَّة في الحضُور، وكان بعضُ الفقراء يقرأ عندُه كثيراً فأعجبه، وقال لزوجتِهِ: أُريد أن أزوّجَه بابنتي، فغضبت الأُمُّ. وكان يُقرأ عنده الحديثُ كلَّ يومٍ بعدَ العصرِ، فحضر فقيهٌ مالكيٌّ فذُكِرتْ مسألةٌ، فخالَفَ فيها الجمعَ، وأصرَّ، فقال الوزيرُ: أحمارٌ أنتَ! أما ترى الكُلَّ يُخالفونك؟! فلما كان من الغـدِ، قال للجماعةِ: إنه جرى مني بالأمسِ في حقِّ هذا الرجلِ مالا يليقُ، فليقُلْ لي كما قلتُ له فما أنا إلا كأحدِكُم، فضجَّ المجلسُ بالبكاءِ، واعتذرَ الفقيهُ، قال: أنا أولى بالاعتذار، وجعل يقولُ: القِصاصَ القِصاصَ، فلم يزل حتى قال يوسفُ الدِّمشقيُّ: إذ أبى القِصاصَ فالفِداء، فقال الوزير: له حُكْمُهُ، فقال الفقيهُ: نِعمُكَ عليّ كثيرةٌ، فأيُّ حُكمٍ بقي لي؟ قال: لابُدَّ. قال: عليَّ دينٌ مئة دينار، فأعطاه مئتي دينار، وقال: مئةٌ لإبراء ذِمَّته، ومئة لإبراء ذمَّتي.

قال ابنُ الجوزيِّ: كان الوزيرُ يتأسَّف على ما مضى، ويندَمُ على ما دخلَ فيه، ولقد قال لي: كان عندنا بالقرية مسجدٌ فيه نخلةٌ تحمِلُ ألفَ رطل، فحدثتُ نفسي أن أُقيمَ في ذلك المسجد، وقلتُ لأخي مجدِ الدين: أقعُدُ أنا وأنت، وحاصِلُها يكفينا، ثم انظُرْ إلى ما صِرتُ، ثم صار يسألُ الله الشهادةَ ويتعرَّضُ لأسبابها.

[١]وفي ليلة ثالثَ عشـر جُمـادى الأولى سنة ستين وخمسٍ مئةٍ استيقظَ وقت السَّحر، فقاءَ، فحضَرَ طبيبُهُ ابنُ رشادة، فسقاهُ شيئاً، فيقال: إنه سمَّه، فمات. وسُقي الطبيبُ بعدَه بنصفِ سنة سُمّاً، فكان يقولُ: سَقَيْتُ فسُقِيت، فماتَ.

ورأيتُ آثاراً بجسدِهِ ووجهه تدلُّ على أنه مسمومٌ، وحُملَتْ جنازتُه إلى جامع القصر، وخرج معه جمعٌ لم نرهُ لمخلوق قطُّ، وكثر البكاءُ عليه لِمَا كان يفعَله من البِرِّ والعدلِ، ورثتْهُ الشُّعراء.

قلتُ: له كتابُ «الإفصاح عن معاني الصحاح»، شرح فيه «صحيحَي» البُخاري ومُسلم في عشرِ مجلَّدات، وألَّف كتاب «العبادات» على مذهب أحمد، وله أُرجوزة في المقصور والممدود، وأُخرى في علم الخطّ واختصر كتاب «إصلاح المَنْطِق» لابن السِّكِّيت.

٨٩٣ الشيخ عبدالقادر(١)

[١]**الشيخُ الإمامُ العالم الزاهدُ العارفُ القُدوة، شيخُ الإسلام، علمُ الأولياء، مُحي الدين، أبو محمد، عبدُ القادرِ بنُ أبي صالح عبدِالله بن جنكي دوست الجِيليُّ الحنبليُّ، شيخ بغداد.**

مولِدُه بجيلانَ(٢) في سنة إحدى وسبعين وأربع مئة.

قال السمعانيُّ: كان عبدُ القادر- من أهل جيلان - إمامَ الحنابلة وشيخَهم، في عصره، فقيهٌ صالح دَيِّن خيِّر، كثيرُ الذكرِ، دائمُ الفِكرِ، سريعُ الدمعةِ، وكان يَسْكُنُ بباب الأَزَجِ في مدرسةٍ بُنيت له، مضينا لزيارته فخرج وقعَدَ بين أصحابه، وخَتَمُوا القُرآنَ، فألقى درساً ما فهمتُ منه شيئاً، وأعجبُ من ذا أنَّ أصحابَه قاموا وأعادوا الدّرس، فلعلَّهم فهِمُوا لإلفِهِم بكلامِهِ وعباراتِهِ.

[٢]محمدُ بن محمود المَرَاتِبيّ، سمعتُ الشيخ أبا بكر العمادَ رحمه الله يقولُ: كنتُ قرأتُ في أصول الدين، فأوقع عندي شَكّاً، فقُلتُ: حتى أمضيَ إلى مجلسِ الشيخِ عبدِ القادر، فقد ذُكِر أنه يتكلَّم على الخواطر، فمضيتُ وهو يتكلَّم، فقال: اعتقادُنا اعتقادُ السلفِ الصالحِ والصحابَةِ. فقُلتُ في نفسي: هذا قاله اتِّفاقاً، فتكلَّم ثم التفَتَ إلى ناحيتي فأعادهُ، فقُلت: الواعظُ قد يلتفِتُ، فالتفت إليَّ ثالثةً، وقال: يا أبا بكر، فأعادَ القولَ: ثم قال: قُم قَد جاء أبوكَ. وكان غائباً، فقُمتُ

---

(١) انظر السير: ٢٠/٤٣٩- ٤٥١

(٢) وهي بلاد متفرقة وراء طبرستان، ويقال لها: كيل وكيلان، والنسبة إليها جيلي وجيلاني وكيلاني.

مبادِراً، وإذا أبي قد جاء.

[١]جمالُ الدين يحيى بنُ الصيرفي، سمعتُ أبا البقاءِ النحويَّ قال: حضرتُ مجلسَ الشيخِ عبدالقادر، فقرؤوا بين يديه بالألحانِ، فقُلتُ في نفسي: تُرى لأيِّ شيءٍ ما يُنْكِرُ الشيخُ هذا؟ فقال: يجيءُ واحدٌ قد قرأ أبواباً من الفقهِ يُنكر. فقُلتُ في نفسي: لعل أنّه قصدَ غيري، فقال: إياكَ نعني بالقولِ، فتبتُ في نفسي من اعتراضي، فقال: قد قبل الله توبتَكَ.

[٢]وسمعت الإمامَ أبا العبّاس أحمد بنَ عبدالحليم، سمعتُ الشيخ عزَّ الدين الفاروثي، سمعتُ شيخَنا شهابَ الدين السُّهْرَوَرْدِيَّ يقولُ: عزمتُ على الاشتغال بأصولِ الدِّين، فقلتُ في نفسي: أستشيرُ الشيخَ عبدَ القادرِ فأتيتُهُ، فقال قبلَ أن أنطِقَ: يا عُمَرُ، ما هُوَ مِن عُدَّة القبرِ، يا عُمَرُ ما هو مِن عُدَّةِ القبر.

[٣]قال ابنُ النجار: قرأت بخطِّ أبي بكر عبدِ الله بن نصر بن حمزة التيميِّ، سمعتُ الشيخَ عبدَ القادرِ يقولُ: بلغَتْ بي الضائقةُ في الغلاءِ إلى أن بقيتُ أياماً لا آكُلُ طعاماً، بل اتَّبِعُ المَنبُوذاتِ، فخرجتُ يوماً إلى الشَّطِّ، فوجدتُ قد سبقني الفقراءُ، فضعُفْتُ، وعجزتُ عن التّماسُك، فدخلتُ مسجداً، وقعدتُ، وكدتُ أُصافحُ الموتَ، ودخل شابٌّ أعجميٌّ ومعه خُبزٌ وشِواء، وجلس يأكُلُ، فكنتُ أكاد كلما رفع لقُمةً أفتح فمي، فالتَفَتَ فرآني، فقال: باسم الله، فأبيتُ، فأقسَمَ عليَّ، فأكلتُ مُقصّراً، وأخذ يسألُني، ما شغلُكَ، ومن أينَ أنتَ؟ فقلُت: مُتَفَقِّه من جيْلان، قال: وأنا من جيلانٍ، فهل تعرفُ لي شابّاً جِيلانياً اسمُهُ عبدُ القادر. يُعرف بسبِط أبي عبدالله الصومعي الزاهد؟ فقُلتُ: أنا هو. فاضطربَ لذلك، وتغيَّرَ وجهُهُ، وقال: واللهِ يا أخي، لقد وصلتُ إلى بغداد ومعي بقيَّةُ نفقةٍ لي، فسألتُ عنك، فلم يُرشِدْني أحدٌ إلى أن نَفِدت نفقَتي، وبقيتُ بعدها ثلاثةَ أيام لا أجد ثمنَ قُوتي إلا من مالِكَ، فلما كان هذا اليوم الرابع قلتُ: قد تجاوزَتْني ثلاثةُ أيام، وحلّت الميتة، فأخذتُ مِن وديعتِكَ ثمنَ هذا الخبزِ والشِّواء، فكُل طَيِّباً، فإنما هو لَكَ، وأنا ضيفُكَ

الآن. فقلت: وما ذاك؟ قال: أمُّك وجَّهت معي ثمانيةَ دنانير، والله ما خُنتُك فيها إلى اليوم، فسكَّنْتُهُ، وطَيَّبْتُ نَفْسَه، ودفعتُ إليه شيئاً منها.

[١] قال ابنُ النجار: كتب إليَّ عبدُ الله بنُ أبي الحسن الجُبّائيُّ قال: قال لي الشيخُ عبدُ القادر: كنت في الصحراء أكرِّرُ في الفقهِ وأنا في فاقةٍ، فقال لي قائل لم أر شخصَهُ: اقْتَرِضْ ما تستعينُ به على طلبِ الفقهِ، فقلتُ: كيف أقْتَرِضُ وأنا فقيرٌ ولا وفاءَ لي؟ قال: اقترض وعلينا الوفاءُ، فأتيتُ بقَّالاً، فقلتُ: تُعامِلُني بشرط إذا سهَّلَ اللهُ أعطيتُكَ، وإن مُتُّ تَجعَلْني في حِلٍّ، تُعطيني كلَّ يوم رغيفاً ورشاداً، فبكى وقال: أنا بحُكمِكَ، فأخذتُ منه مُدَّةً، فضاق صدري، فأظُنُّ أنه قال: فقيل لي: امضِ إلى موضِعِ كذا، فأيَّ شيءٍ رأيتَ على الدَّكَّة فخذْهُ وادفعهُ إلى البقَّال. فلما جِئتُ رأيتُ قطعةَ ذهبٍ كبيرة فأعطيتُها البَقْليّ.

[٢] قال الجُبّائي: وقال لي الشيخُ عبدُ القادر: كنتُ أُومر وأُنهى في النوم واليَقَظة، وكان يَغْلِبُ عليَّ الكلامُ، ويزدحِمُ على قلبي إن لم أتكلم به حتى أكادُ أختنِقُ، ولا أقْدِرُ أسكُتُ، وكان يجلس عندي رجلان وثلاثةٌ، ثم تسامَعَ الناسُ بي، وازدحَمَ عليَّ الخلقُ، حتى صار يحضُرُ مجلسي نحوٌ من سبعين ألفاً، وقال: فَتَّشْتُ الأعمالَ كُلَّها، فما وجدتُ فيها أفضلَ من إطعام الطعام، أوَدُّ لو أنَّ الدُّنيا بيدي فأطعِمَها الجياعَ، كَفِّي مثقوبةٌ لاتضبطُ شيئاً، لو جاءني ألفُ دينار لم أبيِّتْها.

[٣] وقال لي: أتمنَّى أن أكون في الصحارى والبراري كما كنتُ في الأول لا أرى الخلقَ ولا يَروني، ثم قال: أراد الله مني منفعةَ الخلقِ فقد أسلم على يديَّ أكثرُ من خمس مئة، وتاب على يديَّ أكثرُ من مئة ألف، وهذا خيرٌ كثير.

[٤] وتَرِدُ عليَّ الأثقالُ التي لو وُضعتْ على الجبال تفسَّخَت فأضعُ جنبي على الأرض، وأقولُ: إنَّ مع العُسْرِ يُسراً، إنَّ مع العُسْرِ يُسراً، ثم أرفع رأسي وقد انفرجتْ عني.

[٥] وقال: إذا وُلِدَ لي ولدٌ أخذتُهُ على يدي، وأقول: هذا ميت، فأُخرِجه من قلبي، فإذا ماتَ لم يُؤثِّر عندي موتُهُ شيئاً.

[١] قال الجُبّائيّ: كنتُ أسمع في «الحِلْيَةِ» على ابنِ ناصر، فرقَّ قلبي، وقلتُ: اشتهيتُ لو انقطعتُ، وأشتغِلُ بالعبادَةِ، ومضيتُ فصلَّيتُ خَلْفَ الشيخِ عبدِ القادر، فلما جلسنا، نظر إليَّ، وقال: إذا أردتَ الانقطاع، فلا تنقطِعْ حتى تَتَفَقَّهَ وتُجالِسَ الشُّيوخَ وتتأدَّبَ، وإلا فتنقطِعُ وأنت فُريخٌ ما رَيَّشْتَ.

[٢] وعن أبي الثَّناء النهرملكي قال: تحدثنا أنَّ الذُّباب ما يقعُ على الشيخ عبدِ القادر، فأَتيتُهُ، فالتفتَ إليَّ، وقال: إيشٍ يعمل عندي الذبابُ، لا دِبْسُ الدنيا، ولا عَسَلُ الآخرة.

[٣] قال أحمدُ بنُ ظَفَر بنِ هُبيرة: سألتُ جدِّي أن أزورَ الشيخَ عبدَ القادر، فأعطاني مبلغاً من الذهب لأعْطِيَه، فلما نزلَ عن المنبر سلمتُ عليه وتحرَّجتُ من دفعِ الذهبِ إليه في ذلك الجمع، فقال: هاتِ ما مَعَكَ ولا عليكَ مِن الناس، وسَلِّمْ على الوزير.

قال صاحبُ «مرآة الزمان»: كان سُكوتُ الشيخِ عبدِالقادرِ أكثرَ من كلامِهِ، وكان يتكلَّم على الخواطرِ، وظهر له صِيْتٌ عظيم وقبولٌ تامٌّ، وما كان يَخْرُجُ من مدرستِهِ إلا يومَ الجمعة أو إلى الرباط، وتابَ على يده معظمُ أهل بغداد، وأسلم خلقٌ، وكان يصْدَعُ بالحقِّ على المنبر وكان له كراماتٌ ظاهرة.

قلت: ليس في كبارِ المشايخ من له أحوالٌ وكراماتٌ أكثرُ من الشيخ عبدالقادر، لكنَّ كثيراً منها لا يَصِحُّ، وفي بعض ذلك أشياءُ مستحيلة.

[٤] قال الجُبّائي: كان الشيخُ عبدُ القادر يقولُ: الخَلْقُ حِجَابُك عَن نَفْسِكَ، ونَفْسُك حِجَابُك عَن ربِّك.

عاش الشيخ عبدُ القادر تسعين سنة، وانتقلَ إلى الله سنةَ إحدى وستين وخمس مئة، وشيَّعه خلقٌ لا يُحْصَوْنَ، ودُفِنَ بمدرسته رحمه الله تعالى.

وفي الجُملة الشيخُ عبدُ القادرِ كبيرُ الشّأن، وعليه مآخِذُ في بعض أقوالِه ودَعاوِيه، والله المَوْعِدُ، وبَعْضُ ذلك مكذوبٌ عليه.

٨٩٤ السَّمْعانيّ(١)

[١] **الإمامُ الحافظُ الكبيرُ الأوحدُ الثقةُ، محدِّثُ خُراسان، أبو سَعد عبدُ الكريم ابنُ الإمامِ الحافظِ الناقدِ أبي بكر محمدِ بنِ العلاَّمة مُفتي خراسان أبي المُظَفَّر منصور، التَّميميُّ السمعانيُّ الخُراسانيُّ المَرْوَزِيُّ، صاحبُ المُصنَّفاتِ الكثيرة.**

وُلد بمَرْو، سنةَ ستٍّ وخمس مئة.

ولا يوصف كثرةُ البلاد والمشايخ الذين أخذ عنهم.

[٢] فسمع بآمُل طَبَرِستان، وبأَبِيْوَرد، وبإسفرايين، وبالأنبار، وببُخارى، وببُروجِرْد، وبِبَسْطام، وبالبصرة، وببَغْشور، وببَلخ، وبتِرْمِذ وبجُرجان، وبحلب، وبحماة، وبحمص، وبخَرْتَنْك عند قبر البُخاري وبخُسْروجِرد، وبالريِّ، وبسرخس، وبسمَرقند، وبهَمَذان وهَراةَ والحرمين، والكُوفة، وطُوس، والكَرخ، ونَسَا، وواسط، والمَوصِل، ونُهَاوَنْد، والطّالقان، وبُوشنج، والمدائن، وبِقاعٍ يطولُ ذكرها بحيث إنه زار القُدس والخليلَ وهما بأيدي الفِرَنْجِ، تحيَّلَ، وخاطر في ذلك، وما تهيَّأ ذلك للسِّلَفيِّ ولا لابنِ عساكر.

وكان ظريفَ الشمائل، حُلوَ المُذاكرة، سريعَ الفهمِ، قويَّ الكتابةِ سريعَها، درَّس وأفتى ووعظ، وساد أهلَ بيتهِ، وكانوا يُلقِّبونه بلقبِ والدِهِ تاج الإسلام، وكان أبوه يُلقَّب أيضاً مُعين الدين.

[٣] قال ابنُ النجار: سمعتُ من يذكر أن عدَدَ شُيوخ أبي سَعْد سبعةُ آلاف شيخ. قال: وهذا شيءٌ لم يبلُغه أحد، وكان مليحَ التصانيف كثيرَ النشوارِ والأناشيد، لطيف المِزاج، ظريفاً، حافظاً، واسعَ الرحلة، ثقةً صدوقاً دَيِّناً، سمع منه مشايخُهُ وأقرانُهُ.

مات الحافظ أبو سَعْد سنة اثنتين وستين وخمس مئة بمَرو وله ستٌّ وخمسون سنة.

---

(١) انظر السير: ٢٠/٤٥٦-٤٦٥

٨٩٥ ابن الخشّاب[1]

الشيخُ الإمامُ العلّامةُ المُحدِّثُ، إمامُ النحو، أبو محمد، عبدُ الله بنُ أحمدَ بنِ أحمدَ، البغداديُّ ابنُ الخشَّاب، من يُضربُ به المثلُ في العربيَّة، حتى قيل: إنه بلغ رُتبةَ أبي عليٍّ الفارسيّ.

وفاقَ أهلَ زمانِهِ في علم اللسانِ، وكتبَ بخطِّهِ المَليحِ المضبوطِ شيئاً كثيراً، وبالغ في السماعِ حتى قرأ على أقرانِهِ، وحصَّل من الكُتُبِ شيئاً لا يُوصف، وتخرَّج به في النحو خلقٌ.

قال السمعانيُّ: هو شابٌّ كاملٌ فاضل، له معرفةٌ تامةٌ بالأدب واللغةِ والنحوِ والحديثِ، يقرأُ الحديثَ قراءةً حسنةً صحيحةً سريعةً مفهومةً، سمع الكثيرَ، وحصَّل الأصولَ من أيِّ وجهٍ، كان يَضِنُّ بها، سمعتُ بقراءتِهِ كثيراً، وكان يُديمُ القراءةَ طولَ النَّهارِ من غير فُتُورٍ.

سمعتُ أبا شُجاعٍ البسطاميَّ يقولُ: قرأ عليَّ ابنُ الخشّاب «غريبَ الحديث» لأبي محمدٍ القُتَبيِّ قراءةً ما سمعتُ قبلَهَا مثلَها في الصحَّة والسُّرعة. وحضر جماعةٌ من الفُضَلاء، فكانوا يُريدون أن يأخذُوا عليه فَلْتَةَ لسانٍ، فما قَدَرُوا.

وكان مزّاحاً.

[١] قيل: عرضَ اثنانِ عليه شِعراً لهما، فسَمِعَ للأول، ثم قال: أنتَ أردأُ شِعراً منه. قال: كيف تقولُ هذا ولم تسمع قولَ الآخر؟ قال: لأنَّ هذا لا يكونُ أردأَ منه.

[٢] وقال لرجلٍ: ما بكَ؟ قال فُؤادي. قال: لو لم تهمْزهُ لم يُوْجِعْك.

قال حمـزةُ بنُ القُبَّيطي: كان ابنُ الخشّاب يتعمَّمُ بالعمامة، وتبقى مُدةً حتى تَسْوَدَّ وتتقطع من الوسخِ وعليها ذَرَقُ العصافير.

---

(١) انظر السير: ٢٠/٥٢٣-٥٢٨

وقال ابنُ الأخضر: ما تَزَوَّج ابنُ الخشَّاب ولا تسرَّى، وكان قَذِراً يستقي بجرَّةٍ مكسورة، عُدناهُ في مرضه، فوجدناه بأسوء حال، فنقله القاضي أبو القاسم بنُ الفراء إلى داره، وألبسهُ ثوباً نظيفاً، وأحضر الأشربةَ والماورد، فأشهدَنا بوقْفِ كُتُبِهِ، فتفرَّقت، وباع أكثرَهَا أولادُ العطّار حتى بقي عُشرها، فتُرِكَ برباط المأمونية.

قال ابنُ النجّار: كان بَخيلاً متبذّلاً، يلعب بالشطْرَنج على الطريق، ويَقفُ على المشعوذ، ويَمْزَحُ، ألَّف في الردِّ على الحريريِّ في «مقاماته»، وشرح «اللُّمَع»، وصنَّف في الردِّ على أبي زكريا التَّبريزي.

وقال القِفْطيُّ: عبارتُه أجودُ مِن قلمهِ، وكان ضَيِّق العَطَن ما كمَّل تَصْنيفاً.

[١] قال ابنُ النَّجار: سمعتُ المبارَكَ بن المُبارك النحويَّ يقولُ: كان ابنُ الخشّاب إذا نُوديَ على كتابٍ، أخذَهُ وطالعه، وغلَّ ورقه، ثم يقولُ: هو مقطوعٌ، فيشتريه برخص.

[٢] قلتُ: لعله تابَ، فقد قال عبدُ الله بنُ أبي الفَرَج الجُبَّائي: رأيتُ ابنَ الخشَّاب وعليه ثيابٌ بيضٌ، وعلى وجهه نورٌ، فقلتُ: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، ودخلتُ الجنَّة، إلاَّ أنَّ الله أعرضَ عنِّي وعن كثيرٍ من العُلماء ممن لا يعمَلُ.

مات سنة سبعٍ وستين وخمس مئة.

٨٩٦ نور الدين(١)

[٣] صاحبُ الشام، الملكُ العادلُ، نورُ الدين، ناصرُ أميرِ المؤمنين تقيُّ المُلوك، ليثُ الإسلام، أبوالقاسم، محمودُ بنُ الأتابَكِ قسيمِ الدولةِ أبي سعيد زَنكيِّ بنِ الأمير الكبير آقسُنْقُر، التُّركيُّ السُّلطانيُّ الملكشاهيُّ.

مولده سنةَ إحدى عشرة وخمسِ مئة.

[٤] وكان نورُ الدين حاملَ رايتَيِ العدلِ والجهادِ، قلَّ أن ترى العُيُونُ مثلَهُ، حاصرَ

(١) انظر السِّير: ٢٠/٥٣١ـ ٥٣٩

دمشقَ، ثم تملَّكها، وبقي بها عشرين سنة.

وبنى المدارسَ بحلَب وحمصَ وبعلبَكَّ والجوامعَ والمساجدَ وسُلِّمت إليه دمشقُ للغلاء والخوفِ، فحصَّنها، ووسَّع أسواقَها، وأنشأ المَارستانَ ودارَ الحديثِ والمدارسَ ومساجدَ عدة، وأبطل المُكوسَ، ثم أخذ من العدوِّ بانياس والمُنَيطِرة(١)، وكسر الفِرَنْجَ مراتٍ، ودوَّخهم وأذلَّهم.

[١] وكان بطلاً شجاعاً، وافرَ الهَيبة، حسنَ الرمي، مليحَ الشَّكلِ ذا تعبُّدٍ وخوفٍ وورعٍ، وكان يتعرضُ للشهادةِ، سمعه كاتبُه أبو اليُسر يسألُ اللهَ أن يحشُرَهُ من بطونِ السِّباعِ وحواصِلِ الطير.

وبنى دارَ العدل، وأنصفَ الرعية، ووقفَ على الضعفاءِ والأيتامِ والمُجاورين، وأمر بتكميلِ سُورِ المدينةِ النبويَّة، واستخراج العينِ بأُحُد دَفَنها السَّيلُ، وفتحَ دَرْبَ الحجاز، وعَمَّر الخَوانِقَ والرُّبُطَ والجسورَ والخاناتِ بدمشق وغيرها. وكذا فعلَ إذ ملكَ حَرَّانَ وَسنْجَارَ والرُّها والرَّقَّة وَمَنْبج وشَيْزَر وحمص وحماة وصَرْخد وبعلبَكَّ وتَدْمُرَ ووقفَ كُتُباً كثيرة مثمنة، وكسر الفِرَنْجَ والأرمنَ على حارِم وكانوا ثلاثين ألفاً، فقلَّ مَنْ نجا، وعلى بانياس.

[٢] وكانت الفِرنْجُ قد استضرَّتْ على دمشقَ، وجَعلوا عليها قطيعةً، وأتاهُ أميرُ الجيوش شاور مُستجيراً به، فأكرمهُ، وبعثَ معه جيشاً ليُردَّ إلى منصبه، فانتصر، لكنه تخابثَ وتلائَمَ، ثم استنجَد بالفِرَنْج، ثم جهز نورُ الدين رحمه الله جيشاً لَجِباً مع نائبه أسدِ الدين شِيركُوه، فافتتح مصرَ، وقهر دولتَها الرافضيَّة، وهربت منه الفِرَنْجُ، وقُتِلَ شاور وصَفَتِ الديارُ المصريةُ لشيركُوه نائبِ نورِ الدين، ثم لصلاحِ الدين فأباد العُبيديِّين واستأصلَهم، وأقام الدعوةَ العبّاسية.

وكان نورُ الدين مليحَ الخطِّ، كثيرَ المُطالعة، يُصلِّي في جماعة ويصومُ، ويتلُو ويُسَبِّح، ويتحرى في القُوت، ويتجنَّبُ الكِبر، ويتشَّبهُ بالعُلماءِ والأخيار، ذكر هذا

(١) حصن بالشام قريب من طرابلس

ونحوَه الحافظُ ابنُ عساكر، ثم قال: روى الحديثَ، وأسمعهُ بالإجازة، وكان من رآهُ شاهد من جَلالِ السَّلطَنَةِ وهيبةِ المُلْكِ ما يَبْهَرُهُ، فإذا فاوضَهُ، رأى من لطافَتِه وتواضُعِه ما يُحيِّره حكى مَنْ صَحِبه حَضراً وسَفراً أنه ما سمع منه كلمةَ فُحشٍ في رضاهُ ولا في ضجَره، وكان يُواخي الصالحينَ، ويزُورهم، وإذا احتلَم مماليكُه أعتقهُم، وزوَّجهم بجواريه، ومتى تشكَّوْا من وُلاته عزلَهُم، وغالب ما تملَّكه من البُلدان تسلَّمه بالأمان، وكان كلما أخذ مدينةً، أسقطَ عن رعيَّتِهِ قِسطاً.

[١]وقال أبو الفرج بنُ الجوزي: جاهدَ، وانتزعَ من الكُفَّار نيِّفاً وخمسين مدينةً وحصناً، وبنى بالموْصِل جامعاً غَرِمَ عليه سبعين ألف دينار، وتركَ المُكُوسَ قَبلَ موتِهِ، وبعث جُنوداً فتحوا مصرَ، وكان يميلُ إلى التواضُعِ وحُبِّ العُلماءِ، والصُّلحاء، وكاتبني مِراراً، وعزمَ على فتحِ بيتِ المَقدس، فتُوفِّي سنةَ تسعٍ وستين وخمس مئة.

[٢]وقال المُوفقُ عبدُ اللطيف: كان نورُ الدين لم ينشَفْ له لِبدٌ من الجهادِ، وكان يأكلُ من عملِ يدِهِ، ينْسَخُ تارةً، ويعملُ أغلافاً تارة، ويَلْبسُ الصُّوفَ، ويُلازِمُ السجادةَ والمُصحف، وكان حنفيّاً يُراعي مذهبَ الشافعيِّ ومالك، وكان ابنُهُ الصالحُ إسماعيلُ أحسنَ أهلِ زمانهِ.

[٣]وقال ابنُ الأثير: طالعتُ السِّيَرَ، فلم أر فيها بَعْدَ الخُلفاءِ الراشدين وعُمر بنِ عبدالعزيز أحسنَ من سيرته، ولا أكثرَ تحرياً منه للعَدلِ، وكان لا يأكُلُ ولا يلبَسُ ولا يتصرَّفُ إلا من مُلك له قد اشتراهُ من سهمِه من الغَنيمة، لقد طلبتْ زوجتُه منهُ، فأعطاها ثلاثةَ دكاكين فاستقلَّتها، فقال: ليسَ لي إلا هذا، وجميعُ ما بيدي أنا فيه خازِنٌ للمسلمين، وكان يتهجَّدُ كثيراً، وكان عارفاً بمذهبِ أبي حنيفة.

[٤]قال له القطبُ النيسابوريُّ: بالله لا تُخاطر بنفسِكَ، فإن أُصبتَ في معركةٍ لا يبقى للمُسلمين أحدٌ إلا أخذهُ السيفُ، فقال: ومن محمودٌ حتى يُقالَ هذا؟! حفظ اللهُ البلادَ قبلي، لا إله إلا هو.

[١] قال مجدُ الدين ابنُ الأثير في نقل سبطِ الجَوزيِّ عنه: لم يَلْبسْ نورُ الدينِ حريراً ولا ذهباً، ومنعَ من بيعِ الخمرِ في بلاده، قال: وكان كثيرَ الصومَ، وله أورادٌ في الليلِ والنهارِ، ويُكثِرُ اللعبَ بالكُرة، فأنكر عليه فقيرٌ فكتبَ إليه: واللهِ ما أقصِدُ اللعبَ، وإنما نحنُ في ثَغْرٍ، فربما وقعَ الصوتُ، فتكونُ الخيل قد أَدْمَنت على الانعطافِ والكرِّ والفرِّ.

وأُهديت له عِمامةٌ من مصرَ مُذهَّبةٌ، فأعطاها لابنِ حَمُّويه شيخِ الصوفية فبيعت بألفِ دينار.

[٢] قال: وجاءهُ رجل طلبه إلى الشَّرع، فجاء معه إلى مجلسِ كمالِ الدين الشَّهْرَزوريِّ، وتقدمه الحاجبُ يقولُ للقاضي: قد قال لكَ: اسْلُكْ معه ما تَسْلُكُ مع آحادِ الناسِ، فلما حضرَ سوَّى بينَه وبين خَصْمِه وتحاكما فلم يثبت للرجُلِ عليه حقٌّ، وكان مِلْكاً، ثم قال السلطانُ: فاشهدوا أنِّي قد وهبتُه لهُ.

قال العمادُ في «البرق الشامي» أكثرَ نورُ الدين عامَ موته من البرِّ والأوقاف وعِمارةِ المساجد، وأسقطَ ما فيه حرام، فما أبقى سوى الجِزيةِ والخَراجِ والعُشْرِ، وكتب بذلكَ إلى جميعِ البلاد، فكتبتُ له أكثرَ من ألفِ منشور.

[٣] قال سبطُ الجوزي: كان له عجائزُ، فكان يَخِيطُ الكوافي، ويعملُ السكاكر، فيَبِعْنَها له سرّاً، ويُفطِرُ على ثمنها.

[٤] قال ابنُ واصل: كان من أقوى الناسِ قلباً وبَدَناً، لم يُر على ظهر فرسٍ أحدٌ أشدَّ منه، كأنما خُلق عليه لا يتحركُ، وكان يقولُ: طالما تعرضْتُ للشَّهادة، فلم أُدْرِكْها.

قلتُ: قد أدركَها على فراشِه، وعلى ألسنةِ الناسِ: نورُ الدينِ الشهيدُ.

[٥] قال سبطُ الجوزي: حكى لي نجمُ الدين بنُ سلام عن والدِه أنَّ الفِرَنْجَ لمّا نَزَلتْ على دِمياط، مازال نورُ الدين عشرين يوماً يصومُ، ولا يُفطِرُ إلا على الماءِ، فضعُفَ

وكاد يَتْلَفُ، وكان مَهيباً، ما يجسُرُ أحدٌ يُخاطِبُه في ذلك، فقال إمامُه يحيى: إنه رأى النبيَّ ﷺ في النوم يقولُ: يا يحيى، بشِّر نورَ الدين برحيل الفِرَنْجِ عن دمياط فقلتُ: يا رسولَ الله، ربما لا يُصَدِّقُني. قال: قُل له: بعلامةِ يوم حارمٍ. وانتبه يحيى، فلما صلَّى نورُ الدينِ الصُّبحَ، وشرع يدعُو، هابه يحيى، فقال له: يا يحيى، تُحدِّثُني أو أُحدِّثك؟ فارتعدَ يحيى، وخرس، فقال: أنا أُحدِّثك، رأيتَ النبيَّ ﷺ هذه الليلةَ، وقال لك كذا وكذا، قال: نعم. فبالله يا مولانا ما معنى قولِه بعلامةِ يوم حارمٍ؟ فقال: لما التقينا العَدُوَّ، خِفْتُ على الإسلام، فانفردتُ، ونزلتُ، ومرَّغتُ وجهي على التُّراب، وقُلت: يا سيدي مَن محمود في البَيْن، الدِّين دينُك، والجُنْدُ جندُك، وهذا اليوم افْعَلْ ما يَلِيقُ بكَرَمِك، قال: فنصرَنا الله عليهم.

وتملّك بعده ابنُه الملك الصّالح أشهراً، وسلَّم دمشق إلى السلطان صلاح الدين وتحوّل إلى حلب فدامَ صاحبَها تسعَ سنين ومات بالقُولَنْج وله عشرون سَنة، وكان شابَّاً ديِّناً، رحمه الله.

٨٩٧ ابن عساكر(١)

[١]الإمامُ العلَّامةُ الحافظُ المُجوِّدُ، محدِّثُ الشام، ثقةُ الدينِ أبو القاسم الدمشقيُّ الشافعيُّ، صاحبُ «تاريخ دمشق».

وكان فَهِماً حافظاً متقناً ذكيّاً، لا يُلحَقُ شأوُهُ، ولا يُشَقُّ غُبارُه ولا كان له نظير في زمانه.

قال ابنُه القاسم: واشتهر اسمُهُ في الأرض، وصنَّف وجمع فأحسنَ، قال:

فمن ذلك «تاريخُهُ» في ثمان مئة جُزء ـ قلتُ: الجزءُ عشرون ورقةً، فيكون ستةَ عشرَ ألف ورقة، «وتبيينُ كَذِبِ المُفتري فيما نُسب إلى الأشعريِّ».

---

(١) انظر السير: ٢٠/٥٥٤ـ ٥٧١

[١]قال: وكان مُواظِباً على صلاةِ الجماعةِ وتِلاوةِ القُرآنَ، يختِمُ كُلَّ جُمعة، ويختِمُ في رمضان كُلَّ يوم، ويعتكفُ في المَنارةِ الشَّرقيّة وكان كثيرَ النوافِلِ والأذكارِ، يُحيي ليلةَ النصفِ والعِيدينِ بالصلاةِ والتَّسبيح، ويُحاسِبُ نفسَه على لحظةٍ تذهَبُ في غير طاعةٍ، قال لي: لما حملتْ بي أمِّي، رأتْ في منامِها قائلاً يقول: تلدِين غُلاماً يكونُ له شأنٌ، وحدثني أنَّ أباهُ رأى رُؤيا معناه يُولَدُ لك ولدٌ يُحيي الله به السُّنَّة.

[٢]وقال لي أبو العلاء يوماً: أيُّ شيءٍ فُتِحَ له، وكيف تَرى الناسَ له؛ قلت: هو بعيدٌ من هذا كلِّه، لم يشتغل مُنذُ أربعين سنةً إلا بالجمع والتصنيفِ والتسميعِ حتى في نُزَهِهِ وخَلَواته، فقال: الحمدُ لله، هذا ثمرةُ العلم، ألا إنَّا قد حَصَلَ لنا هذه الدارُ والكتبُ والمسجدُ، هذا يدلُ على قِلَّةِ حظُوظِ أهلِ العلمِ في بلادكُم، ثم قال لي: ما كان يُسمىَّ أبو القاسم ببغداد إلا شُعلةَ نارٍ من توقُّدِهِ وذكائهِ وحُسْنِ إدراكهِ.

[٣]وروى زينُ الأمناء، حدثنا ابنُ القَزْوِينيِّ عن والده مُدرِّس النِّظَامية قال: حكى لنا الفَراويُّ قال: قدم علينا ابنُ عساكر، فقرأ عليَّ في ثلاثةِ أيام فأكثر، فأضجرني، وآليتُ أن أُغلِق بابي، وأمتنع، جرى هذا الخاطرُ لي بالليلِ، فقدم من الغَدِ شخصٌ، فقال: أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكَ، رأيتُهُ في النومِ، فقال: امض إلى الفراويِّ، وقل له: إن قَدِمَ بلَدَكُم رجلٌ من أهلِ الشام أسمرُ يطلبُ حديثي، فلا يأخُذْكَ منه ضَجَرٌ ولا ملل، قال: فما كان الفَراوي يقومُ حتى يقومَ الحافظُ أولاً.

[٤]قال أبو المواهب: وأنا كنتُ أُذاكرهُ في خَلَوَاتِهِ عن الحُفَّاظ الذين لَقِيَهُم. فقال: أمَّا ببغداد، فأبو عامر العَبدَريُّ، وأما بأصبهان، فأبو نصرِ اليُونارتي، لكن إسماعيل الحافظ كان أشهرَ منه، فقلتُ له: فعلى هذا ما رأى سيدُنا مِثْلَ نفسِهِ. فقال: لا تقُلْ هذا، قال الله تعالى ﴿فَلَا تُزَكُّوا أنفُسَكُم﴾ [النجم ٣٢] قلتُ: فقد قال: ﴿وأمَّا بنِعْمَةِ رَبِّكَ فحدِّثْ﴾ [الضُّحى ١١] فقال: نعم لو قال قائلٌ: إنَّ عيني لم تَرَ مثلي لَصَدَق.

[١]قال أبو المواهب: وأنا أقولُ: لم أر مثلَه ولا من اجتمع فيه ما اجتمع فيه من لزُوم طريقةٍ واحدةٍ مُدَّةَ أربعين سنةً من لزُوم الجماعةِ في الخمسِ في الصفِّ الأول إلا مِن عُذْرٍ، والاعتكاف في رمضان وَعَشرِ ذي الحجَّة وَعَدَمِ التطلُّعِ إلى تحصيل الأملاكِ وبناءِ الدُّور، قد أسقطَ ذلك عن نفسه، وأعرض عن طلبِ المَنَاصبِ من الإمامة والخَطَابة، وأباها بَعْدَ أن عُرِضَتْ عليه، وقِلَّةِ التفاتِهِ إلى الأمراء، وأخذِ نفسِهِ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تأخذُهُ في الله لومةُ لائم، قال لي: لما عزمتُ على التحديثِ والله المُطّلِعُ أنه ما حَمَلَني على ذلك حبُّ الرئاسةِ والتَّقَدُّم، بل قلتُ: متى أروي كلَّ ما قد سمعتُهُ، وأيُّ فائدةٍ في كوني أُخَلِّفُهُ بعدي صحائفَ؟ فاستخرتُ الله، واستأذنتُ أعيانَ شُيُوخي ورؤساء البلد، وطُفتُ عليهم، فكلٌّ قال: وَمَنْ أحقُّ بهذا منكَ؟ فشرعتُ في ذلك سنةَ ثلاثٍ وثلاثين.

[٢]قال ابنُ النجار: قرأتُ بخطِّ مَعمَرِ بنِ الفاخر في «مُعجمه» أخبرني أبو القاسم الحافظُ إملاءً بمِنىً وكان من أحفظِ من رأيتُ وكان شيخُنَا إسماعيلُ بنُ محمدٍ الإمامُ يُفَضِّله على جميع من لقيناهُم، قدم أَصْبَهَانَ ونَزَلَ في داري، وما رأيتُ شاباً أحفظَ ولا أورَعَ ولا أتقَنَ منه وكان فقيهاً أديباً سنيّاً، سألتُهُ عن تأخُّرِه عن الرحلة إلى أَصبهَان قال: استأذنتُ أمي في الرحلة إليها، فما أَذِنت.

[٣]وله:

أيا نَفْسُ وَيْحَكِ جاءَ المَشِيب ... فما ذا التَّصَابي وماذا الغَزَلْ
تولَّى شَبابي كأنْ لم يَكُنْ ... وجاء مَشِيبي كأنْ لم يَزَلْ
كأنِّي بنَفْسِي على غِرَّةٍ ... وخَطْبُ المَنُونِ بها قد نَزَلْ
فيا لَيْتَ شِعريَ مِمَّن أكُون ... وما قدَّر الله لي في الأزَلْ

تُوفي سنةَ إحدى وسبعين وخمس مئة، وحضره السلطانُ صلاحُ الدين.

٨٩٨ عَبْدُ النبيِّ[1]

[١]ابنُ المهديِّ عليِّ بنِ مَهدي.

كان أبوه قد وعظَ، واشتغلَ، ودعا إلى نفسِه، وجرت له أمورٌ وغلب على اليمنِ، وعَسَفَ وظلَمَ، وفجرَ، وشقَّق بُطُونَ الحبالى، وتمرَّد على الله، وكان من دُعاة الباطنيّة، فقصمه الله سنةَ نيِّف وخمسين.

فقام بعده عبدُ النبيِّ هذا، ففعل كأبيه، وسَبى الحريمَ، وتزندقَ وبنى على قبر أبيه المَهديِّ قُبَّةً عظيمة، وزخرفها، وعمل أستارَ الحرير عليها وقناديل الذهب، وأمر الناسَ بالحجِّ إليها، وأن يحملَ كُلُّ أحدٍ إليها مالاً، ولم يَدَعْ أحدُ زيارتَها إلا وقتلهُ، ومنعهم من حجِّ بيتِ الله، فتجمّع بها أموالٌ لا تُحصى، وانهمكَ في الفواحشِ إلى أن أخذه الله على يدِ شمس الدولة، أخي السلطان صلاح الدين، عذَّبهُ، ثم قتلَهُ، وأخذ خزائنَهُ، فلله الحمدُ على مصرعِ هذا الزِّنديق، وكان ذلك في قُرب سنة سبعين وخمس مئة فإنَّ مضيَّ شمسِ الدولة توران شاه إلى اليمنِ وأخذَهَا كان في سنة تسع وستين، فأسرَ هذا المُجرمَ وشنقه وتملَّكَ زَبيدَ وعَدَنَ وصنعاء. ولعبد النَّبيِّ أخبارٌ في الجَبَروتِ والعُتُوِّ، فلا رحمهُ الله.

٨٩٩ شِيركُوه[2]

[٢]الملكُ المنصورُ، فاتحُ الديارِ المصريّة، أسدُ الدينِ شِيركُوه بنُ شاذي بن مروان الدُّونيُّ الكُرديُّ، أخو الأمير نجمِ الدين أيوب.

نعم قدَم الأخوانِ الشامَ، وخدما، وتنقَّلتْ بهما الأحوالُ إلى أن صار شِيركُوه من أكبر أُمراء نورِ الدين، وصار مُقَدَّم جُيوشِه.

---

(١) انظر السير: ٢٠/٥٨٢ـ ٥٨٣

(٢) انظر السير: ٢٠/٥٨٧ـ ٥٨٩

[١]وكان أحدَ الأبطالِ المذكورين، والشُّجعانِ الموصوفين، تُرعَبُ الفِرَنْجُ من ذِكره، ثم جهزه نورُ الدين في جيشٍ إلى مصر لاختلال أمرِها، وطَمَعِ الفِرَنْجِ فيها، فسار إليها غير مرَّة.

[٢]وجهَّزَ ولدَ أخيه صلاحَ الدين إلى الإسكندرية، وجرت له أمورٌ يطولُ شرحُها وحروبٌ وحِصارٌ، وأقبلت الفِرَنْجُ، وأحاطوا ببَلْبِيسَ واستباحوها في سنةِ أربعٍ وستين، فاستغاث المصريون بنورِ الدين فبعث إليهم أسدَ الدين، فطرد عنهم العَدُوّ، ودخل القاهرة وتمكَّن، فعزم شاور وزير مصر على الفتكِ به، فبادر وبَتّه، واستقلَّ بوزارة العاضِدِ، ودان له الإقليمُ، فبقي شهرين، وبغته الأجلُ بالخَوانيق شهيداً سنةَ أربعٍ وستين فقام في الدَّستِ بعده صلاحُ الدين.

٩٠٠ عُمارة(١)

[٣]العلاّمة أبو محمد، عُمارةُ بنُ عليِّ بن زَيْدانَ الحَكَمِيُّ المَذْحِجيُّ اليمنيُّ الشافعيُّ الفَرَضِيُّ، الشاعر، صاحبُ «الديوان» المشهور.

وُلدَ سنةَ خمسَ عشرةَ وخمسِ مئة.

وتفقّه بزبيد مُدّةً، وحجَّ سنةَ تسعٍ وأربعين، ونفّذه أميرُ مكة قاسمُ بنُ فُليتة رسولاً إلى الفائز بمصرَ ثم استوطن بعدُ مصر.

[٤]قال ابنُ خَلِّكان: كان شديدَ التعصُّب للسُّنة أديباً ماهراً، رائجاً في الدولة، ثم تملك صلاحُ الدين، فامتدحهُ، ثم إنّه شرعَ في اتفاقٍ مع رؤساء في إعادةِ دولة العُبَيْدِيِّين، فنُقِلَ أمرُهم إلى صلاحِ الدين، فشَنَقَ عُمارةَ في سنةَ تسعٍ وستين وخمسِ مئة.

---

(١) انظر السير: ٢٠/٥٩٢-٥٩٦

وقد نُسب إلى عمارة بيتٌ، فربما وُضع عليه، فأفتَوا بقتلِه وهو:

قد كانَ أولُ هذا الأمرِ من رَجُلٍ سَعىٰ إلى أن دَعَوْهُ سَيِّدَ الأُمَمِ

وهو من بيتِ إمرةٍ وتقدُّمٍ من تهائِم اليمن من وادي وَساع يكون عن مكة أحدَ عشَرَ يوماً.

وحكى عُمارةُ أنَّ الصالح بنَ رُزِّيك فاوضهُ، وقال: ما تعتقِدُ في أبي بكرٍ وعُمر؟ قلت: اعتقدُ أنه لولاهما لم يبقَ الإسلامُ علينا ولا عليكم، وأنَّ محبتَهما واجبةٌ، فضحك. وكان مُرتاضاً حَصيفاً قد سمع كلامَ فُقهاء السُّنَّة.

قلتُ: هذا حِلمٌ من الصالح على رَفْضِه.

وله بيتٌ كَيِّسٌ في العُبيديين:

أفاعيلُهُم في الجُودِ أفعالُ سُنَّةٍ وإن خالَفُوني في اعتقادِ التَّشَيُّعِ

قلت: يا ليته تَشَيُّعٌ فقط، بل يا ليته ترفُّض، وإنما يُقال: هو انحلالٌ وزَنْدقة.

ولِعُمارةَ فضائلُ وأخبارٌ يطول بثُّها، سُقت منها في «تاريخنا الكبير».

وصُلب معه داعي الدعاة قاضي الديار المصرية أبو القاسم هِبةُ الله ابنُ كامل، وكان صاحبَ فُنون.

٩٠١ السِّـــلَفِيُّ(١)

[١]هو الإمـامُ العـلاَّمـةُ المُحـدِّثُ الحـافِظُ المُفْتي، شَيخُ الإِسـلامِ شَرَفُ المُعَمَّرين، أبو طاهرٍ أحمدُ بنُ مُحمدِ بن أحمدَ الأصبهانيُّ الجَروانيُّ.

ويُلقبُ جدُّه أحمدُ سِلَفة، وهو الغليظُ الشفةِ، وأصلُهُ بالفارسيَّةِ سلَبَة، وكثيراً ما يمزجُونَ الباءَ بالفاءِ.

[٢]وُلد في سنةِ خمسٍ وسبعينَ، أو قبلَها بسنةٍ. قال: أنَا أذكُرُ قَتلَ نظامِ الملكِ ـ يعني الـوزير الـذي وَقَفَ المدرسةَ النظاميَّةَ ببغداد ـ وكان عُمري نحوَ عشرِ سنينَ، قتِلَ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وأربع مئةٍ، وقد كُتِبَ عنِّي بأصبهانَ أول سنةِ اثنتينِ وتسعينَ وأربع مئةٍ، وأنا ابنُ سبعَ عشرةَ سنةً أو أكثر، أو أقلَّ بقليل، وما في وجهي شعرة، كالبخاريِّ ـ رحمه الله ـ يعني لَمَّا كَتبُوا عَنهُ.

وقال الإمامُ أبو شامة: سَمعْتُ شَيَخنَا عَلَمَ الدِّينِ السَّخاوِيَّ يقولُ: سَمِعتُ يوماً أبا طاهرٍ السِّلَفِيَّ يُنْشِدُ لنفسِه ما قالهُ قديماً:

أنَـا مِنْ أهْـلِ الـحـديـث وَهُـمْ خَـيْـرُ فِـئَـة
جُـزْتُ تِـسْـعِـيْـنَ وَأَرْ جُـو أنْ أجـوزَنَّ الـمِـئَـة

قالَ: فقيل له: قد حقَّقَ الله رجاءَك، فعلمتُ أنَّه قد جازَ المئة.

وارتحل وله أقلُّ من عشرينَ سنةً، ونسخَ من الأجزاءِ ما لا يُحْصَى كثرةً فكان ينسخُ الجزءَ الضخمَ في ليلةٍ.

[٣]بقي في الرحلة ثمانية عشر عاماً، يكتُب الحديث والفقه والأدبَ والشعرَ.

وقَدِمَ دمشقَ سنة تسعٍ وخمس مئة، فأقام بها سنتين، يكتبُ العلمَ مقيماً

---

(١) انظر السير: ٢١/ ٥-٣٩.

بالخانقاه. ثم استوطن ثغر الإسكندرية بضعاً وستين سنةً وإلى أن مات ينشرُ العلمَ ويُحَصِّل الكتبَ التي قَلَّ ما اجتمع لعالم مثلها في الدنيا.

ارتحلَ إليه خلقٌ كثيرٌ جداً، ولا سميا لمّا زالت دولة الرفض عن إقليم مصرَ وتملَّكها عَسْكَرُ الشام، فارتحل إليه السلطانُ صلاحُ الدِّين، وإخوتُه وأمراؤه، فسمعوا منه.

وحدث عنه الأئمة وكان مُكباً على الكتابة والاشتغال والرواية، لا راحة له غالباً إلا في ذلك وله تصانيف كثيرة، وكان يستحسن الشعر، وينظمهُ، ويُثيبُ من يمدَحُهُ.

[١]قال أبو علي الأوقيُّ: سمعت أبا طاهر السِّلفِيَّ يقول: لي ستون سنةً بالإسكندريةِ ما رأيتُ منارتَها إلاَّ من هذه الطاقة، وأشار إلى غرفةٍ يجلسُ فيها.

قال عبدُالقادر الرُّهاويُّ: سمعتُ من يحكي عن ابن ناصرٍ أنه قَالَ عن السِّلفيِّ: كان ببغدادَ كأنّهُ شعلةُ نارٍ في تحصيلِ الحديثِ.

ثم قال عبدُالقادر: كانَ لهُ عندَ ملوكِ مصرَ الجاهُ والكلمةُ النافذَةُ مع مخالفتهِ لهم في المذهبِ ـ يريد عبدُالقادر الملوكَ الباطنيَّةَ المتظاهرين بالرَّفض ـ.

[٢]قال عبدُالقادر الحافظُ: وكانَ أبو طاهرٍ لا تبدو منهُ جفوةٌ لأحد، ويجلسُ للحديث فلا يشربُ ماءً، ولا يبزقُ، ولايتوركُ، ولا تبدو له قدمٌ وقد جازَ المئةَ.

[٣]وبلغَني أن مدةَ مُقامِه بالإسكندريةِ ما خرجَ منها إلى بُستانٍ ولا فُرجةٍ سوى مرةٍ واحدةٍ، بل كان لازماً مدرستَهُ، وما كُنَّا نكادُ ندخلُ عليه إلا ونراهُ مطالعاً في شيءٍ، وكانَ حليماً متحمِّلاً لجفاءِ الغرباءِ، ولما دخلَ الإسكندريةَ رآهُ كبراؤُها وفضلاؤُها، فاستحسنوا علمَهُ وأخلاقهُ وآدابهُ، فأكرموهُ، وخدموه، حتى لزموهُ عندهم بالإحسانِ.

وتزوَّجَ بها امرأةً ذات يسارٍ، وحصلت له ثروةٌ بعد فقرٍ وتصوُّفٍ، وصارتْ له بالإسكندرية وجاهةٌ، وبنى له أبومنصور عليُّ بن إسحاق بن السَّلار الملقب

بالعادلِ أميرُ مصرَ مدرسةً ووقفَ عليها.

[١]قال الحافظُ عبدُالقادر: وكان السِّلَفيُّ آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، حتى إنه قد أزال من جواره منكراتٍ كثيرةً. ورأيته يوماً، وقد جاء جماعةٌ من المقرئين بالألحان، فأرادوا أن يقرؤوا فمنَعَهم من ذلك، وقال: هذه القراءةُ بدعَةٌ، بل اقرؤوا ترتيلاً، فقرؤوا كما أمرهم.

[٢]قال الحسنُ بن أحمدَ الأوقيُّ: كانوا يأتونَ السِّلَفيَّ، ويطلبون منه دعاءً لِعُسْرِ الولادةِ، فيكتبُ لمن يقصِدهُ، قال: فلما كَثُرَ ذلك نظرتُ فيما يكتبُ، فوجدتُه يكتب: اللهمَّ إنّهم قد أحسنوا ظنَّهم بي، فلا تُخيِّبْ ظنَّهم فيَّ.

[٣]قال: وحضرَ عندَهُ السلطانُ صلاحُ الدين وأخوه الملكُ العادلُ لسماعِ الحديث، فتحدثا، فأظهرَ لهما الكراهةَ وقال: أنتما تتحدّثان، وحديثُ النبي صلى الله عليه وسلم يُقْرأ؟! فأصغيَا عند ذلك.

قلت: وقد حدّث السلطانُ عنه.

[٤]قال الحافظ زكيُّ الدينِ عبدُالعظيم: كان السِّلَفيُّ مُغْرىً بجمع الكتبِ والاستكثار منها وما كان يصِلُ إليه من المالِ كانَ يُخرجه في شرائها، وكان عنده حزائنُ كتبٍ، ولا يتفرّغ للنظر فيها، فلما مات وجدوا معظمَ الكتبِ في الخزائنِ قد عفنتْ، والتصق بعضُها ببعضٍ لنداوةِ الإسكندريةِ، فكانوا يستخلصونها بالفأسِ، فَتَلِفَ أكثرُها.

[٥]قال السَّيفُ أحمدُ بنُ المجدِ الحافظُ، سمعتُ أحمدَ بن سلامةَ النَّجّارَ يقولُ: أرادَ عبدُالغنيّ وعبدُالقادر الحافظانِ سماعَ كتابِ اللّالكائي، يعني شرح السُّنة، على السِّلفيِّ، فأخذَ يتعلَّل عليهما مرةً، ويدافعُهُم عنه أخرى بأصلِ السماع، حتى كلَّمتْهُ امرأتُهُ في ذلك.

قلت: ما أُظنُّهُ حدّث بالكتاب. بلىٰ حدَّث منه بكراماتِ الأولياء.

وتوفِّي الحافظُ في يوم الجمعة سنة ستٍّ وسبعين وخمس مئةٍ. ولم يَزَلْ يُقْرأ عليه الحديثُ يوم الخميس إلى أنْ غربتِ الشَّمسُ من ليلةِ وفاتِه، وهو يردُّ على القارىءِ اللَّحْنَ الخفيَّ، وصَلّى يومَ الجمعةِ الصُّبْحَ عند انفجارِ الفجرِ، وتوفِّي بعدها فُجاءَةً. وقبرُهُ معروفٌ بظاهرِ الإسكندريةِ .وكان يطأ أهلَهُ ويتمتَّع وإلى قريبِ وفاتِه، وإنما تزوَّجَ وقد أسنَّ بعد سنةِ خمسين وخمس مئة.

٩٠٢ أبو العَــلاءِ الهَــمَذانــيُّ(١)

[١]الإمامُ الحافظُ المقرئُ العلّامةُ شيخُ الإسلامِ أبو العلاءِ الحسنُ بنُ أحمدَ ابنِ الحسنِ الهَمَذَانِيُّ العَطَّارُ، شيخُ هَمَذَانَ بلا مدافعةٍ.

مولدُه في سنةَ ثمانٍ وثمانين وأربع مئة. وأوَّلُ سماعِه في سنةِ خمسٍ وتسعين.

[٢]وقال الحافظُ عبدُالقادر(٢): شيخُنا أشهرُ من أنْ يُعرَّفَ، تعذَّرَ وجودُ مثلهِ من أعصارٍ كثيرةٍ، برعَ على حفَّاظِ عصرِه في حفظ ما يتعلَّقُ بالحديثِ من الأنسابِ والتـواريخِ والأسمـاءِ والكنىٰ والقصصِ والسِّيَرِ. ولقـد كان يوماً في مجلسِه، وجاءَتْهُ فَتْوى في أمرِ عثمانَ ـ رضي الله عنه ـ، فأخَذَها، وكتبَ فيها مِنْ حفظِه، ونحنُ جلوسٌ، دَرْجاً طويلاً، ذكر فيه نسبَهُ، ومولدَه، ووفاتَه، وأولادَه، وما قيل فيهِ، إلى غيرِ ذلك.

ولهُ التَّصانيفُ في الحديثِ، وفي الزهدِ والرَّقائقِ، وكانَ إماماً في الحديثِ وعلومِه.

---

(١) انـظر السـير: ٢١/ ٤٠-٤٧.
(٢) يعني الرهاوي.

وحَصَّلَ من القراءاتِ ما إنَّه صنَّف فيها العشرةَ والمفرداتِ، وصنَّف في الوَقْفِ والابتداءِ، وفي التجويد، وكتابا في ماءات القرآن، وفي العدد، وكتابا في معرفة القرّاء في نحوٍ من عشرين مجلداً، استُحْسِنَتْ تصانيفُه، وكُتِبَتْ، ونُقِلَتْ إلى خُوارَزْم وإلى الشَّامِ، وبرعَ عندَه جماعةٌ كثيرةٌ في القراءاتِ. وكانَ إذا جَرَى ذِكْرُ القرَّاءِ يقول: فلانٌ ماتَ عامَ كذا وكذا، ومات فلانٌ في سنةِ كذا وكذا، وفلانٌ يعلو إسنادُه على فلانٍ بكذا.

وكان عالماً إماماً في النَّحْو واللغة. سَمِعْتُ أنَّ من جملةِ ما حفظَ كتابَ (الجَمْهَرَةِ).

[١] سمعتُه يقولُ: كنتُ أبيتُ ببغدادَ في المساجدِ، وآكلُ خبزَ الدُّخْنِ.

[٢] قال: وسمعتُ أبا الفضْلِ بن بُنَيْمانَ الأديبَ يقولُ: رأيتُ أبا العلاءِ العطَّارَ في مسجدٍ من مساجدِ بغدادَ يكتُبُ وهو قائمٌ، لأن السِّراجَ كان عالياً، إلى أنْ قالَ: فَعَظُمَ شأنُهُ في القلوبِ، حتَّى إن كان لَيَمُرُّ في هَمَذانَ فلا يبقى أحدٌ رآه إلاَّ قامَ، ودعا لَهُ، حتَّى الصبيانُ واليهودُ، وربَّما كان يمضي إلى بلدةِ مُشْكانَ يصلِّي بها الجمعة، فيتلقَّاهُ أهْلُها خارجَ البَلَدِ، المسلمونَ على حدةٍ، واليهودُ على حِدةٍ، يدعونَ لهُ، إلى أنْ يدخلَ البلدَ.

وكـانَ يُفتَحُ عليهِ من الدُّنيا جُمَلٌ، فلم يدَّخِرْها، بَلْ يُنْفِقها على تلامذتِه، وكـانَ عليهِ رسـومٌ لأقوامٍ، وما كانَ يبرحُ عليهِ ألفُ دينارٍ همذانيةٍ أو أكثر من الدَّيْنِ، مع كثرةِ ما كانَ يُفْتَحُ عليه.

وكانَ يطلبُ لأصحابهِ مِن الناسِ، ويعزُّ أصحابَه ومنْ يلوذُ به، ولا يحضرُ دعوةً حتَّى يحضرَ جماعةُ أصحابه، وكانَ لا يأكلُ من أموالِ الظَّلَمةِ، ولا قَبِلَ منهم مدرسةً قطُّ ولا رباطاً، وإنَّما كان يُقْرِئُ في دارِه، ونحن في مسجدِهِ سُكَّانٌ.

وكـان يُقْـرِىءُ نصفَ نهـارِه الحـديثَ، ونصفَـهُ القرآنَ والعلمَ، ولا يَغْشَى السلاطينَ، ولا تأخذُهُ في الله لومةُ لائمٍ، ولا يُمكِّنُ أحَداً في محلَّتِهِ أن يفعَلَ منكراً، ولا سماعاً، وكان يُنزِّلُ كلَّ إنسانٍ منزلتَهُ، حتَّى تألَّفتِ القلوبُ على محبَّتِهِ وحسنِ الذكرِ لَهُ في الآفاقِ البعيدةِ، حتَّى أهلُ خُوارَزْمَ الذينَ هُمْ مُعْتَزِلَةٌ مع شدَّتهِ في الحَنْبَلةِ.

وكانَ حسَنَ الصلاةِ لم أر أحداً من مشايخنا أحسنَ صلاةً منهُ، وكانَ متشدِّداً في أمـرِ الـطَّهـارةِ، لا يدعُ أحداً يمسُّ مداسَهُ، وكانتْ ثيابُه قِصَاراً، وأكمامُه قِصَاراً، وعمامتُهُ نحو سبعةِ أذرعٍ.

وكـان السُّنَّـةُ شعارَه ودثارَهُ اعتقاداً وفعْلاً، بحيثُ إنَّهُ كان إذا دَخَلَ مجلسه رجلٌ، فقدَّمَ رجْلَهُ اليُسْرى كلَّفَهُ أنْ يرجعَ، فيقدِّمَ اليُمنى، ولا يمسُّ الأجزاءَ إلَّا على وضوءٍ، ولا يَدْعُ شيئاً قطُّ إلا مستقبلَ القبلةِ تعظيماً لها.

قلتُ: هذا لم يَرِدْ فيهِ ثوابٌ.

وسَمِعتُ الحافظ أباالقاسم عليَّ بنَ الحسنِ يقولُ، وذكَرَ رجلاً من أصحابهِ رَحَلَ: إنْ رَجَعَ ولم يَلْقَ الحافظَ أبا العلاءِ ضاعتْ رحَلتُهُ.

قُلتُ: كانَ أبو العلاءِ الحافظُ في القراءاتِ أكبرَ منهُ في الحديثِ، مع كونِهِ من أعيانِ أئمَّةِ الحديثِ، له عدةُ رِحْلاتٍ إلى بغدادَ وأصْبَهان ونَيْسَابُورَ.

تُوفِّي أبو العلاءِ الهَمَذانيُّ بها سنةَ تسعٍ وستين وخمس مئةٍ، ولهُ نَيِّفٌ وثمانونَ سنةً.

٩٠٣ مَلِكُ المَوْصِلِ (١)

[١] الملكُ سيفُ الدِّين، غازي ابن صاحبِ المَوْصلِ، قطبِ الدين مودودِ ابن الأتابك زنكيٍّ ابنِ قسيمِ الدولة آقسنقر التركيُّ المَوْصليُّ.

تملَّك بعد أبيه من تحتِ يدِ عمِّهِ الملكِ نورِ الدين، وطالتْ أيامُه، فلما تسلْطنَ صلاحُ الدينِ، وحاصرَ حَلَب، نَفَّذَ غازي جيشَه مع أخيه مسعودٍ يُنْجِدُ ابنَ عمِّه، فالتقوا هم وصلاحُ الدين عند قرونِ حماةَ، فانكسر مسعودٌ، فأقبل غازى بنفسهِ ليأخذَ بالثأر فوقَعَ المَصَافُّ على تلِّ السُّلطانِ بقربِ حلب، فانكسرتْ ميسرةُ صلاحِ الدين، فحملَ السلطانُ بنفسهِ، فكسر المَوَاصِلَة، فقبَّحَ الله القتالَ على المُلْكِ، ما أرْدَأَهُ.

ماتَ غازى رحمَهُ الله بالسِّلِّ في سنةَ ستٍّ وسبعينَ وخمس مئةٍ، وتملّك المَوْصِلَ أخوهُ المَلِك عزُّ الدين مسعودٌ.

٩٠٤ صَدَقَةُ بنُ الحُسَيْنِ (٢)

[٢] العلّامة أبو الفرجِ ابنُ الحدّادِ البغداديُّ الحنبليُّ الناسخُ الفَرَضِيّ، المتكلِّمُ، المتَّهَمُ في دِينه.

[٣] قال ابنُ الجوزي: يظهَرُ من فَلَتاتِ لسانه ما يدلُّ على سوءِ عقيدتِهِ، وكانَ لا ينضبطُ، ولهُ ميلٌ إلى الفلاسفةِ، قالَ لي مرةً: أنا الآن أُخاصِمُ فَلَكَ الفلك. وقالَ لي القاضي أبو يَعْلَى الصَّغيرُ: مُذْ كَتَبَ صَدَقَةُ «الشِّفاءَ» لابنِ سينا تَغَيَّرَ.

---

(١) انظر السير: ٢١/ ٥٤-٥٥.

(٢) انظر السير: ٢١/ ٦٦-٦٧.

وقال للظهيرِ الحنفيِّ: إنّي لأفْرَحُ بتعثيري لأنَّ الصانعَ يقصدني.

ماتَ في سنة ثلاثٍ وسبعين وخمس مئةٍ، وهو في عَشْرِ الثمانين.

وكـان يطلبُ من غيرِ حاجةٍ[1]، وخلَّفَ ثَلاث مئةِ دينارٍ. ورُويتْ له مناماتٌ نجسةٌ. أعاذنا الله من الشَّقاوةِ.

٩٠٥ المُسْتَضِيءُ بأمْـرِ الله[2]

الخليفةُ أبو محمدٍ الحَسَنُ ابنُ المستنجدِ بالله يوسفَ ابن المُقتفي محمدِ ابن المستظهرِ أحمدَ ابنِ المُقتدي الهاشميُّ العباسيُّ.

بويع بالخلافةِ وقتَ موتِ أبيه في ربيعٍ الآخر سنةَ ستٍّ وستينَ وخمس مئةٍ، وقام بأمرِ البيعةِ عضدُ الدِّينِ أبو الفَرَج ابنُ رئيسِ الرؤساء، فاستوزَرَهُ يومئذٍ.

وُلدَ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وخمس مئةٍ وأمُّه أرمنيَّةٌ. وكان ذا حلمٍ وأناةٍ ورأفةٍ، وبرٍّ وصدقاتٍ.

قال ابنُ الجـوزيّ في «المنتـظم»: بُويعَ، فنـودىَ برفـعِ المكـوس، وردِّ المظالمِ، وأظهرَ من العدلِ والكرمِ ما لم نَرَهْ من أعمارِنا، وفرَّقَ مالاً عظيماً على الهاشميّين.

(١) نقل ابن رجب عن ابن النجار قوله: «وقد نسخ بخطه كثيرا للناس من سائر الفنون، وكان قوته من أجرة نسخه، ولم يطلب من أحد شيئاً، ولا سكن مدرسة، ولم يزل قليل الحظ، منكسر الأغراض، متنغص العيش، مقترا عليه أكثر عمره.. فكان ربما شكا حاله لمن يأنس به، فيشنع عليه من له فيه غرض، ويقول: هو يعترض على الأقدار، وينسبه إلى أشياء الله أعلم بحقيقتها». (الذيل: ١/ ٣٣٩-٣٤٠)، ويظهر لنا أن ابن الجوزي قد حطّ عليه في تاريخه حطا بليغا لم يكن كله من الحق، قال أبو الحسن القطيعي في ما نقل عنه الحافظ ابن رجب: «كان بينه وبين ابن الجوزي مباينة شديدة، وكل واحد يقول في صاحبه مقالة الله أعلم بها» (الذيل: ١/ ٣٤٠) وقد أثنى عليه محدث بغداد المحب ابن النجار في تاريخه، وقال: «وله مصنفات حسنة في أصول الدين».

(٢) انظر السير: ٢١/ ٦٨-٧٢.

وقال ابنُ الجوزيِّ: في خلافته زالت دولةُ العبيديَّةِ بمصرَ، وخُطِبَ له بها، وجاءَ الخَبَرُ فغلقت الأسواقُ للمسرَّةِ، وعُملت القبابُ، وصنَّفتُ كتاباً سمَّيتُه، «النَّصْر على مصرَ»، وعَرَضْتُهُ على الإمام المستضيءِ.

قُلتُ: وخُطِبَ له باليمنِ، وبرقَة، وتَوْزَرَ، وإلى بلادِ التركِ، ودانتْ له الملوكُ، وكـانَ يطلبُ ابنَ الجوزيِّ، ويأمُرُهُ أن يَعِظَ بحيثُ يسمعُ، ويميل إلى مذهبِ الحنابلةِ، وضعُفَ بدولتِه الرِّفْضُ ببغدادَ وبمصرَ وظهرت السنَّةُ، وحَصَلَ الأمنُ، ولله المِنَّةُ.

ماتَ المستضيءُ سنةَ خمسٍ وسبعين وخمس مئةٍ وبايعوا بعدَه ولدَهُ الناصرَ لدينِ الله.

٩٠٦ عَضُدُ الدِّيـن(١)

وزيرُ العراقِ، الأوحَدُ المُعَظَّمُ، عَضُدُ الدين أبوالفرج محمد بن عبدِالله بن هبـةِ الله بنُ مُظَفَّـر ابن الوزيرِ الكبيرِ رئيسِ الرُّؤساءِ، أبي القاسم، عليٍّ ابن المُسْلِمَة، البَغْدَادِيُّ.

وُلد سنةَ أربع عشر وخمس مئةٍ.

وَزَرَ للإِمَامِ المُسْتَضيءِ. وكان جَوَاداً سَرِيّاً مَهِيْبَاً كبيرَ القَدْرِ.

قال المُوَفَّقُ عبدُاللطيفِ: كانَ إذا وَزَنَ الذَّهَبَ، يَرْمِي تحتَ الحُصرِ قراضَةً كثيرةً ليأخذَهَا الفَرَّاشون، ولا يَرَى صَبِيّاً مِنّا إلا وَضَعَ في يَدِهِ ديناراً.

قال: وكانَ والدي مُلازِمَهُ على قراءةِ القرآنِ والحديثِ. استَوْزَرَهُ المستضيءُ أوَّلَ ما بُويعَ، واستفحَلَ أمرُهُ، وكان المستضيءُ كريماً رَؤوفاً، وكانَ الوزيرُ ذا

---

(١) انظر السير: ٢١/ ٧٥ـ٧٧.

انصِبابٍ إلى أهلِ العِلْمِ والتَّصَوُّفِ، يُسْبِغُ عليهم النِّعَمَ، ويشتغل هو وأولادُهُ بالحديث والفقهِ والأدبِ. كانَ الناسُ معهم في بُلَهنيَّةٍ.[1]

[١]قلتُ: وقد عُزِلَ ثم أُعيدَ، وتمكّنَ ثم تهيَّأ للحجِّ، وخرج في رابعِ ذي القعدةِ في موكبٍ عظيمٍ، فَضَرَبَهُ باطنيٌّ على بابِ قَطُفْتَا أربعَ ضرباتٍ، ومات ليومِهِ من سنةِ ثلاثٍ وسبعينَ، وكانَ قد هيَّأ ست مئةَ جَمَلٍ، سَبَّلَ منها مئةً. صاح الباطنيُّ: مظلوم! مظلوم! وتقرَّبَ، فزجرَهُ الغلمانُ، فقالَ: دَعُوْهُ، فَتَقَدَّمَ إليهِ، فَضَرَبَهُ بسكِّينٍ في خاصرتِهِ، فصاحَ الوَزِيْرُ: قَتَلَني، وسقط، وانكشَفَ رأسُه، فَغَطَّى رأسَه بكمِّهِ، وضُرِبَ الباطنيُّ بسيفٍ، فعادَ وضربَ الوزيرَ، فهبَّرُوه بالسُّيوفِ، وكانَ معهُ اثنانِ، فأُحرِقُوا، وحُمِلَ الوزيرُ إلى دارٍ، وجُرِحَ الحاجِبُ، وكانَ الوزيرُ قد رأى في النّوم أنّه معانِقٌ عثمانَ رضي الله عنه، وحكى عنه ابنُهُ أنَّهُ اغْتَسَلَ قبلَ خروجِهِ، وقالَ: ذا غُسلُ النوم والإسلامِ، فإنَّني مقتولٌ بلا شكٍّ. ثم ماتَ بعد الظهرِ، ومات الحاجبُ. وقيلَ: إن الوزيرَ بقيَ يقولُ: الله! الله! كثيراً، وقال: ادفنوني عند أبي.

٩٠٧ الرِّفاعِيُّ[2]

[٢]الإمامُ، القدوةُ، العابدُ، الزاهدُ، شيخُ العارفين، أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ أبي الحسنِ عليِّ بنِ أحمدَ الرفاعيُّ المغربيُّ ثم البطائحيُّ.

قَدِمَ أبوهُ من المغربِ، وسَكَنَ البطائحَ، بقريةِ أُمِّ عَبِيْدَةَ. وتَزَوّج بأختِ منصورٍ الزاهِدِ، ورُزِقَ منها الشيخَ أحمَدَ وإخوتَه. فقيلَ: كان مولدُهُ في أوّلِ سنةِ خمسِ مئةٍ.

---

(١) بلهنية بضم الباء: أي سعة ورفاهية.

(٢) انظر السير: ٢١/ ٧٧ـ٨٠.

[١]قيل: إنَّه أقسَمَ على أصحابِهِ إنْ كانَ فيهِ عيبٌ ينبِّهونَه عليهِ، فقالَ الشيخُ عمرُ الفاروثيُّ: يا سيِّدي أنا أعْلَمُ فيك عيباً. قال: ما هو؟ قال: يا سيِّدي عيبُكَ أنَّنا من أصحابِكَ. فبكَى الشيخُ والفقراءُ، وقال ـ أيْ عُمَرُ ـ: إنْ سَلِمَ المركبُ، حَمَلَ منْ فيه.

[٢]قيل: إن هَرَّةً نامتْ على كُمِّ الشيخِ أحمدَ، وقامت الصلاة، فقصّ كُمَّهُ، وما أزعجَها، ثم قَعَدَ، فوصَلَهُ، وقال: ما تَغَيَّرَ شيءٌ.

[٣]وعنه قالَ: أقربُ الطَّريقِ الانكسارُ والذُّلُّ والافتقارُ، تُعظِّمُ أمْرَ الله، وتُشْفِقُ على خلقِ الله، وتقتدي بسنَّةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

[٤]وقيلَ: كانَ شافعيًّاً يعرفُ الفِقْهَ. وقيل: كانَ يجمعُ الحَطَبَ، ويجيءُ به إلى بيوتِ الأرامِلِ، ويَمْلأُ لهم بالجَرَّةِ.

[٥]وعنه إنَّه قال: لو أنّ عن يميني جماعةً يُروِّحوني بمراوح النَّدِّ والطيبِ، وهم أقربُ الناسِ إليَّ، وعن يساري مثلهم يقرضون لحمي بمقاريضَ وهم أبغضُ الناسِ إليّ، ما زاد هؤلاءِ عندي، ولا نقص هؤلاء عندي بما فعلوه، ثم تلا: ﴿لكيلا تَأْسَوْا على ما فاتَكُمْ ولا تَفْرَحُوا بما آتاكُمْ﴾ (الحديد: ٢٣).

[٦]وقيل: أُحْضِرَ بين يديهِ طبقُ تمرٍ، فبقي يُنقِّي لنفسِهِ الحشَفَ يأكلُه، ويقول: أنا أحقُّ بالدُّونِ، فإنّي مثلُه دونٌ.

[٧]وكان لا يجمعُ بين لبسِ قميصين، ولا يأكلُ إلا بعدَ يومين أو ثلاثةٍ أكلةً، وإذا غسلَ ثوبَه، ينزلُ في الشَّطِّ كما هو قائمٌ يفركُهُ، ثم يَقِفُ في الشمسِ حتى ينشَفَ، وإذا ورد ضَيْفٌ، يدورُ على بيوتِ أصحابه يجمعُ الطعامَ في مئزرٍ.

[٨]وكان لا يقومُ للرؤساءِ، ويقولُ: النَّظَرُ إلى وجوهِهم يُقَسِّي القلبَ.

وكانَ كثيرَ الاستغفارِ، عاليَ المقدارِ، رقيقَ القلبِ، غزيرَ الإخلاص.

توفيَ سنةَ ثمانٍ وسبعينَ وخمس مئةٍ رحمه الله.[1]

٩٠٨ ابنُ عبدِالمُؤمِنِ[2]

السلطانُ الكبيرُ، أبــو يعقـوب يوسف ابنُ السلطانِ عبدِالمؤمنِ بن عليٍّ، صاحبُ المغربِ.

تملَّكَ بعد أخيه المخلوعِ محمدٍ لطيشِهِ، وشُربهِ الخمرَ، فَخُلِعَ بعدَ شهرٍ ونصفٍ، وبُويعَ أبو يعقوب، وكانَ شيخاً مليحاً، أبيض بِحُمْرةٍ، مستديرَ الوجهِ، أفـوهَ، أعينَ، تامَّ القـامـةِ، حُلْوَ الكلام فصيحاً، حُلْو المفاكهة، عارفاً باللغةِ والأخبارِ والفقه، متفنّناً، عاليَ الهمَّةِ، جواداً، مهيباً، شجاعاً، خليقاً للملك.

قال عبــدُالـواحـد بنُ علي التَّميمي: صحَّ عنـدي أنَّـه كان يحفظُ أحـدَ الصحيحين، أظنُّه البخاريَّ.

قال: وكانَ سديدَ الملوكيَّةِ، بعيدَ الهمَّةِ، جواداً، استغنى الناسُ في أيامِهِ، ثم إنـه نَظَر في الـطبِّ والفلسفـةِ، وحفظ أكثـرَ كتابِ «الملكي» وجمع كتبَ الفلاسفةِ، وتطلَّبَها من الأقطارِ، وكان يصحَبُه أبوبكرٍ محمدُ بن طُفَيْلٍ الفيسلوفُ فكان لا يصبرُ عنه.

وفي وسط أيامه خرج عليه سَبُعُ بن حيّان ومَزدَغْ في غُمارَة[3]، فحاربهما،

---

(١) وقال المؤلف في (العبر) بعد هذا المدح الكثير: (ولكن أصحابه فيهم الجيد والرديء، وقد كثر الزغل فيهم وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتار العراق من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيات، وهذا لا عرفه الشيخ ولا صلحاء أصحابه، فنعوذ بالله من الشيطان) (٤/٢٣٣). وقال في (تاريخ الإسلام): ولهم أحوال عجيبة من أكل الحيات حية، والنزول في التنانير وهي تتضرم ناراً، والدخول إلى الأفرنة، وينام الواحد منهم في جانب الفرن، والخباز يخبز في الجانب الآخر، وتوقد لهم النار العظيمة، ويقام السماع فيرقصون عليها إلى أن تنطفيء.

(٢) انظر السير: ٢١/ ٩٨-١٠٣

(٣) اسم القبيلة التي ثار فيها سبع بن حيان، وقال عبدالواحد: (والقبيلة المذكورة لا يكاد يحصرها ولا يحدها حزر لكثرتها).

وأسرهما، ودخل الأندلسَ في سنةِ سبعٍ وستين للجهادِ، ويُضمْر الاستيلاءَ على باقي الجزيرة، فجهَّزَ الجيشَ إلى محمدِ بن سعدِ بن مَرْدنيش، فالتفوْا بقربِ مُرْسيَةَ، فانكسر محمدٌ، ثم ضايقَهُ المُوحِّدون بمرسيةَ مدةً، فماتَ، وأخذ أبو يعقوبَ بلادَه، ثم سار، فنازَلَ مدينةَ وَبْذَى فحاصرها أشهراً، وكادوا أن يُسلموها من العطش، ثم استَسْقَوا ـ لعنهم الله ـ فسُقُوا، وامتلأت صهاريجُهم، فَرَحَلَ، وهادَنَ الفُنش، وأقامَ بإشبيلية سنتين ونصفاً، ودانت له الأندلس، ثم رجع الى السُّوس سنة ٥٧١ لتسكنَ فتنٌ وقعتْ بين البربر.

وكان فقيهاً يتكلَّمُ في المذاهب ويقولُ: قولُ فلانٍ صوابٌ، ودليلُهُ من الكتابِ والسنةِ كذا وكذا.

[١] قال عبدُالواحد: لما تجهَّزَ لغزوِ الرومِ ، أمر العلماءَ أن يجمعوا أحاديثَ في الجهادِ تُمْلى على الجُنْدِ، وكانَ هو يُمْلي بنفسِهِ، وكبارُ المُوحِّدينَ يكتبونَ في ألواحِهِم. وكان يُسهِّلُ عليه بذلَ الأموالِ سَعَةُ الخراجِ ، كانَ يأتيهِ من إفريقيةَ في العـام مئةٌ وخمسـونَ وَقْـرَ بغلٍ . واستنفر في سنةِ تسعٍ وسبعين أهلَ السهلِ والجبلِ والعربِ، فعبر إلى الأندلسِ ، وقصدَ شَنْتَرِيْنَ بيد[1] ابن الرِّيقِ لعنَهُ الله، فحاصرها مدةً، وجاءَ البردُ فقال: غداً نترحَّل، فكان أول من قوَّض مُخيَّمه عليُّ ابن القاضي الخطيب، فلما رآهُ الناسُ، قَوَّضُوا أخبيتَهم، فكثُرُ ذلك، وعبر لَيْلَئِذٍ العسكـرُ النهـرَ، وتقدَّموا خوفَ الازدحام، ولم يدرِ بذلك أبو يعقوب، وعرفت الرُّوم، فانتهزوا الفرصَةَ، وبرزوا، فحملوا على الناسِ ، فكشفوهم، ووصلوا إلى مُخيَّمِ السلطان، فَقُتِـلَ على بابِهِ خلقٌ من الأبطالِ ، وخُلِصَ إلى السلطان، فطُعِنَ تحت سرتِهِ طعنةً ماتَ بعد أيام منها، وتدارك الناس، فهزموا الرومَ إلى البلد، وهرب الخطيبُ، ودخل إلى صاحبِ شَنْتَرِينَ، فأكرمه، واحترمَهُ، ثم أخذ يكاتبُ المسلمين، ويدلُّ على عورةِ العدوِّ، فأحرقُوهُ، ولم يسيروا بأبي يعقوبَ

(١) يعني : التي بيد.

إلا ليلتين، وتوفِّي، وصُلِّي عليه، وصُبِّر في تابوت، وبُعِثَ إلى تينملّ،[1] فدفن مع أبيه وابنِ تومرت.

مات سنةَ ثمانين وخمس مئةٍ، وبايعوا ابنه يعقوب.

٩٠٩ أبـو مُـوسى المَـدِيْنِـيّ[2]

[١]الإمامُ العَلَّامة، الحافظُ الكبيرُ، الثِّقَةُ، شيخُ المحدِّثين، أبو موسى محمد بنُ أبي بكرٍ عُمَرَ بن أبي عيسى أحمدَ بنِ المَدِيْنِيِّ الأصبهانِيِّ الشافعيُّ صاحبُ التصانيفِ.

مَوْلِدُهُ سنةَ إحدى وخمس مئة.

[٢]وقال عبدُالقادر الحافظ: له التصانيف التي أربَى فيها على المُتقدِّمين، مع الثّقةِ، والعفّةِ، كانَ له شيءٌ يسيرٌ يتربَّحُ به، ويُنْفِقُ منه، ولا يقبلُ من أحدٍ شيئاً قطُّ، أوصى إليهِ غيرُ واحدٍ بمالٍ، فيردُّهُ، فكانَ يُقالُ له: فَرِّقْهُ على مَنْ تَرَى، فيمتنعُ، وكان فيهِ من التَّواضعِ بحيثُ إنَّه يُقرىء الصغيرَ والكبيرَ، ويُرْشِدُ المُبتدىءَ، رأيتُه يُحَفِّظُ الصبيانَ القرآنَ في الألواحِ، وكان يمنَعُ من يمشي معه، فَعَلْتُ ذلك مرَّةً، فزجرني، وتردَّدتُ إليهِ نحواً من سنةٍ ونصفٍ، فما رأيتُ منهُ، ولا سَمِعتُ عنهُ سقطةً تُعابُ عليه.

وكان أبومسعود كُوتاه يقولُ: أبو موسى كَنْزٌ مَخْفِيٌّ.

[٣]قال الحُسينَ بن يَوْحن الباورّي: كنتُ في مدينةِ الخانِ،[3] فسألني سائلٌ عن رؤيا، فقال: رأيتُ كأن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تُوُفِّي، فقال: إنْ صَدَقَتْ

(١) جبال بالمغرب بينها وبين مراكش ثلاثة فراسخ.

(٢) انظر السير: ٢١/ ١٥٢-١٥٩.

(٣) الخان: موضع بأصبهان.

رؤياكَ، يمـوتُ إمامٌ لا نظيرَ لَهُ في زمانِهِ، فإنَّ مثلَ هذا المنام رُئيَ حالَ وفاةِ الشـافعيِّ والثوريِّ وأحمدَ بنِ حنبل، قال: فما أمسينا حتَّى جاءنا الخَبرُ بوفاةِ الحافظِ أبي موسى المَديْنِيِّ.

[١]وعن عبدِالله بنِ محمّدٍ الخُجَنْدِيِّ، قال: لما ماتَ أبو موسى، لم يكادوا أنْ يفرغوا منه، حتى جاءَ مطرٌ عظيمٌ في الحرِّ الشديدِ، وكانَ الماءُ قليلاً بأصبهانَ، فما انفصلَ أحدٌ عن المكانِ مع كثرةِ الخلقِ إلَّا قليلاً، وكانَ قد ذكرَ في آخرِ إملاءٍ أملاهُ: أنَّهُ مَتَى مات مَن لَهْ منزلةٌ عندَ الله، فإنَّ الله يبعثُ سحاباً يومَ موتهِ علامَةً للمغفرةِ له، ولمن صَلَّى عليهِ.

سَمِعْتُ شيخَنـا العلاَّمَةَ أبا العبَّاس[١] بنَ عبدِالحليمِ يُثني على حفظِ أبي موسى ويُقدِّمه على الحافظِ ابنِ عساكر باعتبارِ تصانيفِه ونفعِها.

توفِّي أبو موسى في سنة إحدى وثمانين وخمس مئةٍ.

قلت: كانَ حافظَ المشرقِ في زمانِه.

---

(١) هو شيخ الإسلام ابن تيمية.

الطبقة الحادية والثلاثون

٩١٠ الحـــازمـــيُّ[1]

[١]الإمامُ الحافِظُ، الحُجةُ الناقِدُ، النَّسّابَةُ البارعُ، أبوبكرٍ محمّدُ بنُ موسى بن عثمان الحَازِميُّ الهَمَذَانِيُّ.

مولِدُه في سنةِ ثمانٍ وأربعين وخمس مئة.

قال أبوعبدِالله الدُّبَيْثِيُّ: تفقَّهَ ببغدادَ في مذهبِ الشافعيِّ، وجالسَ العلماءَ، وتَمَيَّز، وفهمَ، وصارَ من أحفظِ الناسِ للحديثِ ولأسانيدِه ورجالِه، مع زُهْدٍ، وتَعَبُّدٍ، ورياضةٍ، وذِكْرٍ.

له كتاب في «الناسخ والمنسوخ» دالٌّ علي إمامَتِه في الفقهِ والحديثِ ليس لأحدٍ مثلُه.

[٢]قال ابنُ النَّجَّار: سمعت أبا القاسم المُقرىء جارنا يقولُ، وكان صالحاً: كان الحازميُّ رحمه الله في رباط البَدِيع، فكان يدخل بيتَه في كل ليلةٍ، ويطالعُ، ويكتبُ إلى طلوعِ الفجرِ، فقال البديعُ للخادم: لا تدفعْ إليه الليلةَ بزراً للسِّراجِ لعله يستريحُ الليلةَ. قال: فلما جَنَّ اللّيلُ، اعتذرَ إليه الخادمُ لأجلِ انقطاعِ البزرِ، فدخل بيتَه، وصفَّ قَدَمَيْهِ يُصلِّي، ويتلو، إلى أن طلعَ الفجرُ، وكان الشيخُ قد خرج ليعرفَ خبرَه، فوجده في الصلاةِ.

ماتَ أبوبكرٍ الحازميُّ سنةَ أربع وثمانين وخمس مئة، وله ستٌّ وثلاثون سنة.

(١) انظر السير: ٢١/ ١٦٧-١٧٢.

٩١١ سـنـان(١)

[١] راشدُ الدين، كبيرُ الإسماعيليةِ وطاغوتُهم، أبو الحَسَنِ سنانُ بنُ سَلْمانَ بنِ محمَّدٍ البَصْرِيُّ الباطِنيُّ، صاحبُ الدَّعوةِ النِّزاريَّةِ.

[٢] قلتُ: الدعوةُ النِّزاريَّةُ نسبة إلى نِزار ابنِ خليفةِ العُبَيْديَّةِ المستنصرِ، صيَّره أبوه وليَّ عهده، وبثَّ له الدُّعَاةَ، فمنهم صَبَّاح جدُّ أصحاب الألَمُوتِ، أحدُ شياطينِ الإنسِ، ذو سَمْتٍ، وذلقٍ، وتَخَشُّعٍ، وتَنَمُّسٍ، ولـه أتباعٌ. دَخَلَ الشامَ والسواحلَ في حدودِ ثمانين وأربع مئة، فلم يتمَّ له مرامُهُ، فسارَ إلى العجم، وخاطبَ الغُتْمَ (٢) الصمَّ، فاستجاب له خلقٌ، وكَثُرُوا، وأظهروا شغلَ السكِّين والوثوبَ على الكبارِ، ثم قَصَدَ قلعةَ الألموتِ بقَزْوينَ، وهي منيعةٌ بأيدي قومٍ شجعان، لكنَّهم جَهَلةٌ فُقراء، فقال لهم: نحنُ قومٌ عُبَّادٌ مساكينُ، فأقاموا مُدَّةً، فمالوا إليهم، ثم قال: بِيْعُونا نصفَ قلعتِكم بسبعةِ آلافِ دينار، ففعلوا، فدخلوها، وكثروا، واستولى صبَّاح على القلعةِ، ومَعَهُ نحوُ الثلاث مئة، واشتهر بأنَّه يُفْسِدُ الدِّين، ويحلُّ من الإيمان، فنهد له ملكُ تلك الناحيةِ، وحاصر القلعةَ مع اشتغاله بلعبِهِ وسكرِهِ، فقال عليٌّ اليعقوبيُّ من خواصِّ صبَّاح: أيش يكون لي عليكم إذا قتلتُه؟ قالوا: يكون لك ذُكْرانٌ في تسابيحنا، قال: رضيتُ، فأمرهم بالنُّزول ليلاً، وقسَّمهم أرباعاً في نواحي ذلك الجيش، ورتَّب مع كل فرقةٍ طبولاً، وقال: إذا سَمِعْتُم الصيحةَ، فاضربوا الطُّبول، فاختَبَط الجيشُ، فانتهز الفرصَةَ، وهجم على الملكِ فقتَله، وقُتِل، وهربَ العسكرُ، فَحَوَتْ الصَّبَّاحيَّةُ الخيامَ بما حَوَتْ، واستغنَوا، وعظُمَ البلاءُ بهم، ودامت الألموتُ مئةً وستين عاماً، فكان سنان من نُوَّابهم.

---

(١) انظر السير: ٢١/ ١٨٢-١٩٠.

(٢) الغتم: جمع أغتم، وهو الذى لا يفصح شيئاً. وفي (تاريخ الإسلام): وتكلَّم مع أهل الجبال والغتم الجهلة من تلك الأراضي.

فأمَّـا نِزارٌ، فإنَّ عَمَّتُهُ عَمِلَتْ عليهِ[1] وعاهدت الأمراء أن تُقيمَ أخاه صبيّاً، فخافَ نِزارٌ، فهربَ إلى الإسكندرية، وجَرَتْ له أمورٌ وحروبٌ، ثم قُتِلَ، وصار صبَّـاح يقول: لم يَمُتْ، بل اختفى، وسيظهرُ، ثم أحبلَ جاريةً، وقال لهم: سيظهـرُ من بَطْنِهَـا، فأذعنـوا له، واغتالوا أمراءَ وعلماءَ[2]، وخافتهم الملوك، وصانعوهم بالأموال.

[١]وبعث صبَّـاحُ الـداعيَ أبـا محمدٍ إلى الشّام ، ومعه جماعةٌ، فَقَوِيَ أمْرُهُ، واستجاب له الجبليَّةُ الجاهليَّةُ، واستولوا على قلعةٍ من جبل السماقِ.

[٢]ثمَّ هَلَكَ هذا الـداعي، وجـاء بعدَهُ سِنان، فكانَ سخطةً وبلاءً، مُتَنسِّكاً، مُتَخشعـاً، واعـظاً، كان يجلسُ على صخرةٍ كأنَّه صخرةٌ لا يتحركُ منه سوى لسـانِـهِ، فَرَبَـطهم، وغَلَوْا فيه، واعتقـد منهم فيه الإلهيَّةُ، فتبّـاً له ولجهلِهم، فاستغواهم بسحرٍ وسيمياءَ، وكان له كتبٌ كثيرةٌ ومطالعةٌ، وطالت أيامُهُ.

وأما الألَمُوت[3] فوَلِيَها بعد صَبَّاحٍ ابنُه محمَّدٌ، ثم بعده حفيدُهُ الحَسَنُ بنُ محمدٍ الذي أظهرَ شعارَ الإسلامِ ، ونبذ الانحلالَ تَقِيَّةً، وَزَعَمَ أنَّه رأى الإمامَ عليّاً، فأمره بإعادةِ رسومِ الدِّين، وقال لخواصِّهِ: أليسَ الدينُ لي؟ قالوا: بلى، قال: فتـارةً أضَـعُ عليكم التكـاليفَ، وتـارةً أرفضُهـا، قالـوا: سمعنا وأطعنا، واستحضرَ فقهاءَ وقرّاءَ ليُعلموهم.

[٣]نعم، وكـانَ سنان قد عَرِجَ من حجرٍ وَقَعَ عليهِ في الزلزلةِ الكبيرةِ زمنَ نورِ الدين، فاجتمع إليه مُحبُّوهُ على ما حكى الموفَّقُ عبدُاللطيف ليقتلوه، فقال: ولِمَ تقتلوني؟ قالوا: لتعودَ إلينا صحيحاً، فَشَكَرَ لهم، ودعا، وقال: اصبروا عليَّ، ثُمَّ قتلهم بحيلةٍ. ولمـا أراد أن يحلَّهم من الإسـلام، نَزَلَ في رمضـانَ إلى

---

(١) يعني عملت ضده.

(٢) ذكر الذهبي في (تاريخ الإسلام) أن الاغتيال بالسكاكين سنة سنها لهم علي اليعقوبي.

(٣) انظر عن هذه القلعة وتاريخها دائرة المعارف الإسلامية: ٤/٣٧١ (ط. الجديدة).

مَقْثَأةٍ[1]، فأكل منها، فأكلوا معه.

[1] أوصى يوماً أتباعَهُ، فقال: عليكم بالصفاء بعضُكم لبعضٍ، لا يمنعنَّ أحدُكم أخاه شيئاً له، فأخذَ هذا بنتَ هذا، وأخذ هذا أختَ هذا سفاحاً، وسموا نفوسهم الصُّفَاةَ، فاستدعاهم سنان مرةً، وقتل خلقاً منهم.

[٢] قال ابنُ العديم: تمكّن في الحصونِ، وانقادوا له. وأخبرني عليُّ بنُ الهَوّاريّ أن صلاحَ الدين سيَّر رسولاً إلى سنان يتهدَّده، فقال للرسول: سأُريك الرجالَ الذين ألقاه بهم، فأشار إلى جماعةٍ أنْ يَرْمُوا أنفَسَهُم من الحصنِ من أعلاه، فألقوا نُفُوسهَم، فهلكوا.

[٣] قال: وبلغني أنَّه أحلَّ لهم وطءَ أمّهاتِهم وأخواتِهم وبناتِهم، وأسقطَ عنهم صومَ رمضان.

[٤] وكتب سنان إلى صلاح الدين:

يا للرجــالِ لأمرٍ هالَ مقـطـعُـهُ ... ما مـرَّ قـطُّ على سَمْـعي توقُّـعُـهُ
فإذا الــذي بقـراعِ السيفِ هدَّدَنــا ... لا قامَ مَصـرَعُ جَنْبي حين تَصْـرَعُـهُ
قام الـحَـمـامُ إلى البـازى يُهـدِّدُهُ ... واستيقـظَتْ لأُسُـودِ البَـرِّ أضبُعُـهُ

[٥] وقفتُ على تفصيل كتابِكم وجُملهِ، وعلمنا ما هدَّدنا به من قولِهِ وعملِهِ، فيا للهِ العَجَبُ من ذبابةٍ تَطُنُّ في أُذُنِ فيلٍ، وبعوضةٍ تُعَدُّ في التماثيلِ، ولقد قالها مِنْ قَبْلِكَ قومٌ، فدمَّرْنا عليهم، وما كان لهم من ناصرين. أَلِلْحَقِّ تدحضون، وللباطل تَنْصُرون؟! وسَيَعْلَمُ الذين ظلموا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُون. ولئن صَدَرَ قولُك في قطعِ رأسي، وقلعِكَ لِقِلاعي من الجبالِ الرواسي، فتلك أمانيُّ كاذبةٌ، وخيالاتُ غيرُ صائبـةٍ، فإنَّ الجـواهـرَ لا تزولُ بالأعراضِ، كما أنَّ الأرواحَ لا تضحملُّ بالأمراض. وإن عُدْنا إلى الظاهرِ، وعَدَلْنا عن الباطنِ فلنا في رسولِ

(١) المقثأة: الموضع الذي يزرع فيه القثاء.

الله أسوةٌ حَسَنة: (ما أوذِيَ نبيٌّ ما أوذِيْت)[1] وقد علمتَ ما جرى على عترته وشيعَتِه، فالحالُ ما حالَ، والأمر ما زال، وقد علمتم ظاهِرَ حالِنا، وكيفيَّةَ رجالِنا، وما يتمنَّونَهُ من الفَوْتِ، ويتقرَّبونَ به من حياضِ الموتِ، وفي المَثَلِ، أو للبطِّ تُهدِّدُ بالشطِّ؟ فهيِّئْ للبلايا أسباباً، وتَدَرَّعْ للرَّزايا جِلباباً، فلأظْهَرَنَّ عليكَ منكَ، وتكونُ كالباحِثِ عن حتفِه بظلفِه، وما ذلك على الله بعزيز، فكن لأمرنا بالمرصادِ، واقرأْ أوَّلَ النَّحْلِ[2] وآخر صّ.[3]

فدخل السلطان في مرضاة سنان. مات سنان في سنة تسع وثمانين وخمس مئة.

٩١٢ الطَّالْقَانِيُّ[4]

[١] الشيخُ الإمامُ، العَلَّامةُ، الواعظُ، ذو الفنونِ، رضيُّ الدين، أبو الخيرِ أحمدُ ابنُ إسماعيلَ بنِ يوسفَ الطَّالْقَانِيُّ القَزوِينيُّ الشافعيُّ.

مولده بقَزْوِينَ في سنةِ اثنتي عشرةَ وخمس مئة.

[٢] أملَى مجالسَ، ووعظَ، وأقبلوا عليه لحُسْنِ سَمْتِهِ، وحلاوةِ مَنْطِقِهِ، وكثرةِ محفوظاتهِ، وكَثُرَ التعصُّبُ له من الأمراءِ والخواص، وأحبَّه العَوَامُّ، وكان يجلسُ بجامعِ القصرِ، وبالنظاميَّةِ، وتَحضُرُهُ أُمَمٌ، وكان كثيرَ العبادةِ والصلاةِ، دائمَ الذِّكرِ، قليلَ المأكلِ، يشتملُ مجلسُه على التفسيرِ والحديثِ والفقهِ وحكاياتِ الصَّالحين بلا سجعٍ ولا تزويقٍ ولا شعرٍ. وهو ثقةٌ في روايتِه، وقيلَ: كان يختم كلَّ يومٍ مع دوامِ الصَّومِ، ويُفْطِرُ على قرصٍ واحدٍ.

---

(١) روي بأسانيد ضعيفة من حديث أنس وبريدة وجابر، انظر (الجامع الصغير) وشرحه ٥/ ٤٣٠-٤٣١.

(٢) «أتى أمر الله...».

(٣) «ولتعلمن نبأه بعد حين».

(٤) انظر السير: ٢١/ ١٩٠-١٩٣.

تُوفِّيَ في سنة تسعين وخمس مئة.

وقال الحافظُ عبدالعظيم: حكى غيرُ واحدٍ أنَّه كانَ لا يزالُ لسانُه رَطْباً من ذكرِ الله.

قال أبو الخير: هو أوّلُ من وعظ بباب بدرٍ الشريف.

قلتُ: هذا موضعٌ كان ربَّما حَضَرَ فيه وعْظَهُ الخليفةُ المستضيءُ من وراءِ السِّتْرِ وتحضُرُ الأمَمُ، فكانَ هو يَعظُ مَرَّةً وابنُ الجوزيِّ مرةً.

قالَ المُوَفَّقُ: كان يعملُ في اليومِ والليلةِ ما يعجزُ المجتهدُ عنْهُ في شهرٍ، [١] وظهرَ التشيُّعُ في زمانِه بسببِ الصاحبِ، فالتمسَ العامَّةُ منه على المنبرِ يومَ عاشوراءَ أن يلعن يزيدَ، فامتنع، فهمُّوا بقتلِهِ مراتٍ، فلم يُرَعْ، ولا زَلَّ، وسارَ الى قَزْوِيْنَ، وضَجَعَ[(١)] لهم ابنُ الجوزيّ.

٩١٣ ابن قائد[(٢)]

[٢] القُدوةُ العارفُ، أبو عبدِالله محمَّدُ بن أبي المعالي بن قايدٍ الأوَانِيُّ.

زاهدٌ، خاشعٌ، ذو كراماتٍ، وتألُّهٍ، وأورادٍ، أُقْعِدَ مدةً.

[٣] قَدِمَ أوَاناً[(٣)] واعظٌ باطنيٌّ، فنالَ من الصحابةِ، فحُمِلَ هذا في مِحفَّتِهِ، وصاحَ به: يا كلبُ انزِلْ، ورجمتْهُ العامَّة، فهربَ، وحَدَّثَ سناناً[(٤)] بما تمَّ عليهِ، فَنَدَبَ له اثنين فأتياه، وتعبَّدا معه أشْهُراً، ثم قتلاه، وقتلا خادمه، وهربا في البساتين، فنكِرَهما فلاحٌ، فقتلهما ثم تيقّن أنهما اللذان قتلا الشيخ بصفتهما ثم أُحرِقا.

---

(١) أي مال إليهم ووافقهم.

(٢) انظر السير: ٢١/ ١٩٥.

(٣) قرية من نواحي دجيل شمالي بغداد مما يلي الموصل.

(٤) يعني راشد الدين سنان بن سلمان كبير الإسماعيلية.

٩١٤ الخَبُوشَانيّ(١)

[١] الفقيهُ الكبيرُ، الزاهدُ، نجمُ الدِّينِ، أبو البركاتِ محمد بنُ موفَّقِ بنِ سعيدٍ، الخَبُوشَانِيُّ، الشافعيُّ، الصوفيُّ.

قال المُنْذِرِيُّ: وُلِدَ سنةَ عشرٍ وخمسِ مئة، قَدِمَ مصرَ فأقامَ بمسجدٍ مدةً، ثم بتربةِ الشافعيِّ، وتبتَّلَ لإنشائها، ودرَّس بها، وأفتى وصنَّف. وخُبُوشان من قُرى نَيْسابورَ.

قال ابنُ خَلِّكان: كانَ السلطانُ صلاحُ الدِّين يُقرِّبُهُ، ويعتقدُ فيهِ، ورأيتُ جماعةً من أصحابِهِ، فكانوا يَصِفُونَ فضلَهُ ودينَهُ وسلامَةَ باطنِهِ.

[٢] وقال الموفَّقُ عبدُاللطيف: سكنَ السُّمَيْساطيةَ، وعرفَ الأميرَ نجمَ الدين أيوب، وأخاه، وكان قشفاً في العيش، يابساً في الدِّينِ، وكانَ يقولُ: أصعدُ إلى مصرَ، وأزيل ملك بني عُبيد اليهوديِّ، إلى أن قالَ: فنزلَ بالقاهرةِ، وصرَّح بثلبِ أهلِ القصرِ، وجعلَ سبَّهم تسبيحَهُ، فحاروا فيه، فنفذوا إليهِ بمالٍ عظيمٍ قيلَ: أربعة آلافِ دينارٍ، فقال للرسول: ويلَكَ، ما هذه البدِعة؟! فأعجلَهُ، فرمى الذَّهبَ بين يديه، فَضَرَبَهُ وأنزله من السلم.

[٣] وماتَ العاضِد، وتهيَّبوا الخطبةَ لبني العباس، فوقف الخُبُوشانِيُّ بعصاهُ قُدّامَ المِنبرِ، وأمر الخطيبَ بذلك، فَفَعَلَ، ولم يكنْ إلاّ الخَيْرُ، وَزُيِّنَتْ بغدادُ. ولمَّا بَنَى مكانَ الشَّافعيِّ، نَبَشَ عظامَ ابنِ الكِيْزانِيّ، وقال: لا يكونُ صِدِّيْقٌ وزِنْدِيقٌ معاً، فَشَدَّ الحنابلةُ عليهِ، وتألَّبُوا، وصار بينهم حملاتٌ حربيةٌ وغَلَبَهم.

[٤] وقيل: التمسَ من السلطانِ إسقاطَ ضرائبَ لا يمكن إسقاطها، وساء خلقه، فقال: قمْ لا نَصَرَكَ الله! ووكَزَهُ بعصاه، فوقَعَتْ قلنسوته، فوجم لذلك، ثم حضر

---

(١) انظر السير: ٢١/ ٢٠٤-٢٠٧.

وقْعَةً، فكُسِر، فظنَّ أنَّه بدعائِهِ، فجاء وقبَّلَ يديه، وسأله العفوَ.

[١] وجاءه حاجبُ نائبِ مصرَ المظفرِّ تقيِّ الدِّين عُمَرَ، وقال له: تقيُّ الدِّين يُسلِّمُ عليكَ. فقال الخُبُوشاني قل: بل شَقِيُّ الدِّين لا سَلَّم الله عليه، قال: إنَّه يعتذرُ، ويقولُ: ليسَ لهُ موضعٌ لبيعِ المِزْرِ.[1] قال: يكذبُ. قال: إن كان ثَمَّ مكانٌ، فأرِناه. قال: ادْنُ، فدنا فأمسكَ بشعره، وجعلَ يلطِمُ على رأسِهِ، ويقولُ: لستُ مَزّاراً فأعرفَ مواضع المِزْرِ، فخلَّصوه منه.

[٢] وعاش عُمُرَهُ لم يأخذْ درهماً لِمَلكٍ، ولا من وقْفٍ، ودفنَ في الكساءِ الذي صحبه من بلدِه، وكانَ يأكلُ من تاجرٍ صَحِبَهُ من بلدِهِ.

[٣] وأتاه القاضي الفاضلُ لزيارةِ الشافعيِّ، فرآه يُلقي الدرسَ، فجلسَ وجَنْبُه إلى القبْرِ، فصاحَ: قُمْ قُمْ، ظهرُكَ إلى الإمامِ؟ فقال: إنْ كنتُ مُسْتَديرَهُ بقالبي، فأنا مستقبلُه بقلبي. فصاح فيه، وقال: ما تُعُبِّدْنا بهذا، فخرجَ وهو لا يَعْقِل.

قلتُ: ماتَ الخَبُوشانيُّ سنةَ سبعٍ وثمانينَ وخمس مئةٍ.

٩١٥ السُّهْرَوَرْدِيّ[2]

[٤] العلامةُ، الفيلسوف السِّيماوِيُّ المنطقيُّ، شهابُ الدين يحيى بن حَبَش السُّهْرَوَرْدِيُّ، من كانَ يَتوقَّدُ ذكاءً، إلا أنَّه قليلُ الدِّين.

وقال ابنُ أبي أصيبعة: اسمُه عُمر، وكانَ أوحدَ في حكمةِ الأوائلِ، بارعاً في أصول الفقه، مَفرطَ الذكاءِ، فصيحاً، لم يُناظِرْ أحداً إلَّا أرْبى عليه.

(١) المزر: بكسر الميم، نبيذ يتخذ من الذرة، وقيل: من الشعير أو الحنطة كما في النهاية لابن الأثير: ٤/ ٣٢٤ وكأنه يشبه (البيرة) في أيامنا. وكان لتقي الدين عمر ابن أخي السلطان صلاح الدين مواضع يباع فى المزر على ما قيل، فكتب الشيخ الخبوشاني ورقة إلى صلاح الدين يذكر له هذا، فسيرها صلاح الدين إلى ابن أخيه وطلب منه إرضاء الشيخ، فركب إليه، وطلب منه حاجبه أن يقف بباب مدرسة الخبوشاني ريثما يهيء له الأمور فتحادث مع الشيخ بهذا الحديث المذكور.

(٢) انظر السير: ٢١/ ٢٠٧-٢١١.

[١] وقال ابن أبي أصيبعةَ: وحدَّثني إبراهيمُ بنُ صدقةَ الحكيمُ، قال: خَرَجْنا من بابِ الفرجِ معَهُ، فذكرنا السِّيمياءَ، فقال: ما أحسنَ هذه المواضعَ، فنظرنا من ناحيةِ الشرقِ جواسَقَ مبيضةً كبيرة مزخرفةً، وفي طاقاتِها نساءٌ كالأقمارِ ومغاني، فتعجَّبنا، وانذهلنا، فبقينا ساعةً، وعدنا إلى ما كنَّا نعهده، إلا أنِّي عنْدَ رؤيةِ ذلك بقيتُ أُحِسُّ من نفسي كأنني في سنةٍ خفيَّةٍ، ولم يكن إدراكي كالحالة التي أتحقَّقها مني. وحدثني عَجَمِيٌّ قال: كنا مع السُّهْرَوَرْدِيِّ بالقابون،[١] فقُلنا: يا مولانا، نُريد رأس غنم، فأعطانا عشرة دراهم، فاشترينا بها رأساً، ثم تنازعنا نحن والتركماني،[٢] فقال الشيخُ: روحوا بالرأسِ، أنا أُرضيهِ، ثم تَبِعَنا الشيخ، فقال التركمانيّ: أرْضِني، فما كلَّمه، فجاءَ، وجذبَ يَدَهُ، فإذا بيدِ الشيخِ قد انخلعت من كَتِفِهِ، وبقيت في يد ذاك، ودَمُها يَشخَبُ، فرماها، فأخذ الشيخُ يدَه باليد الأخرى، وجاء.

وله كتاب «التلويحات اللوحية والعرشية»، وكتاب «اللَّمْحة» وكتاب «هياكل النور»، وكتاب «المعارج والمطارحات»، وكتاب «حكمة الإشراق»، وسائرها ليست من علوم الإسلام.

قال ابنُ خلِّكان: وكان يُتَّهَمُ بالانحلالِ والتعطيلِ، ويعتقدُ مذهبَ الأوائلِ اشتهر ذلك عنه، وأفتى علماء حلب بقتلهِ.

قلت: أحسنوا وأصابوا.

[٢] قال الموفَّقُ يعيشُ النحويّ: لما تكلموا فيه، قال له تلميذُه: إنَّك تقول: النبُّوةُ مُكْتَسبةٌ، فانزحْ بنا، قال: حتى نأكلَ بطيخَ حلب، فإنّ بي طرفاً من السِّلِّ، ثم خرجَ إلى قريةٍ بها بطيخ، فأقمنا أياماً، فجاء يوماً إلى مَحْفرةٍ فَحَفَرَ حتَّى ظَهَر له حصىً، فدهَنهُ بدهنٍ معَهُ، ولفَّهُ في قطنٍ، وحَمَلَهُ في وسطِهِ أياماً، ثم ظَهَر

---

(١) قرية على باب دمشق في طريق من يتوجه إلى حلب.

(٢) صاحب الغنم.

كُلُّه ياقوتاً أحمر، فباع منه، ووهَبَ أصحابَهُ، ولما قُتِلَ كانَ مَعَهُ مِنْهُ.

قلتُ: كان أحمقَ طيّاشاً مُنحلاً.

قُتِلَ في أوائلِ سنة سِبعٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ.

٩١٦ الجُـوَيْـنِيُّ(١)

[١]الكاتبُ المجوِّدُ الأوحَدُ، أبو عليٍّ حسنُ بن عليٍّ الجُوَيْنِيُّ، الأديبُ الشاعرُ، ويُعرفُ بابنِ اللعيبةِ.

قال العمادُ: هو من أهلِ بغدادَ، لهُ الخَطُّ الرائقُ، والفَضْلُ الفائقُ، واللفظُ الشائقُ، له فصاحةٌ ولَسَنٌ، وخطُّه كاسمِهِ حسنٌ، من نُدماءِ الأتابكِ زنكيٍّ، ثم سافرَ إلى مصرَ، وليسَ بها من يكتُبُ مثلَهُ.

قلتُ: مدح صلاحَ الدِّينِ والفاضلَ.

[٢]قال العمادُ: حدَّثني سَعْدٌ الكاتبُ بمصرَ، قال: كانَ الجُوَيْنِيُّ صديقي، وكان يشرب الخَمْرَ، فحدَّثني أنه كانَ يكتبُ مصحفاً، وبين يديه مِجْمَرَةٌ وقنينةُ خمرٍ، ولم يكنْ بقربي ما أندِّي به الدواةَ، فَصَبَبْتُ من القنينةِ في الدواةِ، وكتبتُ وجهةً، ونشَّفْتُها على المِجْمَرَة، فصعدتْ شرارةٌ أحْرَقَتِ الخطَّ دونَ بقيةِ الورقةِ، فرعبتُ، وقمتُ، وغسلتُ الدواةَ والأقلامَ، وتبتُ إلى الله.

مات سنةَ سّتٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ.

---

(١) انظر السير: ٢١/ ٢٣٣-٢٣٤.

٩١٧ الحَجْرِيّ[1]

[١]الشيخُ الإمامُ، العَلاَّمَةُ المُعَمَّرُ، المُقرىء المُجَوِّد، المُحَدِّثُ الحافظُ، الحُجَّة، شيخُ الإسلامِ، أبو محمّدٍ عبدُالله بنُ محمدِ بن عليِّ بنِ عبدالله بنِ عبيدِالله الزُّعَيْنيُّ، الحَجْرِيُّ، الأندلسيُّ المَرِّيُّ، المالكيُّ، الزاهدُ، نزيلُ سَبْتَة.

وُلِدَ سنةَ خمسٍ وخمس مئةٍ.

قَالَ الأبّار: كانَ غايةً في الورعِ والصلاحِ والعدالةِ. وَلِيَ خطابَةَ المَرِيَّةِ، ودُعِيَ إلى القضاءِ، فَأَبى، ولما تَغَلَّبَ العدوُّ، نزحَ إلى مُرْسِيَةَ، وضاقتْ حالُه، فتحوَّلَ إلى فاس، ثم إلى سَبْتَةَ، فتصدَّر بها، وبَعُدَ صِيتُهُ، ورَحَلَ إليه النَّاسُ، وطُلبَ إلى السلطانِ بمـرّاكُش ليأخذَ عنه، فبقِيَ بها مُدَّةً، ورَجَعَ، سَمِعتُ أبا [٢]الربيعِ بنَ سالمٍ يقولُ: صادَفَ وقتَ وفاتِهِ قحطٌ، فلما وضِعَتْ جنازتُهُ، توسَّلوا به إلى الله، فسُقُوا، وما اختلف الناسُ إلى قبرهِ مدة الأسبوع إلاّ في الوَحَل.

وكان ابن حُبَيْشٍ شيخُنا كثيراً ما يقولُ: لم تُخْرِجِ المَرِيَّةُ أفضلَ منه، وكان زماناً يُخْبِرُ أنه يموتُ في المحرَّم لرؤيا رَآها، فكان كلَّ سنةٍ يَتهيَّأ.

[٣]وقـال ابنُ فَرْتُون: ظَهرَت لأبي محمدِ بنِ عُبيدِ الله كراماتٌ، حدَّثنا شيخُنا الـراويةُ محمَّـدُ بنُ الحَسَنِ بنِ غازٍ، عن بنتِ عمِّهِ ـ وكانتْ صالحةً، وكانت استُحيْضَتْ مُدَّةً ـ قالت: حُدِّثْتُ بموتِ ابنِ عُبيدِالله، فشقَّ عليَّ أنْ لا أشهدَهُ، فقلتُ: اللَّهُمَّ إنْ كانَ وليّاً، من أوليائِك، فأمْسِكْ عنِّي الدَّمَ حتى أصلِّيَ عليه، فانقطع عني لوقته، ثم لم أرَهُ بعْدُ.

مات ابنُ عبيدِالله في المحرَّم سنة إحدى وتسعين وخمس مئة، وكانت جنازَتُهُ مشهودةً بسبتةَ.

---

(١) انظر السير: ٢١/ ٢٥١-٢٥٤.

وقال ابنُ سالمٍ: إذا ذُكِرَ الصالحون، فحي هلا بابنِ عُبَيْدِالله.

[١] وكانَ أهلُ سبتةَ يَتَغالوْنَ فيهِ، ويتبرّكُونَ برؤيتِهِ، رحمه الله.

٩١٨ ابن فَضْلانَ(١)

[٢] شيخُ الشافعيَّة، أبو القاسمِ يحيى الواثقُ بنُ عليٍّ بنِ الفضلِ، البغداديُّ.

مِولِدُهُ سنةَ سبعَ عشرةَ وخمسِ مئةٍ.

[٣] وكان بارعاً في الخلافِ والنظرِ، بصيراً بالقواعدِ، ذكيّاً، يقظاً، لبيباً، عذبَ العبارةِ، وجيهاً، مُعَظَّماً، كثيرَ التلامذةِ، وقع في السَّفَرِ، فانكسرَ ذراعُهُ، وصارتْ كَفَخِذِهِ، ثم أدَّتْهُ الضرورةُ إلى قطعِها من المِرْفقِ، وعَمِلَ محضراً بأنَّها لمْ تُقطَعْ في ريبةٍ. فلمّا ناظرَ المُجيرَ مرةً، وكانَ كثيراً ما ينقطعُ في يدِ المجيرِ، فقال: يُسافرُ أحدُهُمْ في قطعِ الطريقِ، ويدّعي أنَّه كانَ يشتغلُ، فأخرج ابنُ فَضْلَانَ المحضَرَ، وأخذ يُشنِّع على المُجِيْرِ بالفلسفةِ.

[٤] وكان ابنُ فَضْلانَ ظريفَ المناظرةِ، ذا نغماتٍ موزونةٍ، يشيرُ بيدِهِ بوزنٍ مطربٍ أنيق، يَقِفُ على أواخرِ الكلمِ خوفاً من اللحن. قاله الموفَّقُ عبدُاللطيف، ثم قال: وكان يداعِبُني كثيراً، ثم رُمي بالفالجِ في أواخرِ عُمُرِهِ رَحمهُ الله.

ماتَ سنةَ خمسٍ وتسعينَ وخمسِ مئة.

٩١٩ الشاطبيُّ(٢)

[٥] الشيخُ الإمامُ، العالمُ، القدوةُ، سيِّدُ القرَّاءِ، أبو محمدٍ، وأبو القاسمِ القاسمُ

(١) انظر السير: ٢١/ ٢٥٧-٢٥٨.

(٢) انظر السير: ٢١/ ٢٦١-٢٦٤.

بنُ فِيرُّه بنِ خَلَفِ الرُّعَيْنِيُّ، الأندلسيُّ، الشَّاطِبِيُّ، الضرير، ناظمُ «الشاطبيَّةِ» و «الرائيَّةِ».

مَن كَنَّاه أبا القاسم كالسَّخَاوِيّ وغيرِه، لم يجعلْ له اسماً سواها. والأكثرون على أنَّه أبو محمدٍ القاسمُ.

وُلِدَ سنةَ ثمانٍ وثلاثين وخمس مئةٍ.

كان يتَّوقدُ ذكاءً، لهُ الباعُ الأطولُ في فنّ القراءاتِ والرَّسم، والنحوِ والفقهِ والحديثِ، وله النظمُ الرائقُ، مع الوَرَعِ والتقوى والتَّألُّهِ والوقارِ.

استوطن مصرَ، وتَصَدَّرَ، وشاعَ ذكرُهُ.

[١]قال أبوشامةَ: أخبرنا السخاويُّ: أنَّ سَبَبَ انتقالِ الشاطبيِّ من بلدِه أنَّهُ أُرِيدَ على الخطابةِ، فاحتجَّ بالحجِّ، وتركَ بلدَهُ، ولم يُعَد إليه تورُّعاً مما كانوا يُلْزِمونَ الخطباءَ من ذكرِهم الأُمراءَ بأوصافٍ لم يَرَها سائغةً، وصبرَ على فقرٍ شديدٍ.

قال السَّخَاوِيُّ: أقطعُ بأنَّه كانَ مكاشَفاً، وأنَّه سأَلَ الله كفَّ حاله.

قال الأبّار: تصدّرَ بمصرَ، فعظُمَ شأنُه، وبعُدَ صيتُهُ، انتهتْ إليهِ رياسةُ الإقراءِ، وتوفِّي بمصرَ سنةَ تسعينَ وخمس مئةٍ.

وجاءَ عنه قال: لا يقرأُ أحدٌ قصيدتي هذه إلَّا ويَنْفَعُهُ الله، لأنني نظمتُها لله.

ولهُ قصيدةٌ داليَّةٌ نحو خمسِ مئةِ بيتٍ، مَن قرأها، أحاطَ علماً بـ (التمهيد) لابنِ عبدِ البرِّ.

[٢]وكان إذا قُرِيءَ عليهِ «المُوَطَّأ» و «الصحيحان» يُصَحِّحُ النسخَ من حفظِه، حتى كانَ يقالُ: إنه يحفَظُ وَقْرَ بعيرٍ من العلومِ.

وكان يتجنَّبُ فضولَ الكلامِ، ولا ينطقُ إلَّا لضرورةٍ، ولا يَجْلِسْ للإقراءِ إلَّا عَلَى طهارةٍ.

٩٢٠ صـــلاح الديـن وبنـوه(١)

[١]السلطانُ الكبيرُ، الملكُ النَّـاصِـرُ، صلاحُ الدين، أبو المُظَفَّرِ، يوسُفُ ابنُ الأميرِ نجمِ الدِّين أيوبَ بنِ شاذي الدُّوينيُّ، التِّكريتيُّ المولد.

ولد في سنةِ اثنتين وثلاثين وخمس مئةٍ إذْ أبوه نجمُ الدِّين متولِّي تِكْريتَ نيابةً.

ودُوِيْنُ: بُليدةٌ بطرفِ أذربيجانَ من جهةِ أرانَ، والكَرَج، أهلُهَا أكرادٌ هَذَبَانيَّة.

[٢]وكـانَ نورُ الدِّينِ قد أمَّرَهُ، وبعثَهُ في عسكرِهِ مع عمِّه أسدِ الدينِ شيركوه، فحكَمَ شيركوه مصرَ، فما لبثَ أنْ تُوفِّي، فقامَ بعدَه صلاحُ الدِّين، ودانَتْ له العساكرُ، وقَهَرَ بني عُبَيْدٍ، ومَحَا دَوْلَتَهم، واستَوْلَى على قصرِ القاهرةِ بما حوى من الأمتعةِ والنفائس، منها الجبلُ الياقوتُ الذي وزنُهُ سبعةَ عشرَ درهماً، قال مُؤلِّف «الكامل» ابنُ الأثير: أنا رأيتُهُ ووزنتُهُ.

وخلا القصرُ من أهلِهِ وذخائرِه. وأقام الدعوةَ العباسيةَ.

وكـانِ خليقـاً للإمـارةِ، مهيبـاً، شجاعاً حازماً، مُجاهداً كثير الغزوِ، عاليَ الهِمَّةِ، كانْت دولتُه نَيِّفاً وعشرين سنةً.

وتملَّك بعدَ نورِ الدين، واتسعتْ بلادُه.

ومنـذ تسلطَنَ، طَلَّقَ الخمرَ واللَّذَّاتِ، وأنْشَأ سوراً على القاهرةِ ومصرَ(٢)، وبعثَ أخاهُ شمسَ الدِّينِ في سنةِ ثمانٍ وستينَ، فافتتح برقةَ، ثم افتتح اليمنَ، وسار صلاحُ الدِّين، فأخذ دمشقَ من ابن نور الدين.

[٣]وفي سنة إحدى وسبعين وثَبَتْ عليه الباطنيةُ، فجرحوه.

وفي سنةِ ثلاثٍ كسرتْه الفِرَنْجُ على الرَّمْلَةِ، وفَرَّ في جماعةٍ، ونجا.

---

(١) انظر السير: ٢١ / ٢٧٨-٢٩١.

(٢) يعني فسطاط مصر، وكانت لفظة (مصر) وحتى اليوم تطلق على الفسطاط.

وفي سنةِ خمسٍ التقاهم وكَسَرَهُمْ.

وفي سنةِ ثمانٍ عَدَّى الفُرات، وأخذ حَرَّانَ، وسَرُوجَ، والرَّقَّةَ، والرُّهَا، وسِنْجارَ، والبِيْرَةَ، وآمِدَ، ونَصِيبِينَ، وحاصرَ المَوْصِلَ، ثم تَمَلَّكَ حَلَب، وعَوَّضَ عنها صاحبها زنكي بسِنْجار، ثم إنَّه حاصرَ المَوْصِلَ ثانياً وثالثاً، ثم صالحه صاحبُها عزُّالدين مسعودٌ.

[١]وفي سنةِ ثلاثٍ وثمانينَ فتح طبريَّةَ، ونازلَ عَسْقلانَ، ثم كانَتْ وقعةُ «حِطِّيْنَ» بينَهُ وبينَ الفِرَنْجِ، وكانوا أربعين ألفاً، فَحَالَ بينَهم وبينَ الماءِ على تلٍّ، وسلَّموا نفوسَهُمْ، وأُسِرَتْ ملوكُهُم، وبادَرَ، فأخَذَ عَكّا وبيْروتَ وكَوْكَبَ، وسارَ فحاصرَ القدسَ، وجَدَّ في ذلكَ فأخذها بالأمان.

[٢]ثم إنَّ الفِرَنْجَ قامَتْ قيامتُهم على بيتِ المقدِسِ، وأقبلوا كقطعِ اللَّيلِ المظلم بَرّاً وبَحْراً وأحاطوا بعَكّا لِيَسْتَرِدُّوها وطال حصارُهُم لها، وبَنَوا على نفوسِهِم خندقاً، فأحاط بهم السُّلطانُ، ودامَ الحصارُ لهم وعليهم نَيِّفاً وعشرين شهراً، وجَرَى في غضون ذلك ملاحمُ وحروبٌ تُشيِّبُ النواصي، وما فكُّوا حتى أخذوها، وجرت لهم وللسلطان حروبٌ وسِيَرٌ. وعندما ضَرِسَ الفريقان، وكلَّ الحزبانِ، تهادن المِلَّتان.

[٣]وكانت له همَّةٌ في إقامةِ الجهادِ، وإبادةِ الأضدادِ، ما سُمِعَ بمثلها في دهر.

[٤]قال ابنُ واصل في حصار عزاز: كانت خيمةٌ كان السُّلطان يحضر فيها، ويحضُّ الرِّجال، فحضر باطنيَّةٌ في زيِّ الأجنادِ، فقفز عليه واحد ضربه بسكين لولا المِغْفَرُ الزَّرَدُ[1] الذي تحتَ القلنسوةِ لقتَلهُ، فأمسكَ السلطانُ يدَ الباطنيِّ بيديهِ، فبقي يضربُ في عنقِ السلطانِ ضرباً ضعيفاً، والزَّرَدُ تمنعُ، وبادَرَ الأمير بازكوج، فأمسكَ السِّكِّين، فجرحته، وما سيَّبَها الباطنيُّ حتى بَضَّعُوه، ووثب

(١) زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة.

آخرُ، فوثَبَ عليه ابنُ منكلان، فجرَحَه الباطنيُّ في جنبِهِ، فماتَ، وقُتِلَ الباطنيُّ، وقفز ثالثٌ، فأمسكَهُ الأميرُ عليُّ بنُ أبي الفوارسِ، فضَمَّهُ تحتَ إبطِه، فطعَنَهُ صاحبُ حمص، فَقَتَلَهُ، وركَبَ السُّلطانُ إلى مُخيَّمِه، ودَمُهُ يسيلُ على خدِّهِ، واحتجَبَ في بيتِ خشبٍ، وعَرَضَ جندَه، فَمَنْ أنكرَهُ، أبْعَدَهُ.

[١] قال الموفَّقُ عبدُاللطيف: أتيتُ، وصلاحُ الدِّين بالقدسِ، فرأيتُ ملكاً يملأُ العيونَ روعةً، والقلوبَ مَحبَّةً، قريباً بعيداً، سهلاً، مُحبَّباً، وأصحابه يتشبَّهُون به، يتسابقون إلى المعروف كما قالَ تعالى: ﴿ونزَعْنَا ما في صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إخواناً﴾ (الحجر: ٤٧). وأول ليلةٍ حضرتُهُ وجدتُ مجلسهُ حَفْلاً بأهلِ العلم يتذاكرون، وهو يُحْسنُ الاستماعَ والمشاركةَ، ويأخذُ في كيفيَّةِ بناءِ الأسوارِ، وحفرِ الخنادقِ، ويأتي بكلِّ معنىً بديعٍ، وكان مُهتماً في بناءِ سورِ بيتِ المقدسِ وحَفرِ خَنْدقِهِ، ويتولَّى ذلك بنفسِهِ، وينقلُ الحجارةَ على عاتِقِه، ويتأسَّى به الخَلْقُ حتَّى القاضي الفاضلُ، والعمادُ إلى وقتِ الظهرِ، فيمدُّ السماط، ويستريح، ويركبُ العصرَ، ثم يرجعُ في ضوءِ المشاعلِ، قالَ له صانعٌ: هذه الحجارةُ التي تُقطَعُ من أسفلِ الخندقِ رخْوَةٌ، قالَ: كذا تكونُ الحجارةُ التي تلي القرارَ والنداوةَ، فإذا ضربَتْها الشمسُ، صَلُبَتْ. وكان يحفظُ «الحماسةَ»، ويظنُّ أنَّ كلَّ فقيهٍ يحفظُها، فإذا أنشد، وتوقَّفَ، استطعمَ فلا يُطعَمُ، وجَرَىَ له ذلك مع القاضي الفاضلِ، ولم يكنْ يحفظُها، وخرج، فما زالَ حتَّى حَفِظَها.

وكانتْ وَقْعَتُهُ بمصرَ مع السُّودانِ، وكانوا نحوَ مئتي ألفٍ، فَنُصِرَ عليهم، وقَتَلَ أكثرَهم.

حُمَّ صلاحُ الدين، فَفَصَده من لا خبرةَ له، فخارَتِ القُوَّةُ، وماتَ، فَوَجَدَ الناسُ عليهِ شبيهاً بما يجدونَهُ على الأنبياءِ، وما رأيتُ ملكاً حَزِنَ الناسُ لموتِهِ

سواه، لأنَّه كان مُحبَّباً، يُحبُّهُ البَرُّ والفاجِرُ، والمسلمُ والكافرُ، ثم تَفرَّقَ أولادُه وأصحابُه أيادَي سَبَأٍ، وتمزّقوا. ولقد صدَقَ العمادُ في مدحِه حيثُ يقولُ:

[١] وللنَّاسِ بالمَلِكِ النّاصرِ الصّلاحِ صَلاحٌ ونَصْرٌ كبيرُ
هو الشَّمْسُ أفلاكُهُ في البلادِ ومَطْلَعُهُ سَرْجُهُ والسَّريرُ
إذ مَا سَطَا أوْ حَبَا واحتَبَى فَمَا اللَّيْثُ مِنْ حَاتِمٍ مَا ثَبِيرُ

[٢] وفي سنةِ ثلاثٍ وثمانينَ افتتح صلاحُ الدِّين بلادَ الفِرَنْجِ، وقَهَرَهم، وأبادَ خضراءَهم، وأسَرَ ملوكَهم على «حِطِّينَ». وكانَ قد نَذَرَ أنْ يَقتُلَ أرناطَ صاحبَ الكَرَكِ، فأُسِرُ يومئذ، كان قد مرّ به قومٌ من مصرَ في حالِ الهُدنةِ، فغدرَ بهم، فناشدوه الصلحَ، فقال ما فيه استخفافٌ بالنبي صلى الله عليه وسلم، وقَتَلَهم، فاستحضر صلاحُ الدين الملوكَ، ثم ناول الملكَ جفري شربةَ جلابِ ثلجٍ، فشرِب، فناول أرناطَ فشربَ، فقالَ السلطانُ للترجمانِ، قل لجفري: أنتَ الذي سقيتَهُ، وإلاَّ أنا فما سقَيْتُه، ثم استحضر البرِنْس أرناط في مجلس آخر، وقال: أنا أنتصر لمحمد صلى الله عليه وسلم منك، ثم عرض عليه الإسلام، فأبى، فحلّ كتفه بالنيمجاة.(١) وافتتح عامَهُ ما لم يفتحْهُ ملكٌ، وطارَ صيتُه في الدُّنيا، وهابَتْهُ الملوكُ.

تُوفِّيَ بقلعةِ دمشقَ سنةَ تسعٍ وثمانينَ وخمس مئةٍ.

محاسنُ صلاحِ الدِّين جَمَّةٌ، لا سيما الجهادُ، فلَهُ فيه اليدُ البَيْضاءُ ببذلِ الأموالِ والخيلِ المُثَمَّنَةِ لجندِه. ولهُ عقلٌ جيِّدٌ، وفهمٌ، وحزمٌ، وعزمٌ.

[٣] قالَ العمادُ: لا يلبَسُ إلا ما يحلُّ لُبْسُهُ كالكتانِ والقطنِ، نَزَّه المجالسَ من الهزلِ، ومحافِلُهُ آهلةٌ بالفُضَلاءِ، ويُؤْثِرُ سماعَ الحديثِ بالأسانيدِ، حليماً، مُقيلاً للعثرةِ، تقيّاً نقيّاً، وفيّاً صفيّاً، يُغضي ولا يغضبُ، ما رَدَّ سائلاً، ولا خَجَّلَ قائلاً،

---

(١) خنجر مقوّس يشبه السيف القصير.

كثيرُ البِرِّ والصدقاتِ، أنكرَ عليَّ تحليةَ دَواتِي بفضةٍ، فقلتُ: في جوازِه وجهٌ ذكره أبو محمدٍ الجوينيُّ. وما رأيتُه صلّى إلاَّ في جماعةٍ.

قلتُ: وحَضَرَ وفاتَهُ القاضي الفاضلُ.

[١]وذكر أبوجعفرٍ القرطبيُّ إمامُ الكلاَّسةِ(١): إنني انتهيتُ في القراءة إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لا إلهَ إلاّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَة﴾ (الحشر: ٢٢) فَسَمِعْتُ صلاحَ الدِّين وهو يقولُ: صحيح. وكان ذِهْنُهُ قبلَ ذلك غائباً(٢)، ثمَّ ماتَ، وارتفعتِ الأصواتُ بالبكاءِ، وعَظُمَ الضَّجيجُ، حتَّى إنَّ العاقلَ ليُخيَّلُ له أنَّ الدُّنيا كلَّها تصيحُ صوتاً واحداً، وغَشِيَ الناسَ ما شغلَهُمْ عن الصَّلاةِ عليهِ، وتأسَّفَ الناسُ عليهِ حتى الفِرَنْجُ لِما كانَ من صدقِ وفائِه.

[٢]وفي «الروضتين» لأبي شامة: أن السُّلطانَ لم يُخلِّفْ في خزانتِهِ من الذهبِ والفضةِ إلا سبعةً وأربعين درهماً، وديناراً صوريّاً، ولم يُخلِّفْ مِلْكاً، ولا عقاراً رحمـه الله، ولم يختلف عليه في أيامِـهِ أحدٌ من أصحابِهِ وكان الناسُ يأمنون ظلمَه، ويرجُونَ رِفدَه، وأكثرُ ما كانَ يَصِلُ عطاؤُه إلى الشجعانِ، وإلى العلماءِ، وأربابِ البيوتاتِ، ولم يكنْ لمبطلٍ ولا لمَزَّاحٍ عندَه نصيبٌ.

قال الموفَّقُ: وكانَ إذا نازلَ بلداً، وأشرفَ على أخذِه، ثم طلبوا منه الأمانَ، آمنهَم، فيتألَّم لذلك جيشُه، لفواتِ حظِّهم.

[٣]وكتب القاضي الفاضلُ تعزيةً إلى صاحبِ حلب: ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسُولِ اللهِ أُسْـوَةٌ حَسَنَـةٌ﴾ (الأحـزاب: ٢١). ﴿إنَّ زَلْـزَلَـةَ السَّـاعَـةِ شَيْءٌ عَظِيْمٌ﴾ (الحج: ١). كتبتُ إلى مولانا الملكِ الظاهرِ أحسَنَ الله عَزاءَهُ، وجَبَرَ مُصَابَهُ، وجَعلَ فيه الخلفَ من السَّلفِ في السَّاعة المذكورةِ، وقد زُلْزِلَ المسلمونَ زلزالاً

---

(١) كان الشيخ أبوجعفر قد استدعي ليبيت عنده يقرأ القرآن، ويلقنه الشهادة عند حضور الوفاة، وتوفي أبوجعفر هذا سنة ٥٩٦.

(٢) وتمام الخبر أن القاضي الفاضل جاءه عند أذان الصبح، وكان في آخر رمق، فلما قرأ القارىء ﴿لا إله إلا هو عليه توكلت﴾ تبسم، وتهلل وجهه، وأسلم روحه إلى ربه سبحانه.

شديداً، وقد حَضَرَتِ الدموعُ المَحاجرَ، وبَلَغتِ القلوبُ الحناجرَ، وقد ودَّعتُ أباكَ ومخدومي وداعاً لا تَلاقيَ بعدَهُ، وقَبَّلتُ وجهَهُ عنّي وعنْكَ، وأسلمْتُهُ إلى الله وحدَهُ مغلوبَ الحيلةِ، ضعيفَ القُوَّةِ، راضياً عن الله، ولا حولَ ولا قوةَ إلَّا بالله. وبالبابِ من الجنودِ المجنَّدَةِ، والأسلحةِ المعمّدة ما لم يَدْفعِ البلاءَ، ولا ما يردُّ القضاءَ، تَدْمَعُ العَيْنُ، ويَخْشَعُ القلبُ، ولا نقولُ إلا ما يُرضي الربَّ، وإنَّا بكَ يا يوسفُ لمحزونون.

ولِلْعَلَمِ الشَّاتانيِّ فيهِ قصيدة مطلعُها:

أرَى النَّصْرَ مَقْرُوناً برايتِكَ الصَّفْرا   فَسِرْ وامْلِكِ الدُّنيا فأنْتَ بها أحْـرى

٩٢١ العــزيـــز(١)

[١] السُّلطانُ، الملكُ العـزيزُ، أبـو الفتحِ ، عمادُ الدِّينِ، عثمانُ ابنُ السلطانِ صلاحِ الدِّين يوسفَ بنِ أيوبَ، صاحبُ مصر.

وُلِدَ سنةِ سبعٍ وستِّينَ وخمسِ مئةٍ.

وتَملَّكَ بعدَ أبيه، وكان لا بأس بسيرتهِ، قَدِمَ دمشقَ، وحاصرَ أخاه الأفضلَ.

[٢] نَقَلْتُ من خطِّ الضياءِ الحـافظِ، قال: خرجَ إلى الصَّيدِ، فجاءتْهُ كتبٌ من دمشقَ في أذيَّةِ أصحابنا الحنابلةِ - يعني في فتنةِ الحافظِ عبدِالغنيّ -، فقال: إذا رَجَعْنا من هذهِ السفرةِ، كلُّ من كان يقولُ بمقالتِهم أخرجناه من بلدِنا، قالَ: فَرَماهُ فرسٌ، ووقع عليهِ، فخسفَ صدرَهُ، كذا حدّثني يوسفُ بنُ الطُّفَيْلِ، وهو الذي غَسَّلَهُ.

وقـال المُنْـذِريُّ: عاشَ ثمـانياً وعشـرينَ سنـةً. ماتَ سنةَ خمسٍ وتسعينَ

---

(١) انظر السير: ٢١/ ٢٩١-٢٩٤.

وخمسِ مئةٍ.

[١]وقال الموفَّقُ عبدُاللطيف: كان العزيزُ شابّاً، حَسَنَ الصُّورةِ، ظريفَ الشمائلِ، قويّاً، ذا بطشٍ، وأيدٍ، وخِفَّةِ حركةٍ، حَيِيّاً، كريماً، عفيفاً عن الأموال والفُروجِ، بَلَغَ من كرمِهِ أنَّه لم يَبْقَ له خزانةٌ، ولا خاصٌّ، ولا فرسٌ. وبيوتُ أمرائه تفيضُ بالخيراتِ، وكانَ شُجاعاً مقداماً، بلغَ من عفَّتِهِ أنَّه كان له غلامٌ تركيّ بألفِ دينارٍ يُقالُ له: أبوشامةَ، فوقفَ، فراعَه حُسْنُهُ، فأَمَرَه أنْ يَنْزِعَ ثيابَهُ، وجَلَسَ منه مجلسَ الخَنَا، فأدركه توفيقٌ، فأسرعَ إلى سَرِيَّةٍ له، فَقَضَى وطَرَهُ.

[٢]قال ابنُ واصلٍ: وحُكِيَ عنه أنَّ عبدَالكريمِ ابنَ البيسانيِّ أخا القاضي الفاضلِ كانَ يتولَّى البحيرَةَ مُدَّةً، وَوَقَعَ بينَه وبينَ أخيهِ، فعُزِلَ، وكانَ مزوَّجاً ببنتِ ابنِ مُيسَّرٍ، فأساءَ عشرتَها لسوءِ خلقِهِ، فتوجَّهَ أبوها، وأثبتَ عند قاضي الإسكندريةِ ضَرَرَهَا، وأنَّه قد حَصَرَها في بيتٍ، فمضى القاضي بنفسِهِ، ورامَ أنْ يفتَحَ عنْها، فلم يقدِرْ، فأحضَرَ نقَّاباً، فنقبَ البيتَ، وأخرجها، ثم سدَّ النَّقبَ، فهاجَ عبدُالكريمِ، وقَصَدَ الأميرَ جهاركس بمصرَ، وقال: هذه خمسةُ آلافِ دينارٍ لك، وأربعونَ ألفَ دينارٍ للسلطانِ، وأُوَلَّى قضاءَ الإسكندريةِ. فأتَى العزيزَ ليلاً، وأحضَرَ الذَّهَبَ، فسكتَ، ثم قال: رُدَّ عليهِ مالَهُ، وقُلْ لَهُ: إيَّاكَ والعَودَ إلى مثلِها، فما كلُّ ملكٍ يكونُ عادلاً، أنا ما أبيع أهلَ الإسكندريّةِ بهذا المالِ. قال جهاركس: فوجمتُ، وظهَرَ عليَّ، فقال: أراكَ أخَذْتَ شيئاً، قلتُ: نَعَمْ خمسةَ آلافِ دينارٍ، قالَ: أعطاكَ مالاً ينفعُ مرَّةً، وأنا أُعطيكَ ما تنتفعُ بِهِ مرَّاتٍ، ثمَّ وَقَّعَ لي بإطلاقِ طُنبذة(١) كنتُ أستغلُّها سبعةَ آلافِ دينارٍ.

---

(١) إسم مكان.

٩٢٢ صاحب المغرب[١]

[١] السلطانُ الكبيرُ، الملقّبُ بأميرِ المؤمنينَ المنصورُ، أبو يوسفَ، يعقوبُ ابنُ السلطانِ يوسفَ ابنِ السلطانِ عبدِالمؤمنِ بنِ عليٍّ، المَغْربيُّ، المراكشيُّ، الظاهريُّ، وأُمُّهُ رُوميَّةٌ اسمُها سَحَرٌ. عَقَدوا له بالأمرِ سنةَ ثمانينَ وخمسِ مئةٍ عندَ مهلكِ أبيه، فكانَ سِنُّهُ يومئذٍ ثنتين وثلاثين سنةً. عَملَ الوزارةَ لأبيهِ، وخَبَرَ الخيرَ والشرَّ.

ولما تملَّكَ، كانَ حولَهُ منافسونَ له من عمومتِهِ وإخوتِهِ، ثم تحوَّلَ إلى سَلاَ، وبها تَمَّتْ بيعتُهُ، وأرضَى آلَهُ بالعطاءِ، وبَنى مدينةً تلي مرّاكُشَ على البحرِ، فما عتمَ أنْ خَرَجَ عليهِ عليُّ بنُ غانيةَ الملثَّمُ، فأخذ بجايةَ، وخطبَ للناصرِ العبَّاسيِّ، فكانَ الخطيبُ بذلكَ عبدَالحقِّ مُصنِّفُ «الأحكامِ»، ولولا حضورُ أجلِهِ، لأهلكه المنصور.

ثم تملَّكَ ابنُ غانيةَ قلعةَ حماد، فسارَ المنصورُ، واستردَّ بجايةَ، وجهز جيشَه، فالتقاهم ابنُ غانيةَ فمزّقهم ، فسار المنصورُ بنفسه، فكسر ابنَ غانيةَ، وذهبَ مُثْخَناً بالجراحِ ، فماتَ في خيمةِ أعرابيةٍ، وقَدَّمَ جيشُهُ عليهم أخاه يحيى فانحازَ بهم إلى الصَّحراء مع العربِ، وجَرَتْ له حروبٌ طويلةٌ واستردَّ المنصورُ قَفْصَةَ، وقَتَلَ في أهلِها، فأسرَفَ ثم قَتَلَ عَمَّيهِ سُلَيْمانَ وعُمَرَ صبراً، ثم نَدِمَ، وتزهَّدَ، وتقشَّفَ، وجالسَ الصلحاءَ والمُحدِّثين، ومالَ إلى الظاهر، وأعرضَ عن المالكيةِ، وأحرقَ مالا يُحْصَى من كتب الفروعِ .

[٢] قالَ عبدُالواحدِ بنُ عليٍّ : كنتُ بفاس، فشهدتُ الأحمالَ يؤتى بها، فتُحْرَق،

---

(١) انظر السير: ٢١/ ٣١١-٣١٩.

وتهدَّدَ على الاشتغالِ بالفروعِ، وأمر الحفَّاظ بجمع كِتابٍ في الصلاةِ من (الكتب الخمسةِ)، و «الموطَّأ»، و «مسندِ ابن أبي شَيْبَةَ»، «ومسندِ البَزّار»، و «سننِ الدَّارَقُطْنِيِّ»، و «سننِ البَيْهَقِيِّ». كما جَمَعَ ابنُ تومرتَ في الطهارةِ. ثم كانَ يُملي ذلك بنفسِهِ على كبارِ دولتِهِ، وحَفِظَ ذلك خلقٌ، فكانَ لمنْ يحفظُهُ عطاءٌ وخلعةٌ. إلى أنْ قالَ: وكانَ قَصْدُهُ محوَ مذهبِ مالكٍ من البلادِ، وحَمْلَ النّاس على الظاهرِ، وهذا المقصدُ بعينهِ كان مقصدَ أبيه وجدِّهِ، فلم يُظْهِرَاه، فأخبرني غيرُ واحدٍ أنَّ ابن الجدِّ أخبرهم قالَ: دخلتُ على أميرِ المؤمنينَ يوسفَ، فوجدتُ بينَ يديهِ كتابَ ابنِ يونسَ، فقال: أنا أنظرُ في هذه الآراءِ التي أُحْدِثَتْ في الدِّين، أرأيتَ المسألةَ فيها أقوالٌ، ففي أيِّها الحقُّ؟ وأيُّها يجب أنْ يأخذَ به المُقَلِّدُ؟ فافتتحْتُ أُبيِّنُ لهُ، فقطَعَ كلامي، وقالَ: ليسَ إلاَّ هذا، وأشارَ إلى المصحفِ، أو هذا، وأشارَ إلى «سننِ» أبي داود، أو هذا، وأشارَ إلى السَّيفِ.

قال يعقوبُ: يا معشرَ الموحِّدينَ، أنتمْ قبائلُ، فمن نابَهُ أمرٌ، فَزِعَ إلى قبيلته، وهؤلاء ـ يعني طلبة العلم ـ لا قبيلَ لهم إلاَّ أنا، قال: فعظُموا عند الموحِّدين.

[١]وفي سنةِ خمسٍ وثمانينَ غزا الفِرَنْجَ، ثم رجعَ، فمرضَ، وتكلَّم أخوه أبو يحيى في الملكِ، فلما عوفيَ، قَتَلَهُ، وتهدَّد القرابة.

[٢]وفي سنةِ تسعينَ انتقضت الهدنةُ، فتجهَّز، وعرضَ جيوشَه بإشبيليةَ، وأنفقَ الأموالَ، فقصَدَهُ الْفُنْش فالتقوْا، وكان نصراً عزيزاً، ما نجا الْفُنْش إلاَّ في شُرَيْذِمَةٍ، واستشهد من الكبارِ جماعةٌ، واستولى يعقوبُ على قلاعٍ، ونازلَ طليطلةَ، ثم رجعَ، ثم غزا، ووغلَ، بحيث انتهَى إلى أرضٍ ما وصلتْ إليها الملوكُ، فطلب الفُنْشُ المهادنةَ، فعُقدتْ عشراً، ثم رَدّ السُّلطان إلى مرّاكُش بعد سنتين، وصرّحَ بقصدِ مصرَ.

وكان يتولَّى الصلاةَ بنفسِهِ أشهراً، فتعوَّقَ يوماً، ثم خرجَ، وهم ينتظرونَهُ، فلامَهُمْ، وقالَ: قد قَدَّمَ الصحابةُ عبدَالرحمانِ بنَ عوفٍ للعذرِ، ثم قرَّرَ إماماً

عنه. وكان يجلسُ للحكمِ، حتَّى اختصمَ إليهِ اثنان في نصف[1]، فقَضَى، ثم أدَّبهما، وقال: أما كان في البلد حكَّامٌ.

وكانَ يجمعُ الأيتامَ في العامِ، فيأمرُ للصبيِّ بدينارٍ وثوبٍ ورغيفٍ ورُمانة.

[١]وبَنى مارستانَ ما أظن مثله، غرسَ فيهِ من جميعِ الأشجارِ، وزَخرَفَه وأجرَى فيهِ المياهَ، ورتَّبَ لهُ كلَّ يومٍ ثلاثينَ ديناراً للأدويةِ، وكانَ يعودُ المرضى في الجمعةِ.

وكان لا يقولُ بالعصمةِ في ابنِ تومرت.

وسأل فقيهاً: ما قرأتَ؟ قال: تواليف الإمام، قال: فزَوَرَني، وقال: ما كذا يقولُ الطالب! حكمكَ أنْ تقول: قرأتُ كتابَ الله، وقرأتُ من السُّنَّة، ثم بعد ذا قُل ما شِئتَ.

وكانت مجالسُهُ مُزَيَّنةً بحضورِ العلماءِ والفضلاءِ، تُفتَتَحُ بالتلاوةِ ثم بالحديثِ، ثم يدعو هو، وكانَ يُجيد حفظَ القرآنِ، ويحفظُ الحديثَ، ويتكلَّم في الفقهِ، ويناظرُ، وينسبونَهُ إلى مذهبِ الظَّاهرِ، وكانَ فصيحاً، مَهيباً، حسنَ الصورةِ، تامَّ الخلقةِ، لا يُرَى منه اكفهرارٌ، ولا عن مُجالسِه إعراضٌ، بزيِّ الزُّهَّادِ والعلماءِ، وعليهِ جلالةُ الملوكِ، صنَّف في العباداتِ، وله (فتاوٍ)، وبلغني أنَّ السودان قَدَّموا له فيلاً فوصلهم، وردَّه، وقال: لا نريدُ أنْ نكونَ أصحابَ الفيلِ، وكان يجمعُ الزكاةَ، ويُفرِّقُها بنفسهِ، وعملَ مكتباً للأيتامِ، فيه نحوُ ألفِ صبيٍّ، وعَشْرَةُ معلِّمون، حكى لي بعضُ عُمالِه: أنَّه فرّقَ في عيدٍ نَيِّفاً وسبعينَ ألفَ شاةٍ.

وقال عبدُالواحد: كان مُتهتماً بالبناءِ، كلَّ وقتٍ يُجدِّد قصراً أو مدينةً، وأنَّ الذين أسلموا كرهاً أمرهم بلبسٍ كحليٍّ وأكمامٍ مُفْرطةِ الطولِ، وكلوتاتٍ ضخمةٍ بشعةٍ، ثم ألبَسهم ابنُه العمائمَ الصُّفْرَ، حملَ يعقوبَ على ذلك شكُّهُ في

---

(١) يعني في نصف درهم.

إسلامهم، ولم تنعقد عندنا ذمَّةٌ ليهودي ولا نصرانيٍّ منذ قام أمرُ المَصَامِدَة، ولا في جميع المغـرب كنيسـة، وإنما اليهود عندنا يُظْهِرون الإسلام، ويصلُّون، ويُقْرِئونِ أولادَهم القرآنَ جارينَ على مِلَّتِنا.

وكان ابنُ رشدٍ الحفيدُ قد هذَّب له كتاب «الحيوان»، وقال: الزُّرافة رأيتُها عند ملكِ البربرِ، كذا قال غيرَ مُهتبل، فأحنَقَهم هذا، ثم سَعَى فيه من يُناوئه عِندَ يعقوبَ فأرَوْه بخطِّهِ حاكياً عن الفلاسفة أن الزُّهرةَ أحدُ الآلهة، فطلبَهُ، فقال: أهذا خطُّكَ؟ فأنكر، فقال: لعنَ الله من كَتَبَهُ، وأمرَ الحاضرينَ بلعنِهِ، ثم أقَامَهُ مُهاناً، وأحرق كتبَ الفلسفةِ سوى الطبِّ والهندسةِ.

[١]وقـد كتب صلاح الدِّين إلى يعقوبَ يستنجدُ به في حصار عكَّا، ونفذَّ إليه تَقدمةً، وخضع له، فما رضيَ لكونه ما لقَّبه بأمير المؤمنين.

[٢] وقيلَ: إنَّ يعقوبَ أبـطلَ الخمرَ في ممالكهِ، وتوعَّدَ عليها فعدمت، ثم قال لأبي جعفرٍ الطبيبِ: ركِّب لنا ترياقاً، فأعوزَهُ خمرٌ، فأخبره بذلك، فقال: تلطَّفْ في تحصيلهِ سِرّاً، فحرصَ، فعجزَ. فقال الملكُ: ما كان لي بالترياقِ حاجةٌ، لكن أردتُ اختبارَ بلادي.

ماتَ سنةَ خمسٍ وتسعينَ.

٩٢٣ القاضـــي الفاضــــل(١)

[٣]المـولَى الإمـامُ العَـلّامـةُ البليغُ، القـاضي الفـاضلُ، محيي الدِّين، يمينُ المملكةِ، سيِّدُ الفُصَحَاءِ، أبو عليٍّ عبدُالرحيم بنُ عليٍّ بنِ الحسن اللَّخْمِيُّ، الشاميُّ، العَسْقلَانِيُّ المولد، المِصْرِيُّ الدارِ، الكاتبُ، صاحبُ ديوانِ الإنشاء الصَّلاحِيِّ.

---

(١) انظر السير: ٢١/ ٣٣٨-٣٤٤.

ولد سنة تسع وعشرين وخمس مئة.

[١]انتهتْ إلى القـاضي الفاضِلِ براعةُ الترسُّلِ وبلاغةُ الإنشاءِ، وله في ذلك الفنِّ اليدُ البيضاءُ، والمعاني المبتكرةُ، والباعُ الأطولُ، لا يُدْرَكُ شأوُه، ولا يُشَقُّ غُبَارُهُ، مع الكثرةِ.

[٢]قال العماد: قضى سعيداً، ولم يُبْقِ عملاً صالحاً إلَّا قَدَّمَهُ، ولا عَهْداً في الجَنَّـةِ إلَّا أحكمـه، ولا عَقْـدَ برٍّ إلَّا أبْـرَمَهُ، فإنَّ صنائعَه في الرقابِ، وأوقافَهُ متجـاوزةُ الحسابِ، لا سيَّما أوقافُهُ لفكاكِ الأسرى، وأعانَ المالكيَّةَ والشافعيَّةَ بالمـدرسـة، والأيتـامَ بالكتَّـابِ، كان للحقـوق قاضياً، وفي الحقائق ماضياً، والسلطانُ له مطيعٌ، ما افتتح الأقاليم إلَّا بأقاليد آرائِهِ.

وقال ابنُ خَلِّكان: وَزَرَ للسطانِ صلاحِ الدِّين بنِ أيُّوبَ.

وَبَلَغَنا أنَّ كتبَهُ التي ملكها بلغَتْ مئة ألفِ مُجَلَّدٍ، وكان يُحصِّلُها من سائر البلاد.

[٣]حَكَى القاضي ضياءُ الدِّين ابنُ الشَّهرزوريِّ أنَّ القاضيَ الفاضلَ لمَّا سَمِعَ أنَّ العادلَ أخَذَ مصرَ، دعا بالموتِ خشيةَ أن يستدعيَهُ وزيرُهُ ابنُ شُكرٍ، أو يُهينَهُ، فأصبحَ ميِّتاً، وكان ذا تهجُّدٍ ومعاملةٍ.

[٤]قيل: كان القاضي أحدَبَ، فحدَّثَني شيخُنا أبو إسحاق الفاضليُّ أنَّ القاضيَ الفاضلَ ذهبَ في الرُّسليَّةِ إلى صاحِبِ المَوْصِلِ، فأُحْضِرَتْ فواكهُ، فقال بعضُ الكبارِ مُنكِّتاً: خيارُكُم أحْدَبُ، يُوَرِّيْ بذلك، فقال الفاضلُ: خَسُّنا خيرٌ من خيارِكم.

[٥]قال الحافظُ المُنذريُّ: ركنَ إليه السلطانُ ركوناً تاماً، وتقدَّم عنده كثيراً، وكان كثيرَ البرِّ، وله آثارٌ جميلةٌ. تُوفِّي سنة ستٍّ وتسعين وخمسِ مئةٍ.

[٦]له الدينُ، والعفافُ، والتُّقى، مواظبٌ على أورادِ الليل والصيامِ والتلاوةِ. لمّا

تملَّكَ أسدُ الدِّين، أحضره، فأُعْجِبَ به، ثم استخلصه صلاحُ الدِّين لنفسِهِ، وكانَ قليلَ اللَّذَّاتِ، كثيرَ الحسناتِ، دائمَ التهجُّدِ، يشتغلُ بالتفسير والأدبِ، وكانَ قليلَ النحوِ، لكنه له دُربَةٌ قويَّةٌ، وكان مُتقلِّلاً في مَطْعَمِهِ ومَنْكَحِهِ وملبسِهِ، لباسُهُ البياضُ، ويركبُ معه غلامٌ وركابيٌّ، ولا يُمكِّنُ أحداً أنْ يصحَبَهُ، ويُكْثِرُ تشييعَ الجنائزِ، وعيادةَ المرضَى، وله مَعْروفٌ مَعْرُوفٌ في السِّرِّ والعلانية، ضعيفُ البنيةِ، رقيقُ الصورةِ، له حَدْبَةٌ يُغَطِّيها الطيلسانُ، وكانَ فيه سوءُ خلقٍ يُكْمِد به نفسَهُ، ولا يضرُّ أحداً به، ولأصحابِ العلمِ عنده نَفَاقٌ، يُحسِنُ إليهم، ولم يكنْ له انتقامٌ من أعدائِهِ إلا بالإحسان أو الإعراضِ عنهم، وكان دخلُهُ ومعلومُه في العامِ نحواً من خمسين ألفَ دينارٍ سوى متاجرِ الهندِ والمغربِ. توفِّي مسكوتاً[1]، أحوجَ ما كانَ إلى الموتِ عند تولِّي الإقبالِ وإقبالِ الإدبارِ، وهذا يدلُّ على أنَّ الله به عنايةً.

٩٢٤ ابنُ الزكيّ[2]

قاضي دمشقَ، محيي الدِّين، أبو المعالي، محمّد ابنُ القاضي عليِّ بن محمدِ بنِ يحيى بن الزكيِّ القُرَشِيُّ الدِّمَشْقِيُّ الشافعيُّ.

من بيتٍ كبيرٍ، صاحبُ فنونٍ وذكاءٍ، وفقهٍ وآدابٍ وخُطَبٍ ونظمٍ.

وكان صلاحُ الدِّين يُعِزُّهُ ويحترمه، ثم ولاَّه القضاءَ سنَةَ ثمانٍ وثمانين وخمس مئةٍ، وقد مدحه بقصيدة في سنةٍ تسع وسبعين منها ذلك:

وفَتْحُكَ القلعةَ الشَّهباءَ في صَفَرٍ مبَشِّراً بفُتُوحِ القُدْسِ في رَجَبِ

فاتَّفق فتحُ القدس في رجب بعد أربع سنين، وذكر أنه أخذ ذلك من تبشير

---

(١) يعني: فجاءة، وهو ما يعرف في عصرنا بالسكتة القلبية.

(٢) انظر السير: ٢١/ ٣٥٨ـ٣٦٠.

ابن بَرّجان في ﴿آلمٓ. غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ (الروم: ١، ٢).

قال ابنُ خلِّكان: وجدته حاشية لا أصلاً.[١]

توفي سنةَ ثمانٍ وتسعينَ وخمس مئةٍ عن ثمانٍ وأربعينَ سنةً.

٩٢٥ أبـو الفرجِ ابن الجوزي[٢]

[١]الشيخُ الإمـامُ العَـلاَّمـةُ، الحافظُ المُفسِّرُ، شيخُ الإسلامِ، مفخرُ العراقِ، جمـالُ الـدِّين، أبو الفرجِ عبدُ الرحمان بنُ عليِّ بنِ محمدٍ، القُرشيُّ التَّيميُّ البكريُّ البغداديُّ، الحنبليُّ، الواعظُ، صاحبُ التصانيف.

وُلِدَ سنةَ تسعٍ أو عشرٍ وخمس مئةٍ. وأول شيءٍ سمِعَ في سنة ست عشرة.

[٢]كان رأساً في التذكير بلا مُدَافعةٍ، يقولُ النظمَ الرائقَ، والنثرَ الفائقَ بديهاً، ويُسهِبُ، ويُعجِبُ، ويُطرِبُ، ويُطنِبُ، لم يأتِ قبلَهُ ولا بعدَه مثلُه، فهو حاملُ لواءِ الوعظِ، والقَيِّمِ بفنونِه، مع الشكلِ الحسنِ، والصوت الطيِّب، والوقع في النفوسِ، وحُسنِ السيرةِ، وكان بحراً في التفسير، علاّمةً في السِّيَرِ والتاريخِ، موصـوفاً بحسن الحديثِ، ومعرفةِ فنونِه، فقيهاً، عليماً بالإجماع والاختلافِ، جيِّدَ المشاركةِ في الطب، ذا تفنُّنٍ وفهمٍ وذكاءٍ وحفظٍ واستحضارٍ، وإكبابٍ على الجمعِ والتصنيفِ، مع التصوُّنِ، والتجمُّلِ، وحسنِ الشارةِ، ورشاقةِ العبارةِ،

---

(١) قيل: إن ابن برجان هذا تنبأ بفتح البيت المقدس في سنة ٥٨٣، وشاع هذا الأمر شيوعاً كبيرا حتى قيل: إن السلطان الشهيد نورالدين كان يأمل أن يبقى حيّاً إلى هذه السنة ليتم على يديه هذا الفتح العظيم، ولكن انظر ما قاله ابن خلكان في الشك بقول ابن برجان، وفيما إذا كان قد قال مثل هذا أصلا حينما قال: (وقيل لمحيي الدين: من أين لك هذا؟ فقال: أخذته من تفسير ابن برجان في قوله تعالى: **﴿ألم. غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين﴾** ولما وقفت أنا على هذا البيت وهذه الحكاية لم أزل أتطلب تفسير ابن برجان حتى وجدته على هذه الصورة، لكن كان هذا الفصل مكتوبا في الحاشية بخط غير الأصل، ولا أدرى هل كان من أصل الكتاب أم هو ملحق به، وذكر له حسابا طويلا وطريقا في استخراج ذلك حتى حرره من قوله (بضع سنين).

(٢) انظر السير: ٢١/ ٣٦٥-٣٨٤.

ولطفِ الشمائلِ ، والأوصافِ الحميدةِ، والحرمةِ الوافرةِ عند الخاصّ والعامّ، ما عَرَفْتُ أحداً صَنَّفَ ما صنَّفَ.

وأقاربُه كانوا تجّاراً في النُّحاس، فربما كتبَ اسمهُ في السَّماع عبدالرحمان ابن عليٍّ الصَّفَّار.

[١] أحبَّ الوعظ، ولهج به، وهو مراهقٌ، فوعظَ الناسَ وهو صبيٌّ، ثم مازالَ نَافِقَ السُّوقِ مُعَظَّماً مُتغَالَياً فيه، مُزْدَحماً عليه، مضروباً برونق وعظِهِ المَثَل، كمالُه في ازديادٍ واشتهارٍ، إلى أنْ مات رحمه الله وسامحه، فَلَيْتَهُ لم يَخُضْ في التأويلِ ، ولا خالفَ إمامَه.

[٢] وكان ذا حظٍّ عظيمٍ وصيتٍ بعيدٍ في الوعظ، يحضر مجالسَه الملوكُ والوزراءُ وبعضُ الخلفاء والأئمةُ والكبراءُ، لا يكاد المجلس ينقصُ عن ألوفٍ كثيرةٍ، حتى قيلَ في بعض مجالِسه: حُزِرَ الجمعُ بمئة ألفٍ. ولا ريبَ أنّ هذا ما وقع، ولو وقع، لما قدر أن يُسمعَهم، ولا المكان يسعهم.

[٣] قال سبطُه أبو المُظفَّر: سمعتُ جدِّي على المنبر يقولُ: بأصبعيّ هاتين كتبتُ ألفي مجلدةٍ، وتابَ على يديَّ مئةُ ألفٍ، وأسلم على يديَّ عشرون ألفاً. وكان يختمُ في الأسبوعِ ، ولا يخرج من بيته إلاَّ إلى الجمعةِ أو المجلس.

قلتُ: فما فَعَلَتْ صلاةُ الجماعة؟

[٤] ومن غُرَر ألفاظِه: عقارِبُ المنايا تلسعُ، وخَدَرانُ جسمِ الآمالِ يمنَعُ، وماءُ الحياة في إناءِ العمر يرشح.

[٥] يا أميرُ: اذكر عندَ القدرةِ عَدْلَ اللهِ فيك، وعندَ العقوبةِ قدرةَ الله عليك، ولا تشفِ غيظَك بسقمِ دِينك.

[٦] وقال له رجلٌ: ما نمتُ البارحةَ من شوقي إلى المجلسِ ، قال: لأنَّك تريدُ الفُرجةَ، وإنَّما ينبغي الليلَةَ أن لا تنامَ.

[١]وقامَ إليهِ رجلٌ بغيضٌ، فقال: يا سيِّدي: نريدُ كلمةً ننقُلُها عنك، أيُّما أفضلُ أبوبكرٍ أو عليٌّ؟ فقال: اجلسْ، فجلَسَ، ثُمَّ قَامَ، فأعاد مقالَتَه، فأقعده، ثم قامَ، فقالَ: اقعدْ، فأنتَ أفْضَلُ [١] من كل أحدٍ.

[٢]وسأله آخرُ أيامَ ظهورِ الشيعةِ، فقال: أفْضَلُهُما مَنْ كانَتْ بِنْتُهُ تَحْتَهُ.

وهذه عبارةٌ محتملة تُرضي الفريقين.

[٣]وسأله آخَرُ: أيُّما أفضَلُ: أسبِّحُ أو أستغفرُ؟ قال: الثَّوبُ الوسِخُ أحوجُ إلى الصابونِ من البخور.

[٤]وقال: من قَنَعَ، طابَ عيشُهُ، ومن طمِعَ، طالَ طيشُهُ.

[٥]وقال يوماً في وعظه: يا أميرَ المؤمنين، إنْ تكلَّمتُ، خفتُ منك، وإن سَكَتُّ، خِفْتُ عليك، وأنا أُقدِّمُ خوفي عليكَ على خوفي منك، فقول الناصح: اتقِ اللهَ خيرٌ من قول القائل: أنتم أهلُ بيتٍ مغفورٌ لكم.

[٦]وقال: يفتخر فرعونُ مصرَ بنهرٍ ما أجراهُ، ما أجراه.

وهذا بابٌ يطولُ، ففي كتبه النفائس من هذا وأمثاله.

[٧]وقال أبوعبدِ الله ابن الدُّبَيْثِي في (تاريخه): أنشدني بواسط لنفسه:

يا ساكِنَ الدُّنيا تأهَّبْ ... وانْتَظِرْ يَوْمَ الفِراقِ
وَأعِدَّ زاداً للرَّحيلِ ... فَسَوْفَ يُحْدَى بالرِّفَاقِ
وابْكِ الذُّنُوبَ بأدمُعٍ ... تَنْهَلُّ من سُحُبِ المآقي
يَا مَنْ أضاعَ زَمَانَهُ ... أرَضِيْتَ ما يَفْنَى بباقِ

[٨]ومن كلامه: ما اجْتَمعَ لامرئٍ أمَلُهُ، إلاَّ وسَعَى في تفريطِه أجَلُهُ.

[٩]وكان في المجلس رجلٌ يُحسِّنُ كلامَهُ، ويُزهزه لهُ، فسكَتَ يوماً، فالتَفَتَ إليه أبو الفرَجِ، وقال: هارونُ لفْظِكَ معينٌ لِموسى نُطْقِي، فأرسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً.

---

(١) يعني من الفضول.

[١] وقد نالته مِحْنَةٌ في أواخرِ عمرِه، ووَشَوْا به إلى الخليفةِ الناصرِ بأمرٍ اختُلف فِي حقيقتِه، فجاء من شَتَمَهُ، وأهانَهُ، وأخذَهُ قبضاً باليد، وختمَ على دارِه، وشتَّتَ عيالَهُ، ثم أُقعِدَ في سفينةٍ إلى مدينةِ واسط، فَحُبِسَ بها في بيتٍ حرجٍ، وبقيَ هو يغسلُ ثوبَهُ، ويطبخُ الشيء، فبقي على ذلك خمسَ سنين ما دخل فيها حمَّاماً. قام عليه الركنُ عبدُالسَّلام بن عبدالوهاب ابن الشيخ عبدالقادر، وكان ابنُ الجوزي لا يُنصِفُ الشيخَ عبدالقادر، ويغضُّ من قدره، فأبغضه أولادُه، ووزر صاحبُهم ابن القصَّاب، وقد كان الركنُ رديءَ المعتقدِ، مُتفلسفاً، فأُحرقت كتُبُهُ بإشارةِ ابن الجوزيِّ، وأُخِذَتْ مدرستُهم، فأُعطيت لابنِ الجوزي، فانسمَّ الركنُ، وقد كان ابنُ القصَّابِ الوزيرُ يترفَّض، فأتاه الركنُ، وقال: أين أنت عن ابن الجوزيِّ النَّاصِبيِّ؟ وهو أيضاً من أولاد أبي بكر، فصرَّف الركنَ في الشيخ، فجاء، وأهانه، وأخذه معه في مركبٍ، وعلى الشيخ غلالةٌ بلا سراويلَ، وقد كان ناظرُ واسط، شيعيّاً أيضاً، فقال له الركنُ: مكِّنِّي من هذا الفاعلِ لأرميَه في مطمورةٍ، فزجره، وقال: يا زنديق، أفعلُ هذا بمجرَّدِ قولِك؟ هاتِ خطَّ أميرِ المؤمنين، والله لو كان على مذهبي، لبذلتُ روحي في خِدْمتِه، فردَّ الركنُ إلى بغدادَ. وكان السببُ في خلاصِ الشيخِ أنَّ وَلَدَهُ يوسفَ نشأ واشتغلَ، وعَمِلَ في هذهِ المدةِ الوعظَ وهو صبي، وتوصَّلَ حتى شفعتْ أمُّ الخليفةِ، وأطلقَت الشيخَ، وأتى إليه ابنُه يوسفُ، فخرج، وما ردَّ من واسط حتى قرأ هو وابنُه بتلقينه بالعشرِ على ابن الباقلانيِّ، وسِنُّ الشيخ نحو الثمانين، فانظر إلى هذه الهمَّةِ العالية.

قال الموفق عبداللطيف: وكان يُراعي حفظَ صحَّتِهِ، وتلطيفَ مزاجِه، وما يُفيد عقلَهُ قوّةً، وذهنَـهُ حدَّةً. جلُّ غذائِه الفراريجُ، ويعتاضُ عن الفاكهةِ بالأشربةِ والمعجوناتِ، ولباسُه أفضلُ لباسٍ: الأبيضُ الناعمُ المُطيَّبُ، وله ذهنٌ وقَّادٌ، وجوابٌ حاضرٌ، ومُجُونٌ ومداعبةٌ حُلوةٌ، ولا ينفكُّ من جاريةٍ حسناءَ.

[١] وكانَ كثيرَ الغَلَطِ فيما يُصنِّفهُ، فإنَّه كان يفرغُ من الكتابِ ولا يعتبره.

قلتُ: هكذا هو له أوهامٌ وألوان من تركِ المراجعةِ، وأخذِ العلم من صحفٍ، وصنَّفَ شيئاً لو عاش عمراً ثانياً، لَمَا لحقَ أنْ يُحَرِّرَهُ ويُتْقِنَهُ.

[٢] قال سبطه: توفِّيَ ليلةَ الثالث عشر من رمضان سنةَ سبعٍ وتسعين وخمس مئةٍ، وغُلِّقَت الأسواقُ، وجاءَ الخلقُ، وصلّى عليه ابنُه أبوالقاسم عليٌّ اتفاقاً، لأنَّ الأعيانَ لم يقدروا من الوصولِ إليه، ثم ذهبوا به إلى جامعِ المنصورِ، فصلَّوْا عليهِ، وضاقَ بالناسِ، وكانَ يوماً مشهوداً، فلم يَصِلْ إلى حفرتهِ بمقبرةِ أحمد إلى وقتِ صلاةِ الجمعةِ، وكانَ في تمُّوز، وأفطَرَ الخلقُ، ورَمَوا نفوسَهُم في الماءِ. إلى أنْ قالَ: وما وصلَ إلى حفرتهِ من الكفنِ إلا قليلٌ، كذا قال، والعهدةُ عليهِ[١]، وأُنزِلَ في الحفرةِ، والمؤذِّنُ يقول: الله أكبَرُ، وحزِنَ عليه الخلقُ، وباتوا عند قبرِهِ طولَ شهرِ رمضانَ يختمونَ الخَتَمَاتِ، بالشَّمعِ والقناديل، ورآه في تلكَ الليلةِ المحدِّثُ أحمدُ بنُ سلمانَ السُّكّر في النومِ، وهو على منبرٍ من ياقوتٍ، وهو جالسٌ في مقعدِ صدْقٍ والملائكةُ بينَ يديهِ[٢]. وأصبحنا يومَ السَّبْتِ عمِلنا العَزَاءَ، وتكلَّمت فيهِ، وحضَرَ خلقٌ عظيمٌ، وعملت فيه المراثي.

[٣] وأوصَى أن يُكتَبَ على قبره:

يا كثيرَ العَفْوِ عَمَّنْ كَثُرَ الذَّنْبُ لديهِ
جَاءَكَ المُذْنِبُ يَرْجُو الصَّفْحَ عَنْ جُرمٍ يَدَيهِ
أَنَا ضَيْفٌ وَجَزَاءُ الضَّيْفِ إحسانٌ إليْهِ

موفَّق الدين، قال: ابنُ الجوزيِّ أمامُ أهلِ عصرِهِ في الوعظِ، وصنَّفَ في

---

(١) وقال في (تاريخ الإسلام): (وهذا من مجازفة أبي المظفر) وقد وصف الذهبي السبط بالمجازفة في غير موضع من كتبه.

(٢) تمام الخبر: والحق سبحانه حاضر يسمع كلامه.

فنونِ العلم تصانيفَ حسنةً، وكانَ صاحبَ فنونٍ، كان يُصنِّفُ في الفقهِ، ويدُرِّسُ، وكانَ حافظاً للحديثِ، إلا أنَّنا لم نرضَ تصانيفَهُ في السُّنَّةِ، ولا طريقتَهُ فيها، وكانت العامَّة يُعظِّمونَهُ، وكانتْ تَنْفلت منه في بعض الأوقاتِ كلماتٌ تنكرُ عليه في السنَّةِ، فيُسْتَفتَى عليه فيها، ويضيقُ صدرُهُ من أجلها.

[١] وقال الحافظُ سيفُ الدِّين ابنُ المجدِ: هو كثيرُ الوَهْم جداً، سمعتْ ابنَ نُقْطَةَ يقولُ: قيل لابن الأخضر: ألا تُجيبُ عن بعض أوهام ابن الجوزيِّ؟ قال: إنما يُتَتَبَّعُ على مَنْ قَلَّ غَلَطُهُ، فأمَّا هذا فأوهامُهُ كثيرةٌ.

[٢] ثم قال السَّيفُ: ما رأيتُ أحداً يُعتَمدُ عليهِ في دينهِ وعلمِه وعقلِه راضياً عنه.

[٣] قلتُ: إذا رضيَ الله عنه، فلا اعتبارَ بهم.

[٤] قال سبطُه أبو المُظَفَّر: خلَّف من الولد عليّاً، وهو الذي أخذ مصنَّفاتِ والده، وباعَها بيعَ العبيدِ، وَلِمَنْ يزيدُ، ولمّا أُحدِرَ والدُه إلى واسط، تحيَّل على الكتبِ بالَّليل، وأخذ منها ما أرادَ، وباعَها ولا بثمنِ المِدادِ، وكان أبوه قد هجره منذ سنين، فلما امتُحن، صار أَلباً عليه.

وخلَّفَ يوسف محيي الدين، فوَلِيَ حسبةَ بغدادَ في سنة أربع وستِّ مئةٍ، وترسَّل عن الخُلفاءِ إلى أنْ وَلِيَ في سنةِ أربعين أستاذ داريةِ الخلافة.(١)

وكان له بنـات.

٩٢٦ لُـؤلـؤ العَـادِلـيّ(٢)

[٥] الحاجبُ من أبطالَ الإسلام، وهو كانَ المندوبَ لحربِ فِرَنْجِ الكَرَكِ الذين ساروا لأخذ طيبةَ، أو فِرَنجٍ سواهم ساروا في البحر المالح، فلم يَسِرْ لؤلؤ إلاَّ

(١) قتله هولاكو صبرا عند احتلاله بغداد وتدميره لها سنة ٦٥٦.

(٢) انظر السير: ٢١/ ٣٨٤-٣٨٥.

ومعـه قيودٌ بعـددهم، فأدركهم عند الفحلتين، فأحاط بهم، فسلَّموا نفوسَهم، فقيَّدهم، وكانوا أكثر من ثلاث مئة مُقاتلٍ، وأقبل بهم إلى القاهرة، فكان يوماً مشهوداً.

وكـان شيخـاً أرمنيّاً من غلمـانِ العاضِدِ، فخدمَ مع صلاحِ الدين، وعُرِفَ بالشجـاعةِ والإقدامِ، وفي آخر أيامهِ أقبل على الخير والإنفاق في زمنِ قحطِ مصـرَ، وكـان يتصـدَّقُ في كلِّ يوم باثني عشر ألف رغيف مع عدَّة قدورٍ من الطعام. وقيل: إن الملاعين[1] التجؤوا منه إلى جبلٍ، فترجَّل، وصعد إليهم في تسعةِ أجنادٍ، فألقي في قلوبهم الرعب، وطلبوا منه الأمانَ، وقُتلوا بمصرَ، تولَّى قتلَهم العلماءُ والصالحونَ.

تُوفِّي لؤلؤ رحمه الله بمصرَ سنةَ ثمانٍ وتسعين وخمس مئةٍ.

٩٢٧ الـشـهابُ الطُّـوسِـيُّ[2]

[١]الشيخُ الإمامُ، العالمُ العَلَّامةُ، شيخُ الشافعيةِ، شهابُ الدِّينِ، أبوالفتحِ، محمدُ بنُ محمودِ بنِ محمَّدِ الخراسانيُّ الطوسيُّ.

وُلِدَ سنةَ اثنتين وعشرين وخمس مئةٍ.

كان جامعاً للفنون، غير مُحتفِلٍ بأبناءِ الدُّنيا. وَعَظَ بجامعِ مصرَ مدة.

[٢]قال الإمامُ أبو شامةَ، قيل: إنَّه قدمَ بغدادَ، فكانَ يركبُ بالسنجَقِ والسُّيوف المسلَّلة والغاشية والطوق في عنق البغلة، فمُنع من ذلك، فسافر إلى مصرَ، ووعظَ، وأظهـرَ مقالةَ الأشعريِّ، فثارت الحنابلةُ، وكان يجرى بينَه وبينَ زينِ الدِّين ابن نُجَيّةَ كبيرِهم العجائبُ والسبُّ.

---

(١)هنا عاد المؤلف إلى الكلام على الصليبيين الذين أرادوا احتلال المدينة المنورة.

(٢) انظر السير: ٢١/ ٣٨٧-٣٨٩.

قال: وبلغني أنَّه سُئِل: أيما أفضَلُ دمُ الحُسَينِ، أو دمُ الحلاَّجِ، فاستعظَمَ ذلك، قالوا: فَدَمُ الحلاَّج كتبَ على الأرض: الله، الله، ولا كذلك دمُ الحسين؟! قال: المتَّهم يحتاجُ إلى تزكيةٍ!

قلت: لم يصحَّ هذا عن دم الحَلاَّجِ، وليسا سواءً: فالحُسَينُ رضي الله عنه شهيدٌ قُتِلَ بسيفِ أهلِ الشرِّ، والحَلاَّجُ فقتل على الزندقةِ بسيفِ أهل الشرع.

وقال الموفَّق عبدُاللطيف: كان طُوالاً، مهيباً، مقداماً، سادَّ الجواب في كل المحافل، وكان يرتاعه كلُّ أحد، وهو يرتاع من الخُبُوشاني، ويتضاءل له، وكان يحمق بظرافةٍ، ويتيهُ على الملوكِ بلباقةٍ، ويخاطب الفقهاءَ بصرامةٍ، عَرَضَ له جدريٌّ بعدَ الثمانين عمَّ جَسَدَهُ. وجرى له مع العادلِ ومع ابنِ شكرٍ قضايا عجيبةٌ، لما تعرضوا لأوقاف المدارسِ، فذبَّ عن الناسِ، وثَبَتَ.

ماتَ بمصرَ سنةَ ستٍّ وتسعين وخمسِ مئةٍ وحَمَلَهُ أولادُ السلطانِ على رقابهم، رحمه الله.

٩٢٨ ابن نُجَيَّة(١)

[١] الشيخُ الإمامُ العالم الرئيسُ الجليلُ الواعظُ، الفقيهُ، زينُ الدين، أبوالحَسَنِ، عليُّ بنُ إبراهيمَ بنِ نجا الأنصاريُّ الدمشقيُّ الحنبليُّ نزيلُ مصرَ، ويعرَفُ بابن نُجَيَّةَ.

وُلِدَ بدمشقَ في سنةِ ثمانٍ وخمس مئةٍ.

قال ابنُ النجَّار: كان مليحَ الوعظِ، لطيفَ الطبع، حلوَ الإيرادِ، كثيرَ المعاني، مُتَدَيِّناً، حميدَ السِّيرةِ، ذا منزلٍ رفيعةٍ، وهو سبط الشيخِ أبي الفرجِ.

---

(١) انظر السير: ٢١/ ٣٩٣-٣٩٦.

قال أبو شامة: كان كبيرَ القدرِ، مُعظَّماً عندَ صلاحِ الدِّينِ، وهو الذي نمَّ على الفقيهِ عمارةَ اليمنيِّ وأصحابهِ بما كانوا عزموا عليهِ من قلبِ الدولةِ، فشنقهم صلاحُ الدينِ.وكان صلاحُ الدِّينِ يكاتُبُهُ، ويُحْضِرُهُ مجلسَه، وكذلك ولده الملكُ العزيز من بعدِهِ، وكانَ واعظاً مفسِّراً، سكنَ مصرَ، وكانَ لهُ جاهٌ عظيمٌ.

[١] وكان يَجري بينَهُ بينَ الشِّهابِ الطُّوسيِّ العجائبُ، لأنَّه كان حنبليّاً، وكان الشهابُ أشعريّاً واعظاً. جلس ابنُ نُجَيَّةَ يوماً في جامعِ القرافةِ، فوقَعَ عليهِ وعلى جماعةٍ سقفٌ، فعمل الطوسيُّ فصلاً ذكر فيه ﴿**فَخَرَّ عليهم السَّقْفُ من فوقِهم**﴾ (النحل: ٢٦).

[٢] جاء يوماً كلبٌ يشقُّ الصفوفَ في مجلسِ ابنِ نُجَيَّة، فقال: هذا من هناكَ، وأشارَ إلى جهةِ الطوسيِّ.

قال أبو المظفَّر السِّبطُ: اقتنَى ابنُ نُجَيّةَ أموالاً عظيمةً، وتنعَّم تنعُّماً زائداً، بحيث إنَّه كانَ في دارِه عشرونَ جاريةً للفراشِ، تُساوي كلُّ واحدةٍ ألفَ دينارٍ وأكثر، وكان يُعْمل له من الأطعمةِ مالا يُعْمَلُ للملوكِ، أعطاهُ الخلفاءُ والملوكُ أموالاً جزيلةً. قال: ومع هذا مات فقيراً كفَّنه بعضُ أصحابِهِ.

مات سنةَ تسعٍ وتسعين وخمس مئةٍ.

الطبقة الثانية والثلاثون

٩٢٩ حنبل[١]

[١]ابن عبدالله بن فَرَج، بقية المُسْنِدِين أبو عليٍّ وأبو عبدِاللهِ الواسِطِيُّ ثم البَغْدَادِيُّ الرُّصافيُّ المُكبِّر.

قال أبوشامة: كان فقيراً جداً، روى «المُسْنَد» بإربل وبالمَوْصِل ودمشق، وكان يمرض بالتخم، كان السلطان يعمل له الألوان.

وقال ابن الأنْماطيِّ: كان أبوه قد وَقَفَ نفسَهُ على مصالح المُسلمين، والمشي في قضاء حوائجهم، وكان أكثرَ هَمِّهِ تجهيزُ الموتى على الطُّرق.

[٢] قال ابن نقطة: حدثنا أبو الطاهر بن الأنماطي بدمشق، قال: حدثني حنبل ابن عبدِالله قال: لما وُلِدتُ، مضى أبي إلى الشيخ عبدالقار الجيليِّ، وقال له: قد ولد لي ابن ما أُسميه؟ قال: سَمِّه حنبل، وإذا كَبِرَ سَمِّعْه «مُسْنَدَ» أحمدَ بنِ حنبل، قال: فسماني كما أمره، فلما كبرت سَمَّعني «المسند»، وكان هذا من بركة مشورة الشيخ.

قال ابن الدُّبَيْثِيِّ: كان دلاّلاً في بيع الأملاك، سُئِلَ عن مولده فذكر ما يدل على أنه في سنة عشر وخمس مئة أو إحدى عشرة، إلى أن قال: وتُوفِّيَ سنةَ أربع وست مئة.

قال ابن الأنماطيّ: سمعتُ منه جميع «المُسْنَد» ببغدادَ أكثره بقراءتي عليه، في نَيِّف وعشرين مجلساً، ولما فرغت أخذت أُرغِّبه في السَّفرِ إلى الشام فقلت: يحصل لكَ مال ويقبل عليك وجوه الناس ورؤساؤهم، فقال: دعني، فواللهَ ما أسافر لأجلهم، ولا لما يَحْصُلُ منهم، وإنما أُسافر خِدْمَةً لرسول الله صلّى الله

---

(١) انظر السير: ٢١/ ٤٣١-٤٣٣.

عليه وسلم أروي أحاديثَه في بلد لا تُروى فيه.

قال ابن الأنماطيّ: اجتمع له جماعة لا نعلمها اجتمعت في مجلس سَمَاع قبل هذا بدمشق، بل لم تجتمع مثلها لأحد ممن روى «المُسْنَد».

٩٣٠ حمـزة بن علـيٍّ (١)

[١] ابن حمزة بن فارس الإمام شيخُ القُرّاء أبو يَعْلَى ابن القُبَّيطِيِّ الحَرّانيُّ، ثم البَغْداديُّ.

وُلد سنة أربع وعشرين وخمس مئة.

وكتبَ، وتعبَ، وحَصّل الأصولَ، لكن احترقت كُتُبه، وكان مليح الكتابة، مُتْقِناً، إماماً.

[٢] قال ابنُ النَّجّـار: أكثـرتُ عنـه، ولازمتُه، وسمعتُ منه من كُتُب القراءات والأدب، وكان ثقةً حُجّةً نبيلاً موصُوفاً بحُسن الأداء وطيب النَّغمة، يقصده الناس في التَّراويح، ما رأيتُ قارئاً أحلَى نَغْمَةً منه، ولا أحسنَ تجويداً، مع علو سِنِّه، وانقلاع ثنِيَّته، وكان تامَّ المعرفةِ بوجوه القراءاتِ وعِلَلِها وحِفْظِ أسانيدِها وطُرقِها، وكانت له معرفةٌ حَسَنةٌ بالحديثِ، وكان دَمِثاً لطيفاً متودِّداً، وكان في صباه من أحسن أهلِ زمانِه وأظرفِهم، مع صيانة ونَزاهة، وكانَ من أحسن الشيوخ صُورةً، وقد أكثر الشُّعراء في وصفه.

تُوفي في سنةَ اثنتينِ وست مئة.

---

(١) انظر السير: ٢١/ ٤٤١-٤٤٢.

٩٣١ عبدالغني (١)

[١] الإمام العالِمُ الحافِظُ الكبير الصَّادقُ القُدوة العابد الأثَرِيُّ(٢) المُتَّبِعُ عالِمُ الحُفَّاظِ تقيُّ الدِّين أبو محمد عبدُالغنيِّ بنُ عبدِالواحدِ بنِ عليٍّ المقدسيُّ الجمّاعيليُّ ثم الدِّمَشْقِيُّ المَنْشَأ الصَّالحيُّ الحَنْبلِيُّ.

وُلِدَ سنة إحدى وأربعين وخمس مئة بجمّاعيل.

سمع الكثير بدِمشق، والإسكندرية، وبيت المقدس، ومِصْرَ، وبغدَادَ، وحرّان، والمَوْصِل، وأصبَهان، وَهَمَذان، وكَتَبَ الكثير.

كان عظيم الخَلْق، تَامّ القامة، كأنَّ النّورَ يخرج من وجهه، وكان قد ضعف بصره من البكاء والنَّسْخ والمُطَالَعَة.

[٢] في حفظه:

قال ضياءُ الدين: كان شيخُنا الحافظُ لا يكاد يُسأل عن حديثٍ إلاّ ذَكَرَهُ وَبَيَّنَه، وَذَكَرَ صِحَّتَه أو سقمَه، ولا يُسأل عن رجلٍ إلاّ قال: هو فلان بن فلان الفُلاَنِي ويذكر نسبَهُ، فكان أميرَ المؤمنين في الحديث، سمعته يقول: كنت عند الحافظ أبي موسى، فجرى بيني وبين رجل مُنازعةٌ في حديث، فقال: هو في صحيح البُخاريّ، فقلتُ: ليس هو فيه، قال: فكتبه في رقعة، ورفعها إلى أبي موسى يسأله، قال: فناولني أبو موسى الرقعةَ، وقال: ما تقول؟ فقلت: ما هو في البخاريّ، فخجل الرجل.

قال الضّياءُ: رأيتُ في النَّومِ بمَرو كأنَّ البُخَارِيَّ بين يديِ الحافظِ عبدِالغني، يقرأ عليه من جزء وكان الحافظ يرد عليه، أو ما هذا معناه.

---

(١) انظر السير: ٢١ / ٤٤٣-٤٧١.

(٢) نسبة إلى عنايته بالأثر على صاحبه الصلاة والسلام.

وسمعت[1] إسماعيل بن ظفر يقول: قالَ رجلٌ للحافظ عبدالغني: رجل حلف بالطلاق أنّك تحفظ مئة ألف حديث، فقال: لو قال أكثر لصدق!

[١] في إفادته واشتغاله:

قال الضياء: وكان رحمه الله مُجتهداً على الطلب، يُكرم الطَّلبة، ويُحسن إليهم، وإذا صارَ عنده طالبٌ يَفْهَم أمره بالرِّحلة، ويفرح لهم بسماع ما يحصلونه، وبسببه سمع أصحابنا الكثير.

سمعت أبا إسحاقَ إبراهيمَ بن محمد الحافظ يقول: ما رأيتُ الحديثَ في الشام كلِّه إلّا ببركة الحافظ، فإنني كل من سألته يقول: أول ما سمعت على الحافظ عبدالغنيّ، وهو الّذي حَرَّضَنِي.

[٢] مجالسه:

كانَ رحمه الله يقرأُ الحديثَ يومَ الجُمعةِ بجامع دِمشق وليلةَ الخميس، ويجتمع خَلْقٌ، وكانَ يقرأ ويَبكي ويُبكي النَّاسَ كثيراً، حتى إن منَ حَضَرَه مَرّةً لا يكاد يتركه، وكانَ إذا فَرَغَ دعا دُعَاءً كثيراً.

سمعتُ شيخَنا ابنَ نجا الواعظَ بالقَرَافة يقول على المِنبر: قد جاء الإمامُ الحافِظُ، وهو يريد أن يقرأَ الحديثَ فأشتهي أن تَحضروا مجلسَه ثلاثَ مرات، وبعدها أنتم تعرفونه وتحصل لكم الرَّغبة، فجلس أوّل يوم، وحضرتُ، فقرأ أحاديث بأسانيدها حِفظاً، وقرأ جُزءاً ففرح الناسُ به، فسمعتُ ابنَ نجا يقول: حَصَلَ الذي كنت أُريده في أوّل مجلس.

وسمعتُ بعضَ مَن حضرَ يقول: بكىٰ النَّاسُ حتى غُشِيَ على بعضهم. وكان يجلس بمصرَ بأماكن.

سمعتُ محمود بن هَمَّام الأنْصَاريَّ يقول: سمعتُ الفقيه نجمَ بن

(١) الكلام للحافظ الضياء، ومثله الأقوال الآتية.

عبدالوَهَّاب الحنبليُّ يقول وقد حضر مجلسَ الحافظ: يا تقيَّ الدينِ واللهِ لقد حَمَلتَ الإسلام، ولو أمكنني ما فارقتُ مَجلسك.

أوقــــاته:

كان لا يُضيِّع شيئاً من زمانه بلا فائدة، فإنَّه كانَ يُصَلّي الفجرَ، ويلقِّن القرآنَ، وربما أقرأ شيئاً من الحديث تَلْقِيناً، ثم يقوم فيتوضأ، ويصلي ثلاث مئة ركعة بالفاتحة والمعوِّذَتَين إلى قبل الظهر، وينام نَوْمة ثم يصلي الظُهر، ويشتغل إمّا بالتَّسْمِيع أو النَّسخ إلى المغرب، فإن كان صائماً أفطر، وإلاّ صَلّى من المغرب إلى العشاء، ويصلِّي العشاءَ، وينام إلى نِصف اللّيل أو بعده، ثم قام كأنَّ إنساناً يُوقظه، فيصلِّي لحظةً ثم يتوضأ ويصلِّي إلى قُرب الفَجر، ربما توضأ سبع مرات أو ثمانياً في الليل، وقال: ما تطيب لي الصلاة إلاّ ما دامت أعضائي رَطْبَة، ثم ينام نَوْمَةً يسيرة إلى الفجر، وهذا دأبه.

أخبــرني خالي موفق الـدين قال: كانَ الحـافظُ عبـدُالغنيِّ جامعـاً للعلمِ والعَمَل، وكان رفيقي في الصِّبا، وفي طلب العِلم، وما كُنّا نَسْتَبِق إلى خَيْرٍ إلا سبقني إليه إلاّ القليل، وكَمَّلَ اللهُ فَضِيلتَه بابتلائه بأذى أهلِ البِدْعَةِ وَعَداوتِهم، ورُزِقَ العِلمَ وتَحْصيلَ الكُتُبِ الكثيرةِ إلاّ أنّه لم يُعَمَّر.

قال الضِّياء: وكانَ يستعمل السّواك كثيراً حتى كأنَّ أسنانه البَرَدُ.

سمعتُ محمود بن سَلامة التاجر الحَرّانيَّ يقول: كانَ الحافظُ عبدُالغنيِّ نازلاً عندي بأصبهان، وما كان ينام من اللَّيل إلاَّ قليلاً، بل يصلِّي ويقرأ ويبْكي.

وسمعتُ نصر بن رضوان المقرىء يقول: ما رأيت أحداً على سيرة الحافظ، كان مشتغلاً طول زمانه.

قيامه في المنكــر:

[١] كان لا يرى مُنكراً إلا غَيَّرَهُ بيده أو بلسانه، وكان لا تأخذه في الله لومة لائمٍ. قد رأيته مرة يهريق خمراً فجَبذَ صاحبُه السَّيفَ فلم يَخَفْ منه، وأخذه من يده، وكانَ قويّاً في بَدَنه، وكثيراً ما كان بدمشق ينكر ويكسر الطنابير والشَّبَّابات.

[٢] قال خالي الموفّق: كان الحافظ لا يَصبر عن إنكار المُنكر إذا رآه، وكنا مرّة أنكرنا على قومٍ وأرقنا خَمْرَهُم وتضاربنا، فسمع خالي أبو عُمرَ، فضاقَ صَدرُه، وخاصَمَنا، فلمّا جئنا إلى الحافظ طَيَّبَ قلُوبَنا، وصَوَّب فِعْلَنا وتلا: ﴿**وانْهَ عن المُنكرِ واصْبرْ علىٰ ما أصابكَ**﴾ (لقمان: ١٧).

[٣]وسمعت أبابكر بن أحمدَ الطَّحّان، قال: كان بعضُ أولادِ صلاحِ الدينِ قد عُمِلت لهم طنابير، وكانوا في بُستان يشربون، فلقيَ الحافِظُ الطَّنابير فكَسَرها. قال: فحدثَّني الحافظُ، قال: فلما كنت أنا وعبدالهادي عند حَمّامِ كافور إذا قومٌ كثير معهم عصيّ فخففت المشيَ، وجعلت أقول: (حسبي الله ونِعم الوكيل)، فلما صرت على الجِسْرِ لحقوا صاحبي، فقال: أنا ما كسرتُ لكم شيئاً، هذا هو الذي كَسَر. قال: فإذا فارس يركض فترَجَّل، وقَبَّل يَديّ، وقال: الصبيان ما عرفوك، وكانَ قد وضع الله له هيبةً في النفوس.

[٤]وذكـروا أن العادل قال: ما خفتُ من أحدٍ ما خفت من هذا، فقُلنا: أيها الملك هذا رجل فقيه. قال: لما دخل ما خُيِّل إليَّ إلاَّ أنه سَبْعٌ.

[٥] وسمعت أبابكر ابن الطحان، قال: كان في دولة الأفضل جعلوا الملاهي عند الدَّرَج، فجاء الحافظَ فَكَسَّر شيئاً كثيراً، ثم صعد يقرأ الحديث، فجاء رسول القاضي يأمره بالمشي إليه ليناظره في الدُّف والشَّبّابة فقال: ذاكَ عندي حَرامٌ ولا أمشي إليه، ثم قرأ الحديث. فعاد الرسول فقال: لا بُدّ من المشي إليه، أنت قد بطّلت هذه الأشياء على السُّلطان، فقـال الحـافظ: ضرب الله رقبتَه ورقبةَ

السُّلطان، فمضى الرسول وخفنا، فما جاء أحدٌ.

ومـن شـمـائـلـه:

[١]قال الضياء: ولمّا وصلَ إلى مِصْرَ كُنّا بها، فكان إذا خرج للجُمعة لا نقدر نمشي معه من كثرة الخَلْق، يتبركون به ويجتمعون حوله، وكُنّا أحداثاً نكتب الحديثَ حوله، فضحكنا من شيء وطال الضحك، فتبسم ولم يَحْرَدْ(١) علينا، وكانَ سَخِيّاً جواداً لا يَدَّخِر ديناراً ولا دِرْهماً مهما حَصَّل أخرجَهُ. لقد سمعت عنه أنه كان يخرج في الليلِ بقفاف الدَّقيق إلى بيوتٍ مُتنكراً في الظّلمة، فيعطيهم ولا يُعْرَف، وكان يُفْتَح عليه بالثِّياب فيعطي الناس وثوبه مُرَقَّع.

[٢]وسمعت أحمد بن عبدالله العِراقيَّ، حدثني منصور الغَضاريُّ قال: شاهدتُ الحافظَ في الغَلاءِ بمصر وهو ثلاث ليال يُؤثر بعشائه ويطوي.

[٣]رأيت يوماً قد أُهديَ إلى بيت الحافظ مشمش فكانوا يفرقون، فقال من حينه: فرّقوا ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢).

وقد فُتح له بكثير من الذَّهب وغيرِه فما يترك شيئاً حتى قال لي ابنه أبو الفَتْح: والدي يُعطي الناس الكثير ونحن لا يبعث إلينا شيئاً، وكنا ببغداد.

[٤] ما ابتُلِي الحافظُ بـه:

قالَ الضِّياءُ: سمعتُ أبـا محمـد عبـدالـرحمـان بن محمد بن عبدالجبار، سمعت الحافظ يقول: سألتُ الله أن يرزقني مثلَ حال الإمام أحمدَ فقد رزقني صلاتَهُ، قال: ثم ابتلي بعد ذلك وأوذي.

سمعتُ الإمامَ عبدَاللهِ بنَ أبي الحسنِ الجُبَّانيَّ بأصبهان يقول: أبو نُعَيم قد أخذ على ابن مَنْدة أشياء في كتاب «الصحابة» فكان الحافظ أبو موسى يشتهي

(١) الحرد: الغضب.

أن يأخذَ على أبي نُعَيم في كتابه الذي في الصحابة فما كان يجسر، فلما قَدِم الحافظ عبدالغني أشار إليه بذلك، قال: فأخذ على أبي نعيم نحواً من مئتين وتسعين موضعاً، فلما سمع بذلك الصَّدرُ الخُجَنْدِيُّ طلب عبدالغني وأراد هلاكَهُ، فاختفى.

وسمعتُ محمودَ بنَ سَلامةَ يقول: ما أخرجْنا الحافظ من أصبهان إلّا في إزار، وذلك أن بيت الخُجَنديِّ أشاعرة، كانوا يتعصبون لأبي نُعَيم، وكانوا رؤساءَ البلَدِ.

وسمعت الحافظ يقول: كنا بالمَوْصل نسمع «الضعفاء» للعُقَيليّ، فأخذني أهلُ المَوْصِل وحبسوني، وأرادوا قتلي من أجل ذكر شيء فيه[1] فجاءني رجل طويل ومعه سيف، فقلت: يقتلني وأستريح، قال: فلم يصنع شيئاً، ثم أطلقوني، وكان يسمع معه ابن البَرْنيِّ الواعظ فقلعَ الكرّاس الذى فيه ذلك الشيء فأرسلوا، وفتشوا الكتاب، فلم يجدوا شيئاً، فهذا سببُ خلاصِه.

وقال: كان الحافظُ يقرأ الحديثَ بدمشق، ويجتمع عليه الخَلْق، فوقع الحسد، فشرعوا عملوا لهم وقتاً لقراءة الحديث، وجمعوا الناس، فكان هذا ينام وهذا بلا قلب[2] فما اشتفوا، فأمروا النّاصحَ ابنَ الحنبليِّ بأن يعظَ تحت النسرِ يوم الجمعة وقتَ جلوسِ الحافظ، فأول ذلك أن النّاصح والحافظ أرادا أن يختلفا في الوقت، فاتفقا أن النّاصح يجلس بعد الصَّلاة، وأن يجلسَ الحافظُ العَصْرَ، فدسّوا إلى النَّاصح رجلاً ناقصَ العَقل من بني عساكر فقال للنّاصح في المجلس ما معناه: إنك تقول الكذب على المنبر، فُضرِبَ وهرب، فتمت مكيدتهم، ومشوا إلى الوالي وقالوا: هؤلاء الحنابلة قصدهم الفِتنة، واعتقادُهم

---

(١) يعني من أجل ذكر الإمام أبي حنيفة.

(٢) يعني أنهم كانوا يجمعون الناس من غير اختيارهم، فكان بعضهم ينام، وكان البعض يحضر وقلبه غير حاضر.

يخالف اعتقادَنا، ونحو هذا، فبعث الأسرى[1] فرفعوا ما في جامع دمشق من منبر وخزانة، ودَرَابزين، وقالوا: نريد أن لا تجعل في الجامع إلّا صلاة الشافعية وكسّروا منبر الحافظ، ثم إن الحافظ ضاق صدرُه ومضى إلى بَعْلَبَك، فأقام بها مدة، فقال له أهلها: إن اشتهيت جئنا معك إلى دمشق نؤذي من آذاك، فقال: لا، وتوجه إلى مصر فبقي بنابلس مدة يقرأ الحديث، وكنت أنا بمصر، فجاء شاب من دمشق بفتاوٍ إلى صاحبِ مِصْرَ الملكِ العزيز ومعه كُتُبٌ أنّ الحنابلةَ يقـولون كذا وكذا مما يُشَنّعون به عليهم، فقال ـ وكان يتصيد ـ : إذا رجعنا أخرجنا من بلادنا من يقول بهذه المقالة، فاتفق أنّه عدا به الفرس، فَشَبّ به فسقط فخُسِفَ صدرُه، وبقي الحافظ بمصر، وهم ينالون منه، حتى عزم الملكُ الكاملُ على إخراجه، واعتُقِل في دارٍ أسبوعاً، فسمعت أبا موسى يقول: سمعت أبي يقول: ما وجدتُ راحةً في مصرَ مثلَ تلك الليالي. قال: وكانت امرأة في دارٍ إلى جانب تلك الدار، فسمعتُها تبكي، وتقول: بالسِّرِّ الذي أودعتَه قلبَ موسى حتى قَوِيَ على حمل كلامك. قال: فدعوت به فخلصتُ تلك الليلة. [١]

[٢] قلت: وذكر أبو المظفر الواعظ في «مرآة الزمان» قال: كان الحافظُ عبدُالغنيِّ يقـرأ الحـديث بعد الجمعة، قال: فاجتمع القاضي محيي الدين، والخطيب ضياء الـدين، وجمـاعـةٌ، فصعـدوا إلى القلعة، وقالوا لواليها: هذا قد أضل النـاس، ويقـول بالتَّشبيه، فعقدوا له مَجْلِسا، فناظَرهُم، فأخذوا عليه مواضع منها: قوله: (لا أنزهه تنزيهاً ينفي حقيقةَ النُّزول)، ومنها: (كان الله ولا مَكان، وليس هو اليوم على ما كان)، ومنها: مسألة الحرف والصوت، فقالوا: إذا لم يكن على ما كان فقد أثبت له المكان، وإذا لم تنزهه عن حقيقة النزول فقد جوزت عليه الانتقال، وأما الحرفُ والصوت فلم يصح عن إمامك، وإنما قال:

---

(١) هكذا في الأصل وفي الذيل لابن رجب، والظاهر أنه اسم لجماعة من أعوان الوالي من الشرطة أو الجيش.

إنه كلام الله، يعني غير مخلوق، وارتفعت الأصوات، فقال والي القلعة الصارم برغش: كل هؤلاء على ضلالة وأنت على الحق؟ قال: نعم. فأمر بكسر منبرِه.

قال: وخرج الحافظ إلى بَعْلَبَك، ثم سافر إلى مصرَ إلى أن قال: فأفتى فقهاء مصرَ بإباحة دمِه، وقالوا: يفسد عقائدَ الناس، ويذكر التجسيم، فكتب الوزير بنفيه إلى المغرب، فمات الحافظ قبل وصول الكتاب.

[١]وقال أيضاً: وفي ذي القعدة سنة ست وتسعين وخمس مئة كان ما اشتهر من أمر الحافظ عبدالغني وإصراره على ما ظهر من اعتقاده وإجماع الفقهاء على الفُتيا بتكفيره، وأنه مُبْتَدِعٌ لا يجوز أن يُترك بين المسلمين، فسأل أنَ يُمْهلَ ثلاثة أيام لينفصل عن البلد فأجيب.

[٢] قلت: قد بلوتُ على أبي المظفر المُجَازفةَ وقِلّةَ الوَرَعِ فيما يُؤرّخه والله الموعد، وكان يَتَرَفَّض، رأيت له مُصَنّفاً في ذلك فيه دواهٍ، ولو أجمعت الفقهاء على تكفيره كما زعم لما وسِعهم إبقاؤه حيّاً، فقد كان على مقالته بدمشق أخوه الشيخ العماد والشيخُ موفّقُ الدينِ، وأخوه القدوةُ الشيخُ أبوعمر، والعلّامة شمس الدين البُخَارِيّ، وسائر الحنابلة، وعِدّة من أهل الأثر، وكان بالبلد أيضاً خَلْقٌ من العُلَمَاء لا يكفرونه، نعم ولا يُصَرِّحون بما أطلقه من العبارة لمّا ضَايَقوه، ولو كفّ عن تلك العبارات، وقال بما وردت به النصوص لأجاد ولسلم، فهو الأولى، فما في توسيع العبارات المُوهِمَةِ خيرٌ، وأسوأ شيء قاله أن ضلل العلماء الحاضرين، وأنه على الحق، فقال كلمة فيها شر وفساد وإثارة للبلاء، رحم الله الجميعَ وغَفَرَ لهم، فما قصدهم إلّا تعظيم البارى عزّ وجل من الطرفين، ولكن الأكمل في التعظيم والتنزيه الوقوف مع ألفاظ الكتاب والسنة، وهذا هو مذهب السَّلَفِ رضي الله عنهم.

وبكل حال فالحافظ عبدالغني من أهل الدِّين والعِلم والتألُّه والصَّدع بالحق،

ومحاسنه كثيرة، فنعوذُ بالله من الهوى والمراء والعصبية والافتراء، ونبرأ من كل مُجَسِّم ومُعَطِّل.

من فراسة الحافظ وكراماته:

قال الحافظ الضياء: سمعت الحافظ أبا موسى بن عبدالغني يقول: كنت عند والدي بمصر، وهو يذكر فضائلَ سُفيانَ الثَّوريِّ، فقلت في نفسي: إنّ والدي مثله، فالتفت إليَّ، وقال: أين نحن من أولئك؟

سمعت أبا موسى ابن الحافظ، حدثني أبو محمد أخو الياسمينيّ، قال: كنتُ يوماً عند والدك، فقلت في نفسي: أشتهي لو أنّ الحافظَ يعطيني ثوبَه حتى أُكَفَّن فيه. فلما أردتُ القيام خلع ثَوْبَه الذي يلي جَسَدَهُ وأعطانيه، وبقي الثوب عندنا كل مَن مرض تركوه عليه فَيُعَافَى.

حدثني فضائل بن محمد بن علي بن سرور بجمّاعيل، حدثني ابن عمي بدران بن أبي بكر، قال: كنتُ مع الحافظ يعني في الدار التي وقفها عليه يوسف المسجّف، وكان الماء مقطوعاً، فقام في الليل، وقال: املأ لي الإبريق، فقضى الحاجة، وجاء فوقف، وقال: ما كنت أشتهي الوضوء إلاّ من البِركة، ثم صَبَرَ قليلاً فإذاالماء قد جَرَى، فانتظر حتى فاضت البِركة، ثم انقطع الماء، فتوضأ، فقلت: هذه كرامة لك، فقال لي: قل: أستغفر الله، لعل الماء كان محتبساً، لا تقل هذا.

وسمعت الرضي عبدالرحمان يقول: كان رجل قد أعطى الحافظ جاموساً في البَحْرَة فقال لي: جيء به وبِعه، فمضيت فأخذته فنفر كثيراً وبقي جماعة يضحكون منه، فقلت: اللهم ببركة الحافظ سهّل أمره فسُقْتُه مع جاموسين، فسهُل أمره، ومشى فبعته بقرية.

[١] وفـــاتـــه:

سمعت أبا موسى يقول: مرض أبي في ربيع الأول مرضاً شديداً منعه من الكلام والقيام، واشتدّ ستةَ عشرَ يوماً، وكنت أسأله كثيراً: ما يشتهي؟ فيقول: أشتهي الجنة، أشتهي رحمة الله، لا يزيد على ذلك، فجئته بماء حار فمدّ يده فوضأته وقت الفجر، فقال: يا عبدَاللهِ قم صل بنا وخفف، فصليت بالجماعة، وصلّى جالساً، ثم جلستُ عند رأسه، فقال: اقرأ يس، فقرأتها، وجعل يدعو وأنا أؤمّن، فقلت: هنا دواء تشربه، قال: يا بني ما بقي إلّا الموت، فقلت: ما تشتهي شيئاً؟ قال: أشتهي النَّظرَ إلى وجه اللهِ سبحانه، فقلت: ما أنت عني براض؟ قال: بَلَى والله، فقلت: ما توصي بشيء؟ قال: ما لي على أحد شيء، ولا لأحدٍ عليَّ شيء، قلت: توصيني؟ قال: أوصيك بتقوى الله والمحافظة على طاعته، فجاء جماعة يعودونه، فسلموا، فردّ عليهم، وجعلوا يتحدثون، فقال: ما هذا؟ اذكروا الله، قولوا: لا إله إلا الله، فلما قاموا جعل يذكر الله بشفتيه، ويشير بعينيه، فقمت لأناولَ رجلاً كتاباً من جانب المسجد فرجعت وقد خرجت روحُه، رحمه الله، وذلك يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة ست مئة، وبقي ليلة الثلاثاء في المسجد واجتمع الخَلْق من الغد فدفناه بالقرافة.

قال الضياء: تزوج الحافظ بخالتي رابعة ابنة خاله الشيخ أحمد بن محمد بن قُدامة، فهي أمُّ أولادِه محمد وعبدالله وعبدالرحمان وفاطمة، ثم تَسَرّى بمصر.

قلـت: أولاده علماء.

من المنامـات:

أورد له الشيخ الضياء عدة منامات منها:

[٢] سمعتُ الـرَّضي عبدالرحمن بن محمد يقول: رأيت كأن قائلاً يقول: جاء الحافظ من مِصْرَ، فمضيتُ أنا والشيخ أبو عمرو العز ابن الحافظ إليه، فجئنا

إلى دار فَفُتِحَ الباب: فإذا الحافظ وعلى وجهه عمود من نور إلى السماء، وإذا والدته في تلك الدار.

[١] سمعتُ الشيخ الصالح غشيم بن ناصر المِصريّ قال: لما مات الحافظ كنت بمكـة، فلمـا قدمتُ قلت: أينَ دُفِن؟ قيل: شرقي قبـر الشافعيّ، فخرجتُ، فلقيتُ رجـلاً، فقلت: أين قبـرُ عبدِالغنيّ؟ قال: لا تسألني عنه، ما أنا على مَذْهبه ولا أحبّه، فتركته، ومشيت، وأتيت قبر الحافظ، وترددت إليه، فأنا بعض الأيام في الطريق فإذا الرجل فَسَلّم علي وقال: أما تعرفني؟ أنا الذي لقيتك من مدّة وقلت لك كذا وكذا، مضيت تلك الليلة فرأيت قائلاً يقول لي: يقول لك فلان وَسَمَّاني: أين قبر عبدِالغنيّ؟ فتقول ما قلت؟! وكَرَّر القول عليَّ، وقال: إن أراد الله بك خيراً فأنت تكون على ما هو عليه، ثم قال: فلو كنت أعرف منزلك لأتيتك.

[٢] سمعت أبا موسى ابن الحافظ، حدثني صنيعة الملك هبة الله بن حَيْدَرَة قال: لما خرجتُ للصلاة على الحافظ لقيني هذا المغربي[١] فقال: أنا غريب، رأيت البـارحة كأنّي في أرض بها قوم عليهم ثياب بيض، فقلت: ما هؤلاء؟ قيل: ملائكةُ السماءِ نزلوا لموت الحافظ عبدالغني، فقلت: وأين هو؟ فقيل لي: اقعد عند الجامع حتى يخرجَ صنيعة الملك فامضِ معه، قال: فلقيته واقفاً عند الجامع.

[٣] سمعتُ الفقيه أحمد بن محمد بن عبدالغني سنة اثنتي عشرة يقول: رأيت البارحة أخاكَ الكمالَ عبدالرحيم ـ وكان تُوفِّيَ تلك السنة ـ في النوم، فقلت: يا فلان أين أنت؟ قال: في جنة عَدن، فقلت: أيما أفضل الحافظ أو الشيخ أبو عُمر؟ فقال: ما أدري، وأما الحافظ فكل ليلة جمعة يُنصب له كرسيٌّ تحت العرش، ويقرأ عليه الحديث، ويُنْثَرُ عليه الدُّرُّ والجوهر، وهذا نصيبي منه، وكان

(١) كان رجلا مغربيا معه، فهو يشير إليه.

في كُمّه شيءٌ.

[١]سمعتُ القاضيَ الإمامَ عمرَ بنَ عليٍّ الهَكّاريَّ بنابلس يقول: رأيتُ الحافظ كأنه قد جاء إلى بيت المقدس، فقلتُ: جئْتَ غيرَ راكب، فعل الله بمن جئت من عندهم! قال: أنا حملني النبيُّ صلّى الله عليه وسلم.

٩٣٢ ابـنُ الأثَـير(١)

[٢]القـاضي الـرَّئيس العَـلاّمـة البارع الأوحد البَليغ مجدُ الدِّينِ أبو السَّعاداتِ المُباركُ بنُ محمدِ بنِ محمدٍ الشَّيبانِيُّ الجَزَرِيُّ ثم المَوْصِليُّ، الكاتب ابن الأثير صاحب «جامع الأُصول» و «غَريب الحديث» وغير ذلك.

مولده بجزيرة ابن عُمر في سنة أربع وأربعين وخمس مئة، ونشأ بها.

اتصـل بالأمير مُجـاهدِ الدينِ قيماز الخادم إلى أن توفِّيَ مخدومُه، فكتب الإنشـاء لصـاحب المَـوْصلِ عزالدين مسعود الأتابكيّ، وَوَلِيَ ديوانَ الإنشاء، وعظم قدره. وله اليد البيضاء في التَّرسُّل، وصنَّف فيه. ثم عَرَضَ له فالج في أطرافه، وعجزَ عن الكِتابة، ولزمَ دارَهُ، وأنشأ رباطاً في قرية وقف عليه أملاكه، وله نظم يسير.

كان ورعـاً، عاقـلاً، بهيّاً، ذا بِرٍّ وإحسـان. وأخـوهُ عزالدين علي صاحب «التاريخ»، وأخوهما الصاحب ضياء الدين مصنف كتاب «المثل السائر».

[٣]قال ابنُ الشَّعّار: كان من أشدِّ الناس بُخلاً.

قلت: مَن وقفَ عقـاره لله فليس ببخيل، فمـا هو ببخيل، ولا بجواد، بل صاحب حزم واقتصاد، رحمه الله!

عاش ثلاثاً وستين سنة. توفِّي في سنة ست وست مئة بالمَوْصل.

[١] حكى أخوه العزّ، قال: جاء مغربيٌّ عالجَ أخي بدهن صنعه، فبانت ثمرته، وتمكّن من مدّ رجليه، فقال لي: أعطه ما يُرضيه واصرفه، قلت: لماذا وقد ظهر النُّجْحُ؟ قال: هو كما تقول، ولكني في راحة من ترك هؤلاء الدَّولة، وقد سَكَنَتْ نفسي إلى الانقطاع والدَّعة، وبالأمس كنتُ أُذَلُّ بالسَّعي إليهم، وهنا فما يجيئوني إلّا في مشورة مُهِمَّة، ولم يبق من العُمر إلا القليل.

٩٣٣ فخر الدين(١)

[٢] العلاّمةُ الكبير ذُو الفُنون فخرُ الدِّينِ محمدُ بنُ عُمرَ بنِ الحُسينِ القُرَشِيُّ البَكْرِيُّ الطَّبَرَستانيُّ الأُصوليُّ المُفَسِّر كبيرُ الأذكياءِ والحُكماءِ والمُصَنِّفين.

ولد سنة أربع وأربعين وخمس مئة.

واشتغل على أبيه الإمام ضياءِ الدينِ خَطِيبِ الرَّي، وانتشرت تواليفُهُ في البلاد شرقاً وغرباً، وكان يتوقَّدُ ذكاءً، وقد سُقتُ تَرجمتَهُ على الوَجْهِ في «تاريخ الإسلام». وقد بَدَت منه في تواليفه بلايا وعظائِم وسِحرٌ وانحرافات عن السُّنّة، والله يعفو عنه، فإنّه توفِّي على طريقة حَمِيدة، والله يتولى السَّرائر.

مات بَهَرَاةَ سنة ست وست مئة، وله بضعٌ وستون سنة.

[٣] وقد اعترف في آخر عُمره حيث يقولُ:

لقد تأملّت الطُّرُقَ الكلامية والمناهجَ الفلسفية فما رأيتها تشفي عَليلاً ولا تَروي غليلاً، ورأيتُ أقربَ الطرقِ طريقةَ القرآن، أقرأُ في الإثبات: **﴿الرَّحمن على العرش استوى﴾**، **﴿إليه يَصعد الكَلِم﴾** وأقرأُ في النفي: **﴿لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾** ومن جَرَّبَ تَجْرِبَتي عرف مثلَ مَعْرِفَتي.

---

(١) انظر السير: ٢١/ ٥٠٠-٥٠١.

٩٣٤ ابن سكينة [1]

[١]الشَّيخُ الإمامُ العالِمُ الفقيه المُحَدِّث الثِّقةُ المُعَمِّر القُدوة الكبيرُ شيخُ الإسلام مَفْخَر العِراقِ ضياءُ الدين أبو أحمدَ عبدُالوهّابِ ابن الشيخ الأمين أبي منصور عليّ بن عليّ بن عُبيدالله ابن سُكَينةَ البَغْدَاديُّ الصُّوفيُّ الشَّافعيُّ.

وسُكينة هي والدةِ أبيه. مولده سنةَ تسعَ عشرةَ وخمسِ مئة.

وعُني بالحديث عنايةً قويةً، وبالقراءات، فبرع فيها.

[٢] قال ابنُ النّجَّار: شيخُنا ابن سُكينةَ شيخُ العِراقِ في الحديث والزُّهد وحُسْن السَّمْتِ وموافقةِ السُّنَّةِ والسَّلف. عُمِّر حتى حَدَّثَ بجميع مروياته، وقَصَدَهُ الطلّاب، من البلاد، وكانت أوقاتُه محفوظةً، لا تمضي له ساعةٌ إلا في تِلاوةٍ أو ذكْرٍ أو تَهَجُّدٍ أو تسميعٍ، وكان إذا قُرِىء عليه مَنَعَ من القيام له أو لغيره. وكان كثيرَ الحجِّ والمجاورةِ والطَّهارة، لا يخرجُ من بيته إلّا لحضور جُمُعَةٍ أو عيد أو جَنازة، ولا يحضر دورَ أبناءِ الدُّنيا في هناءٍ ولا عَزاء، يديم الصَّومَ غالباً، ويستعمل السنَّةَ في أموره، ويحب الصالحين، ويُعَظِّم العلماء، ويتواضع للناس، وكان يكثر أن يقول: أسأل اللهَ أن يُميتنا مُسلمين، وكان ظاهرَ الخشوع، غزيرَ الدَّمعةِ، ويعتذر من البُكاء، ويقول: قد كبرت ولا أملكه، وكان الله قد ألبسه رداءً جميلاً من البهاء وحُسْن الخِلْقَة وقبول الصُّورة، ونُور الطاعة، وجلالة العبادة، وكانت له في القلوب منزلة عظيمة، ومن رآه انتفع برؤيته، فإذا تكلَّم كان عليه البهاء والنُّور، لا يُشبعُ من مجالسته. لقد طُفتُ شرقاً وغرباً ورأيت الأئمةَ والزُّهّادَ فما رأيتُ أكملَ منه ولا أكثرَ عبادةً ولا أحسن سَمْتاً.

---

(١) انظر السير: ٢١/ ٥٠٢-٥٠٥.

قال الإمام أبو شامة: وفي سنة سبع وست مئة توفِّيَ ابنُ سُكينة، وحضَرهُ أربابُ الدَّولة، وكانَ يوماً مشهوداً. ثم قال: وكان مِن الأبدال.

٩٣٥ ابـــنُ طَـــبَرْزَذ(١)

[١] الشَّيخ المُسْند الكبير الرحلَةُ أبو حفص عُمرُ بنُ محمدِ بنِ مُعَمَّرٍ البَغْدَاديُّ المؤدِّب ويعرف بابن طِبَرْزَذ. والطَّبَرْزَذ بذال معجمة هو السُّكَّر.

مولده في سنة ست عشرة وخمس مئة.

وقال ابن الدُّبَيْثِيِّ: عاش تسعين سنة وسبعة أشهر.

قال أبوشامة: تُوفِّيَ ابنُ طبرزذَ وكان خليعاً ماجناً.

[٢] قال ابنُ النَّجّار: كان يؤدِّب الصبيان، ويكتب خطّاً حسناً، ولم يكن يفهم شيئاً من العلم، وكان متهاوناً بأمور الدِّين، رأيته غيرَ مرّةٍ يبول من قيام، فإذا فرغ من الإراقة أرسل ثوبَه وقَعَد من غير استنجاء بماء ولا حجر.

قلت: لعله يرخص بمذهب من لا يُوجب الاستنجاء.

قال: وكنّا نسمع منه يوماً أجمع، فنصلي ولا يُصلي معنا، ولا يقوم لصلاة، وكان يطلب الأجرَ على رواية الحديث، إلى غير ذلك من سوءِ طَرِيقته، وخَلَّف ما جمعَهُ من الحُطام، لم يُخْرِج منه حَقّاً لله عز وجل.

[٣] وسمعت القاضي أبا القاسم ابن العَدِيم يقول: سمعت عبدالعزيز بن هلالة يقول: وغالب ظني أنني سمعته من ابن هِلالة بخُراسان، قال: رأيتُ عُمر بن طَبَرْزَذ في النوم بعد موته وعليه ثوب أزرق، فقلت له: سألْتُك بالله ما لقيتَ بعد موتك؟ فقال: أنا في بيت من نار، داخل بيت من نار، فقلتُ: ولِمَ؟ قال: لأخذ الذَّهبَ على حديثِ رسول الله صلّى الله عليه وسلم.

(١) انظر السير: ٢١/ ٥٠٧-٥١٢.

[١] قلت: الظاهر أنَّه أخَذَ الذَّهبَ وكَنَزه ولم يزكِّه، فهذا أشدُّ من مُجرد الأخذ، [٢] فمن أخـذ من الأمراء والكبار بلا سؤال وهو محتاج فهذا مُغْتَفرٌ له، فإن أخذ بسؤال رُخِّص له بقَدَر القُوت، وما زاد فلا، ومن سأل وأخذ فوق الكفايةِ ذُمّ، ومن سأل مع الغِنى والكفاية حَرُمَ عليه الأخذ، فإن أخذ المال والحالة هذه وكَنَزَه ولم يؤدّ حق الله فهو من الظالمين الفاسقين، فاستفتِ قلبك، وكن خَصْماً لربك على نفسك.

قال عمر بن المبارك بن سهلان: لم يكن أبو البقاء بن طَبَرْزَذ ثقة، كان كَذّاباً يضع للناس أسماءَهم في الأجزاء ثم يذهب فيقرأ عليهم، عرف بذلك شيخُنا عبدالوهاب ومحمد بن ناصر وغيرهما.

توفِّي أبوحفص بن طَبَرْزَذ في سنة سبع وست مئة، ودفن بباب حرب، والله يسـامحـه، فمع ما أبدينا من ضعفه قد تكاثر عليه الطلبة، وانتشر حديثه في الآفاق وفرح الحُفّاظ بعواليه، ثم في الزمن الثاني تزاحموا على أصحابه، وحملوا عنهم الكثير وأحسنوا الظن، والله الموعد، ووثّقه ابن نُقطة.

٩٣٦ - الشيخ أبو عُمــر[1]

[١] الإمامُ العالمُ الفقيهُ المقرئُ المحدِّثُ البَرَكةُ شيخُ الإسلام أبو عُمرَ محمدُ ابن أحمدَ بنِ محمدِ بنِ قُدامةَ المَقْدِسِيُّ الجَمَّاعِيليُّ الحَنبليُّ الزَّاهد، واقف المدرسة.

مولده في سنة ثمان وعشرين وخمس مئة بقرية جَمَّاعيل من عَمَل نابلس. وتحوَّل إلى دِمشقَ هو وأبوه وأخوه وقرابته مهاجرين إلى الله، وتركوا المال والوطن لإستيلاء الفِرَنْجِ، وسكنـوا مدّةً بمسجد أبي صالح بظاهر باب شرقي ثلاث سنين، ثم صعـدوا إلى سفـح قاسيون، وبنـوا الدَّيرَ المُباركَ والمسجدَ العتيقَ وسكنوا ثَمَّ، وعُرفوا بالصالحيّة نسبة إلى ذاك المسجد.

[٢] كان لا يسمع دعاءً إلاّ ويحفظه في الغالب، ويدعو به، ولا حديثاً إلا وعمل به، ولا صلاة إلاّ صلاّهـا، كان يصلّي بالنـاس في النصف[2] مئة ركعة وهو مسنّ، ولا يتـرك قيامَ الليل من وقت شُبُوبيّتِه، وإذا رافق ناساً في السَّفرِ ناموا وحَرَسَهم يصلي.

[٣] قلت: كان قُدوةً صالحـاً، عابـداً قانتـاً لله، رَبَّـانيّاً، خاشعاً مُخلصاً عديمَ النظير، كبيرَ القَدر، كثيرَ الأورادِ والذكرِ، والمروءَة والفُتوّةِ والصِّفات الحَميدة، قلَّ أن ترى العُيونُ مثلَه. قيل: كان ربما تَهَجَّد فإن نَعَسَ ضرب على رجليه بقضيب حتى يطيرَ النُّعَـاس، وكـان يُكْثِـر الصِّيام، ولا يكاد يسمع بجنازة إلا شهدها ولا مريض إلاّ عادَهُ، ولا جهاد إلا خرَجَ فيه، ويتلو كلَّ ليلةٍ سُبْعاً مُرتّلاً في الصـلاة، وفي النهـار سُبعـاً بين الصـلاتين، وإذا صلَّى الفجـرَ تلا آياتِ

---

(١) انظر السير: ٢٢/ ٥-٩.

(٢) يعني في نصف شعبان.

الحرسِ ويّس والواقعة وتبارك، ثم يُقرىء ويُلَقِّن إلى ارتفاع النهار، ثم يصلِّي الضُّحىَ، فيطيل ويُصلِّي طويلاً بين العشائين ويصلِّي صلاةَ التَّسبيحِ كلَّ ليلةِ جُمُعـة، ويصلّي يوم الجمعة رَكعتين بمئة ﴿**قل هو الله أحد**﴾، فقيل: كانت نوافله في كل يوم وليلةٍ اثنتين وسبعين ركعةً، وله أذكار طويلة، ويقرأ بعد العشاءِ آياتِ الحرس، وله أوراد عند النوم واليقظة وتسابيح، ولا يَتْرك غُسلَ الجمعة، وينسخ «الخِرَقي» من حفظه، وله معرفة بالفقه والعَربية والفرائض. وكان قاضياً لحوائج الناس، ومَن سافرَ من الجماعة يتفقد أهاليَهم، وكان الناس يأتونه في القضايا فيُصلح بينهم، وكان ذا هيبةٍ ووقع في النفوس.

قال الشيخ الموفق: ربّانا أخي، وَعَلَّمَنا، وحَرَصَ علينا، كان للجماعة كالوالد يَحْرِصُ عليهم ويقوم بمصالحهم، وهو الذي هاجر بنا، وهو سَفَّرَنا إلى بغداد، وهو الذي كان يقوم في بناء الدَّير، وحين رجعنا زَوَّجَنَا وبنى لنا دُوراً خارج الدَّير، وكان قلّما يتخلف عن غَزاة.

كان هو وأصحابُهُ في خيمة على حصار القُدسِ فزارهُ الملكُ العادل، فلم يجـده، فجلس ساعـةً، وكـان الشيخ يُصلِّي فذهبـوا خلفـه مرتين فلم يجىء فأحضروا للعادل أقراصاً فأكل وقام وما جاء الشيخ.

[١] قال الشيخ العِماد: سمعتُ أخي الحافظ يقول: نحن إذا جاء أحدٌ اشتغلنا به عن عملنا، وإنّ خالي أبو عمر فيه للدنيا والآخرة يُخالط الناس ولا يخلي أورادَه.

[٢] قلتُ: كان يخطب بالجامع المظفّريِّ، ويُبكِي الناسَ، وربما ألّف الخُطبة وكان يقرأ الحديثَ سريعاً بلا لَحْن.

[٣] وقد استسقى مرّة بالمغارة فحينئذٍ نزل غيثٌ أجرى الأودية.

[٤] وكان إذا سمع بمنكر اجتهد في إزالته، ويكتب فيه إلى المَلِك، حتى سمعنا عن بعض الملوك أنّه قال: هذا الشيخ شريكي في ملكي.

تزوّج في عمره بأربع.

وتوفِّي إلى رضوان الله سنةَ سبع وست مئة.

٩٣٧ ـ الكِنْدِيّ(١)

[١] الشيخُ الإمامُ العَلاّمةُ المُفتي، شيخُ الحنفية، وشيخُ العربية، وشيخُ القراءات، ومُسند الشام، تاج الدين أبو اليُمنِ زيدُ بنُ الحسنِ بنِ زيدٍ الكِنديُّ البَغْدَاديُّ. ولد سنةَ عشرين وخمس مئة.

[٢] وحفظ القرآن وهو صغير مُمَيّز، وقرأه بالروايات العَشْر، وله عشرة أعوام، وهذا شيء ما تهيّأ لأحد قبله، ثم عاش حتى انتهى إليه علو الإسناد في القراءات والحديث.

كان حنبلياً، فانتقل حَنَفيّاً، وبرعَ في الفقه، وفي النحو، وأفتى وَدَرَّسَ وَصَنَّفَ، وله النّظمُ والنّثْرُ، ثِقَةً في نَقْلِهِ، ظَريفاً كَيّساً، ذا دعابةٍ وانطباعٍ.

قال ابن النَّجار: وكان الملك المعظّم يقرأُ عليه الأدبَ، ويقصده في منزله ويُعظِّمه.

وكان بهيّاً وقوراً، أشبه بالوزراء من العلماء، لجلالته وعلو منزلتِه، وكان أعلمَ أهلِ زمانه بالنحو، أظنه يحفظ «كتاب سيبويه». ما دخلت عليه قطُّ إلاّ وهو في يده يطالعه، وكان في مجلد واحد رفيع يقرؤه بلا كُلْفة وقد بلغَ التّسعين، وكان قد مُتِّعَ بسمعِهِ وبصرِه وقوّتِهِ.

[٣] وقال القِفْطيّ: كان لَيّناً في الرواية، معجباً بنفسه فيما يذكره ويرويه، وإذا نُوظِرَ جَبَهَ بالقبيح، ولم يكن موفَّقَ القلم، رأيتُ له أشياءً باردةً، واشتُهِر عنه أنّه لم يكن صحيحَ العقيدة.

---

(١) انظر السير: ٢٢/ ٣٤-٤١.

[١] قلت: ما علِمنا إلا خَيْراً، وكان يُحبُّ الله ورسولَه وأهلَ الخَير، وشاهدت له فتيا في القرآن تدل على خير وتقريرٍ جيد، لكنها تُخالِفُ طريقةَ أبي الحسن،(١) فلعلَّ القِفطيّ قصد أنه حنبليُّ العَقْدِ، وهذا شيء قد سَمُجَ القولُ فيه فكل من قصد الحق من هذه الأمة فالله يغفِرُ له، أعاذنا الله من الهوى والنفس.

وقال الموفق عبداللطيف: اجتمعتُ بالكِنديّ، وجرَى بيننا مباحثات وكان شيخاً بهيّاً ذكيّاً مثرياً، له جانبٌ من السلطان، لكنه كان معجباً بنفسه مؤذياً لجليسه.

قلت: أذاه لهذا القائل أنه لقَّبه بالمَطْحن.

توفِّي سنة ثلاث عشرة وست مئة.

٩٣٨ - العِـمـاد(٢)

[٢] الشّيخُ الإمامُ العالمُ الزَّاهدُ القُدوة الفقيه بركةُ الوقت عِمادُ الدِّينِ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عبدِالواحدِ بنِ عليٍّ المَقْدِسيّ الجَمَّاعيليُّ، أخو الحافظ عبدالغني.

وُلِدَ بِجَمَّاعيل سنة ٥٤٣. وهاجروا به سنة إحدى وخمسين، وله ثمان سنين.

[٣] قال الضياء: وكان يجلس في جامع البلد من الفجر إلى العشاء لا يخرج إلّا لحاجة، يُقرىء القرآنَ والعلمَ، فإذا فرغوا اشتغل بالصلاة، فسألتُ الشيخ موفّقَ الدين عنه فقال: كان من خيار أصحابنا وأعظمِهم نفعاً، وأشدِّهم وَرَعاً، وأكثرِهم صبراً على التعليم وكان داعيةً إلى السُّنّة، أقام بدمشق مدّةً يُعلِّم الفقراءَ ويُقرئهم ويُطعمهم، ويتواضعُ لهم، كان من أكثر الناسِ تواضعاً، واحتقاراً لنفسه، وخوفاً من الله، ما أعلم أنني رأيتُ أشدَّ خوفاً منه وكان كثيرَ الدُّعاءِ والسؤالِ لله، يُطيل

---

(١) الأشـعري.

(٢) انظر السير: ٢٢/ ٤٧-٥٢.

السُّجودَ والركوعَ، ولا يقبل ممن يَعْذُلُهُ، ونُقِلت له كرامات.

[١]ثم قال الضياء: لم أرَ أحداً أحسنَ صلاةً منه ولا أتمّ، بخشوع وخُضوع، قيل: كان يُسبح عشراً يتأنّى فيها، وكان يصوم يوماً ويُفطر يوماً وكان إذا دعا كانَ القلب يشهد بإجابة دعائه من كثرة ابتهاله وإخلاصه، وكان يَمْضي يوم الأربعاء إلى مقابرِ باب الصغير عند الشُّهداءِ، فيدعو ويجتهد ساعة طويلة.

ومن دعائه المشهور:

[٢] «اللهم اغفر لأقسانا قَلْباً، وأكبرنا ذَنْباً، وأثقلِنا ظَهْراً وأعظمِنا جُرماً».

[٣] وكان يدعو: «يا دَليلَ الحيارَى دُلَّنا على طريق الصّادقين، واجعلنا من عبادك الصالحين».

[٤] وكان إذا أفتى في مسألة يحترز فيها احترازاً كثيراً.

[٥] قال: وبلغني أنّه أتى فُسّاقاً، فكَسَر ما معهم، فضربوه حتى غُشِيَ عليه، فأراد الوالي ضربَهم، فقال: إن تابوا ولازموا الصلاةَ فلا تؤذهم وهم في حلٍّ، فتابوا.

ثم قال الضّياء: أعرف وأنا صغير أن جميعَ مَن كان في الجبل يتعلَّم القرآنَ كان يقرأ على العِماد، وخَتَمَ عليه جماعةٌ، وكان يبعث بالنَّفقة سِرّاً إلى النَّاس، ويأخذ بقلب الطالب، وله بِشرٌ دائم.

[٦] وحدثني[١] الشيخ المقرىء عبدالله بن حسن الهَكَّاريُّ بحرّانَ قال: رأيتُ في النوم قائلاً يقول لي: العِماد من الأبدال، فرأيتُ خمس ليالٍ كذلك.

[٧] وسمعت التقي أحمدَ بنَ محمدِ بنِ الحافظ يقول: رأيتُ الشَّيخَ العِمادَ في النَّوم على حصان، فقلتُ: يا سيدي الشيخ، إلى أينَ؟ قال: أزورُ الجَبّارَ عزّ وجل.

[٨] قال الضياءُ: تُوفِّي العِماد رحمه الله عليه سنة أربع عشرة وست مئة، وكان

---

(١) القول للحافظ الضياء.

صَلَّى المغرب بالجامع وكان صائماً، فذهب إلى البيت وأفطر على شيء يسير، ولما أُخرجت جنازتهُ اجتمع خلقٌ فما رأيتُ الجامعَ إلَّا كأنَّه يوم الجمعة من كثرة الخَلْق، وكان الوالي يَطْرُدُ الخلقَ عنه وازدحموا حتى كاد بعضُ الناس أن يَهْلِكَ، وما رأيتُ جنازةً قطُّ أكثرَ خلْقاً منها.

[١]وحُكِي عنه أنَّه لما جاءه الموت جعل يقول: يا حيُّ يا قيُّوم لا إله إلا أنت، برحمتك أستغيث، واستقبل القبلة وتَشَهَّد.

قال: وزوجاته أربع.

٩٣٩ - ابنُ البَلّ[1]

[٢]الإمامُ الواعظُ الكبير أبو المظفّر محمد بن عليٍّ بنِ نصرِ بن البَلِّ الدُّوريّ.

وُلد بالدُّور من نواحي دُجَيل، وقَدِمَ بغدادَ، واشتغل وتَفَنَّنَ.

روى عنه ابنُ النجار، وقال: صار شيخَ الوعّاظ، وكثر له القبول، ووعظ عند قبرِ معروف، وكانت بينه وبينَ ابن الجوزيِّ منافراتٌ، ولكلٍّ منهما متعصبون وأتباع، ولم يزل الدُّوريُّ على ذلك إلى أن خاصم ولدُه غلاماً لأم الناصر، وبَدَا من الشيخ ما اشتد به الأمر فمُنِعَ من الوعظ، وأُمِرَ بلزوم بيته، فبقي كذلك إلى حين وفاته وكان فاضلاً مُتَدِيِّناً صَدُوقاً، أنشدني لنفسه:

[٣]يَتُوبُ عَلَى يَدِي قومٌ عُصَاةٌ ... أخَافَتْهُم من البَاري ذُنُوبُ
وقَلْبِي مُظْلِمٌ من طُولِ مَا قَدْ ... جَنَى فَأَنا على يَدِ مَنْ أَتُوبُ؟
كَأَنِّي شَمْعَةٌ مَا بَيْنَ قَوْمٍ ... تُضِيءُ لَهُمْ ويَحْرِقُها اللَّهِيبُ
كَأَنِّي مِخْيَطٌ يَكْسُو أُناساً ... وجِسْمي مِن مَلابِسِه سَلِيبُ

---

(١) انظر السير: ٢٢/ ٧٥-٧٦.

مات سنةَ إحدى عشرة وست مئة، وله أربع وتسعون سنة.

٩٤٠ـ ابن الدَّهَّان(١)

[١]العَلَّامة وجيهُ الدين أبوبكر المُبارك بن أبي الأزهر الواسِطيُّ النَّحويُّ الضَّرير.

حفظ القرآنَ، وتلا بالرِّوايات على جماعة.

[٢] قال ابن النّجّار: كان شديدَ الذَّكاءِ، ثاقبَ الفَهْمِ، كثيرَ المحفوظِ، مُضطلعاً بعلوم كثيرة: النحو، واللغة، والتَّصريف، والعَرُوض ومعاني الشِّعر، والتفسير، ويعرف الفقه والطبَّ وعلمَ النجوم وعلومَ الأوائل.

قلت: لو جهل هذين العِلميْن(٢) لسَعِد.

[٣] قال: وله النَّظمُ والنَّثرُ وينشيء الخطب والرَّسائل بلا كُلفة ولا رَوِيَّة،ويتكلم بالتركية والفارسيةِ والرُّوميةِ والأرمنية والحبشية والهندية والزّنجية بكلام فصيح عند أهلِ ذلك اللسان. وكان حليماً بطيءَ الغَضَب، متواضعاً دَيِّناً صالحاً، كثيرَ الصَّدقة، متفقداً للفقراء والطَّلبة، تفقه أولاً لأبي حنيفة، ثم تحوَّل شافعياً بعد علوّ سِنّه، ووَلِيَ تدريس النَّحوِ بالنِّظامية إلى أن مات، قرأتُ عليه كثيراً، وهو أوّل مَن فتحَ فمي بالعِلم، لأن أُمِّي أسلمتني إليه ولي عشر سنين، فكنتُ أقرأُ عليه القرآنَ والفقه والنَّحوَ وأُطالعُ له ليلاً ونهاراً، وإذا مشى، كنتُ آخذاً بيده، وكان ثقةً نَبيلاً أنشدني لنفسه:

[٤]أيُّها المغرور بالدُّنيا انتبِه ... إنّها حالٌ ستفنى وَتَحُولُ

واجْتَهِدْ في نَيْلِ مُلْكٍ دائِمٍ ... أيُّ خَيْرٍ في نَعِيمٍ سَيَزُولُ

لَوْ عَقَلنا ما ضَحِكْنا لَحْظَةً ... غَيْرَ أنَّا فُقِدَتْ مِنَّا العُقولُ

---

(١) انظر السير: ٢٢/ ٨٦ـ٨٩.

(٢) يعني علم النجوم وعلوم الأوائل.

مات سنة اثنتي عشرة وست مئة.

[١] قلت: فيه نظم المؤيد ابن التَّكريتيّ:

وَمَنْ مُبْلغٌ عَنيِّ الوَجيهَ رِسَالَةً ... وإنْ كَانَ لا تُجْدِي لَدَيْهِ الرَّسَائِلُ
تَمَذْهَبْتَ لِلنُّعمَانِ بَعْدَ ابنِ حَنْبَلٍ ... وذلِكَ لَمَّا أعْوَزَتْكَ المَآكِلُ
وما اخْتَرتَ رَأيَ الشَّافعيِّ دِيَانَةً ... وَلكِنَّما تَهْوى الَّذي هُوَ حَاصِلُ
وعَمَّا قَليلٍ أنْتَ لاَ شَكَّ صَائِرٌ ... إلى مَالِكٍ فَافْطَنْ لِما أَنا قَائِلُ!

٩٤١- اليُونيني[١]

[٢] الزَّاهدُ العابدُ أسَدُ الشام الشيخُ عبدُالله بنُ عثمانَ بنِ جعفرٍ اليُونينيُّ.

[٣] كان شيخاً طويلاً شجاعاً حادَّ الحال، كان يقوم نصف الليل إلى الفقراء، فمن رآه نائماً ـ وله عصا اسمها العافية ـ ضربَهُ بها، ويحمل القوسَ والسلاح، ويلبس قُبعاً من جِلْدِ ماعز بصوفه، وكان أمّاراً بالمعروف لا يهابُ الملوكَ، حاضرَ القلب، دائمَ الذِّكر، بعيدَ الصِّيت. كان من حداثته يخرج وينطرح في شَعْراء[٢] يُونين فيردُّه السَّفّارة إلى أمّه، ثم تَعَبَّدَ بجبل لبنان، وكان يغزو كثيراً.

قال الشيخ عليُّ القصَّار: كنت أهابُه كأنه أسَدٌ، فإذا دنوتُ منه وددتُ أن أشقَّ قلبي وأجعله فيه.

[٤] قيل: إنَّ العادل أتى والشيخُ يتوضأ، فجعل تحت سجادته دنانير فردها، وقال: يا أبوبكر[٣] كيف أدعو لك والخمورُ دائرةٌ في دمشق؟ فَأَبْطَلَ ذَلِكَ.

[٥] وقيل: جلس بين يديه المُعَظَّم وطلب الدُّعاء منه، فقال: يا عيسى لا تكن

(١) انظر السير: ٢٢/ ١٠١-١٠٣.

(٢) الشعراء بوزن الصحراء: الشجر الكثير.

(٣) هكذا في الأصل وفي تاريخ الإسلام بخط الذهبي، فهي على الحكاية.

نَحْس[1] مثلَ أبيك أظهر الزَّغْلَ[2] وأفسدَ على الناس المعاملة.

[١] حكى الشيخ عبدالصمد قال: والله مذ خدمت الشيخَ عبدَالله، ما رأيتُه استند ولا سعل ولا بصق.

وقـد طوَّلت هذه التـرجمة في «التاريخ الكبير» وفيها كرامات له ورياضاتٌ

[٢] وكان لا يقوم لأحد تعظيماً لله ولا يَدَّخِرُ شيئاً، له ثوب خام، ويلبس في الشتاء فروة، وقد يؤثِر بها في البرد، وكان ربما جاعَ ويأكل من ورق الشجر.

[٣] قال سِبطُ الجوزيِّ: كان الشيخُ شجاعاً ما يُبالي بالرجال قَلُّوا أو كثروا وكان قوسُه ثمانين رطلاً، وما فاتته غزاة.

[٤] وقيل: كان يقول للشيخ الفقيه تلميذه: فيَّ وفيكَ نزلت ﴿إنّ كثيـراً من الأحبار والرُّهبان لَيَأْكُلُونَ أمْوَالَ النَّاسِ بالبَاطِلِ﴾ (التوبة: ٣٤).

توفِّي سنةَ سبع عشرة وست مئة، وهو صائم، وقد جاوز ثمانين سنة رحمه الله تعالى.

ولأصحابه فيه غُلُوٌّ زائد، وقد جعل الله لكل شيء قدراً، والشيخ أبو عمرَ أجلُّ الرجلين.

٩٤٢ـ نَجْم الدّين الكُبْرَىٰ[3]

[٥] الشيخُ الإمام العَلَّامة القُدوة المحدِّث الشَّهيدُ شيخُ خُراسان نجم الكُبَرَاء، الشيخ أبو الجَنّاب أحمد بن عمر محمد الخُوارِزْميُّ الصوفيّ. طاف في طلب الحديث، وحَصَّل الأُصول.

(١) هكذا في الأصل وفي تاريخ الإسلام بخط الذهبي، وصوابها «نحساً» ولكن أبقيناها لأنها من كلام الشيخ.
(٢) العملة المغشوشة.
(٣) انظر السير: ٢٢/ ١١١-١١٤.

وقال ابن نُقطة: هو شافعيٌّ إمامٌ في السُّنّة.

وقال عمر بن الحاجب: كان صاحبَ حديثٍ وسنّة، ملجأً للغُرباء، عظيمَ الجاه لا يخاف في الله لومة لائم.

[١] وقال ابن هِلالة: جلستُ عنده في الخلوة مراراً، وشاهدت أموراً عجيبةً، وسمعت مَن يخاطبني بأشياءَ حسنة.

قلتُ: لا وجود لمن خاطبك في خلوتك مع جوعك المُفرط، بل هو سماع كلامٍ في الدِّماغ الذي قد طاشَ وفاش وبقي قَرعة كما يَتِمُّ للمُبَرْسَم[١] والمغمور بالحُمّىٰ والمجنون، فاجزِم بهذا واعبد الله بالسُّنن الثابتة تفلح!

[٢] نزلت التتارُ على خُوارزم في سنة ثماني عشرة وست مئة فخرج نجم الدين الكُبْرَىٰ فيمن خرج للجهاد، فقاتلوا على باب البَلَد حتى قُتِلُوا رضي الله عنهم، وقُتِلَ الشيخ وهو في عَشْر الثمانين.

وفي كلامه شيءٌ من تصوُّف الحكماء.[٢]

٩٤٣ ـ العادل وبنـوه[٣]

[٣] السُّلطانُ الكبير الملك العادل سيفُ الدين أبو الملوكِ وأخو الملوكِ أبوبكر محمد ابن الأميرِ نجمِ الدينِ أيوبَ بنِ شاذي التَّكرِيتيُّ ثم البَعْلَبَكيُّ المولد. كان أصغرَ من أخيه صلاح الدين بعامين.

نشأَ في خِدمة الملك نُورالدين، ثم شهدَ المغازي مع أخيه. وكانَ ذا عقل

(١) البرسام: عِلّة يُهذَى فيها.

(٢) قال المؤلف في «تاريخ الإسلام»: «وكان شيخنا عماد الدين الحَزَّامي يعظمه ولكن في الآخر أراني كلاماً فيه شيء من لوازم الاتحاد، وهو إن شاء الله سالم من ذلك، فإنه محدث معروف بالسّنة والتعبد كبير الشأن، ومن مناقبه أنه استشهد في سبيل الله. . قتلوا مقبلين غير مدبرين».

(٣) انظر السير: ٢٢/ ١١٥ـ١٢٠.

ودهاء وشجاعة وتُؤدةٍ وخِبرة بالأُمور، وكان أخوهُ يعتمدُ عليه ويحترمه.

[١] قلت: وكـان سائِسـاً، صائب الرأي، سعيداً، استولى على البلاد وامتدت أيامه، وحكم على الحجاز، ومصر، والشام، واليمن، وكثير من الجزيرة، وديار بكر، وأرمينية. وكان خَلِيقاً للمُلك، حَسَن الشَّكلِ مَهِيباً، حليماً، دَيِّناً، فيه عِفّةٌ وصَفْح وإيثار في الجُمْلَة. أزالَ الخُمور والفاحِشَة في بعض أيام دولته، وتصدَّقَ بذهبٍ في قحطِ مِصْرَ.

وسيرتُــه مع أولاد أخيه مشهــورة، ثم لم يزل يراوغهم ويلقي بينهم حتى دَحـاهم، وتمكن واستـولى على ممالك أخيه، وأبعدَ الأفضل إلى سُمَيساط، وَوَدَعَ(١) الظاهر وكسر عنه لكون بنته زوجتَه، وبعث على اليمن حفيده المسعود أطسِز ابن الكامل، وناب عنه بميّافارقين ابنُه الأوحد، فاستولى على إرمينية، ثم إنه قسّم الممالك بين أولاده، وكان يصيّف بالشام غالباً ويشتو بمصر.

[٢] وخاف من الفِرنج فصالحهم وهادَنَهم وأعطاهم مَغَلّ الرَّملة ولدّ، وسلَّم إليهم يافا، فقويت نفوسهم، فالأمر لله.

قال الموفق عبداللطيف: كان أعمقَ إخوته فِكراً، وأطولَهم عُمراً وأنظرَهم في العـواقب، وأحبَّهم للدِّرْهَم، وكـان فيه حلمٌ وأنَاةٌ وصبرٌ على الشّدائد، سعيد الجَدّ،(٢) عاليَ الكعب، مُظَفّراً، أكولاً، نهماً، يأكل من الحلواء السُّكرية رطلاً بالـدِّمشقي. وكـان كثيرَ الصَّـلاة، ويصـوم الخميس، يُكثـر الصدقة عند نزول الآفات، وكان قليل المرض، لقد أُحضر إليه أربعون حملاً من البطيخ فكسَرَ الجميع وبـالغَ في الأكل فحمّ يوماً. وكان كثيرَ التمتعِ بالجواري، ولا يُدخل عليهن خادماً إلّا دون البلوغ.

نجبَ له عِدّة أولاد سَلْطَنَهُم،وزوَّج بناتِه بملوك الأطراف.

---

(١) أي: تــرك.

(٢) الجد: الحـظ أو البخــت.

وقد احتيل على الفَتك به مرات، ويسلِّمُه الله.

[١]وكان شديدَ المُلازمةِ لخدمة أخيه صلاحِ الدين، وما زال يتحيَّل حتى أعطاه العزيزُ دمشق، فكانت السَّببَ في أن تملَّك البلاد، ولما جاءه بمنشورها ابن أبي الحَجّاج أعطاه ألفَ دينار، ثم جرت أمور يطول شرحُها وقتال على المُلك، ولو كان ذلك التعب والحرب جهاداً للفِرَنْجِ لأفلح.

توفي سنةَ خمسَ عشرةَ وستّ مئة.

٩٤٤ المُعَظَّم[١]

[٢]السُّلطان الملك المُعَظَّم ابن العادل المذكور هو شرف الدين عيسى بن محمد الحَنفِيُّ الفقيه صاحب دمشق.

مولده بالقصر من القاهرة في سنة ست وسبعين وخمس مئة.

ونشأ بدمشق، وحفظَ القرآن، وبَرَع في المذهب.

وحج في سنة إحدى عشرة، وأنشأ البِرَك، وعمل بمُعان دار مَضيفٍ وحَمّاماً.

وكان يبحث ويناظر، وفيه دَهاء وحَزْم، وكان يُوصف بالشجاعة والكرم والتواضع.

قرأت بخط الضياء الحافظ: كان المعظم شجاعاً فقيهاً يشرب المُسكِرَ وأسّس ظلماً كثيراً، وخَرَّب بيت المقدس.

وقال ابن الأثير: وكان عالماً بعدَّة علوم نفقَ سوقُ العِلم في أيامه وقصَدَهُ الفُقهاء، فأكرمَهُم، وأعطاهم، ولم يُسْمَعْ منه كلمة نزقة ويقول: اعتقادي في الأُصول ما سطره الطحاويّ. وأوصى أن لا يُبنى على قبره.

[٣] ولما مرض قال: لي في قضية دِمياط ما أرجو به الرَّحمة.[٢]

---

(١) انظر السير: ٢٢/ ١٢٠-١٢٢.

(٢) أبلى المعظم عيسى بلاءاً حسناً وجاهد الصليبيين جهاداً عظيماً في نوبة دمياط التي كانت من أشد الحملات خطراً على الأمة فنسأل الله سبحانه أن يتجاوز عنه بعض ما أخطأ، وهو محق في مقالته هذه.

توفيَّ سنة أربع وعشرين وست مئة وكان له دمشق والكرك وغير ذلك، وحلفوا بعده لابنه الناصر داود.

٩٤٥ ـ الأشـــرف[١]

[١] صاحبُ دِمشق السُّلطان الملك الأشرف مظفّر الدِّين أبو الفتح موسى شاه أرمن ابن العادل.

تَمَلَّك القدسَ أولاً، ثم أعطاه أبوه حَرّان والرُّها وغيرَ ذلك، ثم تَمَلّك خِلاط، وتَنَقَّلت به الأحـوال، ثم تملك دِمشق بعـد حصار الناصر بها، فعدَل وخَفَّفَ الجَوْرَ، وأَحَبّته الرَّعية. وكان فيه دِينٌ وخوفٌ من الله على لَعِبه. وكانَ جواداً، سَمْحاً، فارساً شجاعاً، لديه فَضِيلة.

وكان مليحَ الهيئة، حُلْوَ الشمائل. قيل: ما هُزِمت له رايةٌ. وكان له عكوفٌ على المـلاهي والمُسكـر عفـا الله عنه، ويُبالغ في الخضوع للفُقراء ويزورُهم ويعــطيهم، ويُجيز على الشعـر، ويبعث في رمضـان بالحـلاوات إلى أمـاكن الفقـراء، ويُشـارك في صنـائعَ، وله فَهْم وذكاء وسياسة. أخْرَبَ خان العقيبة، وعمله جامعاً.[٢]

قال سِبْطُ الجوزيِّ: فجلست فيه، وحَضَرَ الأشرف وبكَى وأعتق جماعة.

[٢] قال سبط الجوزيّ: كان الأشرف يحضر مجالسي بحَرّان، وبخِلاط، ودِمشق وكان ملكاً عفِيفاً، قال لي: ما مددت عيني إلى حريم أحد ولا ذكر ولا أنثى جاءتني عجوز من عند بنت صاحب خلاط شاه أرمن بأن الحاجب عليّاً أخذ لها ضيعة فكتبتُ بإطلاقها، فقالت العجوز: تريد أن تحضر بين يدك، فقلت: باسم

---

(١) انظر السير: ٢٢/ ١٢٢-١٢٧.

(٢) قال شعيب: ولا يزال عامراً إلى يومنا هذا، ويسمى جامع التوبة ويقع شمال الجامع الأموي، والمحلة التي فيها المسجد تسمى العقيبة.

الله، فجاءت بها فلم أرَ أحسنَ من قوامها ولا أحسن من شكلها، فقُمتُ لها، وقلتُ: أنت في هذا البلدِ وأنا لا أدري؟ فسفرت عن وجه أضاءت منه الغرفة، وقلتُ: لا، استتري. فقالت: مات أبي واستولى على المدينة بكتمر، ثم أخذ الحاجب قريتي وبقيت أعيش من عَمل النَّقش وفي دار بالكِراء. فبكيتُ لها، وأمرتُ لها بدارٍ وقِماش، فقالت العجوز: يا خَوَنْد ألا تحظَى الليلةَ بك؟ فوقع في قلبي تغير الزمان وأنّ خِلاطَ يملكها غيري، وتحتاج بنتي أن تقعد هذه القَعْدَة، فقلت: معاذَ الله، ما هذا من شيمتي. فقامت الشابّةُ باكية تقول: صان الله عواقِبَك.

[١]وكان للأشرف ميلٌ إلى المحدثين والحنابلة، قال ابن واصل: وقعت فتنة بين الشافعية والحنابلة بسبب العقائد. قال: وتَعَصَّب الشيخ عزالدين بن عبدالسلام على الحنابلة، وجرت خَبْطَةٌ، حتى كتب عزالدين رحمه الله إلى الأشرف يقعُ فيهم، وأن النَّاصحَ ساعد على فتح باب السلامة لعسكر الظاهر والأفضل عندما حاصروا العادل، فكتب الأشرف: يا عزَّالدينِ الفتنةُ ساكنةٌ لعن الله مُثِيرَها.

وقد تاب الأشرف في مرضه وابتهل، وأكثر الذكرَ والاستغفار.

ولما احْتُضِرَ قال لابن موسك: هاتِ وديعتي، فجاءَ بمئزرٍ صوف فيه خِرَقٌ من آثار المشايخ، وإزار عتيق، فقال: يكون هذا على بَدَني أتقي به النَّارَ، وَهَبَنِيهِ إنسانٌ حَبَشيٌّ من الأبدال كان بالرُّها.

[٢]قلتُ: كان يبالغ في تعظيم الشيخ الفقيه،(١) توضأ الفقيه يوماً فوثب الأشرفُ، وحَلَّ من تَخْفيْفَتِهِ ورَماها على يدي الشيخ لِيُنَشِّفَ بها، رأى ذلك شيخنا أبو الحُسين، وحكاه لي.

مات سنة خمس وثلاثين وست مئة، وكان آخِر كَلامِهِ «لا إله إلا الله» فيما قيل.

---

(١) يعني: اليونيني.

٩٤٦ - الكامِــل[١]

[١]وُلِـدَ في سنـة ست وسبعين وخمس مئـة، فهـو من أقران أخويه المُعَظَّمِ والأشرف، وكان أجلَّ الثلاثة وأرفعَهم رُتبةً.

وتَمَلَّكَ الديار المصرية أربعين سنة شطرها في أيام والده. وكان عاقلاً مهيباً، كبيرَ القدر.

[٢]وقال المُنذري: أنشأ الكاملُ دارَ الحديث بالقاهرة. ووقف الوقوفَ على أنواع البر، وله المواقف المشهورة في الجهاد بدِمياط المُدّة الطويلة، وأنفقَ الأموالَ وكافَحَ الفِرَنْجَ براً وبحراً يعرف ذلك من شاهَدَهُ، ولم يزل على ذلك حتى أعزّ الله الإِسـلام، وخـذلَ الكُفـر، وكـان مُعَـظِّمـاً للسُّنَّة وأهلِها، راغباً في نَشْرِها والتمسكِ بها، مؤثراً للاجتماع بالعُلماء والكلام معهم حَضَراً وسَفَراً.

[٣]ومن هِمّته أن الفِرَنْجَ لما أخذوا دِمياط أنشأ على بَرِيد منها مدينة المَنْصُورة واستوطنها مرابطاً حتى نصره الله. فإن الفِرَنْجَ طمعوا في أخذ مصر، وعسكروا بقرب المَنْصورة، والتحمَ القتالُ أيّاماً وألحَّ الكامل على إخوته بالمجيء فجاءَهُ أخواه الأشرف والمُعَظَّم في جيشٍ لَجب، وهيئةٍ تامّةٍ فقَوِيَ الإِسلام، وضعفت نفـوسُ الفِـرَنْجِ ورُسُلُهُم تتردد، وبذلَ لهم الكامل قبل مجيء النَّجدةِ القُدسَ وطَبَرية وعَسْقلان وجَبَلَة واللاّذقية وأشياء على أن يردّوا له دمياط فأبوا، وطلبوا مع ذلك ثلاثَ مئةِ ألفِ دينار ليعمروا بها أسوار القُدس، وطلبوا الكَرَك، فاتفق أن جماعة من المُسلمين فَجَّروا من النيل ثَلْمَة على مَنْزِلة العدو، فأحاطَ بهم النِّيلُ في هَيَجانه، ولا خِبْرَة لهم بالنيل، فحال بينهم وبين دِمياط، وانقطعت الميرة عنهم، وجاعوا وذلوا، فأرسلوا في طلب الأمان على تسليم دِمياط، وعقد هدنةٍ،

---

(١) انظر السير: ٢٢/ ١٢٧-١٣١.

فأُجيبوا فسلموا دمياطَ بعد استقرارهم بها ثلاثَ سنين، فلله الحمد.

[١] وكان عَدْلُه مشوباً بعُسف، شنقَ جماعة مِن الجند في بطيخة شعير.

[٢] ونازلَ دمشق فبعث صاحبُ حِمْص لها نجدة خمسين نفساً فظفر بهم وشَنقهم بأسرهم.

مات بدمشق سنة خمس وثلاثين وست مئة.

٩٤٧ ـ الصالح(١)

[٣] السُّلطان الملك الصالح عماد الدين أبو الخَيْش إسماعيل ابن الملك العادل محمد بنِ أيوبَ بنِ شاذي صاحب دمشق.

تَمَلَّك بُصْرى وبَعْلَبك، وتنقلت به الأحوال واستولى على دِمشقَ أعواماً فحاربه صاحبُ مصر ابن أخيه، وجرت له أمور طويلة، ما بين ارتفاع وانخفاض.

[٤] وكان قليلَ البَخْت بَطَلاً شُجاعاً مَهِيباً شديدَ البطش، مليحَ الشَّكل كان في خدمة أخيه الأشرف، فلما مات الأشرف تَوَثَّب على دمشق، وتَمَلَّك. فجاء أخوه السلطان الملك الكامل، وحاصَرَهُ، وأخذَ منه دمشق، وَرَدَّهُ إلى بَعْلَبَك. فلمّا مات الكامل، وتملَّكَ الجواد ثم الصالح نجم الدين، وسار نجمُ الدين يقصِدُ مصر، هجم الصالحُ إسماعيل بإعانة صاحبَ حمص المُجاهد فَتَمَلَّكَ دمشق ثانياً في سنة سبع وثلاثين، فبقي بها إلى سنة اثنتين وأربعين. وحاربه الصالح بالخوارزمية، واستعان هو بالفِرَنْج، وبذل لهم الشَّقيف وغيرها فمُقِتَ لذلك. وكان فيه جور. واستقضى على الناس الرَّفيع الجيليّ، وتَضَرَّر الرَّعِيَّةُ بدمشق في

---

(١) انظر السير: ٢٢/ ١٣٤-١٣٧.

حصار الخُوارزمية حتى أُبيع الخُبز رِطل بستة دراهم، والجبن واللَّحم بنسبة ذلك، وأكلوا المَيْتَةَ ووقع فيهم وباء شديد.

[١] وفي «معجم» القُوصيّ في ترجمة الأشرف: فأخوه اسماعيل نصَرَ الكافرين وسَلَّم إليهم القلاع، واستولى على دِمشق سرقةً، وحَنَثَ في يمينه وقتلَ من الملوك والأمراء من كان ينفع في الجهاد، وصادَرَ على يدِ قُضاتِهِ العِباد، وخَرَّب الأملاك، وَطَوَّلَ ذيلَ الظُّلم، وقَصَّر ذيلَ العَدْلِ وَظَنَّ أن الفَلَك له مُستمِر، فسقطَ الدَّهر لغفلته، وأراه بَلايا.

ثم ذهبت منه بَعْلَبَك وبُصرى، وتلاشَى أمرُه، فمضى إلى حَلَب، وافداً على ابن أُخته، وصارَ من أمرائه، وأتَى به فتملّكوا دمشق، فلما ساروا ليأخُذوا مصرَ غُلِبَ الشاميون، وأُسر جماعةٌ، منهم الملك الصالح في سنة ثمان وأربعين، فسُجِنَ بالقاهرة.

وفي سَلْخ ذي القعدة من سنة ثمان أخرجوا الصالح ليلاً وَمَضَوْا به إلى الجبل فقتلوه وعُفِيَ أثرُهُ.

قلتُ: كُفِّر عنه بالقتل.

٩٤٨ - خُوارزمشاه(١)

[٢] السُّلطان الكبير علاء الدين خُوارزمشاه محمد ابن السلطان خُوارزمشاه إيل رسلان خُوارزمشاه أتسِز الخُوارِزميُّ.

[٣] قلتُ: أباد ملوكاً، واستولى على عِدَّةِ أقاليم، وَخَضَعَت له الرِّقاب وقد حارب الخَطا غيرَ مرة، فانهزم جيشُهُ في نَوْبَة وثبتَ هو، فأُسِر هو وأمير، أسَرَهما

(١) انظر السير: ٢٢/ ١٣٩-١٤٣.

خَطائيّ، فَصَيَّر نَفْسه مملوكاً لذلك الأمير، وبَقي يقف في خِدمته، فقال الأمير للخَطَائي: ابعث رسولَكَ مع غُلامي هذا إلى أهلي ليرسلوا مالاً في فكاكي، ففعل وتمَّت الحِيلة، وعاد خوارزمشاه إلى مُلكه.

قال عزالـدين علي ابن الأثير: كان صَبُـوراً على التَّعب وإدمانِ السَّيرِ غيرَ مُتَنعِّمٍ ولا مُتَلَذِّذٍ إنما نهمته الملك. وكان فاضلاً، عالماً بالفقه والأُصول، مُكرماً للعلماء يحبّ مناظرتَهم، ويتبرك بأهل الدين، قال لي خادمُ الحُجرةِ النَّبوية: أتيتهُ فاعتنقني، ومشى لي وقال: أنت تخدم حُجرة النبي صلى الله عليه وسلم؟ قلت: نعم، فأخذ يدي وأمَرَّها على وجهه، وأعطاني جُملة.

كانت بلادُ ما وراءَ النهـرِ في طاعة الخَطا، وملوكُ بُخارى وسمرقند يؤدون الأتاوة إلى الخَطا، وكانت هذه الأممُ سداً بين تُرك الصين وبيننا فَفَتَحَ هذا السَّد الوثيق وظنَّ أنه لم يَبْقَ من يقاومه، فانتقلَ إلى كِرمان ثم العراق، ثم أذربيجان، وطمع في الشام ومصر، وكان عليه سهلاً لو قدّر. بات صاحب حلب ليله مهموماً لما اتصل به من أخبار هذا وطمعه في الشام، وقيل عنه: إنه يبقى أربعة أيام على ظهر فرسه لا ينزل إنما ينتقل من فرس إلى فرس ويطوي البلاد ويهجم المدينة في نفر يسير ثم يصبِّحه من عسكره عشرة آلاف ويمسِّيه عشرون ألفاً. قتل عدة ملوك وإنما أخْذُه البلادَ بالرُّعب والهَيْبَة. وبعد موت الظاهر غازي جاء رسولُه إلى حلب، فقال: سُلْطَانُ السلاطين يُسلّم عليكم ويعتب إذ لم تهنئوه بفَتح العراق وأذربيجان، وإن عدد جيشه سبعُ مئةِ ألف، ثم توجه رسوله إلى العادل بدمشق يقول: تعالَ إلى الخدمة فقد ارتضيناك أن تكون مُقَدّمَ الركاب!، فبقي الناس يهزؤون منه. وسمعنا أنه جعل صاحب الروم أمير عَلَم له والخليفة خطيبـاً!، وأما الملوك الذين كانوا في خدمته فكان يُذلهم ويهينهم، وجعلهم يضربون له طبول الذَّهَب. ولما أباد أمّتيْ الخطا والتَّترِ وهم أصحاب تُركستان وجَنْدَ وتَنْكُت ظهرت أمّة يسمّون التتر أيضاً، وهم صنفان، وطمعوا في البلاد

فجمع وعزم على لقائهم فوقع جنكزخان رأس الطمغاجية على كمينه فطحنوه، وانهـزم جلال الـدين ابنه إليه، وخيل إليه تعس الجدّ أن في أمرائه مُخَامِرين فمسَّكهم وضـربَ مع التّتـار مَصَـافـاً بعـد آخـَر فتـطحطح، وردّ إلى بخارى منهـزمـاً ثم جاء من بُخـارى ليجمـع العسـاكر بنِيسابور فأخذت التتار بُخارى وهجموا خُراسان ففرّ، فما وصلَ إلى الرَّي إلاّ وطلائِعهُم على رأسه، فانهزم إلى قلعة بَرَجِيْن، ومعه ثلاث مئة فارس عُراة مَضَّهم الجوع فاستطعموا من أكرادٍ فلم يحتفلوا بهم، ثم أعطوهم شاتين وقصعتي لَبَن، ثم رجع إلى نهاوند، ثم إلى مازندران وقعقعة سلاحهم قد ملأت سمعه وبصره، فنزل ببحيرة هناك فانسَهَلَ وطَلَبَ دواءً فأعوزه الخُبز ومات.

وقيل: كان عدة جيشه في الديوان ثلاث مئة ألف فارس، وقيل: إنّه استولى على نحو أربع مئة مدينة، وكانت أُمُّه تُركان في عظمةٍ ما سُمِعَ قطٌّ بمثلها، وفي جَبَروت، فأسرها جنكزخان، وذاقت ذُلّاً وجُوعاً.

مات في الجزيرة سنة سبع عشرة وست مئة. وكفّن في عمامة لفرّاشه.

الطبقــة الثالثة والثلاثــون

٩٤٩ - ابن راجــح(١)

[١]الشَّيخُ الإمامُ العالِمُ الفقيهُ المُناظرُ شهابُ الدِّينِ أبو عبدِالله محمدِ بنِ خَلَف ابنِ راجح، المَقْدِسيُّ الجَمَّاعيليُّ الحنبليُّ.

ولد سنة خمسين وخمس مئة ظَنّاً.

قال الحافظُ الضّياء: صار أوحَدَ زمانه في علم النَّظَر، وكان يقطعُ الخُصوم، ويذهب فيناظر الحَنَفيّة، ويتأذَّون منه.

كان كثيرَ الخيرِ والصَّـلاة، سليمَ الصَّـدر، رأيْتُهم بجَمّـاعيل يعظِّمونه، ولا يشكُّون في ولايته وكراماته.

[٢] وسمعتُ الإمامَ عبدَالرحمن بنَ محمدِ بنِ عبدِالجبار يقول: حدثني جماعةٌ من جَمّـاعيل منهم خالي عمر بن عوض قال: وقعت في جَمّاعيل فتنةٌ فخرج بعضهم إلى بعض بالسيوف، وكان ابنُ راجح عندنا. قالوا: فسجد ودعا، قالوا: فضرب بعضهم بعضاً بالسيوف فما قطعتْ شيئاً. قال عُمر: فلقد رأيتني ضربتُ بسيفي رجلاً، وكان سيفاً مشهوراً فما قطعَ شيئا، وكانوا يرون أن هذا ببركة دعائه.

وفاته سنة ثماني عشرة وست مئة.

٩٥٠ - ابـن قُـدامَــــة(٢)

[٣]الشَّيخُ الإمامُ القُدوة العَلاّمة المُجتهد شيخُ الإسلام موفق الدِّينِ أبو محمد

(١) انظر السير: ٢٢/ ١٥٦-١٥٨.

(٢) انظر السير: ٢٢/ ١٦٥-١٧٣.

عبدُالله بنُ أحمدِ بنِ محمدِ بنِ قُدامةَ المَقْدِسيُّ الجَمَّاعيليُّ ثم الدِّمشقيُّ الصَّالحيُّ الحنبليُّ صاحب «المُغني».

مولده بجَمَّاعيل من عمل نابلس سنة إحدى وأربعين وخمس مئة.

وهاجر مع أهل بيته وأقاربه، وله عشر سنين، وحفظَ القرآن، ولزِمَ الاشتغال من صغره، وكتبَ الخط المَليح، وكان من بُحور العِلمِ وأذكياءِ العالم.

وتلا بحرف نافع، وبحرف أبي عَمرو، وكان عالمَ أهلِ الشامِ في زمانه.

[١] قال ابن النّجّار، كان إمامَ الحنابلة بجامع دمشق، على قانون السَّلَف، عليه النور والوقار، ينتفع الرجلُ برؤيته قبل أن يسمع كلامَه.

[٢] قال الحافظ الضياء: رأيت أحمدَ بن حنبل في النوم فألقى عليَّ مسألةً، فقلت: هذه في الخِرَقي، فقال: ما قَصَّر صاحبُكم المُوَفَّقُ في شرح الخِرَقي.

قال الضياء: كان رحمه الله إماماً في التفسير وفي الحديث ومشكلاته، إماماً في الفقه، بل أوحد زمانه فيه، إماماً في علم الخلاف، أوحدُ في الفرائض، إماماً في أصول الفقه، إماماً في النحو والحساب والأنجم السيارة، والمنازل.

[٣] قال الضياء: كان الموفق لا يُناظر أحداً إلّا وهو يَتَبَسَّم.

قلت: بل أكثر من عايَنّا لا يُناظِر أحداً إلّا ويَنْسَمُّ.

[٤] وبقي الموفق يجلس زماناً بعد الجمعة للمناظرة، ويجتمع إليه الفقهاء، وكان يُشْغل[1] إلى إرتفاع النهار، ومن بعد الظهر إلى المغرب، ولا يضجر، ويسمعون عليه، وكان يُقرىء في النحو، وكان لا يكاد يراه أحد إلا أحبه. إلى أن قال الضياء: وما علمتُ أنه أوجعَ قلبَ طالب، وكانت له جارية تُؤذيه بخلقها فما يقول لها شيئاً، وأولاده يتضاربون وهو لا يتكلم، وسمعتُ[2] البهاء يقول: ما رأيت أكثرَ احتمالاً منه.

---

(١) الاشغال: التدريس، وهو غير (الاشتغال) بمعنى الطلب، وهذه اصطلاحات معروفة عند المتأخرين.

(٢) السماع للضياء، هو والذي بعده من الحكايات.

[١] وسمعتُ البهاء يصفه بالشجاعة، وقال: كان يتقدم إلى العدو وجُرِحَ في كفِّه، وكان يُرامي العدو.

[٢] قال الضياء: وكان يصلي بخشُوع، ولا يكاد يصلي سُنّة الفَجْر والعشاءين إلا في بيته، وكان يصلي بين العشاءين أربعاً «بالسَّجدة» و «يسٓ»، و «الدُّخان» و «تبارك»، لا يكاد يخل بهن ويقوم السَّحَر بسُبع وربما رفع صوتَه، وكانَ حَسَنَ الصوت.

[٣] وسمعت الحافظ اليُونينيّ يقول: لَمّا كنتُ أسمع شناعةَ الخَلْقِ على الحنابلة بالتشبيه عزمتُ على سُؤال الشيخ الموفق، وبقيتُ أشهراً أُريد أن أسألَه، فصعدتُ معه الجَبَل، فلما كنا عند دارِ ابنِ محاربٍ قلت: يا سَيّدي، وما نطقتُ بأكثر من سيدي، فقال لي: التشبيه مُستحيل، فقلتُ: لِمَ؟ قال: لأن مِن شرط التشبيه أن نَرى الشيءَ، ثم نشبهه، مَن الذي رأى الله ثم شبّهه لنا؟.

وذكر الضياء حكاياتٍ في كراماته.

[٤] وقال أبوشامة: كان إماماً عَلَماً في العلم والعَمَل، صَنَّفَ كتباً كثيرة، لكن كلامه في العقائد على الطريقة المشهورة عن أهل مذهبه، فسبحان من لم يُوَضِّحْ له الأمر فيها على جلالته في العلم ومعرفته بمعاني الأخبار.

قلت: وهو وأمثالُه متعجِّبٌ منكم مع علمكم وذكائكم كيف قُلتم! وكذا كلٌّ فرقة تتعجب من الأخرى، ولا عجب في ذلك، ونرجو لكل من بَذَلَ جُهدَه في تَطَلُّب الحقِ أن يُغْفَرَ له مِن هذه الأمة المرحومة.

وانتقل إلى رحمة الله سنة عشرين وست مئة.

٩٥١- يونُس بن يوسُف[1]

[١]ابن مُساعد الشَّيبانيُّ المُخارِقيُّ الجَزَريُّ الزاهد، أحد الأعلام، شيخ اليُونُسيّة أُولي الزَّعارة والشَّطح وخفة العقل.

[٢]كان ذا كشفٍ وحال، ولم يكن عنده كبيرُ علم، وله شَطحٌ، وشعرٌ ملحون ينظمه على لسان الربوبية، وبعضه كأنّه كذب، والله أعلم بسره، فلا يغتر المسلم بكشف ولا بحال ولا بإخبار عن مُغَيّب، فابن صائد وإخوانه الكهنة لهم خوارق، والرُّهبان فيهم من قد تمزق جوعاً وخلوة ومراقبة على غير أساس ولا توحيد، فصَفَت كُدُوراتُ أنفسِهم وكاشفوا وفَشَروا ولا قُدوةَ إلاّ في أهل الصَّفوةِ وأربابِ الولايةِ المنوطةِ بالعِلم والسُّنن، فنسأل الله إيمانَ المُتّقين، وتألُّهَ المُخلصين، فكثيرٌ من المشايخ نتوقَّفُ في أمرهم حتى يتبرهنَ لنا أمرُهم، وبالله الاستعانة.

توفي الشيخ يونس سنة تسع عشرة وست مئة.

٩٥٢- ابن عساكر[2]

[٣]الشَّيخُ الإمامُ العالمُ القُدوة المُفتي شيخُ الشافعية فخرالدين أبو منصورٍ عبدُالرحمانِ بنُ محمدِ بنِ الحسن، الدمشقيُّ الشافعيُّ.

ولد سنة خمسين وخمس مئة.

[٤]وكان فخرُالدينِ لا يَمَلُّ الشَّخصُ من النَّظر إليه لحُسن سَمْتِه، ونور وجهه

(١) انظر السير: ٢٢/ ١٧٨-١٧٩.

(٢) انظر السير: ٢٢/ ١٨٧-١٩٠.

ولُطفه واقتصاده في مَلْبَسه، وكان لا يَفْتُرُ من الذِّكر، وكان يُسَمِّع الحديثَ تحت النّسر.(١)

[١] قال أبو شامة: أخذتُ عنه مسائلَ، وبعثَ إليه المُعَظَّم ليولِّيَه القضاءَ فأبَىٰ، وطلبه ليلاً فجاءه فتلقاه وأجلسه إلى جَنْبه، فأُحْضِر الطعامُ فامتنع، وألحَّ عليه في القضاء، فقال: أستخير الله فأخبرني من كان معه، قال: ورجع ودخل بيته الصغير الذي عند مِحراب الصحابة، وكان أكثر النهارِ فيه، فلما أصبح أتوه فأصرّ على الامتناع، وأشار بابن الحَرَستانيِّ فولّيَ.

[٢] قال: وكان يتورَّع من المرور في زُقاق الحنابلة لئلا يأثموا بالوقيعة فيه، وذلك لأن عوامّهم يبغضون بني عساكر للتَّمشعر،(٢) ولم يُوَلِّه المُعَظَّمُ تدريسَ العادلية لأنه أنكر عليه تضمين الخمر والمكس.

توفِّيَ في سنةَ عشرين وست مئة، وقَلَّ من تخلَّف عن جنازته.

[٣] وقال أبو شامة: أخبرني من حضره قال: صلى الظهر، وجعل يسأل عن العصر، وتوضأ ثم تَشَهَّد وهو جالس، وقال: رضيتُ بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، لقّنني الله حُجتي وأقالني عَثْرتي ورحمَ غُربتي. ثم قال: وعليكم السلام، فعلمنا أنّه حضرت الملائكة ثم انقلب ميتاً.

٩٥٣ - الناصر لدين الله(٣)

[٤] الخليفة أبو العبّاس أحمد ابن المُستضيءِ الهاشمي العباسيُّ البَغْداديُّ.

مولده سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة.

---

(١) يعني قبة النسر من جامع دمشق الأموي.

(٢) أي بسبب كونهم أشاعرة، وهذا من اصطلاح الذهبي، وإلا فإن أبا شامة قال: «لأنهم كانوا أعيان الشافعية الأشعرية».

(٣) انظر السير: ٢٢/ ١٩٢-٢٤٢.

[١] ولم يلِ الخلافةَ أحدٌ أطولَ دولة منه، لكن صاحب مصر المستنصر العُبَيديّ ولي ستين سنة، وكذا وَلِيَ الأندلسَ الناصرُ المَرْوانيُّ خمسين سنة.

قال المُوفَّق عبداللطيف: كان النّاصر شاباً مرحاً عنده مَيْعة الشّباب يشقّ الدُّروب والأسواق أكثر الليل، والناس يتهيبّون لقياه، وظهر الرَّفض بسبب ابن الصاحبِ ثم انطفأ بهلاكه وظهر التَّسنن، ثم زال، وظهرت الفتوة والبُندق والحمام الهادي، وتَفَنّن الناسُ في ذلك، ودخل فيه الأجلّاء ثم الملوك، فأُلبِسَ العادلُ وأولادُه سراويلَ الفُتوة.

كانت له حِيلٌ لطيفة، وخِدع لا يَفْطُنُ إليها أحد، يُوقع صداقة بين ملوك متعادين، ويوقع عداوة بين ملوك متوادِّين ولا يفطُنون.

[٢] وكان الناصر[١] قد ملأ القلوب هيبة وخيفة، حتى كان يرهبه أهل الهند وأهل مصر، فأحيى هيبة الخلافة، لقد كنت بمصر وبالشام في خلوات الملوك والأكابر إذا جرى ذكرُه خفضوا أصواتَهم إجلالاً له.

[٣] قال القاضي ابن واصل: كان الناصرُ شهماً شجاعاً ذا فكرة صائبةٍ وعقل رصين ومَكْر ودهاء، وكانت هيبتُه عظيمةً جداً، وله أصحاب أخبار بالعراق وسائر الأطراف يطالعونه بجزئيات الأُمور.

قال: وكان رديءَ السِّيرة في الرّعية، مائلاً إلى الظلم والعَسْف فخربت في أيامه العراق وتفرق أهلها وأخذ أملاكهم، وكان يفعل أفعالاً مُتضادّة، ويتشيع بخلاف آبائه.

[٤] قال: وبلغني أن رجلاً كان يرى صحةَ خلافةِ يزيد، فأحضره ليعاقبَه فسأله: ما تقول في خلافة يزيد؟ قال: أنا أقول لا ينعزل بارتكاب الفِسق، فأعرض عنه، وأمر بإطلاقه، وخاف من المُحاققة.

[٥] قال: وسُئِلَ ابنُ الجوزيّ والخليفة يسمع: «مَن أفضلُ النّاسِ بعد رسولِ اللهِ

(١) الكلام للموفق عبداللطيف.

صلى الله عليه وسلم»؟ قال: «أفضلهم بعده من كانت بنته تحته». وهذا جواب جيّد يصدق على أبي بكرٍ وعلى عَليّ.

[١] نقل العدل شمس الدين الجَزَريّ في (تاريخه)، عن أبيه قال: سمت المؤيّد ابن العَلْقَميّ الوزير يقول: إنّ الماء الذي يشربُه الإمام الناصر كان تجيء به الدوابُّ من فوق بغداد بسبعة فراسخ ويغلى سبع غلوات ثم يحبس في الأوعية أسبوعاً ثم يشرب منه، وما مات حتى سُقي المُرقد ثلاث مرار وشُقّ ذكره، وأُخرج منه الحصى.

وقال ابن الأثير: بقي الناصر ثلاث سنين عاطلاً عن الحركة بالكليَّة وقد ذهبت إحدى عَيْنَيه، وفي الآخر أصابه دوسنطاريا عشرين يوماً ومات.

[٢] وفي سنة خمس وثمانين وفي المقبلة: كان الحصار الذي لم يُسمع بمثله أبدا على عَكّا، كان السلطان قد افتتحها وأسكنها المسلمين فأقبلت الفِرَنْجُ براً وبحراً من كل فج عميق فأحاطوا بها، وسار صلاح الدين فيدفعهم فما تزعزعوا ولا فكّروا بل أنشأوا سوراً وخندقاً على معسكرهم وجرت غيرُ وقعة، وقتل خلق كثير يحتاج بسط ذلك إلى جزء، وامتدت المنازلة والمطاولة والمقاتلة نَيِّفاً وعشرين شهراً، وكانت الأمداد تأتي العدُوَّ من أقصى البحار، واستنجد صلاح الدين بالخليفة وغيره حتى أنّه نفّذ رسولاً إلى صاحب المغرب يعقوب المؤمني يستجيشه فما نفع، وكل بلاء النصارَى ذهاب بيت المقدس منهم.

[٣] قال ابن الأثير: لبس القسوس السواد حزناً على القدس، وأخذهم بُتْرُك[١] القدس وركب بهم البحر يستنفرون الفِرَنْجَ، وصوروا المسيح وقد ضربه النبي صلى الله عليه وسلم وجرحه، فعَظُم هذا المنظرُ على النصارى فخرجوا على الصعب والذلول برّاً وبحراً، ولولا لطف الله بإهلاك ملك الألمان وإلاّ لكان يُقال: إنَّ الشامَ ومصرَ كانتا للمسلمين.

---

(١) هو البطريرك.

قلتُ: كانت عساكر العدو فوق المئتي ألف، ولكن هلكوا جوعاً ووباء وهلكت دوابُّهم، وجافت الأرضُ بهم.

[١] ومن إنشاء الفاضل إلى الديوان وهم على عكا «يمُدُّهم البحرُ بمراكبَ أكثرَ من أمْواجه، ويخرج لنا أمَرَّ من أُجاجه، وأصحابنا قد أثَّرَتْ فيهم المدة الطويلة في استطاعتهم لا في طاعتهم، وفي أحوالهم لا في شَجاعتهم فنقول: اللهم إن تَهْلِك هذه العِصابة، ونرجو على يد أمير المؤمنين الإجابة، وقد حرّم باباهم لعنهُ الله كلَّ مُباح واستخرج منهم كل مَذْخُور وأغلَق دُونَهم الكنائس، ولبسوا الحِداد، وحَكَمَ أنْ لا يزالُوا كذلك أو يستخلصوا المَقْبَرَة، فيا عَصَبة نبينا صلى الله عليه وسلم اخْلُفه في أُمَّته بما تطمئن به مضاجِعُه، وَوَفِّه الحق فينا، فها نحن عندك ودائعه، ولولا أن في التصريح ما يعود على العدالة بالتجريح لقال الخادم ما يُبكي العُيون ويُنكي القُلوب، ولكنه صابرٌ محتَسِبٌ وللنصر مُرتقِب، ربِّ لا أملك إلّا نفسي وها هي في سبيلك مبذولة، وأخي وقد هاجر هجرة نرجوها مقبولة، ووُلْد وقد بذلتُ للعدو صفحاتِ وجوهِهم، ونقف عند هذا الحد ولله الأمر من قبلُ ومن بعدُ.

[٢] ومن كتاب إلى الديوان: «قد بُلِيَ الإسلامُ منهم بقوم استطابوا الموتَ، وفارقوا الأهلَ طاعةً لقسيسهم، وغيرةً لمعبدهم، وتهالُكاً على قُمامتهم[1]، حتى لسارت ملكةٌ منهم بخمس مئة مقاتل التزمت بنفقاتهم فأخذها المسلمون برجالها بقرب الإسكندرية، فذوات المقانع مقنّعات دارعات تحمل الطوارق والقبطاريات، ووجدنا منهم عدة بين القَتْلَى، وبابا رومية حَكَمَ بأنَّ من لا يتوجه إلى القُدس فهو مُحرّم لا مَنْكِح له ولا مَطْعَم فلهذا يتهافتون على الوُرود ويتهالكون على يومهم الموعود، وقال لهم: إنني واصل في الربيع جامع على استنفار الجميع، وإذا نَهَض فلا يقعد عنه أحدٌ، ويقبل معه كلُّ من قال: لله ولد».

(١) يعني: كنيسة القيامة.

[١] سنة سبع وثمانين اشتدت مضايقةُ العدوِّ عكّا وأمدادهم متواترة، فوصل ملك الإنكيتر(١) وقد مَرّ بقبرص وغدر بصاحبها، وتملكها كلها، ثم سار إلى عكا في خمس وعشـرين قطعـة، وكان ماكراً داهية شجاعاً، فخارت قوى من بها من المسلمين وضعفوا وقلقوا، فبعث إليهم السلطان: أن اخرجوا كلكم من البلد على حَمِيّة وسيروا مع البحـر واحملوا عليهم وأنا أجيئهم من ورائهم وأكشف عنكم، فشرعوا في هذا فما تهيّأ،ثمّ خرج أمير عكّا ابنُ المشطوب إلى ملك الفِرَنْجِ وطلب الأمان فأبى، قال: فنحن لا نُسَلِّم عَكّا حتى نقْتلَ جميعاً ورجع، فزحف العـدوُّ عليهـا، وأشرفوا على أخذها فطلب المسلمون الأمان على أن يسلموا عكا ومئتي ألف دينار وخمس مئة أسير وصليب الصلبوت فأجيبوا، ثم سارت الفِرَنْجَ تقصد عسقلان، فسار السلطان فى عراضهم، ثم كانت وقعة نهر القصب، ثم وقعـة أرسـوف فانتصـر المسلمـون وأتى صلاح الـدين عسقلان فأخلاها، وشرعَ في هدمها، وهدم الرملةَ ولُدَّ وشرعت الفِرَنْجُ في عمارة يافا، وطلبوا الهُدنة، ثم جرت وقعات صغار وقصدت الملاعينُ بيتَ المقدس وبها السلطان، فبالغ في تحصينها.

[٢] وفي سنة إحدى وتسعين كانت بالأندلس المَلْحَمة العُظمىَ، وقعة الزلاّقة بين يعقوب وبين الفُنْش الذي استولى على بلاد الأندلس، فأقبل اللعين في مئتي ألف وعرض يعقوبُ جُندَه فكانوا مئةَ ألف مُرتزقة، ومئةَ ألف مُطَّوّعة، عدوا البحرَ إلى الأنْدلس فنزل النَّصرُ ونَجا قليل من العدو، قال أبو شامة: عدّة القَتْلَى مئة ألف وستة وأربعون ألفاً، وأُسِر ثلاثون ألفاً، وأُخِذَ من خيامهم مئة ألف خيمة وخمسون ألفاً، ومن الخيل ثمانون ألف رأس ومن البغال مئة ألف، ومن الحَمِير التي لأثقـالهم أربـع مئة ألف، وبيع الأسيرُ بدِرهم والحِصان بخمسة، وقسم السلطان الغنيمة على الشريعة واستغنوا.

---

(١) وتكتب: (الأنكلتير) وهو ملك أنكلترا ريتشارد قلب الأسد.

[١] وفي سنة ٦٠٦ أول ما سُمِعَ بذكر التَّتار، فخرجوا من أراضيهم باديةِ الصِّين، وراء بلاد تُركستان، فحاربوا الخَطا مرّات وقووا بكسرة خوارزم شاه للخطا، وعاثوا. وكان رأسُهم يدعى كشلوخان.

ثم خرج على كشلوخان الطاغية جنكزخان، فتحاربوا مدة، وظفر جنكزخان، وطَغَى، وتَمَرَّدَ، وأبادَ البِلادَ والعِباد، وأخذَ أقاليمَ الخَطا، وجعلَ خان بالق دارَ مُلكه، وأفنى الأُمَمَ بإقليم التُّرك وما وراءَ النَّهر وخُراسان، وهزَمَ الجيوش، وما جَرَى له فسيرةٌ مُفْرَدَةٌ، وقد جَوَّدَ وَصْفَهُم المُوفَّق البَغْداديُّ، فقال:

[٢] حديثُهُم حديثٌ يأكلُ الأحاديثَ، وَخَبَرٌ يُنْسِي التواريخ، ونازلةٌ تُطبق الأرضَ، هذه أمةٌ لُغَتُها مَشُوبة بلغة الهِنْد لمجاورتهم، عِراض الوُجوه واسعوا الصُّدور، خِفاف الأعجاز، صِغار الأطراف، سُمرٌ، سريعوا الحركة، وقَلَّما يَقدر جاسوسٌ أن يتمكّنَ منهم، لأن الغريب لا يشبههم، وإذا أرادوا وجهةً كتموا أمرهم ونَهَضُوا دَفْعَة، فتنسَد لهذا على النّاس وجوه الحِيَل، وتضيقُ طُرُقُ الهَرَب ويسبقون التأهّب، نساؤهم يُقاتلن، يقتلون النِّساء والولدان بغير استثناء، وربما أبقوا ذا صَنْعَة أو ذا قوةٍ، وغالب سلاحهم النُّشّاب ويطعنون بالسيوف أكثر مما يضربون بها، وخيلهم تأكل الكلأ وما تجد من ورقٍ وخَشَب، وسرُوجهم صغار ليس لها قيمة، وأكلهم أي حيوان وُجِدَ وَتَمسُّه النّارُ، تحلّة القسم، ليس في قتلهِم استثناء، كان قصدهم إفناءَ النَّوع، ما سَلِمَ منهم إلاّ غَزْنَةُ وأصبهان.

قلت: ثم استباحوا أصبهان سنة ٦٣٢.

[٢] وفي سنة ٦١٧: وقعة البَرلُّس بين الكامل والفِرَنْج، فنصرَ الله وقُتِلَ من الفِرَنْج عشرة آلاف وانهزموا، فاجتمعوا بدمياط.

[٣] وفيها أخذت التّتار بُخارى وسَمَرْقَند بالسَّيف، وعدوا جيحون. قال ابن الأثير: لو قيل: إنَّ العالم منذ خُلِقَ إلى الآن لم يُبتلوا بمثل كائنةِ التَّتارِ لكان صادقاً، فإنَّ التواريخ لم تتضمن ما يقاربها، قوم خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلادَ

تُركستان، ثم إلى بخارى وسمرقند فتملكوها، ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان فيفرغون منها تخريباً وقتلاً إلى الرَّي وَهَمَذَان، ثم يقصدون أذربيجان ونواحيها ويستبيحونها في أقلَّ من سنة، أمر لم نسمع بمثله، ثم ساروا إلى دَرْبَند شروين، فملكوا مُدنَهُ، وعَبروا إلى بلاد اللان واللكز قَتْلاً وأسراً، ثم قصدوا بلادَ قَفْجاق فقتلوا من وَقَفَ وهرب من بقي إلى الشعراء والجبال، واستولت التتار على بلادهم، ومضت فرقة أخرى إلى غزنة وسِجِسْتان وَكِرْمان، ففعلوا كذلك وأشد. هذا ما لم يطرقِ الأسماعُ مثلَه، فإنَّ الإسكندر ما ملك الدنيا بهذه السرعة، بل في نحو عشر سنين ولم يقتل أحداً.

[١] وقال: وخيلهم لا تعرف الشعير، إنّما تحفر بحوافرها وتأكل عروق النبات، وهم يسجدون للشمس، ولا يحرِّمون شيئاً، ويأكلون الحيوانات. ولا يعرفون زواجاً، وهم صنف من التُّرك.

وأما الخليفة فإنّه جمعَ الجُموعَ وجَيَّش الجيوش، وحَشَرَ فنادَى، وأتته البُعوثُ من كل حَدَب يَنْسلون، ولما جاء رسول التتار احتفل الجيش وبالغوا، حتى امتلأ قلبُه رُعباً، ودماغُهُ خيالاً، فرجع مُخَبِّراً.

قلت: هذا كله وجيش مِصْرَ والشام في مُصابرة الفِرَنْجِ بدمياط والأمر شديد.

وفي سنة اثنتين وعشرين وست مئة توفي أمير المؤمنين فبويع ابنه الظاهر أبو نصر محمد كهلاً، فكانت دولةُ النَّاصرِ سبعاً وأربعين سنة.

٩٥٤ - الظاهر بأمر الله(١)

[٢] الخليفة أبو نصر محمد ابن النَّاصر لدين الله الهاشميُّ العَبّاسيُّ البَغْدَاديُّ.

ولد سنة إحدى وسبعين وخمس مئة.

(١) انظر السير: ٢٢/ ٢٦٤-٢٦٨.

وبـويع بولاية العهد وخُطب له وهو مُراهق، واستمر ذلك سنين، ثم خلعه أبـوه، وولّى عليّاً أخـاه العَهْدَ، فدامَ ذلك حتى مات عليٌّ سنة ثماني عَشرة، فاحتاج أبوه أن يعيدَه إلى العهد، وقامَ بالأمر بعد الناصر ولم يُطَوِّل، وقُرِىء عليه في «مسند أحمد» بإجازته من والده.

[١] قال ابن الأثير: وَلِيَ فأظهـر العدلَ والإحسان، وأعاد سُنَّةَ العُمَرَيْنِ فإنّه لو قيل: ما وَلِيَ بعـد عمـرَ بنِ عبدالعزيز مثلُه لكان القائلُ صادقاً فإنّه أعاد من الأموال والأملاكِ المَغْصوبةِ شيئاً كثيراً، وأطلق المكوسَ في البلاد جميعِها، وأَمَرَ بإعادة الخراجِ القديمِ في جميع العراق وبإسقاط ما جدّده أبوه وكان لا يُحصى، وقَدِمَ صاحب الديون من واسط بأكثر من مئة ألف ظلماً فَرَدَّها على أربابها، ونَفَّذَ إلى الحاكم عشرةَ آلافِ دينار لِيُوفِّيَها عن المحبوسين، وكان يقول: أنا قد فتحت الدكان بعد العصر[1] فذروني أفعل الخَيْرَ، فكم بقيتُ أعيش. وقد أنفق وَتَصَدَّق في ليلة النَّحر مئة ألف دينار، وكان نِعْمَ الخليفة خُشُوعاً وخُضُوعاً لِرَبِّه وعَدْلاً في رعيته، وازدياداً في وقت من الخير، ورغبة في الإحسان.

[٢] وقال سِبْطُ الجوزيِّ: حُكِيَ عنه أنه دخلَ إلى الخزائن، فقال له خادم: في أيامك تمتلىء، قال: ما عُملتِ الخزائن لتُملأ، بل لِتفرغَ وتُنْفَقَ في سبيل الله، إن الجَمْع شُغلُ التّجّار.

[٣] وفي سنة **٦٢٣** زُلْزِلَت المَوْصِلُ وشهرزور، وترددت الزلزلة عليهم نَيِّفاً وثلاثين يومـاً وخـرب أكثرُ قرى تلك الناحية، وانخسف القمر في السنة مرتين، وجاء بالمَوْصِل بَرَدٌ عظيم زنة الواحدة مئتا درهم وأقل فأهلك الدواب.

وفي رجب منها توفِّي أمير المؤمنين الظاهر، فكانت خلافَتُه تسعةَ أشهرٍ ونصفاً رحمه الله وعاش اثنتين وخمسين سنة وبايعوا ولدَه المستنصرَ بالله أبا جعفر.

---

(١) أي أنّه ولي الخلافة على كبر السن.

٩٥٥ ـ ياقــــوت[١]

[١] الأديب الأوحد شهاب الدين الرُّوميّ مولى عَسْكر الحموي، السفّار النَّحويُّ الأخباريُّ المُؤرخ.

أعتقه مولاه فنسخَ بالأُجرة، وكان ذكيّاً، ثم سافرَ مضاربة إلى كيش وكان من المُطالعة قد عرفَ أشياءَ، وتكلَّم في بعض الصحابة فأُهين، وهرب إلى حَلَبَ، ثم إلى إرْبل وخُراسان، وتاجر بمرو وبخُوارزم، فابتلي بخروج التتار فنجا برقبته، وتوصَّل فقيراً إلى حلب، وقاسى شدائد.

وله كتاب (الأدباء) و (معجم البلدان) و (الأنساب) وغيرها.

[٢] وكان شاعراً متفنِّناً جيِّدَ الإنشاء، يقول في خراسان:

وكـانت لعَمْـرُ اللهِ ذاتَ رياض أريضـة، وأهـوية صحيحـة مِريضـة، غَنّت أطيارُها، وتمايلت أشجارُها، وبكت أنهارها، وضحكت أزهارها، وطاب نَسيمُها فَصَحَّ مزاجُ إقليمِها، أطفالهم رجال، وشبابهم أبطال، وشيوخهم أبدال، فهان على ملكهم ترك تلك الممالك.

[٣] وقال: يا نفس الهَوَا لَكِ، وإلا فأنت في الهوالِك.

إلى أن قال: فمـررت بين سيوف مسلولـة، وعسـاكـر مغلولة، ونظام عقود محلولة، ودماء مسكوبة مطلولة، ولولا الأجل لأُلحقت بالألف ألف أو يزيدون.

توفِّي في سنة ست وعشرين وست مئة، عن نَيِّفٍ وخمسين سنة، ووقف كتبَه ببغـدادَ على مشهد الزَّبيدي، وتواليفه حاكمة له بالبلاغة، والتبحّر في العلم، استوفي ابن خَلّكان ترجمته وفضائله.

---

(١) انظر السير: ٢٢/ ٣١٢-٣١٣.

٩٥٦ ـ الموفَّــق[1]

[١] الشَّيخُ الإمامُ العَلّامة الفقيه النَّحويُّ اللُّغويُّ الطبيبُ ذو الفُنونِ موفّقُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُاللطيفِ ابنُ الفقيهِ يوسُفَ بنِ محمدٍ المَوْصِلِيُّ ثم البَغْدادِيُّ الشَّافِعِيُّ نزيل حلب، ويعرف قديماً بابن اللبّاد.

وُلِدَ ببغدادَ في سنة سبع وخمسين وخمس مئة.

قال الموفق عن نفسه: سمعت الكثير وأحفظ «المقامات» و «الفصيح» و «ديوان المتنبي» ومختصراً في الفقه ومختصراً في النحو، ثم حفظت «أدب الكاتب» لابن قُتيبة، و «مُشكل القرآن»، له، و «اللمع» ثم انتقلت إلى كتاب «الإيضاح» فحفظته وطالعت شروحه. قال: وحفظت «التكملة» في أيام يسيرة كلّ يوم كُرّاساً، وفي أثناء ذلك لا أغفل سماع الحديث والتفقه على ابن فَضْلان.

[٢] ومن وصاياه، قال: ينبغي أن تكون سيرتُك سيرةَ الصَّدرِ الأولِ، فاقرأ السيرةَ النبويّةَ، وتتبع أفعالَه، واقتفِ آثارَه، وتشبَّه به ما أمكنك. من لم يحتملْ ألَمَ التَّعلّمِ لم يَذُقْ لذّةَ العِلم، ومن لم يكدحْ لم يفلحْ. إذا خلوت من التَّعلم والتفكُّر فحرِّك لسانَك بالذِّكر وخاصة عند النَّوم، وإذا حدث لك فرحٌ بالدُّنيا فاذكرِ الموتَ وسُرعةَ الزَّوالِ وكثرةَ المُنَغِّصات. إذا حَزَنَكَ أمرٌ فاسترجع وإذا اعترتك غَفْلَةٌ فاستغفر. واعلم أن للدين عبقة وعرقاً ينادي على صاحبه ونوراً وضيئاً يشرف عليه ويدل عليه، يا محيي القلوب الميتة بالإيمان خذ بأيدينا من مهواة الهلكة، وطهرنا من دَرَن الدُّنيا بالإخلاص لك. وله مصنفات كثيرة.

حضرت المنيَّةُ ببغدادَ في سنة تسع وعشرين وستِّ مئة.

---

(١) انظر السير: ٢٢/ ٣٢٠-٣٢٣.

٩٥٧ - خوارزمشاه[1]

[١] السُّلطان الكبير جلال الدين منكوبري ابن السلطان الكبير علاء الدين محمد ابن السلطان خوارزمشاه تُكُش.

تَمَلَّكَ البلادَ، ودانت له الأممُ، وجرت له عجائبُ، ولما دهمت التتارُ البلادَ الما وراء النهرية بادر والدهُ علاء الدين وجعل جالِيشَه[2] ولدَه جلال الدين في خمسةَ عشرَ ألفاً، فتوغل في البلاد وأحاطت به المغول فالتقاهم، فانكسر، وتخلص بعد الجهد، وتوصل. وأما أبوه فما زال متقهقراً بين يدي العدو حتى مات غريباً سنة سبع عشرة وست مئة في جزيرة من البحر.

[٢] قلت: وكان عسكره أوباشاً فيهم شر وفسق وعتوّ.

[٣] وقال الموفق: الزِّنَى فيهم فاشٍ، واللواط غير مَعْذُوق بكِبَر ولا صِغَرٍ[3] والغَدْرُ خُلُقٌ لهم، أخذوا تفليس بالأمان، ثم غدروا وقتلوا وسَبَوْا.

[٤] قلت: كان يُضرَب بهم المثلُ في النَّهب والقَتْل، وعملوا كلَّ قبيحٍ، وهم جياعٌ مُجَمّعة، ضِعاف العُدَدِ والخَيْلِ. التقى جلالُ الدينِ التتار، فهزمهم وهَلَكَ مقدمهم ابن جنكزخان، ثم خرج له كمين فَتَفَلَّلَ جمعُ جلالِ الدينِ وفرّ إلى ناحية غَزْنَة في حال واهية، ومعه أربعة آلاف في غاية الضعف فتوجه نحو كرمان فأحسن إليه ملكُها، فلما تقوّى غدر به وقتله، وسار إلى شيراز وعسكره على بقر وحمير ومشاة ففر منه صاحبُها، وجرت له أمور يطول شرحها ما بين ارتقاء وانخفاضٍ، وهابته التتارُ، ولولاه لداسوا الدنيا. وقد ذهب إليه محيي الدين

---

(١) انظر السير: ٢٢/ ٣٢٦-٣٢٩.

(٢) كلمة فارسية يريد بها: مقدم الجيش.

(٣) أصل العبارة في تاريخ الاسلام: «واللواط ليس بقبيح ولا معذوقاً بشرط الكبر والصغر»، فمعذوق هنا معناه: معلق، أخذه من العِذْق، وهو عذق النخلة ويشمل العرجون بما فيه من الشماريخ.

ابن الجوزي رسولاً فوجده يقرأ في مُصحف ويبكي، ثم اعتذر عما يفعله جنده بكثرتهم، وعدم طاعتهم، وقد تقاذفت به البلاد إلى الهند ثم إلى كرمان ثم إلى أعمال العراق.

[١] وساقَ إلى أذربيجان، فاستولى على كثير منها، وغدر بأتابك أُزبك، وأخرجه من بلاده، وأخذ زوجَه ابنة السلطان طُغرل، فتزوجها ثم عمل مصافّاً مع الكَرْج فَطَحَنَهُم، وقتلَ ملوكَهم، وقوِيَ ملكُه، وكَثُرت جُموعُه، ثم في الآخِر تلاشى أمره لمّا كَسَرَهُ الملكُ الأشرف موسى وصاحب الرُّوم بناحية أرمينية، ثم كبسته التتارُ ليلة، فنجا في نحو من مئة فارس ثم تفرقوا عنه إلى أن بقي وحده، فألَحَّ في طلبه خمسة عشر من التتار فثبت لهم وقتل اثنين فأحجموا عنه، وصعد في جبل بناحية آمد ينزله أكراد فأجاره كبير منهم، وعرف أنّه السُّلطان، فوعده بكل خير، ففرح الكردي، وذهب ليحضرَ خيلاً له ويعلمَ بني عمه، وتركه عند أمّه، فجاء كردي فيه جرأة فقال: ليش[١] تخلُّوا هذا الخوارزميَّ عندكم؟ قيل: اسكت هذا هو السلطان، فقال: لأقتلنّه فقد قتل أخي بخِلاط، ثم شد عليه بحربة، قتلَهُ في الحال في سنةِ ثمان وعشرين وست مئة.

٩٥٨ - أبو محمد الروابطيّ[٢]

[٢] من كبار الزهّاد بالأندلس.

[٣] أخذ عنه ابن مَسْدِيّ، وقال: مات سنة سبع وعشرين وست مئة، كان يسيح بثغور الأندلس، يأوي في مساجد البرّ، له كرامات، أُسر إلى طرطوشةَ وقيّدوه، فقامَ النَّصرانيُّ ليلة فرآه يصلي، وقَيْده إلى جنبه فتعجّبَ، فلما أصبح رآه في

(١) لفظة عامية معناها: لأي شيء.

(٢) انظر السير: ٢٢/ ٣٢٩-٣٣٠.

رجله، فرقبه ثاني ليلة فكذلك فذهب فأخبرَ القُسَس، فقالوا: أحضره، فجاء به، وجرت بينه وبينهم محاورة، ثم قالوا: لا يحل أن نأسرَك، فاذهب، ولطرطوشةَ نهر تُعمل فيه السّفن فلقيه أسير فقال: بالله خذني فأخذه بيده وخاض إلى نصف الساق، فتعجب النصارى وشاعت القصة.

٩٥٩ - صاحب إرْبـل[١]

السُّلطانُ الدَّيِّن الملك المُعَظَّم مُظَفَّرُ الدِّينِ أبو سعيد كُوكبْرِي بن عليّ بن بكتكين بن محمد التُّركماني صاحب إرْبِل وابن صاحبها ومُمصِّرها الملك زين الدين عليّ كوجك، وكوجك هو اللطيف القدّ، كان كوجك شهماً شجاعاً مهيباً، تملك بلاداً كثيرة ثم وهبها لأولاد صاحبِ المَوْصل، وكان يوصف بقوة مفرطة، وطال عمره، فلما مات تملك إرْبِلَ ابنُه هذا وهو مراهق، وصار أتابكه مُجاهد الدين قيماز، فعمل عليه قيماز وكتب مَحْضرا بأنه لا يصلح للمُلْك وقبضَ عليه ومَلَّكَ أخاه زين الدين يوسُف فتوجه مظفر الدين إلى بغدادَ فما التفتوا عليه، فَقَدِم المَوْصِل على صاحبها سيف الدين غازي بن مودود، فأقطعه حَرّان، فبقي بها مُدَيْدَة، ثم اتصل بخدمة السُّلطان صلاح الدين، وغزا معه وتمكَّن منه، وأحبه، وزادَهُ الرُّها، وزوجه بأخته ربيعة واقفة الصاحبية. وأبان مظفر الدين عن شجاعة يوم حِطّين، فوفد أخُوه صاحبُ إرْبل على صلاح الدينِ نجدة فتَمَرَّض ومات على عَكّا فأعطى السُّلطان مظفرَ الدِّينِ إرْبِلَ وشَهْرزورَ، واسترد منه حَرّان والرُّها.

(١) انظر السير: ٢٢/ ٣٣٤-٣٣٧.

[١] وكان مُحِبّاً للصَّدقة، له كل يوم قناطير خبز يفرقها، ويكسو في العام خَلْقاً ويعطيهم ديناراً ودينارين، وبنى أربعَ خوانِك للزَّمْنَى والأضِرّاء، وكان يأتيهم كلَّ اثنين وخميس ويسأل كلّ واحد عن حاله ويتفقده ويباسطُه ويمزحُ معه. وبنَى داراً للنساء، وداراً للأيتام، وداراً للْقضاء ورتَّبَ بها المراضع. وكان يدور على مَرْضَى البيمارستان. وله دار مضيف ينزلها كلُّ وارد، ويُعْطَى كلَّ ما ينبغي له. وبنى مدرسةً للشَّافعية والحنفية وكان يمدّ بها السماط، ويحضر السماع كثيراً، لم يكن له لَذّةٌ في شيء غيره. وكانَ يَمْنَع من دخول مُنْكرٍ بلدَهُ، وبنَى للصُّوفية رباطين، وكان ينزل إليهم لأجل السَّماعات. وكان في السَّنة يُخْرِجُ سَبِيلاً للحج ويبعث للمجاورين بخمسة آلاف دينار، وأجرى الماءَ إلى عرفات.

وأمّـا احتفـاله بالمَوْلِد فيقصر التعبير عنه، كان الخلق يقصدونه من العراق والجزيرة وتُنْصَب قِبابُ خَشَبٍ له ولأمرائه وتُزَيَّن، وفيها جوق المغاني واللّعب، وينزل كل يوم العصر فيقف على كل قبة ويتفرج، ويعمل ذلك أياماً، ويُخْرِجُ من البَقَر والإبل والغَنَم شيئاً كثيراً فَتُنْحَر وتُطْبَخ الألوان، ويَعْمَل عِدّةَ خِلَعٍ للصُّوفية، ويتكلم الوُعّاظ في الميدان، فينفق أموالاً جزيلة، وقد جَمَعَ له ابن دحية «كتاب المولد» فأعطاه ألفَ دينار.

وكان مُتواضعاً، خيّراً سُنّياً، يحب الفقهاء والمحدثين، وربما أعطى الشُّعراء، وما نُقِل أنّه انهزم في حرب، وقد ذكر هذا وأمثالَه ابنُ خَلّكان.

مات سنة ثلاثين وست مئة، وعُمِلَ في تابوت، وحُمِلَ مع الحجاج إلى مكة، فاتفق أن الوفد رجعوا تلك السنة لعدم الماء، فدفن بالكوفة رحمه الله تعالى، وعاش اثنتين وثمانين سنة.

وعـاش أبوه فوق المئة، وعمي وأصمّ، وكان من كبار الدولة الأتابكية، ما انهزم قط. ومدَحَهُ الحَيْص بَيْص، فقال: ما أعرف ما تقول ولكني أدري أنك تريد شيئاً! وأمر له بِخلْعة وفَرَس وخمسِ مئةِ دينار.

٩٦٠ - صاحب الغرب(١)

[١] السُّلطان أبو عبدالله الملك الناصر محمد ابن السُّلطان يعقوب ابن السُّلطان يوسُف بن عبدالمؤمن بن علي القَيْسيّ، وأمّه روميّة اسمها زهر.

تَملَّكَ البلاد بعَهْدٍ من أبيه مُتقدِّم. وكان أشقر أشهل، أسيل الخد مليح الشكل، كثير الصَّمْتِ والإطراق، شُجاعاً مهيباً، بعيدَ الغَورِ حليماً، عفيفاً عن الدماء، وفي لسانه لثغة، وكان يُبخَّل.

فرغت هدنة الفرنج، فعبر السلطان بجيوشه إلى إشبيلية.

[٢] ثم تَحرَّك في سنة ثمان وست مئة لجهاد العدو، فنازل حصناً لهم فأخذه فسار الفُنش في أقاصي الممالكِ يستنفر عُبّادَ الصَّليب، فاجتمعت له جيوش ما سُمع بمثلها، ونجدته فِرَنْجُ الشام، وعساكر قسطنطينية، وملك أرغُن البَرْشلوني، واستنفر السُّلطانُ أيضاً النّاس، والتقى الجَمْعان، وتعرف بوقعة العِقاب، فتحمَّل الفنش حملة شديدة، فهزم المسلمين، واستشهد خلق كثير. وكان أكبرُ أسبابِ الكسرةِ غَضَبَ الجُندِ من تأخّر عطائهم وثبت السُّلطان ثباتاً كُليّاً لولاه لاستؤصل جيشُه، وكانت الملحمة في صفر سنة تسع وست مئة، ورجع العدو بغنائمَ لا توصف، وأخذوا بيّاسة عنوة فإنا لله وإنّا إليه راجعون.

مرض السلطان أياماً، ومات سنة عشر وست مئة وكانت أيامه خمسةَ عشرَ عاماً، وقام بعده ابنُه المستنصرُ يوسفُ عشرةَ أعوام.

(١) انظر السير: ٢٢/ ٣٣٧-٣٣٩.

٩٦١ ـ ابنـــه (١)

السُّلطان المُسْتَنْصر بالله أبو يعقوب يوسف بن محمد بن يعقوب المؤمنيّ.

تَمَلَّكَ المغرب سنة عشر، وكان بديع الحُسن، بليغ المنطق غارقاً في وادي اللهوِ والبطالة.

وُلِدَ سنة أربع وتسعين، فملّكوه وله ست عشرة سنة فضيَّعوا أمرَ الأُمة.

مات المستنصر في سنة عشرين وست مئة ولم يخلف ولداً، فَمَلَّكت الموحدون بعده عم أبيه عبدالواحد.

٩٦٢- عبدالواحـــد (٢)

ابن السُّلطان يوسف ابن السُّلطان عبدالمؤمن صاحب المغرب.

كان شيخاً عاقلاً لكنه لم يدارِ القوّاد، فقاموا عليه وخلعوه وخنقوه في سنة إحدى وعشرين، فكانت دولته تسعة أشهر.

٩٦٣ ـ عبـــدالله (٣)

ابن السلطان يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن القَيْسيُّ الملقب بالملك العادل.

كان نائباً على الأندلس، فلما خُنِقَ عَمُّه عبدالواحد ثارت الفِرَنْجُ بالأندلُس، فالتقاهم العادل، فانهزمَ جيشُه وفرَّ هو إلى مرّاكُش في حال نَحْسِهِ فقبض

(١) انظر السير: ٢٢/ ٣٣٩-٣٤٠.

(٢) انظر السير: ٢٢/ ٣٤١. (٣) انظر السير: ٢٢/ ٣٤١-٣٤٢.

الموحدون عليه ثم بايعوا بالسلطنة يحيى ابن السلطان محمد بن يوسف لَمّا بَقَلَ وجهُـهُ، فجـاءَت الأخبـار بأنّ إدريسَ ابنَ السلطانِ يعقوبَ قد ادّعىٰ الخلافة بإشبيلية، فآل الأمـر بيحيى إلى أن طمعت فيه الأعـراب وحاصرته بمرّاكُش، وضجـر منـه أهلها، وأخرجوه فهرب المسكين إلى جَبَل درن، ثم نهض معه طائفة، وأقبل وتمكن، وطَرَدَ نُوّابَ إدريسَ، وقتلَ منهم، وَتَوثَّب بالأندلس ابن هُود الجُذَاميّ، ودعا إلى بني العبّاس، فمالَ إليه الناس، فهرب إدريس، وعبر إلى مراكش، فالتقى هو ويحيى فهـزم يحيى، ففر يحيى إلى الجبل، وكانت ولايةُ العادل في سنة عشرين. وفي دولته كانت الملحمةُ عند طليطلة، فاندكّ فيهـا المسلمـون، ثم في الآخر خُنِقَ العادل، ونُهِبَ قصرُه بمراكش، وتملك يحيى بن محمد بن يعقوب، فحاربه عمّه، ثم قُتِل.

٩٦٤ ـ صاحب المغـرب(١)

السُّلطانُ الملك المأمون أمير المؤمنين ـ كما زَعَم ـ أبو العُلَى إدريس ابن السُّلطان المنصور يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن بن علي القَيْسِيّ.

كان بطلاً شجاعاً، مَهِيباً، داهيةً، فقيهاً، علّامة، أصولياً ناظماً ناثراً، وافرَ الجـلالـة. كان بالأندلس مع أخيه العادل عبدِالله فلما ثارت الفِرَنْجُ عليه تركَ الأندلسَ العادلُ، واستخلفَ على إشبيلية إدريسَ هذا، وجرت له أمور طويلة، ثم خُطِبَ له بالخلافة بالأندلس، ثم عَدَّى وغلب على مَرّاكُش وانتزع المُلكَ من يحيى بنِ محمـد ابن عمِّه، والتقَوْا غيرَ مرة، ثم ضعف أمرُ يحيى، واستجار بقومٍ في حصن من عمل تِلِمْسان فقُتِل غِيْلة، وتمكّن إدريس، وكان جباراً جريئاً على الدِّماء، وأزال ذِكْرَ ابنِ تومرت من الخُطْبَة.

---

(١) انظر السير: ٢٢/ ٣٤٢-٣٤٣.

مات في الغَزو في سنة ثلاثين وست مئة، فملّكوا بعده ابنه الرشيد فبقي عشر سنين.

ولإدريس رسـالـةٌ طويلةٌ أفصـحَ فيها بتكذيب مَهْدِيِّهم وضلاله، نقلَ ذلك المُؤيّد في تاريخه.

٩٦٥ - ابنــه[١]

السلطان الملقب بالرشيد عبدالواحد بن المأمون إدريس المؤمنيّ.

تملّكَ وتمكَّنَ، ثم أعاد الخطبة بذكر المَهْديِّ المَعْصُومِ ابنِ تومرت يستميل بذلـك قلوبَ المـوحّدين، وكانت أيامه عشرة أعوام. توفي غَرِيقاً في صهريج بُستـان له بمراكش، وكتموا موته شهراً ثم ملكوا أخاه السعيدَ عليَّ بنَ إدريس الذي قُتل.

غرق الرشيد في سنة أربعين وست مئة.

٩٦٦- السَّـيْـف[٢]

[١] العَلاّمةُ المُصَنِّفُ فارسُ الكلام سيفُ الدين عليُّ بن أبي عليِّ بنِ محمدٍ بنِ سالم التَّغْلِبيّ الآمديّ الحَنْبليُّ ثم الشافعيُّ.

ولد سنة نَيِّف وخمسين.

[٢] قلت: أقرأ الفَلْسفةَ والمنطقَ بمصرَ بالجامع الظّافريّ، وأعادَ بقُبّة الشافعيّ، وصَنَّفَ التصانيف، ثم قاموا عليه، ورموه بالانحلال، وكتبوا محضراً بذلك.

---

(١) انظر السير: ٢٢/ ٣٤٣.

(٢) انظر السير: ٢٢/ ٣٦٤-٣٦٧.

قال القاضي ابن خلكان: وضعوا خطوطهم بما يُستباح به الدَّم فخرج مستخفياً، ونزل حماة.

مات في سنة إحدى وثلاثين وست مئة، وله ثمانون سنة.

وقال سِبْط الجوزي: لم يكن في زمانه من يجاريه في الأصلين وعلم الكلام، وكان يظهر منه رقّة وسرعة دمعة، أقام بحماة، ثم بدمشق. ومن عجيب ما يُحكي عنه أنه ماتت له قطّة بحماة فدفنها فلما سكن دمشق بعث ونقل عظامها في كيس ودفنها بقاسيون.

[١] قال: وكان أولادُ العادلِ كلُّهم يكرهونه لما اشتهر عنه من علم الأوائل والمنطق، وكان يدخل علىَ المُعَظَّم فلا يتحرك له، فقلت: قم له عوضاً عني، فقال: ما يقبله قلبي.

وكان القاضي تقيُّ الدين سُلَيمانُ بنُ حمزةَ يحكي عن شيخه ابن أبي عمر قال: كنا نتردد إلى السَّيف، فشككنا هل يصلّي أم لا؟ فنامَ، فَعَلَّمْنا على رجله بالحِبْر فبقيت العَلاَمَةُ يومين مكانها، فَعَلِمْنا أنَّه ما توضأ نسأل الله السلامَة في الدين!

قال لي شيخُنا ابن تيمية: يغلب على الآمديِّ الحيرةُ والوَقف، حتى إنه أوردَ على نفسه سؤالاً في تسلسل العِلل، وزعمَ أنه لا يعرف عنه جواباً وبنَى إثباتَ الصانعِ على ذلك، فلا يُقَرِّرُ في كتبه إثباتَ الصانع، ولا حُدوثَ العالم، ولا وحدانية الله، ولا النبوات، ولا شيئاً من الأصول الكبار.

قلت: هذا يدل على كمال ذِهنِه، إذْ تقرير ذلك بالنَّظرَ لا ينهض وإنَّما ينهض بالكتاب والسنّة، وبكلٍّ قد كان السيف غاية، ومعرفته بالمعقول نهاية، وكان الفُضلاءُ يزدحمون في حلقته.

قال ابن خَلِّكان: سمعت ابن عبدالسلام يقول: ما سمعتُ من يُلقي الدَّرس أحسن من السَّيف، كأنّه يخطب، وكان يُعظمه.

٩٦٧ ـ ابـن الفـارض (١)

[١]شاعـرُ الـوقت شرفُ الـدِّين عمرُ بنُ عليٍّ بنِ مُرْشِد الحَمَوِيُّ ثم المِصْريُّ صاحب الاتحاد الذي قد ملأ به التائية.

تُوفِّي سنة اثنتين وثلاثين، وله ست وخمسون سنة.

[٢]حَدَّث عنه المُنْذِريُّ. فإن لم يكن في تلك القصيدة صريحُ الاتحاد الذي لا حيلةَ في وجوده، فما في العالم زندقةٌ ولا ضلال، اللهم ألهمنا التقوى وأعذنا من الهوى فيا أئمةَ الدينِ ألا تغضبون لله؟! فلا حول ولا قوة إلّا بالله.

وشعره في الذِّروة لا يُلْحَق شَأْوُه.

٩٦٨ ـ الرَّحْبِيُّ (٢)

[٣]البارع العَلّامة إمام الطب رضي الدين يوسُفُ بنُ حيدرةَ بنِ حسنٍ الرَّحْبيُّ الحكيم.

[٤]كان أبـواه كحّـالاً من أهـل الرَّحبة، فوُلِدَ له يوسُف بالجزيرة العُمَريّة وأقام بنصيبين مدة وبالرَّحبة، ثم قَدِما دمشق في سنة خمس وخمسين وخمس مئة، ثم أقبـل يوسف على الـدَّرس والنَّسخ ومُعالجة المَرْضَى، ولازم المُهَذَّبَ ابنَ النقاش، وبَرَعَ، فنوَّهَ المُهَذَّبُ باسمه، وحَسُنَ موقعُهُ عند السلطان صلاح الدين، وقَـرَّر له ثلاثين دينـاراً على القلعـة والبيمـارستان واستمرت عليه حتى نَقَّصَها المُعَظَّم، ولم يزل مُبَجّلاً في الدَّولة. وكان رئيساً عاليَ الهمةِ كثيرَ التحقيق، فيه خير وعدم شر، تَصَدَّر للإفادة، وخَرّج له عدة أطباء كبار.

---

(١) انظر السير: ٢٢/ ٣٦٨-٣٦٩.

(٢) انظر السير: ٢٢/ ٣٧١-٣٧٢.

[١] قال: جميع من قرأ عليّ سُعِدوا وانتفع الناس بهم وكان لا يقرىء أحداً من أهل الذِّمة. بلى، قرأ عليه منهم عِمران اليهوديُّ، وإبراهيم السَّامِرِيّ تَشَفَّعا إليه، وكل منهما برع.

[٢] قال ابن أبي أُصيبعة: قرأت عليه في سنة اثنتين وثلاث وعشرين كتباً وانتفعت به، وكان محباً للتجارة مُغْرَىً بها ويُراعي مزاجَه، ولا يصعد في سلَّم، وله بستان، وكان الوزيرُ ابن شُكر يلزم أكلَ الدجاجِ حتى شحب لونه، فقال له الرضي: الزم لحم الضأن ففعل فظهر دمه.

مات سنة إحدى وثلاثين وست مئة، وله سبع وتسعون سنة.

٩٦٩ - السُّهْرَوَرْدِيّ(١)

[٣] الشَّيخُ الإمامُ العالِمُ القُدوةُ الزَّاهدُ العارفُ المُحَدِّثُ شيخُ الإسلامِ أوحدُ الصوفيّة شهابُ الدين أبو حفص وأبو عبدالله عُمر بن محمد بن عبدالله القُرَشيّ التَّيمِيُّ البَكْريُّ السُّهْرَوَرْدِيُّ الصوفيُّ ثم البغداديُّ.

وُلِدَ في سنة تسع وثلاثين وخمس مئة، وقَدِمَ من سُهْرَوَرْد وهو شابٌّ أمْرَد.

قال ابن الدُّبيثيّ: قَدِمَ بغدادَ وكان له في الطريقة قَدَمٌ ثابت ولسان ناطق، ووَلِيَ عدّةَ رُبُط للصوفية، ونُفِّذَ رسولاً إلى عدة جهات.

قال ابن النجار: وكان شهابُ الدينِ شيخَ وقتِه في علم الحقيقة وانتهت إليه الرياسة في تربية المريدين، ودعاء الخلق إلى الله والتسليك. صحب عمَّه وسلك طريقَ الرياضاتِ والمجاهدات، وقرأ الفقه والخلافَ والعربية، وسمع، ثمّ لازم الخلوة والذكر والصوم إلى أن خطر له عند علوِّ سنِّه أن يظهرَ للنّاس

(١) انظر السير: ٢٢/ ٣٧٣-٣٧٨.

ويتكلّم، فعقَدَ مجلسَ الوعظِ بمدرسة عمِّه فكان يتكلم بكلام مُفيد من غير تزويق، ويحضر عنده خلقٌ عظيم، وظهر له القبول من الخاص والعام واشتهر اسمه، وقُصِدَ من الأقطار، وظهرت بركاتُ أنفاسِه على خلق من العُصاة فتابوا، ووصل به خلقٌ إلى الله، وصار أصحابُه كالنجوم. ثم أنّه أضرّ وأقعد، ومع هذا فما أخلّ بالأوراد ودوام الذكر وحُضور الجُمَع في مَحَفّة، والمضي إلى الحجّ، إلى أن دخل في عَشْر المئة وضعف فانقطع.

قال: وكان تامَّ المروءة، كبيرَ النَّفسِ، ليس للمال عنده قدرٌ؛ لقد حصل له ألوفٌ كثيرةٌ، فلم يَدَّخرْ شيئاً، ومات ولم يخلِّف كفناً،وكان مليحَ الخَلْقِ والخُلُق، متواضعاً كاملَ الأوصافِ الجميلة.

صنف في التصوُّف كتاباً شرح فيه أحوالَ القوم، وحدّث به مراراً- يعني «عوارف المعارف».

وقال ابن نُقطة: كانَ شيخَ العراقِ في وقته، صاحبَ مجاهدةٍ وإيثارٍ وطريق حَمِيدة ومروءة تامة، وأوراد على كبر سنّه.

توفي الشيخ شهاب الدين رحمه الله ببغدادَ سنة اثنتين وثلاثين وست مئة.

٩٧٠ - ابن دِحـــية (١)

الشَّيخُ العَلاّمَةُ المُحدِّثُ الرَّحّال المتَفَنِّن مجدُالدين أبو الخطّاب عُمر بن حَسَن بن عليّ بن الجُمَيّل - واسم الجُمَيّل محمدبن فَرْح بن خلف بن قُومِس ابن مَلاّل بن أحمد بن دِحية بن خليفة الكَلْبيُّ الدَّانيُّ ثم السَّبْتِيُّ.

هكذا ساق نَسَبَهُ، وما أبعدَه من الصحة والاتصال! وكان يكتب لنفسه: ذو النسبتين بين دحية والحُسين.

(١) انظر السير: ٢٢/ ٣٨٩-٣٩٥.

قال أبو عبدالله الأبار: كان يذكر أنه من وَلَد دحية رضي الله عنه، وأنه سِبْط أبي البَسّام الحُسينيّ.

كان بصيراً بالحديث معتنياً بتقييده، مُكِبّاً على سَمَاعه، حَسنَ الخَطّ معروفاً بالضَّبْط، له حَظٌ وافرٌ من اللغة ومشاركة في العربية وغيرها وَلِيَ قضاء دانيةَ مَرّتين.

[١]ولابن عُنين فيه:

دِحْـيَةُ لَم يُعـقِـبْ فَلِمْ تَعْـتَـزِي إلَـيْهِ بالـبُـهْـتَـانِ والإفْـكِ
ما صَحَّ عِنْـدَ النَّـاسِ شَيءٌ سِوىَ أنَّـكَ مِنْ كَلْبٍ بلا شَـكِّ

قلت: كان هذا الرجلُ صاحبَ فُنُونٍ وتوسّع ويد في اللّغة، وفي الحديث على ضَعْفٍ فيه.

قال الضياء: لقيتُـهُ بأصبهان، ولم أسمع منه، ولم يعجبني حاله، كان كثير الوقيعة في الأئمة.

[٢]قال ابن نُقْـطَة: كان موصوفاً بالمعرفة والفضل ولم أره، إلا أنّه كان يدّعي أشياء لا حقيقة لها، ذكر لي أبوالقاسم بن عبدالسّلام، ثقة، قال: نزل عندنا ابن دحية فكـان يقول: أحفظ «صحيح مسلم» و «التِّرمذي» قال: فأخذت خمسة أحاديث من «الترمذي» وخمسة من «المُسْنَد» وخمسة من الموضوعات فجعلتها في جزء، ثم عرضتُ عليه حديثاً من التِّرمذيّ، فقال: ليس بصحيح، وآخر فقال: لا أعرفه، ولم يعرف منها شيئاً!

[٣]قلت: وذكـر أن سبب عزل ابن دحية أنه خَصَى مملوكاً له فغضب الملك وهرب ابن دِحية. ولفظ ابن مَسْدِي، وقال: كان له مملوك يُسمى ريحان فجبَّه واستأصل أنثييه وزُبَّه وأتىَ بزامرٍ فأمر بثقب شدقه فغَضَب عليه المنصور وجاءه النذير، فاختفى، ثم سار مُتَنكراً.

توفي سنة ثلاث وثلاثين وست مئة.

قال ابن النجار: كان القلب يأبى سماعَ كلامه. سكن مصر، وصادَفَ قبولاً من السُّلطان الكامـل، وأقبل عليه إقبالاً عظيماً، وسمعت أنّه كان يسوّي له المَدَاس حين يقوم. إلى أن قال: ونَسَبُهُ ليسَ بصحيح، وكانَ حافِظاً ماهراً تامَّ المعرفـةِ بالنّحو واللغة، ظاهريَّ المَذْهَب، كثيرَ الوقيعة في السَّلَف، أحمقَ، شديدَ الكِبْر، خبيثَ اللّسان، متهاوناً في دينه، وكان يَخْضِب بالسواد.

٩٧١ - نصـر بن عبدالـرزّاق (١)

[١]ابن شيخ الإسـلام عبدالقادر بن أبي صالح، الإمامُ العالِمُ الأوحَد قاضي القضاة عِمادُ الدين أبو صالح وَلَد الحافظ الزّاهد أبي بكر، الجيْليُّ ثم البَغْداديُّ الأزَجيُّ الحَنْبَليُّ.

ولد في سنة أربع وستين وخمس مئة.

جمعَ «الأربعين» لنفسه، ودَرَّسَ بمدرسة جدِّه، وبالمدرسة الشاطئة وتَكَلَّم في الوعظ وألَّف في التصوف.

قال ابن النجار: ووعظ فكان له قبولٌ تام، وأُذِنَ له في الدُّخول على الأمير أبي نصر محمد ابن الناصر في كل جُمعة لسماع المُسْنَد بإجازته من النَّاصر والده فأنس به، فلمّا استخلف لُقِّب بالظاهر فقلَّدَ القضاءَ أبا صالحٍ سنة اثنتين وعشرين، فسارَ السِّيرةَ الحَسَنة، وسلكَ الطريقةَ المُستقيمة، أقامَ ناموسَ الشَّرْع، ولم يُحـابِ أحداً، ولا مَكَّنَ من الصِّياح بين يديه. وكانَ يمضي إلى الجُمُعَة ماشياً، فلمّا استخلفَ المُستنصر أقرَّهُ أشهراً وعزَلَهُ، كان لطيفاً مُتواضعاً مَزّاحاً.

[٢] وكانَ مِقْداماً رجُلاً من الرِّجال سمعته يقول: كنتُ في دار الوزير القُمّي،

---

(١) انظر السير: ٢٢/ ٣٩٦-٣٩٩.

وهناك جماعة، إذْ دخل رجل ذو هيئة، فقاموا له وخدموه، فقمتُ وظننته بعضَ الفقهاء، فقيل: هذا ابن كرمٍ اليهوديُّ عاملُ دارِ الضَّرب، فقلت له: تعالَ إلى هنا، فجاء، ووقف فقلتُ: ويلَك توهّمتك فقيهاً فقمتُ إكراماً لكَ، ولستَ ـ ويلك ـ عندي بهذه الصِّفة، ثم كَرَّرتُ ذلك عليه، وهو قائم يقول: الله يحفظك! الله يُبْقِيك! ثم قلتُ له: اخسأ هناكَ بعيداً عَنّا، فذهبَ.

[١]قال: وحدثني أبوصالح أنه رُسِمَ له بزرق من الخليفة، وأنّه زار يومئذ قَبْرَ الإمامِ أحمدَ، فقيل لي: دُفِعَ رَسْمُكَ إلى ابن توما النَّصرانيِّ فامض إليه فخذه، فقلت: والله لا أمضي ولا أطلبه. فبقي ذلك الذَّهبُ عنده إلى أن قُتِلَ إلى لعنة الله في السَّنة الأُخرى، وأُخِذَ الذَّهبُ من داره، فنُفِّذ إليَّ.

تُوفِّي أبوصالح في سنة ثلاث وثلاثين وست مئة ودُفن عند أحمدَ بنِ حنبل.

٩٧٢ محمد بن يوسف بن هود[1]

[١] الأندلسيُّ السُّلطان أبو عبدالله.

[٢] قرأتُ بخط أبي الـوليد بن الحـاج، قال: لمـا قضى الله تعـالى بهـلاك المُوحِّدين بالأندلس، وذلك أنهم ابتلوا بالصَّلاح في الظاهر، والأعمالِ الفاسدةِ في الباطن، فأبغضهم الناسُ بُغضاً شديداً، وتَرَبّصوا بهم الدوائر، إلى أن نَجمَ ابنُ هُود في سنة خمس وعشرين وست مئة بشرق الأندلس فقامَ النّاسُ كُلُّهم بدعوته، وتَعَصَّبوا معه، وقاتلوا الموحِّدين في البلدان، وحَصَروُهم في القِلاع، وقَهَـرُوهم، وقتلوا فيهم، ونُصِرَ على المُوحِّدين، وخَلُصت الأندلسُ كلُّها له،

[٣] وفَرِحَ النَّاسُ به فَرَحاً عظيماً، فلما تَمَهَّد أمرُهُ أنشأ غزوةً للفِرَنْجِ على مدينة ماردة بغرب الأندلس، واستدعىٰ النّاسَ من الأقطار، فانتدب الخَلْقُ له بجِدٍّ واجتهاد وخُلُوص نيّةِ المُرتزقةِ والمُطّوعة، واجتمع عليه أهلُ الأندلسِ كلُّهم، ولم يبق إلاّ من حَبَسَه العُذرُ، فدخل بهم إلى الإفرنج، فلما تراءى الجمعان وقعت الهزيمة على المسلمين أقبحَ هزيمةٍ فإنا لله وإنّا إليه راجعون، وكانت تلك الأرض مَدْيَسَةً بمـاء وعَـزْق تَسَمَّرَت فيها الخيلُ إلى آباطها، وهلك الخَلْقُ، وأتبعهم الفِرَنْجُ بالقَتْل والأسر ولم يبق إلا القليل، ورجع ابن هود في أسوأ حال إلى إشبيلية، فنعوذ بالله من سوء المُنْقَلَب، فلم تبق بقعةٌ من الأندلس إلا وفيها البكاء والصياح العـظيم والحُزن الطويل، فكانت إحدى هَلكاتِ الأندلس، فمقتَ النّاسُ ابنَ هود، وصاروا يسمّونه «المَحْروم»، ولم يقدر أن يفعلَ مع الفِرَنْجِ كبيرَ فعلٍ.

[٤] ثم قام عليه شُعيبُ بنُ هلالـة بِلَبْـلَةَ، فصـالَـحَ

---

(١) انظر السير: ٢٣/ ٢٠-٢٢.

ابنُ هود الأدفونش على مُحاصرة لَبْلَةَ ومعاونته على أن يعطيَه قرطبة، واتفقا على ذلك، وقال له: لا يسوغ أن يدخلَها الفِرَنْجُ على البديهة، وإنما تُهمل أمرَها، وتخليهـا من حرس، ووجّه أنت الفِرَنْجَ يتعلقون بأسوارها بالليل ويغدون بها، ففعلوا كذلك. ووجّه ابن هُود إلى واليه بقُرْطُبة فأَعلمه بذلك، وأمره بضياعها من حَيّز الشرقيّة فجاء الفِرَنْجُ، فوجدوه خالياً، فجعلوا السلالم واستووا على السُّور فلا حول ولا قوة إلا بالله.

[١]وكانت قُرْطُبةُ مدينتين: إحداهما الشرقية والأخرى المدينة العُظْمَى، فقامت الصيحـةُ والنـاسُ في صلاة الفجـر، فركب الجُنـد وقـالـوا للوالي: اخرج بنا للمُلْتَقى، فقال: اصبروا حتى يضحي النهار، فلما أضْحَى ركب وخرج معهم، فلمـا أشـرف على الفِرَنْج قال: ارجعوا حتى ألبسَ سلاحي! فرجع بهم وهم يصدّقونه، وذا أمرٌ قد دُبِّر بليل، فدخل الفِرَنْجُ على أثرهم، وانتشروا، وهَرَبَ النَّاسُ إلى البلد، وقُتِل خَلْقٌ من الشيوخ والولدان والنسوان، ونُهِبَ للناس ما لا يُحصى، وانحصـرت المـدينـة العـظمى بالخَلْق فحـاصـرهم الفِرَنْجُ شُهوراً، وقاتلوهم أشدَّ القتال، وعدم أهلُها الأقوات، ومات خلق كثير جوعاً، ثم اتفق رأيهم مع أدفونش ـ لعنه الله ـ على أن يسلموها ويخرجوا بأمتعتهم كلها، ففعل، وَوَفّى لهم ووصّلهم إلى مأمنهم في سنة أربع وثلاثين وست مئة.

قلت: ولم يُمتّعْ بعدها ابنُ هود بل أَخَذَهُ الله في سنة خمس فكانت دولته تسعةَ أعوامٍ وتسعةَ أشهرٍ وتسعةَ أيامٍ، وهلك بالمريّة جُهّز عليه منَ غَمَّهُ وهو نائم، وحُمِلَ إلى مُرسيةَ فَدُفِن هُناك، ولم يمت حتى قَوِيَ أمر المُوَحِّدين وقامَ بعده محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر، ودام الملك في ذريته.

الطبقة الرابعة والثلاثون

٩٧٣ صاحب حِمْص[1]

[١] الملكُ المجاهدُ أسدُ الدينِ أبوالحارثِ شيركوه ابنُ صاحبِ حمص ناصرِ الدين بنِ الملكِ أسدِ الدينِ شيركوه بن شاذي.

وُلِدَ سنةَ تسعٍ وستّين بمصرَ.

وملّكه السلطانُ صلاحُ الدّين حمصَ بعدَ أبيهِ، فتملّكها ستاً وخمسينَ سنةً، سَمعَ بدمشقَ من الفضلِ ابنِ البانياسي، وأجازَ له ابنُ بَرّيّ، وحدَّثَ.

[٢] وكانَ بطلاً شجاعاً مهيباً، وكانت بلادُهُ نظيفةً من الخمورِ، ومَنَعَ النساءَ من الخروجِ من أبوابِ حِمْص جملةً، ودامَ ذلك خوفاً من أن ينزحَ بهنّ رجالُهّن لعسفِه، وكانَ يُديمُ الصلواتِ، ولا يُحبّ لهواً، وكانَ ذا رأيٍ ودهاءٍ، وشكلٍ مليحٍ وجلالة، كانت الملوكُ تُداريهِ ويخافونَه.

[٣] استوحشَ منه الكاملُ، وظنَّ أنَّهُ أوقَعَ بيَنَ الأشرفِ وبينَه، فصادَرَهُ وطَلَبَ منهُ أموالاً، فنفَّذَ نساءَهُ يشفَعْنَ فيه، فما أفَادَ، فهيّأ الأموال فبغَتَه موتُ الكاملِ، فجاءَ وجلسَ عند قبرِ الكاملِ وتصرَّفَ، وهو الذي جاءَ مع الصّالح إسماعيلَ وأعانَهُ على أخذِ دمشقَ. وكان المظفّرُ صاحبُ حماة قد شعرَ بسعيهما، فجهّزَ عسكرَهُ نَجْدةً لحمايةِ دمشقَ مع نائبهِ سيفِ الدينِ بن أبي عليٍّ في أهبةٍ وسلاحٍ مُظهرين أنَّ ابنَ أبي عليّ قد غضبَ من المظفر، وفارقَ حماة لكونِ صاحبها يُريدُ أنْ يسلّمَها إلى الفرنجِ، فما نَفَقَ هذا على شيركوه، فنزلوا بظاهرِ حمْص. ثم استدعى بقيةَ الكبارِ من جندهِ فدخلوا البلدَ فقبضَ على الجماعةِ، وعذّبهم، وأخَذَ أمولَهُم، وهَرَبَ باقي العسكرِ إلى حماة، وتَضَعْضَعَ لذلك المظفَّرُ، وماتَ

---

(١) انظر السير: ٢٣/ ٣٩-٤١.

نائِبُهُ ابنُ أبي عليٍّ في الحبسِ.

توفيّ بحمص سنةَ سبعٍ وثلاثينَ وستّ مئة.

وشيركوه، بالعربي: أسَدُ الجَبَل.

وتمّلك حمص بعدَهُ المنصورُ إبراهيمُ وَلَدُه سَبْعَ سنين.

٩٧٤ ابـنُ العـــربيِّ (١)

[١]العـلاّمَةُ صاحبُ التواليفِ الكثيرةِ محيي الدّين أبوبكرٍ محمدُ بنُ عليٍّ بنِ محمدٍ الطائيُّ الحاتميُّ المُرسِيُّ ابْنُ العربيِّ، نزيلُ دمشقَ.

[٢]سكنَ الـرومَ مُدّةً، وكـانَ ذكيّاً كثيرَ العلمِ، كَتَبَ الإنشـاءَ لبعضِ الأمـراءِ بالمغرب، ثم تزهّدَ وتفرَّدَ، وتَعَبَّدَ وتوحَّدَ، وسافَرَ وتجرَّدَ، وأتْهَم وأنْجَد، وعملَ الخَلَواتِ، وعلَّقَ شيئـاً كثيراً في تصوفِ أهلِ الوحدةِ. ومن أردأ تواليفهِ كتاب «الفُصُوصْ» فإنْ كانَ لا كُفْرَ فيه، فما في الدنيا كُفْرٌ، نَسْأَلُ الله العَفْوَ والنجاةَ فَواغَوْثَاهُ بالله!

[٣]وقَـدْ عَظَّمَـهُ جمـاعـةٌ وتكلَّفُوا لِمَا صَدَرَ منهُ ببعيدِ الاحتمالات، وقد حكى العلاّمةُ ابنُ دقيقِ العيدِ شيخُنَا أنّه سَمِعَ الشيخَ عزّالدينِ بنَ عبدِالسّلامِ يقولُ عن ابن العَرَبيّ: شيخُ سوءٍ كذابٌ، يقولُ بِقدَم العالِم ولا يُحَرِّمُ فَرْجاً.

قلْتُ: إنْ كانَ محيي الدينِ رَجَعَ عن مقالاتهِ تلكَ قَبْلَ المَوْتِ، فَقَدْ فَازَ، وما ذلكَ عَلَى الله بِعَزيزٍ.

تُوفُيِّ سنةَ ثمانٍ وثلاثينَ وستٍّ مئةٍ.

[٤] وقد أوْرَدْتُ عَنْهُ في «التاريخِ الكبيرِ» وَلَهُ شعْرٌ رائقٌ، وعلمٌ واسعٌ، وذهنٌ وقّادٌ، ولا ريبَ أنَّ كثيراً من عباراتهِ لَهُ تأويلٌ إلا كتابَ «الفُصُوصِ».

---

(١) انظر السير: ٢٣/ ٤٨-٤٩.

٩٧٥ الـرّفيـــع(١)

[١]العلاّمةُ الأُصوليُّ الفيلسوفُ رفيعُ الدّينِ قاضي القضاةِ أبو حامدٍ عبدُالعزيزِ بنُ عبدِالواحدِ بنِ إسماعيلَ الجيليُّ الشافعيُّ.

[٢]كانَ قد أمعنَ في علمِ الأوائلِ، وأظلمَ قلبُهُ وقالبُهُ، وقَدمَ دمشقَ وتصّدَّرَ، ثم وَلِيَ قضاءَ بعلبكَّ للصالحِ إسماعيلَ.

[٣]ولما غلَبَ إسماعيلُ على دمشقَ ولاّه قضاءَها، فكانَ مذمومَ السيرةِ خبيثَ السـريرة، وواطأهُ أمينُ الدولةِ على أذيّةِ النّاس، واستعملَ شهودَ زورٍ ووكلاءَ، فكانَ يُطلَبُ ذُو المالِ إلى مجلسهِ فيبث مدّعٍ عليهِ بألفِ دينارٍ ويحضرُ شهودُهُ، فيتحيّر الرجلُ ويُبهَتُ، فيقولُ الرفيعُ: صالحْ غريمَكَ، فيُصالح على النصفِ، فاستُبيحت أموالُ المسلمينَ، وعظُمَ الخطبُ، وتعثّر خلقٌ، وعَظُمَتِ الشّناعاتُ، واستغاثوا إلى الصالحِ، فطلَبَ وزيرَهُ، وقال: ما هذا؟ فخافَ، وكان أُسُّ البلاءِ المـوفّق الـواسـطيّ فتـحَ أبوابَ الظلمِ، فبادَر الوزيرُ وأهلكهما لئلاّ يقرّا عليهِ وليرضيَ الناسَ.

ويقالُ: كان الصّالحُ يدري أيضاً.

[٤]وقال سِبْطُ الجوزيّ: حدثني جماعة أعيان أنَّ الرفيعَ كان فاسدَ العقيدةِ دَهريّاً يجيءُ إلى الجمعةِ سكراناً، وأنَّ دارَهُ مثلُ الحانَة.

[٥]وحكى لي جماعةٌ أنَّ الوزيرَ السامِريَّ بعثَ به في الليل على بغلٍ بأكاف إلى قلعةِ بعلبكَّ ونفذَ به إلى مغارةٍ، فأهلكه بها.

وذلك في سنة اثنتين وأربعين وستِّ مئة.

---

(١) انظر السير: ٢٣/ ١٠٩-١١١.

٩٧٦ السَّـــخاويّ[1]

[١]الشيخُ الإمـامُ العلاّمةُ شيخُ القراءِ والأدباءِ علمُ الدِّينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمد بنِ عبدِالصمدِ بنِ عطّاسٍ الهَمْدَانيُّ، المصريُّ، السَّخاويُّ، الشافعيُّ، نزيلُ دمشقَ.

وُلِدَ سنةَ ثمانٍ وخمسينَ.

[٢]أقـرأَ النـاسَ دهراً، وما أسندَ القراءاتِ عن الغزنويِّ والكنديِّ، وكانا أعلى إسناداً من الآخرين، امتنعَ من ذلك لأنّه تلا عليهما بـ «المُبْهِج» ولم يكن بأَخَرَة يرى الإقراء به ولا بما زاد على السبع، فقيلَ: إنّه اجتنبَ ذلك لمنامٍ رآه.

وكـانَ إمـامـاً في العـربيةِ، بصيراً باللغـةِ، فقيهـاً، مُفتياً، عالماً بالقراءات وعِللها، مجوِّداً لها، بارعاً في التفسيرِ. صنَّفَ وأقرأ وأفاد، وروى الكثيرَ، وبَعُدَ صِيتُه، وتكاثَرَ عليهِ القرّاءُ.

[٣]وكان مع سعةِ علومِهِ وفضائله ديِّناً، حسنَ الأخلاق، محبّباً إلى الناس، وافر الحُرمةِ، مُطَّرحاً للتكلُّفِ، ليس له شغلٌ إلا العلمُ ونشره، شرح «الشاطبية» و «الرائية»، وله كتاب «جمال القرَّاء»، وله النّظمُ والنثرُ. وكانَ يترخّصُ في إقراءِ اثنين فأكثر كلّ واحدٍ في سورة، وفي هذا خلافُ السُّنَّةِ، لأننا أُمرنا بالإنصاتِ إلى قارىءٍ لنفهمَ ونعقلَ ونتدبَّرَ.

وقـد وفـد على السلطان صلاحِ الـدينِ عَكّـا في سنـةِ ستٍّ وثمـانينَ زمنَ المحاصرةِ فامتدحَهُ بقصيدة طويلةٍ، واتَّفقَ أنه امتدحَ أيضاً الرشيدَ الفارقيَّ، وبينَ الممدوحَيْنِ في الموتِ أزيدُ من مئةِ عامٍ.

قال الإمام أبو شامة: وفي سنة ثلاثٍ وأربعينَ وستّ مئةٍ توفيّ شيخُنا علمُ الدّين علامةُ زمانِه وشيخُ أوانِهِ بمنزلِه بالتُّربةِ الصّالحيَّةِ.

---

(١) انظر السير: ٢٣/ ١٢٢-١٢٤.

٩٧٧ ابْـنُ الـصَّـلاح[(١)]

[١]الإمامُ الحافظُ العلاّمةُ شيخُ الإسلامِ تقيُّ الدينِ أبو عمروٍ عثمانُ ابنُ المفتي صلاحِ الدينِ عبدِ الرحمانِ بنِ عثمانَ الكُرْدِيُّ الشَّهْرَزوريُّ الشافعيُّ، صاحبُ «علومِ الحديثِ».

مولدُه في سنةِ سبعٍ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ.

أشْغَلَ، وأفتى، وجمعَ وألّفَ، تخرّجَ به الأصحابُ، وكانَ من كِبارِ الأئمةِ.

قلتُ: كانَ ذا جلالةٍ عجيبةٍ، ووقارٍ وهيبةٍ، وفصاحةٍ، وعلمٍ نافعٍ، وكانَ متينَ الدّيانةِ سلفيَّ الجُمْلَةِ، صحيحَ النِّحْلَة، كافّاً عن الخوضِ في مَزلّاتِ الأقدام، مؤمناً باللهِ، وبما جاءَ عن اللهِ من أسمائِه ونُعوتِه، حَسَنَ البِزَّةِ، وافرَ الحرمةِ، مُعَظَّماً عندَ السّلطانِ.

وكـانَ قدومُـهُ دمشقَ في حدودِ سنـةِ ثلاثَ عشرةَ بعدَ أنْ فرغَ من خُراسانَ والعراقِ والجزيرةِ. وكانَ مع تبحّرِه في الفقهِ مُجَوِّداً لما ينقله، قويَّ المادّة من اللغةِ والعربيةِ، متفنِّناً في الحديث متصوِّناً، مُكِبّاً على العلمِ، عديمَ النّظيرِ في زمانِه، ولهُ مسألةٌ ليستْ من قواعِدِهِ شذَّ فيها وهي صلاةُ الرَّغائبِ قوّاها ونَصَرها مع أنَّ حديثَها باطلٌ بلا تردّدٍ، ولكنَّ له إصابات وفضائل.

[٢]ومن فتاويه أنّه سُئِل عمن يشتغلُ بالمنطقِ والفلسفةِ فأجاب: الفلسفةُ أُسُّ السّفهِ والانحلالِ، ومادةُ الحَيْرةِ والضَّلال، ومثارُ الزيغ والزَّنْدَقَة، ومن تفلسَفَ، عَمِيَتْ بصيرتُـه عن محاسن الشريعةِ المؤيّدةِ بالبراهين، ومن تلبَّس بها، قارَنَهُ الخِذلانُ والحِرمانُ، واستحوذ عليهِ الشيطانُ، وأظلم قلبُه عن نبوّةِ محمّدٍ صلّى الله عليه وسلم، إلى أن قالَ: واستعمـالُ الاصطلاحاتِ المنطقيَّةِ في مباحِث

---

(١) انظر السير: ٢٣/ ١٤٠-١٤٤.

الأحكامِ الشرعيةِ من المنكراتِ المُسْتَبشعةِ، والرقاعاتِ المُستحدثةِ. وليسَ بالأحكامِ الشرعيةِ ـ ولله الحمد ـ افتقارٌ إلى المنطقِ أصلاً، هو قعاقع قد أغنى الله عنها كُلَّ صحيحِ الذهنِ، فالواجبُ على السّلطان أعزَّه الله أن يدفَعَ عن المسلمينَ شرَّ هؤلاءِ المشائيم، ويُخرجَهُمْ من المدارسِ ويبعدَهم.

تُوفِّي الشيخُ تقيّ الدين ـ رحمه الله ـ في سنةِ الخُوارزمّيةِ سنةَ ثلاثٍ وأربعينَ وستِّ مئةٍ، وحُمل على الرؤوسِ، وازدحم الخلقُ على سريرهِ، وكان على جنازته هيبةٌ وخُشوع، فصُلِّيَ عليهِ بجامعِ دمشقَ، وشيَّعوه إلى داخلِ بابِ الفَرَجِ فصلَّوْا عليه بداخلِه ثاني مرةً، ورجعَ النّاس لمكانِ حصارِ دمشقَ بالخوارزمية وبعسكرِ الملكِ الصالحِ نجمِ الدينِ أيوب لعمِّه الملكِ الصالحِ عمادِ الدين إسماعيل، فخَرَجَ بنعشِه نحو العشرةِ مشمّرينَ، ودفنوه بمقابرِ الصوفيّةِ.

وقبره ظاهرٌ يزارُ في طرفِ المقبرةِ من غربيِّها على الطريقِ، وعاشَ ستّاً وستينَ سنةً.

٩٧٨ المستنصر بالله(١)

أمير المؤمنين أبو جعفر ابن الظاهر بأمر الله محمد ابن النّاصر لدين الله أحمد ابن المستضيء العباسيُّ البَغْداديُّ واقفُ المستنصريّةِ التي لا نظير لها.

مولده سنة ثمان وثمانين وخمس مئة.

وأمّه تركيّة، وكان أبيض أشقر، سميناً، رَبْعَةٌ مليحَ الصُّورةِ عاقِلاً حازماً سائساً، ذا رأيٍ ودهاء ونهوض بأعباء المُلْكِ وكان جدّه الناصر يحبه ويُسمِّيه القاضي لحبّه للحقّ وعقله.

(١) انظر السير: ٢٣/ ١٥٥-١٦٨.

[١]قال ابن النجار: فنشرَ العدلَ، وبثَّ المعروفَ، وقَرَّبَ العُلماء والصُّلحاء، وبنى المساجد والمدارس والرُّبط، ودُورَ الضيافةِ والمارستانات، وأجرى العَطيّات، وقمع المُتمرِّدة وحمل الناسَ على أقوم سَنن،وعَمَّرَ طُرْقَ الحاج وَعَمَّرَ بالحرمين دوراً للمرضى وبعث إليها الأدوية:

تَخْشَى الإِلهَ فَمَا تَنَامُ عِنَايَةً بالمُسْلِمِينَ وكُلُّهم بِكَ نائِمُ

إلى أن قال: ثم قامَ بأمر الجهادِ أحسن قيامٍ وجمعَ العساكر، وقمع الطغام، وبذلَ الأموال، وحفظ الثُّغور، وافتتح الحصون، وأطاعهُ المُلُوك.

قلتُ: كانت دولته جيِّدَةَ التمكن وفيه عدلٌ في الجُملة وَوَقْعٌ في النفوس.

[٢]استجدَّ عَسْكراً كثيراً لما عَلِمَ بظهور التتار بحيث إنّه يقال: بلغَ عِدّةُ عسكرِه مئةُ ألفٍ، وفيه بُعدٌ،فلعلَّ ذلك نمى في طاعتِهِ من ملوكِ مصر والشام والجزيرة،وكان يُخْطَبُ له بالأندلسِ والبلادِ البعيدةِ.

توفِّي سنةَ أربعين وست مئة.

وكانت دولتُهُ سبعَ عشرةَ سنة وعاش اثنتين وخمسين سنة.

[٣]وفي سنة خمس وعشرين: استولى الفِرَنْجُ على صَيْدا وقويت نفوسُهُم وجاءهم ملك الألمان الأنبرور وقد استولى على قبرس فكاتَبَهُ الكاملُ لِيعينَه على الناصر، وخافته ملوكُ السواحلِ والمسلمون فكاتب ملوكُ الفِرَنْجِ الكاملَ بأنهم يُمسكون الأنبرور فبعث وأوقفهم على عزمهم فعرفها الكامل[1] وأجابه إلى هواه وترددت المراسلات. وخضع الأنبرور وقال: أنا عَتِيقُك وإن أنا رجعت خائباً انكسرت حُرمتي، وهذه القدس أصلُ ديننا وهي خرابة ولا دخل لها، فتصدَّق عليّ بقصبة البَلَدِ وأنا أحْمِلُ محصولها إلى خزانتك، فَلانَ لذلك.

---

(١) العبارة ملبسة بسبب الاختصار المخل وسرعة الصياغة والأصل في (تاريخ الإسلام): (فكاتبوا الكامل: إذا حصل مصاف نمسك الأنبرور فسيّر إلى الأنبرور كتبهم، وأوقفه عليها فعرف الأنبرور ذلك للكامل وأجابه إلى كل ما يريد...).

[١] وفي سنة ٦٢٦ : سلّم الكاملُ القُدسَ إلى الفِرَنْجِ فواغوثاه بالله[١] وأتبع ذلك بحصار دمشقَ وأذية الرعية، وجرت بينهم وقعاتٌ منها وقعةٌ قُتِلَ فيها خلق من الفريقين، وأُحرقت الحواضرُ وزحفوا على دمشقَ مراراً، واشتدَّ الغلاء، ودام البلاء أشهراً ثم قَنِعَ الناصر بالكرك ونابلس والغور، وسلّم الكامل دمشق للأشرف وعُوِّضَ عنها بحرّان والرَّقَّة ورأس عين، ثم حاصروا الأمجد ببعلبك، ورموها بالمجانيق وأخِذَتْ، فتحول الأمجد إلى داره بدمشقَ.

وفي سنة ثلاثين: حاصر الكاملُ آمد فأخذها من الملك المسعود الأتابكي وكانَ فاسقاً يأخذ بناتِ الناسِ قَهْراً.

[٢] وفي سنة إحدى وثلاثين: أديرت[٢] المُستنصرية ببغداد ولا نظيرَ لها في الحُسْن والسّعة، وكَثْرةِ الأوقاف، بها مئتان وثمانية وأربعون فقيهاً وأربعةُ مدرسين، وشيخٌ للحديث، وشيخ للطب، وشيخ للنحو، وشيخ للفرائض، وإذا أقبلَ وقفُها غَلَّ أزيدَ من سبعين ألف مثقال، ولعلّ قيمةَ ما وُقِف عليها يُساوي ألف ألف دينار.

[٣] وفي سنة اثنتين وثلاثين استباحت الفِرَنْجُ قُرْطُبَةَ بالسَّيف وهي أمّ الأندلس ما زالت دار الإسلام منذ افتتحها المسلمون في دولة الوليد.

[٤] وفي سنة ست وثلاثين: أخذت الفِرَنْجُ بَلَنْسِيةَ وغيرها من جزيرة الأندلس.

[٥] وفي سنة ٦٣٨ سَلَّم الصالحُ إسماعيل قَلْعة الشَّقِيف إلى الفِرَنْج لينجدوه على المصريين فأنكر عليه ابنُ الحاجب وابنُ عبدالسلام فسجنهما مدة.

---

(١) قال في (تاريخ الإسلام) : (وكانت هذه من الوصمات التي دخلت على المسلمين).

(٢) يعني: افتتحت.

٩٧٩ المُسْتنصر[١]

الخليفةُ الإمامُ أبوالقاسمِ أحمدُ ابنُ الظاهرِ بأمر الله أبي نصر محمد ابن الناصر لدين الله أحمدَ بنِ المستضيءِ الهاشميُّ العبّاسيّ البغداديُّ أخو الخليفةِ المُستنصرِ بالله منصورٍ واقفِ المُستنصرية. بُويع بالخلافةِ أحمدُ بعدَ خلوِّ الوقتِ من خليفة عباسي ثلاث سنين ونصف سنة، وكان هذا معتقلاً ببغدادَ مع غيره من أولاد الخُلفاء فلما استولى هولاكو على بغدادَ نجا هذا وانضم إلى عَرَبِ العِراق، فلما سمع بسلطنة الملك الظاهر[٢] وَفَدَ عليه في رجب سنةِ تسع وخمسين في عشرة من آل مهارش فركب السلطان للقائه والقضاة والدولة، وشق قصبةَ القاهرة، أُثبت نسبُه على القُضاة وبُويع فركب يوم الجمعة من القلعة في السواد حتى أتى جامعَ القَلْعةِ فَصَعِدَ المِنبر وخطب ولَوَّح بشرف آلِ العبّاس ودعا للسلطان وللرعية وصلّى بالنّاس.

قلت: وهذا هو الخليفة الثامن والثلاثون من بني العباس، بويع بقلعة الجَبَل في سنة تسع[٣]. وكان أسمرَ آدم شُجاعاً، مَهيباً، عاليَ الهمّة. ورَتَّبَ له السُّلطان أتابكاً وأستاذ دار، وشرابياً وخَزْنداراً وحاجباً وكاتباً، وعيَّن له خزانة وعدة مماليك، ومئة فرس وعشر قطارات جمال وعشر قطارات بغال إلى أمثال ذلك.

قلت: ثم عزم المُستنصر على التوجه إلى بغدادَ بإشارة السُّلطانِ وإعانته.

وصل إلى الحديثة ففتحها أهلُها له، فلما اتصل الخبرُ بمُقَدَّمِ المغول بالعراق، ويشحنة بغداد ساروا في خمسة آلاف، وعسكروا بالأنبار ونهبوا أهلَها وقتلوا وسارَ الخليفة إلى هيت فحاصرها، ثم دخلها في آخر ذي الحِجة ونهب

(١) انظر السير: ٢٣/ ١٦٨-١٧١.

(٢) بيبرس البندقدراى.

(٣) يعني: وخمسين وست مئة.

ذمتها، ثم نزل الدُّور، وبعث طلائعَه فأتوا الأنبارَ في ثالث المحرم سنةَ ستين، فَعَبرت التتار في الليل في المراكب وفي المخائض، والتقى من الغد الجمعان، فانكسر أولاً الشحنة، ووقع معظمُ أصحابه في الفرات، ثم خرج كمين لهم، فهربت الأعراب والتركمان، فأحاط الكمينُ بعسكر الخليفة، فحمل الخليفة بهم، فأفرج لهم التتار، ونجا جماعة، وقُتِل عدّة، والظاهر أن الخليفة قُتِلَ.

وبعد سنتين بويع الحاكم بأمر الله أحمد.

٩٨٠ المُسْتَعْصِم بالله(١)

[١]الخليفة الشَّهيد أبو أحمد عبدُالله ابنُ المستنصرِ بالله منصورِ ابنِ الظاهرِ محمدِ ابنِ الناصرِ أحمدَ ابنِ المستضيءِ الهاشميُّ العَبّاسيُّ البَغْداديُّ.

وُلِدَ سنةَ تسعٍ وست مئة.

واستخلف سنة أربعين يوم موت أبيه. وكان فاضلاً، تاليًا لكتاب الله، مليح الكتابة.

وكان كريماً، حليماً، ديّناً، سليمَ الباطن، حَسَن الهيئة.

[٢]قال قُطب الدين اليُونيني: كان متديِّناً متمسِّكاً بالسُّنةِ كأبيه وجده، ولكنه لم يكن في حزم أبيه، وتيقُّظِه وعُلُوِّ هِمته، وإقدامه، وإنما قدَّموه على عَمِّه الخفاجيِّ لما يعملون من لينهِ وانقياده وضعف رأيه ليستبدوا بالأمور.

[٣]ثم إنه استوزر المؤيّدَ ابنَ العَلْقَمِيَّ الرافضيّ، فأهلك الحَرْثَ والنَّسْلَ، وحَسَّن له جمعَ الأموال، وأن يقتَصِر على بعض العساكر، فقطع أكثرَهم، وكان يلعبُ بالحمام، وفيه حرص وتوانٍ.

---

(١) انظر السير: ٢٣/ ١٧٤-١٨٤.

وفي سنة أربع وأربعين: عاثَت الخُوارزمية وَتَخَرّبت القرى، فالتقاهم عسكر حَلَب وحِمْص فكُسِروا شرّ كَسْرَة على بُحيرة حمص، وقُتِلَ مُقَدَّمهم بركة خان.

وفيها ختان أحمدَ وعبدِالرحمن ولدي الخليفة وأخيه عليّ، فمن الوليمة ألف وخمس مئة رأس شِواء.[(١)] وقدم رسولان من التتار أحدهما من بركة، والآخر من بايجو، فاجتمعوا بابن العَلْقَمي وتعمَّت الأخبار.

وفيهَا أخذت الفرنج شاطبة.

[١]وفي سنة سبعٍ: هَجَمت الفِرَنْجُ دِمياطَ في ربيعٍ الأولِ فهرب الناس من البابِ الآخر، وتملّكها الفِرَنْجُ صَفواً عَفْواً نعوذ بالله من الخِذلان، وكان السُّلطان بالمنصورة فغَضبَ على أهلها وشنق ستّين من أعيان أهلِها، وذاقوا ذُلّاً وجُوعاً، واستوحش العسكر من السُّلطان وقيلَ: هَمَّ مماليكُه بقتله، فقال نائبه فخر الدين ابن الشيخ: اصبروا فهو على شفا، فمات في نصفِ شعبانَ، وأخفِيَ موته إلى أن حضر ابنُه المُعَظّمُ تورانشاه من حصن كيفا، فلم يبق إلا قليلاً وقتلوه، وكانت وقعةُ المنصورة في ذي القعدة، فساقت الفِرَنْجُ إلى الدّهليز، فخرج نائب السلطنة فخر الدين ابن الشيخ وقاتل فَقُتِل، وانهزم المسلمون وعظم الخطب ثم تناخى العَسْكر وكرّوا على العدّو فطحنوهم، وقتلوا خَلْقاً ونزلَ النَّصر.

[٢]واستهلّت سنة ثمانٍ: والفرنج على المنصورة بإزاء المُسلمين، ولكنهم في ضَعْف وجُوع وماتت خيلهم، فعزم الفَرَنسيس[(٢)] على الركوب ليلاً إلى دِمياط، فعلم المسلمون وكانت الفِرَنْجُ قد عملوا جِسراً عظيماً على النيل، فذَهلوا عن قطعه، فدخل منه المسلمون فكبسوهم، فالتجأت الفِرَنْجُ إلى مُنُية أبي عبدالله، فأحاط بهم الجيش، وظفرَ أسطولُ المُسلمين بأسطولهم وغنموا مراكبَهم، وبقي الفَرنسيس في خمس مئة فارسٍ وخُذِلَ، فطلبَ الطواشي رشيد وسيف الدين

(١) هذا غير ما أخرج من الخبز والدجاج، والبيض، والسكر، والحلوى، وغيرها.

(٢) هو ملك فرنسا لويس التاسع لعنه الله.

القيمري، فأتوه فطلب أماناً فأمّناه على أن لا يمروا به بين الناس، وهرب جمهور الفِرَنْج، وتبعهم العسكر وبقوا جملةً وجملةً حتى أُبيدت خضراؤهم. وغنم المسلمون مالا يُعَبَّر عنه.

[١] فأُحصي الأسرى فكانوا نَيِّفاً وعشرين ألفاً، وغَرِقَ وقتل سبعةُ آلاف، وكان يوماً ما سمع المسلمون بمثله، وما قُتِلَ من المسلمين نحو المئة، واشترى الفرنسيسُ نفسه بردّ دِمياط وبخمس مئة ألف دينار.

[٢] وفي سنة أربعٍ وخمسين: كان ظهورُ الآية الكبرى وهي النار بظاهرِ المدينةِ النبويةِ ودامت أياماً تأكل الحجارة، واستغاث أهلُ المدينة إلى الله وتابوا، وبكَوْا، ورأى أهلُ مكّةَ ضوءَها من مكةَ وأضاءت لها أعناقُ الإبلِ بِبُصْرَى كما وعد بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما صحَّ عنهُ، وكُسِفَ فيها الشّمسُ والقمرُ وكان فيها الغَرَقُ العظيمُ ببغدادَ وهلك خلقٌ من أهلها، وتهدّمت البيوتُ، وطَفَحَ الماء على السُّور.

[٣] وفيها سار الطاغية هولاكو بن تولي بن جنكيزخان في مئة ألف، وافتتح حصن الألموت، وأبادَ الإسماعيلية، وبعثَ جيشاً عليهم باجونَوين، فأخذوا مدائنَ الروم، وذلّ لهم صاحبُها، وقتل خلق كثير. وفيها كان حريقُ مسجدِ النبيِّ صلّى الله عليه وسلم جميعِه في أوّل رمضان من مسرجة القَيِّم، فللّه الأمر كُلُّه.

وفي سنة خمس وخمسين: مات صاحبُ مصرَ الملكُ المعزّ أيبك التُّركماني، قتلتْه زوجتُه شجرة الدُّرِّ في الغيرةِ، فوُسِّطتْ.

[٤] وجرت فتنةٌ مهولةٌ ببغدادَ بين الناسِ وبين الرَّافضة، وقُتِلَ عدّة من الفريقين، وعَظُم البلاءُ ونُهب الكَرْخُ، فحنق ابن العَلْقَميِّ الوزيرُ الرافضيُّ، وكاتب هولاكو، وطَمَّعَه في العراق، فجاءت رُسُلُ هولاكو إلى بغداد، وفي الباطنِ معهم فرمانات لغير واحد، والخليفة لا يدري ما يتم، وأيامُه قد ولّت، وصاحب دمشقَ

شابٌّ غرٌّ جبانٌ، فبعث ولدَهُ الطّفلَ مع الحافظيّ بتقادم وتحفٍ إلى هولاكو فخضع له، ومصر في اضطراب بعد قتل المُعزّ، وصاحب الرُّوم قد هرب إلى بلادالأشكري، فتمرّد هولاكو وتجبَّر، واستولى على الممالك وعاث جُندُه الكَفَرةُ يقتلون ويأسرون ويحرقون.

ودخلت سنةُ ستٍّ: فسارَ عسكرُ الناصر، وعليهم المغيثُ ابنُ صاحب الكَرَك، ليأخذوا مصرَ فالتقاهم المظفر قُطز، وهو نائبُ للمنصور عليّ وَلَدِ المعزّ بالرَّمل فكسرهم، وأسرَ جماعة أُمراء فضربَ أعناقَهم.

[١]وأمّا هولاكو فقصد بغدادَ فخرج عسكرها إليه فانكسروا، وكاتبَ لؤلؤ صاحبُ المَوْصلِ وابنُ صلايا متولّي إربلَ الخليفةَ سراً ينصحانِه فما أفاد، وقُضيَ الأمرُ وأقبلَ هولاكو في المغولِ والتركِ والكُرجِ، فأشار الوزيرُ على الخليفةِ بالمدارةِ وقال: أخْرُجُ إليه أنا، فخرج واستوثق لنفسِه وردَّ فقال: القان راغبٌ في أن يزوِّج بنتَه بابنِك أبي بكرٍ ويُبقي لك منصبَك كما أبقى صاحبَ الرومِ في مملكته من تحت أوامر القانِ، فاخرُجْ إليه، فخرج في كُبراء دولته للنكاح يعني، فضربَ أعناقَ الكُلِّ بهذه الخديعةِ ورُفِسَ المستعصمُ حتى تلف، وبقي السيفُ في بغدادَ بضعةً وثلاثين يوماً، فأقلُّ ما قيل: قتل بها ثمان مئة ألف نفس، وأكثرُ ما قيل بلغوا ألفَ ألفٍ وثمان مئة ألف، وجرت السيولُ مِن الدماء فإنا لله وإنّا إليه راجعون.

ثم بعدَ ذهَاب البلدِ ومَنْ فيه إلا اليسير نودي بالأمان، وانعكس على الوزير مرامُهُ وذاقَ ذلاً وويلاً وما أمهلَه الله.

وعمل ابنُ العَلْقَميّ على تركِ الجُمُعاتِ وأن يبنيَ مدرسة على مذهبِ الرافضة، فما بلغ أملهُ وأقيمت الجُمعاتُ.

[٢]وكان قد مشى حالُ الخليفةِ بأن يكون للتتار نصفُ دَخْلِ العراقِ. فقال ابن

العَلْقَمِيّ: بل المَصْلحةُ قَتْلُه، وإلاّ فما يتم لكم مُلكُ العراق.(١)

قلتُ: وله ذريةٌ إلى اليوم بأذربيجانَ، وانقطعت الإمامةُ العبّاسيّة ثلاثَ سنينَ وأشهراً بموتِ المُستعصمِ، فكانتْ دولتُهم من سنةِ اثنتين وثلاثين ومئةٍ إلى سنةِ ستٍّ وخمسين وستِّ مئة فذلك خمس مئة وأربع وعشرون سنة، ولله الأمر.

٩٨١ الجـــــواد(٢)

[١]السّلطان الملكُ الجواد مظفَّر الدين يُونُس بن مَمْدود ابن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب الأيوبيّ. نشأ في خدمة عَمِّه الكامل، فوقع بينهما، فتألّم، وجاء إلى عَمِّه المُعَظَّم، فأكرمه، ثم عادَ إلى مصرَ، واصطلح هو والكامل ولما توفِّي الأشرفُ جاءَ الكامل ومعه هذا، ثم مات الكامل، فملّكوا الجوادَ دمشقَ.

[٢]وكان جواداً مبذّراً للخزائن، قليلَ الحَزْمِ، وفيه محبّةٌ للصالحين، والتفَّ حوله ظَلَمَةٌ ثم تَزَلْزَل أمرُه، فكاتبَ الملكَ الصالحَ أيوبَ ابنَ الكامل صاحبَ سِنْجار وغيرها، فبادرَ إليه وأعطاه دمشقَ وعوَّضه بسنجارَ وعانةَ فخابَ البيعُ، فذهبَ إلى الجزيرةِ، فلم يتمَّ له أمرٌ، وأُخِذت منه سِنْجارُ، وبقي في عانةَ حزيناً، فتركها ومضى إلى بغدادَ فباع عانةَ للمستنصر بمالٍ، ثم قَدِم على الملك الصالح أيّوب فما أقبل عليه، وهمّ باعْتقاله ففرَّ إلى الكَرَك، فقبض عليه النّاصر، ثمَّ هرب من مخاليبه، فقدم على صاحب دمشقَ يومئذٍ الصالحِ إسماعيلَ عمِّه، فما بشَّر به، وتراجَمَتْهُ الأحوال، فقصدَ الفِرَنْجِيَّ ملكَ بيروتَ،

(١) أعمى الحقد والتعصب هذا الخائن، وقتل الناس ودمرت بلاد الإسلام بسبب حقده وتعصبه واعتقاده الفاسد.

(٢) انظر السير: ٢٣/ ١٨٤-١٨٥.

فأكرموه وحضر معهم وقعةَ قلنسوةَ من عملِ نابلس قتلوا بها ألفَ مسلم نعوذ بالله من المكر والخزي، ثم تَحَيَّل عمُّه الصالح إسماعيل عليه وذهب إليه ابن يغمور فخدعه وجاء فقبض عليه الصالح فسجنه بَعزّتا، ثم إنّ الفِرَنْجَ ألحُّوا على الصالح، وكان مصافياً لهم، في إطلاق الجواد، وقالوا: لا بُد لنا منه، وكانت أمُّه إفرنجيةً فيما قيل، فأظهر لهم أنّه قد توفِّي. فقيل: خنقه في سنة إحدى وأربعين وستِّ مئةٍ، وحُمِلَ فدفن عند المعظم بسفح قاسيون، سامحه الله تعالى.

٩٨٢ المُعَظَّم(١)

السلطانُ الملكُ المعظَّم غياثُ الدينِ تورانشاه ابن السلطان الملك الصالح أيوب ابن الكامل ابن العادل.

ولد بمصرَ، وعملَ نيابةَ أبيه ثم تملَّكَ بحصن كيفا، وآمِد، وتلك البلاد، وكان أبوه لا يختارُ أن يجيءَ لمّا مَلَكَ مصرَ، كان لا يُعجبه هَوَجُهُ ولا طَيشُهُ. سار لإقدامه الأميرُ الفارسُ أقطاي، وسافر به يتحايد ملوك الأطراف في نحوٍ من خمسين فارساً على الفراتِ وعانةَ، ثم على أطراف السماوةِ، فدخَلَ دمشقَ، وزُيِّنت له ثم سارَ منها بعد شهر، فاتفقت كسرةُ الفِرَنْجِ عند وصوله. وتيمَّن الناس به، فبدا منه حركات مُنَفِّرة.

وكان السلطان يقول: توارنشاه ما يصلحُ للملك.

قال ابن حمويه سعد الدين: لما قَدِمَ، طال لسانُ كلِّ خاملٍ، ووجدوه خفيفَ العقلِ سيِّءَ التدبيرِ. وتطلَّع الأمراءُ إلى أن يُنفقَ فيهم كما فعل بدمشقَ، فما أعطاهم شيئاً، وكان متى سَكِرَ ضربَ الشموعَ بالسيفِ، ويقولُ: هكذا أفعلُ بمماليكِ أبي، ويتهدّد الأمراءَ بالقَتْل، فتنكروا له، وكان ذكيّاً قويَّ المشاركةِ

(١) انظر السير: ٢٣/ ١٩٣-١٩٦.

يبحثُ وينقلُ.

قال سبط الجوزي: كان يكونُ على السماط بدمشق، فإذا سمع فقيهاً ينقل مسألة صاحَ: لا نسلِّم. واحتجب عن أمور النّاسِ وانهمك في الفسادِ بالغلمانِ وما كان أبوه كذلك، ويقال: تعرَّض لسراري أبيه، وقدَّم أرذال، ووعد أقطاي بالإمرة فما أمَّرَهُ فغضب.

ولما كان في المحرم سنة ثمانٍ وأربعين وثبَ عليه بعضُ البحرية على السماطِ فضربه على يدِهِ، قَطَعَ أصابعه، فقام إلى البرج الخَشَب، وصاح: مَنَ فعل هذا؟ قالوا: إسماعيلي، قال: لا والله بل من البحريّة، والله لأفنينَّهم، وخاطَ المُزَيِّنُ يدَه فقالوا: بُتّوه وإلاّ رُحنا، فشدوا عليه فطلع إلى أعلى البُرجِ، فرموا البرجَ بالنفطِ وبالنشابِ فرمى المسكينُ بنفسِهِ وعَدَا إلى النيل وهو يصيح: ما أريد المُلك خلّوني أرجع إلى الحصن يا مسلمين أما فيكم من يصطنعني!؟ فلم يجبه أحد، وتَعَلَّقَ بذيل أقطاي فما أجارَه وعجز فنزل في الماء إلى حلقه فَقُتْلَ في الماء.

٩٨٣ المعـــزّ(١)

[١] السلطانُ الملكُ المُعزّ عزالدنيا والدِّين أيْبَك التُّركمانيُّ الصّالحيُّ الجاشنكير صاحبُ مصرَ. لما قتلوا المعظم خطبوا لأمِّ خليل أيّاما بالسلطنة، وكان المعز أكبرَ الصالحيَّة، وكان ديِّناً عاقلاً، تاركاً للشرب، ملّكوه وتزوج بأم خليل.

[٢] وكان في المعزِّ تُؤدَةٌ ومُداراة، بنى مدرسةً كبيرة، ثم إنه خطب ابنةَ بدرالدين صاحبِ المَـوْصـل، فغـارت أمُّ خليلٍ فقتلتـه في حمَّـام، وثب عليه سنجـر الجوجرى وخدَّام، فأمسكوا على بيضِهِ فَتَلَفَ، وقُطعت هي نصفين، وقيل: بل

(١) انظر السير: ٢٣/ ١٩٨-٢٠٠.

خُنِقَت ولم توسط، ورُميت مهتوكـة، وصُلِب الجُـوجرى والخدام.

[١]وملّكُوا ولده الملك المنصور علي بن أيبك وله خمس عشرة سنة.

عاش المعزُّ نَيِّفاً وخمسين سنة وقُتِلَ في سنة خمسٍ وخمسين وستِّ مئةٍ.

[٢]وكانت شَجرُ الدُّرِّ أمُّ خليلٍ أمَّ وَلَدٍ للصالح ذات حُسن وَظَرْفٍ ودهاء وَعَقْل، ونـالت من العـزّ والجـاهِ ما لم تنلْه امرأةٌ في عصرها، وكان مماليكُ الصالحِ يخضعون لها فملّكوها بعد قَتْلِ المُعَظَّم أزيد من شهرين، وكان المعزُّ لا يقطع أمـراً دونها ولها عليه صَوْلة، وكانت جرئية وقحة قتلت وزيرَها الأسعد. ودافع مماليكُ الصالح عن شجر الدُّرِّ، فلم تُقتل إلا بعد اثنين وعشرين يوماً، فقُتِلَت ورُميتْ مهتـوكـةً. وكـانت حسنـةَ السِّيرةِ، لكن هلكت بالغيرة. وكان الخطباءُ يقولون: (واحفظِ اللّهم الحُرْمَةَ الصالحةَ ملكةَ المسلمين عصمةَ الدنيا والدينِ أمَّ خليلٍ المستعصمة صاحبة السلطان الملك الصالح).

[٣]وأمّا المنصورُ عليٌّ فعُزِلَ وَتَمَلَّكَ قُطزُ الذي كَسَرَ التتار، فبعث بعليٍّ وبأخيه قليج إلى بلاد الأشكـري، فحـدثني سيف الـدين قليج هذا أنّ أخـاه تنصَّـر بقسطنطينيةَ وتزوّج وجاءته أولادُ نصارى، وعاش إلى نحو سنة سبع مئة، وسمّى نفسه ميخائيل.

[٤]قلتُ: نعوذ بالله من الشقاء، فهذا بعد سلطنةِ مصرَ كفر وتعثّر.

٩٨٤ المُـظـفّـــرُ(١)

[٥]السُّلطان الشهيد الملك المظفر سيف الدين قُطُزُ بنُ عبدِالله المُعِزّي.

[٦]كان أنبلَ مماليكِ المُعزِّ، ثم صارَ نائبَ السلطنةِ لولدِه المنصور. وكان فارساً شجاعاً، سائساً، ديِّناً، محُبّباً إلى الرَّعية. هزمَ التتار، وطَهَّر الشامَ منهم يومَ عينِ

(١) انظر السير: ٢٣/ ٢٠٠-٢٠١.

جالوتَ، وهو الذي كان قتل الفارسَ أقطاي فقُتل به، ويَسْلم له إن شاء الله جهادُه.

[١]ويذكر عنه أنه يومَ عينِ جالوتَ لما أن رأى انكشافاً في المسلمين رمى على رأسه الحوذَة وحملَ، ونزلَ النصرُ.

وكـان شابّاً أشقَرَ، وافرَ اللحيةِ، تامّ الشكل، وثَبَ عليه بعضُ الأُمراءِ وهو راجـع إلى مصـرَ فقُتـل سنـةَ ثمـانٍ وخمسين وستٍّ مئةٍ، ولم يكملْ سنةً في السلطنةِ، رَحِمَهُ الله.

٩٨٥ الكامـــــل

[٢]الملكُ الكاملُ الشهيدُ ناصرُ الدين محمدُ ابنُ الملكِ المظفرِ شهابِ الدينِ غازي ابنِ السلطانِ الملكِ العادلِ أبي بكر محمدِ بنِ أيوب.

[٣] تَمَلَّك ميّافـارقين وغيرَهـا بعد أبيه سنة خمس وأربعين، وكانَ شابّاً، عاقلاً شُجاعاً، مَهِيباً مُحْسِناً إلى رعيَّته، مُجاهداً، غازياً، ديِّناً تقيّاً، حميدَ الطريقة، حاصره عسكر هولاكو نحواً من عشرين شهراً حتى فَنِيَ الناسُ جوعاً ووباء، حتى لم يبق بالبلدِ سوى سبعينَ رجـلاً فيمـا قيل، فحـدثني الشيخُ محمـود بن عبدالكريم الفارقيّ قال:

سار الكاملُ إلى قلاعٍ بنواحي آمِد فأخذها، ثم نقل إليها أهلَه، وكان أبي في خدمته، فرحل بنا إلى قلعة منها، فعبرت التتار علينا، فاستنزلوا أهل الملك الكامل بالأمان من قلعة أخرى، وردُّوا بهم علينا، وأنا صبيٌّ مميِّز، وحاصروا ميَّافارقينَ أشهراً، فنزل عليهم الثلج، وهلك بعضهُم، وكان الكاملُ يَبْرُزُ إليهم ويُقاتلهم، ويُنْكي فيهم فهابوه، ثم بَنَوْا عليهم سوراً بإزاء البلد، بأبرجة، ونَفَدَتِ

---

(١) انـظر السـير: ٢٣/ ٢٠١-٢٠٢

الأقوات، حتى كان الرجل يموت فيُؤكل، ووقع فيهم الموت، وفتر عنهم التتار وصابروهم، فخرج إليهم غلام أو أكثر وجَلَوْا للتتار أمرَ البلد، فما صدقوا، ثم قربوا من السُّور وبقوا أياماً لا يجسرون على الهجوم، فدلى إليهم مملوك للكامل حبالاً فطلعوا إلى السور فبقوا أسبوعاً لا يجسُرون، وبقي بالبلد نحو التسعين بعد ألوفٍ من الناس، فدخلت التتار دارَ الكاملِ وأمنوه، وأتوا به هولاكو بالرُّها فإذا هو يشرب الخمر، فناول الكاملَ كأساً فأبى، وقال: هذا حرام، فقال لامرأته: ناوليه أنتِ، فناولته فأبى، وشتم وبصق - فيما قيل - في وجه هولاكو. وكان الكامل ممَّن سار قبل ذلك ورأى القان الكبير، وفي اصطلاحهم من رأى وجه القان لا يُقتل، فلما واجه هولاكو بهذا استشاط غضباً وقتله.

ثم قال: وكان الكاملُ شديدَ البأس، قويَّ النفس، لم ينقهرْ للتتار بحيث إنهم أخذوا أولادَه من حصنهم، وأتَوْهُ بهم إلى تحت سُور ميّافارقين، وكلموه أن يُسَلِّمَ البلد بالأمان فقال: ما لكم عندي إلا السيف.

قلت: طِيفَ برأسه بدمشق بالطبول، وعُلِّق على باب الفراديس، فلما انقلعوا، وجاء المظفر دُفِنَ الرأس. وكان في سنة ست وخمسين قدم دمشق مستنجداً بالناصر فبالغ في إكرامه واحترامه، ووعده بالإنجاد، ورجع إلى مَيّافارقين وقُتِل في سنة ثمان وخمسين رحمه الله.

٩٨٦ ابن عَديّ[١]

[١]الشيخُ الكبيرُ المدعو بتاج العارفين حسن بن عَدِي بن أبي البركات بن صخر ابن مُسافر شيخ الأكراد. كان هذا من رجال العالمِ دَهاءً وهِمَّةً وسُمواً، له فضيلةٌ

---

(١) انظر السير: ٢٣/ ٢٢٣-٢٢٤.

وأدبٌ وتواليفُ في التصوف الفاسد، وله أتباع لا ينحصرون وجلالةٌ عجيبةٌ. بلغ من تعظيمهم له أن واعظاً أتاه فتكلَّم بين يديه، فبكى تاج العارفين وغُشِيَ عليه، فوثب كردي، وذبح الواعظ، فأفاق الشيخ فرأى الواعظَ يختبطُ في دمه، فقال: أيش هذا؟ فقالوا: أي شيء هذا من الكلاب حتى يُبْكِيَ سيدي الشيخ.

وزادَ تمكّنُ الشيخِ حتى خافَ منه بدرُ الدينِ صاحبُ المَوْصلِ، فتحيَّل عليه حتى اصطاده، وخنقه بالمَوْصل، خوفاً من غائلته.

[١]وهناك جهلة يعتقدون أن الشيخ حَسَناً لابد أن يرجع إلى الدنيا، وكان يلوِّح في نظمه بالإلحاد، ويزعم أنه رأى ربَّ العزَّةِ عياناً، واعتقادُه ضلالة.

قُتِلَ سنةَ أربعٍ وأربعينَ وستِّ مئةٍ، وله ثلاثُ وخمسون سنة.

٩٨٧ الحَـــريـــريّ (١)

[٢]كبيرُ الفقراءِ البَطَلَةِ، الشيخُ عليّ بن أبي الحسن بن منصور ابن الحريريّ الحورانيّ.

مولـده بِبُسْـر، وبهـا ماتَ في سنـةِ خمسٍ وأربعينَ وستِّ مئةٍ، وقد قارب التسعين.

[٣]قرأت بخطِّ السيفِ الحـافظِ: كان الحـريريُّ من أفتن شيءٍ وأضـرِّه على الإسـلام، تظهـرُ منـه الـزنـدقةُ والاستهزاءُ بالشرعِ، بلغني من الثِّقاتِ أشياءُ يُسْتَعْظَمُ ذكرُها من الزَّندقِةِ والجرأةِ على الله، وكان مستخفّاً بأمرِ الصلواتِ.

[٤]وحـدثني أبـو إسحـاق الصَّـريفيني، قال: قلت للحـريريّ: ما الحُجّةُ في الـرقصِ؟ قال: ﴿إذا زُلْزِلَتِ الأرْضُ زِلْزَالَها﴾. وكان يُطعمُ ويُنفق ويتبعه كلُّ مُريبٍ. شَهِدَ عليه خلقٌ كثيرٌ بما يُوجب القتلَ، ولم يُقْدمِ السلطانُ على قتله،

---

(١) انظر السير: ٢٣/ ٢٢٤-٢٢٧.

بل سجنهَ مرّتين.

[١] وعندي مجموعٌ من كلامِ الشيخِ الحريريّ فيه: إذا دخل مريدي بلادَ الرومِ، وتنصَّر، وأكلَ الخنزيرَ وشَرِبَ الخمرَ كان في شغلي!.

[٢] وقال لأصحابه: بايعوني على أن نموت يهودَ، ونحشر إلى النار حتّى لا يصحبني أحدٌ لعلّةٍ.

[٣] ومن ذلك قوله: أمرد يُقدِّم مداسي أخْيَرُ مِن رضوانكم، وربع قَحْبَةٍ عندي أحسنُ من الولدان.

وقال علي بن أنجب في تاريخِه:

[٤] الفقيرُ الحريريُّ شيخٌ عجيبٌ، كان يعاشرُ الأحداثَ، كان يُقال عنهُ: إنه مُباحيٌّ ولم تكن له مراقبةٌ، كان يُخرّب، والفقهاءُ ينكرون فعلَهُ، وكان له قبولٌ عظيمٌ.

[٥] وممن انتصر له وخضع لكشفه الإمام أبو شامة[1]، فقال: كانَ عنده من القيام بواجب الشريعةِ ما لم يعرفْه أحد من المتشرعين ظاهراً وباطناً، وأكثرُ الناس يغلطون فيه، كان مُكاشِفاً لما في الصُّدور بحيث قد أطلعه الله على سرائر أوليائه.

[٦] قلت: ما هذا؟ اتّقِ الله، فالكهنةُ وابنُ صائدٍ مكاشفُون لما في الضمائر.

قال عن نفسه:

فقيرٌ ولكِنْ من صلاحٍ ومن تقىً وشيخٌ ولكن للفُسوقِ إمامُ

(١) لم نجد هذا الكلام في ذيل الروضتين لأبي شامة حين ترجم له في وفاته سنة ٦٤٥ بل نجد خلاف ذلك ذما له، وقد نسب ابن تغري بردي إلى أبي شامة أيضا أنه أثنى على الحريري.

٩٨٨ ابـنُ البَيْطـــار[1]

العلامةُ ضياءُ الدين عبدالله بنُ أحمدَ المالقيُّ النَّبَاتيُّ الطبيبُ، ابنُ البيطارِ، مصنّفُ كتابِ «الأدويةِ المفردةِ» وما صُنِّفَ في معناه مثلُه.

انتهتْ إليه معـرفـةُ الحشائشِ ، وسافرَ إلى أقاصي بلادِ الرُّوم، وحرَّرَ شأنَ النَّباتِ، وكانَ أحدَ الأذكياءِ، وخَدَمَ الملكَ الكاملَ، وابنَهُ الملكَ الصالحَ.

توفي بدمشقَ سنةَ ستٍّ وأربعين وستِّ مئةٍ.

(١) انظر السير: ٢٣/ ٢٥٦-٢٥٧.

الطبقة الخامسة والثلاثون

٩٨٩ ابن تيميّة[(١)]

[١]الشيخ الإمام العلّامةُ فقيهُ العصرِ شيخُ الحنابلةِ مجدُ الدينِ أبو البركات عبدُالسلام بن عبدِالله بن الخَضِرِ الحرّانيُّ، ابنُ تيميةَ.

وُلِدَ سنةَ تسعينَ وخمسِ مئةٍ تقريباً.

تفقّه، وبرعَ، واشتغلَ، وصنّفَ التصانيفَ، وانتهت إليه الإمامةُ في الفقهِ، وكان يدري القراءاتِ، وصنّف فيها أرجوزةً.

[٢]سَمِعْتُ الشيخَ تقيَّ الدين أبا العباس يقول: كان الشيخُ جمالُ الدين ابن مالك يقولُ: أُلِيْنَ للشيخِ المجدِ الفقهُ كما أُلِينَ لداودَ الحديدُ. ثم قالَ الشّيخ: وكانت في جدّنا حدّة، قال: وحكى البرهان المراغيّ أنّه اجتمع بالشيخِ المجدِ، فأورد على الشيخِ نكتةً فقال: الجوابُ عنها من ستين وجهاً: الأوّل كذا، والثاني كذا، وسردها إلى آخرها، وقال: قد رضِينا منكَ بإعادة الأجوبة، فخضع البرهان له وانبهر.

[٣]قال الشيخُ تقيّ الدين: كان جدُّنا عَجَباً في سردِ المتونِ وحفظِ مذاهبِ الناسِ وإيرادِها بلا كُلْفةٍ.

[٤]حدّثني الإمام عبدُالله بن تيمية أنّ جدَّه رُبّي يتيماً، ثم سافر مع ابن عمِّه إلى العراق ليخدمه، وله ثلاثَ عشرةَ سنةً فكان يبيتُ ويَسْمَعُهُ يكرر على مسائِلِ الخلافِ فيحفظُ المسألة، فقال الفخْرُ إسماعيلُ يوماً: أيشٍ حفظ النُّنين[(٢)] فبدر المجد وقال: حفظتُ يا سيّدي الدَّرْسَ وَسَرَدَهُ فبُهِتَ الفخْرُ، وقالَ: هذا يجيء منه شيءٌ.

---

(١) انظر السير: ٢٣/ ٢٩١-٢٩٣

(٢) يعني: الصبي الصغير.

وقـد أقامَ ببغداد ستةَ أعوامٍ مُكبّاً على الاشتغالِ، وَرَجَعَ، ثم ارتَحَلَ إلى بغدادَ قبلَ العشرين وستِّ مئةٍ، فتزيَّدَ من العِلْمِ، وصنَّفَ التصانيفَ، مع الدينِ والتقوى، وحسن الاتّباع، وجلالةِ العلم.

تُوفيّ بحرّان سنةَ اثنتين وخمسينَ وستِّ مئـةٍ.

٩٩٠ القُـمّينـي(١)

[١]الشيخُ يوسفُ القمّينيُّ المُولّهُ بدمشقَ، كانَ للناسِ في هذا اعتقادٌ زائدٌ لما يسمعـونَ من مكـاشفتِـه التي تجـرى على لسـانـهِ كما يتم للكاهنِ في نطقِه بالمغيّبات. كان يأوى إلى القَمامين والمزابِل التي هي مأوى الشياطين، ويمشي حافياً، ويكنس الزبل بثيابه النجسة ببوله، ويترنّح في مشيِهِ، وله أكمام طوال، ورأسُه مكشوفٌ، والصبيانُ يعبثونَ به، وكان طويلَ السكوتِ قليلَ التبسّمِ، يأوى إلى قُمّين حمامِ نورالدين، وقد صارَ باطنُهُ مأوى لقرينهِ، ويجري فيه مجرى الدّمِ، ويتكلّم فيخضعُ له كلُّ تالفٍ، ويعتقدُ أنه وليٌّ لله، فلا قوةَ إلاّ بالله.

[٢]وقد رأيتُ غيرَ واحدٍ من هذا النمط الذين زالَ عقلهُم أو نَقَص يتقلّبون في النجـاساتِ، ولا يصلّون، ولا يصومون، وبالفحش ينطقونَ، ولهم كشفٌ كما والله للرهبانِ كشفٌ،وكما للساحرِ كشفٌ وكما لمن يُصرع كشفٌ، وكما لمن يأكلُ الحيّةَ ويدخل النارَ حالٌ مع ارتكابهِ للفواحشِ، فوالله ما ارتبطوا على مسليمةَ والأسودِ إلاّ لإتيانِهم بالمغيبات.

تُوفي يوسفُ سنةَ سبعٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ.

---

(١) انظر السير: ٢٣/ ٣٠٢-٣٠٣.

٩٩١ المُرْسِــي[1]

[١]الإمامُ العلّامةُ البارعُ القدوةُ المُفَسِّرُ المحدِّثُ النحويُّ ذو الفنون شرفُ الدينِ أبو عبدِالله محمدُ بنُ عبدِالله بنِ محمدِ السُّلميُّ المُرسيُّ الأندلسيُّ.

وُلد بمُرْسِيةَ في أولِ سنة سبعينَ أو قبلُ بأيامٍ.

كتبَ، وقرأ وجمعَ من الكتبِ النفيسةِ كثيراً، ومهما فتح عليهِ صَرَفَهُ في ثمنِ الكتبِ، وكان متضلّعاً من العلمِ، جيّدَ الفهمِ، متينَ الديانةِ.

قال ابنُ النجارِ: هو زاهدٌ متورّعٌ كثيرُ العبادةِ، فقيرٌ مجرّدٌ، متعفّفٌ نَزِهٌ، قليلُ المخالطةِ، حافظٌ لأوقاتهِ، طيّبُ الأخلاقِ، كريمٌ متودّدٌ، ما رأيتُ في فنّهِ مثلَهُ، [٢] أنشدني لنفسه:

مَنْ كانَ يرغَبُ في النجاةِ فما لَهُ ... غيرُ اتِّبَاعِ المُصطفىٰ فيما أتَى

ذاكَ السبّيلُ المستقيمُ وغيرُهُ ... سُبُلُ الضّلالةِ والغِوَايَةِ والرَّدَى

فاتْبَعْ كِتابَ الله والسُّنَنَ التي ... صَحَّتْ فذاكَ إن اتَّبَعْتَ هُوَ الهُدَى

ودَعِ السُّؤالَ بلِمْ وكَيْفَ فإنَّهُ ... بابٌ يجرُّ ذوي البصيرةِ للعَمَى

الدِّينُ ما قالَ الرَّسُولُ وصحبُهُ ... والتابِعونَ ومَنْ مناهِجَهُمْ قَفَا

وقال أبو شامة: كان متفنّناً محققاً، كثير الحجّ، مقتصداً في أمورِهِ، كثيرَ الكتبِ محصّلاً لها، وكان قد أُعطي قبولاً في البلاد.

وقال ياقوت: هو أحد أدباءِ عصرنا، تَكَلَّم على (المُفَصّل) للزمخشريّ، وأخذ عليه سبعينَ موضعاً.

قال:

(١) انظر السير: ٢٣/ ٣١٢-٣١٨.

[١] أبثُّك ما في القَلْبِ مِن لَوْعَةِ الحُبِّ ... وما قد جَنَتْ تلك اللّحاظُ على لُبِّي
أعارَتْني السُّقَمَ التي بِجُفونها ... ولكنْ غَدا سُقمي على سُقمها يُربي

قلت: وله أبياتٌ رقيقةٌ هكذا، وكان بحرَ معارفَ رَحِمَهُ الله.

[٢] قرأتُ بخطّ الكِنْديِّ في تذكرتِهِ أنّ كُتُبَ المرسيِّ كانت مودعةً بدمشقَ، فَرَسَمَ السلطانُ ببيعِها، فكانوا في كلّ ثلاثاءَ يحملون منها جملَةً إلى دارِ السعادةِ، ويحضرُ العلماءُ، وبيعت في نحو من سنةٍ، وكان فيها نفائسُ، وأحرزتْ ثمناً عظيماً، وصنّف تفسيراً كبيراً لم يتمّه.

توفّي المُرسيُّ سنةَ خمسٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ بالعَريشِ وهو متوجّه إلى دمشقَ.

٩٩٢ ابن الأبّار[١]

[٣] الإمامُ العلامةُ البليغُ الحافظُ المجوّدُ المقرِئُ مجدُ العلماءِ أبو عبدِالله محمدُ ابنُ عبدِالله بن أبي بكر القُضاعيُّ الأندلسيُّ البَلَنْسيُّ الكاتبُ المنشِئُ، ويقال له: الأبّار وابن الأبّار.

ولد سنةَ خمسٍ مئةٍ.

وذكرَهُ أبو جعفر بنُ الزبير وقال: هو محدِّثٌ بارعٌ، حافلٌ، ضابطٌ، متقنٌ، وكاتب بليغٌ وأديبٌ حافلٌ حافظٌ.

قلت: كان بصيراً بالرجال المُتأخرين، مؤرِّخاً، حلوَ التَّترجم، فصيحَ العبارة، وافرَ الحشمَةِ، ظاهرَ التجمل، من بُلغاءِ الكَتَبةِ، وله تصانيف جمّة منها «تكملة الصّلة» في ثلاثة أسفار اخترت منها نفائسَ.

(١) انظر السير: ٢٣/ ٣٣٦-٣٣٩.

[١]انتقل من الأندلسِ عند استيلاءِ النَّصارى، فنزل تُونسَ مدة، فبلغني أن بعضَ أعدائه شغبَ عليه عند مَلكِ تونسَ، بأنّه عمل تاريخاً وتكلّم في جماعة، وقالوا: هو فضوليٌّ يتكلم في الكبار، فأُخذ، فلما أحسّ بالتَّلَف قال لغُلامه: خذ البَغْلَة لك، وامض حيث شئت، فلما أُدخِلَ، أمَرَ الملكُ بقتلِه، فنعوذُ بالله من شَرِّ كل ذي شرٍّ.

[٢]ومن تواليفه «الأربعون» عن أربعين شيخاً من أربعين تصنيفاً لأربعينَ عالماً من أربعين طريقاً إلى أربعينَ تابعياً عن أربعين صحابياً لهم أربعون اسماً من أربعين قبيلة في أربعين باباً.

وقد رأيتُ لأبي عبدالله الأبّار جزءاً سماه «درر السِّمط في خبر السِّبط عليه السلام» يعني الحُسين بإنشاءٍ بديعٍ يدل على تشيّعٍ فيه ظاهرٍ، لأنّه يصف علياً رضي الله عنه بالوَصيّ، وينالُ من معاويةَ.

وكان مصرعُه عام ثمانيةٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ بتونسَ.

٩٩٣ الملك الرحيم(١)

[٣]السلطانُ بدرُ الدّين أبو الفضائلِ لؤلؤ الأرمنيُّ النّوريُّ الأتابكيُّ مملوكُ السلطانِ نورِ الدينِ أرسلان شاه ابنِ السلطانِ عزِّالدينِ مسعودِ بن مودودِ بنِ زنكي ابنِ آقسنقرصاحبُ المَوْصِل.

كانَ من أعزّ مماليكِ نورِ الدين عليهِ، وصيَّرَهُ أستاذَ دارِه وأمَّرَهُ، فلمّا توفِّي تملّك ابنُه القاهر، وفي سنةِ وفاةِ الملكِ العادلِ سلطنَ القاهرُ عزُّالدين مسعودٌ ولدَهُ وماتَ رحمه الله، فنهضَ لؤلُؤ بتدبيرِ المملكةِ، والصبيُّ وأخوه صورةٌ، ثم تسلطنَ هو في سنة ثلاثينَ وستّ مئةٍ.

---

(١) انظر السير: ٢٣/ ٣٥٦-٣٥٨.

وكانَ بطلاً شجاعاً حازماً مدبراً سائساً جباراً ظلوماً، ومع هذا فكان محبّباً إلى الرعية، فيه كرمٌ ورئاسةٌ، وكان من أحسنِ الرجالِ شَكْلاً، وكان يبذل للقُصّاد ويُداري ويتحرّز ويصانعُ التتارَ وملوكَ الإسلام، وكان عظيمَ الهيبةِ خليقاً للإمارة، قَتَل عدةَ أمراء وقطع وشَنَق وهَذَّبَ ممالك الجزيرة، وكان الناس يتغالَوْن ويُسمّونَه قضيبَ الذَّهبِ، وكان كثيرَ البحثِ عن أحوالِ رعيتِهِ. عاش قريباً من تسعينَ سنةً ووجهُهُ موردٌ وقامتُهُ حسنةٌ، يظنه من يراه كَهْلاً.

[١]وكان يحتفل لعيد الشعانين لبقايا فيه من شعار أهله، فيمدّ سِماطاً عظيماً إلى الغاية، ويُحضر المغاني، وفي غضونِ ذلك أواني الخمور، فيفرح وينثر الذهب من القلعة، ويتخاطفه الرجال، فَمُقِتَ لإحياء شعارِ النصارى، وقيلَ فيه:

يُعَـظِّمُ أعيادَ النَّصَـارَى محبّـةً ... ويزعـمُ أنّ الله عيسـى ابـنُ مريمِ

إذا نبَّـهـتـه نخوةٌ أريحـيَّـة ... إلى المجدِ قالت أرْمَنِيَّتُـهُ: نَمِ

[٢]وقيل: إنه سارَ إلى خدمَةِ هولاكو، وتلطَّفَ بهِ وقَدَّم تُحَفاً جليلةً، منها جوهرةٌ يتيمةٌ، وطلبَ أن يضعها في أذن هولاكو فاتكأ فَفَرَكَ أُذُنَهُ، وأدخل الحلقةَ في أُذُنِهِ ثم رَجَعَ إلى بلاده متوليّاً من قبلِه، وقررّ عليه مالاً يحمله، ثم مات بالمَوْصل سنةَ سبعٍ وخمسينَ وستٍّ مئةٍ.

فلما مات تملّك ولدُه الملكُ الصالحُ إسماعيلُ وتزوّج بابنةِ هولاكو فأغضبها وأغارها، ونازلت التتارُ المَوْصلَ، واستمرّ الحصارُ عشرةَ أشهرٍ، ثم أخِذت، وخرج إليهم الصّالحُ بالأمان فغدروا به، واستباحوا المَوْصِلَ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

فهـرس الأعـلام



فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة

الهمزة

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة

حــرف البــاء

حـرف التـاء

حـرف الثـاء

حـرف الجيـم

الاسم	الصفحة

حــرف الحـاء

الاسم	الصفحة

حرف الخاء

الاسم	الصفحة

حرف الدّال

حرف الراء

الاسم	الصفحة
٣ـ رِبعيّ بن حِراش	٣٩٨
٤ـ الرّبيع بن خُثَيْم	٣٨٠
٥ـ الرّبيع بن سليمان	٩٢٤
٦ـ ربيعة بن أبي عبدالرّحمن (ربيعة الرّأيّ)	٥٢٣
٧ـ رجاء بن حَيْوة	٤٤٥
٨ـ رضوان بن تُتُش	١٣٥٣
٩ـ رُفَيْع بن مِهران (أبو العالية)	٣٦٦
١٠ـ رقيّة بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها	١٤٢
١١ـ رملة بنت أبي سُفيان (أم حبيبة) رضي الله عنها	١٣٧
١٢ـ الرُّمَيْصاء بنت مِلْحان (أم سليم) رضي الله عنها	١٥١
١٣ـ رِياح بن عمرو القيسي	٦٢٩

حـرف الـزّاي

الاسم	الصفحة
١ـ زاذان	٣٨٦
٢ـ زَبّان بن العلاء (أبو عمرو بن العلاء)	٥٥٣
٣ـ زُبيد بن الحارث	٤٩٢
٤ـ زُبيدة بنت جعفر	٧٦٠
٥ـ الزبير بن بكّار	٨٩١
٦ـ الزّبير بن العوّام رضي الله عنه	١٤
٧ـ زرّ بن حُبَيْش	٣٥٨
٨ـ زُفَر بن الهُذَيْل	٦١٢
٩ـ زكريّا بن عديّ	٧٦٩
١٠ـ زَنْكِيّ بن آقْسُنقُر	١٤١١
١١ـ زُهير بن مُحمد بن قُمير	٨٩٥
١٢ـ زياد بن أبيه	٣٠٢

حرف السين

الاسم	الصفحة

حـرف الشـين

حـرف الصّـاد

حـرف الضّـاء

حـرف الـطّاء

الاسم	الصفحة
٥ـ طُغَان خان	١٢٢٠
٦ـ طُـغتـكِيـن	١٣٧٩
٧ـ طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه	١٢
٨ـ طَلْق بن حبيب	٤٥٥
٩ـ طُليحة بن خُويْلد	٥٦
١٠ـ طـويس المدنـيّ	٣٩٩
١١ـ طَيْفُور بن عيسى (أبويزيد البِسطاميّ)	٩٤٢

حـرف الظّـاء

١ـ ظالم بن عمرو (أبوالأسود الدّؤليّ)	٣٣٦

حـرف العيـن

١ـ عائذ الله بن عبدالله بن إدريس (أبو إدريس الخَوْلانيّ)	٣٨٣
٢ـ عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما	١١٩
٣ـ عائشة بنت طلحة	٣٩٩
٤ـ عاصم بن أبي النّجود	٤٨٦
٥ـ عامر بن شراحيل (الشَّعْبِيّ)	٣٨٨
٦ـ عامر بن قيس	٣٢٠
٧ـ عامر بن عبدا بن الجرّاح (أبوعبيدة) رضي الله عنه	٩
٨ـ عامر بن عبدالله بن الزّبير	٤٨٣
٩ـ عامر بن واثِلة (أبو الطّفيل) رضي الله عنه	٢٩٨
١٠ـ عبادة بن الصّامت رضي الله عنه	٩٧
١١ـ عبّاد بن بِشر بن وَقْش رضي الله عنه	٦١
١٢ـ عبّاد بن محمّد بن إسماعيل (المعتضد الإشبيليّ)	١٢٨٦
١٣ـ عبّاد بن يعقوب الرَّواجِنِيّ	٨٥٧

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة
٦٣ـ عبدالغني بن عبدالواحد المقدسيّ	١٥١٣
٦٤ـ عبدالقادر الجيلانيّ	١٤٤٥
٦٥ـ عبدالكريم بن الفضل (الطائع لله)	١٠٧٧
٦٦ـ عبدالكريم بن محمد السمعانيّ	١٤٤٩
٦٧ـ عبدالكريم بن هوازن القُشيريّ	١٢٨٣
٦٨ـ عبداللطيف بن يوسف (ابن اللّبّاد)	١٥٦١
٦٩ـ عبدالله بن أبي زيد القيْروانيّ	١١٩٩
٧٠ـ عبدالله بن أحمد بن أحمد (ابن الخشّاب)	١٤٥٠
٧١ـ عبدالله بن أحمد بن إسحاق (القائم بأمر الله)	(١٢٩٣+١٠٨١)
٧٢ـ عبدالله بن أحمد بن البَيْطار	١٦٠٠
٧٣ـ عبدالله بن أحمد بن حنبل	١٠٠١
٧٤ـ عبدالله بن أحمد بن عبدالله القفّال	١٢٢٧
٧٥ـ عبدالله بن أحمد بن محمد (ابن قدامة المقدسيّ)	١٥٤٨
٧٦ـ عبدالله بن إدريس	٦٨٤
٧٧ـ عبدالله بن البّطال	٤٨٨
٧٨ـ عبدالله بن ثُوَب (أبومسلم الخوْلانيّ)	٣١٨
٧٩ـ عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما	٢٩٥
٨٠ـ عبدالله بن حذافة رضي الله عنه	٩٨
٨١ـ عبدالله بن حنظلة رضي الله عنه	٢٧٣
٨٢ـ عبدالله بن داود الخُرَيبيّ	٧١٥
٨٣ـ عبدالله بن ذكوان (أبوالزِّناد)	٥٠٨
٨٤ـ عبدالله بن الزّبير بن عبدالمطّلب رضي الله عنه	٢٨٦
٨٥ـ عبدالله بن الزبير بن العوّام رضي الله عنهما	٢٨١
٨٦ـ عبدالله بن زيد بن عمرو (أبوقِلابة)	٤٢١
٨٧ـ عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح رضي الله عنه	٢١٤

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة
١٦٣ـ عثمان بن محمد بن أبي شيبة	٨٠٤
١٦٤ـ عثمان بن مظعون رضي الله عنه	٢٩
١٦٥ـ عثمان بن يوسف بن أيوب (العزيز الأيوبيّ)	١٤٩٤
١٦٦ـ عدي بن حاتم رضي الله عنه	٢٤٥
١٦٧ـ عدي بن مسافر الشامي	١٤٢٩
١٦٨ـ العرباض بن سارية رضي الله عنه	٢٩٢
١٦٩ـ عِروة بن الزبير	٤١٤
١٧٠ـ عزيزي بن عبدالملك بن منصور (ابن شيذله)	١٣٤٦
١٧١ـ عطاء بن أبي رباح	٤٧٠
١٧٢ـ عطاء بن أبي سعيد بن عطاء	١٤٠١
١٧٣ـ عطاء السَّلِيميّ	٥٢٢
١٧٤ـ عفّان بن مسلم	٧٦١
١٧٥ـ عقبة بن نافع	٣٠٨
١٧٦ـ عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه	٢٣٠
١٧٧ـ عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه	٥٩
١٧٨ـ عكرمة المفسِّر	٤٦٤
١٧٩ـ العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه	٤٦
١٨٠ـ العلاء بن زياد	٣٦٥
١٨١ـ علقمة بن قيس	٣٣٠
١٨٢ـ عليّ بن إبراهيم بن سلمة القطّان	١١٣٥
١٨٣ـ عليّ بن إبراهيم بن نجا (ابن نُجيّة)	١٥٠٩
١٨٤ـ عليّ بن أبي عليّ بن محمد (السّيف الآمِديّ)	١٥٦٩
١٨٥ـ عليّ بن أحمد بن سعيد (ابن حَزْم)	١٢٧٣
١٨٦ـ عليّ بن أحمد بن الصّبّاح	١٠٢٣
١٨٧ـ عليّ بن أحمد بن طلحة (المكتفي بالله)	٩٩٧

الاسم	الصفحة
٢٣٨ـ عمرو بن الأسود	٣٣٥
٢٣٩ـ عمرو بن بحر (الجاحظ)	٨٥٣
٢٤٠ـ عمرو بن الجَموح رضي الله عنه	٤٥
٢٤١ـ عمرو بن زُرارة	٨٤٢
٢٤٢ـ عمرو بن سلم النيسابوريّ (أبوحفص)	٩١٣
٢٤٣ـ عمرو بن العاص رضي الله عنه	٢٢٠
٢٤٤ـ عمرو بن عبدالله (أبو إسحاق السبيعيّ)	٥٠٣
٢٤٥ـ عمرو بن عثمان بن قنبر (سِيبَوَيْه)	٦٥٠
٢٤٦ـ عمرو بن الليث الصفّار	٩١٥
٢٤٧ـ عمرو بن ميمون	٣٥٥
٢٤٨ـ عمّار بن ياسر رضي الله عنه	٧١
٢٤٩ـ عُويمر بن زيد (أبو الدّرداء) رضي الله عنه	١٥٧
٢٥٠ـ عِياض بن موسى بن عِياض	١٤١٤
٢٥١ـ عيسى بن إسماعيل (الفائز الفاطميّ)	١١٠٣
٢٥٢ـ عيسى بن محمد بن أيّوب (المعظم)	١٥٤٠
٢٥٣ـ عيسى بن يونس السَّبيعيّ	٦٧٣

حـــرف الغيـــن

١ـ غازي بن مودود بن زَنكي	١٤٦٧
٢ـ غياث بن غوث التغْلبيّ (الأخطل)	٤٥٢

حـرف الفـاء

١ـ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها	١١٦
٢ـ فتح بن محمد المَوْصِليّ	٥٩٠
٣ـ فخر الملك بن عمّـار	١٣٥٢

الاسم	الصفحة

حـرف القـاف

حرف الكاف

حرف اللّام

حرف الميم

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة
١٠٩ـ محمد بن عمر بن يوسف (ابن الفخّار)	١٢٢٥
١١٠ـ محمد بن عمّار المهْري	١٣٢٠
١١١ـ محمد بن عوف بن سفيان	٩٢٨
١١٢ـ محمد بن عيسى بن سَوْرة (الترِّمذيّ)	٩٦٨
١١٣ـ محمد بن غازي بن محمد بن أيوب (الكامل)	١٥٩٦
١١٤ـ محمد بن فتوح بن عبدالله الحميدي	١٣٤٢
١١٥ـ محمد بن الفضل الإسفراييني (ابن المعتمد)	١٤٠٩
١١٦ـ محمد بن الفضل البلخي	١٠٥٧
١١٧ـ محمد بن فُضَيْل بن غزوان	٧٠٢
١١٨ـ محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباريّ	١١١٢
١١٩ـ محمد بن قايد الأوانيّ	١٤٨١
١٢٠ـ محمد بن كرّام السِّجِسْتاني	٨٥٣
١٢١ـ محمد بن كعب القُرظيّ	٤٦٨
١٢٢ـ محمد بن محمد بن أحمد الغزاليّ	١٣٥٥
١٢٣ـ محمد بن محمد بن طَرْخان (الفارابي)	١٣٣١
١٢٤ـ محمد بن محمد بن العبّاس (ابن أبي ذهل)	١١٨٢
١٢٥ـ محمد بن محمد بن النّعمان (الشيخ المفيد)	١٢٢٤
١٢٦ـ محمد بن محمد بن يوسف (أبوالنضر الطوسي)	١١٣٨
١٢٧ـ محمد بن محمود بن محمد الطوسيّ	١٥٠٨
١٢٨ـ محمد بن مَرْدنِيش (أبوعبدالله مَرْدَنيش)	١٤١٦
١٢٩ـ محمد بن مسلم بن عُبيدالله الزُّهريّ	٤٩٤
١٣٠ـ محمد بن مسلم بن عثمان (ابن وارة)	٩٣٥
١٣١ـ محمد بن المظفَّر بن بكران	١٣٣٧
١٣٢ـ محمد بن منصور بن محمد الكُندريّ	١٢٦٨
١٣٣ـ محمد بن منصور الطُّوسي	٨٨٢

الاسم	الصفحة
١٨٤ـ مَعَدّ بن عليّ (المستنصر بالله الفاطميّ)	١٠٩٧
١٨٥ـ معروف الكرخيّ	٧١٤
١٨٦ـ مَعْمَر بن راشد	٥٥٩
١٨٧ـ معن بن زائدة	٥٦٨
١٨٨ـ معن بن الجدّ رضي الله عنه	٥٨
١٨٩ـ مُعَيقِيب بن أبي فاطمة الدّوسيّ رضي الله عنه	١٨٢
١٩٠ـ المغيرة بن الحارث بن عبدالمطّلب (أبوسفيان) رضي الله عنه	٣٦
١٩١ـ المغيرة بن شعبة رضي الله عنه	٢١١
١٩٢ـ ملكشاه بن ألب آرسـلان	١٣٢٩
١٩٣ـ المنذر بن سعيد البَلُّوطِي	١١٦٠
١٩٤ـ المنذر بن محمد بن عبدالرحمن	٦٤٣
١٩٥ـ مَنكُوبري بن محمد بن خوارزمشاه	١٥٦٢
١٩٦ـ منصور بن أحمد بن مَعَدّ (الآمر بأحكام الله)	١١٠٠
١٩٧ـ منصور بن عمّار بن كثير	٦٨٩
١٩٨ـ منصور بن محمد بن عبدالجبّار (أبو المظفّر السمعاني)	١٣٤١
١٩٩ـ منصور بن المُعْتَمِر	٥٠٥
٢٠٠ـ منصور بن الفضل بن أحمد (الرّاشد بالله)	١٣٩٠
٢٠١ـ منصور بن نزار (الحاكم بأمر الله)	١٠٩٣
٢٠٢ـ المهلّب بن أبي صُفْرة	٤٠٣
٢٠٣ـ مُورّق العجليّ	٣٩٧
٢٠٤ـ موسى بن جعفر الكاظم	٥٣٨
٢٠٥ـ موسى بن عيسى (أبوعمران الفاسي)	١٢٣٩
٢٠٦ـ موسى شاه أرمن بن محمد بن أيّوب	١٥٤١
٢٠٧ـ موسى بن محمد بن عبدالله (الهادي)	٦٠١
٢٠٨ـ موسى بن نُصير	٤٢٧

الاسم	الصفحة
٢٠٩ـ مـؤنس الخـادم	١٠٦٧
٢١٠ـ ميسرة بن عبد ربّه التَّرّاس	٦٢٨
٢١١ـ ميمون بن مِهران	٤٦٩
٢١٢ـ ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها	١٤٠

حـرف النـون

١ـ نافع بن أبي رُوَيْم (القارىء)	٥٨٩
٢ـ نافع مولى ابن عمر	٤٧٢
٣ـ نزار بن المُعِزّ لدين الله الفاطميّ (العزيز بالله)	١٠٩١
٤ـ نسيبة بنت كعب (أم عمارة) رضي الله عنها	١٤٦
٥ـ نصر بن إبراهيم بن نصر	١٣٤٤
٦ـ نصر بن عبدالرزّاق الجيلانيّ	١٥٧٥
٧ـ نضـلة بن عُبيد (أبو بَرْزة الأسلميّ) رضي الله عنه	٢١٦
٨ـ النّعمان بن ثابت (أبوحنيفة)	٥٤٩
٩ـ النّعمان بن محمد بن منصور	١١٦٠
١٠ـ النّعمان بن مُقَرِّن رضي الله عنه	٧٠ + ١٦١
١١ـ نُعيم بن حمّاد الخُزاعيّ	٧٨٥
١٢ـ نغيسة بنت الحسن بن زيد	٧٤٤
١٣ـ نُفَيع بن الحارث (أبوبكرة) رضي الله عنه	٢٠٧
١٤ـ النّجـاشـيّ	٧٤

حـرف الهـاء

١ـ هارون بن رِئاب	٤٨٨
٢ـ هارون الرّشـيد	٧٠٨
٣ـ هارون بن محمد بن هارون (الواثق بالله)	٧٦٨

حـرف الـواو

حــرف الــياء

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة



فهــرس الكنــى

فهرسٌ لبعض الكنى المشهورة[1] التي قد يصعب معرفة أسماء أصحابها ولبعض الكنى التي لا أسماء لأصحابها

---

(١) راعيت عند الفهرسة حذف «أبو» و«ابن» وكذلك «لام» التعريف ثم ترتيب الكلمات ترتيباً هجائياً.

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة



فهرس لبعض الألقاب المشهورة
التي قد يصعب معرفة أسماء أصحابها



الاسم	الصفحة
٢٦ـ الرّاضي بالله	١٠٧٤
٢٧ـ الرِّضَىٰ	٧١٨
٢٨ـ سُحنون	٨٧٠
٢٩ـ السّفّاح	٥٢٠
٣٠ـ سيبويه	٦٥٠
٣١ـ سيف الدّولة	١١٦٥
٣٢ـ الشِّبليّ	١١٢٣
٣٣ـ الشَّعْبِيّ	٣٨٨
٣٤ـ الصّاحب بن عبّاد	١١٩٤
٣٥ـ الصّالح	١٥٤٤
٣٦ـ صلاح الدين الأيّوبي	١٤٨٩
٣٧ـ الصُّليحيّ	١٢٩٨
٣٨ـ الطّائع لله	١٠٧٧
٣٩ـ الظّافر بالله	١١٠٢
٤٠ـ الظّاهر بأمر الله العبّاسيّ	١٥٥٨
٤١ـ الظّاهر الفاطميّ	١٠٧٩
٤٢ـ العادل	١٥٣٨
٤٣ـ العاضِد لدين الله	١١٠٤
٤٤ـ العزيز الأيّوبيّ	١٤٩٤
٤٥ـ العزيز بالله	١٠٩١
٤٦ـ عَضُد الدّولة	١١٧٥
٤٧ـ غُنْدر	٦٩٠
٤٨ـ الفائز بالله	١١٠٣
٤٩ـ الفخر الرّازيّ	١٥٢٥
٥٠ـ الفرّاء	٧٤٥

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة
٧٦ـ المستنصر المرواني	٦٤٥ + ١١٧٣
٧٧ـ المستنصر الفاطميّ	١٠٩٧
٧٨ـ المطيع لله	١٠٧٦
٧٩ـ المعتزّ بالله	٩١٦
٨٠ـ المعتصم	٧٦٦
٨١ـ المعتضد الإشبيلي	١٢٨٦
٨٢ـ المعتضد بالله	٩٩٠
٨٣ـ المعتمد بن عبّاد	١٣٣١
٨٤ـ المعتمد على الله	٩١٩
٨٥ـ معز الدّولة	١١٦٦
٨٦ـ المعز لدين الله	١٠٨٩
٨٧ـ المعظّم	١٥٤٠
٨٨ـ المقتدر	١٠٦٥
٨٩ـ المقتدي	١٢٩٥
٩٠ـ المقتفي لأمر الله	١٤٣٩
٩١ـ المكتفي بالله	٩٩٧
٩٢ـ المنتصر بالله	٨٦٧
٩٣ـ المُنتظر	٩٥٠
٩٤ـ المنصور الفاطمي	١٠٨٩
٩٥ـ المهتدي بالله	٩١٧
٩٦ـ المهدي (إبراهيم)	٧٨٠
٩٧ـ المهدي	٥٩٨
٩٨ـ المؤيّد بالله	١٢٠٦
٩٩ـ النّاصر لدين الله العبّاسيّ	١٥٥٢
١٠٠ـ النّاصر لدين الله المروانيّ	٦٤٤ + ١١٤٤

الاسم	الصفحة



فهرس الفوائد

فهـرس الفوائـد

وهو فهرس لجميع الفوائد الموجودة في هذا التَّهذيب ـ تقريباً ـ تساعد، إن شاء الله، من أراد الرجوع إلى هذا الكتاب مبتغياً فائدة ما، والله الموفّق.

طريقة الفهرس:

من الصعوبة ترتيب فهرس كهذا ترتيباً منطقيّاً متسلسلاً مترابطاً، وذلك نظراً لتشعبه وطوله، ولكني اهتديت ـ بفضل الله ـ إلى طريقة يمكن أن توصف بأنّها مترابطة، وهذه الطريقة تتلخص في الآتي:

١ـ جعلت بداية الفهرس الكلام عن الإيمان ولوازمه وأردفته بالإسلام يردفه الكـلام عن عقيدة التّـوحيد ثمَّ البـدع، ثمّ الكلام عن العقائد الفاسدة ثم الكلام عن الفرق بأنواعها.

٢ـ ثم بعد ذلك فهرس للعلم والعلماء ثم فهرس للعلوم.

٣ـ بعد ذلك فهرس الصالحين وصفاتهم وأخلاقهم، وأردفته بفهرس للأخلاق السيئة والصفات المرذولة.

٤ـ ثم أردفته بفهرس لأخبار النساء والزواج وتربية الأبناء.

٥ـ ثم فهرس لأحوال الدنيا، ثم العلاقة مع الله ثم المرض والموت ثمّ الرُّؤى.

٦ـ ثم فهرس للمتفرِّقات التي لم أستطع وضعها ضمن الفهارس السابقة.

فالفهرس جاء متّسِقاً مع حياة الإنسان المسلم الذي يبدأ رحلته في هذه الدنيا بمعرفة ربّه سبحانه وتعالى، ثمَّ ما يترتب على هذه المعرفة من عبادته والـدعوة إليه، ثم تعلُّم دينه والحذر ممّا يوهن هذا الدين، ثمَّ تعلم العلم

النافع الذي يحمي هذا الدين، ثم معرفة أحوال الصّالحين وصفاتهم ليتشبّه بها، ثم معرفة الصفات والأخلاق المنهيّ عنها ليجتنبَها، ثم مالا بدّ له منه وهو الزّواج وما يتبعه من هموم التربية للزوجة والأولاد، ويحتاج أن يعلم أحوالَ الدينا لئلّا ينزلق في مزالقها، ثم يعرف شيئاً عن رحلته الأخيرة إلى الله سبحانه وتعالى.

كيفيّة البحث في هذا الفهرس:

١ـ جعلت أرقاماً لغالبية الفقرات، وجعلت كلَّ صفحة وِحدةً واحدة من ناحية التّرقيم، أي أن الترقيم يبدأ من رقم ١ كلّ صفحة.

٢ـ عندما أقول في الفهرس ـ مثلاً ـ **١٣٥١/٥** أي أنِّي أريد الفقرة الخامسة من صفحة **١٣٥١**.

٣ـ ربّما أعيد ذكر بعض الفقرات في مواضع أُخر لإفادتها عِدّة معانٍ.

٤ـ ربّما أضع رقماً على فقرة تضمّ أكثر من معنى ولكن يفهم إن شاء الله المعنى المراد.

٥ـ في بعض التراجم قد لا أرقِّم الفقرات، إمَّا لكون التّرجمة جاءت في معنى واحد ولم تخرج عنه، أو لأن الفقرة قد لا تفيد معنىً معيّناً صالحاً للفهرسة، أو لغير ذلك من الأسباب.

٦ـ قد أرقِّم فقرةً وأريد معها الفقرة التي تليها ولا أرقِّمها لأنه يُفهم من الفقرة السابقة إرادة الفقرة التالية.

٧ـ لطول هذا الفهرس وتشعّبه وضعت في فهرس الفهارس ما يعين على إخراج المراد منه، فإن لم تستطع الكشف عن فائدة ما فارجع إلى فهرس الفهارس فإنه سيعينك، إن شاء الله.

وأخيراً أرجو من كلِّ مطلع عليه إن وجد نقصاً أو إخلالاً أو اضطراباً أن ينبهني إليه مشكوراً.



الإيمـــــــان

من الدلائل على قوة الإيمان

١- الدعـوة إلى الله (وستجد جوانب أخرى لها في فهرس الأمير والإمارة)

أ ـ التآلف:

٣/١٩٠ ٣/١٩٣ ٣/٢٢٩ ٧/٢٥٧

١/٤٤٥ ٢/٤٩٣ ٨/٤٩٧ ٦/٧٩٥

٢/٩٢٨

ب ـ معرفة أسباب فساد الناس: ٥/٧٥٤.

جـ ـ تعليم الصغار والتأثير فيهم: ٢/١٢٢٤.

د ـ تخصيص بعض النّاس بالعلم، وكون هذا العلم في البيوت: ٨/٤٤٩.

هـ ـ الاقتداء: ٢/٤٦٣

و ـ من وسائل الدعوة حال الحاجة إليها:

١ـ السرية: ٦/٥٩٤ ٣/٨٠٦.

٢ـ الاختفاء: ٢/٨٢٩، ٣

ز ـ الشِّعر: ٧/١٨٦، ٨ ٢/١٨٧، ٣، ٥ ١/١٨٨، ٢

٧ـ من صفات الداعية:

١ـ التّوازن: ٣/٤٨٢.

٢ـ تشجيع الغير: ٣/٤٧١.

٣ـ حب الوحدة وكراهية الفرقة: ٢/١٠. ٥/١١ ٤/١٩

٨ـ من آداب الدعوة:

أـ عدم إطالة المجلس: ٢/٤٩٥.

ب ـ ختمه بالدعاء: ٦/٤٩٤.

جـ ـ العزلة الشعورية: ١/٤١٥ ٩/٤٤٢ ٦/٦٥٦

د ـ مخالطة النّاس بقدر: ٣/٧٤١.

هـ ـ إقلال مخالطة الناس إلا لغرض صحيح: ٣/١٣٤٣

فقه الخلاف

٢- العبادة

٣ـ الأُخــــوّة

٤ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٥ـ الجهـــاد

من لوازم الإيمان

١ـ الابتــلاء

٢ـ الفتن

الإســــلام

٣ـ نواحٍ حضاريةٌ في الإسلام:

عقيـدة التّوحيـد

الـولاء والبـراء:

البـدعــة

التكفيـر

العقـائد الضـالة

فرق وآراء إعتقادية

١ـ الأشـاعرة

٢ـ الجهميّة: ١/٥٠٨ ٤،٢/٧٥٥

٣ـ الخـوارج :

أ ـ الخـوارج دوّخـوا الخلفـاء وحـاربوهـم، ومنعوهـم من الانصراف إلى الجهاد، وهذه أمثلة على زعمائهم:

١ـ شبيب بن يزيد: ٣٥٢ـ٣٥٤.

٢ـ قطريّ بن الفُجاءة: ٣٥٤.

٣ـ عمر بن حفصون: ١/٦٤٣

ب ـ كان من الخوارج علماءُ، فمنهم عمران بن حطّان: ٣٦٨ـ٣٧٠.

جـ ـ إهانة الخوارج للأمراء ولو كانوا صحابة: ٥/٢١٠

د ـ من خوارج المغرب: ٤،٣/١٠٨٥ ٢/١٠٨٦ ١/١٠٨٧ ٣،٢/١٠٨٨

هـ ـ قصّة وهب بن منبِّه ـ رحمه الله ـ مع خارجيّ وهدايته له: ٣/٤٤٣

٤ـ السّالميّة :

٤/١٢٥٤، هامش (٣) ٣/١٤٢٧

٥ـ الشيـعة والـرّوافـض

أ ـ التشيّع الخفيف:

٧/٥٠٥ ٣،٢،١/٦٣٢ ٥/٦٩٨

٣/١٠٢٥ ٢/١٠٢٦ ١/١٠٢٧

ب ـ التشيّع الغالي:

٢/٢٨ ٢/٣٤٦ ٢/٤٠٩

٢/٥٠١ ١/٥٩٢ ٤/٧٢٠

٢،١/٨٥٨ ٤،٣/١٢٤٦

جـ ـ آل البيت أهل سنّة وجماعة، وهم برئيون من عقائد الشيعة الغالية

٦ ـ الفلاسفة والمناطقة

٢ـ من فضحهم من علماء المسلمين: ٣/١٣٦٥

٣ـ تاريخهم وأمراؤهم: ١٣٥٠ ٢،١/١٣٦٥ عبدالنبيّ/١٤٥٨ ١٤٧٧ـ١٤٨٠

٤ـ محاولة قتلهم الأمراء والخلفاء والوزراء وكلٍّ من فيه خير للإسلام:

٣/١٠٩٩ ٥/١٣٣٨ ١/١٣٦٥ ٢،١/١٣٦٦
٦/١٣٦٧ ٢/١٣٦٨ ٣/١٣٦٩ ١/١٣٨٩
٣/١٣٩٠ ٤،٣/١٣٩١ ١/١٤٧٠ ٣/١٤٨١

٥ـ محاربة المسلمين لهم وقتلهم:

٢/١٢٣٢ ٢/١٣٥٣ ٥،٤/١٣٦٥ ١/١٣٦٦
٣/١٣٧٩ ١/١٣٨٠ ٢/١٣٩١

٦ـ من قرّبهم من أمراء المسلمين: ٢/١٣٥٣ ٣/١٣٧٩

٧ـ علاقتهم بالعبيديّين الفاطميّين: ٢/١٣٦٨ ٢،١/١٤٧٧

٨ـ علاقتهم بالصّليبيّين: ٣،٢/١٣٨٠ ٢/١٣٩٢

٩ـ تهديد صلاح الدين لهم وردّهم عليه: ٥،٤،٢/١٤٧٩

١٠ـ محاولتهم قتل صلاح الدّين: ٣/١٤٨٩ ٤/١٤٩٠

٢ـ الحلوليّة الاتّحاديّة

أناس اتهموا بالقول بالحلول والاتحاد

ابن الفارض: ٢/١٥٧١

ابن العربيّ الحاتمي: ٤،٢/١٥٨٠

٣ـ الزّنادقة:

من اتهم بالزّندقة: ابن أبي العَزاقِر: ١٠٦١ـ١٠٦٢

التصـوّف والصّـوفـيّة

مسائل عقديّة متفرّقة

العلم والعلماء

(أ) العلم

١ـ فضل العلم : ٤/٥٢٣ ٥/٧٣٤ .

٢ـ الخوف والإشفاق حال تبليغ العلم :

٠٣/٨٥ ٠١/٤٥٨ ٠٧/٥٢٨ ٦/٥٤٥

٠٢/٧٩٩ ٠٨/٨٠١ ٣،٢/٩٦٨

٣ـ وجوب العمل بالعلم : ٠٥/١٥٩ ٠٢/٣٩٠ ١١/٤٤٢

٤ـ رؤى فيها حثٌّ على العمل بالعلم : ٠٥/٧٢١ ٠٣/٧٦٣ ٠٥/١٠٢٣

٠٤/١٣٠٠ ٢/١٤٥١

٥ـ العلم النافع :

أـ صور من العلم النّافع :

٠٣/٢٥٨ ٠١/٣٣٤ ٠٥/٣٨٠ ٠٢/٣٩٠

٠١/٤٠٦ ٠٥/٤٩٧ ٠٤/٥٤٢ ٠٥/٦٢١

٠٤/٦٤٩ ٠٧/٦٥٦ ٠٢/٧١٤ ٠٥/٧٤١

٠٢/٧٩٣ ٠٧/٨٧٠ ٠٣/١٢٣١ ٠١/١٢٧٨

٠٤/١٣٠٧ ٠٢/١٣٥٩

ب ـ شروط العلم النّافع : ١/٩٨٠

٦ـ العلم الضارّ: ٠٢/٦٥١ ٠١/٦٧٢

٧ـ النيّة في طلب العلم :

أـ وجوب إحسان النيّة في طلب العلم :

٥/٤١٨ ١/٥٦٠ ٦،٥/٥٧٥ ٧/٦٠٣ ٣/٦٩٧

ب ـ رؤيا تفيد الحثّ على إحسان النيّة في طلب العلم : ٣/١١٦٣

١٩ـ ضوابط في تفضيل طلبِ العلمِ على فعل القُربات:

٠٧/٥٧٧ ٠١/٥٧٨ ٠٧/٦٢١ ٠١/٦٢٢

٢٠ـ ضوابط في كتمان العلم:

٠٢/١٩٧ ٥،٤/٧٨٣ ٥،٤،٣/٧٨٦ ٠١/٧٨٧

٢١ـ حال أربعة أصناف من النّاس مع العلم: ٠٢/١٠٥٨

٢٢ـ من وسائل تثبيت العلم:

أـ الاختبار والامتحـان

١ـ صور على الاختبار:

٣/٣٣٧ ٢/٩٤٨ ٢/١٢١٢

٢ـ اختبار العلماء بعضهم بعضاً:

١/٧١٦ ٥/٧٤٧ ٣/٩٠٠

٣ـ اختبار الخلفاءِ العلماء: ١/٧٤٨ ٣/٧٦٤

٤ـ اختبار العالم فهم تلاميذه: ٣/١٠٠٦

ب ـ المناظـــرة

١ـ المناظرة بدون نيّة حسنة مضرّة: ٣/١٠٧١

٢ـ من آداب المناظرة: ٥/٧٣٥ ٣/١٥٤٩

٣ـ من كان حسن المناظرة: ٥/٥٥٠

٤ـ أجوبة وردود

١ـ مضَرّة ترك الجواب: ٤/٦٣١

٢ـ حســن الجواب يجب أن يقترن بالأدب: ٢،١/١١٤١

٣ـ أجوبة ذكيّة:

٤/٣٤٦ ٢/٥٩٤ ٢/٦٢٤ ٢/٧٢٠

ب ـ العلماء:

ب ـ عدم قبول الهدايا من الطّلبة: ١/٦٠٤

ج ـ تخصيص العالم بعض طلبته بأوقات لتحصيل العلم: ٣/٧٩٥

د ـ الطالب المحبوب والطّالب البغيض: ٢/٧٢٦

هـ ـ عدم الغضب من طلّابهم إن تتلمذوا على المخالف لهم: ٢/٨٣٥

١٩ـ فضل العلماء العاملين:

أـ سبب لهداية النّاس: ٦/٤٢٧

ب ـ يستشفى بحديثهم، وينزل القطر من السماء بذكرهم: ٣/٤٩٨

ج ـ سببٌ لأمان النّاس: ٠٩/٤٢٧ ٢/٤٧٠ ٢/١٠٤٨

د ـ سببٌ لصلاح النّاس: ٢/٣٩٤ ٣/٩٦٣

هـ ـ سببٌ لتنزّل نصرِ الله: ٢/٤٤٧

و ـ ينقّون الدّين مما علِق به: ٢/٦٧٨

ز ـ يصححون مفاهيم العامّة: ٢/٦٢٧

ح ـ يجدّدون الدّين: ٢/١٠٣١، ٣ ٢/١٢١٦ ٥/١٢١٧

٢٠ـ من صفات العلماء: (وهناك صفات أخرى ستجدها مبثوثة في أماكنها):

أـ الدّأب في طلب العلم حتّى الممات: ٦/٩٨٠، ٧ ٣/١٠٥١

ب ـ الإنفاق لتحصيل العلم:

٤/٦٤٨ ٣/٦٩٣ ٣/٧٨٣

جـ ـ الضّبط والدّقّة: ٣/٦٤٨ ٣/٦٨٣ ٤/٦٩٠ ٤/١٠٣٢

د ـ الترفّع عن أموال النّاس والزّهد فيها: ٨/٤٤١ ٥/٥٢٤ ٤/٥٧٧

٤/٨١٢ ٤/٨١٦ ٤/١٢٣١

هـ ـ التقويم لا التّعيير: ٥/٧١٨

و ـ الثّقة في أمثالهم من العلماء: ٣/٧٢٨

٢١ـ من صفات طالب العلم: (وهناك صفات أخرى ستجدها مبثوثة في

١٢ـ التعريف ببعض الكتب:

أ ـ «الأسديّة»: ٣،٢/٧٥٨

ب ـ «الفُنون» لابن عقيل: ٣/١٣٧١

جـ ـ المُدوّنة: ٧/٨٧١

د ـ معاجم الطّبراني: ٢/١١٥٥

١٣ـ نقـد بعض الكتب

أـ إحياء علوم الدِّين للغزالي: ٣/١٣٥٨ ٣،١/١٣٥٩

ب ـ «الشفا» للقاضي عِياض: ٢/١٤١٥

جـ ـ «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي: ٢/١٥٠٦ + هامش (١) ٢،١/١٥٢٠

١٤ـ كتـاب «نهـج البـلاغـة» موضـوع ونسبته إلى عليٍّ رضي الله عنه غير صحيحة: ٢/١٢٤٦

١٥ـ كتاب منسوب إلى الإمام أحمد: ٢/١٠٠١

١٦ـ تمنّي الذّهبيّ أن يقيِّض الله عالماً يخدم «المسند» (وقد حقّق الله بعض أمنيته): ٢/١٠٠٢

١٧ـ رؤى فيها تزكية لكتب: ٣/٩٠٣ ٢،١/١٢٧١

من علوم الإسـلام

١ ـ القرآن والقراءات والتجويد:

أ ـ القـــرآن

١ ـ فضل القرآن:

٦/٢٤٨ ٢/٢٤٩ ٢/٢٥٣ ٥/٣٨٣ ٦/٦٧٤ ٢/٧٨٤

٢ـ تدبّر القرآن: ٣/١١٨٠

٣ـ صور من تدبّر السلف لكتاب الله:

ب - القـراءات والتجويـد

٢ - التفسـير

٣ - الحديـث

٢٢ـ القضـاء:

أ ـ القضاة على عهد الصّحابة: ٣/١٦٨.

ب ـ الأصول الشرعيّة التي يقضي بها القاضي: ٤/٧٨ ٢/٣٤٤

جـ ـ كره السّلف لمنصب القاضي:

٨،٧/٤٢١ ٣/٤٣٨ ٦/٥٠٥ ٢/٥٥٠

٧/٥٥١ ٤/٦٣٢ ٢/٦٩٧ ٣/٩٨٦

د ـ من السلف من كان لا يأخذ أجراً على القضاء:

٨/٣٣٣ ٥/٩٨٦

هـ ـ من السلف من كان ينهى عن أخذ أجرٍ على القضاء: ٥/٦٣١

و ـ قضـاة صالحون:

٦/١٠٦٠ ٢/١٠٦٩ ٥،٤/١٠٨٨ ٢/١١٤٨

٤،٣،٢/١٣٣٧ ١/١٤١٣

ز ـ خوف قاضٍ من الله: ٢/١٠٦١

ح ـ تحذير القاضي الشهودَ من شهادة الزّور: ٦/٣٤٤

ط ـ قاضٍ فَطِن: ٤/٢٣٤

ي ـ قضاة مرتشون خَرِبُوا الذِّمّة: ٦/٥٥١ ٣/١٥٨١

ك ـ حرص نورالـدين الشهيد على مسـاواة نفسـه بخصم في مجلس القضاء: ٢/١٤٥٤

٢٣ـ متفرّقات في القضاء:

١/٨٠ ٥،٤/٣٤٤ ١/٣٤٥ ٥/٤٤١ ٦/٦٣١

٥ - اللغـة والأدب

- الفصـاحـة والبلاغة

١ـ كثير من الشعراء عابثون لا يقصدون ما يقولونه.

قال تعالى: ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾: **٩/٧٥٣ ٢/١٢٠٣**

٢ـ الشعراء المتهمون في دينهم:

ابن هاني/١١٥٦ـ١١٥٧ أبو العلاء المعَرِّي: ١٢٥٦ـ١٢٦١

٣ـ أبيات في الشعر تعتبر كفراً والعياذ بالله: ١١٥٧/هامـش (١)

١١٧٥/٣ ١٢٥٨ـ١٢٦١

٤ـ الشعراء الماجنون: ابن الحجاج/١٢٠٣

٥ـ الشاعر الزّاهد أبو العتاهية: ٧٥٤

٦ـ من شعراء العرب:

الأخطل/٤٥٢ جرير/٤٥٣ أبوتمام/٧٩٧.

٧ـ بعض من وصل على الشِّعر: ٦/٨٠٣ ٢/٩٣٤ ٥/١١٦٥

٨ـ شعر في الهجاء: ٢/٥٠٧ ٣/١٠٦٨ ٢/١١٦٧ ١١٦٨

١/١٥٧٤

٩ـ أشعار في مواضيع متفرِّقة: ٤/٨٦٣ ٣/٩٢٧ ٣/١١١٥

٢/١٣٢٠ ٢/١٣٣٤ ٣/١٤٤١

٦ـ التاريخ

(ترتيب الدول فيه حسب ترتيبها الزَّمنيّ غالباً)

١ـ ضابط لحديث «فحدّثنا بما هو كائن إلى قيام الساعة» ١/١٦٤ .

٢ـ ضابط لقبول الأخبار: ٢/٣١٧ .

٣ـ تكوّن دولة بني أمية:

٤/٢٣٨ ١/٢٣٩ ٣/٢٤٠ ٢/٢٦٣، ٤ ٣/٢٨٢
١/٢٨٤

٤ـ تعليل لقيام دولة بني العبّاس: ١/٥١٧ .

٥ـ تكوّن دولة بني العباس: أبومسلم الخراساني ٥١٥ـ٥١٩ .

عبدالله بن علي /٥٢٧

دولة بني العباس في العصر الأول ـ عصر القوّة ١/٥٦٧

الخلافة العباسيّة بمصر «المستنصر» ١٥٨٧ ـ ١٥٨٨

٦ـ تكوّن دولة بني أميّة في الأندلس ٢/٦٣٦، ٣ ١/٦٣٨

٧ـ الدولة الزّيادية في اليمن ٢/٨٥٧ .

ـ من أخبار أمراء اليمن: ١٢٩٨ـ١٢٩٩ ١٤٢٧ـ١٤٢٨
١٤٥٨/عبدالنّبيّ

٨ـ الدولة الصفارية: ٩١٤ـ ٩١٦ ٢/٩٩٤ ٢/١٠٠٥

٩ـ الدولة الطولونيّة: ٩٤٤ـ٩٤٥ ٤/٩٩٥

١٠ـ دولة ابن الأغلب: ٩٩٨ـ٩٩٩ .

١١ـ الدولة الفاطمية:

أ ـ الدولة العُبيديّة الفاطميّة الفاسدة العقيدة والنّسب والعمل

١/١٠١٧ ١٠٨٣ـ١١٠٧ ١١٦٤/١، ٢ ١١٨٩/٢، ٣
١٣١٢/٢، ٣، ٤

ب ـ الدولة الفاطمية تدّعي زوراً النّسب الشريف:

١٠٨٣/٢ ١٠٩٢/٢ ١١٠٦/٥

جـ ـ موقف العلماء والصالحين منها: ١١٥٩/الشهيد

١٠٨٤/٢ ١٠٨٥/١، ٣، ٤ ١٠٨٦/١، ٢

١٠٨٧/١، ٢، ٣، ٤، ٥ + هامش (١)

١٠٨٨/٢، ٣ ١٠٩٠/١ ١١٢٤/الحُبُليّ ١٤٨٢/٢، ٣

د ـ موقف العلماء الضّالين منها: ١١٦٠/النعمان

هـ ـ إنتهاؤها على يد صلاح الدين ١١٠٦/٣ ١٤٨٩/٢

١٢ـ الدولة السامانيّة: ١٠٢٧ـ١٠٢٨

١٣ـ دولة بني بويه: عماد الدولة. ١١٢٧ـ١١٢٨ ١١٦٦/مُعزّ الدولة

١١٧٥ـ١١٧٦ عضد الدولة ١٢٩٣/٤ ١٢٩٤/٤

١٤ـ الدولة الغزنوية، سُبكتكين: ١١٩١ ـ ١١٩٢.

محمود بن سبكتكين: ١٢٣٢ ـ ١٢٣٥ صاحب غزنة: ١٢٦٨ ـ ١٢٦٩

١٥ـ الدولة الإخشيذية: الإخشيذ: ١١٢٢ ـ ١١٢٣

١٦ـ دولة الطوائف وتأثيرها في غلبة الصليبيين على بلاد الأندلس:

أـ انظر القاسم بن حمّود بن ميمون : ١٢١٠ـ١٢١١ ١٢٣٧/١

والمأمون/ ١٢٨١

ب ـ انظر المعتمد بن عبّاد والمعتضد بن المعتمد

١٣٣١ـ١٣٣٤ ١٣٩٦ـ١٤٠١

ج ـ استعانة أمرائها بالصليبيين على المسلمين ١٣٩٩/١، ٢

١٧ـ الدولة السّلجوقية: طُغرلبَك: ١٢٦٥ـ١٢٦٦ ألب أرْسلان: ١٣٠٣ـ

.١٣٠٥

ملكشاه ١٣٢٩ - ١٣٣٠ تُتُش ١٣٣٦ محمود بن محمد ملكشاه

١٣٨١ سنجر ١٤٣٣-١٤٣٤

١٨- دولة المرابطين ١٣٤٩-١٣٥٠ ١٤٠٧-١٤٠٨ (ابن تاشفين)

- دولة المرابطين في الأندلس: ١٣٣٣/١، ٢ ١٣٣٤/١ ١٣٩٦/٢

١٩- الدولة الزنكية: ١٣٤٤/قسيم الدولة ١٤١١/زنكيّ نورالدين ١٤٥١/١٤٥٥

٢٠ - دولة الموحدين: ابن تُومرت ١٣٨١-١٣٨٧ عبدالمؤمن بن عليّ ١٤٣٤/١٤٣٧

يوسف بن عبدالمؤمن ١٤٧٢- ١٤٧٤ يعقوب بن يوسف ١٤٩٦/١٤٩٩

محمد بن يعقوب ١٥٦٦ يوسف بن محمد ١٥٦٧

عبدالواحد بن يوسف بن عبدالمؤمن ١٥٦٧

عبدالله بن يعقوب ١٥٦٧-١٥٦٨ إدريس بن يعقوب ١٥٦٨-١٥٦٩

عبدالواحد بن إدريس ١٥٦٩

- قُتِل القاضي عِياض من أجل أنه أنكر عصمة ابن تومرت ١٤١٥/٣

٢١- الدولة الصلاحيّة الأيّوبية:

صلاح الدين ١٤٨٩- ١٤٩٤ العزيز ١٤٩٤ - ١٤٩٥

العادل ١٥٣٨ - ١٥٤٠ المعظم ١٥٤٠ - ١٥٤١

الأشرف ١٥٤١ - ١٥٤٢ الكامل ١٥٤٣ - ١٥٤٤

الصالح ١٥٤٤ - ١٥٤٥ صاحب حمص ١٥٧٩ - ١٥٨٠

الجواد ١٥٩٢ - ١٥٩٣ المعظم ١٥٩٣ - ١٥٩٤

الكامل ١٥٩٦ - ١٥٩٧

٢٢ـ دولة خُـوار زمشاه

١ـ أخبارها: ١٥٤٥ ـ ١٥٤٧   ١٥٦٢ ـ ١٥٦٣.

٢ـ جيوش جلال الدين خوارزمشاه يكثر فيها الفسق والزِّنى واللّواط ١٥٦٢/٢، ٣.

٣ـ كان الغدر طبيعةً له ولجيشه: ١٥٦٢/٣، ٤   ١٥٦٣/١.

٢٣ـ التتـــار

١ـ أخبارهم:

١٥٥٧/١، ٣   ١٥٩٠/٣

٢ـ وصف لهم ولأحوالهم: ١٥٥٧/٢   ١٥٥٨/١

٣ـ مُصَانَعَة بعض ملوك المسلمين لهم: ١٦٠٦/٢

٤ـ من أسباب غلبتهم على العراق:

أـ خيانة الوزير ابن العلقميّ الرافضيّ:

١٥٨٨/٣   ١٥٩٠/٤   ١٥٩١/١، ٢

ب ـ ضعف الخليفة المستعصم ولهوه ولعبه: ١٥٨٨/٢، ٣

ج ـ تسريح أكثر جند الخلافة بإشارة ابن العلقميّ ١٥٨٨/٣.

د ـ اضطراب مصر والشام وعدم اجتماع الكلمة: ١٥٩٠/٤.

٥ـ مقاومة المصريين لهم: ١٥٩٥/٦   ١٥٩٦/١

٦ـ مقاومة الشاميّين لهم: ١٥٩٦/٣

٢٤- الصليبيّـون

١- الحروب الصليبية:

٢/٩١٠ ٢/١٠٩٩ ٢/١١٠٠ فخر الملك/ ١٣٥٢ ١٣٥٣/٣، ٤
١٣٦٤/١، ٢، ٣، ٤ ١٣٦٦/٢، ٣، ٤ ١٣٦٧/١، ٢، ٣، ٤، ٥
٢/١٣٧٩ ٤/١٣٨٠ ٢/١٣٩٢ ٤/١٤٤٠
١٤٤٢/٢، ٣ ٢/١٤٥٩ ١٤٩٠/١، ٢ ٣/١٥٤٣
١٥٥٤/٢، ٣ ١٥٥٥/١، ٢ ١/١٥٥٦ ٢/١٥٥٧
٣/١٥٨٥ ١٥٨٩/١، ٢ ١/١٥٩٠

٢- وقعـة مشهـودة مع الصليبيّين الـذين أرادوا احتـلال المـدينـة المنورة.
١٥٠٧/لؤلؤ العادلي

٣- وصف جميل للصليبيّين وصفهم به القاضي الفاضل: ١٥٥٥/١، ٢

٤- من أسباب ضعف المسلمين عن هزيمة الصليبيّين:
٣/١٣٧٧ ١/١٣٧٨ ٥/١٣٩١

٥- تمـنّي الـذّهـبي لو أن القتـال على الملك بين المسلمين كان على الصليبيّين: ١/١٥٤٠

٦- علاقة الصليبيّين بالعُبيديين: ٣/١٣٦٤

٧- نساء صليبيّات يحاربن المسلمين: ٢/١٥٥٥

أسباب ضعف بعض الدُّول ثم خرابها:

(١) الدّولة الأمويّة في الأندلس:

أ- استعانة المسلمين على بعضهم بالفِرَنْج: ١٢٠٨/١، ٢

ب ـ البربر وإفسادهم: ١٢٠٩/١، ٢، ٤ ١٢١٠/١

جـ ـ انقضاض بعض الأمراء على الخلافة: ١٢١٠/٢

(٢) الدّولة العباسية:

أ ـ تحكّم الأتراك بالخلفاء وخلعهم وتعذيبهم كما يحلو لهم:

٨٦٧/١، ٣ ٨٦٨/١، ٤ ٩١٦/٣، ٤، ٥ ٩١٨/٣ ١٠٧٥/٢، ٥
١٠٧٦/٢ ١٠٧٧/١ ١٠٨١/٢

ب ـ تحكّم السلاطين (بنوبُوَيْه + السلاجقة) بالخلفاء: ١٠٧٨/١
١٣٣٠/٢

جـ ـ الإسراف والتبذير: ٨٦٨/٣ ١٠٦٦/٤، ٦

د ـ الخروج على الدولة: ٨٩٨/١ ٩١٨/٣ ٩١٩ـ٩٢٢
٩٥٢/٢، ٣

هـ ـ انهماك بعض الخلفاء باللّهو واللعب: ٩١٩/٢ ٩٢٢/٢
١٠٦٦/١، ٢

و ـ تسلّط الغوغاءِ والحرامية على دار الخلافة: ١٠٦٦/٥

ز ـ سوء سيرة بعض خلفائها: القاهر بالله: ١٠٧٢ـ١٠٧٣

متفرِّقات في الملوك والخلفاء والأمراء

١ـ الخلفاء الصّالحون:

عمر بن عبدالعزيز ٤٧٣ ـ ٤٨٠.

المهتدي بالله: ٩١٧ ـ ٩١٨.

القادر بالله: ١٠٧٩

القائم: ١٢٩٣/٣

١ـ السلطان بحاجة إلى وزراء مخلصين: ٦/٣٤١

٢ـ وزير عُذِّب وقُتل بغير حق: ١٢٦٨/الكُندريّ

٣ـ من عُذِّب من الوزراء حتى الموت: ٥/٨٩٣ الحسن بن مَخْلد/٩٣٣

٤ـ الوزراء المتحكّمون في الأمور أكثر من وليّ الأمر:

٢/١١٠١ ٤/١١٩٩ ٢/١٢٠٠

٥ـ من ظلم من الوزراء بعد العدل والإحسان: ١٠٥٥/ابن الفُرات

٦ـ الوزراء السنّيون في دولة العُبيدية الرافضة: ٢/١٣٧٧ ٣،٢/١٣٧٨

٧ـ الوزراء المحسنون: ١١١٥/الوزير ٥/١١٩٠

١٢٢٢/فخر الملك ٤،٣/١٣٢٨ عضُد الدِّين: ١٤٦٩ـ١٤٧٠

٨ـ وزير عالم: ٢/١١٩٠

٩ـ الوزراء العُبّاد: ٣/١١٩٠ ٢/١٣٢٨ ٤،١/١٣٣٨

٢،١/١٣٣٩

١٠ـ وزير تائب: ٢،١/١١٩٥

١١ـ الوزراء الضّابطون للأمن: عميد الجيوش/١٢١٧ ١/١٣٢٨

١٢ـ الوزراء المقيمون للسُّنن المحيون الدين:

عميد الجيوش/١٢١٧ نظام الملك/١٣٣٨ـ١٣٣٩

ابن هُبيرة/١٤٤٣ـ١٤٤٥ القاضي الفاضل/١٤٩٩ـ١٥٠١

محاولات القتل التي جرت لبعض الأمراء والكبراء والفقهاء

ملحوظة: ستجد غيرها في فِهرس الباطنيّة في العقائد الضالّة):

٧ـ السياسة الشرعيّة:

قواعد في السياسة الشرعية

٤ـ الأمير والإمارة

٥ ـ الشُّهرة والتصدر

٦ ـ الظلم والظالمين

الصـلاح والصالحـون

١ـ سيماء الصالحين وسَمتهم:

أـ صور على حسن السمت:

ب ـ الهيبـة

صور على الهيبة:

٢ـ من صـفاتهم:

أ ـ مجموعة صفات تجدها في:

٧ـ عناية الصالحين بالقلب

- **من وسائل العناية بالقلب**

١ـ الاستـغفار

٢ـ تذليل النّفس ومجاهدتها

٣ـ ذكر الله سبحانه وتعالى

من أسباب موت القلب

١ـ الذنـوب

٢ـ المعــاصـي

٨- حاجات الإنسان الضرورية وحال الصّالحين معها

أ - الطّعام والشّراب

١ـ الجوع غير المفرط وفائدته: ٣/٧٧٣.

٢ـ الجوع المفرط وعاقِبته: ٢/١٢٢٦ ٤/١٢٤٥

٣ـ مساوىء الشّبع: ١/٣٣٦ ٦/٧٣٦، ٧

٤ـ من مات بسبب الطّعام: ٤/٨٠٠

٥ـ من مات بسبب طعامٍ حارّ: ٣/٩٧٦

٦ـ حرمان النّفس من بعض الطعام يذلِّلها: ٦/٥٦٤

٧ـ التحرّي في المطعم: ٦/٥٥٩، وصور أخرى ستجدها في فِهرس الورع.

٨ـ تقلّل العلماء من الطعام حال الطّلب: ٣/٨٩٠ ٤/٩٨٦

٩ـ صورٌ من التقلل من الطعام: ٢/٢٥٧، ٥ ٤/٢٥٨ ٥/٣٦٥
١/٤٩٨ ٥/٥٢١ ٢/٦٧١ ٦/٩٠٤ ١/٩٨٣

١٠ـ تقلل الصالحين من الطعام ليس ـ دائماً ـ بسبب الفقر: ٤/٢٥٨

١١ـ الشّبع مع الضّيف جائز: ١/٥٩٥

١٢ـ الفرح بالطّعام الطيِّب: ١/٥٥٠.

١٣ـ شرب العسل والسّمر عليه: ٦/٤٩٤

١٤ـ الجوع بسبب الفقر:

٢/٥٨٥ ١/٨١٣ ٥/٩٦٣ ٢/١٠٠٠
٣/١٠٤٠ ١/١٣٠٠ ١/١٣٠٧ ١/١٣٦٢
٣/١٤٢٦ ٣/١٤٤٦ ٢/١٥٣٧

ب - المـــال

١ـ أهمية المال: ٦/٤٤١ ٥/٥٠٨ ٢/٥٨٤،٣

٢ـ نِعمَ المال الصالح للرجل الصالح: ١/٣٧٦ ٥/٣٨٥ ١/٤٩٦

٣ـ المال يجب أن يكون في اليد لا في القلب: ١/٤٤٩ ٦/٥٢١

٤ـ الخوف من الحساب على الأموال يزهّد بعض الناس فيها: ٩/١٦٠

٥ـ من ذمّ المال: ٢/٤٤٩

٦ـ حال السلف مع الأموال:

٩/٣٤٠ ٣/٦٠٠ ٥/٦٣٠

١/٨٣١ ١/٨٣٢ ٤/٨٨٣

٧ـ كثرة المال وتنوّعه تؤدي إلى تفرّق القلب: ٤/١٦٠.

جـ - النّـــوم

١ـ الحثّ على قلة النوم: ٣/١٠٣٢

٢ـ أحوال السلف مع النّوم:

١/٤٦٦،٥ ٢/٦٣٠ ٢/٧٧٥ ٥/٨١٧ ٣/١٠٣٧

٣ـ صور رائعة على إحياء الليل جميعه وصلاة الفجر بوضوء العِشاء:

٦/٥٥٠ ٦/٥٧٩ ٢/٦٤٧ ٣/٧١٧

٥/٧٢٩ ١/٧٩٤ ١/٩٢٦ ٢/٩٣٩

٩ ـ وصـايـا الصالحـين

١ـ وصيّةٌ من وصايا سيِّد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم: ١/١٠٨

٢ـ من وصايا الصالحين:

٢/٨٠ ٦/١٦٠ ٢/٢٤٨ ٣/٣٢٨،٤

صفات قلبيّة عزيزة يتّصف بها الصّالحون

الإخـلاص

التّقـوى

التوكّـل

الخوف والخشية والرجاء

الصِّدق

المحاسبة

الإنفاق في سبيل الله

الإيثــار

التعـفّف

التّواضــع

التوقـير والاحـترام

٥٢٣/٥، ٧   ٧٥٩/٥   ٧٦٠/٣   ٨١٣/٩، ١٠
٩٥٨/٢

الحساسية والشّفافية

صور عليها: ٤٩٣/٤   ١٤٠٦/١   ١٤٣١/٣

الحِلْم

١ـ صور على الحِلْم:
٢٤٣/٣، ٤   ٣٤٠/١   ٤٨٧/٥   ٧٦٤/٤
٢ـ من لا يستطيع أن يكون حليماً فليتحالم: ٣٣٩/١٠

الـرّحمـة

١ـ رحمة الله وسعت كل شيء: ٤٩٧/٢.
٢ـ الله أرحم من الوالدين: ٦٠٣/٩.
٣ـ أعمال يرتجي بها أصحابها رحمة الله: ١٢٨٨/١   ١٥٤٠/٣
٤ـ رؤيا يَعْظُم بها الرّجاء في رحمة الله: ٨٥٠/٣.
٥ـ الرّحمة بالأطفال: ٦٢٩/٥
٦ـ من كان صائماً فأفطر رجّاءَ الرّحمة: ٧١٥/٢.

الـرِّقـة

الـزّهد

سلامة الصدر للمسلمين

شكـر النِـعم

الصّـبر

الصّـمـت

المداراة

المـــروءة

٤/٦٣ ٣/٨٦ ٢/٩٠ ٤/١٨٤

٢/٢٥٣ ٤/٣٤١ ٨/٣٦٦ ٥/٤١٢ ٨/٤٧٠

د ـ أمثلة على تفاوت مراتب الرِّجال:

١/١٨ ٢/١٩ ٢/٤٦ ١/٤٩

٣/٦١ ٧/٨١ ٤/١٥٦ ٢/١٦٨

٢/١٨٢ ١/٢٤٦ ٢/٣٣١ ٣/٤٤٩

١/٥٤٥ ١/٥٧٧ ١/٦٦١ ٢/٦٩٨

٢/٧٦٥ ١/٧٩٦ ٤/٨٤٣

هـ ـ رؤيا تدلّ على تفاضل مراتب الصالحين في الجنّة: ٤،٣/٤٦٠

١٣ـ دفاع السلف بعضهم عن بعض:

٤/١٨٨ ٢/٥٢٨ ٨/٥٥١ ٣،٢/٥٦٣

٤/٦٩٨ ١/٧٠٠ ٦/٧٣٨ ٣/٧٦٢

٣/٧٧١ ١/٧٧٢ ٢،١/٧٨٥ ٧/٨٧٧

٣،٢،١/٨٧٨ ٢/٩٧٦ ٢/١٠٦٥ ٣/١١١١

١/١١٢٢

١٤ـ أمثلة على الإنصاف:

٣/١٢٩ ٣/١٤٨ ٢/٢١٥ ٢،١/٢٩٢

١/٣٣٠ ٥،٣/٤٠١ ٣/٤٠٩ ٥/٤٢١

٧/٧٣٥ ٤/٤٨٩ ٤،٣/٥٢٨ ٥،٤،٣/٥٧٤

٥،٤/٥٨٧ ٢/٦١٣ ٨،٧/٦٢٤ ٦/٦٣٥

٨/٦٦٩ ٣،٢،١/٦٧٠ ٢/٦٨٣ ٧،٦/٦٩١

١/٦٩٢، هامش (١)، ٢، ٣، ٤، ٥ ١/٦٩٣

٩/٧٠٢ ١/٧٠٣ ٥،٤/٧٢٦ ٥،٤/٧٢٧

الترقّي

التضحيــة

الذّكاء والفِطنة

الشجاعة

الفراسة

قضاء الحوائج وصنائع المعروف

كتمان الأعمال الصّالحة

النّصح

الهمّة

الــورع

اليقيــــن

صفات تطلب بقـدر

الأخلاق السيِّئة

آفات متنوّعة في القلب واللّسان

١ـ الأذيّة

٢ـ الجدال والمراء

٣ـ الجهل

٤ ـ الحسد

٧ـ العُجْب

٨ـ الغِيبة

٩ـ الفضول

١٠ـ الكِبْر

أخبار النساء

الزّواج

عناية الوالديْن بالأبناء

البرّ

العمـــر

الوعـظ والوُعّـاظ

العلاقة مع الله

من مظاهر حسن العلاقة مع الله

١ـ الاستسقاء

صور من استسقاء الصّالحين:

٢ـ الالتجاء حال التهديد إلى الله

وستجد غير ذلك في فِهرس الدعاء في «أدعية مجربة في كشف الضّرّ»

٣ـ التّوبة

المرض

الموت

التعزية والتّأبين

الـرّؤى

و- رؤى فيها دفاع عن مؤمن صالح : ١/١٥٢٣ .

٣- تعبير الرؤيا:

٢/٢٠٩ ٦/٢٥٤ ٣٧٤ ٥/٤١٧

١٠،٩/٤٥٨ ٤،٣،٢،١/٤٥٩ ١/٦٩٤ ٤/٧٩٥ ١/٩٥٢

١/١٠٣١ ٤/١٠٤٩ ٢/١٠٥١ ٤/١١٠٦ ٣/١٤٧٤

٤- رؤى فيها توجيه:

٣/٢٤ ٤/٥٦ ٤،٣/٣٦٦ ٤،٣/٤٦٠

١/٥٠٦ ٣/٥٤٦ ١/٥٧١ ٢/٥٧٨ ٢/٥٨٢

٨/٦٠٣ ٦/٦١٧ ٥/٦٤٧ ٤/٦٥٩

١/٦٦٠ ٧/٦٩٣ ١/٦٩٤ ٥/٧٢١

٢/٧٥١ ٣/٧٦٣ ٢/٧٧٧ ٦/٧٨٢

٣/٧٩٣ ٢/٨٠٤ ٤،٢/٨٣٩ ١/٨٤٧

٥/٨٨٢ ٣/٩٠٣ ٣،١/٩٤١ ٣/٩٤٤

٥،٤/١٠١٤ ٥،٣/١٠٢٣ ٣/١٠٢٧ ٦/١١٣٦

٤،٣/١١٦٣ ٢/١١٦٥ ١/١١٨٤ ٢/١١٩٢

٣/١١٩٧ ٤/١٢١٢ ٤/١٢٥٣ ٢،١/١٢٧١

١/١٢٩٧ ٤/١٣٠٠ ٢/١٣٠٦ ٢/١٣٤٣

٥/١٣٤٧ ٢/١٤٠٦ ١/١٤٢٣ ٣/١٤٤٠

٤/١٤٤١ ٢/١٤٥١ ٥/١٤٥٤ ٣/١٤٥٦

٥ - رؤى منوّعة:

٥/١٩ ٢/٣٨ ٦/٢٨٩ ٤/٣٦٤

٨/٣٦٥ ٥/٤٦٥ ٤/٤٩٢ ٢/٥٠٣

متفرّقات

١ـ الإنشاد والغناء

٢ـ الأوائـل :

٣ـ البركـــة

٤ـ التبرّك بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم والصالحين

٥ـ الجـــنّ

٦ـ الحـظّ والنّصيب

٧ـ الحنين إلى الأوطـان

٨ـ الـرّزق

٩ـ الشرف والمكارم

١٠ـ الضّـيف

١١ـ عجائب وغرائب من عصور متفرقة

١٢ـ من العقـوبات

١٣ـ العمل والكسب عند السلف

١٤- العيْن

١٥- الفرصة

١٦- فكاهات ونوادر

١٧ - «قصص»

١٨ـ كـوارث حدثت في بعض الأقطار

١٩ـ عيــون السّــلطان

٢٠ـ المبالـغـة

٢١ - مفاهيم وأعمـال خاطئة



فهــرس الفهــارس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

إنتهى الجزء الثالث

« **نزهة الفضلاء** »

وبه يتم الكتاب ولله الحمد والمنه

رقم الإيداع : ٢١٥٧ / ١٩٩١

طبع بدار **نوبار** للطباعة